

نعم شقير

مَجْعَرُ فَيْسَرٍ
و

مَنَاحِ السُّوَدَانِ

تقديم

د. فوزي عبد الرحمن علي طه



دار عرفة للنشر والتوزيع

الرياض - السعودية

مَجْدُودِيَّةٌ

و

تَبَاجُ السُّوَكَاةِ

نعم شقير

جغرافيه
و

نتائج السؤالات

تقديم

د. فوزي عبد الرحمن علي طه

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر اعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية لدارة الشؤون الفنية

شقيير، نعموم.

جغرافية وتاريخ السودان/ تأليف نعموم شقيير. - ط ١. - الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.

١٤٠٠ ص : سم

١ - السودان - جغرافيا

أ - العنوان ٩١٦.٤

الكتاب : جغرافية وتاريخ السودان

المؤلف : نعموم شقيير

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٣٥٦٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٧

ردمك : ٩٢ - ٥٤ - ٩٩٩٤٢

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة ولا يسمح بإعادة

نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأى شكل من

أشكال النشر إلا بإذن كتابي

الناشر : دار عزة للنشر والتوزيع

الإدارة : شارع الجامعة - الخرطوم - جنوب وزارة الصحة .

ت : ٨٣٧٨٧٢٠٠ فاكس : ٨٣٧٩٧٠٨٤ (١ - ٢٤٩ +)

التوزيع : دار عزة للنشر والتوزيع ت : ٨٣٧٨٧٢٠١

السودان - الخرطوم . ص.ب : ١٢٩٠٩

azzaph @ yahoo.com

بريد إلكتروني

الجزء الأول

جغرافيت السودان

THE GEOGRAPHY OF SUDAN

الباب الأول

جغرافية السودان الطبيعية

مُقَدِّمَةٌ

يسعدنى ويطيب لى أن أقدم لهذه الطبعة من كتاب نعوم شقير «جغرافية وتاريخ السودان» التى تتولى أمرها دار عزة للنشر.

يعد كتاب نعوم شقير من أهم المراجع التى كتبت عن تاريخ السودان فى القرن التاسع عشر. ونعوم شقير لبنانى عمل فى مصلحة المخابرات الحربية المصرية. كتب شقير كتاباً شاملاً باللغة العربية وصدرت أول طبعة منه عام ١٩٠٣ فى القاهرة بعنوان تاريخ السودان الحديث وجغرافيته. وصدرت الطبعة الثانية فى بيروت عام ١٩٦٧ بعنوان جغرافية وتاريخ السودان. وظل هذا الكتاب وحتى الخمسينيات من القرن العشرين أهم رواية شاملة عن المهديّة ترتكز على مصادر أولية. بالرغم من أن شقير لم يحصر نفسه فى القرن التاسع عشر، حيث تعرض لتاريخ السودان القديم فى خمسة أبواب وتاريخ السودان الوسيط وجزء يسير من العهد الأول للحكم الثنائى إلا أن الجزء الأطول والأصيل من دراسته كرس للتركية والمهديّة بل المهديّة حيث تناولت الصفحات من ص ٦٣١ إلى ١٣٩١ نشأة الدولة المهديّة إلى زوالها وقد وردت جملة من وثائق المهديّة والخليفة فى كتاب نعوم شقير. وتورد وثائق المخابرات المصرية التى عمل بها بيانات عن هذه الوثائق ترجمة ووصف وتحديث.

اعتمد شقير أيضا في كتابه على الكم الروائي وهو ما رواه
المشتركون في الوقائع والحوادث والمعاصرون بشكل عام ومن ما سمعوا
عن هؤلاء من الأبناء والأحفاد وكان جل اعتماده على روايات الأمراء
والضباط والأعيان. ومن أهم مصادر الرواية ما دونته المخابرات الحربية
المصرية في دورياتها وتقاريرها التي ظلت متاحة للباحثين. والكم الروائي
هو بخلاف ما يعتقد، العنصر الغالب الذي كيف الصورة المهدية.

ظل كتاب نعوم شقير المرجع الرئيس حتى ظهور كتابات أكاديمية عن
المهدية مثل كتابات بيتر هولت ومكي شبيكة ومحمد إبراهيم أبو سليم
رواد الدراسات الأكاديمية عن المهدية. وأصبح مرجعا رئيسا لكتابات
هؤلاء وأصبحت تحليلاته لأسباب الثورة المهدية وعوامل نجاحها مرتكزا
استندوا عليه في إبراز ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه. حيث انتقد
هولت في كتابه The Mahdist State in the Sudan ١٨٨١ - ١٨٩٨ «دولة
المهدية في السودان ١٨٨١ - ١٨٩٨» شقير لإبرازه جانبا واحدا هو أن
القهر التركي - المصري مثل السبب الرئيس لاندلاع الثورة المهدية.

يورد أبو سليم في مقدمة «الأثار الكاملة للإمام المهدي» المجلد
الأول أنه ذكر ما جاء بتاريخ نعوم شقير «لأن هذا التاريخ مرجع مهم وما
نحسب أن أحدا يستغنى عنه. وأغلب ما نقله وارد في مصادرنا بشكل
مرض، وفي هذه الحالة فلما لا نعارض به. وبعض ما نقله لا يرد إلا
فيه، وهذا ينقل كما هو، أو لا يرد إلا فيه ومصدر آخر، وهنا نقارن بين
هذا النص وذاك. ونعوم عموما مرجع طيب لمعرفة ظروف صدور الوثائق
التي ينقلها لأنها تأتي في إطار الحوادث، ولكن لا ينبغي أن يؤخذ على

علاته لأنه اعتمد على المصدر الشفوي وعول عليه ووقع في بعض أخطاء، ولأن معلوماته عن مصنفات المهدي ونصوصها كانت ضعيفة، وقد نقل النصوص كما اتفقت دون مراجعة نسخة بأخرى».

ومما يؤخذ على المتقدين لكتابات شقير النظرة الأحادية دون التدقيق في الفائدة العلمية والارتكار في النقد على عموميات مثل أن شقير رجل مخابرات. فقد حوى هذا الكتاب معلومات مهمة لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ السودان الحديث. إن ورود ألفاظ مثل «التمهدي» في وصفه للإمام المهدي وتحامله على المهدي في بعض المواضع لا تنفي أهمية الكتاب فقد أورد تفاصيل وقائع الثورة في شتى أنحاء السودان والمواقع العسكرية بصورة دقيقة. وأورد نصوصا كما هي مثل جواب أبي عنجا للملك يوحنا إمبراطور الحبشة وخطابات الخليفة عبد الله إلى السلطان عبد الحميد وإلى محمد السنوسي وسلطان وداي.

تنبع الأهمية الثانية لكتاب نعوم شقير في ربطه بين الجغرافيا والتاريخ وهذا إدراك منه للارتباط الوثيق بين العلمين؛ والجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ. فالأرض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ، وهي ذات أثر كبير في حياة الإنسان وتكوينه النفسي، وفي قوانينه وشرائعه، وفي نظمته السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وينبغي على المؤرخ أن يكون على دراية بالأحوال الجغرافية للمكان الذي سيتناوله بالدراسة، ولقد بلغ من أهمية الارتباط الوثيق بين الجغرافيا والتاريخ أن ظهرت نظرية لتفسير التاريخ عن طريق الجغرافيا. وقد تحكمت الجغرافيا في ظهور الحضارات في مواقع محددة كما منعها

من الظهور في مواقع أخرى وبدون المكان الجغرافي يقف التاريخ في الفراغ وليس من حدث «يجرى في فراغ». هذا ما فطن له نعوم شقير.

تناول الجزء الأول من مؤلف نعوم شقير جغرافية السودان وتحدث عن الحدود ونهر النيل وأراضي السودان ومعادنها وهوائها ونباتاتها وحيواناتها، وسكانها وجغرافية السودان الإدارية: مديريات السودان ومحافظاتها ومأمورياتها. مدن السودان وآثارها. حضارة السودان، أديانه، معارفه السودانيون زراعتهم، تجارتهم، أخلاق أهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم.

خاتمة القول إن كتاب نعوم شقير موسوعي شامل ومرجع للمؤرخ والجغرافي ودارس علم الإنسان والفولكلور. ويأعادة طبعه تسهم دار عزة في رفد المكتبة السودانية بالمفيد المثمر وهذا دأبها.

د. هادي عبد الرحمن علي طه

الفصل الاول

في

حدود السودان

السودان في اللغة السود ويطلق ايضاً على بلاد السود. وقد اطلقه العرب بعد الاسلام على الممالك الافريقية الاسلامية الواقعة في المنطقة المتوسطة التي الى جنوب الصحراء الكبرى وصحراء نوبيا فيما بين الحبشة وسنغيبيا. وتشمل ممالك سنار ودارفور ووداي وباجرمي وكانم وبرنو وسوكوتو وملبي من الشرق الى الغرب. اما السودان الذي فيه كلامنا فهو السودان المصري المعروف الآن بالسودان الانكليزي المصري . وحدته من الشمال خط ٢٢ من خطوط العرض الشمالي الى الشمال من حلفا . ومن الجنوب بلاد اوغندا التابعة لانكلترا على خط ٥ من خطوط العرض الشمالي تقريباً. ومن الشرق البحر الاحمر وبلاد الارتريا وبلاد الحبشة. ومن الغرب والجنوب الغربي الصحراء الكبرى وبلاد وداي والجبال المتوسطة بين نهر الكونغو وجر الغزال . وهو على شكل غير منتظم طوله من الشمال الى الجنوب نحو ١٢٠٠ ميل ومعظم عرضه من الشرق الى الغرب نحو ١٠٠٠ ميل.

الفصل الثاني

في

نيلها

النيل الابيض: ويخترق هذه البلاد من الجنوب الى الشمال نهر النيل العظيم وله مصادر كثيرة اهمها مصدران النيل الابيض والنيل الازرق. اما النيل الابيض فيخرج من بحيرات ثلاث في اواسط القارة اكبرها بحيرة فكتوريا نياتزا عند خط الاستواء فيخرج منها نهرٌ ويمجري الى الشمال الغربي متعرجاً نحو ٢٩٠ ميلاً فيصب في بحيرة ألبرت نياتزا في شمالها . ويصب في جنوبها نهرٌ آخر آتٍ من بحيرة ألبرت ادوارد نياتزا طوله ١٨٠ ميلاً. ثم يخرج النيل من بحيرة ألبرت نياتزا ويمجري شمالاً في بلاد خط الاستواء باسم بحر الجبل أو بحر الرّجاف مسافة ٤٧٠ ميلاً فيتفرّع منه بحرٌ يُعرف ببحر الزراف ويسير البهران شمالاً منفرجين الى ان يبلغا عرض ٩° ويكون الرّجاف على نحو ٢٠٠ ميل من نقطة انفراج الزراف عنه فيلتقي ببحر الغزال وهو بحر كبير آتٍ من الجنوب الغربي مؤلف من عدة اجمر اشهرها بحر العرب . ثم يسير النيل شرقاً مسافة ٤٥ ميلاً فيقترن ببحر الزراف ويسير ٢٥ ميلاً اخرى فيقترن ببحر سبت الآتي من الجنوب الشرقي . ثم يمضي النيل الابيض شمالاً ٥٠٠ ميلاً ونيف من مصب نهر سبت و١٥٣٠ ميلاً اوحواليها من مخرجه الاول من بحيرة فكتوريا فيلتقي بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم.

النيل الأزرق : اما النيل الأزرق فيخرج من بحيرة تسانا في وسط الحبشة ويجري منها الى الجنوب حتى يكون على عرض ٤٠° ٩' فينقلب نحو الشمال الغربي الى ان يدخل بلاد سنار ويكون على ١٦٠ ميلا من الخرطوم فيصب فيه نهر الدندر. ثم يسير ٢٠ ميلا فيصب فيه نهر الرهد. وكلاهما يأتيانه من جبال غربي الحبشة ويحفران في الصيف. ويسير النيل الأزرق الى ان يلتقي بالنيل الأبيض عند الخرطوم بعد مسيرة ٨٤٦ ميلا من بحيرة تسانا التي خرج منها .

النيل الكبير : ثم يسير النيل الكبير الى ان ينتهي الى قرية الدامر على ١٨٠ ميلا من الخرطوم فيلتقي بنهر الاتبرا وهو نهر غزير سريع الجري مؤلف من عدة نهيرات آتية من جبال الحبشة الشمالية ويحف بهبوط النيل مدة ستة اشهر. ومن هناك يجري النيل شمالا في بلاد لا يصيبها المطر الا نادرا فلا يصادف نهرا أو جدولا معروفا الى ان يصب في البحر المتوسط. وعند وصوله الى بلدة ابي حمد بعد مسيرة ١٤٠ ميلا او نحوها من مصب الاتبرا ينعطف نحو الجنوب الغربي الى جهة مخرجه كأنه يحن الى اصله ويسير كذلك متعرجا مسافة نحو ١٩٤ ميلا فيصل بلدة الدبة. ثم يستأنف السير شمالا على تمرجه مسافة ٥٨٥ ميلا. من الدبة ويدخل مصر عند مدينة اسوان.

الدلتا : ويجري النيل في ارض مصر حتى ينتهي الى مكان يقال له بطن البقرة على بعد ١٥ ميلا من القاهرة و ٦٠٥ اميال من اسوان فينقسم شطرين احدهما يميل نحو الشرق فيصب في البحر المتوسط بقرب مدينة دمياط والآخر يميل نحو الغرب فيصب فيه عند مدينة رشيد. ويتكون من هذين الشطرين مع البحر مثلث سماه اليونان الدلتا لمشابهته لحرف الدال عندهم وسماه العرب روضة البحرين لكثرة خصبه . وطول قاعدة هذا المثلث نحو ٨٥ ميلا وعلوه ٩٠ ميلا وطول احد شطريه نحو ٩٩ ميلا . فيكون طول النيل على وجه التقريب من مصدره من بحيرة فكتوريا نيازا الى مصبه في البحر المتوسط ٣٣٣٣ ميلا وهو اطول انهار الدنيا الا نهر امازون في اميركا الجنوبية فانه اطول من النيل بنحو ٦٦٧ ميلا الا

ان النيل الذّ تاريخاً وأقدم آثاراً وأعظم شأناً من نهر امازون بل من جميع انهار الدنيا .
 فيضان النيل : ويفيض النيل ثم يهبط ثم يعود الى الفيض كل سنة في اوقات معلومة . وسبب فيضه نزول الامطار الغزيرة على الجبال المجاورة لمصادره . ويبدأ النيل الابيض بالفيض قبل النيل الازرق فيظهر الفيض فيه عند الخرطوم في اواخر مايو ولكن لا يبلغ معظمه الا في اوائل سبتمبر . واما النيل الازرق فيظهر الفيض فيه عند الخرطوم في اوائل يونيو وكذلك الاتبراويبلغ معظم الفيض في اواخر اغسطس . واما النيل الكبير فيظهر الفيض فيه عند حلفا في اوائل يونيو ويصل الى معظم الفيض في اواخر سبتمبر ثم يعود الى النقصان فينقص تدريجاً كما ارتفع الى اوائل يونيو فيعود الى الزيادة وهكذا على توالي السنين . ومعدل زيادة النيل في السنة نحو ٢٦ قدماً فاذا زاد عن ذلك الى ٢٨ قدماً سبب غرقاً واذا قصر عنه الى ٢٢ قدماً سبب جوعاً . وعند آخر حده في النقصان يخضر مساؤه ويتغير طعمه فيقرب من طعم الماء المستنقع . وقد قدروا ان الباقي فيه من الماء اذ ذاك لا يزيد على $\frac{1}{3}$ مما يكون فيه عند معظم الفيض .

مقاييس النيل : وقد جعلوا للنيل منذ القديم مقاييس في اماكن خاصة في مجراه لمعرفة مقدار الزيادة والنقصان فيه على مدار السنة . واشهر هذه المقاييس : مقياس الروضة : في جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة وهو مقياس قديم من عهد الخلفاء الامويين وانما رسم في هذا العهد .

ومقياس اسوان : في الجانب الشرقي من جزيرة أَلْفَيْنَيْنِ تجاه مدينة اسوان وهو قديم العهد ايضاً ويلسب الى زمن البطالسة اي منذ الف سنة ونيف هجر مدة من الزمان ثم جدد سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٧٠ م) في ايام المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الأسبق بهمة المرحوم محمود باشا الفلكي . وقد رأيت هناك ابناً منقوشة على حجر في الحائط تدل على تاريخ هذا العمل وهي :

حقاً على اسوان تبدي شكرها	لمليك مصر الداوري اسماعيل
أحياها المقياس بعد ذهابه	بتجدد التقسيم والتفصيل
من بعد الف وهو في حجب الثرى	أبدى معالمه بخير دليل

الماهر الفلكي محمود الذي جلت معارفه عن التمثيل
أبقى التقاسيم التي وجدت به وبغيرها حلا للتعديل
قالت له اسوان في تاريخها أرقت بالمقياس بحر النيل

ومقياس حلفاء على شاطئ النيل الشرقي في معسكر حلفاء وهو حديث
النشأة بناء ودهوس باشا إذ كان محافظاً للحدود سنة ١٨٨٩م بإرشاد من المستر
ولكوكس من رجال الري بمصر. وقد رأيت حديثه فإذا هو عبارة عن سلم
عادي قائم بين حائطين من الحجارة المنحوتة وفي رأس السلم حجر من الرخام
منقوش عليه تاريخ انشاء المقياس واسم منشئه. وبعد الفتح الاخير للسودان
انشأت الحكومة عدة مقاييس وقتية في جهات مختلفة على النيل الكبير والنيلين
الابيض والازرق اهمها :

مقياس بربر : على النيل الكبير . ومقياس ام درمان : على النيل الابيض.
ومقياس الخرطوم : تحت سراي الخرطوم على النيل الازرق ولا بد من
ابدال هذه المقاييس بمقاييس ثابتة قريباً لشدة لزومها.

سرعة النيل : اما سرعة مجرى النيل فتختلف فيه وفي فرعيه بالنسبة الى
درجة الفيض. فهو يزداد سرعة كلما ازداد فيضاً. ففي الساعة الواحدة يجري
النيل الازرق ٣ اميال في زمن التعاريق وستة اميال او اكثر في زمن الفيض.
والنيل الابيض ميلاً واحداً أو اقل في التعاريق وميلين ونصف ميل في الفيض.
والنيل الكبير ميلاً ونصف ميل في التعاريق و٣ اميال او اكثر في الفيض.
فيكون النيل الازرق أسرع جرياً من النيل الابيض والنيل الكبير لان بحيرة
تساف التي يخرج منها النيل الازرق تعلو ٥٨٠ قدم عن سطح البحر مع ان اعلى
بحيرات النيل الابيض التي هي بحيرة فكتوريا نياتزا لا يزيد علوها عن ٣٩٠٠ قدم عن
سطح البحر. والنيل الازرق يحرق في طريقه التراب الذي تتكون منه ارض مصر.

اتساع النيل : واما اتساع النيل في معظم الفيض فيختلف باختلاف
الاماكن ، فتوسط اتساع النيل الازرق ٥٥٠ يردأ ولا يزيد عن ٧٧٠ يردأ في

اي مكان كان. ومتوسط اتساع النيل الابيض ١٨٦٠ يرداً وهو في اماكن كثيرة ٣٨٠٠ يرد ونيف فتراه أشبه بالبحيرة منه بالنهر. اما النيل الكبير فيختلف اتساعه من ٥٠٠ يرد (وهو اتساعه عند كوبري قصر النيل) الى ١٠٠٠ يرد بل قد يضيق في بعض الاماكن حتى لا يزيد اتساعه عن ٢٠٠ يرد.

ضفتا النيل : واما ضفتا النيل الازرق فمتوسط ارتفاعها من ٣٥:٣٠ قدماً عن سطح الماء في ابان التحاريق . والفرق بينه وهو في اعلى ارتفاعه وبينه وهو في اشد انخفاضه نحو ٢٢ قدماً حتى لقد يصبح في زمن التحاريق سلسلة من البرك متصلة بعضها ببعض بماء ضحضاح لا تكاد اصفر المراكب تمر عليها. واما ضفتا النيل الابيض ولا سوا الغربية منها فعلى غاية الانخفاض اذ لايزيد متوسط ارتفاعها على مترين ونصف متر الى ٣ امتار عن سطح الماء في ابان التحاريق ولذلك فمأواه في زمن الفيض يغمر ضفتيه الى مسافة بعيدة يمينا وشمالاً في البر ولا يمكن ادقاء السفن في ضفتيه والنزول عليها إلا في اماكن معلومة تعرف بالمشارع لأن الماء ضحضاح فيها والفرق بينه وهو في أعلى ارتفاعه وبينه وهو في اشد انخفاضه ٦ اقدام. واما ضفتا النيل الكبير من الخرطوم الى اسوان فمرتفعتان فلا يعلمهما النيل مها اشد فيضه الا في بعض المواضع في بلاد بربر ودنقلا لذلك لا يحتاج اهله الى عمل السدود كما في مصر.

ماء النيل : وقاس لبنان مقدار ما ينصب من مياه النيل عند الخرطوم في الثانية فوجد انه ينصب من مياه النيل الازرق ١٥٩ متراً مكعباً في ايام تحاريقه و ١٦٠٤ امتار مكعبة في ايام فيضانه. وينصب من مياه النيل الابيض ٢٧٩ متراً مكعباً في ايام تحاريقه و ٥٩٠٧ امتار مكعبة في ايام فيضانه. وعليه تكون مياه النيل الابيض أغزر في التحاريق وأقل في الفيضان من مياه النيل الازرق وتكون اكثر مياه النيل الكبير من النيل الابيض كما ان اكثر تربته التي تتكون منها ارض مصر هي من النيل الازرق. هذا ولون ماء النيل قبل اقترانه بنهر 'سبت اخضر مائل الى السمرة. ثم يقترب بماء 'سبت الاصفر اللون فيصبح لونه من 'سبت فنازلاً أبيض ضارب الى الصفرة ولذلك سموه النيل

الابيض. واما ماء النيل الازرق فهو اسمر خمرى في زمن الفيض وازرق سماوي في زمن التحريق فلذلك سمى النيل الازرق. ثم ان ماء النيل الابيض غير صالح للشرب كما النيل الازرق بالنسبة لما فيه من المواد النباتية المستنقعة التي تسبب الدزنتاريا والحُميات. ولذلك فان اهل النيل الابيض قلما يشربون منه فهم يحفرون الابار ويشربون منها.

شلالات النيل : ويمر النيل في سيره من الجنوب الى اسوان بعدة جنادل تعرف بالشلالات وهي مجتمع صخور كبيرة وجزر صغيرة تعترض مجراه . والشلالات نوعان اما صغيرة يغمرها النيل عند فيضه فتسير السفن من فوقها مدة الفيض حتى اذا ما نزل النيل وانكشفت الشلالات مرت السفن من مضائق معلومة فيها تعرف بالأبواب . واما كبيرة لا يغمرها النيل كلها منها اشتد فيضه فتمر السفن في ابوابها وذلك في ايام معدودة في معظم الفيض فاذا انقضت تلك الايام انحصرت السفن بين الشلالات . والشلالات الكبيرة من اسوان الى الخرطوم ستة بينها عدة شلالات صغيرة وهي :

الاول : « شلال اسوان » عند مدينة اسوان طوله ستة اميال وربع ميل .
الثاني : « شلال حلفا » عند قرية حلفا على نحو ٢٢٦ ميلا من الشلال الاول . طوله ١٤ ميلا وهو اصعب شلالات النيل .

الثالث : « شلال حنك » عند قرية حنك وعلى بعد ٢٤١ ميلا من الشلال الثاني وطوله ٣ اميال . وبين الشلال الثاني والثالث عدة شلالات صغيرة وهي من الشمال الى الجنوب معتوقه وسحنة وامبقول وتنجور وعكه وعكاشه ودال وعماره وخيبر . طول الواحد منها من ميل الى اربعة اميال والبعد بينها من ١٠ اميال الى ٦٠ ميلا .

الرابع : « شلال الادرمية » في بلاد الشايقية على بعد ٢٥٠ ميلا من الشلال الثالث .

الخامس : « شلال وادي الحمار » الواقع على بعد ١٦٧ ميلا من الشلال الرابع قبل سمي شلال وادي الحمار لأن في شرقيه وادياً يلتابه حمار الوحش.

وبين الشلال الرابع والخامس عدة شلالات صغيرة صعبة أهمها شلالات كعب العبد والمسحاني وأم حبوبة والرخة في آخر بلاد الشايقية . ورقبة الجبل وأبو سيال في بلاد المناصير . ومقرات وأبو هشيم والباقيير في بلاد الرباطاب . السادس : « شلال السبلوقة » بين شندي والخرطوم على بعد ١٩٤ ميلاً من الشلال الخامس وطوله عشرة أميال وهو متحدر للغاية واتساع النيل عند مدخله ٢٠٠ يرد وينحدر الماء منه انحداراً ظاهراً كأنحداره من ميزاب كبير ومن ذلك اسمه إذ السبلوقة في لفظ عرب السودان بمعنى الميزاب .

ثم ان في النيل الازرق شلالاً كبيراً يعرف «بشلال الرصيصر» او بالشلال السابع يبدأ عند قرية الرصيصر على ٤٢٦ ميلاً من الخرطوم ويمتد جنوباً نحو ٤٠ ميلاً ، وفي اعالي النيل الابيض في بحر الرجاف سلسلة من الشلالات تمتد من بلدة الرجاف الى الجنوب نحو ١٠٠ ميل اصعبها شلال في آخرها يعرف « بشلال الفولة » او بالشلال الثامن ويبعد نحو ١١٠٠ ميل من الخرطوم .

جزائر النيل : وفي نيل السودان جزائر شتى متفاوتة في الكبر ، منها ما يغمرها النيل عند الفيض ومنها ما لا يغمرها مها اشتد فيضه وكلها صالحة للزراعة وتأتي بغلال كثيرة . وأشهر هذه الجزائر :

« جزيرة آبا » في النيل الابيض على ١٥٠ ميلاً من الخرطوم طولها ٢٨ ميلاً وقد اشتهرت بظهور محمد احمد المتهمدي فيها كما سيجيء .

« وجزيرة توتي » تجاه الخرطوم وهي مشهورة بحودة تربتها وطيب هواها .

« وجزيرة مقرات » تجاه ابي حد وهي جزيرة كبيرة تخترقها عدة

تلال صغيرة .

« وجزيرة ارقو » الى جنوبي شلال حنك وطولها ٢٠ ميلاً وهي أشهر

جزائر النيل وفيها خرائب من زمن مملكة ايثيوبيا تدل على قدمها وعظم اهميتها . وفي ايام نزول النيل تجف ذراعه اليمنى فتتصل الجزيرة بالبر الشرقي وربما لم تكن اكبر من جزيرة مقرات لكنها اخصب منها .

« وجزيرة ساي » وهي ثاني جزيرة ارقو في الاتساع والشهرة وفيها

خرائب طلمبة قديمة من أيام السلطان سليم الفاتح .
« جزيرة الفنتين » عند الشلال الاول لجساء اسوان وهي شهيرة في
تاريخ مصر .

السفر في النيل : وهذه الجزر والشلالات مع ما يتكون في مجرى النيل
من وقت الى آخر من « الذبور » الرملية تقف عوائق في وجه السفن وتزيد
السفر في النيل مشقة وخطراً بخلاف نيل مصر من اسوان فنازلاً شمالاً فان
الشلالات والجزر تنقطع منه ويسهل السفر فيه بالسفن الشراعية والبخارية من
اقصى البلاد الى اقصاها . وهذا الذي جعل مصر منذ القديم بلداً واحدة
حدها الطبيعي اسوان . وآخر حد السفن في النيل الازرق شلال الرصوص
وفي النيل الابيض شلال القولة . وفي بحر الغزال مشرع الريك على نحو ١٣٠
ميلاً من مصبه بالنيل الابيض و ٧٢٥ ميلاً من الخرطوم . وفي بحر « سبت »
نقطة الناصر على ١٧٠ ميلاً من مصبه بالنيل الابيض . ثم ان النيل الازرق
لا يصلح للملاحة إلا في زمن الفيض فاذا جاء زمن التعاريق قل ماؤه وانقطع
سير السفن فيه بخلاف النيل الابيض فانه صالح لسير السفن على مدار السنة .

النيل في السودان : إلا ان في النيل الابيض عائقاً آخر للسفن وهو
السد . وذلك ان النيل الابيض من نقطة اختراق بحر الزراف عن بحر الجبل
الى مصب نهر « سبت » يسير بطيئاً جداً ويتسع مجراه حتى لا يرى المسافر
أحياناً الا الماء من كل الجهات . ولا سيما عند ملتقى بحر الرجاف ببحر الغزال
اذ يتكون من التقائها بحيرة واسعة تعرف ببخيرة « نو » فيتكون في مجراه
سدود نباتية عظيمة تطفو على وجه الماء والنيل يسير من تحتها . ونباتات
هذه السدود على ثلاثة انواع نوع تبلغ جنوره الارض وغالبه من البردي
والصَّبَّج ونوع لا تبلغ جنوره الارض بل تبقى منتشرة في الماء ونوع يطفو
كله على وجه الماء والسد الحقيقي مؤلف من هذه الانواع الثلاثة . فالاول
ينبت في الرقارق حتى اذا غزر الماء وعلا عليه كثيراً اقتلعه من جنوره
وجرى به الى ان يصل الى رقارق آخر او الى منعطف في النهر فيقف وتصل

اليه النباتات التي من النوع الثاني والثالث. فتلتهم الانواع الثلاثة معاً ويتكون من مجموعها سد متين يعترض النيل من الشاطئ الواحد الى الشاطئ الآخر ويزيد طولاً بإضافة نباتات جديدة اليه حتى يصير طوله عدة اميال وهو يسمك ويمتد حتى يُعبر عليه بالرجل فيبلغ سمكه الى متر ونصف متر او اكثر وتعلو نباتاته من ٥ اقدام الى ٣٠ قدماً فيحبس السفن عن السير . وقد طالما منعت السدود المسافرين عن السير اياماً أو أشهراً الى ان يفتحوا طريقهم بالفؤوس. ولا تتكون السدود من مصب نهر سبت فنازلاً شمالاً لأن هذا النهر سريع الجري جداً فيندفع ماؤه بقوة في النيل الابيض ويصد النباتات الآتية من الجنوب الى يساره .

اكتشاف مصادر النيل : وهذه الصعوبات في سفر النيل مع بعده السحيق والاضطراب الجمة في الطريق من الفرق والجوع والحر والبرد والامراض ومن الشعوب المعادية الهمجية والحيوانات المفترسة والمفاوز البعيدة والصحارى المحرقة عن جانبي النيل هذه الصعوبات والاضطراب كلها وقفت في سبيل العالم المتعمدن فصدته عن الوصول الى مصادر النيل مدة ألفي سنة مع انه لم تبق دولة من الدول التي ملكت مصر في تلك المسبة الا اهتم ملوكها وعلماؤها باكتشاف تلك المصادر ومعرفة اسباب الفيض فجردوا حملات عديدة وأمدوها بالمعدات القوية فذهبت اتعابهم سدى وعادت الحملات كلها بالعجز والتقصير حتى لقد يئس الاقدمون من النجاح وقالوا في الجواز « ان الالهة تريد اخفاء هذه المصادر عن اعين الناس لغرض في نفسها » ، وقال هوميروس الشاعر اليوناني المشهور « النيل سيل نازل من السماء » اما المصريون القدماء فقد رفعوه الى مقام الالهة كما هو مشهور في تاريخهم .

وأشهر من كتب من العلماء الاقدمين في النيل نقلاً عن الرواة فاقترب من الحقيقة هيرخس الفلكي اليوناني الذي عاش سنة ١٠٠ ق م فقال « النيل ينبع من ثلاث بحيرات في شمال خط الاستواء » . وجاء بعده بطليموس الكبير الذي عاش سنة ١٥٠ ب م فجعل منابع النيل في جبال القمر في

جنوب خط الاستواء . ثم بعد ذلك بألف سنة ونيف أي سنة ١١٥٤ ب م قام الادريسي أشهر جغرافي العرب فجعل منابع النيل في جبال القمر في أواسط القارة وقال ان مياه الينابيع تجري من تلك الجبال الى بحيرتين واسمتين تصبان في بحيرة ثالثة منها ينبع النيل وهو كلام يقرب جداً من الحقيقة . ولكن علماء الافرنج لم يعتمدوا كلام الادريسي بل لم يكتفوا به فما زالوا يحدّثون وراء الحقيقة ويحدّثون بالنفوس والاموال الى ان فازوا بالفرض المقصود .

أما النيل الأزرق فقد اكتشف مصادره السائح الانكليزي بروس سنة ١٧٧٢ م ووصفها وصفاً دقيقاً وكان قد سبقه الى هذا الاكتشاف راهبان برتوغاليان هما بايز ولويو سنة ١٦١٨ م ولكنها لم يوضعا الحقيقة كما أوضحها بروس فتفرد وحده بالشهرة ! . وأما النيل الأبيض فلم تعلم مصادره إلا منذ عهد قريب جداً وذلك بمساعي الجمعية الجغرافية الانكليزية وهمة السياح الانكليز . اما فكتوريا نيازفا فقد اكتشفها الرحالتان الانكليزيان سبيك وخرانت فانها سارا عن طريق زنجبار على نفقة الجمعية المذكورة فشاهدا النيل خارجاً من شمالها في ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٢ م وسمياها فكتوريا باسم ملكتها . وأما ألبرت نيازفا فقد اكتشفها السر صمويل باكر الانكليزي فإنه سار اليها عن طريق الخرطوم فوصلها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ وسمّاها ألبرت نيازفا باسم زوج ملكته . وأما ألبرت ادوارد نيازفا فقد اكتشفها الرحالة ستلي الانكليزي سنة ١٨٧٦ وسمّاها ألبرت ادوارد باسم ولي عهد انكلترا في ذلك العهد وهو ملكها الحالي . وعليه فالفضل الاعظم في اكتشاف منابع النيل للانكليز وقد شاركهم في هذا الفضل خديوي مصر العظام الذين فتحوا البلاد ومهدوا للسير صموئيل باكر وغيره سبل الاكتشاف .

اسماك النيل : وفي النيل انواع شتى من السمك إلا انها تفتقر الطعم وأشهرها او أعجبها « التمساح » و « فرس البحر » . اما التمساح فهو حيوان بيئته السمك إلا انه هائل الجثة قبيح المنظر وجلد ظهره شديد الصلابة لا

يكاد يخرقه الرصاص وهو يعيش في الهواء قتيض انشاء وتفرخ في جزر النهر ففطر البيض في الرمل وتحرسه الى ان تنقصدت حصنه وتنزل به الى النهر ويبلغ عده بيضها بضع عشرة بيضة وحجم الواحدة منها بقدر حجم البرتقالة، وقد يبلغ طول التمسح عشرة أذرع او اكثر ويعرف عندهم اذ ذاك بالمشاري. وأما فرس البحر او جاموس البحر فهو في الخلقة بين الجلموس والخنزير فان جسمه كجسم الجلموس إلا ان رأسه وذيله كرأس الخنزير وذيله، ولما خفه كخف الجمل. وهو يعيش في الهواء كالتمسح فيخرج الى شاطئ النهر ويمرح في الزرع فبأكل منه ويصير فيه ثم يعود الى الماء ويعرف عندهم باسم الميسلت. وكان التمسح وفرس البحر كثيرين في نيل مصر كما في نيل السودان الى عهد غير بعيد، إلا ان العمارة في مصر وكثرة خوض السفن في نيلها نفرتها الى السودان. أما فرس البحر فقد انقطع من مصر منذ القرن الثالث عشر للمسيح ولم يعد يرى الا في أعالي النيل ويكثر جداً في بلاد خط الاستواء. وأما التمسح فلا يرى الآن في مصر الا نادراً، وأما في نيل السودان فلا يزال كثيراً في كل جهة.

وأهل السودان يصطادون التمسح وفرس البحر للاتفاق بها. فالتمسح لأجل مسكه وجلده ولحمه اذ في كل تمسح اربع كتل مسكية كتلتان في أربيته الواحدة بقدر بيضة الدجاجة وكتلتان في ابطيه اصغر منها ومسك التمسح أجود المسك وأما جلده فيصنعون منه نوعاً من الدرق او القروس، ولحمه تقه جداً لا يأكله الا الصيادون. وأما فرس البحر فيصاد لأجل لحمه وجلده فهم يأكلون لحمه ويصنعون من جلده السياط، ويصطادونه بالبنادق وبنوع من الحراب يسمى عندهم باديقه وهي حربة ماضية في رأسها شوكة على هيئة السنارة حتى اذا رشقت في الجسم تنشب فيه فاذا أريد اخراجها منه لا تخرج الا اذا مزقته ويربطون في الحربة حبلاً متيناً وفي رأس الجمل قارورة من القرع الأصم او الضنج حتى اذا غاص فرس البحر في الماء بعد نشب الحربة فيه تدل عليه القارورة التي تعوم على وجه الماء فيتبعه الصيادون

بمراكبهم ويجذبونه بالحبل على قدر جهدهم وهو يحرم في النهر الى ان يكل فيدون منه ويرشقونه بالحرا ب حتى يقضوا عليه بعد جهاد طويل ا. وهم يصطادون التماسح ايضا بهذه الآلة كما يصطادونه بالبنادق . على ان التماسح يصطاد الناس كما يصطادونه بل هو في صيدهم أبرع منهم في صيده فهو يلتاب موارد الناس ويترقب انسانا حتى يرى منه غفلة فيشب عليه ويدفعه بذيله الى الماء ثم يحمله في قيد الى جهة بعيدة عن الناس فيخرج به الى الشاطئ ويمزقه بأنيا به إربا ويبتلعه . وكثيرا ما يرى الصيادون أسورا وحجولا وغيرها من حلي النساء في جوف التماسيح التي اصطادوها . وقد طالما سمعت في اثناء الحملات النيلية بافتراس التماسح للعساكر والتبّع هذا اما لزمت الاشارة اليه في النيل.

الفصل الثالث

في

اراضيها

وادي النيل : ويمجري النيل في واد ضيق لا يزيد عرضه عن اربعة اميال وقد يضيق في بعض الأماكن حتى لا يكون إلا مضيقاً بين جبلين يمر فيه النيل . إلا ان هذا الوادي على ضيقه خصب كوادي نيل مصر او اخصب ويزرع على السواقي والشواذيف .

الجزيرة : وتعرف البلاد الواقعة بين النيل الابيض والنيل الازرق بالجزيرة على الاطلاق . وتعرف ايضاً بجزيرة سنار وجزيرة الخرطوم نسبة الى سنار والخرطوم اللتين اشتهرتا فيها . وأما تسميتها بالجزيرة ففيه تساهل لأنها في الواقع شبه جزيرة وهي بلاد خصبة للغاية وتزرع على النيل والأمطار، وأكثر غلال السودان يأتي منها .

البطانة : وعرفت البلاد الواقعة بين النيل والانتبرا قديماً بجزيرة مروى لأنه قام فيها مملكة اشتهرت في التاريخ بمملكة مروى كما سيجيء . وأما الآن فتعرف بالبطانة ويعرف القسم الجنوبي منها ببلاد القصارف وهذه البلاد مشهورة بالجودة والخصب حتى لقد سماها بعضهم أهراء السودان . وهي تزرع على الأمطار .

صحاري وجبالها : ويكتنف وادي النيل من الخرطوم سلسلتان من الجبال القاحلة ترافقانه الى مصر الواحدة الى الشرق وتليها الصحراء الشرقية التي تمتد الى البحر الاحمر والأخرى الى الغرب وتليها الصحراء الكبرى وصحراء كردوفان ودارفور . والصحاري الشمالية من خط بربر فنازلاً شمالاً رملية مجدبة لا نبت فيها ولا شجر إلا ما ندر بل أكثرها مفاظات طويلة لا ماء فيها تعرف « بالعقبات » وأما الصحاري الجنوبية فقابلة للزراعة ويكثر فيها النبات والأشجار حتى يكون منها في بعض الجهات غابات عظيمة . وسبب ذلك ان الصحاري الشمالية لا يقع فيها مطر إلا قليلاً او نادراً بخلاف الجنوبية التي هي في منطقة الأمطار فانه يقع فيها مطر غزير . ويتخلل تلك الصحاري جبال أو تلال متفرقة لا ماء فيها ولا نبت ما عدا جبل مرة في وسط دارفور وبعض جبال النوبة في جنوبي كردوفان فان فيها الينابيع والأشجار .

خيراتهما : ويمجري من جبالها الجنوبية في زمن الامطار سيول عرمة تغور في الرمال او تصب في النيل او البحر الاحمر تعرف عندهم بالخيران وأشهرها : « خور بركة » يأتيها من جبال شمالي الحبشة ويصب في البحر الاحمر بعد ان يروي بلاد طوكر كلها فيزرع اهلها على ربه . « وخور القاش » فانه يأتي ايضاً من شمالي الحبشة ويمجري في بلاد كملأ فيروها ويفور في الرمال قبل ان يصل نهر الاتبرا .

« وخور ابي جبل » يأتي من جبال النوبة الشمالية ويمجري شرقاً مسافة ١٩٠ ميلاً فيفور في الرمال قريباً من النيل أو يصل النيل عند جزيرة أبا . « وخور تندلي » وهو يخرج من جبال دارفور الشمالية ويمجري جنوباً فيخترق مدينة الفاشر وتصدّه تلال رملية في جنوبها عن الجري فيفور تدريجاً .

آبارها : وفي الصيف تجف هذه الخيران فيحفر في ارضها آبار صالحة للشرب على عمق قامة او اكثر ويصبح اعتماد اهل البادية في الشمال والجنوب

على الآبار . ولشهر هذه الآبار :

« آبار أحيمر وأتقلت والطرفاوي والنجم » في الطريق التي بين لمسولن وبربر .
« وآبار للمرات » في طريق الصحراء التي بين أبي حمد وكورسكو . وهي
آبار نبغ إذا نزح للماء منها وتركتم نحو ساعة عادت قاصلات وماؤها صالح
للشرب إلا أنه مسهل لغير المتعود عليه لاحتوائه على لملاح المائزده وهو مر
الطعم قليلا ولذلك سميت الآبار بالمرات .

« وآبار هندوب ولوطو وهبوك وحس ابل وهرازي وكوكريب وارياب
والبلك » في الطريق التي بين مواسكن وبربر وفي هذه الآبار آثار تدل على
قدمها .

« وآبار مناعة والجكسول وأبي طليح » في الطريق التي بين كورتى والمتمة
« وآبار البيوضة » بين أمبقول والشلال السادس وتبلغ سبعين بشراً وماؤها
قريب من سطح الأرض . وتسمى الصحراء بين أم درمان والديبة ولبي حمد
باسمها .

« وآبار جبهه » وتبلغ نحو المئة بشر بين الديبة وأم درمان على ٥٠ ميلاً من
أم درمان و ٢٠٠ ميل من الديبة وماؤها غزير .
« وآبار كجمر والصفاية والضباعي والشطير ومهتول » في الطريق بين
للأبيض والديبة .

« آبار أم بدر وعين حامد » وغيرها في الطريق التي بين الفاشر ودنقله .
« وبئر النطرون » في شمالي دارفور « وواحة سليمة » تجاه المكاشة في
طريق الأربعين .

وهو السودان كهر مصر في غاية الانبساط والاستواء ولا يزيد ارتفاعه على
٦٥٠ قدماً عن سطح البحر ما عدا صحراء كردوفان ودارفور وبعض سيواحل
البحر الأحمر فانها ترتفع الى ١٦٤٠ قدماً عن سطح البحر . ولذلك فان آبار
هذه الجهات أعمق جداً من آبار غيرها حتى لقد يبلغ عمق البئر في صحراء
كردوفان نحو ٣٠ قامة ..

الفصل الرابع

في

معادنها

وأشهر معادن السودان : « الذهب » وهو يوجد تباراً في جبال بني شنقول الى جنوبي سنار ويعرف بالذهب السناري . ويوجد على قلة في بعض جبال النوبة كجبل تيرا وجبل شيبون في غرب جبل قدير ، ويقال ان الذهب الشيبوني افخر الذهب . وذكر المؤرخون القدماء وجود الذهب في وادي العلاقي بين كورسكو والبحر الاحمر ولكن انقطع وروده من هذه الجهة منذ زمان طويل .

« الزمرد » وقد ذكر المقرئزي وجوده في الصحراء الشرقية « في مكان يعرف بالخربة على سبعة ايام من قفط وقوص وغيرها من صعيد مصر » .

« والنحاس » ومعدنه في حفرة النحاس الشهيرة في الشمال الغربي من بحر الغزال . ويظن وجوده ايضاً في جبال سواكن على طريق بربر .

« والحديد » وهو كثير في كردوفان ودارفور وبحر الغزال ويوجد قطعاً في الرمال وهم يستخرجونه يجمع الرمال التي تشتمل عليه ووضعها في سوبّات من طين يوقدون تحتها النار حتى يظهر الحديد فيصفونه .

« والرصاص » ويوجد في جبل الكُثْم مسيرة يوم الى الشمال من كوبي

بدارفور ولكن يقال ان الحصول عليه صعب .
« والنطرون » وهو يستخرج من بشر النطرون المشار اليه آنفاً على طريق
الاربعين .

« والملح » ويوجد ممزوجاً بالتراب السبخ في جميع الجهات واكثره في
جهات الاتبرة والدامر والبويضة وفي مكان يعرف باسم شرشار شمالي باره
ويوجد قطعاً تحت الرمال في واحة سليمة وفي وادي الكعب غربي دنقلة .
« وملح البارود » ويستخرج اكثره في جهات الخرطوم والفائرو وضواحيها
« والشب » ويستخرج من واحة الشب في غرب حلفا على ثلاثة ايام منها .
« والتربة » وهي نوع من التراب يحتوي على كثير من المواد الملحية توجد
في محلات معلومة في السودان واكثرها في جهات بربر ويستعملونها دواء
للزهرى والحمى .

« والأنثيمون » او الكحل ويوجد كثيراً في جبل مرة .
وفي جبالها « الحجر الرملي والفرانيت » وفي بعض جهاتها وعلى الخصوص
في الضفة الغربية للنيل الازرق « حجارة كلسية » تحرق جيداً . وقد رأيت
في جهة الدبة وغيرها من الجهات القريبة من النيل قطعاً كثيرة من « الأشجار
المتحجرة »

ومعلوم ان اراضي السودان لم تكشف بعد حق الاكتشاف فإذا استخدمت
فيها معدات هذا العصر فلا يبعد ان تظهر فيها معادن لم تعرف بعد . وقد
سلت حكومة السودان الجديدة قانوناً للبحث عن المعادن ونشرته سنة ١٨٩٩
وباشرت الشركات الاوروبية البحث عن المعادن في اكثر انحاء السودان ولاسيما
في الصحراء الشرقية والأمل بنجاحها كثير ان شاء الله .

الفصل الخامس

في

هوائها

فصولها : أما هوائها فيختلف باختلاف الجهات ولكنه بالاجمال جاف شديد الحر . وفي السودان ثلاثة فصول في كل فصل أربعة أشهر وهي :

« فصل الخريف » - من يوليو الى اكتوبر - وهو فصل الامطار وفيه يفيض النيل وتورق الاشجار ويظهر النبات وتزرع الاراضي البعيدة عن النيل على المطر وفيه تتسلط الرياح الجنوبية فيبطل سير المراكب الشراعية في النيل لاجتماع التيار والرياح ضدها . وأول هذا الفصل أي عند اول نزول الامطار يعرف عندم « بالرشاش » ثم عند اخضرار الارض بالنبات يعرف « بالربيع » وآخره اي عندما يأخذ الزرع في النضج يعرف « بالدَّرت » وفيه يشتد الحر وتكثر المحيات والأمراض .

« وفصل الشتاء » - من نوفمبر الى فبراير - وهو فصل البرد ولا ينزل فيه مطر كما في مصر والشام إلا أنه اطيّب فصول السودان وأصحها هواء وفيه تهب الرياح الشمالية فتعود المراكب الشراعية الى سيرها صعداً في النيل ويتلطف الهواء فيشتد البرد في الصباح والمساء وفيه ينضج زرع الخريف ويؤرع غيره على ماء النيل . وهو أهم الفصول الزراعية الآتي بيانها .

« وفصل الصيف » - من مارس الى يونيو - وهو فصل الحر وفيه تهب ريح السموم ويشور الفبار كما في ايام الخمسين في مصر وتزرع ارض السواقي والجروف .

امطارها : هذه هي فصول السودان في المنطقة المتوسطة او المنطقة الواقعة بين بربر و فاشودا ، أما المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية فتختلف فصولها عن فصول المنطقة المتوسطة بسبب الامطار فحد المطر المنطقي الشمالي في السودان خط ١٥ ° من العرض الشمالي إلا ان المطر يمتد شمالاً الى بربر أو جواليها فالمنطقة الشمالية من بربر فنزلاً شمالاً قلما يقع فيها مطر ولذلك ليس فيها إلا فصلان : الصيف والشتاء ، وأما المنطقة الجنوبية وهي منطقة بلاد فاشودا فيبدأ فيها المطر في مايو ويدوم نحو ستة اشهر الى اكتوبر فيكون فيها فصلان : الصيف والخريف . ثم كلما صعدت جنوباً الى جهة خط الاستواء يمتد فصل الامطار ويكثر حتى يتعاقب المطر والصحو أو الصيف والخريف عند خط الاستواء كل ايام السنة . ولأما متوسط ما ينزل من المطر في السنة :

ففي المنطقة الشمالية من عرض اسوان الى عرض بربر اقل من ١٠ قرايط . وفي المنطقة المتوسطة من عرض بربر الى عرض فاشودا من ١٠ : ٢٠ قرايطاً .

وفي المنطقة الجنوبية من فاشودا الى خط الاستواء من ٢٠ : ٤٠ قرايطاً . وتنصب الأمطار في السودان صبا كأنها من افواه القرب فلا يرافقها برد لحرارة البلاد وانما يرافقها بروق خاطفة وعود قاصفة تسبقها رياح شديدة وقد تنقض الصواعق فتقتل وتتلغ كل ما تصيبه .

رياحها : وتعرف الرياح في السودان « بالهبوب » وهي تهب في الصيف بطف وشدة فتثير الغبار والحصى وترمي بها الوجوه فتلدعها كأنها شرار من نار وتزيد حر الصيف ضحكاً وشدة . ويتولد من الهبوب اعاصير شديدة تدور على نفسها وهي تحرف حلقة التراب على شكل اسطوانة هائلة ذاهبة في الجو

ولا تزال تشتد في الزحف وهي تدور على نفسها حتى تضمحل فيأتي غيرها وتسمى عندهم « بالمُصار ». وفي آخر الصيف وأول الخريف أي في زمن الرشاش تهب الرياح الواقع فتثير الغبار امامها بهيئة هائلة فيظهر من بعيد كالسحاب المطبق عليه حرة أو سواد حتى اذا حلت السحابة في مكان حولت نوره الى ظلام واضطرت الذين داخل المنازل ان يقفلوا الابواب والنوافذ ريندروا المصابيح ولو في راحة النهار حتى تنقشع عنهم . وتثور هذه الريح بئدة وعنف فتقتلع كل ما تمر عليه من الاشجار الشاخة والأبنية الواهنة واذا هبت على النيل اغرقت ما تصادفه فيه من المراكب والوابورات ولذلك يتجوط لها النوتية فاذا رأوا عجاجها من بعيد اسرعوا يسفهم الى الشاطئ ويربطوها حتى تمر وقد لا تمهلهم ان يتحوطوا لها فتغرقهم وسفهم في النيل . وتعرف هذه العواصف عند البحرية « بالتلاقيح » وعند اهل البر « بالهباب » .

حوارتها : وقد تبلغ درجة الحرارة في الخرطوم في اول الصيف فوق ١٠٠° ف في الظل ، وتهبط في اول الخريف الى نحو ٦٠° ف ، فيكون متوسط الحرارة السنوي فيها على التقريب ٨٠° ف ، وهو يزيد في الجنوب وينقل في الشمال . اما اسباب ارتفاع الحرارة في السودان فاهمها مجاورتها لخط الاستواء واستواء أرضها وقلة ارتفاعها عن سطح البحر مع قلة جبالها وكثرة صحاريها .

امراضها : ومع ذلك فهواء السودان لا بأس به ومن مزايله عدا أنه جاف ان القرع والرمد نادرا في فيه وأمراضه قليلة بخلاف المشهور عنها وأهمها :

« الحمى الملارية » وتعرف عندهم بالوردة وهي تنفش في الغالب في زمن الدرة الذي هو آخر الخريف ويعالجونها بمنقوع القرظ بمزجاً بشراب العسل او بمنقوع التمر الهندي او ثمر التبليدي .

« والديزنتاريا » ويسمون بها المصرة ويعالجونها باللبن الرائب ممزوجاً بالحلبة او بمسحوق عروق السنط او بأقراص النبق .

« والزهري » ويعرف عندهم بالخال أو الخقيسل ويعالجونه بالعشبة

المعروفة او بالتربة المتقدم ذكرها وينعمون الليل عن اكل اللحم والملح الى ان يشفى .

« والسيلان المجري » ويعرف بالبجل ويمالجونه بالعشب المعروف عندم بالرّبع يدقون عروقه اليابسة ويمزجونها بالبوزة التي يستخرجونها من الذرة ويسقون الليل منها بدلاً من الماء الى ان يشفى ، وأنفع من ذلك شرب السمن البقري منقوعاً به الحنظل .

« والدودة الوحيدة » ويمالجونها بشرب الحشيشة الجبشية ممزوجة باللبن . « والجدرى » وقد يصير وبائياً فيعمّ البلاد كلها وهو أفتك بالسود منه بالعرب ويمالجون المصاب به بطعام البلح واللبن والبصل مع الذرة ويدهنون عليه بماء البصل وينعمون عنه اللحم والاطعمة الحارة ويبعدون عنه الروائح الطيبة وربما دهنوا انفه بالقطران ليضعفوا فيه حاسة الشم .

« والفرنتيت » وهو من الامراض الخاصة بالسودان ولا سبب في دارفور وكردوفان وهو دودة معروفة عند الاطباء بدودة غينيا وهي تكون خراجاً تحت الجلد وتظهر غالباً في ساق الرجل ويسبقها اكلان في الجسم كله يدوم ساعة او اكثر فاذا شق الخراج ظهر في وسطه عرق رفيع مرن صدفى اللون وهو الدودة فلا يشفى المصاب إلا اذا خرج هذا العرق من اصله . وسبب هذا المرض على ما رواه الاطباء حشرة ميكروسكوبية تتولد في فصل الامطار او بعده فتدخل في الجسم فتقيم تحت الجلد وتولد الفرنتيت والارجح انها تدخل الجلد من خوض الماء لا من شربه ويقال ان النظافة التامة تقي منها .

والكرو : ويعرف بقرحه اليمن وهو آفة عنصرية تحدث غالباً من خدش أو جرح في الساق فتلتهب وتتورم ويظهر في وسط الالتهاب نقطة سوداء فيعالجونها بلبخ الدرة الفترية او التمر الهندي حتى تزول فيظهر غور قليل ويبدو اللحم الأحمر ثم يتعاطم الغور حتى يصير كراحة اليد فيشمر المصاب بالآلام شديدة لا تطاق ولا ينفكون عن معالجته . باللبخ الى ان يلتئم

الغور ويشفى . وقد لا تزال النقطة السوداء بالبلخ بل تبقى حتى ينخر العظم وتخرج منه شظايا وفي هذه الحالة ينتهي الأمر غالباً بموت العليل ، وقد رأيت كثيرين ممن أصيبوا بهذه القرحة فقالوا ان الجرح الذي أصابهم أولاً انما كان من عود نبات سام .

« ومرض الدم » وهو مرض الالتهاب السحائي الشوكي الدماغى أعراضه الخارجية القىء وارتفاع حرارة الجسم وتصلب في العنق من انحاء الرأس الى الوراء وألم في الخيخ والسلسلة الفقارية وقد يشتد الألم فيمنع المريض عن النوم اياماً ويعتريه هذيان تختلف مدته من يوم الى ثلاثة وقد يمتد الالتهاب الى مراكز البصر والشم والنطق فيعطلها تعطيلاً كلياً او جزئياً وفي الغالب ينتهي الحال بموت العليل . وفتكه بالسود أشد من فتكه بالبيض وهو في الصيف أشد وطأة منه في باقي الفصول . وقد انتشر هذا المرض في ام درمان بعد الفتح الاخير فمات به خلق كثير . وفيه مات محمد احمد المتهمدي السوداني .

« والجرب » وهم يحكّون المصاب به يوماً بعد آخر بقطعة من الفخار حتى يسيل منه الدم فيغسلونه بالماء ولا يعرفون له علاجاً .
« والبرص » : وهو شائع بين السود والعرب على السواء وهم لا يعالجونه بشيء .

« والكوليرا » : ويسمونها الشوطة والقذاف وهي تأتي السودان من الهند عن طريق الحجاز فتفتك بأهله فتكاً ذريعاً لأنهم لا يتحيطون لها ولا يمتنون بالنظافة .

هذه هي اشهر العلل في السودان وأكثرها عامّاً في كل البلدان كما ترى . وأهم ما يصاب به الاجني : الحمى والديزنتاريا وضربة الشمس ووجع المعدة والكبد والاضراس . وأشهر أسبابها شدة الحر والغبار وكثرة التغيرات الجوية وتماقب الحر والبرد في فصل الشتاء مع كثرة المستنقعات وعدم مراعاة شروط النظافة في الأكل والشرب والملبس . وأهم التحوطات التي يجب على الاجني

اتخاذها للوقاية من هذه الملل ان يلف حول معدته حزام صوف لا ينزعه عنها ليلاً ولا نهاراً وان يرتب معيشته ويراعي شرائط الصحة التي أهمها النظافة والنوم الباكر والقيام الباكر مع تجنب المسكرات والافراط في الشهوات فاذا فعل ذلك وبدل هواء البلاد صيفاً بعد آخر حتى يعتاده وجد السودان موطناً طيباً ومهجراً رحيباً كثير الخيرات وافر البركات ، لا سيما بعدما صار اليه الآن من حسن الحال وانتظام الاحكام .

الفصل السادس

في

نباتاتها

اشجارها : اشهرها : « النخيل » وهي تكثر في بلاد النوبة بين الشلال الاول والرابع وتقل في جنوبي الشلال الرابع . وأجودها نخيل سكثوت بين الشلال الثاني وجبل دوشه ثم نخيل المحس بين جبل دوشه والشلال الثالث ثم نخيل الشايقية في جنوبي دنقلة . والبلح انواع اشهرها البتموده وهو أفخرها ويؤكل رطباً وتمرأ ويحفظ للهدايا . ثم القربانة ولا يؤكل إلا رطباً . والسلطاني وهو مشهور بكبر حجمه وحسن منظره لا بحلاوة طعمه . والدائقه ويؤكل رطباً وتمرأ ويباع للتداوي إذ يظن انه نافع وللرومازم . ثم القنديله والبركاوي وهما يؤكلان تمرأ ويدخلان في المتجر . وهم يستخرجون من البلح النبيذ والعرق والحل والمسل وذلك بالغلي على النار والتصفية على نحو ما يستخرجونها من الخنب . ويصنعون منه بالتخمير مشروباً غير مسكر يسمونه الشربوت ومشروباً مسكراً يسمونه الدكاي . ويسقفون بيوتهم بجذوع النخل وسفحه ويصنعون من سفحه أسرة للنوم ومن ليفه الحبال ومن ورقه البروش وللقاطف وغيرهما من آنية البيت .

« والدوم » وهو من أخص اشجار السودان ويفزر من حد الشلال الرابع

فصاعداً جنوباً كما يفزر النخيل من هذا الشلال فنازلاً شمالاً . وللدوم شبه بالنخيل ولثمره شبه بالكثري وهم يحففون ثمره ويدقونه ويستعملونه غذاءاً ويسمونه العكا ويستخرجون منه عسلاً طيباً بالغلي على النار والتصفية . ويسقفون بيوتهم يجذوعه ويعملون من خوصه حصراً وآنية لئلازهم كما من النخيل .

« والدلييب » ويشبه الدوم إلا أنه املس ساقاً وأكثر ارتفاعاً حتى لقد يبلغ ارتفاعه مئة قدم او اكثر وساقه صلبة اذا شقت وجوفت تستعمل قناة للماء وله ثمر كثمر جوز الهند يؤكل وهو ذو رائحة طيبة .

« والعرديب » وهو شجر الثمر الهندي ويحني في فصل الخريف فيوضع في حياض ويهرس ثم يترك مدة ويجعل اقراصاً مثقوبة او كتلاً ويدخل في المتجر ويستعمل في جميع انحاء السودان مشروباً ملطفاً في الحميات والامراض الالتهابية .

« والسدر » وهو شجر النبق يكثر في كل الجهات إلا في دنقلة فهو قليل وهم يصنعون من ثمره اقراصاً كاقراص التمر الهندي يتناولونها غذاءاً ويدخلونها في المتجر . وخشبه متين لا يسطو عليه النمل الابيض ويصنعون منه المراكب الصغيرة والأسرة ويسقفون المنازل بفروعه لمرونتها وصلابتها .

« والتبلدي » ويسمونه الحُمر ايضاً وهو شجر هش عظيم الحجم يبلغ محيط جذعه من ٢٠ الى ٢٦ قدماً . وله ثمر بيضي الشكل كثمر جوز الهند يسمى « القنقليس » وهم يتناولونه غذاءاً ومشروباً ملطفاً بوضعه في الماء أو اللبن وهو مسهل مروي للظمأ ومبرد في الحر والحميات والامراض الالتهابية . ويكثر هذا الشجر في جهات كردوفان والبحر الازرق ، وفي كردوفان يحففونه ويخزنون فيه ماء المطر فيكون عندهم اشبه بصهاريج يشربون منها في الصيف . وتعرف الشجرة المهوفة لهذه الغاية بالقلنة (ج قلنت) . وفي لحائها ألياف جيدة جداً تصنع منها الحبال المتينة . وحد التبلدي الشمالي خط ١٥ ° من العرض الشمالي وهو حد العرديب ايضاً .

« والجوغان » وله ثمر كالنبق اصفر اللون لذيذ الطعم يقرب من طعم الزبيب وخشبه احمر متين لين كالخيزران يصنعون منه خشب الاسلحة النارية وأقفاصاً للأسود وأسرة للنوم وقد يصنعون منه المراكب .
« والقشيم » وله زهر ابيض جميل وثمر يؤكل وهم يقددونہ ويدخلونه في المشروبات المبردة ويؤمنون انه نافع لمرض الدم .

« والطندب » وهو نجم يشبه البلاء في هيئته إلا أنه يعظم حتى يكون محيطه عشرين متراً او اكثر ترعاه الجمال وله ثمر يؤكل وهو احمر اللون في حجم العنب يسمى الحنْبَق وفروعه مستقيمة او معوجة فيصنعون من المستقيمة الغلايين ويدخلونها في المتجر ، وأما المعوجة فلا تصلح الا للوقود ولا تقوّم ولو كانت طرية ومن ذلك قولهم : « فلان عوّج الطندب » أي أنه لا يقوّم .

« والإهليلج » ويسمونه الهجليج وثمره اللالوب وهو بهيئة ثمر النخيل إلا أنه مغلف بقشرة وطعمه حلو مر كطعم خيار الشنبر وأهل السودان يأكلونه ويستعملونه مسهلًا بنقعه في الماء وشربه على الريق وهو كثير جداً في جميع أنحاء السودان الجنوبية ويعظم حجمه في بلاد كردوفان حتى لقد يبلغ محيط الشجرة الواحدة منه ثمانى اقدام ويستظل بظلها مئة شخص او اكثر وخشبه متين لا ينخره النمل الابيض .

« والجحيز » وهو شجر عظيم الحجم كشجر الأهليلج وثمره يشبه البرقوق وله بزر كقلب اللوز يصنعون من خشبه سروجاً للدواب وأقداحاً للطعام وألواحاً للكتابة لكنه لا يقيم طويلاً .
« والجميز » وهو قليل وهم يأكلون ثمره ويصنعون منه القوارب والآنية للبيوت ولكن خشبه لين قريب الفناء .

« وشجر اللاستك » وهو كثير في جهات خط الاستواء وبحر الغزال وفي جنوبي كردوفان وهو شجر كبير كشجر الجميز وله حب صغير لا يؤكل تجرح اغصانه الكبيرة بفأس فيخرج منها عصير لزج اذا ترك لليوم التالي جف وهو

اللاستك ويدخل في المتجر .

« والمُشَاب » وهو من اشجار الصمغ ويكثر جداً في بادية كردوفان وصمغه اجود انواع الصمغ وخشبه يقيم طويلاً لا ينخره النمل الابيض ويستخرج من لحائه ألياف متينة تصنع منها الحبال .

« واللبان » ينمو في أعالي النيل الأزرق ويخرج منه صمغ كاللبان (البخور) .

« والسُنت » وهو مشهور بمتانة خشبه وصلابته وثقله فنه تصنع المراكب الكبيرة وآلات السواقي وهو الخشب الوحيد الذي يصلح لعمل المراكب الكبيرة ويثبت على الزمان ، وفي شجر السنت بزر يعرف بالقرط يستعملونه للدباغ ويخلطونه باللبن الرائب فيتخذونه لمنع الاسهال او يخلطونه بالمعجن المحمر ويدهنون به جسد المغموم لتخفيف الحرارة ، ويلبت في اصل الشجرة عروق تسمى للطرطوس يدقونها ويستعملونها دواء لمنع الاسهال وينقعون بها الأباريق الجلدية المعروفة عندهم بالكروي (مفردهما ركوة) لتقوية الجلد ووقايته من التشقق .

« والسلم » وهم يدبغون بقشره ويتخذون فروعه عصياً .
« والكُتر » وفي لحائه ألياف جيدة تصنع منها الحبال .
« والسيال » وهو والكتر والسلم والسنت من اشجار الصمغ ايضاً ولكن صمغها قليل رديء ولا يدخل في المتجر الا بقصد الغش .

« والحَرَاز » يشبه للسنت وله ثمر كثير الخروب لكنه قه الطعم يصلح علفاً للحيوانات وهم يصنعون من خشبه المراكب للصغيرة وأقداح الطعام ولكنه سريع الزوال .

« والعَرْد » وله زهر طيب الرائحة وقشر يدبغ به .
« والمُدُس » وهو شجر كبير يتكون منه غابات عظيمة يؤخذ من قشره أحسن الدباغ وأحسن الجلود هي الجلود المدبوغة بقشر المدُس .
« والأبنوس » وهو من أخص اشجار السودان ، ويكثر على النيل الأزرق

وخور ابي حبل وهم يصنعون من خشبه العصي والكراسي والموائد والوسائد والصناديق والسُّبُح ويدخلونه في المتجر ويستخرجون منه القطران فيداون به البواسير ويقولون انه انجّع دواء لهذا الداء .

« الكاكوت » وهو شجر شامخ مستقيم الجذع شبه السرو تسقف به المنازل الفاخرة وخشبه صلب تصنع منه الآنية وغيرها واذا جف طفا على وجه الماء .

« والاندراب » وهو شجر عظيم الحجم شبيه بالسنت ترعى ورقه الجمال ويصنع من خشبه الابواب والشبابيك ومن فروع عصى الحراب وعصي الحمل وخشبه جيد متين خفيف سهل النشر واذا جف يطفو على وجه الماء .

« والحليل » وهم يستعملون خشبه في البناء ويصنعون منه قوائم الأسرة والكراسي وعيدان الفؤوس . والنساء تلبخر لطيب رائحته .

« والبشم » وهو شجر البشام ساقه صقيلة ولون خشبه ابيض مصفر يصنعون من غليظ فروع انصبه للسكاكين ومن رقيقها النبال وعصي الحراب وعصياً للحمل معقوفة كالصولجان كثيرة الاستعمال في السودان .

« والعشّر » المعروف وهم يدخلون قشره في مواد البارود ويصنعون من خشبه أسرجة للحمير وأواحاً للكتابة وقوارب صغيرة وخشبه متين خفيف . وفي سوقه ليف يصنعون منه الشباك وفي قشر ثمره زغب حريري يحشون به الوسائد .

« والأراك » المعروف يتسوّكون بفروعه طرية او يابسة ويأكلون ثمره المعروف عندهم بالشاو ! ويؤتى من الحبشة بعشبة تعرف بشاو الحبش تستعمل مسهلاً للدودة الوحيدة .

« واللغوت » يشبه شجر الليمون وشوكه حاد تتخذ اغصانه سوكا وأليافه حبلاً .

« والصبّاغ » وأكثره في بلاد كردوفان والنيل الأزرق وهو مستقيم الساق مخروطي الشكل كقالب السكر تسقف به البيوت ومق كبر تفرع

منه فروع مستقيمة ايضاً يسقف بها وخشبه يعرف بالشاف وهو افضل ما
تلبخر به النساء .

« والكُلَيْت » وهو شجر كبير كالسنت تلبخر النساء بخشبه كالشاف
ولكنه بعد الشاف في الجودة .

« وشجرة اللولو » وهي من اشجار بحر الغزال تشبه شجر الجوز ولها ثمر
في داخله نواة قدر الكستنا يدقونها ويقلونها على النار مع الماء فيستخرجون
منها دهنًا لطيفاً يستخدمونه في أطعمتهم بدل السمن .

« وشجرة الحمرة » وهي ايضاً من اشجار بحر الغزال وتشبه شجرة الجميز
تخرج فروعها بفأس فيخرج منها عصير اذا ترك الى اليوم التالي صار خراً
يشربونها .

« والروم » ويكثر في بحر الغزال وخط الاستواء وهو شجر كبير يحمل
ثمراً كسنابل الذرة فيه مادة ناعمة بيضاء كالحرير يستعملونها حشواً للوسائد .

« والسنا » ويعرف ايضاً بالسنا المكبي وهو كثير في جهات البحر
الازرق والصحراء الشرقية يستعملون ورقه مسهلاً وحده او ممزوجاً بالتمر
الهندي ويدخلونه في المتجر .

« والحناء » المعروف وهو كثير ويدخل في المتجر

« والخروع » وهم يستخرجون منه زيتاً ويدهنون به رؤوسهم وأجسادهم

« والحسكيت » وهو نبات ويري بري يكثر جداً في كردوفان وله
حب كحب الرشاد يعرف بالكوريب يأكلونه في ايام المجاعات ممزوجاً
بالذرة او مجرداً عنها .

« والهيكييت » ويكثر في الجنوب وهو نجم شائك معترش يقال انه
يسمى الجمال .

« والحنظل » وهو معروف ويستخرجون منه زيتاً يدخلونه في عمل
القطران .

« وشجر السم » وهو نجم كشجر الصير تفرز فيه السهام وهي عمية فيسما .

« والسلعلع » من النباتات اللافة السامة المربعة الساق اذا التف على شجرة أبيضها . ومن أمثالهم (فلان عرق سلعلع) أي انه شؤم على صاحبه .

« والمرخ » وهو نجم ينبسط ويرتفع في الجو حتى يستظل به وليس له ورق ولا شوك وقضبانة دقيقة خضراء كأغصان البان وهو من شجر النار سريع الوري تأكله الجبال وينبت في الصحاري الرملية . ويستخرج منه ألياف دقيقة متينة جداً تصنع منها الشباك وقد يمكن استخراج ألياف منه صالحة للنسج فليستنبه لذلك .

« والمخرب » وهو نبت الإذخر طيب الرائحة يستعملونه لبناء الاكواخ ويغلقون قش مع البلح فيستعملونه طباً .

« والحلفاء » من اشهر نباتات السودان تأكله الجبال والدواب وهم يحففونه ويحذلونه حباً متينة يشدون بها السواقي والأشرطة .

« والنجيلية والدفرة والسعدة والحشرة » وهي من اجود الاعشاب التي ترعاها البهائم وأفضلها النجيلية .

« والطرفاء » يكثر على النيل الازرق وخشبه جيد يصنعون منه القوارب وأسرجه للحمير ويستخدمونه في عمل البارود وله عقص يستعمل في الصباغة .

« والصفصاف » وهو ينبت على ضفاف النيل فيغمره الماء غالباً وقت الفيضان وهم يدخلونه في مواد البارود ويصنعون من اغصانه السلال ومن ورقه صباغاً يصبغون به خوص النخل الذي تصنع منه الحصر .

« والقنا » وهو قصب مصمت الساق يكثر في اعالي النيل الازرق وهم يأخذون منه عصي الحراب والدرق ويسقفون به ويصنعون منه مفازل القطن .

« وقصب البردي » المعروف بالببيروس وقد كان قديماً منتشراً في جميع وادي النيل وكان المصريون القدماء يستعملونه ورقاً للكتابة كما هو مشهور

ولكنه انقطع الآن من وادي النيل ولم يبق منه إلا في اعالي النيل الابيض من فاشودا فصاعداً جنوباً .

« والغنج » نبات كالقصب إلا أنه اخف من القلن وهو يكثر في جهات خط الاستواء وبحر الغزال ويصنعون من سوقه أطوافاً يسمونها الطرور ويستعملونها لشحن الحبوب على اسلوب بسيط جداً فانهم بعد شحنها يدفونها في وسط التيار فتسير بقوة حتى تصل الى المكان المقصود فيوقفونها وهي آمن من المراكب .

وأكثر اشجار السودان وأعظمها في المنطقة الجنوبية التي هي منطقة الأمطار ففيها غابات عظيمة وأحراج متسعة خاصة بالحيوان والطير وأخص أشجارها المشاب والطلع والسنط والسلم والكتر والتبلدي والأبنوس والسدر والعريدب والاندراپ والمدس والكاكوت والطرفاء والقنا وغيرها من الأشجار المتقسم ذكرها .

مزروعاتها : وأهم مزروعات أهل السودان :

« الذرة » وأكثر زراعتها في بلاد النيل والسودان الشرقي وهي عندم أنواع أشهرها الفترية وتزرع في الجزيرة على المطر . والكرقي ويزرع في السودان الشرقي . وأم قرظ والصفرا وتزرعان على النيل الابيض . والمقعد ويسمى عيش الجزائر لأنه يزرع فيها وهو من أجود أنواع الذرة ولا يقتنيه إلا المتعمون . وعيش الريف وهو المعروف في مصر بالذرة الشامي وزرعهم له قليل وهم يزرعونه على السواقي . وعيش الطيف وهو أعز أنواع الذرة وله فريك يعرف بالشمش وهو لا يخصب إلا في القصارف وأهلها يخزنونه ويرسلون منه هدايا الى كل جهات السودان .

« والدخن » وهو اصفر حياً من الذرة ويزرع في الاراضي الرملية وأكثر زرعه في كردوفان ودارفور حيث يزرع على المطر وعليه اعتماد اهله . ويستخرج من الذرة والدخن نوع من المسكر يسمونه البوزة او الماريسة وهو مشروبهم الخاص ويصنعونه منها نوعاً من الخبز الرقيق يسمونه الابريه

يبلونه بالماء مع السكر ويستعملونه شراباً .

« والتيلبون » وهو اصفر حياً من الدخن يزرع في بحر الغزال وخط الاستواء .

« والقمح » ويزرع على قلة لأن أكلهم له قليل .

« والشعير » ويزرع على قلة أيضاً لأنهم يعلقون خيلهم الدخن او الذرة ولا يعلقونها شعيراً إلا في دنقلة .

« والسسم » ويزرع بكثرة وأكثر زرعته على المطر في الجزيرة والقضارف وكردوفان وهم يستخرجون منه الزيت المعروف بالسيرج ويستعملونه غذاء ودهاناً .

« والقطن » وهو يوجد فيها . ويزرعون قطناً يسمونه قطن ممتاز نسبة الى ممتاز باشا الذي ادخل زراعته الى السودان ايام كان والياً عليها مدة الفتح الأول وبعد الفتح الاخير ادخل « السر رجينولد ونجت باشا والي السودان الحالي » زراعة القطن الاشموني والميت عفيفي من مصر فلم تغض عليه مدة التجربة بعد . وهم يخلجون القطن بآلة تعرف بالفوغائية شبيهة بدولاب الحلاجة في مصر ويحوكون منه قماشاً خشناً شبيهاً بالخام يعرف بالدمثور وهو ليس عامتهم وقماشاً أرق منه يعرف بالقنجة وهو ليس خاصتهم .

« والدخان » ويسمونه التنباك وهو خشن رديء ولكن في الفتح الأول دخل بلاد القضارف نوع منه عرف بالتنباك السوري فجاد حتى كان افخر دخان مصر . وهم يشربون الدخان بالغليون المعروف عندهم بالكدوس وفي مصر بالشبك ولكن غالبهم يصفونه مضغاً بإضافة قليل من النطرون اليه وهو المعروف عندهم بالسفة . او يسحقون ورق الدخان ويضيفون اليه قليلاً من النطرون او الجردقة (نوع من التراب) فيستعملونه نشوقاً .

ويزرعون من انواع « القطاني » الفول العادي ، والفول الكردوفاني المعروف في مصر بالفول السوداني ومنبته كردوفان وهم يدخلونه في الحلويات بدل اللوز ويستخرجون منه زيتاً يأكلونه ويدهنون به . والخص ويسمونه

كبكيك ، والعدس ، والماش ويسمونه لوبيا عدس ، والبازلا والتمس .
 ويزرعون من « الخضراوات » : الباميا وقد تثبت لنفسها فتعرف عندهم
 بالويكه . واللوبيا ويسمونها في دنقلة كشرنققي وأكثر ما كوتهم من هذين
 الصنفين ، والقرع يصنعون منه آنية للشرب ، والكومى ، والباذنجان ،
 والطماطم والملوخية ، والسلق ، والرجلة ، والكرنب ، واللفت ، والجزر ،
 والكزبرة ، والبقدونس ، والشمرة ، والفجل ، والثوم ، والبصل ، إلا أن
 البصل غير معروف في بلاد السود ، والحلبة وهم يمزجون دقيقها بدقيق القمح
 واللبن والسمن ويتخذونها مقويا ويمزجون حبها باللبن ويستعملونها مضادا
 للإسهال ، والبطاطا وهي تثبت لنفسها في السودان الجنوبي ، والشطة وهي
 نوع من الفلفل الاحمر وأجود التوابل عندهم .

ويزرعون من انواع « الفاكهة » : البطيخ ويعظم هناك حجمه جداً
 ولكنه لا يكون حلواً كبطيخ يافا وفي بعض جهات كردوفان حيث تقل المياه
 في الصيف يستعيضون بأكله عن شرب الماء ، والجرم وهو نوع من البطيخ
 يأكلونه مسلوفاً ومشوياً ويأكلون بزره محمصاً بالملح ، والشام ، والخيار ،
 والقثا ، والمجثور ، وقصب السكر ويستخرجون منه في بعض الجهات عسلاً ،
 والعنكوليب وهو نوع من قصب السكر إلا أنه أقل حلاوة منه ويكثر في
 بلاد التاكا وكالقضارف وهم يستخرجون منه عسلاً أيضاً . والموز وهو كثير
 في فروع النيل الأبيض خصوصاً في خط الاستواء وبحر الغزال ويكبر ثمره
 حتى تبلغ الموزة الواحدة قدر الساعد وهم يصنعون منه مشروبات روحية !
 وترى في مدن السودان جنائن فيها من انواع الفاكهة البرتقال ، والليمون ،
 والمان ، والعنب ، والتين ، والقشطة وغيرها .

الفصل السابع

في

حيواناتها

حيواناتها البرية : وفي السودان كثير من الحيوانات البرية والأليفة لكن البرية اكثر جداً من الأليفة لكثرة الصحاري والغابات وأشهرها :
« الأسد » ويسمونه الدابي ودود الحلا ويصطادونه صغيراً ويربونه او يصطادونه كبيراً فيجعله ملوكهم على ابواب منازلهم ليزيدوها مهابة ووقاراً .

« والفيل » وهم يصطادونه لأجل سنه وجلده فيدخلون سنه في المتجر ويصنعون منه أساور ومكاحل وأغطية للركاوي وكراسي للوسائد الخشبية ومقابض للمراوح والعصي . ويعملون من جلده الدرق . ولكنهم لا يدجنونه كما في الهند . وقد قدر الباحثون ان الفيل ينقطع من افريقية بعد ١٥٠ الى ٢٠٠ سنة .

« ووحيد القرن » او الكركدن ويسمونه العنزة ام قرن ويصطادونه لأجل قرنه المعروف بالخرتيت فيصنعون منه كاسات وفناجين وأنصبه للسكاكين .

« والزرافة » وهم يصنعون من جلدها نعلاً ودرقاً ومن ذيلها منشآت

ويستمرئون لحما جداً ويقددونه كما يقددون لحم البقر .
« والجاموس البري وبقر الوحش » وهم يصطادونها ويصنعون من جلودها الدرق .

« وحمار الوحش » ويسمونه حمار الحلا او حمار الوادي وأكثره في الصحراء الشرقية وهم يصطادونه ويدجنونه .

« والذئب » وتعرف خطاه عندهم بحمار الوحش .
« والضبع » وتعرف عندهم بالمرعيب او المرفعين وهي كثيرة جداً حتى لقد تدخل البلاد العامرة وتسطو على المواشي والأولاد .

« والذئب . والنمر . والفهد . والنمس . والقنفذ . والثعلب » ويسمونه البعشوم .

« والحنزير البري » ويسمونه الحلووف وهم يأكلون لحمه .
« وابواظلاف » وهو شبه الحلووف لكن له اظلافاً كأظلاف الغنم يحفر بها وجاره ويميش تحت الأرض كالخلد .

« والمهر البري » ويسمونه كديس الحلا .
« وهر الزباد » ويسمونه كديس الزباد ويصطادونه لأجل زياده ويتجرون به .

« والثيتل » وهم يصنعون من قرونها عصياً لطيفة .
« والغزال » وهو انواع شتى تسرح في صحاريها اسراباً .
وفي غاباتها كثير من انواع « القروء » بينها : الاوران اوتان وهو أشبهها بالانسان ويعرف عندهم بالبيعام .

وهم يصطادون الكولمر بالبندق والخيول والشراك . وأبسط شراكهم حفرة يحفرونها في طريق الكواسر على عمق خمسة امتار او اكثر ويفوزون في قعرها اوتاداً متينة محدة الرؤوس ويسقفونها بالعيدان والبروش (الحصر) ثم يمشون فوقها التراب ويجعلونها كالأرض التي حولها حتى لا يبقى ما يدل عليها إذ الكواسر ولا سيا الاغفال شديدة النكر تتحوز من اقل شيء يوجب

الاشتباة فاذا حمر الكاسر بالشرك هوى به فيحاول التخلص فتشمه الاوتاد تهشياً ويموت قهراً في وسط الحفرة . ومن شراكهم شرك الماعز وذلك انهم يربطون ماعزاً الى وتد ويحفرون حوله خندقاً مستديراً بحيث يبقى الماعز قائماً على اسطوانة من الارض حول الخندق ثم يوارون الخندق بالعيدان والتراب على نحو ما تقدم فيأتي الكاسر لاختطاف الماعز فيهوي في الشرك ويبقى الى ان يأتي الصياد فيرميه بالحراپ حتى يقتله . ومنها شرك الحبل وذلك انهم يربطون بطرف حبل خشبة كبيرة يطمرونها في طريق الكواسر ويحفرون بجانبها حفرة يعقدون فوقها الطرف الآخر من الحبل على شكل حباله ويغطونها فاذا حمر الكاسر بها نشبت الحباله في رجله فيحاول الفرار منها فيتعثر بالخشبة التي في الطرف الآخر من الحبل ويصير كلما ركض يتعثر بها حتى تخور قواه فيأتي للصياد ويرميه بالحراپ حتى يقضي عليه .

حيواناتها الأليفة : وأما الحيوانات الأليفة فهي : الابل ، والحيل ، والحمر ، والبغال ، والبقرة ، والضأن ، والمعزى ، والكلاب ، والهررة . أما « الابل » فهي كثيرة في جميع بوادي السودان وأهلها يؤجرونها لتجار الحضر ويقتاتون بلحومها وألبانها ويلتفعون بجلودها ويصنعون بعض خيامهم من اوبارها . وهي اما للحمل او للركوب . وأشهر ابل الحمل ابل الهدندوة فانها اصبر على الجوع والعطش من سائر الابل ويهون على الهدندوي بيع كل عزيز لديه إلا جملة . وأما ابل الركوب أو الهجن فاشهرها ابل البشاريه فهي أسرع جرياً وأخف حركة وألين ظهراً من سائر الابل ، والابل اسهل مركباً من الحيل وغيرها من الدواب ولا سيما في الأسفار الطويلة والمفاوز البعيدة . وهم يجعلون لها خزاً في انفها فيكون لها كالشكيمة للفرس .

وأما « الحيل » في السودان فثلاثة أجناس أعزها الدثقلويه وهي رشيقة اللقد طويلة الشعر ممشوقة القوائم ظريفة الرأس سريعة الجري إلا أنها قبيحة الكفل . ومنها أصل من خيل جزيرة ارقو يُعرف بأصل (دولا) لهم فيه خرافة لطيفة قالوا : خرج من النيل الى هذه الجزيرة حصان من خيل البحر

فعلا فرساً لملك الجزيرة فولدت منه اصل دونا وهو عزيز جداً في دنقله ولا يقتليه إلا كبارهم . ثم الغرابوية أي خيل الغرب في كردوفان ودارفور وهي ليست ممشوقة كالخيل الدنقلوية إلا أنها أصبر منها على التعب والعطش . ثم المكادية أي خيل الحبشة وهي أردأ خيل السودان وتأتيها بطريق القلابات ولكن يأتي من بلاد القالا أصل كريم من الخيل يعرف بأصل (جنافنجان) وهو عزيز عندهم ولا يقتليه إلا ملوكهم . وأهل السودان يتفاخرون باقتناء الخيل ولا يعنون بشيء كمنائتهم بها فهم لا يستعملونها إلا للركوب ولا يسقونها الماء الا بعد ترشيحه ويعلفونها الشمير والذرة وفي الخريف يملفونها النجيلة وقد يسقونها بعد العلف اللبن ممزوجاً بالسكر لتقويتها وتسمينها ، ولكنهم لا ينعلونها ولا يقصون شعرها . ولهم معرفة في طبها واعتبارات شتى من حيث كرامتها وقوتها وسعدها ونحسها كأهل مصر والشام إلا ان هؤلاء اوسع بها خبرة .

وأما « الحمير » فمنها بلدي ويعرف عندهم بالعربي ويستعمل لحمل الأثقال ومنها مجلوب من مصر او مولد ويستعمل للركوب ! وأما « البغال » فقير مألوفة عندهم ولا يوجد منها الا القليل المجلوب من الحبشة .

ومن الغريب ان الإبل والخيل لم تكن معروفة عند المصريين القدماء ولم يسمع عن الخيل في مصر قبل القرن الثالث عشر قبل المسيح وسمع عن الإبل بعد ذلك واما الآن فحده الإبل في السودان عند خط ١٣° من العرض الشمالي تقريباً فإلى جنوبي هذا الخط لا تعيش الإبل ولا الخيل ولا الحمير اذ تتسلط عليها ذبابة سامة تعرف بالسروت فتقتلها .

وأما « البقر » فكثيرة في جميع جهات السودان الجنوبية وتدخل جلودها في المتاجر لكثرتها . وكانت الحكومة في الفتح الاول تجلب قطعاناً منها الى مصر كل سنة عن طريق دنقلة . وعرب السودان يستخدمون الثيران للركوب وحمل الأثقال فيجعلون لها سروجاً من قش وأحزمة كأحزمة الإبل ولكن غالب بقر السودان صغيرة الأبدان دقيقة الأعضاء طويلة القرون لا تصلح

للمل الشاق . ويتتاب البقر وباء يفتك بها فتكا ذريعا كما حدث في
السنين الفائتة .

وأما « الغنم » فجماء طويلة الذيل والقوائم . « والمعزى » صغيرة الجسم
نحيفة .

وأما « الكلاب » فأفضلها جنس يعرف بالسوقي وهو من كلاب الصيد
المشهور وقد رأيت كلبا منها في برية دنقلة يطارد أرنا فلما يلث ان قبض
عليه وأتى به الى صاحبه . والأرنب كثير في صحاري السودان وهم يأكلون
لحمه ولكن قل من يدجنه .

طيورها : وفي السودان أجناس شتى من الطير برية وأليفة . أما الأليفة
فهي الدجاج البلدي ويقولون له الجداد وهو كثير جداً ولا سيما في الجهات
الجنوبية . والدجاج الرومي ، والبط ، والأوز والحمام على أنواعه .

وأما « البرية » فأشهرها النعام ، وهو كثير في جميع برادي السودان
ويصطادونه لأجل ريشه الذي هو من أهم المواد التجارية عندهم ويأكلون لحمه
وقد يربونه في زرائب خاصة للانتفاع به وأشهر من ربي النعام عربان حمر في
غرب كردوفان ! ويصطاد النعام بالبندق والخنبل أما صيده بالخنبل فكما
رواه لي بعض صياده أن الفارس يطارد النعام في فلاته فلا يوليه النعام ظهره
كما قد يتبادر الى الذهن بل يوليه جنبه ويمدو في دائرة متسعة فيتصدى له
الفارس محاولاً قطع طريقه في دائرة أضيق منها حتى يكل النعام فيدركه
الفارس ويضربه بالسوط على رأسه فيجندله ويرجع به غائماً .

ومن الطيور البرية : النسور ، والعقاب ، والصقر ، والحدأة ، والرخم ،
والقطا ، والسماوي ، والحجل ، والقمرى ، والهدمد ، والدجاج البري او
« جداد الوادي » .

ومنها « الدوري » الذي لا تخلو بلاد منه .

« والحباري » وهي شبه النعام وهم يصطادونها ويستمرئون لحمها .

« والبيغاء » ويسمونه الحضاري ويحلب منه كثير الى مصر .

« والغراب » وهو دليل الشؤم . « والبوم » وهو آشام منه .
« وأبو منجل » (Ibis) سمي بذلك لأن هيئة عنقه ومنقاره تشبه
للمنجل وهو الطائر الذي كان للمصريون القدماء يحلون به ويحترمون احتراماً
يقرب من العبادة .

ومنها « البلبل » ، والهازار ، والكروان ، وغيرها من الطيور الجميلة المنظر
الحسنة الصوت . ومن هذه الطيور طائر يقال له « أت تكبو » يشبه الببغاء
في لونه وحجمه إلا انه اطل متقاراً وأقصر ساقاً وهو مشهور بغيرته على أنثاه
قبل انه لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً حتى تأتي أيام حضانتها فيسد عليها العش
بالبطين ويترك ثقباً صغيراً يناولها منه الغذاء وتبقى كذلك الى ان تقرخ فيفتح
لها الباب ويلازمها . ومن أمثالهم « فلا حكة حكم أب تكو على امرأته » .
وأما « الطيور المائية » التي تعيش على الاسماك والنبات فأشهرها : جل
البحر ، وأبو سعن ، وأبو مفازل ، والفطاس البحري ، والببط ، والأوز ،
والسعددة وهو يشبه الحمام ، والقلق ويسمونه السيمرية ، والرهو وهو الكركي
وم يصطادونه ويستمرئون لحمه ، والعرنوق وهو أطف الطيور المائية .

زحافاتا وهوامها : وفيها من الزحافات : « السلحفاة » وهم يأكلون لحمها
ويبيضها ويصنعون من محارها الدرق . « والورل والحرباء والوزغة » .
وفيها انواع شتى من « الثعابين » السامة وغير السامة أشهرها « الأصلة »
وهي من الثعابين غير السامة إلا انها هائلة الحجم تبلغ من الطول أربعة امتار
او اكثر وجسمها كجسم الطفل مغطى بقشور سمكة . يكثر وجودها في
الغابات فتسكن تجاويف الاشجار وتعيش على الحيوانات فتبتلعها ابتلاعاً ثم
تهضمها هضمًا تدريجياً . وهم يصطادونها لأجل جلودها فإنهم يعملون منه أحزمة
وأحذية وفي خرافاتهم أن الحامل اذا تمنطقت بحزام مصنوع من جلد الأصلة
أمنت كل ضرر وان الحجاب الملفوف يحلده الأصلة يقي حامله فعل الرصاص
والمين . وأما كيفية صيدها فهي أنهم يزربون لها في المكان الذي تقتابه زرباً
متيناً ويحملون داخله حيواناً ضخماً فتأتي الأصلة وتبتلعه فتزح في مكانها

فيوقدون النار اذ ذاك في الزَّرْب فتموت حرقاً واذا نجحت قتلت من تجده في طريقها شر قتلة لا بالدغ لأنها غير سامة كما مر بل بالتفافها عليه وضغطها له ضغطاً شديداً يزهدق روحه .

وفيها « المقرب » وهي سامة جداً .

« وأبو شَبَت » وهو شبه الرتيلاء إلا انه سام كالمقرب .

وأجمع علاج عندهم للذع الحيات والمقارب الكي بالنار وشرب التمر الهندي مع الملح ونشارة الخريت مغلية بالماء .

« والجراد » وهو يتكوّن فيها او تقذفه الرياح من الحبشة او الحجاز ويحيى أسراباً كثيفة حتى اذا طار حجب عين الشمس أو حلّ غطى وجه الأرض وحيث حلّ لا يبغي ولا يذر فيتلف المزروعات والأشجار إتلافاً تاماً ويموت بسببه الجوع . وقد يبيض وينقف فيشتد بلاؤه وهو شرّ الآفات على السودان من خط الاستواء الى سواكن .

« والفار » وقد يكثر جداً في بعض الجهات فيبعث في الزرع ويعظم شره .

« والأرّضة » وهي نوع من الذباب شبيهة بالنمل عظيمة الضرر تكره النور فتكن في التراب تحت وجه الارض حتى اذا وضع عليه متاع من خشب او جلد او نسيج علقت به في الحال وقرضته من أسفله وهرأته هراً . لذلك لا يترك اهل البلاد أمتعتهم على الارض بل يعلقونها في السقوف او يضعونها على حجارة صلبة فإنها لا تتسلق عليها إلا بعد حين اذ تبني على نفسها أزجاً من التراب شبه دهليز تتستر به وتدب الى المتاع فتلشب فيه وتلتفه . وهي تكثر في بلاد دنقلة وتقل في بربر .

« والسرّوت » وهي ذبابة سامة قدر النحلة لها معة حادة تلذع الانسان والحيوان وتقتل من الحيوان الابل والخيول والحمير وتوجد في أعالي النيلين الابيض والازرق وتكثر في زمن الامطار .

« والذباب العادي » وهو كثير جداً وشديد الوطأة .

« والبعوض » أو الناموس وأكثره في أعالي النيلين الابيض والازرق ومنه

نوع مشهور بنقل جراثيم الحمى الملارية وغيرها من الحيات .
« والبق » ويسمونه المرقوت او المرقون . « والقمل » ويكثر في عامتهم
فيملأ ثيابهم وفرشهم لكثرة اوساخهم . وأما البرغوث فقير معروف عندهم .
« والنحل » وهو كثير في كل جهة ولكنهم قلما يعنون بتربيته بل يحنون
الشهد من خلاياه التي يصنعها في الجبال والغابات .
« والفراش » ويكثر جداً في زمن الامطار حتى يكون كالجراد المنتشر
« والنامته » وهو نوع صغير جداً من الهوام يكثر بعد الغروب حتى
يكاد يطفىء الانوار من شدة تهافته عليها .
هذا وفي السودان غير ما ذكر كثير من الطير والحيوان مما لا يعرف له
اسم عندهم . او مما تختلف اسماءه باختلاف البلدان . وقد وضعت حكومة
السودان الجديدة قانوناً منعت فيه صيد بعض الحيوان والطير وسمحت بصيد
البعض الآخر برسم معلوم .



رجال الملك

الفصل الثامن

في

سكانها

أصولهم ، وقبائلهم ، ومواطنهم

أما سكان السودان فمن شعوب مختلفة وقبائل شتى تجمعهم خمسة أصول كبار وهي السود ، وشبه السود ، والبجه ، والنوبة ، والعرب ، ما عدا الاجانب والمولدين .

السود : اما السود ويُعرفون ايضاً بالزنج والمبيد فهم سكان أفريقيا الاصليون ومن أصل قديم قبل التاريخ وهم في عُرف علماء الطبيعة من السلالة الثالثة التي هي أدنى السلائل البشرية . وقد انحصروا الآن في افريقيا الجنوبية وفي أعالي النيلين الابيض والازرق من بلاد السودان وهم منقسمون فيها الى قبائل شتى لكل قبيلة منهم لغة خاصة ومذهب خاص من الديانة الفتشية او الطبيعية وعليها رئيس ديني وملك من جنسها . وكلهم حضر لا بادية فيهم ولكنهم ما زالوا على الفطرة الاصلية عراة الابدان لا مدنية لهم ولا علم ولا صناعة . ودأبهم الزراعة قدر كفايتهم وصيد السمك في النيل والحيوان في البر وغزو بعضهم لبعض . وهم يقتنون البقر والضأن والمعزى والدجاج

والكلاب ويعنون بتربية الأبقار عناية تقرب من العبادة . وأشهر قبائل السود في أعالي النيل الأبيض :

« الشلك » وبلادهم غربي النيل الأبيض بين جزيرة أبا وبحيرة نو وهي سلسلة من القرى متصلة بعضها ببعض على كل قرية شيخ وكل مجموع من القرى ناظر وعلى الكل ملك يقيم في فاشوده . وهم من أقوى قبائل السود وأطولها قامة .

« والدنكا » ويسكنون شرقي النيل الأبيض تجاه الشلك وشمالى خط الاستواء وهم أشد قبائل السود سواداً ومن أجلها شكلاً .

« والنشوير » وهم بين بحر سبت وبحر الغزال وفي بلادهم يتسع النيل وتكثر السدود والمستنقعات حتى ان بعضهم يسكنون الجزر فيعيشون على الأسماك والنباتات كالطيور المائية .

« والبور » والشير « في شمالى خط الاستواء .

« والباري » وهم أفرس قبائل السود وأحسنهم خلقاً وأبهاهم طلعة وأشهر محلاتهم كوندوكرو وباري .

« والمادي » في جنوبيهم وهم يشبهونهم في الهيئة والاخلاق والعادات « والشلي » في رأس بحر الجبل شمالى بحيرة نيانزا وبين لفتهم ولفسة الشلك مشابهة كلية حتى ظن بعضهم انهم والشلك من اصل واحد .

« واللاتوكا » في شرق بحر الجبل وهم لا يشبهون جيرانهم السود في شيء ويختلفون عنهم في الهيئة والاخلاق والعادات كما يختلفون عنهم في اللغة وقد أجمع السياح الذين اجتأوا بلادهم انهم هم والقالا الذين في جنوبي الحبشة من أصل واحد . وهم في حروب مستمرة بعضهم ضد بعض ولولا ذلك لكانوا أقوى امم افريقيا .

« والمكارك » وبلادهم غربي بحر الجبل في جوار المادي وهم فروع من النيام نيام ويمتازون عن الامم المحيطة بهم بأنهم أقل فطناً وخدودهم

أقل بروزاً وزاوية وجوههم أكثر انفرجاً وشعورهم أطول وأسطح . وهذه القبائل الخمس الأخيرة واقعة وراء الحد الجنوبي للسودان الحالي .

« والجاني » وهم فرع عظيم من الدنكا وأكبر قبائل بحر الغزال وأشدهم بأساً وأطولهم قامة وسكناتهم السهول الواسطة الشمالية .

« والبنقو » ويسكنون السهول المرتفعة جنوبيهم وهم أرقى قبائل بحر الغزال بل هم في رأي شوينفرت السائح الألماني الشهير أرقى عقلاً من سائر قبائل السود ويمتازون عنهم بالوداعة ولين الجانب وجب العمل . والفرق بينهم وبين جيرانهم الدنكا في اللون كنسبة الفرق بين تربة القبيلة الواحدة وتربة الأخرى فتربة البنقو حمراء فاتحة لما فيها من الحديد وتربة الدنكا سوداء اذ لا حديد فيها ولذلك ترى لون الدنكا اسود حالكاً ولون البنقو احمر فاتحاً وهم يستخرجون الحديد ويشغلون به .

« والقولو » وهم في غرب البنقو ويشبهونهم في هيئاتهم وأخلاقهم وعاداتهم .

« والجور » ويلادهم بين الدنكا والبنقو وهم يرجعون في انسابهم الى الشلك ويتكلمون لغتهم ولا يعنون باقتناء الابقار كغيرهم من السود بل يعنون بالزراعة ويشغلون بالحديد ولهم معرفة بحفر الحشب وعمل التماثيل .

« والآجار » على نهر الرول من فروع بحر الغزال وهم فرع من الدنكا وقد اشتهروا بالفدر والخيانة .

« والمورو » على نهر ياي في جوار الآجار .

« والديور » في غرب الدنكا وهم فرع من الشلك .

« والشيري » وهم مجاورون للنيام نيام في أقصى بحر الغزال وقد اشتهروا بالقوة والنظافة والترتيب وحب العمل وسماحة الخلق مع القدرة على تحمل التعب والصبر على الجوع . وليس عندهم من الحيوانات والطيور الليفة الا الدجاج .

« والنيام نيام » الداخل بعضهم في كلامنا وقد اشتهروا بأكل لحوم البشر .

« والفراتيت » في شمال بحر الغزال الغربي وجنوبي دارفور وهم قبائل شق

يدخل منها في كلامنا سبع وهي دنقو اهل حفرة النحاس . وكارا . وفنقرو .
وبنه . وبياه . وقروقي . وشالا .

والتوبة . ويسكنون الجبال التي الى جنوبي كردوفان المنسوبة اليهم وهم
من انبه قبائل السود واكلها سواداً قامتهم متوسطة واجسامهم ممتلئة واخلاقهم
رضية . ويرتاد العرب بلادهم في زمن الصيف طلباً للماء والكلأ ولذلك ترى
الكثيرين منهم يتكلمون العربية . وقد قدّر عددهم قبل الثورة المهدية بنحو
٥٠٠٠٠ مقاتل ولكن الثورة المهدية اضعفتهم حتى لم يبق منهم الآن نصف
هذا العدد .

واشهر قبائل السود في اعالي النيل الازرق في اقصى بلاد سنار وفازوغي :
« الثبرون » ويسكنون الجبال التي الى جنوب خور الدليب في اقصى
جزيرة سنار وهم في غاية الهمجية .

« والجبلايون » وهم سكان فامكه عاصمة فازوغي .

« والقنزر » في شرق فامكه .

« واللانقسنه » في غربيها وهم لصوص قطاع طرق .

« والبتره » وهم سكان بني شنقول الى جنوب فامكه التابعة الآن للعبشة .

هذه هي أشهر قبائل السود في بلاد السودان وقد كان العرب يغزونهم
فيأتون منهم بالرقيق فيأخذون منه كفايتهم ويرسلون ما فضل عنهم الى الجهات
للتجارة به ولكن الحكومة منعت ذلك منعاً قطعياً كما سيبيء .

شبه السود : وأما شبه السود (Negroid) فهم من اقدم الاصول في
البلاد بعد السود ويظن انهم اولاد كوش بن حام الذين هاجروا الى السودان
بعد الطوفان وسكنوا الحضرة . ومنهم معظم سكان دارفور من بلاد السودان
المصري ومعظم سكان وداي وكانم وباجرمي وبرنو وسوكوتو وملي من السودان
الغربي . وهم اقل سواداً وأوفر عقلاً وأرقى حضارة من السود بل هم في
اللامح والحضارة اقرب الى العرب منهم الى السود . وقد كانوا على الديانة
الفتشية كالسود فهاجر اليهم العرب بعد الاسلام وعلوهم الاسلام ففاقوهم في

الاثمار به والتمسك بفرائضه . وهم يقتنون البقر والضأن والمعزى والخيول والحمير ويشتغلون بالزراعة وصناعة الدُرُق وحياسة الدُمُور ويحبون العلم وينقسمون الى قبائل مختلفة لكل قبيلة منهم لغة خاصة وملك من جنسها أشهرها :

« الفور » ومركزهم جبل مرة وقد اختلط العرب بهم فأسسوا معهم مملكة قوية في دارفور دامت من سنة ٨٤٨ هـ الى سنة ١٢٩١ هـ كما سيجيء في التاريخ . ومن فصائلهم الكُنْجارية وهم ملوكهم الاولون ويدعون النسبة الى بني العباس . والمسبغات وقد حكموا في كردوفان . والتنجري ومركزهم جبل حريز على يمين الى الشرق من جبل مرة وشارتهم العمامة السوداء قيل انهم كانوا يملكون البلاد قبل الكنجارية فاغتصب هؤلاء الملك منهم فلبسوا العمامة السوداء من ذلك الحين خُداداً عليه . والجبلاويون سكان جبل مَول في غربي البلاد .

« والبرقد » ومركزهم جبل مُسكو بين جبل حريزة وجبل مرة قيل ان عندهم الى الآن صنماً يعبدونه سراً . ومنهم فصيلة تُعرف باب درق تعربت ونسيت لغتها .

« والميمة » ومركزهم فافا ومنهم فصيلة في كردوفان تعربت ونسيت لغتها .

« والمراريت » ومركزهم جَلْتي بين كبكية وكُلْكُل وهم ايضاً تعربوا ونسوا لغتهم .

« والعوَّره » وهم مجاورون للمراريت .

« وكبقه » الى الشمال الغربي من جبل مرة .

« وكاجة البدو » ويلازم الى الشمال الشرقي من أم شَنْقَة سموا بذلك تمييزاً لهم عن كاجة كتول في ارض كردوفان وقد اشتهروا جميعاً بصيد الزراف وصناعة الدُرُق .

« والداجو » ومركزهم جبل داجو مسيرة يومين الى الغرب من داره قيل

انهم ملكوا البلاد قبل التنجر وعندهم صنم من حجر يعبدونه سراً ويسمونه **كنقره** .

« ورنتق » الى الجنوبي من الداجو . « والبيقو » الى الجنوب من داره .
« والقيمر » وتعرف ببلادهم بدار قمر ومركزهم ابو عشرين مسيرة ثلاثة ايام الى الشمال من كلكل وملكهم مصاهرين لسلطين القور .
« وثامة » وهم مجاورون للقمر من جهة الغرب وأضداد لهم .
« والمساليث » وهم مجاورون للقمر من جهة الجنوب .

« وسيمار » ومركزهم سيمار في جوار المساليث . قيل ولغات القيمر والمساليث وسيمار تقرب جداً بعضها من بعض حتى كأنها لغة واحدة بثلاث لهجات .

« والزغاوة » وهم فريقان زغاوة كبا في شرق دار قمر وعندهم كثير من الخيل والحير ، وزغاوة الداور مسيرة اربعة ايام الى الشمال من الفاشر . ومنهم فرج يقال لهم الكملت في بلاد دارا تعلموا اللغة العربية ونسوا لغتهم .

« والبرقي » وهم يتكلمون العربية مع لغتهم ، ومركزهم جبل تقابو مسيرة ثلاثة ايام الى الشمال من الفاشر وهم قبيلة جسيمة . « وأسمور » في أقصى الشمال الغربي .

« والميدوب » مركزهم جبل ميدوب على ٣ ايام الى الشمال الشرقي من تقابو وقنيتهم الإبل والخيل والضأن وهم في طريق الاربعين .

« والبديتات » في غرب آبار النطرون وهم أهل بادية ولا زالوا على الفتشية ويعبدون الشجر مع أنهم محاطون بالمسلمين من كل جهة .

البيجة : وأما البيجة ويقال لهم النجاة والبيجة فهم بادية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ومن بقايا الشعوب التي تألفت منها مملكة أيثيوبيا القديمة ويظن أنهم من سلالة اولاد كوش بن حام الذين هاجروا الى السودان بعد الطوفان ، كما ظن في شبه السود وسواء صح هذا الظن في هذين الشعبين

أو لم يصح ، فن الثابت المقطوع به والمؤيد بالقرائن التاريخية والطبيعية انها من سلالة غير سلالة السود وانها أقدم الشعوب في افريقيا بعد السود ، ولم ينشأ فيها بل هاجرا إليها من آسيا عن طريق مصر او البحر الاحمر من عهد بعيد . وبقي البجة على الوثنية الى ان كان الاسلام في جزيرة العرب وهاجر إليهم العرب المسلمون في القرن الاول للهجرة فعلموهم الاسلام فاتتعلوه على ضعف لكنهم ما زالوا على لغتهم البيجاوية وحالهم الاولى من البداوة والهمجية وهم يشبهون عرب البادية في الملامح والعادات إلا انهم أشد سمره وأشكس أخلاقاً ، وقنيتهم الابل والغنم والمعزى ، وهم منقسمون الى عدة قبائل جسيمة في كل قبيلة عدة عائر وبطون وأفخاذ وفصائل وهي :

« العباددة » وينقسمون الى اربع عوائر تعرف بالبدئات وهي العشابات وهم منتشرون في الصحراء بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم أصوان ومن آبارهم الشيرة أحيمر وأنقات وأبرق . والمليكاب بين دراو وبربر وأشهر آبارهم آبار المرات ومركز شيخهم دراو شمالي أصوان . والفقراء وهم متفرقون في شرقي النيل وغريبه بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم الرمادي قرب أدفو . والمبودين مع الشناكير شرقي النيل بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم السيالة شمالي كورسكو وأكثرهم تابع لمصر وهم يخالطون الحضرة على النيل فيأتون اسوان على الخصوص بما عندهم من الابل والفحم والسنا وغيرها ويرجعون الى صحرائهم بالفلال والبضائع . وفي تقاليدهم انهم قوم الزبير بن العوام وهو أحد القواد الأربعة الذين ارسلهم عمر بن الخطاب نجدة لعمرو ابن العاص اذ كان محاصراً للعوقس على جبل المقطم بمصر وأرسل معهم كتاباً يقول فيه « اني قد أنفذت إليك أربعة آلاف على كل ألف منهم رجل بمقام ألف » . ولعل قوم الزبير بن العوام اختلطوا بهم فكانوا رؤوسهم .

« والبشارين » او البشارية وهم ثلاث فرق فرقة على البحر الأحمر من القصير فصاعداً جنوباً الى حدود سواكن وفرقة على الأتبرة وفرقة في جزيرة عتباي بينها وفي كل فرقة عدة بدئات مشهورة .

« والأمرار » وهم قبيلة جسيمة في طريق بربر بين سواكن وبشر أرياب وينقسمون الى بدئات شتى اهمها الموسياب وهم شيوخ القبيلة ومركزهم أرياب .
« والهدندوه » وهم اقوى قبائل البجة وأوفرهم عدداً قبايلهم يبلغون نصف مليون نفس او اكثر ويسكنون الصحراء الواقعة بين خور بركة والابرة وطريق بربر وسواكن وينقسمون الى بدئات شتى ذكروا لي منها ٣٠ بدنة اهمها الويل الياب وهم شيوخ القبيلة ومركزهم فلك الى الشمال من كسلا قيل ان اسمهم مشتق من هذا بمعنى اسود واندوه بمعنى القبيلة ومعناه القبيلة السوداء ومنهم من فسرهم بغير ذلك .

« والحلانقة » ومركزهم كسلا وهم اصدقاء الهدندوة وموالون للحكومة .
« وبنو عامر » وهم في شرق خور بركة من عقيق الى سنهيت وقد قامت فيهم قديماً بملكة خضعت لسنار وهم أميل الى السكينة من كل قبائل البجة . وتمتاز ابلهم بطول سنامها حتى ان سنام البعير منها يبلغ طوله متراً او نحوه . وهم منقسمون الى ١٦ بدنة او اكثر اشهرها النابتاب وهم رؤوسهم وينتسبون للجعليين . ومنهم فصيلة تعرف بالبجة أي باسم الجنس كله واخرى تعرف بالحاسة وهما محترقان عند عرب المودان ومن امثالهم « البجة والحاس » ارحص الناس .

« والحساب » وهم في شرق بني عامر ويمتدون من رأس قصار الى مصوع وهم وبنو عامر مشتركون الآن بين حكومة السودان وحكومة الإثريا .

النوبة : وأما النوبة وهم المعروفون في مصر « بالبرابرة » فقد انحصروا في وادي النيل بين الشلال الاول والرابع وهم خليط من ثلاثة اجناس : النوبة الأصليون والعرب والأتراك . اما النوبة فهم كالبجة من بقايا الشعوب التي تألفت منها المملكة الاثيوبية القديمة وقد اختلف في اصلهم فمنهم من قال انهم والبجة من اصل واحد ومنهم من ألحقهم بالنوبة السود الذين الى جنوبي كردوفان ولكل من الفريقين اقوال تخمينية لا محل لذكرها هنا وهم الآن نفر قليل لا يزيد عددهم عن اربعمائة رجل وأما العرب فهـ الذين استوطنوا

البلاد بعد الاسلام وهم القسم الاكبر . وأما الاتراك فهم الذين استوطنوها بعد ان فتحها السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠ م . وهم اقل من العرب وأكثر من النوبة . وقد كان النوبة الاصليون قديماً على الوثنية كالبيجة فلما انتشرت النصرانية في مصر امتدت اليهم فاعتنقوها سنة ٥٤٥ م . وبقوا الى ان تغلب العرب المسلمون سنة ١٣١٨ م فاعتنقوا الاسلام مضطرين ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم واتخذ العرب الفاتحون لغة النوبة ونسوا لغتهم وكذلك فعل الاتراك . ولم يزلوا جميعهم يتكلمون لغة النوبة بلهجتين مختلفتين فلأهل المحس وسكوت لهجة ولأهل دنقلة في جنوبهم والكنوز في شمالهم لهجة اخرى . ومن مخالطتهم العرب ترى اكثرهم يتكلمون العربية لكن رطانة الاعجمية ظاهرة في كلامهم . وكل من هذه الاجناس الثلاثة محافظ على جنسيته ويفتخر بالانتماء اليها وأما في داخلية السودان فهم يعرفون باسماء بلادهم اي :

« الدناقة » وهم سكان النيل بين الشلال الثالث والرابع وهم قبائل مختلفة أشهرها قبيلة الانراف التي تدعي النسبة الى آل البيت ومنهم محمد احمد المتمهدي المشهور . وقام منهم قديماً ملوك في الدفار ودنقلة العجوز والخندي وجزيرة ارقو ولا تزال ذريتهم فيها الى اليوم .

« والمحس » وبلادهم بين الشلال الثالث وجبل دوشه وهم يدعون النسبة الى عبيد بن كعب العباسي ويقولون انهم كانوا عند مجيئهم الى دار المحس سبعين الفا . وقد كان لهم قبل الفتوح المصري ملك في جبل سامي لا تزال ذريته مقيمة هناك الى اليوم .

« وأهل سكوت » ويسكنون بين جبل دوشه والشلال الثاني عند حلفا .
« وأهل حلفا والدر » وهم بين حلفا والسبوع وأكثرهم من ذرية الاتراك .
« والكنوز » قيل جاؤا من نجد والعراق وسكنوا بين السبوع والشلال الاول .

وقد يطلق عليهم جميعاً اسم الدناقة . وهم في بلادهم يتعاطون الزراعة وحياسة الدمور ويقتنون البقر والضان والحيل فاذا خرجوا منها الى مصر

كان صفارهم مساحي احذية وكبارهم بوابين وخدماء وسياساً واذا ذهبوا الى داخل السودان كانوا تجاراً وكتبة وفقهاء ونجارين يبنون المراكب . وقد اشتهروا في مصر بالنظافة وفي السودان بالمكر والحديعة . ومن امثال عرب السودان « الدنقلوي شيطان مجلد يجلد انسان » .

العرب : وأما العرب فهم معظم سكان السودان وأكرمهم أصلاً وأوفرهم عقلاً وأرقاهم حضارة وقد هاجروا إليها بعد الاسلام عن طريق مصر او البحر الاحمر فاستولوا عليها تدريجاً وسكنوا اطيب بلادها وأسوا فيها عدة بمالك سيأتي ذكرها . وهم اما حضر او بادية اما الحضر فأكثرهم على النيل الكبير والنيلين الأزرق والأبيض وفي الجزيرة بينها وهم يقتنون الخيل والبقر والحير والضأن والمعزى والطيور الأليفه ويشغلون بالزراعة والصناعة والتجارة والدلم على ما سنبينه بالتفصيل . وأما البادية فأكثرهم في البطانة وصحاري البيوضة وكردوفان ودارفور وهم يقتنون الابل او البقر ومعها الخيل والحير والضأن والمعزى ودأبهم الصيد والقنص ورعي المواشي وارتباد موقع الفيث ومنابت الكلال والغزو بعضهم لبعض شأن بادية العرب في كل مكان . واسم العرب في السودان انما يطلق على بادية العرب فقط وأما حضرهم فيعرفون بأسماء قبائلهم او بأسماء البلاد التي يسكنونها . وهم يرجعون في أنسابهم الى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة كما سيجيء .

وأشهر قبائل العرب على النيل الكبير :

« الشايقية » وهم حضر وبادية وينقسمون الى عدة بدئات أشهرها : العادلاناب والسواراب والحنشيكاب والعماراب ، وقد اشتهر لهم في أيام سلطنة الفونج مملكة قوية وحاربوا اسماعيل باشا وهو سائر لفتح سنار فغلبهم وجند نفرأ منهم في جيشه وهم موصوفون بالشجاعة والكرم والضيافة وحب العلم والفقهاء وفقهاؤهم فريقان : الدويجة والعونية ، أما الدويجة فمن ذرية عبد الرحمن ودحاج الذي جاء اليهم من مكة واشتهر بالصلاح والتقوى وله قبة في الدويم تزار بقرب مروي . وأما العونية فكبيرهم الآن محمد بك السيد

سر سوارى عساكر القلايات سابقاً ومعاون أول بمديرية الخرطوم في الوقت الحاضر .

« والمناصير » وهم يسكنون بين الشلال الرابع وأبي حمد . قيل أن أجدادهم قتلوا رجلاً في المنصورة بمصر ففروا الى هذه البلاد وذلك من عهد غير بعيد وهم ينقسمون الى خمس بدئات وهي الوهاباب والكبانة والسليانية والكجوباب والخبراء .

« والرباطاب » في جنوبي المناصير وهم ثلاث بدئات وهي البديرية والفرانيب والضعيفاب ، وقد اشتهروا بسرعة الخاطر والجواب المفعم وهم في عرف أهل السودان اصحاب ككر وطاقيّة اي اصحاب ملك الككر عندهم الكرسي الذي يجلس عليها ملوكهم والطاقيّة عبارة عن التاج وهي لباس للرأس لها قرنان .

« والميرفاب » الى جنوبيهم ومركزهم بربير وينقسمون الى اربع بدئات وهي الصيّام والمُصطفياب والليباب والرحاب وهم اهل ككر وطاقيّة .

« والجمعليون » الى جنوبيهم وهم اشهر قبائل العرب في السودان وقد عرفوا منذ اول عهدهم بالشجاعة واقتحام الاخطار وحب الاسفار فترام منتشرين في جميع اقطار السودان والحبشة وحيث يذهبون يستوطنون ويتوالدون وينشئون حلة تنسب إليهم . وهم اهل ككر وطاقيّة وقد كان بينهم وبين الفونج وقائع معدودة وكانوا في حروب مستمرة مع الشايقية وأهل البادية المجاورين لهم كالشكرية والكواهلة . وقد انقسموا الى اكثر من ثلاثين بدنة اوخشم بيت منهم العراب والمهاذيب والعباسة والرافية وهم فقهاؤهم . والسعداب وهم ملوكهم ومنهم الملك غر الذي غدر دسمايل باشا فاتح السودان فحرقه حياً والملك سعد أخوه الذي دفن ابن أخيه حياً في التراب لأنه اغتصب بنتاً من الاحرار . والموصية وإلهم ينتسب الهمج وزراء الفونج . والنفمياب ومنهم عني ود سعد وعبدالله وسعد والياس باشا ام بربير

الذين اشتهروا في تاريخ المهدي . والنافعاب ومنهم ود النجومى المشهور . والمكابراب وقد اشتهروا باللصوصية . والانقرياب وهم ينتسبون الى العابدلاب الآتي ذكرهم وكبيرهم الآن ابراهيم ود حزة الذي اشتهر في حملة ام درمان الأخيرة . وقد اطلق اسم الجميلين في مصر على جميع سكان النيل بين ابي احمد والخرطوم ولكنهم في الواقع بين الدامر وعقبة قري .

« والجميعاب » وهم يسكنون النيل بين عقبة قرى والشيخ الطيب . ومنهم الزبير باشا الذي اشتهر بحروبه في بحر الغزال ودارفور وهو اعظم رجل قام في السودان الى اليوم ، وسيأتي تفصيل خبره .

« والسروراب » الى جنوبي الجميعاب بين الشيخ الطيب وكررى شمالي ام درمان .

« والعابدلاب » ومركزهم الحلفاية تجاه الخرطوم وهم فرع من القواسمة الآتي ذكرهم وقد سمو بالعابدلاب نسبة الى كبيرهم عبد الله جماع الذي أسس مملكة سنار مع الفونج وقاسمهم ايامنا فاتخذ مركزه قرى ولقب بالشيخ . ثم نقل خلفاؤه المشيخة الى الحلفاية فبقيت الى الفتوح المصري وسيأتي تفصيل اخبارهم في التاريخ . وأما لفظ اب الذي ينتهي به اسم العابدلاب وغيرهم من القبائل العربية فهو مأخوذ من البيجاوية ومعناه عائلة او قبيلة .

وأشهر قبائل العرب على النيلين الابيض والازرق والجزيرة بينها :

« المجموعية » وهم يسكنون غربي النيل الابيض بين ام درمان والترعة الخضراء وهم اهل ككر وطاقيه ومن فروعهم الفتيحعاب سكان ام درمان والخرطوم الاصليون .

هذا ويقول عرب المجموعية والسروراب والجميعاب والجميلين والميرفاب والرباطاب والشايقية المتقدم ذكرهم ان جدّهم واحد وهو ابو مرخة المتصل نسبه بالعباس ولهم في ذلك رواية خرافية قالوا : حضر والد ابي مرخة وعمه الى السودان في زمن مهاجرة العباسيين اليها وكان ابو مرخة وحيداً لأبيه ولعمه سبع بنات وكان اهل السودان في ذلك الوقت من النوبة او البجة فلم

يكن فيهم من هو اهل لبنات عمه فتزوجهن الواحدة بمد الاخرى وولد من كل منهن ولداً أصبح جداً لكل من القبائل السبع المذكورة .
« والحُسُتات » في جنوبي الجموعية شرقي النيل وغريبه ومركزهم القطينة .

« ودُعَم » ومنهم علي ود حلو ثاني خلفاء محمد احمد المتمهدي .
« وكثانة » ابناء عم دغم ومركزهم جعمان . وكلاما في جهة جزيرة ابا شرقي النيل الابيض وغريبه . « وُسليم » في جنوبيهم .
« والرفاعيون » ومركزهم الكاملين على النيل الازرق وهم ينتسبون الى جهينة .

« والمسلمية » ومركزهم الحلة المعروفة باسمهم على النيل الازرق ومنهم الشيخ العبيد الذي اشتهر في بدء الثورة المهدي وكان مركزه ام ضبات في صحراء المسلمية .
« والحلاويون » ومركزهم في ظاهر المسلمية بالجزيرة وهم ينتسبون الى جهينة .

« والمدنيون » ومركزهم ود مدني المسماة باسم جدّهم المدفون هناك وله مقام يزار الى اليوم .
« والمراكيون » في بلاد ابي حراز وعبود وودمدني وهم يدعون النسبة الى جعفر الطيار من آل البيت .
« والحوالدة » وأكثرهم في جهة عبود في باطن الجزيرة وهم ينتسبون الى جهينة .

« والكواهلة » في جهتي عبود وود مدني وينتسبون الى الزبير بن العوام . ومنهم بادية يسكنون غربي الرهد مع الحمدة الآتي ذكرهم . ومن فروعهم الشهيرة الحسنات المار ذكرهم والشنابلة وهم مشهورون بالغنى والتجارة وقد كان منهم مشيخة في زمن الفونج ومركزهم المسلمية .
« والشامباته » ومركزهم شمباته بين ود العباس وسنار وأكثرهم تجار .

« واليعقوباب » قيل يتصل نسبهم بالجعليين وهم يسكنون جنوبي سنار .
« وبقاره محارب » وهم منتشرون في الجزيرة بين سنار وجبلي سقدي ومويه .

« والمقلليون » وأكثرهم بادية ويسكنون بين الدندر والنيل الأزرق .
« والحمدية » وهم حضر وبادية ويقيمون بين الدندر والرهد ولهم مشيختان
مشيخة في دَبْرَكي على الدندر ومشيخة في دُنْكَر في آخر حدود سنار من
جهة الحبشة .

« والقواسم » وهم أشهر قبائل سنار ويسكنون شمالي سنار في شرقي
النيل وغربيه وباديتهم تسكن غابة التريه جنوبي سنار . ومنهم العابدلاب
المتقدم ذكرهم والكاتير ويسكنون شرقي النيل الأزرق بين رُبْنقه والرصيرص
ومركزهم كركوج وقد قام منهم في زمن الفونج مشيخة كبيرة .

« والحويون » وأكثرهم بادية يسكنون في شرق النيل الأبيض . بين
الكوة والجليلين ويمتدون في داخل الجزيرة الى جبلي سقدي ومويه .

« وبنو حسين » ويقال لهم اولاد ابو روف ومعظمهم بادية يمتدون من
جبلي سقدي ومويه الى خور الدليب آخر حدود سنار في الجزيرة . وأشهر
مراكزهم أبو حجار قرب سيرو على النيل الأزرق والمرقوم في باطن الجزيرة
وهم قبيلة جسيمة .

« والملاطيون » وأكثرهم بادية يسكنون غرب النيل الأزرق من
الحُدُدييات الى مشرع توله . هذا وجميع القبائل الست الاخيرة تنسب الى
جهينة ويقال للحمدة والمقللين رفاعة الشرق او جهينة الشرق وللقواسم
والحويين وبنو حسين والملاطين رفاعة الهوى او جهينة الغرب ويعنون
بالهوى شبه جزيرة سنار وأما رفاعة فهي اسم بلدة شهيرة على النيل الأزرق .

« والزبالة » ويسكنون جزيرة سنار والبلاد التي بين الرهد والدندر
ويبلغون نحو تسعة آلاف رجل وهم كسائر العرب في أخلاقهم وعاداتهم إلا
انهم يمتازون عنهم بكونهم شيعة خاصة عُرفت في السودان بالملة الخامسة

وعندهم ان مؤسس شيعتهم المسمى أبا جريد هو رسول الله فلا يعرفون نبياً آخر سواه وقد أقاموا رمزاً الى قبره في حلة بُنْزَقاً شرقي النيل الازرق بين كركوج والرصيرص حيث يجتمعون للاذكار مساء كل احد وثلاثاء ويرددون قولهم « لا إله إلا الله ابو جريد نبي الله » وفي شهر صفر من كل سنة يعتزل مشائخهم الى الخلوات للرياضة فيقيم كل منهم في خلوة ويجعل عليها الحراس لكي لا يدخل عليه احد مدة سبعة ايام فاذا انتهت خرج من الخلوة ودعى رهبته من الرجال والنساء وأقام حلقة للذكر . قيل انهم يستباحون العرض في هذه الاجتماعات فانهم بعد نهاية الذكر يقبلون يد الشيخ رجلاً ونساء فيختار الشيخ امرأة لنفسه ثم يحذو كل منهم حذوه وينصرفون . ونساء الزبالة من اجل نساء السودان قيل ولون الكثيرات منهن ابيض مشرب حررة ، وكلهم اصحاب تنعم ورفاهة ، فترى الرجال يدهنون أجسادهم ويتطيّبون بالروائح العطرية كالنساء . وهم يتجنبون مصاهرة العرب كما ان العرب يتجنبون مصاهرتهم ولكن العرب يستطبّون منهم ويمتقدون فيهم السحر .

« والفونج » وهم الذين أسسوا مملكة سنار القديمة مع العابدلاب وكان لهم أعظم الشأن في السودان كما مرّ . وقد اختلف في أصلهم فمنهم من قال أنهم عرب ومنهم انهم سود وقد تمرّبوا وهو الأرجح اما هم فيدعون النسبة الى بني أمية الذين نجوا من اضطهاد بني العباس كما سيجيء في تاريخهم . وفي أقصى جنوب الجزيرة جبال تعرف باسمهم ومنهم بقية الآن تسكن رنقة من أعمال سنار ودبة دنقلة .

« والهمج » وهم وزراء الفونج ايام دولتهم في سنار ويدعون النسبة الى العوضية الجعليين كما مرّ والأرجح انهم سود متعربون وقد عُرفت جبال الفونج المار ذكرها باسمهم ايضاً لأنهم حكموها بعد الفتوح المصري وكان اول من حكمها منهم الشيخ ادريس ولذلك سميت الجبال ايضاً بجبال ادريس ومركزهم جبل قلي على ثلاثة ايام الى الجنوب من كركوج .

وأشهر قبائل العرب البادية في البطانة :

« الشكرية » وهم قبيلة جسيمة من اكبر القبائل وأقواها وفيها تسعون عميرة ونيف تنسب الى جهينة وقد كان بينهم وبين الفونج وقائع مشهورة في التاريخ ، فلما كان الفتح المصري خضعوا لحكومة مصر وأخلصوا لها . ثم كانت الثورة المهدية فلم يتلقوها كما شاء زعماءها فنكلوا بهم تنكيلا شديداً قبل كان عددهم قبل الثورة نحو نصف مليون نسمة وأما الآن فلا يبلغون ربع ذلك . ومن مراكزهم الشهيرة رفاعة على النيل الأزرق والقامر على الاتبرا والقضارف والقلمة ارانج وبيربرية وشق الوالية وأبو دليق في البطانة . وهم أصدقاء الهدندوة والكواهلة .

« والبطاحين » وهم الى شمال الشكرية وخصوم لهم ينتسبون الى الجميلين . « والضباينة » وهم ينتسبون الى جهينة وينقسمون الى سبع عمائر كبيرة وقد كانوا في زمن الفونج في حرب دائمة مع الحمدة فلما جاءت الحكومة المصرية انقطعت تلك الحرب وازدادت القبيلة عزة ومناعة حتى بلغ عدد رجالها قبل الثورة نحو ٥٠ ألفاً ولكن جارت المهدية عليها فسحقها سحقاً . وهم ينزلون في الصيف بين بحر ستيت وباسلام من فروع الاتبرا وفي الخريف ينزحون الى البطانة . ومن أماكنهم الشهيرة التومات على الاتبرا والجيرة على بحر ستيت ودوكة في البطانة .

« والحمران » وهم قليلو العدد لكنهم من أفرس قبائل العرب وأعزهم شأنًا وأعظمهم جرأة واقداماً . ونسأؤهم من اجل نساء السودان وأشدنهم تحصناً وعفافاً ، خبر تاجوج وعلتي ، ومنهن تاجوج بنت الشيخ أككد شيخ الحمران التي ظهرت في اواسط القرن الماضي وكانت ابرع نساء السودان قاطبة في الحسن والجمال حتى كان الناس يفدون من كل صوب للتفرج على جمالها . وقد تزوجها أولاً ابن عم لها يسمى محلقاً وكان يحبها محبة شديدة تقرب من العبادة فطلب اليها ذات يوم ان تتمشى امامه متجردة فأبت فألح عليها فتكدرت من الحاحه وقالت : اذا اجبت الى طلبك فاذا تفعل . قال : كل ما تريدن . قالت : اقسم لي انك تبر بقولك فأقسم لها فتجردت ومشت

امامه ذهاباً وإياباً الى ان قال : كفى ثم قال فاطلي الان ما تريدن قالت :
 و ان تطلقني في الحال ، فطار صوابه من هذا الطلب ووقع على قدميه
 ويسألها العفو ولما اصرت لم يربداً من البر بقسمه فطلقها وهام على وجهه ينشد
 في حبها الاشعار فحاكى فيها مجنون ليلي ومن اقواله المشهورة فيها :
 أنا الجنب^(١) التعيس سويت^(٢) بأيدي في كلمة مزاح قلت غيضي
 فواطر^(٣) ام قبيل^(٤) ملح الرشدي تاجوج ما اتلفت يا خله^(٥) زبيدي
 ومنه :

أمسى الليل وانجم الشمل وتلم الحيوانات حق النمل
 راقد رقاد الديك فوق الجبل يوم بلا تاجوج ما ينحمل
 وقال :

بعد الدلكه مثل الملجه^(١) وبعد العنقريب^(٢) أب علجه^(٣)
 قل لنسيتي أم قلجه راقد فوق برش في الدلجه^(٤)

ثم ان تاجوج بدد ما طلقها محلق تزوجها شاب من وجهاء قبيلتها وكان
 محلق افرس منه فأخذ يتأثره وكان حيث يحده يسلبه ماله ثم يرجعه اليه
 اكراماً لتاجوج . وبقي يتغنى بذكرها ويتأسف على فقدها الى ان مات .
 قالوا : ولما اشتد عليه المرض اكثر من ذكر تاجوج وألح على اهله ان يكتنوه
 من رؤيتها قبل موته فذهبوا الى تاجوج وأخبروها بما صار اليه محلق فرقت
 له وجاءت معهم وكان المكان غاصاً بالنساء اللواتي كن ينددن بها ليصرفن قلب
 محلق عنها فلما أطلت لم يسمعن إلا الوقوف احتراماً لها وإعجاباً بجمالها
 وأجلسنها الى جانب سرير محلق فلما رآته على تلك الحال وقد هزله المرض
 وأضناه الوجد تنهدت وقالت : و ألى هذه الحال صرت يا عشاي وأنا لا

(١) الجنب : المشوم . (٢) سويت بأيدي : جنيت على نفسي . (٣) الفواطر : الثنايا .
 (٤) ام قبيل : الجميلة . (٥) الحمة : الهم . والمعنى ظاهر .
 (١) الملجه : الملة الناعمة . (٢) العنقريب : السرير . (٣) اب علجه : المفروش بالحريز .
 (٤) الدلجه : الارض .

أدري ، ثم وضعت رأسه على ركبته وكان قد اغمي عليه فأفاق من اغمائه
وشخص اليها وأنشد :

أثابي ^(١) يا أم قبيل الغي ^(٢) عباده مسوحك بالعطر والناس مراضه
حسيسك ^(٣) في الضمير قاطع الكباده تقتلي الزول ^(٤) سريخ قبل الشهاده

ثم شق شهقة وأسلم الروح فأخذت تاجوج والنساء حولها يبكين ويذرين
التراب على رؤوسهن ويندبنه الى ان دفن ، وقد انشد بعضهم معرّضاً بموته
جوى قال :

أديته (الهجين) علق كبيت له عيش مو مسلّ ^(١)
على شان القنص ^(٢) طلابه ^(٣) حلق حاركم ^(٤) من قديم قاتل حلق

قبل وبعد موته غزا الهدندوة عرب المهران ف وقعت تاجوج أسيرة بين
أيديهم فاختلفوا فيها اختلافاً كاد يفضي الى سفك الدماء اذ كل فريق منهم
أراد ان تكون تاجوج نصيبه فنهض احد مشايخهم وقادى تاجوج من خباها
فلما أطلت طعنها بحرية في صدرها فقتلها وحسم النزاع وماتت تاجوج
مأسوفاً عليها من الجميع ، قالوا قد دفنت في مكان يقال له رأس الفيل بين
قوز رجب وكسلا وقبرها ظاهر يُزار . ولا يزال أهل السودان يضربون
المثل يميهاها وعشق حلق لها وينشدون اشعاره الى اليوم .

هذه هي قبائل العرب في البطانة ، وأما الصحراء الشرقية المعروفة ايضاً
بصحراء البجة فليس فيها من بادية العرب الا « الرشيدة » وهم قريبو عهد بها
وقد هاجروا اليها من الحجاز سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م لقتال وقع بينهم وبين
بعض القبائل هناك فعبروا البحر الاحمر من جدة ونزلوا في ارض الحَبَاب
وكانوا نحو الف رجل ومعهم اسلحتهم وأولادهم وإبلهم فاعترضهم الحَبَاب

(١) أثابي : حقاً . (٢) الغي : العشق . (٣) الحيس : الحب . (٤) الزول : الرجل .

(١) مو مسلّ : اي بلا كيل . (٢) القنص : يكتن به عن الحبوب . (٣) طلابه حلق :
حرموا عليه . (٤) الحار : الجوى .

وجرت بين الفريقين وقائع أدت الى سفك الدماء . وهم الآن فريقان احدهما تابع لحكومة السودان والآخر لحكومة الارثريا .

وأشهر قبائل العرب في صحراء النوبة :

« الحسانية » ومركزهم جبل الجلف في صحراء الجكدور وينتسبون الى

الكواهلة .

« والهاوير » قيل ان اصلهم من عرب الهوارة بصعيد مصر ويسكنون

صحراء جبرة .

« والخواوير » وهم مجاورون للحسانية والهاوير .

وأشهر قبائل العرب في بلاد كردوفان :

« الجوامعة » وهم فريقان المحران ومركزهم بارة والجميعية وأكثرهم

في الطيارة .

« والبُديرية » ومن أماكنهم خورسي والطيارة قيل وفيهم نسب للجعليين .

« والتشام » وهم يسكنون مع البديرية .

« والغدييات » وأهم مراكزهم البركة .

وهذه القبائل الاربع حضر وبقية سكان كردوفان بادية وهؤلاء إما أبتالة

وقنيتهم الابل وهم في الشمال وإما بقارة وقنيتهم البقر وهم في الجنوب

فالإبالة :

« الكبابيش » وهم أقوى بادية كردوفان وإبلهم أشهر الابل ومن مراكزهم

آبار الصافية وكجمر وعين حامد وقد انقسموا الى عدة عوائل وأفخاذ قيل

كان يبلغ عددهم نحو ربع مليون نفس فجاءت الثورة المهدية فنكلت بهم حتى

لم يبق ربع هذا العدد .

« ودار حامد » وهم مجاورون للكبابيش وأعداء لهم ، وأهم مراكزهم

بارة وينقسمون الى عدة عوائل أشهرها الجليدات والمجانين والمساعد والمرامرة

والنواحية والمريفية .

« وبنو جرّار » شرقي كردوفان وفي بلادهم يكثر النعام والفلان .

« وحَمَر » عربي كردوفان ومن مراكزهم ابر حراز والنهود . وفي بلادهم يكثر شجر التبليدي الملسر ذكره وهم يخزنون الماء فيه ويبيعونه للمسافرين بين كردوفان ودارفور .

البقارة : « الحوازمة » جنوبي كردوفان وأهم مراكزهم البركة وفي زمن الصيف يذهبون بماشيتهم الى جبال النوبة لارتياح الماء والكلأ حتى اذا جاء أوان المطر تركوا تلك الجبال فراراً من ذباب السروت وعادوا الى بلادهم .

« والجميع » في الجنوب الشرقي ومراكزهم شر كيلة قيل سموا بالجميع لأنهم ليسوا ابناء رجل واحد بل هم اخلاط من قبائل شتى واكثرهم من الجعليين .

« والهبانية » بين الحوازمة والجميع وأهم مراكزهم شر كيلة ويكثر في بلادهم السباع والفيلة ومنهم الأدلاء لجبال النوبة لأنهم أعرف العرب بطرق تلك الجبال « وأولاد حميد » وهم مجاورون للهبانية وأضداد لهم .

« والأحامدة » وهم في جوار الجميع .

« والحُمر » ومركزهم الاضية بين البركة وشكا .

« والمسيرية » في جوارهم .

وأشهر قبائل العرب في دارفور من الأباله :

« الزيدانية » ومركزهم مليط وهم يتجرون في النطرون والملح وينتسبون

الى ابي زيد الهلالي من عرب نجد .

« والماهرية » ومركزهم الدُور قيل هم ينتسبون الى مهرة في جنوب اليمن

وقيل هم والرزيقات قبيلة واحدة فسكنوا هم في الشمال واقتنوا الابل وسكن

الرزيقات في الجنوب فاقتنوا البقر وهم حلفاء الهاميد وأعداء الزيدانية

والبديات .

« والعطيفات » ومركزهم انكا بالقرب من مليط بين الزيدانية والماهرية .

« والمعاليه » وأكثرهم حضر ومن مراكزهم كركود شمالي الطويشه وقوز

المعاليه المنسوب اليهم . حلفاؤهم الرزيقات وأخصامهم الحمر .

« والمريقات » مركزهم 'كتم' ويظن ان اصلهم من المليقات القاطنين على النيل في فم وادي العلاقي شمالي كوروسكو .

ومن البقارة : « الرزيقات » وهم اكبر قبائل دارفور ويسمون تراب الهين (أي ملء الكفين) لكثرتهم ومركزهم شكا وهم ثلاث عمائر الماهرية وأم احمد والمحاميد وأقوامهم المحاميد وحلفاؤهم الهبانية والمعالية وقد قاوموا سلاطين الفور ولم يخضعوا لهم الخضوع التام ووقع لهم مع الزبير وقائع مشهورة رفيعهم حضر قليل .

« والهبنانية » من اهم بادية دارفور ومركزهم الكلكة ومنهم في كردوفان كما مر .

« والمسيرية » وقد ذكروا في كردوفان وهم اشداء مشهورون بالفروسية خصاؤهم بنو هلبه وحلفاؤهم « بنو منصور » الذين هم في رأي البعض فرع منهم .

« والتعايشة » الذين منهم عبد الله التعايشي خليفة المتهدي الاول ومركزهم مندوة قرب الكلكة وبلادهم مجاورة لبلاد الفراتيت وكان اكثر اشتغالهم في خطف الرقيق .

ثم ان التعايشة والهبنانية وأولاد حميد و'سلم هم اولاد حماد بن جنيد . والحوازمة والحمر والمسيرية والرزيقات هم اولاد اخيه عطيه . والكل ينتسبون الى جهينة .

« وبنو هلبة » ومركزهم 'بلبل' غرب داره وهم قبيلة جسيمة وقد اشتهروا بالمرَاوغة والتغلب واتباع الغالب ولذلك لم تضرهم المهدية بشيء ، وكانوا اذا ضيقت عليهم رحلوا الى دار 'سلا . خلفاؤهم الهبنانية والرزيقات وأصدادهم المسيرية وهم يدعون النسبة الى جهينة عن غير جنيد وقيل أنهم من الهوارة بمصر .

« وعرب البشير » ومركزهم 'عريدة' وهم قبيلة جسيمة لكن المهدية أضيققتهم .

« وبنو فضل ، وهم اهل زراعة وينتسبون للزيادة . ومن مراكزهم ساني
كرو على يمين الى الجنوب الشرقي من الفاشر .
« وبنو حسين والترجم وخزام والمهاري ، وهم مجاورون للمساليت .
« والكرويات ، في شرق كبكيية وأكثرهم تجار وفيهم علماء أجلاء .
« والحوتية ، في غرب كبكيية .
« والبرياب ، ومركزهم تولو وأكثرهم تجار .
« والحواير ، ومركزهم ودعه ، وقنيتهم الابل والبقر والخيول وهم
حضر وبادية .

هذه هي اشهر قبائل العرب في السودان من حضر وبادية ، وقد تبين مما
تقدم ان اهم الأصول التي يرجعون إليها في أنسابهم هي : بنو أمية وبنو
المباس وجهينة والزبير بن العوام وجعفر الطيار ، وان معظمهم ينتسب الى
جهينة وبني المباس إلا ان المنتسبين الى جهينة اكثر. والمشهور في نسب جهينة
انهم بطن من قضاة وقيل في قضاة انهم لعدنان وقيل لحير وهو الأرجح .
واسم جهينة مأخوذ من الجهن وهو غلظ الوجه . إلا ان انتساب العرب الى
هذه الأصول لأثبت له عندهم إلا ما حفظوه او لفقوه من القصص التقليدية
او الخرافية .

الأجانب ، أما الأجانب فيراد بهم الأقوام الذين هاجروا الى السودان
من مصر وغيرها من زمان غير بعيد ولم يفقدوا جنسياتهم ولغاتهم بعد وأهمهم :
« الحضور ، وهم نفر قليل من المصريين الذين هاجروا مصر قبل الفتح
الاول فسكنوا الخندق وشندي والمسلية وغيرها من مدن النيل ، واشتغلوا
بالتجارة فاشتهروا في السودان بالوداعة ولين الجانب وحب السلام .

« وأولاد الريف ، ويكنى بهم عن البيض عموماً من مصريين وأتراك
ومغاربة وشوام وأوروبيين وغيرهم وهم الذين دخلوا البلاد بعد الفتح الاول ،
وقد أطلق عليهم هذا الاسم لأن أكثرهم او كلهم دخلوا السودان من
ريف مصر .

«والمكادة» وهم الأحباش النصارى «والجبرته» وهم الأحباش المسلمون .
«والتكارنة» وهم في التخصيص مهاجرو بلاد التكرور التي الى جنوبي
برنو المعروفة الآن بالكتكو وفي التعميم يشملون سائر مهاجري السودان الغربي
من فلاتة وبرنو وباجرمي وغيرهم وهم متفرقون في جميع جهات السودان
ولا سيما في دارفور وكردوفان وسنار وكسلا واكثرهم في القلابات من اعمال
كسلا حيث كان يجتمع منهم في الرجبية نحو ٤٥٠٠٠ نسمة . وفي كردوفان
في جهة ابي حراز حلال معروف بحلال الفلاتة اتخذ اهلها العربية لغة لهم
ونسوا لغتهم وتحلقوا بأخلاق العرب وعاداتهم .

«والحلبية» وهم المعروفون في مصر بالفجر وفي الشام بالنور وهم في
السودان كما في مصر والشام قوم رُحّل يشتغل رجالهم بالحدادة وألعاب القرد
ونسأؤهم بالوشم وتبصير البخت وخفض البنات وكلهم يتعاطون الشحادة .

المولودون : أما المولودون فأعني بهم الفروع الخلاسية التي تولدت من
اختلاط هذه الاصول بعضها ببعض وهذا الاختلاط كثير جداً في السودان
لا سيما بين العرب والسود . ومما هو جدير بالاعتبار ان اكثر الممالك التي قامت
في السودان كان ملوكها من المولدين ، فملوك الفونج ووزراءهم الهمج وسلاطين
الفور المتقدم ذكرهم والوطاويط حكام البرقة في فازغلي في الوقت الحاضر كلهم
من مولدي العرب والسود . اما اسم المولدين في السودان فلا يشمل إلا المولدين
في هذا الجيل . وأما المولودون قبل هذا الجيل فيندرجون تحت اسماء القبائل
التي تولدوا منها .

وقد قدر عدد سكان السودان قبل الثورة المهدية في سنة ١٨٨١ بنحو
عشرة ملايين نسمة واما الآن فلا يزيدون عن اربعة ملايين نسمة لما قاسوه من
الحروب والمجاعات والأمراض والمظالم في اثناء الثورة المهدية . والجنس الغالب
فيهم العرب ثم السود ثم شبه السود ثم البجة ثم النوبة .
هذا ما اقتضى المقام ذكره من أصول السكان وقبائلهم ومواطنهم وسنأتي
على ذكر حضارتهم وعاداتهم إن شاء الله .

الباب الثاني

في

جغرافية السودان الادارية

الفصل الاول

في

مديريات السودان ومحافظاتها ومأمورياتها

تمهيد تاريخي :

ايشيوبيا : اول مملكة قامت في هذه البلاد هي مملكة ايشيوبيا امتدت من الشلال الاول عند اسوان الى اقاصي الحبشة شمالاً وجنوباً وانقسمت قسمين: ايشيوبيا العليا المعروفة الآن بالحبشة وايشيوبيا السفلى في شمالها وعليها كلامنا . واشتهر لايشيوبيا السفلى عاصمتان : نبتة عند جبل البرقل قرب الشلال الرابع ومروي عند البحراوية في رأس جزيرة مروي قرب شندي . وكانت ايشيوبيا معاصرة للفراعنة والفرس والبطالسة والرومان الذين ملكوا مصر على التوالي وبقيت الى آخر عهد الرومان في مصر سنة ٦٤٠ ب. م. فدالت دولتها ..

النوبة والبجة : وقام مكانها بملكتان مملكة النوبة على النيل بين الشلال الاول والحبشة ومملكة البجة في الصحراء الشرقية . وكان النوبة والبجة كما كان اهل ايشيوبيا وثنيين وديانتهم كديانة المصريين القدماء حتى ظهرت النصرانية في مصر فانتحلها النوبة في القرن السادس للمسيح وبقي البجة على

الوثنية الى ان كان الاسلام في جزيرة العرب وفتح العرب مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م فخالطوا البججه وعلوم الاسلام فاعتنقوه على ضعف كما مر . واشتهر للنوبة في النصرانية مملكتان : النوبة السفلى امتدت من الشلال الاول الى الشلال الرابع وعاصمتها دنقلة المعجوز والنوبة العليا وتسمى ايضا مملكة علوه امتدت من الشلال الرابع الى اعالي جزيرة سنار وعاصمتها سوبه عن يمين النيل الازرق على ١٥ ميلا من الخرطوم .

مملكة سنار : وما زال العرب المسلمون في مصر يرالون غزواتهم على النوبة السفلى حتى فتحوها سنة ٧١٧ هـ ١٣١٨ م . وهاجر العرب افواجا من مصر والحجاز فاتحدوا مع الفونج في جنوبي سنار ففتحوا النوبة العليا سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م وأدخلوا اهلها في دين الاسلام وأسسوا مملكة في سنار امتدت شوكتها من الشلال الثالث الى جبال فازوغلي شمالا وجنوبا ومن سواكن ومصوع على البحر الاحمر الى النيل الابيض شرقا وغربا .

مملكة دارفور : واختلط العرب بالفور فأسسوا مملكة في دارفور امتدت من بشر النورون في الصحراء الكبرى الى بحر الغزال شمالا وجنوبا ومن النيل الابيض الى ترجة برقو شرقا وغربا .

الكشاف والدولة الغلية : ثم ان السلطان سليم الفاتح لما فتح مصر ارسل سرية من العساكر التركية الى النوبة السفلى سنة ١٥٢٠ م فأسسوا حاميات في اسوان وابريم وجزيرة ساي وحكوا البلاد الى الشلال الثالث وعرفوا بالكشاف . ومد السلطان سليم فتوحاته في البحر الاحمر فاحتل سواكن ومصوع وزيلع وبربره وجعلها تحت حكم الحجاز . فأصبح في السودان الذي عليه كلامنا مملكتان قويتان: مملكة دارفور ومملكة سنار ومعها حكم الكشاف الاتراك في النوبة السفلى ثم حكم الدولة الغلية في سواكن ومصوع وزيلع وبربره .

الفتوح المصري : وبقيت هذه القوات سائدة في السودان الى ان تولى مصر البطل الهمام الطيب الذكر المنفور له محمد علي باشا جد العائلة الحديوية

الكريمة فأرسل ابنه اسماعيل باشا بجيش جرار الى السودان سنة ١٨٢٠ م ففتح النوبة الشمالية من الكشف ومملكة سنار (وتشمل بلاد دنقلة وبربر والخرطوم وسنار وفازوغي) من الفونج وأرسل صهره الدفتدار الى كردوفان ففتحها وسلخها عن سلطنة دارفور سنة ١٨٢١ م ثم أتم خلفاؤه الفتح ففتحوا التساكا سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤٠ م ودارفور سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م . ومدوا فتوحاتهم الى بلاد السود ففتحوا فاشودة سنة ١٨٦٥ م وخط الاستواء سنة ١٨٧١ م وبحر الغزال سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م وأخذوا بلاد هرر بعد ان كان يحكمها عائلة من اهلها سنة ١٨٧٤ م . وكان الباب العالي قد تنازل عن سواكن ومصوع سنة ١٨٦٦ م . وتنازل عن زيلع وبربره سنة ١٨٧٥ م . مقابل زيادة على ضريبة مصر السنوية . وبذلك امتدت البلاد من الشلال الاول عند اسوان الى بحيرة فكتوريا نيانزا شمالاً وجنوباً ومن البحر الأحمر الى حدود وداي شرقاً وغرباً وانقسمت الى عشر مديريات وهي دنقلة وبربر والخرطوم وسنار (وتشمل فازوغي) وفاشوده وخط الاستواء وبحر الغزال ودارفور وكردوفان وكسلا وثلاث محافظات وهي سواكن ومصوع وهرر . وأطلق عليها اسم « السودان المصري » وجعلت عاصمتها الخرطوم وحدها الشمالي خور موسى باشا عند الشلال الثاني لا اسوان عند الشلال الاول كما كان قبل الفتح . وأما البلاد بين الشلال الاول والثاني فقد ضمت الى مديرية أسنا آخر مديريات مصر الجنوبية .

الثورة المهدية : وبقيت مصر سائدة على السودان الى ان كانت الثورة المهدية المشهورة سنة ١٨٨١ م فاضطرت أن تتقهقر سنة ١٨٨٥ الى حدها الشمالي عند الشلال الثاني وسقطت البلاد كلها بيد المهدي ثم بيد خليفته من بعده إلا « هرر » فانها أعيدت سنة ١٨٨٤ الى العائلة التي كانت تملكها قبل الفتح فأخذها الأحباش منها عنوة سنة ١٨٨٥ « وزيلع وبربره » فانها سلمتا للانكليز في تلك السنة « ومحافظة مصوع » فانها سلمت للتليان سنة ١٨٨٦ . « وسواكن » فإن الثورة لم تقوَ عليها . وقسم الخليفة السودان الى عمالات

بدل المديريات وجعل عاصمته أم درمان بدل الخرطوم وجعل مديريات الخرطوم وسنار وفاشوده عمالة واحدة تحت أسم عمالة الجزيرة وقسم كسلا الى عمالتين القلابات او (القصارف) وكسلا وجعل عمالة في طوكر فكانت عمالته تسماً وهي دنقلة وبربر وام درمان والجزيرة والقلابات ودارفور وكردوفان وبحر الغزال وخط الاستواء .

استرجاع السودان : وبقيت البلاد في يده الى ان عادت مصر فاسترجعتها بلاداً بعد بلاد برأي الانكليز ومعونتهم فبدأت بفتح طوكر في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ م وانتهت بقتل الخليفة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ .

السودان الانكليزي المصري : وانتقل السودان المصري بعد الفتح الأخير الى طور جديد فرفعت فوقه الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية وفُصل عن مصر فجعل له حكومة جديدة باسم «السودان الانكليزي المصري» يتولاه وال يختاره الانكليز ويؤيده الجناب العالي الخديوي ا وهو يشمل جميع بلاد السودان المصري إلا ما تركه مصر بسبب الثورة المهدية (وقد تقدم ذكره) وبني شنقول ، من اعمال فازوغي التي آلت الى الحبشة في آخر حكم التعايشي والقسم الجنوبي من مديرية خط الاستواء ، الذي ألحق بأوغندا التابعة للانكليز ومنه مقاطعة اللادو التي أعطيت للملك البلجيك مدة حياته على أن تعود للانكليز بعدها ، فأصبح الحد الجنوبي للسودان الجديد فامكه على النيل الأزرق بدل فدا سي ، ومنجالا على النيل الأبيض عند خط ٥° من خطوط العرض تقريباً بدل بحيرة فكتوريا نيانزا .

مديرية أسوان والحد الفاصل بين مصر والسودان : وكانت مصر عند رجوعها الى الحدود سنة ١٨٨٥ قد فصلت البلاد التي بين اسوان وحلفا عن مديرية اسنا وجعلتها محافظة قائمة بذاتها تحت الاحكام العسكرية وسمتها محافظة الحدود . ثم أُلغيت مديرية اسنا وضمّت الى مديرية قنا فمدت محافظة الحدود الى السباعية على ٨٠ اميال شمالي أدفو . وبعد فتح دنقلة سنة ١٨٩٦ بقيت هذه

جغرافية السودان

المحافظة على حدودها وأحكامها ولكن بدل اسمها فسميت محافظة النوبة تساهلاً . ثم بعد فتح ام درمان وفصل السودان عن مصر في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ جعل الحد الفاصل بين القطرين خط ٢٢° من خطوط العرض الشمالي وجعل الحد على النيل بركة قرص غرباً وبركة أدندان شرقاً بحيث صارت قرص تابعة للسودان وأدندان لمصر ووضع عند كل بركة علامة مكتوب على وجهها الشمالية مصر والجنوبية السودان وسميت البلاد التي بين أدندان والبسائية بمديرية اسوان وأصبحت وسطاً بين مصر والسودان فكانت تابعة للعربية في ادارة شؤونها وأحكامها وللداخلية في مالياتها الى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٠٠ فألحقت بالداخلية . ومع ذلك فهي تدخل في كلامنا بالنظر الى علاقتها الماضية بالسودان وسنأتي على ذكر مدنها وآثارها الشهيرة في الفصل التالي.

وقسمت بلاد السودان الجديدة الى مديريات ومحافظات كما كانت في الفتح الاول مع بعض التحويل الذي اوجبه الاحوال في الحدود والعواصم والمأموريات والمراكز اهمه قسمة كل من مديرتي دنقلة والخرطوم الى مديريتين . وهذه هي :

مديريات

السودان الانكليزي المصري

ومحافظاتها وعواصمها وحدودها ومأمورياتها ومراكزها الآن

اسم المديرية او المحافظة	حدودها	مأمورياتها مراكز المأمورات
محافظة حلفا	تمتد على النيل من برية فرس قرب خط ٢٢ من العرض الشمالي الفاصل بين مصر والسودان الى عكاشه . ويمجدها من الشرق طريق الصحراء التي بين كورسكو والمرات ومن الغرب طريق الاربعين . وهي مشهورة بنخيلها والشلال الثاني المنسوب اليها وسكة الحديد المتفرعة عنها وجميع سكانها من النوبة وقد احصى عددهم بعد الفتح الاخير فبلغ نحو ١٤ الف نسمة .	حلفا حلفا
مديرية دنقلة	تمتد على النيل من عكاشه الى حلة برقي عند الشلال الرابع . ويمجدها من الشرق خط ممتد من حلة برقي الى آبار جبرة مار بآبار الجكدول ومن الجنوب خط يصل آبار جبرة بآبار عين حامد . وهي مشهورة بكثرة نخيلها وخصب ارضها وهي المديرية الوحيدة في السودان الآن التي تزيد ايراداتها على مصروفاتها . وسكانها من النوبة والعرب وقد قدر عددهم قبل الثورة بنحو ٧٥ الف نسمة وبلغ بعد الفتح الاخير ٦٣ الف نسمة .	دلقو الحسن ارقو دنقلة الحندق الدبة كورتى صنم
عاصمتها دنقلة الاوردي		سكوت والحسن ارقو دنقلة الحندق الدبة كورتى مروي

اسم المديرية او المحافظة	حدودها	مأمورياتها	مراكز المأموريات
مديرية بربر عاصمتها بربر	تمتد على النيل من حلة برقي الى حجر المسل في رأس الشلال السادس ويمحدها شمالاً في الصحراء عرض ٢٢ وشرقاً آثار كوكري في طريق سواكن وبربر وجنوباً ميتايب على الاقرا وابو دليق في البطانة وغرباً دنقلة . وهي تتار بكثرة الدوم وعدد سكانها نحو ٥٠ الفاً من عرب وبجة .	الرباطاب	ابو حمد بربر الزيداب الدامر شندي
مديرية مدينة الخرطوم عاصمتها الخرطوم	وهي مدن الخرطوم وام درمان والحلفاية تحيط بها دائرة نصف قطرها ١٠ اميال . وهي مركز ادارة السودان وتجارتها . وسكانها عرب واخلاق من جميع الاجناس .	الخرطوم	الخرطوم أم درمان الحلفاية
مديرية جزيرة الخرطوم عاصمتها الكاملين	وهي بالتقريب مديرية الخرطوم القديمة ما عدا مديرية مدينة الخرطوم المتقدم ذكرها وتمتد على النيل الكبير من حجر المسل الى الحلفاية وعلى النيل الازرق من الخرطوم الى ابي حراز عند ملتقى الرهد بالنيل الازرق وعلى النيل الابيض من ام درمان الى الجبلين . وتمتد شرقاً في البطانة الى ابي دليق وغرباً الى جبرة . وهي ام مديريات السودان وأخصبها تربة . وسكانها عرب من حضر وبادية وبلغ عددهم بعد الفتح الاخير نحو ٢٠٠ الف نفساً .	الكاملين	الكاملين المسلمية عُبود أبو حراز رفاعة الكوه
مديرية سنار عاصمتها ودمدني	وهي تمتد على النيل الازرق من مصب الرهد الى ما وراء قامكه على حدود الحبشة ويمحدها من الشرق نهر الرهد والحبشة ومن الغرب جبل سجدني وجبل قلي . وسكانها عرب من حضر وبادية وبينهم قليل من السود وقد احصي عددهم بعد الفتح الاخير فكانوا نحو ١٤٠ الف نسمة . وام معادنها الذهب . وام تجارتها الصمغ والريش والسمن والذهب .	الكوه	قوز اوجمه أبو دليق ودمدني ودمدني ودالعباس سنار كر كوج الرصيرص دار الفونج

اسم المديرية او المحافظة	حدودها	مأموريتها	مراكز المأموريات
محافظة فاشوده عاصمتها فاشوده	وهي تمتد على النيل الابيض من الجبلين الى بحيرة نو ومنها على بحر الجبل الى قرب اللاذ على خط هـ من المرحل الشمالي تقريبا . ويحدها من الشرق مديرية سنار والحبشة ومن الجنوب ارفندا ومن الغرب كردوفان وبحر الغزال . وهي بلاد خصبة الى الغاية وام حاصلاتها الذرة والسن والریش . ومبظم سكانها سود .	فشوده (مراكز التوفيقية	فشوده (بوليس) التوفيقية الناصر سبت
بحر الغزال عاصمتها واو	وهي البلاد التي يروها بحر الغزال وقروعه وحدتها من الشمال بحر العرب وبحر الغزال الفاصلان بينها وبين دارفور وكردوفان ومن الشرق بحر الجبل الفاصل بينها وبين فشوده ومن الجنوب ولاية الكونغو الحرة ومن الغرب الجبال الفاصلة بينها وبين الكونغو الفرنسية . وهي تنقسم قسمين : شمالي وهو سهل خصبة صالحة للزراعة تكثر فيها الغابات والحراج ، وجنوبي وهو قليل الخصب يرتفع تدريجيا حتى ينتهي الى الجبال الفاصلة بينها وبين نهر الكونغو . وجميع سكانها من السود . وزراعتها الذرة والدخان والتيلبون والموز . وام معادنها النحاس والحديد . ومحصولاتها التي تدخل في المتجر السن والخرتيت والریش والستك والعسل والشمع والتمر الهندي والنحاس . وام ما يروج عندهم الحرز الملون وهم يتعاملون به وبالنحاس والحديد .		
مديرية كسلا عاصمتها كسلا	يحدها من الشمال خور الانقيب وبشر تندرا ومن الجنوب حدود الحبشة بقرب القلابات ومن الشرق الارتريا والحبشة ومن الغرب مديرية الجزيرة وسنار . وسكانها نحو ٤٣ الف من عرب ويجه .	كسلا القضارف القلابات	كسلا القضارف القلابات

اسم المديرية او المحافظة	حدودها	مأموراتها	المسويات
محافظة سواكن عاصمتها سواكن	وهي تمتد على البحر الاحمر من رأس عليبة عند خط ٢٢ من العرض الشمالي الى رأس قصار . ويحدها من الجنوب الارترية ومديرية كسلا ومن الغرب مديرية بربر . وقد قدر سكانها بعد الفتح الاخير بنحو ١١٩ الف نسمة وكلهم من اصل البجة .	سواكن طوكر	سواكن طوكر
مديرية كردوفان عاصمتها الآبيّص	يحدها من الشمال خط يمتد من جبهه الى وادي الملح بقرب عين حامد ومن الجنوب بحر الغزال وبحر العرب ومن الشرق مديريتا الجزيرة وفاشودة ومن الغرب دارفور .	الآبيّص بارة الطيطارة	الآبيّص بارة الطيطارة
دارفور عاصمتها الفاشر	وأهم حاصلاتها التجارية صمغ المشاب والسن والريش والجلود، وقد بلغ الوارد منها الى مصر سنة ١٨٧٨ نحو ١٣٢ الف وخمس مئة جنيه من الصمغ والريش والجلود غير المدبوخة ، وسكنها عرب من حضر وبادية أبالة وبقارة وقد قدر عددهم سنة ١٨٧٥ بنحو ٢٨٠ الف نسمة واما الآن فالأرجح انهم لا يبلغون نصف ذلك وام زراعتها الدخن يزرع على الامطار . ومن معادنها الحديد والذهب .	خورسي الدويم كدارو السنوط	خورسي الدويم كدارو السنوط
	يحدها من الشمال بشر النرون في طريق الاربمين ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق كردوفان ومن الغرب وادي . وهذه البلاد لم تدخل بعد تحت التقسيم الاداري الجديد والقائم بأمرها الآن الامير علي دينار بن الامير زكريا بن السلطان محمد الفضل على جزية يدفعها لحكومة السودان . وسكانها ثلاثة اجناس : السود وشبه السود والعرب من حضر وبادية . وقد قدر عددهم سنة ١٨٨١ بنحو مليون ومئة وخمسة الف نسمة النصف من السود وشبه السود والباقي من العرب والباقي من التكاوغة . وأهم تجارتها السن والريش والجلود والدخن . ومن معادنها الرصاص .		

الفصل الثاني

في

مدن السودان وآثارها

مدن مديرية اسوان «التابعة الآن لمصر» وآثارها

«أسوان» (ش) هي عاصمة المديرية واسمها في القبطية سوان فزاد العرب الألف عليها لعدم الابتداء بالساكن وهي واقعة في رأس الشلال الاول على ٥٩٠ ميلاً من القاهرة وفيها آثار كثيرة تدل على قدمها وعظم أهميتها منها خرائب هيكل من ايام البطالسة . وذكر المؤرخون ان قد كان فيها بئرٌ عجيبة تقع فيها أشعة الشمس عمودية في المنقلب الصيفي حتى تضيء جميع جوانبها من الداخل ولكن لم يُهتدَ الى مكان هذه البئر بعد . وإلى الجنوب الشرقي من اسوان مقلع الغرانيت الصافي المشهور الذي أخذت منه مسلات الأقصر والمطرية والاسكندرية وبعض الحجارة الكبيرة في بعلبك وتدمر وجهات اخرى في الشرق ولا يزال فيه مسلة ضخمة غير مفصولة عن الطبقة الاصلية كأن لم يعد لأصحابها فرصة لقلعها الى المكان المعد لها فبقيت بعدم تنادي بلسان حالها :

ما درى الناحتون من قبل لحقي قل من نال في الحياة مرامه
ان قصر الحياة يثنيه عنه وعلى قصرها بقيت علامة

وطول هذه المسلة نحو ٩٥ قدماً وعرضها يزيد عن ١١ قدماً . وبين هذا المقلع وأسوان مقبرة كبيرة فيها أضرحة مشايخ وأولياء من المسلمين عليها كتابة بالقلم الكوفي . وقد أقامت الحكومة حامية حصينة في اسوان مدة الثورة المهدية فزهت لازدحام الناس فيها من ذلك الوقت . وشيد لها العساكر رصيفاً متيناً سنة ١٨٨٧ فبنى عليه اهلها الابنية الفاخرة وفي جملتها نزل كبير للسياح بناء المرحوم بطرس بك مركيس من كبار تجارها الأقباط . وقد كانت اسوان ولا تزال مركزاً مهماً للتجارة مع السودان ولها طريق مشهور منذ القديم في الصحراء الشرقية الى بربر طوله ٤٧٣ ميلاً . وبينها وبين قدم الشلال سكة حديد طولها ٩ أميال مدة سنة ١٨٧٤ . وقد كان يمر بأسوان من البضائع في السنة قبل الثورة المهدية ما تقدر قيمته بنحو ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه .

وعدد سكان اسوان الآن نحو ٩٠٠٠ نسمة وهم اخلاط من اجناس مختلفة من السود والنوبة والقبط والمصريين والأتراك (المتخلفين من عساكر السلطان سليم) وبينهم تجار من الأروام والشوام وغيرهم ويظهر انها كانت قديماً اكبر كثيراً مما هي الآن ، فقد ذكر مؤرخو العرب انها رزئت في بعض السنين بالطاعون فمات من اهلها ٢٠٠٠٠ نفس . وقد ظهر في هذه المدينة العالم المؤرخ الشهير سليم الاسواني صاحب تاريخ النوبة والبجة الذي نقل عنه المقرئزي معظم اخباره عن النوبة والبجة ، وقد بحث عن هذا التاريخ بحثاً دقيقاً فلم ألق له على اثر ويقول بورخارت السائح الالماني الشهير انه بحث عنه في مكاتب مصر كلها فلم يجده .

ونبع من اسوان في هذا العصر العالم الفاضل والشاعر المطبوع الشيخ احمد الجدأوي الأزهرى الذي تولى بعض مراكز القضاء في السودان ومصر فنال فيها شهرة طيبة وقد ألفت أرجوزة في الميراث طالعها عليه فاذا هي اسهل

ارجوزة رأيتها في هذا الباب وله قصائد تاريخية شهيرة في مدح الحضرة الخديوية تشهد له بتوقد الذكاء وسلامة الذوق وكانت وفاته في شهر ابريل سنة ١٩٠٢ تقمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه .

وتجاه اسوان في البر الغربي أكمة مرتفعة على رأسها قبة غير بعيدة العهد تعرف « بقبة الهواء » ولعلها مدفن احد النساك . وتحت هذه القبة أطلال « دير » للأقباط على شكل قلعة من بقايا القرن السادس او السابع للميلاد . ويحاذيها في صدر الاكمة « مدافن قديمة » منقورة في الصخر من عهد الدولة السادسة والدولة الثانية عشرة المصرية وقد كانت مطمورة بالرمال التي تلتسها الرياح من الصحراء فكشفها السر فرنسيس غرنفيل باشا السردار الاسبق سنة ١٨٨٧ بهمة وهداية مصطفى بك شاكر وكيل قنصلاتو انكلترا في ذلك الحين وأخرج منها موميات وتحفا شتى .

وتجاه اسوان في النيل جزيرة « الفنتين » المار ذكرها اتخذها ملوك الدولة الخامسة المصرية كرسياً لهم ، وبنى فيها الملك أمنوفيس الثالث هيكلًا لا تزال آثاره ظاهرة الى الآن . وفيها المقياس الذي تقدم ذكره في الكلام على النيل وآثار اخرى قديمة العهد .

وفي منتصف الشلال الاول الواقع في جنوبيها جزيرة صغيرة تعرف « بجزيرة سهيل » وجد فيها سنة ١٨٨٩ حجر قديم مكتوب عليه بالهيروغليفية ان قد حصل جوع شديد في مصر في أيام ملك من ملوك الدولة الثالثة المصرية دام سبع سنين .

وقد باشرت الحكومة المصرية منذ ثلاث سنين ونيف بناء « خزان » كبير عند منتصف هذا الشلال شبه القناطر الخيرية شمالي مصر والقصد منه خزن بعض مياه الفيض للأمن من الشرق وتوسيع نطاق الري في البلاد ولا سيما في الوجه القبلي . والبناء الآن على وشك الانتهاء ، وهو اعظم عمل أنشئ في عصر خديوتنا الحالي المعظم بل هو من اعظم الأعمال التي أنشئت في وادي النيل من اول عهد التاريخ الى ان يوم . الفضل الأعظم فيه كما في غيره

من الاعمال الجليلة التي قامت في مصر منذ عشرين سنة الى الآن عائد الى دولة الوزير الخطير رجل اصلاح الشهير الفيكونت كزومر وكيل أنكلترا السياسي وقنصلها الجنرال في مصر الذي يجدر بمصر ان تشكر له هذه المآثر الفراء أبد الدهر . اما واضع مشروع الخزان فهو المستر ويلكوكس من رجال الري العظام .

وينتهي الشلال الاول عند جزيرة « قبلي » وهو الاسم الذي اطلقه عليها اليونان والرومان ، وأما المصريون القدماء فقد سموها بما ترجمته « الحدود » وذلك لوقوعها في الطرف الجنوبي للشلال وهو الحد الطبيعي بين مصر والسودان . وأهم ما في هذه الجزيرة الآن آثار هيكل جميل الصنعة من بناء البطالسة والرومان يسمى قصر انس الوجود أقاموه لعبادة الإله أيسس . وكان المصريون القدماء والأثيوبيون يحترمون هذه الجزيرة ويعبدونها من أقدم محلاتهم حتى انهم لم يسمحوا لأحد ان يسكنها إلا الكهنة لأنه يقال انها احدى مدافن الإله أوسيرس الذي لم يحسر احد ان يحلف باسمه باطلا وقد استمرت عبادة هذا الإله في الجزيرة الى سنة ٤٥٣ م وذلك بعد منشور ثيودوسيوس (الذي أصدره ضد الديانة الوثنية) بسبعين سنة . ولما زارها سترابو وجد سكانها من أثيوبيين ومصريين يعبدون الصقر فقال : « ولكن الصقر الذي يعبدونه اكبر من صقر بلادنا وصقر مصر يختلف عنها في لون ريشه وقد قيل لنا انه أثيوبي وانه عند موته بقليل يؤتى بغيره من ايثيوبيا والصقر الذي شاهدناه كان مريضاً في حالة النزاع » . وفي هذه الجزيرة مقياس قديم للنيل كالذي في جزيرة الفنتين . وفي الطرف الشمالي منها آثار كنيسة للأقباط الأقدمين .

اما البلاد التي من جنوبي الشلال الاول الى حلغا فليس فيها الآن ما يستحق الذكر سوى آثارها وأشهر هذه البلاد :

« دبود » (غ) على بعد ١٠ ١/٢ ميل من جزيرة قبلي وهي قرية صغيرة فيها خرائب هيكل للملك ادخرا من ملوك ايثيوبيا الذي حكم في أواسط

القرن الثالث قبل المسيح ويُظن أنها كانت في بعض العصور الحد الفاصل بين مصر وإثيوبيا . وإلى الغرب من دبود على يمين منها واحة « كركر » وهي واحة صغيرة فيها نخيل وآبار ولكنها غير مسكونة .

« وكلاشه » (غ) على بعد $28\frac{3}{4}$ ميل من دبود وهي بلدة صغيرة واقعة على خط السرطان تماماً وفيها هيكلان قديمان أحدهما أكبر الهياكل في بلاد النوبة أسسه طوطمس الثالث سنة ١٦٠٠ ق. م. فتهدم فبنى فوقه البطالسة والرومان الهيكل الباقية آثاره إلى الآن. ولما انتحل النوبيون الديانة النصرانية طلوا جدرانهم بالطين وحوّلوه كنيسة لهم والهيكل الآخر من آثار رمسيس الثاني ثاني ملوك الدولة التاسعة عشرة المصرية نحته في الصخر وجعله تذكيراً لنصرته على الإثيوبيين وسيأتي ذكره .

« ودكا » (غ) على بعد $32\frac{1}{4}$ ميل من كلاشه وفيها هيكل أسسه ارجينس أحد ملوك إثيوبيا وأتمه وزخرفه البطالسة والقيصرية .

« وكوبان » تجاه دكا في رأس وادي العلاقي وفيها آثار قلعة حصينة قيل أن رمسيس الثاني بناها لحماية الطريق المؤدية إلى معادن الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية .

« والمحرقه » (غ) على بعد $7\frac{1}{4}$ ميل من دكا وقد كانت آخر حد اليونان والرومان الجنوبي في بلاد النوبة . وهناك هيكل من آثار البطالسة والقيصرية حوّلته النصارى الأولون إلى كنيسة كغيره من هياكل النوبة كما هو ظاهر إلى الآن .

« والسبوغ » (غ) على ٢٠ ميلاً من المحرقه وفيها هيكل جميل من بناء رمسيس الثاني وسيأتي ذكره في تاريخ إثيوبيا . قيل سميت الحلة بالسبوع لأن الداخل إلى هيكلها كان يمشي بين صفين من تماثيل السباع الرابضة التي لا يزال بعضها باقياً إلى اليوم .

« وكورسكو » (ش) وهي بلدة صغيرة على $12\frac{1}{4}$ ميل من السبوع وهي أقرب نقطة في نيل مصر إلى أبي حد وبينها طريق تجارية شهيرة طولها نحو

٢٤٠ ميلاً غرباً بآبار المرات المار ذكرها . وقد اتخذت الحكومة هذه البلدة مركزاً من المراكز العسكرية في الحدود مدة الثورة المهدية وبنت فيها ثكنات للمساكن فزهت ولكن فقدت أهميتها الآن لا سيما بعد انشاء سكة الحديد من حلفا الى انبي حمد واصبحت مخزن فحم للوابورات التي بين اسوان وحلفا .

« عمدة » (غ) على ٧١/٢ ميل من كورسكو وفيها هيكل صغير من عهد الدولة الثانية عشرة المصرية وهو أقدم هياكل النوبة وأجلها .

« الدر » (ش) على ٤ أميال من عمدة وفيها هيكل صغير منحوت في الصخر أقامه رعمسيس الثاني لعبادة آمّن رع وكان اسمها في القديم ما ترجمته مدينة هيكل الشمس . وكانت مركز الكشاف الذين حكموا النوبة منذ أيام السلطان سليم وبقيت كذلك الى الفتح المصري سنة ١٨٢٠ فدخلت في حوزة مصر ولا يزيد عدد سكانها الآن عن الالف نسمة وأكثرهم من سلالة الكشاف .

« ابريم » (ش) على بعد ١٣ ميلاً من الدر وهي قرية صغيرة في مكان برعيس القديمة وفيها آثار من أيام الدولة الحادية عشرة المصرية فما بعدها ومنها آثار قلعة من عهد الرومان مبنية بحجارة أقدم من ذلك العهد وعلى احد تلك الحجارة اسم طهراق الذي ملك ايشيوبيا ومصر سنة ٧٠٠ ق م . وهي إحدى الحاميات الثلاث التي أقامها السلطان سليم في بلاد النوبة وبقيت ذرية عساكر السلطان سليم فيها الى ان طردهم الغزو (الماليك) منها سنة ١٨١١ وم فارتون من وجه محمد علي باشا الى سنار .

« وابو سمبل » (غ) على ٣٤ ميلاً من ابريم وفيها هيكل منحوت في الصخر في منحدر تلة تطل على النيل من بناء رعمسيس الثاني وهو اعظم الهياكل في بلاد النوبة وأجلها وسيأتي وصفه في تاريخ ايشيوبيا .

« وفريج » (ش) تجاه ابي سمبل وفيها هيكل صغير منحوت في الصخر لأمعنوتب الثالث اتخذ نصرارى النوبة كنيسة لهم في اول عهد النصرانية عندهم وفيه الى الآن صورة للمسيح وهناك كتابة ١٤ سطراً بأحرف قبطية

ولغة غير مفهومة سماها بعضهم اللغة الاثيوبية المسيحية. وفي التلة القائمة عليها قلعة ابريم حجر عليه كتابة بهذه اللغة .

« وطوشي » (غ) وقد اشتهرت حديثاً للواقعة التي حصلت فيها سنة ١٨٨٩ بين الجيش المصري بقيادة غرنفيل باشا السردار الأسبق وجيش الدراويش بقيادة عبدالرحمن النجومي المشهور وقد أقيم في مكان الواقعة حجر تذكراً لها .

مدن محافظة حلفا وآثارها

« فرص » وهي اول محافظة حلفا وحد السودان الشمالي على النيل كما مر وفيها أطلال مدينة قديمة يُظن انها من عهد الرومان وخرائب أقدم من هذا العهد وفي الشلال التي الى غربها ثلاثة أضرحة قديمة منحوتة في الصخر حول نصارى النوبة احدها الى كنيسة وغشوا جدرانها بكتابات قبطية بينها كثير من آيات التوراة والمواعظ . وتجاه فرص في الشرق « بركة ادندن » التي هي آخر حد مصر الجنوبي .

« وحلفا » (ش) وهي قرية صغيرة على ٢٢٦ ميلاً من الشلال الاول وفي عرض شمالي ٢١٥٥ وطول شرقي ٣١٦٩ . والى جانبها قشلاق حصين أقام فيه الجيش المصري ايام الثورة المهدية محافظاً على الحدود وبنى فيه اسبنتالية عسكرية وسجناً حربياً . ومنه تبتدىء السكة الحديد فتفرع فرعين فرعاً يحاذي النيل الى الكرمة وفرعاً يقطع الصحراء الى ابي جد والخرطوم وسبأتي الكلام عليها . وفيه معمل لصب الحديد والنحاس على شبه غابر بولاق ومخازن لأدوات سكة الحديد ووابورات النيل . وفيه مركز المحافظة وللقويندانية وجامع قديم .

والى شماليه على نحو ميلين منه بلدة « التوفيقية » التي كانت تعرف قديماً بدبروسه فبنى فيها المغفور له توفيق باشا الحديوي السابق جامعاً فسميت باسمه وقد اجتمع اليها التجار فأقاموا فيها بندراً من أهم البنادر التجارية في الحدود.

وبين التوفيقية وفيرص آثار جثة من عهد الفراعنة والرومان ونصارى النوبة .

وتجاه حلفا في البر الغربي بقايا هيكلين قديمين احدهما من بناء اوسرتسن الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة المصرية وقد وُجد في احدى غرفه المعروفة بقدس الاقداس حجر عليه صورته وصور رؤوس القبائل التي تغلب عليها فنقل الحجر الى فلورنسا بإيطاليا . وثانيهما من بناء طوطمس الثاني والثالث من ملوك الدولة الثامنة عشرة المصرية وفيه اخبار انتصار طوطمس الثالث على الليبيين والفينيقيين وغيرها وأسماء بعض أمراء كوش من ايام الدولة التاسعة عشرة والعشرين . والى الجنوب من حلفا على بعد ميلان منها يبتدىء الشلال الثاني المنسوب اليها .

والى الجانب الغربي منه على بعد خمسة أميال من حلفا حجر عظيم مشرف على الشلال يعرف « بحجر ابي صير » يقصده السياح للتفرج على الشلال من أعلاه وقد اعتادوا ان ينقشوا أسمائهم عليه تذكراً لزيارتهم الشلال فحبدأ هذه العادة لو اقتصر على مثل هذا الحجر فان نقش الأسماء على حجر « غشم » أثر تاريخي جميل لكنك قلما تزور أثراً من الآثار البديعة التي تركها لنا الأولون الا وتجد جدران مشوهة بأسماء السياح والزوار الذين يتساقون وقد ترى في بعض الآثار كتابة تاريخية او نقشاً بديعاً من اجل ما صنعت يد انسان ويحانب تلك الكتابة او النقش او في وسطها اسم شخص منقوش أقبح نقش بأحرف كبيرة كأن صاحبه يريد ان نعتاض اسم جنابه عن زخرف ذلك الأثر المفيد وبهائه . والله في خلقه آيات .

وتجاه ابي صير في البر الشرقي خور موسى باشا الذي تقدم انه كان الحد بين مصر والسودان مدة الفتح المصري الاول . اما موسى باشا المنتسب اليه هذا الخور فهو احد ولاة السودان الذي تولى سنة ١٢٨١ هـ ١٨٧٩ م وفي ايامه تمرد جماعة من عساكر الأرناؤط وفرؤوا من الخرطوم وهو إذ ذاك في مصر فخرج للقائهم ببعض الجند فالتقام وقهرهم عند هذا الخور فسمي باسمه .

« وقلعة مصنوقة » (غ) على بُعد ٣ أميال من ابي صير وهي مبنية بناء متيناً بالطوب التي والى جنوبيها هيكل صغير وكلاهما من بناء اوسرتسن الثالث خامس ملوك الدولة الثانية عشرة المصرية . وهناك خرائب مدينة قديمة .

« وسمنه » (ش) وهي حلة صغيرة على ١٣ ميلاً من سمرس جعلها اوسرتسن الثالث الحد الفاصل بين مصر والسودان ويحاذيها الشلال المنسوب اليها . « وسمرس » (ش) وهي قرية صغيرة على بُعد ٣٣ ميلاً من حلفا وقد مدت اليها سكة الحديد من حلفا في الفتح الاول واشتهرت في الثورة السودانية إذ اتخذها الدراويش النقطة الامامية لهم في حملتهم المشهورة على مصر فطردهم الجيش المصري منها وبني طابية على رأس رابية هناك وعززها بالمدافع والمساكر وبقيت الحامية الى ان كانت الحملة لفتح دنقلة سنة ١٨٩٦ فهجرت .

« وعكاشة » (ش) وهي بلدة صغيرة على بعد ٣٩ ميلاً من سمنة بطريق النيل وفيها قبة تزار للشيخ عكاشه الذي تسمت البلدة باسمه واهل هذه الجهة يعتقدون انه عكاشه الصحابي ولهم فيه رواية تقليدية لطيفة قالوا انه جاء مع جيش المسلمين في ايام عمرو ابن العاص لغزو دنقلة وفيها هو راجع التقاه اهل سكوت وكانوا اذ ذاك على النصرانية فحاربوه وقتلوه ثم قطعوا رأسه ورموه في النيل فطاف الرأس على وجه الماء حتى وصل تجاه هذه البلدة فصعد من نفسه الى البر الشرقي وحلّ على صخرة هناك فخرج منه نور رآه اهل الشرق والغرب فاجتمعوا حوله متمجبين منه واراد اهل كل جهة ان يأخذوه اليهم للتبرك به واشتد اللجاج بينهم حتى كاد يفضي الى سفك الدماء وفيها هم كذلك اذا بالصخرة قد انشقت واندفن الرأس فيها فبنوا فوقه قبة تزار الى اليوم . على ان مؤرخي الاسلام يثبتون ان عكاشه الصحابي قتل في حرب اليمامة يوم قتل مسيلة الكذاب في خلافة ابي بكر الصديق وعليه فاما ان تكون هذه القبة مجرد مقام لعكاشه الصحابي او ان تكون قبة شيخ آخر سمي بهذا الاسم . وتجاه عكاشه في الغرب بانحراف قليل الى الشمال نبع ماء حار قريب من

النيل يستحم به اهل البلاد ويمتقدون انه نافع للأمراض الجلدية والباطنية .
مدن مديرية دنقلة وآثارها :

« فرّكه » (ش) وهي قرية صغيرة بينها وبين عكاشه عقبة طولها نحو ١٥ ميلا وقد اتخذها الدراويش مركزاً لهم في حملتهم على مصر ووقفوا فيها لصد الجيش المصري عن التقدم الى دنقلة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ فكانت هناك واقعة شهيرة عرفت بواقعة فركة ، وتعرف البلاد التي بينها وبين حلفا ببلاد بطن الحجر لكثرة العقبات في برها والشلالات والجزر في نيلها .

« وكوشه » (ش) وتبعد نحو ٧ أميال عن فركة وقد اتخذها الجيش مركزاً له في حملته على دنقلة سنة ١٨٩٦ وهناك طابية من عهد الحملة النيلية .
« وجنيس » (ش) على نحو ٣ أميال من كوشه اشتهرت في الثورة المهدية بواقعة جرت فيها بين الدراويش والجيش الانكليزي المصري سنة ١٨٨٥ ونسبت اليها .

« وعمار » (ش) جنوبي جنيس ويحاط بها هيكلاً قديماً من آثار الاثيوبيين
« وعبري » (ش) جنوبي عمار على نحو ٥ أميال منها وقد كانت مركز بلاد سكوت مدة الفتح الاول وتجاهها في الغرب « ساقية العبد » وهي واقعة في فم مفازة طولها ٥٨ ميلاً تؤدي الى « واحة سليمة » .

« وكويكه » (ش) على ٧ أميال من عبري وفيها قبة تزار للشيخ ادريس محبوب جد الشيخ ادريس محبوب كبير الطريقة المرغنية في بلاد سكوت الآن .
وتجاه كويكه في النيل « جزيرة ساي » المار ذكرها وهناك خرائب قلعة قديمة من عهد السلطان سليم الفاتح او من قبله .

« وسواردة » (ش) على ٨ أميال من كويكه اتخذها الدراويش النقطة الامامية لهم بعد ما طردهم الجيش من سرس فبقوا حتى أخرجهم منها ايضاً بعد واقعة فركة .

« وقبة سليم » (غ) تجاه سواردة وهي قبة تزار لولي من أوليائهم يعرف بهذا الاسم . وما يروى عن كراماته انه اخذ بيده رجلاً طويلاً وتزل في قارب

الى وسط النيل تجاه القبة فركز الرمح في قمرة وقال فليكن جزيرة فكانت « جزيرة قبة سليم » الى اليوم . ويحاذي القبة بلدة صغيرة تعرف باسمها . والى جنوبها جبل دوشه وهو آخر حدود بلاد سكوت . وبليها بلاد المحس الممتدة الى شلال حنك كما مر .

« وسُلب » (غ) وهي حلة كبيرة على نحو ٨ اميال من قبة سليم . وبقرها آثار هيكل فخيم من بناء الايثيوبيين .
« وكويه » (غ) على ١٢ ميلا منها .
« وتيرة » (ش) على نحو ٦ أميال من كويه وهي حلة كبيرة وفيها آثار قديمة .

« وابو صاري » (ش) على نحو ٥ اميال من تيرة وبينها وبين كوشه مفازة طولها ٣٦ ميلا تعرف بعقبة ابي صاري .

« ودلقو » (ش) على نحو ١٦ ميلا من ابي صاري وهي مركز المحس الآن . وقد رأيت فيها اطلال قلعة قديمة لها برج يصعد اليه بسلم لولي ويحيط بها سور متين عرضه من أسفله نحو ٨ أقدام . وتجاهها « جبل ساسي » الذي كان عاصمة ملوك المحس قبل الفتح المصري وعلى رأسه الآن كرسي من حجر كانوا يجلسون عليه عند تنويعهم .

« وكوكي » (غ) جنوبي جبل ساسي وقد كانت مركز المحس مدة الفتح المصري .

« وكدين » (ش) وهي واقعة في رأس شلال خيبر وفيها خرائب قلعة قديمة .
« وفريج » (ش) وهي بلدة طويلة عامرة على ١٨ ميلا من دلقو .
« وجزيرة اردوان » وهي جزيرة كبيرة يخترقها تلال صخرية . وفيها نخيل وأشجار . وبينها وبين كويه مفازة تعرف بعقبة كويه طولها نحو ٣٦ ميلا .
« وقبة ابي فاطمة » (ش) وهي قبة تزار لشيخ معروف بهذا الاسم واقعة في قدم شلال حنك وفي قمرة عقبة تؤدي الى فريج طولها نحو ٢٠ ميلا .
وتجاء القبة في النيل « جزيرة طنبُس » من جزائر شلال حنك التي

اشتهرت في تاريخ ايميويا. وفيها آثار قديمة من ذلك العهد وقصر كبير للملك محمد ودطنبل من ملوك ارقو السابقين وهو مدفون فيه . وأما بلدة حنك التي يلسب اليها الشلال الثالث فهي بلدة كبيرة في رأس هذا الشلال غرب النيل .
« والكريمة » (ش) جنوبي ابي فاطمة وعندها ينتهي خط سكة الحديد الممتد من حلفا وطوله ٢٠٣ أميال . والنيل منها فصاعداً الى الشلال الرابع لا شلال فيه يصلح لسير السفن كل ايام السنة . وعلى ٦ أميال منها الى الجنوب جزيرة ارقو المار ذكرها وقد كانت قبل الفتح المصري مركز مملكة من أشهر ممالك دنقلة .

« والحفير » (غ) تجاه الكريمة وقد تحصن بها الدراويش ايام زحف الجيش لفتح دنقلة سنة ١٨٩٦ وجرت فيها واقعة عرفت باسمها .

« ودنقلة » (غ) وهي عاصمة مديرية دنقلة على ٢٥٩ ميلاً من حلفا وفي طول ٢٩ ٣٠ وعرض ١٠ ١٩ ويقال لها دنقلة الجديدة تمييزاً لها عن دنقلة المعجوز التي كانت عاصمة النوبة السفلى وتسمى ايضاً الاوردي او العرضي لأن اسماعيل باشا بعد فتح السودان اختارها عاصمة للبلاد بدل دنقلة المعجوز فوضع فيها اوردياً (أي فيلقاً من المساكر) فأطلق عليها اسم الاوردي وُحرف الى العرضي . وقد كان عدد سكانها في بدء الثورة المهدية نحو خمسة آلاف نسمة وكان فيها ديوان للمديرية وثكنة للمساكر ومكتب للتلفراف فأخلتها الحكومة المصرية بسبب الثورة في سنة ١٨٨٥ فسقطت بيد الدراويش فغربوها وعمرها « ديماً » على بعد ٦ أميال منها وجعلوه مركز المديرية الى ان عادت الحكومة فاسترجعتها من الدراويش عنوة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ وخربته وعمرت المدينة ثانية في مكانها الاول . ومن دنقلة طريق تجارية الى الفاشر وطريق الى الابيض . وفي شمالها « حلة مراغة » وهي من بناء المماليك الذين فروا من وجه محمد علي باشا كما سيجيء .

« والحنائق » (غ) وهي حلة صغيرة على ١٢ ميلاً من دنقلة وقد كانت قديماً مركز مملكة من ممالك دنقلة التي اشتهرت قبل الفتح المصري وبقرها آثار قصر

جيل يقال له قصر الملك ودغير وهو احد ملوكها الاقدمين ويحاذيها قبب للأشراف الدناقلة .

« وحلة الصحابة » (غ) على ٣ أميال من الحنناق وهي حلة كبيرة في ظاهرها قبب قديمة قيل انها مدافن الصحابة الذين رافقوا جيش المسلمين لفتح دنقلة ولكن مؤرخي الاسلام لا يعتمدون ذلك .

« وحلة ساقى بشير » (غ) على نحو ٦ أميال منها وفيها قببة تزار لشيخ معروف بهذا الاسم . وتجاهها في النيل مجموع جزائر ثلاث تسمى جزائر الاشراف أشهرها جزيرة ضرار التي ولد فيها محمد احمد المتمهدي .

« والخنديق » (غ) وتبعد ٤٤ ميلاً عن دنقلة الاوردي وهي بلدة عامرة مبنية على مرتفع يشرف على النيل وفيها ٣ جوامع احدها قائم على آثار هيكل قديم من عهد الايثيوبيين وقد كانت بعد الفتح الاسلامي للنوبة كرسي مملكة من ممالك دنقلة وهي الآن مركز مأمورية وفي وسطها قلعة قديمة مبنية بالاجر .

وفي الصحراء الغربية على محاذة البلاد التي بين دنقلة الجديدة والخنديق واد رملي طوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه نحو خمسة أميال يُسمى « وادي الكعب » يسكنه فصيلة من عرب الكبابيش وفيه نخيل وآبار كثيرة أشهرها بشر السواني على ٢٤ ميلاً من دنقلة وبشر المرقوم على ٢١ ميلاً من الخنديق . وهو طيب الهواء والماء واهل البلاد يقصدونه أفواجا في كل صيف في شهر مسرى للتعلل بهوائه والاستحمام برماله وذلك ان الواحد منهم يحفر حفرة في الرمال على قدره ويضطجع فيها ثم يحشو الرمال فوقه الى الرقبة ويجعل له خيمة من الجريد تظله من الشمس ويبقى كذلك من نصف ساعة الى ساعة حتى يسيل العرق منه صبيحاً فيخرج من الحفرة كأنه قد غسل بحمام ماء حار وهم يعتقدون انه نافع للأمراض العصبية والباطنية والمحيات .

« وناوي » (ش) على نحو ٢٢ ميلاً من الخنديق وفي جوارها ترب قديمة وقبب تزار قيل انها قبور الصحابة .

« ودنقلة المعجوز » (ش) قائمة فوق تلة على شاطئ النيل الشرقي على نحو ٢٢ ميلاً من ناوي و ٨٨ ميلاً من دنقلة الجديدة وقد كانت قديماً كرسي مملكة النوبة السفلى في زمن النصرانية وبقيت بيدهم الى ان فتحها المسلمون سنة ٥٧١٧ هـ كما مر ثم دخلت في حكم ملوك سنار وهاجها الشايقية في أواسط القرن الثامن عشر للمسيح فغربوها وقتلوا أهلها فانحطت أهميتها من ذلك الوقت . وهي الآن حلة صغيرة وفيها جامعان احدهما قائم على اطلال كنيسة قديمة للنصارى كان في صدره حجر منقوش عليه تاريخ الفتح الاسلامي لدنقلة . وفيها مقامات قيل انها للصحابه وان منها مقاماً لعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق . وفي طرف البلدة خرائب قلعة قديمة تدل آثارها على انها كانت حصينة جداً . وفي جنوبها جزيرة شهيرة تعرف بجزيرة « حثور » وهي في غاية الخصب .

« وابو قس » (غ) على ٤٢ ميلاً من الحندق وهي بلدة صغيرة فيها سوق عامة تفتح كل يوم خميس . ومنها طريق تجارية للابيض طولها ٣٥٠ ميلاً وطريق للفاشر طولها ٥٩٢ ميلاً . وفي جوارها قبة حاج سالا وهي قبة تزار .

« والدبة » (ش) على نحو ١٦٠ ميلاً من ابي قس . و ١٠٤ أميال من دنقلة وهي حلة صغيرة قائمة على تلة صغيرة في رأس كوع النيل وأقرب نقطة الى ام درمان بينها طريق شهيرة في الصحراء مارة بآبار جبرة طولها ٢١٤ ميلاً ومنها طريق تجارية الى الابيض والفاشر وسوقها يوما الاثنين والجمعة وقد جرت فيها في بدء الثورة المهدية واقعة شهيرة . وفيها بقايا طابية حصينة تسع نحو ألف رجل . وفي اراضيها كثير من الاخشاب المتحجرة . والى شمالها على بعد ميل منها بلدة تعرف بالكرَد عسكر فيها الانكليز مدة الحملة النيلية وبنوا فيها منازل من طوب باقية الى اليوم .

« ودبة الفقراء » على نحو ٤ أميال من الدبة وفيها قبب تزار للدوايب الدناقلة .

وفي جنوبها « جزيرة تنقسي » يسكنها بقية من الفونج الذين أتوا من سنار . « وابو دوم قشاي » وهي بلدة كبيرة في اول بلاد الشايقية التي تمتد الى

الشلال الرابع وتبعد نحوها ٨ اميال من ابي دوم قشاي .
 « والدفتار » عن يمين النيل وتبعد نحو ٩ اميال عن ابي دوم قشاي ويزعم
 اهل دنقلة انها بلدة غمرود ابن كنعان وان الملك موسى سكنها بعد الاسلام
 وأسس فيها مملكة دامت الى ما قبل الفتح المصري فخرتها الشايقية على ما
 سيجيء وهي الآن حلة صغيرة وفيها قلعة خربة قائمة على صخرة كبيرة .
 وبقرها جزيرة عامرة تسمى قانتى يسكنها ذرية ملوك الدفار مع الشايقية
 وفيها آثار قديمة وجامعان ومسجدان .

« والحتاني » على $\frac{1}{3}$ ميل من الدفار وهي حلة صغيرة نزل في جوارها
 المساكر الانكليزية مدة الحملة النيلية وبنوا منازل من الطوب لا تزال قائمة الى
 اليوم . وبقرها خرائب قلعة قديمة متينة تلنسب اليها وهي قائمة على صخرة
 بينها وبين النيل طريق حرجة الى الغاية . وبين الدفار والحتاني قبة تزار لاحد
 ودبيلي من فقهاء العونية الشايقية المتقدم ذكرهم . وهناك خرائب بناء قديم
 بعيد عن النيل يعرف « بحوش بابا » بناء بشاره قبله جد اسماعيل الولي
 الكردوفاني المشهور قيل انه كان ذا غنى فاحش فاستخدم في بنائه البنات
 الأ Bakar وأنفق عليه مالا لا يحصى .

« وامبقول » عن يسار النيل على ٣٢ ميلا من الدبة ومنها طريق تمر
 بآبار البيوضة الى وادي بشاره طولها ١٥٣ ميلا وطريق تمر بآبار الجكدول
 الى المتمة طولها ١٧٦ ميلا .

« وكورتي » عن يسار النيل على بعد $\frac{1}{3}$ ميل من امبقول وهي حلة صغيرة
 اشتهرت في الفتح المصري لواقعة جرت في جوارها بين اسماعيل باشا والشايقية
 في بدء الفتح الاول وواقعة اخرى بين مصطفى باشا مدير دنقلة وال دراويش
 في بدء الثورة المهدية . وقد جعلها اللورد ولسلي قائد الحملة النيلية سنة ١٨٨٤
 و ١٨٨٥ مركز أركان حربه . ومنها طريق الى المتمة تمر بالجكدول طولها
 ١٧٦ ميلا .

« وَحَنَك » وهي بلدة كبيرة عن يمين النيل تبعد ٢٠ ميلاً عن كورتي وهي مركز ملوك الشايقية الحنيكاب والآن مركز مأمورية تعرف باسمها . وبين حنك وكورتي جزيرة مساوي وهي جزيرة عامرة سكن فيها المرحوم محمد عثمان المرغني الشهير فولد فيها ابنه السيد علي المرغني الآتي ذكره .

« وَتَقَاسِي » عن يسار النيل وتبعد ٤ أميال عن حنك وهي بلدة كبيرة عامرة وفيها سوق من أشهر أسواق دنقلة تفتح يوم الثلاثاء من كل اسبوع وتأتيها التجار من دنقلة وبربر والخرطوم ببضائع السودان ومصر . وهي في رأس عقبة تعرف بعقبة العريان فيها محل خرب يسمى الحوش الابيض قيل كان مركز ملوك الشايقية في اول سلطنة الفونج فجرت فيه بين الحنيكاب والسوراب وقائع دموية فخرّب .

« وَمَرَوِي » وهي من أشهر قرى دنقلة وأكبرها واقعة عن يمين النيل على ١١ ميلاً من حنك وهي مركز ملوك الشايقية العادلاناب . ومنها طريق في صحراء النوبة الى دنقلة الاوردي وهي معطشة وعرة طولها ١٠٣ أميال . « وَصَنَم » تجاهها عن يسار النيل وهي حلة كبيرة وفيها آثار تدل على قدمها وأهميتها ومنها طريق الى بربر غرب بآبار السواني طولها نحو ١٦٠ ميلاً وطريق الى المتمة بآبار الجكدول طولها نحو ١٨٠ ميلاً . وعلى مسافة ٧ أميال منها في الصحراء بشر شهيرة معروفة ببشر الفزالي ماؤها عذب لا ينقطع . وهناك خرائب دير من عهد النصرانية في النوبة . وبقره آثار مدافن عليها كتابات باليونانية والقبطية .

وكانت صنم في الفتح الاول مركزاً للتلغراف الذي يصلها ببربر بطريق الصحراء وبني الانكليز فيها سنة ١٨٨٥ طابية تهدمت . وأمر التعايشي بعدم بناء جامع فيها فبني وترك بلا سقف ثم اتخذها السردار سنة ١٨٩٧ مركزاً للحملة على بربر .

« والدويم » على ٣ أميال من صنم وفيها قبة كبيرة تزار للشيخ عبد الرحمن ودحاج كبير الدويحية المار ذكره وهي القبة الوحيدة المبيضة في السودان

ولذلك تسمى بالقبة البيضاء . وفيها جامع كبير ومسجد لتعليم القرآن تأتيه الطلبة من جهات بعيدة .

« والبرقل » وهي حلة عامرة عن يمين النيل على بعد ٧ ١/٢ ميل من مروي وهي في مكان نبتة القديمة عاصمة اثيوبيا ويحانها جبل البرقل المشهور وفيه آثار جليلة من الهياكل والامرام الآتي ذكرها في تاريخ اثيوبيا .

« ونوري » تجاه البرقل وهي حلة كبيرة ويحانها ١١ هرمًا من أهرام نبتة .

« والبلل » وهي حلة كبيرة عامرة بقرب نوري وبينها مقام للنبي عزير على تلة فوق النيل يزوره اهل البلاد للتبرك به . قيل ولم يكن نبياً بل كان ولياً صالحاً .

« والدقايات » عن يسار النيل على نحو ٨ أميال من البرقل وهي حلة طويلة وفيها طريق شهيرة الى بربر تمر بأبار السواني طولها ١٤٦ ميلاً . وتكثر جداً الجزر والشلالات في النيل من البلل فصاعداً الى ابي حمد فقد عداوا الجزر منها الى الدقايات فقط فكانت نحواً من ٩٠ جزيرة . وعلى نحو ٢٠ ميلاً منها الشلال الرابع .

مدن مديرية بربر وأثارها :

« حلة برقي » على نحو ١٩ ميلاً من الشلال الرابع وهي حلة طويلة عن يسار النيل في اول حدود بربر النيلية .

« وحلة كربكان » على ١٦ ميلاً من برقي وقد اشتهرت للواقعة التي جرت فيها بين الجيش الانكليزي وال دراويش في الحملة النيلية سنة ١٨٨٥ .

« والسلامات » على ١٩ ميلاً من كربكان وهي مركز بلاد المناصير . وعمار هذه البلاد كله عن يسار النيل واما عن يمين النيل فغراب لا يسكنه إلا بعض العرب المتبدية . وفيها قلعة الكرمل وهي في ظن الموسيو كايثو انها القلعة التي التجأت اليها كنداكة عند فرارها من وجه بطليموس سنة ٢٣ ق.م .

« وحلة ابي حمد » وهي حلة صغيرة واقعة عن يمين النيل في رأس كوع له في عرض شمالي ٢١° ١٩' وطول شرقي ٢١° ٢٣' وعلى ٥٥ ميلاً من السلامة و ١٣١ ميلاً من بربر وقد اشتهرت لوقوعها في اول الطريق التجارية المؤدية الى كورسكو المتقدم ذكرها وهي منسوبة الى شيخ مدفون فيها وقبره يزار وقد اعتاد التجار ان يودعوه ما لا يحتاجونه من أمتعتهم في سفر الصحراء قالوا فتبقى هناك بحماية الشيخ لا يمسا احد حتى يعودوا من السفر . وقد اشتهرت ابو حمد مدة الثورة المهدية فاتخذها الدراويش حامية لهم وعززوها بالطواشي والمدافع وبقوا الى ان اخرجهم الجيش المصري منها سنة ١٨٩٧ بعد واقعة عنيفة عرفت باسمها م ونجهاها جزيرة مقرات المار ذكرها .

« وبربر » وهي عاصمة مديرية بربر على ٤٣٧ ميلاً من دنقلة الاوردي و ١٩٦ ميلاً من الخرطوم في عرض ١٨° ١' وطول شرقي ٤° ٣٤' . قيل سميت بربر لانه كان يحكمها في القديم امرأة تسمى بربرة . وتسمى الخريف ايضاً قالوا وهي مشتقة من الخريف لأنها من اطيب بلاد السودان هواء . وقد كانت بربر في عهد مملكة سنار كرسي مملكة الميرقاب وسلمت لاسماعيل باشا فاتح السودان بلا قتال وزادت شهرتها بعد الفتح المصري حتى فانت شهرة شندي وأخذت مركزها في التجارة . فصارت ترد اليها البضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الاحمر وأشهر طرقها التجارية : طريق الى اسوان طولها ٤٧٣ ميلاً وقد مر ذكرها وطريق الى كورسكو تمر بأبي حمد طولها ٣٦٦ ميلاً وطريق الى سواكن طولها ٢٤٥ ميلاً وطريق الى مصوع تمر بكسلة طولها ٥٤٣ ميلاً . ووقعت بربر بيد الدراويش في سنة ١٨٨٤ فغربوها وبنوا ديماً في شمالها فلما عادت الحكومة اليها بعد الفتح الاخير سنة ١٨٩٧ جعلت هذا الديم مركزاً مؤقتاً لها ولكنها ستعود قريباً الى المركز القديم .

وفي بربر قبة تزار للشيخ زين العابدين المنتسب الى بني أمية قيل انه جاءها من شنقيط ببلاد المغرب وتوفي فيها سنة ١٢٨٣ هـ وكان على الطريقة الجبلانية

الكتيبة ؟ وبين بربر وأبي حمد عدة بلاد للميرفاب والرباطاب منها « الفريخة » على ١٢ ميلاً من بربر قيل سميت بذلك لأنه كان يحكمها قريخة او جارية صغيرة تحت يد بربرة التي حكمت بربر. ويجانبها اطلال بلدة قديمة تعرف الآن بالدانقيل .

« والمبيدية » على ١٨ ميلاً من بربر وقد اتخذها الجيش مركزاً له في واقعة الاتبرة وبني فيها ثلاث بواخر حربية .

« والباوقة » في شمالي المبيدية غربي النيل وقد كانت مركز ملك من ملوك الميرفاب .

« والغبش » (غ) تجاء بربر وقد كان فيها عند فتح اسماعيل باشا لسنار مدرسة شهيرة لتعليم القرآن وآداب العربية وهي المدرسة التي تفقه فيها محمد احمد المتمهدي قبل ادعائه المهدي . والى جنوبي الغبش على نحو ٣ اميال منها جبل شامق بنى عليه محبوك احد ولاة السودان قصراً فخرب .

« والدامز » (ش) وهي بلدة عامرة على ٧ اميال من مصب الاتبرة بالنيل و ٣١ ميلاً من بربر وهي مركز المجاذيب فقهاء الجعليين المار ذكرهم ولهم فيها مدرسة قديمة مشهورة لتعليم القرآن . وسوقها يوم الجمعة .

« والبجراوية » (ش) وهي حلة صغيرة على ٤٨ ميلاً من مصب الاتبرة قائمة على اطلال مدينة مروي القديمة . وعلى التلال المجاورة لها مجموعان من الاهرام في احدهما ١١ هرمًا وفي الآخر ثلاث اهرام. والى شماليها جبل صغير يعرف « بجبيل ام علي » سمي بذلك نسبة الى امرأة دفنت في رأسه تعرف بهذا الاسم وقد صعدت الى أعلى الجبل فلم أجد للقبر أثراً سوى حجرين قيل انها دفنت هناك بحسب وصيتها . ويجانب الجبل حلة صغيرة فيها اربع قبب للشيخ حامد ابو عصاية من العمراب الجعليين ؟ وأولاده . وتجساهه في النيل جزيرة الشيلية وهي من اكبر جزر النيل .

« وشندي » (ش) على نحو ٢٣ ميلاً من البجراوية ١٠٤ اميال من الخرطوم وقد كانت مركز مملكة الجعليين في عهد مملكة سنار وكانت إذ ذاك

من أهم مراكز التجارة في السودان فخريها الدفتردار في بدء الفتح الاول لغدر ملكها الملك نمر باسماعيل باشا ثم عمرت ولكنها لم تعد الى اهميتها التجارية بعد سوقها يومي الاثنين والخميس .

« والمتمة » (غ) تجاه شندي وقد اشتهرت في آخر مملكة سنار والثورة المهدية وخربها الامير محمود احمد امراء التعايشي في ١ يوليو سنة ١٨٩٧ تخريباً تاماً ولكنها عادت بعد الفتح الاخير فعمرت . وقد كانت مشهورة قديماً في حياكة الدمشور ولا سيما لنوع المعروف بالمرقعات وهو نسيج « رفيع » له حاشية من حرير ملون تلبسه النساء . والى جنوبها حلة صغيرة تسمى « أبا خروق » باسم شيخ مدفون هناك منذ عهد مملكة سنار وله مقام يزار وقد عسكر فيها الانكليز مدة الحملة النيلية سنة ١٨٨٥ كما سيجيء .

مدن مديرية الخرطوم وأثارها :

« الخرطوم » هي عاصمة المديرية المنسوبة اليها وعاصمة السودان عموماً وهي واقعة على يسار النيل الازرق عند التقائه بالنيل الابيض في عرض شمالي ٣٨° ٣٦' ١٥" وطول شرقي ٤٠° ٣١' ٣٢" وعلى بعد ١٠٧٥ ميلاً من اسوان بطريق النيل وعلو ١٢٧٠ قدماً عن سطح البحر : وقد سميت بالخرطوم لأنها واقعة على لسان داخل بين النيلين يشبه خرطوم الفيل . وكانت قبل الفتح المصري حلة صغيرة فاتخذها عثمان بك اول ولاية الفتح الاول مركزاً عاماً للسودان لحسن موقعها فنمت حتى بلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٢ نحو ٧٠,٤٠٠ نسمة من جميع اجناس السودان والاجانب من افرنج ومصريين وسوريين وأحباش ويهود وغيرهم . وكان فيها أبنية عظيمة مبنية بالحجر او بالطوب المشوى او التي وأهمها سراي حكمدار السودان أسسها ممتاز باشا تاسع عشر ولاية السودان في الفتح الاول ودار الحكومة واسبتالية واشوان ووكالات وزوايا وقبب ومقامات تزار وجامع بمأذنة عظيمة ومدرسة لتعليم القرآن والعلوم العربية وكنيسة فخيمة متينة البناء للرسالة الكاثوليكية النمساوية

وترسنة لاصلاح الواورات وبناء المراكب يتغلغلها حدائق غناء من النخيل وأشجار الفاكة . وكانت مركز تجارة السودان وفي اسواقها جميع اصناف البضائع السودانية والافرنجية والحجازية والهندية والمصرية حتى جرى على ألسنتهم قولهم « ايش معدوم في سوق الخرطوم » إلا ان اثنان اللبوسات والمفروشات كانت اضعاف اثنائها في مصر . وكان فيها من قناصل الدول قنصل لدولة انكلترا وقنصل لدولة النمسا وقنصل لدولة اليونان . وبقيت الى ان كانت الثورة المهدية فسقطت بيد المهدي في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ فخربها هو وخليفته من بعده تخريباً تاماً وبنيأ بأغشائها مدينة ام درمان ولم يبقا فيها قائماً إلا ترسانتها وجنائنها . وما زالت الى ان استرجعها السر هريوت ككتشر باشا سردار الجيوش المصرية والانكليزية في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ بعد واقعة عنيفة في البر والبحر فشرع في بنائها توأ بعد الفتح وما كان إلا قليلاً حتى نديته حكومته الى حرب الترنسفال وخلفه في مركزه سرداراً على الجيش وحاكماً عاماً على السودان « الفريق السر رجينولد ونجت باشا » فشرع بهيمته العالية المعهودة في تنظيم المدينة وتوسيع نطاقها فسارت في اقل من سنتين شوطاً لم يكن ينتظر لها في عدة سنين . ولما ذهبت الى الخرطوم ايام تشريف الجناب العالي الخديوي لها في الشتاء الفابر دهمشت إذ رأيت في مكان تلك الاطلال الدارسة التي شهدتها بصد واقعة ام درمان قصوراً شائعة وأبنية فخيمة وثكنات حصينة وشوارع متسعة وحدائق غناء وأسواقاً تجارية غنية بجميع اصناف البضائع والمأكولات . وأهم ما رأيت فيها سراي الحاكم العام التي تضاهي اجمل السرايات في مصر وهي قائمة على اطلال السراي القديمة مع زيادة في بنائها وتحسين في زخرفها . ودار الحكومة بجانب السراي وفيها جميع اقسام الحكومة السودانية ورئاسة الجيش . ومدرسة غوردون وهي بناء عظيم في الطرف الشرقي من البلدة اقامها المحسنون الانكليز تذكراً لغوردون باشا الذي قتل في سقوط الخرطوم وسيأتي ذكرها . وجامع فخيم جميل البناء في وسط المدينة . ولوكندة للسياح في غربها . وأما شوارعها الكبرى فسمي احدها

باسم فكتوريا وآخر باسم محمد علي وآخر باسم الحديوي وآخر باسم السردار . وقد شرعت الحكومة حديثاً في بناء رصيف متسع متين على النيل فزاد في بهاء المدينة ورونقها . والبناء الآن قائم فيها على قدم وساق . وموقعها الطبيعي الجميل يساعد على انماؤها وقد انتهت اليها سكة الحديد من حلفا في اول يناير سنة ١٩٠٠ فنمت تجارتها نمواً سريعاً وبلغ عدد سكانها الآن نحو ٧٠٠٠ نسمة ما عدا المساكر ولكن هذا العدد في ازدياد كل يوم والدلائل كثيرة على انه لا يطول الوقت حتى تعود الى عزها القديم قبل الثورة ثم تتدرج في سلم الارتقاء حتى تصبح جنة من جنات الأرض ان شاء الله .

« وام درمان » تجاه الخرطوم وغرب النيل الابيض في عرض شمالي ٣٨° ١٥' وطول شرقي ٢٩° ٣٢' وقد كانت قبلاً حلة صغيرة قائمة في سهل فسيح رملي لا شجر فيه وكانت محطاً لرحال تجار الغرب قبل دخولهم الخرطوم فبنت الحكومة فيها مدة الثورة المهدي طابية استولى عليها المهدي في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ واحتل البلدة بأنصاره الى ان مات فدفن فيها فبنى خليفته التعايشي قبة عظيمة فوق قبره جعلها مزاراً وجعل ام درمان عاصمة للملكه وسماها بقعة المهدي وفرض على كل امير من امرائه وكل وجيه من وجهاء السودان بناء منزل فيها فانتسعت اتساعاً عظيماً حتى اصبح طولها ستة اميال او أكثر وعرضها ميلاً الى ٣ اميال . وبلغ عدد سكانها نحو اربعمائة الف نسمة من جميع شعوب السودان وقبائلها وفيهم جيش الخليفة الذي بلغ خمسين الف رجل . وأبنية المدينة بالطوب النيّ أو بالحجارة الغشيمة والطين وبعضها بالطوب الاحمر وجميع دورها طبقة واحدة الا منزل الخليفة الذي يحوار قبة المهدي فان فيه عليّة فوق احدى غرفه . والأبنية اما مربعة مستوية السطوح او مستديرة مخروطية السقوف . وآبار المدينة تختلف في العمق من ٣٠ : ٩٠ قدماً وهي أصلح للشرب من ماء النيل الأبيض . وأكثر شوارعها ضيقة قدرة ولكن فتح التعايشي فيها أربعة شوارع متسعة ، شارعاً ينتهي الى ساحة الموضة في غرب المدينة وشارعاً الى الهجرة الشمالية وشارعاً

الى الهجرة الجنوبية وشارعاً الى المشرع الذي يعبر منه الى الخرطوم . وفتح موقفاً عظيمة بقرب القبة حيث كانت تباع جميع البضائع الأوروبية والمصرية والهندية والحجازية التي كانت تأتياها عن طريق اسوان وسواكن ومصوع . وأقام بجانب منزله الى جهة الغرب جامعاً للصلاة وهو « حوش » كبير محاط بسور مربع مستطيل من الطوب الاحمر طوله ٤٦٠ يرداً وعرضه ٣٥٠ يرداً وله اربعة ابواب ومحراب يحيط به ذرابزون من الحديد ويبلغ صف من « الرواكيب » (المظال) قائمة على عمد من خشب ومسقوفة بالحصر وباقي ارض الجامع مكشوف غير مسقوف . وبني في وسط المدينة سوراً عظيماً منيعاً أحاط به منزله ومنازل عساكره الجهادية والسجن . وجعل الطابية القديمة ثكنة لعساكر الحكومة السود الذين وقعوا في اسره وسمّاها الكاره . وجعل ذخائره الحربية في بيت كبير بقرب منزله أحاطه بسور من الحجر سمّاه بيت الأمانة . وبني بناء كبيراً غير مسور ليبيت المال على شاطئ النيل جعل فيه مخازن للذرة والصنع والسن وأماكن للضربخانة ومطبعة الحجر والمعاديات والدفاتر والأوراق . ومد خط التلغراف بينها وبين الخرطوم للمخابرة مع عمال الترسانة . وبقي حتى كانت واقعة ام درمان ففر جنوباً فاحتلها الجيش موقتاً وجعل فيها مركز حكومة السودان ثم نقله الى الخرطوم . ورجع الكثير من سكان ام درمان الى اوطانهم وقتل منهم جم غفير في الواقعة فلم يبق الآن سوى ٢٥٠٠٠٠ نسمة . أما قبة المهدي فقد هدمتها القنابل في اثناء الواقعة وبعدها .

وبين الخرطوم وام درمان « جزيرة توتي » المار ذكرها في الكلام عن النيل وهي جزيرة كبيرة جيدة التربة حسنة الهواء يحيط بها النيل الازرق من الجنوب والشرق جعل فيها غودرون أيام حصار الخرطوم حامية وجعلها التمايشي مخزناً للبارود .

وتجاه توتي والخرطوم عن يمين النيل الازرق « قبة الشيخ خوجلي » وهي قبة تزار لقفيه من فقهاء المهس هجر بلاده في اوائل القرن الماضي وسكن

جزيرة توتي حيث اشتهر بالصلاح والتقوى ومات في الجزيرة فنقل الى البر الشرقي ودفن هناك . وبقرها قبة اخرى للشيخ حمد ودام مريوم .

« والحلفاية » على نحو ٧ اميال من قبة الشيخ خوجلي وهي مركز مشايخ البدلاّب الذين اشتهروا في مملكة سنار وكان لهم المقام الاول بعد ملوك الفونج وقد انتقلوا اليها من جبل قريّ في شماليها وهو جبل مشهور فيه ضريح عبد الله ودعجيب المانجلّك مؤسس هذه المشيخة يزوره الهمج وغيره ويقدمون له النذور .

وفي البطانة على ٦٠ ميلا شرق الحلفاية قبة تزار « للشيخ حسن ودحسونة » الذي ظهر في ايام الملك عبد القادر سابع ملوك سنار وسيأتي ذكره . والى شمالي الحلفاية « قبة الشيخ ابراهيم الكبائشي » قيل وهو من الاولياء الصالحين وليس من الكبابيش كما يستفاد من اسمه بل هو من المحس توفي سنة ١٢٨٢ م وكان على الطريقة السمانية القادرية . والى شمالي هذه القبة « التانيات » وفيها أبعديّة للحكومة زرعت في الفتح الاول بالنيلة فنجحت زراعتها . وتجاه التانيات في غرب النيل « قبة الشيخ الطيب » مؤسس الطريقة السمانية في السودان وهي قبة تزار واقعة في سفح جبل صغير يعرف بجبل ام مرّحي الملقب بجبل السلطان نسبة اليه . والى شمالي التانيات « حلة الجايلى » وفيها منزل فخيم للزبير بناء بعد الفتح الاخير . والى شمالي هذه الحلة جزيرة واوستي وهي مسقط رأس الزبير .

مدن مديرية الجزيرة وأثارها :

« حلة سوبه » (ش) وهي حلة صغيرة على ١٥ ميلا من الخرطوم وفي جوارها أطلال سوبه القديمة عاصمة مملكة علوه المار ذكرها وقد كانت فيها قصور شائخة وكنائس فخيمة وبساتين زاهرة . وهم يزعمون انها من بنا سبا ابن نوح .

« والميلفون » (ش) وهي حلة عامرة على ٦ اميال من سوبه . وفيها

قبة تزار. « للشيخ إدريس » الذي ظهر في أيام الملك عدلان ودأبه ثامن ملوك سنار وسيأتي ذكره والى الجنوب منها « حلة مسجد ودعيسى » وفي مسجدتها تلقى محمد احمد المتهمدي بعض دروسه .

« والكاملين » (غ) وهي حلة كبيرة على نحو ٤٠ ميلا من العيلفون وقد جربت فيها زراعة النيلة سابقا فنجحت ولا يزال فيها آثار حياض النيلة الى اليوم . وأكثر سكان المدينة أخلاط من الدناقلة والجمعلين . وفي النية الآن جعلها مركزاً لمديرية الجزيرة .

وبينها وبين العيلفون في الجزيرة قبة تزار « للشيخ حمدود الترابي » الذي ظهر في أيام الملك بادى الثالث وهو الثالث عشر من ملوك سنار وسيأتي تفصيل خبره .

« ورفاعة » (ش) بلدة كبيرة على نحو ٣٥ ميلا من الكاملين ولأهلها زراعة واسعة .

« والمسلمية » (غ) على ١١ ميلا من رفاعة و ٣ أميال من خفة النيل الى داخل الجزيرة . وعدد سكانها نحو ٨٠٠٠ نسمة وأراضيها الزراعية واسعة تمتد الى قرب النيل الأبيض . ومنها طريق الى الكوة على النيل الأبيض يمر « بمبود ومعتوق » وهما أم مدن الجزيرة . والى شمالها خرائب « أريحي » الشهيرة التي خربت في عهد الملك عدلان الثاني تاسع عشر ملوك سنار كما سيجيء . والى جنوبها « حلة قداسي » التي حوصر فيها الملك صالح الملك الشايقي في بدء الثورة المهدية .

« وأبو حراز » (ش) وهي بلدة كبيرة على ١٤ ميلا من المسلمية وفي جنوبها يصب نهر الرهد بالنيل الأزرق . ومنها طريق شهيرة تؤدي الى القصارف والقلابات وكسلة . ولهذه المديرية مدن على النيل الأبيض يأتي ذكرها بعد الفراغ من النيل الأزرق .

مدن مديرية سنار وآثارها :

« ودمداني » (غ) على نحو ٣ أميال من ابي حراز و ١٢٤ ميلا من

الخرطوم قائمة على هضبة عالية من الرمل والحصى تحتها صخور جيوية وهي أصح مدن الجزيرة هواء وقد اتخذها اسماعيل باشا فاتح سنار مركزاً لصاكره بعد سنار وبنى فيها طابية منيعة لا يزال آثارها الى اليوم . وهي الآن مركز مديرية سنار واكبر مدن النيل الازرق وعدد سكانها نحو ٢٠ ألفاً اكثرهم من المدنيين والكواهلة وبينهم اخلاط من الجعليين والشايقية والدفاقة والمصريين وغيرهم . وسوقها يومي الاثنين والخميس يتقاطر اليها الناس من كل صوب ويباع فيها انواع الحبوب والخضر والصمغ والمنسوجات القطنية من وارد ملشستر والسكر والتبغ والخرز وأدوات القطع . ويصنع فيها الصابون والسيرج ولأهلها مهارة في صناعة الجلد . والى شمالها خرائب جامع بنساء باني المدينة وخرابه المهدي .

« وسنار » (غ) على ٨٣ ميلاً من ود مدني و ٢٠٧ اميال من الخرطوم وهي من اشهر مدن السودان وأقدمها أسسها الفونج سنة ٩١٠ هـ وأقاموا فيها مملكة دامت الى سنة ١٢٣٦ هـ فاستولت عليها مصر كما مرّ وجعلتها مركزاً لمديرية سنار وبلت فيها ديواناً للمديرية وثكنة للمساكر وجامعاً للصلاة . وقد بلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٢ نحو ٧٠٠٠ نسمة من اخلاط العرب والفونج والهمج وغيرهم . وكانت مركز تجارة الجزيرة وفازوغلي وسوقها يومي الاثنين والخميس . وقد جعلتها حكومة مصر في بدء الفتح الاول منفى . واليها نفى ابراهيم باشا سنة ١٨٤٠ م سبعة واربعين رجلاً من أمراء لبنان ومشائخه ووجهائه من النصاري والدروز الذين حافظوا على ولاء الدولة العلية عند دخوله سوريا منهم ٤ من الأمراء الشهابيين و ٤ من الأمراء اللميين و ٣ من المشايخ . التكديين والشيخ نقولا من المشايخ الخازنيين والباقون من وجهاء البلاد بينهم اربعة من وجهاء الشويفات وهم : « حنا الخوري » جد الشاعر المشهور خليل افندي الخوري مدير الامور الاجنبية في ولاية سوريا ، « ولحود شقير » جد النابغة الشهير أسير افندي شقير كنشليز قنصلاته انكلترا الجزائلية في بيروت ، « ومغامس شقير » ابر الشاعر الألمي فارس بك شقير قائمقام قضاء الكورة

يجبل لبنان ، « وعوكر شقير » ابو سعاده افندي شقير . فطلبت الدولة الانكليزية ارجاعهم في الحال ورست عمارتها في الاسكندرية تنتظرهم الى ان رجعوا من سنار فأوصلتهم الى بلادهم ، وكانت مدة إقامتهم في سنار ثلاثة أشهر .

وبقيت سنار بيد مصر الى ان كانت الثورة المهدية فسقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٥ بعد حصار شديد دام عدة شهور فأمر التعايشي فغربت خراباً تاماً وهجرت الى ان عاد الجيش اليها بعد الفتح الأخير سنة ١٨٩٨ قلم يحذ فيها قائماً الا مأذنة جامعها وقد كتب على الخشبة التي فوق بابه هذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد بالجنة . باني هذا الجامع خورشيد بك بأمر حضرة الحاج محمد علي باشا والي مصر تاريخ عام ١٢٥٠ هـ » . فجددت الحكومة السودانية بناءها وجعلتها مركزاً لمديرية سنار مدة ثم رأت ما رآه اسماعيل باشا فاتحها الاول ان هواء ود مدني أصبح من هوائها فنقلت مركز المديرية الى ود مدني .

ومن سنار الى النيل الابيض طريقان مشهورتان : طريق الى مشرع ابي زيد في جنوبي جزيرة أبا ، وطريق الى الكوة طوله ١٠٠ ميل تمر بجبلي سجلي ومويه وما جبلان مشهوران بالفرانيت الجيد بل الفرانيت الاحمر في جبل سجلي هو من أجمل انواع الفرانيت وأجود من حجر اسوان . ويبعد جبل مويه ٢٣ ميلاً عن سنار ويمتد ١٢٠٠ قدماً عن سطح الارض التي حوله واما جبل سجلي فأقل منه علواً ويبعد ٣٨ ميلاً عن سنار . وفي سنار قبب ومقامات كثيرة للذين اشتهروا بالصلاح والتقوى منها الى الشمال قبة ود العباس ومقام هجو ومقام عابدين .

« ورثقه » (ش) على نحو ٤٠ ميلاً من سنار وهي حلة الملك تآي الدين من بقية الفونج وقد قتل في حصار سنار سنة ١٨٨٥ .

« وسينجه » (غ) جنوبيها وفيها منجرة للمراكب .

« وكر كوج » (غ) على ٦٩ ميلاً من سنار وهي مركز تجاري بعد سنار

في الامة . والى غربها على نهر الدندر « حلة دبركي » مركز الحمتة . ومن كركوج فصاعداً يكثر ذباب الشروت وتقوم الحير والبقر مقام الابل والحيل .
 « والرصيرص » (ش) على ١٠٤ أميال من كركوج في رأس شلال الرصيرص . والى غربي البلاد التي بين كركوج والرصيرص « جبال الفونج » المار ذكرها وهي تشمل جبال البرون التي اشتهرت في تاريخ سنار .
 « وفامكه » (غ) على ٥٥ ميلاً من الرصيرص و ٣٥ ميلاً من الخرطوم بناها محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ وجعلها عاصمة ادارة فازوغي . وبني على نحو خمسة أميال منها جنوباً قصراً جميلاً ومعملاً لاستخراج الذهب ما زالت آثارها باقية الى الآن . وسكان فامكه الجبلانيون من افضل السود خلقاً وأشهرهم في النظافة والطبخ .

وفازوغي بلاد جبلية قيل ان فيها ٩٩ جبلاً أشهرها :
 « جبل فازوغي » على ضفة النيل الغربية تجاه فامكه وهو يعلو ٢٦٥٧ قدماً عن سطح النيل : وفي سفحه حلة منسوبة اليه كانت عاصمة البلاد قبل الفتح المصري وعليها الآن ملك من ذرية ملوكها الاقدمين .
 « وجبل ثاني » غربيها وهو موطن اللقسنه .
 « وجبل قبا » شرقي فامكه ولأهله القُصْر مهارة في صنع الأسرة والكراسي وأساور العاج وعليهم ملك يدعي النسبة الى الفونج .
 « وجبل أبو رمله » شماليه وعليه ملك يدعي هذه النسبة وأهله ميج وعرب وعبيد .

« وجبال بنو شنقول » على ٧٥ ميلاً من جبل ثاني وفيها الذهب وهي جبال البرتة والطاويط المار ذكرهم وقد استقلوا بها مدة الثورة المهدية الى ما قبل الفتح الاخير بقليل فألت الى الاحباش ولا تزال بيدهم الى الآن . وفي أقصى هذه الجبال « جبل قداسي » المشهور . وفي سفحه بلدة تجارية تسمى باسمه تباع فيها بضائع السودان والحيشة وقد كانت آخر حد السودان المصري الجنوبي على النيل الازرق كما مر .

مدن النيل الابيض التابعة الى مديرية الجزيرة :

« قيزان الملك ابرهيم » (غ) على نحو ١٨ ميلا من الخرطوم وهي مركز مملكة الجموعية التي اشتهرت في زمن الفونج .

« وود جار النبي » (ش) على ٢٥ ميلا من الخرطوم . والى شمالها على أربعة اميال منها « جبل أولي » المشهور . والى جنوبها على مثل ذلك « حلة المحمودية » احد مراكز الاستاذ محمد شريف ابن الشيخ الطيب استاذ المهدي .

« والقطنية » (ش) وهي بلدة حسنة الموقع قائمة على تلة مرتفعة على ٢٤ ميلا من وود جار النبي وهي أكبر بلاد النيل الابيض وفيها مسجد ومرسى للسفن واتساع النيل عندها ٦٠٠ يردأ فقط .

« وود شلمي » (ش) على ١٨ ميلا من القطنية وهي مرسى جيد للسفن . « والدويم » (غ) على ٤٣ ميلا من وود شلمي وفيها احسن مرسى للسفن . ومنها الى الابيض طريقان شهيرتان طريق تمر ببارة وهي معطشة طولها ١٧٦ ميلا وطريق تمر بنحور ابي حبل طولها ٢٦٨ ميلا وهي الطريق التي سلكها هكس باشا في حلقته على المهدي في كردوفان . وقد كان فيها مدة الفتح الاول شونة كبيرة . وأكثر سكانها جعافرة ومصريون وحسانية .

والى شمالها التربة الخضراء والى غربيها على نحو ١٥ ميلا منهل شات وهو مركز مهم لتجارة الصمغ والريش والجلود . على ان شات والدويم تابعتان الآن في ادارتها لكردوفان .

مدن محافظة فاشودة وآثارها :

« الكوة » (غ) وهي حلة كبيرة على ٢١ ميلا من الدويم وسكانها اخلاط من الحسانية والجمليين والداقلة وفيها طابية من ايام الثورة المهدية . والى جنوبها على بضعة اميال منها تبتدىء جزيرة أبا المار ذكرها . وجنوبي هذه الجزيرة على ١٧٥ ميلا من الخرطوم « قوز ابر جمعه » وهي الآن مركز

مأمورية في مديرية الجزيرة . والى ١٤ ميلا منها نخاضة ابي زيد وهي النخاضة الوحيدة التي يُعبر بها النيل الابيض خوفاً بالرجل في زمن التحاريق . ومنها تبتديء بلاد الشلك ويُرى قصب البايروس وتبدو الاعشاب الآتية من السد طافية على وجه الماء وتكثر الاجام والمستنقعات على ضفتي النيل فيصعب النزول الى البر بسببها .

« والجلين » (ش) على ٩١ ميلا من الكوة . وهناك جبلان متجاوران يطلان على النيل شبه قلعة ومنها اسمها . ومنها فصاعداً يظهر ذباب السروت ويكثر البعوض حتى لا يكاد يطاق .

« وحلة الرنق » (ش) على نحو ٥٩ ميلا من الجبلين و ٣ اميال من ضفة النيل .

« وجبل احمد اغا » (ش) وهو أكمة كسنام البعير على ٥٩ ميلا من الرنق علوه ٤٠٠ قدم وهو منسوب الى احمد اغا العنابي من مشاهير الفتح الاول .

« وكاكاه » (غ) وهي مجموع من قرى الشلك على ٥٦ ميلا من جبل احمد اغا . « وفاشوده » (غ) عاصمة ملك الشلك ومركز المديرية على ٧٣ ميلا من كاكاه و ٤٦٩ ميلا من الخرطوم وفي عرض شمالي ٢٠° ٥٥' وطول شرقي ٣٢° ٩' احتلتها مصر رسمياً سنة ١٨٧١ م فأقامت فيها طابية بأربعة أبراج وعززتها بالمساكر والمدافع وبقيت الى سنة ١٨٨٣ . اذ اضطرت ان تخرج منها بسبب الثورة المهدية فعادت الى ملوكها الاصليين فاستقلوا على جزيرة يدفعونها للدراويش او لا يدفعونها . سنة ١٨٩٨ جاءها مرشان عن طريق الكونغو وبحر الغزال فعقد مع ملكها محالفة وقتية وبنى فيها طابية حصينة فهاجمه الدراويش فيها فردّهم خاسرين وبقي حتى أقبل السردار بفصيصة من جيشه بعد فتح ام درمان فخرج منها بأمر دولته سنة ١٨٩٩ .

« والتوفيقية » (غ) قرب مصب نهر 'سبت' بالنيل الابيض على ١٦ ميلا من فاشوده وهي نقطة عسكرية أنشأها غوردون باشا لمقاومة تجار الرقيق . « وُسبت » نقطة على ضفة نهر 'سبت' الغربية عند مصبه في النيل الابيض .

« والناصر » (ش) على ١٧٠ ميلاً من مصب نهر سبت وهي آخر نقطة تصل اليها السفن . وفي كل من النقط الثلاث الأخيرة نفر من البوليس لحفظ النظام . ومن سبت فصاعداً جنوباً يبدأ السد فيمتد الى مفرق بحر الزراف عن بحر الجبل كما مرّ وليس هناك ما يستحق الذكر سوى بعض المرافق التي ترسو فيها السفن لجمع الوقود .

« وشامي » على بحر الجبل وهي مرفأ حسن للسفن على ٢٣٠ ميلاً من بحيرة نو و ٨٤٢ ميلاً من الخرطوم .
« وبور » على ١٣٠ ميلاً من شامي .

« والكنيسة » بينها بناها المرسلون الكاثوليك النمساويون في اواسط القرن الماضي وهي الآن خراب .

« ومنجلا » (ش) وهي آخر حد السودان الجديد الجنوبي كما مرّ وعلى نحو ١٠٥٧ ميلاً من الخرطوم .

هذا ومن بلاد خط الاستواء التي كانت تابعة قبلاً للسودان المصري فألحقت بمقاطعتي اللادو واوغنده :

« اللادو » (غ) على ١٠٧٢ ميلاً من الخرطوم وهي مركز مقاطعة اللادو التابعة للملك البلجيكي وقد كانت مركز حكومة خط الاستواء قبل الثورة المهدية .

« وكوندوكرو » (ش) على ٩ اميال من اللادو أسسها السر صمويل باكر سنة ١٨٧١ وسماها بالإسماعيلية على اسم الحديوي الأسبق وجعلها عاصمة البلاد .

« وجبل الرجاف » (غ) على ١٠ اميال من كوندوكرو و ١٠٩١ ميلاً من الخرطوم . وفي سفحه مدينة كانت مركز حكومة خط الاستواء مدة الفتح الأول واتخذها الدراويش مركز حكومتهم مدة احتلالهم لتلك البلاد وبقوا الى ان طردهم البلجيكي منها في ١٧ فبراير سنة ١٨٩٧ . قيل وقد سمي الجبل بالرجاف لأن قمته ترتجف احياناً ولعل سبب ارتجافه الزلازل التي تحدث في تلك الجهات ومنه يسمى النيل الذي يجري في خط الاستواء بحر الرجاف

وبحر الجبل . ومن تلك البلاد : بادين وكيري وموجي واللابوريه والدفتلاي وودلاي ومهاجي الواقعة على بحيرة البرت نيازا وفي جميعها آثار طواب وغيرها من عهد الاحتلال المصري .

مدن بحر الغزال وآثارها :

« واو » على نحو ١١٤ ميلاً من مشرع الريك وهي عاصمة البلاد بعد الفتح الأخير .

« وديم الزبير » او ديم سليمان على نحو ١٠٠ ميل من واو وهي عاصمة البلاد في الفتح الاول وقد كانت مركز الزبير باشا في عهد استيلائه على بحر الغزال ثم مركز ابنه سليمان من بعده ولذلك سميت باسمها . ومن أماكن بحر الغزال الشهيرة : لفي الذي فيه حفرة النحاس وبككو وقننده وجور غطاس وجوق الحسن وصبي وفوه .

مدن مديرية كسلا وآثارها :

« كسلا » عاصمة المديرية وهي شرقي خور القاش في طول شرقي ٢٤° ٣٦' وعرض شمالي ٢٨° ١٥' وفي سفح جبال الحبشة الشمالية الداخلة الآن في الارثريا ومنها يمتد السهل شمالاً وغرباً الى مسافة بعيدة ولذلك فهي من أهم مراكز السودان الحربية . وقد احتلتها حكومة مصر سنة ١٨٤٠ م كما مرت وأقامت فيها حامية قوية أحاطتها بخندق وسور عظيمين فاجتمع اليها التجار والمتسببون من كل الجهات وزهت حتى صارت من أشهر مدن السودان وأكبرها وبلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٣ نحو ٢٠٠٠٠ نسمة من الجعليين والدناقلة والتكارنة وغيرهم وبينهم نفر من تجار الافرنج والشوام والمصريين والهنود والحجازيين . وفي سنة ١٨٨٥ سلت للدراويش بعد حصار شديد فخربوها تخريباً وكان في شرقيها علجة قطن بخارية لتاجر ارناوطي يسمى عمر أغا فاتخذوها « دياً » لهم وأقاموا فيه الى ان أخرجهم التليان منه واحتلوه بعدم

سنة ١٨٩٤ فسوّروه وحصّوه بالطواحي وبقوافيه حتى سلّوه لحكومة السودان سنة ١٨٩٧ فشرعت في تعمير المدينة داخل السور القديم فبنت فيه داراً للمديرية ومنازل للمدير والمفتشين واسبتالية ملكية . والبناء قائم هناك الآن على قدم وساق داخل السور وخارجه وقد اجتمع اليها اهلها الاولون وغيرهم فبلغ عدد سكانها الآن نحو ١٠٠٠٠ نسمة .

والى الجنوب الشرقي من كسلا جبل شهير منسوب اليها يعلو ٢٣٠٠ قدماً عنها و ٣٩٦٠ قدماً عن سطح البحر . وفي سفحه « حلة الخاتمية » وهي حلة السيد حسن المرغني كبير الطريقة المرغنية في السودان وقد مات ودفن فيها سنة ١٢٨٦ هـ فبنى فوق قبره قبة هدمها الدراويش . وبعد الفتح الاخير شرع في ترميمها حفيده السيد علي المرغني كبير المرغنية في السودان الآن وبنى لنفسه منزلاً في كسلا ومنزلاً في الخرطوم .

ولكسلا عدة طرق شهيرة منها : طريق تجارية الى مصوع تمرّ بسبدرات واغوردت وشنيت طولها ٢٣٧ ميلاً وهي طريق سهلة متوفرة فيها الماء . وطريق الى سواكن تمرّ بفلك وخور بركة وطوكر طولها ٢٧٤ ميلاً . وطريق الى بربر تمرّ بقوز رجب وأدرأمة طولها ٢٧٢ ميلاً . وطريق الى الخرطوم تمرّ بقوز رجب وآبار زيره وابو دليق وود حسونة طولها ٣٨٠ ميلاً .

« والقضارف » وتطلق على القسم الشمالي من البلاد التي بين الرّهد والابّرا وهي مشهورة بالخصب وجودة الحاصلات كما مرّ ومركزها « سوق ابي سن » على نحو ١٤٦ ميلاً من ابي حراز و ١٤٢ من كسلا و ٩٤ ميلاً من القلابات وتعرف ايضاً بالقضارف أي باسم البلاد كلها وفيها سوق من أشهر أسواق السودان تأوي اليها التجار من اهل السودان ومصر والحجاز والهند والحبشة واوروبا ويباع فيها جميع اصناف الحبوب والماشية والصمغ والريش . وابو سن المنتسبة اليه السوق هو كبير الشكرية في أوائل القرن الماضي . وقد كانت القضارف في الفتح الاول تابعة للخرطوم فاستولى عليها الدراويش في بدء الثورة المهدية فكانت من أهم مراكزهم في السودان الشرقي وبقوا الى ان اخرجهم

الجيش منها عنوة سنة ١٨٩٨ ومن مراكز القضارف الشهيرة القلعة أرانج على ٤٠ ميلاً الى الشمال الغربي من سوق أبي سن . وحلة الشيخ شريف قرب النيل الأزرق .

«والقلايات» وهي القسم الجنوبي من البلاد التي بين الرهد واللاتبرا ومركزها «التمة» المعروفة أيضاً بالقلايات وهي قائمة على خور أبي نخيرة في سفح جبال الحبشة الشمالية الشرقية ولذلك فهي بوغاز مهم على حدود الحبشة . واول من سكن هذه البلاد الكنجارة وهم العبيد الآبقون من أسياهم . ثم سكنها التكارنة ومعظمهم من متخلفي حجاج الغرب وقد تكاثروا فيها حتى بلغوا ٤٥٠٠٠ نسمة . واحتلت مصر القلايات رسمياً سنة ١٨٦٢ ثم اضطرت الى اخلاءها سنة ١٨٨٥ بسبب الثورة المهدية فسقطت بيد الدراويش فأقاموا فيها حامية كبيرة وكان بينهم وبين الاحباش وقائع مشهورة قتل في احداها النجاشي يوحنا سنة ١٨٨٩ وظلت بيد الدراويش الى ان استرجعتها مصر بعد فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ . وفيها الآن كما كان قبل الفتح سوق شهيرة تفتح يومي الثلاثاء والاربعاء وتعرض فيها جميع بضائع السودان والحبشة . ومن أماكن القلايات المشهورة : قديبي وصرف عرديبه ومريود ودوكة وزرقه .

مدن محافظة سواكن وأثارها :

«سواكن» عاصمة المحافظة وهي واقعة على البحر الاحمر في عرض شمالي ١٩°٧' وطول شرقي ٣٧°٢٠' وعلى نحو ٣٧°٢٠' وعلى نحو ٧٢٠ ميلاً من السويس و ٢٨٥ ميلاً من مصوع و ٢٠٠ ميلاً من جدة بئر الحجاز . وهي عبارة عن جزيرة يحيطها ميل ونصف ميل وبندر أمامها يقال له القييف بينها في البحر مسافة ٤٠ متراً كان الناس يجتازونها بالزوارق حتى جاء غوردوت باشا سنة ١٨٧٩ فوصل بينها بجسر (كوبري) عرضه نحو ٨ أمتار وبني عند طرفه مما يلي الجزيرة قنطرة حسنة . وأبنية المدينة من الحجر المرجاني الكلبني المستخرج من قعر البحر وهي مبنية على الاسلوب الشرقي المشهور

برنج وشرّف خشبية وأكثرها ذو طبقتين او ثلاث بخلاف الابلية في داخلية السودان كما سيجيء . وفي الجزيرة دار للمحافظة وجرك ومحكمة شرعية ومكتب للتلفراف وجامعان . وفي القيف جامعان آخران ومدرسة أميرية وسجن ومحل للضابطة وافران كأفران مصر . وهي محاطة بسور منيع معزّز بالطوابي من عهد الثورة المهدية . وميناؤها امين للسفن لكنه ضيق قليل الغور وستشرع حكومة السودان قريباً في توسيعه . وفي مياه هذا الميناء مواد فصفورية وفيه انواع من السمك تشبه الطعم ومنها نوع يقال له الارش يصطادون صغيره واما كبيرهم فيصطادهم . وهواء سواكن حار في الصيف ورطب في الشتاء وظهرها قبل ظهر مصر بعشرين دقيقة . ويطل عليها من بعيد جبال سنكات واركويت التي تعلو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وليس في سواكن نبع ولا نهر وانما يشرب اهلها ماء المطر . وقد كانوا قديماً يخزنونه في صهريج كبير في مكان جنوبي القيف يعرف بالفولة فبنى لهم ممتاز باشا سداً من التراب على ميل من القيف لحبس مياه الأمطار من الجبال المطلة على سواكن فاستغنوا به عن الفولة وعرف مكان السد بالشاطه . ولما كثرت العساكر في سواكن مدة الثورة المهدية لم تعد مياه الشاطه تكفيهم فأتت حكومتها بآلة بخارية لتقطير مياه البحر تعرف بالكندسة وجعلت توزع منها الماء على الجيش والاهالي حتى انتهت الثورة المهدية وبرح الجيش سواكن فأبطلتها واقتصر الاهالي على الاستقاء من الشاطه . وكانت الكندسة موضوعة في شبه جزيرة شمالي سواكن تعرف بجزيرة الشيخ عبد الله وهو من أولياء سواكن المدفونين فيها وله قبة تزار . وفي هذه الجزيرة مستشفى يديره من عهد طويل الحاذق الشيخ الدكتور يوسف بك شدياق . والى شمالها مقام شهيد للشيخ برغوث اعتاد البحارة كلما مروا بمقامه ان يلقوا دلواً من مائهم في البحر « سلاماً » له واذا لم يفعلوا ذلك تشاءموا من سفر البحر .

وسواكن مدينة تجارية قديمة العهد فهي تربط السودان بالحجاز والهند ومصر ويربطها بالسودان طريق بربر المار ذكرها . وعما قليل تشرع الحكومة

في مدّة خط حديدي منها الى بربر فتنمو بذلك تجارتها نمواً عظيماً . وفيها الآن سوق تجارية كبيرة تباع فيها جميع بضائع السودان ومصر والحجاز والهند وأوربا . ومما يزيد أهميتها أنها في طريق الحجاج المسلمين من جميع بلاد السودان الى مكة وقد شرعت الحكومة حديثاً في بناء معبر صحي فيها ليلجأ اليه الحجاج السودانيون اذا دهمهم الوباء بدل ذهابهم الى معبر الطور المنحرف جداً عن طريقهم كما هي الحال الآن .

ولأهل سواكن خرافة في اصل تأسيسها قالوا : كان لبعض ملوك الحبشة الاقدمين مودة واتصال بأحد قياصرة الرومان فأرسل اليه سبعمائة من الابكار الحسان هدية فأقلعن في زورق وجئن الى سواكن وكان فيها سبعة من الجن فتصدوا لهن ومنعهن عن السفر ثم تزوجوا بهن وأولدوهن أولاداً عمرت بهم المدينة فسميت سبع جن ثم تحرفت الى سواجن ثم الى سواكن . وفي الواقع لا يعلم زمن تأسيسها ولكن التاريخ يدلنا انها كانت مركزاً تجارياً مهماً منذ عهد البطالسة على مصر وان بطليموس فيلادلفوس جعلها مخزناً لسن الفيل . وقد ذكرها ابو الحسن المسعودي في تاريخه قال « وجزيرة سواكن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البر الحبشي بحير قصير يخاض وأهلها طائفة من البجة تسمى الحاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك » .

وافتح السلطان سليم العثماني سواكن سنة ١٥٢٠ م فظلت تابعة للدولة العلية يتولاها حكام من قبل والي الحجاز الى ان تنازل الباب العالي عنها لمصر سنة ١٨٦٦ كما مر .

وفي أثناء الثورة المهدية خرج رجل من أهلها يسمى عثمان دقنه وانضم الى المهدي فكان نصيره في السودان الشرقي وكان له مع الجيوش المصرية والانكليزية من الشأن ما سنذكره بالتفصيل إن شاء الله .

اما سكان سواكن فيبلغون الآن نحو ٥٠٠٠ نسمة الربع من اهل البلاد الأصليين والباقيون من الأجانب . والسكان الأصليون أخلاط من البجة الحاسة

والأرتيقة والأشراف وأقوام الأرتيقة وقد كانوا الى عهد غير بعيد أمراء المدينة وأسيادها ولا تضرب النقارة (الطبل) لفرح او لاحتفال الا بأمرهم وكبيرهم الآن الشيخ محمود بك ارتيقة وهو من خيار الرجال . وكلهم يتكلمون البيجاوية في منازلهم وبجالسهم الخاصة ولكنهم في المجالس العامة يتكلمون العربية . وأما الأجانب فأكثرهم من الأتراك الذين تحلفوا فيها بعد الفتح العثماني ثم من المصريين والهنود والحجازيين الذين دخلوا البلاد بقصد الاتجار . والهنود فريقان : مسلمون ووثنيون وهؤلاء من طائفة مشهورة في الهند يقال لها البنيان ولهم اعتقادات وثنية حسنة منها انهم يحرمون أكل اللحوم وقتل أية نفس حية فاذا رأوا احداً يذبح طائراً أسرعوا اليه وبذلوا الجهد في تخليصه ولو بفدية باهظة . وهم يلبسون منزراً يشدونه حول أحقابهم وهو كل ما يلبسونه رجالاً ونساء ونساءهم يقرنن بالأساور والخلاخل الضخمة والأقراط من الذهب والفضة .

ومن أماكن سواكن الشهيرة على البحر الأحمر :

« نقطة حلايب » عند حد السودان الشمالي على البحر الأحمر .

« ونقطة محمد قول » على نحو ١٣٠ ميلاً شمالي سواكن . وبقرية ملاحه شهيرة تعرف بملاحه رواية ويظن انها في مكان عذاب المشهورة في قواريق العرب .

« ومأمورية عقيق » على نحو ٨٥ ميلاً من سواكن وهي تمتد جنوباً الى رأس قصار الفاصل بين سواكن ومصوع واكثر أهلها من الخاسة التابعين لبني عامر . والغرض من هذه النقطة ضم كلمة البادية ومنع تهريب الرقيق من داخلية البلاد الى الحجاز .

« ومأمورية طوكر » ومركزها طوكر على ٥٦ ميلاً الى الجنوب من سواكن ومينائها الترنكتات بين سواكن وعقيق . وقد بنت الحكومة قديماً في طوكر داراً للمأمورية بطبقتين فسقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٤ فهدموها

الى الارض وعمرها ديمًا على ٧ اميال جنوبيها عُرف بديم عفافيت ثم استرجعتها الحكومة بعد واقعة شديدة في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ واحتلت عفافيت فسمتها طوكر وبنت فيها طابية حصينة .

وبين طوكر ومونكتات « آبار التيب » التي اشتهرت في الثورة السودانية لما حصل فيها من المعارك الشديدة بين الدراويش والجيوش المصرية والانكليزية .

والى غربي سواكن على ٤٠ ميلا منها بلاد سنكات وقد كانت في الفتح الاول مركز مأمورية وكان فيها حديقة زاهية وأما الآن فقد هجرت وانصرفت العناية الى تعمير جبال اركويت التي جعلت مصيفاً لمركز المحافظة العام .

محافظة مصوع : وأما محافظة مصوع التي كانت قبلاً تابعة للسودان وأصبحت الآن بيد التليان فقد امتدت على البحر الاحمر من رأس قصار حيث تلتهي محافظة سواكن الى حلة رهيفة عند بوغاز باب المنذب وامتدت غرباً في البر الى سنهت . وقد سميت الآن « بالارويا » وامتدت غرباً الى سدرات قرب كسلا . ومركزها مصوع في عرض شمالي ٣٧° ١٥' وطول شرقي ٢٧° ٣٩' وهي جزيرة في البحر طولها نحو ميل وعرضها زهاء ٤٠٠ يرد . وبينها وبين البر جزيرة صغيرة تعرف بطالوت كان الناس يعبرون منها الى البر بالزوارق الى سنة ١٢٩٠ هـ فشيّد لهم مونسنجر باشا جسراً ضيقاً من خشب أقامه على عمد من حجر جاعلاً طالوت وصلة فيه .

وقرب مصوع « جزائر دهلوك » التي يستخرج منها اللؤلؤ والصدف والظفر وفيها آثار قديمة عليها كتابة قيل انها من عهد الفرس . وتجاه مصوع في البر ثلاث قرى صغيرة : حريققو وحطملو وام ككثو وهي لها كالكيت لسواكن . ومنها طريق تجارية الى عدوه في الحبشة وطريق الى كسلا في السودان وقد مرّ ذكرها . والى جنوبيها مينازولا المشهور قديماً باسم أدولس وفيه آثار من عهد البطالسة . ويقال في هواء مصوع وميامها وأبليتها ومينائها وتجارتها ما

قيل في سواكن . وقد أقام التليان فيها أبنية فاخرة فزهت حتى صارت من أفخر مدن البحر الأحمر .

محافظة هرر : وأما محافظة هرر التي انسلخت أيضاً عن السودان فألت عاصمتها هرر الى الأحباش وفرضتها زيلع وبربره الى الانكليز فسيأتي الكلام عليها في تاريخ الحبشة .

مدن مديرية كردوفان وآثارها :

« الأبيض » عاصمة المديرية ومن أشهر مدن السودان التجارية وأقدمها وهي واقعة في سهل فسيح على ٢٩٢ ميلاً من الخرطوم و ٤٤٦ ميلاً من القاهرة وعلوه ١٩٢٠ قدماً عن سطح البحر . وقد كانت زاهية في عهد سلطنة الفور فزادت بعد الفتح المصري زهاءً وبنت الحكومة فيها داراً للمديرية وثكنة للمساكر وشونة ومستشفى وكان فيها جامع ومدرسة ابتدائية وسوق تجارية شهيرة تباع فيها جميع اصناف البضائع التي تباع في السودان . وقد بلغ عدد سكانها قبل الثورة نحو ٥٠.٠٠٠ نسمة بينهم كثير من تجار الجعليين والدفاقلة والبعض من تجار الشام ومصر والحجاز والهند وأوربا . وسقطت بيد المهدي في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ بعد حصار طويل فخربها وبني «ديماً» بجانبها وبقيت الى ان عادت الحكومة اليها بعد واقعة أم درمان فشرعت في تجديد بنائها وستعود الى سابق عزها عن قريب ان شاء الله .

«وباره» على ٤٠ ميلاً الى الشمال من الأبيض وهي بلدة حسنة البناء جيدة التربة غزيرة المياه وفيها نبع ماء لا ينقطع يسمى العاديلك يخرج منه العلق . وكان فيها حدائق غناء تضاهي حدائق مصر زاهية بأنواع الفاكهة . وقد سقطت بيد المهدي قبل الأبيض بقليل وعادت الحكومة اليها عند عودها الى الأبيض وهي الآن تتدرج في النماء كغيرها من مدن السودان .

« والطياره » على ٣٥ ميلاً الى الشرق من الأبيض وهي من أهم المراكز

التي يجمع فيها الصنع ولها سوق عظيمة يباع فيها الصنع والدخن . وأكثر أهلها جوامعة .

« وابو حراز » على ٣٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من الابيض وهي بلدة متسعة قائمة على خور عظيم تحفر فيه الآبار في زمن الصيف . وفي فلاتها كثير من النعام .

« وخورسي » الى الشمال الغربي من الابيض مسيرة يوم منها وفي بعض جهاتها فلاة يقال لها العطاش ينقطع منها الماء في الصيف ولكن يكثر البطيخ فن مائه يشربون ويسقون غنمهم فترام في تلك المدة هزلى ضمافاً كأنهم قريبو عهد بمرض ولكنهم انما يقيمون على هذا الضيق ابتغاء جمع الهشاب الذي يكثر هناك عند انحباس المطر .

« والسنوط » وهي حلة صغيرة في طريق الطويشة من اعمال دارفور اتخذتها حكومة السودان مركزاً للأمورية في أقصى غرب الابيض .

جبال النوبة : هي عدة جبال الى جنوبي كردوفان قبل ان عددها ٩٩ جبلاً وهي قند جنوباً وشرقاً الى النيل الابيض وغرباً الى دارفور وفي كثير منها ينابيع وأشجار يتخللها سهول خصيبة تقوم فيها الغابات من أشجار السنط والعرديب والتبلدي وغيرها . وسكانها قبائل شق من النوبة وفي الصيف يرتاد سهولها كثير من بادية الغرب كما مرّ وعلى كل جبل او مجموعة جبال منها ملك . ومن هذه الجبال ما دخل في طاعة مصر في الفتح الاول ومنها ما لم يدخل وأشهر الجبال التي دخلت في الطاعة :

« جبل الدائر » او جبل الضباب وهو جبل حصين شامخ كثير الأشجار والينابيع مسيرة يومين من الابيض . وقد عصى المهدي وكانت بينه وبين رجاله وقائع مشهورة .

« وجبل كدارو » الى الجنوب الغربي من الدائر وعلى مسيرة يوم منه وقد اتخذته الحكومة الجديدة مركزاً للأمورية جبال النوبة .

« وجبل الدن » وهو جبل صغير مسيرته ثلاثة أيام من الأبيض اشترى في لفتح الاول وكان فيه للرسالة النمساوية الكاثوليكية مدرسة علمية صناعية بإدارة الورع النبيل الأب اوهر ولدن المشهور الذي وقع في أسر المهدي كما سيحيي .

« وجبال تنقلي » وهي مجموع جبال منيعة يحكمها عائلة تدعى النسبة الى ملوك الفونج ومن ملوكها الملك ناصر الذي اشترى في الفتح الاول وكان مركزه جبل طاسين . والملك آدم ودام دباله الذي اشترى في زمن المهدي وكان مركزه جبل كرايه . ومن تلك الجبال جبل الدثوري وهو مركز قبيلة التمام .

« وجبل قدير » على نحو ١٦٠ ميلا من الأبيض و ٨٠ ميلا من فاشوده وهو الجبل الذي هاجر اليه محمد إسماعيل المهدي من جزيرة أبا عند اول ظهوره بالمهدية . قيل وبلصقه جبل صغير يسمى جبل ماسه ولعل محمد أحمد أطلق عليه هذا الاسم ليم له ما قيل في بعض الاحاديث من ان المهدي يخرج من جبل ماسه بالغرب .

وقد اختلف المحققون في أصل تسمية تلك الجبال بجبال النوبة فمن قائل انه اسمها القديم وان النوبة الذين يسكنونها هم أصل للنوبة الذين على نيل دنقلة بدليل ما وجدوه من التشابه بين لغة القومين وعدم اشتقاق لغة النوبة الذين على النيل من لغات الساميين الذين هاجروا الى افريقية من آسيا . ومن قائل انها سميت كذلك لأن النوبة الذين على النيل ملكوها وأدخلوا اليها لغتهم كما جرى لأهل النوبة العليا مع المسلمين . ورأى البعض الآخر انها سميت باسم النوبة الذين فروا اليها من دنقلا وسويه بعد خرابها كما مر . وقد حدثني تاجر من الأقباط الذين كانوا يترددون الى جبال النوبة قال ان أهل تلك الجبال اذا ولد لهم ولد وكان عمره اربعين يوما أخذته أمه الى الكجور وهو رئيس دياتهم وسألته ان يخرج منه الأرواح النجسة فينفضه بالماء ويدفعه الى أمه قال وذلك من التقاليد المحفوظة عن النصرانية والله أعلم .

مدن دارفور وأثارها :

« الفاشر » بلدة متسعة قائمة على تلين عظيمين يعلوان ٢٣٥٠ قدماً عن سطح البحر ويخترقها خور تتدلني المار ذكره . أسسها السلطان عبد الرحمن الذي تولى دارفور سنة ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ وجعلها عاصمة ملكه فصارت كرسي سلطنة الفور الى اليوم . وقد دخلت في حوزة الحكومة المصرية عن يد الزبير سنة ١٢٩١ هـ فبليت فيها داراً للمديرية واستحكماً منيعاً للمساكر ثم سقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٤م وبقيت الى ان كانت واقعة ام درمان سنة ١٨٩٨ فرجع اليها من الواقعة الامير علي دينار من سلالة سلاطين الفور فتولاها على جزية يدفعها الحكومة السودان .

« وجبل مرّة » في وسط دارفور وهو جبل مرتفع حصين طوله من الشمال الى الجنوب نحو ١٠٠ ميل وعرضه من الشرق الى الغرب نحو ٦٠ ميلا وارتفاع أعلى قمه نحو ١٥٠٠ قدم عن الارض المجاورة له ونحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهو وافر الخصب والينابيع وفيه كثير من أشجار الفاكة والحبوب مما ليس في غيره من اعمال دارفور . ومن أشهر قمه « جبل طره » الذي كان مركز سلاطين الفور قبل انتقالهم الى الفاشر وفيه مدفن السلاطين الخاص وجامع كبير قديم .

ومن جبال دارفور الشهيرة المبدوب وتقابو وحريز المار ذكرها . ومن مدنها :

« داره » وقد كانت مركز دار الصعيد وهي ثانية الفاشر في الأهمية وفيها استحكام منيع من عهد الفتح الاول . وقد اضطرت ان تسلم الى المهديين سنة ١٨٨٤ بعد كفاح شديد وحرب عوان أثارها عليهم الشهم الهام السر رودلف سلاطين باشا حكدار دارفور في ذلك الحين والمفتش العام للسودان الآن .

« وكوبى » وهي أشهر مراكزها التجارية ومنها تقوم القوافل في طريق

الاربعين الى مصر. وهي موطن محمد امام الخبير سر تجار دارفور سابقاً وعلي بك الخبير المشهور .

« ومنّواشي » وهي بعد كوبي في أهميتها التجارية وقد اشتهرت للواقعة التي كانت بين الزبير باشا والسلطان ابراهيم آخِر سلاطين الفور فانجلت عن قتل السلطان ابراهيم ودخول سلطنة الفور في حوزة الحكومة المصرية .

« وام شنقة » وهي في طريق القوافل الآتية من كردوفان ودنقلة .

« والطويشة » وهي في ملتقى الطرق بين شكا والفائر وداره والأيتض .

« وشكا » وقد كانت قبلاً من أهم مراكز تجارة الرقيق .

« وتولو » وهي مركز تجارة البرياب .

« وكريو » وقد كانت قديماً مركز دار الصباح .

« ومليط » وقد كانت قديماً مركز دار الريح « الشمال » وفيها نخيل

كثير .

« وكلكل » وقد كانت مركز إدارة في الفتح الاول .

« وكبكيته » بينها وبين الفائر وقد كانت مركز الإدارة قبلها .

« وأب بشر » من مراكز المسيرية .

« وودعه وبلبل وكتم والدور وفافا والكلكة » وقد مرّ ذكرها .

« وجمعان » من مراكز البديرية .

« ورأس الفيل وشعبية » بين داره والفائر .

هذا ولا بدّ من تنبيه القارئ الكريم الى ان المسافات التي أتينا عليها في هذا الفصل والفصول التي تقدمته اكثرها تقريبية لا يمكن القطع بصحتها الآن إذ البلاد لم تقسح كلها مسحاً علمياً صحيحاً بعد وربما استغرق مسحها هذا عدة سنين نظراً لاتساعها ووعورة مسالكها وطول مفازاتها . وقد تولى هذا العمل الخطير الآن الشريف الكولونيل تلبوت من مهندسي الانكليز العظام وعلمائهم الأجلاء فشرع في عمل خريطة عامة صحيحة للبلاد وهو باذل الجهد في إنجازها بأقرب وقت ممكن . وفقه الله .

الباب الثالث

في

حضارة السودان

الفصل الاول

في

لغات أهل السودان

اللغة العربية : يعلم القارئ مما تقدم ان في السودان لغات شتى أشهرها العربية وهي اللغة الغالبة وليس في السودان لغة تكتب غيرها وهم يتكلمونها بلهجة حسنة تختلف قليلا عن لهجات مصر والشام ولكنهم يلفظون أحرفهم كأهل الشام فيلفظون الجيم خفيفة والذال زايًا والشاء ثاءً أو سينًا إلا القاف فانهم يلفظونها كالجيم المصرية. ثم ان لكل قبيلة من العرب لهجة خاصة أفصحها لهجات الحضر على النيل فلهجات البادية في جنوبي السودان الشرقي فلهجات البقارة في جنوبي السودان الغربي .

ولعرب السودان ألفاظ كثيرة غير مألوفة عند أهل مصر والشام وبعضها مأخوذ عن الاعاجم المجاورين لهم كالنوبة والبجة والسود وشبه السود والحبيشة ففي « أسماء الجهات » يسمون الشمال بالسافل او بالريح والجنوب بالصعيد والشرق بالصباح او الشرق. وأما أسماء « الشهور القمرية » فهي عندهم هكذا على الترتيب : الضحىة، المعقابية الوحيد، الكرامة الاولانية، الكرامة الثانية، الكرامة الثالثة، سابق الكرامات، رجب، قصير، رمضان ، الفطر الاول ، الفطر الثاني ، الضحىة الاولانية . وهذه بعض الالفاظ الكثيرة الدوران في ألسنتهم .

العربي السوداني	العربي الفصحح	العربي السوداني	العربي الفصحح
اسمك منو	ما اسمك	سمح بالحيل	طيب جداً
ارجاني	انتظري	شال المكان	ذهب اليه
الأضينة	الجبان	الصريف	مكان مسور بالخرص
البقمة	العاصمة	الطراويل	الاهرام
البكا	المأتم	العمور - المفازة	المد - البئر
بري	حاشا	العوين	الاولاد
البوغاز	الثغر	المنكريب	السري
التكل	الكبوخ	المرضه . الطر	الاستمراض
تدورشنو	ماذا تريد	القلمة	الهضبة
الجلابة	التجار ، القافلة	الكفريات	العاديئات
جت براها	جاءت من نفسها	الكاره	الثكنة
جنب ساكت	استرح	كعب	بطال
الجنى	الولد	كوراك	رفع صوته
الحلة	القرية	كيقنك	كيف انت
الحوش	المكان المسور بحجروطين	الملقة	مسيرة ساعة
الحبوبة	الجدّة	الشرع	المرفأ
حبابك عشره	مرحباً بك	متين عرمت	متى تزوجت
الدبة	الثلة	ما بخبر	لا اعلم
الديم	المسكر	نضم	تكلم
الزول	الرجل	هسع	هذه الساعة
الزريبة	المكان المسور بشوك	الهوي	شبه الجزيرة
السرف	نبح ماء جازر	هواي - اداة نداء . ود - ابن	
سوط المطر	قوس القزح	الوطا	الارض

ومما يحسن ذكره مثالا للغة العامية السودانية كتاب أرسله عبدالله التعايشي الى الامير عبد الرؤوف من أمراء الجانقي بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٠٤ هـ يدعو فيه الى ام درمان وهذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد ، فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الامير عبد الرؤوف ولد بيوق هداه الله آمين . بعد السلام عليك كان انت حضرت عند المهدي وعندنا في الرهد بقيت سمح بالحيل . بعدين كنت ... قة اليك قمشي تجيب جانقي ووليداتك ونجني قوام لي بكان المهدي ... رمشي في الجنة بكان الهدوم السمحات والحرب والراحة والأكل السمح الحلو . انا بسأل منك كثير انت ما جبت الكلام الليلك واما سمح اسمع الكلام الليل الورقة دي احضر قوام مع أهلك ووليداتك ونسوانك ما تقعد في دار جانقي القعاد بطال كثير . الكلام الليل العرب ما تسمعه بلباصين يسووك اراج ما تقعد في الدار انت طيب . الكلام الليل محمد الهاشمي أسمعه أحضر قوام ما تقعد تبقوا من اهل النار بكان ابليس والشيطان والكفار . النار حارة بالحيل التنب فيها كثير الجزير كثير القيد كثير الجوع والمعطش كثير . ان حضرت عندنا بعدين وكنت تموت قمشي بكان النبي بكان المهدي أخيرليك نجني ما تقعد في الدار القعاد وكعب . اسمع كلامي تعال قوام قوام . تخشية جانقي ان كان جيتوا سمعتوا الكلام الليلنا قمشوا الجنة بكان الخير الكثير واللباس كثير واللسوان السمحات كثار أخير من نسوانكم ديل هدومن سمحات الأكل كثير العسل كثير اللبن كثير المعطش ما فيش الجوع ما فيش الورده ما فيش الموت ما فيش البيوت كبار سمحات أحضروا قوام قوام أخير لكم . »

ومن ذلك ما كتبه التعايشي للملك الجبوري احد ملوك النوبة يحثه على الجهاد : « الزوال اكان شاف الشغل الـ في الآخرة يوم واحد ما يخلي الجهاد في شان الله والرسول والمهدي . الزول اكان جنب في البيت ساكت يموت

ساكت مثل موت العوين. واما اكان مات في الجهاد الله يرضى عليه والرسول والمهدي ويلقى الخير الكثير .

الأمثال : وعند عرب السودان أمثال حسنة اكثرها مرادف لأمثال مصر والشام منها :

الي ما يستحمل الشر ما يستحمل الخير
الي وراه المشي أخير له الجري
امسك في الكذب لما يوصلك الصح
ان شاء الله ما يحينا من الريف الا
القباش

إن كثرت عليك الهموم ارقد نوم
إن لقيت راجل رخيص اشتره يمكن
بعدين ما تلقاه

إيد الميري طويلة
بيت الشوره ما خرب
بيت عمال ولا بيت مال
البيت يشيل مئة راجل ما يشيل
امراتين

بركة الكلام في قلته
بعد امك وأبوك الأهل جيران
البلد ما يقتلها الا ولدها
تاجران لا يربحان تاجر الهف (الحنطة)
وتاجر الكف (الرقيق)
تربي هزيل الجتال ينفعك تربي هزيل
الرجال يقلعك

الابره ما بتشيل خيطين والقلب ما
بيسع اثنين

احترام النسب عند اللثام اربعين سنه
وعند الكرام الى يوم القيامة

الأخ واحد من اليمين
أخذ الثار ينفي العار

اربط اصبعك صحيح لا يدمي ولا
يقبح

ارقد دافي تقوم متعافي
الاصبع الواحد ما يغطي الوجه

أصل الجود جهينه وأصل الملك سنار
وأصل العز جعل

اعمل معروف وأدبه البحر
الي تقوم ذقنه قبل شواربه شاور المره
ولا تشاوره

الي عنده الدقيق ما يعدم النار
الي ما فيها شق ما بتقول طلق

الي ما يبلع ريق على ريق ما ييمسك
رفيق

الي ما يحيب ثاره الحمار خاله

تزوجوا فقرا يغنيكم الله وسافروا
 مرضى يشفيكم الله
 الحتة العفنة في اللحم تعفنه كله
 الحسنات في الرجال قرص
 الحق مر
 الحمار شكروه وقد
 خصام الرجل الذكر ولا صحبة الرجل
 الأضينة
 الخيل ظهورها عز وبطونها كنز
 الدين ولو درهمين يسود الحديد
 رفيق اثنين كذاب وركاب سرجين
 وقاع وماسك دربين دهاب
 زي الحمار الي مات في السمسم ان
 تركوه عفثن وان جرتوه كسر
 شراب الماء على الريق يقصر العمر الوثيق
 السوق شاكره راجحه
 صاحبك ان اباك قتل عليه الخوم .
 وباطنك ان وجعك كثر عليه الصوم
 ضاعت قوم لا سفيه فيها
 الطبع جبل لا يتحول
 الطول فاقه والقصر عاقه
 ظلم البهائم حرام
 العثرة تستمع المشي
 الغايب ورا شجره . الغرض مرض
 عصاية العز لا تضرب بها تنكسر

الغنى في القناعة والحرب صبر ساعة
 الفاس ما بتقطع عودها
 فكة الريق أخير من راس رقيق
 فنجان قهوة يقضي الشهوه
 القلب يرى قبل العين
 القمر ان ضوءي لا فايده في النجوم
 كثرة الطلثة ترخص أعز خلق الله
 كل وسط ونم طرف
 الكلب لما يسمر اول ما يعض اهل بيته
 الماء ما بتروب والفاجر ما بتتوب
 مائة صاحب ولا عدو واحد
 مثيلك من الريف يأتي لك
 المهنون يضحك على طبيبه
 المره مكسوره خناج
 المرض ما بيقتل يقتل الاجل
 مر عفيبين قتلوا الاسد
 المريض يكره دواء
 من جرب المجرّب حاطت به الندامة
 لمن خلص دينه نامت عينه
 ناسب احسن منك وعاشر احسن منك
 الميتة ولا شماعة الاعداء
 وجوه الرجال خناجر
 لاقيني ولا تغديني
 يا حافر حفرة السوء وسع مراقدها
 يد الحر ميزان

ومن أقوالهم « اطلب الشيء بثلاثة : باللين فاذا لم تظفر به فبالمال . فاذا لم تفلح فبالحرب . فاذا لم تستطع الحرب . وعدمت المال فعد الى اللين فانه ميسور لكل انسان . فاذا لم تتجح فدع ما انت طالبه » .
ومن أراد المزيد من أمثالهم فعليه بكتابنا « امثال العوام في مصر والسودان والشام » .

الأحاجي والألغاز : هذا وفي كلامهم من الاحاجي والالغاز ما في كلام اهل مصر والشام منها :

ازرق كعيل راكب على ثلاثة خيل	ج القدر (موضوعة على ثلاث اثافي)
ترن ترن عند البحر حرّ	ج الحذاء (فانه 'يخلع قبل الخوض في الماء')
دخل في القشّ ما قال كشّ	ج الظل
سوط الملك وقع مين يشله	ج الثعبان
ضله في بطنه	ج الحفرة
ظريف وطفيلي	ج ظل الانسان
عزّته ماسكها من دينيها وهي ترعى	ج موسى
في البلاد خضراء وفي البيت حمراء	ج البطيخ
فيلا ميت في الحلا ميت	ج البيت
مطمورة ابو زيد ملانة بيض	ج الفم والاسنان
ممسحه بلا مسوح وتمشي بلا روح	ج السفينة
هو بارك وفي السماء يعارك	ج المدخنة

الشعر والغناء : أما الشعر عندهم فهو « كالمغنى » عند اهل لبنان « والزجل » عند اهل مصر إلاّ انه دونها فصاحة ولا ينظمونه إلاّ للغناء . والغناء عندهم انواع وهي :

« غناء النّم » وهو غناؤهم على ظهور الإبل وأكثره تشييب بالنساء وحدها للإبل لأنها تحمل الحب الى حبيته . وقد تعودت ابل السودان هذا الحذاء حتى

صار يروق لها ويحسن به سيرها . من ذلك ما قاله عبد الله ابو سن احد كبار الشكرية في محبوبيته « نجوم » :

اسم ام شلخ نجوم نزلته في اليوميه
كل من جاب سلامك يلقي عندي هديه
معدومة النظير في الدنيا بالكلية
الستات بلاك يا ماهرة المونييه
ومنه : دردرني الفقر وحماني قطما اعيش
اهلي ما يفتقدوني ان بقيت ما فيش
ومنه : ال بريدك ما جفاك
بالزينة يرقع في قفاك
بتحصن به في الاوقات صباح وعشيته
لكون الجمال عند الله له مزيتيه
بيتك لي جنه وحضرتك حوريته
بقيا لي مساح ما عندي فيهن نيتيه
وخلاي مثل جعفر الجمال طميش
أخير مني الرثمة غزيرة الريش
ان اكلت ما بقول كفاك
يا اخواني اصل الرايده هاك

« وغناء المطرق » سمي بذلك لأن المغني به ويُعرف باللييب او الفشاي يضرب الارض بالمطرق (أي بعضا صغيرة) وهو يغني وقد خص هذا الغناء بمدح الملوك وأكابر القوم او رثائهم . ولكل رجل شهير في السودان لييب ينظم له القول في المدح والفخر والحماسة .

ومن هذا الغناء ما قالت بنت مُسيمس المسلية في مدح الزبير باشا :

العيال يحالسوا المعزى معزا الدرا وانت تجالس بقر الليوث في الحلا
وقت الشوف يشوف ماهو الاضينة جرى يحرن في العقاب ويشيل النبا

ومنه ما قالته في محمد المقدم ابن احمد شرقي احد رجال المهديّة :

محمد المقدم حافره قط ما جك الفارس المقيّم بالالف واللك
وقت الشوف يشوف والحديث ينلك دوّر خشمه كك ومقبوضه ما ينفك

ومنه لبعض العابدة :

ما بيطارد كلام الزلة وفوق البشاوات هو معلّى
يامر بالشنق والحلة وما شوف كيفه حاشا وكلا

« وغناء الدلثوكه » وهو خاص بالنساء يغنيهنه على آلة شبكة الدريكة (يأتي وصفها) مدحاً للرجال بالشجاعة والفرسية والكرم وما أشبه ووصفاً للنساء بالجمال والصيانة وكرم الاصل وعلو الحسب . ومن هذا الغناء :

ليبيكن ديماس حاس بحساس يا لصافيات تهر مونحاس
اذاي ال في الضلع غواص دواي غلب الحكيم يا ناس
ومنه : الله ليه الهزء كلانا بالحسار والشوق شوانا
يا ام خمير النوم جفانا دُرنا شوف العين كفانا

« وغناء الجرذقة » وهو خاص بالبقارة ويغنونه على ظهور الخيل وكله أغاني حماسية ومنه :

أكلنا بليه ورقادنا قش من خشش خشش لمن الفقر ينقش

« وغناء الطنبورة » وهي من أشهر آلاتهم الموسيقية وسيأتي وصفها . ومن هذا الغناء :

الحكيم عاين لي وراح قال لي يا زول ما فيك جراح
آفتك التلتينة شلاخ مسكة الكثن مع الباخ

« وغناء الرابة » المعروفة وهو خاص ببلاد النوبة .

« وغناء الطار » ويقال له ايضاً « غناء المديح » أما نسبته الى الطار (الدف) فلأنه يغنى به على الطار وأما نسبته الى المديح فلأنه في مدح النبي ﷺ . ففي السودان شعراء يُعرفون بالمديحين ينظمون القصائد في مدح النبي ويمطونها لتلامذتهم المعروفين بالزُمَـال فيطوفون في البلاد اثنين اثنين أو أكثر وبأيديهم الطارات ينشدون تلك القصائد في الافراح وبيوت الكبراء فيجتمع الناس حولهم حلقة فيأخذ احدهم طاراً يُعرف بالام وآخر طاراً اصغر منه يعرف بالشم ويشرع حامل الام بالغناء مبتدأ بالشيله (اللازمة) فيعيدها الجمهور بعده وهو يكررها لهم حتى يحفظونها ثم يشرع في القصيدة فيلقبها هو وحامل الشم بيتاً بيتاً على ضرب الطار والحضور يعيدون الشيله بعد كل بيت

وهكذا الى ان تنتهي القصيدة. واهل السودان يكرمون هؤلاء المداح اكراما للممدوح ويذبحون لهم الذبائح ويحزلون لهم العطاء . ولا ينخرط في هذا السلك إلا اصحاب الصوت الجميل وهم في الغالب حسان الصورة نظيفو الثياب. ومن هذا الغناء ما قاله المادح ود تميم من اهل الجزيرة :

الشيلة : قبراُ بُناه في المدينة لامتين أراه (متى أراه)
ومنه الشيلة : شاشت (اشتقت) لنور الله الساد (الذي ساد) رسل الله
القصيدة : يا ليلي ست الجنة من الجعيم الجنة (السر)
مشغونك حنّ وجنّ وعوديه لينك جن (اظم)

ومنه ما قاله في رثاء المتهمدي شاعره احمد ود التويم من الجميلين العوضيه :

يا الطاهر دمك انا برجز نمك يا مهدي الله دوب لي قول فمك
عبدك يتهمك مشغول بهمك قال يا سيد عمك متى ألمك
يا الـ ما بتموتى أنا ليك متشوق جباهك يحوتى نعمة المتطوق
قول من الـ علقوا فيك من يوم خلقوا دربك لا يطلقوا بري من الـ زلقوا
سريرتك صافيه مع رب العافيه بطنك مي جافيه للحسد نافيه
يا طيب الاسما ويا سمح البسمه في العمل ابو وسمه لا تكون لي قسمه
صلّ يا خالقنا على أب حبّا حارقنا سيد عثمان دقنا الـ عليه اشتقنا
عبدك عافيه من علله الـ فيه ابن تويم اشقيه لا تهمل فيه

هذا واكثر أغاني المديح والمطرق والدلوكة والطنبورة على النيل بين الشايقية والجميلين . واكثر غناء النم في البادية الشرقية والجزيرة بين الشكرية ورفاعه الهوي .

ومن لغات السودان المشهورة :

« لغة النوبة » او لغة البرابرة في بلاد دنقلة واسوان .

« ولغة البجة » وهي لغة بادية الصحراء الشرقية .

« ولغات السود » في فاشودة وبحر الغزال .

« ولغات شبه السود » في دارفور وقد سبقت الإشارة إليها كلها . وبحث علماء الافرنج في كثير منها وألف بعضهم كتباً في صرفها ونحوها ومفرداتها فمن أراد التوسع فليطالعها .

هذا والكثير من النوبة والبجة والسود وشبه السود الممتزجين بالعرب يتكلمون العربية على لحن ظاهر في رطانتهم كما ان العرب الممتزجين بهؤلاء الأجناس يتكلمون لغاتهم على لحن ايضاً .

ولأهل كل لغة من هذه اللغات أغاني كالعرب . وقد سمعت بعض أهالي النوبة يغني أغنية بلحن شجي مزعج فسألته عما يقول فترجم لي هكذا :

هلا هبلا انت لا تخرجي من البيت هلا هبلا انت لا تذهبي الاوردي
هلا هبلا اسهر الليل كله على شانك هلا هبلا وانت لا تخرجي من البيت

الفصل الثاني

في

أديانهم

الاسلام :

تقدم ان جميع اهل السودان على اختلاف أجناسهم يدينون بالاسلام ما عدا السود فانهم يدينون بالفتشية. وقد كان للاسلام الشأن الاعظم في السودان حتى انه ليتعذر فهم تاريخ هذه البلاد فهما صحيحاً إلا بفهم الاسلام نفسه . ولذلك رأيت ان آتي هنا على مجمل سهل جلي في ماهية الاسلام ومذاهب المسلمين وعقائدهم وأعيادهم وحكوماتهم وفي ما عليه اهل السودان من ذلك كله ليكون تمهيداً لما سيجيء في تاريخ السودان بعد الاسلام وعلى الخصوص في تاريخ المهديّة فأقول :

الاسلام والايمان : الدين عند المسلمين الاسلام والايمان اما د الاسلام ، فأركانها خمسة وهي شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله واقامة الصلاة (وهي الصلوات الخمس اليومية في اوقاتها فذاً او جماعة) وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً . واما د الايمان ، فهو ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

والقدر حيره وشره . فمن أنكر شيئاً منها فهو كافر ومن استجمعها وأنكر غيرها كانكاره للمهدية مثلاً لم يعد كافراً ومن أظهر الاسلام وأخفى الكفر فهو منافق .

الشيعة وأهل السنة : ثم ان المسلمين من حيث المذهب طائفتان كبيرتان الشيعة وأهل السنة . اما « الشيعة » فهم القائلون بأن الامام علياً هو وصي النبي على الأمة وهو الأولى بالخلافة بعده مباشرة ولذلك فهم يرفضون الخلفاء الثلاثة الذين تقدموه وهم : ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ويعتبرونهم متعدّين على حقوق علي في الخلافة ويعتقدون ان الامام علياً وإن لم يكن الخليفة ظاهراً فهو الخليفة باطناً منذ وفاة النبي وهم يعتبرون هذه الخلافة الباطنية في ذريته من بعده الى الامام الثاني عشر الذي يزعمون انه لا يزال حياً وانه المهدي المنتظر على ما سيجيء . وهم مذاهب شتى لا حاجة بنا الى تفصيلها لأن ليس لهم أثر في السودان الذي أصل كلامنا فيه وانما معظمهم في بلاد العجم ومنهم قليل في الهند وفي شمالي سوريا .

وأما « أهل السنة » وهم السواد الأعظم من المسلمين فيقولون ان ترتيب الخلافة الذي حصل هو الصواب وعندهم ان الخلفاء خمسة لأن النبي ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكاً عضوداً » فالذين حكموا في الثلاثين سنة بعد وفاته هم : ابو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ويلقب بالفاروق ، وعثمان ابن عفان ويلقب بذي النورين ، وعلي بن ابي طالب ويلقب بالكرار ، والحسن ابنه قبل تنازله لمعاوية .

المهدية في الاسلام :

واعلم ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممرّ الأعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال (وما بعده من أشرار الساعة الثابتة في الصحيح) على أثره وان

عيسى ينزل بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتى بالمهدي في صلاته (اه عن ابن خلدون) .

مهدي اهل السنة : ويحتج اهل السنة في الباب بأحاديث خرجها بعض أئمتهم منهم : الترمذي وابو داود والبزار وابن ماجه ، وأسندوها الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وابي هريرة وأنس وابي سعد الخدري وابي جعفر وام سلمة وغيرهم .

فمن ذلك ما جاء في كتاب الامام القرطبي : وفي حديث ابي داود ه لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى فيه رجلاً مني . او من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي . وفي رواية له ايضاً : لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يليهم رجل من اهل بيتي تكون الملائكة بين يديه ويظهر الاسلام ويكثر فيه المال ويأتيه الرجل فيقول : يا مهدي اعطني فيحشي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله .

وعن ابي سعد الخدري ان رسول الله ﷺ قال : « ليصين هذه الأمة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله تعالى رجلاً من عترتي (اهل بيتي) يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض لا تدع السماء من قطرها شيئاً الا صبتة مدراراً ولا تدع الارض من نباتها شيئاً الا أخرجته حتى يتمنى الأحياء العيش . يمكث على ذلك سبع سنين او ثمانين سنين او تسع سنين . ورؤي انه يخرج من أقصى المغرب يشي النصر بين يديه اربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الأعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يُقال له ماسه من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر .

وقال صاحب « نور الأبصار » : ان السنة من سني المهدي مقدار عشر سنين ثم لاخير في العيش بعده . وقال ان سلطانه يبلغ المشرق والمغرب وتظهر

له الكنوز ولا يبقى في الارض خراب الا عمره . وهذه علامات قيام القائم مروية عن ابي جعفر (رضى) قال : اذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وركبت النساء السروج وأمات الناس الصلوات واتبعوا الشهوات واستخفوا بالدماء وتعاملوا بالربا وتظاهروا بالزنا وشيدوا البناء واستحلوا الكذب وأخذوا الرضى واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعوا الأرحام وضنوا بالطعام وكان الحلم ضعفاً والظلم فخرأً والأمراء فجرة والوزراء كذبة والأمناء خونة والأعوان ظلمة والقرءاء فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وبدا الفجور وقبِلت شهادة الزور وشرب الخمر واتخذ الفبيء مغنياً والصدقة مغرمأً واتقى الأشرار غشافة ألسنتهم وخرج السفيايى من الشام واليمني من اليمن وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة وقتل غلام من آل محمد ﷺ بين الركن والمقام وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه . قال : فاذا خرج أسند ظهره الى الكعبة واجتمع اليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أتباعه فأول ما ينطق به هذه الآية : « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » ، ثم يقول : انا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه احد الا قال : السلام عليك يا بقية الله في الارض ، فاذا اجتمع عنده العمد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد ممن يعبد غير الله تعالى الا آمن به وصدقه وتكون الملة واحدة ملة الاسلام ، وكل من كان في الارض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله أعلم اه .

هذه هي بعض أحاديث القائلين بالمهدية من السنة وعندهم ان المهدي يحيى من بني فاطمة (قلت ولذلك يعرف ايضاً في كتبهم بالفاطمي) وانه يولد بالمدينة المنورة لأنه من أهلها . وقالوا في صفته انه شاب أفرق الثنايا واسع الجبهة أكحل العينين أزج الحاجبين أقى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال . وجهه كالكوكب النري اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي (أي طويل) .

مهدي الشيعة : وأما الشيعة من المسلمين فيعتقدون ان المهدي قد ظهر في

أواخر القرن الثالث للهجرة في شخص محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو آخر أئمتهم الاثني عشر. وكنيته ابو القاسم ولقبه الامامية بالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي. قالوا وكان شاباً مرفوع القامة حسن الوجه والشعر. يسيل شعره على منكبيه ألقى الأنف أجلى الجبهة.

وفي تاريخ ابن الوردي: ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين. وتزعم الشيعة انه دخل السرداب في دار ابيه « بسر » من رأى « وأمه تنظر اليه فلم يمد اليها وكان عمره تسع سنين وذلك في سنة مئتين وخمس وستين على خلاف فيه. وهم يعتقدون انه لا يزال حياً وانه لا بد من ظهوره بعلامات خاصة في آخر الزمان. وكان على هذا المذهب السيد الحميري وله من أبيات:

إمام الهدى قل لي متى انت آيبٌ فمُنْ علينا يا إمام برجمة
ملنا وطال الانتظار فجد لنا بحمك يا قطب الوجود بزورة
فأنت لهذا الأمر قدماً معينٌ كذلك قال الله انت خليفتي اه

ويظهر ان الشيعة كلهم متفقون على الاعتقاد بالمهدي واما اهل السنة فملاؤهم على خلاف في شأنه وذلك لأن الأحاديث التي خرّجها علماءهم والتي تقدم لنا ذكر بعضها على شهرتها وكثرتها لم يرد منها شيء في الصحيحين (اي صحيح الامام البخاري الذي ولد في بخارى سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ. وصحيح الامام مسلم الذي توفي في نيسابور سنة ٢٦١ هـ). والمعلوم ان الصحيحين عند اهل السنة سقمان على سائر كتب الأحاديث فكل ما جاء فيها لزهم قبوله والعمل به بخلاف الأحاديث التي لم ترد فيها فانه لا يلزمهم قبولها بل هم يخبرون بين القبول والرد لذلك. ولما كانت جميع الأحاديث المروية بشأن المهدي مروية في غير الصحيحين اختلف علماء السنة فيه فمنهم من اعتمد تلك الأحاديث فانتظر ظهور المهدي ومنهم من لم يعتمد ذلك فلم ينتظر

ظهوره . وفي هذا الباب بحث طويل في مقدمة ابن خلدون في كلامه عن الفاطمي وما يذهب اليه الناس فمن أراد الإسهاب فليراجعه هناك .
على ان هذا الخلاف بين علماء السنة لم يؤثر شيئاً في اعتقاد الجمهور في ظهور المهدي وقد ظهر بين المسلمين من اهل السنة والشيعة في كل العصور رجال ادعوا المهدي فحامت حولهم الانصار فمنهم من ساعدتهم الاقدار والاحوال فأسسوا دولاً عظيمة دامت زماناً طويلاً ومنهم وهم الاكثر لم يكادوا يظهرن بدعواهم حتى طوى الزمان ذكرهم لأن الاحوال لم تكن معدة لنجاحهم .

مدعو المهدي في الاسلام : وأشهر الذين ادعوا المهدي من اول الاسلام الى الآن :

« محمد بن عبد الله » الملقب بالنفس الزكية ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ في عهد الخليفة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين فدعا الناس اليه وكان له أخ اسمه ابرهيم فنصره ففتح البصرة والاهواز وفارس ومكة والمدينة وبمات عماله الى اليمن وغيرها وكان ذلك في زمن الامام مالك فأفقى له وشدة أزره فكثرت دعائه حتى كاد يذهب بالدولة العباسية لو لم يستدرك المنصور أمره ويتغلب عليه ويقتله .

« وعبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب التي فتحت في الديار المصرية في أواسط القرن الرابع للهجرة وبنت مدينة القاهرة على يد القائد جوهر وقد اتسعت دولة الفاطميين وامتدت سلطتهم وطالت أيام حكمهم كما هو مشهور .

« وعبد الله بن تومرت » المعروف بالمهدي المرعي ويكنى أبا عبد الله أصله من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب رحل الى المشرق حتى انتهى الى العراق واجتمع بأبي حساند الغزالي وغيره فأخذ العلم عنهم واشتهر بالصلاح والتقوى وساح في الحجاز وجاء مصر ثم سار الى المغرب وأقام بمراكش وغيرها وتأسست على يده دولة عظيمة في أوائل القرن السادس للهجرة هي دولة بني عبد المؤمن .

« والعباس الفاطمي » ظهر بالمغرب في آخر المائة السابعة للهجرة وادعى المهدي فتكاثف الناس حوله وعظمت شوكته حتى دخل مدينة فاس عنوة وأحرق أسواقها وبيث العمال إلى الأنحاء لكنه قتل غيلة فانقضى أجله وسقطت دعوته .

« والسيد احمد » ظهر في أوائل القرن التاسع عشر لليلاد في جهات الهند وحارب الأسياخ على حدود بنجاب الشمالية الغربية سنة ١٨٢٦ م ولم تقم له قائمة .

« ومحمد احمد الدنقلوي » الذي ظهر في سنة ١٨٨١ م واضطر الحكومة المصرية إلى الخروج من السودان كما هو مشهور عند جميع القراء وسأني على تاريخه وأسباب ظهوره بالتفصيل إن شاء الله .

« ومهدي السومال » المعروف بالملأ المفتون الذي قام بعد محمد احمد في بلاد السومال فجرد عليه الانكليز الحملة بعد الحملة حتى مزقوا شمله وفلثوا شوكته وهم الآن يطاردونه في المفاز والقفار ولا يرجعون عنه حتى يقضوا عليه وعهد ذلك قريب .

ومن أراد التوسع في هذا البحث او في اي بحث من أبحاث التاريخ الاسلامي فعليه بالكاتب المتفنن والمؤرخ الذكي « جورج افندي زيدان » صاحب تاريخ مصر الحديث ومجلة الهلال الغراء وتاريخ التمدن الاسلامي فانه يعدّ للطبع كتاباً وافياً في « تاريخ الاسلام العام » على اسلوب جديد جلي قريب المأخذ سهل المنال .

محمد المهدي السنوسي : ومنهم من يعدّ محمد المهدي السنوسي الذي يحارب الفرنسيين الآن في بلاد كانم في مصاف المدعين المهدي ولهذا الرجل صيت واسع في الشرق والغرب وقد كان له شأن في تاريخ المهدي ويتوقع ان يكون له شأن عظيم في مستقبل الايام لذلك رأيت ان آتي على تاريخه ببعض الإسهاب فأقول : « ان محمداً المهدي السنوسي هذا هو نجلي الاستاذ الشهير محمد بن علي

السنومي من ذرية الحسن بن الامام علي بن ابي طالب (رضى) . ولد أبوه سنة اربع او خمس بعد المئتين والألف بصحراء مستغانم من أعمال الجزائر ونشأ فيها وطلب العلم بمدينة قاس واشتغل بالطريقة الدرقاوية . ثم رحل الى مكة المشرفة فلقى بها الاستاذ احمد بن ادريس الشريف الفاسي المشهور بالعلم والصلاح وأخذ عنه الطريقة الصوفية من فرع الشاذلية فبرع فيها فأحبه استاذهُ المذكور وخلقه وأذن له في إعطاء المهود وتلقين الذكر فبنى زاوية بجبل ابي قبيس بمكة . ثم رحل الى الجبل الاخضر من ارض طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ هـ وبني في تلك الجهات عدة زوايا وأقام حتى رزق ولديه السيد محمداً المهدي الذي فيه كلامنا سنة ١٢٦١ هـ والسيد محمداً الشريف سنة ١٢٦٣ هـ . وفي تلك السنة عاد الى جبل ابي قبيس بمكة فأقام فيه نحو سبع سنين مشغولاً بإقراء الحديث والفقه فشاغ صيته وهرع اليه الناس للتلقي عنه . وتوفي الاستاذ السيد احمد بن ادريس في اليمن وله هناك قبة تُزار وكان السنومي قد صحبه الى اليمن فعاد بعد وفاته الى مكة . وحدث في تلك الأثناء ان الشريف عبد المطلب شريف مكة عصى الدولة فاتهم السنومي بمشايسته على ذلك سرّاً فخاف من الإقامة بمكة بعد هذه التهمة فرحل منها عائداً الى الجبل الاخضر عن طريق مصر وكان على مصر المفقور له عباس باشا فأكرم وفادته وبني له زاوية بخارج القاهرة عند الشيخ القللي بحجة باب الحديد فلم ينزل بها وإنما نزل في ناحية كرداسة بالجيزة فهرع الناس لزيارته والتبرك به . ثم سار الى الجبل الاخضر فنزل بمحل عرف بالعزيزات وهو قصر قديم فرممه وأصلحه وسماه العزيزات وأقام به سنتين يبث طريقته فلما كثر مريدوه في صحراء ليبيا أراد ان يسكن بينهم ويعتزل عن مواطن الحكومات فسألهم عن مكان فيه ماء فدلوه على الجغبوب وهي على مسافة عشرة ايام من العزيزات وثلاثة ايام من سيوه فرحل اليها سنة ١٢٧٣ هـ وبني زاوية وأقام فيها ينشر طريقته بين عرب البادية الى ان توفي في ٩ صفر سنة ١٢٧٦ هـ ودفن هناك . وله مؤلفات كثيرة منها إيقاظ الوسنان في العمل بالسنة والقرآن . والسلسيل المعين في الطريق

الاربعين . والمنهل الرائق في الأسانيد والطرائق . والشموس الشارقة في سماء مشايخ المغاربة والمشاركة .

وقام بعده بثشر طريقته وتربية مريديه ولده وخليفته الاستاذ السيد محمد المهدي السنوسي الذي فيه كلامنا يعضده أخوه السيد محمد الشريف السنوسي فازداد عدد المريدين للسنوسية في عهده اضعافاً كثيرة وزادت طريقته انتشاراً في الصحراء الكبرى وامتدت الى بلاد وداي وكانم وباجرمي ودارفور . وله الآن في تلك البلاد كلها وفي مصر والحجاز نحو ٣٠٠ زاوية وفي كل زاوية خليفة من قبله يدير شؤونها ويبايع الناس فيها بدلاً عنه ومدرسة لتعليم القرآن ومبادئ العلوم . وكل خليفة ينشئ له زرعاً بمساعدة السالكين عنه الطريق ويقتني الماشية فينفق من ريعها على الزاوية وما فضل يرسله الى شيخه السنوسي حتى اصبح السنوسي أشبه بملك يجبى اليه الخراج ومقامه عند اهل طريقته أعظم من مقام الملوك وأهل الصحراء الكبرى لا يعرفون حاكماً غيره ولا يخضعون للحكام إلا بواسطته بل هم يعتقدون انه المهدي المنتظر وقد قاموا معه في الحرب الحاضرة على الفرنسيين حاسبين ان هذا وقت ظهوره وانهم الآن يحامدون في سبيل الله ومهديه .

ولما قام محمد احمد بدعوى المهدي في السودان بعث الى السنوسي بكتاب يدعوه فيه ان يكون خليفته الثالث أي في مقام الخليفة عثمان بن عفان فرفض الدعوة باحتقار ولم يرد الكتاب وقيل انه قال للرسول اخبروا محمد احمد اننا لا نساوي التراب الذي كان يطأه عثمان . وقد أوعز الى ملك وداي ان لا يحرك ساكناً مع محمد احمد فلا ينصره ولا يحاربه إلا اذا جاءه محارباً فليحاربه . قيل وقد أرادت الدولة العلية منذ بضع سنين ان تستدعي السنوسي الى الاستانة ليقم في حماها فلما شعر بذلك رحل من جفوب ونزل في واحة الكفرة وبني له هناك زاوية سماها زاوية التاج فاجتمع اليه الطلبة من تونس ومصر والشام وبادية الغرب . ثم ارتحل منها الى قرو وهي واحة بين الكفرة وعاصمة وداي ولم يزل مقيماً فيها يدير الحرب التي أشهرها قريباً على الفرنسيين لأنهم دخلوا

البلاد التي بعدها ضمن سلطانه . والمشهور عنه انه يريد تقويم الدين الاسلامي ولعادته الى أصله القديم ومقاومة كل ما جد من زخرف الملك وزينة الدنيا . ومن عادته ان لا يكتب احداً من غير طريقته ولا يحاوب احداً على خطابه إلا اذا كان الخطاب من مسند رسمي فانه يحيب عليه جواباً رسمياً وهو لا يحب ان يداخل احد من الاجانب في شأنه ولا يسمح للنصارى ان يطأوا زاويته بل يكره تجولهم في الصحراء بين زواياه . وله الآن بين الحجاز وواحة قرو مراكز للبريد في جده والسويس وكرداسه وسيوه وجقبوب والكفرة وله في كل مركز وكيل مسئول عن اتصال الكتب من مركزه الى المركز الذي يليه وهو يوصي مريديه بالمبالغة في حفظ الأسرار وضم الكلمة . هذا ما وصل الينا من أمر السنوسي والله أعلم .

أئمة المسلمين :

ثم ان أئمة الدين عند أهل السنة ثلاث فرق وهي :

أئمة علم التوحيد : وهم الذين بحثوا عن وجود الحق جل جلاله وصفاته وأسمائه وأفعاله وعن ملائكته وأنبيائه وكتبه ورسله والنوم الآخر وهم كثيرون وانما الذين اشتهر مذهبهم واستمر الى الآن اثنان وهما الامام ابو الحسن الاشعري والامام منصور الماتريدي وبينهما اختلاف طفيف في مسائل منها مسألة عدد صفات الله وحدوث صفات الافعال او قدمها فالامام الاشعري يعتبر صفات الله سبحانه سبعا وهي القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام . والامام الماتريدي يعتبرها ثمانية بزيادة صفة التكوين . واما من قبيل صفات الافعال مثل الخلق والرزق والاحياء والامانة ونحو ذلك فالذي عليه الاشعري انها حادثة عند حدوث متعلقها المخلوق . واما الماتريدي فيقول انها قديمة لأنها تفاصيل الصفة القديمة عنده التي هي التكوين ، فانقسم المسلمون بهذين الامامين في عقائدهم التوحيدية الى قسمين : قسم اتبع الماتريدي وهم الخنفية والباساقون على مذهب الاشعري .

وأئمة الفقه : وهم يبحثون في الاحكام الشرعية التي تتعلق بالمعاملات كالبيع والشراء والعبادات البدنية كالصلاة والزكاة والحج . ومأخذ هذه الاحكام عندهم اربعة هي أصول الفقه وهي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس المستنبط منها . وذلك انهم كانوا اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدأوا بالكتاب فان وجدوا فيه نصاً تمسكوا به وإلا فزعوا الى السنة ابي الحديث فان رأوا في ذلك خيراً نزلوا على حكمه وإلا فزعوا الى إجماع الصحابة لأنهم راشدون فلا يجتمعون على ضلال فان عثروا على ما يناسب مطلوبهم حكموا بالحادثة على مقتضاه وإلا فزعوا الى القياس لأن الحوادث والوقائع غير متناهية والنصوص متناهية فلا يتطابقان فقالوا قطعاً ان القياس واجب الاعتبار ليكون بصدد كل حادثة شرعية اجتهاد قياسي فالاجتهاد عندهم هو استنباط الاحكام الفرعية من الاصول الاربعة المتقدم ذكرها . وكان الأئمة المجتهدون في صدر الاسلام كثراً ولكن الذين تدونت مذاهبهم وبقيت الى الآن فقلل بعدم باب الاجتهاد اربعة وهم :

« الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت » ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ على الأصح .

« الامام ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك » ولد بالمدينة سنة ٩٥ هـ وتوفي فيها سنة ١٩٧ هـ تقريباً .

« الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي » ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ .

« الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل » ولد في بغداد في الأرجح سنة ١٦٤ هـ وتوفي فيها سنة ٢٤١ هـ .

فانقسم المسلمون هؤلاء الأئمة الى اربعة مذاهب : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي فتغلب الحنفي في سوريا والعراق والشافعي في مصر والمالكي في المغرب والسودان والحنبلي في الكوفة ونجد وهو أقلها انتشاراً .
وأساس الاختلاف بين هؤلاء الأئمة هو اختلافهم في النظر الى أصول الفقه

الاربعة والأخذ عنها . فالامام ابو حنيفة شديد التمسك بالقياس وربما يقدم القياس الجلي على أخبار الآحاد . اما الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل فانهم لا يرجعون الى القياس الجلي او الحنفي ما وجدوا خبراً او أمراً حق لقد سمى الشهرستاني الحنفية بأصحاب الرأي وسمى المذاهب الاخرى بأصحاب الحديث . ثم ان الشافعي أشد تمسكاً بالحديث الصحيح من الجميع وقد قال : « ما صح من الحديث فهو مذهبي » . وأما مالك فانه شديد التمسك بعمل اهل المدينة لأن اهل المدينة رأوا النبي وأعماله في آخر عمره وهم مقلدون فأعمالهم مؤسسة على رؤية وهي عنده مقدمة على خبر الواحد . ثم ان أحد هؤلاء الأئمة قد يضح عنده من الأحاديث ما لا يصح عند الآخر فيحكم به فيخالف غيره . وفوق ذلك فان العربية لغة الكتاب والسنة قابلة التأويل في ألفاظها فكان كل منهم يحملها على ما يراه أولى عنده ومن ذلك كله حصل الخلاف . وكلهم يبحثون في أفعال المكلفين وأقوالهم وقد قسموها الى خمسة أقسام وهي :

« الواجب » وهو الذي يثاب على فعله ويُعاقب على تركه كالصلاة .

« والحرام » وهو الذي يعاقب على فعله ويثاب على تركه كالسرقة .

« والمندوب » وهو الذي يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه كالصيام في غير رمضان .

« والمكروه » وهو الذي يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله .

« والمباح » وهو الذي لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

وأئمة الصوفية : وهم يشتغلون بالتخلي عن العالم الدنيوي والاشتغال بما يقرب من الحق عز وجل ويؤدي الى مشاهدته ولذا قيل : التصوف هو الجهد في السلوك الى ملك الملوك وان يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت . وأساس طريقتهم ستة امور : تقليل الطعام وتقليل الكلام وتقليل المنام واعتزال الأثام والذكر المدام والفكر التام اي التفكير في مصنوعات الله تعالى بصفاء قلب . وعندما ان ذلك يؤدي الى نفي مساوئ الاخلاق والتخلي بكارمها وانجلاء الظلمات الدنيوية عن القلب وتحلي الحق فيه .

الذكر ، والمراد بالذكر المدام ترديد اسم من أسماء الله تعالى مراراً عديدة
بمحصر او بلا محصر حتى يستولي معنى الاسم على ضمير الذاكر وهو واجبه بحيث
لا يكون له شعور بالعالم الحسي . وهم يستعينون على العدّ بالمسابع المعروفة .
وقد حدد الصوفية درجة الكثرة في الذكر المشار اليها بالآية : واذكروا الله
كثيراً لعلكم تفلحون ، فقالوا ان تكرار الاسم ٣٠٠ مرة هو اول حد الكثرة .
وأسماء الله سبحانه كثيرة وجاء في الحديث ان الله تسمه وتسمين اسماً من
أحصاها دخل الجنة . ثم ان الذكر عند اهل الطرائق على نوعين فاما ان يردد
الذاكر اسماً من أسماء الله تعالى وحده مرراً او جهرراً او ان يردده كذلك مع
جمهور من الناس في مجلس خاص يسمى حلقة الذكر . هذا ولكل حلقة شيخ
يرئسها او نقيب يفتتح الذكر فيفتتح النقيب الذكر بكلمة التوحيد وهي لا
إله إلا الله فيكرر الجمهور معه هذه الكلمة مراراً . معلومة حتى لقد يقتصرون
عليها في الجلسة او يلتقلون منها الى اسم من أسماء الله كقولهم الله حي قيوم
أو غير ذلك . وبما جرت به العادة عند اهل الطرائق ان يكون للحلقة منشد
ايضاً يسمعون من كلام الصوفية ما ينشطهم فيلقي المنشد والناس يذكرون
مقاطيع منها قول الشيخ علي وفا عن لسان الحق عز وجل " يخاطب السالك
(المريد) :

أطع أمراً نرفع لأجلك حبيبنا	فاننا خصصنا بالرضى من أحبنا
وسلم الينا الأمر في كل ما جرى	فما القرب والأبعاد إلا بأمرنا
ولا تعترضنا في الأمور فكل من	أردناه أحبنا حتى أحبنا
وسر نحونا لا نخش في الليل وحشة	وكن ذاكراً فالانس في طيب ذكرنا
وعن ذكرنا لا يشغلنا شغل	ولا تنسنا واقصد بفعلك وجهنا
ولا تنسى ميثاقاً أخذناه أولاً	عليك باقرار كتبنا عندنا

وللذكر الشروع عند اهل الطرائق شروط أهمها ان يكون بخشية وحضور
أي ان يعبد الله كأنه يراه وان لا يأتي بحركة في حالة الذكر إلا ان يهز رأسه
هزاً لطيفاً . وأما ما نراه من فعل بعض المتصوفين في حلقات الذكر من الرقص

والتصفيق وهز الرأس والعنق فانه مخالف للصوفية وينكره جميع علماء المسلمين وقد قال الاخضري في منظومته في آداب الذكر يندد على المتطفلين على الصوفية :

والرقص والصراخ والتصفيق ' عمداً بذكر الله لا يليق '

الراتب : ثم ان لكل طريقة ادعية مأخوذة من الاحاديث او من كلام بعض الأولياء تتضمن الاستعاذة من كل شر والسؤال لكل خير وقد يكون مع تلك الادعية بعض آيات قرآنية وأذكار في التسبيح والتحميد والتهليل والصلوة على النبي والاستغفار تجمع في كتاب خاص يسمونه « الراتب » وذلك لأن شيخ الطريقة يرتب قراءته على تلامذته صباحاً ومساءً على انفراد او اجتماع. والعادة عندهم بعد قراءة هذا الراتب في الاجتماع انهم يقرأون الفاتحة ويهدون ثوابها للنبي ﷺ ومشايخ طريقته على الترتيب فيقول التقيب بعد الفراغ من الراتب الفاتحة لروح النبي ويرفع بكفيه ونظره الى السماء فيقرأ الفاتحة ويقرأ الجلوس معه ثم يقول الفاتحة لشيخ الطريقة الاكبر ثم من بعده على الترتيب الاكبر فالاكبر ثم يتصافحون وينصرفون .

ولمشايخ الطرق اعتبار عند مريدتهم يقرب من العبادة وكلما اشتهر شيخ طريقة في جهة واستقل من هذه الدنيا بنوا له قبة ومزاراً وزاروه في المواسم والاعياد تبركاً وقرأوا الفاتحة لروحه وأهدوه ثوابها .

وأما « أئمة الصوفية » فكثيرون لا عد لهم والمشهور منهم سبعة وهم :
« الامام عبد القادر الجيلاني » ولد سنة ٤٧٠ هـ وتوفي ٥٦١ هـ وله مقام في بغداد .

« والسيد احمد الرفاعي » توفي سنة ٥٧٨ هـ وله مقام في ام عبيدة بالعراق .
« والسيد ابراهيم الدسوقي » ولد ٦٣٣ هـ وتوفي ٦٧٦ هـ وله مقام في دسوق بمصر .

« والسيد احمد البدوي » ولد ٥٩٦ هـ وتوفي ٦٧٥ هـ وله مقام مشهور في طنطا بمصر .

« والشيخ ابو حسن الشاذلي » توفي سنة ٦٥٦ هـ وله مقام بصحراء عيذاب .
 « والشيخ محمد الخلوئي » ، « والشيخ عبد الله النقشبندي » وله مقام في
 الهند ورئيسهم الاعظم « الامام الجنيد البغدادي » توفي سنة ٢٩٧ هـ وله مقام
 في بغداد .

فأشهر الطرق المنتشرة الآن في العالم الاسلامي تنسب الى هؤلاء الرؤوس
 إما الى واحد منهم او الى أكثر من واحد . ولكل شيخ طريقة خرقه او
 عمامة خاصة يعرف بها هو وخلفاؤه يلبسونها على الرأس وهذه الخرق هي
 بحسب ألوانها أربع :

- « الخضراء » وهي خرقه الشيخ عبد القادر الجيلاني
- « والسوداء » وهي خرقه السيد احمد الرفاعي .
- « والصفراء » وهي خرقه السيد ابراهيم الدسوقي .
- « والحمراء » وهي خرقه السيد احمد البدوي .

ولكل منهم راية من لون الخرقه وأما اصحاب الطرق الاخرى فهم مقلدون
 هؤلاء في لون الخرق والرايات . ويكتبون على الراية هكذا : « لا إله إلا الله
 محمد رسول الله » وهذه الجملة لا بد منها على كل راية ثم تزيد كل طريقة عليها
 ما يحسن لها من آية قرآنية او شيء من الحديث او اسم شيخ الطريقة
 ونحو ذلك .

وقد اختلف الباحثون في أصل الصوفية فمنهم من قال انها مأخوذة عن
 نساك الهند ومنهم من قال انها عن نساك اليونان والمشهور انها مأثورة عن
 رئيسهم الأعظم الامام الجنيد البغدادي الذي أخذها عن خاله السري السقطي
 عن معروف الكرخي عن داود بن نصير الطائي عن حبيب المعجمي عن الحسن
 البصري عن علي بن ابي طالب عن النبي ﷺ .

واختلفوا في سبب تسميتهم بالصوفية فقال بعضهم سموا بذلك للبسم
 الصوف وقيل لصفاء قلوبهم . وقيل لأن أول من ظهر بمثل حالهم هم أهل
 الصفة وهي بناء في آخريات المسجد النبوي بالمدينة كان يسكنه الزهاد من

المسلمين للمعبادة . وقيل هي مأخوذة من صوفية باليونانية ومعناها الحكمة والله أعلم .

أعياد المسلمين ومواسمهم :

وأما أعياد المسلمين فهي :

« عيد رمضان » يمتدونه بعد صيام رمضان ويسمون عيـد الفطر وهو اليوم الأول من شهر شوال وفي صبحيته يخرج الناس زكاة الفطر ويصلون صلاة العيد . وقد جرت العادة على جعل هذا العيد ثلاثة أيام .

« وعيد الضحية » وهو يبدأ من عاشر الحجة من كل سنة ويدوم أربعة أيام ويسمون عيـد النحر و«عيد الحج» . أما تسميته بعيد الحج فلأنه يكون في موسم الحج ، وأما تسميته «بعيد النحر» فلأنهم ينحرون فيه الضحايا . وقد يسمونه العيد الكبير ويسمون عيد رمضان العيد الصغير وليس للمسلمين إلا هذان العيـدان .

وأما مواسمهم التي اعتادوها بعد الصدر الأول في الاسلام وليست مما أوجبه الشرع فهي :

« يوم عاشوراء » وهو اليوم العاشر من شهر محرم من كل سنة . قيل هو اليوم الذي استوت فيه السفينة على جبل الجودي بالهند .

« مولد النبي » ليلة ١٢ ربيع أول وهي الليلة التي ولد فيها النبي ﷺ على المشهور وهم يحتفلون بها احتفالاً عاماً ويتخذونها عيداً ويحتشرون لقراءة المولد الشريف .

« وليلة المعراج » وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب في الأرجح كان فيها الإسراء بالنبي من مكة الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس والمعراج الى السما وفيها يحتفلون بالاجتماع في المساجد الشهيرة لقراءة قصة المعراج .

« ليلة نصف شعبان » وهي الليلة التي يحتفلون فيها بالاجتماع في المساجد للعبادة كاللحاء وقراءة القرآن ويصومون نهارها .

« ليلة القدر » وهي في المشهور ليلة ٢٧ رمضان وتعرف عندهم ايضاً بالليلة المباركة وهم يحيونها بقراءة الأدعية الى الصباح أملاً بأن يتجلى لهم الحق سبحانه وتعالى ويحيب دعاءهم . وبما جاء في فضل هذه الليلة في القرآن الكريم « ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر » .

« ويوم الجمعة » عندهم كيوم الأحد عند النصارى والسبت عند اليهود لكن الشغل فيه غير محظور عليهم إلا مدة الصلاة وهذا نص الآية القرآنية في هذا اليوم : « يا أيها الذين آمنوا اذا لودى للصلاة من يوم الجمعة فاسموا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

الزواج في الاسلام :

والرجل ان يتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع من النساء وان خاف ان لا يعدل فواحدة . وله ان يطلق زوجته فان طلقها وهو كاره لها لزمه المهر كاملاً ان دخل بها وان لم يدخل بها فنصفه يدفعه لها أو لوليها . وإن كانت الكراهة من المرأة وأرادت فراقه فلها ان تقتدى منه بمال ترضيه به ويوضع الطلاق على ذلك ويسمى في الشرع خلاًصاً . وان طلق امرأته ثلاثاً لا تحل له حتى تتكح زوجاً غيره .

وعقد النكاح المستوفي المشروط يكون بولي وصدّاق (أي مهر) وشاهدي عدل . فالولي من قبل الزوجة وهو من له ولاية عليها بملك أو ابوة أو ايصاء أو تعصيب أو كفالة أو سلطنة أو اسلام . واما الصدّاق فأدائه ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم من الفضة أو ما هو قيمة أحدهما من المروض وأكثره لا حد له فلا يصح النكاح شرعاً بدونه لأن هذا القدر عندهم حق لله تعالى وللادمي فلا بد منه وما زاد على ذلك حق للمرأة فلها ان ترضى باسقاطه .

وشرط الرجل ان يكون مسلماً ذكراً مميزاً عاقلاً . وشرط المرأة ان تكون خلية من الموانع التي تقتضي تحريمها من نسب وصهارة ورضاع وهذا نص الآية « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وأمهات نساءكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً » .

ولا يجوز نكاح المعتدة إلا ان تستوفي أيام العدة وعدة الطلاق لذات الحيض ثلاثة قروء وللأيسة ثلاثة أشهر وللحامل وضع حملها . وعدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام .

الميراث : ومما جاء في الميراث : « إن امرؤ هلك وليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلها الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين » الآية .

حكومة الاسلام :

الوظائف الدينية : والحكومة الاسلامية في زمن الخلفاء الراشدين هي الخلافة عن النبي ﷺ فيلقبون أبا بكر بخليفة رسول الله ويقتدون به في جميع شعائهم الاسلامية يأخذون عنه أحكامهم الدينية فهو الامام والمفتي والقاضي والمنفذ للأحكام وكذلك عمر وهو اول من لقب بأمر المؤمنين ثم عثمان ثم علي وانتهت الخلافة بتنازل الحسن السبط لماوية فصارت ملكاً عضوداً وتقلب الملك في بني أمية فالعباسيين فالفاطميين فالسلطين حتى انتهى الى سلاطين آل عثمان منذ القرن الثالث عشر للمسيح . ويلقب السلطان بخليفة رسول الله وأمر المؤمنين فهو الحاكم السيامي الديني فيتولى بنفسه الأحكام السياسية والادارية ويندب العلماء الصالحين للنيابة عنه في النظر في القضايا

الدينية فيولي عالماً يفصل القضايا بين المسلمين في المحاكم الشرعية ويسمى « قاضي الاسلام » . وعالماً يُستفتى في مسائلهم الحالية فيفتي حسباً تدون في كتبهم الشرعية ويسمى « مفتي الاسلام » . وعالماً يراعي شأن العلماء بحسب درجاتهم واستحقاقهم وليساقطهم وينظر في جميع المسائل المتعلقة بهم كالعزل والتولية والإيقاف ويسمى « شيخ الاسلام » . وعالماً يراعي مشائخ الطرق الصوفية بحسب درجاتهم واستحقاقهم وليساقطهم وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهم كالعزل والتولية والإيقاف ويسمى « شيخ مشائخ الطرق » او شيخ السجادات. وعالماً شريفاً يراعي شأن الأشراف المتصل نسبهم بآل البيت من جهة إثبات نسبهم او نفيه ويسمى « نقيب الأشراف » . ويشترط في هذا ان يكون شريفاً من ذرية فاطمة بنت النبي ﷺ او من ذرية عمته الحزمة والعباس وفي الحديث : « اشرف لي ولعمي الحزمة والعباس » .

والآن ففي كل حكومة اسلامية منظمة قاضٍ ومفتٍ وشيخ للاسلام وشيخ للطرق ونقيب للأشراف عام او خاص . ويشترط في الجميع اللياقة والأهلية والمعرفة والتفطن لدقائق الأمور شرعاً وسياسة . وأهم هذه الوظائف القضاء والإفتاء وهما لا يجتمعان في رجل واحد إذ لا يجوز الإفتاء سياسة للقاضي ولا القضاء للمفتي .

الزكاة : ويؤخذ من المسلمين بحسب الشرع زكاة الأموال عيناً او حرثاً او ماشية اذا بلغت النصاب . أما « نصاب العين » فذهباً عشرون ديناراً أو فضة مثلاً درهم وأما « نصاب الحرث » فهو العشر اذا زرع على المطر ونصف العشر اذا زرع بآلة وأما « نصاب الماشية » فأوله في الإبل خمس وعليه شاة وقمامه خمس وعشرون وقمامه في البقر ثلاثون وفي الغنم أربعون . وكذلك زكاة الأبدان وهي زكاة الفطر التي تؤخذ بعد صيام رمضان وأما غير المسلمين فتؤخذ منهم الجزية .

بيت المال : وكان جميع ما يحصل من الزكاة والجزية يجمع في بيت مال المسلمين فينفق منه على الجند والفقراء واحتياجات المسلمين كافة .

• الفدية : ثم ما يؤخذ في الحرب من الغنائم فخمسه لأهل بيت النبي والباقي يوزع على المحاربين بدليل قوله « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول » الآية .

الفداء : وأما الفداء فهو ما كسبه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال اما بالجلاء أو بالمصالحة على جزية أو غيرها وهذا نص الآية بشأنه : « وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما أفاءكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

العقوبات : ومما جاء في عقاب السارق « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » الآية . وفي عقاب الزاني « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » الآية هذا اذا كان عزيباً وأما المتزوج فعقابه الرجم . وعقاب كل من القاذف وشارب الخمر ثمانون جلدة . وأما عقاب القاتل فالقتل . و « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يُقتلوا أو يُصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو من الأرض » الآية .

ولكل من زكاة الأموال وزكاة الأبدان والجزية من غير المسلمين والغنائم والفداء والعقوبات باب في كتب الفقه مفصل فيه شروطها وكيفيةها ومقدارها فلتراجع .

هذا الذي كان عليه أهل الاسلام في مبدأ أمرهم وهو لا يزال متبعاً في الممالك الاسلامية التي لم يتسع فيها نطاق الحضارة بعد . أما ممالك الدولة العلية التي اتسع فيها نطاق الحضارة فقد تركت مادة الزكاة لأربابها يؤدونها حسباً تقتضيه ذمتهم وسنت قانوناً للضرائب تجمعها من الرعية لحفظ الجند وحماية البلاد وقانوناً للتجارة وقانوناً للمعاملات وغيرها من القوانين التي استلزمها تغير الزمان والأحوال وهي مؤسسة على كتب الفقه الأربعة وموافقة لها في الكليات والمبادئ وأساسها كلها العدل .

هذه هي خلاصة مذاهب المسلمين وعقائدهم وأعتقدهم وطرايقهم وأعيادهم وحكومتهم لخصتها عن أشهر كتبهم وأجل علماءهم وعرضتها على سيادة الأستاذ الأعظم والعلامة الشهم . د الشيخ محمد عبده ، مفتي أفندي الديار المصرية فصدقها .

فأهل السودان المسلمون عموماً من سواكن ومصوح على سواحل البحر الأحمر الى سليغال على شطوط الأوقيانوس الثلاثيني هم في المذهب سنيون وفي العقائد التوحيدية على مذهب الامام الأشعري . وفي الفقه على مذهب الامام مالك . وهم يشتركون مع العالم الاسلامي في الاعتقاد بالمهدية بل لم يبق بينهم شيخ اشتهر بالعبادة والتقوى إلا ظنوه المهدي المنتظر . وأما في الصوفية فلم يبق طرق مختلفة أشهرها :

الطريقة القادرية او الجيلانية : وهي أول طريقة اشتهرت في السودان علمها تاج الدين البهاري في أوائل سلطنة القونج فسلك على يده الكثير من الوجهاء وعمت جميع بلاد سنار . ومن اشتهر من مشايخ هذه الطريقة قديماً الشيخ ادريس ود أرباب في العيلفون والشيخ عبد الله العركي في أبي حراز واشتهر حديثاً في أواخر الفتح المصري الشيخ العبيد ود بدر في أم ضبان (ذبان) والشيخ المضوي عبد الرحمن من ذرية الشيخ ادريس وكلهم على النيل الأزرق .

والطريقة القادرية السمانية : وهي الطريقة الجيلانية القادرية عن فرع الشيخ محمد السمان المدفون بالمدينة وقد دخلت بلاد سنار في آخر سلطنة القونج عن يد السيد احمد الطيب ود البشير من اهل المدينة المنورة الذي توفي في ٢٧ رجب سنة ١٢٣٩ هـ ودفن في سفح جبل أم مَرَّح كما مر . فصارت القادرية الجيلانية في السودان فرعين فرعاً ينتسب الى عبد القادر الجيلاني بواسطة تاج الدين البهاري المتقدم ذكره وفرعاً ينتسب اليه بواسطة السمان . وكان محمد أحمد المتهمدي على هذه الطريقة وقد أخذها عن الأستاذ محمد شريف نور الدائم ابن الشيخ الطيب المذكور كما سيجيء .

والطريقة الشاذلية : دخلت بعد الطريقة القادرية فاشتهرت عند المجاذيب الجميلين في بربر وكبيرها الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين بن الشيخ احمد بن المجذوب الذي توفي ودفن بالدامر سنة ١٢٤٧ هـ .

والطريقة المرغنية : وهي مأخوذة عن النقشبندية والشاذلية معاً وقد دخلت السودان في آخر سلطنة القونج على يد السيد محمد عثمان المرغني فاشتهرت في التاكا بين الحلانقة وبني عامر والحباب وفي دنقلة بين البرابرة والشايقية وبعض الكبابيش والبشارين والعبابدة . وكان منها في كل بلاد في السودان نقر قليل . أما مؤسس هذه الطريقة فقد ولد ودفن في مكة وله فيها قبة تزار وهو يرجع في نسبه الى النبي ﷺ .

والطريقة الاسماعيليه : وهي فرع من الطريقة المرغنية وقد انتشرت في كردوفان على يد مؤسسها الشيخ اسماعيل الولي ابن عبد الله الكردوفاني حفيد الغرابوي صاحب الحوش الذي ذكرناه بدنقلة وقد جاء أبوه عبدالله بتجارة الى كردوفان فتوطن فيها فرزق ابنه اسماعيل هناك فنشأ مشغلاً بالديانة فدرس القرآن صغيراً قبل البلوغ وتلقى العلوم الاسلامية وأخذ يعلمها لأولاد المسلمين الى ان حضر السيد محمد عثمان المرغني بكردوفان فأخذ عنه الطريق فصار من أكابر الأولياء وتفرّد منها بفرع خاص عرف بالطريقة الاسماعيليه وهو لا يختلف عن الطريقة الأصلية بشيء إلا باختصار بعض الاذكار وتطويل بعضها . قيل وقد دون الشيخ اسماعيل نحو خمسة واربعين كتاباً في فنون الشريعة والحقيقة أودعها علوماً جليلة لم يسبقه اليها احد وقد نوّه بذلك قاضي مديرية كردوفان في قصيدة مدحه بها فقال :

فاذا سطوت فلا معارض ينتمي واذا رحمت فأنت اسماعيل
«أبديت ما لم يبدّه من قد مضى» يا من يزين لكفك التقييل

وتوفي بالابيض في ١٦ رجب سنة ١٢٨٠ هـ فدفن بمجده هناك وبني فوق قبره قبة تزار الى الآن .

والطريقة التيجانية : وهي فرع من الحلوتية ومؤسسها الشيخ احمد التيجاني المشهور المدفون بفاس من أعمال مراكش وطريقته ممتدة في وادي وبرتو وغيرها من غرب السودان الأقصى وقد دخلت سودان النيل في أواخر الفتح المصري ومن خلفائها الشيخ عبد الماجد ابن أخ محمد الحير المقيم الآن في بربر ؟

والطريقة الاحمدية والطريقة الرفاعية : وهما حديثتان في السودان وأتباعها قليلون .
ولأهل السودان في الديانة كثير من الأوهام الفاسدة والاعتقادات الباطلة كالتكهن والتطهير والمزائم السحرية والطلاسم ونحو ذلك مما لا ينطبق على الكتاب والسنة ولا يسلّم به المسلمون الاحرار وسيأتي الكلام عليه في خرافاتهم .

الفصل الثالث

في

معارفهم

أما المعارف في السودان فقليلة جداً ويندر وجود المدارس في غير المدن والقرى الكبيرة . والمدارس إما أهلية أو أميرية والاهلية نوعان : مدارس القرآن ومدارس العلم .

أما « مدارس القرآن » فيدرس فيها القرآن فقط وهي إما ان يئشها رجل من حفظة القرآن في بيته فيدرس فيها بنفسه وينفق عليه من عنده لوجه الله تعالى ، وإما ان يئشها رجل من أهل اليسار في بيته فيؤجر فقيهاً براتب معلوم وينفق عليه وعلى التلامذة ، وإما ان يشترك في إنشائها والإنفاق عليها أهل البلدة جميعاً فيجعلون المدرسة إذ ذاك في غرفة بلصق الجامع . ويسمى المدرس في مدارس القرآن الفقهي (تحريف فقيه) والتلميذ حواراً (ج. حيران) والمدرسة خلوة . ويدرس الفقيه القرآن بأن يكتبه لتلامذته أجزاء على ألواح من خشب الغُسر وغيره حتى اذا استظهروا جزءاً أعاه وكتب لهم غيره مما يليه . وهو يقسم القرآن أقساماً فكلما أتقن التليذ قسماً زوَّق لوحه وكتب عليه الآية الأولى من القسم الثاني فيحمله التليذ الى أهله

دلالة على انه حفظ قسماً من القرآن فيرسلون معه الى الفقيه هدية تسمى «حق الشرافة» . وفي كل اربعاء يأتي كل تلميذ بقليل من الذرة فيسلقونها بالماء ويأكلونها مع الفقيه ويأخذون شيئاً منها الى بيوتهم تبركاً وتسمى كرامة الاربعاء . وهم ينقطعون عن المدرسة يومي الخميس والجمعة بإجازة من الفقيه تعرف بالمساحة ولهم في كل عيد او موسم مساحة يدعوم العريف قبل ابتدائها ويطلب «حق المساحة» للفقيه فيأتي كل منهم بشيء من الدراهم على قدر طاقته ودرجته في حفظ القرآن . وهم يحفظون القرآن ويرتلونه على القراءة المشهورة بالورث في دنقلة والسودان الغربي وعلى رواية ابي عمر في باقي السودان . ومتى ختم التلميذ القرآن صنع له أهله في الخلوة حذاقاً أي وليمة سروراً به وأعطوا الفقيه كساء من الدُمور او الدبلان وجانباً من النقود .

ويبدأ التدريس عندهم من الثالث الاخير من الليل فيدرس التلامذة على نار الحطب الى ما بعد الضحى ثم ينصرفون الى بيوتهم للغداء ويرجعون عند الظهر فيدرسون الى ما بعد العصر فينصرفون للعشاء ويعودون الى الخلوة فيدرسون على نار الحطب الى العشاء ثم ينامون الى الثالث الاخير من الليل فيعودون الى الدرس وهكذا . وأما الحطب فهم يأتون به من بيوتهم او يخرجون يوماً كل اسبوع فيحطبون كفايتهم ويسمون يوم بالفرقة .

وأما «مدارس العلم» فتنشأ كمدارس القرآن ولا تكون إلا في المدن الكبيرة فيعلم فيها أجلّ علمائهم العلوم العربية كبادئ الصرف والنحو وعلم التوحيد وعلم التفسير وعلم الفقه على مذهب الامام مالك وشيء من علم التصوف .

ولأهل السودان رغبة شديدة في تحصيل العلوم العربية حتى لقد يقصد بعضهم الازهر الشريف في مصر ويقضي السنين الطوال في تحصيلها وقد أنشئ لهم رواق في الازهر منذ عهد طويل يعرف برواق السناريين وأشهر من تخرج منهم في الازهر : الشيخ احمد ود عيسى صاحب مسجد ود عيسى المشهور بالجزيرة . والسيد احمد الازهري بن الشيخ اسماعيل الولي الكردي في المار ذكره .

والشيخ اسماعيل القادر ابن اخته . والشيخ عبد الرحمن المضوي . والشيخ الحسين ابراهيم الزهراء من أهل الجزيرة .

وكلمهم عادوا الى السودان فأنشأوا فيها مدارس العلم . وعاد السيد احمد الازهري سنة ١٢٨٩هـ الى الأبيض وبنى فيها جامعاً ومنازل لطلبة العلم وخلوة للقرآن فوفد اليه الطلبة من كل الأقطار فتخرج على يده عدة تلامذة انتشروا في السودان يبثون ما تلقوه عليه من العلوم وهذه هي العلوم التي علمها تلامذته على الترتيب : النحو والصرف فالتلخيص فجمع الجوامع لفردات اللغة فالمعاني والبيان والبديع فالعروض والقوافي بمن الكافي والحزرجية فالمنطق فعمل التوحيد فعمل التفسير والحديث فعمل الفقه فعمل التصوف فعمل الجبر والمقابلة . ومن تلامذته الذين تلقوا عليه هذه العلوم كلها ابنه السيد اسماعيل وقد حضر الى مصر سنة ١٩٠٠ م واطلع شيخ الازهر على معارفه فشهد له بفزارة التحصيل وأجازه بالفتوى والتعليم لأحكام الشرع وقد عينته حكومة السودان الجديدة قاضياً على كردوفان فكان من أجل قضايتها .

هذا وأهل السودان يهتمون بنسخ الكتب العربية لعدم وجود المطابع عندهم فأكثر كتبهم خطية وخطهم جميل نظيف . وهم يكتبون بمداد من « السجم » (الكتّن) والصمغ في دويات من فخار وأقلام من البوص . هذا بشأن المدارس الاهلية في السودان وأما المدارس الاميرية فسيأتي الكلام عليها .

الفصل الرابع

في

زراعتهم

الأراضي الزراعية : تقدم لنا في باب الجغرافية الوصفية ذكر أنواع المزروعات في السودان وغرضنا الآن الكلام على الأراضي الزراعية وكيفية زرعها . اما الأراضي الزراعية فنوعان : مطرية وبحرية .

أما « المطرية » فهي الأراضي التي تروىها الامطار وتشمل جزيرة سنار والقضارف وكردوفان ودارفور وأكثر اعتماد اهل السودان في زراعتهم عليها إذ فيها يزرع الدخن والذرة الكرجي والذرة الفثريته والسمسم والعنكوليب والقطن والتبغ وهي أشهر مزروعات السودان . وعليه فالسنة التي يقل فيها المطر تكون سنة جدد وغلاء .

وأما « البحرية » فهي لإراضي التي يروىها النيل وهي اربعة أنواع :

« ارض السواقي » وهي البرّ الثابت عن ضفتي النيل والجزائر التي لا يغمرها النيل مهما اشتد فيضه وهي تسقى بالسواقي والشواذيف .

« وارض المجروف » وهي جروف الجزائر وجرفا النيل شرقاً وغرباً .

« وارض الكروّة » وهي منخفضات في البرّ الثابت أشبه بترع يغمرها النيل عند اشتداد فيضه . وارض الكروّة وارض الجروف لا تحتاجان الى سقي وتزرعان بالسلوكة الآتي بيانها .

« وارض المترة » وهي الارض التي تسقى بماء المترة وهي حفرة واسعة تحفر بعيداً عن النيل فيرشح اليها ماءه وتركب عليها السواقي فتروى بها الارض التي حولها ولكن هذه الامتار لا تحفر إلا في بلادتي دنقلة وبربر حيث يقل نزول الأمطار .

الفصول الزراعية : أما الفصول الزراعية فالاراضي المطرية ليس لها إلا فصل واحد وهو فصل الأمطار . وأما البحرية فلها ثلاثة فصول تحسب بالأشهر القبطية وهي :

« الدميرة » وهو فصل الفيض ويبدأ من أواسط بؤنه ويدوم ٣ أشهر وتزرع فيه ارض السواقي فقط ومن زراعته الذرة الشامي والذرة المقد والقطن والعنكوليب .

« والشتوي » وهو فصل نزول النيل فيبدأ من أواسط توت ويدوم ستة أشهر وهو أهم الفصول الزراعية وفيه تزرع ارض السواقي بعد حصد زراعة الدميرة وتزرع الجروف والجزائر التي يغمرها النيل وارض الكروّة وارض الأمطار . ومن مزروعاته الذرة الشامي والمقد والعنكوليب وقصب السكر والدخن والبقول السوداني والقمح والتمس وجميع أنواع الخضر والفاكهة المتقدم ذكرها .

« والصيفي » وهو فصل التحريق ومدته ثلاثة أشهر من أواسط برمهات الى أواسط بؤنة وتزرع فيه ارض السواقي والجروف ببعض أنواع الخضر والفاكهة والذرة ايضاً ولكنها تحصد قبل أوانها فيجعلونها علفاً للبهائم وذلك لكي يعدّوها الارض لزراعة الدميرة .

ثم ان لكل نوع من الزرع ارضاً يحود فيها فالدخن يحود في الارض الرملية

والذرة في الارض التي يكثر فيها الماء والبطيخ في ارض الجروف الرملية والحضر في ارض الجروف غير الرملية .

الآلات الزراعية: أما الآلات الزراعية عندم فبسيطة جداً وقليلة وهي: « السواقي والشواذيف » وهي كما في صعيد مصر إلا أنها أضخم حجماً وأبطأ حركة . وقد استعملوا بعد الفتح الأخير السواقي الحديدية الجديدة من اختراع الذي النشيط الخواجه اسكندر نصره فنجحت نجاحاً عظيماً . « والمحراث » واستعماله قليل بل لم يكن معروفاً عندم قبل الفتح المصري . « والطورية » وهي كالطورية المصرية وهم يستعملونها لقلب الارض التي تسقى بالسواقي والشواذيف .

« والسلوكة » وهي آلة خاصة بالسودان وتزرع بها الحبوب في الاراضي اللينة أي في الجروف والاراضي الرملية وهي عصا طويلة معقوفة كالصولجان ولها رأس عريض محدد فيه وتد طوله نحو شبر . وأما كيفية استعمالها فهي ان الزارع يفرزها في الارض ويدوس برجله على الوتد ثم يرفعها فيصنع بها صفوفاً من الحفر الصغيرة بعضها بجانب بعض ويتبعه آخر فيبدر الحب المعروف عندم بالتيراب وفي مصر بالتقاوي . وفي السودان الغربي آلة تشبه السلوكة تعرف بالكدنة .

« والواسوق » وهي عصا طويلة في رأسها لوح عريض مثقوب من طرفيه وفي كل ثقب حبل تستخدم لشق الأتلام والجداول بعد حرث الارض ويعمل بها رجلان او ثلاثة معاً فرجل يفرز اللوح في الارض وواحد او اثنان يشدان بالحبلين تجاهه .

« والملودة » وهي عصا معقوفة لها في رأسها حديدة كحديدة الفأس تستعمل للحراث في جهات خط الاستواء . وهذه هي آلات الزراعة وأما آلات الحصاد فهي :

« النورج » وهو كالنورج المصري المعروف .

« والمنجل » وهو مسنن كالمنشار يستعمل لقطع سنابل الذرة وغيرها .

« والنتباب » وهي آلة كالفأس إلا ان حديدتها داخل في النصاب وليس النصاب داخل في الحديد كما في الفأس وهي تستعمل لحصد سوق الذرة بعد قطف منابله .

« والحشاشة » وهي تشبه الفأس ايضاً إلا ان حديدتها مركب في رأسها عامودياً لا أفقياً كما في الفأس وهي من آلات السودان الغربي وتستعمل للحش ذهاباً وإياباً .

مخازن الحبوب : وهم يخزنون الذرة او الدخن في أزيار كبيرة مصنوعة من طين تعرف بالسويبات او في مطامير تحت الارض وهي حفر واسعة يفرشون أرضها وجوانبها بالطين ويملاونها حبوباً ثم يحثون التراب فوقها على شكل قبة حتى اذا أصابتها الامطار سالت عن جوانبها ولم تنفذ اليها وهي شبيهة بالآبار التي تخزن فيها القلال في بلاد حوران وشمالى سورية .

مسح الأراضي : وفي السودان لا تقاس الاطيان بالفدان كما في مصر بل بالسواقي والجذعات . اما الساقية فهي عبارة عن ثمانية أفدنة في الجزر وعشرة في البرّ الثابت . وأما الجذعة فسيأتي بيانها .

تربية المواشي : وهم يربون الخيل والإبل والبقر والغنم والمعزى كما قدمنا ويلتقمون بلباتها وسمنها وصوفها وجلودها ويدخلونها في المتجر .

الفصل الخامس

في

صنائعهم

وعند اهل السودان من الصنائع ما يكفي لسد حاجاتهم الضرورية فمن صنائعهم :

الحداقون : وهم يستخرجون الحديد من الارض ويصنعون منه الحراب والسكاكين والفؤوس والآلات الزراعية . وأما سيوفهم وبنادقهم ورصاصهم فيجلبونها من الخارج وسيأتي الكلام عليها

والصاغة : وهم يصوغون الحلى والآنية من الذهب والفضة على الطراز المعروف بالفتشي والسناري وأشهر ما يصنعونه من الحلى الأقراط والخزائن والأساور والحجول ومن الآنية الصواني والمباخر وظروف الفناجين . ومنهم من يحسن خراط العاج والخزائيت فيصنع منها الاسورة والفناجين ومن الخزائيت الأقداح التي يعتقدون ان الشرب بها نافع للمسمومين .

والحاكة : ويعرقون بالنساجين او القزازين وهم يحوكون نسيجاً ثخيناً من القطن يشبه الخام يسمونه « الدثور » وهو لباس عامتهم ويصنعون منه ايضاً

نسيجاً دقيقاً له حاشية حرير ملونة تلبسه النساء ويعرف بالمرقعات. والحياكة خاصة بالرجال اما الغزل فعمل النساء وقد يشاركن فيه الرجال وذلك من أقبح علامات الكسل . وهم يحوكون من الصوف شملات طول الواحدة منها خمسة أذرع الى ستة وعرضها ثلاثة أذرع الى اربع يتدثرون بها ولا سيما عند التدخين وهي عادة يأتي ذكرها. ويصنع النساء العراقي والمناذيل المطرزة. وبعد الفتح المصري تعلمن التطريز على المنسج بالحرير والقصب . ويصنع الجوارى والنساء المعوزات البروش والاطباق والمقاطف والمكبات وغيرها من آنية البيت ملونة او غير ملونة يصنعنها من سعف الدوم والنخيل وسوق القمح .

والدهاغون : وهم يدبغون جلود البقر والغنم والإبل لصنع الاحذية والاجرية وغيرها . وأحسن الجلود عندهم المدبوغة بالمدس والمرّد .

والبناؤون : وهم يبنون المنازل من طوب او حجر وطين ولهم معرفة بصنع الجير وعمل الطوب الاحمر ولكنهم قلما يستعملونها في سوى المدن الكبيرة .

والنجارون : وهم يصنعون الأبواب والشبابيك والكراسي الضخمة وخشب سروج الجير والإبل والخيل والأسرة المعروفة بالمكنريبات وأقداح الطعام والسواقي . ولبعضهم مهارة في بناء المراكب وعندهم أخشاب كثيرة تصلح لعمل المراكب أصلحها كلها خشب السنت كما مر . ومراكبهم ثلاثة أنواع : النقورة (م تفر) وهي أكبرها ويستخدمونها لنقل الغلال والبضائع، والمعديات وهي أصغرهما ، والقياسات (م . قيتاسة) وهي وسط بين النقورة والمعديات وتستعمل لنقل البضائع عند نزول النيل . وبعد الفتح المصري قلعوا صنع الذهبيات . هذا ومراكب السودان أضخم من مراكب مصر إلا انها أشد وأمتن وقد رأيت في بلاد النوبة مراكب لها شراع مستطيلة الشكل لا مثلثته كما في مصر والسودان الجنوبي فسألتهن عن ذلك فقالوا انها هكذا أصلح للسير بين الشلالات من السفن المثلثة الشراع .

والسكافون : وهم يصنعون الأحذية على قوالب تشبه القوالب المصرية إلا أنها معقوفة الرؤوس كذئب العقرب . ويجلدون أغصان السيوف والسكاكين ومروج الحير والابل والحيل ويصنعون الدرق من جلود الجاموس والزرافة وبرس البحر والفيل والسياط من جلد فرس البحر . ويصنعون من لحى الشجر الحبال والشباك والقفاف ، اللحاوي ، التي تستعمل لنقل الصمغ .

والخرفافون : وهم يصنعون الأزيار والقلل والبرام وهي قدور للطبخ ونقل الماء والدوكلات (على شكل الصيجان) للخبز . وفي أكثر المدن يستخرجون الشيرج من السمسم بمعاصر كمعاصر أهل الشام ومصر . ويمد الفتح المصري تعلموا عمل الصابون فصنعوه على ضعف . ولهم معرفة بصنع الفحم والبارود .

هؤلاء هم صنّاع السودان وهذا كل ما يصنعونه . وأما النجارون والحدادون والمهندسون وغيرهم من الصناع الذين تحتاج إليهم حكومة السودان الآن لأشغالها الخاصة فتأتي بهم من مصر أو من بلاد الإنكليز .

الفصل السادس

في

تجارتهم

- الوارد من السودان : أهم ما في السودان تجارتها وأهم ما يرد منها :
- « الصمغ » وهو أنواع أجوده صمغ المشاب وأكثره من كردوفان وصمغ الطلح وأكثره من الجزيرة .
 - « وسن الفيل » وأكثر وروده من بحر الغزال وخط الاستواء وهو يختلف في الجودة بحسب كبره وسلامته من التشقق . وسن الأنثى أطرى وأجود من سن الذكر .
 - « وریش النعام » وأكثره من اواسط السودان وهو أنواع أجودها الریش الابيض ثم الاسود وكلاهما ریش الذكر ثم الریده ولونه رمادي وهو ریش الانثى .
 - « والبلح » يأتي من مديرية دنقلة من بلاد سكوت والمحس والشايقية .
 - « والتمر الهندي » ويسمونه الغريب وأكثره من دارفور وكردوفان .
 - « والسنا » وأكثره من جزيرة سنار .
 - « والخريت » وأكثره من بحر الغزال .

« واللاستك » ويرد من بحر الفزال وخط الاستواء . « وجلود البقر »
وأكثر ورودها من كردوفان . « وجلود فرس البحر » التي تصنع منها السياط .
« والسياط » .

« وللذهب السناري » « والابنوس والنعام الحي والقروود والبيغاء »
ووازدها قليل .

« والششم » ويعرف هناك بالحبة السوداء او حبة العين وهو بقدر حب
العدس وشكله . ولونه اسود لامع يرد من دارفور فيسحقونه ويستعملونه
كحلا للرمد .

« والصل والشمع » ويؤتى بها من خلايا النحل البرية .
وكان « الرقيق » من أهم واردات السودان فمنعت الحكومة تجارته قطعياً
منذ الفتح الاول ولكن النخاسين لا يزالون يهربونه (على قلة) بطريق سواحل
البحر الاحمر رغماً عن التحولات الشديدة التي تتخذها الحكومة لمنع .

الصادر الى السودان : ويصدر الى السودان كثير من بضائع اوربا ومصر
والحجاز والهند والشام عن طريق النيل وسواكن ومصوع .
فمن « اوربا » الدبلان الابيض والمصبوغ اسود وأزرق ، والحمام الابيض
والمصبوغ اسود وازرق ، والشاش الابيض والاحمر ، والشيت والغزل ،
والصوف المحلول الاحمر والاسود لصنع حواشي المنسوجات ، والحريز والقيطان ،
والشمسيات ، وورق السكاير ، والابر ، والمبارد ، والصفيح ، والزجاج ،
والقناجين ، والشاذر والقصدير والقفونية ، وأنواع الخرز والسوميت والمرجان
والكهرمان ، وورق الكتابة وأكثره من المعروف « بأبو شباك » وهو الثخين
الأسمر يستعملونه لنسخ الكتب ، وسلك النحاس الاصفر الثخين ، والكحل ،
وأساور النحاس والاقراط ، والسنبيل وارد ترياسته ترش به أكفان الموتى
ويتخذ ايضاً للدهان ، والأجراس الصغيرة تعلق في أرسنة الابل والبقر والخيول ،
والمرايا الصغيرة المربعة والمستديرة ، وزيت النفط يغشون به العطور ، وأزارار
الصدف وقد تتخذها النساء 'حلى' ، والريال النمساوي .

ومن « الهند » عنكريبات صاج ، وثياب سرتي ، وقرون خري حرير ، والجلاد (صرة المسك) وعطر الصندل . وعطر فتنة محلية المعروف بعطر الشاه بيضاء ، وعطر فتنة سرتيه أحمر ، وعطر قرنفل ويسمى بمجموع ، والقرنفل ، والظفر وهو نوع من الصدف يدق ويحعمل في الروائح العطرية ، والمحلب ، وخشب الصندل .

ومن « الحجاز » وغيرها من بلاد تركيا في آسيا: عناكريب حق ، واللبان (البخور) ، واحقاق للروائح العطرية ، والمحلب الاسلامبولي ، والشبية الازميرية ، والمرسين وهو حب الآس يستعمل في الطبخ والدلكة ، وجلود « المرعز » وارد الاناضول يستعمله الخاصة فراء لحيرهم وجالهم ، وسبح الصدف من القدس ، وسبح الكوك من الاستانة ، وسبح اليسر من جدة تتحلل بها النساء ، والشاي ، والسجاجيد من بلاد المعجم ، والطرايش الافرنجية تقليد المغربي والطرايش الاسلامبولية .

ومن « مصر » المسار البلدي اللازم لبناء المراكب والسواقي . وقرون فوط عاده خيط وسبح بقص وبرصه ملاية حرير والسكر والصابون على أجناسه والغدس والنحاس والسيوف والبنادق . ومن وارد الشام عن طريق مصر قر الدين واللوز والبندق والجوز والتين والخروب والزبيب والزيتون .

الاسواق التجارية: ثم ان لكل بلدة شهيرة في السودان سوقاً تجارية عامة تفتح في يوم معين من الاسبوع فيجتمع اليها التجار والمتسبون لبيع ما عندهم من السلع والمواشي والحبوب وشراء ما يحتاجون اليه وذلك على مثال الاسواق في مصر والشام والمعارض في اوربا واميركا . وأشهر أسواق السودان التجارية: أسواق الاوردي وايي قسّ والدبه وتنقاسي وبربر وشندي والخرطوم والسلمية وود مدني وسنر والابيض وبأره والقاشر والقلابات والقضارف وكسلا وسواكن .

الاسواق العادية : وأما اسواق البلاد العادية فيباع فيها : لحم البقر والابل وقليل من لحم الغنم ، واللبن الحليب والرائب والزبدة والزمن والشيرج ،

وأنواع القطاني كالذرة والحمص والبقول والتمر ، والخضر كالبايما الخضراء والمقددة والملوخية والبصل ، والفاكهة كالدوم والبلح والنبق وأقراصه والعريديب (التمر الهندي) والللوب (ثمر الإهليلج) . والعكا (ثمر الدوم مدقوقاً) ، ولهبارات كالشطة والفلفل الاحمر والقرفة ، والروائح العطرية ، والنطرون والملح والحنة والششم والتربة والنعال والجربان وغيرها .

الدوآرون : ومن المتسبين من يحمل بضاعته من عطور وبهارات وغيرها في خرج كبير على حمار ويطوف بها في القرى والساكر متنقلاً من سوق الى سوق . وبعض النساء يحملن الثمار والبقول وغيرها من المأكولات في مقاطف على رؤوسهن ويطفن على البيوت ومن ينادين الى شراؤها بتكرار اسمها هكذا : « الدوم يا شاري الدوم » ، « الملوخية يا شاري الملوخية » .

وتباع الأشياء في السودان كما في مصر والشام بالمساومة إلا ان البائع في السودان قلما يمين ثمناً لسلعته بل يقول للشاري عند سؤاله عن الثمن « تكلم » فاذا دفع له ثمناً لم يعجبه قال له « يفتح الله » ولا يزال يكرر قوله هذا حتى يرضيه الثمن المدفوع فيقول « مبارك » .

الطرق التجارية : وللسودان طرق تجارية داخلية وخارجية اما الخارجية فأشهرها :

طريق بربر الى سواكن ٢٤٥ ميلاً . وطريق كسلا الى مصوع ٢٣٧ ميلاً . وطريق بربر الى اسوان ٤٧٣ ميلاً . وطريق ابى حمد الى كورسكو ٢٣٠ ميلاً .

وطريق الفاشر الى اسيوط المعروفة بطريق الأربعين لأنها مسيرة أربعين يوماً . وقد تقدم ذكرها مع ذكر الطريق الداخلية في الكلام على المدن والمعاصر فلتراجع .

أما « طريق النيل » فقلما استعملت في التجارة الخارجية لطولها وكثرة نفقاتها . والتجارة بالطبع تتخير أخصر الطرق وأقلها نفقة .

أدلاء الطرق ، والنيل منذ للقديم أدلاء يقودون السفن فيه للنجاة من أخطاره التي أهمها الجزر والدبور الرملية والشلالات والمواصف . وأكثرهم من البرابرة .

وكذلك لكل طريق من طرق البر أدلاء لا تسير القوافل إلا بهم وقد كان لبعضهم عادة غريبة مع المسافرين يقتضون بها الجمالة فوق الأجرة المعتادة وذلك أنهم كانوا إذا وصلوا الى معطشة أوقفوا القافلة وشرعوا في البكاء منادين « الدائم الله في أمر الله في سبيل الله » كأنهم يندبون ميتاً ويوعزون الى رئيس القافلة ان يعطيهم الجمالة المعروفة عندهم « بالمادة » فان أبى رسموا له قبراً في الرمل وبكوا فوقه الى ان يدفعها لهم روى بور خارت انه لما كان مسافراً في عقبة البنات في بلاد سكوت طلب دليله منه المادة فدفعها ثم أتى الى عقبة أخرى فطلبها منه فأبى فرسم له قبراً وأخذ يبكي عليه هو ورفاقه فنزل بور خارت إذ ذاك عن دابته ورسم قبراً للدليل وطلق يبكي عليه فضحك الجميع وعادوا الى المسير . وكان شيخ الطرق بين بربر والنيل في الفتح الاول حسين باشا خليفة كبير العبادة المليكاب .

وسائط النقل : أما وسائط النقل « في البر » فهي الإبل والحمار والبقر ولكن لا يستعمل منها في التجارة إلا الإبل او الحمار مع الإبل . وحمل الجمل المعتاد ٣٦٠ رطلاً مصرياً يحزم في عدلين وسيره في اليوم من ١٢ : ١٨ ساعة بحسب كثرة المياه او قلتها في الطريق . وأكثر سير القوافل ليلاً فهي تقوم في الغالب في الثلث الاخير من الليل فتسير الى الضحى وتقف للمقبل الى المصر ثم تستطرد المسير الى العشاء فتقف للمبيت وهكذا تكفى شدة الحر والمطش . وأما وسائط النقل « في البحر » فهي المراكب الشراعية والاطواف المصنوعة من العنبرج المتقدم وصفها . ومن وسائط عبور النيل عندهم القرب المنفوخة والقرع اليابس وجذوع النخل والدوم والارماث الشبيهة بأرماث المصريين القدماء ونحو ذلك .

ومن وسائل النقل المستعداة « السفن البخارية » وقد دخلت السودان

أكثر طرق الصحراء القديمة . وسأتي الكلام عليها بالتفصيل .

البقود : وأهم أصناف النقود الرائجة في السودان الآن :

« ريال ابو طيره » وهو ريال ماريّا تاريخاً التماسوي المشهور وقد سمي بذلك لأن على احد وجهيه صورة نسرين . ويقال له القوشلي ايضاً وهي لفظة تركية بمعنى ابو طيره . ويسمى ابو نقطة لأن على وجهه الثاني نجمة . وهو رائج في جميع بلاد السودان الشرقي والحبشة . وقد دخل السودان قبل الفتح المصري .

« والريال المجيدى » وهو رائج في السودان الغربي منذ الفتح المصري .

« والمقاطع » وهي قطع من الخام طول الواحدة منها ٢٤ يردأ ووزنها رطلان مصريان وقد دخلت بلاد دارفور بعد الفتح المصري فاستعملت مع قطع الدمور التي كانت رائجة قبلا في جميع بلاد السودان كما سيجيء .

• وأسلاك النحاس والخرز الملون والاجراس، وهي رائجة في بلاد العيد.

« والنقود المصرية الجديدة » التي دخلت بعد الفتح الاخير فراجت في

جميع بلاد النيل والمدن الكبيرة وستعم بلاد السودان كلها . هذا وفي الفتح الاول راجت العملة المصرية القديمة . وفي زمن المهدي راجت النقود التي ضربها للمهدي وخلفته وكان اكثرها مزيفاً فأبطلت هذه وتلك كلها .

التاريخ : وأما التاريخ المستعمل في التجارة منذ القديم فهو التاريخ القمري

الهجرى ثم استعمل بعد الفتح الاول التاريخ الشمسي المسيحي . وهاك معادلة

بسيطة تحول بها منو التاريخ الهجري الى المسيحي وبالعكس :

$$\frac{722 - r}{33} + 722 - r = a \qquad 722 + \frac{a}{33} - a = r$$

وهم يمينون الظهر بوقوع الشمس فوق سمت الرأس . والعصر بوقوعها تجاه

الجبهة إذ يكون ظل الانسان بطول قامته . والعشاء بغياب الشفق الاحمر .

المقاييس والمكاييل والأوزان : وأمـل المقاييس والمكاييل والأوزان

المستعملة في السودان الآن فهي المقاييس والمكايل والاوزان المصرية بعينها .
 أما « المقاييس القديمة » فهي : الذراع ، والقبضة ، والعمامة وهي القبضة
 برفع الإبهام ويقال لها قبضة وشنب ، والخطبة وهي الساعد من رأس السبابة
 الى الكوع ، والعود وهو ٣ خطبات ، والحبل وهو ٣ أذرع وقبضة وعمامة ،
 والجدة المشار إليها آنفاً وهي ثلاثة حبال ونصف حبل وهم يستعملونها في
 قياس الاراضي الزراعية .

وأما « المكايل القديمة » فهي : السلقة وهي ملء الكف الواحدة ، والهين
 وهو الحفنة ، والطاسة وهي سلقتان ، والمد وهو اربع طاسات ، والربع
 او البرمه وهو اربعة أمداد ، والوية وهي ربعان او برمتان ، والردب وهو
 اربع وبيات ونصف ، والرحل وهو حل جل او نحو اردبين .

وأما « الاوزان القديمة » فأوزان الذهب : الاوقية ، ونصفها ، والمثقال
 وهو ربعها ، والقسمه وهي نصف المثقال ، والقيراط وهو نصف القسمه ،
 والحبة وهي جزء من عشرين جزء من القيراط ، والعتيسية وهي نصف الحبة ،
 والخرطوبة وهي نصف العتيسية .

تجار السودان : وأشهر تجار السودان الآن في « سواكن » :

عوض الكريم بك شناوي (حجازي) سر تجار . ومحمد أفندي الكابلي (سوداني)
 وعبد الله أفندي مسلم () () والشيخ عبدالعزير احمد يحيى (حجازي)
 وعلي أفندي جاويش () () والسيد محمد دين (وطني)
 ومصطفى أفندي جيلاني () () والخواجه لوسن (هندي بناني)
 وفي « ابنوان » :

مصطفى بك منصور حماده سر تجار والشيخ عبد السلام الشامي
 ومحمد بك خليل وممدني أفندي بن احمد بك جلاب
 اخو المرحوم بطرس بك سركيس والخواجه اراكيل سركيس (قبطي)
 وفي « حلفا » :

عمر افندي فخري سر تجار
والشيخ علي الشامي
والسيد خالد باشات
وفي « بربر » :

السيد محمود علي الضوي سر تجار
وفي « الخرطوم » :

محمد بك حسن سر تجار (مصري)
والحاج احمد الداوي . ويوسف كورتي
والحاج محمد مكي . ومحمد صالح البغدادي
وسيد احمد سوار الذهب
وعبد الله جيلي . والبلال ود الاسيدة
والخوارجا خضر داود
والخوارجا قحي

وجرجي بك بغدادي . و ابراهيم بك خليل وبولس بك صليب وعثمان بك مكوار
والخوارجا جرجس استمبولية (حلي)
والخوارجا نعم عجبي

والخوارجات لوزو ، وكباتو ، وكفادياس ، وجريفا ، ولوقا ، وسنجر ،
ونظارت ، وكسترو ، وجلينج خنيان ، وثان وم من التجار الافرنج العظام .

ومن تجار « الخرطوم » السابقين المشهورين :

المرحوم الجزولي بك بن الحاج محمد التلب (من المسلمية) والمرحوم اخوه حمد بك
والشيخ سليمان بك الدراوي الذي عين سر تجار الخرطوم في حصار الخرطوم
والمرحوم محمد باشا حسن الذي عين مأموراً لمالية السودان في حصار الخرطوم
والمرحوم النخيلي فخري (مصري) والمرحوم سليمان عويس (مصري)
وقناوي بك ابو عموري (مصري) وحسن بك عبد المنعم (مصري)
المرحوم عبد المسيح حبشي
والخوارجا عبد المسيح جرجس سعد
ومحمد ابو حسان (جعفري)
ومحبوب الصيلي

ومحمد عبد الرحمن البشير
وزنوبة المنياوية

وفي « الخرطوم » الآن فرع من البنك المصري وفرع من البنك الأهلي .
وفي « الأبيض » :

الشيخ تقي أحمد سر تجار
ومن أشهر تجار « الأبيض » السابقين :

المرحوم الياس باشا ام برير (جملي) والمرحوم محمد بن ود المريق (جملي)
والمرحوم محمد الحاج بان النقاد ومحمد (رازقي) المرحوم احمد بك دفع الله (جملي)
وفي « ود مدني » :
وفي « كسلا » :

عثمان الزين سر تجار
الشيخ فتح الرحمن محمد عثمان سر تجار
هذا وفي مصر الآن تجار كثيرون يتجرون مع السودان وقد أسسوا فيه
محلات تجارية وأشهرهم :

الجواجا جرجس براهيمشا (حلي) والجواجا الياس دباس (سوري)
والجواجا شمعون اريبب (اسرائيلي) والجواجا الياس عجوري (حلي)
والحاج ابراهيم بك وفا (شامي) والجواجات اخوان باحكم (حضارمة)
والحاج عبد المجيد حسن غريب
والسيد محمد زين (جملي) وسوربال أفندي سعد (قبطي)
والسيد عبدالله الكحال (شامي) وله أيضاً تجارة واسعة مع ودائي والسودان الغربي
ومن تجار مصر الذين لهم محلات مشهورة في بيروت ويتجرون مع السودان :
الجواجات فرعون وعيسى وشركام
والجواجا حسيب غبريل وشركاه

هذا ومن اشتهر من تجار مصر في الفتح الاول بالتجارة مع السودان وكان
لأكثرهم « مشارع » في بحر الغزال :
الجواجا حبيب لطف الله من أعيان تجار بيروت وكبير طائفة الروم الارثوذكس
في مصر

والمرحوم فرج الله الموصلي (حلبي) والمرحوم رزق الله الجدة (حلبي)
 والخوارجا نعموم سكر (د) والخوارجا جرجي الجويحياتي (د)
 والخوارجا سياهو عدس (د) والخوارجا كبريت وغاصين (د)
 والمرحوم السيد محمد باشات (حصي) والسيد عبد القادر طه (شامي)
 والمرحوم الحاج سعد الله حلابه (شامي) والسيد رضوان القربي (حلبي)
 والحاج عمر وعثمان اغا الارناؤط والحاج محمد الحبابي (مغربي)
 والحاج محمد الحلو (مغربي) والمرحوم السيد عبدالغني التازي (مغربي)
 والمرحومون السيد محمود السيوفي وأخواه محمد باشا واحمد باشا السيوفي (مصريون)
 والمرحوم السيد موسى العقاد وهو أقدم التجار المصريين الذين انجروا مع السودان
 والسيد حسن موسى العقاد ابنه والمرحوم السيد احمد العقاد شريكه في الخرطوم
 وهذه هي قيمة الصادر الى السودان والوارد منه من سنة ١٨٩٢ الى غاية

: ١٨٩٩

والوارد : ٤٥١ ٣٩٧ ج ٢٠

الصادر : ٨٩٦ ٤٧٧ ج ٢٠

الفصل السابع

في

حكومة السودان

قبل الفتح الاول :

كانت حكومة السودان في عهد مملكتي سنار ودارفور على مثال الحكومات
الاسلامية في صدر الاسلام .

حكومتها في الفتح الاول :

ثم كان الفتح المصري فأصبحت حكومتها في يد ولاية الامور في مصر
وكثيراً ما غيروا تقسيمها الاداري فجعلوها تارة حكدارية واحدة وتارة أقاليم
كل منها تابع مباشرة لمصر حتى اتفقوا أخيراً على جعلها حكدارية واحدة
تحت حاكم عام يرجع في أحكامه الى نظارة الداخلية بمصر ويقم في الخرطوم
حيث بنوا له قصرأ جميلاً خاصاً به .

وقد جعلوا في كل مديرية مديراً يحكمها تحت ادارة الحاكم العام وكان
الحكام والمديرون يرسلون اليها من مصر فيديرون أحكامها على منوال ادارة

الحكومة المصرية . وقد جعلوا مع كل مدير وكيلا له وعدة معاونين وكتاب وقاضيا ووكيل قاض ومفتيا ومجلسا أهليا وضابطة . وجعلوا في كل قسم ناظرا ومعاون ناظر وكاتبين وصرافا . وعهدوا في تحصيل الضرائب الى النظار ومشايخ البلاد والجند . وكان في كل مديرية حامية عسكرية . وكان الجند على نوعين جهادية وباشبوزق . اما الجهادية فهم العساكر المنظمة من البيادة والطويحية فالبيادة مصريون وسود والطويحية مصريون فقط . وأما الباشبوزق فهم العساكر غير المنظمة وهم اما مشاة او فرسان يركبون الخيل او الهجن وأكثرهم من الشايكية من اهل البلاد والأتراك والمغاربة أو مواليدهم . وكان دخل السودان في أواخر الفتح الاول نحو ٧٠ ألف كيس ونفقاته مثل ذلك أو أزيد . وكان أكثر دخلة من الضرائب والجمارك والملاحات التي على البحر الاحمر وبار التطرون والويركو على التجار وأرباب الصنائع والعقبة على المراكب . أما الضرائب فعلى العرب البادية بحسب عدد ماشيتهم من الابل والبقر والغنم وعلى الحضرم بحسب عدد سواقيهم ونخيلهم . وأما الجمارك البحرية فعلى حسب المهود الدولية .

حكومتها في المهديّة :

ثم لما سقطت البلاد بيد المتمهدي ويد خليفته التعايشي من بعده جعلها حكومتها على مثال الحكومة الاسلامية في صدر الاسلام فألغى الضرائب وجعما الزكاة والفطرة وأقاما بيت مال المسلمين ولما انتهى الحكم الى التعايشي حكمها حكما عسكريا فقسما الى عمالات كما مر وأقام على كل عمالة عاملا فوض اليه السلطة العسكرية والادارية وجعل معه وكيلا له وقاضيا ونائب قاض وكتابا . وجعل ام درمان عاصمة ملكه ولكنه أساء الادارة وخلط بين الملك والخلافة فطنى وبغى وظلم الرعية وعظمت منه البلية .

حكومة السودان الحاضرة :

فنهضت مصر برأي الانكليز ومعونتهم واسترجعت البلاد منه مديرية بعد

مديرية وكانت كلها استرجعت مديرية ولت عليها مديراً عسكرياً الى ان كانت واقعة لم درمان وأصبح السودان كله في قبضة يدها فعقدت وفاقاً مع الحكومة الانكليزية في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ هذا نصه :

وفاق

بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومة الجنب العالي خديو مصر
بشان ادارة السودان في المستقبل

حيث ان بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التي يذلتها بالاتحاد حكومتنا جلالة ملكة الانكليز والجنب العالي الخديوي . وحيث قد اصبح من الضروري وضع نظام مخصوص لأجل ادارة الأقاليم المفتوحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجنب العظيم من تلك الأقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال الى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة . وحيث انه من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن تشترك في وضع النظام الاداري والقانوني الأنف ذكره وفي اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل . وحيث انه تراءى من جملة وجوه أصوبية الحاق وادي حلفا وسواكن ادارياً بالأقاليم المفتوحة المجاورة لها . فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لها من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو :

(المادة الاولى) : تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الاراضي الكائنة الى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهي :
أولاً : الاراضي التي لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ أو .
ثانياً : الاراضي التي كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان

الاخيرة وفقدت منها وقياً ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد أو

ثالثاً : الاراضي التي قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً .

(المادة الثانية) : يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معاً في البحر والبحر بجميع أنحاء السودان ماعدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصري فقط .

(المادة الثالثة) : تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية .

(المادة الرابعة) : القوانين وكافة الاوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون المعمول به والتي من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان او تقرير حقوق الملكية فيه بجميع انواعها وكيفية ايلولتها والتصرف فيها يجوز سنها او تحريرها او نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والاورامر واللوائح يجوز ان يسري مفعولها على جميع أنحاء للسودان او على جزء معلوم منه ويجوز ان يقترب عليها صراحة او ضمناً تحوير او نسخ أي قانون او أية لائحة من القوانين او اللوائح الموجودة .

وعلى الحاكم العام ان يبلغ على الفور جميع المشورات التي يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار الجنباب العالي الخديوي .

(المادة الخامسة) : لا يسري على السودان او على جزء منه شيء ما من القوانين او الاوامر المالية او القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعداً إلا ما يصدر بإجرائه منشور من الحاكم العام بالكيفية للسالف بيانها

(المادة السادسة) : المنشور الذي يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التي بموجبها يصرح للاوروبيين من أية جنسية كانت بحرية التجارة

او السكنى بالسودان او تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة او دول .

(المادة السابعة) : لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضي المصرية حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الاراضي المصرية . إلا انه في حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية الى السودان عن طريق سواكن او أية ميناء اخرى من موانئ ساحل البحر الاحمر لا يجوز ان تزيد الرسوم التي تحصل عليها عن القيمة الجارية تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز ان تقرر عوائد على البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمشورات التي يصدرها بهذا الشأن .

(المادة الثامنة) : فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة الحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه .

(المادة التاسعة) : يعتبر السودان بأجمعه ماعدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى ان يتقرر خلاف ذلك بمشور من الحاكم العام .

(المادة العاشرة) : لا يجوز تعيين قناصل او وكلاء قناصل او مأموري قنصلات بالسودان ولا يصرح لهم بالإقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

(المادة الحادية عشرة) : ممنوع منعاً مطلقاً إدخال الرقيق الى السودان او تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازمة اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن .

(المادة الثانية عشرة) : قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منها على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يولييه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بإدخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة او الروحية وبمعها او تشغيلها .

تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

الامضاءات : (كرومر) (بطرس غالي)

وفي يوم تاريخ هذا الزفاق عُين اللورد كتنر اوف خرطوم سردار الجيش المصري حاكماً عاماً للسودان مع بقاء وظيفة السردارية في يده وأعلن فتح السودان للتجارة في ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ولم يكن إلا أيام معدودة حتى ندب لحرب الترنسفال .

ولاية

الفريق السر رجينلد ونجت باشا

ياور جلالة الملك

سرداراً على الجيش المصري وحاكماً على السودان

وفي ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ عُهد في وظيفة سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الى رب السيف والقلم « الفريق السر رجينلد ونجت باشا » الذي ضرب الضربة الاخيرة القاضية على التعايشي والمهدية وقد كان من قبل مديراً عاماً لقلم مخبرات الجيش المصري ثم ادجواتنت جنرال وكان له اليد الطولى في استرجاع السودان فاستبشر الجيش المصري وأهل السودان كافة بهذا التعمين الذي لقي أهله وحلّ محله لأنهم عرفوا في حاكمهم الجديد همه شماء لا تعرف الملل وقلباً كبيراً محباً لا يعرف الأذى وعقلاً نيراً ورأياً صائباً ولطفاً ودعة وإنساناً وأمل الجميع انه لا يطول الزمان حتى تصبح حكومة السودان من أصلح حكومات الدنيا وأرقاها ويرتفع أهلها في مجبوحة الأمن والراحة والسلام الى ما شاء الله .

وكان فاتحة أعماله في السودان انه أذاع المنشور الآتي معرباً فيه عن سياسته وشدة رغبته في خير العباد وإصلاح البلاد .

منشور

لخاصة السودان وعامتهم

الحمد لله المحيط علماً بكل شيء وبعد ، فان سمو الامير خديوي مصر

« عباس باشا حلمي الثاني » حرسه الله قد اختارني لأن أكون سرداراً لجيشه وحاكماً عاماً للأقطار السودانية بعد اتفائه مع دولة بريطانيا العظمى على ذلك فعهد إليّ في رئاسة الجيش وإدارة شؤون السودان وساكنيه فلبّيت الدعوة الشريفة وحمدت الله على حسن عنايته والامير على حسن ظنه وجبيل ثقته وعاهدت الخالق الذي بيده نفسي ونفوسكم ان أراقبه فيكم وأنصح في خدمة الامير ولا أترك باباً يأتيكم منه الخير إلا فتحتة ولا منفذاً يأتيكم منه الشر إلا سدته وان أشيد بيدي أركان العدل بينكم وأنشر لواء الانصاف فوق رؤوسكم وأسأل الله ان يلهني الصواب في أعمالي ويمصني من الخطأ والزلل ويرشدني الى انتقاء الأمانة من العمال والحكام لتتم رغائبي في الاصلاح ورغائبكم في النجاح .

ولما كان من الفروض الأولية ان أبلغكم إرادتي وأنشر بينكم رغبتي عمدت الى إذاعة هذا المنشور فجعلته باكورة أعمالي لتعلموا منه الفرض الذي أرمي اليه والطريق التي أريد ان تسلكوا فيها .

اعلموا ان أساس الملك هو العدل ولهذا لم تقم للسودان قائمة لأن ملكه تأسس على الجور والاعتصاف واغتصاب الحقوق وظلم الرعية وانحراف الحكام عن جادة العدل واتباعهم طرق الغواية والضلال وعدم مراقبة الله وترك الرفق بالعمل .

فأراد الله ان يسبغ عليكم رحمته بعد ذلك العذاب فأزال اولئك الظلام وعما أترم وقرض ملكهم فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وخلف بدمهم رجالاً ملأ قلوبهم رفقاً وعدلاً وهم حكامهم الآن . فأخلصوا لهم الطاعة ليخلصوا لكم العمل وتيقنوا انكم كالجسد وهم كالرأس فلا يصلح الجسد إلا بصلاح الرأس ولا يصلح الرأس إلا بصلاح الجسد .

ولقد صرفت عنايتي الى انتخاب الحكام الأكفاء وأمرتهم بالرفق وتنفيذ الاوامر العادلة التي أصدرها لخيركم وخير بلادكم فعليكم بطاعتهم لأن طاعتهم هي طاعتي ومن عصاهم فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى أولي الامر ومن

فعل ذلك فقد أغضب الله .

واني أشهد الله ان من رأيت به اعوجاجاً من هؤلاء الحكام قوته بسيف العدل كما اني أشهد الله ان من رأيت منكم مخالفاً او مخاصماً من غير حق رميت به الى أقصى درجات العقاب ليصلح الرأس والجسد معاً .

ولقد بدأت بتشديد مساجدكم وإقامة شعائر دينكم المقدسة وتسهيل طريق الحج الى بيت الله الحرام بعد ان حال بينكم وبينه أولئك الطغاة العصاة الذين استأصل الله شأفتهم .

فاذا تم ذلك عمدت الى التجارة فأوسعت لكم ميدانها وأجريت لكم سيول خيراتها وأرضعتكم لبان ربجها وفعلت كل ما تسمح به حالة الحكومة من تعديل ضرائبها وضرائب الاطيان وأجر النقل في السكك الحديدية والمراسلات البريدية والتلغرافية هذا مع السعي في توسيع نطاق ثروتكم لترتموا في بحبوحة الراحة والأمن وتذوقوا حلاوة العدل وتنسوا مرارة الظلم السابق .
فإياكم ومخالفتي ومخالفة حكامكم واعلموا اني بقدر ما أكون شفوفاً ليناً مع ذي الاستقامة منكم أكون صارماً شديداً على من يخالف أوامري ويعمل على إبطائها .

فطهروا قلوبكم واخلصوا سرائركم وضعوا ثقتكم بي والحكام الذين وليتهم عليكم وانزعوا من نفوسكم القتل والضغائن وانبدوا كل من كان مفسداً للعقائد عاملاً على خراب البلاد مثيراً للفتن مسبباً للقلق فلقد بيتلت لكم طريق الهدى .

والله المسؤول ان يكون لي عوناً على تنفيذ ارادة سمو الخديوي المعظم وان يتمتعكم بالراحة والامن والسعادة في ظل سموه . هذا وقد صفحت الحكومتان المصرية والانكليزية وصفح سموه وصفحت عن سالف أعمالكم فلا نؤاخذكم بما فات ولي الامل الوطيد ان لا يفرط منكم بعد ما فرط من قبل والسلام .
الختم (ولجنت)

تحريراً في ام درمان في ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٠ سر دار الجيش المصري
الموافق ٢٨ شوال سنة ١٣١٧ وحاكم السودان العام

الادارة المركزية : ثم شرع في تنظيم حكومة البلاد وسن قوانينها فجعل مركز حكومة الخرطوم كما كانت في القتح الاول وعهد برئاسة مصالحها الى كبار رجاله العسكريين الانكليز فعين رئيساً للادارة العمومية وسماه «السكرتير الملكي» ورئيساً للادارة المالية وسماه «السكرتير المالي» ورئيساً للادارة القضائية وسماه «السكرتير القضائي» . ورئيساً لكل من مصالح المساحة وسكة الحديد والتلغراف والبوسطة والوابورات والمخازن والمعارف والسجون والغابات وصيد الحيوانات. وهذه هي مصالح الادارة المركزية وأسماء رؤسائها الحاليين ١٩٠٢ مجردين عن الألقاب إلا الألقاب العسكرية :

« الفريق السرف. ر. رجيند. ونجت باشا السردار »	حاكم السودان العام
اللواء ف. ج. فاسون باشا	السكرتير الملكي
الشريف البكبائي ث. جيمس	مساعد السكرتير الملكي
البكبائي ا. س. باركر	»
الميرالاي ا. ا. برنارد بك	السكرتير المالي
القائمقام و. س. ر. ماي بك	مساعد السكرتير المالي
المستر و. درمندهاي	مفتش في المالية
المستر ا. بونهام كارتر	السكرتير القضائي
المسترج. ف. كارشو	قاضي مدني
المستر ويسبي ستاري	»
الشريف اللواء ح. تلبوت باشا	مدير المساحة
القائمقام ث. و. جوين بك	مساعد
الميرالاي ج. ب. مكولي بك	مدير السكة الحديد
القائمقام ا. ك. مدونتر بك	مساعدوه :
البكبائي م. ا. م. سوري	البكبائي و. ا. لونجفيلد *
البكبائي ب. ث. لورد	» س. ف. نيوكومب *
القائمقام ج. س. لدل بك	مدير التلغراف والبوسطة

مساعد مدير التلغراف والبوسطة	البكباشي ا. ج. ميرك
ملاحظ التلغراف والبوسطة	الصاغ و. ا. دال
مدير الواورات والمراكب	القائمقام ا. ا. يوند بك
مراقب الخازن	الميرالاي و. ه. دريج بك
مساعد	البكباشي م. كوتس
مدير المعارف	المستر جيمس كري
مدير الأحراش والغابات	المستر ا. س. بتلر

المديرية : وجعل في كل مديرية مديراً عسكرياً انكليزياً ومفتشاً او اكثر من الانكليز العسكرية او الملكية ومأمورين من الضباط المصريين الأكفاء وقضاة وكتاباً وضابطة من المصريين. وهؤلاء هم المديرون والمحافظون الحاليون في السودان :

محافظ حلفا	القائمقام هايس سبلر بك
مدير دنقلة	اللواء جاكسون باشا
مدير بربر	الميرالاي مكرل بك
مدير الخرطوم	الميرالاي ستانتون بك
مدير الجزيرة	الميرالاي بلوت بك
مدير سنار	الميرالاي جورنج بك
محافظ فاشوده	القائمقام ماثيوس بك
مدير كسلا	اللواء هنري باشا
محافظ سواكن	القائمقام بلايفير بك
مدير كردوفان	اللواء ماهون باشا
قومندان قوة احتلال بحر الغزال	اللواء سباركس باشا

مفتش السودان العام : وجعل على المفتشين الملكيين والعسكريين مفتشاً عسكرياً عاماً وهو السر رودلف سلاطين باشا الشهير .
وكلهم من خيرة الرجال المشهود لهم بحسن الإدارة وحب العدل والحرية .

وقد وفقوا الى نجبة من الموظفين المصريين والسوريين الذين خدموا الجيش في السلم والحرب قبل انتقالهم الى حكومة السودان خدمات جليلة أخص بالذكر منهم :

« سعيد بك شقير »
« شاهين بك جرجس »

« مدير حسابات السودان (حامل الممايزة) »
« سكرتير عربي سعادة افندم السردار »
« وحاكم السودان العام »
« وطنوس بك شحاده »

« كبير موظفي ادارة المخابرات في الخرطوم »
« سكرتير عربي مفتش السودان العام »
« وروفاثيل افندي خليل »
« باشكاتب مراقب المخازن في الخرطوم »

« مديرية الخرطوم »
« مديرية سنار »
« مديرية دنقلة »
« وامين افندي حداد »
« وفرج افندي شحادة »

« ووليم افندي زلزل »
« ومنهم : حسين بك رفعت ، ونحله افندي فادرس ، وواصف افندي جرجس ، »
« وسلم افندي شمبل من موظفي السكرتير المالي ، واحمد افندي توفيق من »

« موظفي وكالة حكومة السودان بمصر . »
« ومن موظفي الادارة المركزية الذين دخلوا الخدمة حديثاً فامتازوا فيها :

« الشيخ محمد شاكر »
« قاضي قضاة السودان »
« والشيخ محمد هارون »
« واحمد افندي هدايت »

« ونسيب افندي فيليبيدس »
« ومفتش المحاكم الشرعية في السودان »
« سكرتير مدير المعارف في الخرطوم »
« وسكرتير السكرتير القضائي في الخرطوم »

« ويعقوب افندي بلاتر »
« باشكاتب مصلحي البوسطة والتلغراف »
« باشكاتب مديرية حلفا »
« ونسيب افندي بدر »

« ونجيب افندي كاتبة »
« سكرتير مدير السكة الحديد السودانية »
« باشمفتش سكة الحديد »
« وسليم افندي مشعلاني »

« وصموئيل افندي عطيه »
« من موظفي المخابرات »



الكونت كليخن

وكالة حكومة السودان : هذا وقد جعل لحكومة السودان في مصر وكالة عامة ولج ادارتها الى حضرة الامير الخطير صاحب الشرف الباذخ والمجد الاثيل الكولونيل الكونت جلايخن من سلالة العائلة المالوكية الانكليزية . وقد ولجها معها ادارة المخابرات في مصر والسودان وعين لمساعدته ضابطين من أجل الضباط الانكليز علماً وأعلام شأنهما :

الكبتن ه. ه. س. مورانت	في مخابرات الخرطوم
والكبتن ه. ف. س. امري	في مخابرات مصر

الجيش المصري : هذا وقد نظم الجيش المصري ووزعه على مصر والسودان حسباً اقتضته حالة البلدين فجعل مركز رئاسته مصر القاهرة وقسم البلدين الى أقسام عسكرية جعل في كل قسم منها حامية او اكثر وجعل في مدينة الخرطوم حامية من العساكر الانكليزية ايضاً وهذه هي الاقسام : المحروسة وحلفا ودنقلة وبربر والخرطوم وسنار وكسلا وسواكن وكردوفان .
وأما أقسام الجيش نفسه ومصالحه ورؤدائه في الوقت الحاضر فكما يأتي :

الحضرة الفخيمة الخديوية :

سرب ياور الحضرة الفخيمة الخديوية	الفريق احمد باشا زكي
ياور اول خديوي	اللواء يوسف باشا ضيا
ياور خديوي	الميرالاي حسين بك محرم
»	القائمقام السيد بك ماجد
»	» حسن بك صادق
رئيس أركان حرب المعية السنية	الميرالاي حسين بك رمزي
اركان حرب	القائمقام محمد بك ياور
قومندان الحرس الخديوي والموسيقى الخديوية	الميرالاي ابراهيم بك رفعت .

نظارة الحربية :

عطوفتو نظير الحربية
ياور
سعادة وكيل الحربية

محمد باشا المباني
الصاغقول اغاسي محمد افندي خسرو
اللوا السير ادوارد زهراب باشا

أركان حرب رئاسة الجيش

المسردار

« الفريق السير ف. رجينلد ونجت باشا . حاكم السودان العام »

البكباشي ر. ا. ماركها
اليوزباشي حسين افندي وهي
اليوزباشي امين افندي هيمن
الميرالاي اللورد ا. ه. سسل بك
اللوا ش. فرغوسن باشا

ياوران

كاتم أسرار حربية
ادجوتانت جنرال

اللوا محمد باشا زهري
الميرالاي ج. ج. أتر بك
القائمقام ج. ك. وطسن بك
د ب. ر. فيبس بك
د ل. ا. فترم . ستاك باك

مساعدوا ادجوتانت جنرال

القائمقام احمد بك زكي
البكباشي و. ا. بيلي . وهو ايضا السكرتير
الحاصل لحاكم السودان العام
د ا. س. جاكسون

نواب مساعدي ادجوتانت جنرال

أورط الجيش :

الميرالاي و. ه. برسي بك	قومندان السواري
الميرالاي م. بيك بك	قومندان ومدير الطويحية
القائمقام ا. ب. ولكنسون بك	الهجانة
ج. ت. بيكوك بك	الاورطة الاولى
ب. ر. وود بك	الثانية
ه. روس جونسون بك	الثالثة
ك. نوربري بك	الرابعة
محمد بك عاطف	الخامسة
ابراهيم بك صبري	السادسة
محمد بك رأفت	السابعة
عمود بك حسني	الثامنة
ا. س. هربرت بك	التاسعة
س. ج. هوكر بك	العاشرة
ه. د. بالمر بك	الحادية عشرة
ا. ا. ديكنسن بك	الثانية عشرة
ا. ب. ستركلند بك	الثالثة عشرة
السير ه. ب. هل بارونت بك	الخامسة عشرة
الميرالاي ه. ف. ريفنسكرونت بك	السادسة عشرة

مصالح الجيش :

القائمقام ب. ج. الجود بك	السكرتير المالي
البكباشي ث. س. ه. ويموث	مساعد السكرتير المالي
الميرالاي ر. ه. بلتون بك	حكيمباشي الجيش
سلم بك موصل	أقدم أطباء الجيش

الميرالاي ج. ر. جرفث بك	حكيمباثي بيطري الجيش
ل. ب. فرند بك	مدير الأشغال والمهات
ك. ا. ج. بلنت بك	مدير التعمينات
اللواء اسماعيل باشا سرهنك	ناظر المدرسة الحربية
الميرالاي ر. ج. متشت بك	قومندان المدرسة الحربية
الميرالاي ابراهيم بك فتحي قومندان	القرعة العسكرية
الأورطة السابعة سابقاً	
الميرالاي عبد الغني بك فؤاد قومندان	رئيس المجلس العسكري المستديم
الأورطة الثامنة سابقاً	
القائمقام حامد بك مختار اركان حرب	قومندان شبه جزيرة سينا
الطويحية سابقاً	
ومجموع الجيش الآن ٧٦٣ ضابطاً و ١٧٦٠٩ جنود اشتهر كثيرون منهم	
بوقائع الثورة المهدية والفتح الاخير على ما سيجيء . وفيه نحو ٤٠٠ موظف	
ملكي امتاز فريقي منهم بالخدم الجلية في السلم والحرب أخص بالذكر .	
سكرتير عربي سعادة السردار	« ملحم بك شكور »
ناظر إدارة السكرتير المالي	مارك بك بيالوبنس
سكرتير عطوفة ناظر الحربية	عبدالله بك عازوري
رئيس قلم في مكتب الادجواتنت جنرال	سليمان بك ناصيف
وكيل قلم في مكتب سكرتير مالي الحربية	سيزار بك روزنسوايك
باشكاتب إدارة التعمينات	يوسف بك حسب الله
باشكاتب قسم رابع في مكتب الادجواتنت	حسن بك فقري
وكيل قلم في إدارة المهات	احمد بك مصطفى
سكرتير حكيمباثي الجيش	عبد العال افندي حلي
ناظر ورش الحربية بالقلعة	جورج افندي مشعلاني
	قوانين حكومة السودان :
ثم وجه اهتمامه الى القضاء وسن القوانين فعيّن لكل مديرية قاضياً عاماً	

شرعياً وعين. الشيخ محمد شاكِر من متخرجي الازهر السابقين قاضياً لقضاة السودان والشيخ محمد هارون من نوابغ الازهر ايضاً مفتشاً عاماً للمحاكم الشرعية. والشيخ الطيب الهاشمي مفتياً للسودان وأمرم بأن يحكموا في المسائل الشرعية بما يقضي به الشرع الشريف. وشرع في سن القوانين المدنية والجنائية والتجارية الملازمة لحال البلاد مستعيناً بسكرتيه القضائي الأصولي المستر بونهام كارتر فتم من القوانين الى الآن ما يأتي :

قانونين صدرا قبله سنة ١٩٠٠ و ١٩٠١	قانون حجج الاراضي سنة ١٨٩٩ م
قانون المديّات العمومية سنة ١٩٠٠ ويلغي قانون سنة ١٨٩٩	د ضرائب الاراضي سنة ١٨٩٩
د أراضى مدن الخرطوم وبربر ودنقله سنة ١٩٠١ ويلغي قانون سنة ١٨٩٩	د عوائد الصمغ والريش والصاج واللاستيك سنة ١٨٩٩ و ١٩٠١
مشروع القانون المتعلق بتنفيذ الأحكام المصرية في السودان سنة ١٩٠١	د حل الاسلحة النارية سنة ١٨٩٩
قانون الجزية (على القبائل) سنة ١٩٠١	د رخص المشروبات الروحية ١٨٩٩
د عوائد الحيوانات سنة ١٩٠١ ويلغي قانون عوائد القطعان سنة ١٨٩٩	د عوائد الأملاك سنة ١٨٩٩
د الاحراش والغابات سنة ١٩٠١	د عوائد الأبنية سنة ١٨٩٩
د القضاة المدنيين سنة ١٩٠١	د عوائد المراكب سنة ١٨٩٩
د تلاميذ الطاعون البقري سنة ١٩٠١	د رخص الدلاّين والدوّارين ١٨٩٩
د المجالس البلدية في السودان ١٩٠١	القانون العام لوادي حلفا وسواكن ١٨٩٩
د البضائع المهربة الى السودان ١٩٠١	قانون رخص البحث عن المعادن ١٨٩٩
د المحاكم الشرعية السودانية ١٩٠٢	د العقوبات السوداني اوكتوبر سنة ١٨٩٩ وفبراير سنة ١٩٠١
	د السودان المدني ابريل سنة ١٩٠٠ وفبراير سنة ١٩٠١
	قانون وقاية الحيوانات البرية ويلغي

وقد عرضت هذه القوانين كلها على جناب الفيكونت كرومر وكيل دولة بريطانيا العظمى وقنصلها الجنرال في مصر وعلى مجلس نظار الجنباب العالي الحديوي بموجب الوفاق العام المار ذكره فصدقوها ونشرت تباعاً في الغازيته السودانية. فأصبحت قوانين نافذة مرعية الاجراء يتولى تنفيذها. قضاة عسكريون وملكيون من الانكليز والمصريين. وهناك لجنة من العلماء برئاسة الشيخ محمد البدوي عينها الحاكم العام للنظر فيما يُعرض عليها من المسائل الاجتماعية الأهلية.

المدارس الاميرية في السودان :

المدارس الاميرية القديمة، اهتمت الحكومة المصرية مدة الفتح الاول بنشر المعارف في السودان فأنشأت مدرسة ابتدائية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك وذلك في ايام عبد اللطيف باشا فدامت الى ان قامت الثورة المهدية فتعطلت وأمر المهدي فأقفلت مدارس العلم كلها وأحرقت جميع الكتب إلا القرآن وجمع خليفته التعايشي العلماء في ام درمان فحظر عليهم تدريس العلم فلم يبق في السودان إلا خلوات القرآن. وكان في الخرطوم مطبعة حجر للحكومة فاستخدمها المهدي لطبع مناشيره ثم استخدمها خليفته من بعده لهذه الغاية وبقيت حتى استرجعتها الحكومة بفتح ام درمان.

كلية غوردون : ولما عاد اللورد كتشنر اوف خرطوم من الفتح الأخير الى بلاد الانكليز اقترح على قومه انشاء مدرسة كلية في الخرطوم باسم غوردون تعلم فيها العلوم واللغة العربية تخليداً لذكر غوردون في السودان وفتح اكتاباً لجميع المال اللازم لبناء المدرسة والقيام بنفقاتها فتلقى الشعب الانكليزي هذا الاقتراح بمزيج الارتياع وأقبلوا على الاكتاب فيه من جميع اطراف الممالك البريطانية من انكلترا واستراليا وكندا ونيوزيلند ورأس الرجا الصالح ومصر والهند فجُمع الى الآن ١٢٣ الف جنيه ونيف. واقترح اللورد كرومر ان يُقرن اسم الكولونيل ستيورت باسم غوردون لأنه رفيقه في حصار الخرطوم

وذلك بأن يجعل في المدرسة . ثلثة خاصة باسم ستيورت فأجيب اقتراحه
وجمع الى الآن ٥٠٠ جنيه لهذه الغاية . وقد وضع الحجر الاساسي لكلية
غوردون في ٥ يناير سنة ١٨٩٩ باحتفال باهر حضره اللورد ككتشن وجمهور
كبر من أعيان السودان رأسه اللورد كرومر فصرح بمبدأ المدرسة فقال
« ستكون هذه المدرسة مدرسة عمومية اصلاحية غير مختصة بطائفة دون
اخرى ويكون التدريس فيها على قدر الامكان باللغة العربية » . والمدرسة
الآن على وشك الانتهاء ويؤمل ان يبدأ التدريس فيها اواخر سنة ١٩٠٣ .
وتقدر نفقات بنائها وفرشها بنحو ٣٠ الف جنيه . وقد أهدي اليها معمل
كياوي ومرصد فلكي وأدوات فاخرة متنوعة لتعليم الصنائع اليدوية . هذا
وقد ألفت لها لجنة من كبار الانكليز وأعيانهم لادارة شؤنها العامة ومراقبة
حساباتها وهم :

الشريف اللورد ككتشن اوف خرطوم	الشريف اللورد هلندون
الفريق السير رجينلد ونجت باشا	الشريف اللورد فلسطين
حاكم السودان العام	السر ارنست كسل
المستر اوغسطوس بريفوست	المستر هغ كولن سمث
مدير البنك الانكليزي	المستر هنري ت. نوتون مستشار شرف
الشريف اللورد كرومر	المستر جيرار فان ده لند وابنه
الشريف اللورد روتشيلد	مراقبا شرف للحسابات

المدارس الاميرية الجديدة : ولما تولى الفريق السير رجينلد ونجت باشا
منصبه الأحكام في السودان سنة ١٨٩٩ وجه الكثير من عنايته الى المعارف
فعين المستر جيمس كري من فضلاء الانكليز مديراً عاماً للمعارف في السودان
ورئيساً لكلية غوردون فشرع في الأعمال بما يُعهد فيه من الدربة والنشاط
فأتم في سنتين ما لم يكن يؤمل إتمامه في عدة سنين وأنشأ عدة مدارس منها
اعدادية لمدرسة غوردون ومنها لحساب حكومة السودان وهي هذه :

- مدرسة ابتدائية في الخرطوم وهي اعدادية لمدرسة غوردون وفيها ١٠٠ تلميذ .
- د ابتدائية في ام درمان وفيها ٢٠٠ تلميذ .
- د في ام درمان للمعلمين المراد تمرينهم على التعليم وفيها ١٤ تلميذاً .
- د صناعية في ام درمان اعدادية لمدرسة غوردون وفيها ٦٠ تلميذاً .
- د مدرسة ابتدائية في حلفا فيها ٨٠ تلميذاً . ومدرسة ابتدائية في سواكن فيها ٥٠ تلميذاً .
- د وطنية في دنقلة . ومدرسة وطنية في بربر .

اما مدرستا حلفا وسواكن فقد أنشأتهما نظارة المعارف المصرية في زمن الثورة المهدية وانتقلتا الى ادارة معارف السودان في بدء هذه السنة . وستنشأ الحكومة مدارس وطنية في كسلا والقضارف والابيض وفاشوده وغيرها من المدن الكبيرة اذ النية منعقدة على تعميم المعارف في السودان كله لتتویر أذهان الشبان في مبادئ العلوم والصنائع واعدادهم الى وظائف الحكومة الابتدائية .

وفي ام درمان والخرطوم غير المدارس الاميرية : مدرسة صبيان وبنات للأقباط .. ومدرسة صبيان وبنات للرسولين النمساويين . ومدرسة صبيان للانجلييين الامريكان .

وابورات السودان :

في السودان الآن عشرون وابوراً بعضها من عهد الفتح الاول وبعضها بُني في الخرطوم في أثناء الحصار سنة ١٨٨٤ والباقي جدد في الحملة لنيلية سنة ١٨٨٥ والفتح الاخير سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٨ . وهي من حيث بناؤها ومحوها وسرعتها على أنواع :

١ - « السلطان » ، « الملك » ، « الشيخ » ، وهي مدرعات قوية بنيت في أثناء الحملة على الخرطوم سنة ١٨٩٨ . ومتوسط سيرها نحو ستة أميال في الساعة وتعم على قديمين من الماء .

- ٢ - « الظافر ، والناصر ، والفتاح ، وهي المدرعات التي بقيت في أثناء الحملة على دنقلة سنة ١٨٩٦ ومتوسط سيرها عشرة أميال في الساعة .
- ٣ - « طهاي ، والحفير ، وأبو طليح ، والمثمة ، وهي على شكل وابورات النوع الثاني إلا أنها أصغر حجماً وتسير ٨ أميال في الساعة وهي من عهد الحملة النيلية .
- ٤ - « دال ، وخيبر ، وعكة ، وعمارة ، وهي من النوع الثالث إلا أنها أصغر حجماً وأقل سرعة .
- ٥ - « الجديد ، وهي وابور صغير بُني بعد الفتح الأخير وسرعته ٦ أميال في الساعة .
- ٦ - « بوردين ، والصفاية ، ومما من الطرز القديم جداً من عهد الفتح الأول وسرعتهما نحو ٦ أميال في الساعة .
- ٧ - « ألفن ، والطاهرة ، والتوفيقية ، وهي وابورات صغيرة . أما الطاهرة فقد بناه غوردون في حصار الخرطوم وسماه الزبير فركب فيه المتمهدي بعد فتح المدينة وسماه الطاهرة . وأما التوفيقية فن من عهد الفتح الأول أخذه إلى الخرطوم عبد الحليم باشا عند ذهابه إلى السودان سنة ١٢٧١ هـ . وأما ألفن فانه من وابورات الفتح الأول ولكنه رُمى بعد الفتح الأخير .
- هذا ومن الوابورات المشهورة التي دخلت في الفتح الأول قُتعت أو غرقت :
- « تل حوين ، غرق في شلال السبلوكة مع السر تشارلس ولسن في أثناء الحملة النيلية .
- « وشين ، والمسلمية ، تعطلت في عهد الدرايش لقدمها وعدم الاعتناء بها .
- « وامبابة ، غرق في شلال السبلوكة قبل ظهور المتمهدي بقليل .
- « والمنصورة ، أرسله غوردون مع نصحي باشا للاقاة الانكليز الآتين لانتقاذه من حصار الخرطوم فغرق في المسكناب شمالي شندي .
- « والفاشر ، وسماه الدرايش المنصورة غرق معهم في السد .

« والاسماعيلية » غرق معهم في خور شمبات قبل فتح ام درمان بثلاثة أيام .
 « ونيانزة » غرق في بحر الجبل في أثناء الثورة المهدية .
 « والخديوي » وهو وابور صغير غرق في بحيرة البرت نيانزة في أثناء الثورة المهدية .

« والجيزة » دخل في الحملة النيلية فغرق في شلال تنجور .
 ومن الواپورات التي بنيت في الخرطوم من الحصار فتعطلت أو غرقت .
 « عباس » غرق مع ستورت باشا في ود قر وهو يحاول الوصول الى مصر في أثناء حصار الخرطوم .
 « وحسن زهران » أو الحسين غرقه الدراويش بقنابلهم أثناء محاصرتهم للخرطوم .
 « ومحمد علي » وقد سمي كالكو بالنسبة الى صوته غرق مع الدراويش في السد

هذا والحكومة السودانية ساعية الآن في زيادة عدد الواپورات وتوسيع نطاق الملاحة في النيل ما امكن . ولها في ام درمان ورشة عظيمة لبناء الواپورات والمراكب واصلاح ما تعطل منها . وعندها عدا الواپورات المار ذكرها عدة نفورة وقياسات ومراكب . وقد اصبحت مصلحة الواپورات والمراكب في السودان مهمة مديرها الحاذق القائم بوند بك من أهم المصالح وأفضلها انتظاماً فانه أصلح شؤونها ورتب أعمالها ووزع الواپورات بين الشلالات فجعل بعضها في حلقة بين الشلال الاول والثاني وبعضها في دفقة بين الشلال الثالث والرابع والباقى في الخرطوم للاشتغال في النيلين الابيض والازرق وهو يستخدمها لنقل الركاب والبوسطة وشحن البضائع والمهمات .
 وفي عهده ايضاً وابور « مخبر » في البحر الاحمر بين السويس وسواكن .

سكة الحديد في السودان :

ان صعوبات النقل وأخطاره برأ وبجراً كما بيناها في الفصل السابق حلت

الحكومة المصرية منذ الفتح الاول على الاهتمام بإنشاء سكة حديدية الى داخل السودان لتسهيل طرق المواصلات بينها وبين مصر وإغناء تجارتها . وكان اول من اهتم في ذلك المغفور له سعيد باشا ولكنه ما درس المشروع حتى عدل عنه لكثرة نفقاته . واهتم بذلك بعده اسماعيل باشا وأرسل المهندسين فرادوا البلاد من اسوان الى الخرطوم سنة ١٨٦٥ ثم في سنة ١٨٧١ أرسل مهندسين آخرين فدرسوا الطريق من حلفا الى شندي فالخرطوم ولكن لم تلتج هذه الاهتمامات كلها الا سكة حديد من اسوان الى قدم الشلال الاول سنة ١٨٧٤م طولها ٩ اميال ، وسكة حديد اخرى من حلفا الى سرس طولها ٣٣ ميلا .

هذا وفي أثناء الحملة النيلية مد الجيش الانكليزي خط حلفا وسرس الى عكاشة فخرّبه الدراويش بعد إخلاء السودان وبقي طريق الصحراء هو المعول عليه .

وكانت الخربة المصرية قد باشرت مد خط حديدي من كورسكو الى المرات سنة ١٨٩٥ وذلك قبل تصميم الحكومة على استرجاع السودان فلما صممت على استرجاعه أوقفت العمل في هذه الجهة وشرع الجيش في مد خط من سرس جنوباً الى الكرمة فأتمه في سنة ١٨٩٧ وكان طوله ٢٠٣ اميال وهذه هي محطات الرئيسية : حلفا ، سرس ، عكاشة ، كوشة ، ابي صاري ، دلقو ، الكرمة .

وقبل ان يتم هذا الخط بدأ الجيش بمد خط حديدي يخترق الصحراء من حلفا الى ابي حد ثم مدّه على محاذاة النيل الى الاتبره فبني عليه جسراً من حديد على يد شركة امريكية كان افتتاحه في ٢٦ اوجسطس سنة ١٨٩٩ .

ثم مدّ الخط جنوباً فوصل الخرطوم في ١ يناير سنة ١٩٠٠ وكان طوله ٥٧٥ ميلا وهذه هي محطات الرئيسية : حلفا ، نغرة ٦ ، ابو حد ، المبيدية ، بربر ، الاتبره ، الدامر ، الذيداب ، الكبوشية ، شندي ، ود رملي ، الحلفانة

هذا وكان خط سكة الحديد من اسيوط الى اسوان قد تمّ قبل ذلك بقليل

فأصبحت سكة الحديد ممتدة من الاسكندرية الى الخرطوم بلا فاصل الا بين اسوان وحلفا. وقد صممت حكومة السودان الحاضرة على إنشاء خط حديدي من بربر الى سواكن وستشرع فيه قريبا . وهي تفكر الآن في إنشاء خط بين الدويم والأبيض وخط بين الخرطوم والقضارف عن طريق ابي حراز . وقد ولّجت إدارة السكك الحديدية كلها الى رجلها الهام القائم مقام مكولي بك وأهوانه الأكفاء والأمل بالنجاح على يدهم وطيد .

تلفراف السودان :

مُدّت خطوط التلفراف في السودان المصري في الفتح الاول كما يأتي :

١ - مصر ، دنقلة ، بربر ، الخرطوم	٥ - ابو حراز ، القضارف ، كسلا ،
٢ - الخرطوم ، ابو قراد ، الأبيض ،	سنهت ، مصوع
فوجه	٦ - كسلا ، قوز رجب ، بربر
٣ - الخرطوم ، ابو حراز ، المسلية ،	٧ - سواكن ، كسلا
سناو ، فازوغلي	٨ - القضارف ، دوكة ، القلابات
٤ - المسلية ، الكوة	٩ - القضارف ، الجيرة على نهر سنهت

ومرکزها العام الخرطوم . فعطلت الثورة المهدية هذه الخطوط كلها ولم يبقَ إلا خط أقامه التمايشي بين ام درمان والخرطوم كما مرّ .

ثم لما بُدئ باسترجاع السودان بوشر مدّة تلفراف مع الحملة وكان كسلا تقدمت الحملة يتقدم معها حتى وصل الى الخرطوم بعد فتحها بقليل ثم مدّت جنوباً على النيل الأبيض الى الدويم فالرنق ومن الدويم الى الأبيض ومدّت على النيل الأزرق الى الرصيرص وسيمدّت على النيل الأزرق الى فامكه وعلى النيل الأبيض الى آخر حدود السودان .

وهذه هي خطوط التلغراف التي مدت الى الآن :

١ - حلفاء ، كوش ، الكرمه ، دنقلة ،	القضارف ، ود مدني
الدابة ، مروي	٤ - الخرطوم ، ود مدني ، سنار ،
٢ - حلفاء ، ابو حمد (بطريق الصحراء)	سنجه ، الرصيرص
العبيدية ، بربر ، شندي ، الحلفاية ،	٥ - ام درمان ، الدويم ، الابيض
الخرطوم ، ام درمان	٦ - سنار ، قوز ابو جمعه (بطريق
٣ - بربر ، سواكن ، طوكر ، كسلا ،	الجزيرة) الرنق

ومركزها العام الخرطوم والاساس حلفاء .

وكان التليان بعد فتح كسلا قد مدوا الخط اليها من مصوع فلم يزل هذا الخط باقياً الى الآن .

بريد السودان :

كان في السودان مدة الفتح الاول بريد منظم يحمل على الهجن ومركزه الخرطوم فيرسل مرة في الاسبوع الى مصر وجميع المديریات . وكان له في كل طريق محطات معلومة لراحة الهجن او ابدالها .

وعلى نحو ذلك كان نظام البريد في زمن الدراويش وكانت التعايشي يتم كثيراً بسرعته وانتظام سيره وقد انتقى جماعة من أمثائه الأخصاء فجعلهم رسلاً للبريد بينه وبين أمرائه في الجهات . وكان يقاص من يتمرض لهم بسوء أو يعوقهم عن الميعاد بقطع يده ورجله من خلاف ولكنه حضر البريد في نفسه فلم يحمل للرعية فيه أقل نصيب .

أما الحكومة الحاضرة فقد نظمت للبريد مصلحة عامة تحاكي في انتظامها بُرْد أوربا وجعلت مركزها العام الحلفاية ثم الخرطوم وفتحت له مكاتب في جميع العواصم والمدن الشهيرة وهي الآن هكذا :

« على النيل الكبير » : حلفاء ، مرس ، كوش ، دلقو ، النكرمة ، دنقلة ، الدبة ، كورتي ، ابو حمد ، بربر ، الدامر ، شندي .

« وعلى النيل الازرق » : الخرطوم ، رفاعة ، ود مدني ، سنار ، كركوج ، سنجة ، الرصيرص .

« وعلى النيل الابيض » : ام درمان ، القطينة ، الدويم ، قوز ابو جمعه ، الكوة ، الرنق ، فاشوده ، سبت .

« وفي السودان الشرقي » : سواكن ، طوكر ، كلا ، قوز رجب على الاتبره .

« وفي السودان الغربي » : الابيض ، بارة .

وأكثر هذه المكاتب تقبل الأجوبة والرزم والدرام مسجلة الى أية جهة في السودان وخارجه بل المكاتب التي في العواصم تقبل الدرام وترسلها حوالاات تلغرافية .

ويحمل البريد الآن على الوابورات في جميع بلاد النيل وأما في السودان الشرقي والغربي فلا يزال يحمل على الهجن الى ان يتم ما عقدت النية عليه من انشاء خطوط السكك الحديدية في جميع أنحاء السودان . ويحمل البريد بين سواكن والسويس في وابورات الشركة الخديوية مرة في كل اسبوعين كما كان قبل الفتح .

وقد اتخذت هذه المصلحة في بدء الفتح طوابع البريد المصرية مبصوماً عليها كلمة « السودان » فاستعملتها الى اول مارس سنة ١٨٩٨ ثم أبدلتها بأوراق خاصة أكبر منها وعليها صورة هجان راكباً هجيناً في الصحراء . على ان في النية ابدالها بصورة أخرى ألطف منها .

هنا وقد جعلت الحكومة السودانية مصطلحي التلغراف والبريد مصلحة واحدة . وولجتها الى رجلها الهام القائمقام لِدَل بك الذي لا يزال يدأب في تحسينها وتوسيع نطاقها الى الحد المقصود .

مالية السودان :

أما مالية السودان فلا تزال تشكو العجز ومالية مصر تتحمله حتى يقوى السودان على سده . على ان السودان لم يكن في عصر من عصور التاريخ قادراً على القيام بأود حكومة منظمة مرتقية مثل الحكومة الحاضرة وربما كانت عصر المهدي الأخير أشأم عصر مرّ عليه فجرّعه كؤوس الظالم وأثقل كاهله بأرزاء الحروب فاستنزف منابع ثروته وأودى بنحو ثلثي أهله وصير أراضيه قفاراً ودياره بلاقع . وعلى هذه الحالة المشومة والأزمة المحزنة دخلت الحكومة الحاضرة . لذلك كان أهم ما وجه اليه الحاكم العام اهتمامه اصلاح حالة البلاد العمومية بتقليل ضرائبها وتكثير منابع ثروتها وتوطيد أركان العدل والأمن في جميع أنحاءها حتى اذا ما نهضت من عسرها المالي واصبحت كفؤاً للقيام بأود حكومتها تدرّج بها في معارج التقدم والنجاح الى الحد المستطاع .

وهذه هي غاية جميع رجاله ورؤساء مصالحه وعلى الخصوص سكرتيه المالي الهام « الميرالاي برنارد بك » الذي يشاطره المسؤولية في ماليتها ويدأب

الليل والنهار في تعديل دخلها وخرجها حتى لا ينفق درهماً إلا كان إنفاقه لازماً مفيداً ولا يفوته درهم كان من الممكن اقتصاده أو اكتسابه إلا اقتصده أو اكتسبه .

وقد وفق الى رجال أكفاء أولى دربة وذكاء يقاسمونه السعي وراء هذه الغاية الجميلة وفي مقدمتهم مساعدته الشهم النبيل « القائم ماي بك » . والحاذاق النشيط « المستر درموند هاي » نجل السيامي الهنك المستر درموند هاي قنصل انكلترا الجنرال في سوريا الذي ترمعن على التجارة النظرية والعملية في أشهر بيوت مرسيليا التجارية ثم دخلا قنصلاتو انكلترا فيها فمين نائب قنصل وتدريب على الاشغال السياسية والادارية .

وعنده الشاب الاديب المتوقد الذهن الذكي الفؤاد « سعيد بك شقير » من نوابغ المدرسة الكلية السورية في بيروت ومن أفراد اللبنانيين المعدودين في مصر وقد مارس الاشغال المالية والادارية في سواكن حيث قضى تسع سنين متوالية سكرتيراً للمحافظة أظهر فيها من الدربة والنشاط وحسن الادارة ما استوجب أجل الثناء من جميع المحافظين الذين حكموا سواكن في عهده . لذلك لما أرادت حكومة السودان تشكيل قلم الحسابات لماليتها لم تر بداً من من نقله من سواكن وإلقاء عهدة القلم اليه فأظهر فيه من التفنن والبراعة والهمة ما كان يؤمل منه وأزيد وقد رقي الى رتبة المتمايز ولقب « بمدير حسابات السودان » . وبذلك كله تمكن السكرتير المالي على حدائة عهد الفتح واضطراب أحوال الدخل والخرج من عمل ميزانية تضاهي في نظامها وترتيبها ميزانية مصر . وهاك خلاصتها غن سنة ١٩٠١ كما نشرت بالأمس :

المصروفات (الخرج)

ملي	جنيه مصري	
١٧٦	١٧٨٦٠	المصلحة الملكية
٣٠٣	٨٧٤٥	المصلحة المالية
٦٤٠	٥٧٧٩	المصلحة القضائية
٠٠٠	٢٣٦٥٢	قلم مراقب المآزن
٤٠٢	١٤٢١	مصلحة المعارف العمومية
٥٧١	١١٨١	مصلحة الغابات والاحراش
٢٥٥	١٠٨٩٧	السجون
٥٠٧	٥١٧٥	الاستباليات
٩٧١	٨٦٠	مصلحة وقاية الحيوانات البرية
٠٥٩	٥١٤٩٧	المديريات (مراكز الرئاسة) والاموريات
٣٦٩	١٩٤٦٨	البوليس
٩٨٥	٣٩٩٥	الراجلات والمراكب
٠٠٠	١١١٩	الجمارك
٥٣٤	١٠١١٤	تعيينات وعلاقات
٩٥٩	٢٦٩٤٦	الاشغال العمومية في الخرطوم والمديريات
٤٠٥	٤٠٧٧	بدل سفرية ونقلات ومعاشات ومكافآت
٢٥٢	٣٢١	مصروفات الجوامع
٩٢٦	٥٠٢٠	مصروفات صحية وملافاة وباء المراضى
٩٩٣	١٩٩	مصروفات لجان الاراضى
٣٢٦	٦٨٤	مصروفات المطبعة الاميرية
٠٤٢	٣٢٧٦	مصروفات مصلحة المساحة
١٠١	٤٣٨٦	مصروفات امرى الدرايش ونقط الصحراء
٢١٢	٣٨١٠١	مصروفات ثغرية وسرية ومهاجرين
٨٦٦	٨٥٨٦	البوستة
٧٤٠	١٥٩٦٤	التلفراقات
٠٠٠	١٤٨٠٠٠٠	السكة الحديد
٥٩٤	٤٠٧٣٣٤	الجملة
١٤٧	٢٩٥١٩	زيادة في الإيرادات عن الوارد بالميزانية
٧٤١	٤٣٦٨٥٣	المجموع العمومي

بأمر الحاكم العام

الامضاء ا. ا. برنارد -- ميرالاي

سكرتير مالي حكومة السودان

مصر في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٢

ملي	جنيه مصري	الارادات (الدخل)
٨٣١	٢٨٢٨٧	اموال اطيان
٠٧٥	١٣٨٥٤	عوائد نخيل
٧٣٦	٣٧٢	عوائد ابيلية
١٢٢	٩٣٣	عوائد مراكب
٩٤٨	٦٤٣١	عوائد حيوانات
٥٩١	٥١٦٣	جزية من القبائل
٦٠٠	٣٢٧٦٣	دخوليات الصنغ
١٣٣	١٧٥٤	» الریش
٥٨٠	١٩٩٥	» الماچ (من الغيل)
٣٦٣	٢٢٩١	» الاصناف الاخرى
١٧٠	٦١٠١	جمارك
٣٢٣	٥١٩٨٧	بيع املاك وأراض اميرية وخلافها وإيرادات مختلفة
٤٤٥	١٦٩٩	إيرادات المحاكم الشرعية
٨٧١	٣٧١٦	إيراد المعديات
١١٣	٦١٢	» صيد الاسماك
٠٠٣	١٧٠٧	» ورق التمغة
٥٦٦	٣٧٨٢	تصاريح المشروبات الروحية والاسلحة النارية والدلالة
		والتسبين والصيد والبحث عن المعادن
٣٣٦	٥٩٨٨	عوائد السلخانات والأسواق
٩٢٦	٢٦٠٩	رسوم مجالس وتسجيل اراض وغرامات
٧٧٦	٣٢٤	إيرادات الاستباليات
٩٥٠	٧٥	إيرادات الواجرات والمراكب الاميرية
٥٢٣	٩٧٥	إيجارات اطيان الحكومة
٤٩٣	٢٥٢	إيرادات الحوالات التلفزيونية
١١٦	١٢٤١	مستقطع لأجل المعاش
٨٨٠	١٥٤٩٢	عشور نقدية
٧١٤	٤٣٢٩	مبيع طوابيع بوسة ورسوم حوالات
٨٣٢	٤٦٨٤	مبيع طوابيع تلفراف
٧٢٥	٧٥٨٠٨	سكة الحديد
٧٤١	٢٤٢٣٠٨	مجموع الإيرادات
٠٠٠	١٩٤٥٤٥	اعتماد الحكومة المصرية لسد عجز السودان
٧٤١	٤٣٦٨٥٣	المجموع العمومي

وهالك بيان مصروفات هذه السنة أي سنة ١٩٠١ وإيراداتها على صورة أخرى:

المصروفات	مبلغ	جنيه مصري	الإيرادات	مبلغ	جنيه مصري
الخزطوم	٩٩٣	٢٣٥٩٧	الخزطوم	٥٩	٥٣٣٥٩
بربر	١٤	١٢٨١٩	بربر	٢٧٩	١١٧٠١
دنفلة	٢٣٤	١٤٥٦٥	دنفلة	٣٤٠	٢٩٦٤٦
سنار	٩٧	١٢١٠٣	سنار	١٧٢	١١٠٤٠
كسلا	٩٦	٩٩٦٤	كسلا	٤٧٧	٥٢١٧
سواكن	٣١٤	١٤٥٢٢	سواكن	٨٩٨	١١٣٤١
حلفا	٤٠٦	١٦٨٢	حلفا	٩٨٨	٥١٧٧
فاشوده	٧٨٩	٣٣٨٥	فاشوده	٣٢٤	٢٤٥
كردوفان	٨٦٤	٩٨١٣	كردوفان	١٧	١٩٢٠
الادارة العمومية	١٨١	٩٨٦٧٧	الادارة العمومية	٣٣٥	١٧٢٦٤
التخازن	٠٠٠	١٣٦٥٢	التخازن	١٧٣	٨٩٩٠
البوستة	٨٦٦	٨٥٨٦	البوستة	٥٢٣	٥١٣١
التلفرافات	٧٤٠	٥١٩٦٤	التلفرافات	٦٧	٤٧٦٨
سكة الحديد	٠٠٠	١٤٨٠٠٠	سكة الحديد	٨٩	٧٦٥٠٥
الاشغال العمومية	٠٠٠	٢٠٠٠٠			
جلة المصروفات	٥٩٤	٤٠٧٣٣٤	جلة الإيرادات	٧٤١	٢٤٢٣٠٨
زيادة في الإيراد عن	١٤٧	٢٩٥١٩	اعتماد الحكومة المصرية		١٩٤٥٤٥
الوارد في الميزانية			لسد عجز السودان		
المجموع العمومي	٧٤١	٤٣٦٨٥٣	المجموع العمومي	٧٤١	٤٣٦٨٥٣

بأمر الحاكم العام (الامضاء) ا. ا. برنارد - ميرالاي

سكرتير مالي حكومة السودان

مصر في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٢

استعمار السودان :

هذا والحكومة السودانية الآن باذلة الجهد في استعمار السودان وتسهيل طرق الاستيطان لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وحرفهم . وقد بدأت بالرفق بالسودانيين الذين هجروا البلاد بسبب الثورة فأرجعتهم الى أوطانهم مجاناً وأعانتهم على زراعة ارضهم وتعمير بلادهم .

ورفق سعادة السردار وحاكم السودان العام الجديد برجال الفتح الاول الذين كانوا في أسر الدراويش من ملكيين وعسكريين وسودانيين ومصريين فسمى لهم لدى الحكومة المصرية فوزعت عليهم ٢٥ ألف جنيه . وأوصى ببعض الذين امتازوا في الخدمة واشتهروا بالولاء فأجرت لهم معاشات تتقدم إياها شهرياً مدى الحياة .

ورفق بالموظفين الملكيين فجعل رواتبهم في السودان أرقى منها في مصر بدرجة كاملة فالكاتب في مصر من الدرجة الثانية مثلاً يُنقد في السودان راتب كاتب من الدرجة الاولى وهكذا . ولم يحرم رجال العسكرية هذا الالتفات بل رقى أيضاً رواتبهم بنسبة عادلة . وجدد زيادة معلومة سماها « بدل مناخ » تمنح في الصيف لمن يخدم في جهات السودان البعيدة كفاشوده وبحر الغزال وكردوفان وكلا وسنار. وبذلك هوّن الخدمة في السودان حتى صار الكثيرون ولا سيما العزّاب يفضلونها على الخدمة في مصر. وقد انتقى العساكر الذين لم تعد القوانين العسكرية تسمح ببقائهم في الجيش فأقطعهم أراضي على النيل الأزرق جنوبي سنار وعلى النيل الأبيض جنوبي الجبلين وأعطاهم ادوات وتقايي للزراعة فأسسوا عدة مستعمرات جميلة وعاشوا فيها بأرغد عيش وأنعم بال .

وأهم ما تعنى به الحكومة الآن تفشيط اهل الزراعة من مصر وغيرها الى الاستيطان في السودان فانها تتقلم على نفقتها الخاصة وتعطيهم الارض مجاناً او بضمن بخس جداً وتساعدهم على نقل ادواتهم الزراعية مجاناً او بأجرة زهيدة وقد تعطيهم التقايي لزراع الارض في بادئ الرأي . ولكنها انما تخص بهذه العناية من وثقت بكفاءته وحسن اخلاقه وصدق عزمه على الاستيطان . وطالب الزراعة في السودان يجد من فقراء السكان والمبيد الآبقين من أسياهم من يساعده على الزرع ولكن لا بد له من ان يأتي بمن يعتمد عليه في الأعمال الزراعية لأن فلاحي السودان قليلو الخبرة جداً بها كما مر .

هذا ويمجد التجار والصناع وأرباب المشروعات عجالاً واسعاً في السودان لتقدم أشغالهم اذ البلاد في أشد الحاجة اليهم والحكومة مستعدة لتنشيطهم وتسهيل طرق الرزق لهم واذا أرادوا البناء أعطتهم الارض بثمان زهيد على ان يعمروها لا ان يتجروا بها .

وبذلك أصبحت السودان من أهم البلاد التي يحذر بطالي الرزق والساعين وراء المستقبل ان يحلوا محل النظر والاعتبار . وقد تقدم لنا ان هواها لا بأس به والعيش فيها ميسور قليل النفقة والسفر اليها أصبح الآن بعد انشاء سكة الحديد وانتظام مصلحة الواپورات من أسهل الامور وأيسرها . وهذه هي أجرة النقل من شلال اسوان الى الكرمة والخرطوم وآخر حد النيلين الأزرق والابيض حسب التعريفة الحاضرة :

الطريق	المسافة بالميال	درجة اولى غ . ص	درجة ثانية غ . ص	درجة ثالثة غ . ص
من الشلال الى حلفا بالنيل	٢٢٦	٢٠٠	١٠٠	٢٠
من حلفا الى الكرمة بسكة الحديد	٢٠٣		٢٠٥	٦١
من حلفا الى الخرطوم بسكة الحديد	٥٧٥	٥٥٢	٣٦٨	١٨٤
من الخرطوم الى الرصيرص بالنيل الأزرق	٣٨٠	٦٠٨	٣٠٤	٧٦
من الخرطوم الى مشرع الريك ببحر الفزال	٧٤٠	١١٨٤	٥٩٢	١٤٨
من الخرطوم الى كوندوكررو ببحر الجبل	١٠٨١	١٧٣٠	٨٦٥	٢١٦

وفي فصل السياح الذي هو فصل الشتاء تضيف مصلحة سكة الحديد عربات خاصة الى قطاراتها للنوم وتجعل الاجرة على الشخص الواحد من حلفا الى الخرطوم ١٦ جنياً ذهاباً وإياباً ما عدا الأكل وبين اسوان وحلفا ١٧ جنياً ذهاباً وإياباً مع الأكل . ويمجد المسافرون في كل من مدن اسوان وحلفا والخرطوم لو كندة جميلة للأكل والمنام . ومن رام السفر في شرقي السودان وغربيه يجد قدر ما يشاء من الإبل والحديد الجبل بأجرة ثمانية الى اثني عشر غرشاً والحمار بخمسة غروش في اليوم . ويمجد المسافر الى سواكن محلاً على

وابورات الشركة الخديوية التي تسافر من السويس موتين في الشهر أي في الاول والخامس عشر وتعود في نحو العاشر والرابع والعشرين من كل شهر بالاجرة الآتية : ٨ جنيهات و ٢٥٠٠ مليماً في الدرجة الاولى و ٦ جنيهات و ٢٥٠ مليماً من الدرجة الثانية و ٣ جنيهات بلا طعام في الدرجة الثالثة .

ويمكن استئجار السفن الشراعية لومض البضائع التجارية في النيل على نسبة خمسة جنيهات في الشهر لكل سفينة ومقها تسعة طننات . وأما السفن البخارية فكلها للحكومة كما مر ولا تنقل البضائع التجارية إلا اذا سمحت حالة البضائع والذخائر الاميرية .

وأما بشأن سفر السودانين الى خارج مصر والسودان فقد تقرر انه اذا كان السفر من احد موانئ السودان فعلى المسافر ان يأخذ جوازاً من الحكومة المحلية واذا كان من احد الموانئ المصرية فالحكومة المصرية لا تعطيه جواز السفر إلا اذا كان مصحوباً بجواز من المديرية أو المحافظة التابع لها او من غارات مصر او الخرطوم .

الباب الرابع

في

أخلاق أهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم

الفصل الاول

في

أخلاق أهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم

تقدم ان الاصول التي يتألف منها أهل السودان تنحصر في خمسة وهي السود وشبه السود والنوبة أو البرابرة والبجة والعرب . وغرضنا الآن الكلام على أخلاق كل شعب وعاداته مبتدئين بأقدمهم وهم السود .

أوصافهم الخلقية : يختصّ السود بسواد اللون وقطط الشعر وفطس الانف وضخم خنابتيه واتساع الشدق وبرطمة الشفتين وبروز الفك وضيق القحف وصلابة عظامه وطول اليدين بالنسبة اليهما في البيض واعوجاج الساقين وقلة لحمهما . وهم في الغالب طوال القامة ولكن قد يوجد بينهم أقزام كقبيلة قروقرو في الجنوب الغربي من بلاد خط الاستواء . وأما قواهم العقلية فقاصرة جداً وترقيهم محدود وهيئتهم تؤذن بالهمجية . ولا قدرة لهم على تحمل المرض فإذا مرض احدهم رزح تحت مرضه الى ان يموت وأكثر أمراضهم الحمى والجذري والجذام والزهري

هذا وليس في بلادهم حيوان للحمل اذ الابل والخيول والبغال والحمير لا تعيش فيها بسبب ذباب السروت كما مر وبقرهم عزيزة جداً لديهم فلا يهينونها .

بحمل الأثقال وأفيالهم كلها برية فلا يدجنونها كما في الهند ولذلك فعمل الأثقال كله منوط بالرجل ويحمل الواحد منهم من ٤٥ : ٥٠ أقة يحملها على رأسه فيسير ١٤ ميلاً في اليوم او ميلين الى ثلاثة أميال في الساعة .

أخلاقهم : وأسوأ ما في أخلاقهم العناد وجفاء الطبع وقلة التدبر والحزم . وأفضل ما فيها حب الطرب والحرية وبساطة القلب وعدم حب الذات . وهم أصلح البشر للجندية لما فيهم من ثبات الجأش وعدم المبالاة بالموت . وقد أدركت مصر ذلك منذ القديم فلم يمر عليها عصر من أيام الفراعنة الى اليوم إلا جنّدت بعضهم في جيشها . وفي الجيش المصري الآن عدة أورط منهم أي من الاورطة التاسعة فصاعداً وأكثرهم من النوبة والشك والدنكا . وهم ينضمون تحت كل لواء ويصدقونه ما دام يحسن سياستهم ويواحي أميالهم اذ هم شديدو الشهوات الجسدية ومولعون جداً بالنساء وشرب الخمر وليس لهم صبر على الجوع فأى سلطان أجرى لهم الزاد وأطلق حرية الزواج وشرب الخمر انضموا تحت لوائه وحاربوا له فاذا انكسر ودفعوا في أمر عدوه فأحسن العدو سياستهم صدقوه وحاربوا سلطانهم الاول .

رقيتهم : هذا بشأن السود الأحرار واما الرقيق فقد اشتهر رقيق الدنكا بالصدق والولاء وتحمل التعب ورقيق الفور بالكذب والسرقة والنهم ورقيق النوبة بالغدر والخيانة والحقد مع تحمل المشاق ورقيق الشك بالكسل والتواني وضعف الهمة فهو لذلك أخطأ أجناس الرقيق وأعلاها رقيق الحبشة الذي لا يدخل في كلامنا هنا . ويسوس العرب الرقيق بالقسوة والشدة لزعمهم انه لا يصلح إلا بها ومن أقوالهم : « لا تأمن العبد اضربه واطعمه ترى الحاجة مقضية » . « والعبد اشقه وأملأ كرشه يطلع خيره » . ومنه قول المتنبي :

لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ملايسهم : والسود في بلادهم عراة الأبدان او يسترّون عوراتهم بمئزر من ورق الشجر او جلد الحيوان ويتزينون بمقود من الخرز الملون او الصدف

وأساور وحجول من النعاس والعاج والحديد رجالاً ونساء . ومن خصائصهم ان رجالهم يحبون التزين أكثر من نساؤهم . ولبعض السود لاسيا الشلك تفتن غريب في لبس الشعر وضفره على أشكال شتى تشبه قنبرة الديك أو البرنيطة الافرنجية أو المروحة أو الاكليل وهم يعالجونه بطلاء من الرماد وروث البقر ويوله ممزوجاً بالغراء ويزينونه بالخرز والريش . ويدهلون أجسادهم بالشحم والزيت ويشترطون جباههم وأجسادهم ويلونونها ببعض الألوان قصد الزينة . وبعض النساء يثقبن الشفة السفلى أو الأنف ويدخلن في الثقب خشبة يكبرنها تدريجاً حتى لقد تبلغ حجم الجنيه أو تزيد وذلك من أنواع الزين عندهم . وقد امتاز الشلك وبعض الدنكا بهم أسنانهم السفلى . والشلي والشيري بتحديد ثناياهم بمبرد حتى تشبه المنشار . وبعض السود يبرد الثنيتين حتى يشبهان رقم السبعة الهندي . وامتاز المكارك بالختان ولذلك فالعرب المسلمون يفضلونهم على جميع السود .

ملاصيحهم : ولا يخرج السود من منازلهم في الحرب أو في السلم إلا مسلحين . وسلاصيحهم الحراب والسكاكين والفؤوس والنبابيت والقسي والدق . ودرقم اما مربعة الشكل مستطيلته كدق المومبوتو أو بيضوته كدق المكارك .

مساكنهم : وهم يسكنون القرى في طقلات أو أكواخ اسطوانية من الطين عليها قبب مخروطية من القصب والقش ويمتصونها للغاية بحيث تتحمل المطر الشديد الذي يكثر وقوعه في بلادهم . ولكل قبيلة منهم شكل خاص تبنى عليه أكواخها . وفي بعض الجهات يرفعون الاكواخ عن الارض بشعب متينة لمنع الرطوبة وتوق الفيضان والزحافات . وهم يبلطون أرضها بتراب اذا عولج بالماء وروث البقر وعصير بعض الشجر اصبح كاللحجر . ويفرشونها بجلود البقر او الصيد ويصغرون أبوابها حتى لا يزيد علوها على قدمين ونصف قدم إلا نادراً ولا يمكن الدخول منها إلا زحفاً . ويتألف المنزل الواحد من طفل واحد أو عدة طقلات محاطة بزرع متين . وفي بعض الجهات يحيطون القرية كلها بسور

مرتفع ويضيئون شوارعها جداً بحيث لا تسع إلا شخصاً واحداً يمرّ فيها في وقت واحد . ولكنهم يعملون في وسطها ساحة كبيرة يجتمعون اليها للرقص والغناء .

أثاثهم : وأشهر أثاثهم : مخدات صغيرة من خشب على شكل هلال قائم على قاعدة . وقصع للطعام من خشب كالقصع المصرية . وآنية للشرب من القرع . وآلة لطحن الحب مؤلفة من حجرين أحدهما أكبر من الآخر تعرف بالمرحكة وسيأتي وصفها . وأوعية خزفية للطبخ . وغلايين لشرب الدخان . وسلال ومقاطف .

طعامهم : وطعامهم الذرة او التيلبون يأكلونها مسلوقة او يطحنونها بالمرحكة ويصنعون من دقيقها عصيدة على النار ثم يعملونها في قدح ويضعون فوقها الادام من اللبن او المرق واللحم ويجلسون القرفصاء حول القدح نساء ورجالاً ويأكلون بأصابعهم . وهم يقدّدون اللحم ويخزنونه ويصطادون السمك من النيل في الصيف ويقدّدونه للشتاء . ويجمعون العسل من خلايا النحل الكثير جداً في بلادهم . ومن ماكلهم الفول السوداني والبامية واللوبياء والملوخية والبطاطا الحلوة والاهليلج . ومنهم من يأكل الضفادع والحيات والمقارب . وكلهم يفضلون لحم القروء والكلاب على لحم الضأن فاذا ضافهم شخص وأرادوا اكرامه ذبحوا له قرداً او كلباً ولأتباعه رأساً من الضأن او الماعز . وهم يعتاضون الرماد عن الملح لعدم وجود الملح في بلادهم .

شرابهم : وشرابهم البوزة مستخرجة من الذرة وهم مولعون بها ولعاً شديداً حتى لقد ترام في غالب الأحيان سكارى . ويشربون الدخان بغلايين كبيرة شبه «الجوزة» وقد يخلطون الدخان برماد زبل البقر ويمضغونه مضغاً .

أفراحهم : وسن الزواج عندهم من ١٥ سنة فصاعداً مع ان سن البلوغ قبل ذلك . ويتزوج الرجل قدر ما يشاء من النساء أو قدر ما تسمح له حاله المالية . ولا بدّ له أولاً من استرضاء الفتاة التي يقع اختياره عليها فاذا رضيت

نقد أباه مهرأ من البقر والحرايب والحرز على قدر طاقته وأخذها . وإذا رفض الأب اختطفها وفرّ بها إلى بلاد بعيدة . وعند بعض القبائل يسكن العريس مع عروسه في بيت أبيها فلا يأتي بها إلى بيته إلا إذا ولدت وإذا لم تحمل منه في مدة سنة حق له أن يطلقها ويسترد المهر . والعروس قبل أن تلد تتمتع براحة تامة ويقوم كل من في البيت بخدمتها حتى ولدت بطل كل ذلك وأصبحت كالأمه تسمى في جلب الماء والحطب وتقوم بتدبير المنزل والفلاحة والحصاد . وهي ترضع طفلها سنتين في الغالب إذا لم تغل وتضنع له أرجوحة تعلقها بمنكبيها فإذا ذهبت لعملها علقها في شجرة .

وبعض السود ولا سيما المورو يكرمون نساءهم ويشركوهن في الرأي ويعنون بقرية اولادهم فلا يسمحون للولد أن يتكلم في حضرة من هو اكبر منه أو أن يجلس امامه بغير احترام . ويعلمونهم الرقص واستعمال الاسلحة منذ الصغر وقد يأخذ الأب ابنه إلى غابة ويتركه فيها وحده ليهتدي إلى البيت من نفسه . ويرث الرجل نساء أبيه كما يرث أمتعه وأملاكه بل له أن يتخذهن زوجات إذا شاء .

آلاتهم الموسيقية : وأشهر آلاتهم الموسيقية :

« الطنبورة » وهي قدح بيضوي من خشب مغشّى يجلد غزال له خمسة وتار تضرب بعود فتتوقع بها ألحان بسيطة جداً وهم يعلقون بها أشياء شتى من الحرز والودع وحواقر الغنم ونحوها بقصد الزينة . ومن آلاتهم الموسيقية الخاصة بملوكهم :

« النقارة » وهي طبل الحرب والرقص بل هي طبلان الواحد أصغر من الآخر يصنعان من قطع مجوفة من الشجر على شكل مخروطي مقطوع ويجلدان من الطرفين يجلد بقر فينقرهما رجل واحد بقضيين في يديه .

« والامباية » وهي سن فيل صغير طولها نحو متر تثقب ثقباً واحداً من رأسها وتضرب للدلالة على خروج الملك من منزله لغزو أو لحرب أو نحوها .

« والقرن » وهو قرن الوعل مثقوباً ثقباً واحداً من رأسه كالامبابة يضرب في زمن الحرب والرقص وله صوت مزعج قوي .

« والمندكولة » وهي جرسان من النحاس او الحديد يُقرعان امام الجنود في ساحة القتال على ألحان يتحمس لها السود كثيراً .

« والبيدي » وهي قطعة مجوفة من الشجر ومجعدة من الطرفين كأصغر طنبلي النقارة تعلق بمجمل في العنق وتضرب بالكفين من الجانبين .

« والبُخْسة » وهي قرعة يابسة توضع فيها الحصى وتضرب بهزها رواحاً ومجياً .

« والصفارة » وهي قرن الوعل مثقوباً خمسة ثقوب ثقب في رأسه واربعة في اسفله يُصَفَّرُ بها كالفلوت مع البيدي والبخسة . ومن اربع صفارات وبخسة وبيدي يتألف « طاقم » كامل يضرب في زمن الحرب او الأفراح بأمر الملك .

رقصهم : وهم مولعون بالرقص ولماً شديداً ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة يرقصها الرجال والنساء على أصوات الآلات الموسيقية . وقد رأيت جماعة من رجال الشلك يرقصون رقصة حربية في الخرطوم أيام تشريف الجناب العالي الخديوي لها وقد لبسوا شعورهم على أشكال غريبة شتى كما تقدم الوصف وزينوها بالريش والخرز وصبغوا جفونهم بصباغ ابيض مشرب حمرة ولبسوا أساور العاج والنحاس في أيديهم والجلود او الخرق في أصلابهم وجملوا الخراب والنبايت . فثقلوا في رقصهم واقعة حربية وقفوا فيها صفين مهاجم احدهما الآخر وكانوا يقفزون كالقروذ ويصيحون كالذئاب وهم يهزون رماحهم ونبايتهم فوق رؤوسهم ويغنون أغاني لا تلتحن فيها ويصوتون بالقرنات أصواتاً مزعجة تصم لها الأذان . وبالأجمال لم يكن في رقصهم شيء من الطرب بل دل على تمام الهمجية ومنتهى الحشونة .

مآثمهم : ولما تمهم ضجة عظيمة واحتفالات تدوم عدة أسابيع يذبحون

فيها الذبائح ويشربون الخمر ويرقصون حول القبر نساء ورجالاً رقصاً محزناً . قيل ان بعضهم كالنوبة والجانقي والباري والشلي يدفنون الميت امام منزله وهو قاعد القرفصاء ويداه مطبقتان ومضمومتان الى صدره ويدفنون معه غليونه ودبرقته وحرايه ويدلون على قبره بحجر فوق رأسه . وبعضهم كالجور والبنقو يدفنون الميت وهو واقف على خشبة بين فخذه ويرفعون إبطيه بخشبتين اخريين تحت كل إبط خشبة وكلهم يصنعون طعاماً على ايام معدودة ويضعونه عند القبر ليأكله الطير او المارّة .

سلامهم : وسلامهم المصافحة باليد ولكن بعضهم كالاجار والدنكا يسلّمون بدفع اليد مبسوطة في وجه المسلّم عليه . وبعضهم كالشلي يظهرّون ودّهم لضيفهم بالبصق في كفه او بعمل إشارة البصق .

جلوسهم : وقد اعتادوا كلهم جلوس القرفصاء كما اعتاد العرب الاحتباء والتربع . وبعضهم كالباري لا يجلسون إلا على كراسي صغيرة خشبية واطئة جداً . ومن عادة الدنكا في الوقوف ان يتكئ الواحد على حريته ويقف على رجله اليسرى واضعاً عليها اليمنى وضماً أفقياً .

عهودهم : وأشهر علائم التعهد عندهم مص الدم فاذا تعاهد اثنان على أمر فصد كل منهما يده ومص من دم رفيقه . وبعض السود كالجانقي يجلفون بوضع أيديهم فوق النار . وبعضهم بلعس حريته . وبعضهم يأخذ شيء من تراب الارض ووضعه في فيه او مسه بلسانه . وبعضهم بضرب فخذه بكفه وقوله وحياء كراعي لأفعلن كذا وهو من أعظم الاقسام عندهم .

ملكهم : وملكهم وراثي إلا اذا كان الوارث ضعيفاً غير كفوء للأحكام فيملك الأقوى من رجال العائلة المالكة . ولكل ملك منهم نقابة يضربها وقت الحرب او الرقص فاذا فاجأه عدو يضربها وأوقد النيران على رؤوس التلال وأرسل الرسل الى قومه بسرعة البرق . وفي بعض البلاد يقيمون في العاصمة بريجاً تحرسه الحراس للانذار اذا فاجأهم العدو .

ويتخذ الملك شارة الملك بين قومه بريشة يجعلها في رأسه ويجعل في يده
رمساً وعلى عنقه جلد نمر وفي ساقيه وذراعيه عدة أسورة من النحاس والبرونز
ولا يدنو أحد منه إلا حثوا على الركب ولا يكلمه إلا وهو مطرق . وهو
مطلق التصرف في قومه يحكمهم بالعرف والعادة . ومن أحكامهم في قصاص
السارق والزاني والقاتل القتل أو طلب الدية من القاتل من بقر وسن ونحوهما .
قيودهم : وأشهر أنواع القيود المستعملة عندهم : الشبعة والمكية والمصا .
أما « الشبعة » فهي عود طويل له في أحد طرفيه شمتان يوضع عنق الجاني
بينهما بحيث تبرزان من مؤخر العنق ثم يوصل بين طرفيهما بحبل متين فيصبح
العنق محصوراً في الوسط وعصا الشبعة على ثقلها بارزة أمام وجهه . وقد
يربطون يده اليمنى بها لزيادة التحفظ عليه . وهذا القيد انما يثقل به الجاني عند
نقله من مكان الى آخر .

وأما « المكية » فهي ساق من حديد طولها نحو شبر ونصف شبر ولها
في كل طرف حلقة تقيد بها الرجلان وذلك بأن تفتح الحلقة فتوضع كل
رجل في حلقة بحيث تكون ساق القيد بين الرجلين ثم تقفل الحلقة فلا يمكن
المقيد المشي إلا بكل صعوبة وبطيء وقد يقيدون الجاني بمكيتين أو أكثر
لتمذيبه وزيادة التحفظ عليه .

خرافاتهم وأديانهم : تقدم أن السود لا دين لهم أو يدينون بالفتشية فيتقربون
الى بعض أنواع الحيوان أو الشجر أو الجاد أو الظواهر الجوية التي تتخذ رمزاً
الى القوة أو العظمة أو الحكمة أو غير ذلك من الصفات التي تخص بها الخالق
جل جلاله ويحترمونها بذاتها الى درجة العبادة على نحو ما كان عليه عامة
المصريين القدماء . فالدنكا مثلاً يتخذون البقر رمزاً الى القوة والغنى ويمدون
أقدس المخلوقات فيعنون بها عناية تقرب من العبادة ويفضلونها على نساءهم
وأولادهم ولا يذبحونها إلا نادراً وهم يأتون بها الى ساحات الرقص فيعلقون
بقرونها وأعناقها الاجراس ويرقصونها معهم . وترى الرجل يلقب بالثور والمرأة

بالبقرة (قلت وقد كان الثور اعظم لقب للملوك مصر وايتيوبيا الاقدمين) وأكثر حديثهم وغنائهم يدور على ذكر البقر وافضل مقبل لهم مراضها وأذكي الروائح رائحة أروائها وهم يحففونها ويحرقونها في المراض لطرد البعوض ويتمرغون برمادها ويزعمون ان لها قوة سحرية على شفاء الجروح . وأما بولها فيفضلونه على الماء الزلال وبه يفتسلون ويفسلون آنتيتهم ويمطرون سمنهم . قيل والباري يتعبدون للحبة ويقدمون لها القرابين من لبن وأطعمة ويمدون قتلها جريعة كبيرة وهم يربونها في منازلهم ويسمونها بأسماء تعرفها كما نربي القطط في بلادنا ويعتقدون ان اجدادهم كانوا يصعدون الى السماء بجبل معقود بالنجوم واما الآن فقد انقطع الجبل لكثرة الشر في العالم . وقد سمعت بعض السود من اهل بحر الغزال القاطنين مصر يغني أغنية شجية محزنة فسألته عما يقنيه فدلّ من الترجمة ان قومه يتعبدون للرعدي ويشكرون له انزال المطر في بلادهم واحياء مزرعاتهم وهم في حيرة وغم لأنهم لا يعلمون من أين يحيى . ويظهر ان الشلك يقدسون النيل ويتوسلون اليه قيل ولا يتكلمون عن أرواح الموتى إلا بكل خوف ويعتقدون انها متطايرة في الهواء فتسكن تجاويف الاشجار وتتقمص اجسام الحيوانات . ويعتقد البنقو ان أرواح الفواجر تلتقل الى الضباع ولذلك لا يقتلونها خوفاً من ان تكون فيها أرواح قرائبهم وهم يصنعون حول مقابرهم تماثيل خشبية تشبه آلهة جزائر اوستراليا قيل وهي ليست بآلهة بل هي رموز عن الموتى قائمين من قبورهم .

ولكل قبيلة رئيس ديني كما مرّ يُعرف عند النوبة « بالكجور » وعند الشلك والدنكا « بنوكاما » ولهذا الرئيس احترام عظيم عندهم حتى ان الملك لا يُقدم على حرب او يحجم عنها الا بمشورته ورأيه وهم يعتقدون فيه السحر والقدرة على انزال المطر او حبسه حسب مقتضيات أحوالهم ويدعى هؤلاء الرؤساء ان السلاح لا يؤثر في أجسامهم وانهم يرقون الواحد حتى لا يؤثر السلاح في جسمه وهم يتعاطون علم الرمل فيتنبؤون به عن المستقبل ويستخدمونه

لكشف الخبآت ومعرفة ما يصيب الانسان من خير او شر . ولبعضهم مهارة في الجراحة وطب الاعشاب .

هذا ما اقتضى المقام ذكره من اخلاق السود وعاداتهم وخرافاتهم على وجه الاجمال ومن أراد التفصيل فعليه بكتب سياح الافرنج الذين جاؤوا بلادهم وخبروا أحوالهم وكتبوا عنهم المجلدات الكبار وأهمهم السائحان الإلمانيان شونفرت وينبكر .

الفصل الثاني

في

أخلاق شبه السود وعاداتهم وخرافاتهم

أخلاقهم : أما شبه السود فلا يشبهون السود إلا في اللون وفيما سوى ذلك فهم أقرب إلى العرب البدو منهم إلى السود . وأشهر ما في أخلاقهم التدين أو التعصب في الدين .

ملابسهم : وهم يلبسون قميصاً واسع الخوذان مقفول الصدر . على سراويل ضيق قصير ويلبسون نعالاً في أرجلهم وطواقي على رؤوسهم أو يمشون حفاة عراة الرأس وهم يخلقون شعور رؤوسهم ويرخون لحام وشواربهم ويتختمون بخواتم من النحاس أو الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز . وتلبس النساء « القرباب » (لباس للحقوين) تحت « شقة » من الدمور يشتملن بها اشتال الصماء، فيجللن الأكتاف والأبدان . وهن « يمشطن شعورهن » جدائل دقيقة جداً على أشكال شتى إذ لهن كل قبيلة جدلة خاصة ويتحلين بالأساور والحجول والأقراط والأخزمة والخواتم من النحاس والفضة والذهب والحديد .

سلاحهم : وسلاحهم الحراب والسيوف المستقيمة والفؤوس والسكاكين والنبابيت والدرق ودرقهم إما مستديرة أو بيضوية كدرق السود . وسلاح

فارسهم في الحرب « السيف » يعلقه في مقدم السرج تحت فخذة اليسرى بحيث تكون قبضته على عنق الفرس « والفرارة » (الفأس) في مقدم السرج الى الجانب الأيمن « والكبس » (حربة كبيرة) يحمله بيده اليمنى ويلقيه على كتفه « والتركاش » (الجمبة) وفيه الطبائق (الحراب) من ٣ : ١٢ حربة في مؤخر السرج . سلاح راجلهم الطبائق في التركاش يعلقه في رقبته فيتدلى من تحت إبطه الأيسر والذقة في يده اليسرى وكبس او فرار او نبوت في يده اليمنى ومنهم من يحمل القوس والنشاب بدل الحراب يحمل النشاب في الجمبة ويحمل القوس باليد اليمنى مع الكبس او يعلقه في عنقه .

مساكنهم : وهم يسكنون في أكواخ هرمية كأكواخ السود او في اخصاص كظهر الثور يبنونها بالبوص وأغصان الشجر . وفي بعض المدن يبنون بيوتا مربعة السقف من الطوب الني أو المحرق .

طعامهم : وطعامهم الدخن يطحنونه بالمرحاة ويعملون منه العصيدة ويعملون عليها الإدام من اللبن او السمسم بالسنن او البامية باللحم المقدد او الطري ونحو ذلك . وهم يصطادون الأرانب والفزلان والدجاج البري ويستمرئون لحما .

شرايبهم : وشرايبهم ماء الآبار او ماء الينابيع وهم مولعون بشرب البوزة كالسود إلا ان فقهاءهم يحرمونها تحريماً شديداً فيمتنع الكثيرون منهم عن شربها تديناً .

أفراحهم : وهم يحبون الزواج الباكر ويتزوجون امرأة الى اربع نساء على حدّ الشرع . قيل ومن عادة بعض القبائل المتطرفة في غرب دارفور كالقمر والتامة والمساليت الذين لم يتمكنوا من الاسلام ان يسرح شبانهم وشاباتهم بمواشيهم في الحلا فيبنون قرى صغيرة ويعيشون بها أزواجا سنة او حواليها فن حلت زوجته منه كتبوا عليها كتابه وإلا فصلوها عنه ليقترن بغيرها في

سنة ظلية . وما ذكره سلاطين باشا في كتابه « السيف والنار في السودان » عن عادات البدائيين الذين لا يزالون على الفئشية ويمبدون الشجر انه عند موته والدفن فيهم يحمله أولاده وأهله الى المقبرة خارج البلدة . وبعد دفنه يقف أولاده صفاً ثم تعطى لهم إشارة فينطلقون نحو البيت عدواً فمن وصله وحرز رعيته فيه أولاً ورث والده واستولى على جميع أمواله حتى على نسائه . وإذا أرادوا الحلف أتوا برمح وسرج فرس وفار في وعاء فيتقدم صاحب القسم ويرفع يده فوقها ويقول لا تمس فخذي السرج العمر كله ويضمن جسمي بالحرب واحرق بالنار ان حنثت بحلفي هذا . وهم يحتفلون بالأفراح بذبح الذبائح وشرب البوزة والغناء والرقص على الآلات الموسيقية .

آلاتهم الموسيقية : اما آلاتهم الموسيقية فهي آلات السود بعينها .

رقصهم : ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة وللبرقد رقصة تسمى «التنديق» يشترك فيها النساء والرجال على مثال رقص الافرنج فيرقصون زوجاً زوجاً شاباً وشابة فيطوق الشاب ظهر الشابة بيده اليسرى ويأخذ في يده اليمنى سيفاً يلعب به وتطوق الشابة ظهر الشاب بيده اليمنى وتطلق يدها اليسرى ويسير الاثنان رويداً وما يرقصان على صوت الطبل الى ان يتعبا فينضمنا الى حلقة المتفرجين وقد رأيت هذا الرقص في الخرطوم فوجدته رقصاً لا بأس به بل وجدته أوفر حشمة من كثير من انواع الرقص في البلاد المتعدنة .

مآتمهم : ولما تم جلبه عظيمة لا سيما عند النساء فانهن يحثن التراب على رؤوسهن ويسودن وجوههن « بالسجم » والرماد ويندين الميت بالصراخ ولطم الحدود . واذا كان الميت فارساً تركب احبى جواريه فرسه وتقلد عدة حربه ويركب معها بعض الجواري فتجتمع النساء حولهن ويطنن البلدة بالزراغيت والندب . وتدوم مآتمهم من ثلاثة ايام الى اربعين يوماً وحدادهم سنة كاملة يتمتعون فيها عن التطيب ولبس فاخر الثياب والحلي . وملوكهم تحكمهم بالعرف والمادة كما سيجيء في التاريخ .

سائهم : وسلامهم المصالحة باليد . وهم يركبون الابل والحمار والثيران
ويحملونها الاثقال واما الخيل فلا يستعملونها إلا للركوب كما مر .
جلفهم : وحلقهم على المصحف الشريف وهم يحفظونه غيباً مع انهم أعاجم .
خرافاتهم : وهم يعتقدون السحر ويلادهم علوة بالبحالين وخرافاتهم شتى .

الفصل الثالث

في

أخلاق البرابرة وعاداتهم وخرافاتهم

أوصافهم الخلقية : تقدم ان البرابرة القاطنين بين الشلال الاول والرابع هم خليط من ثلاثة أجناس وهي النوبة الاصليون والعرب والأتراك . اما النوبة الاصليون فهم مريعو القامة شديدو السمرة جداً واما العرب فهم اطول قامة وأقل سمرة واما الأتراك فهم اطول قامة وأقل سمرة من الجميع .

أخلاقهم : وهم يختلفون في الاخلاق اختلافهم في الاصول ولكنهم فقدوا اجل الصفات التي امتازت بها اصولهم فما برى فيهم شجاعة النوبي ولا مروءة العربي ولا شهامة التركي بل هم من الجبن والكذب والكسل والجهل وشكاسة الاخلاق على جانب عظيم . واذا اجتمعوا للحديث قامت لهم خلبة عظيمة حتى ضرب بهم المثل : « عشرة يتكلمون وواحد يسمع » . وقد قيل ان البرابرة الذين اخذهم ابراهيم باشا في جيشه الى سوريا لما أحسوا بالبرد أحرقوا أخشاب بناتهم وتدفأوا بها . على ان للبرابرة لم يزالوا حافظين من أخلاقهم الأصلية حسب الضيافة وصيلفة للعرض . وقد اشتهر للذين أتوا منهم للخدمة في مصر بالنظافة والامانة وأما الذين توغلوا في السودان فقد اشتهروا بالمكر

والخديعة كما مر . وهم أمهر سكان السودان في ملاحاة النيل وخبرة للشلالات ومنهم منظم رؤساء المراكب والوابورات في مصر والسودان .

ملابسهم : وهم يلبسون الدمور ويتخذون منه سراويل «وشقة» يرتدون بها فوقه ويمشون حفاة الرأس إلا كبارهم فانهم يلبسون طواقي من الدمور وأحذية من جلد البقر ويحلقون شعور رؤوسهم ويرخون لحام وعوارضهم . ويشتمل نساؤهم بشقة من الدمور ويحذلن الشعر صفائر دقيقة جداً يرخينها الى الوراء وعلى الاصداع ونساء البلاد بين الشلال الاول والثاني يرخين الجداول ايضاً على الجباه ويدهن أطرافها وأطراف الجداول المرخية على الاصداع بمعجون أحمر فاتح كاللذغان فتظهر كأن قد علق فيها مواسير من القصب الدقيق .

سلاحهم : وسلاحهم القديم الحراب والسيوف والنباييت والقصي واما الآن فقد تركوا الحراب والقصي واعتاضوا عنها الاسلحة النارية .

مساكنهم : وهم يسكنون في بيوت جفيرة من الطوب التي أو الحجر والطين ويسقفونها بخشب النخل وكانوا قديماً يضيّقون أبوابها جداً ولا يمحّلون لها شبايك اما الآن فقد وسعوا أبوابها وجعلوا لها الشبايك وكل منازلهم طبقة واحدة .

طعامهم : وطعامهم الذرة يطحنونها « بالجاروش » المعروف أو المرحاكة ويخبزونها على « الدوكة » وهي شبه الصاج فيصنعون منها أقراصاً من الخبز رقيقة أو سمكة . وعندهم من الحضر البامية واللوبيا والبصل يطبخونها بلحم البقر أو الماعز في قدور من الفخار ويحعلونها في اقداح من الخشب ويأكلون بأصابعهم .

شربهم : وشربهم ماء النيل بلا تقطير فاذا قطّر لا يستعذبونه . وهم مولعون بشرب البوزة ويصنعونها من الذرة والقمح ويصنعون من البلح النبيذ والعرق والدكاي المار ذكره .

أفراحهم : وهم يحبون الزواج الباكر ولا بد للشاب من رؤية الفتاة التي يروم خطبتها واسترضاء أمها قبل ان يخطبها من أبيها فإذا تم الاتفاق على انصداق او المهر دعى اهل العريس والعروس أقاربهم ومن راموا حضوره من الباءة فيحضر المدعوون فرساناً ومشاة رجالاً ونساء ويزفون العريس الى بيت العروس راكباً فرساً فيسير الفرسان امامه والنساء وراءه وهن يزرفن ويفنين حتى يصل الموكب الى بيت العروس فيولم لهم اهلها وليمة ويكتبون الكتاب . ثم يأتون بالعريس الى غرفة العروس فيجد الباب مقفلاً وامامه رجل ممسك بقفله فلا يدعه يدخل حتى ينقده شيئاً من المال (قلت وقد رأيت مثل ذلك في بعض أفراح القاهرة) وعند فتح الباب يدخل العريس ورفاقه فترشهم امرأة من اهل العروسة بقرعة ماء . ويصلي العريس ركعتين ثم يتقدم الى العروس فيمس جبهتها بيده ويقبل يده ويجلس بجانبها نحو ربع ساعة . ثم تأخذ النساء العروس الى غرفة اخرى ويبيت العريس وحده الى الفجر فينزل الى النيل مصباحاً إياه ويعود ومعه غصن اخضر من الذرة أو نحوها فيدخل الى غرفة العروس ويضربها به ثم يرجع الى غرفته حيث يجتمع اليه بعض أقاربه من نساء ورجال ويستمر على ذلك سبعة أيام إلا انه بعد الليلة الثانية يستدعي بعض أقارب العروس فيأتون بها الى غرفته ليلاً ثم يرجعونها الى غرفتها حتى تنتهي السبعة أيام فيولم اهل العروس وليمة لأهل البلدة ثم يزفون العروس ويأتون بها رسمياً الى غرفة العريس وعند وصولها يناولها العريس شيئاً من الفضة او الذهب في يدها وهو مما يسمى «فتح اليد» ثم يأتون بشيء من الحب فيضعونه في كف احدهما فيضعه في كف الآخر وهكذا يتناوبان اعطائه أحدهما للآخر سبع مرات فمن حازه في يده آخر مرة رمى به وجه الآخر وهم في الغالب يعطونه العروس أولاً حتى ينتهي أخيراً الى يدها فتضرب به العريس . هذا في جهة سكوت والحس واما في جهة حلفا فانه بعد دخول العريس الى غرفة العروس يمكث معها نحو ثلاث ساعات ثم يذهبان مع أهلها الى النيل فيفسلان وجهيهما ثم يرش احدهما الآخر بالماء ويرجعان الى البيت .

ويبقى العريس في بيت عروسته شهراً أو أكثر حسب الاتفاق ثم يسمى في النعاب مع عروسته الى بيته . والزوجة لا تتطرق باسم زوجها الى ان تموت . وهم يختنون صبيانهم الحتان الشروع في الاسلام ويحتفلون به احتفالهم بالاعراس . ويختنون بناتهم ختان فرعون وهو من أقطع العنادات البربرية وسيأتي الكلام عليه .

آلاتهم الموسيقية : وأشهر آلاتهم الموسيقية :

« الرابابة » وهي تشبه طنبورة السود إلا ان قدها ربابتهم مستدير الشكل وتحرك أوتارها بقدة من جلد . « والطبلة » وهي طبل صغير تضربه النساء واما الرابابة فتضربها الرجال والنساء ولكن من الطبلة والرابابة رقص معلوم . رقصهم : والرقص عندهم خاص بالنساء الفتيات فاذا برزن للرقص وقف الشبان حولهن حلقة يصفقون لهن ويضربون الارض بأرجلهم على ضرب الرابابة او الطبلة واما كبارهم وشيوخهم فقد يحضرون حفلات الرقص ولكمهم لا يشاركون الشبان فيه لأن ذلك عار عندهم .

مآتمهم : ولما تم ضجة عظيمة فاذا مات احد هم دعوا اهل بلدته والبلاد المجاورة لها وأقاموا المآتم بالبكاء والصراخ والرقص المهن ثم يحزنون الميت ويدفنونه ويرجعون الى منزله فيجسدون السدب والبكاء ويقيمون على ذلك اربعين يوماً فيأتيهم المعزون من جهات بعيدة فمنهم من يعود في الحال ومنهم من يقيم يوماً أو أكثر بحسب درجة القرابة ويقوم اهل بلدة الميت بتقديم الطعام للمعزين حتى ينتهي المآتم ويحد أقارب الميت سنة يمتنعون فيها عن الافراح والتطيب ولبس فاخر الثياب والحلي .

سلامهم : وأما سلامهم فالرجال يتعانقون ثم يتصافحون والنساء يتصافحن بالوجه ثم باليد وأما سلام النساء على الرجال فبالمصافحة باليد واذا سلمت المرأة على قريب لها دون البلوغ قبلته في جيبته .

خرافاتهم : واما خرافاتهم فكثيرة لا طائل تحتها وعندهم السحرة والدجالون .

الفصل الرابع

في

أخلاق البجة وعاداتهم وخرافاتهم

أخلاقهم : اما البجة فلونهم بشي قائم ويشبهون بدو العرب جداً في الملامح والاخلاق إلا انهم أشكس اخلاقاً وأفظ طبعاً وهم في قتال دائم بعضهم مع بعض ومع العرب المجاورين لهم بل المرأة في خصام مستمر مع رجلها وجاراتها. ولكن روى العارفون عنهم أخباراً تدل على كرم الاخلاق وطيب النفس منها : ان رجلاً من الهدندوة من بدنة الباشكاب يدعى محمداً عبد الله جاء الى بدنة القلابيب الهدندوة يسألهم الصفع عن قتيل قتله أهله من رجالها فطمعنه واحد منهم بحرية في جنبه ليمنعه التوسط في الصلح فلم يلتفت الى الطاعن بل لم يزل يرجو العفو والكف عن طلب الثأر والدم يسيل من جنبه فلما رأى القلابيب انه صابر على الضيم الى هذا الحد حباً بمحقن الدماء تنازلوا عن تأزم إنكراماً له وأحلوه عندهم اياماً على الرحب والسعة . وأمثال ذلك كثيرة .

وكلمهم بادية لا حضر فيهم لكن بعضهم يخالطون الحضر فيأتون سواكن ومصوع وكسلا وبربر بالبقر والغنم والإبل والسمن واللبن والجلود والدوم

والسنا ويعودون بالذرة والدمور والديبلان والأنسجة المصرية والهندية للبسم
ولبس نساءهم .

ملابسهم : ولبسهم شقة من الدمور او الديبلان يرتدون بها بلا سراويل
وم أرشق من العرب في لبسها واكثر تشميراً والذين لم يزالوا على الحال
الفطرية يلبسون الفراء في أصلاهم ويمشون حفاة او يلبسون نعالاً وكلهم عراة
الرأس ولكنهم يتركون «كشة» في أعلاه على هيئة الطاقية ويدهنونها بالشحم
او زيت الخروع ويمشطونها بمسواك من السن او الخشب فاذا فرغوا من التمشيط
غرزوه في الكشة . وكلهم يرخون لحاهم وبعضهم لا سيما البشارين يخلقون
عوارضهم وعثانينهم . وهم يتختمون بخواتم من الفضة او الذهب بفصوص من
« حجارة الدم » او العقيق او الفيروز . ونساءهم يلبسن الشقة وحدها او
مع « القرباب » او يلبسن الفراء في اصلاهن . ويجدلن شعورهن جدائل
دقيقة جداً ويرخينها على الصدغين والعنق ويتجلين بالأخزمة والأسورة
والحجول والخلخال والمعقود والأقراس من الفضة والذهب كسائر نساء السودان .

مسلحهم : ولا يخرج الواحد منهم إلا وفي يده قطعة او اكثر من السلاح .
وسلاحهم الخراب والسيوف المستقيمة والسكاكين المنجلية ذات الحدين والدرق
المستديرة . وسلاح فارسهم السيف يعلقه في مقدم السرج ويحمله تحت فخذ
اليسرى . وسلاح راجلهم الحربة والسيف والدركة والسكين يعلقها في وسطه
يسير من جلد .

مساكنهم : وهم يسكنون خياماً يصنعونها من البروش (الحصر) على
هيئة ظهر الثور والبروش تصنعها نساءهم من سعف الدوم الكثير جداً في
بلادهم . وهم يقتنون الأسرة وهي شعب قصيرة تغرز في الارض على شكل
مربع مستطيل وتوصل بقضبان دقيقة متقاربة وتفرش بحصر غليظة من ورق
الدوم وتستعمل للجلوس والمنام . وهم يقسمون خيامهم قسمين بسائر من
من الصوف تنسجها نساءهم على مثال نسج الحصر في مصر فيضعون السرير

في قسم منها ويجعلونه خباءً . ويجعلون القسم الثاني لاستقبال الضيوف وجلس
الرجال .

طعامهم : وطعامهم الذرة يطحنونها بالمرحاة ويمجثونها بها ويصنعون منها
عصيدة بقدر من الفخار فيأكلونها باللبن الحليب أو الرائب ويأكلون اللحم
مسلوقاً أو مشوياً والدوم طرياً أو ناشفاً مذوقاً ودهن . لذا جل طعامهم وأما
مشايخهم الذين يجالطون الحضر فيصنعون أطعمة كأطعمة الحضر

شرايهم : وشرايهم ماء الآبار أو الخيران . والبوزة يصنعونها من الذرة .
والدخان يشربونه في غلايين صغيرة من الطين وهم يتكلمون ويبصقون والغلايين
في أفواههم .

أفراحهم : وعادة البجة كمادة بعض السود في ان العريس يسكن مع اهل
عروسه حتى تلد فيأتي بها الى أهله . ومن عاداتهم ان يخص ابو العريس ابنه
بشيء من ماله فيخصص ابو العروس بنته بمثله على الاقل . والمرأة تلتج الحصر
وتحوك شملات الصوف وترعى الابل ولكن يعاب عليها غسل الثياب ولا سيما
ثياب زوجها فالزوج يفضل ثيابه وثياب زوجته او يستأجر من يغسلها له .
وهم انما يقيمون النساء احياناً على رعاية الابل قصد حمايتها لأن الغزاة لا
يهاجمونها ما دامت في عهدة النساء خوفاً من التمييز .

آلاتهم الموسيقية : ولكل قبيلة منهم نقارة تضرب في الافراح والمآتم كما
تضرب في وقت الحرب وليس عندهم من الآلات الموسيقية إلا « الربابة »
ولكن لكل قبيلة نفمة خاصة توقعها عليها وتتحمس لها وعندهم الشعراء
ينظمون لهم القصائد في مدح النساء والرجال فيغنونها على الربابة أو على
ظهور الابل .

مآتمهم : ولما تم جلبة عظيمة إلا ان رجالهم لا يستسلمون للمواطف
استسلام النساء بل يضع الرجل طرف ثوبه في فيه ويمدّد الميت بما ترجته :

واخلاي ، واتعي بعدك ، واحدي ، واخلو ظهري ، الليلة يا ضوبيقي ، الليلة
يا جملي ، الليلة يا ذخريتنا يا خريفتنا يا ظلنا يا حبيب قسانا ونحو ذلك . وما تمهم
تدوم من ٣ : ٤٠ يوماً وحدادهم سنة كاملة يمتنعون فيها عن التطيب ولبس الحلي .
سلامهم : وسلامهم المصافحة باليد . « وخرافاتهم ، شق .

الفصل الخامس

في

أخلاق عرب السودان وعاداتهم وخرافاتهم

أوصافهم الخلقية : لعرب السودان الأوصاف الخلقية المشهورة للعرب في كل زمان ومكان إلا أنهم أشدّ سمرة وأقوى شعراً من عرب الشام ومصر لشدة حرارة بلادهم وكثرة تسريهم من النوبة والسود. وأما نساؤهم فيغلب فيهنّ اللون القمحي أو اللون الضارب الى الصفرة كلون شمال المملكة « آمن ريتس » الايثيوبية في متحف الآثار المصرية بالجيزة .

التشليخ : ثم ان الشايكية والجميلين والعابدلاب من حضر العرب يشلخون وجوههم بقصد الزينة ولكل قبيلة منهم شلوخ معلومة فللشايكية ثلاثة شلوخ أفقية على كل خد وللجميلين ثلاثة شلوخ عمودية على كل خد وللعابدلاب على كل خد ثلاثة شلوخ عمودية تحبها شلخ أفقي يسمى بالعارض . ومن كان وجهه عريضاً جعلوا له على كل خد اربعة شلوخ بدل الثلاثة والمرأة التي لا يعيش لها أولاد تشلخ وجنائهم ايضاً شلوخاً دقيقة كرجل الطير . ومن القبائل التي تتبع هذه العادة فتقلد بها القبائل الثلاث المذكورة : النوبة البرابرة وأهل بربر من الحضرة والشكرية والضبانية والكبابيش من البادية . اما زمن التشليخ

فهو زمن الطفولية للذكور والإناث غير ان الذكور قد لا تشلخ وجوههم واما الإناث فلا بد من تشليخ وجوههن إذ الشلخ في الوجه والوشم في الفم معدودان عندهم من الجمال .

« فالشاب الجميل » في عرفهم هو من كان مربع القامة قمحي اللون واسع الصدر مجدول الخصر والذراعين طويل العنق منخفض الكتفين مثلخ الحدين صقيل الأنف أفلج الشيا أدعج العينين مفتوح الحاجبين باسم الثغر نير الوجه شريف الخصال .

« والمرأة الجميلة » هي من كانت مربوعة القامة مع الميل الى الطول صفراء اللون طويلة الشعر غزيرته واسعة الجبين زجاء الحاجبين دجاء العينين سادلة الأهداب قنياء الأنف مع الميل الى التحدب لا كبيرة الفم ولا صغيرته عريضة الشفة السفلى موشومتها وموشومة اللثة مقلجة الاسنان بيضاءها مثلخة الحدين محفوفة الذقن طويلة العنق منخفضة الكتفين واسعة الصدر ناهدة الثديين رقيقة الخصر قصيرة الظهر مجدولة الساعد والساق رقيقة الاصابع بارزة الردين مجموعتها صغيرة القدم رشيقة الحركة لينة الاعطاف اذا رقصت اتلنت الى الوراء حتى يصل رأسها الى قدميها واذا مشت تمايلت كالقصن اذ حركه اللسم خفيفة الروح باسمه الثغر طلقة الهيا مصونة الحجاب جميلة الحركة أقبلت أو أدبرت .

وأجل نساء السودان نساء الجزيرة روى لي بعض الأدباء ان فقيها من اهل كردوفان يسمى عبد العزيز سمع بكرم الزبير في بحر الغزال فقصده يريد منه نوالاً فأمر له الزبير بجمارية فلم تعجبه وقال « اني قصدتك لجارية عنقها طويل وردفها ثقيل وشعرها غزير وبطنها ضمير وسننها كالجير وعينها ككتب الغدير اذا مشت كأنها امير واذا وقفت تعجب هذا الفقير » وأشار الى نفسه . فقال له الزبير « علي الطلاق ان هذه الصفات لا توجد حتى في بنات الجزيرة » ثم نادى احد غلمانه وقال اتوه بزيتونة فأتوه بها وكانت جارية جميلة فأعجبته فقال : « قبلت زيتونة الصادقة المأمونة اللهم اجعلها كزليخة المفتونة » فقال



حلي السودان



جمال السودان

الزير أخذها وخذ الاولى جارية لها فازداد عبد العزيز طمعاً بكرم الزير وكان بيده ركة (ابريق ماء من جلد) فقال وهذه الركة من يحملها لي فدها الزير احد عينيه وقال احمل هذه الركة لسيدك فحملها وذهب الفقيه بالثلاثة شاكرًا مسرورًا .

اخلاقهم : اما اخلاق عرب السودان فهي ايضا الاخلاق المشهورة للعرب في كل زمان ومكان وهي حب الضيافة والكرم والمروءة والشهامة وحب الغزو والنجدة والأخذ بالثأر ومراعاة الجار واحترام العرض والافتخار بالنسب ولكنهم اكتسبوا من جيرانهم السود العناد واحتقار الموت والصبر على مضض الأيام مع شيء من بلادة الطبع .

ومن غريب اخلاقهم : انه اذا أتى الجذب واشتد الجوع اغلق الواحد منهم بابه على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل احداً خوفاً من التعبير بذل السؤال . والمريض منها اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه . وكذلك المضروب لا يبدي أقل توجع منها اشتد عليه الضرب . والمسوق الى القتل لا يبدي أقل جزع او خوف . واذا أظهر المريض اقل تألم أو المضروب اقل توجع او المسوق الى القتل اقل جزع او خوف عيروه وعيروا أولاده من بعده الى منتهى الذرية . ومن هذا القبيل انه اذا كان احدم سائراً في الطريق وحدثت خلفه غوغاء فلا يلتفت برأسه الى الوراء كن دعر ليرى ما الخبر بل يتحول بجميع جسمه دفعة واحدة واذا تعرض له كلب فنشه من الوراء فلا يردده عن نفسه بل يصبر على نشه حتى تراه المارة فترده عنه .

ومن أكبر العيوب عندهم الفرار من القتل فاذا ارتكب احدم جنابة تستوجب القتل وقف في مكانه ينتظره بالتسليم وكامل الصبر . من ذاك ما روي ان رجلاً من الضبانية يدعى عبد الرسول كان متزوجاً بامرأة يحبها جداً وهي تكره احد أخواله فأوغرت صدره عليه فأخذ خنجره وقصد خاله فوجده يحلب بقرته فشرع في طعنه بالخنجر حتى قتله فأمسك برجله اذ ذاك ومكث ينتظر القتل فحضر اخوة القتل وبكوه ولم يتعرضوا لابن اختهم اذ

من العار عندهم ان يثار الرجل من ابن اخته او يسه بسوء . فلما حضرت
اختهم والدة عبد الرسول صاحت وولولت وحشت التراب على رأسها حزناً
على أخيها. ونادت بابنها قائلة ان كنت ابني وابن ابيك فلا تعش بعد قتل خالك
فقال عبد الرسول لأخواله اقتلوني يثار أخيك ولما أبو اخذ خنجره ووطن به
نفسه فوقع ميتاً الى جانب خاله فهزّت امه يدها فوقه ارتياحاً وقالت حقاً
انك ابني وابن ابيك ثم حملوا القتيلين ودفنوهما في حفرة واحدة . قلت وهذا
الخلق أي عدم الفرار من القتل مروي عن الإيثيوبيين القدماء كما سيجيء في
التاريخ .

هذا ومن المعاييب عندهم الفرار من ساحة القتال جبناً او خوفاً فاذا دخل
فارسم ساحة القتال فقتل فرسه وانكسر قومه فهو لا يقاتل مستقلاً لكن وقع
في فشل او دعر من الخوف بل يفرش فروته ويجلس عليها الى ان يأتي العدو
فيقتله او يأسره وهذا الخلق انما نراه في عرب النيل وشرق السودان وأمثله في
التاريخ كثيرة اما عرب غربي السودان فقاتلهم يقاتل حتى يقتل او يفر .

ومما هو مشهور من اخلاقهم فيدل على النجدة واحترام العرض انه اذا
قصدت امرأة سيداً منهم فكشفت عن رأسها وتشفعت له بأمر وحب عليه
قضاء ذلك الامر او بذل أقصى الجهد في قضائه مهما كلفه ذلك من المشقة والغناء .

ومما يدل على حبهم للضيافة ان لهم في كل بلدة منزلاً خاصاً بالضيوف
يسمونه « الخلاة » فاذا نزل فيها ضيوف طبخت كل ربة بيت طعاماً وأرسلته
اليهم وذهب الرجال للترحيب بهم وتناول الطعام معهم . ذلك في الجزيرة
وشرق السودان واما في غرب السودان فكل منزل معدة لقبول الضيوف
وإقراهم من طعامه الخاص كثروا او قلوا .

وم يتبنون في أفراحهم على الخيل او الهجن ويرفع السيف بالأصابع
الثلاث الاولى وذلك بوضع قبضته بين السبابة والوسطى والضغط على رأسها
بالإبهام ورفع السيف أفقياً . وترى لهم في ساحة كل بلد حجراً يعزف بحجر

الصبيان يتناظر الشبان في رفعه بكلي اليدين الى الصدر او الكتف او فوق الرأس ونحو ذلك من المناظرات الرائجة في مصر والشام .

البطان : ومن أشهر عاداتهم التي اصبحت خلقاً لهم عادة « البطان » وهي من نوع الدوالو عند الافرنج فاذا تناظر شابان لسبب من الاسباب طلب احدهما الآخر للبطان فان أبى «عد» جباناً ورفضت البنات زواجه واذا رضي أخذ كل منها سوطاً وعمدا الى عنقريب (سرير) جملاوه بينها ووقف الواحد تجاه الآخر ثم خلع كل منها ثوبه وتجرد الى وسطه واجتمع الناس للشهادة فيبدأ احدهما يجلد الآخر سوطاً على ظهره ثم يصبر فيجلده رفيقه سوطاً وهكذا يتناوبان ضرب السياط وهما لا يتحركان من مكانيهما بل لا يحركان كتفاً او جفناً الى ان يقع احدهما من شدة الضرب فيحملة أقاربه الى بيته فيزوره مصارعه ويصاغله . وهي من عوائد العامة فلا تشارك فيها الخاصة ثم هي محصورة في اولاد ابى مرخة دون غيرهم من عرب السودان ولكن تناول رقيقهم هذه العادة ففاقهم فيها . وأهم أسبابها النساء فاذا أحب شاب فتاة فزاحه آخر عليها طلبه البطان وأخذها الغالب .

وقد يكون البطان لمجرد المباهاة بالقوة والجلد على الضرب فيدخل فيه اذ ذاك اكثر من اثنين ويكون على ضرب الدلوكة فكل من أراد البطان يأتي الى النساء اللواتي يضربن الدلوكة فيهر سوطه فوق رؤوسهن ويقول : « ابشرن بالخير انا اخو البنات عشرة » ويقف الكل صفاً واحداً ثم يبرز احدهم فيضرب كل من في الصف سوطاً ويرمي السوط ويعود الى الصف فيبرز آخر فيتناول السوط ويفعل فعل الاول وهكذا حتى يأخذ كل منهم نصيبه ضارباً ومضروباً . واذا أعجبت فتاة بشاب من الحضور ووقع حبه في قلبها تزعت من معصمها سواراً وألبسته إياه فيأخذ الشاب اذ ذاك سوطه ويهره فوق رأسها ويقول : « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » فاذا كان له بين الحضور مناظر في حب الفتاة ورأى سوارها في يده انبرى له وطلب مبارزته فيقف له حامل السوار واضعاً يده اليمنى فوق رأسه فيجلده بسوطه الى ان يكمل

فيرمي السوط فيجلده حامل السوار في ثوبته بما أعطي من القوة ويقف المضروب في حالة الضرب جامداً لا يتحرك ولا يطرف له جفن كأنه صخر أصمّ ومن بدت عليه ظواهر التألم بل من بدت منه أقل حركة كهز الكتف او طرف الجفن لبس العار ولم يعد له من البنات نصيب .

واذا أحب شاب فتاة ولحظ من احد الحضور ميلا اليها تأخذه الفيرة فيستل سكينه من ذراعه ويأتي الى حبيبتة ويهز السكين فوق رأسها وينادي : « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » ثم يشرع في تشريط ساعده وصدرة الى ان يلطخ رأسها وئسابها بالدم فيأتي احد الحضور ويمنعه من ذلك ويأخذ النساء من دمه فيلطخن به جبين حبيبتة وهي تتأيل تيهاً ودلالاً معجبة باستهلاك حبيبها في حبها فتصدقها الحب ولا تعود تلتفت الى احد سواه . وقد رأيت الكثيرين من الشبان مجرحي السواعد والصدور بسبب هذا الحب البربري . قيل وعشاق البادية لا يأكلون لحم الغزلان لأنهم يشبهون حبيباتهم بها فلا يطبقون ذبحها او تعذيبها واذا رأوا غزالة في يد صياد اقتدوها بالمال وأطلقوا سراحيها . وفارسهم يتكفى باسم حبيبتة ويتباهى بحبها وعند اللقاء في الحرب يقتحم غمرات الموت يحواده وسيفه مسلول في يده وهو ينادي : « لعينتي فلاة » على ما هو مشهور عند أهل بادية الشام .

وعرب السودان شجعان في الحرب أشداء لا يهابون الموت ولكن شجاعتهم همجية قلب فيها التدبر والحكمة كأسلافهم الاثيوبيين . ومن جملة أغانيهم التي تدل على شجاعتهم واحتقارهم الموت :

غنيّ شكره يا جدي بوحات بلال ود علي اسد الخلا القنات
وقت الموت يحىء ال فوق السرير موات مرحوم ال يموت فوق كوكب الدركات
ومن قول بعض نهبائهم :

والله ان شردتوا يا رفاقنا ادثونا الدرق وهاكم زهاطتنا

هذه هي أشهر اخلاق العرب في السودان وقد أثرت فيها المظالم التي قاسوها في زمن المهدي وقبله فتخلق الكثير منهم بالمكر والخداع والتمليق والكذب

والنميمة والفدر والخيانة والانشقاق وغيرها من الصفات المشينة التي لا بد من تركها الآن في حكم العدالة والشرع . هذا والعرب والسود متضادان في الطباع لا يمتزجان كالخل والزيت . وقد اشتهر عن العرب الخلل احتقار الصناعة والزراعة وعن السود عدم العمل إلا عند الاضطرار وعن الخلاسين المولدين بينها الكسل وكره العمل .

ملابسهم : وهم يلبسون سراويل ضيقة ويشتملون فوقه بثوب من الدمور او الدبلان اشمال الصماء او يلبسون قميصاً طويلاً الأكام يعرف بالعري . وفي الافراح والأعياد يلبس كبارهم القفاطين والجلب كأهل مصر . وهم يحلقون شعور رؤوسهم ويدورون لحاهم ويحلقون شعور عوارضهم ويتعممون بعمامة بيضاء فوق طاقية من الدبلان او يلبسون الطاقية بلا عمامة وأما كبارهم فيلقون العمامة على طربوش مغربي او مكاوية . ويلبسون احذية من جلد أسود او احمر على قالب خاص شبيه بالقالب المصري كما مر . ويتختمون بنحواتهم من الفضة او الذهب بفصوص من العقيق او الفيروز . او « حجر الدم » ويفضلون العقيق على الفيروز لأنهم يمتقدون انه يقطع الرعاف ولبسهم للذهب نادر . ولما يخرج الواحد منهم إلا وفي يده عصاً وسكين وأشهر عصيهم عصي قصيرة دقيقة معقوفة كالصولجان تؤخذ من السلم او البشم او غيرها كما مر . وقد تثقب من طرفها المستقيم وتعلق باليد اليمنى . وأما سكاكينهم فهي قصيرة مستقيمة ذات حدين تعلق في الساعد يسير من الجلد .

هذا لبس الحضر واما اهل البادية فبادية الشرق عموماً يلبسون الثوب بسراويل من تحته أو بلا سراويل وهو الاغلب ويلبسون نعلاً في أرجلهم أو يشون حفاة عراة الرأس ولا يحلقون شعور رؤوسهم بل يحدلونها ضفائر ثخينة ويرمونها الى الوراء ويتركون شعر الناصية منفوشاً كالكة فيفرزون فيها عوداً من العاج او الخشب لأجل مشطها وحك الرأس . ويدهنون شعور رؤوسهم بالشحم والزيت ويحملون العصي في أيديهم والسكاكين في أوساطهم وسكاكينهم معقوفة من وسطها كالنجل . وأما بادية الغرب فالبقارة يلبسون أقمصاً واسعة

الأكام جداً مقفلة الصدر بلا سراويلات ويتعزمون بسيور من جلد ويمشون حفاة عراة الرأس او يلبسون نعلاً في أرجلهم ويحذلون شعور رؤوسهم ضفائر كضفائر النساء إلا انها أنخن ولا يتركون كشة كبادية الشرق لكنهم يدهنون شعور رؤوسهم بالشحم والزيت مثلهم . ولا يخرج الواحد منهم إلا وفي يده حربة كبيرة تسمى كبساً أو أم كرشة يلقيها على كتفه وقد يحمل معها بعض الحراب الصغيرة المعروفة « بالطبايق » يضعها في كيس من جلد يسمى « بالتركاش » ويملقها في كتفه . وأما الأبتالة فيلبسون الثوب بسراويل أو بلا سراويل ويلبس مشائخهم القمصان الواسعة إلا ان قصانهم أقل اتساعاً من قصان البقارة وأنظف . وهم يحذلون شعور رؤوسهم ضفيرتين فقط ولا يتركون لها كشة في الناصية . أما مشائخ البادية الذين يخالطون الحضر في الشرق والغرب فانهم يحلقون شعور رؤوسهم ويلبسون القفاطين والجلبب والمائم ويتختمون بنحواتهم من الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز أو «حجر الدم» .

هذا لبس الرجال وأما الأطفال ذكوراً وإناثاً فانهم يبقون عرايا لا يسترهم شيء الى نحو سن الخمسة فتستر البنات اذ ذاك نفسها « بالرهط » . وهو سير من جلد يعقد حول الخصر تتدلى منه قدد دقيقة الى ما فوق الركبتين . وقد تلبس فوقه « شقة » من الدمور أو تبقى عارية لا يسترها إلا الرهط الى ان تتزوج فتخلعه وتلبس بدلاً منه فوطه كفوطه الحمام تعرف « بالقرباب » وفوقها شقة اكبر منها قليلاً بجواش من حرير تعرف « بالقرن » وفوقها « ثوب » من الدمور أو الدبلان أو الشاش تشتمل به اشمال الصماء وتستر رأسها حتى لا يظهر منها الا عينها . والمقتدرات منهن يلبسن فوق الثوب « فركة » او « برصة » من الحرير الملون .

ونساء العرب من حضر وبادية يصفرون الشعر ضفائر دقيقة ترخي على الصدغين والعنق كسائر نساء السودان ولكن للفتيات المتبرجات من نساء الحضر عادة في لبس الشعر تعرف « بالرشة » وذلك بأن يرسلن أطراف الضفائر ويدهننها بالصمغ والشحم ويتركنها الى ان تجف فتقف حول رؤوسهن

« كالكشة » : وهنّ يمدنّ لبسها في كل شهر . والنساء القصيرات الشعر يلبسنّ شعراً مستعاراً من شعر الماعز او غيره ..

وتلبس النساء الاخذية والنعال كالرجال الا ان نعال النساء أدقّ وأجل ومنها نعال تسمى بالمدّس او المحبوكة وقد سميت بالمدّس لأنها تضبغ بقشره وهي عبارة عن سبع نعال مطرّزة الحواشي مرصوفة بعضها فوق بعض ولها سيور من جلد منقوشة نقشاً جميلاً تشدّها بها ..

وأشهر حلى النساء : الخواتم والأساور والحجول والعقود والاقراص والحزائم والمصائب والاقراط من الذهب والفضة والخرز . اما خواتمهنّ فأكثرها من الذهب او الفضة بحبوب عدسية او مخروطية وأما أساورهنّ فمن الفضة او العاج او المرجان او السوميت والأساور الفضية او العاجية عريضة جداً وعليها نقوش بسيطة ولبعض الفضية منها حبوب مخروطية الشكل تزيد في ضخامتها . واما حجولهنّ فأكثرها من المرجان او الفضة اما الفضية فضخمة للغاية وهي إما مجوفة توضع فيها الحصى ليسمع لها رنين عند المشي او مصمتة وقد يبلغ وزن الواحدة منها نحو ٢٠ ريال فضة او اكثر . وزيّ أساورهنّ وحجولهنّ كزيّ الأساور والحجول في شمال الملكة « آمن ريتس » الايثيوبية في متحف الآثار المصرية بالجيزة بل هنّ في لبس الشعر بزي الرشة ولبس الحجول والاساور ونعال المدس على ما تقدم وصفها يثلن لبس نساء المصريين القدماء قلم التمثيل . واما عقودهنّ فمن الذهب وحده تصاع من قطع مربعة صغيرة او من السوميت والذهب او من الخرز الملون او اليسر او المرجان . وأقراصهنّ طاسات صغيرة من الذهب تلبس في قمة الرأس وتتدلى منها خيوط ذهبية على الصدغين . وخزائهنّ حلقات كبيرة من الذهب يلبسها في الخنابة اليمنى وقد يعلمنّ لها أزمّة من الذهب تشدّها الى الأذن لرفع ثقل الحزامه عن الأنف . واما عصائبهنّ وهي حلى الجباه فأشهرها نوعان : الشريفى والارملي . اما الشريفى فهو عبارة عن ست قطع مستديرة محببة من الذهب الواحدة منها في حجم الجنيه الافرنجي منظومة في سلك وفي وسطها « ودعة » من الذهب

هيئة رجل الطائر تتدلى بين الحاجبين . واما الارملي فهو سلسلة من خيوط ذهبية في وسطها قطعة محببة من الذهب كالتى في الشريفي . واما أقراطهن فن الذهب والفضة ومنها نوع يعرف بالسككي مؤلف من حلقة كبيرة واربع حلقات صغيرة .

ومن حلئ النساء : « الحقو » وهو سير دقيق من جلد منظوم فيه خرز من الكهرياء والعقيق الاحمر والسوميت يلبس تحت القرباب حول الحقوين وفي كل حقو كرتان مجوفتان من الفضة او الذهب توضع فيها حصى صغيرة ليعلم لهما رنين عند الحركة وهو الفرض الاول من لبس الحقو الذي لا بد منه لكل امرأة متنعة « والحجاب » وهو عود مجوف من العُشَر يوضع فيه حجاب ويُشد من طرفيه بسير من جلد ويعلق في الرقبة فيتدلى الى ما فوق الركبتين . ونساء الخاصة يحلينه بالذهب والفضة ويحملن له سلسلة من فضة فيسمى إذذاك بالحجاب الهيكلي . والفرض الاصلى منه منع الثوب من الالتصاق بالجسم اذا هبت الريح . واما تعليق الأحجبة فيه فليترك ودرء العين . ونساء الجزيرة يستغنين عن عود العشر فيعلقن في رقابهن مجموعة من الأحجبة شبه العنقود تسمى الرميحة تتدلى الى ما فوق الركبتين . هذا ويحظر على البنات لبس الاخزمة ووشم الشفاه حتى يتزوجن .

الروائح العطرية : وعرب السودان عموماً نساء ورجالاً حضراً وبادية يدهنون رؤوسهم وأجسادهم بالشحم والسيرج لتخفيف وطأة الحر وتطيبون بالروائح العطرية وأشهر هذه الروائح عندهم : المسك والزباد والجلاد والحلب والظفر والسنبل والقرنفل والصندل . وأحب المركبات العطرية اليهم مركب سائل يسمى الخُمرة مؤلف من مقادير معينة من المسك والجلاد والزباد والقرنفل تذاب بماء خشب الصندل وتخمر وتحفظ في أحقاق هندية محكمة الغطاء . أما الصابون فقل من يستعمله ولا سيما من أهل البادية فان أهل البادية الشرقية يفسلون ثيابهم ببول البقر وأهل البادية الغربية يفسلون بها بقشر الاهليلج .

الدلكة : ومن أشهر عاداتهم « الدلكة » وهي بمثابة الدلك في الحمامات التركية فهم يأخذون شيئاً من عجينة الذرة فيدوفونه بالماء حتى يصير كالصعيدة ويحمدونه قليلاً بوضعه على الدركة فوق النار ثم يجعلونه في قدر ويوقدون ناراً من خشب الطلح والشاف والكليت في قدر آخر ويكفأون القدر التي فيها العصيدة على القدر الموقدة فيها النار حتى تجف العصيدة وتتدخن برائحة الأخشاب المذكورة فيعجنونها بمعجون الدلكة ثم يقرصونها كتلاً ويدلكون بها . أما معجون الدلكة فيؤلف من دقيق القرنفل والمهل وخشب الصندل والظفر ويعرف بالمربوع ويضيفون اليه اللبان أو السنبل فيسمى بالخموس . ويضيف الخاصة اليه الجلاذ والزباد والمسك ويعرف بمعجون الخاصة . وهم يدلكون أجسادهم في كل صبح ومساء قبل النوم وبعده ثم يتطيبون « بالحررة » .

وذكر بعض الأطباء عدة فوائد صحية للدلكة منها انها تقوي الأعصاب وتقلل الإفراز الجلدي وتزيل شعر الجسم وتكسبه ملامسة وبالنتيجة ترطبه وتخفف حرارته لأن الاجسام السوداء شديدة القابلية لامتناس الحرارة فتق ملت عكست أشعة الشمس وقلت قابليتها لامتناس الحرارة .

ومن قبيل الدلكة « التعصير » وهو غمز الجسم باليدن بلا ذلك فهو مختصر الدلكة . أما عمل الدلك والتعصير للنساء والرجال فنوط بالجوارى .

التدخين : وما اختص بالنساء دون الرجال « التدخين » وهو بمثابة الحمام لهن وهذا الحمام عبارة عن غرفة كثيرة النوافذ في وسطها حفرة صغيرة والى احد جوانبها دكة عالية فاذا أرادت المرأة التدخين أوقدت في الحفرة ناراً من خشب الطلح او الشاف او الكليت أو غيره من الأخشاب الطيبة الرائحة وسدت نوافذ الغرفة إلا نافذة واحدة لخروج الدخان ثم تتجرد من ثيابها وتمسح جسمها بالسرج وتشتمل بشملة من الصوف وتجلس على حافة الحفرة ورجلاها ممدودتان على عود فوق الحفرة وتبقى على ذلك الى ان تنطفئ النار فيحمى جسمها ويتحلب المرق منه صبيحاً فتقوم وهي لا تزال مشتملة بشملتها

فتستلقي على الدكة وتفتح النوافذ واحدة بعد الاخرى حتى يخرج الدخان ويحفظ العرق تدريجياً فتأتي احدى الجواري وتدلّكها وتطيبها بالخمرة . ومن خصائص التدخين انه يكسب المتدخنة لوناً اصفر ورائحة عطرية مستحبين جداً عند عرب السودان وهو نافع بنوع خاص لمرض المفاصل والأمراض العصبية .

سلاحهم : سلاحهم السيوف والحراب والفؤوس والدرق وبعض أنواع الأسلحة النارية. أما سيوفهم فمستقيمة ذات حدين وكلها جلب من الخارج وعلى بعضها أبيات من الشعر أكثرها من البردة . وقد ظفرت في واقعة أم درمان بسيفين جميلين مكتوب على احدهما البيت الآتي :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطمـ

وعلى الآخر هذان البيتان :

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا فما تفرّق بين الهم والبهمـ
ومن تك' برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها نجمـ

أما تاريخ السيف الاول فهو سنة ١٣٠٣ هـ. وعليه اسم احمد حسين الفيل وأما تاريخ الثاني فظاهر الكتابة يدل على انه سنة ١٢٣ هـ ولكن الأرجح انه سنة ١٢٠٣ هـ على ان في السودان سيوفاً كثيرة يدعي أصحابها انها من أيام الصحابة او أقدم ومنها سيف للملك آدم احد ملوك جبال تقلي الأقدمين ادّعى انه سيف الزبير بن العوام. وعند أولاد حمور من أهالي دنقلة المعجوز سيف ادّعوا انه من زمن المسيح . وقد رأيت بين غنائم الجيش في فرقة سنة ١٨٩٧ سيفاً مكتوباً عليه هذان البيتان :

دهر ذمى الحالتين فما به حرّ سوى هذا ابن بادي محمد
دفع الخطوب عن الأنام بعزمه ورعى العباد بمقلة لا ترقد

وتاريخه سنة ١٢٠٥ هـ وأما بادي المذكور فهو احد ملوك سنار الأقدمين الذي ملك في سنة ١٢٠٥ هـ كما سيجيء .

أما « حراهم » فهي عصي طويلة من خشب القنا أو السلم أو الاندراپ أو البشم ذات نصال حادة تصنع في جميع البنادر على اشكال شتى يجمعها شكلان المسطح البيضوي والمستدير المسنن ومنها الكبير ويسمى الكبس والصغير ويسمى الطباقي وهي تحمل في جعبة تسمى التراكش وكلها من سلاح البادية .

« ودرقم » إما مستديرة وتستعمل في السودان الشرقي أو بيضوية وتستعمل في السودان الغربي وهي تصنع من جلد فرس البحر أو جلد الفيل أو الزراف أو الجاموس البري .

وأما « الاسلحة النارية » فلم يكن منها في السودان قبل الفتح المصري الا القليل وأكثره من الطرز القديم « بزناد وشطفة » المعروف بالارشليك . وبعد الفتح المصري اقتنى العرب البنادق « البيادة » من طرز بنادق ابرهم باشا . والبنادق « الحشخان » الكبيرة التي عرفت عندهم برفع مدفع وقد استخدموها لصيد الافعال . وفي الثورة المهديّة وقع في يدهم كثير من المدافع والسوارينخ والبنادق الرمنتون وبعض بنادق مرتين ولكن الحكومة الجديدة استرجعتها منهم .

أما « القسي والنبال » فلا يستعملها العرب لكنهم يصنعونها في بنادرهم للتجارة بها فيصنعون القسي من خشب الزان أو الحديد المرن والنبال من أغصان السلم أو البشم لصلابتها ومرونتها ويجعلون لها نصالاً يسمونها بعصير بعض النباتات السامة المار ذكرها .

وهم في الحرب يركبون الخيل والهجن بسروج تختلف عن سروج الخيل والهجن في مصر والشام وسياقي وصفها . وسلاح هجانهم السيف يعلقه في مقدم السرج عن الشمال والدرقة عن اليمين . وسلاح فارسهم السيف يعلقه في مقدم السرج عن الشمال والفرار عن اليمين والكبس يلقيه على كتفه والطباقي في التراكش يعلقها في مؤخر السرج ويلبس درعاً أو قيصاً من الزرد المنضد فوق أثوابه وفوقه « شاية » اي « مضربية » محشوة قطناً وخوذة من الحديد على رأسه لها « قلي » اي عذبة من الزواء تستر العنق « وسن » من الأمام

يقي الوجه . وجزيتين (قفازين) من الجلد والزردي يلبسها بيديه ويلبس فرسه اللبوس وهو مضربية محشوة قطناً تستره من رأسه الى ركبته حتى لا يظهر من وجهه الا عيناه ومن قوائمه الا ما بين الركب والحوافر . وسلاح راجلهم السيف والدرقة في الحضر والحراب والدرقة في البادية .

مساكنهم : وأكثر أبلية الحضر بالطوب التي او بالطين المعروف عندهم بالجالوس وقل من يبني بالطوب المحرق وغالب بيوتهم مربعة الشكل مسطحة السقوف يسقفونها بخشب النخل او الدوم او السنط او الطرفا او الصباغ ويحملون فوقها شبكة من حبال الشعر او الحبال المصنوعة من دقيق الدوم مصبوغة اسود ثم يغطونها بالبروش ويضعون فوقها المطارق ، اي العصي والبييس ثم الطين المصنوع من الزيل والتراب على نسبة الثلثين من الزيل والثلث من التراب يوضع فيه الماء عدة ايام حتى يخمر فيطينون به السقف والجدران الاربعة لمنع الوكف ووقايته من الامطار . وفي دنقلة حيث يقل وقوع المطر لا يطينون السقوف ولا الجدران ولكنهم يرفعون السقوف برمتها على حجارة نحو شبر لوقايتها من الار . وكلهم يطينون أراضي منازلهم بالطين والرمل او لا يطينونها ويبيضون جدرانها او لا يبيضونها وهو الغالب . وجميع منازلهم سفلية فلا يبنون دوراً عالية ولا مآذن لجوامعهم الا في النادر ولا يتخذون كنفاً الا في المدن الكبيرة . ولكنهم يحيطون ببيوتهم في القالب يحدار من شوك فيسمونه زريبة او من خوص فيسمونه صريفاً او من طين او طوب في فيسمونه حوشاً والحوش لا يكون الا مربعاً او مريعاً مستطيلاً . فاذا أراد أحدهم من ذوي اليسار ان يبني منزلاً تاماً لنفسه يعتمد الى قطعة مربعة من الارض فيحيطها بحوش علوه نحو قامة ويجعل له باباً واحداً ثم يقيم في وسطه حائطاً فيجعله حوشين حوشاً للنساء وهو الحوش الداخلي وحوشاً للرجال وهو الحوش الخارجي ويفتح في الحائط باباً صغيراً يدخل منه الحوش للنساء حيث يبني منازل للنساء وجواريه واسطبل لركائبه ومخزن للجبوب ومطبخاً وبيت خلاء ويبني عند الباب غرفة لجلوس الخصال تسمى بالدلهيز الدخلائي وغرفة

بالقرب منها جلوسه مع نسائه . ويبني في حوش الرجال عند الباب غرفة جلوس العبيد الخدم تسمى بالدهلين البراني وفي صدر الحوش ديواناً جلوسه مع زائريه له دكة من طين يفرشها بالبرش والسجاد وعن جانبي الديوان غرفة يضع فيها بضائعه ان كان تاجراً ويجعل امام الديوان « راكوبة » جلوسه مع زائريه في الصيف وعلى جوانب الحوش من داخل منازل للضيوف وبيت خلاء وعلى دائره من الخارج غرفة لمبيده . وقد يبني صفاً من الغرف بقرب المنزل فيجعلها خلوة للضيوف . وهذا غاية ما يبلغه منزل الحضري العربي في السودان .

هذا بشأن المنازل المربعة السقوف المبلية من طوب او من حجر وطين وكلها على النيل الكبير وأما اهل النيل الأعلى ومعظم اهل السودان الشرقي والغربي فان أكثر منازلهم أكواخ مروطية الشكل كأكواخ السود لأنها هكذا أمتن وأقدر على تحمل المطر الذي يكثر وقوعه في بلادهم وهم يصنعونها من اليبيس والطين فمنها ما دائره من طين وقبته من ييبس وهو الدردر ومنها ما دائره من ييبس وقبته من ييبس وهو القطية ومنها ما يستخدم للطبخ ويسمى طقل وقد يطلق الطقل على كل كوخ . ومن أكواخهم ما يسمى ظهر الثور أو الكرنك يبنونه من اليبيس والبروش على شبه ظهر الثور أو القبوة . ومنها ما يسمى الراكوبة وهي بناء مربع مستطيل من اليبيس والحطب له سقف مسطح وثلاثة حيطان . أما اليبيس الذي يستعملونه للبناء فهو ييبس الذرة والمحريب والحلفا المتقدم ذكرهما . والنال وهو شبه المحريب إلا انه أشد بياضاً ولا رائحة له . والتشام والتشيس وهما يشبهان سوق القمح . والصميمة وهي تشبه الحلفا .

هذا كله في مساكن الحضر وأما اهل البادية فانهم يسكنون خياماً من الشعر والبروش أكثرها على هيئة ظهر الثور .

أثاثهم : أما أثاثهم فأشهره :

«العنكريات» مفردتها عنكريب وهي امرأة من خشب مشدودة قوائمها

الاربع بسيور من جلد البقر او بحبال من سعف النخل او الدوم تفرش بالسجاد أو البروش وتستعمل للجلوس والنام وقد يصنع لها كلفة من نسيج الخوص لاتقاء البعوض تعرف « بالكُجرة » .

« والبنابر » مفردا بنبر وهي كراسي صغيرة واطشة تشبه الكراسي المستعملة في قهاوي مصر والشام .

« والكراسي » وهي بنابر بمسندين لليدين ومسند للظهر على نحو الكراسي الافرنجية تصنع من خشب الجوغان او السنط .

« والككر » وهو الكرسي الذي يجلس عليه ملوكهم أخذوه عن السود وهو عبارة عن قطعة من جذع شجرة متينة الخشب محفورة من أعلى ومن أسفل بحيث يكون لها مسندان لليدين من أعلى وقاعدتان من أسفل .

« والاجرية » من جلود الماعز والضأن والابقار والغزلان تحفظ فيها الحبوب ولا سيما في الاسفار ويعرف الجراب الصغير بالقفل ويستعمل للثياب والدرام .

« والقرّب » من جلود الماعز تستعمل لنقل الماء كما في مصر . وقد تصنع من جلود البقر وتعرف بالسقا او الراوية اما القرية الصغيرة فتعرف بالسّعن .

« والرحاية » وهي رحي اليد ولكنها قلما تستعمل في غير بلاد دنقله .

« والمرحاة » وهي آلة للطحن خاصة بالسودان وقد تقدمت الاشارة اليها وهي سحجر اسود مسطح طوله نحو ذراع وعرضه نصف ذلك ومعه حجران بيضاويا الشكل يقال للواحد الجراش وللآخر الرداد طول الواحد منها نحو شبر اما الرداد فتخنه بشخن الساعد والجراش أثخن منه قليلا . واما كيفية الطحن بها فهي ان يوضع الحجر الكبير على سطح مائل وفي اسفله قدح فتركم الجارية عند طرفه الأعلى وعن يمينها الحب المراد طحنه وفي يدها الجراش فتأخذ من الحب شيئا فشيئا وتلقيه على الحجر الكبير وتسحقه بالجراش صعداً ونزلاً فيسقط في القدح دقيقا فتبله بالماء وتعود قطعنه بالرداد الى ان ينعم جيداً فتجعله على النار وتعمله عصيدة كما سيجيء .

« والدوكة » وهي آلة للخبز شبه الصاج تصنع من حجر الهمر الكثير الوجود في السودان وهو حجر هش كالخفان يسحقونه دقيقاً ثم يعبثونه بالماء ويحعلون منه أقراصاً مستديرة شبه الصاج ويتركونها حتى تجف ثم يحعلون في كل قرص قطعة من الدهن ويضعونه على النار نحو ساعة حتى يتشرب الدهن كله فيتركونه يبرد ثم يعيدون ذلك ثلاث مرات فيمتن الحجر ويمس ويصبح صالحاً للخبز فيخبز عليه كما يخبز على الصاج .

« والاقداح » الخشبية وهي آنية للطعام والمعجن ونحوهما وقد تقدم ذكرها .

« والمكبات » وهي أغطية الاقداح تصنع من سوق القمح على شكل مخروطي وتلون وتزين بالجلود المدبوغة .

« والاطباق » تصنع من سفف الدوم ويوضع عليها الخبز وألوان الأطعمة :

« والبروش » تصنع من سفف النخل والدوم وتستعمل بدل الحصر عندنا .

« والفُسْبُوق » وهو هاون كبير من خشب بيدٍ من خشب تدق به الحبوب لاخراج نخالتها . « وحجر الرائحة » أو « حجر الدلكة » وهو هاون صغير من حجر بيدٍ من حجر تدق به الروائح العطرية ومركبات الدلكة . « والمدق » وهو هاون من خشب بيدٍ من حجر يدق به البن .

« والجبنة » وهي إبريق من فخار تغلى به القهوة « والشرعرع » وهو فنجان مربع من خشب يرافق الجبنة له يد يمسك بها وفم تصب منه القهوة .

أما قهوة الجبنة فتصنع هكذا : يحمص البن بتحريكه في قدح مع الحجر ويُدق في هاون الى ان ينعم وفي أثناء ذلك يغلى الماء في الجبنة فيوضع البن فيها الى ان يفور فيسكب في الشرعرع ثم يعاد اليها ويوضع على النار مع قليل من الماء حتى يفور ثانية وهكذا على ثلاث مرات فتسكب في فناجين كبيرة تعرف بالبیشه وهي من ألذ أنواع القهوة .

« والكبايات والفناجين » من قرن الخريت وهم يزعمون ان الفنجان المصنوع

منه كاشف للسم فاذا سكبت القهوة فيه طفى السم على وجهه .

« والقرع اليابس » تقطع القرعة فلتقتين بعد قطع عنقها فتجعل كل فلقية منها اقاء للشرب . او تترك على حالها ويثقب عنقها من أعلاه فتستعمل آنية للسمن أو اللبن وتسمى « البُخْنة » .

« والبرم » مفرد ما بُرمة وتشبه البلاص المصري إلا ان فيها أوسع .

« والكتنوش » أو دوكة الملاح وهو قدر من فخار للطبخ وهم يستعملون أيضاً قدور النحاس المصرية .

« والجرا » وهو الزير ومنه نوع كبير يخزن فيه الذرة يسمى « القوسية » .

« وغلايين الدخان » وقد تكون كلها من حجر او تصنع رؤوسها من حجر وعيدانها من فروع بعض الشجر .

« والسروج » أي سروج الخيل والابل والحير وهي تختلف قليلاً عن السروج المصرية والشامية . أما سروج الحير فلكل منها قريوسان عريضان أو مسندان في شكل واحد يوضع على وسادة من يبيس النال مما يلي ظهر الدابة وتشد اليه وسادة من قطن وفوقها فروة من جلد الضأن . وأما سروج الخيل فتصنع من خشب الجوغان او الاندراب ويجعل لها قريوس من أمام ومسند من وراء وتلبس بحل العرد وتزين بالفضة والذهب وتجعل لها رُكْب ضيقة حتى لا يدخل فيها إلا ايهام الرجل وسبابتها . وأما سروج الإبل فسروج الحمل منها كالسروج المصرية وأما سروج الركوب فيعرف واحدها بالخلوقة وله مقعد مقعر من خشب الجوغان او الاندراب وقريوسان في مقدم ومؤخره وله وسادتان مما يلي ظهر الحمل وفروة من جلد الضأن توضع عليه عند الركوب . أما سروج الثيران فهي عبارة عن أكياس محشوة باليبيس مصنوعة على هيئة السرج .

طعامهم : وطعامهم الذرة والدخن. ولما يأكلون الرز والقمح أما الدخن فهو طعام أهل السودان الغربي وأما الذرة فالفتريته طعام أهل الجزيرة والكرجي طعام أهل السودان الشرقي والمقعد او عيش السواقي طعام أهل بربر وكل قوم

يطعمون بها ثم الحطب الذي يأكلونه إلا في دنقلة فانهم يأكلون القمح ويطعمون خيلهم الشعير .

وهم يطحنون الحبوب بالمرحاة أو يبلونها ويعجنونها بها ويصنعون من دقيقها « العصيدة » ومن عجينا « اللقمة » هكذا : يغلون الماء في قدر على النار ويلقون الدقيق فيه شيئاً فشيئاً ويحركونه بمسواط حتى ينضج فيكون منه العصيدة . ويدوفون العجين بالماء ويصبونه في الدوكة فوق النار ويحركونه حتى يحمى فيكون منه اللقمة . أو يدقون الحبوب بالفندق ويلقونها في الماء فتطفو النخالة ويرسب الدقيق فيعملون منه عصيدة على النار تعرف « باللقمة الجيرية » .

وهم يخبزون عجين المرحاة على الدوكة أرغفة سمكة تعرف « بالقراصة » وقد يطعمونها في الرماد بعد خبزها فتعرف « بالمطالة » . وفي الاسفار والافراح يخبزون أرغفة كبيرة يقال لها « الرضاف » : يحملون مقداراً كبيراً من الدقيق في قدح ويسكبون عليه الماء شيئاً فشيئاً وهم يدوفونه بمسواط حتى « يخرج عرقه » ثم يوقدون حطباً كثيراً في بقعة برملية ويتركونه حتى يصير جراً فيفصلون بين الجمر والرماد ويضعون العجين في الوسط ثم يغطونه بالرماد ويغطون الرماد بالجرم ويتركونه قليلاً فيخرج رغيفاً نظيفاً يستمرئون أكله وهم يكبرونه أو يصغرونه حسب المطلوب وقد يكفي الرغيف الواحد من الرضاف مئة نفس أو أكثر . وهم يصنعون الشعيرية من عجين المرحاة فيجيدون صنعها جداً ويستعملونها بدل الرز .

وأكثر أكلهم من الحنظل البامية والوركة واللوبيا والبصل والملوخية ومن اللحم لحم البقر ثم لحم الإبل وأكلهم للحم الضأن قليل ومنهم من يأكل لحم الهرزة ويعتقد انه يبطل غسل السحر . وهم يشتركون اللحم شرائح طويلة رقيقة ويقعدونها ويخزنونها للطبخ ويسمونها « الشرموط » . ويستخدمون للطبخ السمن والسيرج أو زيت السمسم . ويأكلون اللحم نيئاً ومشوياً وأشهر ما فيه عندهم الكبدة ولا سيما كبدة الإبل . قال موسى باشا أحد ولاة السودان

السابقين : « فواكه السودان ثلاث : الدلكة والمصيدة الجيرية وكبد الابل » .
 واشهر بهاراتهم وأشهاها اليهم « الشطة » وهي قرون صغيرة حمراء تشبه
 قرون الفليفلة الحمراء في اللون والطعم وتزرع في كل جهات السودان . والشببة
 وهي نبات الافستين يؤتى بها من بلاد الهند والحجاز ممزوجة بورق كورق
 الريحان يعرف بالمرسين . ومن بهاراتهم الكون والكزبرة والشمر وهي تزرع
 عندهم والفلفل والقرفة والزنجبيل وجوز الطيب والحوونجان وكلها جلب من
 الخارج . وعندهم مركب من البهارات كثير الاستعمال يعرف بالدوا مؤلف
 من الشببة والمرسين والكون والكزبرة .

واشهر انواع الادام عندهم : « ملاح الثقيلة » او « ملاح ام دقوقة » وهو
 طعام من لحم طري او مقدد وبامية مقددة وبصل مقلية بالسمن او السيرج .
 « وملاح الشرموط » وهو طعام من لحم مقدد وبامية مقددة وبصل مقلية
 بالسمن .

« والسلات » وهي لحمة محمرة على الدوكة بالملح والشطة والدوا على شبه
 الكباب المصري وهي من أشهى الأطعمة اليهم ولا سيما الى شاربى الحمرة .
 « وطبيخ البامية او اللوبيا او البصل » وهو لحمة طرية بالبامية او اللوبيا
 او البصل مقلية بالسمن . ومن أدامهم اللبن حلياً او رائباً والسمن وحده
 او ممزوجاً بالسكر .

وهم يعملون المصيدة او اللقمة او الكسرة او القراصة في قدح من خشب
 ويسكبون فوقها نوعاً من الادام ويضعون القدح على برش في الارض ويجلسون
 حوله القرفصاء او مربعين او على ركبة واحدة ويأكلون بالاصابع الثلاث
 الاولى ويدعون المارة في الطريق الى الطعام اذ يعاب على الرجل ان يأكل
 طعامه وحده كما يعاب على من يأكل في الشارع او في السوق .

ووجبات الأكل عندهم ثلاث : « الفطور » يتناولونه عند شروق الشمس
 « والغداء » من الضحى الاعلى الى الظهر « والعشاء » عند الغروب . وأهم ما
 يتناولونه في الفطور المصيدة او اللقمة عليها اللبن حلياً او رائباً او السمن

والعسل او السمن والسكر او الشعيرية مطبوخة بالحليب او بالسمن والسكر ومنهم من لا يتناول في الصبح الا طعاماً لم تمسه النار كالبلح والحليب ومن أقوالهم « من فطر طعاماً بلا نار كفاه الله شر ذاك النهار » على ان غالبهم لا يعتني بأكل الصبح بل يأكل في الضحى الاعلى ثم في الغروب . وأهم ما يتناولونه في الغداء العصيدة او اللقمة او الكسرة او القراصة وعليها الادام . وفي العشاء الكسرة مع الادام .

وم يقدحون النار بحك خشبة على خشبة أخرى او بضرب قطعة من الفولاذ على حجر او بضرب حجر عليها ويتلقونها في الأحوال الثلاث بقطعة من الصوفان او لب الخوص او خرقة ملوثة بالرماد او البارود .

شرايبهم : وهم يشربون ماء النيل والآبار كما هي بلا تصفية ويشربون الشاي والقهوة وفضلها قهوة الجبنة المتقدم وصفها .

ويشربون الدخان بقلايين طويلة او قصيرة او يعضونه مضغاً بعد إضافة قليل من النطرون اليه وهو المعروف عندهم « بالسفّة » فيضع الواحد منهم سفة تحت لسانه ويشرع في البصاق حتى يملأ الارض من حوله . ويسحقون ورق الدخان ويضيفون اليه شيئاً من النطرون او الجردقة ويستعملونه نشوقاً . وهم كسائر اهل السودان مفرمون بشرب الخمر إلا ان الكثير منهم يمتنع من شربها تديناً . وهي تستخرج من البلح والذرة والدخن وتخمر بواسطة الزراع . أما الزراع فهو الذرة تُلشر على برش في الشمس وترش بالماء حتى يعلو نبتها عن الارض نحو شبر فيمنع عنه الماء الى ان يحف فيطحنونه بالمرحاة ويدخلونه في جميع المشروبات التي أشهرها ام بلبل والمرسة او البوزة والابرية والسورج والحلومر والحُسوة . اما أم بلبل فهي عصيدة مائعة من دقيق الذراع . واما البوزة او المرسة فهي عصيدة من الذرة يضاف اليها شيء من الزراع وتوضع في زير نحو يومين حتى تخمر وهي أشهر مشروباتهم وأشهاها اليهم وتعرف في بربر ودنقلة بالبوزة وفي بلاد النيل الأزرق بالمرسة . وأهم الاطعمة التي تؤكل مع البوزة الكبد والكُرشة والفشة والبصل تُغمس بدقيق

الشطة والملح مذاباً بالليمون الحامض . أما الأبرية فهو خبز رفيف من دقيق الذرة يبل بالماء او بمذوّب السكر وهو شراب لطيف مبرّد الى الغاية. وكيفية عمله ان يذاب جزء من دقيق الذرة المتخول في جزئين من الماء ويضاف الى المزيج قليل من الكون والزرّاع ويترك يوماً كاملاً الى ان يختمر فينبز رقاقاً على الدوكة ويفتت ويخزن لوقت الحاجة واكثر استعماله في زمن الحر والأسفار. وأهم المشروبات المستخرجة من البلح : العرق يستخرجونه بالانبيق كما يستخرج العرق من العنب في بلادنا . والنبيذ يستخرجونه هكذا : يبلون البلح في اثناء من فغار ويصفونه ويضيفون اليه مزيجاً من بهارات الفلفل والزنجبيل والقرفة والحريب وحب الهان ويطمرونه في الارض من ٢٠ : ٢٥ يوماً حتى يختمر فيشربونه نبيذاً ولا يعمل إلا في بلاد ود قمر والرباطاب . والشربوت وهو النبيذ مخمراً بزّاع الذرة وهو شراب مسكر إلا انه من ألذ مشروباتهم. ثم ان الخاصة من اهل السودان يستخرجون مشروباً لطيفاً من الرز يسمونه « شراب السوية » وذلك بأن يغلى دقيق الرز او القمح ويمزج بمنقوع التمر الهندي على نسبة معلومة ثم يصفى ويذاب فيه السكر او عسل النحل ويحفظ في آنية من فغار وهو شراب لذيذ مبرّد الى الغاية .

ولعرب السودان صبر على الجوع والعطش فقد يسير العربي مسافة يوم في الصحراء على حفنة من الذرة وجرعة من الماء واذا جاع ولم يجد طعاماً شت حزامه على وسطه ووضع حجراً على معدته واحتمل الجوع بصبر غريب. لكنه اذا وجد الأكل أكل ما يكفي ثلاثة رجال. وم في السفر يأكلون التمر والذرة مسلوقة او نيئة والابرية غذاء ومشروباً يضمونها في أجربة ويحملونها على الجمال او الحمير . ولهم عناية خصوصية بنظافة أسنانهم نساء ورجالاً فهم يحملون في جيوبهم عيداناً من الأراك او من اللعوت او جريد النخل للاستياك بها وذلك من احسن خصالهم التي تدل على نظافتهم .

أفراحهم : وسن الزواج عندهم من الخمسة عشرة سنة فما فوق للرجال ومن العشرين فما فوق للنساء. ولا بد للطالب من رؤية البنت التي يروم خطبتها

ولو بالحيلة فاذا حسنت في عياليه سعى في استرضاء أهلها خصوصاً والدتها وعقد الخطبة بالقول . ثم يذهب أقاربه الى بيت أبيها في يوم معين لكتب الكتاب وتعيين المهر وهم في الغالب يغنون المهر حتى لقد يبلغ خمسمائة ريال وعشر أبقار وعشرة جمال وأربعين رأساً من الغنم يقدمه الخطيب الثلثين على الفور والثلث الباقي أقساطاً بعد الزواج . وهم على عادة البجة في أن أبا البنت لا بد له أن يخصها بشيء من ماله وإلا عيرت به وربما خصها بما يساوي مهر الخطيب أو أكثر ولذلك ترى الكثير من النساء يتركن عذارى لعدم اقتدار الرجال على صداقهن . وقد سعى بعض ولاية الفتح الأول مثل أحمد باشا أبو ودان وخورشيد باشا وعبد اللطيف باشا في تخفيض مهر البنات فجعلوه من ٧٥ : ١٥٠ غرشاً وحضوا على الزواج وكذلك فعل محمد أحمد للمتهددي فجعل مهر للثيب خمسة ريالات ومهر البكر عشرة ولكن الأهالي ما لمبثوا أن عادوا الى عاداتهم القديمة وعاد البنات الى الكساد . وعرب السودان يحترمون النسب جداً وينزلونه الميزة الأولى في تزويج بناتهم فلقد يزوجون رجلاً ذا نسب لا يملك شيئاً ولا يزوجون رجلاً مثرياً لا نسب له . وإذا حل بأرضهم رجل شريف يرجع بنسبه الى النبي ﷺ أو الصحابة بالغوا في إكرامه وزوجوه بناتهم بلا مهر رغبة في التقرب منه . وهم أيضاً يتبركون برجال العلم والصلاح ويزوجونهم بلا مهر .

هذا وعند اتفاق الفريقين على المهر يكتبون للكتاب ويعينون الدخلة في يوم يتفاهلون به . وقد جمع الشيخ زرروق أيام السعد والنحسن عند العرب في بيتين وهما :

عجبك يرعى هواك فهل تعد ليال بضد الأمل
فدو النقط منها بدا لحسه ومهله فاجر فيه العمل

وقبل حلول اليوم المعين بأسبوع يعد المريس المذبائح وشيئاً من الذرة والروائح العطرية والكحل والحناء والأكسية للمروس وماشطتها ووزيرتها ولكل من أقاربها الاخصاء ويدعو بنات البلدة فيحملنها على رؤوسهن في

أطباق منقطة بالكبات ويسرن وأمامهن النساء يضرن الدفوف ويرقصن ويفنن ووراءهن الشبان يرقصون ويتباطنون بالسياط الى ان يلفوا بيت العروس فيستقبلهم أهلها بالترحيب ويقدمون لهم الطعام والشراب فيأكلون ويشربون ثم ينصرفون .

ومن ثم يشرع أهل العروس في الاستعداد للفرح فيعزلون العروس الى مكان منفرد مع بعض قريباتها ويسلمونها الى الماشطة وتمشط شعرها وتضفره بزي الرشة وتطيبه وتلبسها أعلى الثياب من وسطها فنازلاً وأما صدرها ورأسها فلا يسترهما إلا الحلي . أما العريس فيلبس ثوباً بسيطاً بحاشية من حرير يعرف بطرف السماء ويلبس في يده سواراً من الحرير فيه خرزة خضراء تسمى الحرشاية وسواراً عريضاً من الفضة أو الذهب يسمى جبيرة وفي عنقه طوقاً من السوميت والذهب وهو اللبس المعروف عندهم بالجرتك يلبسه على يد امرأة حظيطة ذات حشم ومال واولاد ويبقى عليه سبعة ايام الى اربعين يوماً بعد الزواج وذلك لمنع الاصابة بالعين .

وفي اليوم المعين للدخلة يجتمع أهل العريس وخلاته - نساء ورجالاً في منزله فيزفونه على فرس الى بيت العروس فيقود الفرس بلتان بنت عن اليمين وبنت عن الشمال وتسير النساء امامه يفنن وينقرن الدفوف والطبول والرجال ورائه يتباطنون والبنات يرقصن الرقص المعروف عندهم بالشكلي وهو الرقص بخفة ورشاقة والعريس يهز سوطه في الهواء استحساناً للراقصات والمفنيات . ويسير الموكب الهوناء الى ان يصل الى بيت العروس فيستقبلهم أهلها بالترحيب والاكرام ويقدمون لهم الطعام والشراب . ثم يزفون العروس في منزلها وهو الغالب او يزفونها في شوارع البلدة تحف بها البنات وبأيديهن الشموع ثم يمدن بها الى المنزل فيجلسنها على عنكريب في مكان أعد لها ويجلس حولها البنات والنساء والماشطة ووزيراتهما .

وبعد العشاء يدخل العريس عليهن ومعه شابان من اصحابه يعرفان بالوزيرين فيصفق له النساء ترحيباً به ويجلسنه مع وزيريه على عنكريب أعد لهم . ثم

يقوم العريس فيتعحف الماشطة والوزيرتين يهدية من المال ويأتي الى عروسه فيقطع رملها ويلبسها القرباب وهو « قرن علج » ثم يشرع في مداعبتها وترقيصها رقصاً يعرف عندهم بالجلتج والدلع وذلك بأن يفمز خنصرها ويخز خاصرتها بظفر يريسه ويحدده لهذه الغاية فتتلوى العروس اذ ذاك وتتحرك حركات خفيفة رشيقة بحيث انها اذا كانت مواجهة له ووخزها بظفره تنقلب بخفة ورشاقة فتوليه ظهرها وتصبح صياحاً عالياً قائلة واي واي متبعة ذلك بأنات رخيمة وشهيق مستعذب. وفي أثناء ذلك تغني النساء غناء يسمى البلينة يصنف فيه العريس بالسخاء والمروءة والعروس بالجمال ورفعة اللبس . ويبقى اهل العريس في بيت العروس من ثلاثة الى سبعة واما العريس فيبقى مع عروسه في بيت ابيها الى ان تلد فيذهب بها الى اهل .

هذا وفي أثناء الاربعين يوماً الاولى لا تكلم العروس عريسها ولا تجيبه على خطاب بل اذا حسن كلامه في عيניה أجابته بابتسامة وإشارة في الرأس وإذا لم يكتف بذلك وأحب الجواب باللسان نقدها شيئاً من الدراهم فأجابته بما قلّ ودلّ ويسمى ذلك عندهم « كروة الكلام » .

وبعد تمام الاربعين يوماً يخرج العريس الى السوق ويرسل الى عروسه أفخر ما يجده فيه من اللحوم والخضرة والفاكهة فتدعو العروس صديقاتها وتقول لهنّ وليمة من هدايا العريس ويعرف هذا اليوم عندهم « بيوم البشة » ومن أقوالهم «العريس يعرف من بشته» أي يعرف كرمه وذوقه من نوع هداياه ومقدارها يوم البشة .

ومضى سبعة أشهر على العروس وهي حامل يوم العريس وليمة للأهل والخلان لنجاة العروس والجنين من الخطر . وهم يفرحون للصبي ويتكبدون للبتن ويطلقون على الولد اسماً في الاسبوع الاول من ولادته فيختارون في الغالب الأسماء الاسلامية مثل محمد واحمد وعلي وبكر وعثمان وعمر ومصطفى وعبد الله ولكن لهم أسماء خاصة بهم منها عند الجعليين : الزبير والريح والعاقب ومدثر ومزمل ومساعد ومردس . وعند الشايكية : خشم الموس .

وطنبل وعقشود وشقلمبان والكندو . وعند البقارة : حلة وبليلة وسكنشوش وملاح وشطة وجثاع ورباخ والنيل ومزمار والزاي والدكيم . وقد يصدرون أسماءهم بمحمد تبركا فمن كان اسمه حسن دعوه محمد حسن ومن كان اسمه احمد دعوه محمد احمد وهكذا . وأما أرقاؤهم فيلقبونهم في الغالب باللقاب جميلة يقصد بها أسيادهم منها للذكور : مرّ الجواب وعبد الأسد ودكّام (شجاع) وعجب سيده ومفتاح الخير وصباح الخير والله جابه وشطة وعبدالرجال وسعيد وسعد الله وبخيت وملك والماظ وفيروز وسوميت . وللاناث : تاج الملوك والصبر جميل وسمح حبيبه ودربه قاسية وتقبل ميزانه وبحر النيل وبيت الامان ولمن دامت وفوق قلوبهم والعزّ وهاط وقام النفاسيل والحي يشوف والله معانا والله وكيل وجنّه ويمامه وبخيتّه ومن قدره والسامر الله وكعب الغزال وبكي الحاسد ..

ويكفي الاب والام باسم ابنها البكر كما في مصر والشام فاذا لم يكن لهما ابن كنيّا باسم بنتها البكر كقولهم ابو سميدة وأم كلثومة وابو النية وهم يكونون الأماكن بأب وأم على السواء فيقولون بشر ابو طليح او بشر أم طليح . وعندهم كما في مصر والشام كنىّ معلومة لأسماء معلومة حملا على كنيّاها القديمة المشهورة في التاريخ فكنية ابراهيم ابو خليل وحسن ابو علي واسماعيل ابو السباع ومصطفى ابو درويش وعلي ابو سرحان وداود ابو سليمان وعثمان ابو عفان .

وهم مولعون بالالقباب يلقبون بعضهم بعضاً لقصد المدح او الذمّ فمن ألقاب المدح صقر الجور وقور الجاموس وكرّار وحقّار ورجل الكحل ودود بنقه اي أسد الحلا وبولاد الحليد وتمساح وجل الحامل والعنزة أم قرن وكاسر قيده . ومن ألقاب الذمّ الأضيئة والفارغ والتعيس والضبعة والرخمة وسجم الرماد والهوين .

هذا ومتى بلغ الطفل سن السنة حلقوا شعره بموسى وتصدقوا بوزنه ذهباً

او فضة وأولموا وليمة للفقراء ثم ضفروا شعره صغيرة واحدة وعلقوها بمنقعه عدة ايام ثم نزعوها عنه وخبئوها

وهم يطهرون اولادهم ذكورا وإناثا ولكنهم لا يحبون الطهور الباكر فقلما يطهرونهم قبل السنة السابعة . أما تطهير البنات فعلى نوعين : تطهير فرعون وعليه عرب النيل من دنقلة الى سنار وتطهير سنّة وعليه بادية اهل الغرب . اما تطهير فرعون فمن أفضح المادات البربرية المتخلفة عن عصور الجهل والخشونة وهي تقضي على البنات بالعذاب المرّ وقت الطهور والزواج وكل ولادة . وقد اجتهد عبد اللطيف باشا احد ولاية الفتح الاول ان يبطل هذه العادة البربرية وقاصّ كثيراً من النساء اللواتي يتولين أمرها ولكنه لم يفلح .

ويحوز لمن توفيت امرأته ان يتزوج أختها بمهرها ولكن لا بدّ له من أخذ القول في ذلك من أبيها قبل دفنها فهو يمسك قائمة النعش الذي تحمل عليه امرأته ويلجّ على أبيها بأن يعطيه أختها عوضاً فيجيبه أبوها الى ذلك خصوصاً اذا كان له اولاد . حكى ان رجلاً من الرباطاب تزوّج بنتاً من بنات أهله فعاشت معه عامين وماتت فلما حملوها الى الدفن امسك بقائمة النعش وشرع في البكاء وهو يطلب أختها عوضاً فزوّجوه بها فلم تمض على هذه اربع سنوات حتى ماتت ففعل زوجها أشد ممّا فعل في المرة الاولى من البكاء والنحيب وهو يطلب ان يعوّض عليه بأختها فشفق الجمهور عليه وأقوا يتشفعون فيه الى أبيها فصاح أبوها وقال : دعوني من هذا الرجل فلقد كاد يؤدي ببناي فمن كان يشفق عليه فليزوّجه بابنته اما انا فقد كفاي ما نابني منه .

وعرب السودان يرفهون نساءهم ويدللوهن الى الغاية فقلما تخدم المرأة في بيتها فالطحن والخبز والطبخ والغسل كله منوط بالجوارى وعلى الخصوص الغسل فان من اكبر المصائب على المرأة ان تضطرها الحال الى غسل الثياب ولا سيما ثياب رجلها واذا دخل رجلها وكانت جالسة او مضطجعة لا تتحرك من مكانها واذا أعوزته حاجة قضاها بنفسه او طلبها من الخدم وبذلك تعود

نساء السودان الترف والرفاهة حتى صرنَ اذا مشينَ تهادينَ في مشينَ على حدّ قول الشاعر :

قلتُ اذا أقبلت كزهر تهادى كنماج الفلا تعسفنَ رملا

وقد تسير المرأة ساعة فلا تقطع مئة خطوة ولا يتغير نعلها. وهي تحلف برأس أبيها لا برأس زوجها ولا تنطق باسم زوجها ولا تدعوه به بل تكتنيه باسم ولده البكر بأن تقول يا أبا فلان أو يا أبا فلانة وإذا لم يكن له ولد كنته باسم أبيه بقولها يا ود فلان . وهي قلما تقابل حماها أو تكلمه إلا بعد الولادة كما ان الزوج لا يقابل حماته ولا يكلمها إلا بعد الزواج ببرهة وذلك من باب الحياء . والمرأة لا تأكل طعاماً على مائدة مع زوجها حياء كما ان الزوج لا يأكل مع حميه أو حماته احتراماً وهو لا يجلس في حضرة حميه على كرسي أو سرير بل يجلس على الأرض احتراماً . وأما حماته ويسمونها بالنسيبة فاحترامها لها فوق كل احترام وأعظم حلف عنده الحلف بحماته فإذا قالوا لرجل ونسيبتك تقضي لي حاجتي وجب عليه بذل كل ما في وسعه لقضائها وكذلك اذا قالوا للمرأة ونسيبتك تفعلين كذا وجب عليها بذل الجهد في اجابة الطلب احتراماً للقسم . والذنب الذي لا يغفر للرجل عند المرأة ان يسب أباه أو أمها أو يذكرها بسوء وقد تندفع الى ضربه بالنعال وتذهب الى بيت أبيها ويندر بعد ذلك ان تعود اليه .

وكما ان الرجل يحترم حميه وحماته كذلك الجو والحماة يحبان صهرهما ويعاملانه كأحد أبنائهما ويبالغان في مداراته فلا يسيئان اليه مهما كان شأنه معها . ومن أمثالهم : « النسيب واحد من اليدين والنسيبة قشة في العين » . وابن الاخت عديم عزيز كالولد فالخال يعتني بابن اخته ويربيه كما يربي أولاده حتى لقد يزوجه على نفقته .

هذا وعرب السودان كعرب مصر والشام يحترمون العرض فوق كل احترام وليس للزانية عندهم من قصاص سوى القتل . ولكن عند عرب البقارة في غرب السودان عادة تعرف « بالخصن » وهي ان المرأة تسمع لمن أعجبها من

الرجال ان يحضنها أي ان ينام معها على طهارة حتى يتزوجها او تتزوج لغيره وأهل المرأة لا يعترضونها إلا اذا وطئها فترذل هي ومعشوقها . ويقال ان للجوامعة عادة ذميمة جداً وهي ان البنت لا تتزوج إلا اذا ولدت سفاحاً فتعطي أخاها الولد لاعانته ويعرف « بمائة خاله » .

وقد رمى بعضهم الجميلين وأهل الجزيرة باقتناء الجواري للفحشاء والانتفاع بكسبن وتعليل ذلك ان بعض حضر النيل كانوا اذا زاد عبيدهم وجواريه عن خدمتهم أرسلوه لطلب الرزق في أي عمل شاؤوا وفرضوا على كل منهم جملاً معلوماً يقتضونه كل يوم كأن يفرضوا على العبد مثلاً من غرش واحد الى ثلاثة غروش والجارية من غرشين الى خمسة غروش في اليوم فيشتغل الجواري بما هو من شأنهن كالطحن والخبز والطبخ في السوق ولكن يتغلب على بعضهم الكسل ودقاة الطبع فيتعاطين الفحشاء ويدفنن لأسيادهن من كسبن الجمال المفروض .

آلاتهم الموسيقية : وأشهر آلاتهم الموسيقية :

« النقارة » وهي طبل الحرب الخاص بملوكهم ومشائخهم تصنع من خشب متين كتنقاير السود او تصنع من نحاس فتسمى « بالنحاس » ولم يكن يقتني النحاس إلا الملوك او من سمح لهم الملوك باقتنائه من كبار المشايخ ثم أصبح كبار المشايخ يسمعون للمشايخ الذين دونهم رتبة باقتنائه . والنقارة والنحاس يضربان في المآتم والافراح كما يضربان في زمن الحرب .

« والدوكة » وهي آلة الرقص عند جميع الحضر على شبه الدريكة إلا انها زوج كالنقارة اي أم وشتم يضرب كلا منها امرأة بقضيب او باليد على نغم معلوم .

« والدريكة » وتعرف عندهم بالدوكة ولكن لا يستعملها إلا المولدون . « والزمارة » على شبه الزمارة المصرية تصنع من قصب وقلما تستعمل في غير البادية .

« والطار » وهو الطار المصري المعروف الا انه في السودان يستعمل زوجاً ثانياً مرة .

« وام فصيل » وهي آلة تشبه الطنبورة إلا انها أصغر منها وتضرب بقوس صغير له وتر من شعر على نحو قوس الكنجة .

« الطنبيل » وهو طبل صغير من خشب على هيئة الطست مجلد بجلد ماعز وله مقبض من جلد يُمسك بالشمال ويضرب باليمين وهو خاص بالتكارنة الذين يأتون للحج من السودان الغربي يضربونه للشحاذة به فيتبعهم ضيائن العرب قائلين : الطنبيل طنبيل جدنا . كيلولنا مدنا . يعيشنا ويفديننا . محاكين بهذه السجعات صوت الطنبيل .

رقصهم : وهم مولعون بالرقص والطرب كسائر أهل السودان ويجتمعون للرقص رجالاً ونساء إلا ان الرقص خاص بالنساء ولا يرقص الرجال الا إتماماً لرقصهن والرقص عندهم انواع اشهرها :

« رقص النقارة » وهو الرقص على ضرب النقارة وخاص بعرب البادية وفيه تضرب امرأتان النقارة وتغنيان وامرأة ترقص وقد يرقص معها رجل وباقي الحضور يصفقون .

« ورقص الدلوكة » وهو الرقص على ضرب الدلوكة وفيه تضرب امرأتان الدلوكة وتغنيان وامرأة ترقص وقد يرقص معها رجل . وهذا الرقص شائع في جميع حضر السودان وهو أرشق وأعم من رقص النقارة .

« ورقص الطنبورة » وهو الرقص على صوت الطنبورة وخاص بعرب الشايقية والرباطاب . والطنبورة عند هؤلاء كالللوكة عند سائر حضر السودان : وضارب الطنبورة هو الذي يغني .

« ورقص الطنبور » وهو الرقص على غناء الطنبور اما غناء الطنبور فهو أصوات كسجع القمرى يخرجها الرجال من حلقهم وصدورهم والرقص عليه خاص بعلمية القوم وتشترك فيه المخدرات من النساء وفيه تجتمع النساء والرجال حلقة فيبدأ احدهم بإنشاد الاشعار فيقول الشيلة « اللازمة » فيكررها بعده

جماعة منهم ثم يشرع آخرون في غناء الطنبور والكل يصفقون بأصابعهم ويضربون الأرض بأرجلهم وعند توقيع النشيد والطنبور وفرقة الأصابع وضرب الأرجل على نغم واحد تبرز إحدى المندرات إلى وسط الحلقة فترقص على هذا النغم رقصة لطيفة فتبرز رأسها إلى كل جهة وتحني جسمها إلى الوراء أحياناً حتى تمس الأرض بجبهتها وهي في كل آونة وأخرى تقرب من الحلقة فتزجي أحد الشبان « بشبالها » أي بصفائها تحبباً وإذا أرادت الانصراف رمت بشبالها إحدى النساء دلالة على أنها تدعوها إلى الرقص . وقد يرقص اثنان أو ثلاث من النساء معاً . ويعرف هذا الرقص عند أهل النيل أيضاً بالزوزي وعند أهل كردوفان بالجراري .

ومن أنواع الرقص عندهم « رقص الجلّج » ورقص الشكلي » وقد تقدم ذكرهما . ومنها رقص الدّهلة وهو الرقص على ضرب الدّهلة ويسمى رقص ام صليب لأن الراقصة تهز صلبها وهي ترقص وهذا الرقص مأخوذ عن مصر ولا يعرفه إلا المولدون .

سلامهم : وسلامهم المصافحة باليد . وإذا اجتمع صاحبان بعد فراق طويل تعانقا بالاكْتاف وذلك بأن يحمل كل منهما يديه على كتف الآخر ويضمه إلى صدره وينقل رأسه من كتف إلى كتف مرتين أو أكثر ثم يأخذ يد رفيقه ويقبلها . وإذا كان أحدهما قد فقد حبيباً في أثناء فراقها فعند اللقاء يبسط كل منهما يديه رافعاً إياها نحو السماء ويقرأ الفاتحة بصوت منخفض ثم يتصافحان . هذا في سلام الرجال أما النساء فسلامهن التقبيل في الوجه كنساء مصر والشام وأما سلام النساء على الرجال فبين الأقارب تحني المرأة رأسها للرجل فيقبله وهي تقبل يده وإذا كانت المرأة مسنة قبلت رأسه وهو لا يقبلها . ومن كلامهم في اللقاء : كيف حالك - الله يبارك فيك . طيبين مك طيب - طيبين الحمد لله الله يملك . كيف انكم - ترى الحى بيتدردر يقع ويقوم . الحمد لله بالسلامة - الله يقبل حدك ، المويلة والبهيات كيف حالهم لعمل ما عندهم عوّجه - الحمد لله تراهم مشع الله يكفيهم شر المن هنا وجاي .

زريعاتكم كيف انهن - والله عاد محمد الله ان ختين أي سمن من الدودة والجراد ما عندهم كعوجه . الدنيا كيف انها معاكم - الحمد لله السنة دي زنين . وعند الوداع يقول الواحد للآخر سلم على اللي قدامك .

مجالسهم : وغالب مجالسهم في فناء منازلهم في ظل الاشجار يجلسون على عنكريبات مربعين او يجلسون القرقصاء او مربعين على ابراش في الارض وقلما يجلسون على الكراسي . ولجلوسهم مسح ملوكهم آداب يأتي ذكرها في باب التاريخ . والمقام الاول عندهم بعد مقام الملوك للعلماء ثم للشيخ فاذا حضر العامة مجالس هؤلاء جلسوا في الارض على ركبتهم تأدباً لهم . ولا يتكلم الشاب في حضرة ابيه او اخيه الاكبر ولو كان افصح منه لساناً وأجلى بياناً . وحكم الجماعة عندهم مرعي كحكم الشرع ...

هذا والتحذرات من النساء لا يجلسن مع الرجال إلا اذا كان الرجال من أقاربهم الاذنين واذا نذبت امرأة الى مجلس رجال تثلث بثوبها حتى لا يظهر من وجهها إلا عيناها وجلست مطرقة في الارض وتكلمت بصوت منخفض واذا زارها رجل في منزلها كلمته من وراء جدار . واذا مرت بمجلس رجال خلعت ثعلبها وسترت وجهها اما الجارية فتخلع ثعلبها وتكشف رأسها . واذا جلس الرجال على جانبي الطريق فهي لا تمر في الوسط بل تنتظر حتى يقوم فريق منهم الى الجانب الآخر او ترجع . واذا كانت راكبة ترجلت عن دابتها ومرت ماشية . ونساء السودان يركبن وجنبهن الأيمن نحو رأس الدابة على نحو ركوب نساء الافرنج .

ومن آداب الشارع عندهم عدم الاستعجال في المشي والامتناع عن الأكل والصغير والضحك بصوت عالٍ والغناء والمشاجرة والبول الى جانب الطريق وعدم المطالبة بدين قالدائن لا يطالب بدينه في الشارع كما لا يطالبه عند الفجر او بعد الغروب .

عهودهم : واذا أراد اثنان المعاهدة على امر هام جمعا المصحف الشريف

بينها مفتوحاً على سورة براء ووضع كل منها يده اليمنى عليه وبعد قراءة الفاتحة والصلاة على النبي ينطق كل منها بهذا القسم : « بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة المنتقم الجبار وحق هذا المصحف الشريف اني أكون صادقاً في عهدي » وأهل البادية الغربية يقولون : « كتاب الله في عيني في بيتي في اهلي كتاب الله يطمسني طمسة القرد اذا نكثت بعهدي هذا » واذا ضاع لهم شيء عزيز حملوا المصحف على عود طويل وطافوا به الجهات منادين : « كتاب الله جاكم من رأى الشيء الفلاني يرجعه لصاحبه » . هذا وتحلف الام بحياة ولدها والاخت بحياة أخيها وبحياة الله والنبي والأولياء وحياة كل عزيز . ومن أقسامهم قولهم « حرّم الكلام دا صحيح » أي عليّ الطلاق هذا الكلام صحيح .

وعندهم الرتيمة للذكرى وهم في الغالب يعقدون معصم اليد بخيط او منديل ، او يضعون خاتماً في احد أصابعهم ونحو ذلك .

طبهم : وطبهم عرفي يتوارثه الخلف عن السلف فاذا مرض احدهم زاره أهله وجيرانه ووصف له كل منهم علاجاً فيتعخذ المريض العلاج الذي يظنه أنفع له وقد تقدم لنا ذكر أشهر الأمراض الخاصة بالسودان وطرق معالجتها عندهم ونذكر تحت هذا الباب : « علاجهم للجروح » وذلك انهم يصبون عليها السمن مغلياً ثم يغمسون قطنة في السمن البارد ويضعونها عليه ويربطونها ويكررون ذلك كل يوم مع مراعاة النظافة التامة الى ان تبرا ، هذا في الجروح البليغة وأما الجروح الخفيفة فيعالجونها برشها بالملح او البارود او البن ثم بالقطنة والسمن البارد . وتشفى الجروح في السودان بسرعة لا تكاد تصدق . واذا شكى عليهم ثقلاً في رأسه وعيليه طلب الحجام فحجمه في فقرته وفي قبة رأسه . وأهم شراباتهم : شربة السمن وهي مقدار رطل مصري من السمن يسخن ويشرب على الزيت ومنهم من يكرر ذلك خمسة أيام متوالية ولا يشربون ماء بارداً معها لئلا تولد زحيراً . وشرية السنامكي يشرب منقوعها مع منقوع التمر الهندي والسكر . وفي جزيرة مغرات تراب معدني يعرف بالجرديفة

يعالجون بمنقوعه المنقص ووجع المعدة والأمعاء ويمزجون التريبة بالبوزة والمقويات ويعالجون بها داء الزهري . وأشهر مقوياتهم مزيج مركب من العسل والسمن والثوم والبلح على هذه الصورة : تغلى ثلاثة أرطال عسلاً الى ان ترغو فيضاف اليها ثلاثة أرطال سمناً بقرياً ويغلى المزيج ثم يجعل فيه نصف رطل توماً بعد تقشيره ويغلى الى ان يحمرّ الثوم فيخرج منه ويموض عنه بنحو ١٥٠ بلحة من البلح الابريمي بعد نزع نواه ويؤكل منه كل يوم على الريق وقبل النوم ولا يؤكل معه المغلطات ولا اللحم البقري فيكون منه عافية وقوة . وهم يعالجون النسل والبواسير بهذا المركب : رطل فلفل اسود وابيض ونصف رطل زنجبيل وربع رطل خولنجان وسدس رطل قرفة ورطلان سكرأ تدقّ جميعاً وتتخل وتؤخذ مع الشاي او تؤخذ سفوفاً على الريق . ويعالجون السل بالشطة وحدها بأخذها مع كل طعام بدل الفلفل . ويعالجون الحنازيري (التهاب الغدد الليمفاوية) بشقها وذرّ الزرنخ على الجرح .

وعندهم كثير من الدجالين يعالجونهم بالتعزيم وكتابة الاحجبه في علاج لكل داء عياه وقلما تجدد احداً من اهل السودان ولا سيما النساء إلا حاملاً حجاباً او أكثر . ومن علاجاتهم ان يكتبوا سوراً من القرآن على لوح ثم يفسلون الكتابة بماء ويشربون الماء للاستشفاء به .

ويهتم بالمرضى امه وزوجته واخته وعمته وخالته . وفي سؤالهم عنه يقولون عسى طيب النهار دا . المولى يعفو عنه ان شاء الله . وعند تفشّي أمراض وبائية يذبحون الذبائح ويوزعونها على الفقراء والمساكين رجاء رفع الأوبئة عنهم والذين لا قدرة لهم على ذبح الذبائح يسلقون الذرة ويوزعونها ويعتقدون ان الوباء يذهب مع البخار الذي يتصاعد منها ولا يسلقونها إلا عند طلوع الشمس وغروبها . وبعد أكل الذرة يطوف الأولاد في الشوارع منادين : « يا لطيف لم تزل . أطف بنا فبا تزل » او ينادون « يا خالقنا نحن ضقتنا » .

ومن عاداتهم عند رؤية الهلال ان يقولوا « اللهم اعطنا خيره واكفنا شره » ثم يوقدون النار امام منازلهم ويهتفون بعضهم بعضاً فيقول الواحد « الشهر

مبارك عليكم ، فيجيبه الآخر « علينا وعليكم » ثم يقول الاول « اغفوا عنا ، فيجيبه الثاني « عافين عنكم » وهذه عاداتهم في أيام المواسم والاجياد وهي من أجل عاداتهم .

وقد اقتبسوا عادة الاحتفال « بشم النسيم » من المصريين وتقلدوهم في سحق رؤوس البصل وصبغ البيض والاستحمام في النيل والخروج للتنزه في البساتين . ومن عاداتهم في الحروب انهم يأخذون كبار قتلى أعدائهم فيقطعون رؤوسهم ويعلقونها في الشوارع العمومية اشهاراً للنصر . وأما السود فيقطعون أيدي قتلى الأعداء ويضربون بها النقارة الى تنقن فيرمونها .

ومن قتل وحشاً مفترساً جرّده من ثيابه وألبسوه ثياب النساء وحلاهن من عقود الخرز وغيرها وضمفروا شعره صفائر دقيقة كصفائر النساء وحبسوه في بيت مظلم سبعة أيام ثم أخرجوه الى النيل للاستحمام به ووسموه في جبهته أو كتفه علامة لقتله الوحش المفترس وتغييراً لسحنته ثم أولوا وليمة فاخرة فرحاً بسلامته .

« وقيودهم » الشعبة والمكية أخذوها عن السود والزنجير المعروف والقيود وهو على صورة المكية إلا انه اخف منها ولا يقفل بمفتاح . « وألعايهم » الخاصة بهم : السبيجة وهي تشبه الداما والطاب وغيرهما وعندهم من ألعاينا الداما والمنقلة والنرد (الطاولة) والدومنو والورق .

مآثمهم : ولما تم ضجة عظيمة وجلبة كسائر أهل السودان . فإذا احتضر عليلهم اجتمع أهله الرجال فأبعدوا عنه النساء وأحاطوا به يعللونه حتى تفارقه الروح فيضعونه على عنكريب ويفطونه بثوب نظيف ثم يرفعون أصوات البكاء والتعديد فتعلم النساء انه فارق الروح فيصحن وينتحن ويحثن التراب على رؤوسهن ويلاطنن وجوههن « بالسجّم » والرماد ثم يدخلن غرفة الميت ويجلسن حوله للبكاء والنحيب ويخرج الرجال فينعونه الى البلاد المجاورة ويجلسون في فناء المنزل لاستقبال المعزين . وعند مجيء الجيران يخرج النساء باليت الى حوش الدار لعمل المناحة وتأخذ النادبات النحاس للضرب عليه او

يأخذن قرعة يابسة فيضعنها في طست فيه ماء ويمجانه طست آخر لا ماء فيه فيضربن على الطستين ضرباً محزناً ويشرعن في ندب الميت وتعميد مناقبه وإذا حضر الماتم نساء حديثات عهد بالحزن ندب النادبات موتهن أيضاً وعددن مناقبهم كعادة النادبات في مصر والشام . وفي أثناء ذلك ترقص الحزاني بالسيوف والمصي ويصعن صيحات مزعجة تفتت الأكباد .

ومن أقوالهن في التعميد : واسجماه ، واحزاه ، وامصيته ، يا حليلك هاي ، يا شديد الحيل ، يا جمل الشيل ، يا مقنع الكاشفات ، يا التفرج الضيقات ، يا راجل الحكام ، يا أب فهم كثير في المجالس ونحو ذلك . ومن أقوال النادبات في المناحة :

بقطع يحرق النّم دقر (ثعبان) الهيثة حارقة السم
من أبوابه هو مقدم ديمًا خصيمه لاغي الدم
ومنها : شدوا لك الهجين دقوا لك السنين (السيف)
اخوي خواجه مو مسكين يا الخير ميتك هجيمه (مصيبة)

أما الرجال فبعد استقرارهم في فناء المنزل يشرعون في التهليل وهو قولهم : « لا إله الا الله محمد رسول الله » فيكرره كل منهم على السبعة مراراً معلومة حتى يكون مجموع تهليل الكل ٧٠ ألف مرة . او يقرأون سورة الاخلاص وهي : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » مئة ألف مرة .

وفي أثناء ذلك يفسلون الميت ويكفنونه ويمحلقونه بالمناوبة على الاكتاف الى القرية وتتبعهم النساء كاشفات الرؤوس لا يسترها الا التراب او الرماد وبينهن قريبات المتوفى واحدة متقلدة سيفه واخرى ثوبه واخرى جبته او عمامته وبعضهن يلبسن الفراء في أصلابهن ويتحزمن بالحبال السود وهن يندبن ويبكين حتى يصلن القرية فيجتمعن حلقة كما كن في حوش المنزل ويحددن الندب والبكاء والرقص على أصوات التصفيق بدل النحاس وهو المعروف عند سكان النيل « بالمدى » .

أما التربة فهي حفرة واسعة في جنبها حفرة ضيقة فيدفنون الميت في الحفرة الضيقة يوضعه على جنبه الأيمن متجهاً نحو مكة المشرقة ثم يسقفونها بطوب وطنين. ويأخذ كل من الحضور شيئاً من التراب فيرميها به ثم يردمون الحفرة الكبرى ردماً محذباً كسنام البعير . ويدلون على القبر بحجر فوق رأس الميت وحجر فوق قدميه وطبقة من الحصى الفرانيتية بينها . ويضعون عند القبر طعاماً في قدر وماء في قدر أخرى تصدقاً عن روح الميت ويكررون ذلك في كل قليل من الايام . وربما وضع بعضهم في اليوم الاول قليلاً من الذرة في قدر مبلولاً بالماء فينبت ثم يذبل ويحف فيمثلون بذلك حياة الانسان على الارض. واذا كان المتوفى فقيهاً او عالماً او شريفاً نصبوا عند قبره راية بيضاء او ملونة تنويهاً به واذا كان من الأولياء الصالحين بنوا فوق قبره كوخاً من حجر وطنين او بنوا قبة ومزاراً وزاروه في المواسم والاعباد .

وبعد الدفن يعود اهل المأتم الى منزل الميت فتعود النساء الى الندب والبكاء ويجلس الرجال لاستقبال المعزين الذين يأتون من الجهات البعيدة افواجاً رجالاً ونساء مشاة وركباناً ومعهم زادهم من الذبائح والذرة والسمن ونحاسهم محمول على جمل وعند وصولهم البلدة يضربون النحاس وتزغرد النساء زغاريد الحزن فيخرج اهل الميت رجالاً ونساء لاستقبالهم فيصطف الفريقان صفين خارج البلدة النساء قبالة النساء والرجال قبالة الرجال ثم يشرعون في البكاء فيضع الرجل ثوبه على فمه ويبكي بكاء عالياً وهم يسرون الهوينا حتى يلتقي الصفان فيشتد البكاء ثم يقوم اهل الميت مقام المعزين في تعزيتهم وتهوين المصاب عليهم بقولهم : « هذا أمر الله وارد على الجميع والمصيبة واحدة وعظم الله أجرنا وأجركم » ثم يقولون استغفروا استغفروا ويدخلون البلدة لتجديد المأتم . وعند الجمليين عادة تعرف « بالشوقار » وذلك انهم عند التقاء الصفين خارج البلدة يتسابق الفرسان على خيولهم او هجنهم ويتصارع المشاة بالسيف والدرق وترقص النساء بالسيوف الى ان يكلل الجميع فيذهبون الى منزل الفقيد لتناول طعام الظهر ثم يعودون الى « العرضة » عند العصر ويبقون على ذلك ثلاثة

ايام ثم ينصرفون الى بلادهم . واما اهل البلدة فانهم يبقون مع اهل الميت يشاركونهم في النوم على الارض الى نهاية السبعة الايام الاولى . واما اقارب الفقيد فانهم يشاركون أهله الاخضاء في النوم على الارض الى نهاية الاربعين يوماً . وفي أثناء ذلك يرسل اهل البلدة الطعام من بيوتهم للمأتى مساعدة لأهل الميت . ثم في مدة السبعة الايام الاولى يتصدق اهل الميت عن روح فقيدهم فيخرجون الطعام للمساكين كل يوم صباحاً ومساءً ويقرأون القرآن كل ليلة . وفي اليوم السابع يخرجون الى التربة فيقرأون القرآن ويتصدقون عن روح الفقيد ثم يفعلون ذلك كل جمعة الى نهاية الاربعين يوماً فيعملون صدقة تسمى صدقة الاربعين وهي خاتمة المأتى . وبعد ذلك يعود اهل الفقيد الى النوم على الأسرة وتفصل النساء ثيابهن لتزج المسوح والرماد وحدادهم سنة كاملة يمتنعون فيها عن التطيب ولبس فاخر الثياب والحلى رجالاً ونساءً . وأما زوجة المتوفي وأخواته فانهم يقبضن شعورهن حداداً عليه وتتقضي الزوجة عدة الوفاة لا تخرج من منزلها . ويركب الرجال الدواب بفراء مقلوبة وأما الشايقية فيلبسون طرابيشهم بلا أزرار علامة للحداد .

خرافاتهم : وأما خرافاتهم فعلى نحو خرافات العرب في مصر والشام إلا أنهم أشد تمسكاً بالخرافات من العرب في كل زمان ومكان . فعندهم السحرة والدجالون والمشعوذون من الرجال والنساء . ومن معتقداتهم السحر والزار والمندل والرمل وضرب الودع والمقعدة وكشف الدفائن وتفسير الاجلام والخيرة وكتابة الأحجية والاصابة بالعين والتشاؤم والتفاؤل ووجود الجن والعفاريت ونحو ذلك من الترهات التي لا طائل تحتها .

أما الزار فقد دخل السودان من مصر وكثر استعماله في بلاد سواكن وبربر والخرطوم . وأكثر اعتمادهم في تفسير الاحلام على كتاب ابن سيرين . وفي الخيرة على كتاب محي الدين بن العربي . وأما الرمل والمندل وضرب الودع وكشف الدفائن وعلم التنجيم فأكثر المشتغلين فيه هم السحرة والمشعوذون من التكاثر وغيرهم .

وأما العقدة فيشتغل بها فرع من بشاري الأتربة يعرف بالقرب فاذا أرادوا عقد انسان في مكان عزموا عليه فبقي في مكانه لا يبرحه حتى يحلوه واذا وضع أمامه طعام وعقدوه لم يستطع ان يمد الى الطعام يداً . قيل واذا سخر لهم جل عقدوه فيبرك ولا يقوم .

أما سحرهم فتدعي القدرة على مسح الاجسام أي مسح الانسان حيواناً والذكر أنثى وبالعكس. وقد أكد لي بعضهم انه رأى بعينه الباصرة خروفين صارا ثعلبين ورجلاً تحول مرعقياً واختطف ولداً. قالوا وانما يتمكن السحرة من مثل هذه الافعال السحرية باستعمال عروق نباتية تعرف «بعروق السحر» وكثيراً ما يشكو احدهم من ألم في الامعاء فيقول أهله ان ساحراً خرج وفيه عرق من عروق السحر فسحره أو أدخل فيه جنأ أو عفريتاً فسحب أمعاءه فيستدعون شيخ السحرة فيعزّم له ويسقيه ماء عرق من عروقه النباتية فيخرج العفريت منه ويبرأ .

ومن هذا القبيل اعتقادهم بشجرة الاكسیر قالوا هي شجرة ذات فرعين في كل فرع ورقتان فاذا وضع منها شيء على قصدير صيّرهُ فضة أو على فضة صيرها ذهباً إلا انها مجهولة المكان فمن عثر عليها جمع غنى الدهر وقد تعثر الغنم عليها في مرعاها فيدبر لبنها فمن شرب منه انفتح ذهنه .

ومن أنواع الجن التي يخوفون بها أولادهم : الشكلوة والدودو وأم بعلو فالدودو وأم بعلو بمثابة النمبع عندنا والشكلوة بمثابة الغول وهي في عرفهم حيوان ناطق بعين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة تعرف اسم كل شخص فتدعوه باسمه ولها أظافر حادة فاذا هاجت انساناً هشت وجهه لأنها تكره الحلقة البشرية . وأما الغول فهو معروف في حكاياتهم بأنه جن بسبعة رؤوس وشوشة كبيرة ينام سنة ويستيقظ سنة ولأنشاء ثديان كبيران تردّي أعلى جسمها بشدي وأسفله بأخر وتعرف بالسعلوة . وهم لا يتركون الطفل وحده حتى يصير عمره فوق السنة خوفاً عليه من « القرينة » فاذا حصل له تشنّج

عصبي مما يحصل للأطفال ولم يسلم منه قالوا قريته قتلته ويعرف هذا التشنج عندهم « بأم الصبيان او حبوبة العيال » .

واذا شكى طفل لهم من وجع على حين غفلة ولم يروا السبب قالوا أصيب بالعين . ولمعرفة المصيب يسيلون قطعة من الشب مع قليل من الملح والقرص والكون على النار ويبخرون بها المصاب ثم يرشون الماء عليه فيجمد ويتكيف بصورة يستدلون بها على المصيب فإذا اشتبهوا بأحد أخذوا قطعة من ثوبه وأحرقوها وبخروا بها الطفل ثم رموا الشب من وراء ظهورهم في قارة الطريق . قالوا وفي سنار يبيس يبخرون به المصاب فينطق باسم من أصابه .

وهم يكثر من لبس الاحجية يجعلونها في علب صغيرة من الذهب أو الفضة أو الجلد أو الحرير ويلبسونها في زنودهم او يعلقونها في رقابهم فيدلونها الى ما تحت الأباط أو الركب وبعض النساء يعلقنها بشعر الرأس أو بالحجاب الهيكلي كما مرّ وذلك لدرء العين والجن والرصاص والأمراض وبالأجمال لجلب كل نافع ودفع كل ضار . بل هم يعلقون حرزاً لكل شيء يخافون عليه من العين فترى في كل منزل جديد فوق عتبة الدار صحناً من الصيني وفي كل بستان زاهر تمثالاً من الخشب أو هيكلًا من العظام . وفي عنق كل دابة سمينة حذاء صغيراً أو خرقة زرقاء لدرء العين .

وهم يتشاءمون من الأعور والأعرج وكل ذي عاهة . ومن تناول الصابون بباطن الكف خوفاً من انه يورث البغضة فيتناولونها بظاهر الكف . ومن رش الماء على شخص فانه دليل على فراقه . ومن مسح اليد بثوب آخر أو سكب ماء على يد آخر من وعاء مفتوح كالقرعة أو شرب اثنين في قنجان واحد أو مسح اثنين يديهما في منديل واحد فانه أدلة على البغض . ومن عواء الكلب من صدره فانه دليل على موت واحد من الأهل . ومن لبس الرجل اللباس وهو واقف فانه دليل على الفقر فلا بد من لبسه جالساً وربطه واقفاً . ومن استعمال القص ليل فانه مجلب للشقاق . ومن استعمال الابرة ليل فانه مجلبة للعمى . ومن الكناسة ليل فانه مجلبة للموت فإذا اضطروا الى الكنس

أحرقوا طرف المكنسة وكنسوا بها . ومن صباح الاجرد فانه دليل على الفشل ومن أمثالهم « صباح القروود ولا صباح الاجرود » . ومن ضرب الكلب او القط ليلاً خوفاً من شلل اليد . ومن هز الرجل عند الجلوس فانه دليل على الفقر . ومن الصغير ليلاً فانه مجلب للآفات والحيات . ومن العطاس فوق رأس المريض خوفاً من موته او ازدياد مرضه فاذا عطس فوق مريض أخذوا عوداً وقطعوه نصفين ورموا قطعة الى جنبه الأيمن وقطعة الى جنبه الأيسر . ومن كنس الدار يوم الخميس خوفاً من طرد الخير إذ الخير في اعتقادهم يجيء يوم الخميس . ومن رؤية الغراب والبومة والارنب فانها دليل على الخراب . ومن الخيل اذا كانت « جبراس » فان راكبها لا ينجح كيف سار . ومن خياطة الثوب وهو ملبوس خوفاً من الفقر . ومن رؤية الوعاء الفارغ فانه دليل على الفشل فمن خرج لقضاء حاجة فالتقى بإنسان حامل إناء فارغاً تشاء منه وقد يقف في مكانه حتى يعود حامله به ملأناً .

وهم يتفاءلون بقلج الأسنان ورؤية طائر الجباري . واذا سافر لهم حبيب أخذوا تراباً من اثر قدمه اليمنى وجعلوه في كيس وحفظوه الى حين رجوعه وقد يكتبون على يد المسافر « لا إله إلا الله » وعلى يد المقيم « محمد رسول الله » تقاولاً بالاجتماع . واذا خرجوا للغزو وصاح « طائر الخير » (وهو طائر صغير شبه الحمامة) فإن كان عن يمينهم تفاءلوا به خيراً وإن كان عن شمالهم تشاءموا منه ورجعوا عن الغزو وإن كان أمامهم استدلوا على انه سيكون قتال شديد بينهم وبين أعدائهم وإن كان وراءهم علموا ان العدو يطاردهم من خلف . وعندما طنين الأذن اليمنى شؤم وطين الأذن اليسرى فال . واختلاج الجفن الاسفل شؤم واختلاج الجفن الاعلى فال . واندفاق الماء من وعاء في الارض شؤم واندفاق القهوة في الارض فال . وحوم الفراش الاسود على السراج شؤم وحوم الفراش الابيض على السراج فال . وغسل الثياب يوم السبت شؤم وأكل اللبن يوم السبت او أكل البصل والسملك يوم الاربعاء فال . ومن أمثالهم « من سبت بلبن سر بمثله » .

وإذا أقبل عليهم شخص يكرهون محضره كرّروا قولهم : « ستة في ستة سنة وثلاثون » وكرّروه أيضاً إذا تأخر رسولهم وتوقعوا من تأخيرهم شراً . وإذا فارقهم رجل ثقيل رموا وراءه عوداً وقالوا : « جدعناك بعود ان شاء ما تعود » . وإذا تعددت أسباب انبساطهم توقعوا شراً كما انهم إذا تراكت عليهم المصائب توسموا فرجاً على حد قول الشاعر :

ضاقّت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ومن شرق بريقه قال : احد الناس يفتابني . ومن سقطت اللقمة من يده وهو يأكل كان أحد أقاربه يذكره فإذا سقطت على صدره كان له حبيب جائع . ومن أصابه فواق اثموه بسرقة او فاجأوه بخبر يرّوعه فيذهب الفواق عنه . وإذا نطق احدهم بكلام سبق به فكر من يخاطبه قال له : « عرك أطول من عمري » . وإذا عطس بجانبه اتخذ العطاس مصداقاً لكلامه ومن أقوالهم : « ان أصدق الحديث ما عطس فيه » . وإذا لمبت اللقطة بيديها في الحصر انتظروا قدوم ضيوف . وإذا وقع وعاء من خزف فانكسر قالوا « انكسر الشر » . وإذا وقعت شرارة من النار على ثوب جديد فأحرقته حرقاً مستديراً قالوا « خير ان شاء الله » . وإذا وقع للولد سن وهو يبذل أسنانه جمع اليه فحمة وسبع حبات من الذرة ورمى بها الشمس وقال « يا عين الشمس خذي سن الحمار واعطني سن الغزال » . وإذا خسف القمر عمدوا الى النحاس وضربوه بالعصي الى ان ينجلي الخسوف . وإذا رأوا الشهب في السماء لم ينكلموا بعضهم بعضاً بل كبر كل منهم وقال لنفسه « وجعلناه رجوماً للشياطين » وإذا فقدوا شيئاً ففتشوا عنه وهم يكررون قولهم « يا بليس يا بليس لك الكيس ولي كيس ابليس اديني وأديك اذبح لك دجاجة وديك » . وإذا رأوا حب الذرة منشوراً في الطريق التقطوا منه سبع حبات وأكلوها احتراماً « للعيش » وإذا رأوا لقمة التقطوها وقبلوها وأكلوها وهم يعتقدون انها تضيء في الجوف كالشمعة ومن أمثالهم « لقمة الفنا تورث الغنى » .

وقد رأيت البعض يمدّون الى أكياسهم قطعة من النقود القديمة لكي تبقى

بركة فيها لأنهم يتشاهمون من فراغها . وإذا كانت الدجاجة تبيض في غير قنبا شكوا في أنفها ريشة لتبيض في قنبا . وإذا مر على شجرة سنة ولم تحمل ثمراً اخذ صاحبها فأساً وشرع يلاوصها فيأتيه صاحب له فيمنعه عن قطعها ويعده بأنها تحمل ثمراً في السنة المقبلة وبذلك تثمر الشجرة ان شاء الله . ومن أقوالهم « خذوا فالك من صغاركم » ولذلك فإذا اجتمع الأولاد للعب فأخذوا طبلية يضربون بها وحملوا سيوفاً من جريد وغيولاً من قصب قالوا ان حرباً آتية عليهم . وإذا رأوا طائراً محلقاً في الجو فوق بلدة تشاءموا وخافوا موت شيخ أو حاكم أو رجل عظيم . وهم لا يسمعون للحائض ان تملو شجرة لثلاً تيبسها ولا ان تتركب دابة لثلاً تقيتها ولا ان تمر فوق طفل لثلاً تمنع نموه فإذا فعلت أخذوا الولد وأجازوه فوقها سبع مرات ليدفعوا عنه الضرر . وزوج الحامل لا يذبح طائراً ولا يضرب حيواناً وإذا كان جزراً استأجر من يذبح له . ومن لم يعش لها أولاد سميتهم بأسماء الأرقاء وشحذت لهم الأكسية وألبستهم إياها . والنوم على جلد الضبع يمنع وجع الظهر . والركوب على جلد النمر يمنع البواسير . وعندهم ان الثعلب قاض للحيوان .

والأيام في اعتقادهم إما نبهية أو سعيدة فهم يعدون أيام الأشهر على الأصابع فالأيام التي ينتهي عددها بالأصبع الوسطى نحسة والباقية سعيدة وعليه تكون أيام النحس ٣ و ٨ و ١٣ و ١٨ و ٢٣ و ٢٨ من كل شهر فلا يتزوجون فيها ولا يسافرون ولا يزرعون ولا يبنون ولا يفصلون ثياباً . وقد مرّ ضابط أيام النحس والسعد في شعر زروق . وأما أيام الأسبوع فمقدم السبت للصيد والاحد للبناء والاثنين للسفر والثلاثاء للحجامة والاربعاء للشراب والخميس لقضاء الحاجات والجمعة للزواج .

القيافة : هذا ولأهل البادية نباهة طبيعية عجيبة في « القيافة » وهي قص الاثر أو الاستدلال بالأقدام والخواقر فإذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق أو طرقتهم طارق تلبعوا آثار قدمه أو قدم دابته حتى يظفروا به . ومن العجيب انهم يعرفون قدم الشيخ من الشاب والمرأة من الرجل والبكر

من الثيب والغريب من المستوطن والحر من العبد والحامل من غير الحامل والاعور من السليم والاسود من الابيض بل لو عرفوا ناقة ورأوا أثر ولدها في مكان عرفوه انه ولدها وذلك منتهى النباهة .

العرب في الغزو : واذا أراد عرب السودان الغزو تزودوا دقيق الذرة والابرية والسورج والبلح واللحم الناشف المدقوق والبايما الناشفة والبهارات والملح فوضعوها في أجربة ووضعوا الماء في القرب وحملوها كلها على الجمال والحير وساروا مشاة وركباناً تصحبهم الجوارى ومعهن الصيجان والحلل للخبز والطبخ . فاذا أرادوا الهجوم تركوا الحملة والنساء بمبدأ عن مرمى الرصاص وعليها الحفراء ووقفوا صفاً واحداً كل ربيع على حدته في مقدمتهم البنداقه وفي ساقتهم القائد العام مع المدد والفرسان في الجناحين وهاجوا العدو بقلب لا يهاب الموت وهم يمللون ويكبرون حتى اذا ما رأوا العدو بدأ البنداقه برمي الرصاص فاذا امتلأ الجو دخاناً اقتحم الحراية النيران تتقدمهم أمراؤهم على الخيل فاختاروا جهة قل فيها الرصاص واخترقوا صفوف الاعداء وأعملوا فيهم السيف والحربة واقتفى الفرسان أثر المنهزمين فقتلوا وأمسروا .

واذا أرادوا الدفاع حفروا للبنداقه خندقاً جعلوا من ترابه متراًساً بالمزاغيل ووقفوا وراءهم ارباعاً والفرسان من الجناحين والقائد العام في الورا في قلعة من المدد .

هذا ما تسنى لنا جمعه عن اخلاق اهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم . ويقال بالاجمال في جميع اجناس السودان ان لونهم اسود او مائل الى السواد . وسكنهم في أكواخ مستديرة هرمية الرؤوس في الجنوب ومريضة مسطحة السقوف في الشمال . وأكلهم الذرة والدخن والمصيدة بأدام من اللبن او اللحم في قصاع من خشب . وشربهم البوزة . وهم يتفقون على عدم لبس الخيط او لبسه في الشمال على قلة . وعلى ضفر النساء شعورهن صفائر دقيقة جداً ودهن الرأس بالشحم والزيت . وعدم خروج الرجال من منازلهم بلا سلاح وحبيبهم الغزو والحرب والقيد بالشعبة والمكية . واستعمال النقارة والحراي . واحترام

المرض . والضجة في المآتم . وحب الرقص والطرب والضرب على الرابطة .
والسلام باليد . واعتقاد السحر والخرافات .

وقد زار بعض الشعراء الخرطوم في الفتح الاول ماراً بشلال « دال »
وقام في سفره المشاق فنظم قصيدة مجونية بالغ بها في ذم السودان وأهله
قال فيها :

أقضي الليالي بالسر	والقلب ذاب من الفكر
والصدر ضاق من الفرا	ق ومن مشقات السفر
سفر الى السودان وال	خرطوم لم يك' منتظر
شاهدت أهوالاً به	ووجدت في « دال » العبر
تلك البلاد بأسرها	كجهنم ذات الشرر
أمراضها قتالة	وهواؤها يعمي البصر
فكأنما ريح السم	م تهب فيها من سقر
ريح تهب بلا انقطا	ع في المساء وفي السحر
ألوانهم كصخورم	سود كألوان الخبز
ومن العجائب لم تجد	فيها اللحوم ولا الخضر
حق ولا من موث	يشفي العليل اذا حضر
فيها الأفاعي والعقا	رب مثل تعداد الشجر
وجميع أنواع الوحو	ش الضاريات لها أثر
وبها البعوض مع التما	سيح التي منها الحذر
من كل قساح ترى	بالاغتيال له خير
ما حل في ساحاتها	من سائح إلا انذر
فأقمت فيها مدة	وأنا أبيت على خطر
لما رأيت الحال طا	ل ولم يعد لي مصطر
فارتتها متهلا	وأبيت مصر على الأثر

ولو ذهب هذا الشاعر اليوم الى الخرطوم ورأى ما فيها وفي الطريق اليها
من دلائل الاصلاح لبدل شعره بما هو أليق بالسودان وأهله وتمنى عيشة
الخرطوم .



عادات السود



(انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني)

الجزء الثاني

في

تاريخ السودان

القديم

(وفيه خمسة أبواب)

★

THE ANCIENT HISTORY OF THE SUDAN

الباب الأول

في

تاريخ ايثيوبيا

« وهو تاريخ البلاد منذ عهد الدولة المصرية السادسة سنة ٣٧٠٣ ق م الى دخول
النصرانية لبلاد النوبة سنة ٥٤٥ هـ ب م »

الفصل الاول

في

تاريخ ايتيوبيا قبل انتظام ملكها

« وذلك منذ عهد الدولة المصرية السادسة سنة ٣٧٠٣ ق . م . الى بدء الدولة الثامنة عشرة سنة ١٦٠٠ ق . م . »

حدودها : امتدت مملكة ايتيوبيا قديماً من الشلال الاول عند اسوان الى اقاصي الحبشة شمالاً وجنوباً ومن سواكن ومصوع على البحر الاحمر الى صحراء ليبيا شرقاً وغرباً وهي تشمل بلاد الحبشة ومعظم بلاد السودان .

اسمها : وقد عرفت ايتيوبيا في الآثار المصرية كما عرفت في التوراة باسم « كوش » . اما ايتيوبيا فهو الاسم الذي أطلقه اليونان على جميع بلاد السود والشديدي السمرة ومعناه الوجه الاسود او المحرق فهو على اطلاقه يشمل بلاد السودان والحبشة والعرب إلا انه يُخصر بالبلاد التي فيها كلامنا .

سكانها : واول من سكن هذه البلاد فيما نعلم « السود » وقد اختلفت العلماء في أصلهم فمن قائل انهم نشأوا في القارة وتشعبوا فيها قبائل شتى على ما نراهم اليوم ومن قائل انهم هاجروا اليها من آسيا عن طريق البحر الاحمر

قالوا وما كانوا سوداً بل كانوا بيضاً فسودتهم حرارة الشمس وطبيعة القارة
على توالي الأجيال كما قال ابن سينا في ارجوزته الطبية :

في الزنج حرّ غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بياضا

وأصحاب هذا الرأي لا يعمنون تاريخ مهاجرة السود الى افريقية او ربما
اضطروا الى القول بمهاجرتهم اليها من عهد بعيد قبل التاريخ لأنهم يختلفون في
أصلهم اختلافاً كلياً عن جميع السكان الذين هاجروا الى افريقية بعد التاريخ .
ثم ان اولاد « كوش » بن حام هاجروا الى افريقية بعد الطوفان فاستولوا
عليها فسميت باسمهم كما مر . ومهما يكن من اصل الايثيوبيين الاولين فالثابت
المقطوع به في التاريخ ان سكان البلاد التي جنوبي الشلال الاول كانوا منذ اول
عهد التاريخ كما هو اليوم مختلفي الاجناس عن سكان البلاد التي الى شماليه .
وكان الايثيوبيون في اول امرهم قبائل شتى لا تجمعهم كلمة ولا تربطهم
جامعة دأبهم الانشقاق وشن الغارات بعضهم على بعض كبادية هذه الايام .
ومن هذه القبائل المدونة أسماءها على الآثار المصرية .

« الأوايو » « Uauaiu » وقد سكنوا الصحراء الشرقية حيث العبادة الآن .
« والمزاو » « Mazaiu » وقد سكنوا جنوبيهم الى طريق بربر فسواكن .
« والبوانيت » « Puanit » وقد أقاموا بين طريق بربر فسواكن وجبال
الحبشة .

« والدنقس » « Dangas » وهم أقزام الى جنوبي البوانيت وقد سميت
بلادهم ببر الاظلال « Land of the Shades » التي « عدت » حيثئذ آخر المعمور
حيث الأحياء تلامس الأنفس المفارقة الاجسام وهي البلاد المعروفة باسم
« نجباي » بين الحبشة وزنجبار وقد كانوا في حرب دائمة مع الأحباش ولا
يزالون كذلك الى اليوم .

هذا ويستدل من الآثار ان قبائل الصحراء المجاورة لمصر كانوا كما هم في
هذا المهد يخاطون الحضرة على النيل فيأتون من صحرائهم بالمواشي وخشب

السنط والفحم والصنع والصيد وجلود الحيوانات والحجارة الكريمة ويقايضون منها الأقوات والأنسجة. وكان المصريون يسألونهم لمنع تعدياتهم والانتفاع بتجارهم ويجعلون لمشايخهم جملاً معلوماً يحرونه عليهم في كل سنة فيتمهدون بحماية الطرق وحفظ الأمن ولكنهم ما كانوا يقيمون طويلاً على العهد إذ كان خصب وادي النيل يغريهم فيغزونه من وقت إلى آخر فينهبون ويسلبون ويعودون بالنهب والاسلاب إلى صحرائهم . وكان المصريون أيضاً كلما فرغوا من حروبهم في الشمال يبعثون بالسرايا إلى تلك الصحراء وغيرها من بلاد اثيوبيا فيسبون ويفنمون من خيراتها ومعادنها . ويعودون إلى مصر فيدولون أخبار غزواتهم على جدران هياكلهم ومدافنهم كما يشاهد في الآثار المصرية الباقية إلى الآن :

بدء تاريخها : وأول من غزا اثيوبيا فيما نعلم الملك بي الأول ثاني ملوك الدولة المصرية السادسة (سنة ٣٧٠٣ : ٣٥٠٠ ق . م) فإنه أرسل قائده أونا « Una » إلى جهات كورسكو ليجمع بعض أنواع الخشب فساعدته قبائل تلك الجهات على جمعه وأقروا للملك بي بالطاعة .

وأرسل الملك متوسوفيس وهو الملك الثاني عشر من ملوك هذه الدولة القائد هرخف لغزو بلاد البوانيت فعاد بفنائم البخور والابنوس والعاج والجلود حملها على ٣٠٠ حمار وأحضر معه قزماً من الدنقس أتى به من بر الاطلاق وكان الملوك المصريون يُسرّون بقنية الأقزام في قصورهم لأنهم كانوا على زعمهم يحسنون رقص الآلهة فلما وصل هرخف بالقزم إلى أرض مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه أخوه بي الثاني فسُرَّ بخبر القزم وكتب إلى هرخف يأمره بإحضاره إلى ممفيس وهذا نص الكتاب : « واصحب معك في المركب بعض الحقرء لحراسته لثلا يقع في الماء أو يفلت في الليل لأنني أُسرُّ برؤية القزم أكثر من سائر الفنائم التي أتيت بها من بلاد البوانيت » . فحفر هرخف هذا الكتاب مع خبر غزوته على واجهة قبره في جزيرة الفنتين تجاه اسوان .

ثم لا نعلم شيئاً يذكر بين مصر واثيوبيا إلى أيام الدولة المصرية الثانية

عشرة (٣٠٦٤ : ٢٨٥١ ق . م) إذ نرى اوسرتسن الاول ثاني ملوك هذه الدولة قد عقد لقائده هونو « Huno » وأرسله الى بلاد البوانيت بطريق قفط والقصير لجمع الجزية من أمراء تلك البلاد. فعند وصوله الى القصير بنى مراكب كبيرة وسار بها في البحر الاحمر حتى وصل بلاد البوانيت فجمع الجزية من البخور وغيره من محاصيل تلك البلاد وعاد الى مصر .

وجرد هذا الملك حملة على ايثيوبيا بطريق النيل فمدّ حدود مصر جنوباً الى الشلال الثاني . وقد وُجد حجر في هيكَل تجاء حلفاً نُقل الى فلورنسا بإيطاليا وعليه صورة هذا الملك ويحانها صور مشايخ القبائل الثمانية الذين تغلب عليهم في هذه الحملة ومشايخ السود الذين تغلب عليهم في بداءة ملكه .

ثم جاء اوسرتسن الثالث خامس ملوك هذه الدولة فمدّ حدود مصر جنوباً الى شلال سمنه وبنى عنده هيكلًا لا تزال آثاره باقية الى اليوم . وقد وُجد هناك حجران يُجمعا الحد الجنوبي لمصر مكتوباً على الواحد منها ما نصّه : « هذا حد مصر الجنوبي الذي عُيّن في السنة الثامنة من حكم الملك اوسرتسن الثالث المخلد الذكر فلا يجوز لأحد من السود ان يتعداه إلا في سفن تقلّ أنقر والمعزى والحير من بلاده » وعلى الحجر الثاني ما يُفهم منه ان الملك المذكور وضع هذا الحجر في السنة السادسة عشرة من ملكه فجعله حداً فاصلاً بين مصر وايتيوبيا وانه أمر ان ينصب تمثاله في تلك الجهة فكان كما أمر . وترى في معتوقه في جنوب الشلال الثاني طابية من آثاره .

وفي جزيرة ارقو تمائيل وخرائب من ايام الدولة المصرية الثالثة عشرة (سنة ٢٨٥١ : ٢٣٩٨ ق . م) .

واما الدولة الرابعة عشرة (سنة ٢٣٩٨ : ٢٢١٤ ق . م) فلا نعلم شيئاً من أمر ايثيوبيا في أيامها .

وفي بدء الدولة الخامسة عشرة هاجم مصر الرعاة المعلقة من آسيا الجنوبية فتغلبوا عليها وملكوها ستاية سنة ونيفاً فكان منهم الدول المصرية ١٥ و ١٦

و ١٧ (٢٢١٤ : ١٦٠٠ ق . م) وكان المصريون يكرهونهم لأنهم غرباء فلم ينفك أبناء الملوك القدماء عن إغارة الفتن فشنلوم عن اثيوبيا . وهاجر في عدم كثير من المصريين الى اثيوبيا فراراً من ظلمهم فأسسوا عدة مهاجر أبا مهاجر ارقو الذي لا تزال آثاره ظاهرة الى اليوم .

الفصل الثاني

في

ملكة نبتة

« وهو تاريخ إثيوبيا منذ بدء الدولة الثامنة عشرة سنة ١٦٠٠ ق. م. الى نهاية الدولة الخامسة والعشرين من الدول المصرية سنة ٦٦٤ ق. م. »

ثم ان هؤلاء المصريين الذين هاجروا الى اثيوبيا أخذوا معهم من جميع أنواع الفنون والصنائع المصرية فحسن بذلك حال الاثيوبيين وتدرجوا في سلم المدنية وال عمران حتى انه لم تكن الدولة المصرية الثامنة عشرة (١٦٠٠ : ١٣٨٠ ق. م.) إلا رأيناهم مملكة منظمة وعليهم ملك منهم بل لم يتم الملك لأحمس اول ملوك الدولة الثامنة عشرة المذكورة إلا بمعونة ملك اثيوبيا الذي زوجته ابنته وظافره على طرد الرعاة من مصر وإعادة الاستقلال اليها . ويظهر ان هذا الملك الذي انتظم للاثيوبيين كانت عاصمته منذ نشأته مدينة نبتة عند جبل البرقل بقرب مروي المعروف في الهيروغليف بالجبل المقدس . ودامت العلاقات الودية بين مصر واثيوبيا الى حكم تحوتبس الاول ثالث ملوك هذه الدولة فانه غزا الاثيوبيين وانتصر عليهم وولى على البلاد التي فتحها امراء مصريين لادارة شؤونها وضبط أحكامها ولقب كل منهم بأمير اثيوبيا

الملوكي وقد دون خبر انتصاره هذا على صخرة في جزيرة طنبس عند الشلال الثاني .

وخرج السود في شاطئ النيل الأعلى على تحوتمس الثالث (سادس ملوك هذه الدولة) فحمل عليهم يجيشه ففر أكثرهم الى الجبال فأمر بنهب مواشيهم وأموالهم من ذهب وآنية معدنية وريش نعام وغير ذلك وهدم مساكنهم وأحرقها وعاد بالغنائم الى مصر . ولهذا الملك هيكل قائم الى الآن تجاه حلغا نقش على جدران تاريخ انتصاراته على الليبيين والفينيقيين وغيرهم . وكان قد شرع في بناء هيكل بمدة فأخه خلفه امنحتب الثاني ولا تزال آثاره الى اليوم وعليه كتابة تدل على ان هذا الملك أسر سبعة من ملوك الاموريين في تاخيس « Takis » من بلاد الشام فأرسلهم في الذهبية الملوكية الى ثيبة (الاقصر) فعلق ستة منهم على سور المدينة وأرسل السابع الى نبتة عاصمة اثيوبيا فعلقه هناك ليوقع الرعب في قلوب قبائل السود كافة . وهذا اول عهدا بمدينة نبتة .

وغزا امنحتب الثالث (المعروف ، ايضا بأمنوفيس الثالث تاسع ملوك هذه الدولة) اثيوبيا في السنة الخامسة من ملكه فانتصر عليها انتصاراً عظيماً ودون ذلك على صخرة بقرب جزيرة فيلي في جنوب الشلال الاول المعروفة الآن بجزيرة أنس الوجود . وعلى بعض الصخور بسمه كتابة تدل على انه توغل يحيوش في اثيوبيا وأسر من أهلها ٧٤٠ نفساً من ذكور واثاث وأطفال وقطع ٣١٢ يداً أحضرها معه بعد الغزوة . وبنى هيكلًا في عاصمة نبتة وضع امام بابه صفتين من الكباش الرابضة على هيئة أبي الهول . وفي صلب آثار هيكل من بناء هذا الملك وخلفه الملك امنحتب الرابع .

وغزا حورحوب آخر ملوك هذه الدولة الاثيوبيين فانتصر عليهم ورجع بالغنائم والأسرى ودون خبر انتصاره على الغار الكبير في جبل السلسلة شمالي اسوان حيث ترى صورته على شكل مقاتل حامل على كتفه فأساً كأنه يلتمس من الاله « آمن رع » دوام حياته وتأييد نصرته على اهل الجنوب وكان « آمن رع » قد انجاب دعوته فانتصر وعاد من غزوته راكباً هودجاً نفيساً

ومعه بعض رجاله وامامه الخدم يهدون له الطريق وخلفه الفرسان يقودون الأسارى ويليهم العساكر حاملين التروس والموسيقى العسكرية تصدح أمامهم ثم يأتي بعدهم جم غفير من الكهنة وأرباب المناصب الملكية لاستقبال الملك قائلين في مدحه « لقد قدم المقدس الفاضل بعد ان قهر. كبار الامم أجمع وقوسه تلمع في يده فعبدا هذا الملك القادر الفخيم الذي جاء برؤساء ايثيوبيا الأذلاء الأذنياء الأصل وجلب الفنائم بقوته العالية كما أمره آمن رع فنعمت هذه النصره الباهرة » وترى الأسارى يصيحون قائلين « يا ملك مصر وجه نظرك الينا وأعنا فأنت شمس الشعوب التسعة وقد اشتهر اسمك وبلغ أقصى ايثيوبيا فزع حريك وملأ قلوب الامم رعبك وانت في مكانك مقيم فانك شمسنا » .

وكان هذا الملك يأخذ الجزية من السود من فضة وذهب وأبنوس كما تشهد بذلك نقوش مقبرة الكرنك . هذا ما كان من العائلة الثامنة عشرة المصرية مع ايثيوبيا .

وقد رأيت في بعض التواريخ القديمة ان الايثيوبيين غزوا مصر في ايام موسى النبي واكتسحوا البلاد الى ممفيس فاستشار المصريون آلهتهم في شأن الايثيوبيين فأوحى اليهم ان ييخذوا جيشاً ويعقدوا لواءه لرجل من العبرانيين فاختراروا موسى قائداً على جيشهم وأطلقوا له الحرية ليفعل ما يشاء لردع الايثيوبيين فزحف موسى بالجيش على عاصمة ايثيوبيا ولم يتخذ طريق النيل كما انتظر الايثيوبيون بل سار بطريق الصحراء قيل وكان في طريقه ارض تموج بالحيات فأخذ معه في أقفاص من البيروس عدداً من طيور « ابي منجل » المصرية التي تصيد الحيات فلما وصل الى تلك الارض أفلتها من الاقفاص فأهلك جميع الحيات وفتحت الطريق للجيش فأطبق موسى على الايثيوبيين مفاجئاً لهم فانهمزوا شر انهزام الى عاصمتهم الحصينة فحصرهم فيها وكانوا يخرجون اليه ويناجونه فيردهم على أعقابهم خاسرين وكانت ابنة ملك ايثيوبيا في قصرها تشاهد القتال فأعجبتها بسالة موسى فوقع حبه في قلبها وعشقتة

فأمرت بذلك الى بعض رجالها الذين كانت تثق بهم وقالت لهم : اذهبوا الى موسى واخبروه بأنني أسلمه المدينة بشرط انه يتخذي زوجة له فأجاب موسى الى طلبها ودخل المدينة وتزوج بها. قلت وهذه من القصص التقليدية الخرافية التي لا دليل على صحتها .

ثم كانت الدولة المصرية التاسعة عشرة (سنة ١٣٨٠ : ١٢٣٠ ق . م) فكان لها من الشأن مع إثيوبيا ما كان للعائلة التي قبلها وأعظم فغزا ملوكها إثيوبيا وتغلبوا عليها وأقاموا الحكم لإدارتها وبنوا فيها الهياكل التي لا تزال شاهدة بسلطوتهم الى اليوم .

وأشهر ملوك هذه الدولة الذي كان له أعظم الشأن مع إثيوبيا رعسيس الثاني ثاني ملوكها (١٣٤٨ : ١٢٨١ ق . م) فانه غزا الإثيوبيين وانتصر عليهم وأقام في تلمس (كلابشة) هيكلاً صغيراً تادر المثال حفره في الصخر تذكراً لنصرته ولا يزال باقياً الى اليوم ويُعرف عند اهل كلابشة ببيت الولي وهو من أثن الآثار القديمة في مصر وإثيوبيا وعلى جدرانه نقوش صور وكتابات من أبدع صنع فترى فيها رعسيس الثاني راكباً عربية تجرها جياد الخيل وهي تهب الارض نهباً وهو يطلق سهامه على جيوش العدو غير المنظمة فينهزمون امامه الى الغابات . ثم ترى رئيساً من الإثيوبيين مجروحاً يحمله رجاله الى بيته وواحداً من اولاده يحثو التراب على رأسه حزناً عليه وآخر يركض ليخبر والدته وهي تطبخ على نار موقدة في الارض . ثم ترى رعسيس جالساً تحت مظلته الملوكية والإثيوبيين الذين تغلب عليهم وفي مقدمتهم أمير كوش (المسمى امينابت) يقدمون له الهدايا من خواتم وأكياس الذهب وجلود الفهد وعروش فخيمة ومراوح وسن الفيل وبيض النعام وغيرها . ثم يتقدم وفد من الإثيوبيين ومعهم أسد وثيران وغزلان ثم ترى جماعة من الرؤساء المصريين يتبعهم أمير كوش وبعض الإثيوبيين آتين بهدايا من النبات والجلود والقروود وظريف المعاني Camelopard وغيرها من الحيوانات . ولرعسيس الثاني هيكلاً آخر منحوت في صخر في الدر أقامه لعبادة

الاله آمن رع ذكر فيه أيضاً انتصاره على الإثيوبيين . وله هيكل من الحجر الرملي الصلب في السبوع وعليه . صورته يقدم البخور للاله آمن وهو يقول له « لك اعطي كل القوة واعطيك العالم بسلام » وفي أسفل جدران بعض الغرف أسماء اولاد رعيس وعدد ١٧٨ نفساً . ومن أعماله انه جدد استخراج الذهب والزمرد من معديتها في وادي الملاقي المعروف قديماً باسم اكيثا Akita الذي ينتهي عند النيل بكوبان تجاه دكا . وهناك آثار قلعة يظن انها من عهد رعيس الثاني وان القدماء كانوا يذهبون منها الى ذلك الوادي .

ومن بناء رعيس الثاني هيكل « ابو سمبل » على ١٧٠ ميلاً من الشلال الاول وهو هيكل عظيم منحوت في الصخر في منحدر أكمة مرتفعة فوق النيل اقامه تذكراً لانتصاره على الحثيين في الشمال الشرقي من سورية وهو اعظم الهياكل في إثيوبية الشمالية واجملها بل في صنعه ونحته من العظمة مع البساطة ما لا يوجد في غيره من هياكل وادي النيل كلها . وفي واجهته ثلاثة تماثيل هائلة لرعيسين الثاني تمثله جالساً ويداه على ركبتيه والتاج على رأسه وعلو الواحد منها ٦٦ قدماً وطول قدمه ١٥ قدماً وطول اذنه ٣ اقدام وه قراريط وكلها منحوتة في الصخر . وفي داخل الهيكل أعمدة من الصخر نفسه علو الواحد منها ١٧ قدماً . وفي صدره مذبح فيه تمثال هرغيس « Son God » ورعيس الثاني امامه يقدم له الطاعة وهناك صورة آمن رع وثوث وغيرهما من الالهة وأسماء اولاد رعيس . وعلى جدران الغرف كتابات بالهيروغليفة تبين تاريخ انتصاره على الحثيين والكوشيين اي الإثيوبيين وهناك صور الأمم الافريقية والآسيوية التي تغلب عليها وأمير كوش واقف أمامه . ولرعيس الثاني هيكل في نبتة باقية آثاره الى الآن وهو أقدم هياكل تلك المدينة .

هذا وفي جزيرة ساي خرائب من عهد هذه الدولة والدولة التي تقدمتها . ودامت سلطة مصر على إثيوبيا الى عهد الدولة العشرين (١٢٣٠ : ١١١٠ ق.م) فقد وجد ماريوت سنة ١٨٧٦ حجراً في شونة الزبيب بالعراة المدفونة بمصر مكتوباً عليه ما نصه : « ان الملك رعيس الثاني عشر (وهو

تاريخ الإثيوبيا

آخر ملوك هذه الدولة أصدر أمره الى « بيانخاس » حاكم الايثيوبيا ورئيس الأمم الاجنبية التابعة للدولة المصرية يقول له فيه : « أنفذت إليك مستشاري الرئيس ياني بكتاب ضمنته أوامري فمعد وصوله إليك ساعده على إنجازها بالحسن لأنه هو المكلف بإقامتها وعليك ان تلاحظ قوايت « المعبودة » وتضمها في سفينة وتأتي بها معه الى المكان الذي أعد لها واحضر معك الحجاره النفيسة للصناع واحذر من التأخير في إنجاز هذه الأوامر وإلا خلعتك وعاملتك بحسب ما يصل إلي من أخبارك » .

وبعد هذا العهد اشتغلت مصر عن ايثيوبيا بالفتن الداخلية والحروب مع آسيا . وحدث ان احد ملوك الدولة الحادية والعشرين (١١١٠ : ٩٨٠ ق.م) المسمى سمنتميامون نفى بعض الكهنة المصريين الى ايثيوبيا فأدخلوا عبادة الإله « آمن » الى نبتة وقوتوا الايثيوبيين فخرجوا عن طاعة مصر واستقلوا تحت حكم كاهن منهم . ومن ذلك الوقت أخذ نجم ايثيوبيا في الظهور والارتفاع حتى علا على نجم مصر . ففي آخر أيام الدولة الثانية والعشرين (٩٨٠ : ٨١٠ ق.م) هاجم الايثيوبيون مصر وفي آخر أيام الدولة الثالثة والعشرين (٨١٠ : ٧٢١ ق . م) استولوا على صعيدها .

وكانت مصر في هذه الأثناء قد انقسمت الى عشرين ولاية بعضها مستقل عن بعض وعلى كل ولاية أمير فتغلب الملك تفتخت اول ملوك العائلة الرابعة والعشرين (٧٢١ : ٧١٥ ق . م) عليها كلها وجعلها مملكة واحدة وزحف على الوجه القبلي يحاول استرجاعه من الايثيوبيين حتى وصل الى اهناس الجنوبية .

الملك بمنخى : وكان على الايثيوبيين في ذلك العهد ملك قادر يسمى بمنخى مقيم في نبتة عاصمة ايثيوبيا فجرد عليه جيشاً جراراً وقتله في عدة وقائع حتى انتصر عليه ونقش خبر نصرته هذه على حجر وجد في نبتة ونقل منها الى متحف الجيزة بمصر . وهذا ملخص ترجمته عن العقد الفريد عن ده روجه ببعض التصرف :

« في غرة توت من السنة الجسادية والعشرين من حكم ملك الوجه القبلي والبحري «بمنغى ميامون» خلد ذكره صدر أمره بما نصه : اسمعوا ما فعلته زيادة عن أجدادي انا الملك الخارج من سلالة مقدسة النائب عن المعبود «توم» المميز بشارة الملك منذ الصغر انا المقدس الطيب حبيب المعبودات ابن الشمس «بمنغى ميامون» بلغني ان الامير تفنخت استولى على مدينة منف وغيرها من المدن المصرية الشمالية وسار نحو الجنوب يحنس جرار فأطاعته الأمراء وأعيان البلاد وصاروا تحت رجليه أذلة كالكلاب حتى وصل الى انناس الجنوبية فحصرها حصاراً شديداً ومنع أهلها من الدخول والخروج ودام على قتالها حتى فتحها. وكان الأمراء يبعثون إليّ بالرسائل يسألون عن سبب قعودي عن تفنخت وعدم المدافعة عن الوجه القبلي وقالوا ان النمرود رئيس الاشمونيين هدم حصون نفروس ودمرها مخافة ان يأخذها تفنخت والتجأ الى مدينة اخرى فاقتفى تفنخت أثره فاضطر الى الخروج عن حزبي والانضمام اليه فغمره بأنعامه وأعطاه انناس الجنوبية. فعند ذلك أرسلت الى قوادي الذين في ثيبة وغيرها من بلاد مصر ان يستعدوا لقتاله ويسلبوا مواشيه وسفنه التي في النيل ويمنعوا العمال من الخروج الى الحقول ويحاصروا مدينة ارمنت ففعلوا وأمددتهم بالجيوش وقلت لهم : لا نهاجوه لئلا هجوم الحادعين بل هاجوه متى رأيتم انه أعد جيوشه وخيوله وسار لقتالك واذا قيل لكم انه يجمع مشاته وفزسانه في مدينة اخرى ويستعد للهجوم عليكم فاثبتوا في مكانكم الى ان يأتيكم فحاربوه مستبسلين واعلموا ان المعبود «آمن» هو الذي أرسلنا اليهم ولا بد ان ينصرفا عليهم . واذا وصلتكم الى ثيبة فانزلوا في النيل وطهروا أنفسكم بمائه وألبسوا ملابس الأعياد وضموا عنكم القسي والسهام ولا يترعّض احد منكم «لآمن» صاحب الحول والطول اذ بدونه لا يكون لفارسكم قوة وهو يجبر العظيم الكسير ويفني العدد الكثير وينصر الواحد على الالف فاغتسلوا بماء معابده واسجدوا له وقولوا ثبتت أفئدتنا على الحق لنحارب في ظل سيفك لأن المقاتلين الذين ترسلهم يبددون الألوف . فعند ذلك خروا قائلين اسمك سيفنا

وعملك مرشد لجيوشنا وخبزك في أجسامنا ومشروباتك تطفئ ظمأنا وشجاعتك
 سلاحنا والنصر مقرون باسمك وما يثبت جيش رئيسه معتد باغ فمن يشابهك
 أيها الملك المنصور الفعّال الأمر بالحرب . ثم انحدروا في النيل الى ان وصلوا
 ثيبة ففعلوا ما أمرهم به ملكهم . واستأنفوا السير في النيل فقابلتهم سفن
 حربية مشحونة بالملاحين والجنود والضباط الماهريين المدربين وقد جاءت من
 الوجه البحري لمحاربتهم فانتشبت القتال بين الفريقين وكان النصر لجنود الملك
 بعنخي فقتلوا من الأعداء وأسروا وأرسلوا أسراهم أحياء الى بعنخي . ثم
 زحفوا على مدينة اهناس الجنوبية فاجتمع أعيان الأقسام الغربية والشرقية
 والبلاد الوسطى وحكامها واتفقوا على محاربتهم فأطبق عليهم رجال بعنخي
 وأوقعوا بهم وأخذوا سفنهم وأكرهوا من سلم منهم على الفرار فعبروا النيل
 الى الغرب فأقاموا في محل يدعى « بابيك » . وفي صباح اليوم الثاني اجتاز
 رجال بعنخي النهر مقتفين أثرهم فأدركوهم واختلطوا بهم وقتلوا كثيراً من
 رجالهم وخيولهم ووقع الرعب فيمن بقي ففروا الى الوجه البحري منهزمين
 شر هزيمة . ثم زحف جيش بعنخي على ارمنت فلما بلغ النمرود خبرهم جمع
 رجاله وخيوله وسبقهم اليها فحصره فيها من الجهات الأربع ومنعوا أهلها من
 الدخول والخروج وأرسلوا كتاباً الى الملك بعنخي يعلموه بما كان فلما قرأ كتابهم
 اغتاظ وتلون كالنمر وقال لئن ا بقي جنودي على بقية جيوش الوجه البحري
 او مكثوا احداً منهم من الفرار ولم يفنوه على بكرة أبيهم فبحياتي وبحق
 المعبود « رع » وبحق ابي « آمن » لأقاتلن بنفسي وأهدمن جميع حصونهم
 وأحرمتهم القتال ولكن يلزمني قبل ذلك ان احتفل بموسم رأس السنة في
 جبل البرقل وأقدم القربان لأبي « آمن » يوم تجليته في ذلك العيد ثم أتوجه الى
 ثيبة لأشاهده هناك في موسم العظم وبعد ذلك أتفرع للوجه البحري فأذيقه
 طعم سطوتي . ولما بلغ جنوده الذين في مصر انه لم يكتف بما فعلوا تقدموا
 الى مدينة « واپ » وافتتحوها وأرسلوا يخبرونه فلم يسكن غضبه . ثم هاجروا
 « تهي » وكانت مدينة حصينة غاصة برجال الوجه البحري فأقاموا المتاريس

حولها وهدموا أسوارها وأوقعوا بأهلها وكان في جملة القتلى ابن تفتخت امير المشواشين فأرسلوا يخبرون ملكهم بذلك فلم يسكن غضبه . فهجنوا على « حيينو » وفتحوها عنوة وأرسلوا يبشرونه بذلك فلم يسكن غضبه .

ولما كان اليوم التاسع من شهر ثوت وصل بمنخى بجيوشه الى ثيبة واحتفل فيها بموسم « آمن » السنوي ثم توجه توأ الى ارميت التي كانت لا تزال تحت الحصار وخرج من سفيلته فوضع النير على خيوله وركب عرباته فانتشر العزع في قلوب الناس الى أقصى بلاد آسيا ثم برز كالأسد وهجم على الأعداء وقال لهم اذا أقمتم على القتال أخرت أوامري بالمفو عنكم فيا بعد وأذقتكم مرارة سطوتي فلم يسمعوا له فوضع معسكره في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة وشدّد عليها الحصار وأقام متارين من تراب لتقيه مقذوفات أسوارها ونصب سلام للارتقاء اليها وصوب رجاله عليها السهام ورموها بحجارة الجانق ووالى الهجوم عليها ثلاثة ايام حتى أفسد هواؤها وحرم أهلها استنشاق الهواء النقي فبليت فأرسل النمروذ رسلاً حاملين الذهب والحجارة النفيسة والأنسجة الفاخرة وقائلين لقد ظهر الملك وتاج الثعبان على رأسه وغيظه مكتوم ولم نلبث حتى أطفئنا تاجه ثم أرسل النمروذ امرأته لترجم حرم الملك بمنخى وجواريه وبناته واخواته في المفو عنهم فسجدت امام حرم الملك في القصر قائلة أيتها النساء الكريمات حرم الملك وبناته واخواته اغثنى وسكن غضب الملك صاحب القصر فما أشد سطوته واعظم عدائه ... ولما مثل النمروذ بين يدي الملك بمنخى قال له الملك: لقد سددت طريق الحياة عن نفسك فقال النمروذ: لو صعدت الى السماء كالسهم لأدركتني كيف لا وقد أخضعت بلاد الجنوب وأطاعتك بلاد الشمال فهل لنا ان نستظل بظلك فقد أفنى بأسك جميع رجالنا فلا أب يرى مع ابنه وامتلات بلادنا بالأطفال ثم خر ساجداً امام جلالة الملك وقال : انا احد عبيدك الذين يدفعون الجزية لخزيتك فاحسب ما تجمع من عبيدك كلهم وخذ مني جزية تزيد على مجموع جزيتهم ثم شرع في تقديم جزيته فكانت شيئاً وافراً من الفضة والذهب واللازورد والزربرد والحديد

والاحجار النفيسة حتى ملاً خزينة الملك وجاء بحصان في يده اليمنى وآلة موسيقية تشبه «الرابابة» مصوغة من الذهب واللازورد في يده اليسرى وقدمها للملك. فخرج الملك اذ ذاك من قصره وتوجه الى معبد «هرمس» إله ارمنت فقابله عساكرها بالفرح وقال له الكهنة ما أعظم الملك بعنخى سلالة الشمس لقد جئت الى مدينتك يا حامي حى ارمنت فاعمل لنا عيداً لقدومك . ثم جاء المدينة ودخل قصر النمرود وطاف في غرفه وشاهد جميع خزائنه وأمر بإحضار زوجاته وبناته فأتين خاضعات لجلالته فلم يلتفت اليهن . وبعد ذلك تفقد اصطبلات القصر فوجد الخيول بلا علف فأقسم بحياته وبالإله «رع» وقال ان اجاعة خيولي هي أقبح ذنب جنيته ايها النمرود فقال النمرود : لا تغير ذنبك بالغضب ايها الملك فاني سأخبر سيد الخدم بغضبك وأعد العلف لخيولك . هذا وقد أهدى الملك بعنخى أموال ارمنت كلها الى خزينة آمن رع ساكن ثيبة .

وجاءه ملك اهناس يهدايا من ذهب وفضة ونجارة كريمة وجياد من خيوله وسجد أمامه وقال السلام عليك أيها الملك الحاكم المنصور الثور الذي لا يبسط بالثيران لقد كنت في اعماق هاوية محاطاً بالظلمة فأخرجتني من الهاوية وقشعت عني الظلام انا عبدك ولك جميع ما أملك وها هي جزية اهل اهناس التي يقدمونها للملكم فقبلها منه .

ثم سار يحنوده شمالاً وكان كلما مر بمدينة وقد اقلعت دونه ابوابها يدعوها للتسليم فتسلم له فيدخلها ويأخذ منها الجزية ولا يقتل من اهلها احداً حتى اشرف على مدينة منف (تجاء القاهرة) فأرسل الى اهلها يقول لا تغفلوا أبوابكم دوني ولا تحاربوني فاني سأدخل مدينتكم وأخرج ولا أسئ الى احد منكم بل أقدم القرابين الى «بتاح» ومعبودات منف كلها وأقيم في معبد «شيتي» الصلوة الى «سوكاري» فاعتبروا بأهل الوجه القبلي فاني لم أعاقب منهم الا من طفى ولم أقتل الا من أغضب المعبود فلم يسمعو لقوله وأغلقوا دونه أبوابهم . وجاء تقنخت من «صا الحجر» ليلاً الى منف وقال لقواده

وجنوده البرية والبحرية وكانوا ٨٠٠٠ و ٠٠٠ رجل ان منف غاصّة بأعظم جنود الوجه البحري وأشوانها ملأى بالقمح والشعير وألوان الحبوب وفيها جميع العدد وسورها متين وطايتها متسعة حصينة مبلية حسب قواعد الدفاع والنهر يحيط بشرقي المدينة فلا يجد العدو مكاناً يهاجم منه وانتم تعلمون ان مراعيها غاصة بالمواشي وخزانتها ملأنة من الفضة والذهب والنحاس والملبوسات والمطور والصل فسادهم وأعطي جميع ذلك لأمرأه الوجه البحري فاثبتوا في حاميتكم وداقموا عن انفسكم الى ان أعود اليكم ولما أتم كلامه ركب حصانه لأنه أسرع من عربته وقفل راجعاً الى الوجه البحري خوفاً من الملك بمنغى . وفي صباح اليوم الثاني اقترب الملك بمنغى من منف بقصد كشفها فوجد الماء مرتفعاً الى اسوارها وسفنها راسية على شاطئها وتأملها فرآها حصينة منيعة لها استحكام قوي وسور مرتفع حديث البناء ولم يجد فيها موضعاً يهاجمها منه فاستشار رجاله في شأنها فقالوا لجمع كثراناً من التراب مساوية لسورها ونصب عليها سلام ونقيم المتاريس من حولها فلما سمع الملك بمنغى هذا الرأي تلوّن كالنمر وقال حياتي وحياة المعبود « رع » واي « آمين » لأهاجن هذه المدينة في الحال وأخذتها كريح عاصف ثم أمر قواده فأدلو السفن والارماث ومراكب النقل من الشاطئ فلم يشعر بهم احد وأمر رجاله فأحدقوا بسورها ودخلوها من جهة النهر وكان قد أوصاهم قائلاً اذا تسور احدكم السور فلا يقف في مكانه واذا سلم لكم احد الرؤساء فلا تقتلوه لأن هذا مذموم فعملوا بوصيته وبذلك دخل المدينة وقتل من اهلها خلقاً كثيراً وأحصى أسراها بين يديه . وفي ثاني يوم الواقعة ارسل جماعة من رجاله للمحافظة على المعابد ثم توجه بنفسه الى هيكل معبودات منف وقدم لها قرباناً من المشروبات وطهر المدينة بالنطرون والبخور وأرجع الكهنة الى أماكنهم ثم توجه الى معبد « بتاح » وتطهر في بابه ولما دخله قدم لأبيه « بتاح رسبتيف » قرباناً عظيماً من ثيران وعجول واوز وغير ذلك من الاشياء النفيسة . ثم دخل قصرها الملوكي فأقام بعض رؤساء الوجه البحري يحزرتهم راجين ان يأذن لهم في مشاهدة

تاريخ الإثيوبيين

أنوار وجهه فقبل منهم الجزية . وأهدى جميع خزائن منف واشوانها الى
 هياكل « آمن » و « بتاح » وباقي معبودات « حكا بتاح » . وفي اليوم التالي
 عبر النيل الى الشرق وتقرّب الى « توم » ومعبودات مدينة « أماح » بقربان
 من ثيران وعجول واوزّ راجياً ان يمنحوه السعادة . ثم توجه نحو المطرية فمرّ
 بمدينة مرتى ، وقدم قرباناً لمعبوداتها وتطهر في المنبع الرطب . وغسل وجهه
 بماء « لو » ، حيثما تقسّل الشمس وجهها . ثم قصد « شيوكامان » وتقرّب للشمس
 وقت شروقها بقربان من ثيران بيض ولبن وعطور وغير ذلك من الاخشاب
 ذات الرائحة الذكية . ثم دخل معبد الشمس (في المطرية) وصلى مرتين
 وطلب له كبير الكهنة من المعبود ان يهزم أعداءه وبعد ذلك صلى الملك صلاة
 الباب وهي صلاة خصوصية عندهم وكسا الضريح وتبخّر بالبخور وتقرّب
 للمعبود بالمشروب وازهار « الحبّتين » وهي من ازهار المعبد المطرية . ثم
 صعد في السلم الى الطاق الكبير فرأى الشمس في ضريحها وعظّم السفينة المقدسة
 المملقة في مقام « رع » و « توم » ثم أقفل الابواب وطبّتها بالابلز وختمها
 بالختم الملوكي وقال للكهنة لا يُسمح لأحد ان يفتح ختمي ويدخل هذا المحل
 فخرّ الكهنة امامه ساجدين وقالوا سيبقى هذا الختم محفوظاً مباركاً ولا يصيبه
 أقل ضرر ايها الملك القادر المعظم محب المطرية . ثم دخل معبد « توم »
 وصلى فيه .

وفي اليوم التالي عاد الى الشاطئ الذي فيه سفنه وسار الى مدن كهاني
 واتريب وكانور وغيرها من مدن الوجه البحري فقدم القرابين لآلهتها وأقام
 ملوكها ورؤسائها وأعيانها المتنازون بوضع الريش والمظلات فوق رؤوسهم
 فسلموا له وقدموا الجزية من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والخيول والعطور
 والنفائس .

فلما بلغت هذه الأخبار مسامع الملك تقنخت امير المشواشين ارسل الى
 بمنخى رسولا يقول له : اكظم غيظك أيها الملك الظافر قاني وجعل من
 رؤيتك ولا طاقة لي على حربك وقد امتلأ قلبي رعباً منك لأنك كمعبود

الجنوب « نبتا » وكمعبود الشمال « مونت » وانت الموصوف بالثور المنصور ان أردت شيئاً لا يعارضك فيه احد وقد بلغت الآن جزائر البحر وأقت في حى المعبودة « نيت » فراراً من سطوتك وخشية من تعنيفك الموجه وتوبيخك المولم فأنا الخادم وانت السيد أفلا يعفو السيد عن خادمه . خذ لخزانتك كل ما أملاكه من ذهب وحجارة نفيسة وخذ أجود ما عندي من الخيول والسروج وابعت برسول من قبلك ليزيل الرعب من قلبي فأذهب معه الى المعبود واحلف بين الطاعة امامه . فأرسل الملك اليه الكاهن الاعظم ورئيس الجيوش فأعطاهما تفنخت فضة وذهباً وملابس وحجارة نفيسة متنوعة ثم ذهب معها الى المعبود وقاب اليه وحلف يميناً مقدسة بأنه لا يخالف للملك أمراً ولا يتمدى له قولاً ولا يسيء الى احد من الرؤساء بغير رضاه فقبل الملك قوبته واخذ الجزية منه وعفى عنه .

ولما كان صباح اليوم الثاني أتى ملكا الوجه القبلي وملكا الوجه البحري ليقدموا تحيتهم للملك بعنخى ويتشرفوا بالثول لديه وكانت فرائضهم ترتعد كفرائض النساء فلم يأذن لهم في الدخول عليه لأنهم كانوا مدنسين بالسك المحرم أكله في قصور الملوك ولكنه أذن للنمروذ في الدخول عليه لأنه كان طاهراً ولم يأكل السك المنهي عنه ولبت الباقيين واقفين خارجاً على أرجلهم .

وبعد ذلك أراد الملك بعنخى الرجوع الى بلاده فشحن سفنه بما أهدى اليه من الذهب والنحاس والملابس والخيرات الواردة من الوجه البحري وبلاد الشام والمغرب وسار في النيل وقلبه مغمم سروراً واهل مملكته في الشرق والغرب يستقبلونه بمزيد التجلية والتعظيم وكلما حلّ ببلاد رفع أهلها هتاف الفرح قائلين أيها الملك المنصور بعنخى لقد أتيت وحكت الوجه البحري وصيرت رجاله أذلة كالنساء وحل الفرح في قلب امك التي ولدتك فصرت شهماً وأعطاك « آمن » جوهره فبشرى لك أيتها البقرة التي ولدت ثوراً كان له على مر الأدهار ذكر مجلد وملك مؤيد ألا وهو الملك بعنخى الملك المحب لقسم ثنية اه .

ولما تمت للملك بعنخى الغلبة على مصر ألحقها ببلادها وأبقى لأمرائها الامتياز الذي كان لهم من قبل وجعل تفنخت ملكاً بالنيابة عنه فأقام في تانيس (صا الحجر) مركز حكومته القديم وعاد بعنخى الى نبتة فجعلها تحت الملك لمصر وايشيوبيا .

الملك كانشا : ولكن لم يلبث ان مات وخلفه الملك كاتشا او كاشتا ولم يكن من عائلة ملوكية بل كان متزوجاً بابنة كاهن مصري. فنقض عليه تفنخت المذكور واضطره الى اخراج جنوده من مصر ثم توفي تفنخت فخلفه ابنه باكوريس وكان قوي الادراك فقيماً عادلاً فاتخذ خطة والده وشرع في نزع مصر الوسطى والوجه البحري من الأمراء فنجح في ذلك وجعل مصر كلها تحت سلطانه .

الملك سباقون : وفي اثناء ذلك مات كاتشا ملك الايشوبيين عن ولدين فخلفه احدهما المسمى سباقون وتوجه الى مصر لقتال باكوريس واستعان عليه بأمرائها الذين كانوا يكرهونه لنزعه الملك منهم فوقع باكوريس في قبضته بمدينة تانيس فالتقاء حياً في النار واستقل بايشوبيا ومصر وكان رأس دولة عرفت في تاريخ مصر بالدولة الخامسة والعشرين الايشوبية (سنة ٧١٥ : ٦٦٤ ق.م) . وكان سباقون رجلاً عادلاً فغوراً محباً للتقدم والاصلاح فلما تولى سرير الملك تلقب بالقب الفراعنة وشرع في تنظيم مصر وضبط إدارتها فأبقى كل رئيس على اقلبيه مع حفظ نفوذه على الرؤساء بمراقبة أمراء ايشوبيين وجعل شقيقته آمن ريتس ملكة على الوجه القبلي في ثيبة . ولهذا الملكة في متحف الجيزة تمثال من حجر الغرانيت الاصفر بقدر اهياف وقوام رشيق ووجه صبور جميل يزينه التاج على رأسها والاساور المريضة في معصبيها والحجول الكبيرة في رصفيها على مثال اساور السودانيات وحجولهن في هذه الايام والتمثال قائم على قاعدة من الغرانيت الاسود منقوش عليها اسمها واسم اخيها سباقون وابيها كاتشا .

وشاد سباقون في مصر الجسور واحتقر الترع حرصاً على البلاد من ان يمسيها غرق او شرق ورمم كثيراً من المعابد واستبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة واشتهر بحسن التدبير وجودة السياسة فتمتعت مصر في اول ايامه بالراحة ولكن لم تدم لها لأن مملكة اشور كانت في ذلك العهد في معظم سطوتها وقد كدرت صفاء الفيلبيين والاسرائيليين والفلسطينيين فأجمعوا على ان يستنصروا ملك مصر لينقذهم من جورها فأرسل « هوشع » ملك اسرائيل هدايا فاخرة الى سباقون (وفي التوراة سوا) وسأله التحالف معهم على شلنصر ملك اشور فأجابهم سباقون الى ذلك آملاً انه بتعاهده معهم يتذرع الى اخذ ممالكهم وإضافتها الى ملكه كما اضافها اسلافه الفراعنة فقبل الهدايا واعتبرها جزية كما اعتبر مساعدته لهم من قبيل مساعدة الرئيس للمرووس وقد بالغ في هذا الاعتبار حتى انه نقش على حائط هيكل الكرنك (بالاقصر) انه اخذ الجزية من بلاد الشام كما اخذها مشاهير ملوك مصر الذين تقدموه . فلما شاع خبر هذه المعاهدة وبلغ مسامع شلنصر سار الى « هوشع » ملك اسرائيل فأمره وأخضع قومه ثم سار الى مدينة السامرة وحصرها فمات قبل افتتاحها وكان آخر ابناء العائلة المالوكية الاشورية فخلفه رئيس قواده اسرحدون فسار على خطته وفتح السامرة ثم تقدم الى فلسطين وقتل الملك « يهوئيد » احد المتحالفين مع سباقون فخاف سباقون على بلاده وذهب يجنوده الى الشام فانضم الى حانون ملك غزة احد المتحالفين وسار الملكان معاً لقتال الاشوريين فالتقيا بهم في مدينة رافيا وانتشبت الحرب بين الفريقين وانجلت عن انهماك الجيوش المصرية والشامية ووقع حانون اسيراً في يد سرجون ونجا سباقون فضل في الصحراء الى ان دلته راع من فلسطين على طريق مصر . وبعد رجوعه ثار عليه سكان الوجه البحري تحت رئاسة اسطيفانيس احد اقرباء الملك باكوريس المتقدم الذكر فانهمزم سباقون الى الصعيد .

الملك سبيخون : وبعد قليل مات سباقون وترك حكم الايشوبيين وصعيد مصر لابنه سبيخون وبقي الوجه البحري تتنازعه فئتان من المصريين فاغتم

سيبيخون فرصة الانشقاق وحارب الوجه البحري واسترجعه الى اثيوبيا .

الملك طهراق ، ولكن ما ثبتت قدمه حتى نقض عليه طهراق احد الامراء الاثيوبيين فقتله وتولى مكانه وكان اسطيغانيس لا يزال محاصراً في مدينة منف فزحف عليه ونزع المدينة منه وطهر مصر من العصابة ثم دعا امه من اثيوبيا ولقبها بحاكمة الوجه البحري والقبلي وسيدة الامم وكتب على جدران هيكل جبل البرقل اسم مصر بين أسماء البلاد التي خضعت لصولته وبقي متنعماً في مصر الى ان جاءه « اشور اخي الدين » ملك اشور فاتحاً فمجز عن رده فتقهقر مع جيشه الى مدينة نبتة واستولى ملك اشور على منف وثيبة ونهب أمتعة هياكلها وارسلها الى بلاده فوضعها في المعابد تذكراً لنصرته . ثم اشتغل في تنظيم ادارة مصر فأرجع الحكم لأمرائها العشرين وأقام كل امير على اقليمه وضرب عليهم الجزية وعاد الى نينوى تاركاً بعض جنوده حامية في قلاع مصر خوفاً من غائلة الاثيوبيين وقد مرّ في طريقه بنهر الكلب عند مدينة بيروت فنقش على حجر هناك بقرب الحجر الذي نصبه رعمسيس الثاني نقوشاً كبيرة بيّن فيها فتكه بالمصريين والاثيوبيين وادّعى السيادة عليهم .

وفي سنة ٦٦٩ ق.م مرض اشور اخي الدين فاغتم طهراق الفرصة وزحف على الاشوريين في منف فهزمهم منها واستولى عليها بمد محاصرتها حصاراً شديداً فلما علم اشور اخي الدين بذلك ورأى عجزه عن الدفاع تنازل عن الملك لابنه الاكبر اشور بانبال فتقدم يجنوده الى مصر ففكّل بالاثيوبيين وأخرجهم منها وأرجع الحكم الى أمراء مصر العشرين مرة ثانية وعاد الى بلاده ظاناً ان الاثيوبيين لا يعودون الى مصر فما وصل الى نينوى حتى عاد طهراق فاسترجع مدينة ثيبة وأبطل عبادة العجل « ابيس » منها ثم عاد الى بلاده لرؤيا رآها في المنام وكانت مدة حكمه على مصر عشرين سنة وعلى اثيوبيا خمسين سنة . وفي المتحف المصري في الجيزة رأس تمثال من الحجر الغرانيت الاسود قالوا انه رأس طهراق لمشابهته لصوره المزسومة على الآثار وهو مستدير

الوجه واسخ العيين ممتلئ الخدين بارز الشفتين مع انقلاب خفيف فيها وفطس قليل في الانف وبالجملة فان ملامحه تحاكي ملامح النوبة الحاليين .

الملك اورد امن : وخلفه على عرش ايشيوبيا صهره اورد امن وكانت مصر بعد ذهاب طهراق منها قد عادت للاشوريين وأعادوا الحكم الى امرائها العشرين مرة ثالثة وبقيت تابعة لمملكة اشور الى ان رأى اشور بانبال ان في حكمها عناء ومشقة بالنظر الى بُعدها عن بلاده فأغضى عنها وبقيت تحت حكم امرائها العشرين .

الملك نوات ميامون : وفي اثناء ذلك توفي اورد امن ملك ايشيوبيا وخلفه نوات ميامون ، فرأى في الحلم انه سيملك الوجه القبلي والبحري فاستبشر بهذه الرؤيا وغزا الوجه القبلي وكان فيه طائفة من الايشوبيين قد أسسوا حزباً قوياً في ثيبة وضواحيها وأقاموا فيها زماناً حائزين لرتبة الكهانة في معبد آمن رع فلما رأوا « نوات ميامون » وهو من جلهم طامعاً بمصر ساعده على عزمه فاستولى على الوجه القبلي بلا قتال ثم اخذ في فتح الوجه البحري فعارضه أمراؤه فردم القهقري فتحصنوا في قلاعهم ولم يبرزوا لتأله فل من الانتظار وعاد الى منف متحيراً في امره ولكن اجتمع الأمراء برئاسة واحد منهم يسمى بكرو للنظر فيما يفعلونه فأشار عليهم بالطاعة لنوات ميامون فوافقوه وأتوا الى منف مقدمين له الطاعة فانشرح صدره لإتمام حله في السيادة على مصر ونقش هذه القصة في حجر وجده ماريوت باشا في اطلال مدينة نبتة يجبل البرقل سنة ١٨٦٣ م وهو محفوظ الآن بمتحف الجيزة وهذا ما جاء فيه ملخصاً عن العقد الفريد ببعض التصرف :

« على الملك العظيم المنصور والحكيم القاهر نوات ميامون ملك الوجه القبلي والبحري بيكارع سلالة الشمس محبوب « آمن » ساكن نبتة ... سلام .
في احدى الليالي رأى الملك في الحلم ثعبانين الواحد عن يمينه والآخر عن يساره فلما استيقظ ولم يربهما دعا المفسرين وسألهم تفسير هذا الحلم فقالوا له

انك ستملك الوجهين القبلي والبحري من ارض مصر ويضيء تاجاهما على رأسك ويكون « آمن » مساعداً لك على الامر . ففي تلك السنة ارتقى الى عرش الملك وخرج من مكانه كالباشق اذا انطلق من أجنته فصحبه خلق كثير وتوجه الى نبتة عاصمة ايثيوبيا فتمتع بمشاهدة معبودها « آمن » في الجبل المقدس واهدى اليه الازهار ثم اخبره من معبده وقدم له القرابين وهي ٣٦ ثوراً و ٤٠ كأساً من المشروبات ومعها ١٠٠ حمار . ثم سار نحو مصر فلما اقترب من جزيرة اسوان عبّر النيل اليها ودخل هيكلاً «خنوم رع » معبود الشلالات واخرج تمثاله من مكانه وقدم له القرابين ثم توجه الى ثيبة (الاقصر) ودخل هيكلاً معبودها « آمن رع » فرحّب به الكهنة والخدم وكلّوه بالازهار فأخرج تمثال « آمن رع » من مقدسه وعمل له موسماً كبيراً في أرجاء المدينة . ثم ركب النيل وسار نحو الوجه البحري فكان السكان عن الشاطئين الشرقي والغربي يرحبون به ويهتفون سر مصحوباً بالسلامة والامن ورمّم الهياكل التي دُمّرت وانصب تماثيل المعبودات وثبّت الكهنة في وظائفهم وأقم شعائر الدين . وبقي سائراً بلا معارض حتى وصل الى منف فخرج اليه اهله محاربين فحاربهم حرباً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً ودخل منف عنوة فزار معبد « بتاح رستيف » وتقرب الى « بتاح سوكر » والمعبودة « سوخت » إلهة المحبة وانشرح فؤاده من مساعدة المعبودات له إكراماً لمعبوده « آمن » ساكن نبتة . وأمر بتوسيع معبد « بتاح » وأنشأ فيه إيواناً جديداً يناه بالحجر وكساه بخشب السنت وطلاه بالذهب وملأه بالبخور العربي وجعل له ابواباً من النحاس بإطار من الحديد وبني وراه حظيرة لحيوافات المعبد وكانت ١١٦ رأساً من المعزى وكثير من البقر . ثم تقدم لمحاربة أمراء الوجه البحري فالتجأوا الى اسوارهم وتركوا له البلاد فحصرهم وانتظر لعلهم يخرجون لقتاله فلم يفعلوا فعاد الى منف واقام بقصره وعزم على ان يرسل اليهم فرسانه ليرقبوا حركاتهم وقبل قيامهم جاء الحجاب واخبروه ان الأمراء وقوف بالباب فقال أسألهم هل أتوا محاربين او طائعين فقالوا أتينا طائعين لمولانا الملك فقال الملك

وجب عليّ شكر « آمن » معبود ثيبة العظيم الذي حقق لي الآن ما أرايه في الحلم ثم خرج من قصره لمشاهدة الامراء وكانوا من عبدة الشمس قلما رأوه خروا على جباههم احتراماً لهيبته فقال لقه تأكدت ان الشمس المعبودة تحبني وان « آمن » جعلني مباركا فساقل كل ما يأمرني به فقال الامراء نسأل هذا المعبود ان يرشدك الى الخير ويؤيدك بالنصر فأنت ملكنا ومولانا. ثم قام بكرو امير مدينة بسانبو وقال مخاطباً الملك : انت تبت من تشاء وتحبي من تشاء ولا يلومك احد وقال بقية الامراء : أتينا ايها الملك للستنشق منك روح المحبة فنحن نريد ان نخدم « آمن » ونكون في جملة اتباعك فهل لك ان تقبل رجاءنا ؟ فانشرح صدر الملك من كلامهم وأمر لهم بالخبز والشراب وابقاهم عنده اياماً كثيرة وهو يفرمهم بالمطايا والاحسان على كثرتهم ثم استأذنوه في الرجوع الى بلادهم للقيام بواجب رعاياهم فأذن لهم . ثم أتاه وجوه البلاد القبلية والبحرية مقدمين له الجزية والهدايا فاطمان بذلك قلب الملك بيكارع سلالة الشمس نوات ميامون دام بصحة وعافية وعيشة راضية ودام له الملك أبداً الدهر .

وفي آخر ايام هذا الملك اعتصب وجهاء بلاد مصر واعيانها وثاروا على الاثيوبيين فطردوهم من الوجه البحري وتهايموا الملك فيما بينهم وكانوا اثني عشر حاكماً فسميت حكومتهم بالمقاسمة الاثني عشرية وداموا على ذلك ١٥ سنة الى ان قام احداهم بسامتيك من سلالة العائلة الصاوية فطمع بالاستقلال واستعان بمساكر يونانية متطوعة فتغلب عليهم واستبد بالملك . ثم سار الى الوجه القبلي ففتح من الاثيوبيين وأعاد الحدود المصرية الى اسوان . وهكذا انتهى حكم الاثيوبيين على مصر بعد ان حكموا ٤٩ سنة وكان حكمهم عادلاً ومع ذلك لم يكن مقيولاً لأنهم غريباء .

الفصل الثالث

في

مملكة مروى

« وهو تاريخ ايثيوبيا منذ بدء الدولة المصرية السادسة والعشرين سنة ٦٤٤ ق. م الى دخول الديانة المسيحية لبلاد النوبة سنة ٥٤٥ م. ب »

١ - تاريخ مروى في عهد الفرس وآخر عهد القراعنة على مصر
(٦٤٤ : ٣٣٢ ق م)

ما انقضت الدولة المصرية الخامسة والعشرون حتى انقضت معها مملكة نبتة في ايثيوبيا وقام في مكانها مملكة مروى فنالت في التاريخ شهرة لم تتلها نبتة و امتدت من الشلال الاول الى أعالي النيل الازرق وكانت عاصمتها مدينة مروى على النيل الكبير في مكان يعرف الآن بالبجراوية على ٢٣ ميلا شمالي شندي .

واول من ذكر مروى في التاريخ هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير الذي عاش في القرن الخامس للمسيح قال : « وفوق جزيرة الفنتين تبتدىء بلاد الايثيوبيا فيتعذر السفر في المراكب مسيرة اربعين يوماً بسبب كثرة الصخور

في طريق النيل وبعد ذلك تركب قارباً وتسافر مسيرة اثني عشر يوماً فتصل إلى مدينة كبيرة اسمها مروى قيل إنها عاصمة إثيوبيا . ثم ذكرها كثيرون غيره من مؤرخي اليونان والرومان .

فرار العساكر المصرية إلى إثيوبيا : وأهم ما ذكره هيرودوتس من أخبارها فرار العساكر المصرية إليها في عهد الملك بسامتيك المارّ ذكره الذي أسس الدولة المصرية السادسة والعشرين (٦٤٤ : ٥٢٥ ق . م) قال : « ان بسامتيك لما تولى الملك كانت مصر تنوء عبزاً وضعفاً بما قاسته من الحروب مع اشور في عهد الاثيوبيين فأخذ في تقويتها وإحياء ربوع العلم والصناعة فيها . ثم التفت إلى مناعتها فجعل حامية في دفنة البليوسية المعروفة الآن بالفرمه بقرب بورت سعيد ليدفعوا غارات العرب والسوريين . وحامية في ماريه أي بحيرة مريوط لوقايتها من الليبيين . وحامية عند جزيرة الفنتين لحمايتها من الاثيوبيين وكانت عساكر هذه الحاميات من المصريين .

وكان لبسامتيك جيش قوي من اليونان حارب به حرباً طويلة في سورية وفتح مدينة اشدود وكان يعزه ويكرمه فأعطا ذلك المصريين المقيمين في الحاميات المذكورة وكانوا قد قضوا فيها مدة الثلاث سنوات المفروضة عليهم فسألوه ان يبدلهم بغيرهم فرفض ففروا إلى إثيوبيا وكانوا نحواً من ٢٤ ألفاً (والاقرب إلى التصديق ان الذين فروا إلى إثيوبيا هم رجال حامية الفنتين فقط وهو رأي المؤرخ شارب الانكليزي) فلما بلغ الخبر لبسامتيك تبعهم حتى أدركهم فتوسل اليهم كثيراً ان يعدلوا عن هجر آلهة بلادهم وترك نساءهم واولادهم فما صفوا له وأجابوه بما معناه :

تلقى بكل بلاد إن حللت بها اهلاً بأهل واخواناً بإخوان ولما وصلوا إلى إثيوبيا قدموا انفسهم إلى ملكها فرحب بهم ووهبهم بلاد أعداء له من الاثيوبيين وقال لهم اطردهم من بلادهم واسكنوها ففعلوا فازداد الاثيوبيون تمداً باستيطان هؤلاء العساكر بينهم وتعلموا آداب المصريين . وقد نشأ من ذريتهم في إثيوبيا طائفة كبيرة عرفت بطائفة الاسماخ أي

الجالسون عن يسار الملك اه . هذا وقد سماهم هيرودوتس « الاتومولي » فعرفوا بهذا الاسم الى القرن الاول للميلاد. واختلف المؤرخون في تعيين البلاد التي سكنوها فذهب البعض انهم سكنوا بلاد الجزيرة بين النيل الازرق والنيل الابيض وذهب البعض الآخر انهم سكنوا جنوبي جزيرة مروى بين النيل الكبير والاثيرة ولعل الاقرب الى الصواب ان ملك مروى انتقى أشد هم وضمهم الى جيشه وارسل الباقي لفتح أعدائه كما مر .

وتوالت ملوك الدولة السادسة والعشرين على مصر ولم يكن بينهم وبين إثيوبيا ما يذكر سوى ان بسامتيك الثاني ثالث ملوك هذه الدولة ثار عليه اهل إثيوبيا فتوجه لقتالهم سنة ٥٩١ ق . م ومات بعد رجوعه بقليل .

خبر كميز مع إثيوبيا : وفي آخر مدة هذه الدولة كان الفرس قد صاروا في عز ومنعة وعليهم الملك كميز فطمع في مصر فجرد لها وفتحها عنوة وأسس الدولة السابعة والعشرين (سنة ٥٢٥ : ٤١٥ ق . م) ثم طمع في إثيوبيا وحاول فتحها فلم يفلح . وقد روى هيرودوتس الذي زار مصر في عهد خلف كميز اخباراً لطيفة عما كان لكميز مع إثيوبيا قال :

« قرأ رأي كميز على غزو الاثيوبيين فرأى ان يرسل لهم الجواسيس اولاً ليستطلعوا طلهم ويتحققوا خبر مائدة الشمس التي كان يسمع بها في بلادهم فأحضر جماعة من جزيرة الفنتين يحسنون لغة الاثيوبيين وارسلهم الى ملك إثيوبيا بهدايا فاخرة وهي ثوب من الارجوان وطوق من الذهب واساور وصندوق من الرخام مملوء اطياباً وبرميل من نبيذ البلح وعلمهم ما يقولونه للملك . قيل وكان الاثيوبيون الذين ارسل اليهم كميز هذه الرسالة أطول الناس قاماً وأكملهم خلقاً وكان لهم عادات تختلف عن عادات سائر الأمم اشهرها انهم يولون الملك لمن كان له اكبر جثة وكانت له قوة عظيمة بنسبة جثته . فلما وصل رسل كميز الى ملك هذا الشعب قدموا له الهدايا وقالوا : « ان كميز ملك الفرس أراد ان يكون بينك وبينه مودة وإخاء فأرسلنا اليك بهذه الهدايا التي هو نفسه يسر بها كثيراً » . ولكن لم يخف على الملك

قصد كميز فقال لهم ليس حب المحالفة هو الذي حمل ملك الفرس على إرسالكم إليّ بهذه الهدايا ولا انتم تقولون الحق ولكن الصحيح انه طمع في بلادتي فأرسلكم لتتجسسوا اخبارها فهو ليس بعادل ولو عدل لما طمع في غير بلاده ولا حاول استعباد امة لم تسيء اليه بشيء ثم تناول قوساً كبيرة ووترها وقال خذوا هذه القوس الى ملككم وقولوا له ان ملك الاثيوبيين ينصح لملك الفرس بأنه متى صار الفرس قادرين على وتر قوس هذا حجتها بهذه السهولة فليأت حرب الاثيوبيين المكروبيين ولكن بجيوش اعظم عدداً من جيوشهم وفي اثناء ذلك فليقدم الشكر للآلهة لأنها لم تلهم الاثيوبيين الرغبة في توسيع نطاق بلادهم بفتوحات جديدة . ولما قال هذا حل القوس ودفعها الى الرسل ثم أخذ الثوب الارجواني بيده وسألهم ما هو وكيف يصنع فلما أجابوه قال هؤلاء الناس خداعون واتواهم خداعة . ثم سألهم عن الطوق والاساور فأجابوا انها حلى وأوضحوا له كيفية لبسها فضحك وظن انها سلاسل وقال عندنا سلاسل أقوى منها . ثم سألهم عن الطيوب ولما اعلموه بتركيبها وكيفية استعمالها أبدى الملاحظة التي أبدىها عند كلامه عن الثوب الارجواني . ثم سألهم عن الحجر وكيفية استخراجها ومسرّ بشرها سروراً عظيماً . وسأل عن الاطعمة التي يأكلها الملك وعن اطول حيوة عند الفرس فأجابه الرسل ان طعام الملك الخبز وأوضحوا له ماهية الحنطة وقالوا ان اطول حيوة عند الفرس ثمانون سنة فقال الملك اذا لا عجب من أناس طعامهم الزبل ان تكون سني حياتهم قليلة ثم قال مشيراً الى الحجر وبهذا الشراب يمتاز الفرس على الاثيوبيين ولولاه لما عاشوا كل هذه المدة .

ثم ان الرسل سألوا الملك في نوبتهم عن حيوة الإثيوبيين وطعامهم فأجابهم ان اكثرهم يدرك سن المئة والعشرين وبعضهم يفوق هذا السن وان طعامهم اللحم المسلوق وشرايهم اللبن . ولما أظهر الرسل دهشتهم من طول حيوة الاثيوبيين أتى بهم الى نبع ماء عجيب اذا اغتسل به احد اصبح جلده ناعماً لامعاً كأنه ممرخ بالزيت وفاحت منه رائحة كرائحة البنفسج وقال الرسل

ان ماء تلك العين كان خفيفاً جداً حتى لا يطفو عليه شيء لا الخشب ولا مناهو أخف منه بل كل ما يلقى فيه ينفق الى قعره (قال هيرودوتس) : فان كان هذا الماء كما قالوا لم يبعد ان يكون طول حياتهم من كثرة استعمالهم إياه. ثم سار الملك بالرسل الى السجن فرأوا المسجونين مقيدون بقيود ذهبية لأن النحاس عند هؤلاء الإثيوبيين كان أندر المعادن وأثمنها . ثم أتى بهم الى ما يسمونه « مائدة الشمس » وهي مرج في ظاهر المدينة يملأ ليلاً بأنواع الأطعمة من لحوم الحيوانات ذوات الأربع التي يرسلها كهراء المدينة لأغراض في انفسهم فيأتي من شاء نهراً ويتناول غذاءه منها وهم يعتقدون ان الارض نفسها تلبت لهم هذه اللحوم من وقت الى آخر .

واخيراً زاروا قبور الإثيوبيين وهي مصنوعة من البلور على الطريقة الآتية : يجففون الجسد أولاً على طريقة المصريين او طريقة أخرى ثم يطلونه بالجص (Gypsum) ويدهنونه حتى يشبه منظره الحي ما امكن ثم يضعونه في اسطوانة مجوفة من البلور الذي يصنعون منه كثيراً بسهولة وبذلك يرى الميت ولا تلبث منه رائحة كريهة فيحفظ أدنى أقارب الميت هذه الاسطوانة في بيوتهم مدة سنة فيقدمون لها الذبائح وبأكورة كل شيء وفي نهاية السنة يخرجونها خارجاً ويضعونها في مكان قرب المدينة .

ولما رأى الجواسيس كل شيء عادوا الى بلادهم وقصّوا على الملك كميّز جميع ما رأوه وسمعوه فغضب من كلام ملك إثيوبيا غضباً شديداً وأمر جيشه بالزحف على الإثيوبيين في الحال ولكنه لم يدبّر له الاقوات ولا قدر انه غاثر بلاداً بعيدة في أقصى اليمور بل سلك مسلك النزق والحق كمن أضاع رشده وزحف بجميع جيوشه البرية فلم يبق في مصر الا اليونانيون ولما وصل ثيبة ارسل نحو خمسين ألفاً الى الامونيين (واحة سيوه) وأمرهم باستعبادهم وحرق هيكل جوبيتر بالنار فذهبوا ولم يعودوا ولا عاد منهم خبر ويظن انه ثارت عليهم عاصفة من الرمال في الطريق فأهلكتهم . وسار هو بباقي جيوشه الى الإثيوبيين ولكنه لم يقطع خمس الطريق حتى نفذت منه الاقوات فشرع

المساكر في أكل حيوانات الحمل حتى نفدت. فلو عدل كمبيز عن عزمه اذ ذاك وعاد بجيشه لعد حكيماً وُغفرت زلته الاولى ولكنه بقي مستمراً في السير حتى صارت المساكر تأكل العشب فلما وصلوا الى الرمال اضطرتهم الجوع الى اعمال فظيعة فصاروا يحتممون عشرة عشرة ويلقون القرعة فمن أصابته أكلوه فلما رأى كمبيز ما حل بجيشه عدل مرغوماً عن غزو الايشوبيين وقفل راجعاً الى ثيبة بعد ان فقد جانباً عظيماً من جيشه ثم أتى الى منف وسمح لليونانيين بالرجوع بحراً الى بلادهم وهكذا انتهت غزوة كمبيز للايشوبيين ، اه . ومن ملوك ايشوبيا الذين عاصروا كمبيز فاشتهروا بالسطوة والافتدار ودانت لهم كل قبائل ايشوبيا شرقاً وغرباً حورسياتف ونستوسن .

ثم نرى المصريين قد استقلوا عن الفرس وقام منهم الدول الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون والثلاثون (سنة ٤١٥ : ٣٤٠ ق.م) . ولكن لم يكف الفرس عن مناوأتهم كل هذه المدة فشغلهم عن ايشوبيا ودامت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى فاز الفرس وكانت مصر اذ ذاك بيد الملك نكتانيبس فانهزم الى ايشوبيا السفلى وملك الفرس مصر المرة الثانية فأفسوا الدولة الحادية والثلاثين (سنة ٤٣٠ : ٣٣٢ ق.م) . وكان آخر ملوكها الملك دارا الثالث الذي كان معاصراً لاسكندر المقدوني الشهير .

٢ - تاريخ مروي في عهد اليونان على مصر

(٣٣٢ : ٣٠ ق.م)

وفي ايام الملك دارا اخذت دولة الفرس تتقهقر وبدأ نجم اليونان في الارتفاع فشرع الاسكندر في مدّ فتوحاته وتوسيع نطاق مملكة ابيه ففتح الهند وفارس ثم التفت الى مصر فأخذها من الفرس وبني الاسكندرية فجعلها عاصمة البلاد . وتولاها بعد وفاته (سنة ٣٢٣ ق.م) البطالسة اليونان فدّوا حدودهم في ايشوبيا الى المحرقة على نحو ثمانين ميلاً من الشلال الاول حيث بنوا

هيكلا لا تزال آثاره باقية إلى الآن . ومن آثارهم هياكل كلابشة والدكة وغيرهما من بلاد إثيوبيا السفلى وهيكل جزيرة فيلي المعروف الآن « بقصر أنس الوجود » شرع في بنائه بطليموس فيلادلفوس وهو بطليموس الثاني (سنة ٢٨٥ : ٢٤٧ ق.م) ثم اشتغل فيه كل من جاء بعده من البطالسة حتى أتموه فاذاً هو من أجل الهياكل التي بناها القدماء والباقي منه إلى الآن يدل على أنه كان من الجمال وحسن الهندام على جانب عظيم .

الملك ارجمينس : وقام على إثيوبيا في أيام بطليموس الثاني المتقدم الذكر « الملك ارجمينس » وكان للكهنة الإثيوبيين إلى أيامه سلطة عجيبة على الشعب والملك معاً حتى كان من عادة كهنة مروى أنهم إذا غضبوا على ملك أرسلوا إليه رسلاً يأمرونه بقتل نفسه بحجة أن ذلك يسر الآلهة . قبل وكان الأمر يسحره فيخضع له صاغراً حتى قام ارجمينس هذا وكان ملكاً حربياً متثقفاً بآداب اليونان وعلومهم وكان يكره الكهنة ولا يطيق غطرستهم فأرسلوا إليه أمراً ليقتل نفسه فهاجه الأمر وحمل عليهم في الهيكل الذهبي الذي كانوا يقيمون فيه وقتلهم عن آخرهم . وسن قوانين جديدة لمملكته وحوّر كثيراً في ديانة الإثيوبيين . ومن آثاره الباقية إلى الآن هيكل في دكا المعروفة قديماً باسم سلقينس بناه على أطلال هيكل من بناء الدولة المصرية الثانية عشرة .

الملك ازخر آمن : وقام بعده على إثيوبيا الملك ازخر آمن فبنى هيكلًا في دبود المعروفة قديماً باسم تاهت ولا تزال آثاره ظاهرة إلى اليوم . ولم يشتهر من ملوك مروى في عهد البطالسة على مصر غير هذين الملكين .

مملكة اكسوم ومملكة سوبه : ومن ممالك إثيوبيا التي اشتهرت في هذا العهد مملكة اكسوم في شمالي الحبشة على بضعة أميال من عدوه . ومملكة سوبه على النيل الأزرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم . وقد ذكر المؤرخون أن بطليموس يورجيتس الثاني ثامن البطالسة (سنة ١٤٦ : ١١٧ ق.م) زحف على مملكة مروى ففتحها ثم سار جنوباً ففتح مدينة اكسوم ودون خبر فتوحاته باللغة

اليونانية على حبر من الرخام في ميناء ادولس المعروفة الآن بميناء زولا على عشرين ميلاً إلى الجنوب من مصوع وهي ميناء اكسوم. وقد وصف المؤرخون الإثيوبي تلك الأيام بالشجاعة الوحشية وعدم النظام كأهل السودان في هذه الأيام. أما جيش بطليموس فكان على أتم النظام وكان معه في هذه الغزوة خمسمائة فارس من اليونانيين فألبس مئة فارس منهم نسيجاً ثخيناً من الكتان وألبس خيلهم أيضاً من هذا النسيج لكي لا تؤثر فيهم سهام الإثيوبيين. ولم يسبق أن ملكاً من ملوك مصر مدّ فتوحاته جنوباً إلى الحد الذي وصل إليه بطليموس ولكنه لم يستطع حفظ سلطته على البلاد التي فتحها فعادت لأهلها كما كانت وعادت حدود اليونان إلى الحرقة.

٣ - تاريخ مروي في عهد الرومان على مصر

(٣٠ ق م : ٦٤٠ ب م)

وكان آخر من ملك مصر من البطالسة كليوباترا ابنة بطليموس أوليتس وبعد وفاتها آل ملك مصر إلى الرومان في عهد الامبراطور اوغسطس قيصر فجعلها ولاية من ولاياته يتولاها وال أو نائب روماني ويحكمها بموجب الشرائع الرومانية. وكان أول من تولاها من الرومان « كرنيليوس جالوس » وقد ظهر من كتابة على بعض الآثار أن « الملك توياكوتاس خوانوس » (ويظن أنه ملك سوبه) أرسل رسلاً في أيام هذا الوالي إلى فيلي ودخل في حيازة الرومان.

الملكة كنداك : وفي سنة ٢٣ ق م أخرج الامبراطور اوغسطس قيصر معظم عساكره من مصر لغزو بلاد العرب وكان على مروي حينئذ ملكة تلقب بكنداك تحب الحرب والفتوح فاغتنمت الفرصة وسارت بجيش مؤلف من ٣٠ ألف مقاتل إلى مصر تريد افتتاحها ففتحت حامية فيلي وحامية اصوان اللتين على حدود مصر ودخلت مصر العليا وكان النائب الروماني إذ ذاك

رجلاً شديداً البأس يسمى بترونيوس فعمل على كنداكة بجيش منظم مؤلف من عشرة آلاف راجل وثمانمائة فارس فلما سمعت كنداكة باستعداده رجعت الى اثيوبيا السفلى فتأثرها حتى أدركها بقرب سلقيس (دكا) وطلب منها ردّ الاسرى والغنائم التي أخذتها من مصر ولما لم تجبه جواباً مرضياً حمل عليها وكان معظم جيشها غير منظم ولا سلاح له الا الفؤوس والنبابيت فانتصر عليها انتصاراً عظيماً وشتت جيشها كل مشتت ثم تقدم الى ابريم وكان فيها حامية قوية للإثيوبيين فاستولى عليها ثم سار الى نبتة فخرّبها. وفرت الملكة كنداكة من وجهه فامتعت في قلعة في الشلال الرابع ولما رأت ان لا طاقة لها على حربه بعثت اليه في طلب الصلح وكان بترونيوس قد نقد منه الزاد وأضنى جيشه الحرّ فاضطر ان يرجع الى الاسكندرية قبل نهاية الصلح وفي طريقه أقام حامية في ابريم مؤلفة من ٤٠٠ رجل وحامية في دكا . فلما رأت كنداكة ان بترونيوس رجع عنها مضطراً جمعت شتات جيشها وسارت حتى وصلت ابريم فحصرتها ولكنها لم تلبث ان رأت عجزها عن استمرار الحصار فرفقته وأرسلت سفراءها المرة الثانية الى بترونيوس في طلب الصلح فأرسل بترونيوس السفراء الى الامبراطور اوغسطس قيصر وكان اذ ذاك في جزيرة ساموس في الارخبيل الرومي فصالحهم على الشروط التي قدمتها كنداكة . ولهذا الامبراطور هيكل قائم الى الآن في دندور على ٥٢ ميلاً من الشلال .

ثم لم يكن بين الرومان واثيوبيا ما يُذكر الى ايام الامبراطور نيرون وهو الامبراطور الخامس من أباطرة الرومان على مصر فانه في سنة ٦٠ ب.م ارسل حملة الى اثيوبيا بقصد اكتشاف منابع النيل فكان من اخبارها انها سارت فيه حتى وصلت الى مستنقع لا يمكن سلوكه فعمادت بالخبية الى مصر ولعلّ هذا المستنقع هو « السد » . قالوا وكان الحاكم على مروي في عهد هذه الرسالة ملكة تلقب بكنداكة . وهذا آخر عهدنا بملكة مروي .

اما « ملكة اكسوم » فيؤخذ مما كتبه المؤرخون عن هذا العهد انه كان بينها وبين الرومان علائق تجارية دامت طويلاً وان الرومان لم يسمحوا لأهلها

ببناء المراكب او الملاحة في البحر الاحمر. ثم كانت النصرانية فاعتنقتها مملكة اكسوم في القرن الرابع وعُرفت البلاد بعد ذلك باسم الحبشة ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى اليوم وقد أفردنا للحبشة تاريخاً خاصاً قائماً بذاته . اما مملكة سوبه ، فلم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من اخبارها في الجاهلية الا ان آثارها الباقية الى الآن تدل على انها كانت على درجة سامية من الحضارة وال عمران . ويظن البعض انها كرسى مملكة سبأ التي جاءت لتختبر حكمة سليمان . وبقيت سوبه على الوثنية الى ان امتدت النصرانية اليها من مصر فقامت فيها مملكة نصرانية عُرفت عند مؤرخي الاسلام بمملكة علوة وسأني على ذكر تاريخها .

النوبة والبجة : هذا وقد ذكر استرابو (٥٤ ق . م : ٢٤ ب . م) ان الايشوبيين فوق اصوان كانوا في ايامه اربع قبائل مختلفة : التروقلوديته ، والبلاد (والمشهور انهم البجة) ، والنوبة ، والمقباري . فسكن البلاد المقباري في الصحراء الشرقية شمالي مروي الى جهة حدود مصر في مكات الأوابو والمازاو المتقدم ذكرهم وكانوا تحت حكم الايشوبيين . وسكن التروقلوديته في الصحراء الشرقية فكان حدهم الشمالي بيرينيس (راس بناس) والغربي النيل وظن بعضهم انهم هاجروا الى هذه الجهة من جزيرة العرب بعد افتتاح بطليموس يورجيتس لايشوبيا . وسكن النوبة على النيل . وذكر غير استرابو من المؤرخين وجود قبيلة الاشتيفاجي على شطوط البحر الاحمر .

ولكن لم يشتهر في تاريخ ايشوبيا بعد ان دالت دولة مروي الا النوبة والبجة الذين ما زالوا الى الآن مقيمين في الاماكن المارة ذكرها .

وقد انتظم للنوبة ملك في تلمس (كلاشة) وكان بينهم وبين البجة وقائع ممدودة فقرأ على جدران هيكل كلاشة المتقدم الذكر كتابة باليونانية مفادها : ان الملك سلكو ملك النوبة وكل الايشوبيين انتصر على البجة في عدة وقائع . وذكر فوبسكوس ان يروبس النائب الروماني الذي تولى مصر من سنة ٢٧٦ : سنة ٢٨٤ ب . م غزا البجة في صحراء ثيبة فقهزم وأرسل منهم اسرى الى

رومية . وذكر بعض المؤرخين ان البجة ما زالوا يغزون الحدود المصرية كلما سنحت لهم الفرصة .

هذا وكانت المحرقة آخر حدود مصر الجنوبية في ايام الرومان كما كانت في ايام اليونان . فرأى الامبراطور ديوقليسيان (٢٨٤ : ٣٢٣ ب . م) ان خراج البلاد التي بين المحرقة واصوان لا يفي بنفقات العساكر اللازمة لجمعه فلا فائدة من حفظها فأقطعها للنوبة وأعاد الحدود المصرية الى اصوان فقامت لحماية الفنتين وعقد مع النوبة معاهدة جديدة وجعل للنوبة وللبجة جعلاً معلوماً من المال يدفع لهم كل سنة على شرط ان البجة يكفثون عن غزو الحدود المصرية وانهم اذا لم يتمتعوا عنه من انفسهم منعتهم النوبة بالقوة . وقد أسكن بعضهم في جزيرة الفنتين وسمح لهم بالصلاة في الهياكل مع الرومانيين وسمح لكهننتهم بالاقامة في الهياكل مع كهنة الرومانيين فوفوا بالعهود الى ايام الامبراطور مارسيان ثم نكثوا بها وغزوا بلاد مصر العليا فغنموا وأسروا وعادوا الى بلادهم فهاجمهم الجنرال مكسيمينوس الروماني قائد ثيبة فقهرهم جميعاً اي النوبة والبجة معاً وذلك سنة ٤٥١ ب . م فطلبوا الصلح على ان لا يدخلوا مصر ما دام هذا القائد على ثيبة اما مكسيمينوس فلم يرض ان يكون بينه وبينهم صلح حتى يرجعوا الاسرى ويدفعوا قيمة ما غنموه من مصر ويجعلوا بعض كبارهم رهناً ففعلوا فعقد معهم صلحاً لمدة سنة .

وكان من عادة النوبيين منذ القديم ان يذهبوا كل سنة الى هيكل ايسس في جزيرة الفنتين ويأخذوا احد التماثيل الى بلادهم فيستخيرونه في شؤونهم ثم يرجعونه الى الهيكل فلما فرض عليهم في هذا الصلح ان لا يدخلوا مصر سألوا مكسيمينوس ان يأذن لهم في زيارة الهيكل كل سنة لئلا يمترضهم خفراء الرومان فأذن لهم وكتبت المعاهدة على ورق البيروس وعُلقت في هذا الهيكل ولكن لم يكن الا القليل حتى مات مكسيمينوس فنقض النوبيون المعاهدة ودخلوا بلاد ثيبة فاكتسحوها واسترجعوا رهائنهم بالقوة وأعادوا عبادة ايسس وسرابيس الى بلاد ثيبة وذلك بعد ان بطلت عبادة الاوثان تماماً من تلك البلاد

بأمر ثيودوسيوس الاول بسبعين سنة وما زالت مصر تعاملهم بالرفق الى ان قام الامبراطور جوستينيان (سنة ٥٢٧ : ٥٦٦ ب . م) فأغلظ معاملتهم وأمر نرفس قائد حامية فيلي فحرب هياكلهم وسجن كهنتهم وارسل قنايل آلهتهم الى البيزانتيوم (الآستانة) وكان هذا آخر عهد الوثنية في بلاد مصر.

النصرانية في مصر وايشيوبيا : اما تاريخ دخول النصرانية الى مصر فقد كان في عهد الامبراطور نيرون (سنة ٤٥ : ٦٨ ب . م) وفي المشهور انها دخلتها عن يد القديس مرقس فلاقت اضطهادات شديدة من أباطرة الرومان وكان أشدهم اضطهاداً لها ديوقليشان (سنة ٢٨٤ : ٣٢٣ ب . م) فانه نكل بالمسيحيين وقتل في يوم ١٣ يونيو سنة ٢٨٤ ب . م ما يعد بالآلاف فصار المسيحيون يؤرخون سنهم من هذا اليوم وهو تاريخ الاقباط المعروف بتاريخ الشهداء الى هذا العهد . ولكن اضطهاد ديوقليشان لم يضعف النصرانية بل زادها قوة وانتشاراً حتى اعتنقها الامبراطور قسطنطين الكبير (سنة ٣٢٣ : ٣٣٧ ب . م) الذي جعل سرير ملكه في القسطنطينية وجعل الديانة المسيحية ديانة مملكته في اوروبا وآسيا ومصر . ومع ذلك لم تبطل الوثنية بل بقيت متبعة في وادي النيل وبقي لها أنصار الى ايام الامبراطور ثيودوسيوس الاول (سنة ٣٧٩ : ٣٩٤ ب . م) الذي نهى المصريين عن عبادة الاصنام في اول سنة من حكمه وأمرهم باتباع الديانة المسيحية وانفاذاً لأمره أسرع فهدم الهياكل وأزال الانصاب وأبطل جميع التقاليد التي كان المصريون يعتبرونها من ضروريات التدبير وساعده على ذلك ثيوفيلس بطريرك الاسكندرية إلا ان الديانة الوثنية لم تنتف من جزيرة فيلي حتى أواسط القرن السادس كما مر .

ومن هذا العهد (سنة ٥٤٥ م) أخذت النصرانية تمتد جنوباً في وادي النيل حتى عمت كل بلاد النوبة . وقد تقدم لنا ان الحبشة اعتنقوا النصرانية في القرن الرابع فأصبحت بلاد ايشيوبيا كلها تدين بالنصرانية إلا البجة في الصحراء الشرقية فانهم بقوا على الوثنية .

ثم لم تكد النصرانية تنتشر في بلاد ايشوبيا حتى كان الاسلام في جزيرة العرب وافتتح المسلمون مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م واحتاطوا ايشوبيا من الشمال والشرق فكان لهم مع نصارى الحبشة والنوبة ووثني البجة من الشأن ما سنبينه في محله إن شاء الله .

الفصل الرابع

في

آثار إثيوبيا ولغاتها وديانتها وتمدنّها وحكومتها وشرائعها
وأخلاق أهلها وعاداتهم

آثار نبتة : واما آثار إثيوبيا الباقية الى الآن فتدل انها كانت على جانب عظيم من المدنية. وال عمران . وأشهر هذه الآثار وأقدمها آثار نبتة عند جبل البرقل وهي خرائب هياكل وأهرام . اما الهياكل فمن عهد الملك رعسيس الكبير المصري ومن بنائه او من بناء طهراق الاثيوبي وخلفائه واما الاهرام فكلها من بناء طهراق وخلفائه . وقد رأيت هذه الاهرام من النيل سنة ١٨٩٦ ولم أوفق الى زيارتها ولكن الذين زاروها قالوا ان في جبل البرقل ١٣ هرمًا وفي بلدة نوري تجامه ٢٥ هرمًا وكلها مبنية بالحجر الرملي على شكل اهرام مصر إلا انها تختلف عن هذه في كونها اصغر وفي واجهة كل هرم منها إيوان كإيوانات الهياكل المصرية . واما مدينة نبتة نفسها فقد تخرّبت تخرّبًا تامًا ولم يبقَ ما يدل عليها سوى أطلال بالية قرب جبل البرقل .

آثار مروى : وبلي آثار نبتة في القدم والأهمية آثار مروى ومعظمها قائم

حيث كانت عاصمتها بقرب جبل أم علي على ٢٦ ميلا الى الشمال الشرقي من شندي وبضعة أميال من النيل وهي خرائب هياكل (بينها هيكل امون) وأهرام تبلغ الثمانين هراماً في ثلاثة مجاميع . وقد رأيت هذه الأهرام سنة ١٨٩٨ فإذا هي قائمة في مرتفعات على مسافة ساعة أو أكثر من النيل وقد وصفها الذين زاروها فقالوا إن اضلاع قاعدتها تختلف من ١٢ : ٦٠ قدماً وارتفاع أعلاها ١٦٠ قدماً وهي على شبه أهرام مصر إلا أن نسبة قاعدة الهرم الى علوه فيها أعظم منها في أهرام مصر . هذا وفي جزيرة مروى على نحو ٣٢ ميلا الى الجنوب الشرقي من شندي بركة تجتمع اليها مياه الأمطار تعرف بالنقع حولها آثار هياكل فضيمة . وبين النقع وشندي جدران وأعمدة هيكل يبلغ محيطه الف يرد . وقد ذكر الباحثون أن في نبتة نفسها آثار لملوك مروى وأن الهيكل القائم الآن في بلدة عمارة على ١٠٠ ميل من الشلال الثاني هو من بناء ملوك مروى . وقال بعض المؤرخين أن مروى كانت تجهز للحرب جيشاً مؤلفاً من ٢٥٠ ألف مقاتل وكان فيها ٤٠٠ ألف من أرباب الصنائع وأن قد حكمها ٤٥ ملكاً وملكة أكثرهم من الملكات وجرى على الآثار رسوم بعض هذه الملكات يقدر من القرابين للآلهة أو يمثلن أبطالاً منتصرين وقد لُقِبَ الملكات بكنداكة كما لُقِبَ ملوك مصر بالفراعنة والفرس بالقيصرة .

ومما هو جدير بالذكر أن اسم مروى غير معروف في الجزيرة الآن بل بالبلدة المعروفة بهذا الاسم واقعة قرب البرقل عند موقع مدينة نبتة وبين مروى هذه ومروى القديمة قرب شندي طريق في الصحراء تمر بآبار الجكدول طولها نحو ١٨٠ ميلا .

وقد اختلف العلماء في مؤسسي مروى والذي عليه البعض أنهم الكهنة الذين طردوا من ثيبة سنة ٩٠٠ ق . م .

آثار اكسوم : ثم يلي آثار مروى في الشهرة والقدم آثار اكسوم وسيأتي ذكرها .

آثار سوبه : اما سوبه فلم يبق من آثارها الى الآن إلا خرائب قديمة .
وكان قد بقي فيها الى زمن الفتوح المصري بعض التماثيل والأنصبه فنقلت منها
آثار ايثيوبيا السفلى : هذا في آثار ايثيوبيا العليا وهي مصرية ايثيوبية
اي انها من بناء المصريين . اما آثار ايثيوبيا السفلى المتقدم ذكرها في فيلي
ودبود ونددور وكلايشة ودكا والمهرقة وكوبان والسبوع وعمدة والدر وابرهم
وابو سمبل وحلفا وسمنه وطنبس وارغو فكلها او اكثرها مصرية اي من بناء
الملوك المصريين .

لغات ايثيوبيا : اما لغة الآثار في ايثيوبيا فهي اللغة الهيروغليفية المصرية
بعينها لكن الهيروغليف الذي على آثار ايثيوبيا غير متقن الصنع كالهيروغليف
الذي على آثار مصر . هذا ونرى على الآثار ايضا بعض كتابات باللغة اليونانية
من زمن البطالسة وباللغة اللاتينية من زمن الرومان وباللغة القبطية من عهد
النصرانية . وعلى بعض الهياكل كتابة أحرفها قبطية ولكن رموزها لم 'تحل'
بعد وقد سميت باللغة الايثيوبية المسيحية .

واما لغات الاثيوبيين انفسهم فمعلوم انها كانت تختلف عن لغة المصريين
والباقى منها الى الآن : لغة النوبة وهي لغة سكان النوبة السفلى وقد قال فيها
بعض علماء اللغات انها من أصل افريقي لأنها لا توافق اللغات السامية وقد
تقدم الكلام عليها . ولغة البجة وهي من اللغات الحامية ويظن لبسيوس انها
لغة مروى القديمة واما الدكتور هيس الالماني المقيم في مصر لدرس لغة النوبة
فيقول ان هذه اللغة هي لغة مروى القديمة بدليل ان بعض كلماتها الاسامية
كالماء والنور والارض تشابه ما ورد من الأسماء في تاريخ مروى . ولغة الجيز
وهي لغة اكسوم القديمة وما زالت لغة بلاد التيفري الى هذا اليوم وسيأتي
ذكرها في تاريخ الحبشة .

ديانة الاثيوبيين : اما ديانة الاثيوبيين فعلى مثال ديانة المصريين القدماء
وكانت أعظم معبود لهم جوبيتر آمون . ومن معبوداتهم الرئيسية ايسس

والصقر (Hawk) والتمساح الذي كانوا يعبدونه باسم سبقي (Sebek) .
 تمدن الإثيوبيا ، هذا وقد اختلف علماء الآثار أي تمدن أقدم تمدن
 إثيوبيا أم تمدن مصر وأي البلادين أخذت تمدنها عن الأخرى والرأي الأظهر
 أن تمدن مصر هو الأقدم وأن إثيوبيا أخذت الصنایع والفنون بل الديانة
 وشرائعها عن مصر بدليل أن النصب والهياكل بما عليها من الرسوم والهياكل غليظ
 تراها كأنها نسخ عاطلة عن الأصل القديم المصري . وقد كانت بين مصر
 وإثيوبيا اتصال دائم وطرق الاتصال عدا النيل ؛ طريق المرات بين كورسكو
 وأبي حمد ، وطريق قفط إلى القصير ثم في البحر الأحمر إلى بلاد البوانيت ،
 وطريق قفط إلى بيرينيس (راس بناس) مسيرة ١٢ يوما . وأول من فتح
 بيرينيس بطليموس فيلادلفوس وسماها باسم اخته وفي آخر طريقها جبل
 الزمر المعروف الآن باسم جبل زبارة . قيل وجنوب هذا الميناء قرب سواكن
 معادن ذهب . هذا وفي الطرق الداخلية التي بين شندي وكل من سواكن
 ومروري وسوبه والتي بين الدبة وام درمان آبار قديمة العهد تدل صريحا على
 أنها كانت مطروقة منذ عهد بعيد .

حكومتها وشرائعها : أما حكومة إثيوبيا فكانت من النوع الملكي المطلق
 وكانت البلاد على ما رواه بليني مقسومة إلى ٤٥ مملكة أقواها وأزهاها مملكة
 مروى إلا أن بليني لم يذكر أمستقلة كانت هذه الممالك بعضها عن بعض أم
 تحت سلطان واحد ولا يبعد أنها كانت في ذلك العصر على نحو ما كانت عليه
 مملكة سنار قبيل الفتح المصري . ويفهم مما كتبه ديودورس الصقلي أن بعض
 ممالك إثيوبيا كانت انتخابية وملوكها ينتخبون من الكهنة ويؤهلون بعد
 تليقهم لذلك كان حكمهم من النوع المطلق ولكن كان لا بد لهم من مراعاة
 شرائع البلاد وعرفها وعاداتها في أكثر أحكامهم . وقد كان من قوانين الخلافة
 عند بعض القبائل أنه بعد موت ملكهم يخلفه ابن اخته فلذا لم يكن لأخواته
 ذرية ملكوا عليهم رجلا من أجل رجال العائلة المالكة وأقوام . وإذا أصيب
 الملك يجرح أو تعطلت وظيفة عضو من أعضاء جسده اضطر رجال حاشيته

ان يحرقوا انفسهم مثل جرحه او يعطوا في جسمهم نظير العضو الممثل في جسمه . واذا مات الملك اضطر جميع خدمه اتباعاً لقانون او عادة مستحكة فيهم ان يقتلوا انفسهم وكانوا يعدون ذلك أقوى شاهد على تمام اخلاصهم له . وكانت هذه الشرائع مرعية في جزيرة مروى والبلاد التي الى شمالها وأما البلاد التي الى جنوبها على شاطئ النيل فقد كان بعضهم يملكون عليهم راعياً من أشد الرعاة إقداً واجتهاداً وبعضهم يملكون أغنى رجل فيهم لاعتقادهم ان الأغنياء هم أقدر الناس على إدارة البلاد وسد حاجات العباد .

أخلاق الايشوبيين وعاداتهم : اما سكان ايشيوبيا فظاهر من رسومهم التي على الآثار انهم من أصلين كبيرين وهما السود وبنو كوش ثم نشأ عن اختلاط بعضها ببعض جنس ثالث سميناه شبه السود كما مر وقد رأيت انه هاجر الى ايشيوبيا الكثير من المصريين في مدائن مختلفة فسكنوا مع الايشوبيين وتجنسوا بهم فنتج من هذا الاختلاط قبائل شتى تختلف في الهيئات والعادات كما تختلف في اللغات والاحكام .

وذكر المؤرخون القدماء تنقياً من عادات الايشوبيين وأخلاقهم فاذا هي متأصلة في عادات اهل السودان وأخلاقهم اليوم على بُعد المهد وتغير الأحوال . فقد وصف الايشوبيون بحب الحرب والشجاعة الوحشية واشتهر بعضهم بالكرم والوداعة وحب العدل والصفح عن الزلات . وكان اكبر الميوس على من ارتكب ذنباً يستحق القتل ان يفر من وجه القصاص الى بلاد أجنبية . قال ديودورس : وكان اذا صدر أمر الملك بقتل رجل فخيّل له الفرار من ايشوبيا قيدته أمه نفسها بوثق متين ومنعته من الفرار ولم يبد أقل مقاومة لها وإلا جلب على نفسه وعلى أهله وذريته من بعده عاراً لا يمحي . وكان التروقلوديتة يحترمون المسنات من النساء كل الاحترام حتى انهم اذا كانوا في أشد قتاهم ودخلت بينهم امرأة مسنة تركوا سلاحهم وكفوا عن القتال وكان من عاداتهم ان يدفنوا موتاهم على رؤوس التلال وينطوا قبورهم بالحجارة ويعملوا فوق كل قبر قرن ماعز علامة عليه . وكان بعض قبائل ايشوبيا

يدفنون موتاهم قرب هياكلهم في توابيت من خزف وبعضهم يرمونهم في النيل ويحسبون ذلك أفضل أنواع الدفن..

وقد وصف هيرودوتس الرجال الاثيوبيين بأنهم كبار الأبدان حسان الصور ويعمرون طويلا وأما نساء الاثيوبيين فيظهر من تمثال الملكة آمن ريتس السالف ذكرها ان المخدرات منهن كن صقر الألوان كمخدرات العرب في هذه الايام .

وكان الاثيوبيون يلبسون ثياباً من جلد النمر والأسد . ومن أسلحتهم القوس والنبات والحرايب والنباتيت والدرق. قال هيرودتس ولهم قسي طويلة من جريد النخل طول الواحدة أربع أذرع على الأقل وسهامهم قصيرة وهي من القنا وفي رؤوسها حجارة محدة يعملون فيها السم ويستخدمونها لحفر أخنسامهم وكان لهم حرايب برؤوس من قرون الغزلان ودبابيس كثيرة المعبر ومتى ساروا الى الحرب فركوا نصف أبدانهم بالجلص والنصف الآخر بالزنجفر.

وكان العساكر يعقدون نباهم حول رؤوسهم فيشكلون أطرافها في الشعر حتى تبرز رؤوسها فوق جباههم كالأشعة ويكون منها اكليل. وكان للاثيوبيين ولا سيما سكان الصحراء الشرقية مهارة في رمي النبال فقلما كانوا يخطئون الغرض وكانوا يرمون اولادهم منذ الصغر على ذلك حتى كانوا لا يسمحون لهم بتناول الطعام إلا اذا أصابوا الغرض . وكانوا اذا اصطفوا للقتال أعظم الجو من كثرة السهام . وذكر استرابو ان نساء الاثيوبيين كن يحملن السلاح . وكانوا يكرهون الفيران كرها شديداً ويربون الكلاب للصيد ويضطادون الأفيال والنعام بطرق مختلفة ويأكلون لحومها . وكان غالب طعامهم اللحم المقدد وشرايبهم اللبن والذين سكنوا سواحل البحر الاحمر كان أكثر قوتهم السمك . ومنهم قبيلة تعرف باسم انتريبوفاجي تأكل لحوم البشر كالنيام نيام في هذه الأيام . وكان للاكريدوفاجي واد عميق طوله عدة غلوات فكانوا يملثونه حطباً ويلتظرون الريح الجنوبية حتى تقذف رجل الجراد الى ذلك الوادي فيشعلون النار بالحطب فيختنق الجراد ويقع الى الارض فيغطيها على بعد غلوات فيجمعونه

ويقدّمونه ويخزّونّه للتقوّاجه . وكان هؤلاء القوم في أسوأ حال من العيش ولذلك لم يكن فيهم من يزيد عمره على الأربعين سنة . وكان أثمن المعدن عند الايتيوبين النحاس فكانوا يفضلونه على الذهب الذي كان عندهم بجمام الحديد عندها حتى كانوا يعملون منه سلاسل للمجرمين . وكانوا يمارسون الحتان كالمصريين إلا ان هيرودوتس لم يستطع الحكم في أي الفريقين اخذ من الآخر .

هذا ما كان من اخبار ايتيوبيا او السودان في الجاهلية فلنتقدم الآن الى ما صارت اليه في النصرانية ثم في الاسلام .

الباب الثاني

في

تاريخ النوبة في عهد النصارى

١ - تمهيد جغرافي

تقدم انه بعد ان دالت دولة مروى لم يشتهر في ايتيوبيا إلا أمتان: النوبة على النيل والبجة في الصحراء الشرقية وان النوبة اعتنقوا النصرانية في القرن السادس للمسيح وبقي البجة على الوثنية . ثم كان الاسلام ففتحوا مصر وكان لهم مع النوبة والبجة ما نبينه هنا نقلاً عن مؤرخي الاسلام الذين كتبوا عن هذا العهد دون غيرهم من المؤرخين . ويؤخذ مما كتبه انه كان للنوبة في عهد النصرانية مملكتان قويتان : مملكة النوبة السفلى امتدت من الشلال الاول الى الشلال الرابع وكانت عاصمتها دنقلة سجوز . ومملكة النوبة العليا وعرفت أيضاً بمملكة علوة امتدت من الشلال الرابع الى أعالي جزيرة سنار وكانت عاصمتها سوبه عن يمين النيل الازرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم .

قال المسعودي: « وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه وأأخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من ارض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها . واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوة وبنوا مدينة عظيمة وسموها سوبه » . وقال عن ابن دأب : « ثم سألتني الهادي (الذي عاش في أواسط القرن الثاني للهجرة) عن مدينة دنقلة وهي دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل اربعون يوماً على شاطئ النيل عتائر متصلة » . وقال ابو الفدا عن ابن سعيد : « ومن أمم السودان النوبة وهم يحاررون الحبشة من جهة الشمال والغرب . والنوبة في جنوب حدود مصر وكثيراً ما يفزوهم عسكر مصر . ويقال ان

لقمان الحكيم الذي كان مع داود النبي عليه السلام من النوبة وانه ولد بإياله . ومنهم ذو النون المصري وبلال بن حماسة . وهم نصارى . وقال المقرئ نقلا عن كتاب « أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل » لعبد الله بن احمد بن سليم الاسواني : كان يسكن في بلاد النوبة (السفلى) قوم يقال لهم المقرة وأول ارض المقرة قرية تعرف بنافة على مرحلة من اسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزام قبل مبعضه في ايام فرعون فأخرب نافة . فالتوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالتوبة هم المجاورون لأرض الاسلام وبين اول بلدهم وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلها جد النوبة ومقرئ جد المقرة من اليمن وقيل التوبة والمقرة من حير واكثر اهل الانساب على انهم جميعا من ولد حام ابن نوح . وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التائيل لها ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة . ومدينة دنقلة هي دار مملكتهم .

وقال المقرئ في علوة نقلا عن كتاب عبد الله الاسواني السالف الذكر « قال بلغني ان بعض متلكي بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا يسكنون ودوابهم في بيوت تحت الارض مثل السراذيب بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم عراة . قال وسوبه مدينة العلوي شرقي الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر المعروف الآن بالازرق الطرف الشمالي منها عند مجتمعها وشرقيها النهر الذي يحف ويسكن بطنه (ويشير الى نهر أبترة) وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين وممتلك علوة اكثر مالا من ممتلك المقرة وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقرئ وبلده أخصب وأوسع والنخل والكرم عندهم يسير واكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الارز منها خبزهم ومزهم . واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة حتى أنه لا يصل الى الجبل إلا في

أيام . وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب . ودينهم النصرانية يعاقبة . وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية كالتوبة . وكتبهم بالرومية (اليونانية) يفسرونها بلسانهم وهم اقل فهماً من النوبة وملكهم يسترق من شاء من رعيته يحرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو يتتوج بالذهب والذهب كثير في بلده .

و بما في بلده من المجائب ان في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنساً يعرف بالكروما او القرنا لهم ارض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في اربعة اركان الخطة يسيراً وجعل البذر في وسط الخطة وشيئاً من المزر وانصرف عنه فاذا أصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصد يسيراً منه ووضعه في موضع أراداه ومعه مزر وينصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرت . فاذا أراد دراسته وتذريته فعل به كذلك . وربما أراد أحدهم ان ينقي زرعه من الحشيش فيلفظ بقلع شيء من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع . وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد . وميرة بلد علوة ومملكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب قنوسق وربما وقع بينهم حرب . قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به ولولا ان اشتهاره وانتشاره مما لا يحوز التواطؤ على مثله لما ذكرت شيئاً من شناعته فأما اهل الناحية فيزعمون ان الجن تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتخدمهم بحجارة ينطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب وان السحاب يطيعهم قال ومن عجائب ما حدثني به متملك المقررة للنوبة انهم يمتطرون في الجبال ويلتقطون منه للوقت سمكاً على وجه الارض وسألته عن جنسه فذكروا انه صغير القدر بأذباب حمر .

ه قال وقد رأيت جماعة وأجناساً من تقدم ذكر أكثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنته من شجرة أو بهيمة وذكر انه رأى رجلاً في مجلس عظيم المقررة سأله عن بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثة أهلة وسأله عن دينه فقال ربي وربك الله ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال في السماء وحده . وقال انه اذا أبطأ عنهم المطر او اصابهم الوباء أو وقع بدوايهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضى حاجتهم قبل ان ينزلوا . وسأله هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما أبدوا من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا اه .

الفصل الاول

في

تاريخ النوبة السفلى

منذ دخول النصرانية اليها سنة ٥٤٥ م الى انقراضها منها سنة ١٣١٨ م

ان جل ما نعلمه عن دخول النصرانية الى بلاد النوبة ان قد جاءها رسل من الاسكندرية سنة ٥٤٥ م فبشروا اهلها بالنصرانية فاعتنقوها وتركوا عبادة الأوثان . ثم لا نعلم شيئاً من اخبارهم حتى كان الاسلام وافتتح المسلمون مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م قال ابن الاثير « فغزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهب الحدق لجودة رميهم فسموم رماة الحدق » .

وقال المقرئزي « وفي سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد ابن أبي سرح في عشرين ألف الى النوبة فمكث بها عبد الله بن سعد زماناً وصالحهم وقرّر عليهم شيئاً معلوماً من المال . ثم ان عمرو بن العاص كتب الى عبد الله بن سعد يأمره بالرجوع اليه فرجع . وسنة ٢٣ هـ ٦٤٤ م قتل الامام عمر بن الخطاب وتولى بعده عثمان وكان عبد الله بن سعد من أقاربه فعزل عمرو ابن العاص عن ولاية مصر وولى عليها عبد الله بن سعد . وفي اول ولايته نقض النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبينه وأرسلوا سراياهم الى صعيد مصر فأخربوا

وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي السرح المذكور وهو على إمارة مصر في خلافة عثمان (رضه) سنة ٣١ هـ . ٦٥٢ م وحاصروهم بمدينة دنقلة حصاراً شديداً ورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيسهم بحجر فبهروهم ذلك وطلب ملكهم قليدورون الصلح وخرج الى عبدالله وأبدى ضعفاً ومسكنة وتواضعاً فتلقاه عبد الله ورفعته وقرّبه ثم قرّر الصلح معه على ثلاثمائة وستين رأساً من الرقيق في كل سنة ووعده عبد الله بحبوب يهديها اليه لما شكا له قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتاباً نسخته بعد البسملة :

« عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي السرح لعظيم النوبة ولجميع اهل مملكته . عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد ارض اسوان الى حد ارض علوة . ان عبدالله بن سعد جعل لهم أماناً وصدة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاوروهم من اهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين واهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي ﷺ ان لا نحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نفزركم ما أقمت على الشروط التي بيننا وبينكم على ان تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه . وعليكم حفظ من نزل بلدكم او بطرفه من مسلم او معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم ردّ كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردّوه الى ارض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوزه الى ان ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصلياً . وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه . وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها الى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير الميب يكون فيها ذكران وأناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والي اسوان . وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد ارض علوة الى ارض اسوان . فإن اتم أويتم عبد المسلم او قتلتم مسلماً او معاهداً او تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم يهدم او منعم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً فقد برئت منكم

هذه الهدنة والأمان وعدنا نحن وانتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﷺ ولنا عليكم بذلك اعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من اهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك . كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة ٣١ هـ ٤٠٠ . وهذه الجزية التي تدفعها النوبة تسمى بقطاً .

« وكانت النوبة رفعت الى عمرو بن العاص ما صولحوا عليه من البقط قبل نكث عهدهم وأهدوا الى عمرو اربعين رأساً من الرقيق فلم يقبلها وردت الهدية الى كبير البقط ويقال له سمقوس فاشتري له بذلك جهازاً وخيراً ووجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحاً وشعيراً وعدساً وثياباً وخيلاً ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسماً يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة وصارت الاربعون رأساً التي أهديت الى عمرو يأخذها والى مصر . وعن ابي خليفة حميد بن هشام البحري ان الذي صولح عليه النوبة ثلاثمائة وستون رأساً لقيء المسلمين ولصاحب مصر اربعون رأساً ويدفع اليهم ألف اردب قمحاً ولرسله ثلاثمائة اردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألف اقتير للتملك ورسله ثلاثمائة اقتير وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي اربعة أثواب للتملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية أثواب ومن المعطى خمسة أثواب وجبة بجملة للملك ومن قصص ابي بقطر عشرة أثواب ومن احاص عشرة أثواب وهذه ثياب غلاظ ... »

قال ابن وصيف شاه : لما انتقلت الخلافة الى بني العباس وولي عبد الله السفاح سنة ١٣٢ هـ . ٧٥٠ م توجه عبدالله بن علي العباسي الى الشام في طلب من بقي من بني أمية ثم ارسل بالقبض على الامير عبيد الله بن مروان الحمار امير مصر فلما ان بلغ الامير عبيد الله ذلك دخل الى خزائن امواله وأخذ منها عشرة آلاف دينار ذهباً ثم احضر اثني عشر بفلاً وحلها ذلك المال وشيئاً من القماش والفرش وغير ذلك وأخذ معه جماعة من العبيد والغلمان ثم شدد على وسطه خريطة

ففيها جواهر فاخرة ثمينة وخرج من مصر هارباً فتوجه الى نحو بلاد النوبة. فلما وصل هناك وجد مدائن خراباً وبها قصور محكمة البناء فنزل في بعض تلك القصور وأمر غلمانه بكنسها فكنست وفرش فيها ما كان معه من تلك الفرش الفاخرة ثم قال لبعض غلمانه وكان ممن يثق بعقله أمض الى ملك النوبة وخذ لي منه أماناً على نفسي من القتل فخرج الغلام وتوجه الى ملك النوبة فغاب ساعة ثم عاد ومعه قاصد من عند ملك النوبة فلما دخل عليه قال له ان الملك يقرئك السلام ويقول لك أحارباً جئت اليه ام مستجيراً فقال له الامير عبيد الله ردت عليه مني السلام وقل له قد جاء اليك ليستجير بك من عدو يريد قتله فضي ذلك القاصد بالجواب فغاب ساعة ورجع وقال له ان الملك قادم عليك في هذه الساعة فقال عبيد الله لغلمانه افرشوا ما معنا من الفرش الفاخرة وجعل مرتبة في صدر المكان برسم ملك النوبة وجلس يرتقب مجيئه فيبينما هو على ذلك اذ دخل عليه غلامه وقال له ان ملك النوبة قد أقبل فقام الامير عبيد الله وصعد على أعلى القصر ونظر الى ملك النوبة فاذا هو رجل اسود طويل القامة نحيف الجسم وعليه بردان قد انتثر بأحدهما وارتندى بالآخر ومعه عشرة من السودان حوله ومعهم حراب بأسنة تلعب فلما رآه عبيد الله استصفر امره واحتقره فلما قرب من المكان الذي فيه عبيد الله أتاه من عسكره نحو عشرة آلاف رجل من السودان في أيديهم الحراب فلما وصل ملك النوبة على عبيد الله وأحاط ذلك العسكر بالمكان الذي فيه عبيد الله ووقعت عين ملك النوبة على الامير عبيد الله بادر الى يد الامير عبيد الله وقبلها فأشار اليه عبيد الله بأن يجلس على تلك المرتبة التي وضعها اليه فأبى وصار يدفع تلك الفرش الفاخرة برجله فقال عبيد الله للترجمان لم لا يقعد الملك على تلك المرتبة التي وضعناها له فقال له الترجمان في ذلك فقال ملك النوبة قل للامير كل ملك لا يكون متواضعاً لله فهو جبار عنيد متكبر ثم انه جلس بين يدي الامير عبيد الله وجعل ينكت في الارض باصبعه طويلاً ثم انه رفع رأسه الى الامير عبيد الله وقال له كيف سلبتكم ملككم وأخذ منكم وأنتم أقرب الناس الى نبيكم فقال له عبيد الله

ان الذي سلبنا ملكنا أقرب الى نبينا منا فقال له ملك النوبة فكيف أنتم تلوذون الى نبيكم بقرابة وأنتم تشربون ما حرم عليكم من الخمر وتلبسون الديباج وهو محرم عليكم وتركبون في سروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم ولم يفعل نبيكم شيئاً من هذا وبلغنا انك لما وليت على مصر كنت تخرج الى الصعيد وتكلف اهل القرى ما لا يطيقون وتفسد الزرع على الناس وتروم الهدايا والتقسام من اهل القرى وكل هذا لأجل كركي تصيده قيمته سبعة انصاف او ثمانية فصار ملك النوبة يعدد على الامير عبيد الله جملة ذنوب والامير عبيد الله ساكت لا يتكلم بحرف واحد ثم قال له ملك النوبة فلما استحلتم ما حرمه الله عليكم سلبتم ملككم وأخذ منكم وأوقع الله بكم نقمة لم تبلغ غايتها منكم وانا أخاف على نفسي ان أزلتلك عندي ان تحل بي تلك النقمة التي أحلت بكم والبلاء عام والرحمة مخصوصة ثم قال له ارحل من ارضي بعد ثلاثة أيام وإلا اخذت جميع ما معك وقتلتك ثم قتلة فلما سمع الامير عبيد الله ذلك خرج من ارض النوبة من يومه ورجع الى مصر فقبض عليه عمال الخليفة المنصور العباسي وبعثوا به الى بغداد فسجنه المنصور حتى مات في السجن اه عن ابن أياس .

وذكر القزويني هذه القصة فمزأها الى محمد بن مروان قال وجرى ذكر ملك النوبة في مجلس المهدي (محمد بن ابي جعفر المنصور العباسي سنة ١٥٨هـ : ١٦٩ هـ أي سنة ٧٧٥ م : ٧٨٥ م) فقال بعض الحاضرين ان له مع محمد بن مروان قصة عجيبة فأمر المهدي باحضار محمد بن مروان وسأله عما جرى بينه وبين ملك النوبة فقال لما التقينا ابا مسلم بمصر وانهزمتنا وتشتت جمعنا وقعت بأرض النوبة فأحببت ان يمكثني ملكهم من المقام عندهم زماناً فجاءني زائراً وهو رجل طويل اسود اللون فخرجت اليه من قبتي وسألته ان يدخلها فأبى ان يجلس إلا خارج القبة على التراب فسألته عن ذلك فقال ان الله تعالى أعطاني الملك فحق علي ان أقبله بالتواضع ثم قال لي ما بالكم تشربون النبيذ وانها محرمة في ملككم قلت نحن ما نفعل ذلك وانما يفعله بعض فساق

أهل ملتنا فقال كيف لبست الديباج ولبسه حرام في ملتكم قلت ان الملوك الذين كانوا قبلنا وهم الأكاسرة كانوا يلبسون الديباج فتشبهنا بهم لئلا تنقص هيبتنا في عين الرعايا فقال كيف تستحلون اخذ أموال الرعايا من غير استحقاق قلت هذا شيء لا نفعله ولا نرضى به وانما يفعله بعض عمالنا السوء فأطرق وجعل يردد مع نفسه « يفعله بعض عمالنا السوء » ثم رفع رأسه وقال ان الله تعالى جعل فيكم نعمة ما بلغت غايتها اخرج من ارضي حتى لا يدركني شؤمك ثم قام ووكل بي حتى ارتحلت من أرضه والله تعالى الموفق اه .

وقال القزويني : « بلاد النوبة ارض واسعة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغريبه وأهلها أمة عظيمة نصارى يعاقبة ولهم ملك اسمه كابيل يزعمون انه من نسل ملوك حير قال عليه السلام : خير سبيكم النوبة وقال ايضا : من لم يكن له أخ فليتخذ أخاً نوبياً . ومن عاداتهم تعظيم الملك الذي اسمه كابيل وهو يرم انه لا يأكل ويدخل الطعام عليه سراً فإن عرف ذلك احد من الرعية قتله لوقته ويشرب شراباً من الذرة مقوى بالمسل ولبسه الثياب الرفيعة من الصوف والخز والديباج وحكه نافذ في رعيته ويده مطلقة يسترق من شاء ويتصرف في أموالهم وهم يعتقدون انه يُحيي ويُميت ويُصح ويُمرض .

وقال البلاذري في كتاب الفتوحات في كلامه عن البقط : « ان المقرر على النوبة اربعمائة رأس يأخذون بها طعاماً اي غلة وألزمهم امير المؤمنين المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور (العباسي المار ذكره) ثلاثمائة وستين رأساً ووزرافة اه . »

وقال الليث بن سعد وهو من الثقات في اخبار النوبة : ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى ايام امير المؤمنين المعتصم بالله أبي اسحق بن الرشيد العباسي (سنة ٢١٨ هـ : ٢٢٧ هـ - ٨٣٣ م : ٨٤٢ م) وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن بحنس وكانت النوبة ربما عجزت على دفع البقط فشن الغارة عليهم ولأه المسلمين القريبون من بلادهم ومنعوا اخراج الجهار اليهم فانكروا فيرقى ولد كبيرهم زكريا على أبيه ذل الطاعة لغيره

واستعجزه فيما يدفع فقال له ابوه : فما تشاء ؟ قال : عصيانهم ومحاربتهم قال ابوه : هذا شيء رآه السلف من آباءنا صواباً وأخشى ان يفضي هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير اني أوجهك الى ملكهم رسولاً فأنت ترى حالنا وحالهم فإن رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبرة وإلا سألته الاحسان الينا فشخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان ترين له وهو يسير على المدن والمحدر بالمحدره رئيس البجة ولقيها المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهداه في طريقها فقرَّب المعتصم فيرقى وأدناه وأحسن اليه إحساناً تاماً وقبل هديته وكافاه بأضعافها وقال له تمنّ ما شئت فسأله في اطلاق المحبوسين فأجابته الى ذلك وكبر في عين المعتصم ووهب له الدار التي نزلها بالعراق وأمر ان يشتري له في كل منزل من طريقه دار تكون لرسلهم فانه امتنع من دخول دار لأحد في طريقه فأخذ له بمصر دار بالجيزة واخرى ببني وائل وأجرى لهم في ديوان مصر سبعمائة دينار وفرساً وسرجاً ولجاماً وسيفاً محلي وثوباً مثقلاً وعمامة من الخبز وقيص شرب ورداء شرب وثياباً لرسله غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم حملان . وخلع على المتولي قبض البقط وعليهم رسوم معلومة لقابض البقط والمتصرفين معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم مدية يجازون عليها . ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده اكثر من البقط وأنكر عطية الخمر وأجرى الحبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرَّر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتاباً بذلك بقي بيد النوبة . وطلب ملك النوبة من المعتصم إزالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لأن المسلحة على أرضهم فلم يجبه الى ذلك . ولم يزل الرسم جارياً بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى ان قدمت الدولة الفاطمية الى مصر اه . عن المقرئ .

وقال المسعودي في كلامه عن البقط : و عدد ذلك ثلاثمائة رأس وخمسة وستون رأساً وأراه رسم على عدد ايام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط

الهدنة بينهم وبين النوبة وللأمير في مصر غير ما ذكرنا من عدد السي اربعون رأساً وخليفته المقيم في بلاد اسوان المجاورة لأرض النوبة وهو المتولي لقبض هذا البقط وهو السي عشرون رأساً غير الاربعين وللحاكم المقيم في اسوان الذي يحضر مع امير اسوان لقبض البقط خمسة رؤوس غير العشرين التي يقبضها الامير وللانبي عشر شاهداً عدولاً مع اهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأساً من السي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في بدء إيقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة . والموضع الذي يتسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقافة الملك يعرف بالقصر وهو على ستة اميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق اه .

وقال (المسعودي) عند كلامه عن اسوان : « ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش واكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره . والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير . تودع النواة الارض فتنبث نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين . ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني أمية وبني العباس . وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوند أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ثاباً من اهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من اهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون امرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من اهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من اهل اسوان انها ستزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا الى من ابتيع منهم من اهل النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقرؤا للوكهم بالعبودية وان يقولوا سيلنا معاشر المسلمين سيملككم مع ملككم تحب علينا طاعته وترك مخالفته فإذن كنتم انتم عبيداً لملككم وأموالكم له فنحن كذلك ولما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام

للحاكم ونحوه مما أوقفوا عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق
للكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد
مريس المجاورة لأسوان . وصار النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعين : نوعاً من
وصفنا احراراً غير عبيد والنوع الآخر من اهل مملكته عبيد وهم من سكن
من النوبة في غير بلاد مريس اه . كلام المسعودي ملخصاً .

وفي سنة ٢٥٥ هـ . ٨٧٠ م ذهب ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد
المصري الى محاربة النوبة (ورجع غلغلاً) اه عن المقرئزي .

وقال المسعودي : « وانتهيت في تصنيفي الى هذا الموضع من كتابنا هذا
في شهر ربيع الآخر سنة ٣٣٢ هـ . ٩٤٤ م فأخبرت ان الملك في مدينة دنقلة
الى النوبة ليرني بن سدر وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعداً وملكه يحتوي
على ام قرية وعلوة » .

وفي ذي الحجة سنة ٣٤٤ هـ . ٩٥٦ م أغار ملك النوبة على اسوان وقتل
جمعاً من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مبصر من قبل
انوجور بن الاخشيد في محرم سنة ٣٤٥ هـ . ٩٥٧ م فساروا في البر والبحر
وبعثوا بعدة من النوبة أسروهم فضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة .
وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبى اهلها وقدم الى مصر في نصف
جمادى الاولى سنة ٣٤٥ هـ بمائة وخمسين أسيراً وعدة رؤوس اه عن المقرئزي .
وقال المتنبى من قصيدة مشهورة يمدح بها كافور الاخشيدي الذي تولى مصر
من سنة ٣٥٥ : ٣٥٧ هـ - ٩٦٦ : ٩٦٨ م :

« يصرف الامر من مصر الى عدن الى الحجاز فأرهب الزنج فالتوب »

وهو يدل على اتساع ملك مصر في ذلك الزمان وخضوع النوبة لها .

وقال ابن الاثير : « وفي سنة ٣٩٧ هـ . ١٠٠٧ م سار ابو ركوة الى بلاد
النوبة فلما بلغ الى حصن يعرف بمحصن الجبل للنوبة أظهر انه رسول من
« الحاكم » الى ملكهم فقال له صاحب الحصن الملك عليل ولا بد من استخراج

امره في مسيرك اليه وبلغ الفضل الخبر فأرسل الى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته فوكل به من يحفظه وارسل الى الملك بالخال وكان ملك النوبة قد توفي وملك ولده فأمر ان يسلم الى نائب الحاكم فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقبه الفضل وأكرمه وأنزله في مضاربه وحمله الى مصر فأشهر بها وطيف به . وكتب ابو ركة الى الحاكم رقعة يقول فيها : يا مولانا ذنوبي عظيمة وأعظم منها عفوك والدماء حرام ما لم يحللها سخطك وقد أحسنت وأسأت وما ظلمت إلا نفسي وسوء عملي أوبقني وأقول :

فررت فلم يغفر الفرار ومن يكن مع الله لم يعجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار حاجة سوى فزع الموت الذي انا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي كما خر ميت في رجا الموت سارب
وأجمع كل الناس انك قاتلي فيا رب ظن ربه فيك كاذب
وما هو إلا الانتقام وينتهي وأخذك منه واجبا لك واجب

ولما طيف به ألبس طرطوراً وجعل خلفه قرد يصنعه كان معلماً بذلك ثم نحل الى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفي قبل وصوله ففُطِع رأسه وصلب . وبالغ الحاكم في إكرام الفضل الى حد انه عاده في مرضه مرضها دفعتين فاستعظم الناس ذلك ثم انه عمل في قتل الفضل لما عوفي فقتله .

وفي جهادي الاولى سنة ٥٦٨ هـ . ١١٧٣ م سار شمس الدولة ثوران شاه ابن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى اول بلادهم ليتغلب عليه ويملكه وكان سبب ذلك ان صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقر الرأي بينهم انهم يتملكون إما بلاد النوبة او بلاد اليمن حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فإن قووا على منعه أقاموا بمصر وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي قد افتتحوها فجهز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فآزل قلعة اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم طاقة بقتال المعسكر الاسلامي لأنهم ليس لهم جنة تقيهم السهام وغيرها من آلة

الحرب فسلموها فملكها وأقام بها ولم يرَ للبلاد دخلاً يُرغب فيه وتحتل المشقة لأجله وقوتهم الذرة فلما رأى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة الشعب والمشقة تركها وعاد إلى مصر بما غنم وكان عامة غنيمتهم العبيد والجواري .

وقال المقرئ في كلامه عن ثوران شاه هذا : « وأعطاه صلاح الدين قوص واسوان وعيذاب وجعلها له اقطاعاً فكانت عبرتها في تلك السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار . ثم خرج إلى غزو بلاد النوبة في سنة ٥٦٩ هـ . ١١٧٤ م وفتح قلعة ابريم وسبى وغنم ثم عاد بعد ما اقطع ابريم بعض اصحابه . »

« وقد غلب اولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبني بدفلة جامعاً يأوي إليه الغرباء . »

« وفي سنة ٦٧٤ هـ . ١٢٧٦ م كثرت خيبت داود متملك النوبة وأقبل إلى ان قرب من مدينة اسوان وحرق عدة سواق بعد ما افسد بعذاب ففضى إليه وإلى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة وحملهم إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم (أي قطعهم بالسيف من الوسط) . »

وقدم سكندة ابن اخت متملك النوبة متظلماً من خاله داود فجزه السلطان الملك الظاهر معه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني استاذ داره والأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار في جماعة كثيرة من العسكر ومن أجناد الولايات عربان الوجه القبلي والزراقيين والرماة ورجال الحرايق فساروا في اول شعبان سنة ٦٧٤ هـ من القاهرة حتى وصلوا إلى ارض النوبة فخرجوا إلى لقاءهم على النجب (الابن) بأيديهم الحراب وعليهم دكادك سود فاقتتل الفريقان قتلاً كبيراً انهزم فيه النوبة وأغار الأفرم على قلعة الدر وقتل وسبى وأوغل الفارقاني ومعه الأفرم في ارض النوبة برأ وبجرأ يقتل ويأسر

تاج الشوك

فحاز من المواشي ما لا يعد وتزل يحزيرة ميكائيل برأس الجنادل ونقر المراكب من الجنادل ففر النوبة الى الجزاير . وكتب الفارقاني لقمير الدولة نائب داود متملك النوبة أماناً فحلف قمر الدولة لسكنة على الطاعة وأحضر رجال المريس ومن فر . وخاض الاقزم الى برج في الماء وكان فيه داود وأسرت به وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين وأسر أخاً لداود فهرب داود والعسكر في آخره مدة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسرت ام داود وأخته ولم يقدر على داود لأنه تخلص الى النوبة العليا فلقبه هناك ملكها فقاتله وهزمه وأسره وبعث به مقيداً الى السلطان بمصر فاعتقل بالقلمة الى ان مات وتقرر سكنة عوضه وقرر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلاث فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود من أثاثها ومائة نجيب أصهب وأربعماية رأس من البقر المنتجة على ان تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد الجنادل فانها كلها للسلطان لقرىها من اسوان وهي نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وان يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عيناً . وكتب نسخة يمين بذلك حلف عليها الملك سكنة ونسخة يمين اخرى حلفت عليها الرعية . وخرّب الاميران كنائس النوبة وأخذوا ما فيها وقبضوا على نحو عشرين أميراً من أمراء النوبة وأفرجوا عن كان بأيدي النوبة من اهل اسوان وعيذاب من المسلمين في أسرم وألبسا سكنة تاج الملك وأقمعاه على سرير المملكة . بعد ما حلف والتزم ان يحمل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو أربعماية رأس من الرقيق وزرافة في كل سنة من ذلك ما كان للخليفة ثلثية وستون رأساً ولنائبه بمصر اربعون رأساً على ان يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط ثامناً من القمح ألف اردب لمملكتهم وثلثية أردب لرسله اه عن القريري . وقال ابن خلدون :

ثم مات الظاهر بيبرس وانقرضت دولته ودولة بنيهِ وانتقل الملك الى

المنصور قلاون قبعت سنة ٦٨٦ هـ ١٢٨٨ م العساكر الى النوبة مع علم الدين سنجر الحياط وعز الدين الكوراني وسار معهم نائب قوص عز الدين ايدمر السيفي بعد ان استنفر العربان اولاد ابي بكر واولاد عمر واولاد شريف واولاد شيبان واولاد كنز الدولة وجعاعة من النرب ... وبني هلال وساروا على العدو الغربية والشرقية الى دنقلة وملكهم في ذلك الحين بيت مأمون هكذا سماه النووي وأظنه أخا مرتشكين (سكندة) وبرزوا للعساكر فهزمتهم وأتبعتهم خمسة عشر يوماً وراء دنقلة ورُتب ابن اخت بيت مأمون في الملك ورجعت العساكر فرجع بيت مأمون الى دنقلة فاستولى على البلاد ولحق ابن اخته بمصر صريحاً بالسلطان قبعت معه عز الدين ايبك الاقرم في العساكر ومعه ثلاثة من الامراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ٦٨٨ هـ وبعثوا المراكب في البحر بالازودة والسلاح ومات ملك النوبة (ابن اخت بيت مأمون) المستنجد بهم بأسوان ودفن بها وجاء نائبه جريس (أي نائب ابن اخت بيت مأمون) صريحاً الى السلطان قبعت معه داود ابن اخي مرتشكين الذي كان أسيراً بالقلعة وتقدم جريس بين يدي العساكر حتى وصلوا الى دنقلة فهرب بيت مأمون وامتنع بجزيرة وسط النيل على خمسة عشر مرحلة وراء دنقلة ووقفت العساكر على ساحل البحر وتعذر وصول المراكب الى الجزيرة من كثرة الحجر وخرج بيت مأمون منها فلحق بالابواب (أي النوبة العليا) ورجع عن أصحابه (أي أصحاب بيت مأمون) ورجعت العساكر الى دنقلة فملكوا داود ابن اخي مرتشكين المتقدم الذكر ورجعوا الى مصر سنة ٦٨٩ هـ ١٢٩١ م لتسعة اشهر من مسيرهم بعد ان تركوا اميراً منهم مع الملك داود ورجعوا الى مصر ورجع بيت مأمون الى دنقلة وقتل داود وبعث الامير الذي كان معه الى السلطان وحمله رغبة في الصلح على ان يؤدي الضريبة المعلومة فاسعف لذلك واستقر في ملكه .

وقال ابن أياس « ثم دخلت سنة ٧٠٤ هـ ١٣٠٥ م وفيها حضر الى الابواب الشريفة صاحب دنقلة من اعمال الصعيد وكان صحبته هدايا جبيلة من رقيق

وجمال وأبقار حبشية وغير ذلك فخلع عليه السلطان خلمة وأزله بدار الضيافة .

وقال ابن خلدون في اخبار النوبة واسلامهم : « قد تقدم لنا غزو الترك الى النوبة أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاون لما كان عليهم من الجزية التي فرضها عمرو بن العاص عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها او يتمنعون من إداها فتغزوم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلة أيام سارت العساكر من عند قلاون اليها سنة ٨٦٠ هـ ١٢٨٢ م واسمه بيت مأمون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آي لا أدري أكان معاقبا لبيت مأمون او توسط بينهما متوسط وتوفي آي سنة ٧١٦ هـ ١٣١٧ م وملك بعده في دنقلة أخوه كريس . ثم نزع من بيت ملوكهم رجل الى مصر اسمه نشلي وأسلم فحسن اسلامه وأجرى له السلطان الناصر بن قلاون رزقا وأقام عنده فلما بلغ كانت سنة ٧١٦ هـ امتنع كريس من اداء الجزية فججز السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلي المهاجر الى الاسلام من بيت ملكهم فخام كريس عن لقاءهم وفر الى بلاد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقر نشلي في ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب في كريس فبعث به وأقام بباب السلطان. ثم ان اهل النوبة اجتمعوا على نشلي وقتلوه بمالأة جماعة من العرب سنة ٧١٩ هـ وبعثوا الى كريس ببسلة الابواب فألفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وكان قد اعتنق الاسلام فأسلت جميع رعيته وانقطعت الجزية باسلامهم اه كلام ابن خلدون .

وقال لبيسوس : « وفي دنقلة العجوز جامع قائم على خرائب كنيسة كبيرة وفي واجهة الجامع حجر من الرخام مكتوب عليه بالعربية ما معناه : كان افتتاح دنقلة العجوز التي هي كرسي النوبة في ٢٠ ربيع اول سنة ٧١٧ هـ - ٩ يونيو سنة ١٣١٨ م وذلك عن يد سيف الدين عبد الله الناصر اه . قلت

وقد رأيت من رأى الحجر في الفتح الاول وأخبرني به قبل اطلاعي على رحلة لبسيوس .

وقال ابن خلدون : « ثم انتشر أحياء العرب من جهينة في بلاد النوبة واستوطنوها وملكوها وملأوها عبيداً وفساداً وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم (العرب) فمجزوا ثم صاروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم (لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة) على عادة الأعاجم في تملك الاخت وابن الاخت فتمزق ملكهم واستولى اعراب جهينة على بلادهم وليس في طريقة استيلائهم شيء من السياسة الملوكية للآفة التي تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد » اي الى أواخر القرن الثامن للهجرة .

وبقوا كذلك شيعاً على كل شعبة منهم رئيس او ملك الى ان قام الفونج في سنار سنة ٩١٠ هـ . ١٥٠٥ م فملكوها الى الشلال الثالث . ثم كان الفتح العثماني لمصر بيد السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠ م فأرسل سرية من عساكره الى النوبة السفلى فملكوها من اسوان الى الشلال الثالث وعرفوا بالفرز وعرف حكمهم بالكشاف . وهكذا انقسمت بلاد النوبة السفلى بين ملوك الفونج والكشاف الى ان كان الفتح المصري للسودان سنة ١٢٣٦ هـ . ١٨٢٠ م فخضعت لمصر كما سيجيء مفصلاً في تاريخ سنار .

الفصل الثاني

في

تاريخ النوبة العليا

منذ دخول النصرانية اليها في القرن السادس للمسيح الى انقراضها منها
وخراب سوبة سنة ١٥٠٥ م

اما النوبة العليا المعروفة عند مؤرخي الاسلام بمملكة علوة وفي السودان بمملكة المنج فظاهر ان النصرانية امتدت اليها من النوبة السفلى ولكن لم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من اخبارها في النصرانية غير ما تقدم ذكره عن المقرئ عن كتاب ابن سليم الاسواني .

وقد أخذ العرب المسلمون بعد فتح مصر يهاجرون الى السودان من مصر وبلاد العرب إما فراراً من الحكم او طلباً للرزق فلما فتحت النوبة السفلى زاد عدد المهاجرين منهم الى بلاد النوبة العليا حتى ملأوها وكان اكثرهم من جبهة وبني العباس وتقلب العنصر العربي على النوبة ومع ذلك بقوا خاضعين لحكم البنج حتى قام الفونج في جزيرة سنار فاتحدوا مع العرب وهاجموا البنج فقتلوهم شر قتلة وخرّبوا سوبه خراباً تاماً حتى صاروا يضربون المثل في خرابها فيقولون : « فلان خرب خراب سوبه » . ثم ساروا الى قرى عند جبل

الرويان شمالي الخرطوم فقتلوا ملكها واستولوا عليها وأسوا مملكة في سنار أقام فيها الفونج ومشيخة في قرّي أقام فيها كبير العرب على ما سيحيه بالتفصيل .

وقد انقرض النوبة من تلك البلاد وانقرضت لغتهم ولم يبقَ منهم إلا نفر قليل في نواحي شندي وجريف ود قر بقر سوبه فاعتنقوا الاسلام واتخذوا لغة العرب لغة لهم ولم يزلوا يميزون عن العرب في الملامح والاخلاق تمييزاً لا يراه إلا الوطني . وهم على اسلامهم محترمون واسم نوباوي من ألفاظ الشتم عند العرب تأنف من مصاهرتهم إلا أنهم قد يتزوجون الجميلة من نساءهم ويتزوجون كبارهم غير الجميلة من نساء العرب .

آثار النصرانية في بلاد النوبة : وهكذا انقرضت النصرانية من بلاد النوبة العليا كما انقرضت من بلاد النوبة السفلى ولم يبقَ هناك ما يدل عليها سوى آثار بعض الأديرة والكنائس . ففي جزيرة فيلي آثار كنيسة جميلة . وفي الدفاتر آثار كنيسة أخرى . وفي بئر الغزالي قرب اهرام نوري وخرائب دير ويحانبه حجارة مدافن عليها كتابات باليونانية والقبطية . وأما كنائس دنقلة المجوز وسوبه فقد خربت خراباً تاماً كما مرّ . وقد تقدم ان النوبة حوّلوا أكثر أهيكل الوثنية الى كنائس فطوا النقوش الهيروغليفية والصور القديمة بالطين وصوروا على الطلاء صور المسيح وبعض القديسين وقد رأيت سنة ١٨٨٤ م صور بولس الرسول في هيكل السبوع وصورة المسيح في هيكل فرّيج . وفي هذا الهيكل كتابة ١٤ سطراً من عهد النصرانية مكتوبة بأحرف قبطية ولغة غير مفهومة سميت باللغة الايتيوبية المسيحية . وعلى حجر في التلة القائمة عليها قلعة ابريم كتابة بهذه اللغة ايضاً . وترى على جدران قدس الاقداس في هيكل دندور قرب كلابشة كتابة باللغة القبطية مفادها ان الراهب « ابراهيم » غرس الصليب هناك في عهد الملك اربنومي ملك النوبة وكان « يوسف » نائباً في تلس (كلابشة) « ونيودروس » مطراناً في فيلي (سنة ٥٧٧ م) . وفي سقف عمدة كتابة باللغة القبطية بشأن حجاج نصارى في اول عهد النصرانية .

وكانت مطارنة النوبة ترسل اليها من قبل بطريرك الاقباط الى ان زالت النصرانية منها . وقال المقرئ في كلامه عن اليماقبة في مصر في خلافة هشام ابن عبد الملك (سنة ٢٠٥ : ١٢٥ هـ - ٧٢٤ : ٧٤٣ م) : « وبعت اليهم اهل النوبة في طلب أساقفة فبعثوا اليهم من أساقفة اليماقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يماقبة » .

ويظهر ان لغة كنائس النوبة كانت القبطية واليونانية كما كلت لغة كنائس الاقباط في مصر . اما لغة النوبة انفسهم فقد انقرضت من بلاد النوبة العليا بلنقراض اهلها وحلت العربية محلها ولكنها ثبتت في بلاد النوبة السفلى حتى الآن . والظاهر ان العرب الذين بقوا في النوبة السفلى بعد فتحها كانوا قليلين فاضطروا ان يتعلموا لغة النوبة وكلما هاجر اليهم جماعة من العرب تعلموا لغة النوبة ونسوا لغتهم . وهكذا فعل الاتراك .

الباب الثالث

في

تاريخ البجة في صدر الاسلام

تمهيد جغرافي

تقدم لنا ان البجة سكان الصحراء الشرقية هم في المشهور بادية بني كوش بن حام وانهم عرفوا عند كتاب الرومان باسم البلامس . وقد ظن البعض انهم البجة (BUKA) المدوتون على الآثار المصرية او البقيته (BUGAITÆ) المدوتون على آثار اكسوم . وأما البجة (او البجا او البيجة او البجاة) فهو الاسم الذي عرفوا به عند مؤرخي العرب في صدر الاسلام . ولهؤلاء المؤرخين كلام طويل في شأنهم : قال ابو القدا في جغرافيته : « وبلاد البجة بين بحر القلزم وبين بحر النيل وبينهم وبين النوبة جبال منيعة » . وقال في تاريخه عن ابن سعيد : « من أمم السودان البجة وهم شديدا السواد عراة الأبدان ويمبدون الأوثان وهم اهل أمانة وحسن مرافقة للتجار وفي بلادهم الذهب وهم فوق الحبشة الى جهة الجنوب على النيل » . وقال القزويني في كتاب أخبار البلاد : « البجة بلاد متصلة بأعلى عذاب في غرب منه . اهلها صنف من الحبش وبها معدن الزمرد الاخضر السلقي الكثير المائية يسقى المسموم منه يبرأ فاذا نظرت الأفمى اليه سالت حدقتها » . وقال ابن الوردي : « البجة شديدا السواد عراة الأبدان يعبدون الاوثان ولهم عدة ممالك وهم اهل أنس وحسن وتلطف مع التجار وفي بلادهم معدن الذهب وليس بأرضهم قرى ولا خصب وانما هي بادية جذبة تصعد التجار منها الى وادي العلاقي وهو وادي فيه خلق كثير كالبلد الجامع وفيه آبار عذبة » .

وقال المقرئزي : « البجة بادية يتبعون الكلا حيثما كان الرعي بأخبية من جلود وشعر وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع إلا ما سيأتي ذكره ومعيشتهم مما يُنقل اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة . وقيل في أصلهم انهم قبيلة من الحبشة إلا انهم أشد سواداً من هؤلاء ويتزويون بزي العرب . وهم كالعرب قبائل وأفخاذ لكل فخذ رئيس . وكان لهم قديماً رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكه يسكن قرية تعرف بهجر هي أقصى جزيرة البجة . وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيع والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك . وبأقصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه احد . وبها سائر الوحش من السباع والفيلة والنمر والفهود والقردة وعناق الارض وفط الزباد وذابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت . ومن الطيور البيغاء والنقيط والنوبي والقمرى او دجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك . وتعظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ورثيت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت على امرأة وردت فقتلتها من شدة الضنطة . وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات . واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به من عود او حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات . وقتلت حية منها بخشبة فانشقت الخشبة . واذا تأمل هذم الحية احد وهي ميتة او حية أصابه ضررها ! واول بلد البجة في قرية تعرف بالحربة معدن الزمرّد في صحراء قوص . وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل . والزمرّد في هذا الموضع في مغائر بعيدة مظلمة يدخل اليها بالمصاييح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالماول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر . وفيها عدا عن الزمرّد السالف الذكر الذهب في وادي الملاقي وكلما تصاعدت كان أجود ذهباً وأكثر . وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والمرقيشيتا والجاست وحجارة شطبا . فاذا بُلت الشطبة منها بزيت واشتعلت وُفِدَت مثل الفتيلة وغير ذلك

بما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه . والبجة لا تتعرض لعمل شيء من هذه المعادن .

وكانت فراعنة مصر تغزوم وتوادعهم احيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما ان ملكوا مصر . ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان اصحابهم بها وقد فتحت مصر . ثم لما جاء المسلمون الى مصر سمعوا بخبر هذه المعادن فكثرت سراياهم الى الصحراء وانتفعوا بها انتفاعاً عظيماً على ما سيجيء .

وأنساب البجة من جهة النساء وهم يورثون ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب ويقولون ان ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح فانه ان كان من زوجها او من غيره فهو ولدها على كل حال .

وهم اصحاب ذمة فاذا غدر احدهم رفع المغدور به ثوباً على حرية وقال هذا عرش فلان يعني أبا الغادر فتصير سيئة عليه الى ان يترضاه . وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرق احدهم الضيف ذبح له . فاذا تجاوز ثلاثة نقر نحر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له او لغيره . وان لم يكن شيء نحر راحلة الضيف وعوضه ما هو خير منها . وهم يركبون النجب الصهب وتلتج عندهم . وكذلك الجمال العربية كثيرة عندهم ايضاً . والمواشي من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم ويقرم حسان ملعة بقرون عظام ومنها جم . وكباشهم كذلك منمرة ولها ألبان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للخبز قليل وفيهم من يأكله . ويشربون دم الضأن سخناً ويأكلون مخ الجمال نيئاً وأبدانهم صحاح وبطونهم خصاص وألوانهم مشرقة الصفرة وتقاطيعهم غليظة ووجوههم طويلة عريضة وأنوفهم بارزة قليلاً وشعورهم فلفلية غير متلبدة وذلك دليل اختلاط وسحتهم غاية الشناعة ولهم سرعة في الجري يباينون بها الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبرة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاتلون عليها وتدور بهم كما يشتهون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرسي الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار إليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت في الارض ضرب الجمل

يحرانف الارض فأخذها صاحبها . وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديد ثلاثه أذرع والعود اربعة أذرع ومن ذلك اسمها والحديدة في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم إلا في بعض الاوقات لأن في آخر العود شيئاً شبيهاً بالفلكة يمنع خروجها من أيديهم . وصنّاع هذه الحراب نساء في موضع لا يختلط بهن رجل إلا المشتري منهن فاذا ولدت احداهن من الطارقين لهن جارية استحيتها وان ولدت غلاماً قتلتها ويقلن ان الرجال بلاء وحرب . ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس . وكذلك الدهلكية من دابة في البحر . وقسيمهم عربية كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عليها بلبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الفراء فاذا أرادوا تجريته شرط احداهم جسده وسيل الدم ثم شمه هذا السم فاذا تراجع الدم علم أنه جيد ومسح الدم لئلا يرجع الى جسده فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرط الجحام وليس له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر . وفي البجة جلس يقطعون ثيابهم ويقولون لا نتشبه بالحير . وفيهم جنس آخر في آخر بلاد البجة على نهر ائبرة يقال لهم البازة تسمى نساؤهم باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بعضاً وقالوا هذا الله قد نزل من السماء فجعلوا ينظرون اليه عن بعد . واشتهر عن البجة ختان النساء (ختان فرعون) .

وكان البجة قبل دخول الاسلام الى أرض مصر صائبة يعبدون الاصنام وكان لكل بطن كاهن يضرب له قبة من آدم مبدعهم فيها فاذا رأوا استخباره عما يحتاجون اليه تمرى ودخل القبة مستدبراً ويخرج اليهم وبه أثر جنون وصرع يقول الشيطان يقرئكم السلام ويقول لكم ارحموا عن هذه الحلة فان الرهط الفلاني يقع بكم وسألتهم عن الغزو الى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التي تأخذونها من موضع كذا هي لي والجارية الفلانية التي تجدونها في الحباء الفلاني والغنم التي من صنفها كذا ونحو هذا

تأريخ البجة

القول فيزعمون انه يصدقهم في أكثر من ذلك فاذا غنموا أخرجوا من الغنيمة ما ذكر ودفعوه الى الكاهن يتموله . ويجرمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حل الكاهن هذه القبة على جل مفرد فيزعمون ان ذلك الجمل لا يشور إلا يجهد وكذلك سيره ويتصبب عرقاً والخيمة فارغة لا شيء فيها اه . وقال ابن الوردي في تاريخه « وبين البجة والنوبة قوم يقال لهم البليون أهل عزم وشجاعة يهابهم كل من حولهم من الامم ويهادونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية » .

الفصل الاول

في

تاريخ البجة

قال المقرئزي : قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم : وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة فسألهم عن شأنهم فأخبر ان ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان اول من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلوي في أواخر القرن الاول للهجرة ويذكر انه وجد في كتاب ابن الحبحاب لهم ثلاثمائة بكر في كل عام حين ينزلون الريف مجتازين تجاراً غير مقيمين على ان لا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً فإن قتلوه فلا عهد لهم وان لا يأووا عبيد المسلمين وان يردوا آبقيهم اذا وقموا اليهم ويقال انهم كانوا يؤخذون بهذا وبكل شاة أخذها البيجاوي فعليه اربعة دنانير والبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيماً بالريف رهينة بيد المسلمين .

ثم كثرت أذيتهم على المسلمين وكان ولاية اسوان من العراق فرفع الى امير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم سنة ٢١٦ هـ ٨٣١ م فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينهم وبين كنون رئيسهم

الكبير الذي يكون بقريتهم هجر (المار ذكرها) كتاباً نسخته : ه هذا الكتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى امير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير ابن اسحق ابن امير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ومايتين لكنون بن عبد العظيم عظيم البجة بأسوان انك سألتي وطلبت إلي ان أومنك وأهل بلدك من البجة وأعقد لك ولهم أماناً علي وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى ان عقدت لك وعلى جميع المسلمين أماناً ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا وذلك ان يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد اسوان من ارض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكاً للمأمون عبد الله بن هرون امير المؤمنين أعزه الله تعالى وانت وجميع اهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين الا انك تكون في بلدك ملكاً على ما انت عليه في البجة . وعلى ان تؤدي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة وذلك مائة من الإبل او ثلاثماية دينار وازنة داخلة في بيت المال والخييار في ذلك لأمير المؤمنين ولولاته وليس لك ان تحرم شيئاً عليك من الخراج . وعلى ان كل أحد منكم ان ذكر محمد رسول الله ﷺ وكتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكره به او قتل احداً من المسلمين حراً او عبداً فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة امير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة من المسلمين وحل دمه كما يحل دم اهل الحرب وذراريتهم . وعلى ان احداً منكم ان أعان المحاربين على اهل الاسلام بمال او دله على عورة من عورات المسلمين او أمر لعزتهم فقد نقض ذمة عهده وحل دمه . وعلى ان احداً منكم ان قتل احداً من المسلمين عمداً او سهواً او خطأ حراً او عبداً او احداً من ذمة المسلمين او أصاب لأحد من المسلمين او اهل ذمتهم مالا ببلد البجة او ببلاد الاسلام او ببلاد النوبة او من شيء من البلدان براً او بحراً فعليهم في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشر قيم وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبتموه للمسلمين واهل الذمة عشرة اضعاف . وإن دخل احد من المسلمين بلاد البجة تاجراً او مقيماً او مجتازاً

او حاجبا فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم ولا تؤووا احداً من
أبقي المسلمين فإن أتاكم آتٍ فعليكم ان تردّوه الى المسلمين . وعلى ان تردّوا
أموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤونة تازمهم في ذلك . وعلى انكم
اذا نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة او مجتازين لا تظهرون سلاحاً ولا تدخلون
المدائن والقرى بحال ولا تمنعوا احداً من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة
فيها برأ ولا بجرأ ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على احد من المسلمين
ولا اهل الذمة ولا تسرقوا لمسلم ولا ذمي مالا . وعلى ان لا تهدسوا شيئاً من
المساجد التي ابنتهاها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولاً وعرضاً فإن
فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة . وعلى ان كنون بن عبد العزيز يقيم بريف
صعيد مصر وكيلا يفي للمسلمين بما شرط للمسلمين من دفع الخراج وردّ ما
أصابه البجة للمسلمين من دم ومال . وعلى ان احداً من البجة لا يعترض حد
القصر الى قرية يقال لها قبان من النوبة . حدّاً لأعمدة . عقد عبد الله بن الجهم
مولي امير المؤمنين لكتون بن عبد العزيز كبير البجة الامان على ما سمينا
وشرطنا في كتابنا هذا وعلى ان يوافي امير المؤمنين فإن زاغ كتون او عاث
فلا عهد له ولا ذمة . وعلى كتون ان يدخل عمال امير المؤمنين بلاد البجة
لقبض صدقات من اسلم من البجة . وعلى كتون الوفاء بما شرط لعبد الله بن
الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلفه من الوفاء والميثاق .
ولكتون بن عبد العزيز ولجميع البجة عهد الله وميثاقه وذمة امير المؤمنين
وذمة الامير ابي اسحق بن امير المؤمنين الرشيد وذمة عبداً بن الجهم وذمة
المسلمين بريئة منهم . وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفاً حرفاً زكريا بن
صالح الخزرومي من سكان جده وعبد الله بن اسماعيل القرشي ثم نسق جماعة
من شهود اسوان .

و فأقام البجة على ذلك برهة ثم عادوا الى غزو الريف من صعيد مصر
وقتلوا من وجدوه بالمعدن من المسلمين وكان ذلك في ايام جعفر المتوكل على الله
ابن المعتصم (سنة ٢٣٢ : ٢٤٧ هـ - ٨٤٧ : ٨٦١ م) فكتب له صاحب

البريد بمصر بخبرهم فأنكر المتوكل ذلك وشاور الناس في غزوم فأخبروه انهم اهل بادية اصحاب إبل وماشية وان الوصول الى بلادهم صعب لأنها مفاوز وان بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر في ارض قفر وجبال وعرة وان كل من يدخلها من الجيوش يحتاج ان يتزود لمدة يتوهم ان يقيمها الى ان يخرج الى بلاد الاسلام فإن جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجة باليد فأمسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف اهل الصعيد على انفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبدالله القمي على اسوان وقفت والاقصر واسنا وارمنت وأمره بحرب البجة وكتب الى عنبسة بن اسحق الضبي عامل مصر بتجهيز العساكر معه وإعطائه من الجند ما يحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى ارض البجة في عشرين الفا بين فارس وراجل وبينهم من المتطوعة ومن كان يعمل بالمعادن عالم كثير ووجه الى القبازم (البحر الاحمر) سبعة مراكب موقورة بالديق والزيوت والتمر والشعير والسويق وأمر أصحابها ان يوافوه بها الى ساحل البحر مما يلي بلاد البجة وسار حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب فانتهى الى حصونهم وقلاعهم فخرج اليه ملكهم واسمه علي بابا في اضعاف جيشه وكانت البجة على إبل قره تشبه الهاري فتحاربوا اياماً ولم يصدقهم علي البابا القتال لتطول الايام وتنفى أزواد المسلمين وعلوفاتهم فياخذهم بغير حرب فجاءت المراكب التي فيها الاقوات في البحر ففرق القمي ما كان فيها على اصحابه ففاجزهم البجة الحرب إذ ذاك وصدقوا في القتال وكانت إبلهم تقورة فأمر القمي جنده باتخاذ الاجراس بخيلهم ثم حملوا عليهم فنفرت إبلهم لأصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والأودية وتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً حتى أدركهم الليل وقد قتل من جيش البجة في تلك الوقعة عدد لا يحصى وكان ذلك سنة ٢٤١ هـ - ٨٥٦ م . ثم ان ملكهم علي بابا طلب الأمان من القمي فأمنه على أداء الخراج لما سلف وهي اربع سنين كان قد منعها ولما يأتي وعلى ان يطأ بساط المتوكل في بغداد ولا يمنع المسلمين من العمل في الممدن وسار معه الى المتوكل بعد ان استخلف على مملكة ابنه فيمس سنة ٢٤١ هـ فرحب المتوكل به

وخلع عليه وعلى اصحابه وكسا جملة رحلاً مليحاً وجلال ديباج وولى المتوكل
البجة طريق ما بين مصر ومكة وولى عليهم سعد الاتياخي الخادم فولى سعد
محمداً القمي فرجع اليها ومعه علي بابا وهو على دينه وكان معه صتم من حجارة
كهنة الصبي يسجد له . وأقام القمي بأصوان مدة وترك في خزانتها ما كان
معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ منه حتى لم يبقوا منه شيئاً .
و لما كثروا المسلمون في المدن واختلطوا بالبجة قل شرهم وظهر التبر
لكثرة طلابه وتسامع الناس به ففقدوا من البلدان .

د وفي سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م قدم عليهم ابو عبد الرحمن ابن عبد الله بن
عبد الحميد العمري بعد محاربته النوبة ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب
فكثرت بهم العمارة في البجة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من
اسوان ستين الف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القازم الى عيذاب (رأس
رواية) . ومالت البجة الى ربيعة وتزوجوا منهم . وقيل ان كهان البجة قبل
اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة لربيعة ولكنهم معاً فهم على
ذلك . فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الجزائر والامم البجة على ذلك
وأخرجوا من خالفهم من العرب وتصاهروا الى رؤساء البجة وبذلك كف
ضررهم عن المسلمين :

د وفي سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٣ م يوم العيد أقبل البجة فنهبوا وعادوا غانمين
وفعلوا ذلك مرات وكان على مصر اذ ذاك عبد الحميد بن عبد العزيز بن
عبد الله بن عمر بن الخطاب فخرج غضباً لله وللمسلمين وكن لهم في طريقهم
فلما عادوا خرج عليهم وقتل مقدمهم ومن معه ودخل بلادهم فنهبوا وقتل
فيهم فأكثر ونهب وسبى ما لا يحصى وقابع عليهم الغارات حتى أدوا اليه
الجزية ولم يفعلوها قبل ذلك اه ، ملخصاً .

وقال ابو حسن المسعودي : د وقد كانت النوبة أشد من البجة الى ان
قوي الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي

وعذاب وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار . وصاحب المدن في وقتنا هذا . وهو سنة ٣٣٢ هـ ٩٤٤ م بشر بن مروان بن إسحاق وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجيب من البجة بالحجف البجاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجة والداخلية من البجة كفتار يعبدون صنماً لهم اه .

قال المقرئ : « ثم كثروا المسلمون في المدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلاماً ضعيفاً وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلي مصر من اول حدم الى العلاقي وعذاب المبر منه الى جدة وما وراء ذلك ومنهم جلس آخر يعرفون بالرافج هم أكثر عدداً من الحدارب غير انهم تبع لهم وخفراؤهم يحمونهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب قوم من الرافج في حملته منهم كالعبيد يتوارثونهم بعد ان كانت الرافج قديماً أظهر عليهم اه . وقيل أسلموا قبل ذلك في اماره عبد الله بن أبي سرح ولما كثرت اذيتهم على المسلمين أرسل اليهم المأمون عبد الله بن الجهم . وما زال الاسلام يمتد حتى عم صحراء البجة كلها وأزال منها عبادة الأوثان .

ويظهر ان اول من خالط البجة من العرب عرب يلي فانك اذا سألت البيجاوي الآن أتعرف العربية يحبك « بلوياً كاكاه » أي لا اعرف العربية . وقال ابن خلدون في كلامه عن مواطن جهينة : « هي ما بين الينبع ويثرب الى الآن في متسع من برية الحجاز وفي شمالهم الى عقبة ايله مواطن يلي وكلاهما على العدو الشرقية من بحر القلزم . واجتاز منهم أمم الى العدو الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة فأرهم قوم الى هذا العهد اه » أي أواخر القرن الثامن للهجرة .

تِلْكَ السُّوْدَانِ

وقد انقسم البجة الآن الى عدة قبائل جسيمة وهم العبابدة والبشارين والامرار والهندودة والحلانقة والحباب وبني عامر وكلهم يدينون بالاسلام ويدعون النسبة الى العرب وما هم بعرب بل ربما كان في بعض خاصتهم دم عربي وأما عامتهم فلا مشاحة في انهم يحجة وكلهم يتكلمون اللغة البيجاوية ولا يعرفون لغة غيرها إلا مشايخهم والذين يخالطون العرب منهم على النيل فانهم يتكلمون العربية ايضاً .

هذا ولم يبق الآن في الصحراء الشرقية من يتسمى باسم البجة إلا طائفة صغيرة في قبيلة بني عامر وهم محقررون . ومن أمثال اهل السودان « البجة والحاس أرخص الناس » .

أما الحاس المشار اليهم في هذا المثل فهم ايضاً طائفة صغيرة منتمية الى بني عامر على حدود الحبشة .

قال ابر الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان : « وفي شمالي بلاد سحرته (سهاقي) من النيل الى البحر الحاس وهم مذمومون بين أجناس الحبشة وقد اشتهر عنهم انهم يخلصون من يقسع في ايديهم ويفتخرون بذلك » اه . قلت وما زالت هذه العادة جارية في الحبشة الى اليوم .

الفصل الثاني

في

مدن البجة

عيزاب : اشتهر للبجة في الاسلام مدينتان على ساحل البحر الاحمر وهما عيزاب وسواكن . أما عيزاب فيؤخذ من اجمال ما ذكره المؤرخون العرب انها في المكان المعروف الآن برأس روية . قال ابن خلكان : « عيزاب بليدة على شاطئ بحر جدة يعدتي منها الركب المصري المتوجه الى الحجاز على طريق قوص في ليلة واحدة في اغلب الاوقات فيصل الى جدة » . وقال ياقوت في معجم البلدان : « عيزاب بليدة على ضفة بحر القازم هي مرمى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد » . وقال ابن خلدون : « وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلد عيزاب في المدوة الغربية من هذا البحر » . وقال ابن الوردي في تاريخه : « عيزاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار برأ وبحراً واهلها يتعاملون بالدرهم عدداً ولا يعرفون الوزن وبها وال من قبل البجة ووال من قبل سلطان مصر يقسمان جباياتها نصفين وعلى عامل مصر القيام بطلب الارزاق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة واللبن والعسل والسمن بها كثير وبينها وبين الحجاز عرض البحر » .

وقال ابو الفداء في جغرافيته : « وقد اختلف في عذاب فبعضهم يحدد ديار مصر على وجه تدخل فيه وهو الأشبه لأن الولاية فيها من مصر وهي من أعمال مصر حقيقة وبعضهم يجعلها من بلاد البجة وبعضهم يجعلها من بلاد الحبشة وهي فرضة لتجار اليمن والحجاج الذين يتوجهون من مصر في البحر فيركبون عذاب الى جدة . قال ابن سعيد وعرض البحر بين عذاب وجدة درجتان وهي أشبه بالضبعة منها بالمدن » .

وقال المقرئ : « عذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهي غير مسورة وأكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسي الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة . وأهل عذاب الساكنون بها طائفة من البجة ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها وربما جاء في بعض الاحيان وقابل الوالي من جانب الغز اظهاراً للطاعة . وطائفة البجة اضل من الانعام سيلاً واقل عقولاً لا دين لهم سوى كلمة التوحيد ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة ما لا ينحصر وهم عراة يسترون عوراتهم بخرق . وعيش اهل عذاب عيش البهائم وهم أقرب الى الوحش في اخلاقهم منهم الى الانس » .

« وكان الحجاج من مصر والمغرب لا يتوجهون الى مكة المشرفة إلا من صحراء عذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عذاب ثم يركبون البحر في الجلاب (قوارب) الى جدة ساحل مكة . وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر ومسافة هذه الصحراء من قوص الى عذاب ١٧ يوماً ويفقد فيها الماء ثلاثة ايام متوالية وقارة يفقد اربعة ايام فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة أهلة بما يصدر او يرد من قوافل التجار والحجاج حتى انه كانت احوال البهار كالقرقة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقفر صاعدة وهابطة لا يتعرض لها احد الى ان يأخذها صاحبها .

« وعيذاب في صحراء لا نبات فيها وكل ما يؤكل بها مجلوب إليها حتى الماء وكان لهم من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التي تحملهم في البحر الى جدة ومنها الى عيذاب فتجمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في اهل عيذاب إلا من له جلبة فأكثر على قدر يساره وجلاب هذا البحر لا يستعمل بها مسمار البتة انما هي غيطة بأمراس من قشر جوز الهند المسمى بالزجيل ويخللونها بدس من عود النخل فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسن او بدهن الخروع وبدهن القرش وهو احسنها . والقرش حوت عظيم في البحر يبتلع الفرقى . وانما يدهنون الجلاب لتلين عددها وترطيبها لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر . وأخشاب هذه الجلاب مجلوبة من الهند واليمن وشرعها حصر منسوجة من خوص شجر المقبل .

« ولأهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون في شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصاً على الاجرة ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دائماً علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح وكان الحجاج يحدون في ركوبهم الجلاب على البحر أهوالاً عظيمة لأن الرياح تلقىهم في الغالب بمراس في صحارى بعيدة مما يلي الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكارونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء قرباً هلك أكثرهم عطشاً وأخذ التجار مما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشاً والذي يسلم منهم يدخل الى عيذاب كأنه نُشر من كفن قد استحالت هيئاتهم وتغيرت صفاتهم ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب وهو الاقل .

« ولم تزل عيذاب مسلماً للحجاج من اهل مصر والجنوب في ذهابهم وإيابهم زيادة على مئتين سنة من اعوام بضع سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٩ م الى أعوام بضع سنة ٦٦٠ هـ ١٢٦٢ م وذلك في أيام الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر وانقطع الحج في البر الى ان كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقياري الكعبة وعمل لها مفتاحاً ثم اخرج قفلة الحجاج من البر في سنة

٦٦٦ هـ ١٢٦٨ م فقلّ سلوك الحجاج لهذه الصحراء . واستمرت بضائع التجار تحمل من عذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ٨٧٦٦ هـ ١٣٦٥ م وتلاشى أمر قوص من حينئذ . ولما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى ان كانت أعوام بضع وعشرين وثمانماية فصارت جدة أعظم مراسي الدنيا ، اه .

سواكن : أما سواكن فقد قال فيها ابو الحسن السمودي : « جزيرة سواكن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض وأهلها طائفة من البجا تسمى الحاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك . وقال أبو الفداء في جغرافيته : « قال ابن سعيد وصاحب سواكن من البجا المسلمين وله ضرائب على التجار وسواكن صغيرة جداً . وبين سواكن وبين عذاب نحو سبع مراحل وحكى لي بعض المسافرين اليها قال وسواكن بقدر ضيعة صغيرة في جزيرة صغيرة قريبة من الساحل ويخاض اليها من البر وهي وما حولها للبجا . وأما ما وراء سواكن والى المندب فهو لجنس من السودان يقال لهم دنكل ومن وراة المندب لزبلع .

الباب الرابع

في

تاريخ مملكة منار

منذ خراب نويه سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م الى الفتح المصري لسنار
سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م

تمهيد

يؤخذ من التواريخ التقليدية ان جزيرة سنار الواقعة بين النيل الابيض والنيل الازرق هي بلاد المكروبيين الذين ذكرهم هيرودوتس انهم في أقصى جنوب ايثيوبيا . وقد تقدم لنا حملاً على الظن ان الجنود المصريين الذين فروا الى السودان في ايام الملك بسامتيك سنة ٦٤٤ ق. م. أقاموا في جزيرة سنار. وارتأى البعض ان الملك الذي طمع كبيز ببلاده فعجز عن الوصول اليه سنة ٥٢٥ ق. م. كما مرّ هو ملك هذه الجزيرة . وفي بعض التقاليد القديمة انه قام في هذه الجزيرة بعد كبيز ١٢ ملكة و ١٠ ملوك . وقد رأينا انه قام في شرقها بملكة عرفت بملكة علوة او بملكة العنج وذلك من قبل النصرانية وبقيت على النصرانية نحو ألف سنة حتى قام الفرنج فاتحدوا مع العرب فغربوها وأسسوا بملكة سنار سنة ١٥٠٥ م في مكانها .

اما الفونج فقد اختلف المؤرخون في اصلهم فمن قائل انهم فرع من الشلك ومن قائل انهم من سكان دارفور الاصليين . والذي عليه التقاليد السودانية وتدعيه سلالتهم انهم من بني امية قالوا : ان العباسيين لما تغلبوا على الأمويين في الشام ونزعوا الملك من ايديهم سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠ م اخذ من بقي من الامويين ومن والام بالفرار ففرقوا في أنحاء العالم فذهبت جماعة منهم الى اسبانيا فأسسوا بملكة الاندلس على ما هو مشهور وذهب آخرون الى السودان فأسسوا بملكة سنار قيل لجأوا أولاً الى الحبشة فعلم بنو العباس بهم فأرسلوا الى النجاشي يريدون منه تسليمهم وإلا أقاموا عليه حرباً عواناً واخذوهم عنوة فحار

النجاشي في امره لأنه لم يشأ ان يسلم قوماً دخلوا في حماه الى اعدائهم ولا ان يتحمل عناء حرب طويلة لأجلهم فأرسل هدية فاخرة الى العباسيين وأمر الامويين فخرجوا من بلاده وسكنوا الجبال التي في أعالي جزيرة سنار وكان سكانها من السود (وبينهم الفونج) فملكوهم بالسهل نظراً لما تعودوه من السلطة والنفوذ في سورية والعراق وكثر تسريحهم منهم فغير ذلك من لونهم ولكنه لم يضع اصلهم فهم لم يزالوا عرباً ممتازين .

هذه هي رواية القائلين ان الفونج من بني امية وفي جملتهم الشيخ عبدالدافع صاحب تاريخ الفونج ولكن ما من قبيلة اشتهرت في السودان إلا ادعت لنفسها نسباً يتصل بالبيت ولعل الفونج لم يخرجوا عن هذا الحكم والأقرب الى الصواب انهم قوم خلاسيون أي خليط من كبراء العرب وملوك الفونج السود .

قال الشيخ عبد الدافع : « وانتقل الفونج من جبال الجنوب الى جبل مويه المجاور لجبل سجدي على مقربة من سنار وكان كبيرهم عمارة ود دنقس وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبد الله جماع فاتحد عماره وعبد الله المذكوران على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة وتزع الملك من ايدي العنج فحشدا الجيوش وهاجما العنج في سوبة فقتلوهم شر قتلة وأخربا سوبة ثم سارا الى قرتي فقتلا ملكها واستوليا على البلاد كلها وذلك سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م كما مر . قيل وقد ساعدهما على النصر نشوب فتن داخلية أدت الى سفك الدماء .

ولما تم النصر لعمارة وعبد الله على النوبة اتفق رأياهما بأن يكون عمارة هو الملك الاعظم في مكان ملك سوبة لأنه الكبير والمقدم ويكون عبد الله بعده في مكان ملك قرتي ويلقب شيخاً فجلس عبد الله في قرتي وذهب عمارة فاخطط مدينة سنار وجعلها كرسي مملكته . قيل وكان هناك جارية تسمى سنار فسيت المدينة باسمها . وكان عمارة وعبد الله كالاخرين إلا ان رتبة عمارة أعلى من رتبة عبد الله فكانا اذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبد الله واذا

غاب عمارة قام عبدالله مقامه ولم تزل هذه العادة متبعة في أسلافها الى انقضاء المملكة اه .

وقد امتدت مملكة سنار من الشلال الثالث الى أقصى جبال فازوغلي شمالاً وجنوباً ومن سواكن على البحر الاحمر الى النيل الابيض شرقاً وغرباً . وكان الحد بين مملكة سنار ومشیخة قرّي مدينة اريحي بقرب المسلمية التي قيل انها اختطت قبل سنار بثلاثين سنة اختطها رجل يسمى حجازي . فمن اريحي فصاعداً جنوباً كان تابعاً للوك الفونج رأساً لا دخل لمشايخ قرّي فيه ومنها شمالاً الى الشلال الثالث كان تابعاً لإدارة مشیخة قرّي تحت سيادة ملوك الفونج . وقد كانت المملكة منقسمة الى عدة ممالك ومشیخات من سود ولوبة وعرب حضر وبادية وكان كل ملك او شيخ يدفع الجزية للملك سنار إلا ان له نوعاً من الاستقلال واما البلاد الواقعة بين الشلال الثالث والشلال الاول فقد كانت بيد الكشاف والامراك كما أشرنا آنفاً . وسأتي على تاريخ هذه الممالك كلها مبتدئين بتاريخ الفونج ملخصاً عن تاريخ الشيخ عبد الدافع وتاريخ الزبير ودضوه من علماء الخرطوم السابقين وعن بعض كبارها الحاليين :

الفصل الاول

في

تاريخ ملوك الفونج في سنار

من سنة ٩١٠ : ١٢٣٦ هـ - ١٥٠٥ : ١٨٢١ م

١ - الملك عماره دُنْقَس ملك من سنة ٩١٠ : ٩٤٠ هـ - ١٥٠٥ : ١٥٣٤ م

هو رأس سلسلة ملوك الفونج وقد تقدم لنا ذكر قيامه وتأسيسه المملكة في سنار . قيل وفي أيامه قدم السلطان سليم الى سواكن ومصوع فامتلكها ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار فخطب ملكها يدعوه الى الطاعة فأجابه بما مفاده : « اني لا أعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادتي فإن كان لأجل تأييد دين الاسلام فاني انا وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله وإن كان لغرض مادي فاعلم ان اكثر اهل مملكتي عرب بادية وقد هاجروا الى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية سنوية » . وأرسل له مع الكتاب كتاب أنساب قبائل العرب الذين في مملكته جمعه له الامام السمرقندي احد علماء سنار فلما وصل الكتابان الى السلطان سليم أعجبه ما فيها وعدل عن حرب سنار . قيل وأخذ كتاب الأنساب معه الى الآستانة

وهو لا يزال في خزانة كتبها الى اليوم . قلتُ وقد طالما سمعت عن هذا كتاب وعن وجوده في السودان قبل الفتح الاخير فلما فتح السودان بذلتُ الجهد في التفتيش عنه فلم أقف له على أثر .

٢ - الملك عبد القادر ابنه سنة ٩٤٠ : ٩٥٠ هـ - ١٥٣٤ : ١٥٤٤ م

٣ - الملك نائل أخوه سنة ٩٥٠ : ٩٦٢ هـ - ١٥٤٤ : ١٥٥٥ م

٤ - الملك عمارة ابوسكاكين أخوه سنة ٩٦٢ : ٩٧٠ هـ - ١٥٥٥ : ١٥٦٣ م

وفي أيامه توفي عبد الله جماع شيخ قرّي المتقدم الذكر فعهد بالمشيخة الى ابنه الشيخ عجيب كافوت .

٥ - الملك دكين بن نائل الملقب بالعدل سنة ٩٧٠ : ٩٨٥ هـ - ١٥٦٣ : ١٥٧٨ م

قيل 'لقب بالعدل لأنه كان محباً للعدل وقد رتب دواوين حكومته أحسن ترتيب ونظم البلاد فأقام على كل جهة رئيساً وضرب عليه جملاً معلوماً وجعل دخول الرؤساء عليه حسب رتبهم الأعلى فالأعلى .

٦ - الملك طبل سنة ٩٨٥ : ٩٩٧ هـ - ١٥٧٨ : ١٥٨٩ م

٧ - الملك أنسه سنة ٩٩٧ : ١٠٠٧ هـ - ١٥٨٩ : ١٥٩٩ م

٨ - الملك عبد القادر الثاني سنة ١٠٠٧ : ١٠١٣ هـ - ١٥٩٩ : ١٦٠٥ م

٩ - الملك عدلان ابنه أبه سنة ١٠١٣ : ١٠٢٠ هـ - ١٦٠٥ : ١٦١٢ م

وفي أيامه خرج الشيخ عجيب شيخ قرّي المتقدم الذكر عن طاعته فأرسل اليه عساكر بكثرة والتقى العسكران بالقرب من كلمكول بين العيلقوت والخرطوم فقتل الشيخ عجيب وفر أولاده الى دنقلة فأرسل لهم الملك عدلان أماناً مع الشيخ أدريس بن محمد الارباب فرجعوا معه الى الملك فبالغ في أكرامهم وولى أحدهم العجيل مشيخة قرّي .

أما الشيخ ادريس المشار اليه فهو من رجال الدين الذين اشتهروا في السودان بالصلاح والتقوى وقد لقب بسلطان الاولياء وكان له ولذريته من بعده مكانة رفيعة عند ملوك سنار فكانوا يصلحون بينهم وبين كبار رعيتهم اذا اختصموا ويتشفعون عندهم في الامور الخطيرة بل كانوا اذا طارد ملك أحد الرعية فلجأ الى حمام رجع الملك عنه . وقيل في نسب الشيخ ادريس ان أباه قرشي تميمي وأمّه من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب هاجر جدّه من الشام فأقام مدة في بلاد الحبش ثم بلفه ان في الحلفاية شريفاً من نسل الحسين يسمى الشريف حمداً فرحل اليه وكان له ابن فزوجه بابنة الشريف فولد له الشيخ ادريس المذكور وذلك سنة ٩١٣ هـ فعمّر الى سنة ١٠٦٠ هـ ودفن في الميلفون جنوبي الخرطوم وبني فوق قبره قبة تزار وما زالت ذريته في الميلفون الى اليوم . وقد أخذ الصوفية على الطريقة الجيلانية عن الشيخ تاج الدين البهاري الذي قدم الى سنار من بغداد وعنها اشتهرت هذه الطريقة فعمت جميع بلاد سنار وهي اول الطرق الصوفية في السودان .

ويروى عن الشيخ ادريس كرامات كثيرة منها انه ظهر في جنوب النيل الازرق يد بشرية مرفوعة فوق الماء وهي تسير مع التيار وأصابها الخمس مفتوحة ولم يُر معها شخص فحار الناس في أمرها وتشوّقوا الى معرفة سرها فلما وصلت تجاه الميلفون خرج الشيخ ادريس من مسجده فرفع لها أصبعين ففاصت للحال في الماء ولم تعد ترى فسأله الناس في ذلك فقال هذه اليد تدلّ على ان الاتفاق قوة وانه اذا كان خمسة من الناس بقلب واحد لم يقدر عليهم أحد فرفعت لها اصبعين مشيراً الى انه اذا كان اثنان فقط بقلب واحد فلا يقدر عليهما احد فانصرفت خجلاً .

هذا ومن عادة بائعات المريسة في الميلفون ان ترفع كل منهن راية فوق منزلها وتجلس عندها تنادي بأعلى صوتها : . يا شيخ ادريس يا راجل الفدة والمدة تلحقنا وتفزعنا وتبيع لي مريستي ، فيجتمع الناس عندها فتخرج من

المريسة ملء قدر فلتسقيهم إياه مجانا تصدقا عن روح الشيخ ادريس ثم تشرع في بيع الباقي بالثمن .

واشتهر بعد الشيخ ادريس بالصلاح والتقوى في سنار « الشيخ حسن ود حسونة » جاء أبوه من الأندلس وسكن كركوج فولد الشيخ حسن المذكور فيها فسلك طريق القوم وحجّ الى بيت الله الحرام وساح الى مصر والشام وغيرها وكانت مدة سياحته نحو ١٢ عاماً ثم رجع الى البلاد واشتهر صلاحه فسكن البادية وأكثر فيها من المواشي والحيل والعبيد . وكان مع كثرة غناه يتقشف في أكله ولبسه ويطعم الناس لذيد الاطعمة وكان بينه وبين الشيخ ادريس محبة عظيمة الا انه لم يشتهر الا بعد وفاة الشيخ ادريس ولم يختلف ذرية وتوفي سنة ١٠٥٩ هـ ١٦٤٩ م فعاش احدى وتسعين سنة ودفن في قبته التي بناها قبل وفاته في وسط البطانة بين النيل والابرة واصبحت مزاراً يجتمع فيها في كل خريف خلق كثير .

وفي أيام الملك عدلان قدم الى سنار الشيخ ابراهيم بن جابر البولادي من مصر وهو اول من درّس مختصر الشيخ خليل المالكي في بلاد القونج فنفع الله به خلقاً كثيراً . وقدم ايضاً رجل مغربي تلمساني على الشيخ محمد عيسى سوار الذهب فأخذ عنه طريق القوم ودرس عليه علوماً كثيرة .

وفي نحو هذا العهد قدم الشيخ محمود المركي من مصر وعلم الناس بعض أركان الشريعة وبنى له رباطاً على البحر الابيض بين أليس والحسانية وبه مدفنه الآن . وكان قبله في بلاد سنار اولاد ضيف الله المعروفة مقابرهم في ابي حليلة شرق النيل الازرق . قيل وكان اول دخول الاسلام الى بلاد سنار في خلافة هارون الرشيد سنة ٧٨٦ م .

١٠- الملك بادي المعروف بسيد القوم سنة ١٠٢٠: ١٠٢٣ هـ - ١٦١٢: ١٦١٥ م

١١- الملك رباط ابنه سنة ١٠٢٣: ١٠٥٢ هـ - ١٦١٥: ١٦٤٣ م

١٢- الملك بادي ابو ذقن سنة ١٠٥٢ : ١٠٨٨ هـ - ١٦٤٣ : ١٦٧٨ م

ومن أعماله انه غزا الشلك وفتحك بهم . ثم غزا جبال تقلي فدونها. قيل والسبب في غزوه تلك الجبال ان احد أصدقائه ذهب اليها بتجارة فسلبه ملكها جميع ما كان معه وطرده فقيل للملك ان هذا الرجل صديق للملك سنار فقال وماذا يهمني ملك سنار فإن قصدني وجاوز باجة (غابة) أم لماع فليفعل ما يشاء وباجة أم لماع مفازة صعبة لا ماء فيها بين النيل الابيض وجبال تقلي. فأتى التاجر الى ملك سنار وأخبره بما جرى له مع ملك تقلي فجهز عساكره وسار قاصداً جبال تقلي وقال لصاحبه اذا وصلنا الى غابة ام لماع فأخبرني فلما وصلوا اليها أخبره فنزل الملك عن جواده وأمر عساكره فنزلوا عن ركائبهم واجتازوا الغابة ماشين على الأقدام أراد بذلك احتقار العقبة التي ظن ملك تقلي انها تعجزه ولما اجتازها ركب وركبت عساكره وساروا في جبال النوبة يقتلون ويأسرون ويسبون حتى وصلوا الى جبال تقلي فحاصروها فتمنع ملكها بالحصون قيل وكان يقاتل عساكر ملك سنار نهاراً ويرسل اليهم « الضيافة » ليلاً . فلما رأى ملك سنار مكارم أخلاقه صالحة على جعل معلوم يدفعه له في كل عام ورجع الى سنار ومعه سبايا النوبة وتقلي فجعل لكل جنس منهم حلة معلومة حول سنار وأسكنهم بها وصاروا من جملة جنوده وقد تناسلوا بتلك الحلل فسميت كل حلة باسم الجنس الذي سكنها مثل تقلي والكدر والكدر والكبنك والكاركو وغيرها وبقيت ذرارهم بها الى انقضاء دولة الفونج .

وقد اشتهر هذا الملك بالشجاعة والكرم والعفة والتعبد وكان معظماً لأهل العلم والدين مكرماً لهم. وكان بينه وبين علماء مصر اتصال حسن فكان يرسل اليهم الهدايا مع خبيرة احد علوان وقد اشتهرت مناقبه عندهم حتى انهم مدحوه بقصائد عديدة منها قصيدة للشيخ عمر المغربي قال فيها :

أيا راكباً يسري على متن ضامر الى صاحب الملياء والجود والبر
ويطوي اليه شقة البعد والنوى ويقتحم الأوعار في المهمة القفر

وينتفض من مصر وشاطئ نيلها
 لك الخير إن وافيت سنار قف بها
 وألق عصا التسيار في صرح أنسها
 وأهد سلاماً عطر الكون نشره
 وأحلى وأهنا من وصالي بلا جفا
 الى حضرة السلطان والملك الذي
 هو الملك المنصور «بادي» الذي له
 حى حرمة الدين الحنيفي بالقنا
 وجرد للاسلام والملك صارماً
 له في صميم الملك مجد مؤنل
 ملوك تساموا للمدى وخلائف
 هم العقد من أبهى الآلىء نظمه
 وفيهم مولانا المليك فريدة
 هو البر والبحر المحيط حقيقة
 عماد يلوذ المسلمون بظله
 سليل ملوك القونج والسادة الاولى
 محاً أثر الفجار بالسيف فاغتدت
 أياد له بالنصر كاسرة العدى
 به أصبحت سنار في الأنس والصفاء
 تبارك من أنشاء للخلق رحمة
 وصير أمري في يديه فإن يشأ
 فاني فقير والفضائل حرفي
 وقد جاءني منكم كتاب معظم
 فقبلته ألفاً وحقاً جعلته
 تسلمت عبداً واحداً من سلاتكم

وأزهرها المعمور بالعلم والذكر
 وقوف محبٍ وانتهاز فرصة الدهر
 تجدد كل ما تهوى النفوس من البشر
 ألد من الماء المسلسل والقطر
 وأعلى وأغلى من عقود من الدر
 حى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
 مدائح قد جلّت عن العبد والحصر
 وعزّز فيه راية الفتح والنصر
 أباد به اهل الغواية والكفر
 تلقاه عن أسلافه السادة الغر
 أولو العزم في أزمانهم وأولو الأمر
 مناقبهم كالمسك طيبة النشر
 لذا العقد رب العز والمجد والفخر
 فناهيك من برّ وناهيك من بحر
 وسد منيع للأثم من الضر
 علا مجدهم فوق السماكين والنسر
 بهم حوزة الاسلام سامية القدر
 ولكنها بالجود جابرة الكسر
 وثامت على البلدان حق على مصر
 وزان به الازمان كالعقد في النحر
 أزال برغم الدهر ما بي من الضر
 وفي مصر أرباب الفضائل في فقر
 وفي سلكه نظم الجواهر والدر
 على الرأس تعظيماً وأودعته صدري
 ونلت به فخراً وناهيك من فخر

فخذها من العبد الفقير قصيدة
هو المغربي المالكي وانه
فمنوا عليها بالقبول وأنعموا
فلا زلت في أوج السعادة رافلا
منظمة كالدرّ في خالص التبر
يسمى ابن خطاب ومثلك من يدري
عليه بما ينجيه من غصص الدهر
وراجيك «بادي» عن عطاء وعن شكر

وهو الملك الذي بنى الجامع بسنار وجعل في نوافذه شباكاً من لحاس
وبنى قصرأ لحكومته فجعله خمس طبقات بعضها فوق بعض وبني مخازن
للأسلحة والذخائر وديواناً لجلوسه وديوانين آخرين أحدهما خارج القصر والآخر
داخله وأحاط جميع ذلك بسور له تسعة أبواب جعل ثمانية منها لأمرأ دولته
لكل أمير باباً يدخل منه الى ديوانه الخاص للنظر في الشؤون المتعلقة به وجعل
الباب التاسع له ولولد عجيب شيخ مشيخة قرّي . وهذه الابواب التسعة تفتح
في حائط واحد وأمام كل منها رواق له دكة عالية تعرف «بدكة من ناداك»
قبل سميت بذلك لأنها ملجأ للمتظلمين فيأتيها الناس من انفسهم بدون ان
يناديهم احد . واذا أراد احد كبراء الدولة الدخول الى ديوان الملك لزمه ان
يدخل وحده . ولما تضعض حال الفونج وتقلب الهج على ما سيحيء تهدم
كثير من تلك البيوت وتداعى القصر الكبير ولكن بقيت آثاره الى الفتوح
المصري .

١٣ - الملك أنسه الثاني ابن اخيه سنة ١٠٨٨ : ١١٠٠ هـ - ١٦٧٨ : ١٦٨٩ م

وفي أيامه سنة ١٠٩٥ هـ وقيل ١٠٨٩ هـ حصل غلاء شديد واشتد الجوع
حتى أكلت الناس الكلاب فسميت هذه السنة بسنة أم لحم . وفيها تفشى
مرض الجدري ومات منه ومن الجوع خلق كثير .

١٤ - الملك بادي الاحمر ابنه سنة ١١٠٠ : ١١٢٧ هـ - ١٦٨٩ : ١٧١٥ م

وتد خرج أهله الفونج عن طاعته ونصرهم الشيخ ارداب ولد عجيب شيخ
قرّي فأقاموا عليهم ملكاً اسمه « أوكل » وجمعوا لمحاربته نحو ألف فارس ولم
يكن مع الملك بادي إلا خمسة واربعمون فارساً فقاتلهم ونصره الله عليهم فقتل

تأريخ السوكن

الشيخ ارداب وطرده الباقيين الى محل يقال له العطشان ورجع سالماً منصوراً .
وفي أيامه ظهر الولي الشيخ حمد ولد التراي من عرب رفاعة الهوي فاشتهر
في السودان بالصلاح والتقوى ودُفن في جزيرة سنار بين الكاملين ومسجد ود
عيسى وبني فوق قبره قبة تزار الى اليوم .

١٥ - الملك أنه الثالث سنة ١١٢٧ : ١١٣٠ هـ - ١٧١٥ : ١٧١٨ م

وقد انهزمك بالهرو واللعب وارتكاب الفحشاء حتى بلغت أخباره الفونج
بالصيد وهم جنود « لولو » فصمموا على عزله لأنهم هم الذين يعزلون ويولّون
من يريدون من الملوك فجاءوا الى حلال الكبوش قرب سنار وعينوا ملكاً
وأرسلوا للملك أنه قائلين ان قتلت وزيرك نغرك على الملك ولا تتعرض لك
فاغتر بكلامهم وقتل وزيره بعد تردد ثم أرسل لهم الخطيب وبعض عبد
سنار ليوفوا له بشرطهم فلم يسموا له بل لم يزالوا مصممين على عزله فلما يئس
منهم استأمنهم على نفسه وعائلته فأمنوه وخرج من محل الملك وذلك في سنة
١١٣٠ هـ ١٧١٨ م وكان هو آخر ملوك من قولي من نسل عمارة دنقس وولي
الفونج بعده :

١٦ - الملك نول سنة ١١٣٠ : ١١٣٦ هـ - ١٧١٨ : ١٧٢٤ م

وكانت له نسب من جهة الرحم يتصل بسلسلة الملوك المتقدمين وقد اتفقوا
على توليته لأنه كان رجلاً عاقلاً حسناً في الاسلام فحكم في الرعية بالعدل وحسن
التدبير فارتاحوا الى حكمه وسموه بالنوم لشدة عدله .

١٧ - الملك بادي ابو شلوخ ابنه سنة ١١٣٦ : ١١٧٥ هـ - ١٧٢٤ : ١٧٦٢ م

وهو أشهر ملوك سنار وقد امتاز بالشهرة لحربه مع الحبشة وانتصاره على
ملكها ياسو . وقد ذكر بعضهم سبباً لهذه الحرب قال : أن لويس الرابع
عشر ملك فرنسا أرسل سنة ١٧٠٣ م هدايا فاخرة الى ياسو ملك الحبشة مع
الموسيو لانوار دي رول (M. le noir du Roule) فقام رول من مصر في

١٩ يوليو سنة ١٧٠٤ م وسار قاصداً الحبشة بطريق النيل فوصل سنار في آخر مايو سنة ١٧٠٥ ومعه سبعة أتباع وخادم ومترجم وستون رجلاً بحملة هدايا فاخرة للملك الحبشة فقابلته ملك سنار بالترحاب وكان الموسيو رول قد أحضر له هدية فسرّ الملك بها وأهدى له هدية نفيسة عوضاً ولكن لم يمض إلا القليل حتى ورد على ملك سنار رسائل من مصر أوغرت صدره على الموسيو رول وقيل إن الرسائل التي جاءت به حذّرت من الموسيو رول وأنذرت بأنه ذاهب إلى الحبشة لتحويل مجرى النيل الأزرق عن سنار وتعليم الاحباش صناعة الحرب وتقويتهم بالمدايع عليه فلما كان آخر شهر أغسطس سنة ١٧٠٥ م استأذن الموسيو رول الملك في استئناف السفر إلى الحبشة فأذن له ولكن ما سار عن سنار بضعة أميال حتى أدركه ٣٠٠ رجل من قبل الملك فقتلوه هو وأتباعه وأخذوا جميع ما كان معه من الهدايا والأمتعة وانقلبوا راجعين إلى سنار . فلما بلغ ياسو ملك الحبشة ما كان من الملك بادي جرّد جيشاً جرّاراً عدته ٣٠ ألفاً وقيل ١٠٠ ألف وسار في طلبه قاصداً سنار . فجمع الملك بادي جيوشه من المشاة والفرسان وجعل عليها الامين ود مسار ود عجيب شيخ مشيخة قرّي قائداً عاماً وجعل على الفرسان خاصة الشيخ محمد أبا الكليلك كبير الهمج (والهمج قوم خلاسيون من النوبة والعرب وقيل هم فرع من الموضية الجعليين) وقد تسلح المشاة بالسيوف والحراب ولبس الفرسان دروع الزرد وألبسوا خيلهم « اللبوس » واجتازوا النيل فاجتمعوا على خميس امير فور ، وانضموا جيشاً واحداً وساروا للملاقاة جيش الحبشة فالتقوا به في محل يقال له الزكيّات شرق الدندر واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه من الجيشين خلق كثير وكانت النصر لجيش سنار فغنم غنائم عظيمة من أسلحة ومدافع وخيام وخيول وغير ذلك ونالت سنار بهذا النصر شهرة طبقت الآفاق حتى بلغت مصر والشام والحجاز والاسنانة وتونس والهند فتقاطر الناس إليها أفواجا من كل الجهات وأقاموا فيها . قيل وكان تاريخ هذه الواقعة صفر الخير سنة ١١٤٧ هـ يوليو ١٧٣٥ م . قلت وهو لا ينطبق على تاريخ الرواية المتقدم ذكرها

في بيان سبب الحرب .

وقويت شوكة الملك بادى بعد حرب الحبشة وطمعت نفسه بامتداد ملكه غرباً فأرسل جيشاً لفتح كردوفان وولى عليه ود تومه ومعه الشيخ عبد الله ود عجيب شيخ قرتي واخوه تمام والشيخ محمد ابو اللكيلك كبير الهمج وكان على كردوفان طائفة المسبعات أقرباء سلاطين الفور الآتي ذكرهم فالتقوم في مكان يقال له كحيف وهزموم وقتلوا قائدهم ود تومه والشيخ عبد الله ود عجيب فجمع الشيخ محمد ابو اللكيلك المساكر ثانية وأعاد الكرة على المسبعات فاقتتلوا في مكان يقال له شمتة من أعمال الطيارة بكردوفان فقتل الشيخ تمام ود عجيب والمجبل ابنه .

وبلغ ملك سنار خبر القتال الاول والثاني وما أظهره الشيخ محمد ابو اللكيلك من البسالة وحسن التدبير فأرسل اليه يعينه قائداً عاماً في الجيش في مكان ود تومه فسر بهذا الالتفات وأعاد الكرة بعزم جديد على المسبعات فانتصر عليهم وأخرجهم من كردوفان وكان ذلك في سنة ١١٦٠ هـ ١٧٤٧ م فأقام فيها الى سنة ١١٧٤ هـ ١٧٦١ م . ثم أخلاها للمسبعات وعاد الى سنار لعزل الملك بادى وسبب ذلك ان الملك بادى كان له وزير صاحب عزم وتدبير وهو الذي قام بتدبير الملكة وأكسبها تلك الشهرة فمات الوزير واستبد الملك بادى برأيه فغير كثيراً من النظامات والقوانين واستعان بالثوبة الذين أتي بهم من جبال كردوفان فجعلهم رؤساء بدلاً عن رؤساء البلاد أصحاب الرتب القديمة . وفي سنة ١١٧٠ هـ قتل الخطيب عبد اللطيف البغدادي من مشاهير علماء السودان . وكان له أولاد كبار فتطاولوا على الرعية وبغوا وأفسدوا ولم ينهم فنفرت منه قلوب رعيته . وكان مع الشيخ محمد ابي اللكيلك في كردوفان جماعة من أكابر الفونج فأساء الملك الى أتباعهم في سنار فاغتاظوا منه واتفقوا مع الشيخ محمد ابي اللكيلك على عزله وقولية ابنه ناصر في مكانه فخرجوا من كردوفان وعبروا النيل الابيض ونزلوا باليس فأرسلوا الى ناصر وأخبروه بنفور قلوب الناس من أبيه وعزمهم على توليته ملكاً عوضاً عنه فخرج من

سنار متنكراً واجتمع بالشيخ محمد وأكابر الفونج في أليس فأخذوا عليه اليهود والموائيق وساروا به قاصدين سنار ثم أرسلوا الى الملك بادي يقولون له ان خرجت فلك الأمان فخرج في قلة وذلة واجتاز البحر وذهب الى سواكن ومات فيها وكانت مدة حكمه ٣٩ سنة . وهو آخر من تمتع بعز الملك من ملوك الفونج فانهم بعد ذلك صاروا يتولونه رسماً لا حقيقة وأصبحت السلطة الحقيقية وقولية ملوك الفونج وعزلهم بيند وزرائهم الهمج الذين أولهم « الشيخ محمد ابو الكليلك » المتقدم الذكر .

١٨ - الملك ناصر سنة ١١٧٥ : ١١٨٢ هـ - ١٧٦٢ : ١٧٦٩ م

حكم ٧ سنين ثم انقلب عليه الشيخ محمد فنفاه الى حلة البقرة قرب سنار فأخذ يسمى بالمود الى كرسي الملك والفتك بالشيخ محمد فبعث الشيخ محمد ابن أخيه بادي بن رجب بجانب من عساكره فدخلوا عليه في منزله وقتلوه وكان المصحف الشريف عن يمينه والموطأ (وهو كتاب للامام مالك) عن شماله لأنه كان من اهل العلم وله خط جميل . وولى الشيخ محمد أخاه .

١٩ - الملك اسماعيل سنة ١١٨٢ : ١١٩١ هـ - ١٧٦٩ : ١٧٧٨ م

وكان رجلاً دينياً عدلاً أزال المظالم وأحسن الى الفقراء والفقهاء . وفي اول سنة من ملكه أي سنة ١١٨٢ هـ حصل غلاء شديد . وفي سنة ١١٨٥ هـ زاد النيل زيادة عظيمة . وزاد ايضاً زيادة فاحشة في السنة التي تلتها . وفي سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٧ م توفي الشيخ عدلان ود صباحي شيخ خشم البحر وكان بينه وبين الشيخ محمد مودة عظيمة وكان رجلاً نزيهاً عفيفاً صاحب كرم وديانة . وفيها توفي الوزير (١ - الشيخ محمد ابو الكليلك) وكان له سبعة أولاد وهم رجب وناصر وادريس وعدلان وابراهيم وعلي وحسين ولكن لم يكن بينهم مرشد يخلفه فخلفه ابن أخيه (٢ - الشيخ بادي بن رجب) . فاجتمع الفونج عند الملك اسماعيل يريدون خلعه والتخلص من سطوة الهمج فعلم الشيخ بادي بذلك فعزل الملك اسماعيل ونفاه الى سواكن وولّى بدله :

٢٠ - الملك عدلان الثاني سنة ١١٩١ : ١٢٠٣ هـ - ١٧٧٨ : ١٧٨٩ م

واستقامت للشيخ بادي الوزارة وعدل في الرعية وقهر جميع خصومه وقاتل على عمه الشيخ محمد في الشجاعة والقهر وقوة البطش . وفي ايامه خرج الشكرية عن طاعته فخرج بعساكره من سنار ونزل بحلة رفاة الشرق وأرسل جيوشه على الشكرية في البطانة فواقعهم عدة وقائع وقتلوا شيخهم الشيخ أبا علي وأجبروهم على الطاعة ولكنهم بقوا على نوع من الاستقلال الى ان دخلت الحكومة المصرية بلاد السودان فخضعوا لها . وأرسل بادي الشيخ عجيب ود عبد الله وعيسوي والشيخ قنديلاري الى التاكا لمحاربة الخلائفة فحاربوهم فقتل الشيخ عجيب وعيسوي ورجع قنديلاري فاعترضه في الطريق فارس من فرسان الشكرية يسمى عبد الله القطيني وقتله قيل انه ألقاه عن جواده الى الارض ثم جثا على صدره واستل الخنجر ليذبحه فقال له عبد الله لا تحسب ان تحتك بقرة فأحسن الذبح ولا تملأ تلك الخوذة دماً فذبحه كما طلب وكان ذلك سنة ١١٩٣ هـ ١٧٨٠ م .

وفي أثناء إقامة الشيخ بادي في رفاة عزل الشيخ محمد الأمين من مشيخة قرتي وأرسله الى القربين . وعزل الشيخ محمد ود علي شيخ ديار خشم البحر وولى د صباحي ود عدلان ، مكانه . وضرب ناصر ابن اخيه الشيخ محمد ابي الكلبيك ضرباً مبرحاً لذنوب آتاه فاستاء اخوته من ذلك جداً وحملوه الى سنار وأخذوا في تهيج الاحزاب المضادة لبعثهم وضم كلتهم لمحاربتهم فوافقهم على ذلك الملك عدلان وبعض كبراء الفونج والشيخ محمد الامين شيخ قرتي والشيخ محمد ود علي شيخ ديار خشم البحر المعزولين فجمعوا جيوشهم وساروا لقتاله في رفاة وكان الشيخ بادي عند سماعه بعزم اولاد اخيه على محاربتهم لم يهتم للخبر ولكنه لما سمع ان الشيخ محمد الامين شيخ قرتي وافقهم على ذلك قال : والآن تحققت وقوع محاربة صحيحة ، قال ذلك لأن الشيخ محمد الامين كان من الفرسان المعدودين فقام لساعته واجتاز النيل الى الجزيرة وسار نحو سنار فالتقاء جموع أعدائه في الطريق فقاتلهم قتالاً شديداً وصار كلما مرّ بفارمن

تاريخ السنوكان

يسأله من انت فيقول له فلان فيتركه ويأبى محاربته حتى قابله الشيخ محمد الامين فسأله من انت فقال « محمد الامين » فضربه بالسيف ثلاث ضربات فلم تؤثر فيه لأن ذرعه كان حصيناً ولأن ضرب الشيخ بادي كان طائشاً ممزوجاً بالغضب . ثم ان الشيخ الامين ضربه ضربة أثخنه فوقع على الارض مجنحاً فطلب اولاد اخيه ليوصيهم فقال له الشيخ احمد ود علي شيخ خشم البحر المعزول أنت في قيد الحياة بعد وضربه بالسيف على فمه فقضى عليه وكان ذلك سنة ١١٩٤ هـ ١٧٨٠ م فلما حضر اولاد اخيه وعلموا بضرب الشيخ احمد له وهو على الارض غضبوا ومن ذلك الحين تأسست العداوة بينهم وبين الشيخ احمد وأولاده .

وخلف الشيخ بادي في الوزارة « ٣ - الشيخ رجب » اكبر اولاد اخيه الشيخ محمد ابي النكليك فلما استقامت الاحوال بسنار جعل أخاه ابراهيم وكيلاً عنه مع الملك عدلان وتوجه بعساكره الى كردوفان فأقام فيها محاصراً للجبال وفيما هو هناك أشهر محمد الامين شيخ قرّي المعزول العداء للهجم فأرسل من كردوفان أخاه ناصر الى الجزيرة ومعه نحو ٧٠٠ فارس لمحاربة الشيخ الامين الذي كان مقيماً بالهلالية شرق النيل الازرق بين رفاعه والكاملين ولم يكن مع الشيخ الامين حين مقابلتهم له إلا ١٦ فارساً من اولاده وعبيده فهزمه ناصر وولى أخاه « بادي بن مسمار » مشيخة قرّي بدله وذلك سنة ١١٩٨ هـ ١٧٨٤ م . وكان أهالي اريجي هم الذين سموا في تشييع بادي فأضمر لهم الشيخ الامين سوء فاتفق مع الشكرية وهجم على مدينة اريجي فغزبها وشتت شمل أهلها وتركها قاعاً صفصفاً ولم تزل كذلك الى الآن . وكانت مدينة حسنة البنيان كثيرة العمارة ولأهلها تأنق عظيم في تحسين الاطعمة وكان بها مدارس للعلم والقرآن . قيل وقبل غزائها كان فيها رجل يتلو الآية « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

ثم ان الملك عدلان تفكر في ما فعله الهجم في ابيه الملك اسماعيل وجده

تأريخ الشوكلا

الملك بادي فلما جاهر الشيخ الامين بعداوة الهمج كتب يدعوه اليه ودعى اليه ايضاً بعض مشايخ البلاد الذين كانوا من حزبه فاتفقت كلمتهم على الفتك بالهمج فقبصوا على ابراهيم وكيل الشيخ رجب الوزير وقتلوه في السوق وأخرج الملك عدلان بنات الشيخ محمد أبي اللكيلك واسترقهن وفرقهن على رؤساء عساكره وذلك سنة ١١٩٩ هـ ١٧٨٥ م . وكان في سنار في ذلك الوقت شاعر مشهور يعرف بالنعسان فأراد الملك قتله بسبب ميله لأولاد أبي اللكيلك ففرّ هارباً الى الشيخ رجب ولما دخل عليه بكى وانتحب وارتجى رائي محزنة أشار فيها الى قتل ابراهيم واسترقاق بنات محمد فقام الشيخ رجب لساعته الى سنار وكان معه الملك سعد بن الملك ادريس ود الفحل من ملوك الجعلين بشندي الآتي ذكرهم والحاج محمود المذبذب من الأولياء الصالحين اصحاب الكرامات وجد المجاذيب الذين في الدامر قيل وكان في أثناء المسير يقول « يا سنار جاهك النار » وأحياناً يقول « النار أطفأها السيل » . ثم لما قربوا من سنار كان يقول « انا وانت » يمرض بقتله وقتل الشيخ رجب فقابلهم الملك عدلان بجيوشه في مكان يقال له الترس شمالي سنار واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه الشيخ رجب والحاج محمود وذلك سنة ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م . وكان للحاج محمود ابن يسمى الفقيه علي فنقله الى حلة الدبة شمالي الحلفاية ودفنه وقبره ظاهر يزور الى اليوم . قيل انه بعد دفنه كان يُسمع الأذان عند قبره كل ليلة لأنه كان مؤذناً في حياته .

وانهزمت عساكر الهمج ولحقوا بمُنبود في وسط الجزيرة وهثوا بالتفرق في الجهات فأرسل اليه الفقيه حجازي ابن ابي زيد من ذرية الشيخ ادريس ود الارباب المتقدم ذكره وأمرهم بالثبات وبشرم بالنصر فاطمأنوا وثبتوا وجعلوا الشيخ ناصر أخا رجب المقتول شيخاً عليهم . فجهز عليه الملك عدلان جيشاً وعقد لواءه للامين رحمه ود كنفاري ومعه محمد ود خميس ابو ريده ونفر من كبار الفونج وسيروهم لقتاله فالتقام بمحل يسمى « انطرحنا » فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل علي اخو الشيخ ناصر وكان فارساً وكثر القتل في عسكر الملك

وانهزموا ففرق بعضهم في البحر وتبعتهم عساكر الشيخ ناصر قتلاً حتى أدخلوهم سنار وتأسف الملك لعدم خروجه للحرب بنفسه فمات قهراً . وزحف الشيخ ناصر على سنار وحاصر عساكر الملك حصاراً شديداً حتى ضاقت نفوسهم فخرجوا اليه واصطفوا لقتاله ولكنهم انهزموا بلا قتال ودخل ناصر سنار بمساكره فأفسدوا فيها وذلك سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م ومن ذلك الوقت انكسرت شوكة الفونج ولم تقم لهم قلعة بعد . وولى الشيخ ناصر :

٢٠ - الملك أوكل سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م فملك بضعة أشهر ثم هرب ليلاً فولى ناصر مكانه :

٢١ - الملك طبل سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م وكان الشيخ محمد الأمين شيخ قرتي المعزول ومحمد ود خيس أبو ريده المار ذكرهما قد وليا على سنار « الملك رباط » فذهب ناصر ومعه الملك طبل لقتالهما فالتقوا في الحلفاية وقيل في محل قرب شندي وهناك اشتعلت الحرب فقتل الملك طبل وانهزم الشيخ ناصر شر هزيمة فسمي ملكاً على سنار :

٢٢ - الملك بادي الخامس سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م وسار به لاستئناف الحرب ضد الشيخ محمد الأمين فقتل الملك بادي والملك رباط معاً فولى ناصر على سنار :

٢٣ - الملك حسب ربه سنة ١٢٠٤ هـ - ١٧٩٠ م مات أيضاً ورجع الشيخ ناصر الى سنار . وفي سنة ١٢٠٥ هـ ١٧٩١ حدث ان الشيخ محمد الأمين ود مسار ضرب الشيخ عبد الله بن عجيب (ابن عمه) لذنوب أياه فالتجأ الشيخ عبد الله الى محمد خيس ابي ريده وذهباً بمن معها من الرجال الى الشيخ محمد الأمين بحلة بان النقا بين قرتي وشندي فوجدوه في منزله وحده فاحتالوا الى ان صعدوا على سطح البيت وأزالوا سقفه وصاروا يرمونه بالحجارة من بعيد حتى قتلوه . وقول المشيخة بعده « عبد الله ود عجيب » وولى الشيخ ناصر على سنار :

٢٤ - الملك نوار سنة ١٢٠٤ : ١٢٠٥ هـ - ١٨٩٠ : ١٨٩١ م وكان صاحب شهامة وسطوة فلما ظهرت صفاته للشيخ ناصر قتله وولى مكانه :

٢٥ - الملك بادي السادس بن طبل سنة ١٢٠٥ : ١٢٣٦ هـ - ١٧٩١ : ١٨٢١ م وكان لا يزال فقيهاً فاستمر ملكه الى الفتح المصري وتقلب عليه عدة وزراء من الهمج اولهم د ٤ - الشيخ ناصر ، الذي فيه كلامنا وهو الوزير الرابع . وفي ايامه توفي الفقيه حجازي في سجنه عطشاً . وتوفي ايضاً الفقيه عبد الرحمن ود ابو زيد العالم العامل الولي الصالح . والعالم الفقيه محمد نور صبر . وقتل جماعة من الحضارمة على يد اخيه حسين .

وفي سنة ١٢١١ هـ ١٧٩٧ م اجتاز ناصر البحر بعساكره ومعه اخوه عدلان وحارب ابا ريده وقتله ونهب أمواله واتحد عليه هاشم بن الملك عيسوي وأولاد الشيخ الامين ومعهم فزاره وبنو جرار ودخلوا الجزيرة فخرج في طلبهم فلحقهم بنواحي سيرو وهناك اصطلحوا ورجعوا الى سنار ما عدا بني جرار فانهم رجعوا من حيث أتوا بعد ان أكرمهم الشيخ ناصر وخلع على كبارهم .

وكان في الشرق في هذا العصر اربعة ملوك اشتهروا بالكرم وهم : الشيخ ناصر في سنار والسلطان عبد الرحمن في دارفور ومراد بك في مصر واجمد باشا الجزار في الشام .

ومما يحكى من نوادر كرم الشيخ ناصر ان رجلاً كان قاصداً الحجاز فدخل عليه يلتمس منه صدقة وكان على مقربة منه إناء مملوء ذهباً فلما كفيه مريداً ان يبسط الرجل طرف ثوبه لينلأه له فخذ الرجل يديه . فأعطاه ما في كفيه من الذهب ولم يزد .

وكان الشيخ ناصر يحب الألعاب والمطربات فلما راقته الاحوال فوض تدبير المملكة الى وزيره الارباب دفع الله بن احمد المشهور بود الزقلوته من الجعليين واشتغل باللهو والطرب وأعجب بعبيده فاشتدت أيديهم على الظلم ولم ينعمهم لأنهم كانوا عضده . وأمر اخوته وكبراء دولته ان لا يدخل عليه احد

منهم الا بعد الاستئذان من وزيره دفع الله فنفرت نفوسهم منه وخرجوا عن طاعته واجتمعوا في عبود في باطن الجزيرة لحاربتة ووافقهم على ذلك كل من له غرض في إزالة دولة ناصر فلما بلغه خبرهم خرج الى حلة السبيل وأرسل اليهم كبار الفقهاء يترضونهم ثم أرسل اليهم اخوانهم وبنات الشيخ محمد ابي الكلبيك فأبوا الا الحرب او يتنازل لهم عن الوزارة فلما يئس من رجوعهم الى الطاعة عاد الى سنار. فخرج اخوته من عبود ونزلوا في حلة البقرة قرب سنار وباتوا على حربه فأخذ ما يحتاج اليه وفرّ الى الجنوب ليلاً مع وزيره دفع الله فنزل في دبركي على الدندر فدخل اخوته سنار وتولى احدهم د - ٥ - ادريس كرمي الوزارة في مكانه .

وبقي ناصر في دبركي زماناً ثم ارتحل شمالاً فاحتفى بالشيخ عبد الله بن عجيب شيخ مشيخة قرطي مدة ثم رحل عنه وأتى الى عبود ولما علم به ادريس خرج من سنار ببعض عساكره ونزل في ابي حراز وارسل لحاربتة أخاه عدلان وعبيده وبغضاً من العساكر ولم يرسل احداً من الهمج ولا من الفونج خشية من الخيانة ولما أدركه عدلان وتراعى العساكران خرج الوزير دفع الله ود ارباب من جيش ناصر ورمى الخوذة عن رأسه ودخل في عساكر عدلان طالباً الأمان لنفسه فانهمز ناصر وعساكره فقتلهم عدلان وقبض على ناصر أسيراً وأتى به الى ادريس في ابي حراز فسلمه الى حياص ابن الملك بادي فقتله بثأر ابيه ودفن قريباً من الشيخ دفع الله العربي وكان ذلك في آخر سنة ١٢١٢ هـ وقيل أوائل سنة ١٢١٣ هـ .

اما الشيخ دفع الله العربي المشار اليه فقد كان من رجال الدين الصالحين وهو تلميذ الشيخ ادريس ود الارباب المشار ذكره وكان مقيماً في ابي حراز ولم تزل ذريته مقيمة فيها الى اليوم . وكان مقامهم مكرم عند ملوك الفونج كمقام ذرية الشيخ ادريس .

وتفرد د - ٥ - الشيخ ادريس بالوزارة وكان رجلاً مهاباً عادلاً أكره شيء لديه السرقة فتعقب اللصوص في كل مكان وعاقبهم بكل صرامة حتى انه لم

يبتق سارق ولا لص في كل بلاد سنار. وشدّد الوطأة على العرب الرحالة فكفى أهل القرى شرهم وكان له من الأعوان عدا أخيه عدلان الارباب القرشي والارباب زين العابدين ود السيد والفقير عبد الجليل ود عامر والفقير الأمين ود المشا ولم يفوض اليهم تدبير مملكته كما فوض اخوه الشيخ ناصر الى وزيره الارباب دفع الله بل كان يتولى أمور مملكته بنفسه وبذلك استقامت له الاحوال . ثم بدا من الملك بادي ما ساءه فاتفق مع الشيخ كمتور شيخ خشم البحر وعزله وولى مكانه :

٢٧ - الملك رانفي فحكم بضع سنين ثم عاد الملك الى الملك بادي . وفي أيام رانفي أتى الشيخ عبد الله بن عجيب بما اغضب الشيخ ادريس فجرد عليه جيوشه وكان المبادل قد نقلوا مركز المشيخة من قرني الى الحلفاية فانتشب القتال في الحلفاية في اول محرم سنة ١٢١٥ هـ ٢٤ مايو ١٨٠١ م فقتل الشيخ عبد الله وانهمت جيوشه فأمنهم الشيخ ادريس وولى عليهم « الشيخ ناصر الأمين » الذي بقي في المشيخة الى الفتح المصري .

وكان الشيخ عبد الله المذكور عادلاً متديناً مولماً بسماع القرآن محباً للرعية وقد أمر بتقليل مهر النساء فكثر بذلك زواجهن وازداد النسل وأمر أهل السوق بحضور الصلاة في المساجد وقطع دابر اللصوص وأمن السابلة وكانت مدته ثلاث سنوات .

وأقام الشيخ ادريس في الحلفاية وأرسل أخاه عدلان يجانب من العساكر الى شندي كرسي مملكة الجميلين وكان ملكها الملك سعد قد توفي فلما وصل عدلان الى حلة بأن التقا كتب الى الملك محمد ود نمر يعده قصد تخادعته بأن يقره ملكاً على الجميلين فاغتر بوعده وحضره اليه مع نفر من اهله وابنه ادريس وكان اذ ذاك فتي وأما أخواه الملك نمر والملك سعد فقد أبيا الحضور لأنهما لم يصدقاه فلما وصل الملك محمد ومن معه أمر عدلان بسجنهم وغلّتهم فأتى الملك محمد من ثقل الاغلال وأما ابنه ادريس فقد افتدته أمه بثلاثمائة أوقية. من

الذهب . ثم ان عدلان حاصر الملك نمر وضيق عليه فلما جنّ الليل قرّ بمن معه فولى المساعد ملكاً على شندي ورجع بالاسارى الى اخيه الشيخ ادريس في الحلفاية فعاداً معاً الى سنار وهناك ضربت رقاب اولاد الملك نمر . قيل كان الواحد منهم يأخذ رأسه بين يديه حتى اذا قطع جذبه الى عبّته لثلا يسقط الى الارض فيندلع لسانه .

وفي سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠٢ م انتشب قتال عرف بقتال العواليب بين الملك نمر والمملك مساعد الذي ولّاه عدلان فانتصر الملك نمر وأخرج المساعد من شندي ولما كان المساعد لا يزال قوياً سعى رؤساء الجمعين بالصلح بينها فتصالحا على ان يكون نمر ملكاً في شندي والمساعد ملكاً في التمة تجاهها وبقياً كذلك الى الفتح المصري .

وفي تلك السنة أي سنة ١٢١٦ هـ توجه عدلان أخ الوزير ادريس الى جهة الغرب وقاتل الملك عيساوي فانتصر عليه . وأتى به اسيراً الى سنار فمات فيها .

وفي سنة ١٢١٧ هـ ١٨٠٣ م حصلت حرب بين البطاحين والشكرية فقتل الشيخ عوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية . وفي النصف الأخير من جمادى الثانية سنة ١٢١٨ هـ اوائل اكتوبر ١٨٠٤ م توفي الشيخ ادريس وتولى الوزارة اخوه د ٦ - عدلان ، فاشتغل بالملاهي والملاذات وأهمل امور المملكة وكان محمد بن اخيه رجب صاحب دهاء وتدبير فاتفق مع الفونج والشيخ كمتور شيخ خشم البحر والمملك رانفي على الفتك بعدلان . وكان في حلة الكُبر جنوبي سنار رجل شديد البأس يسمى محمد ود ناصر المشهور بأبي ريش وهو من خاصة رجال عدلان فاتفق مع المتآمرين على الفتك به وسبب ذلك ان عدلان سم أخاه علياً فمات فاجتمع المتآمرون بسنار وكان الشيخ عدلان ليلة اتفاقهم عريساً على بنت خارج سنار فقصدته ابو ريش مع جماعة من رجاله ليلاً . قيل وكان عنده رجل عاقل علم بالمكيدة فأشدد للشيخ عدلان هذين البيتين :

يا راقد الليل مسروراً بأوله ان المكاره قد يطرقن اسعارا
لا تفرحن بليل طاب أوله قرب آخر ليل أجج النارا

فما شعر عدلان إلا والأعداء قد أطبقوا عليه من كل جانب فأسرع الى جواده فامتطاه وفرّ هارباً نحو سنار فرماه أحداهم بحربة أدمته ولكنه لم يزل مجدأ على جواده حتى دخل سنار فوقع على الارض ميتاً وكان ذلك في ١٦ رمضان ١٢١٨ هـ ٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م . وفي هذه السنة توفي العالم الرباني الفقيه علي بقاري المشهور .

وقول الوزارة بعد عدلان ٧٤ - محمد ابن اخيه رجب المتقدم الذكر لكن بقيت الكلمة لمحمد ابي ريش . ويمض شهر رمضان حتى وقع الخلاف بين الشيخ كتور نصير الملك وبين محمد ابي ريش نصير الوزير فأدعى الخلاف الى القتال وكان مقدم رجال ابي ريش فارساً مشهوراً يسمى فاما فبرز الى الكاتير فابتدراه الشيخ كتور بضربة سيف أطاحت رأسه وانهزم ابو ريش مصاباً يجرح بليغ في يده فنزل في حلة الكبر ووقع محمد ود رجب الوزير أسيراً في يد الشيخ كتور فأودعه السجن وأراد الشيخ كتور ان يخرج من سنار ويتحصن من ابي ريش فلم يوافقهم رجاله على ذلك بل أقاموا في سنار وأطلقوا أيديهم في سلب أموال الناس . فلما شفيت جراح ابي ريش جمع عساكره ونزل بطيبة حلة ولد قندلاوي وأقام بها يتأهب لقتال الشيخ كتور الى ان انقضت سنة ١٢١٨ هـ فتوسط العلماء والأعيان في الصلح بينها على ان الشيخ كتور يرد جميع ما سلبه ويطلق سبيل الوزير فأظهر ابو الريش الرضى بذلك وأضر الغدر فلما رد الشيخ كتور ما سلبه وأطلق سبيل الوزير ود رجب زحف ابو ريش برجاله عليه فالتقاه في أم صوينينه قرب سنار وانتشب بينها قتال شديد قتل فيه ١٢ أخاً للشيخ كتور وجماعة من كبار الفونج وانهزم الملك رانقي فدخل قصره واجتاز الشيخ كتور النيل الى بلاده . وكان تاريخ هذه الواقعة محرم

سنة ١٢١٩ هـ ابريل ١٨٠٥ م وقد ذهبت في السودان مثلاً للتحذير من الخداع فمن أمثالهم : « بين لك اللي بان للكاتير في أم صوبينه » .

عود الى ٢٦ - الملك بادى ثم ان محمداً أبا ريش دخل سنار فقتل رانقي وأعاد الملك بادى بن طبل المعزول الى منصبه وفي سنة ١٢٢٠ هـ ١٨٠٦ م لحق بالشيخ كتور الذي كان قد جاء الى ام درمان فتوسط اهلها والناس الصاخون في الصلح حقناً للدماء فقبلا وساطتهم وعاد الشيخ كتور الى مركزه في رنقه . ونزل محمد ود رجب في ود مدني وابو ريش في كساب بين رنقه وسنار .

وفي سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٧ م وقع الخلاف بين محمد ابي ريش ومحمد رجب فتقاتلا في مكان يدعى المهرابة فانهزم محمد رجب الى العيلفون والتجأ الى اولاد الشيخ ادريس وأخذ يرسل الشيخ كتور والشنابلة مشائخ ود مدني واولاد سليمان السعداب ملوك شندي فاجتمعوا على محاربة ابي ريش وجعلوا عليهم ملكاً يسمى « عجبان » من بقية ملوك الفونج وجاءوا الى عبود متهيئين للقتال كل ذلك وابو ريش لاه عنهم الى ان آتاه هادم اللذات في نصف تلك السنة فتوفي مع أخ له في ليلة واحدة وترك ابناً صغيراً دون البلوغ فوقع عساكره في حيرة ودهشة . وطمع عبيد الوزير عدلان المقتول في تولية ابنه محمد فحاربهم عبيد ابي ريش وأخذوا محمد بن عدلان اسيراً وهزموم فانضموا الى محمد رجب وخلفائه في عبود وساروا كلهم لقتال عبيد ابي ريش في طيبة فاقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر فيه لعبيد ابي ريش والهزيمة لمحمد رجب والشيخ كتور فالتجأ الاول الى اولاد الشيخ ادريس في العيلفون والثاني الى العراقيين في ابي حراز فرجع عبيد ابي ريش عنهم لاحترام مقام اولاد الشيخ ادريس والعراقيين كما مرّ وأقاموا في كساب فجعلوا تبغره ود أبي ريش رئيساً عليهم في مكان ابيه وكان معهم محمد ود ابراهيم بن محمد ابو الكيلك فلم يرق له تعيين تبغره رئيساً فانفصل عنهم واتحد مع فزاره وتقدم بهم الى الخرطوم فنهبوا ما أرادوا وقتلوا ابراهيم بن الفقيه محمد علي خليفة الفقيه أرباب ونزلوا في عبود . أما

الفقيه أرياب المشار اليه فهو غير أرياب والذ الشيخ ادريس ويعرف بأرياب المقائد لأنه ألف كتاباً في عقائد التوحيد وله ضريح يزار في البشاقرة في جنوبي النتي في باطن الجزيرة .

وبقي عبيد ابي ريش وعليهم تيغره بكساب يعيشون في البلاد والحل والمقد في أيديهم مدة ثمانية اشهر أسروا في خلالها اولاد رجب وكان محمد ولد ابراهيم لا ينفك عن حشد الرجال في عبود حتى قويت كلمته فزحف على كساب فقتل عبيد أبي ريش وأمر تيغره فأبقي عليه لأنه كان أديباً عاقلاً ولما انتظم له الامر قام في طيبة حلة قندلاوي مدة ثم انتقل منها الى حلة ام ضربه .

وفي أثناء ذلك خرج « محمد رجب » من الميلفون على عربان الفادنية في البطانة فنهب أموالهم فأفاه المراكيون وأخبروه بأن هذه الاموال أموالهم فردوها لهم فلم يكتفوا بذلك بل أغلظوا له في الكلام حتى أخرجوه الى القتال فقاتلوه وهزموه فاستنجد بالشيخ كمتور فلم ينجده بل قبض عليه وأرسله الى محمد ود ابراهيم فأرسله الى محمد ود عدلان في حلة برقو فقتله اخذاً بثأر أبيه وهكذا كانت نهاية « محمد رجب » سابع وزراء الهمج .

ثم أخذ محمد ود عدلان يسعى سراً في محاربة محمد ود ابراهيم وتولي الوزارة مكانه فلما نمي الخبر الى محمد ود ابراهيم بعث في طلب محمد ود عدلان الى حلة ولد بهاء الدين فحضر فأدخله في خلوة بهاء الدين وأخذ في توبيخه وشتمه بأفظع الألفاظ ومحمد عدلان يعتذر ويتلطف له في الرد وهو لا يقبل عذراً ثم أمر بذبحه فسمع بذلك بعض انصار ود عدلان الواقفين خارج الخلوة فنادوا بمحمد ابراهيم يطلبون اليه اطلاق سبيل محمد عدلان وإلا أشعلوا النار في الخلوة فأخلى سبيله فخرج وهو مهلوع الفؤاد فالتفت اليه احد عبيده المسمى ابا سليمة ودله على جواد محمد ود ابراهيم الذي كان مسرحاً بجانبه وقال له: « ما هذه الدهشة التي اعترتك فذهبت بك اركب هذا الجواد وحكم السيف في رقاب هؤلاء

تأريخ الشوكان

الكلاب الذين أرادوا قتلك ، فتحمس ود عدلان من كلام عبده وركب الجواد واستل السيف فاجتمع عليه « عبيد ناصر » فاشتد ظهره وأخرج ابراهيم من الخلوة عنوة فقبض عليه وأخذه الى سنار فحبسه مدة في حوش عمته مهيرة ثم قتله . وكان ذلك في آخر جمادى الاخرى سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٩ م . ومن ذلك الوقت انتظم الامر « لحمد عدلان » فكان الوزير الثامن والاخير من وزراء الهمج وقد قبض على جميع أعدائه في البلاد فقتلهم وفي جلستهم اولاد رجب ولم يترك منهم سوى حسن ولما استتب له الامر وغلا باله من المتاعب انتقل الى ود مدني فأقام فيها مدة .

وفي ايامه سنة ١٢٢٤ هـ ١٨١٠ م انتشرت الحمى الصفراء المعروفة عندهم بالكك فمات فيها خلق كثير . ومن مات بها العالم الفاضل محمد نورين الفقيه ضيف الله بالخلفاية وهو صاحب كتاب طبقات الأولياء بالسودان وقد رثاه الشيخ ابراهيم عبد الدافع الملقب صاحب تاريخ سنار بأبيات منها :

دع العين تبكي دهرها بتوجد على غيض بحر كان بالعلم مزبدا
هو الخبر نجل الخبر ضيف هنا لقد حاز فخراً في الأنام وسوددا

وفي أواخر سنة ١٢٢٥ هـ ١٨١١ م قتل « الشيخ ناصر ود الامين » شيخ الخلفاية ما أغضب محمد ود عدلان فسافر ومعه الملك بادي لمحاربته ففر من وجهه الى شندي فأقام محمد عدلان بالخلفاية مدة ثم عاد الى سنار بدون حرب وعاد ود الامين الى الخلفاية .

وفي سنة ١٢٢٦ هـ ١٨١٢ م نشب قتال بين السعداب والجميعاب قتل فيه الارباب باب النقا وكان رجلاً شجاعاً عفيفاً نقياً وقتل معه جماعة من بني عمه وانتصر الجميعاب وقويت شوكتهم فارتفعت رؤوسهم على ملوك الجوعية وأولاد عجيب مشايخ الخلفاية وأنشد بعض شعرائهم يقول :

« يا جعل وقعت عليكم قضية وفي ادريس ود سعد وبان النقا أب عرضة .
وفي حدة السبال رقدت عيال مشرقة ، وكلهم من السعداب .

وفي سنة ١٢٢٧ هـ ١٨١٣ م توجه ود عدلان لجمع الجزية من عربان رفاعة
بنواحي جبل مويه فجمع الجزية وهرب منهم البيح فأرسل خلفه العباس
فأدركوه وقتلوا بعضاً من جماعته ونهبوا منهم أموالاً كثيرة . وفي سنة ١٢٢٨ هـ
انتقل الى الطرفاية فجاءه الشيخ خليفه ومعه رجل يلقب بالافندي . وفي هذه
السنة ظهر نجم ذو ذنب وحصل علاء شديد فسميت سنة حبص .

وفي سنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٤ م خرج الملك بادى من سنار واتفق مع الكاتير
على محاربة ود عدلان وكان ود عدلان اذ ذاك مقيماً في عبود يتأهب للزحف
على الشيخ ناصر ولد الامين فلما بلغه خروج الملك بادى عليه رجع عن عزمه
وأقام بجيزة ام راكوبه وأقام الملك والكاتير بحلة الكبر فحاصروهم فيها ثم
اصطلمحوا وعاد الملك بادى الى سنار . وفي هذه السنة توفي الورع الحاج دفع
الله ود ضيف الله بالحلفاية .

وفي سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م توفي الفاضل الشيخ حسن بن الشيخ عبد الرحمن
ود بان النقا وكان عنده خزانة كتب ضاعت كلها في فتنة الملك نمر بعد الفتوح
المصري .

وفي سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٦ م رحف ود عدلان بعساكره على الحلفاية لقتال
« الشيخ ناصر ود عجيب » ففرّ الشيخ ناصر الى شندي وأقام بها الى ان رجع
ود عدلان الى سنار فعاد الى الحلفاية وبقي فيها الى الفتوح المصري كما سيجيء .

وفي سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٧ م حضر الى سنار الشريف السيد محمد عثمان
المرغني مؤسس الطريقة المرغنية في السودان وقابل حكامها ودعا الناس الى
اخذ الطريق فلم يأخذها عنه إلا القليل . وأرسل حكام سنار الى الفقيه ابراهيم
ابن بقادي لينظر السيد المذكور ويختبره فمرض حال وصوله الى سنار وتوفي

فيها قبل ان يجتمع به ثم خرج السيد المرغني من سنار وكان عمره اذ ذاك ٢٥ سنة .

وفي آخر سنة ١٢٣٣ هـ ١٨١٨ م زاد النيل زيادة عظيمة حتى هدم حلة البشاقرة شرق سنار وعرف ذلك النيل بنيل ود ابي سن لأن احمد ود الشيخ عوض الكريم ابي سن قتل في تلك السنة قتله البطاحين وانحازوا الى الملك نمر فجمع الشكرية رجالهم بقيادة محمد ابي سن وقصدوا محاربة البطاحين والملك نمر معاً فتوسط العلماء ومشايخ السجايد بينهم ومنعهم من المحاربة فرجعوا الى بلادهم .

وسنة ١٢٣٤ هـ ١٨١٩ م قتل الارباب محمد دفع الله ود سليمان غيلة قيل كان قتله بدسيسة من محمد ود عدلان ليتزوج بزوجه لأنها كانت بارعة في الجمال .

وفي سنة ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠ م ارسل الشيخ محمد كتور عساكره لقتال التكارنة الذين في القلابات على حدود الحبشة وبقي في قلة من العساكر فاغتم محمد ود عدلان الفرصة فسار اليه وقتله اخذاً بثأر ابيه وكان الشيخ كتور حليماً بعيد الغضب لا يتكلم بالنفـه ولا يشتم احداً واذا اشتد غضبه يلعن الشيطان وقتل معه العالم المحقق الشهير الفقيه احمد بن الطيب عبد السلام ونهبت كتبه النفيسة ورجع ود عدلان الى سنار فرحاً مسروراً بأخذ ثأره لأنه قتل كل من سعى بقتل ابيه . ثم ان الكماتير جعلوا عليهم « ضراراً » اخاه محمد كتور شيخاً وزحفوا لمحاربة محمد ود عدلان اخذاً للثأر فوجدوه متغيباً عند عرب البادية بالرابة جنوبي سنار فلحقوا به ولم يكن له علم بهم قدموه ليلاً على حين غفلة في منزله فتصدى لهم نفر من العساكر الملازمة لركابه وقاتلهم قتالاً شديداً الى ان قتل رئيسهم تينره ففروا هاربين وأما ود عدلان فانه لما شاهد ما حل بقومه ثمر حائط منزله وفرّ هارباً هو ونساؤه ومعه الهادي ود عجيب . ثم ان الشيخ ضراراً لما رأى شدة بأس عساكر ود عدلان فر هارباً يجريدة من الفرسان ولم يبق من الفتين إلا القليل فلما أصبح الصباح وتراءى الجمعان قام

بقية عساكر ود عدلان على بقية عساكر الكماتير فهزمهم وقتلوا رؤوسهم وأرسلوا البشري بالنصر الى محمد ود عدلان فلم يحفل بها لأنه خجل من انهزامه فقال له الارباب دفع الله وهو احد المتخلفين الذين أتوا بالنصر : « لم يكن قتال يا مولاي غير الذي كان بحضورك ولم ينهزم الأعداء إلا بهيبتك » فزال عنه الغم وعاد بالعساكر الى سنار . وبقي فيها مع الملك بادى ملك الفونج الى ان قدم اسماعيل باشا فاتحاً لسنار على ما سيحيى في الفتوح المصري .

هذا ما كان من تاريخ ملوك الفونج نقلاً عن عبد الدافع والزيبر ودضوه ولكن يظهر ان ودضوه اختصر تاريخ عبد الدافع وأضاف اليه بعض الحواشي . ثم ان الموسيو كابو السائح الفرنسي الشهير الذي رافق حملة اسماعيل باشا لفتح سنار جاء في تاريخه على سلسلة ملوك الفونج قال انه اخذها عن اهلها وعلق عليها بعض الحواشي فخالف فيها عبد الدافع في بعض المواضع وأشهر ما خالفه فيه :

اولاً : ان الفونج هم طائفة من الزنج جاءوا بلاد سنار من غرب النيل الابيض ولا نسب لهم ببني أمية كما ذكر عبد الدافع .

ثانياً : ان الفونج أتوا اولاً الى أريجي وكانت مدينة عامرة وعليها ملك من أهلها فتصدى لهم ملكها وناجزها الحرب فحدثت واقعة عظيمة كان للنصر فيها لهم فقتلوا الملك وخرجوا اريجي وملكوا البلاد واستقلوا بها لا كما قال عبد الدافع من ان اريجي خربت في ايام « ٢٠ - الملك عدلان الثاني » .

ثالثاً : ان بدائة ملوك الفونج هي سنة ٨٩٠ هـ لا سنة ٩١٠ كما ذكر عبد الدافع .

رابعاً : ان ملوك الفونج هم ٢٨ ملكاً لا ٢٧ كما جعلهم عبد الدافع والزيبر ودضوه وقد خالفها كايو ايضاً في ترتيب سلسلة الملوك ومدد ملكهم .

وهذه هي سلسلة ملوك الفونج ومدد ملكهم حسب رواية كل من عبد الدافع وكايو مع ذكر الحواشي التي علقها عليها الموسيو كابو :

سلسلة ملوك الفونج

حسب رواية الموسوي كايو			حسب رواية الشيخ عبد الدافع		
أسماء الملوك	بداية ملكهم	سنة ١٤٨٦ ٨٨٩٠ م	أسماء الملوك	بداية ملكهم	سنة ١٥٠٥ ٨٩١٠ م
حواشي كايو	٣٠	٣٠	حواشي كايو	٣٠	٣٠
١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢
١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
الملقب بأبي سكاكين	٨	٨	٨	٨	٨
١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
٨	٨	٨	٨	٨	٨
قتله اولاد ملك شندي	٤	٤	٤	٤	٤
امه بنت عجيب	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢
طرد من الملك	٣	٣	٣	٣	٣
قتله الشيخ عجيب	٤	٤	٤	٤	٤
٧	٧	٧	٧	٧	٧
٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
مد ملكه الى فارو غلي	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
لم يعد راحة للفونج بعده	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢
٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
مات في سنار بالجديري	٣	٣	٣	٣	٣
٤	٤	٤	٤	٤	٤
مات في سواكن	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
قتله بأدي في البقرة	٨	٨	٨	٨	٨
مات في سواكن	٧	٧	٧	٧	٧
١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢
قتله ناصر في سنار	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
قتله ناصر في الدامر	١	١	١	١	١
قتله اولاد عجيب	٢	٢	٢	٢	٢
١	١	١	١	١	١
قتله عدلان في سنار	١	١	١	١	١
مدته الاولى	٦	٦	٦	٦	٦
قتله محمد رجب في سنار	٥	٥	٥	٥	٥
مدته الثانية نهايتها	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦
١٨٢١ ١٢٣٦ م	٢	٢	٢	٢	٢
٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
٣	٣	٣	٣	٣	٣
٨	٨	٨	٨	٨	٨
٥	٥	٥	٥	٥	٥
١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥
١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦
١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩
٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
٢١	٢١	٢١	٢١	٢١	٢١
٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٢٣	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣
٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤
٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦
٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩
٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
٣١	٣١	٣١	٣١	٣١	٣١
٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣٨	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
٣٩	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
٤١	٤١	٤١	٤١	٤١	٤١
٤٢	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢
٤٣	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣
٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤
٤٥	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥
٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
٤٧	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧
٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
٤٩	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩
٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
٥١	٥١	٥١	٥١	٥١	٥١
٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
٥٣	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣
٥٤	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤
٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥
٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
٥٨	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨
٥٩	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩
٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
٦١	٦١	٦١	٦١	٦١	٦١
٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
٦٣	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣
٦٤	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤
٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
٦٦	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦
٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨
٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩
٧٠	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
٧١	٧١	٧١	٧١	٧١	٧١
٧٢	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢
٧٣	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣
٧٤	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤
٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
٧٦	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦
٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
٧٨	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨
٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩
٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠
٨١	٨١	٨١	٨١	٨١	٨١
٨٢	٨٢	٨٢	٨٢	٨٢	٨٢
٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣
٨٤	٨٤	٨٤	٨٤	٨٤	٨٤
٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥
٨٦	٨٦	٨٦	٨٦	٨٦	٨٦
٨٧	٨٧	٨٧	٨٧	٨٧	٨٧
٨٨	٨٨	٨٨	٨٨	٨٨	٨٨
٨٩	٨٩	٨٩	٨٩	٨٩	٨٩
٩٠	٩٠	٩٠	٩٠	٩٠	٩٠
٩١	٩١	٩١	٩١	٩١	٩١
٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢
٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤
٩٥	٩٥	٩٥	٩٥	٩٥	٩٥
٩٦	٩٦	٩٦	٩٦	٩٦	٩٦
٩٧	٩٧	٩٧	٩٧	٩٧	٩٧
٩٨	٩٨	٩٨	٩٨	٩٨	٩٨
٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تأريخ الشوكان

قبل وكان ملوك سنار يجهزون في أيام عزم جيشاً لا يقل عن ٢٥ ألف مقاتل مسلحين بالحرايب والسيوف والدرق وفيهم من اربعة آلاف الى خمسة آلاف فارس من العبيد والفونج وكانوا يقيمون في بلاد البرون الى الجنوب ولهم ثلث الغنائم التي يفتنمونها من فازوغلي وجنوبها . ولكن لما جاءهم اسماعيل باشا فاتحاً لم يجد في سنار من الفرسان إلا نفرأ قليلا لان الفونج كانوا قد فقدوا عزم من زمان .

وقد اشتهرت سنار بالثروة والغنى وكان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الاحمر وكان يرد اليها من دنقلة التمر، ومن كردوفان التبر والحديد والمبيد، ومن فازوغلي والصعيد الذهب والعسل والجلود والنعال والسياط والريش والسسم ، ومن سوق رأس الفيل من بلاد الحبشة على اربعة ايام من سنار الذهب والخيول والمبيد والبن والزباد والعسل وأساور العاج وغيرها من حلي النساء .

وكان أهم صادراتها التجارية الذهب والمبيد وسن الفيل والخرتيت والزباد والعسل والسياط والابنوس والجلود والقصاع والنعال والابل . وكانوا يتعاملون بقطع من الدمور على نحو ما هو جار اليوم في دار ودائي .

وكان أهم صناعاتها الصاغة لصباغة الشفتشي المعروف في مصر بالسناري والحاكة لحياكة الدمور وغيره من المنسوجات القطنية . وأهم ما اشتهر به ملوك سنار الكرم وكان الشعراء والمداح يقصدونهم من كل فج لدحهم واستدراار جودهم قيل انهم لم يردوا سائلا لا سيما اذا جاءهم من بلاد بعيدة وكانوا يعطون الذهب بالملكياال والرقيق بالجزير أي بالجماعات لأن الارتاء في اثناء السير تربط كل جماعة منهم بجزير .

وكان ملوكها يجمعون الزكاة والفطرة والعشور على نحو ما يفرضه الشرع الاسلامي . وكثير من أهالي الجزيرة الآن يملكون الارض بحجج من ايام الفونج

قيل وكانت اختامهم اكبر اختام ملوك السودان قاطبة وهي مستديرة
 الشكل ومنقوشة سطوراً بين كل سطر وسطر خط تقرأ هكذا : « ومن
 تكن برسول الله نصرته ، ان تلقه الاسد في آجامها تجمر » ملك ملوك
 السودان ، والعبارة الاخيرة تشير الى كثرة الممالك والشيخات التي خضعت
 لسلطانهم اولها :

الفصل الثاني

في

مشيخة العابدلاب

العابدلاب هم ذرية الشيخ عبد الله جماع الذي تقدم انه اقتسم المملكة مع الفونج وقد اتخذ مركزه قريتي فعرفت كرسية بمشيخة قريتي ثم انتقلت الى الحلفاية فعرفت بمشيخة الحلفاية . اما المشيخة نفسها فقد امتدت من حجر العسل الى سوبه ولكن كان لها السيادة على جميع البلاد من اريجي الى الشلال الثالث كما مر . وقد تقدم لنا في تاريخ الفونج ذكر اشهر مشايخ العابدلاب نقلاً عن عبد الدافع وذكر كايو سلسلة للعابدلاب أتى فيها على البعض الذين لم نذكرهم عند الدافع ووفاته ذكر البعض الآخر فكان من مجموع سلسلتها ما يأتي :

١ - عبد الله جماع : مؤسس المشيخة الذي دام حكمه الى ايام الملك عمارة رابع ملوك الفونج وخلفه ابنه :

٢ - الشيخ عجيب : الملقب بالمانجلوك أبي مانجلء إلاك ومنه لقب « مانجل » الذي يخاطب به شيوخ العابدلاب الى اليوم . وقد عرف العابدلاب بأولاد عجيب ايضاً نسبة اليه . وكان رجلاً صالحاً دينياً وقد حج الى بيت الله

الحرام . قيل وهو الذي بنى بالمدينة المنازل المعروفة برواق السناريين بناها
بإذن السلطنة العثمانية فجعلها وقفاً للحجاج من اهل سنار وهي لا تزال مأوى
حجاج السودان الى هذا العهد .

٣ - العجيل .

٤ - حمد السميح .

٥ - عثمان ابنه .

٦ - عبد الله الثاني ابن العجيل .

٧ - مسمار بن عبد الله .

٨ - دياب - ارادب ود عجيب : الذي قتله ١٤٠ - الملك بادى الاحمر .

٩ - الامين ود مسمار : الذي عاش في ايام ١٧٠ - الملك بادى ابى شلوخ .

١٠ - عجيب بن عبد الله .

١١ - عبد الله الثالث ود عجيب : الذي قتل في حرب المسبعات في ايام

١٢٠ - الملك بادى ابى شلوخ .

١٢ - عمر أخو عجيب .

١٣ - محمد الامين بن مسمار : الذي عزله الشيخ ناصر في ايام ٢٠٠ - الملك

عدلان الثاني وولى مكانه أخاه :

١٤ - بادى بن مسمار .

١٥ - عبد الله الرابع ود عجيب : الذي قتله الشيخ ادريس في ايام

٢٦٠ - الملك بادى ، سنة ١٢١٥ هـ .

١٦ - ناصر ود الامين : الذي ذهب الوزير محمد عدلان لقتاله سنة ١٢٢٥ هـ .

١٧ - أمين الثاني ابن ناصر .

١٨ - ناصر ود عجيب : الذي عزله اسماعيل باشا في مايو سنة ١٨٢١ م.

وقد كان للعابدلاب المقام الاول عند ملوك الفونج كما تقدم وكانوا اذا اراد احدهم الدخول على ملك الفونج يستأذنه اولاً في ذلك فاذا أذن له تمنطق بثوبه ورمى سلاحه عند الباب ودخل عليه وقال انا فلان فيعيد الملك اسمه ثم يقول الشيخ مخاطباً الملك « طويل العمر » وهو لقب ملوك الفونج فيقف الملك ويأخذ يده ويقول : « مرحباً بالبان بإيده تتين سيده » أي مرحباً بالذي بان بفعل يده او بسيفه فهو ثانٍ لسيده ثم يأمره الملك بالجلوس فيجلس في الارض . وهكذا كان يتأدب لهم المشايخ والملوك الذين هم دونهم لكن اللقب الذي كانوا يخاطبونهم به هو « مانجل » وكان اذا زار احدهم فقيه او عالم يدخل عليه باسطاً يديه للدعاء فيقول الفاتحة ثم يتقدم ويقبل يد الشيخ ويرجع القهقري فيأمره الشيخ بالجلوس فيجلس على فراش فوق الارض احتراماً للدين . وكان النساء اذا التقين بأحد مشايخ العابدلاب في الطريق كشفن عن رؤوسهن وخلعن نعالهن الى ان ينصرف .

وكانوا اذا توفي شيخهم اختاروا شيخاً آخر وأخذوه الى ملك سنار فيؤيده لهم كما كان مشايخ العابدلاب يؤيدون المشايخ والملوك الذين هم دونهم وتحت سيادتهم وذلك انه كان اذا مات هؤلاء ملك اجتمع اهل قبيلته واختاروا لهم ملكاً يولونه عليهم وأتوا به الى الشيخ فيحلق الشيخ له رأسه ويلبسه « طاقية » ذات قرنين محشوة قطناً ويجلسه على كرسي « بالككر » ثم يخاطبه بلقب مك أي ملك ويقول له « مبارك عليك » فيقبل الملك يده ويدعو له بخير فيأمر الشيخ بضرب النحاس اشهاراً لتأييده ملكاً على اهله وعند ذلك يتقدم اهله فيسلمون عليه بالاحترام الذي سلم به على الشيخ ويخاطبونه بلقب « ارباب » ثم يقولون « جعلك الله مباركاً علينا ولتعمر البلاد بك وتكثر الخيرات على يدك » فيقول لهم « الله يعمركم ويخليكم انا بكم مش بلاك » ثم يعود الى

قومه بالطاقيّة والككر اللذين أنعم بهما الشيخ عليه حتى إذا ما خرج للحكم لبس الطاقيّة وجلس على الككر وبذلك يقال للقوم الذين يرأسهم ملك بأنهم « اهل ككر وطاقيّة » .

هذا ولم يكن تاموس الوراثة للأكبر متبعاً على اضطراد في مملكة سنار بل كان للفونج يولون على القبائل من كان أكثر موافقة لسلطانهم وأقدر على جمع الزكاة وتقديم الهبات .

الفصل الثالث

في

الممالك والمشيخات التي خضعت وأساساً ملوك الفونج

مشيخة خشم البحر: قامت على شرق النيل الأزرق بين رنقه والرصيد ومركزها رنقه وقد عرفت ببلاد خشم البحر أو قم البحر لأن بحر النيل لا يصلح للسفر منها جنوباً بسبب شلال الرصيد. قيل ولما انجها نسبة من جهة الرحم مع الفونج وهم في الأصل قواسمة. وقد مرّ بنا ذكر أربعة منهم في تاريخ الفونج وهم :

١ - احمد ود علي وهو جسد مشايخ خشم البحر ولذلك يعرفون أيضاً بأولاد احمد كما عرف الهمج بأولاد محمد .

٢ - صباحي ود عدلان وكلاهما عاشا في أيام ٢٠ - الملك عدلان الثاني .

٣ - الشيخ محمد كمتور وقد سميت هذه المشيخة أيضاً بالكاتير نسبة اليه .

٤ - الشيخ ضرار اخوه وهو الذي قتله محمد عدلان آخر وزراء الهمج .

مملكة فازوغلي: قامت في جنوبي مشيخة خشم البحر وامتدت من الرصيد الى فدنسي وعاصمتها فازوغلي . قال كايو : د كان طولها ٣٠ غلوة ومن بلادها

المشهوره بلدة فداسي على نهر يابوس من فروع النيل الازرق يأتيها من الحبشة الخيل والحديد والسكاكين والفؤوس والفهود والمسل والبهارات ويأتيها من دار البرقات التبر . ودين أهلها الاسلام ولقبتهم العربية إلا انه كان يسكن بينهم الكثير من سكان دار البرقات وعبد الاوثان وقد تولى هذه المملكة عائلة من سلالة العونج وكان لباسهم كلباس ملوك الفونج وما كان يركب الخيل إلا هم . وهذه هي سلسلة ملوكها كما أخذتها عن ملكها الاخير الملك حسن عند تسليمه لاسماعيل باشا يناير سنة ١٨٢٢ : :

سلسلة ملوك فازو غلي

أسماء الملوك	مدة ملكهم	أسماء الملوك	مدة ملكهم	حواشي كايو
١ كلاح	٥٠	١٠ ادرا	١٥	
٢ عني	٤٠	١١ مطر ابنه	١٦	
٣ ادريس ابنه	٣٠	١٢ فنقرو ابنه	١٦	
٤ جابر	١٥	١٣ قلبوس ابنه	١	قتله أخوه
٥ جابر الثاني ابنه	٢	١٤ قبو أخوه	٢	
٦ زنقر ؟	١	١٥ قبار	٥	
٧ رويا	٢	١٦ اموشت أخوه	١	قتله عدلان
٨ امبدي ابنه	٤	١٧ حسن بن مطر	١٢	عزله اسماعيل
٩ اتورو بن جابر الثاني	٣	بمجموع ملكهم	٢١٥	

مشيخة المحدة : قامت على الدندر شرق منيخة الكياتير ومركزها دبركي على الدندر وكان مشايخها يخاطبون بلفظ « مانجل » كمشايخ العابدلاب .

مملكة بني عامر : قامت في الصحراء الشرقية بين البحر الاحمر وخور بركة شرقاً وغرباً وبين عتيق على البحر الاحمر وبلاد الحبشة شمالاً وجنوباً . وهي مؤلفة من اربع قبائل مختلفة وهي : البجة والخامر وبنو عامر والتابنتاب .

قيل ان بني عامر جاؤوا من الحجاز فلكوا البجة والحاس ثم جاء النابتاب اولاد ثابت من الجمليين وملكهم جميعاً فاتخذوا شياخة القبيلة ثم أعطاهم ملك سنار ككر وطاقيه فسموا ملوكاً ولقبتهم العربية ولكنهم يعرفون رطانة البجة والحاس ورجال قبيلتهم يلقبونهم بلقب « دقل » وهو بمثابة أرباب عند ملوك العرب . وقد كانوا يعمرون نساءهم من قبائل البجة والحاس فتست أكثر بدنائهم بأسماء مشايخ النابتاب وأما الذين لا شيخ لهم من النابتاب فقد حفظ فيهم اسم البجة . وكان يمتاز ملوك النابتاب عن رعاياهم بلبس أقراط من الذهب في الاذن اليمنى وزن كل منها نصف اوقية لا ينزعونها إلا يوم الوفاة

مملكة الحلائقة : الحلائقة قبيلة من البجة كما مرّ وأما هم فيدعون انهم من ذرية احمد الحلاق من قبيلة بني سعد مزين النبي ﷺ ولقبتهم البيجاوية ومركزهم جبل كسلا على القاش وكان بينهم وبين الهدندوة وبني عامر منذ القديم حروب وغزوات . وقد كان كبير الحلائقة يلقب شيخاً كبير الهدندوة الى ايام الشيخ « عوض مسمار » الذي تزوج ببنت من العابدلاب (او الفونج) فألبسه ملك سنار طاقيه الملك لتعزيز مقامه فبقي ملكاً الى الفتح المصري للتاكا سنة

١٨٤٠ م

الفصل الرابع

في

الممالك والمشيخات التي خضعت للفونج بواسطة العابدلاب

مملكة الشنابلة : قامت على النيل الازرق شمالي سنار ومركزها المسلية وأشهر مشايخها الشيخ شبول الذي قتل في ايام « ٢٠ - الملك عدلان الثاني » كما مر .

مملكة الجموعية : امتدت في غرب النيل الكبير والنيل الابيض من عقبة قري الى الترعة الخضراء ومركزها القيزان المنسوبة الى اولاد الملك المحينة . وكان أهم فروعها الجميعاب والسروراب والفتيعاب وأقوام الجميعاب .

مملكة الجعليين : قامت في شمالي مشيخة العابدلاب على انقاض مملكة مروى القديمة بين حجر المسل والدامر ومركزها شندي وكانت مملكة قوية تولاها فرع من الجعليين يعرف بالسعداب فكان منهم على رواية كايو ١٦ ملكاً حكموا ٢٣٥ سنة :

ملوك الجعليين في شندي حسب رواية كايو

أسماء الملوك	مدة ملكهم	أسماء الملوك	مدة ملكهم	حواشي كايو
١ سعداب دبوس	٢٠	٩ بشاره	٧	
٢ سليمان العداد	٧	١٠ سليمان بن سالم	١٥	
٣ ادريس بن سليمان	٣٥	١١ سعد اخوه	٢	
٤ عبد السلام	١	١٢ ادريس الثالث	٢٠	٤ قتله فورنج سنار
٥ الفضل بن عبد السلام	١٥	١٣ سعد الثاني ابنه	٤٠	٥ قتله الجعليون
٦ ادريس الثاني اخوه	٦	١٤ مساعد ابنه	١٣	١٢ و ٦ قتله الكراجة
٧ دياب اخوه	١٢	١٥ محمد الملك	١٣	
٨ قنبلاوي	٣	١٦ نمر ابنه	١٧	١٦ عزله اسماعيل
		مجموع ملكهم	٢٣٥	

قيل وكان الملك ادريس الثالث أقوى فرسان زمانه وما بارز فارساً إلا غلبه . وقد ولد له ولدان محمد وسعد فبعد وفاته اقتسما الدار بينهما فملك محمد البر الشرقي في شندي وملك سعد البر الغربي في المئمة وولد لمحمد ولد سماه نمرأ وللسعد ولد سماه مساعداً فملك بعدهما نمر في شندي ومساعداً في المئمة ودام ملكهما الى الفتح المصري .

وكانت شندي قبيل الفتح المصري من أهم مراكز التجارة في السودان وفيها سوق للرقيق يأتيه التجار من الحبشة وسنار وكردوفان ودارفور والدنكا وفريت . وقد وصفها كايو بأنها بلدة عامرة فيها نحو ٩٠٠ بيت و ٧٠٠٠ نسمة وبيوتها مربعة الشكل وكلها طبقة واحدة إلا بيت الملك فإنه كان طبقتين ومطلياً بالجير . وكان عند الملك نمر نحو ٣٠٠ فارس واربعين عبداً مسلحين بالبنادق وهم رجاله الأخصاء ولكن كان اذا هاجمه عدو قام الجعليون كلهم لنصرته .

وقد اشتهر الجمليون في السودان بالفروسية واقتحام الاخطار ولهم وقائع معدودة مع الفونج والشايقية وقبائل البادية المجاورين لهم كالشكرية والكواهلة والبطاحين .

حكي ان الشكرية لما حشدوا جيوشهم لمحاربة الجمليين في زمن الملك نمر كما مرّ اجتمع شيوخ الجمليين من سن ستين فصاعداً وقالوا للشبان نحن نقاتلهم عنكم لأنه لم يبق لنا في الحياة مطمع فإن غلبناهم أرحناكم من شرهم وإن غلبونا فخذوا انتم بثأرنا . قيل فلما جاء الشكرية ورأوا الجمليين كلهم شيوخاً مسنين أدركوا الحيلة وتوسط العلماء في الصلح فصالحوهم وزوجوا الملك نمر بأخت ابي سن حبا بمصاهرتهم .

وكان من عادة الجمليين في ذلك الحين انه اذا وقع قتل في بلدة اجتمع سبع قبائل منهم بمشايجهم وفقهائهم ومعهم القاتل وأهله وأهل المقتول ووقف اهل القاتل في صف وأهل المقتول في صف تجاههم على بعد مئة متر منهم ووقف القاتل وحده بين الصفين ثم ينظر المشايخ والفقهاء في أسباب القتل ويحكمون على القاتل بالعفو او القصاص فإن كان العفو حكوا عليه بالرحيل من البلدة حتى لا يراه اهل المقتول وحكوا على اهله بدفع الدية وهي الف ثوب من الدمور او ٣٠٠ الى ٤٠٠ ريال : ابو نقطة ، يدفعونها لأهل المقتول أقساطاً ربما دامت سنين .

مملكة الميرقاب : في شمالي الجمليين بين القرن ووادي السنقيز ومركزهم بربر ولهم ككر وطاقيه وقد اشتهر الميرقاب بالكرم والنباهة كما اشتهروا بالشجاعة . وكان آخر ملوكهم الملك نصر الدين الذي حج الى بيت الله الحرام . قيل ان الجميع أساءوا اليه فذهب الى مصر وحرص محمد علي باشا على فتح سنا انتقاماً لنفسه منهم .

مملكة الرباطاب : امتدت من وادي السنقيز الى الشاغبة فيما وراء ابي حد وكان لهم ككر وطاقيه وكانوا في حرب دائمة مع الميرقاب الى ان كان الفتوح المصري .

مشيخة المناصير : امتدت من الشاخية الى الشلال الرابع ومركزها
السلامات .

مملكة الشايقية : قامت على أطلال مملكة نبتة القديمة وامتدت من الشلال
الرابع الى ابي دوم قشابي ومركزها مروى وهي مملكة عربية محضة . وقام
في شمالها مملكة الدفار ودنقلة والحدق وارغو وهي ممالك نوبية او عربية
متنوبة . وقد اشتهر الشايقية في السودان بالشجاعة وحب الفوز كما اشتهروا
بالضيافة والكرم وكانوا في حرب دائمة مع ملوك النوبة .

وفي أواسط القرن الثامن عشر للمسيح تجمعوا بنجيلهم ورجلهم وهاجوا
بمالك النوبة فتغلبوا عليهم جميعاً وخرّبوا دنقلة المعجوز وقتلوا الكثير من أهلها
وتشتت من سلم منهم في الجهات فسكنوا بربر وشندي وفرّ بعضهم الى كردوفان
فاستوطنوها وصالحهم ملوك الدناقلة على جزية سنوية تساوي نصف دخل بلادهم .
وكانوا هم يدفعون الجزية للملوك سنار حتى قويت شوكتهم وأخضعوا دنقلة
فامتنعوا عن أدائها .

الماليك : وفي أوائل القرن التاسع عشر قدم الماليك من مصر فارتين من
وجه محمد علي باشا فنشبت بين الفريقين حرب دامت الى الفتح المصري .
وتفصيل ذلك ان محمد علي باشا بعد ان نكل بالماليك في تلعة القاسرة على ما
هو مشهور في تاريخ مصر قرّر من بقي منهم في البلاد الى الصعيد وتحصنوا
بجبال اسنا فتبعهم ابراهيم باشا اليها فانهزموا امامه الى السودان فنهزم من ذهب
بطريق الصحراء الى شندي وسنار وهم القليل وذهب اكثرهم بطريق النيل
وابراهيم باشا يطاردهم حتى وصلوا الى كشتنه فصمدوا له وحاربوه فهزمهم
الى ابريم فتحصنوا في قلعتها فشدد عليهم الحصار فخرجوا منها واستطردوا
انهزامهم جنوباً حتى أتوا جزيرة ارقو وكان عددهم نحو ٣٠٠ نفر ومعهم ٣٠٠
عبد بسلاحهم فرأوا محمود العادلاناب من رؤساء الشايقية مقيماً في ارقو لجمع
الجزية فقالوا له انهم سائرون الى ملك سنار فأضافهم وأكرم مشواهم مدة شهر
ثم اتفقوا مع رجل من عائلة الزبير المالكة في ارقو وغدروا بمحمود وقتلوه

وقتلوا الكثير من حاشيته وانتشروا في البلاد يجمعون ما كان مجموعاً للشايقية من الاموال وكان ذلك سنة ١٨١٢ م .

وفي يناير سنة ١٨١٣ تجهزوا وساروا لغزو الشايقية في مروي فلما علم الشايقية بذلك أرسلوا فرقة من رجالهم بطريق الصحراء فأثرو الممالك من وراء فقتلوا من بقي من اتباعهم في الخندق وارقدوا واضطروهم الى الرجوع عن الغزو فنزلوا في مراغة وبقوا فيها الى ان جاء اسماعيل باشا فاتحاً فمهم من سلم له في الحال ومنهم من فر من وجهه الى شندي فلم هناك وسيأتي ذكرهم بعد .

مملكة الدفار : قامت في حلة الدفار المار ذكرها ودامت الى ما قبل الفتح المصري بقليل اذ خربها الشايقية وطردوا اهلها منها الى جزيرة قاني حيث لا يزال ذريتهم الى اليوم . وفي الدفار آثار قلعة قديمة وكنيسة من بقايا نصارى النوبة .

مملكة دنقلة العجوز : قامت على انقاض مملكة نصارى النوبة منذ أوائل القرن الرابع عشر للمسيح فاستمرت الى ان خربها الشايقية قبيل الفتح المصري ومن آثار الاسلام جامع قائم فوق كنيسة قديمة لنصارى النوبة وفي واجهته حجر مكتوب عليه اسم فاتح دنقلة وتاريخ افتتاحها وقد مر ذكره . قيل ان مؤسسها هو جد مرغني ود سوار الذهب الذي اشتهر في تاريخ الثورة المهدية .

مملكة الخندق : قامت في حلة الخندق ومن آثارها جامع قائم على انقاض جامع آخر بني على انقاض كنيسة من عهد نصارى النوبة .

مملكة الخنثاق : مركزها حلة الخنثاق وبقربها الآن آثار قصر فخيم لأحد ملوكها المدعو ود غير قيل وكان ملوكها من ذرية الفونج .

مملكة ارقو : قامت في جزيرة ارقو على انقاض مملكة قديمة من زمن الجاهلية فتحكم فيها عائلة عرفت بعائلة الزبير لا تزال ذريتها باقية الى الآن وأكبرهم في هذا العهد الملك طنبل والملك محمد ود الملك اللذان اشتهرا في الثورة المهدية .



محمد بك الملك
من سلالة مارك ارقو

ومملكة ارقو هي أقصى الممالك التي خضعت للفونج من جهة الشمال أما البلاد بينها وبين الشلال الاول فقد تولاهما الكشف الاتراك على ما سيجيء . وأشهر ما في البلاد الآن من آثار مملكة سنار «القبب» فقد عدّ لي بعضهم ستين قبة قامت على مدافن الأولياء الصالحين وأكثرها تزار الى اليوم وقد ذكرنا الكثير منها فيما مر . اما قصر الملك بادي في سنار فلم يبق له من أثر . وقد عرفت مملكة سنار في السودان بالسلطنة الزرقاء تمييزاً لها عن السلطنة الحمراء وهي حكومة مصر .

ملحق

في

تاريخ الكشف الأتراك

في سكوت المحس :

تقدم ان السلطان سليماً الفاتح بعد ان فتح مصر أرسل سرية من العساكر الى بلاد النوبة سنة ١٥٢٠ م فلكوها الى الشلال الثالث . وقد مر بنا عن ابن خلدون ان احياء العرب من جهينة بعد الفتوح الاسلامي للنوبة السفلى سنة ١٣١٨ م انتشروا فيها فكانوا شيعاً . ويظهر انه سكن بين الشلال الاول والثاني عرب الجوابرة من ذرية جابر الانصاري والغربية . وهم فرع من الزناتية والكنوز جاؤوا من نجد والعراق فسكنوا بين الشلال الاول والسبوع ولذلك عرفت هذه البلاد ببلاد الكنوز الى اليوم . وسكن في بلاد سكوت بين الشلال الثاني وجبل دوشة بعض الاشراف . وفي المحس بين جبل دوشة والشلال الثالث قوم ينتسبون الى عرب قريش وقد أسسوا مملكة في جبل سامي دامت الى الفتوح المصري كما مر . وكان ملك المحس في ايام الفتح المصري الملك صبير جد الملك صبير كبير المحس في هذه الايام .

وقالوا في سبب دخول العساكر التركية الى النوبة ان الجوابرة استقوا على الغربية فأرسل هؤلاء رسلاً الى السلطان سليم فبعث معهم سنة ١٥٢٠ مصرية من عساكر بوضيه تحت قيادة حسن قوسى فطردوا الجوابرة الى دنقلة حتى لم يبق منهم إلا القليل في حفا والدرفرموا القلاع القديمة في اسوان وابريم وساي وأقاموا فيها .

ولما كانت البلاد لجذب ارضها لا تخرج من الاقوات ما يكفي العساكر فقد منحهم السلطان سليم م وذريتهم من بعدم عدة امتيازات منها انه أعفاهم من دفع الضرائب على اطيانهم ومنح كل حامية صرة تجري عليها في كل سنة من خزينته السلطان بمصر فكانت صرة ابريم وحدها اربعة اكياس أي نحو ١٠٠ جنيه .

وكان قوسى حسن قومنداناً للعساكر وحاكماً مستقلاً على النوبة إلا انه كان يرسل الجزية الى حاكم مصر وقد ضرب على كل ساقية ٢٤ مدأ ثوبياً من الحبوب و ١٢ ثوباً من نسج النوبة المسمى قونجي . ومات حسن قوسى فتولت ذريته حكم النوبة من بعده وجعلوا عاصمتهم الدر فعرفوا بالكشاف الغز .

ثم ان الفونج بعد ان اخضعوا النوبة العليا سنة ١٥٠٥ طمعوا بالنوبة السفلى ففتحوها الى الشلال الثالث وأرادوا التقدم شمالاً قبل وكان الحاكم من الغز في ذلك الزمان ابن جنبلان فلما سمع بقدوم جيش الفونج الى بلاده جهز جيشاً عرمرماً ووقف لهم على الحدود قرب حنك فالتقى الجيشان وحدثت مقتلة عظيمة انتصر فيها جيش الغز انتصاراً عظيماً فردوا جيش الفونج على أعقابهم خاسرين بعد ان ملأوا الارض من قتلاهم . قبل واجتمع الدم في بركة هناك فسمي المكان بمحوض الدم وبنوا فوقه قبة فجعلوها حداً بينهم وبين الفونج . وهذه القصة مشهورة عند عموم أهالي دنقلة والحس .

هذا وما زالت ذرية حسن قوسى حكاماً للنوبة مستقلين عن مصر في ما عدا الجزية التي كانوا يدفعونها الى حاكم مصر وقلما دفعوها الى الممالك ولكنهم دفعوها الى محمد علي باشا الذي كان يحاسب بها الباب العالي .

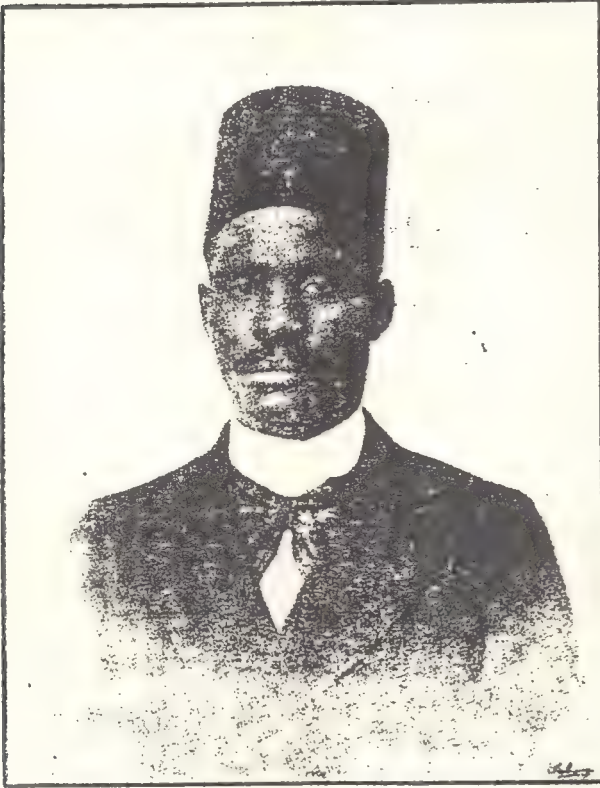
وكان على النوبة عند قدوم اسماعيل باشا لفتح سنار حسين ابن سليمان كاشف فازاد ان يجمع رجاله ويصده عن التقدم فلم يوافق اخوه حسن في هذا الرأي ففرّ حسين بمبيده (وكانوا نحو ٣٠٠ عبد) الى كردوفان ولجأ الى المقدوم مسلم وحارب معه عند قدوم الدفتردار فاتحاً ولما قتل المقدوم مسلم فرّ حسين ومعه حرم المقدوم وخزيرته الى سلطان دارفور فتزوج بابنة السلطان ولا تزال ذريته هناك الى اليوم .

وولى اسماعيل باشا حسناً على البلاد من اسوان الى حلفا وأنعم عليه بـ ٢٩٣ فداناً و ٦ اكياس دراهم . وكان الكاشف قبل الفتح المصري يتزوج من بنات النوبة قدر ما شاء ففزع اسماعيل باشا ذلك ووضع على كل ساقية ٥٠ غرشاً ما عدا الـ ٢٤ مدأ نوبياً التي أبقاها للكاشف وكان كبير كل قبيلة من الكشاف مسؤولاً عما يطلب للحكومة من أبناء جنسه والنوبة . وبقوا على ذلك الى ان قامت الثورة المهدية في السودان وصارت البلاد تحت الحكم العسكري فتوقف النوبة عن تقديم الـ ٢٤ مدأ نوبياً للكشاف فبطل نفوذهم .

وبعد وفاة حسن كاشف تعين ابنه سليمان ناظر القسم وخلفه اخوه محمد ولم تزل الاراضي التي وهبهم اياها اسماعيل باشا بيد كبير ذريتهم محمد ابن سليمان كاشف الى هذا العهد .

هذا في حسن قوسى وذريته اما عساكره فلم تزل ذريتهم مقيمة في اسوان وابريم وساي وقد اختلطوا بعرب الجوابرة والغربية فتزوجوا منهم وتعلموا لغة النوبة ونسوا لغتهم ولكنهم ما زالوا متميزين عن النوبة الاصلين في الهياكل والاخلاق الى اليوم .

وأهم ما في بلاد سكوت والمحس من آثار هذا العهد قلاع متهدمة من الطوب التي والحجر الخام قائمة على تلال مرتفعة في حزر النيل أو على شاطئيه وبمض هذه القلاع عبارة عن حوش كبير محاط بسور منيع يرتفع نحو خمس عشرة ذراعاً وعرض أساسه نحو ثلاث اذرع وللور أربعة أبراج في كل ركن برج علوه نحو خمسين ذراعاً يصعد الى أعلاه بسلم . وقد شاهدت بعض هذه



الأمير عبد الحميد
نجل السلطان إبراهيم سلطان دارفور الأخير

القلاع في الحملات النيلية فسألت شيوخ اهل البلاد عنهم فقالوا كان الاهلون قبل الفتح المصري في انشقاق دائم ودأبهم شن الفارة بعضهم على بعض فكانت كل قبيلة تبني قلعة تعرف باسم دفتي حتى اذا ما أغارت عليها قبيلة اخرى جمعت نساءها وأولادها وبهائمها وأموالها وجبوتها الى جوش القلعة وصعد الرجال الى الابراج ورموا العدو بالمقلاع والنشاب او خرجوا له وقاتلوه بالنباييت والحرايب والسكاكين وخرج معهم النساء يحملن لهم الزاد ويحمسنهم على القتال فلما كان الفتح المصري عم الامن البلاد فلم يعد لهذه القلاع من داع فأملت وأدركها الحراب .

وقبل التقدم الى الفتح المصري نأتي على تاريخ دارفور القديم .

الباب الخامس

في

تاريخ النوبة في عهد النصرانية

منذ أول نشأتها إلى الفتح المسمى أي منذ سنة ٨٤٨ : ١٢٩١ هـ — ١٤٤٥ : ١٨٧٥ م

تمهيد في اصل سلطنة الفور

لقد أجمعت التقاليد السودانية على ان سلطنة الفور هي من اصل عربي والذي عليه البعض وتدعيه سلالتهن الى اليوم انهم من بني العباس . ولهم في ذلك رواية لطيفة تختلف في التفصيل بحسب الرواة وتتفق في المغزى . وأشهر ما رووه ان الامراء العباسيين بعد انقراض دولتهم ببغداد سنة ٨٢٣ هـ ١٤٢١ م تفرقوا في بلاد المشرق فذهب منهم شقيقان الى تونس الغرب ومعها نفر من الاعراب وكان اسم اكبرهما علياً وأصغرهما احمد سفيان وكان علي متزوجاً بامرأة ذات جمال واحد سفيان عازباً ولكنه كان آية في الجمال فأحبته امرأة اخيه حباً لم يسعها معه الكتمان فكاشفته بحبها فأنكر عليها ذلك وعذلها ولكنه وعدما ان يكتم سرها أما هي فاشتعلت غيظاً من إباطه وعزمت على الانتقام منه فأتت زوجها ذات يوم وقالت اني جئت بك بأمر جل لا يحسن كشفه فأقسم لي انك لا تبوح به لأحد فأقسم لها فقالت ان شقيقك احمد يرادني عن نفسي وانا أنتهره وأزجره وهو لا ينزجر فعظم هذا الخبر جداً على علي واغتم لأجله غماً شديداً ولكنه لم يصدق ما قالته امرأته على علته لأنه كان يحب أخاه محبة فائقة ويشق بمغافه وشهامته فبقي مرتاباً في الأمر . وكان احمد لما رأى ان امرأة اخيه استاءت منه جعل يتلطف لها ويترضاها فرأى اخوه منه ذلك فقوي الريب فيه وصدق ما قالته له زوجته فاسودت الدنيا في عياله وكره أخاه وزوجته والارض التي كان نازلاً فيها فأمر ان

تاريخ التوبة

تقوض خيامهم ورحلوا من تلك الارض وتأخر في الطريق مع أخيه وهو يفكر بالذي يفعله فأبى نفسه ان يكشفه بسر زوجته ولم يطاوعه قلبه على قتله فقرّر رأيه ان يعقره برجله فيسمه يوم يؤنبه ما دام حيّاً فاستل سيفه وفاجأه بضربة في رجله اليمنى فعقره وتركه يسيل منه الدم ولحق بقومه . وأدرك احمد سفيان سبب غدر أخيه به ولكنه كان من الأنفة على جانب عظيم فلم يفه ببنت شفة بل صبر على الضيم وجلس ينتظر الموت والدم ينزف من عقر رجله ولهذا سمي احمد سفيان المعقور . ثم علم به عبيده وخاصة فاجتمعوا حوله وعالجوه حتى برى جرحه فسار بهم بطريق الصحراء مهاجراً بلاد تونس حتى أتى جبل مرة من اعمال دارفور .

وكان في ذلك الجبل أمة من شبه السود يقال لهم « الفور » عليهم ملك منهم يسمى شاو دورشيت فكان هذا الملك عريقاً في الهمجية ولكنه كان كريم الطبع حسن النقد فلما علم بقدوم احمد أحضره لديه فأعجبه عقله وأدبه فمهد اليه في تدبير منزله وسياسة مملكته فأحسن احمد السياسة وعلم رجال حاشية الملك آداب السلوك ثم التفت الى المملكة فنظم أحوالها وأصلح امورها فأحببه الملك حباً شديداً ولم يكن له إلا بنت واحدة فزوجها بها فولدت له ولداً سماه سليمان فشب ثاقب الفكر سديد الرأي حسن السياسة محباً للخير والاحسان فأحببه اهل الجبل وألفوه . وتوفي ابوه احمد سفيان في حياة جده السلطان شاو دورشيت ثم توفي جده فتأدى به اهل الحل والعقد باجتماع الكلمة سلطاناً عليهم وبايعوه على السمع والطاعة وكان ذلك سنة ٨٤٨ هـ ١٤٤٥ م فأقام في عاصمة حده في جبل مرة وكان اول سلاطين السلاطين العربية الذين تولوا دارفور نحو ٤٤٣ سنة الى ان دخلت في حوزة الحكومة المصرية الحديثة عن يد الزبير رحمت باشا كما سيحي .

هذه هي رواية اهل السودان في أصل سلطنة الفور وهي لا تخرج عن حد الروايات الموضوعة التي يكثر امثالها في السودان فانه ما من قبيلة او مملكة عربية اشتهرت في السودان إلا رجعت في نسبها الى النبي او العجاجة او من

تأريخ النوبة

اتصل بهم . وفي المشهور ان دارفور كانت في ذلك الزمن سلطنات متفرقة من
السود وشبه السود وفي جملتها سلطنة الفور في جبل مرة وكان العرب المسلمون
قد هاجروا اليها من مصر او تونس او الحجاز او منها جميعاً وملأوا مدنها
وبواديها ولم يكن لهم سلطان واحد يرجعون اليه بل كانوا قبائل شتى تحت
حكم سلاطين البلاد الاصليين فلا يبعد ان يكون سلطان الفور في ذلك الحين قد
أعجب بنجاجة شاب من شبان العرب العريقين في النسب فزوج به بابنته فولدت
منه سليمان فأسس السلطنة التي فيها كلامنا . على ان عامة اهل دارفور يرجعون
في أنسابهم الى ابي زيد الهلالي الذي اشتهر في تونس .

الفصل الاول

في

تاريخ سلاطين الفور

١ - السلطان سليمان الاول سنة ٨٤٨ : ٨٨٠ هـ - ١٤٤٥ : ١٤٧٦ م

هو رأس سلاطين الفور المار ذكره . قيل انه لما تولى السلطنة لم يكن في جبل مرة مساجد للعبادة فبنى المساجد وأقام صلاة الجمعة والجماعة ثم شرع في ضم كلمة المسلمين واستعان بعرب البادية المنتشرين في البلاد فأخضع ملوك شبه السود المحيطة بجبل مرة الى سلطانه وعلمهم دين الاسلام . وأخضع بعض ملوك السود البعيدين عن جبل مرة فبقوا على الوثنية . فأصبحت دارفور كلها سلطنة واحدة لمن يتولاها من ذرية السلطان سليمان الى يوم انقضائها .

وكان جملة الذين خضعوا للسلطان سليمان وبقوا الى عهد خراب السلطنة ٢٧ ملكاً سبعة مجوس من السود والباقيون مسلمون من شبه السود .

أما سلاطين المجوس فهم سلاطين كاره ودنقو وفنقرو وبنه وبايه وفروقي وشالا وكلهم في بلاد فرتيت الى الجنوب الغربي من دارفور .

وأما ملوك المسلمين فهم : البرقد والتنجر وكبقه والميحه والمبغات في

الشرق من جبل مرة . والمراريت والعورة وسميار والمسالت والقمر وثامه
والجبلاويين واب درق وجوجه وأسمور في الغرب والشمال الغربي . وزغاوه
كبا والميدوب في الشمال والشمال الشرقي . والبيقو والداجو ورتقا في الجنوب
والجنوب الغربي .

ذلك ما عدا القبائل العربية الذين جمع كلمتهم واستنصر بهم وأهمهم: الهبانية
والرزيقات والمسيرية والتعايشة وبنو هلبة والمعاليسة في الجنوب . والحمر في
الشرق ، والزيدية في الشمال ، والماهرة والمحاميد وبنو حسين في الغرب .

وكانت مدة السلطان سليمان ٣٢ سنة هـ وجاء بعده من سلالة :

٢ - السلطان عمر ٨٨٠ : ٨٩٧ هـ - ١٤٧٦ : ١٤٩٢ م

٣ - السلطان عبدالرحمن ٨٩٧ : ٩١٦ هـ - ١٤٩٢ : ١٥١١ م

٤ - السلطان محمود ٩١٦ : ٩٣٢ هـ - ١٥١١ : ١٥٢٦ م

٥ - السلطان محمد صول ٩٣٢ : ٩٥٧ هـ - ١٥٢٦ : ١٥٥١ م

٦ - السلطان دليل ٩٥٧ : ٩٦٧ هـ - ١٥٥١ : ١٥٦٠ م

٧ - السلطان شرف ٩٦٧ : ٩٩١ هـ - ١٥٦٠ : ١٥٨٤ م

٨ - السلطان احمد ٩٩١ : ١٠٠١ هـ - ١٥٨٤ : ١٥٩٣ م

٩ - السلطان ادريس ١٠٠١ : ١٠١٣ هـ - ١٥٩٣ : ١٦٠٥ م

١٠ - السلطان صالح ١٠١٣ : ١٠٣٥ هـ - ١٦٠٥ : ١٦٢٢ م

١١ - السلطان منصور ١٠٣٥ : ١٠٤٨ هـ - ١٦٢٢ : ١٦٣٩ م

١٢ - السلطان شوش ١٠٤٨ : ١٠٦٨ هـ - ١٦٣٩ : ١٦٥٨ م

١٣ - السلطان ناصر ١٠٦٨ : ١٠٨٠ هـ - ١٦٥٨ : ١٦٧٠ م

١٤ - السلطان توم ١٠٨٠ : ١٠٩٤ هـ - ١٦٧٠ : ١٦٨٣ م

١٥ - السلطان كوبرو ١٠٩٤ : ١١٠٦ هـ - ١٦٨٣ : ١٦٩٥ م

١٦ - السلطان سليمان الثاني ١١٠٦ : ١١٢٦ هـ - ١٦٩٥ : ١٧١٥ م

ومن الرواة من لا يعترف بالسلطين السابقين لهذا السلطان ويؤكدون انه هو اول سلاطين الفور بعد ان سرى الدم العربي فيهم ويلقبونه بسلطان صولون أي العربي وينسبون اليه كل ما نسب الى السلطان سليمان الاول ويعملون
 ١٥ - السلطان كورو ، في مكان شاو دورشيت ويؤيدون قولهم بأختام سلاطين الفور المتأخرين كختم السلطان ابراهيم الاخير والسلطان حسين من قبله فان نسبتهم في اختتامهم تلتقي الى السلطان سليمان الثاني هذا كما سترى. ولكن الامام الذي أخذنا عنه سلسلة سلاطين الفور ومعظم تاريخهم يؤكد ان اختتام السلاطين الاول ترجع نسبتهم في اختتامهم الى ما وراء السلطان سليمان الثاني وان لقب صولون هو لسليمان الاول وقد نسبوه الى سليمان الثاني جهلا .

١٧ - السلطان موسى ابنه ١١٢٦ : ١١٣٨ هـ - ١٧١٥ : ١٧٢٦ م

وكان على مثال أبيه في العدل والاحسان .

١٨ - السلطان احمد بكر ابنه ١١٣٨ : ١١٥٨ هـ - ١٧٢٦ : ١٧٤٦ م

وقد اشتهر بكثرة الاولاد قيل كان له نحو مئة ولد .

١٩ - السلطان محمد دؤره ابنه ١١٥٨ : ١١٧٠ هـ - ١٧٤٦ : ١٧٥٧ م

ولم يكن أكبر أخواته بل كان ثانيهم فقتل أخاه الأكبر ليخلو له الملك فلما ملك شرع في قتل باقي اخوته ليخلو الملك لأولاده من بعده قيل فلما رأى نساء أبيه انه شرع في قتل اخوته جعلن لأولادهن الذكور « كنافيس » وألبسنهم لبس البنات ليحجبهم عن عينه ومع ذلك فقد قتل منهم نحو الخمسين .

٢٠ - السلطان عمر الثاني ابنه ١١٧٠ : ١١٧٧ هـ - ١٧٥٧ : ١٧٦٤ م

وكان من اعدل سلاطين الفور وأشد محافظة على الكتاب والسنة . وما يروى عن عدله انه بعد توليه الملك بثلاثة ايام خرج الى مجلس خاصته وسأهم أن يولوا احد أعمامه في مكانه قال لأن طاقة الملك يغني بها مسؤولية الملك ثقيلة فرفضوا ذلك بتاتا وأبوا إلا ان يكون هو السلطان فقال لهم اذا انتظروني

تاريخ النوبة

اسبوعاً فأخبركم بما أريد فخلا اسبوعاً في منزله ثم خرج ومعه قرون من الخشب تمثل قرون الغنم والبقر وقال لهم أريد ان يعم الأمن ويبطل التعدي حتى تسلم ماشية أضعف النساء وتنمو قرونها فتصير مثل هذه القرون . ثم التفت الى الى الحكام وقال أريد ان تعدلوا في الرعية لكي لا يحییء احد منهم الي بشكوى . فلم يمض إلا القليل حتى جاءته الشكاوي على ٣٠ عاملاً من المقادیم والشراتي والجنود فأحضرهم اليه ولما تحقق ظلمهم أمر فذبحوا عند بابي داره ١٥ منهم عند باب الحرم و ١٥ عند باب الرجال فوقعت الرهبة في قلوب الجميع وانقطع الظلم . قيل وقد بارك الله في البلاد بسببه حتى أتامت الابل والبقر والحيد وغزرت الينابيع في جبل مرة وجرت الأنهار فلقب بسرف أي الماء الجاري .

٢١ - السلطان ابو القاسم عمه ١١٧٧ : ١١٨١ هـ - ١٧٦٤ : ١٧٦٨ م

قيل وفي ايامه خرج رجل عربي صالح من كردوفان يسمى عبد الكريم الى دار ودائي وكانت اذ ذاك بيد التشجر فاغتصبها منهم وكانوا قبلاً يدفعون الجزية الى سلاطين الفور فلما تولى عبد الكريم أبى دفع الجزية فجرد السلطان ابو القاسم جيوشه عليه وواقعه واقعة شديدة ولكن اختلفت كلمة جيشه فنزل بنفسه الى ساحة القتال فجرح وانقلب راجعاً الى دارفور فمات في دار قامه فحملة رجاله ودفنوه في مدفن أجداده في جبل مرة وخلفه :

٢٢ - السلطان تيراب اخوه ١١٨١ : ١٢٠١ هـ - ١٧٦٨ : ١٧٨٧ م

وكان له ثلاثون ولداً ونيف من الذكور البالغين ما عدا الصبيان والبنات وقد أطلق لهم المنان فتفرقوا في البلاد يعمشون ويفسدون وما تركوا شيئاً نقيساً عند احد إلا اغتصبوه منه وكان احدهم مساعد لا يتحرك إلا راكباً على ظهور الرجال فكان اذا أراد الانتقال من بلدة الى اخرى انتقى عدداً من رجالها الأشداء فحملوه بالتناوب الى الحمل الذي يقصده حتى ضاقت نفوس أهل دارفور منهم ورفعوا الشكوى الى أبيهم فما أصغى اليهم وقال اني لأعجب

كيف ان رعيقي لا تصبر على اولادي فاذا اتوا اقل شيء لا يرضيهم شكوم اليّ ! فامتنع الناس عن الشكوى وسلموا أمرهم الى الله .

وكان اسحق أكبر أولاده أنجبهم وأحبهم اليه فأطلق عليه اسم الخليفة لأنه أراد ان يرشحه للملك بعده وجعل له حاشية من الوزراء والأتباع مثل حاشيته فجعل أبناء وزرائه وزراء لابنه وأبناء أتباعه أتباعاً لابنه وكان له زوجة يحبها ويراعها ولها ابن منه يسمى احمد فطلبت اليه ان يرشح ابنها للسلطنة بدلاً من اسحق فقال لها تيراب نمتحن الاثنين امامك فالذي نجده أفرس من أخيه نرشفه للسلطنة فرضيت ام احمد بذلك فبعث السلطان في طلب الاثنين الى غرفته الخصوصية وكان للغرفة بابان باب للرجال وعليه أسدان مقيدان بالحديد في كل جانب اسد وباب للحریم ليس عليه شيء فلما اقترب الولدان من باب الرجال نظر احمد الى الاسدين فتحول عنها ودخل من باب الحریم وأما اسحق فانه دخل من باب الرجال بين الاسدين وكان دخوله حبواً على عادة الدخول الى السلطان فمزق الاسدان ثيابه وشرطاً جسمه بأظافرهما وهما يلاعبانه كمادة الاسود الأليفة فلم يعبأ اسحق بها ودخل على ابيه فسلم عليه وكذلك سلم عليه احمد فسألها بعض الأسئلة ثم أمرها بالانصراف فخرج كل منها من الباب الذي دخل منه وكانت ام احمد جالسة مع السلطان تشاهد ذلك فالتفت اليها السلطان وقال من منها يستحق الخلافة ويؤمن على الملك قالت « لا والله ابنك اسحق فانه رجل وأما ابني فقد أخجلني » .

وكان كرسي سلطنة الفور الى هذا العهد في جبل مرة فنقله السلطان تيراب الى بلدة شوية قرب كبكيية حيث بنى منزلاً فاخراً ومسجداً فخياً من الطوب الاحمر وأقام فيها آمناً مطمئناً حتى خرج عليه المسبعات في كردوفان فجهز لقتالهم .

أما المسبعات ففي المشهور انهم هم وسلاطين الفور من جد واحد قيل ان السلطان سليمان صولون المتقدم الذكر لما تولى دارفور كان له أخ يدعى مسبع فتولى كردوفان وتعاهد الاثنان على ان يقنع كل منها بملكه فلا يطمع بملك

الآخر فعاشا بسلام وأمان الى أن توفيا ودام هذا الحال في أبنائها الى أيام السلطان تيراب . وكان من ذرية مسبع على كردوفان في ذلك الوقت السلطان هاشم وكان شجاعاً محباً للخروب والغزوات فغزا السروج والعرب البادية الذين على حدود دارفور فقهرهم فسوّلت له نفسه اخضاع دارفور فجمع جيشاً من السود مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل وجيشاً آخر من العرب الدناقلة والكبابيش والرزيقات وبدأ بشن الغارة على حدود دارفور فقتل وغنم وسبي فلما علم تيراب بذلك كتب اليه ما معناه :

« الى ابن العم المكرّم السلطان هاشم سلطان كردوفان أعزّه الله :

أما بعد فاني لا أعلم السبب الذي يملكك على غزو بلادى مع ما هنالك من صلة القربى وعلاقات المودة التي تربطنا ولم يكن مني ما يكدر صفاءها وأنت تعلم ان هؤلاء الذين تغزومهم مسلمون مثلك يعبدون الله ورسوله وما من عاقل يفعل ما انت فاعل فعند وصول كتابي هذا ارجو ان تكف عن المداء رفقاً بالرعية . وتذكر ان الظالم ينال جزاء فعله والسلام » . فلم يلتفت السلطان هاشم الى هذا الكتاب بل عاد الى ارسال السرايا لغزو الحدود فتيقن السلطان تيراب اذ ذاك انه لا يرجع الا بالسيف فجهز لقتاله بكل قوته وآلة حربه ولم يشأ ان يخلي العاصمة من السكان فأعتق مئة عبد بنسائهم وأمر رجاله فأعتق كل منهم عبداً او اكثر بنسائهم وجعل اكبر عتقائه حاكماً على المدينة وعتيق إمامه الحاج عبد الغني إماماً للمسجد ونهض بجميع جيوشه قاصداً كردوفان فنزل بمحل يقال له ريل في بلاد البرقد وبني له زريبة من شوك وبني في داخلها منازل من الطين وشرع في الاستعداد للحرب .

وجرى للسلطان تيراب وهو يتأهب للحرب في ريل حكاية مع احد البرقد تستحق الذكر قالوا خرجت جارية من جوارى السلطان الى بشر قريبة من الزريبة لتستقي فراها رجل من البرقد فهم بها وطلب حضانتها في منزلها على جاري عادة اهل تلك البلاد فقالت له . ومن أين لك ذلك وأنا في زريبة السلطان قال دليني على محلك في الزريبة . وأنا أعلم كيف أدخل اليه فدلته ولما جن

الليل جاء الى الزريبة واقتلع الشوك من بعض جهاتها البعيدة عن الحفراء وذهب الى حيث دلته الجارية وجلس ينتظر قدومها فاتفق ان السلطان خرج في ذلك الوقت من مخدعه يتمشى في الزريبة فرأى الرجل امام باب الجواري فقال له من انت ايها الرجل وما جاء بك الى هذا المكان فأخبره بقصته على التام فطلب تيراب الجارية فحضرت وهي ترتعد خوفاً فأمتها وسألها عن الحقيقة فأجابته بما قاله الرجل فلما تحقق خبرها سمع لها بالحاضنة . وفي الغد عقد مجلساً من كبار دولته وقص عليهم خبر الرجل وطلب الحكم عليه فحكم البعض بقتله والبعض بسجنه والبعض بجلده فقال السلطان : رأيي على الضد من رأيكم فان مثل هذا الرجل لا يقتل كأنه نعمة او دجاجة ولا يهان بسجن او يجلد بل يربى للحروب والقتال فانه لو لم يكن شجاعاً مقداماً لا يعرف الخوف ما أقدم على الدخول الى منزلي بهذه الجراءة وفي الحال أمر له بجواد وآلة حرب وعبيدين وزوجه بالجارية وجعله في مصاف فرسانه .

وقد طالت إقامة السلطان تيراب في ريل مصابة للسلطان هاشم لعله يرتدع عن شن الغارة فما زاده ذلك الا تمادياً في غيبه فتحمس ثلاثة من فرسان السلطان تيراب فركبوا خيولهم وأتوا الى النحاس فضربوه وجمعوا الناس للحرب بلا استئذان السلطان وكان الوقت العصر فلبس السلطان عدة حربية وركب جواده وجاء الى مكان النحاس فسأل الفرسان عن الخبر فقالوا ان نحاس السلطان هاشم أقر آذاننا ونحاسنا ساكت فلم يعد لنا صبر على هذه الحال فلما ان نكثت نحاس السلطان هاشم ونردعه عن البغي او نموت في هذا السبيل فقال السلطان تيراب اتبعوني إذا فتبعوه ولحق بهم الجيش فاستمر السلطان هاشم والجيش يتبعه الليل كله الى طلوع الشمس فتقدم احد الوزراء الى السلطان وقال له يا مولاي ان الجيش أنكهه التعب ولم يذق زاداً فلم يصغر السلطان اليه وواصل السير الى العصر فتقدم اليه وزير آخر وقال يا مولاي ان الجيش قصر عن السير حتى الفرسان فوضع يده تحت فخذيه وأخرجها ملوثة بالدم وقال انظر ما جرى لي ولم أتضجر وعاد الى متابعة السير فتقدم اليه إمامه

الحاج عبد الغني وقال له يا امير المؤمنين فاتساخته أوقات من الصلوات المفروضة علينا ديناً فان كنت لا تقف شفقة على نفسك والجيش فلا بد من وقوفك لأداء فرض ربك في الصلوة. فوقف السلطان اذ ذاك وقال لقد أوقفتني بالرغم عني يا حضرة الامام. وكان على مقربة من بئر تولو فنزل عندها واستأنف الاستعداد للحملة على كردوفان فجمع عربان البادية القاطنين ببلاد دارفور من إيتالة وبقارة وأمرهم بمرافقة الجيش بما معهم من الابل والبقر لحمل الذخائر والمؤن فعهد الى الابل الى حمل الماء والحبوب والى البقارة حمل باقي المؤن من العسل والسمن .

ولما أتم استعداده ترك ابنه اسحق وكيلاً عنه في ريل وسار هو لقتال السلطان هاتم بجيش كثيف بهيئة مربع هائل في طليعته دادات السلطان حاملين الفؤوس لقطع الاشواك والاشجار وتهدد طريق الجيش . وفي ساقته مقدم الغرب ، وفي ميمنته مقدم الصعيد ، وفي ميسرته مقدم الشمال ، وفي القلب القوات الآتية على الترتيب . محافظ العاصمة ومعه الموظفون الملكيون من وراء دادات السلطان الذين في طليعة المربع ، ثم قبيلة السروج حاملين الحراب والدرق ، ثم قلعة السلطان من امامه حملة النبايت ومن ورائه الياروان حاملين الحراب المكسوة بأكياس من الجوخ الملوّن وعن يمينه الوزراء والملوك وعن يساره اولاده وأولاد السلاطين السابقين ، ثم حريم السلطان يحيط بهن الغفر من الاغوات وعليهم « ابو شيخ » مقدم الشرق رسماً ، ثم حريم كبار الجيش وأغواتهن . ثم حملة العربان حاملين المؤن والذخائر امام مقدم الغرب الذي في ساقه المربع .

وكان السلطان هاتم قد علم بقدم السلطان تيراب بجيش كثيف لا قبل له بمحاربته وتفرّق عنه اكثر رجاله فقرّ بجاشيته وعائلته والتجأ الى ملك سنار . فسار السلطان تيراب في أثره حتى وصل قرب ام درمان فقابله جيش العابدلاب من قبل ملك سنار قاصدين منعه عن النزول الى النيل فأوقع بهم واقعة عنيفة وكسرم شر كسرة فحملوا نحاسهم المسمى بالمنصورة وفرّوا به

طالبين النجاة قتبهم جيش السلطان تيراب بقصد الاستيلاء على النحاس فدافع العابدلاب عنه بأنفسهم دفاع الأبطال حتى قتل منهم سبعون رجلاً وفاز تيراب بنحاسهم فسرّ به سروراً فائقاً حتى أنه طلاه بالذهب من الداخل والخارج وعمل له نهوداً من الذهب وحفظه الخلف عن السلف إلى انقضاء ملكهم . وكانوا في كل سنة يحدّدون تجليده بموكب حافل يجتمع فيه أهل دارفور خاصتهم وعامتهم من جميع الأنحاء وداموا على ذلك إلى أن سقطت دارفور بيد مصر فحُمِل إلى القاهرة .

ثم أن السلطان تيراب بعد انتصاره على العابدلاب نزل في أم درمان وأخذ يستعد للزحف على سنار فوجد النيل في طريقه وعرضه ٦٠٠ يرداً ونيف ولم يكن عنده المراكب والمعدات اللازمة لاجتياز النيل فبقي هناك أشهراً يدير الوسائل لاجتيازه فلم يفلح فسمت نفوس رجاله من الانتظار واشتاقوا إلى عيالهم في دارفور فألحوا عليه بالرجوع فأقسم لهم أن لا يرجع إلا برأس هاشم فاغتاظوا منه واتفقوا مع علي ود برقو والد إحدى زوجاته على قتله فاطلع تيراب على الديسة وقتل علي ود برقو وبقي في أم درمان إلى أن مرض فحملوه وعادوا به قاصدين دارفور فاشتد عليه المرض في الطريق ومات في بابه فحفظوه وحملوه إلى جبل مرة ودفنوه في طرّفه التي هي مدفن سلاطين القور . وقد اتسعت مملكة دارفور في أيامه اتساعاً لم تر مثله قبل ولا بعد فكان حدها من الشمال بئر النترون في الصحراء الكبرى ومن الجنوب بحر الغزال ومن الشرق بحر النيل ومن الغرب مضيق ترجه وهو مضيق بين جبلين فاصل بينها وبين ودّاي وكان طولها مسيرة ٣ أشهر على القوافل وعرضها مسيرة شهرين . وقد بنى السلطان تيراب سوراً من الطوب في أم درمان لا تزال آثاره ظاهرة هناك إلى اليوم . ولم يخلفه على الملك ابنه اسحق كما دبّر من قبل بل خلفه :

٢٣ - السلطان عبد الرحمن أخوه ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ - ١٧٨٧ : ١٨٠١ م

فلقب باليتم والعاقل والرشد قيل لقب باليتم لأنه عند وفاة أبيه كان لا

يزال رضيعاً وبالعادل لأنه كان عادلاً وبالرشيد لأنه ارسل الى « جلالة امير المؤمنين و سلطان السلاطين في الاستانة » هدية من العاج والريش فأرسل جلالاته كتاباً يشكر له هديته ويلقبه بالرشيد وهو اللقب الذي عرف به في اختتام سلاطين الفور. وقالوا في تفصيل ولايته انه لما مرض أخوه تيراب كان يطلب العلم في بلدة كروي من اعمال دارفور وكان له هناك صديق يسمى الشيخ مالكا من الفلاته فأشار عليه بالذهاب الى أخيه بحجة عيادته فاذا توفي تسلت له الفرصة للملك فسار عبد الرحمن برأي صديقه وأدرك أخاه في باره قيل فلما سمع تيراب بقدمه فرح به وقال : « احضروا الي ابن والدي لأراه قبل موتي فانه سلطان فور بعدي » فأحضروه اليه فترحب به وأمر له بهدية نفيسة ولما توفي قام أبناء السلاطين المرافقين لجيش تيراب فادّعى كل منهم الحق بالملك بعده الا عبد الرحمن فانه لم يقل شيئاً فعقد الأعيان ورؤساء الجيش مجلساً بحضرة العلماء وحلفوا أبناء السلاطين على الكتاب انهم يرضون بالذي يختارونه لهم فاختاروا عبد الرحمن باتفاق الآراء لأنه كان رجلاً عادلاً صالحاً محبوباً من الرعية فنادوه الى المجلس وولوه سلطاناً على دارفور ثم نادوا الباقين واحداً واحداً وأخبروهم بولايته سلطاناً عليهم فبايعوه مضطرين .

وكان عبد الرحمن متزوجاً بجمارية سوداء طيبة الاخلاق من قبيلة البيقو تسمى ام بوسه وكان يحبها محبة شديدة وقد أحضرها معه الى باره قيل فلم يتم الأمراء مبايعتهم له حتى حضر عبد من منزله فقال ان سيدتي وضعت غلاماً هذه الساعة ففرح به عبد الرحمن وقال فليكن اسمه محمد الفضل وهو الملك بعدي إن شاء الله . وكانت ولاية عبد الرحمن في رأس القرن الثالث عشر الهجري فقال اللهم اجعل هذا القرن لي ولذريتي من بعدي وكان كذلك .

ثم ان السلطان عبد الرحمن قام بالجيش الى الأبيض فوضع فيها مقدوماً يرجع بأحكامه اليه واستطرد السير الى دارفور وكان عليها اسحق بن تيراب كما علت فرفض الطاعة له وحاربه في عدة وقائع كان النصر فيها للسلطان عبد الرحمن وفي الواقعة الاخيرة أصابته رصاصة طائشة من رجال عبد الرحمن

كتاب الشوك

فأصابته منه مقتلاً ولكنه بقي يومين حياً فدخل عليه عبد الرحمن قصد عيادته قيل فأغض عينيه وقال له لا أريد أن أرى وجهك الى يوم القيامة وبقي مغضض العينين حتى خرج عبد الرحمن من الخيمة ففتحها ولم يمض الا القليل حتى مات فاستتب الملك لعبد الرحمن ونقل كرسي السلطنة الى الفاشر الواقعة على خور تندلي على ٣٥ ميلاً من جبل مرة فصارت الفاشر عاصمة دارفور من ذلك العهد وبقيت الى انقضاء السلطنة .

وقد نال عبد الرحمن شهرة لم ينلها غيره من سلاطين الفور الذين تقدموه وكان له علاقة بمصر وفي ايامه انتشر العلم في دارفور واتسع نطاق التجارة وقويت شوكة الديانة الاسلامية لأنه كان عالماً ورعاً : وفي سنة ١٧٩٣ م زار السائح الانكليزي برون بلاد دارفور من طريق الاربعين .

ويظهر ان الممالك ضيقوا على القوافل التي كانت تأتي من دارفور وعطلوا التجارة بينها وبين مصر فلما دخل بونايرت مصر في أواخر القرن الثامن عشر ونكل بالممالك كتب اليه السلطان عبد الرحمن يهنئه بفوزه عليهم وهذا هو فحوى الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، من سلطان دارفور السلطان عبد الرحمن الرشيد ، الى المعظم سلطان الجيوش الفرنسية ألف سلام . أما بعد فنعلمكم ان خبر انتصاراتكم على الممالك وصل الينا فتلقيناه بغاية السرور وقد أخبرنا احد الافرنج الذين اعتنقوا الاسلام بحسن معاملتكم للأجانب فأرسلنا كتابنا هذا مع خبير القافلة يوسف الجلّابي وكلفناه ان يؤكد لكم صدق مودتنا التي نسأل الله دوامها ونحن نوصيكم بالخير خيراً لتحموه هو وأتباعه وعبيده ولكم منا ألف تحية وسلام ، اه . فكتب اليه بونايرت في الجواب ما معناه :

« ١٢ مسيدور من السنة السابعة للجمهورية الفرنسية سنة ١٧٩٩ م .

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله ، الى السلطان عبد الرحمن سلطان دارفور .

تناولت كتابكم وفهمت فحواء واعلموا ان قافلتم قد وصلت في حين كنت متقياً في بلاد الشام أعاقب اعداءنا وأدمرهم والآن طلي اليكم ان ترسلوا الي مع اول قافلة ألفي عبد من العبيد الأشداء المتجاوزين السنة السادسة عشرة من العمر اذ مرادي ان أبتاعهم لنفسي والامل ان توعزوا الى القافلة بسرعة القيام ومواصلة السير الخثيث وها أنا أمرت من يلزم بحمايتها ووقايتها حيث تكون .

(الامضاء) : « بوغازت القائد العام للجيش الفرنسي »

٢٤ - السلطان محمد الفضل ابنه ١٢١٥ : ٥١٢٥٤ - ١٧٨٧ : ١٨٣٩ م

الملقب بقمر السلاطين وكان اول اعماله انه حرر قبيلة أمه أم بوسه البيقاوية ومنع اخذ الرقيق وبيعه منها . قيل انه عند توليه الملك كان خاله المسمى فزاري يرعى البقر في بلاده على ٥٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من القاهر فأرسلت أخته رسولا تبشره بتولية ابنها على الملك فصار الرسول بالخبر على جواد مطهم وأطلق له العنان فما وصل الى فزاري حتى نهب الجواد الثمن فسقط في الارض ميتاً وتقدم الرسول الى فزاري وقال له ابشر بالخير فان ابن أختك أم بوسه قد قولى عرش سلطنة دارفور منذ خمسة ايام وكان فزاري اذ ذاك يسقي البقر عند حوض الماء فطار فرحاً لهذا الخبر وضرب الحوض برجله ووزع البقر على الحضور ثم أتى بمنكرب وثام عليه وقال للذين حوله « احملوني » فحملوه حتى أوصلوه الى القاهر فولاه محمد الفضل الوظيفة المعروفة بمملكة الخوال .

وكان عمر محمد الفضل عند توليه الملك ١٤ سنة فوكله أبوه الى رئيس خصيانه كرتة المعروف بلقب « ابو شيخ » وجعله قياً عليه لأنه كان وزيراً صادقاً له وكان من الشجاعة وحسن الدراية على جانب عظيم فأقام كرتة في خدمة سيدم محمد الفضل بالأمانة والاخلاص كما خدم أباه حتى حدث ما غيرته فانقلب عليه وذلك ان السلطان محمد الفضل أولم وليمة لكبراء دولته فجلسوا على الموائد فثارت حسب مقاماتهم كل فئة على مائدة وكان ابو شيخ كرتة في

فئة الملوك فر السلطان بالموائد لمؤانسة المدعويين على جاري العادة فلما مر بمائدة الملوك حيثام بالسلام فرد الملوك عليه السلام احسن رداً أما ابو شيخ كرة فانه كان قد أكثر من الخمر وقد الواعز فالتفت الى السلطان مازحاً وقال له « تفضل معنا » ولم يكن من عادة سلاطين الفور الأكل مع احبب فاعتاظ السلطان من دالة كرة وتطاوله وكان بيده عصي من الخيزران فضربه بها على أم رأسه ضرباً أليماً حتى كسر العصى وطردة عن المائدة فانصرف كرة الى منزله من غير ان يفوه ببلى شفة ولكنه حقد على السلطان من ذلك العهد ولم يعد اليه حتى اجتمع الوزراء وترضوا السلطان فرضي عنه وأعطاه هدية فاخرة فرجع ولكنه بقي حاقداً عليه وأخذ يسعى في ثل عرشه وتولية أخيه باسي عوض الله مكانه فاعتال أكثر الملوك المخالفين له ولم يبق منهم سوى الملك ابراهيم ود رماد ملك النحاس فدعاه يوماً الى منزله ليقتله فعلم بالمكيدة فاعتذر بعدم مقدرة على الذهاب وسعى حتى دخل على السلطان وقال له اعلم ان كرة لا يزال حاقداً عليك من يوم ضربته على المائدة وهو يسعى في ثل عرشك وتولية أخيه باسي عوض الله مكانك وقد استأل أكثر رجال الجيش اليه وقتل الملوك غيلة وهو يريد ان يقتلني لهذه الغاية فقال السلطان وما دليلك على ذلك قال نرسل احد الضباط بنفر من المساكر الى الآبار التي يستقي منها ليمنعوا عبيده الورود فإذا جاءك شاكياً كان لا يزال على الولاء وإلا فلا. فاستحسن السلطان هذا الرأي وأرسل ضابطاً الى آبار كرة فكان كلما وردها احد من جماعة كرة منعه الضابط ورده خائباً فلما علم بذلك جمع عبيده ورجال الجيش الذين من حزبه وجاء الى الآبار فقتل الضابط ومن معه وتقدم الى منزل السلطان فدخله مخاربا وكان الملك ابراهيم قد أعد الجيوش لمصادمته فاقتتل الفريقان الى ما بعد الغروب فنادى الملك ابراهيم أبا شيخ كرة من وراء الجدار وقال له « حقاً انك اميرة لأنك لو كنت رجلاً لم يطلب الحرب ليلاً بلا ميعاد » فقال كرة « كنت قد لويت ان لا اخرج من هذا المكان حتى أقتلك وأخلع سلطانك أما الآن وقد قلت اني فاجأتك ليلاً بلا ميعاد فلاقني صباح العد الى ساحة القتال

شرقي المدينة ، قال ذلك وانصرف بمساكره الى منزله فأخذ كل فريق يجهز جيشه للغد .

وكان في جيش السلطان محمد الفضل رجل كهل مشهور بالفروسية والاقدام يسمى احمد ود جراب الفيل وقد حضر عدة وقائع حربية . من جلته واقعة السلطان أبي القاسم مع ملك ودّاي فأبلى فيها بلاء الأبطال وحضر الواقعة التي تقدم ذكرها فلم يُبدَ ما كان ينتظر منه بل كان كلما قابلته كتيبة من الفرسان أعرض عنها فلما جمع الملك ابراهيم رؤساء المساكر للنظر في قتال الغد كان ود جراب الفيل حاضراً فقال له الملك ما أصابك أمس يا ود جراب الفيل حتى أحجمت عن القتال أصبح ما شاع ابن كره اشتراك بمئة رأس من الرقيق فتركت القتال فقال ود جراب الفيل المثلّي يقال هذا الكلام يا ملك ابراهيم أنا ابيع ود السلطان عبد الرحمن بمئة رأس رقيق ولكن قل لي بماذا أحارب أبسفي وقد اخذوه مني ووضعوه في خزانة سلاح السلطان أم بحصاني هذا الضعيف النجيف الشبيه بالنعجة فان كنتم تحبون ان ترون مني حرب الرجال وتشاهدون بأعينكم ما اشتهر عني من البسالة والاقدام فأرجعوا لي سيفي وهاتوا لي فرساً يحمل الكر والفر فأريكم غداً ما يسركم فأمر السلطان باحضار سيفه فأحضر اليه ثم أمر باحضار الخيول ليختار منها جواداً يعجبه قيل وكان ود جراب الفيل يقبض على ناصية الجواد ويحذبه بيده وهو جالس في الارض فيختر الجواد على ركبتيه من شدة الجذبة الى ان قبض على ناصية جواد فجذبه كما فعل بما تقدمه فنفض الجواد رأسه ورفع ود جراب الفيل حتى أوقفه على قدميه فقال ود جراب الفيل « هذا جوادتي الذي أركبه » ثم ركبته واستل السيف وقبّله والتفت الى أم السلطان وقال « اعلمي ان دارفور تكون بيد ولدك لا ينازعه فيها منازع قبل ظهر نهار غد ان شاء الله » ففرح الملك ابراهيم بذلك وكان له ثلاثون ولداً من صلبه راكبين الخيول كاملي العدة فأحضرهم الى ود جراب الفيل وقال له انت رئيس أولادي هؤلاء وأريد منكم

إذا التقى الجمعان في الغد لا تقاتلوا احداً غير كرة فاقصدوه حيث يكون وقاتلوه حتى تقتلوه .

فلما كان صباح الغد واصطف الفريقان للقتال برز ود جراب الفيل ومن معه من اولاد الملك ابراهيم قاصدين كرة فاعترضهم اخوه باسي عوض الله فقتلوه وتقدموا الى كرة فتلقام بقلب لا يهاب الموت وكان لابساً درعين من الحديد وعلى رأسه خوذة تغطيه وتغطي وجهه حتى كان لا يرى منه الا عيناه فكانوا يضربونه بالسيوف فلم يتمكنوا منه وكان هو ايضاً يكره عليهم ويهاجم مهاجرة الاسود فلم يصب منهم مقتلاً لأنهم كانوا متدرعين مثله فاحتال بعضهم عليه بأن ركب على فرسه من ورائه وجندله فأطبق الفرسان عليه ونزعوا خوذته ثم خزوا رأسه وحملوه الى السلطان فلما رأى جيش كرة ما جرى لشيخهم ولتوا الادبار منهزمين فتبعهم جيش السلطان ونكل بهم .

وكان من عادة كبار الخصيان في دارفور ان يقتنوا زوجات من الأرامل اللواتي لهن اولاد فيتلبنون الاولاد لتنتقي عنهم مذلة الخصي ولو كان ظاهراً وكان لأبي شيخ امرأة ولها ابن يسمى شيل فوت (أي خذ واذهب) وهو من الفرسان المعدودين وكان السلطان محمد الفضل يود ان يجعله من أتباعه وأعوانه فأوصى جيشه قائلاً : اذا انهزم جيش كرة وظفرتم بشيل فوت فلا تقتلوه بل ائتوني به حياً فلما كان انهزام جيش كرة ظفر بعض الفرسان بشيل فوت فتصدى لهم فأخبروه بوصية السلطان لهم ولما أمن جانبهم جاء معهم الى السلطان فأمنه وعفا عنه . ثم التفت اليه الملك ابراهيم وقال له : « يا شيلفوت لأجل فضلة الطعام تحارب مثل هذه الحرب ؟ » قال ذلك لأن شيلفوت كان يأكل فضلة طعام كرة على عادة الابن مع ابيه في السودان وكان من عادة الملك ابراهيم كملك النحاس ان يوزع طعام السلطان على الجيش فأجابه شيلفوت على الفور : « انت حاربت لأجل توزيع الطعام أفلا احارب ، أنا لأجل أكله ؟ » .

واستتب الملك للسلطان محمد الفضل بعد قتل كرة ولم يعد له معارض فتفرغ لتأديب العرب الذين خرجوا عن طاعته وهم بنو هلبه والعريقات والرزيقات

تاريخ التوبة

اما بنو هلبه والعريقات فقد أخضعهم بالسهل اما الرزيقات فكانوا قبيلة قوية وقد طالما عصوا سلاطين الفور واستقلوا عنهم فصمم السلطان محمد الفضل على الإيقاع بهم فجمع جيشاً عظيماً وأحاط ببلادهم إحاطة السوار بالمعصم وحصرهم وأنخن فيهم وقتل كل رجل فيهم ولم يستحي الا النساء والاولاد فقسمهم نصفين فأرسل النصف الواحد الى ارض العريقات وأسكنهم إياها وأبقى النصف الآخر في أرضهم وأعاد لهم قسماً من ما شئتهم فأعطى كل امرأة قتل زوجها بقرة حلابة وثوراً .

وحكي عن السلطان محمد الفضل نادرثان احدهما مع احد ود عدلان آخر وزراء الهنج بسنار تدل على كرمه والثانية مع السلطان آدم سلطان ودآي تدل على شهامته . اما نادرته الاولى فهي ان جليلاً التقى بود عدلان في البرية خارجاً للقنص فقبض على لجام فرسه وقال له ايها الملك اني رجل فقير وقد جاوزت سن الاربعين ولم أذق رائحة البخور يريد بذلك انه لم يتزوج بعد لعدم مقدورته على الزواج فقال له الملك تعال معي الى سنار فأعطيك ما قسمه الله لك فقال له الجعلي لا أتركك حتى تعطيني ما قسمه الله لي الآن لأنني اذا ذهبت معك الى سنار دخلت منزلك وشغلت عني ولم يدخلني اليك احد . ولم يكن مع ود عدلان في ذلك الحين الا فروة من الجلال مفروشة فوق سرج فرسه فأعطاه إياها وقال له أدلك على واسطة تنال بها الفنى : تذهب بهذه الفروة الى السلطان محمد الفضل سلطان دارفور وتقص عليه قصتك وتعطيه الفروة فإن كان الله قد أغناك فهو يغنيك فحمل الجعلي الفروة وسار حتى وصل دارفور واستأذن فدخل على السلطان محمد الفضل وقص عليه قصته مع محمد عدلان وأعطاه الفروة فنادى السلطان محمد الفضل احد وزرائه وقال له خذ هذا الرجل الى منزلك وأكرمه غاية الاكرام واثني به في الند ففعل الوزير كما أمره السلطان وفي الغد حضر الرجل بين يدي السلطان فسأله عما قاله له ود عدلان فقال : « قال لي خذ هذه الفروة الى السلطان محمد الفضل فإن كان الله قد أغناك فهو يغنيك » فأمر السلطان وزيره بأن يعطيه اربع مئة رأس من

الريقى والابل والبقر والغنم من كل صنف مئة رأس ويأخذه الى منزله فيكرمه ويعود به اليه في اليوم الثاني. ففعل الوزير كما أمره السلطان ولما مثل الجملي امام السلطان في اليوم الثاني سأله ايضاً عما قاله له ود عدلان فأعاده له فأمر له بأربع مئة رأس اخرى من الاصناف الاربعة المذكورة . وهكذا بقي الجملي يتردد على السلطان والسلطان يأمر وزيره ان يعطيه ما أمر له في اليوم الاول على عشرة ايام حتى اجتمع عند الجملي ٤٠٠٠ رأس من كل صنف ألف فلما أتى به في اليوم الحادي عشر وسأله السلطان عما قاله له ود عدلان قال : و أطال الله بقاء مولاي وأيده بالنصر على الأعداء اني قد اغتنيت غناء الأبد وقد نيت الذي قاله لي ود عدلان ، فضحك السلطان لقوله وقال لوزيره : خذه الآن وسلمه ما وهبناه إياه وارسله مع الحرس اللازم الى بلاده وأما الاصناف التي أعطيتها إياها ولا يمكن نقلها الى بلده كالبقر والغنم فبعتها واعطه ثمنها ففعل الوزير ما أمره السلطان وخرج الجملي بهداياه من ارض دارفور شاكراً حامداً وعاد الى وطنه فتزوج من اشتهاها من نساء بلده وشم رائحة البخور !

اما نادرته الثانية مع السلطان آدم سلطان ودّاي وهو السلطان الثامن بعد السلطان عبد الكريم فهي ان السلطان محمداً الفضل بلغه ان عند السلطان آدم فرساً سريع الجري مشهوراً بالسبق فأرسل اليه في طلبه فجمع السلطان آدم وزراءه وشاورهم في الامر فقالوا له هذا « عشم قـيـل » أي هذا رجاء باطل يشفئ عن احتقار واستخفاف فقال اذا ما الرأي ؟ فقالوا الرأي عندنا ان تكتب له وتقول اذا ازوجتني بأختك أرسلت اليك الفرس فكتب السلطان آدم هذا الجواب ودفعه الى الرسول فلما قرئ الجواب للسلطان محمد الفضل طار صوابه من شدة الغضب قيل وكان بيده اليسرى سيف فلما وصل القاريء الى قوله اذا ازوجتني بأختك جعل ينقر السيف بسبابة يده اليمنى حتى انكسر الظفر وسال منه الدم وهو لا يدري وعزم على التتكيل بالسلطان آدم وارغام أنفه فسأل الحاضرين أتعرفون احداً هنا من أهل ودّاي ولو انه من عامتهم

لنوليه على ودائي بدل هذا السلطان فقال له بعضهم عندنا يا مولاي في بلدة جديد الرأس القيل جزار من دار ودائي يسمى محمد شريف وربما كان من العائلة المالكة مع انه جزار لأن آدابه وأخلاقه تدل على كرم اصله وفي وجهه أثر النعمة والعز فقال اثتوني به في الحال فأتوه به فقال له السلطان من انت يا رجل وما أتى بك الى هذه البلاد قال يا مولاي انا محمد شريف ابن السلطان صالح بن خريفين شقيق السلطان آدم سلطان برقوق الحالي وقد فررت من وجه اخي السلطان آدم خوفاً على بصري لأن من عادة سلاطيننا كما يخفى على مولاي انه اذا تولى احدكم الملك قلع عيون اخوته وجميع أقاربه الذين يخاف شرم حتى لا يبقى له مزاحم على الملك ففررت الى هنا وفضلت ان أعيش جزاراً في بلاد الغربية وانا أبصر على ان أعيش في بلادي اميراً بلا بصر . فقال السلطان محمد الفضل فهل لك ان تكون سلطاناً على بلادك بدلاً من اخيك فقال له ومن أين لي ذلك يا مولاي قال لك ذلك مني ان شاء الله . ثم أمر فألبسوه حلة السلطنة وسيره الى ودائي بجيش عرمرم وعليه اثنان من وزرائه واربعة من اولاده ومنهم حسين الذي تولى السلطنة بعده فسار محمد شريف بالجيش حتى وصل حدود ودائي فالتقاه السلطان آدم بجيوشه وحصل بين الجيشين عدة مواقع دموية قتل فيها خلق كثير من الفريقين ولكن غلب فيها جيش السلطان محمد الفضل واخذ السلطان آدم أسيراً وغنم نحاسه وولى محمد شريف سلطاناً على ودائي وعاد الى دارفور ومعه السلطان آدم أسيراً فبقى السلطان آدم في دارفور مدة ثم تمكن من الفرار الى ودائي فأرسل السلطان محمد شريف عسكرياً وراءه فتعقبه وقتله وبقي لا ينازعه احد الى ان مات . وتولى بعده على ودائي السلطان علي ابنه ثم السلطان يوسف اخو علي فالسلطان ابراهيم بن يوسف فالسلطان احمد الغزالي بن علي فالسلطان محمد دود مرة اخو ابراهيم وهو السلطان الحالي .

هذه رواية البعض في سبب الحرب بين السلطان محمد الفضل والسلطان آدم ، وقال بعضهم ان رواية الفرس لم تكن بين السلطان آدم والسلطان محمد

الفضل بل كانت بين السلطان علي. المذكور وبين معاصره من سلاطين برنو وان السلطان علياً هو الذي طلب الفرس من سلطان برنو فأجابه سلطان برنو بما هو منسوب الى سلطان وداي قالوا وأما سبب الحرب بين دارفور ووداي فهو ان محمد شريف المذكور جاء الى السلطان محمد الفضل يستنصره على اخيه فنصره لأنه كان أميل الى دارفور من اخيه السلطان آدم .

وفي ايام السلطان محمد الفضل ارسل محمد علي باشا ابنه اسماعيل بجيش جرار لفتح سنار وصهره الدفتردار لفتح كردوفان وكان في كردوفان مقدم من قبل السلطان محمد الفضل يقال له المقدوم مسلم فتغلب عليه الدفتردار وامتلك البلاد منه بعد واقعة شديدة على ما سيجيء بالتفصيل في الفتح المصري قيل وكان السلطان محمد الفضل واجداً على المقدوم مسلم فلم يشأ ان ينصره فلما علم انه قتل أرسل جيشاً تحت قيادة ابي الكيلىك فخرج له جيش الحكومة فالتقاء في سودره بين فوجه والأبيض وحدثت واقعة شديدة حارب بها جيش الفور حرب الرجال حتى قتل قائدهم فانهمزوا راجعين الى الفاشر فخاف السلطان محمد الفضل على دارفور وأخذ من ذلك الوقت يحشد الرجال ويستكمل العدة محافظة على سلطنته . وقيل انه كتب أسماء على نية منع الحكومة المصرية من الدخول الى بلاده وجعلها في قساقم من نحاس ودفنها في الصحراء الشرقية والشمالية ولم يخف على سلطنته من الجنوب حيث دخل الزبير باشا كما سيجيء .

وكان لمحمد الفضل أخ بكرهه ويزاحه على الملك يسمى أبا مدين ففرّ الى مصر وأخذ يهون على محمد علي فتح دارفور فأرسله محمد علي الى كردوفان للسمي مع مديرها في ذلك فبقي في الأبيض الى ان توفي .

ولما كانت سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م ارسل محمد علي باشا كتاباً الى محمد الفضل يدعوه فيه الى التسليم فأجابه محمد الفضل بكتاب أخذنا صورته عن نسخة بيد الزبير باشا بمصر وهذا نص الكتاب :

« الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعاً سبحانه يحزي كل نفس بما تسمى واليه المعاد والرُجعى وهو حسي وكفى .

« من حضرة من آمن الله به البلاد وجعل ملكه مسموعاً من كل احد ومبته في قلوب الأعداء ناراً تستمر وجرأ يتوقد وجعل الله على يده ضرب من طفى وتمرد ومن ضل وتعتد وهو شاب صغير السن ولو صار كهلاً تخضعت له الانس والجن وقد اشتهر بالكرم والجود وحال بعوارضه أنجم السمود وإن قامت الهيجاء بنفسه يهود ويصل الى الأعداء بقواطع الهنود وينتصر بعون الله على كل موجود !!! هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد أعزه الله .

« الى حضرة الكوكب العالي والنير المتلالي بهجة الأنام وقدوة الليالي صاحب العز والافتخار أخينا العزيز محمد علي باشا سلمكم الله تعالى من المهدورات واستعملكم بالباقيات الصالحات بمنته وكرمه .

« اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته لديكم قد وصلنا جوابكم أوصلكم الله الى رضوانه وفهمنا خطابكم ومقتضى جوابكم وكل كلمة من المرقوم يستحق جوابها المفهوم ولكن يكفي من ذلك كله كلام الحي القيوم حيث قال : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » ... « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً » ... انكم طالبون دولتنا وطاعتنا وانقيادنا لكم هل بلغكم اننا كفار وجب لكم قتالنا وأبيع ضرب الجزية علينا أو غيركم قتالكم مع ملوك سنار والشايقية فنحن السلاطين وهم الرعية . أورد لك دليل من الله تجدد فيه ملكك أم ورد لك حديث من رسول الله تجدد فيه غليك أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك رباً قوياً ولنا رب ضعيف الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون ولا مبتدعون ندين بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ونؤدي الفرائض ونترك الهرمات ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر والذي لم يُصل نامره بالصلاة والذي لم

يزكّ نأخذ منه الزكاة ونضعها في بيت المال ولا ندرها ونردّ الأمانات الى أهلها ونعطي كل ذي حقّ حقه حتى دانت لنا القبائل العظام ومن أتى دولتنا يرجع مكرماً باذن الله تعالى ولو اشتدت به الريح في يوم عاصف ألم ترّ الى قوله ﷺ «لو بغى جبل على جبل لذلك بالباغي» أما علمت ان دارفور محروسة بحمية بسيوف قطع هندية وخيول بجرّد أدمية وعليها كهولة وشبان يسرعون الى الهيجاء بكزة وعشبة أما علمت ان عندنا العباد والزهاد والأقطاب والاولياء الصالحين من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا وهم بيننا يدفعون شرّ ناركم فتصير رماداً ويرجع الملك الى أهله ويكفي من بعد ذلك والله يكفي شرّ الظالمين . كتبه الفقيه محمد ود عمّاري من متخرجي الأزهر وكان مدرساً للسلطان محمد الفضل وأولاده بالفائز اهـ وتوفي السلطان محمد الفضل سنة ١٨٣٨ وخلفه :

٢٥ - السلطان محمد حسين ابنه ١٢٥٤ : ١٢٩٠ هـ - ١٨٣٩ : ١٨٧٤ م

وكان معاصراً للنفور لها سعيد باشا واسماعيل باشا فبادلها الهدايا والمكاتبات فكان يهدي اليها الخصيان والريش والسن وغير ذلك من تحف دارفور وهما يهديان اليه النفيس من تحف مصر . وقد أرسل له سعيد باشا مركبة برأسين من جياذ الخيل وخيماً وتحفاً كثيرة أما المركبة فانه لم يركبها قط بل امر سائقها عند وصولها بركوبها امامه فذهب بها السائق من بيت السلطان الى الجامع مسافة فرسخ وعاد بها الى بيت السلطان فأمر السبلطان بوضعها في الاسطبل فبقيت الى الفتح المصري وأما الخيل فقد قيل له انها مسحورة فتركها للعلف نحو ٥ سنين ثم وهبها لبعض خاصته . وأهدى اليه اسماعيل باشا شالات كشمير وسروج ذهب وسبح كهرمان وخرز سوميت وغيرها من تحف مصر المستحسنة في دارفور . وكان السلطان حسين جواداً كريماً محباً للرعية . حدثني الشيخ علي بك الخبير من مشاهير التجار بدارفور وقد عاصره قال : دخلت يوماً على السلطان حسين للسلام عليه وأخذت له

معني هدية نفيسة من تحف مصر تساوي ألفي غرش فأمر لي بمقتي بعير من أكرم الابل .

ولما كانت سنة ١٨٥٦ م كف بصره فطلب التحفظ على ملكه فألف جيشاً يليف على ١٠٠٠٠ مقاتل وسلحهم بالأسلحة النارية فكان هو اول من استعمل الاسلحة النارية في جيش دارفور وقد كانت اعتماد السلاطين قبله على السيوف والحرايب والدرق والسكاكين والذشاب . وكان للسلطان حسين أخت تسمى ايا باسي زمزم اشتهرت باتساع الثروة وكان لها نفوذ تام في السلطنة .

وفي ايام السلطان حسين كانت « واقعة القرطاس » المشهورة بين عربان المعالية وعربان حمر وذلك ان عربان المعالية قطعوا الطريق على قافلة آتية من مصر الى دارفور وقتلوا تجاراً مشهورين بأهل زريبة عبد العزيز وأخذوا اموالهم من سكر وأنسجة ونحوها فغضب السلطان حسين من تعديهم وكان بينهم وبين عربان حمر عداوة قديمة فأرسل السلطان في طلب الشيخ مكي ود منهم شيخ عربان حمر وقال له اني أبحث لك دماء المعالية وأموالهم فجمع الشيخ مكي رجاله وحلفاءه وغزا عربان المعالية وكانوا مشهورين بالصبر والثبات . في الحروب فحدث بين القبيلتين واقعة دموية شديدة كان النصر فيها لعربان حمر فقتلوا المعالية شر قتلة . قيل وقد سميت هذه الواقعة بواقعة القرطاس لأن الصحاري امتلأت من قرطاس السكر والانسجة التي نهبها المعالية من التجار .

٢٦ - السلطان ابراهيم ١٧٩٠ : ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ : ١٨٧٥ م

وهو آخر سلاطين الفور وكانت مدة ملكه سنة وسبعة اشهر وأربعة عشر يوماً . قيل لما مرض السلطان حسين وعلم بدلوته أجله أراد ان يضمن الملك من بعده لابنه ابراهيم لأنه كان يحبه اكثر من جميع اخوته ولم يكن اكبرهم بل كان ابو البشر اكبرهم فانتدب اثنين من أمنائه وهما الامين بخيت من قبيلة الميذوب ابن الوزير آدم بوش كبير الامناء والامين « خير قريب » من عبيد الفرقتين . امين الخزينة والاسلحة « أتى بالمصحف المسمى بسوار الذهب وحلفها

عليه بأن يوليا ابنه ابراهيم بعد وفاته . وكان احمد شطة امير الصعيد المقيم في دارا يحب ان يولي الامير أبا البشر لأنه كان متزوجاً بشقيقته وكان له صديق في الفاشر يسمى الشيخ احمد الدردير فلما اشتد المرض على السلطان حسين أرسل الدردير يخبر الوزير احمد شطة فأتى الفاشر وتزل في منزل احمد الدردير واستأذن فدخل على السلطان وسلم عليه فقال له السلطان كيف تركت مركزك وجئت الى هنا بلا اذني قال بلغني يا مولاي خبر مرضك فأمرعت بالحضور لعيادتك فقال له ارجع على الأمر ولا تبيت هنا فقال سمعاً وطاعة ولكنه علم ان السلطان مائت قريباً فترتبص في الفاشر ليرى ما سيكون من الامر بعد وفاته .

وعلم الوزير ان المار ذكرهما قصد احمد شطه فلما توفي السلطان أخفيا خبره وأرسل الى احمد الدردير يقولان ان السلطان حيناً يطلب حضورك لتكتب له حجاباً فلما حضر قبضا عليه وقيدها بشعبة وخبأه في غرفة منفردة ثم أرسل يطلبان الامير ابراهيم بن السلطان حسين فأجلساه على كرسي السلطنة وطلبنا الوزير احمد شطه فحضر وسلم على السلطان ابراهيم وهو يظن انه السلطان حسين فأخبراه اذ ذاك بموت السلطان حسين ووصيته لها فما سمعه الا التسليم وقال : ما استخدمنا السلطان حسين الا لنصره وتنصر من يحب وحيث ان السلطان ابراهيم هو ابن السلطان حسين وقد تولى بإرادة ابيه سمعاً وطاعة لأمره ، فقال السلطان ابراهيم : أما وقد أظهرت الطاعة فقد ثبتت على مركزك في داره تقيم فيه كما كنت في حياة أبي كل العمر ، فدعا له وحلف له يمين الطاعة ثم أرسلوا الى الوزراء واحداً واحداً فحلفوا له يمين الطاعة ودفنوا السلطان حسيناً في اليوم الثالث من وفاته . وأما الدرديري فان السلطان ابراهيم أرسله الى كوبي وحبس به حبس عين بمنزل الحاج محمد صالح ثروة الجعلي المار ذكره فبقي الى ان أطلقه الزبير باشا بعد فتح الفاشر .

وقد اشتهر السلطان ابراهيم بالكرم كآبيه . حدثني علي بك الحخير السالف الذكر قال : كنت أعرف السلطان ابراهيم شخصياً قبل توليه الملك فلما تولى



الشيخ الطيب

كنت في مصر فأخذت له هدية ودخلت للسلام عليه فوجدت عند بابه قطعاً من الابل فيه خمسون بغيراً فقلت في نفسي إن كان هذا السلطان كأيبه في الكرم تكون هذه الابل لي اليوم وكان كذلك فاني لم أنصرف من مجلسه حتى أمر لي بها فخرجت شاكراً حامداً .

وبقي السلطان ابراهيم نافذ الامر والنهي في دارفور الى ان قتله الزبير باشا في بلدة منواشي في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ - ٢٤ اكتوبر ١٨٧٥ م في واقعة دموية شيرة وكان في قتله زوال سلطنة الفور ودخولها في حوزة مصر على ما سيجيء .

وبعد استيلاء الحكومة المصرية على دارفور ألقت للقبض على عدة أمراء من ذرية سلاطين الفور وارسلهم مع بعض الأعيان الى مصر فأسكنتهم في الحي المعروف بسوق السلاح تحت القلعة وأجرت لهم المرتبات ، فعاشوا براحة وسلام الى هذا اليوم . وبينهم الامير عبد الحميد ابن السلطان ابراهيم و ١٩ آخرون من أبناء السلاطين .

وكان في جملة الأعيان المرحوم الشيخ الطيب إمام جامع السلطان ابراهيم فتوفاه الله في مصر القاهرة في ٢١ اغسطس سنة ١٩٠٢ على نحو ستين سنة من العمر وكان رحمه الله رحمة واسعة عالماً صالحاً ذكياً طيب الخلق نقي القلب وقد حفظ في ذاكرته تاريخ دارفور برمته فأخذت عنه معظم ما رويته هنا عن تاريخ السلاطين وهو اقرب الى الرواية منه الى التاريخ ولكنه افضل ما روي عن سلطنة الفور الى اليوم ما عدا الذي رواه سلاطين باشا في كتابه « النار والسيف في السودان » ونقله « المقتطف » الأغر الى العربية فانه يجعل السلطان كور اول سلاطين الفور . ثم يذكر بعده السلطان احمد المعقور الذي لم يملك في روايتنا . ثم السلطان دالي الذي هو في روايتنا احد كبار الحصيان . ثم السلطان صولون . ومن هذا السلطان فنزلاً الى السلطان ابراهيم تتفق سلسلتنا مع سلسلته ولكنها تختلف اختلافاً طفيفاً في تفصيل اخبار بعض السلاطين .

هذا وقد ظلت بلاد دارفور في يد الحكومة المصرية الى ان كانت الثورة المهدية قد دخلت في حوزة المهديين. ولكن قام في أثناء ذلك من ذرية السلاطين الذين بقوا في البلاد من ناصب الحكومة العداء ثم المهدية وحاولوا استرجاع السلطنة فخذلوا .

والذي قام منهم في عهد الفتح الاول :

الامير حسب الله ابن السلطان محمد الفضل .

الامير بوش اخوه .

الامير هارون ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل .

الامير دود بنقا ابن الامير بكر ابن السلطان محمد الفضل .

وأما الذين قاموا في عهد المهدية فهم :

الامير يوسف ابن السلطان ابراهيم .

الامير ابو الخيرات اخوه .

الامير علي دينار ابن الامير زكريا ابن السلطان محمد الفضل : وهو القائم

الآن بأمر دارفور على جزية يدفعها للحكومة السودانية وقد جاءها بعد واقعة

ام درمان وسيأتي ذكر هؤلاء الأمراء وما كان من أخبارهم بالتفصيل في تاريخ

السودان الحديث . .

الفصل الثاني

في

حكومة سلطنة الفور وبعض أخبارها

رجال السلطنة : اما حكومة سلطنة الفور فكانت من النوع الملكي المطلق . وكان السلطان سليمان الاول لما أخضع ملوك البلاد على ما مرّ قد خلعهم من مناصبهم وولى على البلاد نواباً من أهلها وجعل مع كل نائب عدة شرقي او مدراء ومع كل شرقي عدة دمالج او مأمورين ومع كل دملج عدة مشايخ بلد .

وبقي هذا النظام معمولاً به الى ايام السلطان موسى فرأى عدم الاخلاص من النواب الوطنيين فعيّن عليهم اربعة مقادير من رجال حاشيته الأخصاء في كل جهة من الجهات الاربع مقدوماً وجرد النواب من السلطة الا انه أبقاهم في مراكزهم يحكمون بالاسم فقط واستمر هذا النظام الى انتهاء السلطنة .

وكان تعيين المقدم بفرمان خاص يُقرأ على النواب والشرقي والدمالج ومشايخ البلاد والعربان واصحاب الحواكير وغيرهم . ولباس المقدم كلباس السلطان وإكرامه في ناحيته كإكرام السلطان وحكمه نافذ في كل القضايا حتى في القتل الا في بعض الاحوال الخاصة فانه يرجع في حكمه الى السلطان .

أما رجال حاشية السلطان الذين بيدهم سياسة البلاد المركزية فاهمهم :
« الوزير » : وعليه ادارة شؤون البلاد سياسياً وادارياً وحربياً .

« وابو شيخ » : وهو كبير الخصيان ومقامه اكبر مقام في السلطنة اذ هو المرجع الاعلى لقانون دالى الذي هو القانون العرفي في البلاد وسيأتي ذكره . وله الفصل في الخلاف الذي يقع في حرم السلطان وهو مقدم الشرق رسماً والمحافظة على نحاس السلطنة ومن رجال الادارة المركزية : ملك النحاس وملك دادات السلطان وملك خوال السلطان وملك الفاشر او محافظها وملك الجبابة وملك الحدادين . وكان لكل سلطان من سلاطين الفور وكيل رسمي من ذرية السلطان شاو دورشيت يسمى « الكامنة » . وفي دار السلطنة ممن بيدهم الحل والعقد الميامر اخوات السلطان والحبوبات جدات السلطان . وفيها رهائن النواب المسلمين ورهائن ملوك الجيوس السبعة المار ذكرهم وكان كل من هؤلاء الملوك يرسل وليّ عهده ليكون رهينة عند السلطان فيجعله السلطان في خدمته ويعوّده على طاعته ويعلمه القراءة والكتابة حتى اذا ما مات الملك أعطى السلطان وليّ عهده كسوة فاخرة وعكازاً مفضضاً وطاقيّة مقصبة بقرنين ونملين ونقارة لنحاس وولاء بفرمان خاص على بلاده في مكان سلفه . وكان على كل ملك من هؤلاء الملوك جزية سنوية معلومة من الرقيق والسمن والعلل .

الحواكير والعربان : وقد عمل « ١٧ - السلطان موسى » بالنظام المشهور في الشرق في ما يتعلق بملكية الاراضي فجعل البلاد كلها ملكاً للسلطان وقسم بلاد الحضر الى « حواكير » او اقطاعات ووزعها على أهله وأخصائه وكبار قومه بحجج غتومة بختمة فعاشوا بريمها هم وأهلها المزارعون . وكذلك قسم قبائل البادية فخص كل قبيلة بأمر من أبناء السلاطين او بعين من الاعيان تجبي له زكاتها . وجمع السلطان نصيبه من الزكاة والفطرة والعشور حسباً يفرضه الشرع الاسلامي وكان المقادير يجمعون الزكاة من البادية وملوك الجبابة يجمعون الفطرة والعشور من الحضر وربما تنازل السلطان عن نصيبه في الحاكورة او

القبيلة فأعطى صاحبها « حجة بالجاه » فلا يقربه احد من الجبابة او المقاديم .
وقد جرى على هذا النظام جميع السلاطين الذين أتوا بعد السلطان موسى الى
انقضاء السلطنة .

قانون دالي : وكان القضاء في دارفور شرعياً وهو المشروع بالكتاب
والسنة او عرفياً وهو المشروع بالعرف وقد جمعت الاحكام العرفية كلها في
كتاب واحد عرف « بقانون دالي » وهو بمثابة قانون الجزاء عندنا . وكان
القائم بتنفيذه المقاديم ومن هم دونهم من الحكم بالاتحاد مع اصحاب الحواكير
والقبائل . والقاضي الأعظم الذي يرجع اليه في هذا القانون هو كبير الحصيان
الملقب بأبي شيخ كما مر . اما لفظ دالي فهو في لغة الفور بمعنى لسان و يُراد
بقانون دالي لسان السلطان او أوامره . على ان بعض الرواة يجعل دالي سلطاناً
من سلاطين الفور المتقدمين كما سيجيء .

ومن أحكام هذا القانون : ان الملك يكون وراثياً للابن الاكبر الا اذا
كان الاكبر غير لائق للاحكام فيولون غيره ممن فيه البياقة من العائلة المالكة .
وقصاص السارق غرامة ست بقرات او ما هو بثمنها فاذا لم يقدمها حبس الى
ان يفتديه أهله . وقصاص القاتل القتل اذا كان القتل عمداً والا فدفن الدية
مئة بقرة اذا كان من البقاوة او مئة بعير اذا كان من الأباله . وأما الزاني فإن
زنى بمحصنة فغرامته ٦ بقرات او بأثم فبقرة واحدة او ببكر فكل منها
يغرم بقرة . وقصاص الضارب فإن كان في الضرب جرح فغرامة ثوب من
الدمور وإن لم يكن جرح فنصف ثوب وهكذا جزاء الشاتم . وقصاص شارب
الخمرة الجلد ثمانين جلدة وكسر أواني الخمرة في بيته ومع ذلك فهم لا ينقطعون
عن تعاطي الخمرة لأنهم مولعون بشربها . حتي ان رجلاً من اهل دارفور طاب
له شرب « المريسة » حتى لم يمكنه الانقطاع عنها مع تكرار وقوع الحد عليه
فخفر له غاراً تحت الارض وسقفه سقفاً متيناً وجعل له باباً ضيقاً وصار كلما
أحب شرب المريسة ينزل الى الغار فيشرب حتى يسكر ثم يصعد على سطح
الارض ويبقي على ذلك حتى سمع حاكم البلدة به فباغته في الغار وهو يشرب



فقال الرجل لا حكم عليّ هنا فان الحكم لكم على ظاهر الارض اما الحكم في باطن الارض فله . واذا حصل حريق في الصحراء في العشب الذي ترعاه المواشي غرمت أقرب بلدة الى الحريقة على حساب بقرة لكل طول درقة وذلك سواء كانت الحريقة من اهل تلك البلدة أم من طاريء مفاجيء والمراد بتعميم هذه الغرامة منع الناس عن إحراق الزرع وتحريضهم حتى اذا ما شبت حريقة في جوارهم أسرعوا الى إطفائها في الحال لئلا تتسع فيتسع الجزاء عليهم .

وفي دارفور خرافة قديمة عند بعض المعجائز مؤداها انه لا يخصب لمن زرع الا اذا قتلن شخصا مسموماً بسم حية ولكن قانون دالي يعاقب على هذه الجريمة بأعظم عقاب وذلك بتصدير مال القتالة الى خزينة السلطنة وإحراق بيتها ثم لفها بحصير من شوك وضربها بالعصي الى ان تموت .

اما محصول « الدالي » فنصفه للسلطان والنصف الباقي لأصحاب الحواكير والمقاديم والشراتي على نسبة معلومة .

دخل السلطان وخرجه : اما دخل السلطان الذي كان ينفق منه على بيته وأخصائه وجنوده فالعشور والقطرة من الحضر ، والزكاة من البادية ، وعشور البضائع من التجار ، ونصيبه من قانون دالي ، والضرائب على التجار والحدادين « والنفوس » ، ومن الهدايا التي كانت تأتيه من الحكام وأصحاب الحواكير والتجار اذ لم يكن يدخل للسلام عليه احد من رعيته من موظفين وأعيان وتجار الا يهدية نفيسة تعرف « بالسلام » من الرقيق والابل والخيول والبقر والغنم والتكاكي والطرق والطاقات والذهب والفضة والعمل والسن والسن والريش .

اما دخل المقاديم والشراتي والدمالج فمن نصيبهم من محصول دالي والهدايا ومرقات اصحاب الحواكير ومن حواكيرهم الخاصة .

وكان سلاطين الفور يكرمون رجالهم الذين يصدقونهم الخدمة حتى كانوا يزوجونهم بناتهم ويمهرونهم الحواكير والعربان . وهذه هي صورة حجة حاكورة

مهرها السلطان حسين لصهره احمد بن عيسى من أعيان دارفور عند تزويجه
بأبنته الميرم فاطمة ام ادريس . ويليهما حجة « عربان » مهرم ايضاً لصهره
ثم حوّلها صهره لزوجها وأبنته :

« من حضرة امير المؤمنين وخلاصة الاكرمين خادم الشريعة والدين الواثق
برب العالمين سيدنا ومولانا السلطان محمد الحسين المهدي ابن السلطان محمد الفضل
على ضريحه سحائب الخير والرضوان آمين .

« الى حضرة كل من يقف على هذه الوثيقة وينظر بما فيها من الحقيقة من
الأمراء والوزراء والملوك وأبناء السلاطين والمبارم والحبوبات والقضاة والجبايين
والشرافي والمكاسين والدمالج وغيرهم من سائر اهل هذه الدولة من ذوي الشوكة .

اما بعد فالذي نصيره بشرف علمكم من قبل جاكورة « نعمة » التي كانت
سابقاً بيد الملك كرتكيه متاعاً ثم بيد الملك عبد الله كرقاش متاعاً ثم بيد
المقدم عبد العزيز متاعاً ثم بيد جدتنا الحبوبة والدة سيدنا المرحوم متاعاً
اني الآن تفضلت وأعطيت وأوهبت وصدقتها لصهرنا الحاج احمد بن عيسى
برقيقها هبة مختارة وملكتها إياها ملكاً تاماً ثم وجهت لحيازتها ابراهيم المقام
من طرف الامين صالح وأمرت المقدم عبد العزيز ان يبعث له من طرفه اجداً
يذهب معه فبعث له الملك هرون ابن الفقيه عبد الله فذهباً لتلك الحاكورة
وطافاً بها من كل الجهات وحدداها ... فهذه الارض التي شملتها هذه الحدود
أقطعتها لصهرنا الحاج احمد ابن الحاج عيسى اقطاعاً تاجراً وحوزتها حوزاً
كاملاً وملكتها ملكاً تاماً هي والرقيق التي فيها وعدته خمسون يتصرف فيها
وفي رقيقها تصرف المالك في ملكه بالزرع والتزريع والبيع والهدم والبناء
والصدقة والشراء فهي له ولذريته من بعده فلا يغيره ولا يبدله سلطان بعدي .
ثم اني تركت لها الفطرة والزكاة أعني بها الاحكام الشرعية وكذلك عفونا عن
سبلها العادية من دم كبير او صغير وفسق وهامل ونار وقوار ودرقه ولا
يتعدى عليهم ملك ولا جباي ولا مقدم ولا خدام من احد الخدامين وقد

تاريخ النوبة

تركنا ذلك اعانة لها في دينها ودنياها والله على ما نقول وكيل وحسبنا الله ونعم ، حرر ذلك سنة ١٢٦٣ هـ ١٨٤٧ م .

« من امير المؤمنين سيدنا ومولانا وأعلانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى آمين . الى كل من يقف على هذه الوثيقة وينظر ما فيها من الحقيقة . اما بعد فان ابلتنا الميرم فاطمة ام ادريس عرضت لنا مكتوب زوجها الامين الحاج احمد عيسى نظرت به بأنه أوهب لها حاكورته « نعمة » التي سبقت فأعطيتها إياها فالآن هو أوهبها لزوجته وأنا أنمت لها هبة زوجها فصارت ملكاً وحوزاً لها تتصرف فيها في ذاتها وغلاها الشرعية والعادية لها ولذريتها من بعدها . هذا جوابي ومهري لمن يعرفه تحريراً في ٧ شعبان سنة ١٢٦٩ هـ ١٥ مايو ١٨٥٣ م ، اه . وهذه حجة العربان :

« من حضرة سلطان المسلمين وخليفة سيد المرسلين سيدنا ومولانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى آمين الى كل من يقف على هذا الرسم من ولاية الامور والأمراء والوزراء والملوك والشرافي والدمالج وأبناء السلاطين والميامر والجباليين وملوك العربان والمشايخ والكراسي والخدامين ومقاديعهم وكافة اهل الدولة من الخدام . اما بعد فاني سابقاً تفضلت وأعطيت صهرنا الحاج احمد عيسى عرباً من الماهرية من جماعة الشيخ دلم وأسماؤهم عبد النعم ونعمان والداني واحمد وحسين وحامد وزرزار وطاهر وعجز واحد هؤلاء الرجال المذكورون كسرت عظمهم واتبعتهم لصهرنا الحاج احمد عيسى وعفوت له بجميع منافعهم وصاروا تبعاً له ولذريته والآن صهرنا المذكور أعطاهم لابنته الميرم زهرة في زينة رأسها وأعلمني به فانا أنمتها لها وقابلتها بجميع منافعهم الشرعية والعادية من الزكاة والفطرة والدم والفسق والهامل وغير ذلك ليس عليهم شوية ولا نوبة ولا خدمة جميع امرهم مقابل اتنايتنا (أي ابنة بنتنا) الميرم زهرة لا يتعرض لها فيهم معترض ولا ينازعها منازع بل صاروا عرباً لها ورعاتها لها ولذريتها من بعدها هذا جوابي ومشراطي ومهري لمن يعرفه تحريراً في عام ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م . »

اختتام السلاطين : وكان سلاطين الفور يختمون كتبهم من أعلاها بختم كبير على شكل دائرة قطرها نحو اربعة قرايط وهي منقوشة سطوراً مستوية بين كل سطر وسطر خط دقيق او خطين يضع فيها اسمه وأسماء البعض من أجداده على قدر ما يسع الختم الا انه لا بد من إنهاء النسب بالسلطان سليمان جدهم الاعلى ومؤسس سلطنتهم وقد يكون حول السطور سطراً في دائرة مكتوب فيه آية من القرآن .

صرّة الحرمين : وكانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الارض كلها لا تدفع جزية لأحد. ما عدا الحرمين الشريفين فانها كانت تخدعها بمحمل وصرّة كل سنة فكان موكب الحمل يأتي الى مصر ومعه الريش والسن والصمغ وغيرها من خيرات البلاد فيبيعها ويتم بثمنها نقود الصرة ثم يستطرد الحج الى الحرمين مع الركب المصري .

منزل السلطان ابراهيم : وكان منزل السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور قائماً على شاطئ خور تـنـدـلـي الشمالي وهو منزل متسع له سور من الطوب الاحمر يحيطه نحو ثلاثة اميال وعلوه نحو عشرين قدماً وحول السور على عشرة امتار منه زريبة من شوك. وللور بابان كبيران باب للشمال وهو باب الرجال وباب للجنوب وهو باب الحريم ومنزل السلطان في الوسط. ومن كل باب منها الى منزل السلطان سبعة ابواب تفتح شرقاً وغرباً أي انها على زاوية قائمة من البابين الكبيرين وهي عبارة عن شباك من العيدان تصل ما بين أطراف جدران متوازية مبنية داخل السور . وعند كل باب منازل للضباط بهيئة القضاة او الرواكيب . اما منازل السلطان فكلها مبنية بالطوب الاحمر غرفاً مستوية السطوح وغرف منامه وجالوسه مكسوة جدرانها وسقوفها بالجوخ الملوّن منها غرفة معدة لجلوسه مع الخاصة تسمى « التيرمه » وله غرفة معدة لاستقبال العامة عند الباب الرابع من ابواب الرجال تسمى « كالا » وكان سلاطين الفور يقتنون من النساء عشرات. اربع منهن شرعيات والباقيات غنيات .

لباس السلطان : وكان لباس السلطان قيصاً مقصباً فوقه برنس مقصب يحمله شل من الكشمير وعلى رأسه تاج مزركش بالذهب تحف به سبع ريشات رقيقة من الذهب والفضة على شكل الامواس وفي رجله حذاء من السختيان الاسلامبولي الاصفر او الاحمر وعلى جنبه الأيسر سيف محدب على بالذهب .

جلوس السلطان : وكان جلوسه في « التيرمه » على عتكريب او سجادة في الارض وعن يمينه غدة من قطن . وفي الراكوبة « كالا » على دكة عالية من الطين مفروشة بالسجاد . واذا جلس على « الككر » او كرسي السلطنة لمبايعة الناس له حمل في يده اليمنى صولجاناً وهو عصا طويلة ملبسة بالفضة المحلاة بالذهب وفي يده اليسرى سيف مستقيم وعلى جنبه الأيسر سيف محدب فيبايعة اهل الحل والعقد ليلاً وفي الصباح يبايعه العامة وهذه هي صورة المبايعة : « بايعتك على السمع والطاعة الامر أمرك والنهي نهيك على السنة والكتاب .

مقابلة السلطان : وكان القاصدون باب السلطان يأتون باب الراكوبة « كالا » ويستأذنون في الدخول عليه فلما ان يدعوم الى التيرمه او يخرج فيقابلهم في الراكوبة « كالا » وكان الداخل عليه يخلع نعليه وطاقيته وسلاحه خارج الباب ويتقدم حتى يكون على عشرين متراً منه فيلقي بنفسه الى الارض ويحبو على الركب والأيدي كالسحفاة الى ان يكون على بعد اربعة امتار منه فيقف جاثياً على ركبتيه منكس الرأس ويدعو للسلطان وهو يهد الارض بكفيه يميناً وشمالاً ويقول : « أطال الله بقاءك وسترك الله ونصرك على أعدائك ولا أراك سوءاً ولا مكروهماً أبد الدهر » ثم بشرع في الكلام الذي جاء لأجله . وكل من دخل على السلطان ولو انه أخوه لزمه مثل ذلك الا العلماء وملوك الفراتيت فان لكل فريق منهم آداب خاصة .

اما العلماء فان الداخل منهم على السلطان يحني رأسه الى ان يكون على اربعة امتار منه فيجلس على الارض جلسة المصلي ثم يرفع كفيه فيرفع السلطان

كفيه ايضاً ويقرآن الفاتحة معاً ثم يأخذ العالم في الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه والسلطان يؤمن على دعائه الى ان يتم الدعاء . وأما ملوك الفرائيت فالداخل منهم على السلطان يلقي بنفسه الى الارض وهو على ٢٠ متراً ثم يدنو منه متدحرجاً كأنه جذع شجرة حتى يصير على اربعة امتار منه فيستوي جالساً ويدعو للسلطان وهو يصفق بكفيه ثم يشرع في الكلام الذي جاء لأجله .

ركوب السلطان الى الجامع : وكان في الفاتر جامع فخيم على نحو فرسخ من منزل السلطان والسلطان يخرج اليه بموكب حافل كل يوم جمعة لأداء صلاة الظهر فكان الفرسان يجتمعون عند باب الزريبة صفوفاً عن جانبي الطريق وأمامهم المشاة حاملين النابيت ينتظرون خروج السلطان من منزله . وقبل الظهر بساعتين يركب السلطان جواداً مزركش المدة عند باب التيرمه فترفع الامباية صوتها اشعاراً للمساكر بأن السلطان قد ركب فيتجهضون لاستقباله . ثم يخرج اليهم وأمامه المساكر الحاملة الاسلحة النارية مشاة ومن ورائه الحصيان راكبين الخيول وبينه وبين الحصيان بعض الجياد بسروج الرهط كاملة المدة يقودها السياس خلفهم صفاً واحداً وعن جانبي السلطان نفر من المشاة يتناوبون حمل مظلة واسعة تظله وتظلل جواده وهي مصنوعة من نسيج متين مطرز بالقصب ومنبطنه بأطلس مختلف الالوان كل شقة بلون تتدلى من أطرافها شراريب قصب ولها يد طويلة من خشب متين منسأة بنسيج ملون كل شبر بلون . وعند خروج السلطان من الزريبة يحياه الفرسان بهز سيفهم فوق رؤوسهم فيرد تحيتهم بهز سبعة او سوط او منديل في يده . ويسير في موكبه هذا حتى يصل الجامع فيقف الموكب خارج السور ويدخل السلطان الى غرفة معدة له عند باب السور فيخلع ثياب الملك ويلبس لباس الصلاة وهو جبة بيضاء وعلى رأسه عمامة بيضاء فوق مكايه من الحرير يغطيها ثوب من الشاش الابيض الرقيق على هيئة الخطيب ثم يقف للصلاة في غرفة خاصة به لها نافذة تشرف على الإمام وبعد انتهاء الصلاة يرجع الى الغرفة التي عند باب السور فيخلع لباس الصلاة ويلبس لباس الملك ويعود بالموكب الى منزله .

جيش السلطنة : هذا ولم يكن عند سلاطين الفور جيش منظم حتى كف بصر السلطان حسين فنظم جيشاً من عبيده وسلّحهم بالبنادق المعروفة بأبي روحين وجعل عليهم عبداً يُقال له « خير قريب » قومنداناً وبقي هذا الجيش الى زمن السلطان ابراهيم فحارب به الزبير باشا على ما تقدم . وكان سلاطين الفور الذين تقدموا السلطان حسيناً اذا أرادوا جمع الرجال للحرب أصدروا أمرهم الى المقاديم فبعث هؤلاء بالأمر الى الشراقي ومشايخ البادية فجمعوا عدداً معلوماً من الرجال على نسبة عدد بلادهم حتى اذا ما اجتمع العدد المطلوب ساقهم المقاديم بأنفسهم الى ساحة الحرب .

تجليد النحاس : وكان سلاطين الفور يجلدون النحاس « المنصورة » الذي غنموه من العابدلاب مرة في كل سنة . ويحتفلون بتجليده احتفالاً عظيماً يجتمع اليه موظفو البلاد وأعيانها فيأتون بثور وخروف أبلقين يفتقونها من قطيع يربونه في جبل مرة لهذه الغاية ويدبحونها ويجلدون يجلدها النحاس المذكور .

اختبار أولاد السلاطين : ثم يأخذون فخذاً من الثور وفخذاً من الخروف ويتركونها حتى يلتئما ثم يطبخونها بشطة وملح كثير ويضعونها في قدح في غرفة منفردة ثم يؤتى بأولاد السلاطين فيدخلون واحداً واحداً الى قدح الطعام الذي يحيط به الحرس من عبيد السلطان ويبد كل منهم نبثوت كبير وكلما دخل واحد أكل ثلثة من الطعام فاذا لم يسعل من شدة نتانة اللحم وكثرة بهاراته لم يتعرض له احد بسوء بل سألوه ان يفسل يديه وينصرف واذا سعل اتهم بأنه خائن متعمد الغدر وأرسل في الحال الى جبل مرة حيث يبقى في السجن الى ان يمضى عنه او يتولى سلطان آخر فيخرجه من سجنه .

كسر الضلع : ويأخذون ضلعاً من أضلاع الثور ويحكونها حتى تصير رخصة جداً قابلة للكسر فيأتي السلطان الى بيت النحاس بموكب خاص ماشياً على قدميه ووراءه كبيرة اخواته ومن ورائها جمهور من الجوارى اللباسات . أبهى الحلي والحلل ومن خلفهن وعن جانبيهن الخصيان حاملين السياط والسلطنة

نفسه مكوم بقطعة شاش يمسك طرفيها من خلفه كبير أمنائه ويمشي الهويناء حتى يصل مكان النحاس فيأخذ الضلع التي أعدت له ويضرب بها النحاس فإذا انكسرت عدوا انكسارها نصراً وسلاماً وزغرد التساء وضرب النحاس وإلا أوجس الكل شراً وخافوا سوء المصير :

العرضة وموكب السلطان : وبعد كسر الضلع يخرج مناد من قبل السلطان للاستعداد للعرضة فيجتمع الكل مشاة وفرساناً حلقة كبيرة في ساحة السوق امام منزل السلطان ثم يخرج ملك النحاس يحنده محيطاً بنحاسات الفور السبع محمولة على سبعة جمال وفي مقدمتها « المنصورة » التي غنموها من المابدلاب ثم « البيضاء » التي غنموها من آدم سلطان ودّاي ثم نحاسات فور الخمس القديمة فيخترق الحلقة بموكبه حتى ينصفها فيقف متجهاً نحو الشرق. ثم يأتي السلطان بموكبه الخاص وهو راكب جواده ويقف مقابل ملك النحاس متجهاً نحو الغرب وبينهما فسحة كافية لمرض الجيش . وموكب السلطان الخاص مؤلف من أولاده ووزرائه وأخته الكبرى والعلماء والقضاة فتقف اخته وراه راكبة جواداً ومن ورائها الجواربي حاملات أباريق النحاس بلا ماء وبينها وبين السلطان حلة الحراب المكسوة بالجوخ الملون ويقف أولاد السلطان عن يمينه ووزرائه عن شماله ويقف امام صفى الوزراء والأمراء صفان من العلماء والقضاة وتُرفع فوق رأس السلطان مظلة واسعة جداً تظله وجواده ومن ورائه رجлан حاملان مروحتين كبيرتين يزين حواشيها ريش النعام لحجب الشمس عن ظهره . وعن كل من جانبيه مروحة يحملها رجل يروح بها عليه . ثم يبدأ الاستعراض فيخرج الناس من الحلقة فرقاً كل فرقة يتقدمها رئيسها راكباً على جواده فيحيي السلطان بهز سيفه فوق رأسه فيرد السلطان التحية بهز سوطه ثم يرجع هذا الرئيس برجاله الى مكانه من الحلقة فيعرض الرئيس الذي يليه وهكذا الى تمام الحلقة . ثم يتقدم السلطان وحده الى النحاس ويدور حول الجمال التي تحمله فيهب السيف فوق كل نحاس ثم يدور من داخل الحلقة لرؤية الجند ويعود الى موكبه فتستقبله اخته وجواربها بالزراغيت ثم

يأمر فينصرف النحاس ثم يتبعهم بموكبه الى ان يدخل منزله فيتفرق الجنود الى منازلهم . وبعد ايام 'ينادي الى مثل هذه العرضة وهكذا الى سبع عرضات ثم ينصرف كل الى بلاده . وأما في زمن الحرب فيسير الجيش على الترتيب الذي مر ذكره في الكلام عن السلطان تيراب . وكانت عادة سلاطين الفور ان يضربوا النحاس في يومي الاثنين والخميس في الصباح والمساء .

العلم : وكان في دارفور مساجد جمة في كل بلدة مسجد او اكثر يعلم بها الكتابة والقرآن وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلي به الصلوات الخمس وفي لصفه خلوات للمجاورين يعلم بها العلوم الشرعية وله « حاكورة » هبة من السلطان يعيش هو وتلامذته من ريعها . وكان بعضهم يحيى الى مصر لتلقي العلوم في الازهر ولهم فيه رواق معروف برواق دارفور الى اليوم .

الجوامع : اما الجوامع فكان لهم في كل بلدة شهيرة جامع إلا الفاشر ففيها جامعان جامع بناء السلطان عبد الرحمن عند بنائه الفاشر فحسنته السلاطين الدين خلفوه وهو في القسم الشمالي من البلدة مسيرة ساعة من بيت السلطان . وجامع بنته اخت السلطان حسين في القسم الجنوبي من الفاشر . وكوبي ففيها ايضاً جامعان جامع القاضي احمد ود طاهما من اهل كوبي وجامع الفقيه سعد العالم من اهل الخبير علي .

الزراعة والصناعة : وأهم زراعة دارفور الدخن يزرع على المطر . وفيها من أرباب الصنائع الحدادون والتجارون والحماكة والدباغون لقضاء حاجاتها كما في بلاد سنار .

التجارة : وكان لها تجارة مهمة مع كردوفان وبحر الغزال ووداي ومصر وكان يرد منها الى مصر من ١٠ : ١٥ الف جبل تحمل الرقيق والسن والريش والصمغ والتمر الهندي والنحاس والنطرون وحبة العين والجلود والأقداح الخشبية والأطباق والعسل فتعود الى دارفور ومعها من الانسجة القطنية

والحريرية الدبلان والشيت والحام والجوخ والاطلس والملايات الحجازية والبنادق والسيوف والسروج وأنواع الحلى الذهبية والفضة والمرجان والسوميت وغيره من أنواع الخرز المطلوب عندهم .

وكانت العملة الرائجة قطع مختلفة من الدومور ثم راج بعد الفتح المصري السودان المقاطع المصرية من الحام المصبوغ المار ذكرها وراج في كردوفان ايضاً قطع دقيقة من الحديد على أشباه المسامير الكبيرة تسمى الحشاشات .

الامير علي دينار : هذا ما تيسر لي استقصاؤه عن حال سلطنة الفور القديمة قبل دخولها في حوزة مصر تلقيت أكثره عن الشيخ الطيب محمد بن المار ذكره . ويقال انها الآن تسير على مثال هذا النمط في عهد أميرها الحالي الامير علي دينار ابن الامير زكريا ابن السلطان محمد الفضل الذي يحكمها على جزية سنوية يدفعها لحكومة السودان كما أشرنا آنفاً .

منشور السلطان ابراهيم عند توليه الملك : وقد عثرتُ على كتاب أرسله السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور الى الجهات يذيع فيه نعي ابيه السلطان حسين وتوليه الملك بعده وهو :

نقش خاتمه في أعلى الكتاب :

ملك أمير المؤمنين السلطان ابراهيم ، ابن السلطان حسين ، ابن السلطان محمد الفضل ، ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد ، ابن السلطان احمد بكر ، ابن السلطان موسى ، ابن السلطان سليمان صاحب البر والاحسان . يوم الاحد اثنين وعشرين صفر الحير سنة ١٢٩٠ هـ .

صورة الكتاب :

من حضرة من أثار به البلاد وأزال به الفساد سيدنا ومولانا السلطان ابراهيم المعتم باله تعالى آمين . الى حضرة محمود والامام احمد طه وكافة

الجلابة تجار كوبي وحواليها . اما بعد فالذي نعرفكم به آجرنا الله وإياكم في
 مصيبة سيدكم والدنا المرحوم السلطان محمد الحسين توفي الى رحمة الله وأنا توليت
 الملك بضعى الاحد اثنين وعشرين من شهر صفر سنة ١٢٩٠ هـ تعلموا به وربنا
 يلزمنا وإياكم الصبر الجميل .



ختم السلطان حسين



ختم السلطان يوسف سلطان ودادي



أجناس الايتوبيين على الآثار المصرية

انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

الجزء الثالث

في

تاريخ السودان

الحديث

(وفيه خمسة أبواب)

THE MODERN HISTORY OF THE SUDAN

الباب الأول

في

تاريخ الفتح المصري للسودان

منذ فتح سنار إلى قيام الثورة المهدية في السودان

سنة ١٢٣٦ : ١٢٩٨ هـ — ١٨٢١ : ١٨٨١ م

الفصل الأول

في

حملة اسماعيل باشا على سنار

سنة ١٨٢٠ : ١٨٢٣ م

وفيها فتح دنقلة وبربر والخرطوم وسنار وقاروغلي

أسباب الفتح : تقدم لنا ذكر الفوضى التي صارت اليها مملكة سنار بشقاق ملوكها بعضهم لبعض واستفحال وزراء الهمج الذين استأثروا بالسلطة وخلصوا سلطة القونج . وكانت مصر في هذه الأثناء قد آلت الى البطل العظيم المغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية الفخيمة فبلغه خبر سنار من التجار المصريين المترددين اليها . وجاءه الملك نصر الدين ملك الميرقاب ببربر فشرح له حال سنار وما صارت اليه من الضعف والانحلال وهون عليه أمر افتتاحها . وجاءه ايضاً رجل من عائلة الزبير المالكة في ارقو وأخبره بحال دنقلة وعيث الممالك فيها . وكان محمد علي باشا يود افتتاح سنار والاستيلاء عليها لأسباب جمة منها :

اولاً : الاستيلاء على مناجم الذهب في سنار التي طبقت شهرتها الآفاق وكثرت فيها الأقاويل والقصص الموضوعة ولا سيما في مدينة القاهرة .

ثانياً : امداد جيشه برجال من السود الذين اشتهروا منذ ايام الفراعنة بصلاحياتهم للجندية وشدة بأسهم في الحروب .

ثالثاً : استئصال شافة الممالك الذين بقيت منهم بقية في دنقلة كما مر .

رابعاً : توسيع ابواب الرزق لأنصاره الاتراك والارناؤط والمفساربة الذين قهر بهم الممالك في مصر والنوهابية في بلاد العرب خصوصاً وقد اصبحوا بعد حرب الوهابية مصدر تعب له لأنه أراد ان ينظم جنده على مثال جند بونابارت فلم يوافقوه على ذلك واعتبروا عمله بدعة ولم يرد قهرهم لأنهم هم الذين شدوا ازره وساعدوه على تثبيت قدمه في مصر فأراد ان يرسل بهم الى سنار ليستريح من أتعابهم من جهة وينال بهم مطعمه بالفتح من جهة اخرى .

خامساً : اكتشاف منابع النيل لنفع العلم والزراعة المصرية .

سادساً : توسيع نطاق التجارة المصرية والانتفاع بموارد التجارة السودانية . وكانت علائق السودان بمصر في ذلك الحين ضعيفة جداً اذ لم يكن يقصده من التجار إلا المخاطرون من اهل الصعيد من طرق دراو واسوان وكورسكو ويكثفون في خطر دائم هم وأموالهم لأنه فضلا عن مشقة هذه الطرق وأخطارها الطبيعية كان الخبراء يحكون بهم بحسب أهوائهم فلربما أوصلوهم الى نصف الطريق وطلبوا حواناً فوق الاجرة المتفق عليها فاذا لم يدفعوا لهم الحوان تركوهم ليزلوا او يموتوا جوعاً او عطشاً . وكان التجار اذا وصلوا بلاد النيل سالمين نزلوا في حى ملك من ملوك البلاد او شيخ من مشايخها وعرضوا عليه بضاعتهم فاذا أعجبته وكان طالهم سعيداً رضي المضيف عنهم وعوضهم من تجارتهم شيئاً من الذهب وسن الفيل وريش النعام وإلا استصدر تجارتهم وطردم من بلاده او أمر بسجنهم وتعذيبهم .

فلهذه الاسباب كلها وبالنظر لما طبع عليه محمد علي باشا من حب الحرب والفتوح وشدة الرغبة في توسيع نطاق بلاده أقر على اغتنام الفرصة والاقدام على فتح سنار .

وقد محمد علي باشا الى سنار : وتمهيداً لذلك، أرسل سنة ١٨١٢ م وفداً الى ملك سنار وقصده في الظاهر تحريض الملك على طرد المماليك الذين لجأوا اليه من مصر وفي الباطن الاستطلاع على أحوال بلاده وما يلزم من الجيوش لفتحها . وقد أرسل اليه هدايا فاخرة فقدرت قيمتها بنحو ٤ آلاف ريال من شالات كشمير وأنسجة حريرية وأسلحة ونحوها. فأرسل اليه ملك سنار أربع جوارٍ وبضعة جلود غمر وقط زباد وقردين وأسداً صغيراً (مات في الطريق) وكلها لا تساوي في سنار ثمانين ريالاً . فلم يُسرَّ محمد علي بالهدية ولكنه «سَرَّ» بتقرير الوفد الذي قوَّى عزمه على فتح سنار .

اكتشاف الصحراء الشرقية : وفي أثناء ذلك أرسل الموسيو فرديريك كايو العالم الفرنسي الشهير الى الصحراء الشرقية لاكتشاف معادن الزمرد والذهب التي دلت التواريخ العربية على وجودها فيها فقام الموسيو كايو من الرديسية من اعمال اسنا في ٢ نوفمبر سنة ١٨١٦ م وبعد مسيرة ستة ايام وصل الى جبل زبارة فوجد فيه كهوفاً قديمة وحفائر ودهاليز وآلات شق وآثاراً تدل على استخراج المعادن من هذا الجبل وعلى انقطاع العمل فيه فجأة فالتقط من هناك بعض قطع الزمرد فقويت بها آمال محمد علي فبعث به ثانياً الى ذلك الجبل وأصعبه نفراً من الاروام والارفاوط فقام من القاهرة في ٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ م وعاد بعد قليل بلا فائدة ولكنه فصل جغرافية تلك البلاد وأخبار سكانها العباددة وقد عثر على أطلال مدينة خاوية على عروشها وعين موقع مدينة بيرنيس القديمة المعروفة الآن برأس بناس .

الحملة على سنار : ولما أتمَّ محمد علي باشا استعداداته جهز جيشاً مؤلفاً من ٤ آلاف مقاتل وعقد لواءه لابنه اسماعيل باشا وأمره بفتح سنار وهذا تفصيل الجيش : ١٢٠٠ فارس من الاتراك والارفاوط والمغاربة بقيادة عابدين بك والحاج عمر وعمر كاشف مع كل منهم ٤٠٠ فارس . و ٤٠٠ فارسي و ٨٠٠ راجل من البدو والمغاربة . و ٦٠٠ راجل من الاتراك و ٣٠٠ راجل من

الطوبجية ومعهم ٢٤ مدفعاً نجرة ٤ بقيادة محمد أغا . و ٧٠٠ رجل من العباددة بقيادة خليل وداود كاشف انضموا اليه في اسوان . وصحب الجيش نحو ألفي نفر من التبغ منهم ٢٠ مملوكاً حرس اسماعيل باشا الخصوصي مع ٣٠٠٠ رجل و ٣٠٠٠ مركب لحمل الزاد والمؤونة والذخائر . وصحب الجيش ايضاً ثلاثة من نخبة العلماء وهم : القاضي محمد الاسيوطي والحنفي والسيد احمد البقلي الشافعي والشيخ السلاوي المغربي المالكي ووهب كلا منهم خلعة سنية و ١٥ كيساً وأوصاهم ان يحثوا اهل البلاد على الطاعة بلا حرب بحجة انهم مسلمون وان الخضوع لجلالة السلطان امير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب ديني .

فتح دنقلة سنة ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠ م :

وسار الجيش من القاهرة بالبر الغربي والنيل في أوائل يوليو سنة ١٨٢٠ م ولحق به اسماعيل باشا مع اركان حربه في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ فأدركه في اسوان فأقاموا هناك برهة ريثما اجتازت المراكب الشلال الاول .

ثم دخلوا بلاد النوبة وكان الحاكم عليها في الدرّ حسين كاشف فجمع رجاله بقصد مقاومة اسماعيل باشا فلم يوافق اخوه حسن على ذلك ففرّ بعبيده الى كردوفان فولّى اسماعيل باشا حسناً على البلاد التي بين اسوان وحلفا وتقدم الى حلفا فأقام فيها نحو ٢٠ يوماً حتى اجتازت المراكب الشلال الثاني .

ثم استطرد السير جنوباً في بلاد سكوت وكان فيها الكاشف حسن وردي متحصناً في قلعة جزيرة ساي ومعه بضع مئة رجل من المييد والاعوان مسلحين بالبنادق وبعض المدافع فجاء الى اسماعيل باشا مسلماً فأقرّه في مركزه ولكنه ما لبث ان عصي الناظر الذي أقيم في سكوت من قبل اسماعيل باشا وقتل بعض رجاله فأرسلت الحكومة المصرية عسكرياً فحاصروه في القلعة ثم اغتصموا القلعة بالبارود وقتلوه وشتتوا شمل رجاله ومن ذلك الوقت هدت البلاد ولم يعد يُسمع فيها صوت حرب حتى كانت المهديّة سنة ١٨٨٥ م كما سيجيء .

وتقدم اسماعيل باشا الى المحس فتلصاه حاكمها الملك صبير في دلقو طائعا فأمته وأقره في مكانه . ثم تقدم الى ارقو فوجد فيها الملك طنبلا من عائلة الزبير حاكما فأمته وثبته على كرسيه .

وكان في مرآغة الى جنوبي ارقو ثمانون رجلا من المماليك فأتاه عشرون منهم مسلمين وفرّ الباقون الى شندي فسلموا هناك .

واقعة الشايقية في ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ : سار اسماعيل باشا في دنقلة لا يعارضه معارض بل كان ملوك البلاد ومشايخها يتلقونه بالطاعة والامثال وهو يؤمنهم ويقرهم على أماكنهم الى ان دخل بلاد الشايقية فرآهم قد تجمعوا لقتاله في كورتي مشاة وركبانا . وكان على الشايقية اذ ذاك ثلاثة ملوك : الملك صبير كبير الختيكاب وحده بين العفاض وحنك ومركزه حنك حيث ابنى له قلعة متينة من الحجارة وجعل فيها المزاغل ، والملك جاويش كبير العادلاناب وحده من حنك الى مروى ومركزه مروى وله قلعة حصينة في كجبي ، والملك عمر كبير العمراب وحده من مروى الى بلاد المناصير وأكبرهم الملك جاويش . ولم يكن مع اسماعيل باشا اذ ذاك الا فرقتان من الفرسان فيها ٨٠٠ فارس مسلحين بالبنادق وهما فرقنا عابدين بك وعمر بك لأن المراكب تأخرت في الشلالات فتأخر الجيش معها ولم تكن هذه القوة كافية لأن تكفل له النصر ولكنه لم يعد يمكنه الرجوع فأرسل للشايقية رسلا يدعوهم الى الطاعة ويقول ما مفاده : « ان أبي يرغب اليكم ان تسلموا سلاحكم وخيولكم وقركو الحرب وتؤدوا الجزية » فأجابه الشايقية : « اما الجزية فنؤديها بلا حرب وأما خيولنا وسلاحنا فما نسلمها الا بالحرب لعنا نفوز وتبقى لنا » فأقر اسماعيل باشا اذ ذاك على حربهم وأرسل مئة فارس لكشف خبرهم فأحاط فرسان الشايقية بهم إحاطة السوار بالمعصم وانقضوا عليهم انقضاض البسور فقتلوا منهم ٧٥ رجلا وأفلت الباقون وفيهم عشرون جريحا الى اسماعيل باشا فلما رآهم طار صوابه ولم يعد له صبر حتى يأتيه المدد من الورا . ففي عصر ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ قاد فرسانه وقصد الشايقية فوجدهم قد تجمعوا في

حلة قرب كورتي تعرف بأم بقر وفيهم نحو ألف فارس و ٢٥٠٠ راجل بينهم بعض النوبة الذين أرغموا على الانضمام اليهم وكلهم مسلحون بالسيوف واخراب إلا رؤوسهم فانهم كانوا متدرعين ومتسلحين بالبنادق والسيوف والدرق .

وكان في جيش الشايقية مهيرة بنت الشيخ عبود شيخ بادية السواراب فلما رأت جيش اسماعيل باشا مقبلاً امتطت هجينها وصاحت بقومها : هيا بنا للدفاع عن استقلالنا وبلادنا ، ثم زجرت هجينها ودفعته في وجه عساكر الامير فكرر الشايقية وراها بقلب واحد مستقتلين فتلقاهم العساكر بنار حامية وجرى قتال شديد حارب فيه الفريقان حرب الابطال مدة ٣ ساعات متوالية ولكن دارت الدائرة على الشايقية فكان مشاتهم يقتحمون النيران وهم يظنون انها لا تقصر بهم لأنهم لبسوا الأحجية فقتل منهم ٨٠٠ رجل وأما فرسانهم فقد ألجئتهم ظلمة الليل فلم يقتل منهم سوى ١٥ فارساً . وأما عساكر الامير فقد قتل منهم ٣٠ رجلاً وجرح اثنان . وبعد الواقعة وزع اسماعيل باشا منشوراً في البلاد مآله ان كل من يأتي مسلماً وسلم ومن لم يأت يعد عدواً ويحرق بيته ثم تقدم الى كورتي فأحرقها وتزل فيها ينتظر المدد فأثاه مئتا رجل من مشاته وفرسانه ومعها مدفعان وكان الشايقية قد اجتازوا النيل الى البر الشرقي وتحصنوا في طابيتي حنك وكجي فاجتاز اسماعيل باشا النيل وطردم منها فالتجأوا الى قلعة حصينة في جبل الدقر فتبعمهم اليها ورمام بقنابل المدافع فخرجوا منها منهزمين فتبعمهم فرسانه قتلاً وأسراً قتل وكافوا كلهم أسروا رجلاً قطعوا اذنيه تشويهاً له وأسروا بنتاً للملك صبير تسمى صفية فأكرمها اسماعيل باشا وردّها الى أبيها فلما رأى منه هذه المكرمة أثاه مسلماً طائماً وسلم بعده الملك عمر اما الملك جاويش ففرّ بمئتي رجل الى المتمة فسلم هناك .

فتح بربر سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م

وبقي اسماعيل باشا في كورتي الى ان تكامل جيشه ودبر ما يلزمه من

الجمال للنقل فقام في ٢١ فبراير سنة ١٨٢١ الى كركبان وهناك قسم جيشه الى ثلاث فرق فذهبت فرقة بالمرالكب وفرقة بالبر مقابلها حماية لها وكان بين المراكب ١٢٠ مركباً لا يمكن عبورها اكبر حجمها فأبقاها في كورتى بحماية بعض العساكر المغاربة وسار هو بالفرقة الثالثة وهم السواري والطوبجية بطريق الصحراء فوصل النيل عند الباقير في ٢٨ فبراير سنة ١٨٢١ م ولم ينتظر الفرقتين الآخرين بل استطرد السير جنوباً فوصل الغبش تجاه بربر في ٥ مارس سنة ١٨٢١ فقابله ملكها نصر الدين ملك الميرقاب المار ذكره بالترحاب وهناك بالنصر على الشايقية فأقره على بربر وأرجع عابدين بك ببعض العساكر الى دنقلة ليحكمها ويمجّل في ترحيل المؤن والذخائر . وفي ٢٢ مارس سنة ١٨٢١ جاءه الملك نمر ملك شندي طائماً فأمنه وكساه وأقره على بلاده . وجاءه الكبابيش والحسانية والبشاريين من اهل البادية مقدمين الطاعة فسأهم تقديم الجمل للحملة ولما لم يجيبوه ارسل عساكره فأخذوا الجمل منهم بالقوة . ثم سار الى المتمة فوصلها في ٩ مايو سنة ١٨٢١ فأثاه الملك مساعد مسلماً . وفي ١٥ من الشهر المذكور أثاره الملك جاويش مسلماً مع المتي رجل الذين قرّ بهم من دار الشايقية وطلب اليه ان يرافقه برجاله الى سنار فقبله اسماعيل باشا وكساه وعينه على ١٤٠ من رجاله وعين كلا من الشيخ الازيرق والشيخ عبود شيخ بادية السوارب على خمسين رجلاً وربط لهم مرتبات معينة . وكان هذا اول دخول الشايقية الباشبورق في جيش الحكومة المصرية بالسودان وقد بقوا فيه الى قيام الثورة المهدية كما سيجيء . وفي اليوم الذي سلم به الملك جاويش سار اسماعيل باشا بالجيش والشايقية وملكي السعداب الملك نمر والملك مساعد حتى وصل تجاه الحلفاية في ٢٥ مايو سنة ١٨٢١ فقابله الشيخ ناصر ود الامين كبير العابدلاب مقدماً له الطاعة فأمنه وكساه كسوة فاخرة وتركه في بلده لأنه كان منحرف الصحة وأخذ ابنه الامين رهينة وتقدم بالجيش الى ام درمان .

فتح الخرطوم سنة ١٢٣٦ ١٨٢١ م

وفي ٢٨ مايو سنة ١٨٢١ شرع العساكر في اجتياز النيل الى الخرطوم ولم يكن لديهم إلا مراكب قليلة فبقوا في ذلك ثلاثة أيام وقد اجتاز الكثير منهم النيل سباحة ماسكين بأذئاب الخيل وكان جملة الجيش الذي اجتاز من ام درمان ٥٥٠٠ رجل و ٣٠٠٠ جل وجواد ففرق منهم ٣٠ رجلاً و ١٥٠ جلاً وجواداً . وفي الخرطوم قابله الفقيه محمد علي خليفة الفقيه الارباب فأمنه وأكرمه .

فتح سنار سنة ١٢٣٦ ١٨٢١ م

وقام من الخرطوم في ١ يونيو سنة ١٨٢١ قاصداً سنار وعليها اذ ذاك الملك بادي من الفونج أما القوة والسلطة فكانتا بيد وزيره محمد عدلان من الهمج كما مر .

وكان اسماعيل باشا عند وصوله الى المتمة أرسل الى الملك بادي كتاباً يدعو الى الطاعة فكتب اليه محمد عدلان في الجواب كتاباً مشهوراً يحفظ أهل سنار منه الى اليوم هذه الجملة التي مرّ شهبها في كتاب السلطان محمد الفضل الى محمد علي باشا وهي : « لا يفرّئك انتصارك على الجميلين والشاقيّة فنحن الملوك وهم الرعية . أما بلغك ان سنار محرومة بحمية بصوارم قواطع مندية وخبول جرد أدمية ورجال صابرين على القتال بكرة وعشية ، . وقال الرسل ان عند ملك سنار من ٨ آلاف الى ١٠ آلاف مقاتل ما عدا سبعة مدافع من الطراز القديم ٤ ونمرة ٦ أتى بها المالك من مصر .

وكان محمد عدلان فارساً مقدّماً ذا عزم وتدبير ولو بقي حياً لأتعب اسماعيل باشا ولم يملكه من سنار بالسهل ولكن من سعد اسماعيل باشا حدث ما ذهب بحياة محمد عدلان قبل وصوله الى سنار بأيام قليلة وذلك ان محمد عدلان لما سمع بجملة اسماعيل باشا على سنار أخذ في جمع الالهبة لصدّه ومحاربته .

وكان من عادة ملوك سنار في حفظ الجيوش ان يخصصوا لكل رئيس من رؤساء الجيش أراضي او اقطاعات يكون منها معاشه ومعاش عساكره ولم يكن لهم مرتبات معينة من الملك ففرق محمد عدلان رؤساء جنوده على الاقطاعات وأمرهم بجمع الغلال والتهو للقتال ولم يبق معه إلا الارباب دفع الله ود احمد وقليل من المساكر . وكان لحسن ود رجب ثار على محمد عدلان لقتله أخاه محمد رجب سابع وزراء الهمج كما رأيت في تاريخ سنار فاغتنم هذه الفرصة وأوعز الى اثنين من رجاله وهما عبد الله بجيت وادريس عقيد وجماعة من حزبه فدخلوا على محمد عدلان في منزله ليلا فخرج عليهم وحاربهم بنفسه راجلا حرباً شديدة حتى كسرهم ثلاث مرات ولكنهم تغلبوا عليه أخيراً بكثرة العدد فقتلوه وقطعوه ارباً ودفنوه في منزله وكان ذلك في أواخر مايو سنة ١٨٢١م فهاج حزب محمد عدلان فاجتمعوا في ١ يونيو سنة ١٨٢١ وحاربوا حسن رجب في حلة قندال على ٣ ساعات جنوبي سنار فكان النصر لحسن ود رجب ولكن هذا النصر لم يضمن له الملك فلما سمع ان جيش اسماعيل اجتاز البحر الابيض قر من سنار بثلاثمائة رجل وبينهم قاتلا عدلان ولجأ الى جنبال فرنيس في حدود الحبشة .

أما اسماعيل باشا فانه زحف بجيشه حتى وصل ود مدني فقابله رجب ود عدلان والإرباب دفع الله احمد بالطاعة فأمنها وأخذها معه . ولما قرب من سنار خرج اليه ملكها الملك بادي طائعا وقدم له اربعة رؤوس من جياد الحبشة فكساه كسوة فاخرة وهي جبة شرف وشالا كشمير وسيف وطبنجات وجوادان مكسوآن احسن كسوه وقرره ملكا على أهله وأجرى له ولعائلته مرقبا من الدراهم والحبوب بقوا يتناولونه الى قيام الثورة المهدية في السودان . ودخل اسماعيل باشا سنار بالأبهة العسكرية في ١٢ يونيو سنة ١٨٢١م فأطلق ٢١ مدفعا احتفالا بذلك . وهناك قابله العلماء والاعيان وفي جلته الشيخ ضرار شيخ خشم البحر فتلقاهم بالبشر والإيناس وأجزل لهم العطاء ثم أمر المناادي فنادى في الناس بأن جميع القضايا التي سبقت دخوله سنار تعد ملغاة

لا يسمع فيها شكوى وإنما ينظر في القضايا التي تحدث بعد الفتح .

وكان اول ما اهتم به بعد فتح سنار القبض على حسن ود رجب في جبل فرئيس فجهز عليه الملك جاريش ورجاله الشايقية و ٤٠٠ فارس من المنارية بقيادة ديوان افندي فقتلوا الجبل المذكور وأسروه وأمسروا معه قاتلي ود عدلان بعد ان نكثوا برجاله وعادوا الى اسماعيل باشا في سنار فأمر بسجن حسن ود رجب وسلم قاتلي عدلان الى ابنيه ادريس ورجب ليقتلها بشار أبيها ففوضا أمر قتلها اليه فأمر برفعها على خازوق فراعها القتل على هذه الصورة وطلبها سيفاً يقتلان به نفسيهما فلم يُسمع لهما ولما قدما للقتل أظهر احدهما ادريس ود عقيد جزعاً وخوفاً فانتهره رفيقه بنحيت وقال له : « تشدد ومت موت الرجال » ثم أنفذ أمر اسماعيل باشا فيها وأشهرها في السوق يومين فكافا اول من رُفع على خازوق في بلاد سنار . اما حسن ود رجب فانه بقي مسجوناً مدة ثم أُطلق سراحه برضى ابني محمد عدلان اللذين سكنا جبال الفونج فلحقها اكبرهما وذريته الى هذا العهد .

وكان اسماعيل باشا لما نزل في ام درمان على ما مرّ قد كتب الى الملك ادريس الحينه ملك الجوعية يدعوه الى الطاعة فلم يجبه ثم بعد فتح سنار بلغه ان الملك المذكور أطلق يده في نهب أموال الناس فأرسل محمد سعيد افندي بجريدة من الفرسان ومعهم الشيخ رحمه ود دحالة فنزلوا عليه في منزله وقتلوه ورجعوا الى سنار وبذلك تمهدت البلاد لاسماعيل باشا من اسوان الى سنار .

وكان اول ما أجراه انه أمر بكتابة المنازل « عال ووسط ودون » ثم أحصى عدد الرقيق والماشية ولكنه لم يقرر عليها مالا ولم يطلب من اهل البلاد سوى العلف لحيوله . وتأخرت المراكب التي كانت تحمل الزاد للمساكر فأرسل السرايا شرقاً وغرباً لجمع الزاد فلم يجمعوا كفايتهم فاشتد الجوع وبقوا مدة لا يأكلون الا الذرة وهم ينامون على الارض ومات عدد كثير من الخيل والجمال ولم تدفن فأثر ذلك كله في صحة المساكر ففشت فيهم الحمى والديزنتاريا وأمراض شتى ولم يكن معهم الا عدد قليل من الأطباء فمات منهم خلق كثير

وقد بلغ عدد الوفيات فيهم يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٨٢١ نحو ١٥٠٠ نفس وكان عدد المرضى مثل ذلك ولم يبقَ في الجيش كله من له قدرة على الخدمة سوى ٥٠٠ رجل فعلت شكوى العساكر وكثر تدمرهم فسكنَ اسماعيل باشا روعهم وفي ٢٤ و ٢٧ أكتوبر وصل ٢٦ مركباً من مراكب الزاد بعد ان غرق الكثير منها في الطريق فتملأوا بها .

وفي أثناء ذلك وصل الخبر الى محمد علي باشا بفتح سنار فأرسل ابنه ابراهيم باشا لمساعدة اسماعيل باشا على تنظيم البلاد واكتشاف منابع النيل فولّج سنار في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٢١م فأطلق له ٢١ مدفعاً ترحيباً به . ثم نظر الاميران في ما يفعلانه فاتفق رأياً على ان يقسم الجيش قسمين قسماً يتولى اسماعيل باشا قيادته ويتألف من ١٥٠٠ مقاتل والملك جاويش والشيخ ضرار شيخ الكاتير فيمد فتوحاته في طريق النيل الازرق ويستطلع مناجم الذهب في بلاد شنقول وآخر يتولى ابراهيم باشا قيادته ويتألف من ١٢٠٠ مقاتل والملك بادى فيمخترق جزيرة سنار الى بلاد الدنكا ثم يمدّ فتوحاته في البحر الابيض الى أعاليه . فسار ابراهيم باشا في ٥ ديسمبر سنة ١٨٢١م قاصداً بلاد الدنكا وسار اسماعيل باشا بعده بيومين قاصداً بلاد فازوغلي وبقي ديوان افندي محافظاً ببعض الجند في سنار .

اما ابراهيم باشا فانه لم يصل جبل القربين في وسط الجزيرة حتى أصيب بالديزنتاريا فعاد الى سنار ومنها الى مصر وتولى سلاحداره طوسن بك قيادة جيشه فذهب الى الدنكا ثم الى جبل ثاني فأخذ منه ٢٠٠ عبد وعاد الى سنار .

فتح فازوغلي ١ يناير سنة ١٨٢٢ م :

أما اسماعيل باشا فانه سار بالبر الغربي قاصداً فازوغلي وبعث بخمسة من رجاله فساروا تجاهه بالبر الشرقي فقابله في الطريق رسل من الملك حسن ملك فازوغلي وقالوا ان ملكهم مسلم له فليس عليه إلا ان يحارب المحوس

وكان ذلك في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٢١. ولما كان يوم ١ يناير سنة ١٨٢٢ وكان اسماعيل باشا على بضعة أميال من فازوغلي قابله ملكها الملك حسن ومعه مئة فارس من حراسه حاملين الحراب فلما رأوا اسماعيل باشا ترجلوا جميعاً وتقدم الملك حسن فسلم عليه وقدّم له جوادين من جياد الحبشة وأما حراسه فانتظموا في صف واحد ثم جثوا على ركبهم ونكسوا حراهم علامة الخضوع. وضرب اسماعيل باشا على فازوغلي وجباها جزية قدرها ألف أقة ذهب وألفا عبد ذكر.

مناجم الذهب : ولما تمّ له هذا الفتح سار يحميه الى بني شنقول لمشاهدة مناجم الذهب وتحقيق ما سمع عنه فوصل خور «أبو» في ارض الكاميل التي فيها الذهب في ٢٠ يناير سنة ١٨٢٢ ومعه العالم الفرنسي الموسيوكايو المار ذكره فحفر في عدة أماكن من الخور فلم يعثر إلا على قطع صغيرة من التبر فغاب أمه وقفل راجعاً الى سنار فدخلها في ٤ فبراير سنة ١٨٢٣ م.

وكان ديوان افندي سعيد في مدة غياب اسماعيل باشا في فازوغلي قد فرض الضرائب على الأهلين بمساعدة المعلم حنا المباشر والإرباب دفع الله احمد فجعل على رأس الرقيق خمسة ريالات وعلى البقرة نصف ريال وعلى الشاة والحمار ربع ريال . فتثقلت هذه الضرائب على الناس لأنهم لم يتعودوها وفي أثناء ذلك شاع ان اسماعيل باشا قتل في الجبال وان جنوده قد تشتت فتجرك اهل البلاد للثورة لاسيما وان أكثرهم سلموا لاسماعيل باشا خوفاً من بطشه فبلغ اسماعيل باشا خبرهم وهو في الطريق فأسرع الى سنار وهدأ البلاد وعامل الأهلين بالحلم والعفو ولم يقتل احداً سوى ود عجيلاي . ثم لم يرض بما قرضه ديوان افندي والمباشر من الضرائب وطلب الدفاتر ليعدها فوجد ان المباشر قد أرسلها الى مصر فأرسل الشيخ سعد عبد الفتاح ليرجمها فلم يدركها فأمر بالرفق في تحصيل الضرائب .

ولما تزلت الامطار في سنار فشتت الحني في المساكر فذكر ما فعلته في معسكره سنة الفتح وذكر نصيحة الموسيوكايو له بالانتقال الى ود مدني لجود



ملك فاروغي

سنة ١٨٢١

هوائها فانتقل بمساكره اليها وبني فيها قشلاقاً كبيراً من الطوب لم تزل آثاره
باقية الى اليوم . ومات في ود مدني بعد انتقال العساكر اليها القاضي محمد
الاسيوطي الحنفي المتقدم الذكر والشيخ كرار العبادي ومحمود اغا القسطنطيني
احد سوارى المغاربة وهرب حسن ود رجب المار ذكره الى ابي شوكة .

الفصل الثاني

في

رحلة الدفتردار على كردوفان

وفيها فتح الأبيض سنة ١٨٢١ م

وكان محمد علي باشا بعد ان أرسل ابنه اساعيل لفتح سنار قد جهز جيشاً آخر وعقد لواءه لصهره محمد بيك الدفتردار وأمره بفتح كردوفان وكان جيش الدفتردار مؤلفاً من اربعة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان منهم ألف مقاتل من البدو والمغاربية ومعهم عشرة مدافع ثمرة ٤ فصار الدفتردار الى كردوفان بطريق دنقلة وأبي قسن . وكان على كردوفان المقدم مسلم من قبل سلطان درافور فلما بلغه قدوم الدفتردار خرج لقتاله من الأبيض فالتقاء في باره صباح ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ م وحدثت واقعة دموية قاتل فيها الفريقان قتالاً الابطال وكان الدفتردار والمقدم مسلم في مقدمة رجالهما يحمسانهم على الاستهلاك في الدفاع وكان رجال المقدم مسلم مسلحين بالحراش وكثيرون منهم مسلحين بالبنادق فثبتوا امام الجيش المصري طويلاً واقهوا نيرانه غير مبالين بالموت حتى انهم اخترقوا صفوفه وجرحوا كثيرين من عساكر الطوبجية فوق مدافعهم وما زالوا يكرهون ويفرون حتى قتل قائدهم مسلم قتله أحد

بادية الجيهاب فوق فيهم الفشل وانهزموا امام جيش الدفتردار فأوسعهم قتلاً وأسرأ الى ان دخل الأبيض ومهد البلاد . قيل وكان في جيش الفور فارس يقال له ابراهيم ود دير قدفع جواده على مدفع في قلب الجيش المصري فأدركه وقتل بعض الطويحية وضرب حديد المدفع بالسيف وكان السيف من الفولاذ الجيد فظهر أثر الضربة في المدفع وبقي يحارب في وسط الجيش الى ان قُتل . قيل انه قبل هجومه قال للذين حوله : « اني هاجم على هذا المدفع لأضربه بسيفي فإن عشت كان قسمي وإن مت كان سمي » وقد كان الثاني فان هذا المدفع سُمي بمدفع ود دير وبقي في الأبيض الى ان وقع بيد الدراويش فحملوه الى ام درمان .

ولما استولى الدفتردار على كردوفان أخذ في الأهمية للزحف على دارفور وكان على دارفور في ذلك الحين السلطان محمد الفضل فأرسل جيشاً بقيادة ابي الكلبيك لمحاربة الدفتردار واسترجاع الأبيض منه فالتقاء الدفتردار في « سودرة » وقهره وردّه خائباً كما مرّ في تاريخ الفور . وأبى الدفتردار ان يصحبه احد من الاوروبيين في حملته على كردوفان ليحوز الفخر كله لنفسه وكتب عدة رسائل الى القاهرة في أحوال البلاد وحاصلاتها وتجارتها ورسم خريطة لها فجاءت ساذجة بسيطة خالية من اتقان الصناعة اللازم في أيامنا . ولنرجع الآن الى سير الحوادث في سنار .

الفصل الثالث

في

غدر الملك نمر وقتل اسماعيل باشا

سنة ١٢٣٨ هـ : ١٨٢٣ م

تقدم ان اهل سنار تحركوا للثورة مدة غياب اسماعيل باشا في فازوغلي وان اسماعيل باشا أسرع الى سنار فأخذ الثورة ولكن بقيت تحت رماد وما زال بعض الرؤوس يترقبون القرص ليضرموها وكان اول من حاول ذلك رجب ود عدلان وأخوه عليّ فأرسل اسماعيل باشا ببعض العساكر فقتلوا رجباً على فراشه وأتوا اليه بعليّ أسيراً فقتله شقاً .

ثم بلغه ان الملك نمرأ ملك السعداب في شندي متحضر للقيام فجهز بعض العساكر وأرسلها في المراكب وذهب بنفسه في شهر صفر سنة ١٢٣٨ هـ أكتوبر سنة ١٨٢٣ م قاصداً شندي فوصلها في شهر ديسمبر من السنة المذكورة . وحال وصوله أمر بإحضار الملك نمر فتهدده قيل وضرب عليه جزية قدرها ألف اوقية ذهباً وألف جبل أصهب وألف ناقة منتجة وألف بقرة وألف شاة وألف عبد وألف جارية فأظهر تمام الامتثال وأخضر الغدر . ثم أولم وليمة فاخرة في منزله ودعا اليها اسماعيل باشا وعساكره فأكلوا وأكثروا من شرب

المريسة فسكروا وناموا فجمع الملك نمر عبيده وذوي قرياه وأخبرهم بمطاليب اسماعيل باشا وتهديده فأجمعوا على قتله هو وعساكره. ولما جن الليل أساطوا المنزل بالهشم وأشعلوا فيه النار فاحترقوا جميعاً واسماعيل باشا من الجملة قيل ان حاشية اسماعيل باشا لما التهبت النيران وقعوا عليه قصد رقايته منها فماتوا فوقه حرقاً اما هو فلم تحسه النار فمات خنقاً . وانتشر خبر هذه الفعلة في أقطار السودان فلشط الكثير من الرؤوس للثورة وفرّ الارباب دفع الله المار ذكره من ود مدني ونزل في حلة عبود فتجمعت عليه الجموع فشغل به محمد سعيد افندي عن الملك نمر وأرسل سرية من الفرسان لمطاردته فخرجوا من ود مدني ليلاً وأصبحوا في عبود فوجدوا الارباب دفع الله قد فرّ يجموعه فقتلوا الفقيه محمداً ولد عبد العليم خليفة ولد عبود وخربوا الحلة ونهبوا أموالها وعادوا الى ود مدني . اما الارباب دفع الله فانه فرّ الى ابي شوكة واجتمع على حسن ود رجب المار ذكره فأرسل اليها محمد سعيد افندي سرية من عساكر الدلتية والشايقية برئاسة مصطفى كاشف فقاتلها قتالاً شديداً وقتل حسن ود رجب وعمه الشيخ حسيناً وابنه محمداً وجماعة من رجاله وغنم منها غنائم ثينة ورجع الى ود مدني .

وفي أثناء ذلك بلغ الدفتردار في كردوفان خبر اسماعيل باشا فخرج من فوره بمعظم العساكر وأتى الى المتمة فوجد أهلها قد اجتمعوا جمهوراً واحداً طالبين الأمان فأمّنهم ثم وثب عليه رجل منهم فطعنه بجرية فاشتعل غيظاً وأمر بقتلهم جميعاً ولجأ بعضهم الى خلوة الفقيه احمد الرياح فأمر باحراقهم فيها . ثم عبر النيل الى شندي فوجد الملك نمرأ قد فرّ فأحرق المدينة وسار الى الحلفاية فوجدها خالية فأحرقها ايضاً واجتاز النيل الى جزيرة توتي فقتل فيها خلقاً كثيراً. ثم ذهب الى المليفون وكان أهلها قد تجمعوا لمصادمته فأحدث فيها مجزرة عظيمة وأحرق الحلة بالنار وسبى الكثير من العبيد والاحرار . ثم توجه الى ود مدني فبلغه هناك ان أهالي البحر الابيض قد شقوا المصا فأرسل حسين اغا الجوخدار فقتل وسبى ونزل على بيت الفقيه فضل الله من فريق النقاير فوجد

٧٢ رجلاً من الجمليين قد التجأوا إليه فقطع أيديهم وساقهم إلى الأسر فمات أكثرهم. ولما تمهدت بلاد النيل عاد الدفتردار إلى كردوفان ولكن لم يكن إلا القليل حتى بلغه أن الملك نمرأ عاد إلى شندي فجاءها في عامه قلباً الملك نمرأ ثانية إلى الفرار ومعه الملك المساعد وأقام بمحل في البطانة يقال له النصب فلاحق به ومعه بعض المساكر التركية والشابقية فصمد له الملك نمرأ فواقعه في واقعة شديدة وقتل من جيشه خلقاً كثيراً وفيهم الملك المساعد واضطره إلى الفرار وعاد الدفتردار بالأسرى إلى أم عروق جنوب ود مدني قيل وقد جمع الأسرى في زريبة من شوك وتركهم في الشمس لا يظللهم شيء وأجرى عليهم الماء بالجدول فمات أكثرهم من شدة الكرب ومنهم من اقتداه أهله بمال جزيل ومن بقي جعل لهم داغاً في أكفهم بين الإيham والسبابة وأرسلهم إلى محمد علي باشا في مصر فنظم العبيد منهم في جيشه وأذن للأحرار في العودة إلى بلادهم وقال «إن هذا فتح فلا غرو» إذا حصل فيه ما حصل من الجمليين، فعاد أكثرهم وأقام الباقون في القاهرة في مكان تحت القلعة يعرف بمحوش الجاموس وما زالت ذريتهم هناك إلى هذا العهد.

وكان الشيخ بشير ود عقيد الجملي المسماي هو الذي دلّ الدفتردار على زعماء الثورة من الجمليين فقربه الدفتردار وجعله رئيساً على الجمليين مكان الملك نمرأ.

الملك نمرأ وأولاده على حدود الحبشة؛ أما الملك نمرأ فإنه بعد انكساره في النصب فرّ بمن بقي معه من الاتباع قاصداً الحبشة قيل فاشتد بهم العطش في الطريق ولم يكن معهم إلا بضعة جمل للركوب فوقف الملك نمرأ وأرسل بعض رجاله بالجمال إلى أقرب الآبار فأتوه بماء قليل فجمع أتباعه وقال الماء لا يكفي الجميع فلسقي الآن اهزرو أي الضعيف الهزيل وتترك النشيط إلى أن نرد الماء فنشرب كلنا ثم نادى رجلاً رجلاً وسأل كلا منهم عن حاله وجمع الهرو في صف والنشيط في صف آخر فاجتمع في صف النشيط نفر قليل فوزع الماء بين هؤلاء على التساوي وقال «إن الذي يصبر على العطش يصبر على الحرب

تاريخ السودان

وحاجتنا الآن الى مثل هؤلاء ، وترك الهرو في الصحراء يموتون عطشاً وسار
بالأشداء والماء قاصداً الحبشة . وكان على الحبشة في ذلك الحين الراس علي
مقيماً في ولغايت فقصر عليه قصته مع الحكومة المصرية واستأذنه في الإقامة
في حدود بلاده فأذن له فنزل برجاله في دار غبطه وأجرى لهم الراس علي
مرتباً يقتضونه من اهل الدار من غلال وخرفان وبقر وسمن وعسل على قدر
حاجتهم. وأوعز الى مشايخ غبطه باكرامهم الى ان يتوطنوا فيعولوا أنفسهم .
وكان عدد الذين وصلوا مع الملك نمر ١٢٠ رجلاً ما عدا النساء والاولاد وفيهم
تسعة من أولاده وهم محمد واحمد وعمر وعماره والحسن وخالد وسعد وأبو بكر
وعثمان. فأقام الملك نمر في غبطة سنتين ومات وخلفه ابنه عمر وسمع الجعليون
وسكان النيل بتوطن السعداب في غبطة فاجتمع عليهم المتشردون وقطاع
الطرق وكل من فر من وجه الحكومة من ظلم وقع عليه او ذنب جناه او دين
لا طاقة له على ايفائه حتى كثر عددهم وضافت بهم الدار فسألوا الراس علياً
ان يأذن لهم في النزول في دار ميقبة على ست ساعات من غبطة لأنها كانت
داراً رحيبة وفيها أودية خصبة وأراض زراعية متسعة فأجابهم الراس علي
الى ذلك فانتقلوا الى ميقبة وأقاموا فيها على سعة وصاروا على ازدياد حتى
عظمت نفوسهم فأخذوا يغزون بلاد الحكومة مثل بني عامر والشكرية
والضباينة والتكارنة كما سيجيء .

هذا ما كان من الملك نمر وأولاده وأما الدفتردار فإنه بقي في ام عروق
يتعقب العصاة في كل الجهات وينكل بهم حتى جاءه الأمر فنزل الى مصر
ومعه السيد احمد السلاوي الحنفي المار ذكره وتتابع بعده الولاة الآتي ذكرهم
على السودان الى ان كانت الثورة المهدية .

الفصل الرابع

في

ولاية السودان

١ - عثمان بك سنة ١٢٤٠ : ١٢٤١ هـ - ١٨٢٥ : ١٨٢٦ م

ولما كانت سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٥ م سمي الميرالاي عثمان بك والياً على السودان فذهب اليه ومعه آلاي من الجنود المنظمة الذين عرفوا بالجهادية ونزلوا في الخرطوم فأثاه الشيخ شنبول من ود مدني فأكرمه وكساه وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر العسل الى جبال الفونج . وأثاه الشيخ عبد الله عمر فقتله بقنبلة مدفع. ثم أقام عثمان أغا الخرطوم وكيلاً عنه في الخرطوم وأمره بقتل الفقيه الارباب ودالكامل بقنبلة مدفع وتوجه هو الى ود مدني فقتل عدة رجال بقنابل المدافع فعظم ذلك على الأهلين ونفرت قلوبهم من الحكومة وأخذوا يهاجرون الأوطان . وكان السيد احمد البقلي المفتي الشافعي لا يزال في ود مدني فأرجعه الى مصر لعدم وجود شافعية في السودان .

ثم انتقل الى الخرطوم ونقل اليها اقلام الحكومة ومستودع الفرسات والمخازن والاشوان وجعلها مركزاً له فبقيت مركزاً للولاية وعاصمة للسودان

وهي تنمو وتتقدم الى قيام الثورة المهدية . وضرب عثمان بك الضرائب على الاهلين وأرسل الجنود في تحصيلها فعاثوا وأفسدوا وضيقوا على الرعية فكثرت عدد المهاجرين من اهل البلاد وهاجر بعضهم الى القضايف فأرسل خلفهم ابراهيم افندي فقتل منهم خلقاً كثيراً . وفشا فوق ذلك مرض الجدري واشتد الفلاء حتى بلغ ثمن الرطل المصري من الذرة غرشاً واحداً وأكل الناس الكلاب والحير فكانت مدة عثمان بك بلاء ذهب فيه نحو نصف السكان من المرض والقحط والقتل والظلم ولكن لم تطل مدته فقد أصيب بداء السل وتوفي في منتصف شهر رمضان سنة ١٢٤١ هـ ٢٢ ابريل ١٨٢٦ م قبل تمام السلتين ودفن في الخرطوم .

٢ - نحو بك سنة ١٢٤١ هـ : ١٨٢٦ م

وأرسل وكيله الى نحو بك في بربر يخبره بما حدث فحضر الى الخرطوم وتولى زمام الاحكام فيها ثم رجع الى بربر وأحضر الجنود منها فجعلهم في قبة خوجلي تجاه الخرطوم وأقام هو في الخرطوم وكان رجلاً شفوفاً عاقلاً حسن التدبير فنع تعدي الجنود عن الاهلين ودعا غمد البلاد وأعيانها واستشارهم في ما يكون به راحة الاهلين فأعجبه رأي الشيخ عبد القادر ود الزين وكان اذ ذاك شيخ خط فقلده شياخة قسم الكوع وكساه كسوة فاخرة . ثم أخذه وذهب الى القضايف فأرسل الذرة منها الى بلاد الجزيرة التي كانت لم تزل تقاسي من الجوع وارتاح الناس الى حكمة كل الارتياح . الا ان جنوده المعروفين بالبيريكية لم يقتدوا به فخربوا حلة القبة التي نزلوا بها وخربوا ما حولها . وكانت مدته بضعة اشهر . وفيها مات جماعة من الفقهاء بمرض الجدري وبينهم محمد نور خليفة خوجلي والفقير السيد حماد والفقير محمد زروق والشيخ ادريس الذي ولاه عثمان بك منصب القضاء وغيرهم . وقد بنى نحو بك في الخرطوم بناية خاصة لأقلام الحكومة وحفر بئراً قرب بربر عرفت باسمه وكان في جنوبي الخرطوم شجرة كبيرة عرفت باسمه ايضاً .

٣ - خورشيد باشا سنة ١٢٤١ : ١٢٥٤ هـ - ١٨٢٦ : ١٨٣٩ م

وفي غرة ذي القعدة سنة ١٢٤١ هـ ٦ يونيو ١٨٢٦ م حضر خورشيد باشا والياً على السودان فاستقبله محوبك في ام درمان وخلا به مدة ثم أحضر الشيخ عبد القادر وقدمه اليه وقال : « ان عمران البلاد برؤوسها اهل الرأي فخذ برأي هذا » ثم توجه الى المحروسة واجتاز خورشيد باشا النيل الى الخرطوم فعمل بوصية محوبك وقرب اليه الشيخ عبد القادر فهرع مشايخ البلاد وأعيانها للسلام عليه فقابلهم بالبشر والايناس ووعدهم بالراحة وأطلق سراح المسجونين من ايام عثمان بك .

وبعد حضوره بشهر أي في شهر الحجة هطلت أمطار غزيرة فزرع الناس وأمنوا شر القحط . وفي هذا الشهر غزا البحر الابيض فأصاب مغنماً كثيراً ثم توجه الى « دار الابواب » في النيل الكبير فقبض على الشيخ بشير ود عقيد المار ذكره لكثرة ظلمه في الرعية واهانه وتغرمه مالا جزيلاً . وعاد منه الى البحر الازرق فغزا عربان العجبة يجهات سيرو وغنم منهم .

ثم رجع الى الخرطوم وجمع مشايخ البلاد ونبالهم ان يختاروا شيخاً لينوب عنهم لديه في تعديل الضرائب فاختراروا الشيخ عبد القادر فاستعان به على تعديلها وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر العسل الى جبال الفونج وخلع عليه كسوة فاخرة وسيفاً .

وقد صاحب خورشيد باشا من مصر السيد احمد افندي السلاوي المار ذكره قاضياً عاماً للسودان وصحبه جماعة من معاونين بينهم موسى كاشف وكلهم من اصحاب الرأي وراتب كل منهم سبعة أكياس وكان لا يقطع امراً بلا مشورتهم ومشورة المباشر مينخائيل ابي عبيد .

الشيخ ادريس وجبال الفونج: وفي محرم سنة ١٢٤٣ هـ يوليو سنة ١٨٢٨ م غزا بلاد الدنكة وتوجه منها الى جبال الفونج وكان عليها الشيخ ادريس ود عدلان المار ذكره فأقره في مكانه وعاد الى الخرطوم . وقد اشتهر الشيخ

ادريس في حب جارية تسمى تام زينة فكان لها سلطة عجيبة عليه . قيل انها كانت تكره ابا روف شيخ عربان رفاة الهوي الذي تزوج باحدى بنات الهمج وبني حول منزله زريبة مثل زرائب الهمج فاستاءت تام زينة من ذلك وقالت للشيخ ادريس « أما كفى انك زوجت هذا البدوي من بنات عمك حتى سمحت له ببناء زريبة مثل زربيتك » فأمر الشيخ ادريس ابا روف ففتح في زربيته عدة ابواب لتتميز عن زرائب الهمج . على ان حب تام زينة للشيخ ادريس لم يكن اقل من حبه لها ومن نوادرها معه انها كانت اذا سألها العصر في رمضان هل غابت الشمس يا تام زينة فتجيب على الفور « شمسك غابت يا سيدي ولكن شمس الناس لم تغب » . وكان اذا خرج للتنزه خرجت معه تام زينة واحتاطه جماعة من جواريه فحملن أذيال ثوبه واذا جلس جلسن عن جانبيه يتلقين أوامره .

وكان للشيخ ادريس بنت تسمى نصره فزوجها رجلاً من حوش بان النقا فافتق السرايري حسب عادة الاعيان في السودان فأنكرت عليه ذلك وسألته ان يترك جميع سراريه ويكتفي بها ولما لم يفعل اقبلت نفرأ من العبيد المرد وقالت لزوجها « ان طلق سراريك طلق عبيدي وإلا فنحن في الحق سواء » فطلق سراريه . وخلف ادريس ود عدلان على الهمج ابنه رجب ثم محمد بن رجب الذي بقي الى ايام الثورة المهدية .

وفي سنة ١٢٤٣ هـ ١٨٢٨ م عصي الشيخ خليفة ابن الحاج العبادي ابو حسين باشا خليفة وهاجم الجنود في بربر فجهز له خورشيد باشا ولكنه لم يصل الى بربر حتى كان الجنود قد سكتوا الفتنة وقتلوا الشيخ خليفة المذكور فعاد الى الخرطوم .

وفي سنة ١٢٤٤ هـ ١٨٢٩ م غزا جبال « ابو رملي » وعاد منها غانماً . وكان أعظم ما وجه اليه اهتمامه تعمير البلاد ورد الأهالي الذين كانوا قد هجروا الاوطان في ايام الدفتردار وعثمان بك فأصدر منشوراً عاماً بالأمان للمهاجرين الذين لجأوا الى دارفور وجبال النوبة والملك نمر ودار العطيش على

حدود الحبشة . وكان في جملة اللاجئين الى دارفور محمد صالح ثروة الجملي المار ذكره فصادف هناك نجاحاً عظيماً وجمع ثروة طائلة حتى هان على الناس الرحيل عن الاوطان بسببه ومن ذاك قول بعض شعرائهم يتذمّر من ظلم الحكام ويغبط ود ثروة :

ان كان الترك حوض رمله حوض الرملة قط ما يبروى
شن بيناتنا من غير سروه لكاتب ما سكن ود ثروه

فكان للمنشور خورشيد باشا تأثير حسن . وأشار عليه الشيخ عبد القادر باعفاء الفقهاء والاعيان من الضرائب حثاً لهم على المساعدة في تأمين الأهالي فعمل بمشورته فعاد الكثير من المهاجرين الى أوطانهم .

وفي سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م قدم الشيخ احمد الريح العربي من دار المعطيش فأكرمه خورشيد باشا وكساه وأرجعه الى دار المعطيش لتأمين الفارين ثم ذهب بنفسه اليه فجمع ١٢ ألفاً وأرسلهم بالحرس الى أوطانهم . وأمن عرب الحدة .

احتلال القلايات : وتقدم خورشيد باشا الى القلايات فسلمت له وكان أهلها التكارنة . وهم متخلفو حجاج الغرب قد انتظم لهم مشيخة قائمة بذاتها واقتنوا نحاساً وصاروا يحتفلون بتجليده كل سنة في عيد الرجبية ويكسرون الضلع على نحو ما وصفناه في تاريخ الفور . وأول شيخ اشتهر لهم بعد الفتح المصري لسنار الشيخ عطرون فقتل في غزوة غزا بها الحدة في دار المعطيش . وخلفه الشيخ امام ثم الشيخ ميري وهو الذي سلم لخورشيد باشا . وكان التكارنة يدفعون مالا للحبشة لأجل تعمير سوقهم فوضع عليهم خورشيد باشا جزية سنوية فقبلوها . ورأى خورشيد باشا أهمية مركز القلايات الحربي فجعل فيها حامية عسكرية مؤلفة من مئة جندي من الباشبوزق الاتراك وعاد الى الخرطوم بعد ان أخضع جبال قُلي . ومن ذلك الوقت اشتهر امر القلايات واتسعت سوقها التجارية وكان لها في تاريخ السودان والحبشة أعظم شأن كما سيجيء .

وبعد رجوع خورشيد باشا الى الخرطوم شرع في بناء جامع وثكنة للجنود وتخزن لمهماتهم وأمر الناس بالبناء بالطوب لأنهم كانوا يبنون بالبوص وجلود البقر وقد أمدّهم بالاخشاب والالواح توغيباً لهم في العمارة .

وفي سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م غزا الشلك بالمراكب غزوة كبيرة فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يروا مثلها الا في مدة الملك بادي رباط وعاد الى الخرطوم بغنائم وسبأيا كثيرة . وفي تلك السنة توفي الفقيه عبد القادر ود ضيف الله . وزاد النيل زيادة عظيمة حتى خافوا على البلاد من الغرق .

وفي سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٢ م غزا قبائل سبدرات وحصرهم حصراً شديداً الى ان أذعنوا له وطلبوا الأمان فأمنتهم ورجع عنهم . وفيها حصلت زلزلة عظيمة اهتزت لها الارض . وفيها توفي الفاضل الشيخ قمر الدين ابن الشيخ حمد ود المجذوب ودفن بالدامر وقد اشتهر بالصلاح والتقوى وهو صاحب طريقة المجاذيب المشهورة . وفيها توفي خربوطلي حسن كاشف حاكم اقليم الحلفاية ولبحر الابيض ودفن في قبة خوجلي .

وفي سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٣ م توجه خورشيد باشا الى كردوفان فتفقد أحوالها ورجع .

وفي سنة ١٢٤٩ هـ ١٨٣٤ م أنعم عليه برتبة اللواء وسمي حاكماً عاماً على السودان وفيها احتفل بختان أولاده احتفالاً عظيماً لم يسبق له مثيل في السودان فحضره جميع الميسرين ورؤساء العساكر ومشايخ البلاد وأعيانها .

وفي سنة ١٢٥٠ هـ ١٨٣٥ م بنى جامعاً في سنار بأمر محمد علي باشا. وذهب مرة ثانية الى كردوفان ورجع . وفيها عقد لجنة في شندي حضرها القاضي العام ونائب الشرع وجميع المديرين لفصل الدعاوي التي أقامها الجمعيون على بشير احمد عقيد في الأطيان التي استولى عليها من أيام الدفتودار وبقيت اللجنة الى ختام ذي الحجة سنة ١٢٥٠ هـ .

وفي غرة محرم سنة ١٢٥١ هـ ٢٨ ابريل ١٨٣٦ ذهب الى مصر بطريق دنقلة فأقام فيها بضعة أشهر ثم عاد الى السودان وقد رقي الى رتبة ميرميران .

وعند وصوله الى الخرطوم جمع الكشاف والمأمورين والمشايع وخلا بالشيخ عبد القادر يومين فعرض عليه رأي تجنيد الأهالي فراجعه الشيخ عبد القادر في ذلك خشية تشييت الاهالي وخراب البلاد فقر الرأي أخيراً على تكليفهم تقديم المبيد للمسكرية فجمعوا على كل مديرية عدداً معلوماً من الرقيق فجمعوا عدداً كبيراً .

ثم غزا خورشيد باشا جنال الصعيد فأحضر منها رقيقاً كثيراً أدخل بعضه في الجيش وفرّق البعض الآخر على المأمورين والجهات . وهاج الحبشة على الحدود فنزلوا ومعهم رجب ولد بشير الغول من شيوخ الحدة الى دار العطيش وقتلوا الرجل الصالح ود عاروض وخلقاً كثيراً فأرسل خورشيد باشا عليهم فرقة من المساكر الجهادية بقيادة محمد افندي فأسيروا رجب ولد بشير وأتوا به الى خورشيد باشا في الرصيرص فقتله وشيخ علي الحدة احمد ابا جن وأسكنهم على نهر الدندر ورجع الى الخرطوم .

وفي تلك السنة رقي محمد افندي الى رتبة ميرالاي وأرسل بالمساكر السودانية الى الحجاز . وفيها كسفت الشمس بعد صلاة العصر نصف كسوف دام الى قرب الغروب .

وفي صفر سنة ١٢٥٢ هـ مايو ١٨٣٧ م هاجت ربيع شديدة مدة يومين متوالين ففي اليوم الاول ثارت قرب العصر فحملت غباراً احمر اللون أظلم منه الجو ثم المجلت بسرعة وفي اليوم الثاني هاجت وأثارت غباراً اسود اللون فاشتدت ظلمة الجو الى غروب الشمس فتشاءم الناس من ذلك وتوقعوا شراً عظيماً فحصل على الأثر قحط شديد فأخرج خورشيد باشا مئة أردب ذرة وتصدق بها على الفقراء وأخرج مئة أردب من شون الميري وأمر ببيعها في السوق رفقا بالرعية وأقام صلاة الاستسقاء .

وقبل نهاية تلك السنة أصاب الناس الهواء الاصفر فمات فيه خلق كثير وكان في جملة من مات من الأعيان : الفقيه السنوسي ابن الفقيه بقادي . والفقيه النخلي مقرئ القرآن الشريف بحلة بقادي . والفقيه محمد الحاج الطبيب امام

جامع الخرطوم ، والفقير محمد علي ود عباس ، والشيخ الطريفي ابن الشيخ يوسف ، والشيخ محمد ابن الشيخ حسن خليفه ولد بان النقا ، والشيخ سعد عبد الفتاح العبادي ، والشيخ مصطفى خليفة الشيخ دفع الله العركي . ولما اشتد المرض في الخرطوم ذهب خورشيد باشا الى شندي فأقام فيها . ومن هناك أرسل رجب بن بشير ود عقيد المتقدم الذكر الى الخرطوم فرُفع على خازوق . وبعد زوال الوباء رجع الى الخرطوم فهدم الجامع الذي كان قد أنشأ سنة ١٢٤٥ هـ لأنه أصبح صغيراً لزيادة العمارة في الخرطوم وأنشأ جامعاً أوسع منه بقي الى أيام الثورة المهدية .

وفي تلك السنة ظهر نجم كبير نصف النهار وخرج منه شرار ا وفيها أصابت الناس حمى سميت أم سبعة هلك فيها خلق كثير ومات بها من الاعيان العوج الدرب ابن الفقير محمد بركات من ذرية الشيخ ادريس المشهور بالكرم والجلود وقد سميت ام سبعة لأن من أصابته لم تمهله سبعة أيام ومن تجاوزها سلم منها .

وفي شهر رمضان من تلك السنة غزا احمد كاشف حاكم القضايف اطراف الحبشة فغنم وسبى وأرسل السبايا الى الخرطوم .

وفي ٩ محرم سنة ١٢٥٣ هـ ١٤ ابريل سنة ١٨٣٨ م نزل الحبشة على القلايات وكانت حاميتها قد زيدت فقتلوا شيخها الشيخ ميري والشيخ احمد عبود أحد سوارى الشايقية وخلقاً كثيراً من الجنود والأهالي وأسروا بكباشي الاورطة وعلي اغا الصهيب سنجق المغاربة والملك سعداً من سوارى الشايقية وعادوا الى بلادهم وكانت الواقعة في كلنبو قرب راشد فعرفت بواقعة كلنبو . قيل ان الشيخ احمد عبود لما رأى انكسار العساكر ولم يرَ فائدة من الدفاع افترش فروته فقتلوه عليها . فلما بلغ خورشيد باشا خبر الواقعة جهز جيشاً وسار الى الحبشة لأخذ الثأر تاركاً سليمان كاشف وكيلاً عنه في الخرطوم فدخل الحبشة فلم يقابله جيش فرجع الى القلايات بلا قتال فحصنها وزاد في حاميتها وقفل راجعاً الى الخرطوم .

وكان خورشيد باشا قد أرسل الى مصر في طلب المدد فلما كان ذو القعدة من تلك السنة حضر الى الخرطوم ميرميران « احمد باشا ابو ودان » ومعه الميرالاي فرهاد بك يجنود من مصر أمداداً له وأدركه فرهاد بك في الطريق فعاداً معاً الى الخرطوم .

وفي تلك السنة حضر الميرالاي مصطفى بك من كردوفان مديراً على عموم جزيرة سنار ، وفيها خسف القمر نحو ساعتين واشتد ظلامه .

٤ - احمد باشا ابو ودان سنة ١٢٥٤ : ١٢٥٩ هـ - ١٨٣٩ : ١٨٤٤ م

وفي ربيع الاول سنة ١٢٥٤ هـ مايو ١٨٣٩ م صدر الامر الى خورشيد باشا فنزل الى مصر واستلم احمد باشا ابو ودان زمان الحكمدارية مكانه فأسف الأهالي لفراقه لأنه ضم شملهم بعد الشتات وعاملهم بالعدل والرفق وكان الشيخ عبد القادر أكثر الناس غماً على فراقه وقد أوصي به احمد باشا فقرّبه ولم يقطع أمراً يتعلق براحة الرعية إلا بمشورته ونبرع في الاحكام بحسن سياسة وبعد نظر فنظم الدواوين والمديريات وحسن حال الكتبة والموظفين ثم التفت الى أمر الضبط والربط فأبطل السخرة ومنع تعدي الماسكر على الفلاحين ووطد الامن في البلاد حتى أمن المسافر والمقيم من حلقا الى أقصى حدود السودان وبذلك اطمأن الأهالي وزادت عمارتهم وخصبت ارضهم حتى صار أربب الذرة بخمسة قروش وأوقع الله هيبته في قلوب العباد مع انه لم يكن بذيء اللسان ولا سفاكاً للدماء بل كان وقوراً كثير الصمت وكانت أوامره ونواهيه مقصورة على ما قل ودل كقوله افعلوا او لا تفعلوا ولم يجسر أحد على مخالفتها . وسرت هيبته الى جميع فروع الحكمدارية حتى قيل ان الموظفين والمأمورين في الجهات كانوا يتوهمون انه مقيم بينهم يسمع ويرى فيحذرون في ما يفعلون كل الحذر .

زيارة محمد علي باشا للسودان : وفي أيامه توجه محمد علي باشا الى السودان لمشاهدة البلاد التي افتتحها وتفقدها وكتشف مناجم الذهب بنفسه فسار

من القاهرة في ١٥ أكتوبر سنة ١٨٣٩ م فوصل الخرطوم في ٢٣ نوفمبر وكان احمد باشا اذ ذاك متغيّباً في ود مدني فقابله وكيله مقلي عبد القادر اغا ثم حضر واستأذن للقاضي والمفتي والعلماء في مقابلته فأذن لهم فسرّوا من طلاقة وجهه وحسن خطابه . وأقام ٢٢ يوماً في الخرطوم ثم سار الى جبال فازوغلي فوصلها في ١٨ يناير سنة ١٨٤٠ وفي معيته احمد باشا الحكمدار . فاستقبله الشيخ الزين والشيخ ادريس ود عدلان شيخ الهمج والشيخ احمد ابوسن شيخ الشكرية وسائر مشايخ العربان والحلّلات فقابلهم بالبشر والايّناس وأمر لهم بالكسّ على حسب رتبهم . وقد بُني له قصر جميل قرب فامكة فأقام فيه مدة يبحث في أمر المعدن فلم يُرضه نتيجة البحث وقفل راجعاً الى الخرطوم فأقام فيها اياماً قليلة واستطرد السير عن طريق كورسكو فوصل مصر في ١٤ مارس سنة ١٨٤٠ م .

وفي سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٤٠ م توجه احمد باشا الى دنقلة للنظر في أحوالها فأقام فيها اياماً وفي رجوعه بلغه في شندي فرار حمد ولد الملك عمر فذهب خلفه بحريّة من الفرسان ومعه الملك كنبال فنجا حمد ولد الملك وقتل الملك كنبال وعاد احمد باشا الى الخرطوم . وفي رابع شوال من تلك السنة توفي العلامة البليدي المفتي .

وفي سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤١ م زاد البحر زيادة عظيمة . وفيها فتحت بلاد كلا ودخلت رسمياً في جوزة الحكومة الخديوية وهاك تفصيل الفتح :

فتح التاكا سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤٢ م :

لما استتب الامر لاهمّد باشا في الخرطوم وضواحيها اهتم باحتلال السودان الشرقي وتمهيد طريقه ففساد الجنود الى بربر وأرسل يطلب مشايخ البجة فأقاه الشيخ محمد دين شيخ الهدندوة العام مظهرأ التسليم اما عوض مسمار كبير الحلانقة المار ذكره في تاريخ سنار فانه أبى الحضور . وكان بين الحلانقة والهدندوة عداوة قديمة وحروب متصلة فطلب محمد دين من احمد باشا ان يمدّه بنفر من

الجنود فيخضع الحلائقة له ويكفيه مؤونة تعبهم وهو انما أراد التتكيل بهم من جهة ومنع دخول الجيش الى بلاده من جهة اخرى فلم يحبه احمد باشا الى ذلك بل سار بنفسه مع الجيش قاصداً الحلائقة فلما ذاع الخبر اجتمع الحلائقة وعينوا محمد إيل شيخاً عليهم فخرج مع بعض وجهاء قبيلته لمقابلة احمد باشا والتسليم له فلقبه في قوز رجب على الانتبة وقدم له الطاعة وسأله ان يجعل مركز الجيش في بلاده . وكان الحلائقة مقيمين على القاش قرب جبل كسلا فلما رأى احمد باشا بلادهم أعجبه موقعها فبنى فيها استحكامات منيعة وجعلها مركزاً للجيش وحكومة السودان الشرقي وأقر محمد إيل على شياخة الحلائقة . اما عوض مسمار فانه فرّ الى الحجاز عن طريق سواكن ثم عاد الى كسلا بأمان الحكومة فعين ابنه محمد شيخاً على القبيلة ومن ذلك الحين صار عائلتنا عوض مسمار ومحمد إيل يتناوبان مشيخة الحلائقة الى اليوم .

اما الهدندوة فانهم لما رأوا ان احمد باشا مال الى أضدادهم وجعل بلادهم مركزاً لحكومته ارتدوا عنه وجمعوا جموعهم في غابتي وهياي والكتياب شمالي كسلا فحول احمد باشا مجرى القاش ومنع عنهم الماء فعطشوا وأخذوا في التفرق ثم لما يبس الشجر أطلق النار في الغابتين فدعروا منها فلحق بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر شيخهم محمد دين وزجه في السجن الى ان مات بداء الجدري .

وعاد احمد باشا الى الخرطوم بعد ان ولّى عمر بك كاشف مديراً على كسلا ثم عزل عمر بك وسمي فرحات بك مديراً فعصاه الهدندوة فاستعان بالحلائقة عليهم وقتلهم حتى اضطروهم الى الطاعة وسبّخ عليهم موسى ابراهيم ابن أخ محمد دين وأخذ منهم الجزية . ثم ارسل البكباشي الياس افندي قومندان الجهادية الى بني عامر فقاتلهم في الدقا وأرغمهم على الطاعة . وضرب عليهم الجزية . وتوفي فرحات بك في كسلا ودفن فيها .

وبعد فتح التاكا رسمت خارطة السودان وقسمت الى سبع مديريات وهي : فازوغلي وسنار والخرطوم وكسلا وبربر ودنقلة وكردوفان فجعل

تاريخ السودان

قومندان الجنود في كل مديرية مديراً عليها وُجِعت الخرطوم مركز السودان ومقر الحاكم العام .

وتوفي احمد باشا في رمضان سنة ١٢٥٩ هـ اكتوبر ١٨٤٤ م في الخرطوم ودفن فيها وكانت وفاته بغتة حتى قيل انهم دسوا له السم ليتخلصوا منه لأنه كان يحاول الاستقلال عن مصر . وبعد وفاته تضعف حال الحكمدارية واختل نظامها واستقل كل مدير بمديريته وصار يفعل فيها ما شاء .

٥ - احمد باشا المنكلي سنة ١٢٥٩ : ١٢٦١ هـ - ١٨٤٤ : ١٨٤٥ م

وفي سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٤ م سنة وفاة احمد باشا ابو دان حضر احمد باشا المنكلي حاكماً عاماً للسودان ولم يمكث في الخرطوم إلا قليلاً حتى عاد أهل التاكة الى الثورة نظراً لسوء ادارة الموظفين وعدم كفائتهم فجرد جيشاً كبيراً وسار لقتالهم ومعه الارباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر والشيخ احمد ابو سن كبير الشكرية فأمر رؤوس العصاة وعاد بهم الى الخرطوم فضرب رقابهم وبقي في الخرطوم الى أواخر سنة ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م ثم عاد الى مصر ومعه الارباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر الزين المار ذكرهما فأنزلهما محمد علي باشا في المسافر خانة وأمر باكرامهما وبعد ثلاثة ايام طلبها وكلمها بلا واسطة قيل فأعجب بذلكه الشيخ عبد القادر وفصاحته وقال « ما كنت أظن ان بلاداً ليس فيها شيء من اسباب التمدن والتهذيب كبلاد السودان يخرج منها مثل هذا الرجل » وأمر له بنيشان وعين لضيافته ياوداً فطاف بها في جميع دواوين الحكومة والاماكن الشهيرة في مصر والاسكندرية وسائر الجهات .

٦ - خالد باشا سنة ١٢٦٢ : ١٢٦٦ هـ - ١٨٤٦ : ١٨٥٠ م

وفي محرم سنة ١٢٦١ هـ يناير ١٨٤٦ م حضر الى الخرطوم خالد باشا حكمداراً للسودان ومعه الارباب دفع الله والشيخ عبد القادر المار ذكرهما والشيخ ابراهيم الهيتي قاضياً عاماً للسودان فقصى أكثر مدته في الاسفار

فذهب الى التاكة وعاد منها الى جبال فازوغلي وكردوفان في تطلب مناجم الذهب .

وفي أيامه انحرفت صحة محمد علي باشا لما اصاب مصر من الأوبئة والحن ولم يعد قادراً على القيام بمهام مصر فتولاهما ابنه الأكبر « ابراهيم باشا » في منتصف سنة ١٢٦٤ هـ ١٨٤٨ م . وكان ابراهيم باشا منصرف الصحة فاشتد عليه المرض بغتة وفارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م . وكان « عباس باشا » ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا ولي العهد غائباً اذ ذاك في مكة فدُعي منها ووصل القاهرة في ٢٤ ديسمبر وتولى زمام مصر . وفي ٢ اوغسطس سنة ١٨٤٩ م فازت روح محمد علي باشا الى خالقها بعد ان أبقى في مصر والسودان من المآثر الحسان ما خلد له الذكر الحسن والثناء الجميل مدى الزمان .

٧ - عبد اللطيف باشا سنة ١٢٦٦ : ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ : ١٨٥١ م

وفي ربيع الآخر سنة ١٢٦٦ هـ فبراير ١٨٥٠ م وصل عبد اللطيف باشا الخرطوم حاكماً عاماً للسودان وكانت الاحكام قد اختلت كثيراً في مدة سلفه فما دخل الخرطوم حتى انتهت عليه الشكاوي ضده فصادره وأنزله الى مصر ثم شرع في الاحتكام فأزال المظالم وبث روح العدل في البلاد . ومن مآثره انه جدد ديوان الحكمدارية في الخرطوم فبقي الى الثورة المهدية . وأنشأ مدرسة أميرية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك الذي حضر من مصر ومعه بيومي بك وكثير من الكتبة والمعلمين . وعزل الشيخ ادريس عدلان السالف الذكر من شياخة جبال الفوننج وولى ابن اخيه عدلان محمد مكانه . وضرب حسن مسار ملتزم الجمارك وحبسه وصادره . وعزل حسن خليفة العبادي ملتزم سكة عتمور ابي حمد من المشيخة وحبسه وصادره ايضاً وقلد المشيخة أخاه حسين خليفة . وقلد الشيخ عبد القادر وظيفة معاون الحكمدارية مع مشيخة مشايخ عموم الجزيرة وأحسن معاملة الشيخ احمد ابي سن وعاد الى مصر في أواخر سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م .



ابراهيم باشا



عباس باشا الأول

غزوة تكارنة القلابات للملك عمر في ميقة ، وفي أيام عبد اللطيف بلشا
 هاج تكارنة القلابات من تعديت للملك عمر على بلادهم فجهشوا جيشاً كبيراً
 وساروا لقتاله في ميقة ولتفق في هذه الأثناء ان مدير كسلا أخرج نفراً من
 رجله لغزو الجادين وكان احد أنسباء الملك عمر في كسلا فظن ان الغزوة على
 أهله فلنفذ اليهم خبراً ليكونوا على حذر فأخذوا عائلاتهم الى مضيق بين جبليين
 قرب ميقة ويقوا هم في ميقة متربصين فلقترب التكارنة منهم ولما رأوهم
 مقبلين من الجنوب ظنوا انهم أصدقاء لهم سمعوا بغزوة الجند من الشمال فحضروا
 لنجدتهم فخرج ابو بكر اخو للملك عمر لاستقبالهم مع جريدة من الفرسان فما
 كان من التكارنة الا انهم بادروهم بالطمع بالحراب فعدوا الى ميقة مذعورين
 فوجدوا الملك عمر جالساً في ديوانه فقالوا له ان الذين ترامهم تكارنة القلابات
 وقد جاؤوا لحربنا فقم بنا الى مكان العائلة وكان التكارنة قد دخلوا ميقة على
 أثر الفرسان فرأى الملك عمر ان فراره من مكانه عار عليه فافتش فروقه
 وانتظر الموت فاجتمع عليه السعداب وقالوا له أعطني التكارنة قال الجمعليين
 فتمكنتهم من نفسك ليكون لهم الفخر بقتلك ولك من ذلك مهرب فقم بنا نجمع
 شتاتنا ونعود الى طرد الأعداء من ديارنا « فان الرجال شرّاده وراّده » ثم
 حملوه بالرغم عنه ووضعوه على بغلة وساروا يحاربون من خلفه حتى وصلوا الى
 المضيق الذي كانت فيه العائلة فلموا شعثهم ولبسوا دروعهم وتسلحوا بكامل
 السلاح ومكثوا ينتظرون باقي اخوانهم فلما طال انتظارهم التفت محمد ابن الملك
 عمر الى ابيه وقال على م هذا الانتظار والتكارنة يسلبون أموالنا امام عيوننا
 وهم على بعد مئة خطوة منا قال ننتظر اولاد دياب قال محمد : أليس فينا
 الكفاءة لطرد هؤلاء الخراف من ديارنا حتى ننتظر اولاد دياب ؟ قال له ابوه
 دعنا من هذا الحس الآن فاني أخاف اذا حي الوطيس انك تأبى القتال وتلجأ
 الى الفرار فهاجت في محمد حمية الرجال وقال لأبيه : « أبى القتال وأقرّ منه
 وجدتي الملك نمر وأبي الملك عمر وأمي بنت دياب ؟ انت الذي تفرّ منه يا
 ابن البدوية ! » فدفع للملك عمر حصانه وقال لقومه : « هيا بنا على ميقة

وانظروا اليوم قتال ابن البدوية ، فكر رجاله وراءه فخرج التكرانة لقتالهم والتحم الفريقان فصار الفارص من السعداب يهاجم جمعاً من التكرانة فيفتك بهم فلما رأى التكرانة كثرة القتل فيهم فزعوا الى تل صغير قرب ميقبة وتحصنوا فيه فاحتاط بهم السعداب وكان معهم عشر بنادق فأخذوا يرمونهم بالرصاص حتى كثر القتل فيهم وعطشوا فصاروا ينزلون من التلة ثلة بعد ثلة والسعداب يقبضون عليهم قبض اليد ويسلمونهم الى النساء والنساء يأخذنهم الى مكان بعيد عن نظر الباقيين من اخوتهم على التلة ويقتلنهم بالعصي والنبابيت الى غروب الشمس حتى لم يبق على الرابية احد فقتلهم عن آخرهم وكان عددهم نحو ٦٠٠ نفس فغنموا خيولهم وأسلحتهم وعادوا الى ميقبة فسكنوها آمنين .

وذهب الملك عمر الى الرأس علي فأخبره بما كان وأعطاه عشر الغنائم على عادته فأكرمه الرأس علي وأهدى اليه بعض الجياد . وانتشر خبر هذه الواقعة في جميع أقطار السودان واشتهر بأس اولاد الملك عمر فزاد عدد المهاجرين اليهم .

٨ - رستم باشا سنة ١٢٦٧ : ١٢٦٨ هـ - ١٨٥١ : ١٨٥٢ م

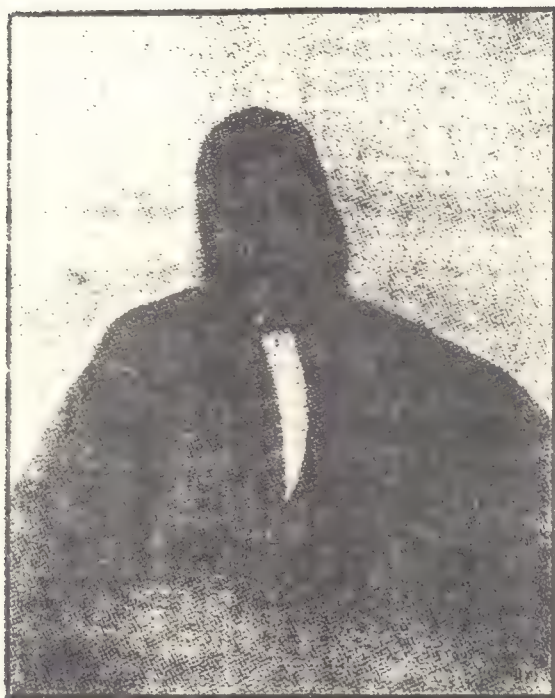
وفي سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م سمي رستم باشا حاكماً عاماً للسودان فذهب الى ود مدني وعاد منها مريضاً فتوفي في الخرطوم سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م ودفن هناك . وفي مدته حضرت لجنة من مصر للنظر في احوال السودان كان رئيسها ميري بيك .

٩ - اسماعيل باشا ابو جبل سنة ١٢٦٨ : ١٢٦٩ هـ - ١٧٥٢ - ١٨٥٣ م

وفي رمضان سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م حضر الى الخرطوم اسماعيل باشا ابو جبل حكمداراً على السودان فجال في الجهات الشرقية قليلاً ثم رجع الى الخرطوم وبقي فيها الى ان صدر الامر برجوعه الى مصر وكانت مدته قصيرة .

١٠ - سليم باشا سنة ١٢٦٩ : ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ : ١٨٥٤ م

وفي شعبان سنة ١٢٦٩ هـ مايو ١٨٥٣ م عُيِّنَ للسودان سليم باشا فذهب



سعيد باشا

الى الخرطوم على غير ارامته وأقام فيها متطراً مدة قصيرة ثم نُصب الى القلعة .

١١ - علي باشا مرزي سنة ١٢٧٠ : ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ : ١٨٨٥ م

وفي جمادى الاولى سنة ١٢٧٠ هـ فبراير ١٨٥٤ م وجهت حكدارية السودان الى علي باشا مرزي الارتاوطي فذهب الى الخرطوم ولم يخرج منها الا الى سنار ثم عاد الى مصر بعد مدة قصيرة قيل وقد ملأ جيوبه من مال البلاد ولا سيما من جزيرة سنار .

وفي شوال سنة ١٢٧٠ هـ يوليو سنة ١٨٥٤ م توفي د عباس باشا ، الى رحمة ربه . وتولى بعده علي مصر د سعيد باشا ، ابن محمد علي باشا .

١٢ - علي باشا شركس سنة ١٢٧١ : ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٥ : ١٨٥٧ م

وفي جمادى الثاني سنة ١٢٧١ هـ فبراير ١٨٥٥ م وصل الى الخرطوم علي باشا شركس حكداراً على السودان .

زيارة عبد الحليم باشا للسودان : وفي اول مدته ذهب الى السودان عبد الحليم باشا ابن محمد علي باشا زائراً فأقام في الخرطوم اياماً وانتشر الهواء الاصفر فامتد الى جميع اقطار السودان ومات به خلق كثير .

ومن مات فيه من الاعيان الشيخ عبد القادر ابن الشيخ الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار المتقدم الذكر وكان رجلاً فاضلاً جليلاً سديد الرأي فحضر دفنه الحاكم العام ووكلته وجميع وجوه البلاد . وعين ابنه الزبير مكانه فخدم في الخرطوم مدة ثم نزل الى مصر فمُنِعَ معاوناً في نظارة الداخلية . وتوفي فيه الشيخ ياسين شيخ مشايخ مديرية كردوفان وهو من الأكابر العظام والشيخ الطريفي ابن اشين احمد الريح المركي والفقيه عمر بقادي العالم المشهور وغيرهم . وثلاً اشتد المرض وأشار الحكماء على عبد الحليم بترك الخرطوم فعاد الى مصر .

زيارة سعيد باشا للسودان : وبعد زوال الوباء ذهب سعيد باشا والي مصر

الى السودان لتفقد أحواله فوصل الخرطوم في ١٦ يناير سنة ١٨٥٧ فساءه حاله وأقرّ في بادئ الرأي على أخلائه ولكن اعيان البلاد ومشايخها توسلوا اليه بالحاج ان يعدل عن رأيه وقالوا له اذا أخليت البلاد عمت الفوضى لا محالة وربما لحق أذاها مصر فعدل عن رأيه وأمر بعدة اصلاحات فجعل الخرطوم وجزيرة سنار مديرية واحدة وفصلها عن باقي المديريات وجعل كل مديرية مستقلة عن الاخرى ترجع في أحكامها الى مصر . ونظم البوستان بين الخرطوم ومصر فسيرها على الهجن بطريق كورسكو . وخفض ضرائب الأطباء والسواقي ومنع الجند من جمعها فأناط ذلك بمشايخ البلاد وقرّر جمعها بعد الحصاد لا قبله . وأمر بمقد ناد من الأعيان في الخرطوم كل سنة للنظر في راحة البلاد . وكان هند اول وصوله الى بربر اعلن ابطال تجارة الرقيق التي كانت قد انتشرت في السودان على ما سيجيء ثم أنشأ محطة عسكرية على نهر سبت لمراقبة تجارة الرقيق، وقطع دابر النخاسين . وعاد الى مصر في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٧٣ هـ ١٠ ديسمبر ١٨٧٥ م . وقد رأى في سفره هذه شدة لزوم تقريب السودان من مصر وتخفيض مشقة السفر اليه فعند عودته الى مصر كلف الموسيو مونجل المهندس الفرنسي فرسم له خريطة سكة حديد بين حلغا والخرطوم ولكن مالية مصر اذ ذاك لم تسمح باخراج هذا المشروع الى حيز الفعل . وصحب سعيد باشا في هذه السفارة الدكتور ابانه باشا فكتب فيها كتاباً نفيساً .

١٣ - اراكيل بك سنة ١٢٧٣ : ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٧ : ١٨٥٩ م

وكان سعيد باشا قد استصحب معه الى السودان اراكيل بك الارمني الملقب بالفرنساوي فلما نظم المديريات على ما مرّ عزل علي باشا شركس وعين اراكيل بك مديراً على الخرطوم فمكث فيها الى ان توفاه الله في صفر سنة ١٢٧٥ هـ سبتمبر ١٨٥٩ م وقد امتاز بحسن السياسة ولين العريكة قيل ان مشايخ الشكرية وغيرهم أنكروا على سعيد باشا تعيينه حاكماً عليهم وهو

نصراني من غير دينهم فأبوا مقابلته وجمعوا جموعهم للثورة فركب اراكيل بك هجينه وسار وحده حتى أتاخ بين أيديهم وقال « ان كنت انا السبب في عصيانكم فما انا الآن بين ايديكم فافعلوا بي ما تشاؤون على ان تعودوا الى الولاة اذ يعز عليّ ان تخرجوا عن طاعة وليّ امركم بسبي » فعجب زعماء الثورة من جرأته وحسن اسلوبه وطابت نفوسهم ورجعوا عما عزموا عليه وصحبوه الى الخرطوم . وكتب اراكيل بك خبر الحادثة الى سعيد باشا في مصر فبعث في طلب زعماء الثورة فأرسل له الشيخ احمد اباسن شيخ الشكرية والفقير ابراهيم عبد الدافع صاحب تاريخ سنار المتقدم الذكر فسجنها بالاسكندرية مدة ثم افرج عنها وأرجعها الى السودان بعد ان حلفا له بيمين الطاعة .

١٤ - حسن بك سلامة سنة ١٢٧٥ : ١٢٧٨ هـ - ١٨٥٩ : ١٨٦٢ م

وفي رجب سنة ١٢٧٥ هـ ١٨٥٩ م سمي حسن بك سلامة الشركسي مديراً على الخرطوم ولكن لم تطل مدته قبل وكان فظ الاخلاق سيئ الادارة قليل الخبرة في سياسة البلاد إلا انه كان ذنباً كثير الصلوات حسن الاعتقاد عفيف النفس .

١٥ - محمد بك راسخ سنة ١٢٧٨ : ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢ : ١٨٦٣ م

وفي محرم سنة ١٢٧٨ هـ يوليو ١٨٦٢ م عُزل حسن بك وسمي محمد بك راسخ مديراً للتاكا مديراً للخرطوم فحضر اليها في شهر صفر وكان يحب الطرب والفناء . ومن مآثره القصر المشهور باسمه تجاه سراي الخرطوم .

وفي أيامه ألغى سعيد باشا النظام الذي سنته عند زيارته للسودان في استقلال المديرية عن الخرطوم ورجوعها في أحكامها الى مصر وأعاد النظام القديم في جعل الخرطوم مركزاً عاماً للسودان .

١٦ - موسى باشا حمدي سنة ١٢٧٩ : ١٢٨١ هـ - ١٨٦٣ : ١٨٦٥ م

وفي ٤ صفر سنة ١٢٧٩ هـ ١٨ أغسطس ١٨٦٣ م قدم موسى باشا حمدي حاكماً عاماً للسودان فجعل مركزه الخرطوم وبقي محمد بك راسخ مديراً فيها وكان لموسى باشا خدمات جمة في أكثر جهات السودان وقد أقم عدة ثورات محلية في كردوفان وتقلي وأسمه معروف في البلاد فقابلها أهلها باحتفال عظيم فتلا عليهم فرمان الناطق بتعيينه حاكماً عاماً على السودان ثم أرسل إلى المديرين ومشايخ البلاد وأعيانها فمقد معهم مجلساً وسنّ قوانين جديدة لجمع الضرائب فأعطى كل فلاح « مركياً » بيده ليدفع ما جعل عليه من الضرائب على ثلاثة أقساط معينة في السنة وكلما دفع قسطاً قيد له في « السركي » الذي بيده كما قيد في يومية الصراف وجعل من الأهالي نظار أقسام ومعاونين وأمرهم فلبسوا الملابس العثمانية وبذلك حسنت الحال وسهل تحصيل الأموال .

القلابات والحبشة : وفي أيامه كثر تعدّي الاحباش على الحدود ودخل ألوف من العربان وفيهم الشيخ أحمد ابوجن شيخ عريان رفاعه الشرق في حمايتهم فجهز جيشاً كبيراً من الجنود المصرية المنظمة والباشبوزق وسار في ٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٩ هـ ٢٥ نوفمبر ١٨٦٢ م إلى بلاد القلابات فأخذ بعض الجيش ودخل الحبشة فامتنع الحبش في الجبال فعاد إلى القلابات ومعه العربان الذين كانوا قد هجروا البلاد فأمنهم وردّهم إلى بلادهم . وشرع في تحصين القلابات فأقام فيها « استحكاماً » منيعاً وحصنه بالمدافع وأورطتين من الجهادية وجعل عليه آدم بك قومنداناً وضرب على القلابات جزية سنوية قدرها ٢٤٠٠ ريال . ثم أرسل جيشاً إلى أولاد الملك نمر فاكتسح بلادهم كما سيجيء . وذهب إلى النكا فكت فيها مدة ثم رجع إلى الخرطوم في ٢٢ القعدة سنة ١٢٧٩ هـ ١١ مايو ١٨٨٣ م .

وكان على التكرارة إذ ذاك الشيخ جمعة أبو ذقن جاء بمعد الشيخ أحمد ابن الشيخ ميري المار ذكره فقبل الجزية وامتنع عن ادائها إلى ملك الحبشة ولكنه

تاريخ السودان

لم يزل يهدي إليه الأنسجة والأردية والسروج والساعات والخيل الدنقلوية بما قيمته أربعة آلاف ريال. وكان ملك الحبشة يهدي إليه الخيل والبغال والبن وغيرها حياً يتميم سوق القلابات وترويج التجارة بين السودان والحبشة . وضرب الشيخ جمعه الجزية على جميع واردات الحبشة من رقيق وخيل وبقر وحير وغنم وسنن وذهب وشمع وزباد وبن وقمح وجعدس وفول وحمص وشعير وممن وزبدته كما ضرب ملك الحبشة الجزية على واردات السودان في سوق وهنابي على ٤ أيام من القلابات ..

وخلف الشيخ أبو ذقن على التكرانة الشيخ صالح ادريس من مجاوري الازهر الذي كان اماماً لجامع القلابات. وكان رجلاً شجاعاً صالحاً محبوباً. وقد بقي على التكرانة الى ان كلفت الثورة المهدية فكان له مع زعمائها من الشأن ما سئله إن شاء الله .

عود الى اولاد الملك عمر في ميقية : تقدم ان اولاد الملك عمر ازدادت شهرتهم بعد انتصارهم على تكرانة القلابات. وازداد عدد المهاجرين اليهم وكان في جملة هؤلاء رجل من قبيلة الحناضي القاطنة بديرية الشرقية بمصر كان سنجقاً في عنكروبرر فعينه ٩٠٠ - اسماعيل باشا ابو جبل « على خمسين نفراً وأرسله لجمع الضرائب من عرباك رفاعه الشرق فأقام على ذلك سنة ونصف سنة الى ان قدم ١١٠٠ - علي باشا سري « والياً على السودان فمضاه وأرجعه الى بربر ثم لم يلبث ان طلبه الى الخرطوم فلبى الطلب ونزل في طريقه عند صديق له في شدي يسمى بشير اغا السنجق فقال له صديقه جئت اليوم من الخرطوم فسمعت فيها ان الحكمدار عازم على استرداد المبلغ الذي استوليت عليه من الحكومة مدة خدمتك في رفاعه الشرق بحجة ان اسماعيل باشا ابا جبل قد استخدمك بلا وجه مالي اذ لم يكن لك عمل في ميزانية السودان . وهذا الحكمدار على ما ظهر لي رجل علت مستبد لا ممة له إلا جمع المال وانت رجل جليل القدر رفيع المقام فلا يحمل بك ان تعرض نفسك للاهانة والراي عندي ان تعود الى بربر وتجمع له من المال ما يرضيه وإلا زجك في

تاريخ السودان

السجن حتى تدفع الفلس الاخير . فلما سمع ابو رواش مقالة بشير اغا هاله الامر وعزم من ساعته على الخروج من ارض الحكومة فرجع الى بربر وجهز رجاله وخبوله وأمتعته وفر الى اولاد الملك نمر في ميقبة ففرحوا به وكان لهم أكبر نصير .

ومن لجأ اليهم فراراً من وجه الحكومة فتقووا به «محمود الحلاوي» وهو تاجر من جمافرة اسنا كان في كسلا يتجر في البضائع الاوربية فوقعت القرعة العسكرية عليه في مصر فجنده مدير كسلا وألحقه بالجهادية ولما كانت سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م فرّ هارباً الى اولاد الملك نمر وتزوج بنت الشيخ ابي رواش واتحد معهم على الغزو . وقد وجهوا أكثر غزواتهم على الشكرية والضبانية حتى اضطر الشكرية ان يعاهدوهم على جزية سنوية يدفعونها لهم ليأمنوا ثمرهم ومع ذلك لم يزالوا على التعدي حتى قتل ابو رواش في غزوة غزوا بها سبدرات وبقي الحلاوي الى ان ارسل موسى باشا الغزوة التي مر ذكرها فطلب الامان وعاد الى كسلا فحضر ثورة الجهادية فيها كما سيجيء .

هذا ويظهر ان الملك عمر واخوته كانوا قد ملّوا عيشة الغزو قبل فرار الشيخ ابي رواش اليهم وحنوا الى وطنهم فبعثوا في طلب الامان من الحكومة للعودة الى السودان وكانت الحكومة تود تأليفهم وحملهم على الطاعة فبعث اليهم المنفور له سعيد باشا بالامان وهاك صورة ما أرسله الى الملك عمر بتاريخ ١٧ محرم سنة ١٢٧١ هـ ١٠ اكتوبر سنة ١٨٥٤ م نمره ٩ سايره :

«قد صدر هذا فرمان المبعوث بالتشريف والامان الى عدة أمثاله المكرمين الشيخ عمر. ولد نمر أعلم انه قد طرزق مناسمنا انتهاء علي باشا حاكم دار السودان انك في حنين الى وطنك وأنتك على مزيد الرغبة والاشتياق الى الرجعى الى ديارك انت ومن يليك من الاقارب والاتباع عاقداً نيتك على حصول العمار في حلك وبذل عزيمة صداقتك في اداء الطلبات الميرية لتفوز بحمىل التقرب بالمتن البهية وانك علققت انتقالك من الغربية الى الوطن على تحصيل هذا فرمان لتتقلد به شرفاً وتحظى به بالطمأن والامان فاقتضت ارادتنا اجابة مسؤولك

بإصدار هذا اليك ليم به مرادك وليطرق مسامعنا بعد هذا ثمرات صداقتك واجتهادك وتقابل من لنا بما يليق بذلك فعليك بحميد السعي في أحسن المسالك ، اهـ .

وهذه صورة أمر عال صادر الى « علي باشا شركس » الذي خلف « علي باشا سرتي » على السودان مؤرخ في ٢٩ ربيع اول سنة ١٢٧٢ هـ ٩ ديسمبر سنة ١٨٥٥ ممرة ١٣ ومنه يعلم سير المفاوضات التي جرت بين اولاد الملك عمر وحكومة السودان بشأن العودة الى اوطانهم :

« قد عرض الينا افادة وردت من سلف حضرتكم رقم ٢٩ صفر سنة ١٢٧٢ ممرة ٥ ومعها مذاكرة أجراها مع الملك حسن وأخيه الملك عماره اولاد الملك عمر بناء على الامان السابق اعطاؤه من لنا اليهم والى أخيهام الملك عمر وأمرنا السابق صدوره الى الحكلانية في ٢٥ ل سنة ١٢٧١ هـ وقد علم لدينا انه صار اعطاؤهم الراجعة التامة ونيل ما قصده والطمان والامان وذلك انه سلم اليهم في اعطائهم كافة أطيانهم وأملاكهم ... وأما الشيخ الحسن فما هو ناظر على عموم مديرية بربر الآن وكذا المتسبحين الذين كانوا معها ومع أخيهما وسيحضرون شيئاً فشيئاً . وقد اختاروا الإقامة بالهل المسمى الجيره بين الصوفي والحران بمديرية الخرطوم لما رأوا ان أرضه طيبة للغاية وفي غاية الاتساع وليس لأحد فيه ملك وأنه بنزول الامطار يزرعون به وقد أقام به نحو مائتي نفر ممن حضروا من الحبشة وسيحضر الباقون شيئاً فشيئاً مع أخيهام بجميع تعلقاتهم ويكون استكمال حضورهم واستيطانهم في ذلك الهل في ظرف سنة كاملة او اقل لسهولة تخليص علائقهم من هناك كما تعهدوا ...

واما الاربعية خيال الراغب الملك عمر ترتيبها ليقم بها تحت طلب الحكومة فمن كون لحد الآن لم يتوطن بمحل اقامته ويحري راحة أهاليه وجماعته وينظر في أمر أطيانه وأملاكه وتظهر منه علامات الصداقة والعمارة فكيف الآن يحري ترتيبها . وحيث تبين ان الانتصار الذين معه نحو الستين حلة تقريباً من خمسة عشر الف نفر وما حضر منهم الا المائتين نفر الذين توطنوا بالجيره وقد

تملكت ارادتنا حصول الامن والامان الى اولاد الملك نمر جنيماً وقرارهم في
أوطانهم في غاية الراحة حسبما جبلت عليه مراحمنا من الرأفة والشفقة على العباد
وإعطاء الرعية ما يلبغي لها وقد سرت عدالتنا بإصدار تنبيهات من الحكمدارية
برجوع أملاكهم وأطيانهم اليهم ويكلف الحكام ومشايخ الجهات عن التعرض
الى اقباعهم فقد أصدرنا هذا لخصرتكم لتبأثروا ادخال البشر عليهم ليجتمعوا
اطرافهم ويستوطنوا بالحلل الذي تخيروه وطناً لأنفسهم وجماعتهم ويبأثروا
بإجراء ما فيه رضا لنا لزيادة الراحة والسلام . اهـ .

ولكن يظهر ان أبا زوَّاش ثنى عزمهم عن التسليم وتقووا به فعادوا الى
سابق بعينهم كما مرّ . وبقوا الى ان نقض الرأس طرزه احد كبار الحبشة على
الملك ثيودورس فسأل الملك عمر المساعدة بالاسلحة والخبز فوقف عن
إعانتة خشية الملك ثيودورس فغضب منه وأغار عليه في ميقبة فقتله واكتسح
بلادهم وكان ذلك في أواسط جمادى الاولى سنة ١٢٨٢هـ أوائل اكتوبر ١٨٦٦م
ففرّ من سلم من الدار وعدتهم نحو الف نفر الى القصارف طالبين العفو والامان
من الحكومة فأمنتهم فحضر بعضهم بقيادة اكبرهم عمارة الى شندي ومعه محمد
ابن عمر وعينت الملك عمارة ناظراً على الجميلين فمات في شندي وبقي البعض
الآخر في الصوفي مع خالد ابن الملك عمر الى ان كانت الثورة المهدية فكان من
أعزّ أنصارها كما سيجيء .

السرد صمويل باكر واكتشاف منابع النيل الابيض

سنة ١٨٦٣ : ١٨٦٥ م

وفي ايام موسى باشا قدم الى السودان السرد صمويل باكر من كبار السياح
الانكليز قاصداً اكتشاف منابع النيل الابيض على نفقته الخاصة . وكانت
الجمعية الجغرافية الانكليزية قد أرسلت الرحالتين سبيك وغرانت سنة ١٨٥٨م
لاكتشافها عن طريق زنجبار فاكتشفا بحيرة فكتوريا نيازوه في ٢٨ يوليو سنة
١٨٦٢ م وسمياها على اسم ملكتهما كما مرّ في الكلام على النيل . وكان محمد

تاريخ السودان

علي باشا قد ارسل بعد فتح سنار عدة حملات من الخرطوم لاكتشاف منابع النيل الابيض فوصلت آخر حملة سنة ١٨٤١ م الى كوندوكرو ولم تعد لها بسبب الشلالات التي الى جنوبيها . فأراد السير صمويل باكر بعد سفر سيبيك وغرانت عن طريق زنجبار ان يذهب عن طريق الخرطوم ويستطرد الاكتشاف من كوندوكرو بالبر على رجاء ان يلتقي بالرحالتين المذكورين فيكون نجدة لها ويشاركها في فخر الاكتشاف . فخرج من الخرطوم في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٦٢ م بمركبين كبيرين وذهبية ومعه ٤٥ رجلا مسلحين بالبنادق و ٥٠ من الخدم والبحارة و ٢٩ من الجمال والخيول والحمر ومقدار كبير من الحبوب وبضعة صناديق من أساور النحاس والحز الملوّن الرائجة هناك بدل العملة كما مر. فوصل كوندوكرو في ٢ فبراير سنة ١٨٦٣ م وحط رحاله وأخذ يتأهب للسفر براً واذا بالرحالتين سيبيك وغرانت قد أقبلا في ١٥ منه فأخبراهما باكتشاف بحيرة فكتوريا وانه لم يزل امامه بحيرة اخرى ليكتشفها قد أخبرهما الأهليون بها وأعطياه خارطة سيرهما وجميع ما علماه عنها ثم استطردا السفر شمالاً الى اوروبا وسار باكر جنوباً في البر الشرقي بقصد اكتشاف تلك البحيرة حتى أتى عليها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ م بعد معاناة مشقات كثيرة وأخطار جمّة ولا سيما بسبب تجار الرقيق الذين كانوا قد انتشروا في تلك البلاد يعيشون فيها كما سيجيء وقد أتاها أولاً من الجنوب ثم جال فيها بمراكب السود فأتى شمالها ورأى مصب النيل الآتي من بحيرة فكتوريا وخرج النيل الابيض الذاهب شمالاً وسماها اموارد نيازته على اسم ولي عهد انكلترا في ذلك الحين . ثم عاد الى كوندوكرو وسار منها بذهبيته ومركبيه حتى وصل الخرطوم في ٣ مايو سنة ١٨٦٥ م فأقام فيها الى ٣٠ يونيو وخرج منها في ذلك اليوم الى بربر فسواكن فبلاد الانكليز فوصلها في اكتوبر سنة ١٨٦٥ م .

وقد صحبه في هذه السفرة امرأته الهامة الفاضلة فقاسمته مشاقها وأخطارها ولظفت منها وأتمها وأعانته على حلّ المشاكل التي عرضت له مع تجار

الرفيق حتى انها أنجته من خطر القتل مرتين ولولاها ما سلم ولا فاز بالمراد .
فحبذا المرأة امرأة باكر .

وفي ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هـ ١٧ يناير سنة ١٨٦٣ م . توفي سعيد باشا الى رحمة ربه وتولى بعده على مصر و اسماعيل باشا ، ثاني أجداد ابراهيم باشا فاهتم للسودان اهتماماً عظيماً وقد سرّ من اعمال موسى باشا فيه فأنعم عليه برتبة فريق فعمل مهرجاناً عظيماً تُزيّنت له البلاد . وفي ٢٣ محرم سنة ١٢٨٠ هـ ١٠ يوليو سنة ١٨٦٣ م ذهب الى مصر قادماً الشكر لاسماعيل باشا على انعامه وأطلعه على حال البلاد وعاد الى الخرطوم فبقي فيها الى ان توفاه الله في ٨ شوال سنة ١٢٨١ هـ ٦ مارس سنة ١٨٦٥ م . فدفن هناك . وقد سارت البلاد في ايامه على أحسن نظام وكان فيها من الجند نحو ٣٠ . ٠٠٠ من نظامية وباشبورق .

جبال تقلي ، وكان على جبال تقلي في ايام موسى باشا ملك يسمى الملك ناصرأ اشتهر بالقسوة والصرامة في العقاب فكان اذا غضب من شخص وضعه عارياً مكتوفاً على حجر عمى حتى يموت . وقد حكى لي بعض معارفه ما دلّ على تناهيه في القسوة الوحشية قال : ان صائناً من صاغة الابيض سمع بقسوته وكان يُذيب فضة على النار فلما سالت قال : حق هذا السائل ان يصبّ في انف الملك ناصر جزاء قسوته وظلمه فبلغ الخبر الملك ناصرأ فعزم على الايقاع به وأركن الى الحيلة فأرسل اليه اربع جوار هدية وسأله ان يحضر مع الرسول الى الجبل ليصوغ بعض الحلى لنسائه ووعدته بمكافأة جليّة فذهب الصائغ فأعطاه بعض الفضة والذهب فصاغها له ثم أعطاه فضة وسأله ان يُسبّلها على النار ولما سالت قال له : أتذكر انك اشتيت مرة في الابيض ان يُصبّ مثل هذا السائل في أنفي ؟ فسكت الصائغ وألجم لسانه فأمر بعض العبيد فقيّدوه ثم أخذ الفضة وصبّها في أنفه وهي بحماة فتورم دماغه ومات لساعته . وقد ارسل ولاية السودان الحملات عليه قصد إزالته فقصروا عنه . وبقي على تمرده حتى وقع خلاف بينه وبين ابن عمه آدم دبالو . وكان أهله قد



اسماعيل باشا الخديوى الاسبق

سُموه لكثرة ظلمه وقسوته فنصروا ابن عمه عليه ففرّ بمائتته الى موسى باشا في الخرطوم فأرسله الى اسماعيل باشا بمصر ثم عاد الى السودان فقطن جزيرة معتوق في بلاد سنار ومات هناك . واما الملك آدم دبالة فانه بقي على جبال تقلي حتى كانت الثورة المهدية فكان له فيها من الشأن ما نذكره في محله .

حرب العقال : وفي هذه الأثناء وقع في بادية كردوفان حرب شديدة بين عربان حمر وقائدهم الشيخ مكي ود المنعم وبين عربان الكبابيش وقائدهم الشيخ فضل الله ود سالم اشتهرت بحرب العقال . لأن كلا الفريقين جمع رجاله وأولاده الى ساحة الحرب وعقل الابل وعول على النصر او الموت وتقاتلا طويلا مستقتلين فانتصر الحمر وغنموا نحاس الكبابيش وأموالهم . وهذه الحرب بين حمر والكبابيش مع « قتلة القرطاس » بين حمر والمعالبة المار ذكرها في تاريخ دارفور مما اشر الحروب التي جرت في بادية السودان الغربي الى الآن ولأهلها فيها أغاني مشهورة في مدح الغالب وذم المغلوب .

١٧ - جعفر باشا صادق ١٢٧١ هـ ١٨٦٥ م . وكالة عمر فخري بك

وبعد وفاة موسى باشا قام عمر فخري بك بشؤون الاحكام الى ان حضر جعفر باشا صادق من مصر حكمداراً للسودان .

ثورة الجهادية السود في كسلا سنة ١٨٦٥ م :

وفي أثناء ذلك ثار الجهادية السود في كسلا ثورة أدت الى سفك دماء كثيرة واستغرقت عدة اشهر وكانت السبب فيها سوء إدارة القواد وتأخر الحكومة عن دفع مرتبات الجند . وتفصيل ذلك على ما رواه لي الثقات الذين شهدوا الثورة : انه كان في « استحكام » كسلا في ذلك الحين الاي فيه نحو ٤٠٠٠ من الجهادية السود ومعهم نحو الف نفر من الباشبوزق الاتراك والشايقية وكان المدير على كسلا ابراهيم بك ادم . فلما كان شهر شوال سنة ١٢٨١ هـ مارس ١٨٦٥ م خطر للمدير ان يرسل غزوة على جبال البارية والبازره فأصدر أمره

لاورطة من الجهادية وبعض الباشبوزق بالتأهب للغزوة وكان قد مضى على الجهادية ستة اشهر لم يقبضوا فيها رواتبهم فرفضوا الامر وقالوا : « لا نسافر حتى نقبض المتأخر من رواتبنا » فلما بلغ خطاب افندي قومندان الاورطة قولهم غضب وقال : « أصبح للعبيد شأن يعصون به الامر فوالله لأسوقهم الى الغزاة بالسياط » فازداد السود تصلباً وعناداً ولما جاء الميعاد المضروب خرجوا من الاستحكام ووقفوا عند باب سبدرات طابوراً فجمعوا اسلحتهم امامهم كوما وارسلوا يخبرون خطاب افندي انهم لا يلتقلون من مكانهم حتى يقبضوا رواتبهم بتمامها وان كان لم يزل ينوي تنفيذ امره بالسياط كما قال فليفعل . فجاءهم خطاب افندي على جواده ونادى بهم « سلاح آل » فجمعوا عليه وأوسعوه شتماً وضرباً بالعصي وكان نساؤهم من ورائهم يشجعهم ويزرعطن لهم فلجأ خطاب افندي الى الفرار واخبر المدير بما كان فاهتم للامر وخشي امتداد الثورة الى الألاي كله وكانت الجبخانه (الذخيرة) بيد ملازم منهم فأخرجها من يده وسلمها الى ضابط من ضباط الباشبوزق الاتراك وجمع التجار المغاربة واهل البلد فسلحهم وضمهم الى الباشبوزق وفرقهم على أبراج السور .

اما العصاة فانهم حملوا سلاحهم وساروا في وجوههم نحو سبدرات وكان خطاب افندي قد وجه اليها بعض العساكر الباشبوزق بمدفعين و ٦٠ صندوق جبخانه محملة على ٣٠ جملاً ليتقدموا الغزوة فأدركهم العصاة على الطريق واستولوا على الجبخانه والمدفعين بعد ان فتكوا بالعساكر وضربوا قائدهم السر سوارى سعيد اغا ابا فلقة فأتخنوه وتركوه بين حي وميت ونزلوا في سبدرات . فعقد المدير نادياً من الضباط والتجار والاعيان للنظر في امر الاورطة فأقرؤا على ان يرسلوا اليهم رواتبهم المتأخرة ومداركة الامر بالتي هي احسن حتى تطمئن نفوسهم اولاً ثم ينفذون فيهم رأيهم وكان في خزينه كسلا بعض نقود مودعة أمانة فقرء رأيهم على إعطائهم إياها حتى يتيسر المال فتدء الى محلها . وكان في كسلا اذ ذاك الاستاذ السيد الحسن ابن الاستاذ السيد محمد المرغني مؤسس الطريقة المرغنية في السودان فتكفل بالامر له فحمل النقود وجاء الى سبدرات

فوزها على العصاة على التساوي فأصاب كلا منهم أربعة ريالات ثم عنفهم على مسلحهم وطلب اليهم ان يرجعوا الى كسلا فرضوا على ان يكون غير خطاب افندي قومنداناً عليهم فعاد الاستاذ الى كسلا وأخبر المدير بما كان فأرسل اليهم عثمان بك قائقام العساكر ليقودهم ويفزوا بهم الجبال فقابلوه بالطاعة وساروا معه في الغزوة فأقاموا فيها ثلاثة اشهر وعادوا الى كسلا .

وكان المدير في أثناء ذلك قد كتب الى اللواء حسن باشا في الخرطوم يخبره بما حدث فأرسل حسن باشا الميرالاي علي بك ابو ودان لاستلام قيادة الألای ثم حضر بنفسه على الاثر ومعه اسماعيل بك ايوب للنظر في الامر فوصل كسلا قبل رجوع الاورطة بشهر . فلما حضرت عقد مجلساً سرياً للنظر في أمرها فاتفق رأيهم على ان يوزعوا العساكر على عربان الهدندوة بحجة جمع الضرائب ثم يأمرؤا العربان بالقبض عليهم فصدر الامر للاورطة فخرجت الى المينكناب بقيادة الميرالاي علي بك ابو ودان . ولما كان يوم الاثنين ٧ صفر سنة ١٢٨٢ هـ ٢٧ يونيو سنة ١٨٦٥ م أمر علي بك ضباط الاورطة وكان أكثرهم من المصريين بالتفرق بين القبائل لجمع الضرائب فأدرك العساكر ان في الامر دسيسة فرفضوا السفر ولما أغلظ لهم الضباط في الخطاب هجموا عليهم فقتلوا أكثرهم وانتشروا في البلدة فنهبوها وانقلبوا راجعين الى كسلا .

اما علي بك ابو ودان فانه نجا منهم بكل مشقة وخف الى كسلا فوصلها قبلهم وأخبر اللواء والمدير بما كان فخرجوا من منازلها التي كانت داخل قشلاق (ثكنة) الجهادية ودخلا ديوان المديرية بعائلاتها وأخذوا يستعدان لملاقاة العصاة وكان السر سوارى سميد اغا قد شفيت جراحه فأمره بالمحافظة على الذخيرة مع عساكره وجمعا الاسلحة من الاورط الثلاثة الباقية في كسلا وبدل ان يضعها في خزانة السلاح وضعها في القشلاق . وكان الشايقية الباشوزق مقيمين خارج السور فأدخلهم داخل السور وضمهم الى المفاربة وغيرهم من سكان المدينة وفزقام على الابراج وأمرهم بضرب عساكر الاورطة عند وصولها وأقاما في برج الحلائقة بين البابين الغربيين . وفي صباح الاربعاء ١٠

صفر سنة ١٢٨٢ هـ ٥ يوليو سنة ١٨٦٥ م حضرت الاورطة سائرة بالانتظام
 العسكري فلما شاهدها بهذا الانتظام أمرا بعدم التعرض لها ودخلا ديوان
 المديرية فتحصنا به فلما اقترب العصاة من باب الجنائن أطلق عليهم البلوكباشي
 محمد اغا المردلي عياراً نارياً على خلاف الامر فقتل منهم شوايشاً وقال هذا
 ثار ابن عمي الذي قتل يوم الثورة عند سلب الجببخانة ثم أطلق عياراً نارياً
 آخر فقتل اومباشياً فهاج عساكر الاورطة اذ ذاك ودخلوا القشلاق وكان
 فيه الضباط المصريين وعدتهم ستة وعشرون فقتلهم عن آخرهم أما خطاب
 افندي فبعد ان قتلوه وضعوا عليه يدياً وأحرقوه بالنار ثم اجتمع عليهم
 الاورط الثلاثة الباقية وتمصبوا للجلسية ضد الاتراك والعرب وكسروا أبواب
 الغرف التي وضع فيه سلاحهم فأخذوه وتحصنوا في القشلاق وفتحوا فيه
 المزاغيل وقطعوا السابلة وانتشر أكثرهم في البيوت ينهبون ويسلبون . وكان
 السيد حسن المرغني قد ذهب الى سبدرات فأرسل اليه المدير يدعوه فحضر في
 ١١ صفر سنة ١٢٨٢ ١ يوليو سنة ١٨٦٥ الى حلة الحلانقة غربي الاستحكام
 وكتب الى العصاة يسألهم الكف عن الحرب وسلم الكتاب الى احد خلفائه
 فرفعه على قصبة ودخل به الاستحكام وهو ينادي جاءكم كتاب السيد الحسن
 فتلقاه العصاة بالقبول وكفوا عن الحرب . ثم دخل الاستاذ فهرعوا اليه يقبلون
 يديه وشكوا اليهم أمرهم فوعدهم بالراحة ثم ذهب الى اللواء والمدير وعقد
 مجلساً للنظر في تسكين الفتنة فقرّر الرأي المرة الثانية على استخدام العريان
 للقبض عليهم فجمعوا جموعاً كثيرة من خيالة وقرّاية من الهدندوة والحلانقة
 وعرب سبدرات والجادين وبني عامر ووضعهم في الحامية . ثم ذهب السيد
 الحسن الى الجهادية وقال لهم لقد اتفق الرأي على ان تخرجوا من الاستحكام
 يمينع أمتعتكم وتذهبوا الى حيث تشاؤون فشمع الجهادية ان في الامر مكيدة
 كالتي كيدت لهم في الميكناب فأبوا ان يخرجوا إلا اذا أعطي كل منهم ١٢
 طلقة من الجببخانة ليحموا بها أنفسهم اذا غدر بهم فانفق رأي الجميع على
 اجابة طلبهم إلا سعيد اغا ابو فلقه المولج في حفظ الجببخانة وصاحب الثار

تاريخ السودان

على العصاة كما أمر فانه رفض هذا الرأي بتاتا وقال « اني لا اعترف بسلطة احد منكم علي » وأحسب نفسي مسؤولا عن الجبخانة من افندينا رأسا . فاجابه المدير واللواء « اذا نحن لم نعظم القدر القليل الذي طلبوه من الجبخانة فلا حيلة لنا في القبض عليهم بل نخشى ان يهاجموك فيقتلوك انت ورجالك ويستولون على الجبخانة كلها فبقي ان نختار أهون الشرين ونعطيهم ما سألوه ثم ننظر الى رأينا فيهم » قال سعيد اغا « أهون الشرين تختارون في تسليمك جبخانة الحكومة الى عصاة خونة تمردوا عليها وقتلوا الجم الفقير من رجالها أي الدنيا شر اعظم من ان يظهر رجال العسكرية الجبن امام العبيد اولاد الجوارى فيسلموا لهم بمطاليب . ما أنزل الله بها من سلطان ويعطونهم الجبخانة ليستخدموها في حريمهم أليس الأجدر بنا ان ندعوم الى الطاعة فان أبوا حاربناهم حتى فرزا او متنا مشرفين . ومع ذلك فاختاروا انتم لأنفسكم ما تشاؤون اما انا فقد اخترت الموت على التسليم بمطالب هؤلاء الاجلاف واذا هاجموني في محلي وعجزت عن صدم فاني ازكب برميلا من البارود وأشعل النار في الجبخانة كلها فأقتل نفسي ولا أمكنهم من طلبة واحدة منها » .

وبلغ العصاة هذا القول فتركوا السفر وانقسموا اربع فرق حسب اجناسهم الدنكة والفور والنوبة والمولدين فتولى كل فرقة رئيس منهم وانتشروا في البندر ينهبون ويسلبون ونزلت فرقة الدنكة على منزل الحاج احمد ود عجيب وكان فيه مطمورة غلة فقتلوا الحاج احمد المذكور وأخاه وتقدموا الى باب المطمورة لاختراج الغلة وكان للحاج احمد بنت تسمى آمنة فلما رأت أباهما وعهما مقتولين هان عليها الموت فأخذت سيفاً ووقفت في الباب فصدتهم عن الدخول وقتلت خمسة منهم فتسلقوا السقف ونقبوه ونزلوا اليها فقتلوها وأخذوا الغلة .

وكان المدير قد ارسل يطلب المدد من عمر فخري بك في الخرطوم ورفع فخري بك الخبر الى اسماعيل باشا بمصر فاهتم اسماعيل باشا بالأمر حق الاهتمام وبعث بجعفر باشا صادق والياً على السودان فذهب اليه عن طريق كورسكو .

وجعل جعفر باشا مظهر وكيلا له وأرسله يجيش ومدفعين الى كسلا لاختداد الثورة فذهب اليها عن طريق سواكن. وبعث بالوامر المشددة الى عمر فخري بك ليبادر الى ارسال النجيدات من حاميات البلاد الى ان يصل مدد مصر .

وكان اول من وصل الى كسلا مدداً السر سوارى علي كاشف الكردي ومعه ٤٠٠ رجل من الباشبوزق جاءها من القضايف في أواخر يوليو سنة ١٨٦٥ م ونزل في ديوان المديرية . وبعد وصوله ببضعة ايام خرج احد رجاله يحمله ليرعاه فلقبه جماعة من الجهادية السود فسلبوه جملة وسلاحه وجبختاته فعاد الى علي كاشف شاكياً فغضب علي كاشف وضرب طبل الحرب ونهياً للقتال . وكان السيد الحسن المرغني لا يزال مقيماً داخل الاستحكام فأتى اليه وسكن غضبه وتكفل له بردة الجمل والسلاح ثم ذهب الى الجهادية وتلطف لهم فردوا الجمل والسلاح ولكنهم أنكروا انهم أخذوا شيئاً من الجبختانة فصمم علي كاشف رأيته على استرجاع الجبختانة ولما لم يردوها خرج اليهم ليلاً في ضوء القمر وأشعل فيهم النار فقابلوه بالمثل ولما ثقل عليه الرصاص عاد الى ديوان المديرية وتحصن به . وفي اليوم التالي فتح الجهادية المزاغل في القشلاق والمنازل التي في جواره وصاروا يرمون المارة بالرصاص فقطعوا السابلة وحبسوا الناس في منازلهم مدة ٢٦ يوماً حتى حضر آدم بك من ود مدني فالخرطوم فبربر بمدد من الجنود المنظمة والباشبوزق فكفوا عن الحرب .

اما آدم بك فكان من أعظم ضباط الجيش المنظم وقد تربى في مصر ورافق ابراهيم باشا الى بر الشام فاشتهر بالبسالة والدرية وحسن السياسة وكان اسماعيل باشا يعرفه فلما بلغه انه 'ندب الى كسلا كتب اليه بالتركية بتاريخ غرة جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٥ م ما مفاده :

و عزتو آدم بك

و ورد لنا في هذا البريد كتاب من عمر فخري بك وكيل الحكمدارية سابقاً بتاريخ ٤ ربيع اول سنة ١٢٨٢ هـ ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٥ م انك 'وجهت بنفر من العساكر النظامية والباشبوزق الى كسلا لاختداد الثورة وقد ارسلت

منذ عشرين يوماً جنداً منظماً ومدفعين بقيادة جعفر باشا مظهر وكيل
الحكدارية لهذه الغاية عينها . على اني أواملك انك تتمكن من اخذ الثورة قبل
وصوله فان عجزت عنها وحدك فاني جازم انك تقويان عليها معاً . وقد
اتصل بي ان افراداً من العصاة يخرجون من الاستحكام الى البلاد يمشون
ويفسدون فتعقب مثل هؤلاء وجاهزم أشد جزاء واذا خرج منهم جماعة كبيرة
من مئة نفر الى مئة وخمسين فجرّد عليهم نخبة من فرسان الباشبوزق الذين
استصحبتهم من الخرطوم ومن الجند المصرية المنظمة الذين اعتادوا هواء البلاد
ليطاردوهم حتى يظفروا بهم قتلوا او اسرى اما الاسرى فسلمهم الى جعفر باشا
ليفعل فيهم رايه . واني أعلم بسالتك وحسن سياستك منذ كنت مع المرحوم
والدنا في سوريا فحقق آمالنا بك وعند انتهاء الثورة احضر الى مصر
والسلام .

فلما وصل آدم بك الى كسلا أنزل جنده خارج السور تجاه الباب الشرقي
وأخذ بروجيه وبلطجيه وذهب رأساً الى القشلاق حيث أقام العصاة فأمر
البروجي بضرب « نوبة جمعية ضباط » ولما اجتمع الضباط عليه خاطبهم
قائلاً : « يا أولادي ما هذا التمرد والعصيان اللذان جاهرتم بهما ألسن اولاد
أفندينا الذي شرفكم بخدمته وأجرى لكم الرزق والخيرات السنين الطوال
أيحسن بكم ان تعصوه وتنقضوا على حكومته وهو قد عهد اليكم تأييد سلطته
في البلاد ؟ نعم انكم مظلومون لعدم أخذكم رواتبكم في أوقاتها ولكم ان ترفعوا
أصواتكم بالشكوى ولكنكم خرجتم عن حد الشكوى ووسعتم الخرق . ومع
هذا فاني ارجو اصلاح الامر وأخذ العفو لكم من ولي النعم فاذا سألوكم بعد
الآن فقولوا اننا لم نجد ضابطاً عظيماً من أبناء جلدنا نرفع له شكوانا ليلبثها
الى ولي نعمتنا فكان منا ما كان . وأريد منكم الآن ان تخرجوا خارج السور
فتقيموا بين جيل مكram وجبل كسلا حتى يصل اليكم العفو ولا تفاتروا بقوتكم
وكثرة جموعكم فان « يد الميري طويلة » فها اننا قد جئت بجيش من العساكر
السود والباشبوزق وجاء قبلي جيش آخر والمدد آت في الطريق من كردوفان

تاريخ السودان

وسنار وبربر ومصر فاذا تماديت في العصيان فانهم يجتمعون عليكم ويقتلونكم شر قتلة فاقبلوا النصح وسلموا أمركم إليّ وأنا أدبركم بحكمي ومروءتي . و آدم بك عربي المجلس وأبوه محمد ضو البيت شيخ عربان دار حامد بكردوفان ولكنه كان شديد السمرة جداً وعارفاً بأخلاق السود حتى كان يُظن أنه منهم فاستأنسوا به واطمأنوا لكلامه خصوصاً لأنه خاطبهم كأب فامتلأوا أمره وخرجوا من القشلاق الى المكان الذي عينه لهم خارج السور .

وبعد وصول آدم بك بأربعة ايام حضر الصاري ششمه عبد الله باشا من الخرطوم وبربر ومعه ثلاثة ارادي من الباشبوزق فعسكر خارج السور . وعقد اللواء حسن باشا مجلساً في ديوان المديرية مع عبد الله باشا والمدير وآدم بك وسائر الضباط والسناجق للنظر في شأن العصاة فقرّر رأيهم على تجريدهم من السلاح وولجوا الأمر لآدم بك فسلموه سلاحهم عن رضى . ثم عقد الضباط مجلساً آخر للنظر فيما يفعلونه بعد فكان رأي الاكثرية على قتلهم فانكر آدم بك هذا الرأي وقال اني حلفت لهم بشرفي انه لا يقع عليهم حكم إلا اذا صدقه أفندينا وعلى هذا سلموني سلاحهم فالآن نرفع الامر الى أفندينا والذي يأمر به نفعله . فأخذ المجلس برأيه ولكنه أقرّ على شد وثاقهم الى ان يأتي الردّ بشأنهم من مصر فأمرنا عساكر الباشبوزق فركبوا خيولهم واحتاطوا بهم من كل جانب وأخذوا حبلاً من الخازن وشرعوا في تقييدهم وادخلهم في القشلاق جماعة بعد جماعة . وانهم كذلك اذا ببلوكباشي من الباشبوزقي اختطف بنتاً من يد شاويش من الألاي ليتمكن من تقييده فبكت البنت فسأله أبوها ان يتركها وشأنها فغشتمه البلوكباشي ورفسه برجله فأخرج سكيناً من كفه وضمن البلوكباشي فقتله وهماج السود فأمر عبد الله باشا الباشبوزق فأطلقوا الرصاص عليهم فقتلوا اكثرهم وقبضوا على الباقيين قبض اليد وزجروهم في السجن ..

ثم لم يكن إلا القليل حتى حضر جعفر باشا مظهر يحنده وحقق أسباب الثورة . وكان الصاغ محمد أفندي ابا حظه قد كشف حظه في الرمل فقبل

تاريخ السودان

له انه اذا بقي مع المدير يموت شنة فانضم الى العصاة وذلك قبل مجيء آدم بك من الخرطوم بيومين فأمر جعفر باشا بشنقه فشنق. ثم شتى بعده اليوزباشي بشير اغا السوداني الذي اتحد مع الجهادية بعد رجوعهم من المتكتاب . أما الجهادية العصاة الذين سلموا من القتل فقد جعلهم ثلاث فئات فجعل الذين بدأوا بالثورة مع خطاب افندي ثم عصوا في المتكتاب فئة اولى . والذين عصوا بعد رجوع الفئة الاولى من المتكتاب فئة ثانية . والذين كانوا متغيبين في الجهات خارج البندر او الذين كانوا فيه ولم يظهروا العصيان فئة ثالثة . فحكم على رجال الفئة الاولى بالاعدام فأوثقوهم وصفوهم على خندق حفروه لهم في سفح جبل مكرام وضربوهم بالرصاص فسقطوا في الخندق ثم ردموا الخندق فكان من الردم تل ظاهر . وحكم على رجال الفئة الثانية بالحبس المؤبد مع الاشغال الشاقة فاستخدموهم اولاً في بناء المنازل التي خربوها . وأما رجال الفئة الثالثة فقد نظم منهم ٣ بلوكات وأبقاهم في المديرية . أما ابراهيم بك أدم المدير فقد توفي قبل وصول جعفر باشا الى كسلا بأيام قليلة وكانت وفاته بفترة حتى قيل انه شرب سماً ليتخلص من الاهانة والعقاب . وتوفي بعده عبد الله باشا ، ثم عثمان بك . وكان اللواء حسن باشا قد أصيب بالاسهال قبل وصول جعفر باشا الى كسلا فتوفي بعد وصوله بأيام قليلة .

وهكذا انتهت ثورة الجهادية السود في كسلا بعد ان جرت الخراب على أهلها وضاع فيها الكثير من النفوس والاموال . ولم تكتف بهذه بل جرت وراءها ذبلاً أى حى وبائية نجمت عن فساد الهواء لكثرة القتلى فمات بها خلق كثير .

١٨ - جعفر باشا مظهر سنة ١٢٨٢ : ١٢٨٧ هـ - ١٨٦٦ : ١٨٧١ م

أما جعفر باشا مظهر فانه بعد ان هدأ الثورة في كسلا أقام حسن بك مديراً عليها وتوجه الى الخرطوم وذهب آدم بك الى مصر طوعاً للأمر فأنعم عليه اسماعيل باشا برتبة اللواء وبالنيشان الجينيدي الثاني وسمى جعفر باشا

مظهر حاكماً عاماً للسودان فعاد جعفر باشا صادق مريضاً الى مصر ودخل مظهر باشا الخرطوم في ١٧ شوال سنة ١٢٨٢ هـ ٥ مارس ١٧٦٦ واثني يوم دخوله قري القرمان العالي بحضور جمع حافل من العلماء وأرباب المناصب والاعيان وبعد قراءته دخل الناس للسلام عليه وكان هناك شاهين باشا الذي حضر بالنيابة عن اسماعيل باشا لتنظيم مالية السودان فعرّفه بجميع الداخلين عليه فتخلع على العلماء والوجهاء أحسن التخلع. وجعل علي بك فضلي وكيلاً له. ثم جمع العساكر السودانية من التاكا وود مدني وكردوفان وغيرها وأرسلهم الى مصر وأتى بعساكر مصرية عوضاً عنهم .

وكان عند قدومه الى الخرطوم قد حدث غلاء واشتد حق هاج الناس فأرسل بعض التجار بنقود من الخزينة الى الجهات فاتوا بالفلال فرخصت حق صار ربع الذرة بغرش بعد ان كان بخمسة غروش .

وفي أواخر سنة ١٨٦٦ م ذهب الى سنار وفازوغلي وكردوفان فاستطلع أحوالها ثم عاد الى الخرطوم فطلب من مصر ردّ العساكر السودانية الى السودان .

وفي هذه السنة أي سنة ١٨٦٦ م تخلت الدولة العليا عن سواكن ومصوع الى الحكومة المصرية بزيادة ١٦٠٠٠ جنيه مصري ، على جزيتها السنوية .

وفي ١٦ الحجة سنة ١٢٨٣ هـ ٢١ ابريل سنة ١٨٦٧ م ذهب جعفر باشا الى مصر بطلب من اسماعيل باشا فأرسل بمهمة الى جهة البحر الاحمر وبعد قضائها رجع الى مصر فوصلها في غرة رجب سنة ١٢٨٥ هـ ١٨ اكتوبر سنة ١٨٦٨ م وحال وصوله أرجع معظم العساكر المصرية الى مصر .

وفي سنة ١٨٦٩ م قسام من الخرطوم رجل يسمى البلالي بحملة صغيرة لاحتلال بحر الغزال وحضر السر صمويل باكر مكتشف بحيرة البرت نيازة بحملة من مصر لاحتلال خط الاستواء وذلك لضم هذين البلدين الى حكومة السودان ومنع تجارة الرقيق التي كانت قد عمت تلك البلاد وسائر بلاد السودان

وقبل الشروع في ذكر هذين المثلين أذكر طرفاً من تاريخ تجارة الرقيق على سبيل التوطئة فأقول :

تجارة الرقيق في السودان :

الاسترقاق قديم في الناس ظهر فيهم في كل زمان ومكان وأصله الفطرة التي جُبِلَ عليها الاحياء من استعباد القوي للضعيف . وأول ما ظهر استرقاق الناس في أسرى الحرب فكان الظافر يجعل أسراه في خدمته حتى يُفقدوا بالمال وإلا أبقاهم عبيداً عنده الى المات . وهذا في السود والبيض على حد سواء وكلامنا الآن في السود فقد مرّ بنا كيف كان الفراعنة من اول عهد التاريخ يغرزونهم ويعودون منهم بالأسرى فينظمونهم في جيشهم او يدخلونهم في خدمة بيوتهم واقتفى أثرهم اليونان ثم الرومان ثم العرب المسلمون الذين ملكوا مصر على التوالي . ثم كان كلما هاجر قوم من مصر او آسيا الى السودان يزحزح السود عن أماكنهم جنوباً ليفسح لنفسه مكاناً طيباً يقيم فيه حتى اضطر السود الى الاعتصام بالجبال الصعبة ومستنقعات النيل الاعلى . ولما افتتح العرب المسلمون السودان وأسسوا فيه الممالك اشتد الخطب على السود ولم يعد لهم في بلادهم راحة لأن العرب لم ينفكوا عن غزوم وسبيهم كما سنحت لهم فرصة وربما أركن بعضهم الى الحيلة والغدر فخالف ملكاً من ملوك السود وتعلم لغته وتزوج من بناته ثم تسلّت له الفرصة فاختطف النساء والاولاد وعاد الى بلاده . وبذلك كثر السود عند عرب السودان حتى صار أحقر العرب يملك رقيقاً وزاد الرقيق عن حاجتهم فصاروا يتجرون به في مصر والحجاز وتفرع من هذين البلادين الى سورية وتركيا والفرس وسائر بلاد الشرق وأصبح الاتجار بالرقيق في السودان مهنة من اعظم المهن .

البحارة : وكان اهل السودان الى هذا العهد يحاربون بالحرايب والسيوف والنفاب ولم يستعملوا البارود إلا نادراً فلما كان الفتح المصري ودخلت جنود مصر بأسلحتها النارية الى السودان كثر استعمال البارود فيه وصار العربي

الواحد يهرب ببندقية رهطاً من السود فسهل على العرب غزوم بل أصبح غزو السود وصيدم صناعة لكثيرين منهم يتعيشون بها ويجمعون منها الاموال الطائلة . وقد توغل صياد الرقيق في النيل الابيض حتى وصلوا الى اعالىه وملأوا بلاد بحر الغزال وخط الاستواء قيل وكان اول من دخل بحر الغزال بعد الفتح المصري تاجر من الخرطوم يسمى الحبشي دخلها سنة ١٨٥٤ م في قارب صغير ثم اقتفى أثره الكثير من التجار وأشهرهم السيد احمد العقاد من مصر وعلي ابو عموري من صعيد مصر ومحجوب البصيلي من اسنا وغطاس القبطي وكوشوك علي التركي وادريس ابتر الدنقلوي وغيرهم . وكانوا في بادي يتجرون بالعاج والريش واللاستك ثم وجدوا ان الرقيق أربح لهم وصيده سهل فانعكفوا عليه وجندوا له العصائب . وكان التاجر منهم يأتي بمصابته بلداً من بلاد السود فيحفر خندقاً يضع داخله بضائعه وأسلحته ورجاله ويحيطه بزيينة من شوك ثم يشرع في جمع السن والريش هقايشه بالحرز والحراب والاساور وغيرها من الاشياء المرغوبة في تلك الجهات ويخزن ما يجمعه منها في زريته ويبقى على ذلك الى ان يلقى فرصة في ذلك البلد فيهاجم أهله ببنادقه . وكان السود اذا سمعوا صوت البنادق فرأوا كالانعام مملوئين رعباً وخوفاً فينتم التاجر ويسبي ويعود الى زريته . ومما جرأ التجار على مثل هذه الفعال انشقاق ملوك السود بعضهم على بعض فكانوا اذا هاجموا ملكاً منهم لم يخشوا انتصار جيرانه بل ربما استنصروا جيرانه عليه . وكانوا يقيدون أسراهم بقيود من حديد ويسوقونهم الى زرائبهم سوق الانعام حتى لقد يموت كثير منهم في الطريق وعند وصولهم الى الزرائب ينتقون أقوام بدناً وأخفهم حركة وأثبتهم جناناً فيضمونهم الى عصابتهم ويدفعون الباقي مع السن والريش الى النحاسين . وقد عرف هؤلاء التجار « بالبحارة » لأنهم كانوا يغزون في البحر الابيض .

الفهاسة : وأما الذين كانوا يغزون الجبال كجبال النوبة وجبال فازو غلي فقد عرفوا بالفهاسة . حدثني بعض زعماء الفهاسة في جبال النوبة عن كيفية

غزوم تلك الجبال قال : كنا لا تنهض للغزو إلا في أوان الزرع اذ يترك السود جبالهم وينزلون الى السهول لزرع الحبوب فيستصحب كل منا نفرأ من المشاة المسلحين بالبنادق وكتيبة من الفرسان البقارة المجاورين لتلك الجبال فيردف كل فارس معه رجلاً ويسير الفرسان في مقدمة المشاة حتى اذا ظفروا بجماعة من السود أغاروا عليهم بخيلهم ونزل الرذاف عن الخيل فشدوا وثاقهم وساقوم امامهم وانقلب الكل راجعين فاذا فزع السود من الجبال تصدئ لهم المشاة وفتحوا عليهم أفواه البنادق وردؤهم على أعقابهم خاسرين واقتسموا الرقيق فيما بينهم النصف للفرسان والنصف الباقي نصفه للزعيم ونصفه للمشاة ومصير الكل أسواق الرقيق .

وأشهر اسواق الرقيق في ذلك العهد اسواق الأبيض وفاشودة والقلابات التي كان يرد اليها الرقيق من دارفور وجبال النوبة وبحر النزال وخط الاستواء والحبشة وكان النخاسون يشترونهم من هذه الاسواق ويبيعونهم في اسواق الخرطوم والمسلمية وود مدني وسنار والقضارف وكلا وبربر وشندي ويرسلون ما زاد عن حاجة البلاد الى الحجاز ومصر عن طريق النيل والبحر الاحمر .

اما ثمان الرقيق فتختلف من الريال الواحد الى الخمماية ريال وذلك باختلاف أجناسهم وأعمارهم وبنيتهم وبعدهم عن منبعهم الاصلي . وغن الانثى اعظم من غن الذكر . وأعز الرقيق رقيق الحبشة ثم رقيق الدنكا ثم النوبة ثم الفور وأدناها رقيق الشك .

وشرء ما أنشجته هذه التجارة المعيبة خصي المبيد الذكور بطريقة تقشعر لها الابدان وهم ينتقون للخصي أقوى الصبيان وأصعبهم بنية من سن ٦ : ١٢ فما يبلغ هؤلاء المساكين سن الرشد حتى يظهر تأثير تلك القسوة البربرية على وجوههم فتغور عيونهم وترتفع عظام وجوههم ويجرد منها اللحم ويضؤلون حتى يصيروا أشبه بالهياكل منهم بالناس .

تأريخ السودان

وقد تنبّهت الدول الى هذه التجارة المعبية منذ عهد بعيد وسعت في إبطالها وكانت الدولة الانكليزية اول من تنبه لها فألقت جمعية في مدينة لندن سنة ١٧٨٧ م ثم شاركتها باقي الدول دولة بعد دولة حتى تم اتفاقها كلها على ذلك بصورة قطعية في مؤتمر بروكسل في ٢ يوليو سنة ١٨٩٠ م .

اما مصر فانها لم تشارك الدول في إبطالها حتى توفقت الى حكم العائلة الحميدية العلوية فنادى محمد علي باشا بإبطالها على رؤوس الاشهاد عند زيارته السودان سنة ١٨٣٩ م وكذلك فعل سعيد باشا عند زيارته السودان سنة ١٨٥٨ م كما مر . ولما تبوأ اسماعيل باشا الأريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ م أصدر أوامره المشددة الى موسى باشا والي السودان فتعقب تجار الرقيق وفي تلك السنة عينها ألقى القبض على سبعين مراكباً مشحونة بالأرقاء بين كاكا وفاشودة وأتى بهم الى الخرطوم ثم أحضر ملك الشلك من فاشودة فسله الرقيق الذي أخذ من بلاده وأرجعه بالهدايا ووزع الباقي على التجار والموظفين لتربيتهم . وأما التجار فانه زجهم في السجن ولم يخرجهم منه حتى تمهدوا بعدم العودة الى مثل هذه التجارة .

احتلال فاشودة سنة ١٨٦٥ م :

وفي سنة ١٨٦٥ م أي في ايام جعفر باشا صادق احتلت العساكر المصرية فاشودة احتلالاً رسمياً فسدت طرق النيل الابيض في وجه اصحاب الزرائب في بحر الغزال وخط الاستواء . وكان التجار الاوروبيون قد باعوا زرائبهم الى وكلائهم العرب سنة ١٨٦٠ م فوضع جعفر باشا الضرائب على الزرائب ثم احتكرها السيد احمد العقاد شريك السيد موسى العقاد من الحكومة بخمسة آلاف جنيه في السنة على ان لا يتجر بالرقيق ولا يغزو بلاد العبيد ومع ذلك لم يزل رجاله يتجرون بالرقيق ويغزون العبيد وأصبحت بلاد خط الاستواء وبحر الغزال فوضى وأهلها بغاية الضيق والشدة . فمأت الحكومة انه لا يمكن



السر صموئيل باكر

اللاذي باكر



السر صموئيل باكر بلباسه الرسمي

نشأحة الشوكلا

اصلاح الحال وإبطال تجارة الرقيق إلا اذا ضمت بلاد بحر الغزال وخط الاستواء الى السودان فعولت على ذلك وبادرت الى تنفيذه .

فتح خط الاستواء ، والمر صموئيل باكر

سنة ١٨٦٩ : ١٨٧٣ م

ولما كانت سنة ١٨٦٩م انتدب اسماعيل باشا السر صموئيل باكر مكتشف بحيرة البرت نيازة لفتح خط الاستواء فأنعم عليه برتبة فريق مع لقب باشا وعقد له على جيش مؤلف من ١٧٠٠ رجل هذا تفصيله : ٧١٠ من المشاة المصريين و ٥٠٠ من المشاة السودانيين و ٢٠٠ من الباشبورق و ٢٩٠ من الطوبجية المصريين ومعهم ٣ بطاريات مدافع جبلية وبطارية ساروخ وسماء حاكماً على البلاد الاستوائية لمدة اربع سنين تبتدىء من ١ ابريل سنة ١٨٦٩م براتب قدره ١٠٠٠٠ جنيه في السنة وأعطاه فرماناً يولج فيه افتتاح تلك البلاد وابطال تجارة الرقيق فيها وتأسيس نقط عسكرية قوية من كوندوكرو الى البعيرات وادخال السفن في نيلها وتنشيط زراعتها .

فقام باكر ومعه امرأته من السويس في ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٩ وجاء الخرطوم عن طريق سواكن وبربر فوصلها بعد سفر ٣٢ يوماً وفي السابع من شهر فبراير سنة ١٨٧٠ قام بثلاثين مركباً من الخرطوم قاصداً بلاد خط الاستواء فتمه السد عن استمرار السير فنزل قرب ملتقى نهر سبت بالنيل الابيض وبني محطة دعاها بالتوفيقية على اسم ولي العهد وأقام فيها سبعة أشهر ثم فتح طريقاً في بحر الزراف وسار الى كوندوكرو فوصلها في ٢١ ابريل سنة ١٨٧١ فوجد فيها كنيسة للرسولين التمسوايين. وفي ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ رفع عليها العلم المصري وسمتها بالاسماعيلية على اسم الخديوي وجعلها مركزاً لحكومته . وكانت بلاد خط الاستواء لا تزال مأجورة للسيد احمد العقاد في الخرطوم فألحق بباكر باشا صهره ولبن اخته أبا السمود العقاد للنظر في صالح تجارتهم فلم يتفق مع باكر .

تاريخ السودان

وفي ٢٣ يناير سنة ١٨٧٢ سار باكر بيمض الجند من كوندوكرو جنوباً فأسس نقطة في الابراهيمية قرب الدفلاي وظن انها تكون عاصمة البلاد فيها بعد . ونقطة في فاتيكو ونقطة في فويرة . ثم تقدم منها الى بلاد يونيورو فخلع ملكها كبريقه لأنه لم يخضع له وولى بدله مزاحماً له يدعى ريونجه . وفي ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ أعلن ضم بلاد يونيورو الى الحكومة الخديوية رسمياً وأسس نقطة عسكرية في عاصمتها مسندي وهي على ٥٠ ميلاً من البرت نيازة . وعقد شروطاً ودية مع متاسي ملك اوغنده وبذلك قدرج الى بسط نفوذ الحكومة المصرية من سبت الى بحيرة فكتوريا نيازة . لكن هذا النفوذ لم يدم طويلاً في يونيورو فان كبريقه الذي خلعه باكر جمع جموعه وهاجمه في مسندي ولم يكن مع باكر إلا مئة رجل فأخلاها مضطراً في ١٤ يونيو سنة ١٨٧٢ وعاد الى فاتيكو فوجد فيها أبا السمود ومعه ٢٧٠ رجلاً فطرده منها فعاد شاكياً الى الخرطوم ثم الى مصر .

وعاد باكر باشا الى كوندوكرو فوصلها في ١ ابريل سنة ١٨٧٣ أي يوم نهاية مدته على خط الاستواء فترك رؤوف بك قومنداناً على العساكر في كوندوكرو وقام في ٢٦ مايو سنة ١٨٧٣ الى الخرطوم ومنها الى مصر فوصلها في ٢٤ اوجسطس سنة ١٨٧٣ واستغفى من وظيفته فقبل استغفاؤه .

الكولونيل غوردون في خط الاستواء

سنة ١٨٧٤ : ١٨٧٦ م

وبعد استغفاء باكر باشا من خط الاستواء أوصى ولي عهد انكلترا اسماعيل باشا بأن يكون الكولونيل غوردون في مكانه وكان اسماعيل باشا يود بقاء تلك البلاد لمصر فأمر بتعيينه ولقد كان لغوردون أعظم الشأن في السودان بل كانت منيته فيه ولذلك تأتي على خلاصة تاريخه لهذا المهد فنقول ولد غوردون في مدينة ولورثش ببلاد الانكليز سنة ١٨٣٣ م وانتظم في سلك العسكرية سنة ١٨٥٢ م وكان ميالاً بالطبع الى لقاء الاموال والصبر على المكارم مما اتصل اليه

تاريخ السودان

بالارث من آبائه واجداده فان أبا جده اشتهر بالبسالة والبأس في الحروب الاسكوتلاندية . وشهد جدّه مواقع عظيمة وأخطار هائلة . وكان أبوه ضابطاً في الطوبجية الانكليزية فارقتى فيها الى رتبة فريق . وحضر غوردون حصار سيسبول سنة ١٨٥٥ م فشهد له بالدربة والاقدام . وفي سنة ١٨٦٠ م سافر الى الصين ودخل الجيش فواقع عدة وقائع دلت على شجاعته وقام براعته في الفنون العسكرية فنال من سلطان الصين لقب صاري عسكري . وفي سنة ١٨٦٥ م عاد الى الجيش الانكليزي فرقي فيه الى رتبة كولونيل وبقي في بلاد الانكليز الى ان سمي حاكماً للبلاد الاستوائية سنة ١٨٧٤ م كما مرّ .

وهذه هي صورة الفرمان الذي أصدره له اسماعيل باشا بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١ ١٩ ٥ فبراير سنة ١٨٧٤ م نمرة ٩١ سائرة :

« انه بحسب المشهور فيكم من اللياقة والأهلية قد عيناكم مأموراً على جهات خط الاستواء التابعة للحكومة وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعة الحكمدارية انما كافة لوازماتها التي يقتضي الحال لتداركها من طرف الحكمدارية ههنا يجري تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابل محاسبة المالية بذلك كما أمرنا الحكمدار المومى اليه بأمرنا الصادر له في تاريخه . ومرسل لكم طي هذا لتوصيله اليه عن يدكم . وبما ان أمور التجارة في ذاك الطرف هي يد واحدة يقتضي ان الذي يتحصلوا عليه من تلك الجهات من انواع التجارة بعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعينات ترسلوه الى حكمدار السودان لقبوله من اصل ما يصرفه في أثمان اللوازم التي تطلبوها منه وعند وصولكم الان لتلك الجهات واختباركم أحوالها تجروا ترتيبها بحسب ما يترأى لكم وتستحسنوه سواء كان باجمال مديرتين او اجمال اقسام او نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة أهاليها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم في ملك الانسانية شيئاً فشيئاً وهكذا بما يلزم أجروه على حسب التعليمات التي أعطيت لكم بالفرنساوي وما

هو موجود هناك رؤوف بك قومندان العساكر الموجودة بذاك الطرف وتحرر له أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم وأمرناه به ان يكون هو والعساكر تحت أمركم فيما يجب اجراه في صالح المصلحة ولو ان المومى اليه ومن معه من العساكر صار لهم مدة زائدة في تلك الجهات ولذلك منظور في ارسال خلافهم من هذا الطرق لتغييرهم لكنه في مسافة ارسال البديل يكون المومى اليه والعساكر منقادين لأوامركم حسب اصول وقوانين الجهادية . وعلى هذا وما منظور لنا فيكم من حسن الفيرة والاهلية مؤملين الاستحصال على ما فيه عمارية جهات خط الاستواء المحكى عنها وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتآليفهم على الدخول في سلك الانسانية شيئا فشيئا كما هو مطلوبنا .

حاشية : انه بعد توجهكم ووصولكم ذلك الطرف تعملوا الترتيب اللازم عن مصاريف تلك الجهة بحسب ما يلزم لها من الخدمة والعساكر وكلما يلزم تداركه وارساله من جهات الحكمدارية على حسب الترتيب المذكور تطلبوه من الحكمدارية وتعينوا له الاوقات والمواعيد اللازم تداركه وارسال اللوازمات المذكورة فيها بحيث اذا كانت الايرادات على قرض لا تكفي المصروفات فالحكمدار يرسل لكم كلما تطلبوه ويحاسب ديوان المالية بذلك يكون معلوم ، اه .

وسار غوردون من مصر القاهرة ومعه نفر من الموظفين والاتباع في ٢١ فبراير سنة ١٨٧٤ فأخذ من الخرطوم بعض الجند وفي جملتهم ابراهيم أفندي فوزي (ابراهيم باشا فوزي الآن) وتوجه الى خط الاستواء فوصل كوندوكرو في ١٥ ابريل سنة ١٨٧٤ م فقابله رؤوف بك بالاحتفاء فأبقىاه عنده بضعة أشهر ثم أرسله الى مصر قسمي حاكما على هرر كما سيجيء .

وكان غوردون قد صادف أبا السعود في مصر فأخذه معه الى خط الاستواء وجعله في خدمته مع نفر من تجار الرقيق لينضمهم عن الاتجار بالرقيق من جهة ويستعين بهم . على تعقب تجار الرقيق من جهة اخرى . فبعد وصوله الى كوندوكرو بشهرين اكتشف ثلاث زرائب لتجار الرقيق على بحر الزراف

فهدم الزرائب وأعتق الأرقاء الذين وجدهم فيها . ولكن أبا السعود وارفاه لم يصدقوه الى النهاية فعزلهم جميعاً وكان أكثرهم جعليين ودفاقلة . وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٤ م جاءه ٢٥ رئيساً من رؤساء السود وقدموا له الطاعة وشكروه على مطاردته تجار الرقيق في بلادهم . وفي الشهر التالي ضبط يوسف بك مدير فاشودة زمرة من النحاسين ومعهم ١٦٠٠ رقيق و ١٩٠ رأس بقر أتوا بهم من بحر الزراف .

ورأى غوردون ان هواء كوندوكرو غير صحي فنقل مركز حكومته الى اللادو وذلك في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م . وقد امتدت حكومته من ملتقى نهر سبت بالنيل الابيض الى بحيرة فكتوريا نيازاه . وكان أمم ما اشتغل به تأسيس نقط عسكرية قوية على النيل لأجل حماية البلاد من تجار الرقيق وحفظ النظام والأمن فلم تلتئم سنة ١٨٧٤ حتى كان قد أسس عشر نقط وهي سبت والناصر على نهر سبت وشامبه ومكره وبور واللاتوكه واللاو والرجاف والدفلاي وفاتيكو وفويره على النيل الابيض وجعل فيها ٦٤٠ من العساكر السودانية و ١٥٠ من العساكر المصرية و ٦٥٠ من ألباشوزق الدفاقلة والجعليين . وبعد ذلك أسس نقطة في مرولي على نيل فكتوريا ونظم في جيشه عدداً كبيراً من الأرقاء الذين حررهم من الزرائب .

وكان باكر باشا قد أحضر وابورين قطعاً من مصر بقصد بنائها وتنشيط الملاحة في البحيرات ولكن انقضت مدته ولم يتمكن من بنائها فلما تم لغوردون تأسيس النقط العسكرية حمل قطع الوابورين في البر الى جنوبي شلال الفوله قرب الدفلاي وبناهما هناك وسمى الكبير منها الخديوي والصغير نيازاه فبقيا بين الدفلاي وبحيرة ألبرت نيازاه الى قيام الثورة المهدية كما سيجيء .

وكان ممن صحبوا غوردون الى خط الاستواء او انضموا اليه بعد ذهابه : الكولونيل لونج من ضباط الاميركان العظام في الجيش المصري والدكتور أمين وجسي والكولونيل بروت وعبد العزيز بك ابن لينان باشا .

وكان للدكتور امين وجسي اكبر شأن في تاريخ خط الاستواء وبحر الغزال

لذلك نقتطف هنا نتفاً من بدء سيرتها قبل الشروع في ما كان من تاريخها هناك : اما الدكتور امين فاسمه الاصيل ادوارد شنيتر وقد وُلد في ٢٨ مارس سنة ١٨٤٠ م في مدينة اويلن من اعمال سيليسيا بروسيا وتلقى العلوم في فيينا وباريس وقال شهادة دكتور في الطب ثم دخل في خدمة الدولة العلية في اسكودار وبقي الى ان مُنمّي غوردون حاكماً على خط الاستواء وكان الدكتور امين يعرفه فذهب الى الخرطوم واستأذنه في السفر اليه فأذن له وحال وصوله أعطاه لقب بك وسماه حاكماً على اللادو .

اما جسي فهو ضابط إيطالي شديد العارضة قوي الارادة وقد رافق الجيش الانكليزي الى حرب القرم بصفة مترجم ثم انضم الى غوردون باشا في خط الاستواء .

وقد استعان غوردون بهؤلاء الضباط على درس البلاد وتمهيدها فانه عند وصوله الى كوندوكرو أرسل الكولونيل لونج الى ملك يونيورو لكشف خبره فوجد جميع المشردين من تجار الرقيق قد اجتمعوا اليه وهو لم يزل على العصيان فتركه وشأنه وذهب الى متاسي ملك اوغنده فوجده لم يزل على الولاء وعاد بالخبر الى غوردون فأرسل غوردون امين بك الى الملك متاسي للمحافظة على مودته . وأرسل جسي الى بلاد بحر الغزال لكشف خبرها ولما عاد أرسله بركبين الى بحيرة البرت لاستطلاع حالها وحال القبائل المتيمين فيها وذلك في مارس سنة ١٨٧٦ م فطاف البحيرة وقضى في طوافه تسعة ايام فوجد طولها ١٤٠ ميلاً وعرضها ٥٠ ميلاً ووجد القبائل القاطنة حولها معادية للحكومة . اما عبد العزيز بك لينان فانه قُتل في ثورة أثارها السود على المساكر وهم ينقلون قطع الواورين المار ذكرهما الى الدفلاي فأخذ غوردون بشأره .

وبقي غوردون مجدداً في تنظيم البلاد واصلاح شؤونها بلا مساعدة مصر الى سنة ١٨٧٦ م فاستغنى وعاد الى مصر ومنها الى بلاد الانكليز تاركاً الكولونيل بروت من اركان حربه وكيلاً على خط الاستواء. ثم ذهب الكولونيل بروت فتاب عنه امين بك فبقي الى ايام الثورة المهدية على ما سيجيء .

وكان في جملة من شهد اعمال غوردون في خط الاستواء ابراهيم باشا فوزي الذي صاحبه من الخرطوم كما مرّ وعاد معه الى مصر وقد بين ذلك تفصيلاً في كتابه « السودان بين غوردون وكشنر » الذي نشره بعد نجاته من أسر التماشي .

هذا ما كان من احتلال خط الاستواء وحكم السر صموئيل باكر وغوردون باشا فيه ولترجع الآن الى ولاية الخرطوم وما كان في أيامهم من الحوادث .

عود الى ولاية ١٨ - جعفر باشا مظهر :

تركنا الخرطوم في ولاية جعفر باشا مظهر سنة ١٨٦٩ م ودام حكمه عليها محموداً الى ٢ جادى الاولى سنة ١٢٨٨ هـ ٢٠ يوليو سنة ١٨٧١ م فعزل . وكان رجلاً عفيفاً صادقاً شهماً وكان كاتم أسرار التهامي بك من أمهر الكتاب فقدم له التهامي استغفاه في بعض الايام فكتب اليه في الجواب هذه الكلمات : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » .

١٩ - ممتاز باشا سنة ١٢٨٧ : ١٢٨٩ هـ - ١٨٧١ : ١٨٧٣ م

وتولى السودان بعده ممتاز باشا فأدخل اليه زراعة القطن المصري وكانت هذا هو الأثر الحميد الوحيد الذي تركه فيه لأنه مدّ يده الى الرشوة وأخذ من سنار وحدها على رواية بعض معاصريه مئة وخمسين ألف ريال ونيفاً . وقد أكثر اهل السودان من التشكي عليه فأوقف عن الخدمة سنة ١٨٧٣ م وسجن في الخرطوم لتحقيق تلك التškiيات فمات هناك سنة ١٨٧٥ م .

٢٠ - اسماعيل باشا ايوب سنة ١٢٨٩ : ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٣ : ١٨٧٧ م

وجاء عن السودان بعد عزله اسماعيل باشا ايوب فجرت في عهده حوادث جمة ذات بال . وكانت فاتحة اعماله انه اشتغل في إزالة السد من النيل الأبيض .

وفي اول سنة من ولايته أي سنة ١٨٧٣ م قسمت البلاد الى مديريات وجعل كل مدير مسؤولاً عن مديريته ومستقلاً عن والي الخرطوم وكان اذ ذاك يوسف بك مديراً على فاشودة وحسين بك خليفة على بربر .

وفي تلك السنة عاد باكر باشا من خط الاستواء ثم سمي غوردون باشا حاكماً على خط الاستواء وعاد منها وهو أي اسماعيل باشا ايوب الوالي على الخرطوم كما مر .

وأعظم ما تم في السودان على ايامه فتح سلطنة دارفور وضمها الى أملاك الحكومة المصرية عن يد الزبير رحمت باشا . وقد وفقت الى تفصيل ذلك الفتح مع تفصيل سيرة الزبير وحركاته في بحر الغزال من الزبير باشا نفسه وماك خلاصتها :

سيرة الزبير باشا

وفيهما فتح بحر الغزال ودارفور

نسبه ووطنه : جدثي الزبير عن نفسه قال : أنا الزبير بن رحمت بن منصور بن علي بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن شامين بن جميع ابن جموع بن غانم العباسي . هاجر أجدادي العباسيون بغداد بعد هجوم التتر عليها سنة ٦٧٦ هـ ١٢٧٨ م فاتوا مصر فوجدوا فيها الفاطميين حكاماً فلم يطبقوا الاقامة معهم فنزحوا الى بلاد السودان فسكن بعضهم النيل وبعضهم بلاد دارفور ووداي وتشعبوا على النيل قبائل فكانت في جملتها قبيلتنا المعروفة بالجميعاب نسبة الى جدنا جميع وقد أقامت على النيل الكبير بين جبل قرّي وجبل الشيخ الطيب واشتهرت بين قبائل السودان بالشجاعة وحماية الدمار . ولما حضر اسماعيل باشا الى السودان فاتحاً استقبله أعياننا بالترحاب وعاهدوه على الولاء وفي جملتهم المرحوم ابي رحمت وأخوه الفيل فحفظوا العهد الى ان



توفاهم الله وقمنا نحن فسرنا على مثالهم في الطاعة والولاء وما زلنا كذلك الى اليوم . اما أنا فقد وُلدت في جزيرة واورسي في ١٧ محرم سنة ١٢٤٦ هـ ٨ يوليو ١٨٣١ م ونشأت في حجر والدي الى ان بلغت السابعة من العمر فأدخلني مكتب الخرطوم فتعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن الشريف على رواية ابي عمر والبصري وتفقهت على مذهب الامام مالك ولما بلغت الخامسة والعشرين من العمر تزوجت بابنة عمي لي واشتغلت بالتجارة للعيش بها .

سفره الى بحر الغزال سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م : وبعد ذلك بستين دخل ابن عمي المسمى محمد عبد القادر في خدمة علي ابي عموري من أهالي نجع حماده بصعيد مصر ومن التجار الكبار الذين كانوا يتجرون في بحر الغزال وسافر معه خلسة فلما بلغني خبر سفره أخذتني الشفقة عليه لأن بلاد بحر الغزال كثيرة الأخطار بعيدة الشقة فلحقته قصد إرجاعه فأدركته في حلة ود شلمي على النيل الابيض مسيرة يوم من الخرطوم وأخذت أثبط عزمه عن السفر فأقسم ألا يعود الى الخرطوم قبل ان يتم سفرته فشق علي ذلك وأقسمت له بالطلاق انه اذا لم يرجع عن عزمه سافرت معه وقد عظمت القسم ظناً انه لا يرضى بسفري معه فيرجع مضطراً ولكنه لم يزل مصرأاً على السفر فسافرت معه برأاً بالقسم ودخلت معه في خدمة ابي عموري فسرنا من ود شلمي في ١٤ محرم سنة ١٢٧٣ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٥٦ م قاصدين بحر الغزال وأنا أستعين بالله من ذلك السفر الذي لم أكن اتوقع منه إلا الشر والاعطار لكنه جاء بأحسن ما كنت أتمنى بل كان سبب نجاحي وشهري ورفع منزلي الى مقام لم ينله احد في السودان قبلي وهيبات ان يناله احد فيه بعدي . وعسى ان تكررهما شيئاً وهو خير لكم .

هذا وما زلنا سائرين في النيل الابيض حتى وصلنا موردة بحر الغزال المعروفة بمشرع الريلك التي لايمكن للمراكب ان تتعدها جنوبياً فنزلنا بامتعتنا وبضائعنا الى البر في ٢ صفر من السنة المذكورة واخترقنا بلاد الجانقية الى

بلاد الجور حيث كانت زريبة علي ابي عموري المعروفة باسم عاشور على اسم شيخ البلد فدخلناها في ١٧ من الشهر المذكور . وكان في بحر الغزال في ذلك الحين تجار كثيرون غير ابي عموري متفرقون في جميع أنحاء البلاد . ولكل تاجر منهم زريبة من شوك يأوي اليها ويضع فيها تجارتها . وأهم الأصناف الرائجة في تلك البلاد الخرز على اختلاف انواعه وألوانه والودع والقصدير وكله مما يتزين به الاهلون نساء ورجالاً ويفضونه على الذهب والفضة فيأخذونه من التجار مقايضة بسن الفيل والخرتيت وريش النعام واللاستك والحديد والنحاس وغيرها من محصولات البلاد .

اتحاده ثورة محلية سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م : فأقمت مع صاحبي على عموري مساعداً له على تجارتها ولكن ما لبثنا بضعة أشهر حتى هاج اهل البلاد على التجار طمعاً في أموالهم سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م فجمعوا جموعهم من كل الجهات وهاجموا الزرائب فقتلوا بعض التجار وسلبوا أموالهم وهاجموا زريبة صاحبي ابي عموري فقامت في رأس رجاله وأشعلت فيهم النار وهزمتهم ثم هزعة بعد ان قتلت منهم خلقاً كثيراً فلما سمع التجار في الجهات بانتصاري عليهم جاؤوا اليّ والتفوا حولي وهابني اهل البلاد فلم يعودوا يحسرون على مهاجمتي . وقد رأى صاحبي ابو عموري ان سلامته كانت عن يدي فأجبنى وجعل لي قسماً من أرباحه أي عشر السن ولما هدأت البلاد تركني في محله وكيلاً عنه وسار الى الخرطوم فغاب ستة اشهر وعاد بالبضائع فوجد عندي من محصولات البلاد ما لم يكن يجمعه هو في سنين فزادت رغبته فيّ وعرض عليّ الشركة بالنصف فأبيت وعزمت على انشاء محل تجاري لنفسي .

ذهابه الى الخرطوم وعودته الى بلاد قولو سنة ١٢٧٥ هـ ١٨٥٨ م : وبهذا المزم رجعت الى الخرطوم فدخلتها في ٧ ربيع الاول سنة ١٢٧٥ هـ ١٥ اكتوبر سنة ١٨٥٨ م وكنت قد جمعت من تجارتي مع ابي عموري نحو الف جنيه فاشتريت بها بضائع وذهبية واكثرية بعض الانفار على عادة التجار وسلحتهم

بالبنادق وسرت بهم والبضائع في الذهبية الى مشرع الريك فزلنا فيه واستأجرت بعض السود فحملوا بضائمي وسرت برأ في بحر الغزال وانا عازم على ان أطرق بلاداً جديدة لم يطرقها احد قبلي فقطعت بلاد الجانكاه والجور والبنقو وجئت الى بلاد قولو . وكان عليها ملك يقال له كواكي فرحب بي وأكرم مثواي فأخذت أنجر في بلاده حتى اجتمع عندي من سن الفيل وريش النعام وغيرها من خيرات البلاد شيء كثير فأرسلتها مع ابن عم لي يدعى محمد احمد رحمة الى الخرطوم فباعها وعاد اليّ بالبضائع في ١٧ ربيع اول سنة ١٢٧٦ هـ ١٤ اكتوبر سنة ١٨٥٩ م .

سفره الى بلاد النام ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ : وفي أثناء اقامتي في بلاد قولو علمت ان بلاد النام الواقعة الى الجنوب الغربي منا بلاد واسعة الاطراف كثيرة الجواميس والافعال ولا قيمة لسن الفيل فيها لكثرتة وعليها سلطان عادل يسمى السلطان تكة . فبعد رجوع ابن عمي بنحو شهر ونصف شهر حملت بضائمي وسرت بها خمسة وعشرين يوماً الى سلطان النام . فقدمت له هدية فاخرة واستأذنته في الاتجار في بلاده فأذن لي . وكان النام لا يعرفون الخير في بلادهم ولا الجمال ولا الخيل وكان معي حمار فأهديته الى السلطان فاستغرب هيئته وقد ظنه رجلاً ممسوخاً ولم يقبله . وكان لهذا السلطان نحو ٤٠٠ امرأة و ٤٠٠ ولد من صبيان وبنات فزوجني بأكثر بناته رانبوه فعلا مقامي بهذه المصاهرة في عيون اهل البلاد وزادت تجارتي رواجاً وتحسيناً حتى اجتمع عندي في وقت قصير شيء كثير من سن الفيل والخرتيت وغيرها .

رجوعه الى الخرطوم مرة ثانية وتيهه في الطريق سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٦٢ م : فلما كان ١٧ رمضان سنة ١٢٧٨ هـ ١٨ مارس سنة ١٨٦٢ م استأذنت السلطان تكة وسرت بهذه السلع قاصداً الخرطوم فمررت بصاحبي علي عموري فوجدته متاهباً للسفر بتجارته الى الخرطوم فاتفقنا على الذهاب معاً وكانت زريبتة عاشور قرب نهر البنقو احر فروع بحر الغزال الذي لم يسلكه احد من قبلنا

فأردنا فتحه للتخلص من مشقة نقل البضائع بالبر فبنينا مركبين ووسقنا فيهما بضائعنا ورجالنا البالغ عددهم ٢١٤ نفرأ وسرنا قاصدين مشرع الريك ومعنا من الزاد ما يكفيننا نحو شهرين فبعد ان سرنا ١٣ يوماً بلباليها اتسع مجرى النهر حتى صار أشبه ببحيرة واسعة منه بالنهر وخفي علينا المجرى الاصلي فتهنا في تلك البحيرة خمسة وسبعين يوماً لا نرى فيها إلا السماء والماء وقد نفذ منا الزاد فأكلنا ما كان معنا من الجلود واشتد بنا الجوع .

وفيا نحن في هذا الكرب اذا بدخان لاح لنا من بعيد فاخترت انا وصديقي علي عموري تسعة أنفار من رجالنا وازلنا في قارب صغير أتينا به معنا وسرنا قاصدين جهة الدخان فلم نبعد عن المركبين إلا قليلا حتى اختفى الدخان ثم غاب عنا المركبان فأصبحنا نسير على غير هدى فتهنا وجعنا حتى أشرفنا على الهلاك ثم حانت منا التفاتة فرأينا شجرة قائمة على تل في وسط الماء ووجدنا تحتها تمساحا كبيرا فاصطدناه بالرصاص وتزودنا به فعاد لنا بعض نشاطنا وانقلبنا راجعين نحو المركبين فالتقيناهما بعد غيبة ٤ ايام فوجدنا رجالنا قد مات منهم ١٨ نفرأ ولما علموا بخيبتنا مات منهم رجل في الحال وقد أكدوا لنا انهم كانوا يرون الدخان كل يوم في آخر النهار فأيقنت اذ ذاك بوجود بر قريب فانتقيت ١٢ رجلا من أقوى رجالي وأزلتهم في القارب وتوجهت ثانية الى جهة الدخان فلم تمر بضع ساعات حتى أشرفنا على جزيرة واسعة مأهولة بالناس وفيها من الابقار ما لا يحصى عدده فنزلنا الى البر فوجدنا ان الدخان الذي كنا نراه هو دخان أرواث الابقار التي كان يحرقها الأهلون في عصر كل يوم ليتخذوا رمادها فراشا لهم كما هي عادتهم . وكان يسكن تلك الجزيرة قوم من النوير وعليهم ملك يسمى كُرُمي فلما دخلنا الجزيرة اجتمع علينا أهلها وهم يتعجبون من زيارتنا وملابستنا فسألونا وهم ينوون القدر بنا من أين أتيتم من السماء ام من الأرض ام من الماء وماذا ترومون من الدخول في جزيرتنا وكان معي مترجم يحسن لغة القوم ويعرف ملكهم فقلت اني اعرف ملككم ككرم وأريد ان تأخذوني اليه فلما رأوني عارفا لغتهم وسلطانهم فرحوا بي

وأمنوني على حياتي وحياة رجالي وذبحوا لنا بقرة قصد الضيافة فأكلناها وقد
أكل البعض منا بشره زايد فماتوا بعد الفراغ من الأكل ببضع دقائق . ثم
اشترت ثمانية أبقار وذبحتها وأرسلتها قطعاً في القارب الى بقية الرفاق في
المركبين فأكلوا وجدوا السير حتى رسوا عند الجزيرة وذهبت لمقابلة الملك
كرّيم ولما امتثلت بين يديه حيثه فردّ عليّ التحية ثم اخذ يسألني عن أمري
والسبب الذي أتى بي الى جزيرته فأجبتّه على جميع أسئلته . ولما انتشر
خبرنا في الجزيرة أخذ كبارها يفدون الى الملك أفواجا طالبين قتلنا والاستيلاء
على أموالنا فأذن لهم في ذلك بعد تردد بعد خروجنا من داره وقد أدر كنا
غائتهم وبتنا تلك الليلة ونحن نحرس أنفسنا بالناوبة وجاءت لوبقي في الهجيع
الاول من الليل فشاهدت أسداً مقبلاً من بعيد فرميتّه بالرصاص فخرّ على
الارض يخطب بدمائه فاستيقظ الملك كرميم من لومه ظاناً ان رجاله جاؤوا
لحربنا واستيقظ الكثير من سكان الجزيرة فلما رأوا الاسد مقتولاً فرحوا فرحاً
شديداً لأن ذلك الاسد كان متسلطاً عليهم يفترس كل من يصادفه منهم حتى لم
يعد يحسر احد على الخروج من بيته ليلاً أما الملك كرميم فقد عظم سروره من
قتلي للأسد حتى انه عقد لي على احدى بنااته ورغبني في الإقامة معه في جزيرته
فاقت عنده شهراً كاملاً حتى اشترت جميع ما يلزمي من المؤن ثم
احتلت عليه وخرجت من جزيرته بالمركبين ولكن ما كدنا نقيب عن الجزيرة
حتى تنها ثمانية في عرض تلك البحيرة وما زلنا نلهين حتى فرغ زادنا
ومات جميع من في المركبين إلا صديقي علي عموري وستة رجال واذ
أشرفنا على الهلاك لاح لنا مركب من بعيد فأطلقنا له عياراً نارياً فأقبل
علينا فاذا به عبد الرحمن ابو قرون من تجار بحر الغزال فلما رأانا على تلك
الحال بكى وقدم لنا ما لزمنا من الزاد والكسوة . وكنا على خمسة ايام
من مشرع الريك فسرنا اليه مجدين حتى أتيناه في ٢ صفر سنة ١٢٨٠ ١٩ هـ
يوليو سنة ١٨٦٣ فاجتمع الناس حولنا يهنئوننا بالسلامة ويعزوننا عما فقدناه
من الاموال والرجال ثم أقلعنا بالمراكب الى الخرطوم فدخلناها في ٢٧ ربيع

تاريخ السودان

الاول من تلك السنة ١١ سبتمبر سنة ١٨٦٣ فلبثت في الخرطوم بضعة أشهر ريثما بعث تجارتي واشتريت بثمانها تجارة اخرى مما يروج بتلك البلاد وأسلحة وذخائر وزدت عدد رجالي .

رجوعه الى بلاد التام سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م : وفي ٢٢ القعدة سنة ١٢٨٠ هـ ٢٩ ابريل ١٨٦٣ م برحت الخرطوم قاصداً بلاد التام فوصلتها في ٢٠ صفر سنة ١٢٨١ هـ ٢٥ يوليو سنة ١٨٦٤ م وقدمت هدايا نفيسة للملك تكة فسُرَّ بها وأولم لي وليمة فاخرة ذبح فيها عدداً وافراً من الوحوش ومئة كلب من أسمن الكلاب المعدة لأكله وعدتُ الى دار زوجتي رانبوه وشرعت في بيع البضائع . وقد جرت العادة في تلك البلاد ان يبيعوا في الاسواق اصحاب الجنايات كالسارق والزاني ويذبحونهم كالغنم ويبيعون لحومهم طعاماً فاقتديت من هؤلاء من وجدته اهلاً لحمل السلاح حتى اجتمع عندي نحو خمس مئة رجل فسلحتهم بالأسلحة النارية وعلمتهم حملها واستعمالها فأوجس الملك تكة شراً وخاف مني على مملكته واستشار كهانه فأقرُّوا على قتلي فعلمت بذلك امرأتى رانبوه ابنة الملك وأخبرتني به سرّاً ونصحتني بالرحيل من بلاد أبيها .

انتقاله الى بلاد الملك دويه سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م : فاهتمت بالامر وتولفت الى الملك تكة بالهدايا وقلت له : بلغني ان في بلاد الملك دويه سن فيل كثير فأريد ان أذهب برجالي وآتي به فقال اذهب واثبت به وحدك ودع رجالك هنا فقلت بلغني ان تلك البلاد ليس فيها عدل وأخاف ان أهلها اذا رأوا سني الضعف غدروا بي وقتلوني فلما رأى إصراري على أخذي رجالي وأمتعتي معي أذن لي في السفر ظاهراً وأوعز الى جيشه سرّاً ان يكمنوا لي في الطريق ويقتلوني انا ورجالي فلما خرجت من بلاده حتى اعترضني جنوده الذين في الكمين فصلبتهم ناراً حامية لم يطيقوها فانهزموا امامي ودخلت بلاد الملك دويه وكان عدواً للملك التام فلما علم بما جرى لي معه خرج لمقابلتي مسيرة اربع ساعات من عاصمته وأنزلني في جواره على الرحب والسعة وبني لي حصناً

مربعا منيفا من الخشب وأمدني من الحبوب والمؤونة بما يكفي رجالي مدة طويلة . اما الملك تكمة فانه لم يلبث ان أرسل جيشا جرارا بقيادة عمه مغبوه اهتزت له بلاد الملك دويه واستولى الرعب عليه وعلى قومه ففرؤوا هاربين خلسة تحت جنح الظلام .

انتقاله من التجارة الى الملك سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٦٥ م : ولما أصبح الصباح ورأيت ما كان من الملك دويه داخلني الخوف وصرت أنظر في امر النجاة وبينما انا في ذلك اذ وفد علي رسل للملك تكمة وقالوا ان حرمة المصاهرة وسابق المودة تمنعان الملك من محاربتك ولكنه يرغب اليك ان تخرج من جميع بلاد الملك دويه التي اصبحت تحت سلطانه وتذهب الى حيث تشاء ولك الأمان فأجبتهم الى ذلك وخرجت الى بلاد قولو حيث يقم الملك عدوه شكو فدخلتها اول محرم سنة ١٢٨٢ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥ م وكان هذا الملك قد غدر بأخي منصور وقتله هو ورفاقه الذين أرسلتهم للتجار في بلاده واستولى على جميع ماله فلم يشك في اني جئت لأخذ بشار أخيه فلم يسمح لي بالبقاء في بلاده وتهديني بالحرب فترلفت اليه بالهدايا وأكدت له أن لا قصد لي سوى التجارة فرفض الهدايا وأصر على خروجي من بلاده في الحال وكان الفصل شتاء والبلاد مغمورة بالمياه فسألته ان يهني الى ان ينقطع المطر وتفتح الطرق فأبى فانساجزته اذ ذاك الحرب وجرى بيني وبينه عدة وقائع دموية حتى قتل فخلفه ابنه فتغلبت عليه وأخذته أسيرا وامتلكت بلاده وجميع البلاد المجاورة لها الى بحر العرب واتخذت عاصمته بايه التي سميت بعد ذلك « بذي الزبير » مركزا لي فصرت فيها ملكا وصارت الناس تتقاطر الي من كل الجهات للانتظام في خدمتي فجلبت الاسلحة وجمعت جيشا قويا رحكت البلاد بالكتاب والسنة وشرعت في تدينها وعمارتها وتوسيع نطاق للتجارة فيها .

معاهدته مع عربان الزريقات على فتح طريق شكا سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٦ م :
 وكان اول ما سميت اليه فتح طريق التجارة بين بحر الغزال وكردوفان لبعد
 طريق النيل وكثرة أخطارها ومشاقها . وفي شوال سنة ١٢٨٢ هـ مارس سنة
 ١٨٦٦ أوفدت رسلا يهدايا الى مشايخ عربان الزريقات الواقعين في طريق
 التجار فجاءني ثمانون شيخاً منهم وعاهدوني على فتح الطريق وتأمين القوافل
 والتجار من مسلمين ومسيحيين وأقسم كل منهم خمسين قسماً على الكتاب
 بالمحافظة على هذا العهد وجعلت لهم مقابل ذلك جملاً معلوماً يقتضونه من
 التجار فكثر ترداد الناس والتجار بأصناف البضائع لقرب هذه الطريق
 وسهولتها وما زالوا في ازدياد حتى صار ازدهامهم على كازدحام العطاش على
 المنهل العذب .

حملة البلالي على بحر الغزال وقتله سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م : وفي سنة
 ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م (وهي السنة التي ذهب فيها السر صموئيل باكر لفتح خط
 الاستواء) قدم رجل من الخرطوم من متخلفي حجاج الغرب يقال له الحاج
 محمد البلالي بقصد احتلال بحر الغزال ومعه سرية من العساكر مؤلفة من ٢٠٠
 من العساكر المنظمة السودانية عليهم الصاغ محمد افندي منيب و ٤٠٠ من
 العساكر الباشبوزق عليهم السنجق كوشوك علي و ٦٠٠ من الخطرية . فطاف
 بلاد بحر الغزال ودخل زرائبها وقرأ لأصحابها فرمان الحكومة بتسميته مديراً
 على بحر الغزال فمنهم من طاع وسلم ومنهم من عصي فحارب او فر . ثم وجه
 حملته على فجمنت جيوشي ومن لجأ الي من اصحاب الزرائب المجاورة لي
 وكنت له في خور على الطريق . فلما اقترب من الكين أشعلت النار في جيشه
 فقتلته وقتلت بعض عسكره وأمرت الباقي ولكني أصبت في ذلك اليوم
 برصاصة في كراعي الايمن ورجعت محملاً الى مركزي . وكانت الحاكم في
 الخرطوم اذ ذاك جعفر باشا مظهر فبعثت اليه بالخبر .

وانتشر خبر انتصاري على البلالي في أفاصي السودان واشتهر ملكي بالعدل
 والانصاف فوفد الي الناس من كل الجهات اما للانتظام في جيشي او للتجارة

في بلادي ولم يمض إلا القليل حتى صرت ذا ملك عظيم . وكنت أميل في أحكامي الى استعمال الشفقة على من وليت إلا اني كنت اضطر في بعض الاحيان الى استعمال الصرامة نظراً لقساوة قلوب اهل البلاد فمن جملة ذلك اني كنت أعلق المحكوم عليه بالشنق برجليه ليندلى رأسه الى اسفل وأتركه بلا أكل ولا شرب حتى يموت .

امتدادك بلاد النام سنة ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م : وهذا الملك الذي انتظم لي في بحر الغزال لم يرق للسلطان تكة سلطان النام وكانت ابنته رانبوه لا تزال في عصمتي وكانت يرسل اليها في كل سنة هدية من السن خمسين قنطاراً ومن العسل مائتي زقة ومن السمسم مئة أردب ومن الرقيق مئة فلما اشتهر ملكي في جواره قطع الهدية ونصب لي العدا . وفي اوائل ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م أرسل عمه مغبوه يحيش جرار فأغار على اطراف مملكتي فبعثت اليه يرسل أسأله عن ذلك فردّ الرسل مع ثلاثة رسل من عنده يقول انه لا يسمح لي بتأسيس ملك في جوار مملكته فاما ان أنزع عن نفسي صفة الملك وأعود تاجراً كما كنت او ان يحاربني وينزع الملك عني بالقوة . فقلت للرسل اذهبوا الى ملككم وقولوا له ما كنت لأتنازل عن ملك أسسته بسيفي لمجرد تهديد او وعيد فان كان يستصغرنى الى هذا الحد فليجرب قوته التي يتفاخر بها على ملوك الجوس . فجرد الملك تكة جيوشاً لا يحصى لها عدد وانتشبت بيننا حرب سنة كاملة جرت فيها عدة وقائع شديدة وفي آخرها قتل السلطان تكة وعمه مغبوه ودان لي ثمانية من كبار ملوك النام الذين كانوا في حروب مستمرة بعضهم ضد بعض بل كانوا يصيدون بعضهم البعض صيد الطير فلما توليتهم قبعت فعالهم وألفت بينهم وبسطت الامن على ربوعهم وصاروا يتعاملون بالبيع والشراء ويتصاهرون . وسمع من جاورهم من الجوس اخبار عدلي وما قال الذين دخلوا تحت طاعتي من الراحة والامن واتساع العيش فصاروا يأتون اليّ من مسافات بعيدة مقدمين الطاعة وطالبيين عمالاً من قبلي تقوم عليهم حكماً فأجبتهم الى ذلك واتبع نطاق مملكتي اتساعاً عظيماً الى الجهات الاربع .

فتح دارفور

سنة ١٢٩٠ : ١٢٩١ هـ - ١٨٧٣ : ١٨٧٤ م

حربه مع الرزيقات واستيلائه على بلاد شكا سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م :
وكان الرزيقات في أثناء الحرب مع النائم قد نقضوا العهد وقطعوا الطريق وقتلوا
بعض التجار فلما انقضت الحرب أنفذت اليهم رسلاً أسألهم عن ذلك فأجابوا
بالشتم والسباب وأقسموا ألا يدعوا مسافراً يمرّ إليّ عن طريق بلادهم إلا قتلوه
وسلبوه ماله .

وكان على دارفور اذ ذاك السلطان ابراهيم فأرسلت اليه كتاباً بتاريخ ١
جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ ٢٧ يونيو سنة ١٨٧٣ م أخبره بما أتاه الرزيقات
من نكث العهد وقطع السابلة والتمست مساعدته عليهم وهذا فحوى الكتاب :

« الى حضرة امير الأمراء الكرام مولانا السلطان ابراهيم ابن السلطان
حسين صاحب العزة والافتدار والهيبة والفقار أدام الله علاه آمين .

« اما بعد فنحن عبيد افندينا وليّ النعم خديوي مصر المعظم أتينا منذ
عام ١٢٧٠ هـ لفتح بلاد المييد فدانت لنا بلاد الفراتيت برمتها وفتحنا
الطريق منها الى كردوفان عن طريق شكا فتعهد بحفظه مشايخ الرزيقات
نظير جمل معلوم وضعناه لهم على التجار . ولكن لم يكن الا اليسير حتى
نكث الرزيقات العهد وربطوا الطريق وأباحوا دماء المسلمين وأموالهم بدون
وجه شرعي وقد نهيناهم عن ذلك مراراً فلم ينتهوا بل كانوا يتفاخرون بقوتهم
وخيولهم العربية وأسلحتهم النارية وقتلهم للمقدم عبد العزيز ابي احمد شطه
وآدم طريوش ابي الوزير بخيت وغيرهما من الفرسان التابعين لدولكم الفوراوية
فأوجب الله تعالى علينا حرّيتهم بدليل قوله : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
الى أمر الله » ونحن نتقدم اليكم بهذا الكتاب واثقين انكم متى علمتم حال
هؤلاء العربان الطغاة الذين خرجوا عن طاعة سلطنتكم منذ ثلاثين سنة ونيف
تجدوننا بسرية من جيشكم حتى اذا ماتمّ لنا إذلهم نعود فنسوي الامر

بيننا فإما ان تتركوم لنا لنحكمهم بالقسط والعدل وإما ان نتركهم لكم فتفتحون الطريق وتقدمون لنا النفقات التي نبذلها على عساكرنا في الحملة عليهم والأمل الافادة سريماً في حفظ الله آمين .

فلم يجب السلطان على كتابي هذا ولا انتهى الرزاقات عن التعدي فاستخرت الله في حربهم وسقت جيشي الى بلادهم فتجمعوا لقتالي وجرت بيني وبينهم عدة وقائع كان النصر فيها كلها لي وكانت اول الوقائع في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ ١٠ يوليو سنة ١٨٧٣ م وآخرها في ٤ رجب من السنة المذكورة ٢٨ اغسطس ١٨٧٣ . وفي الوقعة الاخيرة انهزم الرزاقات شر انهزام وقتل منهم خلق كثير وأصبحت بلاد شكا كلها في يدي .

خبر عبد الله التعايشي سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م : وكانت الرزاقات قد استخدموا فقيهاً من فقهاء التعايشة يقال له عبد الله ود محمد آدم تورشين ليقرأ لهم الأسماء في خلوته لعلها تقبض على سلاحي فلا يطلق ناره في ساحة الحرب وقد تمهدوا له ببقرة من كل مراح فوقع اسيراً في يدي في حلة السروج بين شكا وداره فأمرت بقتله . وكان معي ١٢ عالماً من علماء الشرع وقد حلفتهم على القرآن الشريف انهم اذا رأوا في احكامي اعوجاجاً عن الشرع ينبهوني اليه فلما أمرت بقتله اعترضني العلماء وقالوا ان الشرع لا يسمح لك بقتل اسير الحرب فضلاً عن ان السياسة تتكرر عليك قتل رجل يعتقد الناس صلاحه لأنك إن قتلته نفرت القبائل منك وعدت لك رجلاً ظالماً خيفاً فامتنعت عن قتله ويا ليتني لم أمتنع لأنه عاش ليكون من أعظم البلايا على السودان (كما سيجيء) .

[والمشهور في نسب عبد الله هذا انه من قبيلة التعايشة من فرع الجباراب من بطن يقال له ابو صرة وقد دفن جده في جهة هجيليجة من اعمال شكا ولما تولى الخلافة في عهد المهدي أمر اصحابه بعمل قبة فوق ضريحه وعاد الناس لزيارته كما يستفاد من كتابه الذي أرسله الى محمد شيخ محمد كرقساوي عامل

المهدية في شكا بتاريخ ٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٤ هـ ٢ مارس سنة ١٨٨٧ م وهذا هو بنصه :

و ثم نعرفك الى جوابك المؤرخ في ٦ جمادى الاولى الذاكر فيه انه منذ حضرت بشكا لم يبلغك ان جدنا آدم مدفون بجهة هجيلجة الا عن قريب إذ أعلمك الحبيب عثمان آدم ووصف لك محله وقصدك عمل تابوت فيه وترغب الرد الى آخر ما به وصل وفهم . والحال يا حبيبنا نعلمك ان لا قصد لنا في رفعة الدنيا وشهرتها بل كل قصدنا مصروف الى لزوم الخضوع في هذه الدار وعدم التمييز لننال عظيم الرفعة عند الله ولكن حينئذ انك يا حبيب من الاصحاب الكرام وقد يقظك الله ونور بصيرتك الى فعل هذا الخير فمن باب إعانتك على نيل ثوابه العظيم آذنناك في فعل ما تراه في ذلك الضريح من عمل التابوت عليه ومداومة زيارته انت والاصحاب الذين معك ويكون لك من الثواب في ذلك ما لا يعلم به إلا الله حيث ان هذا الجد مشهور خبره وبركته لدى كل من له به إلمام فبعد عمل التابوت الموافق عليه بمقتضى حسن نيتك وعلو همتك واشهار ضريحه نبته على كافة من معك من الاصحاب وأهالي الجهة بزيارة ضريحه على نية البركة فانه من اهل الفوز عند الله . واعلم ان الجد المذكور اسمه على الكرار لا آدم وهو ود الاب المبرور السيد محمد أبينا فعرف الاصحاب بذلك ليعلموه وليداوموا على زيارة ضريحه فان ذلك من السنة وجزاك الله يا حبيب خيراً في انتباهك لهذا الامر فانه من نعم الله عليك والسلام » [.

قال الزبير : والذي اتصل بي ان اصل جد عبد الله هذا من بلاد الفكري بينوداي وبرنو سار من بلاده طالباً الحجاز وهو لا يملك شيئاً كجميع الحجاج التكارنة فلما وصل بلاد التعايشة تزوج منهم وسكن بينهم فانتسب اليهم . أما ابره محمد آدم فكان يلقب بتورشين أي تور قبيح لقبح منظره وكان عالماً بالرمي فسال حظوة كبيرة عند التعايشة واشتهر بعلم الغيب والتقوى وكان التعايشة يفتنون بلاد السود جنوبيهم من وقت الى آخر فكان اذا بشرهم بالنصر انتصروا واذا حذرهم من الغزو ثم غزوا انكسروا حتى صاروا لا

يفزون غزوة ولا يقدمون على عمل هام إلا بمشورته فجمع بذلك مالا جزيلا وتزوج بأكثر من امرأة من نساء التعايشة فرزق من واحدة ولداً سماه يعقوب وهو أكبر من عبد الله وتزوج بأرملة كان لها ولد يسمى السنوسي فولدت له عبد الله هذا وتزوج بجارية فولدت له ولداً سماه هارون فكان لعبد الله ثلاثة اخوة اشتهروا في تاريخ المهدي وهم : يعقوب اخوه من ابيه والسنوسي اخوه من امه وهارون محمد اخوه من الجارية . ثم لما كبر تورشين قام ابنه عبد الله مقامه في هذه الصناعة فدعاه عرب الرزيقات عند انتشار الحرب بيني وبينهم الى قراءة الاسماء فوقع أسيراً بيدي كما قدمت . وبعد فتح دارفور طلب مني ارضاً في قبجة غرب الكلكتة فأعطيته اياها على ان يكف عما كان به من التدجيل فرضي ولكن لم يمض إلا القليل حتى أتاني منه كتاب وأنا في داره يقول فيه « رأيت في الحلم انك المهدي المنتظر وأني احد اتباعك فاخبرني ان كنت مهدي الزمان لأتبعك » فكتبت له في الجواب « استقم كما أمرتك انا لست بالمهدي وانما انا جندي من جنود الله أحارب من طغى وتمرد » . وبقي في قبجة الى ان كانت ثورة السلطان هارون (الآتي ذكرها) وضاق الرزق في بلاد دارفور بسبب الثورة فرحل منها هو وأبوه وتلاميذته قاصدين الحجاز وبقوا سائرين الى ان أتوا دار الجمع بكردوفان فنزلوا عند شيخها عاكر ابي كلام في ابي ركة فمات ابوه ودفن هناك وبقي هو في ابي ركة الى ان اشتهر أمر محمد احمد في جزيرة أبا فهاجر اليه وكان من اعز أنصاره . وكان في جملة تلامذة ابيه الذين رافقوه الى ابي ركة فانتصروا معه للمهدي واشتهروا فيها المساعد قيدوم الهباني وحامد ود علي واخوه احمد من التعايشة وفضل المولى صابون اخ حمد ابن ابي عنجة (وسيأتي ذكرهم جميعاً) .

هذا ولما دخلت بلاد الرزيقات قرأ اثنان من مشايخهم وهما الشيخ 'منزل' والشيخ 'عليان' ولجأ الى السلطان ابراهيم في الفاشر فبعثت اليه بكتاب بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٩٠ هـ ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٣ م أسأله تسليمها اليّ وهذا نص الكتاب :

من الزبير رحمة الجميعاي الى السلطان ابراهيم ابن السلطان حسين وعنه
الامير حسب الله ابن السلطان محمد الفضل .

« اما بعد فقد دخلنا بلاد شكا في يوم الاثنين المبارك الموافق غرة رجب
سنة ١٢٩٠ هـ ٢٥ اوجسطس ١٨٧٣ م للاسباب التي قدمناها لكم في كتاب
سابق ووقعت بيلنا وبين عربان الرزيقات معركة شديدة قتلنا فيها اعيانهم
وفرسانهم وكثيراً من اخلاطهم ولحقن الآن مقيمون في بلادهم وقد بلغنا ان
الشيخ 'منزل' والشيخ 'عليان' من أكبر طغاة الرزيقات قد التجأ اليكم واما
يحثانكم على حربنا فغاية ما نرجوه ان لا تسمعوا لأقوالها الفاسدة فتقموا بحرب
الدولة المصرية ذات السطوة الغالبة والمدد الغير المنقطع ولا تقول ذلك على
سبيل التهديد بل هو النصح فنحصى لكم لمنع الفتن بين الدولتين وحقق دماء
المسلمين لا سيما وأنتم تعلمون ما كان بين والدكم السلطان حسين وبين عزيز مصر
الخدوي المعظم من المودة والمعاملات التي لا تزال متصلة بينكم وبين خديوي
مصر الحالي لذلك نؤمل منكم الآن ان تأمروا بالتبض على منزل وعليان
وترسلوهما الينا « بالشعبة » والحديد مع الحرس اللازم للسرود منها ما أخذه
من حقوق المسلمين بلا تمثيل فيها ولا ظلم بل بما يكون فيه تأديب لها وعبرة
لغيرها . هذا ما رأيناه والرأي مفوض وأدام الله بقاءكم آمين » .

وكان السلطان ابراهيم واجداً عليّ لدخولي بلاد الرزيقات التي هي جزء
من يبلاده فلم يجبني على كتابي بل ارسل الى الشيخ مادبو بن علي وغيره من
مشايخ الرزيقات كتاباً مشحوناً شتماً وسباباً لي ويقول لهم لا تظنوا اني اترك
البلاد لهذا الطاغية الجلاي واما انا اعد الجيوش للزحف عليه وطرده من البلاد
بالخزي والخسران .

فعند اطلاعي على كتابه هذا أرسلت اليه كتاباً بتاريخ ٢٩ رمضان سنة
١٢٩٠ هـ ١٢ نوفمبر سنة ١٨٧٣ م بهذا المعنى : من الزبير رحمة الجميعاي الى
السلطان ابراهيم :

كتاب الشوك

اما بعد فقد كتبت اليكم اولاً وثانياً بشأن الرزاقات فلم أحتظَ بجواب منكم بل رأيت كتاباً مختموماً بختمكم الى الشيخ مادبو بن علي وغيره من مشايخ الرزاقات تكثر فيه من ألفاظ الشتم والسباب لي بقولكم اني جلابي باغٍ وتقولون انكم تجردون الجيوش لطردني من البلاد مع اني سبقت فأخبرتكم بالسبب الذي من اجله دخلت بلاد شكا وقلت اني ما جئت ثائراً ولا باغياً بل جئت لتأديب الرزاقات الذين سموا في الارض فساداً وخرجوا عن سلطانكم وقد استنجدتكم عليهم فلم تنجدوني وسألتمكم تسليم منزل وعليان اللذين هما اصل الفساد فما سلمتوما وصمتم على الحرب . وذلك ليس قصدي ولا مرادي فقد قال عليه الصلاة والسلام « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » . خصوصاً وانه لم يكن بيننا وبينكم ولا كان بين آبائنا وآبائكم حرب ولا عداء ولا أمرتنا دولتنا بمحاربتكم . اما وقد اخترتم هذه السبيل فاعلموا يقيناً ان جميع ما يسفك من دماء الطائفتين من المسلمين انما أنتم المسؤولون عنه بين يدي الله يوم القيامة اذ تجتمع الخصوم . وبعد هذا الانذار الجلي فاذا حاربتُمونا فاعلموا اننا منصورون عليكم لأننا بجانب الحق والعدل وأنتم بجانب البغي والظلم فضلاً عن اننا ليوث حربية وصلة عباسية وسلالة هاشمية ولنا النصر من رسول الله كما قال عليه الصلاة والسلام « اللهم انصر العباس وأبنائه » . أما ان كنتم تودون خروجنا من بلاد شكا لأنكم تحسبوننا قسماً من بلادكم فاعلموا ان خروجنا بعد الذي صرفناه على احتلالها بوجه شرعي لا يكون بالقوة والحرب وانما يكون بالتراضي والسلم بينكم وبين سمو ولي نعمتنا الخديوي المعظم بأن تضمنوا لنا نفقات الحملة على الرزاقات التي باتت ١٠ آلاف كيس ونيفاً فاذا اتفقتم مع سموه على ذلك وكتب لنا امراً لرفع يدنا من البلاد فنعود الى حيث كنا بجميع جيوشنا امثالاً لأمره وإلا فلا يخطر ببالكم خروجنا من هذه البلاد وفي هذا كفاية والأمر اليكم فانظروا فيما تفعلون أدام الله اجلالكم آمين » .

تعيين الزبير حاكماً على شكا وبحر الغزال سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م : وفي

أثناء ذلك كتبت الى حكام دار الخرطوم اسماعيل باشا ايوب اعلمه بحالي وانتصاري على الرزيقات وأسأله ان يرسل من يتولى حكومة البلاد التي فتحتها في بحر الغزال ودارفور بالنيابة عن خديوي مصر وقلت في ختام كتابي « فاذا ما وصل الحاكم واستلم البلاد عدت الى تجارتني تاركاً كل ما أنفقت من الاموال في الفتح هدية لحكومة السنية وانتظرت مكافأتها الادبية حسباً تقتضيه عدالتها وكرمها » .

فجاءني الجواب بتاريخ ١ شوال سنة ١٢٩٠ ٢٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٣ م بما مؤداه :

« عرضنا كتابكم على الجناب العالي الخديوي فشكر ولاءكم وامتدح رغبتكم في وضع البلاد التي فتحتوها بين يديه ليولي عليها من يشاء وقد أنعم عليكم بالرتبة الثانية مع لقب بك وولاكم امر البلاد على ان تدفعوا لخزينة جزية سنوية قدرها ١٥٠٠٠ جنيه . قبلت الجزية وقولت امر البلاد رسمياً وشرعت في تنظيمها وعمرانها . لكن السلطان ابراهيم لم يطق الصبر على بقائي في بلاد شكا فأصدر امره الى احمد شطة مقدم الجنوب في داره وسعد النور مقدم الشرق فأخذوا في حشد الجيوش وجمع العدة لاجراحي منها . وكنت اراقب حركات المقდومين وسكناتهم وأبلغها اسماعيل باشا ايوب في الخرطوم فيرفعها الى اسماعيل باشا الخديوي في مصر فأقر الخديوي على اغتنام الفرصة التي كانت تترقبها حكومته منذ فتح كردوفان وأرسل اليّ ٢٨٠ من المساكر المنظمة وثلاثة مدافع نجدة وأمر اسماعيل باشا ايوب فجهز جيشاً مؤلفاً من نحو ٣٦٠٠ مقاتل من الجنود السودانية والمصرية والباشبورق والشايقية والأتراك والمغاربة والمتطوعة واربعة مدافع جبلية وساروخين على ان يزحف بها على دارفور من الشرق . وأنا أزحف عليها من الجنوب ونتم الفتح . على ان الفتح كله تمّ عن يدي بعون الله ولم يبقَ لجيش الشرق أقل عمل فيه .

ولما أتمّ احمد شطة وسعد النور استعداداتها زحفاً بجيش ينيف على ٣٠ ألف مقاتل قاصدين شكا فجبرت بيني وبينها واتعتان كانت العاقبة لي في كليهما

وفي الثانية قتلت احدى شطة وسعد النور وهزمت جيوشها ثم تقدمت الى داره فاحتلتها وبنيت فيها استحكاماً منيعاً وبعثت الى السلطان ابراهيم بكتاب بتاريخ غرة محرم سنة ١٢٩١ هـ ١٨ فبراير ١٨٧٤ م هذا نصه :

« اما بعد فقد حررنا لكم من قبل مرتين بشأن الرزيقات لما أجبتونا ثم لما علمنا من جوابكم للشيخ مادبو وغيره من مشايخ الرزيقات انكم تجهزون الجيوش لقتالنا حذرناكم من ذلك وأبنا ان ليس لكم فيه وجه شرعي ولا سياسي لما همكم تحذيرنا وتقدم وزيركم احدى شطة ومقدمكم سعد النور بمن معها من الملوك والشرافي والجيوش الكثيرة المجهزة فهاجما دفعتين ففي الدفعة الاولى هاجما قسماً من عساكرنا الذين انفردوا منا لغزوة على بعض العربان المعصاة وذلك في ٢٥ القعدة سنة ١٢٩٠ هـ ١٤ يناير سنة ١٨٧٤ م ثم هاجمنا في مراكزنا فلم تضر ساعة واحدة حتى انهزما أمامنا شره انهزام . اما المقدم سعد النور جزاء الله كل خير فانه قاتل قتال الابطال ومات بين كرات المدافع والفضل ما شهدت به الأعداء . واما وزيركم احدى شطة امير الجيش فقد فرّ على قدميه حافياً يطلب النجاة حتى قتل مطروداً بمن معه من أخلط الناس بعيداً عن محل الواقعة ولا بد ان الخوذة التي كان يلبسها على رأسه وصلتكم فأكدت لكم خبر موته . وبعد الواقعة أمرنا بجمع جثث الوزير والمقدم ومن قتل معهم من اولاد السلاطين والملوك والشرافي فكفناهم بأفخر الأنسجة وصلينا عليهم ودفنناهم بتمام الاكرام ودخلنا داره في ٢٣ الحجة سنة ١٢٩٠ هـ ٤ فبراير ١٨٧٤ م . وأما الرجال الذين قتلوا فانتم المسؤولون عن دماهم بين يدي الله تعالى يوم القيامة لأننا أنذرناكم مقدماً بالكتاب والسنة واذا راجعتم كتبنا السابقة علمتم اننا لم نترك وجهاً للنصيحة الا عرضناه عليكم وأنذرناكم به فأعرضتم عن الانذار وخالفتم الشرائط الاسلامية واثبتم هوى النفس الفضيضة وتفرير العربان المفسدين في الارض . وحيث ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فقد فوّضت أمري الى الله تعالى وكفى به شهيداً بيلنا والله المستعان . »

وفي هذا التاريخ كتبت ايضاً الى أجل علماء دارفور وهم الفقيه سلامه ابن الفقيه مالك شيخ الموطأ والفقيه فخر الدين ابن الفقيه محمد سالم شيخ الشفا والبخاري والفقيه سالم شيخ العزيمية والامام الضو ابن الامام المصري لإمام السلطان (عم الشيخ الطيب المار ذكره) فبينت لهم السبب الذي جاء بي الى بلاد الرزيقات وأعدت لهم ما كتبته الى السلطان حياً برفع الحرب وحقن دماء المسلمين ثم ختمته بقولي : « فالأمل من حضراتكم يا علماء الاسلام ان تفيدونا عما دعا سلطانكم الى محاربتنا وهلاك عساكر المسلمين منا ومنه فإن كان له وجه شرعي في ذلك ونحن المخالفون للشريعة فنحن نشكره على ما أجراه ونطلب المغفرة منه وإن كان هو المخالف فكفى بالله شهيداً بيننا وبينه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اه » . فلام أجابوا كتابي هذا ولا السلطان ولكنهم أخذوا في حشد جيش جديد لأخذ الثار .

واقعة الشرتاي احمد نمر : ثم ان الشرتاي احمد نمر كبير البرقد جمع شتات جيش المقدوم احمد شطة وحصرنا في الاستحكام وأخذ يشاغلنا حتى تصل الجيوش التي يبعدها السلطان ابراهيم فصبرت عليه حتى علمت ان الجيوش آتية نجدة له فأمرت احد قوايدي راجحاً فخرج اليه بفرقة من الجيش فقتله هو ومن معه وغنم ما عنده من خيول ودروع وخوذ ومواش .

وفي ٣ رجب سنة ١٢٩١ هـ ١٦ اغسطس ١٨٧٤ م بعثت بكتاب الى السلطان ابراهيم أدعوه للتسليم هذا مؤداه : « اني سألتكم في بادئ الرأي ان تساعدوني على الرزيقات الذين سعوا في الارض فساداً ثم سألتكم مراراً تسليم منزل وعلبان اللذين التجأ اليكم فراراً من وجه العدل فما أجبتم بل أرسلتم الجيوش لمحاربتني فأوجب الله تعالى علينا محاربتكم حتى تستقيموا انتم ومن معكم من المفسدين في الارض وقد تلقينا جيوشكم ونصرنا الله عليهم ودخلنا مدينة داره وصار القصد الآن إدخالكم اتم وبلادكم تحت طاعة الحكومة الخديوية . فيا حضرة الامير ان كنت تحسب نفسك عبداً لله وموقناً ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فبادر اخلع الملك عن نفسك

شأن الشوكرا

بالتسليم الى ولي نعمتنا الخديوي المعظم حباً بالسلام وحجباً لدماء المسلمين واذا سلمت تسلم وتترك لك خزانك وأموالك وتبقى مكرماً مبخلاً عند الجميع وإلا فانت لا بد ان تنال ما نروم بالرغم عنك وأنت المسؤول بين يدي الله عن دماء المسلمين والسلام .

واقعة الامير حسب الله : فلما وصله هذا الكتاب طار صوابه وجره جيشاً عرمرماً ينيف على المئة الف مقاتل بينهم عدد كبير من الفرسان المدرعين والمشاة المسلحين بالبنادق وعقد لواءه لعمه الامير حسب الله ومعه من الرؤساء علي التاماوي رئيس دادات السلطان والمقدم احمد قومه المقدم الصعيد خلف الوزير احمد شطة والمقدم حسن ود أبلي مقدم الغرب وابن ابراهيم ود ذير (المار ذكره في فتح كردوفان) فوصلوا داره في ١٢ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ اغسطس سنة ١٨٧٤ م وحصرونا في الاستحكام من الجهات الأربع وكتبوا الي كتاباً يقولون فيه : « لقد دخلت بلادنا وقتلت وزيرنا احمد شطة ثم الشرتاي احمد نمر فاخرج الآن من بلادنا لنشيعك بالسلامة والأمان » وأرسلوا الكتاب مع ثلاثة رسل وفي جلتههم عمده خالد زقل الدنقلوي (الآتي ذكره بعد) فكتب اليهم في الجواب : « ابي دخلت بلادكم عنوة ولمنتحاً ذوي الخروج منها الا بقدر من الله فإن كنتم قد جئتم لحرب فتقدموا لها وإلا فعودوا من حيث أتيتم » . ورأى الرسل بعض عساكر النائم الذين في جيشي قبيد اجتمعوا على جثة آدمي يقتسمونها فيما بينهم فأخذ بعضهم الرأس والكراع وبعضهم الفخذين وبعضهم الصدر وشرعوا يشوونها على النار ويأكلونها فاقبضت أبدانهم من هذا المشهد فعادوا وأخبروا بما كان من عساكري ومن جوابي فاعتمدوا على الحرب ونزلوا ضمن دائرة مرمى الرصاص وصاروا يناسوشونا القتال كل يوم من قبل طلوع الشمس الى ما بعد نصف الليل وكان مغني زهاء ١٢ الف مقاتل مسلحين بالبنادق فصليتهم تاراً حامية صبروا عليها منبحة أيام فاهلكت منهم خلقاً كثيراً وفي اليوم الثامن نقضوا خيامهم ونزلوا بعيداً عن مرمى الرصاص . ولكنهم لم يزالوا على حصرة وناوشتنا القتال الليل والنهار

حتى كاد الزاد يفرغ منا وإذا دخل علينا الملك احمد من معسكرهم طالباً ابنته التي أسرتها في واقعة احمد شطة وقدم لنا عشر أواق ذهب فدية لها فأخذت أسأله عن قوة جيش الفور وحركاته فإذا بالحرس الذين وضعتهم في مأذنة جامع داره لمراقبة حركات العدو يشيرون الي أن أصعد اليهم فرأيت الفور في حركة وجلبة فنزلت الى الملك وقلت له : إن كنت تذهب وتأتيني بالخبر فاني أسلك ابنتك بلا مقابل فحلفني الكتاب على ذلك وحلف لي انه يعود بالخبر اليقين ورجع الى قومه وقال لهم ان الزبير طلب ٢٠ اوقية ذهب فداء ابنتي ولم يكن معي سوى ١٠ أواق فقالوا خذ هذه عشر اخرى وبادر احضر ابنتك لأن الجيش يستعد للهجوم على السور غداً من كل الجهات فأخذ عشر أواق الذهب وأتى بالخبر ليلة الخميس الموافق ١٨ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٤ م . وكان الفور في تلك الليلة قد شربوا الخمر وأكلوا لحم الضأن والابل وقاموا نوم الراحة فانتهزت هذه الفرصة الثمينة وخرجت اليهم بثمانية آلاف رجل بهيئة مربع وسرت في جنح الليل حتى صرت على قيد ١٠٠ متر منهم فأمرت عساكري فصبوا عليهم الرصاص كالطر الابل فقاموا مذعورين الى سلاحهم وصوبوا علينا نيرانهم فأصابني رصاصة طائشة في يدي اليمنى وجرحتي جرحاً بليغاً ولكفي لم أعبأ بها بل بقيت أشدد قومي وأصب عليهم الرصاص فولتوا الأدبار منهزمين وقد امتلأت الارض من قتلام وفيهم ٤٠ رجلاً من اولاد السلاطين فجمعت الغنائم فكان فيها نحر ألفي درع و ٢٧٠٠ خيمة و ٨ مدافع قديمة مكتوب على بعضها اسم سعيد باشا وشيء كثير من الاسلحة والنخائر الحربية ومن الجيوب والزاد ما كفى الجيش أربعة اشهر وعدت الى السور . وعاد الامير حسب الله فجمع شتات جيشه وهاجني في السور في ٢٧ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٤ م فدام القتال بيني وبينه ٤ ساعات متوالية حتى كثر القتل في جيشه فانهمز شر هزيمة .

غزوة السلطان ابراهيم الى دارة : فلما بلغ السلطان ابراهيم خبر انكسار عمه الامير حسب الله استعظم الأمر جداً واستكبره وصاح بقومه صيحة عامة

فجرد منهم جيشاً كثيفاً بلغ عدده نحو ١٥٠ ألفاً بيد ٣٠ ألف فارس وعدة رجال مسلحين بالبنادق و ٨ مدافع وعزم على الخروج الى الحرب فختلف على الفاشر ابنه الاكبر محمد الفضل وطلب من رجال دولته ان يحمل كلا منهم ابنه الاكبر خليفة عنه مع ابنه محمد الفضل ففعلوا (وكان في جلتهم الشيخ الطيب المتقدم الذكر اماماً لجامع الفاشر خليفة لعمه الشيخ احمد الضو) وزحف يمحشه على دارة فوصلها في ضحى ٥ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٤م واحتاط السور من الجهات الاربع وهاجمي بجميع جيوشه هجمة واحدة فأمطرت عليهم ناراً حامية فثبتوا عليها حتى الساعة واحدة وبعد الغروب وفي اليوم التالي أعادوا الكرة على السور من قبل طلوع الشمس فما كانت الساعة الرابعة من النهار حتى رددتهم على أعقابهم فاستراحوا الى ما بعد الظهر ثم عادوا الى الهجوم بعزم صادق مستقنلين وثبتوا والرصاص يحصدهم حصد الزرع الى ان فصل بيننا الليل فرجعوا وقد قتل منهم في ذلك اليوم خلق كثير وفيهم البعض من اولاد السلطان ابراهيم واولاد اخيه وأعمامه وعماته . وفي الليل أتاني كتاب من السلطان بمولود شتماً وسباباً وتهديداً وقد أقسم بالله العظيم انه لا بد من اعادة الكرة علي في الصباح ودخوله الاستحكام عنوة وتأدية صلاة الجمعة في مسجد دارة . وفي الساعة الخامسة من الليل أطلق على السور خمسة واربعين مدفعاً فلم أجبه بل شرعت في الاستعداد للفد . فلما أصبح الصباح وانكشف لي معسكرهم رأيته خالياً من الجيوش فخرجت بنفر من رجالي لأستطلع خبرهم فوجدتهم قد هربوا بالفعل ولم يكن هناك خدعة لأن رجال السلطان لم يعودوا يطبقون مهاجمة السرر فهجروا السلطان فتبعهم ليجمع شتاتهم ويسير بهم الى جبل مرة فيمتنع فيه . فجمعت ما خلفه في معسكره وشرعت في الاستعداد للحقوق به :

واقعة منواشي الاحد في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ أكتوبر ١٨٧٤م :
وفي ١٢ رمضان سنة ١٢٩١ هـ خرجت بالجيوش مقتفياً أثره حتى أدركته في بلدة منواشي الواقعة على يمين الى الجنوب الشرقي من الفاشر وذلك في الساعة

التاسعة من نهار السبت الواقع في ١٣ رمضان ومعه من العساكر نحو ٣٠ ألفاً وثمانية مدافع فرتب عساكره ميمنة وميسرة وقلباً وكان هو ومن معه من الابطال المعدودين من أقاربه وغيرهم مع المدافع في القلب . وما طلعت شمس الاحد الواقع في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ م حتى انتشبت الحرب فأطلقوا علينا احد عشر مدفعاً فما أجبنهم بل سرنا سيراً حربياً منظماً قاصدين القلب فهجمت علينا عساكر الميمنة والميسرة واشتد القتال فيما مضى إلا خمس دقائق حتى انكشفوا عنا وتقهقروا الى الوراء وعند ذلك هاجم السلطان ومن معه في القلب فهزموا مقدمة جيوشنا ودخلوا القلعة واشتبك القتال بالسيوف والحراب وكنت ترى السلطان يحول في وسط المعركة ويقاقل كأنه الأسد ولكن لم يكن إلا القليل حتى خرّ قتيلاً هو ومن معه من الفرسان والشجعان وفيهم الكثير من اولاده وأكابر دولته وانكشفت الحرب عن النصر المبين لنا فأخذت جثة السلطان فكفنتها بالانسجة الفاخرة ودفنتها في جامع منواشي باحتفال عظيم اجلالاً لقامه واقراراً ببسالته ثم دفنت القتلى من اولاده وأكابر دولته وعفوت عن جميع الاسرى وسمحت لهم بالذهاب الى حيث شاؤوا وقد اغتنمت في هذه الواقعة ثمانية مدافع وسبعة وعشرين حمل جبل جببخانه ما عدا الاسلحة النارية وغيرها .

دخوله الفاشر : وبعد ان استرحت ايام في بندر منواشي سرت بالعساكر الى الفاشر فدخلتها في ٢٣ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ٣ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م قبل طلوع الشمس فوجدت عائلة السلطان وأهله الذين تركهم بالفاشر قد فروا منها فلم يبقَ فيها سوى التجار وبعض العلماء فأمتنتهم على أموالهم ودمائهم وأحسنلت معاملتهم فلما بلغ الاهالي ما عاملنا به التجار وانتشر خبر عدلنا ووفائنا بالعهود أخذوا يفدون النساء ليلاً ونهاراً مقدمين الطاعة والامثال ولم يكن إلا ايام قليلة حتى دانت لنا جميع اهالي السلطنة من أعاجم وعربان حضر وبادية .

دخول اسماعيل باشا ايوب الفاشر : اما اسماعيل باشا ايوب المهاجم لدارفور

من الشرق فانه أبطأ في سيره جداً وعند وصوله الى فوجه كتب اليّ وانا اذ
ذاك في داره يقول : « اتي جئتكَ بنجدة فتشدد » فبعثت أقول له : « إذ كنت
قد جئتني بنجدة فلماذا هذا الابطاء في السير والعدو محدد بنا يجهش لاعداد
لها ؟ » فأجاب : « ما أنا أمرتك بالتقدم الى داره ولا افندينا فان استطعت
ان ترفع الحصار وتنجو يمشك الى هنا فافعل وإلا فدفتر أمرك بما تراه
صواباً » .

وبقي في فوجه حتى انقضت الحرب ولم يعد لي به حاجة . وبعد دخولي
الفائز بعثت اليه بالخبر فلقية الرسول في طريقه الى داره فائتني اذ ذاك عنها
ووجه الجيش الى الفاشر فدخلها في ١ شوال سنة ١٢٩١ هـ ١١ نوفمبر سنة
١٨٧٤م فأكرمت لقياء وأطلقت له مئة مدفع ترحيباً به فهأنى بالنصر وشكر
بي ولائي وحسن خدمتي .

ضبط الامير حسب الله : هذا وكان المتخلفون من جيش الفور لما تحققوا
موت السلطان ابراهيم في منواشي ولتوا عمه حسب الله سلطاناً عليهم وذهبوا
الى جبل مرة فتحصنوا فيه . فلما حضر اسماعيل باشا ايوب الى الفاشر سلته
ادارة البلاد وجهزت جيشاً مؤلفاً من ١٢ الف مقاتل فيهم ٤٠٠ من العساكر
المنظمة و ٢٠٠ فارس من عساكر الحكومة وزحفت على جبل مرة فلما رأى
الامير حسب الله قوتي سلم بلا قتال وكان معه بعض اولاد السلطان ابراهيم
وعمنهم الميرم عرقه وغيرهم من اولاد السلاطين ونحو ١٢٠٠ رجل من أعيان
البلاد وكبرائها فجئت بهم جميعاً الى الفاشر . وقد غبت في هذه المهمة ٩٦ يوماً .

إرسال الامير حسب الله وسائر اولاد السلاطين الأسرى الى مصر والزفير
الى داره : وكان الامير حسب الله قد سألني بعد التسليم إليّ في جبل مرة ان
أساعده على توليه البلاد ليحكمها تحت طاعة الحكومة الخديوية فيدفع لها مئة
الف جنيه جزية سنوية فأعجبني هذا الرأي ورأيت الرأي الصواب الذي فيه
راحة البلاد والحكومة معاً فعرضته على الحكمدار وأسندته بكل قوتي فرفضه

الحكماء بتاتاً ووقع بيني وبينه جدال طويل أفضى الى النزاع . وأرسل الأمير حسب الله والأمير محمد الفضل خليفة السلطان ابراهيم وكثيرين غيرهما من اولاد السلاطين الى مصر القاهرة حيث لا يزال أكثرهم أحياء الى اليوم (كما مر) . وأمرني بالذهاب الى داره والاقامة فيها بعساكري الى ان يصدر اليّ أمراً آخر بالرجوع الى بحر الغزال .

ثورة الأمير هوش وقتله : ولكن لم يمض شهر حتى ورد عليّ كتاب منه يقول ان بوشاً أخا الأمير حسب الله شقّ العصا فجمع بقية اولاد السلاطين في جبل مرة وملا البلاد عيناً وافساداً وأمرني بالخروج عليه وإخماد ثورته فصعدت بالامر وجئت جبل مرة في غرة رجب سنة ١٢٩٢ هـ ٣ اغسطس سنة ١٨٧٥ م وشهرت عليه حرباً عواناً مدة ١٥ يوماً فترك الجبل واعتصم بالفرار فتركت ابني سليمان مع ١٢٠٠ جندي في الجبل وتبعته حتى أدركته في صرف الجداد قرب كبكية فأوقعت به واقعة شديدة انتهت بقتله وقتل اخيه سيف الدين و ٢٧ رجلاً من كبراء جيشه .

دخوله دار وداي ورجوعه عنها : ثم توغلت بالجيش في بلاد الغرب فدانت لي ديار تامه والمساليات وقر وسلا حتى جئت الى الترجة الفاصلة بين دارفور ووداي فأقت فيها اياماً للراحة بعزم الدخول في دار وداي واخضاعها للحكومة الحديوية وكان عليها اذ ذاك السلطان علي ابن السلطان محمد شريف فبعثت اليه بكتاب أدعوه الى الطاعة ثم دخلت بلاده وتوغلت فيها حتى صرت على مسيرة يومين من عاصمته فورد عليّ كتاب منه يدل على قبوله الدخول في طاعة الحكومة الحديوية وقد تعهد بدفع مبلغ معلوم جزية سنوية على ان يبقى السلطان على بلاده ووجهه اليّ احد وزرائه بهدايا كثيرة للمفاوضة معي في هذا الشأن ولكن قبل وصول الوزير ورد عليّ كتاب من اسماعيل باشا ايوب بناء على ارادة سنية ملحقاً عليّ بالرجوع الى دار وداي في الحال فرجعت الى الفاشر متأسفاً على ما فات من فتح وداي فأخبرني الحكماء ان سلطان وداي أرسل

تاريخ السودان

وزيره احمد تنقه الى مصر عن طريق سيوه فتشكى للجناح الخديوي فأمر جنابه العالي برجوعي ولكنه أنعم علي برتبة اللواء الرفيعة مع لقب باشا .
هذا وكانت غزوة ودّاي آخر غزواتي التي زاد عددها على المئة والعشرين وقد نصرني الله فيها كلها فلم أقفل إلا في ثلاث منها .

تحصين الفاشر : كان اسماعيل باشا ايوب بعد دخوله الفاشر شرع في بناء « استحكام » (حصن) منيع للمساكر على التلة الغربية من الفاشر فبنى سوراً مربعاً متيناً من الطوب سمكه ٣ أقدام وطول الضلع الواحدة منه ٢٠٠ قدم وأقام في أركانه الاربعة أبراجاً على كل ركن برجاً جعل فيها المدافع وحفر من وراء السور خندقاً بلغ عمقه ١٥ قدماً وأحاط الخندق بزرية من شوك وبني من داخل السور ديواناً للحكومة ومنزلاً للحاكم وقشلاقاً (ثكنة) للمساكر المنظمة وأما المساكر الغير المنظمة فقد أقربها خارج السور وهدم المنازل التي الى جوار السور فجعل الارض التي حوله في غاية الانكشاف الى مسافة بعيدة فجاء حصناً منيعاً جداً . ثم وزّع منشوراً في كل البلاد ودعا الناس الى الفاشر لأخذ الامان فصارت الوفود تأتيه من الجهات الاربع فيؤمنهم ويرجعهم الى بلادهم . ثم أمر فعمرت سوق كبيرة في الفاشر وعاد الناس الى معاطاة أشغالهم كالعادة .

وبعد ان تمهدت البلاد جعلها اربعة أقسام كما كانت قبل الفتح وهي مديريات الفاشر وداره وكلكل (او كبكية) وادارة أم شنقة وأقام في كل من مركزي دارة وكلكل حصناً كالذي أقامه في الفاشر وجعل مرتب كل مديرية اورطتين من المساكر المنظمة وستة سناجق من الباشبوزق والشايقية والأتراك والمغاربة وبطارية بستة مدافع وأما ادارة أم شنقة فقد جعل مرتبها بلوكين من المساكر المنظمة وسنجقاً واحداً من الباشبوزق لقرها من الابيض .

وضع ضرائب على الأهليين : ثم لما دخلت سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م شرع في وضع الضرائب على الامليين فجعل على كل نفر خمسين غرشاً في السنة ما عدا

نتائج الإستراتيجية

اهل اليسار فانه جعل عليهم ضرائب أعظم على نسبة يسارهم .. ولما كنت على يقين ان هذه الضرائب تثقل على الاهلين فلا يطبقونها نصحت للحكمدار ان يجعلها من غرشين الى عشرة غروش وقلت اني اخاف اذا ثقلنا الضرائب على الاهلين وهم غير متعودين عليها نفروا منا وتزعوا الى الثورة وكان كما قلت فانهم لم يلبثوا ان ولّوا الامير هارون حفيد السلطان محمد الفضل سلطاناً عليهم وثاروا معه على الحكومة فأتبعوها مدة طويلة (كما سيجيء) ولكن الحكمدار تكدر من نصحي له وكلمني بحدة زائدة وقال انه أدري بما يجب فعله . فكتبته اليه اذ ذاك كتاباً رسمياً ثبت فيه رأيي ورفعت المسؤولية عني وألقيتها عليه فزاده هذا الكتاب غيظاً وحدة . وأصدر أمره اليّ بالرجوع الى بحر الغزال في الحال فصعدت بالامر وخرجت بعساكري قاصداً دارة قما وصلت اليها حتى ورد عليّ تلغراف من سمو الخديوي اسماعيل باشا من مصر يأمرني بعدم التعرض للحكمدار في ادارة البلاد فعلت من ذلك ان الحكمدار شكاني الى سموه وطمئن في صداقتي واخلاصي له وقيل انه اتهمني بارادة الاستقلال في البلاد .

جاء الزبير الى مصر وسيرته فيها فعزمت على المجيء الى مصر للتشرف بمقابلة الجناب العالي وعرض حقيقة الحال على سموه والنظر معه ومع رجال حكومته في تنظيم البلاد التي تم فتحها عن يدي والبلاد التي يمكن إلحاقها بحكومته في المستقبل فعرضت له ذلك تلغرافياً فلم يكن إلا يسيراً حتى أجابني تلغرافياً بما نصه :

« سادتو زبير باشا : لقد كانت أفكاري متعلقة بك لكن بالنظر لما بيني وبينك من بعد المسافة ولما هو بالغ مسامحي عما أنت فيه من المشغوليات الجسيمة ظننت انه لا يتيسر حضورك فلما ورد تلغرافك بطلب مقابلتي بمصر صرت ممنوناً فبادر احضر الى مصر لأجل المداولة معك في تشكيل حكمدارية تكون مفوضة بك وتحت ارادتك وها قد ثبته على جميع طلباتك بغاية الاعزاز والاکرام » . فلما تلوت التلغراف شعرت في نفسي بأني ان ذهبت الى مصر

فلا أعود الى السودان وبذلك شعر رجالي ايضاً وأرادوا منعي عن الذهاب ولكن اخلاصي لحكومتي وشرف نفسي قضيا عليّ بالمحافظة على قولي فبحث الى مصر عن طريق الابيض والخرطوم وبربر وأبي حمد وكورسكو في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ هـ ١٠ يونيو ١٨٧٥ م وتشرفت بمقابلة الجناب الخديوي بسراي الجيزة فرحب بي وهنأني بالسلامة وأزّلني في احدى سرايات العباسية مع عائلتي وأتباعي ورتب لي كل ما أحتاج اليه من أكسية ومؤونة .

وكان في جملة ما أحضرته من السودان ١٠٠٠ عسكري سوداني بالسلاح الكامل و ١٠٠ حصان من جباد خيل العرب و ١٦٥ قنطار سن فيل من الاسنان المتناهية في الكبر والجودة و ٤ اسود و ٤ نمورة و ١٦ ببناء قدمتها لاسماعيل باشا عن يد مهرداره خيرى باشا بكتاب خاص فأجابني المهردار بكتاب رقيق العبارة يقول فيه : « ان أفندينا بمنون جداً من هديتكم » . وبقيت في السراي التي أعدت لي الى غرة رجب سنة ١٢٩٢ هـ ٣ اغسطس سنة ١٨٧٥ م اذ دعاني سمو الخديوي الى سراي الجيزة وأصدر لي أمره بالاستعداد للسفر قريباً الى السودان وكان ذلك في حضور مهرداره خيرى باشا فشكرت سموه وشرعت في الاستعداد للسفر فاشتريت ذهبيتين بألف وسبعمائة جنيه وشحنتها من البضائع والتحف المصرية ما بلغت قيمته ٤٠ ألف جنيه .

ومكثت أنتظر صدور الامر بالسفر حتى كانت غاية رمضان سنة ١٢٩٣ هـ ١٩ اكتوبر ١٨٧٦ م فدعاني سمو الخديوي الى مقابلته وقال لي : « يا زبير باشا قد استصوبت بقاءك في القاهرة في ظل ساحتي حتى أنظر في أمرك » فأدركت اذ ذاك الغرض الذي دعيت لأجله وتمّ ما توقعت حدوثه ولكن لم يكن لي سوى الطاعة فقلت : « أمرك يا مولائي » وانصرفت والاسف ملء فؤادي على هذا المصير .

ولما كانت الحرب بين الروس والدولة العلية سنة ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م نذبت الى مرافقة التجارة المصرية فذهبت معها وعدت بعد انتهاء الحرب . هذا وكنت عند قيامي من دارة تركت جيشي بقيادة ابني سليمان فأسلمت

الحكومة السودانية اليه فاضطر الى الخروج عن طاعتها فوشى به بعض المنافقين بقولهم اني قبل قيامي من دارة أوصيت ابني سليمان بالثورة اذا حجزت الحكومة عليّ في مصر بل قالوا اني كتبت اليه من مصر أحرصه على الثورة وكان على السودان اذ ذاك غوردون باشا فصدّق الوشاية وأمر بتصدير أمواله في السودان وأرسل « جسي » في طلب ابني سليمان فحاربه في عدة وقائع . فكتبت الى سليمان بالتسليم الى الحكومة وترك الحرب فسلم الى جسي فقتله غدرًا .

فلما حضر غوردون الى مصر سنة ١٨٨٤ م اجتمعت به في بيت « السر افلن بارنج » (اللورد كرومر) بحضور السر افلن وود سردار الجيش المصري ونوبار باشا رئيس مجلس النظار فسألته عن سبب تصدير أمواله وقتل ابني سليمان فوجدته مقتنعاً بأنني كتبت الى ابني كتاباً أحرصه فيه على الثورة فقلت له اذا ظهر هذا الكتاب وبأن انه مني فاني أقدم نفسي للقتل وإلا فاني أطالب بدم ابني ورد أمواله اليّ . وبالطبع لم يظهر الكتاب لأنه لم يوجد إلا في غيلة المفسدين اهل البغي ففضّ المجلس ولم يكن شيء .

هذا وكانت الحكومة المصرية قد انتدبتني سنة ١٨٨٣ م لحشد آلاي من السود في مصر والذهاب الى سواكن لقمع عثمان دقنة فحشدت الآلاي وقت به فعلا الى السويس وبعثت بالرسول الى عثمان دقنة ثم علمت هناك اني سأكون تحت أوامر باكز باشا فقلت اما ان أذهب وحدي لقضاء هذه المهمة او لا أذهب فلم ترهض الحكومة بالاول فعدت الى مصر .

وعند ذهاب غوردون الى السودان قصد اخلائه سنة ١٨٨٤ م لم يلبث أن بعث الى الحكومة يستدعيني اليه لأساعده على اخلاء البلاد واستلامها بعد ذهابه منها ولكن قيل لي ان جمعية أبطال الرقيق في لندن عارضت في ذلك . وفي سنة ١٨٨٥ م عاد المفسدون فوشوا بي بقولهم ان بيني وبين متمهدي السودان مفاوضات سرية فهجم رجال البوليس على بيتي ليلا وقتشوه لعلمهم يعثروا فيه على ما يؤيد تلك الوشاية فلم يجدوا شيئاً يلقي أقل تهمة عليّ ومع

ذلك فقد قبضوا عليّ وأخذوني الى جبل طارق فحبسوني ٣٠ شهراً ثم لما
تأكدوا برائي أطلقوا سراحي وأرجعوني الى القاهرة في سبتمبر سنة ١٨٨٧ م.
ولما كنت في جبل طارق تذكرت عزّي في السودان وقابلته بذل الحبس
فقلت: ملشدا :

و بعد الأهل والونسه	وبعد العز والحرسه
بعد انتظام العساكر المؤسسه	وبعد فرسان تفشّ المنصه
انقلب الدهر وانعكسا	بحبس الزبير في الاندلسه
يارب ياخالق الكون يا مؤسسه	عجل بالفرج قبل القسا
نرجع ونشوف عزاً مؤسسا	من فضلك يا كريم لا ينقصا

وقلت: يا ليل ماني هين ولا ني هوين
وفي قومي هناك بيتي بيتن
وللجار والعشير جانبي ليتن
توفيقاً من المولى الكريم المهيمن
في الكفر والاسلامي اسمي بيتن
للسافر والمقيم قدحي ليتن
للاقارب والارحام بعطي بيتن
وكل شيء منه والامر بيتن ، اه

هذه هي سيرة الزبير باشا كما تلقيتها عنه سنة ١٩٠٠ م . وقد سمع به
السردار الحالي بالرجوع الى بلاده وأعاد اليه أملاكه وأكرمه فبقي في الخرطوم
سنتين شاهد فيها أهله ودبر أملاكه ثم عاد الى حلوان حيث ابنتى لنفسه منزلاً
فخيفاً للسكنى فيه وله الآن اربع نساء شرعيات وعدة اولاد بينهم ولد في
سن الشباب يسمى ميسره متأسلاً أباه في خلقه وأخلاقه .

والزبير طويل القامة قوي البنية اسمر اللون عربي الملامح حسن الطلعة
خفيف الشاربين واللحية حديد الصوت فصيح اللهجة ذكي الفؤاد عالي الهمة
أبي النفس كريم الطبع سهل الحجاب قوي الارادة قريب الى الخير بعيد عن
الشر محب للعلم وأهل العلم والتقوى غيور على الاسلام والمسلمين مع مسالمة الذين
على غير دينه وهو لم يزل في معيشته البيتيه من المأكل والمشرب والملبس على
نحو ما كان عليه في السودان لكنه اذا خرج لبس الطربوش ولباس الافرنج .

تاريخ السودان

وقد وصفه بعض كتاب الافرنج بأنه رجل « تجاري سياسي حربي » وقال بعضهم : « انه خلق ليحكم الناس » .

وأظهر صفاته الكرم والتجدة وحب الفخر والسلطة . وقد اشتهر كرمه منذ كان ملكاً في بحر الغزال فقصدته الكثيرون من اهل البيوتات في السودان الذين أخذوا عليهم الدهر فأزال كربتهم وفزع ضيقهم . وقد ذكر في بعض مجالسه المبالغ الكبيرة التي أنجد بها قومه وهو في بحر الغزال فبلغ مجموعها نحو ٢٠ ألف جنيه ولم تول داره الى الآن مقصداً لمن خانه الدهر من اهل السودان المصري والغربي .

والزبير يطالب الحكومة الآن بمبلغ ينيف على المليون جنيه تعويضاً عما أنفق في السودان ومصر في خدمة الحكومة المصرية وعما فقده هو وابنه سليمان من العساكر والأمتعة والاموال بسببها . وقد رافع عنه السر ماريوت لدى حكومة انكلترا قصد تحصيل هذا المبلغ فلم يفلح ولكن الحكومة المصرية ربطت له في ميزانيتها مباحاً قدره ٢٨٩ جنيه في الشهر لكنه غير راض به وهو لم يزل يطالب الحكومة بالتعويض المتقدم ذكره . وقد طالما سمعته قبل العودة الى السودان يكرر هذين البيتين :

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأسارى دونه وهو موثق
فما هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو بمنون عليه فيطلق

وما حضرت له مجلساً إلا قص علي شيناً عن غزواته في بحر الغزال ودارفور وشكا من ثلاثة امور : ١ - عدم اعطاء الحكومة التعويض الذي يطلبه منها ٢ - قتل ابنه سليمان غدرأ بعد التسليم . ٣ - هجوم البوليس على منزله وحبه في جبل طارق . ولكنه يثني أطيب الثناء على الانكليز الذين ولوا أمر حراسته هناك وقد قال لي مرة : « ان الاكرام الذي لقيته من الانكليز مدة أسري في جبل طارق أنساني حبسهم لي بلا حق بل حملني منة لا أنساها أبد الدهر ولأجلها اذا لقيت انكليزياً في أقصى الارض وقد وقع في ضيق او خطر قديته بنفسى » .

تاريخ السودان

وقد تفتنى شعراء السودان في مدحه فمدحوه بالكرم والفروسية وعلو
المقام من ذلك قصيدة الحاجة بنت مسيمس الشاعرة المشهورة التي نظمته له
بعد نزوله الى مصر ومنها :

في الخرطوم نزل ادنى بالباور	وفي بربر رسا بالقهوة غفره يدور
جانبوا له الجمال اتوجه العتمور	حلق الريف نزل قال لمصر دستور
في بلد النصارى كم سحت بالباور	كل صبح جديد راكب على الخنتور
من قت الجمل انت المتقديم منصور	أدوك الأمان خافين عليك الجور
في السودان قبيل ما يشبهوك الناس	ويا جبل الذهب الصافي الماك نحاس
بارود النصارى عن قمزة الكباس	خليت الجوس ألين من القرطاس
عدى عصره زين في ديار بلاد الناس	وفي دار الغروب دقيت للرجال اساس
كم قتل السلاطين خلتي الديار بباس	ود رحمة الزبير تام الرجاله خلاص

عود الى ولاية ٢١ - اسماعيل باشا ايوب :

١. اسماعيل باشا ايوب فانه بعد ان نظم البلاد على ما مرّ في تاريخ الزبير
ولتى على الفاشر حسن باشا حلمي المشهور بالجويسر وعاد الى الخرطوم .

وأرسل الجناب العالي الخديوي رسالتين علميتين الى دارفور لأجل كشفها
ومعرفة محاصيلها ومعادنها فسارتا من مصر في ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ وذهبت
احدهما بقيادة الكولونيل بردي عن طريق الاربعين فدخلت دارفور من الشمال
والاخرى بقيادة الكولونيل كولستن فدخلتها من الشرق عن طريق كردوفان
ولكن الكولونيل كولستن مرض في الطريق وعاد الى مصر فترأس الرسالة
الماجور بروت وقامت الرسالتان بما عهد اليها حق القيام وعادتا الى مصر
بتقارير علمية وافية عن سكان البلاد ومعادنها وتجارتها واجمال حالها .

هذا ما كان في السودان الغربي في عهد اسماعيل باشا ايوب على الخرطوم
فلننظر الآن الى ما كان في عهده في السودان الشرقي :

احتلال سنهيت سنة ١٨٧٤ م :

تقدم ان الدولة العلية تنازلت الى مصر عن سواكن ومصوع في سنة ١٨٦٦م لزيادة في جزيتها السنوية فمذ اصبحت مصوع بيد مصر أخذت تسعى في تأييد المواصلات بينها وبين كسلا وكان اول ما فتنق لها وصل هذين البلدين بخط حديدي يمر في سنهيت التي عدها اسماعيل باشا داخلة في الفتح الاول لكسلا فعارضه الملك ثيودورس ماك الحبشة في ذلك . ثم قتل الملك ثيودورس في حرب أثارها عليه الانكليز سنة ١٨٦٨ م وتولى الحبشة بعده الملك يوحنا فانشغل في محاربة القالا فاغتم اسماعيل باشا الفرصة واستخدم الموسيو مونسنجر السويسري الذي كان قنصلا لدولتي انكلترا وفرنسا في مصوع فاحتل سنهيت بألف وخمماية رجل سنة ١٨٧٤ م وفي الوقت نفسه اشترى مقاطعة آيلت الواقعة بين حماسين ومصوع من حاكمها فأهاج ذلك غضب الملك يوحنا ورفع الامر الى الدول الاوروبية معتمداً بالاكتر على انكلترا . اما اسماعيل باشا فلم يهتم لقضبه ولم يزل على سعيه ولكنه شغل عنه قليلا باحتلال هرر وحلة جوبا :

احتلال هرر سنة ١٨٧٥ م :

هرر سلطنة اسلامية مستقلة شرقي الحبشة وقد أسسها غزاة العرب بعد الاسلام بقليل وحكمها عائلة من أهلها فلما كانت سنة ١٨٧٤ م مات سلطانها الامير احمد فتولى السلطنة بعده الامير محمد فاستبد بالأهلين حتى لم يعد لهم طاقة على حكمه فاستنجدوا باسماعيل باشا وسألوه ان يرسل من قبله والياً يتولاهم بدل سلطانهم محمد فأجاب اسماعيل باشا سؤالهم وأخذ يسعى في شراء زيلع وبربره ميناءا هرر من الدولة العلية . وفي يوليو سنة ١٨٧٥ م تنازل له الباب العالي عنها بزيادة ١٣٣٦٥ جنياً مصرياً على جزية مصر السنوية . وفي سبتمبر سنة ١٨٧٥ م جهز حملة مؤلفة من ٥ اورط من المشاة المصريين وبلوكين من الباشبوزق و ٣٠٠ جل ومدفعين جبليين وعدة صواريخ حربية وعقد لواءها

لرؤوف باشا الذي تقدم ذكره في فتح خط الاستواء فاحتل مدينة هرر في ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ م وقبض على السلطان محمد وقتله خنقاً بلا موجب وبقي الى ان عزله غوردون . وما زالت مصر قابضة على زمام الاحكام في هذه البلاد الى ان كانت الثورة المهدية ولم يعد يمكنها ابقاء جنودها فيها فأخلتها لأهلها في مارس سنة ١٨٨٤ م فألت الى الاحباش في عهد الملك منليك الحالي وما زالت بيد الاحباش الى اليوم .

حملة جوبا سنة ١٨٧٥ م : وفي سنة ١٨٧٥ م ارسل اسماعيل باشا حملة الى نهر جوبا لفتح الطريق بين البحر الهندي وبلاد خط الاستواء وتجنب السد في النيل الابيض الذي لم يقوَ على إزالته . وكان غوردون باشا اذ ذاك حاكماً على خط الاستواء فأصدر اليه الامر بملاقة الحملة من جهته ولكن تضاربت عدة مصالح دولية ووقفت في سبيل هذه الحملة فنصحت الدولة الانكليزية لابماعيل باشا فعدل عن رأيه وعادت الحملة الى مصر .

حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ : ١٨٧٦ م : وعاد اسماعيل باشا الى النظر في احتلال جاسم فلما كانت أواخر سنة ١٨٧٥ م أرسل أورطين وبطارية مدافع بقيادة الكولونيل ارندروب من ضباط الاميركان في خدمة الجيش المصري بقصد احتلالها فلما علم الملك يوحنا بقدمه جرّد جيوشه وتقدم لقتاله فالتقاه في قندت في ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ م فقتله وأفنى جيشه وغنم أسلحته وذخائره وتقوى بها وكان في جملة القتلى عراقيل بك وكيل مونسنجر في مصوع أما مونسنجر نفسه فلم يذهب مع الحملة ولكن لم تثنه سنة ١٨٧٥ م حتى قتله الاحباش على بحيرة أوسا ومثلوا به .

ولما وصل الخبر الى اسماعيل باشا بمصر صمم على الاخذ بالثار فأمر السردار راتب باشا فجرّد جيشاً مؤلفاً من ١٥٠٠٠ مقاتل فيهم أورطة من السواري وأربعون مدفعا وعدة سوارينج وسار به بطريق البحر الاحمر الى مصوع فوصلها السبت في ١٣ القعدة سنة ١٢٩٢ ١١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٥ م ومعه

الكولونيل لونج رئيس أركان حرب والبرنس حسن باشا ثالث أنجال اسماعيل باشا أركان حرب شرف وزحف بالجيش على قرع الواقعة على ٥٥ ميلاً من مصوع فبنى طابية فيها وطابتين في اول سهلها قرب قياخور وأسس ثلاث نقط حربية بينها وبين مصوع لحفظ خط الاتصال. ولما علم الملك يوحنا بقدومه جرد جيوشه على قرع وكان من رأي السردار ان يتربص في الطوابي حتى يهاجمه الملك فأنكر عليه الكولونيل لونج هذا الرأي وقال انه دليل الخوف والجن وليس من شأن المهاجم فوقع اللجاج بينها واخيراً تغلب رأي الكولونيل لونج فما أطلت جنود الملك يوحنا حتى خرج اليهم المصريون وحاربوهم في السهل فاطبق الاحباش عليهم من كل جانب وقد قدر عدد الاحباش بنحو ٢٠٠٠٠٠ نفس مع النساء والاولاد وكان بعضهم مسلحين بالبنادق وأكثرهم بالسيوف والحرا ب فلم يكن إلا القليل حتى اخترقوا صفوف المصريين وأعملوا بهم السيوف والحرا ب ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل وغنموا بنادق القتل و ٢٥ مدفعاً ومقداراً كبيراً من الذخائر وأسروا ٢٦٧ رجلاً وذلك في يوم الثلاثاء الواقع في ١١ صفر سنة ١٢٩٣ هـ ٨ مارس سنة ١٨٧٦ م .

وأما الذين نجوا من المصريين وعددهم لا يزيد عن الالف فقد لجأوا الى طابية قرع فهاجمهم الاحباش فيها بعد الواقعة بيومين ولكنهم لم يقووا عليها فعادوا بالاسلاب والاسرى الى عدوه .

وكان في جملة الاسرى محمد بك رفعت الذي رافق الحملة كاتباً للبرنس حسن باشا فأخذ يسمى في عقد الصلح مع الملك فتم الصلح على ان يرجع الجنود المصرية من ارض الحبشة ويرد الملك الاسرى الى مصر ويفتح التجارة بين مصوع والحبشة وعاد محمد بك رفعت مع الاسرى الى قرع في ٢٧ ربيع اول سنة ١٢٩٣ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٧٦ م وعاد السردار وباقي العساكر من قرع الى مصوع ومصر فدخلوا مصر في ٧ محرم ١٢٩٤ هـ ٢٢ يناير سنة ١٨٧٧ م .

وبقيت سنهت ومصوع بيد المصريين وبقي سليمان باشا نياظي في مصوع محافظاً عليها .

جرى ذلك كله واسماعيل باشا ايوب حاكم في الخرطوم وقد أمّن السبل وأنشأ محطات في طرق القوافل بين الخرطوم ودارفور وبين بربر وسواكن إلا انه لم يكن محبوباً في السودان وقد وصفه لي بعضهم بقوله : « كان رجلاً جباراً يعني بالمسكرية ويهمل الرعية ويقبل كل هدية » .

٢١ - غوردون باشا ١٢٩٣ : ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٧ : ١٨٧٩ م

ولما دخلت سنة ١٨٧٧ م عاد اسماعيل باشا ايوب الى مصر فلم ير الخديوي رجلاً يوليه السودان على اتساع أطرافه وكثرة مشاكله في هذا العهد أفضل من غوردون فأرسل يستدعيه تلغرافياً من بلاد الانكليز فحضر في أوائل فبراير سنة ١٨٧٧ م . وكانت مديريات السودان لا تزال مستقلة بعضها عن بعض فطلب غوردون ضمها كلها تحت ولايته فأجابته الى ذلك وأصدر له فرماناً بتاريخ ١٧ فبراير بالولاية على جميع بلاد السودان المصري مع دارفور وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر وهرر ومنحه السلطة العسكرية والمدنية عليها وأعطاه سلطاناً على القتل والعفو ومنع دخول احد الى السودان إلا بأذنه وولجته منع تجارة الرقيق وتحديد التغوم بين السودان والحبشة . فسار غوردون الى الخرطوم بعزم وطيد لاصلاح البلاد وفض مشاكلها ووضع نظام عام يكفل لها الراحة ويرقيها في معارج المدنية وال عمران ولكنه لم يلبث ان رأى خطارة المركز الذي تولاه وتعدّر النجاح نظراً لعدم تيسر الايدي اللازمة للعمل واتساع اطراف السودان ومشقة السفر في بلاده برأ وبجراً مع قلة الجيوش اللازمة لحمايته بعد ان ذهب قسم منها لمساعدة الدولة العلية في حرب الروس ونهك الباقي حرب الحبشة . ففرض غوردون في السودان سلتين ونيفاً وهو ينتقل من مكان الى مكان تارة بالبر وتارة بالبحر متمماً كلما أمكنه من الاصلاح حتى أعياه التعب وقاومته السياسة فاضطر الى الاستعفاء . وكان أم

ما اشتغل به في هذه المدة : اخماد ثورة الامير هارون الرشيد في دارفور وحركة صباحي في كردوفان وسليمان الزبير في بحر الغزال ومنع تجارة الرقيق والنظر في مد سكة الحديد واصلاح ذات البين بين الحبشة والسودان .

ثورة السلطان هارون سنة ١٨٧٧ : ١٨٨٠ م : تقدم ان اسماعيل باشا ايوب ضرب الضرائب الفادحة على اهل دارفور فقبلوها على الرغم لانهم كانوا قد سثموا عيشة الاضطراب والقلق التي وصلوا اليها في آخر سلطنة الفور وفاقوا الى السكينة ولكن لم يطل الأمد حتى انتشر الباشبوزق في أنحاء البلاد واقتضوا الضرائب منهم بالعنف والقوة فاستعظموا ذلك وفضلوا العودة الى ما كانوا عليه قبل . وكان عندهم من اولاد السلاطين الامير هارون الرشيد ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل فبايعوه سلطاناً عليهم في أوائل سنة ١٨٧٧ م وثاروا ثورة عامة وحصروا حاميات الفاشر وداره وكلكل . وحصر الفاشر الملك سعد كبير البرقي والمقدم آدم مقدم الشمال سابقاً فهاجما مرتين وكادا يستوليان عليها لولا ان العساكر حاربوا حرب الاسود فصدوها ولكنهم لم يقووا على رفع الحصار . فأرسل حسن باشا حلي الجويسر مدير الفاشر في طلب المدد من الخرطوم فأناه عبد الرزاق باشا يجيش كبير فتصدى له المعصاة في بروش بين ام شتقه والفاشر فقتل منهم خلقاً كثيراً ودخل الفاشر فرفع عنها الحصار وأرسل الجنود الى داره وكلكل فرفعوا الحصار عنها ايضاً .

ثم أخذ حسن باشا عسكرياً من الفاشر وخرج لمطاردة الامير هارون فأدركه في الطينة مسيرة يوم ونصف الى الفاشر فأوقع فيه واقعة شديدة ثم لحقه الى بير مرقال فقتل من عسكره خلقاً كثيراً وهزمه الى نيورنيا وسط جبل مرة .

ولما وصل غوردون الخرطوم وعلم بثورته أسرع الى الفاشر فوجده هادئاً في نيورنيا فتركه وشأنه وأمر الجبابة بالرفق في تحصيل الضرائب وعزل جانباً كبيراً من عساكر الباشبوزق ورجع الى الخرطوم بعد ان أرجع اليها نصف العساكر النظامية .

وفي أوائل سنة ١٨٧٩ م عاد الأمير هارون الى الحركة فعاد غوردون الى الفاشر فرأى ان دارفور لا يصلح حالها الا اذا حكمها رجل من أهلها تحت طاعة الحكومة على نحو ما أشار به الزبير من قبل فبعث الى مصر في طلب الأرشد من اولاد السلطان ابراهيم وعزل حسن باشا حلي عن الفاشر وسمى مساداليه بك وهو ضابط ايطالي مديراً على دارفور . وكان عند مروره بسواكن في ديسمبر سنة ١٨٧٧ م قد أطلق من سجنه المقدم رحمة قومه المار ذكره وقد استصحبه الى الفاشر فجعله معاوناً لمساداليه بك الى ان يجيء ابن السلطان ابراهيم من مصر اما ابن السلطان ابراهيم فانه ما وصل دنقلة حتى فاجأته المنية فبقي حكم البلاد على حاله .

سلاطين. باشا ، وكان مساداليه بك قبل انتقاله الى الفاشر مديراً على داره فخلفه سلاطين بك وهو الآن سلاطين باشا الذي اصبح له شأن عظيم في السودان لذلك نأتي على لمع من بدء سيرته هنا فنقول : قدم سلاطين الى السودان سائحاً سنة ١٨٧٤ م وهو اذ ذاك في الثامنة عشرة من عمره فقصد جبال النوبة لدرس أجواها فثار عرب الحوازمة على الحكومة لثقل الضرائب عليهم فرجع الى الأبيض وجعل وجهته الفاشر فبلغه في الطريق ان اسماعيل باشا ايوب قد أصدر أمره بعدم توغل الأجانب في بلاد دارفور خوفاً عليهم من أهلها فانقلب راجعاً الى الخرطوم فوجد فيها الدكتور امين بك وقد جاءها بقصد الدخول في خدمة غوردون في خط الاستواء فتعرف به وكتب الى غوردون يطلبان خدمة عنده فجاءها الجواب بعد شهرين يدعوها اليه فذهب امين بك على ما مرّ وأما سلاطين فقبل ان يرد الجواب من غوردون بعث اليه أهله يستحثونه على الرجوع اليهم فرجع في ختام سنة ١٨٧٥ م . ولما تولى غوردون حكمدارية السودان سنة ١٨٧٧ م ورأى قلة الأيدي اللازمة للعمل ذكر طلب سلاطين القديم فبعث اليه في أواسط سنة ١٨٧٨ م يستدعيه للخدمة في السودان وكان سلاطين اذ ذاك ملازماً في جيش النمسا في حرب الهيرسك وقد حضر « واقعة هرزكوفينا » فلما انتهت الحرب وعادت

اورطته الى مركزها في برسبورج استمعى من الجيش وودع اهله في فيينا في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م وجاء الخرطوم عن طريق سواكن فدخلها في ٢١ يناير سنة ١٨٧٩ م فرحب به غوردون وسماه مفتشاً في مالية السودان على ان يطوف في المديرية ويبحث في أسباب شكاوي الاهلين من الضرائب فذهب الى سنار وفازوغي فرأى ان معظم الضرائب غير موزعة بالقسط وان الرشوة سائدة بين الموظفين عموماً ولا يمكن الاصلاح إلا بقلب هيئة العمال كلها فرفع استعفائه الى غوردون وهو اذ ذاك في دارفور فقبله وعينه مديراً على داره كما مرّ . وذهب سلاطين لاسلام مهام وظيفته الجديدة فالتقى بغوردون في الطريق بين الابيض والنيل الابيض فأمره بتتبع الامير هارون وإخماد أنفاسه فما وصل داره حتى جاءته الأنباء ان الامير هارون قد قام من نيورنيا قاصداً نقطة بيرقوي على ثلاثة ايام جنوبي داره فأخذ سلاطين العساكر وقصد بيرقوي فرجع هارون عنها وعاد سلاطين الى داره .

وبعد ذلك بنحو شهر أي في فبراير سنة ١٨٨٠ م جاءه كتاب من مساداليه بك يقول انه صمم على مهاجمة الامير هارون في نيورنيا وقد جرّد عليه سرية من الفاشر بطريق طرّة وسرية من كلكل بطريق ابي حراز وسأله ان يذهب بسرية من عسكره بطريق منواشي ويجتمع الكل في نقطة معينة قرب نيورنيا فجهز سلاطين ٢٢٠ رجلاً من الجهادية و ٦٠ من البازنجر وبعض الفرسان وسار بهم الى نقطة الملتقى ولم يكن إلا يسيراً حتى اجتمعت عليه سرية الفاشر فكثوا في انتظار سرية كلكل . ولكن الامير هارون علم بخبر السرايا فجهز أنصاره وقد بلغ عددهم ٤٠٠ رجل مسلحين بالبنادق ومثلهم مسلحين بالسيوف والحراب و ٦٠ فارساً وخرج بهم من نيورنيا فقابل سرية كلكل في الطريق فقتل منها وردّها الى كلكل وسار قاصداً داره فقتل وسبى وغنم ولكنه لم يقو على الحامية فماد عنها قائماً بالفنائم والسبايا . ولما علم به سلاطين خرج لمطاردته فأدركه في رهد النبق بالقرب من مركز سلطان المسبغات فبأغته الهجوم وهو يستعد للرحيل فما شعر هارون إلا والرصاص يتخطف رجاله من

كل جهة فانهزم شر انهزام وغنم سلاطين منه ١٦٠ بندقية وجوادين و٤ نقارات و٤ رايات وعاد الى داره . وفرّ هارون الى جهة الغرب فنزل في ابتره في دار قمر فلم يسه النور بك عنجرة مدير كلكل فخرج له وباغته الهجوم في معسكره فقتله وهو يحاول الفرار على فرسه وقتل من أنصاره خلقاً كثيراً واستولى على معسكره وذلك في مارس سنة ١٨٨٠ م . وكان لقتله فرح عظيم في جميع دارفور .

وانضم القليل الذين نجوا من واقعة ابتره على الامير دود بنقه ابن الامير بكر ابن السلطان محمد الفضل فتحصن بهم في جبل مرة على ضعف وبقي الى ان كانت الثورة المهدية .

حركة سليمان الزبير في بحر الغزال ١٨٧٧ : ١٨٧٩ م : قال الزبير : « وبعد ذهابي الى مصر خرج ابني سليمان بالجيش وعدده ٤٠٠٠ مقاتل الى شكا وأقام فيها الى ان حضر غوردون الى دارفور اول مرة فأرسل اليه أمراً لمقابلته مع جيشه في داره فصعد بالامر واجتمع على غوردون في شهر اوغسطوس سنة ١٨٧٧ م . وكان السعيد بك حسين أحد سناجق الجيش قد وصى بي الى غوردون قائلاً اني أوصيت ابني اذا لم أرجع سريعاً من مصر ان ينهض بثورة على الحكومة كما مرّ فرأى غوردون ان يفرق جيش سليمان فأعطى السعيد بك ألف رجل وسماه مديراً على شكا وأعطى الباقي للنور بك عنقرة من سناجق جيش سليمان وأرسله الى كبكبية وأمر سليمان فرجع الى شكا بقلة وذلة . وفي أواسط سبتمبر سنة ١٨٧٧ م وافاه الى شكا قطيب خاطره وأنعم عليه بالرتبة الثانية مع لقب بك وسماه مديراً على بحر الغزال فنسّر سليمان بهذا الالتفات وذهب الى ديمي القديم وكنت قبل قيامي من الديم لحرب دارفور قد خلفت ادريس ابتر من تجار الدناقلة وكيلا عني في بحر الغزال براتب معين فقصي اربع سنوات في إدارة بحر الغزال لا يشاركه فيها احد فلما حضر سليمان وجد ان ادريس ابتر قد أخلّ بالادارة واستبدّ بالعباد ولم يهتم إلا بانتفاعه الشخصي فأعلن سليمان ارادته بمحاكمته في مجلس قضائي ففرّ الى الخرطوم ووصى به الى

غوردون بأنه يريد الاستقلال في بحر الغزال بحجة انها بلاد أبيه وليس للحكومة حق فيها .

رحلة ادريس ابتر : ويظهر ان غوردون باشا أصفى الى وشايته فأنعم عليه بلقب بك وأعطاه مدفعين و ٢٠٠ من العساكر المنظمة وسماه مديراً على بحر الغزال . فلما وصل ادريس ابتر الى ديم قنده المعروف ايضاً باسمه كتب الى رؤساء الزرائب يخبرهم بتعيينه مديراً على بحر الغزال ويأمرهم بالحضور اليه وكتب الى سليمان يدعوهُ للتسليم فغضب سليمان من ذلك وكتب اليه في الجواب يقول : « ان ولائي للحكومة يعني الخروج عن طاعتها الا ان شرقي لا يسمح لي بالتسليم الى من كان خادمي وخادم أبي من قبلي ولا يمكنني ان أأتتك على نفسي واموالي بعد الذي رأيته من خيانتك وإنكارك للجميل لأنك لو كنت أميناً وذاكراً للجميل لحفظت عيشنا وملحنا وتربيتنا لك فلا تنتظر مني التسليم ولو ارسلت الحكومة إليّ رجلاً غيرك ولو عبداً لسلمت وذهبت معه الى غوردون وأطلعته على جلية امري وبيتنت له نفاقك والسلام » .

فتيقن ادريس ابتر من هذا الجواب ان سليمان لا يسلم اليه الا بالقوة فترك جنده في عهدة اخيه عثمان وطاف في الزرائب يحرضهم على محاربهه وكان عثمان اخو ادريس رجلاً فظاً عاتياً مكروهاً من جميع البحارة وكان يرسل الشتائم الى سليمان وأتباعه ويتهددهم بالقتل والوعاء المذاب فجرد سليمان رجاله ورجال الزرائب الذين من حزيه وهاجمه في ديم قنده فقتله وقتل اكثر الجهادية والجلابة الذين معه وغنم اسلحتهم وذخائهم وعاد بالاسرى والغنائم الى مركزه . فلما بلغ ادريس ابتر خبر الواقعة انقلب راجعاً الى الخرطوم وأخبر غوردون بما كان .

رحلة جستي : فجهز غوردون سرية من العساكر وعقد لواءها لجسي باشا المار ذكره في فتح خط الاستواء ومعه يوسف باشا الشلاي فأقلع من الخرطوم في يوليو سنة ١٨٧٨ م وسار في النيل الابيض حتى وصل أورمبك بطريق

شامي في سبتمبر سنة ١٨٧٨ م فوجد البلاد مغمورة بالمياه بسبب الامطار فاقام في أورمبك نحو ثلاثة اشهر حتى جفت الارض فسار قاصداً ديم سليمان ومعه ٣٠٠ من العساكر المنظمة و ٧٠٠ من الباشبوزق و ٣ مدافع . وكان على طريقه في نقطة الدمبو رجل من مشاهير البحارة يُقال له علي بك ابو عموري ومعه نحو الف رجل مسلحين بالبنادق فدعاه للانضمام اليه فأجابه بعد تردد لأنه لم يكن يود محاربة سليمان ولكن كان له محل تجاري في الخرطوم وآخر في مصر فأجاب الدعوة مضطراً مزاعاة لتجارته واجتمع على جسي في جور غطاس وساروا كلهم حتى تزلوا في قندة في اواسط ديسمبر سنة ١٨٧٨ م .

واقعة قندة : وكان سليمان لما علم بقدوم جسي قد أخذ في حشد الجيوش حتى اجتمع عنده نحو ١٠٠٠٠ مقاتل فسار بهم الى قندة وتزل بالقرب من معسكر جسي . ولما كان صباح ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م حل على المعسكر حملة صادقة وكان جسي قد أمر جنوده فبنى كل منهم متراًساً علوه متر ونصف متر ليقية من الرصاص فصلوا رجال سليمان تاراً حامية فثبتوا برهة ثم انقلبوا راجعين الى معسكرهم فبنوا حصناً منيعاً من الاخشاب والتراب وتزلوا فيه ثم جددوا الهجوم على جسي في ١٢ يناير سنة ١٨٧٩ م وفي ٢٩ منه فلم يظفروا بطائل .

وفي ١١ مارس سنة ١٨٧٩ م وصل جسي مدد من العساكر والذخائر نرحف يجيشه حتى صار قريباً جداً من معسكر سليمان واقام تلاً من التراب وجعل عليه المدافع والسوارين وشرع يرمي بمقذوفاتها معسكر سليمان وكانت بيوتها كلها من قش فاشتعلت النار في المعسكر كله فذُعر سليمان منه الى ديمه .

واقعة ديم الزبير : وبقي جسي في قندة حتى جاءه مدد آخر من غوردون فزحف بجميع جيشه على ديم سليمان فوصله في ٤ مايو سنة ١٨٧٩ م فخرج

عليه سليمان من الديم وحاربه مستقلاً مدة ساعة ثم انهزم راجعاً الى الديم فتبعه جسي على الاثر وأخرجته منه واستولى على جميع ما فيه من الأمتعة والاموال . واما سليمان فانه سار شمالاً حتى وصل غرة غرب الكلكة من اعمال دارفور فأقام فيها .

وكان غوردون لما حضر المرة الثانية الى دارفور كما مرّ عرّج على شكا في ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ م فوجد فيها بعض التجار الجميلين يهرّبون الاسلحة الى سليمان في بحر الغزال فألقى المديرية وشتت التجار وأمدّ جسي ببعض الذخائر وتوجه الى الفاشر للنظر في ثورة هارون ولم يلبث ان أتاه خبر من جسي بالاستيلاء على ديم الزبير وفرار سليمان الى غرة فخاف غوردون ان ينضم سليمان على هارون فيصعب عليه إذلالها معاً فعاد الى الطويشة وكتب الى جسي فترك الجيش بقيادة ساني بك في ديم الزبير ووافاه اليها في ٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ م ومعه يوسف باشا الشلاي فأمره بمطاردة سليمان الى غرة وعاد بيوسف باشا الشلاي الى الخرطوم . فقاد جسي العساكر من دارة وبعض مشايخ الرزيقات والمعالية اصحاب النار على الزبير وسار حتى وصل الكلكة فأرسل رسلاً بكتاب الى سليمان يدعوه الى التسليم . قال الزبير :

« وكان قد بلغني خروج ابني سليمان على الحكومة بسبب ادريس ابتر فكتبت اليه من مصر بتاريخ ٢٥ الحجة سنة ١٢٩٥ هـ ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م بما فحواه :

« أوصيتكم قبل مجيئي مصر بالامتنال لأمر الحكومة وعدم مخالفتها في شيء لتحوزوا تمام رضاها وتنالوا الرتب العالية . ثم بعد انفصال اسماعيل باشا ايوب عن الخرطوم وتولتي غوردون باشا حكمة دارية السودان كتبت اليكم بالطاعة لأوامره وحذرتكم من مخالفته وقلت لكم ان رضا مقرون برضى الحضرة الخديوية وغضبه كذلك واني أوصيته بكم فوعدني خيراً . وقد سرّني امتثالكم له في بادئ الرأي بمجيئكم مع ٤ آلاف عسكري لمقابلتة في داره وسرّني بالاكثر خضوعكم له عند تجريدته إياكم من العساكر لأن فعله هذا كان محض اختبار



كتاب الشوكاني

لكم وليس بقصد إذلالكم يدل على ذلك لحوقه بكم الى . كما وإنعامه عليكم بالرتبة الثانية وتعيينه إياكم حاكماً على بحر الغزال . وقد بلغني ذلك وأنا في بلاد الترك فسرني جداً وشكرت الله على حسن قيامكم بوصيتي واتخاذكم سواء السبيل .

« لكن بعد عودتي من بلاد الترك ورد عليّ تلغراف من محمد بك العقاد بالخرطوم كتبه بأمر حكمدار السودان يخبرني بعدم امتثالكم لأوامر الحكمدار ويرغب إليّ ان أكتب اليكم نصحاً لردكم الى الطاعة وان ارسل كتابي اليكم عن يده فبعثت اليه بهذا الكتاب ليوصله اليكم فحسب ان يحذركم على أتم الطاعة والامتثال ويكون كل ما بلغ الحكمدار عنكم كذباً وافتراء . واذا كنتم لا سمح الله قد هفوتم وخالفتم أوامر الحكمدار فارجعوا في الحال الى الطاعة وطلب العفو عما فرط منكم واذا لم تفعلوا ذلك فاعلموا ان الله ساخط عليكم وأنا كذلك .

« وقد ورد عليّ الخبر اليقين بأن خادمكم ادريس ابتر الدتقلاوي قد زحف عليكم في مركزكم بقوة عسكرية تنيف على ٣٠٠٠ مقاتل من عساكر أميرية وخطرية ويسبب تمديه عليكم وخيانة العيش والملح وإنكار الجليل قد رده الله خائباً ولكنه مع ذلك أوقع الفتنة بينكم وبين الحكومة ولا بد ان تكون عاقبة ذلك وخيمة عليكم مع انكم فعلتم ذلك دفاعاً عن انفسكم فلما الله وإنا اليه راجعون . واعلم يا ولدي ان من قد تربى مثلكم في كنف الحكومة أباً عن جدّ وتشرف برتبها وانعاماتها لا يحذر به الا الطاعة والامتثال لأوامرها لا سيما وانتم تعلمون ان « الحكومة عالية ويدها طائلة » وقد طالما قاومتها الجيوش ورجعت عنها خائبة فما الذي زين لكم هذه الرساوس الشيطانية فان كانت من رأيكم فاطرحوها جانباً لأنها تلقىكم في المهالك ولا تفيدكم شيئاً وإن كانت من تقرير المفسدين بقولهم ان الحكومة حجزت على والدكم في القاهرة او انها قتلتها فاعلموا انه قول كذب لا أثر للصحة فيه لأننا والحمد لله لم نزل في قيد الحياة مشمولين بأنعام الحضرة الخديوية الفخيمة ومقيمين في ضيافتها

تاريخ الإسلام

على أتم الراحة والأمان نحن وجميع أتباعنا ولا نجد من لدن الجنب المالى الخديوي وجميع رجاله الفخام الا التجلة والاكرام فارجموا الى رشدكم وعودوا الى الطاعة واذكروا أمر الله تعالى في كتابه العزيز بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فاذا عصيت فما جوابكم يوم العرض وكيف الخلاص ؟.

« ثم اعلم يا ولدي ان تماديتكم في العصيان يضرّ بركزي الأدبي هنا كما يضر بكم هناك ويحلب عليكم سخط الله والحكومة فحافظوا على كرامتكم وكرامتي واستوعبوا الآن وصيقي . وقد ارسلت كتابي هذا مع محمد آدم (وهو الآن عمدة الجيعاب في الجايلى) ليثبت لكم صحة قولي ويعيد عليكم وصيقي شفاهاً فعند وصوله اليكم اذهبوا معه لمقابلة غوردون باشا حاكم دار السودان في الخرطوم او في دارفور . وأنا أعلم انه حالما يراكم يصفح عنكم ويحسن معاملتكم لأن شرف بريطانيا العظمى وكرم سجيته يرجبان عليه ذلك لا سيما واني أوصيته بكم عند سفره من مصر فوعدني خيراً . تولاكم الله وهذاكم الى سواء السبيل » اه .

قتل سليمان وأعمامه بعد التسليم : قال الزبير : « وقد وصل كتابي هذا الى سليمان بعد خروجه من بحر الفزال فاستوعبه وصدقته . ولما دعاه جسي الى التسليم مال اليه فعارضه رابح وانقسم الجيش بها الى حزين : حزب مال الى التسليم ورئيسه سليمان وحزب أعرض عنه ورئيسه رابح . ولما كان صباح ١٤ يوليو سنة ١٨٧٩ م أتى سليمان الى جسي مسلماً ومعه ٧٠٠ رجل فيهم ثمانية من أقاربه وهم حسن ود دقيل وابو بكر منصور وموسى الحاج واحد ود ادريس وابراهيم ود حسن وكلهم من الجيعاب والارباب محمد ود دياب من السعدلب وعبد القادر ود الامام وسليمان ود محمد والقائد برنجي الاسود . وكان في جيش جسي كثير من الدناقلة الذين يكرهون سليمان والجعليلين فوشوا به الى جسي قائلين ان تسليمه هو وأقاربه انما هو خدعة فاتخذ هذه الوشاية الساقطة مسوغاً لقتلهم فناداهم الى خيمته ثاني يوم التسليم وسقام القهوة وكان قد أوعز

الى بعض الجند فاحتاطوا بالحيمة ثم خرج منها فدخل بعضهم وأوثقوا سليمان وأقاربه وجعلوهم صفاً واحداً خارج الحيمة ووقفوا خلفهم ورموهم بالرصاص فانكبوا على وجوههم قتلى وبعد ساعة أتى قناوي بك أبو عموري فكفّسهم وحفر لهم حفرة ودفّنهم فيها .

• وأما الرؤوس الذين لم يسلموا عدا رابع فهم : أبو القاسم من المجاذيب وموسى جلي وادريس سلطان وعبد فضل الله وكلهم من الجمعاب وعبد البين الاسود فأخذ كل منهم رجاله وتفرقوا بين عرب البادية فلما بلغ العربان قتل سليمان وأعمامه ألقوا القبض عليهم وساقوهم الى مسادليه بك في الفاشر فقتلهم عملاً بأمر جسي .

رابع الزبير : أما رابع فقد انضم اليه نحو الف رجل مسلحين بالبنادق فقادهم الى جهة الغرب وأخذ يدوخ البلدان الى ان وصل برنو ففتحها وأسس فيها ملكاً عظيماً جعل عاصمته دكوة في جنوبي بحيرة تشاد . وقبل وصوله الى برنو قام مهدي السودان فبذل الجهد هو وخليفته من بعده في استمالته وإرجاعه يحميه الى ام درمان فلم يجب دعوتها كما سيجيء ولكنه اختار راية المهدي راية لجيشه واشتهر ملكه بالعدل والصرامة وبقي الى ان دخلت برنو في نطاق نفوذ الفرنسيين فجردوا عليه الجيوش فحاربهم وظهر عليهم في عدة وقائع . فجردوا عليه اخيراً حملة مؤلفة من ٧٠٠ عسكري مسلحين بالبنادق و ١٥٠٠ عسكري من الباجرمة و ٤ مدافع بقيادة الكونت لامي وكان مع رابع نحو ٥٠٠٠ مقاتل فيهم ٢٠٠٠ مسلحين بالبنادق و ٦٠٠ فارس و ٣ مدافع فالتقى الجيشان في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٠ قرب بحيرة تشاد واقتتلا قتالاً شديداً كانت العاقبة فيه للفرنساويين وقد قتل رابع وتشتت جيشه وقتل الكونت لامي بعد ان تم له النصر .

ولم ابن رابع شعث جيش أبيه ولكن لم تلتد سنة ١٩٠٠ حتى قتله الفرنسيون وأسروا رجاله ولم يبق من قوم رابع من يطالبهم بثأر .

تأريخ السودان

تنظيم مديرية بحر الغزال سنة ١٨٧٩ م : وبعد ان فرغ جسي من امر سليمان عاد الى ديم الزبير فنظم فيه مديرية وجعل الساتي بك مديراً والارباب الزبير ود الفعل وكيلا له وعمود المحلاوي المار ذكره مفتشاً لمنع تجارة الرقيق وقسم البلاد الى ثمانية اقسام وجعل في كل قسم منها نفراً من الباشبوزق والباشنجر وجعل في ديم الزبير اورطة جهادية وقفل راجعاً الى الخرطوم . ثم نظم ساتي بك اورطة جديدة من اهل البلاد وجاء موسى بك شوقي قومنداناً للمساكر من الخرطوم ومعه ١٦ كاتباً للقيام في اشغال المديرية . وبعد وصولهم بثلاثة اشهر حضر ليتن بك وهو من البحارة الانكليز مديراً على بحر الغزال وقومنداناً للمساكر من قبل غوردون وعاد موسى بك شوقي الى الخرطوم . وبقي ليتن في بحر الغزال الى ان قام المهدي فاضطر الى التسليم الى احد أنصاره كما سيجيء .

اما جسي باشا فقد اعترضه السد في الطريق وفرغ منه الوقود والزاد حتى اكل رجاله بعضهم بعضاً وأشرفوا على الهلاك واذا بوابر قاصد خط الاستواء قد أقبل عليه فرجع به الى فاشودة ثم عاد قائم سفرته وتقدم جسي بمن بقي من رجاله وفيهم قناوي بك ابو عموري الى الخرطوم فوصلها في ٢٥ يناير سنة ١٨٨١ م وسار منها قاصداً مصر عن طريق سواكن فوافته المنية في السويس في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨١ م .

حركة صباحي في كردوفان سنة ١٨٧٩ م : وفي أثناء حركة هارون الرشيد في دارفور وسليمان الزبير في بحر الغزال نهض صباحي احد القواد الذين انفصلوا عن جيش الزبير فألّف عصابة من ٤٠٠ رجل وأغار على الاضية في كردوفان فقتل مأمورها وفرّ الى جبال النوبة فعلم به غوردون وهو ذاهب الى دارفور المرة الثانية في مارس سنة ١٨٧٩ م فأرسل من الابيض نفراً من المساكر فصارده وأتوا به أسيراً فحوكم في مجلس عسكري وحكم عليه بالاعدام .

عود الى تجارة الرقيق : تقدم لنا ذكر تاريخ تجارة الرقيق في السودان

وسمي اسماعيل باشا في ابطالها فلما كان ٤ اوجسطس سنة ١٨٧٧ م عقد معاهدة رسمية مع انكلترا في هذا الشأن على ان تقل اسواق الرقيق في مصر والسودان في الحال ولكن يُغضى عن بيع الرقيق بين العائلات في مصر الى سنة ١٨٨٤ م وفي السودان الى سنة ١٨٨٩ م ثم يمنع البيع بتاتا من البلادين . فلشر غوردون فعوى هذه المعاهدة في جميع جهات السودان وسمى جيكلر باشا مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق وسمى في كل مديرية عدة مأمورين لهذه الغاية فأخذ المبيد يفتدون اليهم افواجا يطلبون تذاكر الحرية فتعطى لهم . وفي أواسط سنة ١٨٧٨ م ضبط غوردون ١٤ قافلة من قوافل الرقيق وفي السنة التالية ضبط ٦٣ قافلة .

سكة الحديد في السودان : وكان غوردون على رأي القائلين بمسكة الحديد في طريق سواكن وبربر لا في طريق النيل والاكتفاء بمسكة الحديد عند الشلالات لأن النيل بين الشلالات صالح لسير المراكب فلا يفتقر الى سكة حديد . لكن اسماعيل باشا الحديوي فضل مد مسكة حديد على النيل وبدأ بها سنة ١٨٧٧ م فاتم منها نحو ٥٠ ميلا من حلغا جنوباً أنفق عليها ٤٥٠,٠٠٠ ليرة انكليزية ثم أوقف العمل في السنة عينها لعدم تيسر المال اللازم لانمامه .

تحميد التغوم بين السودان والحبشة سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٩ م : ان مسألة تحميد التغوم بين السودان والحبشة قد شغلت غوردون مدة ولايته كلها فان اول ما باشره من الاعمال عند توليه حكدارية السودان انه ذهب الى مصوع لعقد وفاق مع ملك الحبشة بشأن الحدود لكنه وجد ود ميخائيل شاهراً العصيان على حدود الحبشة ولا يتأتى الفصل في مسألة التغوم إلا اذا كفف عن العداء فأجتل النظر في ذلك الى فرصة اخرى وذهب الى دارفور للنظر في اخاد ثورة هارون كما مر ثم عاد الى سنهت فوجد ود ميخائيل لا يزال على العصيان فطلب الى الملك يوحنا ان يتعد معه على سحقه فلم يجبه الى ذلك فعاد الى الخرطوم ومصر ثم رجع بطريق البحر الاحمر الى هرر فوصلها في ابريل

سنة ١٨٧٧ م فوجد رؤوف باشا مشغولاً بالتجارة وقد كثر ظلمه فعزله .
وفي ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ ٥ يونيو سنة ١٨٧٩ م أقبل اسماعيل باشا من
خديوية مصر وولي ابنه محمد توفيق باشا مكانه . فكان اول ما اهتم به تحديد
التخوم بين السودان والحبشة فبعث في طلب غوردون الى مصر للنظر في هذا
الشأن فحضر في اوغسطس سنة ١٨٧٩ م . وفي هذه الاثناء سلم ود ميخائيل
الى ملك الحبشة واتحد مع الرأس ألولا لمهاجمة سنهت فعاد غوردون في الحال
الى مصوع لاصلاح ذات البين مع الحبشة وفي ١١ سبتمبر سار من مصوع قاصداً
ملك الحبشة فمرّ بالراس ألولا في قرّع واستطرد السير الى دبرتابور حيث كان
يقم الملك يوحنا فوصلها في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٧٩ م وفي اليوم التالي قابل
الملك وسأله عما يطلبه من مصر فقال مطالبي هي ان تردّ اليّ المنمة وسنهت
وتعطى لي زيلع وقسم من بلاد هرر وفوقها مليون جنيه او مصوع فسأله
غوردون ان يكتب مطالبه هذه على ورق ويمهل الخديوي ستة أشهر للجابة
عليها فلم يفعل . وبعد قليل من الايام أعطاه كتاباً مختوماً في يده وأذن له في
السفر فسار قاصداً الخرطوم بطريق القلابات ولكن قبل وصوله الى القلابات
ألقي القبض عليه وأرجعه الى دبرتابور ثم أذن له في السفر عن طريق مصوع
فوصلها في ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م بعد عناء شديد . وعلى أثر ذلك استقال من
حكمدارية السودان وعاد الى بلاده .

ثم أغلق على هذه المسألة بسبب الثورة المهدية حتى عادت ففتحت بعد
الفتح الاخير في ولاية السر رجينلد ونجت باشا حاكم عموم السودان الحالي
فأبرم وفاقاً مع الملك منيلك ملك الحبشة الحالي بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ م
حددت فيه التخوم بين السودان والحبشة فدخلت القلابات وفامكة والناصر
في حدود السودان .

٢٢ - رؤوف باشا سنة ١٢٩٦ : ١٢٩٩ هـ - ١٨٧٩ : ١٨٨٢ م

وخلف غوردون والياً على السودان رؤوف باشا المتقدم ذكره في الكلام



توفيق باشا الخديوي السابق

تأريخ السودان

على خط الاستواء وهرر فصدر الامر المالي بتعيينه في ١٥ ربيع ثاني سنة ١٢٩٧ هـ ٢٧ مارس سنة ١٨٨٠ م وفيه الخطة التي أرادت الحكومة اتباعها في السودان وهذا هو بنصه :

« انه نظراً لثقتنا بما اتم متصفون به من الاهلية لأداء المأمورية المهمة المفوضة لأمانتكم والحالة هذه لا نرى لزوماً للأسباب في شرح وتفصيل ما يجب اتخاذه واجراؤه من الوسائل والاعمال المؤدية لنجاح مأموريتكم التي نحن ناظرون اليها بعين الأهمية وهي تقدم وانتظام احوال مملكة واسعة مثل السودان وبذل ما يجب من المساعي للوصول الى توطيد اسباب عمارتها وتقدم ورفاهية أهاليها بتوسيع نطاق دائرتي التجارة والزراعة اللتين هما أعظم منابع الثروة العمومية انما نرى من اللزوم استجلاب دقة نظركم الى بعض مواد مهمة وهي الآتي ذكرها :

« أولاً - مالية السودان : وكما لا يخفى ان لفظة المالية تشمل كل ما يلزم ويمكن تقريره وتجنله من الاموال والموائد بطريقتة لا يتأتى منها الاضرار بحالة الاهالي ولا الاجعاف بحقوق الخزينة وكذا تقدير ما يلزم من المصاريف بالنسبة لحالة البلاد واحتياجاتها بشرط ان تكون كافلة لحسن ادارة المصالح العمومية بصورة منتظمة وعلى هذا فأول واجب عليكم هو تنظيم ميزانية مستوفية عن كافة إيرادات ومصرفات الحكمدارية ببيان انواعها ومفرداتها بغاية الضبط والدقة وحصر ما يكون موجوداً من الديون بأنواعها وأسماء أربابها وكيفية الوصول الى سدادها . هذا ومن اللازم ان الحكومة تكون عالمة بكافة احوال السودان اجمالاً وتفصيلاً وبالمثل انواع الضرائب والموائد وسائر الاموال المقررة والجاري تجصيلها وكيفية استعمالها وصرفها فيلبي ان ترسلوا صورة من هذه الميزانية الى نظارة المالية واستمرار ذلك سنوياً وان تقدموا الى النظارة المشار اليها في كل ثلاثة اشهر حساب إيرادات ومصرفات الحكمدارية بالبيان الكافي وذلك كما هو جارٍ بكافة مصالح الحكومة . وبما ان كافة ما يتعلق بالمواد المالية والحسابية مرجع الامر فيها الى نظارة المالية

فجمع ما يقتضيه الحال من الخبرات والاستثناءات في هذا الشأن يكون خاصاً بالنظارة المشار إليها .

« ثانياً - الإدارة الملكية : يلزم تنظيمها وإجراؤها على صورة ثلاث أحوال تلك البلاد وما يختص بهذا القسم من الخبرات وما يترامى لزوم تغييره وتبديله من المواد والنظامات ذات الأهمية وعزل وتثبيت أرباب المناصب الرفيعة مثل المديرين ووكيل الحكمدار وما يتعلق بالإدارة الملكية والأحوال الداخلية بما من شأنه استحصال أوامرنا عن جميع ما ذكر من هذه الأنواع فينبغي أن تكون الخبرة عنه مع نظارة الداخلية . وأما ما يتعلق بالأمور القضائية سواء كانت شرعية أو نظامية تجرونها على قواعده المتبعة والحالة هذه إنما ما يختص بهذا القسم من الخبرات أو ما ترون لزوم إجرائه من الإصلاحات يجب أولاً الخبرة عنه مع نظارة الجفانية . ثم أن الرخصة التي كانت ممنوحة لأسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الأحكام شرعية كانت أو سياسية في المواد القضائية الحقوقية والجفائية قد أبقيناها لمهتكم أيضاً ما عدا أحكام القصاص الواجب استحصال أوامرنا عنها .

« ثالثاً - القسم العسكري : من المهم عند وصولكم إلى مركز الحكمدارية أن توجهوا أنظاركم والتفاتكم إلى تنظيم وإصلاح الحالة العسكرية حسبما يقتضيه احتياج تلك البلاد لتوطيد الأمن والنظام العام لكافة أنحاء المملكة خصوصاً تقوية حدود الحبشة والحفاظة عليها في الحالة الراهنة مع ما يترتب عليه الأمن والاطمئنان للوقاية من وقوع أدنى مهاجمة على هذه الحدود لأنكم عارفون جيداً بأفكارنا وأفكار أعضاء حكومتنا في هذه المسألة وهي أننا لا نقصد أي تجاوز كان على جيراننا ولا نريد أي فتوح جديد إنما جل قصدنا المدافعة بناية البسالة إذا وقع أدنى تعدٍ على حدودنا . فهذه الأفكار هي التي تكون أسس أعمالكم في ترتيب وتنظيم عسكرية السودان مع مراعاة لجوء القانون العسكري وكافة ما يتعلق بهذا القسم من الخبرات والاستثناءات هو خاص بنظارة الجهادية . هذا ومع بقاء خيانتكم الرخصة المعطاة لأسلافكم بتنفيذ أحكام القانون

العسكري في الجناسات وسائر الاحوال حسب ما تصدر به مضابط المجالس العسكرية فان حكم العزل او تنزيل رتبة او ترقى الضابط جميع ذلك لا بد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الجهادية .

« رابعاً - من المعلوم ان مسألة « منع تداول بيع الرقيق » هي في غاية الأهمية أولاً ان بيع الرقيق أمر مخالف للانسانية وغل باحترام بني آدم المنصوص عليه بالتكريم . ثانياً من الواجب المتعين علينا ابقاء شرائط المعاهدة المعقودة بين حكومتنا الخديوية والحكومة الانكليزية في ابطال تجارة الرقيق . ولو ان ما نعلمه وثق به من افكاركم في هذه المسألة وما انتم عازمون عليه من المساعي الحميدة لحو آثار هذه التجارة الذميمة لا يستوجب تكرار التأكيد انما رأينا من الواجب علينا ايضاً اثبات ما نحن عليه من شدة العزم والثبات في هذه المسألة لتوفيقوا اعمالكم في ما تتخذونه من الوسائل المؤثرة والاحتياطات اللازمة لذلك لكي لا يسمع من الآن فصاعداً بمحصول أمر مغاير من هذا القبيل في كافة البلاد والطرق المودعة تحت ادارتكم .

« هذا وحيث ان الاقطار السودانية بعيدة عن مراكز الحكومة الخديوية ومن الاقتضاء الوقوف على الوقوعات المهمة التي تحصل سواء كانت بالحدود او بخلافها فتبادروا بالاخبار عنها بوقت وقوعها الى طرفنا والى نظارة الداخلية بالتلغراف . وبناء عليه أصدرنا امراً هذا لكم للمعلومية والاجراء على مقتضاه كما هو مطلوبنا » اهـ .

فباشير رؤوف باشا هذه الاعمال عند وصوله الى السودان بهمة ونشاط واهتم على الخصوص بتحديد النفقات وتحصيل الاموال .

وفي صيف سنة ١٨٨٠ ثار السومال فأرسلت الحكومة نجدة لمساعدة حاكم هرر فأطفأت الثورة . ولكن لم تنطفئ ثورة السومال حتى ظهرت الثورة العربية في مصر .

وفي أثنائها ظهر في السودان رجل دنقلاوي الاصل يقال له « محمد احمد » ادعى انه المهدي المنتظر فصدق الناس دعواه وثاروا معه على الحكومة ورجاها

واستفحل امره سريعاً حتى انه لم تكد تخمد الثورة العربية في مصر حتى اصبح السودان كله شعلة ثورة تقاوم شرها وتعظم خطرهما وذهبت حاميات السودان كلها او اكثرها فريسة لها . وكان رؤوف باشا آخر الولاة الذين حكموا السودان قبل الثورة . وحكم بعده من الولاة في زمن الثورة :

٢٣ - عبد القادر باشا حلي ١٢٩٩ : ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ : ١٨٨٣ م

٢٤ - علاء الدين باشا ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٣ م

٢٥ - غوردون باشا المرة الثانية ١٣٠١ : ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ : ١٨٨٥ م

وفي أيامهم أي في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ م صدر أمر عالٍ فجعلت ادارة عموم السودان وفيها مديرية شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الاحمر ومديرية هرر وزيلع وبربرة ونجدة حكمدارية واحدة . وشكلت نظارة جديدة بعنوان نظارة الأقاليم السودانية وملحقاتها مركزها مصر القاهرة .

ثم في ٢ ابريل سنة ١٨٨٢ صدر أمر عالٍ بتقسيم جهات السودان ٤ أقسام وهي :

١ - حكمدارية اقليم غرب السودان وتشمل مديريات دارفور وكردوفان وشكا وبحر الغزال ودنقلة ومركزها الفاشر .

٢ - وحكمدارية اقليم وسط السودان وتشمل مديريات الخرطوم وسنار وبربر وفاشودة وخط الاستواء ومركزها الخرطوم .

٣ - وحكمدارية اقليم شرق السودان وتشمل مديرية النكا وملحقاتها ومحافظة سواكن ومصوع وملحقاتها الى باب المندب .

٤ - حكمدارية عموم هرر وملحقاتها وفيها محافظتي زيلع وبربرة ومركزها هرر .

ثم في ٢٠ يناير سنة ١٨٨٣ م صدر أمر عالٍ فسمي علاء الدين باشا حكمداراً

لعموم السودان وملحقاتها وسمي راشد كمال باشا حكامدار عموم السودان الشرقي والبحر الأحمر . وأنشأت ادارة خاصة بأشغال السودان وملحقاته برئاسة مجلس النظار .

ولما اشتدت الثورة صدر امر عال بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٨٨٤ م فألحقت ادارة عموم السودان وملحقاته الى نظارة الحربية وبقيت في نظارة الحربية الى نهاية الثورة .

وقبل الخوض في تفصيل هذه الثورة ووقائعها نذكر الاسباب التي حلت اهل السودان على تلقي دعوة زعيمها محمد احمد بالقبول والثورة معه على الحكومة ورجالها ثم تتبع ذلك ذكر سيرة محمد احمد والاسباب التي حلت على الظهور بدعوى المهدي .

الباب الثاني

في

تاريخ الثورة المهدية

الفصل الاول

في

أسباب الثورة المهدية وأسباب نجاحها

اعلم انه عند قيام محمد احمد الدنقلاوي بدعوى المهدية كان أهل السودان خاصتهم وعامتهم ناعمين من الحكومة. واجدين عليها وهم يتوقعون باباً للفرج او فرصة لشق العصا . والاسباب التي أوصلتهم الى هذه الحالة كثيرة مرجعها كلها سوء الادارة وعدم اتقان السياسة اللائقة بأهل البلاد . وأمّ تلك الاسباب :

١ - العنف : فقد رأيت ان السياسة التي اتخذها اسماعيل باشا فاتح سنار للتنكيل بالملك نمر عادت عليه وعلى اصحابه وآلت الى خروج الملك نمر عن طاعة الحكومة فلبجاً الى الحبشة واجتمع عليه كل متشرد وعاصر فكان شراً عظيماً على الحكومة هو وأولاده من بعده نحو خمسين سنة . ولما ظهر المهدي كانت بقية اولاده في بلاد القضايف فكانوا اول من نصره ورفعوا رايته في السودان الشرقي . ثم ان الدفتردار الذي جاء من كردوفان للاقتصاص من الجانين في قتل اسماعيل باشا لم يقف عند حد بل عمّ غضبه المجرم والبريء ونكّل بالجعلين تنكيلاً لم يروه ولا سمعوا به من قبل ولا سيما في شندي

والتمتة والميلفون فانه قتل وسبى وأذلّ الاهلين وأوجعهم فوجدوا على الحكومة بسببه وقد أوروثوا الوجد أبناءهم من بعدهم فحفظوه حتى قام المهدي فقاموا معه يطالبون بالثأر . وقد رأيت الكثيرين ممن ثاروا على الحكومة فقالوا انما فعلنا ذلك لأسباب شتى اولها الأخذ بثأر آبائنا من فظائع الدفتردار .

٢ - الضرائب : وتوالت الحكام بعد الدفتردار وضربت الضرائب على الاهلين ولم يكونوا متعودين عليها فاستثقلوها وزادها ثقلاً انها لم تكن موزعة بالقسط بل كانت شديدة على الفقراء خفيفة على الأغنياء وقد كانت خفتها على الأغنياء بالنسبة الى مقدرتهم على رشوة المأمورين وقربهم من الحكام حتى كان جانب كبير من أملاك الاغنياء والمأمورين معفياً من الضرائب . وفوق ذلك فقد ناطوا بتحصيل الضرائب بجماعة الباشبوزق الشايقية والاكراد والمغاربة الذين فتحوا البلاد فاستعملوا منتهى القسوة والعنف في تحصيلها حتى كانوا اذا تأخر احدهم عن دفع ما عليه أعمالوا فيه السياط وأهانوه حتى يدفع الفلس الاخير . وشرّ من ذلك كله مما لم يكن له مثيل في غير السودان ان هؤلاء المأمورين لم يكتفوا بالضرائب الرسمية بل كانوا يفرضون على الاهلين « فرضاً » غير رسمية يحصلونها مع الضرائب . وذلك ان أكثر الولاة الذين حكموا السودان كانوا يأتونه من مصر على غير ارادتهم لبُعد السودان عن بلادهم وكثرة حره ومشاقه فكانوا لا يهتمون في الغالب الا بالانتفاع من وظائفهم فيفرضون على المديرين اموالاً باسم الهدايا فيضطر المديرين الى استرجاعها من مأموري المراكز الذين تحت ادارتهم او من الباشبوزق المولجين يجمع الضرائب وهؤلاء يفرضونها على الاهالي اضعاافاً لأجل وفاء ما فرض عليهم وحفظ شيء لأنفسهم . وكانوا يشددون على الاهلين في تحصيل هذا الفرض تشديدهم على تحصيل الضرائب وهم آمنون من القصاص للتواطيء المشار اليه مع الولاة والمديرين ولذلك اشتد نفور الاهالي من الحكام وتمكن الحقد والوجد في قلوبهم وصاروا يهتمون زوال هذه الحكومة التي سلطت عليهم من لم يرحمهم واستبدلها بأية حكومة كانت . يدللك على ذلك القول الذي جرى على ألسنتهم عند ظهور المهدي وهو « عشرة

تأريخ السودان

في تربه ولا ريال في طلبه ، . ويدلك عليه ايضاً هجر الناس لأوطانهم والتجاؤهم الى اطراف البلاد كلقلابات وبحر الغزال ودارفور كما مر . وبما جاء في قصيدة الشيخ محمد شريف المشهورة التي نظمها في ذمّ المهدي بحرفه :

وما أبت السودان حكم حكومة الى ان أتى ضعف المطالب من مصر
فكالثك والثلاثين للمير وحده وللشيخ والنظار اضعافه فادر
بضرب شديد ثم كتف مؤلم ومن بعده الالقاء في الشمس والحر
وأوتاد ذي الاوتاد من بعض فعلهم وأشنع من ذا كله عمل الهر
أي أنهم كانوا يجعلون في سراويل الرجل هراً ثم يشرعون في ضربه حتى
يمزق الهر جسمه . قال وقد رأيت ذلك في قسم الخرطوم نظارة احمد اغا
ابو زيد .

٣ - منع الرقيق : ثم الذي زاد الطين بلة والطنبور نغمة فكان منه معظم
الشر هو تشديد الحكومة في منع النخاسة والاسترقاق فان النخاسة كما علمت
مهنة قديمة في السودان يتعاطاها الجمل الغفير من اهلها بل من اعظم اهلها جاهاً
ونفوذاً والاسترقاق وبيع الرقيق غير محرمين في شريعة اهلها فهم لا يرون
فيها شراً يجب ابطاله بل يرون الشر كله في ابطالها خصوصاً لأن خدمة عرب
السودان في البيت وخارج البيت كلها منوطة بالرقيق ولم يكن للعرب إلا
السيادة والتجارة كما مر . وقد تعودوا هذه الحالة السنين الطوال وارتاحوا
اليها كل الارتياح حتى لم يعد من الممكن منعهم عنها دفعة واحدة ولكن
الحكومة أصرت على منعها بالقوة ولا سيما في عهد السر صموئيل باكر وفي
عهد الكولونيل غوردون فانها مع اعتقادها الشخصي بأن التشديد في منع
الرقيق هو في غير محله وقبل وقته اضطرراً عملاً بأوامر الحكومة ان يبالغا في
التشديد في منعه والتضييق على تجار الرقيق في جميع الاقطار السودانية ولا سيما
في بحر الغزال وخط الاستواء فنكلا بهم تشكيلاً شديداً وفرقا جموعهم وعاقبا
البعض بالقتل والبعض بالسجن والبعض بضبط الأموال . وحرّر غوردون

كثيراً من الأرقاء من أيدي أسيادهم لا سيما بعد نشر المعاهدة التي عقدت بين اسماعيل باشا والدولة الانكليزية سنة ١٨٧٧ م بل لما رأى الأرقاء حريتهم في يدهم صاروا يتركون أسيادهم لأقل سبب أو بلا سبب . وكان الأهليون يدفعون قسماً من الضرائب عبيداً فأصبحوا بعد ابطال النخاسة لا يقدرّون على اداها فاستبد بهم الجبسة وساموهم خسفاً على خسف وذلك على ذل . وعدّ الجهال مداخلة باكر وغوردون وجسي وجيكر وغيرهم من النصاري في منع الرقيق ان النصاري تتعرض لدينهم فعظم الخطب وعت الشكوى .

٤ - المحاماة : قال المصوي : « ومن الأمور التي ساءت الاهالي فزادتهم وجداً على الحكومة تمييز الشايقية الذين جندتهم عساكر وحوالات وأعفتهم من الضرائب في حين انها ثقلت بها على سائر الاهالي مع ان الجميع من مقام واحد وما من قبيلة معروفة في السودان تعترف بامتياز الشايقية عليها ومما يدلّك على استياء الاهلين منهم قول الجعليين المشهور عند ظهور الثورة :

يا نعم العباسية ، القامت المهدية والله ما في رية ، غنيمة الشايقية

« ومما ساء الاهالي ايضاً وعلى الخصوص رؤساء الطرق تمييز المرغنية على سائر الطرق في السودان حتى كثر أتباعهم وعظم جامهم وهذا وان لم يكن صريحاً من اصل الحكومة بمصر فهو مسبب عنها فان الحكام وأهل النفوذ من رؤساء الأقاليم ليسوا من اهل السودان وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس والمعاملات تختلف عن عادات اهل السودان فمالوا الى مخالطة المرغنية للمساكلة اولاً ولانتساب المرغنية الى مكة المشرفة ثانياً وبسبب ذلك مال اليهم عساكر الشايقية عموماً لتقربهم من رجال الحكومة ودخلوا في سلكهم حتى صار كل سر سوارى يهدي اليهم مرتبه ومرتب زجاله شهراً في كل سنة فازدادت بذلك صولة خلفاء المرغنية وصاروا يتناولون على رؤساء الطرق الاخرى بالشم والاهانة فحقّدوا عليهم وعلى الحكومة التي كانت سبب في تعظيم شأنهم اه .»

فهذه الاسباب كلها مع انتظار جمهور المسلمين للمهدي كما بيناه قبل هي

تاريخ السودان

التي حملت الأهلين على نصرة محمد أحمد والثورة معه على الحكومة ورجالها وكان رؤساء الطرق وتجار الرقيق من اكبر انصارها وأشد أيدىها ولم يبقَ في جانب الحكومة إلا الشايقية والمرغنية الذين 'وجهت الثورة ضدهم كما وجهت ضد الحكومة للأسباب التي قدمناها .

هذه هي أسباب الثورة وتعميمها وأما اسباب نجاحها فهي :

(١) استخفاف الحكومة بشأن محمد أحمد في بادئ الرأي . مع ان الامر الذي قام به ذو بال وقد كان في كل العصور سبباً لاراقة دماء كثيرة وخراب بلدان شتى .

(٢) ثورة عرابي في مصر : فانه عند قيام محمد أحمد في السودان قام ايضاً احمد عرابي في مصر فلم يأتأً للحكومة ان تتفرغ لأمير محمد أحمد وتتجدد السودان بالعساكر قبل انتهاء الثورة العرابية في مصر . ثم لم تلتزم هذه الثورة حتى كانت الثورة المهديّة قد عمّت السودان كله واتسع الخرق على الراقع .

(٣) ضعف الحاميات العسكرية : فانه حين ظهور الثورة سنة ١٨٨١ م لم يكن في السودان كله مع اتساعه ووعورة مسالكه الا ٤٠٤٩٠ رجلاً موزعين على الحاميات كما يأتي :

١٩٥٠ في دنقلة	٨٠٠ في الجيرة	٣٤٧٠ في هرر
٢١٧٠ د بربر	٢٠٠ د القضارف	٥٨٣٠ د كردوفان
٧٤٧٠ د الخرطوم	٣٩٤٠ د كسلا	٤٨٦٣ د دارفور
٢٣٥٠ د سنار	٩٢٠ د اميديب	٨٨٦ د بحر الغزال
١٦١٠ د القلابات	١٩٠٠ د سنهيت	٢١٣١ د خط الاستواء
		الجملة ٤٠٤٩٠

وهذه الحاميات مع 'بعدها السحيق بعضها عن بعض لم تكن محصنة قبل الثورة ولما حصلت في أثناء الثورة كان في كل حصن منها غلطة دفاعية . ثم انه لم تكن حامياتها كلها من العساكر المنظمة بل كان بينهم كثير من الباشوزق

وكلهم غير متمرنين على الحرب والقتال وقد تعودوا الترف والراحة في حين ان اهل السودان مطبوعون على الفروسية والشجاعة ومتعودون على الحرب والنزال وقد صدقوا المهدي وأحبوا الموت معه في سبيل الله .

(٤) تردّد الحكومة : فان الحكومة لم تتخذ سياسة ثابتة نافذة في اخاد الثورة بل أظهرت احياناً التردد والارتباك في مكان الحزم والعزم ففقدت جميع حامياتها واحدة واحدة وعادت إلى حدودها بمصر كما سيجيء بالتفصيل . هذا ما كان من أسباب الثورة ونجاحها فلنتقدم الآن الى ذكر سيرة محمد احمد والاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهدية . ثم تتبع ذلك ذكر حوادث الثورة .

الفصل الثاني

في

بدء سيرة محمد احمد

وذكر الاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهدية

ولد محمد احمد هذا في جزيرة ضرار من اعمال دنقلة سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٣ م او حواليها وامم أبيه عبد الله وأمه زينب . وهو ذرية رجل يسمى حاج شريف طال عمره جداً واشتهر بالصلاح والتقوى . وقبيلته من العرب المنتوبة وقد عرفت في دنقلة بصبر نسي أي قبيلة صبر . وهو جد له أبعد من جدّه حاج شريف وعرفت ايضاً بالاشراف لأنها تدعي النسبة الى جدّه أبعد من صبر يُقال له نجم الدين وهو جدّ الكنوز المدعي النسبة الى آل البيت . ولما ادّعى محمد احمد المهدية على نسبه حتى أوصله الى الحسن السبط طبقاً لما تدوّن في الكتب من شرائط المهدي . وهذه هي سلسلة النسب التي ادّعاها لنفسه :

محمد المهدي بن عبد الله بن فعل بن عبد الولي بن عبد الله بن محمد بن حاج شريف بن علي بن احمد بن علي بن حسب النبي بن صبر بن نصر بن عبد الكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن موسى بن ابي العباس

ابن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكري بن علوان بن عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن الحسن السبط بن الامام علي بن ابي طالب ، اه .

وكان ابيه نجاراً ماهراً في بناء المراكب والسواقي وقد ضاق به العيش في دنقلة فرحل بعائلته الى الخرطوم ومحمد احمد اذ ذاك طفل . وصار يتردد منها الى كرري مشغلاً بصناعته الى ان مات ودفن في كرري . وقد خلف بنتاً تسمى نور الشام واربعة ذكور وهم : محمد ومحمد احمد الذي فيه كلامنا وحامد وعبد الله الذي تركه حملاً في بطن أمه فولد بعد وفاته فسمي باسمه على عادة اهل السودان من تسمية الولد الذي يكون بهذه المثابة باسم أبيه .

وقد تعلم اخوة محمد احمد صناعة والدم واشتغلوا بها وأما هو فانه مال بالفطرة الى الديانة والعلم كجده حاج شريف فدرس القرآن في مدرستي كروي والخرطوم . ثم اشتغل بدرس العلوم الفقهية فأخذ عن الشيخ الامين الصويلح في مسجد ود عيسى بالجزيرة ثم عن الشيخ محمد الخير في الغُبش تجاه بربر فأتقن مبادئ النحو والتوحيد والفقه والتصوف واشتهر بين أقرانه منذ الصغر بالتعبد والتقوى بل بالترفض والزهد حتى قيل انه كان يمتنع عن أكل زاد استاذة محمد الخير لأنه كان يجري عليه من الحكومة لقوله انه مال الظلم فكان اذا لم يأت الزاد من اهله اصطاد السمك من النيل وتقوّت به .

وبعد ان أتم دروسه على محمد الخير مالت نفسه الى التصوف فذهب الى الشيخ محمد شريف حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية وهو اذ ذاك مقيم عند قبر جده في أم مَرّحي وسأله الدخول في مصاف تلامذته وذلك في سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦١ م فأجابه محمد شريف الى طلبه فأقام عنده منقطعاً الى الصلاة والعبادة وما لبث ان أظهر من التقشف والزهد ما ميزه عن سائر التلامذة حتى انه كان يشتغل في منزل سيده بما هو منوط بالعنيد والجوار من احتطاب واستقاء وطحن وطبخ وهو غير مكلف الى شيء من ذلك وكان كلما وقف للصلاة يبكي حتى يبلل الارض بدموعه واذا جلس امام شيخه

نكس رأسه ولم يرفع طرفه اليه إلا اذا كلفه فيرفع طرفه بأدب واحترام وأقام على ذلك سبع سنين . فلما رآه شيخه على هذه الحالة وأنه سالك طريق المريدين وناهج منهج الصالحين مال اليه وأحبه وجعله شيخاً وأعطاه راية وأذن له في الذهاب حيث شاء لاعطاء العهود وتسليك الطريقة . فذهب الى الخرطوم وتزوج بابنة عم له وأقام مع اخوته بيت طريقته بغيرة وجد .

وفي سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧١ م رحل اخوته الى جزيرة أبا لكثرة أشجارها الصالحة للمراكب فرحل معهم وبني في الجزيرة جامعاً للصلاة وخلوة للتدريس فاجتمع عليه سكان تلك الجزيرة وهم دغيم وكنانة وغيرهم من عرب البادية وأخذوا المهدي عنه ودخل بعضهم في تلمذته وفي جملتهم عليود حلو الذي جعله بعد ادعائه المهدي خليفة الثاني . ولم يمض إلا القليل حتى اشتهر صيته وكثر أتباعه وكان استاذ محمد شريف قد انتقل الى القادربة قرب جبل أولي على النيل الابيض فكان يزوره في كل موسم وعيد لتقديم واجب الطاعة وقبل الدخول عليه يجعل الرماد على رأسه والشعبة في رقبته وفروة الضأن على صلبه تشبهاً بالعبد في حالة ذلك فكان محمد شريف يحمل الشعبة من رقبته والفروة عن صلبه ويلبسه أفخر الثياب فيقيم عنده أياماً ثم يعود الى مركزه في جزيرة أبا . وفي بعض زياراته حدثه عن خيرات البلاد التي رحل اليها وسهولة العيش فيها وزيّن له الإقامة في العراذيب بين أبا والكوة فانتقل اليها سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٢ م وكانت العراذيب على خصبها خالية من السكان والزراعة فعمرها وأقام فيها على صفاء تام مع محمد احمد برهة ثم لم يلبث ان تكدر هذا الصفاء فصار جفاء ثم نفوراً ثم عداء .

وسبب ذلك فيما رواه الشيخ محمد شريف ان محمد احمد لما كثرت أنصاره ومريديه كبرت نفسه وسؤل له شيطان الغرور انه أعظم من في الارض وانه المهدي المنتظر قال محمد شريف فأسرّ اليّ بدعواه ورغب ان أكون له وزيراً ومستشاراً فيجعل الامر كله في يدي وذلك سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م فزجرته ونهيته مزاراً ولما لم ينته عقدت معه مجلساً في أبا جمعت اليه القضاة والنظار

وبعض الاخيار كبعد الرحمن اللبيح ناظر اللحوين واحمد جفون ناظر الشانخاب ويوسف ابي جمعة ناظر الجزائر ومحمد حسن قاضي الجهة وغيرهم من أكابر أبا وأمرته بالرجوع عن ضلاله وأشهدت الله ورسوله والحاضرين اني انت رجع شاطرته نصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس لمشاورة من معه من الأصحاب فلم يرجع . ومن ذلك الوقت نفيت من الطريقة وقلت لأصحابي ان يضربوه اذا جاءهم ونصحت لقائمةقام الكوة بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفاً من تجسم الامر فلم يفعل وقال انه رجل صالح وصاحب الخضر فلا يمس به سوء . وللشيخ محمد شريف قصيدة طويلها نظمها بإيعاز عبد القادر باشا سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م في تكذيب دعوى المهدي جاء فيها بحرفه :

على جبل السلطان في شاطئ البحر
فبايعته عهداً على النهي والأمر
وقد لازم الأذكار في السر والجر
فرقيته جهلاً بعاقبة الأمر
تغزى على اهل التواضع في السير
ويعطي عطا من لا يخاف من الفقر
من الله لا زالت مدامعه تجري
وكم ختم القرآن في سنة الوتر
بها كان محبوباً لدى الناس في البر
وخادمنا عشرين عاماً من العمر
على ما مضى في سابق العلم بالشر
وشيطان انس وافقاء على الضر
وكم ساقط في الشر من ألم الفقر
فهذا مقام في الطريق لمن يدري
ومحسوبكم في الحب في عالم الدر
فأنت لك الكرسي ولي دول الغير

لقد جاءني في عام « زع » لموضع
يروم الصراط المستقيم على يدي
فقام على نهج الهداية مخلصاً
وأفرغ في نهج المحامد جهده
أقام لدينا خادماً كل خدمة
كطحن وعوس واحتطاب وغيره
وكم صام كم صلى وكم قام كم تلا
وكم بضوء الليل كبر للضحى
لذلك سقي من منهل القوم شربة
وكان لدينا عيشه صدقاتنا
الى الخمس والتسعين أدركه القضا
بصحبة شيطان من الجن ايس
ولا تنس داعي الاحتياج فثالث
فقال أنا المهدي فقلت له استقم
وخادعني بالقول كلمه ابنكم
فقم بي لنصر الدين نقتل من عصا

فقلت له دع ما نريت فانه
وقال له الشيطان بشر ولا تخف
وقد فهم القولين فهم أولى النهى
فقال أنا كالماء في الطبع بارد
وان يستخفوا بي وان يقتلونني
ومن ذلك النادي أبى وأبيته
واني أذنت الجيش ان يضربوه ان
وقد جاء للمثوب في سفاته
وكان من الاسرى لديهم بناقة
وكننت نصحت القيمقام بحبسه

وثالله شر قد يجر الى الخسر
فانك منصور على البر والبحر
ومال الى حب الرياسة والجبر
واما يستخن كان كالنار في الحر
فقبلي علي والحسين ولي أمري
وأفتيت فيه بالضلال والكفر
أناهم بما يهواه من واضح النكر
وقد رده الاتباع بالجبر والقهر
وراياته والجيش قد صار في البحر
لما جاءني من غير دَع صاحب الخضر

هذا الذي قاله الشيخ محمد شريف في سبب العداء بينه وبين محمد احمد وقد
أكده لي شفاهاً بعد فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ م . ولكن أنصار محمد احمد
ينكرون هذا القول ويقولون ان اصل العداء هو انصراف الناس عن محمد
شريف وميلهم الى محمد احمد بالمقيدة والاتباع . وقالوا في تفصيل ذلك ان
محمد شريف عند انتقاله الى المراديب رأى من عربان تلك الجهات إقبالا على
محمد احمد لم ير مثله عليه فساءه ذلك جداً واخذ يعمل على الخفض من سطوة
محمد احمد فأقام له الشيخ رضوان احد خلفائه ندأ في قوز العلوب غربي أبا
وحت العربان على اتباعه فأنكر محمد احمد على شيخه هذا التحامل والجفاء
ووقع النفور بينه وبين الشيخ رضوان وسرى ذلك الى تلامذتها فصار كل فريق
يندد بالآخر ويحقد عليه وما زالت اسباب النفور تتزايد حتى اتصل الفريقان
الى الضرب والملاكمة وتغلب فريق الشيخ رضوان فهشموا جسم محمد احمد
وكسروا يد علي ود حلو فرفع محمد احمد الامر الى ناظر الكوة وكان فيها اذ
ذاك رحمة الدويهي فأحضر تلامذة الشيخ رضوان وزجهم في السجن فلما درى
محمد شريف بما كان أتى بالشيخ رضوان الى أبا وحمل محمد احمد على مصالحته
وتوسط عند ناظر الكوة فأخرج تلامذة الشيخ رضوان من السجن .

ومن ذلك الحين حقد محمد احمد على استاذہ وذهب حبه واحترامه من قلبه فانكشفت له عيوبه وكان محمد شريف يقبل النساء في مجلسه ويسمح لهن بتقبيل يده فأخذ محمد احمد يندد عليه بذلك ويحاهر بأنه مخالف للشرع والاسلام واحتفل الشيخ محمد شريف بختان بعض اولاده فدعا جمعا غفيرا من تلامذته وأذن لهم في الرقص والغناء وكان محمد احمد حاضرا فنهى اصحابه عن ذلك وقال ان الشريعة تمنع الرقص والغناء فليس في وسع احد ان يميزهما ولو انه شيخ الطريقة وبلغ ذلك محمد شريف وكان قد بلغه تنديده عليه لقبوله النساء في مجلسه فاتخذ تطاوله هذا ذريعة لشفاء غليله منه فاستحضره ووبخه توبيخا شديدا وحما اسمه من الطريقة وقال له اذهب فقد صدق فيك المثل القائل « الدنقلوي شيطان مجلد يجلد انسان » .

وكان محمد احمد يحب الطريقة السمانية وأصولها وكان له خلفاء وتلامذة يلقبون اورادها ويقرأون رواتبها فلم يكن أمر تركها واتباع غيرها من السهل عليه فتذلل لأسناده وطلب العفو منه مرارا فلم يعف عنه .

وكان في الحلاويين بين المسامية والكاملين على النيل الأزرق شيخ من مشايخ هذه الطريقة يدعى الشيخ القرشي وقد أخذ الطريقة رأسا عن مؤسسها الشيخ الطيب وكان بينه وبين محمد شريف مناظرة شديدة فلما رأى محمد احمد من استاذہ هذا الآباء التجأ الى الشيخ القرشي وجدد عليه عهده ومشيخته فكتب محمد شريف الى الشيخ القرشي يعاتبه على قبوله محمد احمد فكتب اليه في الجواب « اني رأيت محمد احمد مستحقا ومنع المستحق ظلم » . وأذاع محمد احمد انه انفصل عن شيخه لأنه خالف الشريعة والسنة وكان قد حفر غاراً تحت الارض وسكن فيه فاشتهر صيته في السودان بالتقشف والزهد والغيرة الدينية وأخذ الناس يفدون اليه من الجهات الاربع وكان المسافرين في النيل يقفون بالمراكب والوابورات فيقدمون اليه الهدايا ويطلبون البركة فيباركهم ويوزع الهدايا على الفقراء زهداً وعفافاً .

وبقي الى ان توفي الشيخ القرشي أواخر سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م فخرج هو

تاريخ الشوكة

وتلامذته الى الحلاويين وشرع في بناء قبة فوق قبره . وكان الشيخ القرشي يحب محمد احمد ويثني عليه أمام أتباعه فاتخذوه بعد وفاة شيخهم شيخاً لهم وأشاعوا بأن وارث السلسلة الطيبية هو الشيخ القرشي فأورثها محمد احمد عند وفاته . ووافقهم على ذلك جلّ ذرية الشيخ الطيب لسابق كراهة بينهم وبين محمد شريف فقويت شوكة محمد احمد وكثر أنصاره وقد بالغوا في محبته وتمظيمه حتى قالوا ان في كتب طريقتهم نصاً ان المهدي يكون منهم وان الشيخ القرشي قبل وفاته أوماً بها الى محمد احمد فشكّلوا هذه المقعدة في نفوسهم وصاروا يلوحون بها في أشعارهم .

هذا وكان من عادة محمد احمد ان يخرج سائحاً مع بعض أصحابه لانهذار الناس بطريقته ودعوتهم الى الله ثم يعود الى محل اقامته في جزيرة أبا . وقد جال في جميع البلاد من دنقلة الى سنار شمالاً وجنوباً ومن النيل الازرق الى كردوفان شرقاً وغرباً ورأى بعينه وجد الناس خاصتهم وعامتهم على الحكومة وشدة رغبتهم في التخلص منها حتى كان الكثير منهم يتمنون ظهور المهدي الموعود به لينقذهم من هذه الحال بل كانوا كلما رأوا رجلاً يفضلهم عقلاً ودراية وله الغيرة على الدين وأهله ظنوه المهدي .

فلما رأى محمد احمد لهج القوم بأنه المهدي المنتظر وفكّر في الاستعداد الذي عليه الأهلون لقبول المهدي ثم في الحالة التي صار اليها الاسلام في السودان على ما مثله له استاذة محمد شريف وغيره من رجال الدين وكانت نفسه مفضوعة على التشيع للدين والغيرة على الاسلام والمسلمين كما مرّ اندفع بحكم الضرورة والطبع الى الاخذ بلهج القوم والقيام بدعوى المهدية وعقد النية على ذلك .

وبينا هو في هذه الحال اذ وفد عليه عبد الله التعايشي المتقدم ذكره في تاريخ الزبير . قيل انه لما رآه وقع مغشياً عليه ولم يفق من غشيته إلا بعد ساعة او اكثر ولما أفاق عاد فنظر الى محمد احمد وتقدم لمصافحته فأغشى عليه مرة ثانية ثم أفاق وتقدم الى محمد احمد حبواً على الارض فأخذ يده وشرع

يقبلها وهو يرتعد ويبيكي فقال له محمد احمد من انت يا رجل وما شأنك قال يا سيدي انا عبد الله بن محمد تورشين من قبيلة التمايشة البقارة وقد سمعت بصلاحك الى دار الغرب فجئت لأخذ الطريقة عنك . وكان لي اب صالح من أهل الكشف وقد قال لي قبل وفاته انك ستقابل المهدي وتكون وزيره وقد أخبرني بعلامات المهدي وصفاته فلما وقع نظري عليك رأيت فيك العلامات التي أخبرني بها والدي بعينها فابتهج قلبي لرؤية مهدي الله وخليفة رسوله ومن شدة الفرح الذي شعلني أصابني الذي رأيته . فاستبشر محمد احمد بهذا القول ورقص له قلبه لأنه يرمي الى غرضه وبإيع التمايشي وقربه وجدّ في بناء القبة فأنمها بشهر وعاد بتلامذته ومعهم عبد الله التمايشي الى جزيرة أبا .

ومن ثم أخذ يفتش الكتب ويبحث عن كنه المهدي وصفاته وعلاماته وما تكون به نصرته ويطبق عليها صفاته . ولما استوفى غرضه شرع في إظهار دعواه فقام بها في بادئ الرأي سراً . وكان أول ما أسرها الى عبد الله التمايشي ثم الى تلامذته الاخضاء وعبييه الأمثل فالأمثل وذلك في ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ هـ مارس ١٨٨١ م .

ثم خرج بهم سائحين الى دار الغرب وقد لبسوا كلهم لباس الدراويش المعتاد وهو الجبة المرقعة والسبحة والمكاز وابريق الفخار فمرّوا بخوة عبد الله في دار الجمع وبإيعهم وذهب الى الابيض فأسرّ دعواه الى أخصّ مشايخها وأعيانها قائلاً ان الله اصطفاه ليظهر البلاد من الظلم والفساد ولكنه قال ان وقت ظهوره لم يحن بعد . ثم قفل راجعاً الى جزيرة أبا ومرّ في طريقه بجبال تقلي والنوبة فأسرّ دعواه الى الملك آدم ود دباله ملك تقلي . وقد صرّح عبد الله التمايشي بجلسته في المحراب بعد تولّيه الخلافة انه لم يكن قصد محمد احمد من هذه السياحة استطلاع رأي الناس في دعواه فقط بل كان القصد منها ايضاً كشف البلاد التي تصلح للهجرتين وشن الغارة بعد اشهار دعواه ويظهر انه من ذلك الحين اختار جبل قدير مركزاً لهجرتيه وقد صرّح به في كتبه فيما بعد . ولما عاد الى أبا شرع في دعوة الناس اليه سراً في الكتب وذلك في غرة

شعبان سنة ١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١ م فبدأ بمخاطبة اصحابه الأخصاء من الفقهاء والاعيان ومشايخ الطرق والقبائل فصرّح لهم بدعوته وحشهم على القيام معه لنصرة الدين والهجرة من أماكنهم للانضمام اليه ومبايعته على الجهاد في سبيل الله قائلاً : انه قد رأى النبي ﷺ بعيني رأسه يقظة ! فأجلسه على كرسيه وقلده سيفه وغسل قلبه بيده وملأه ايماناً وحكماً ومعارف منيعة وأخبره بأنه الخليفة الاكبر والمهدي المنتظر. وان من شك في مهديته فقد كفر ومن حاربه أخذل في الدارين . وما زال النبي ﷺ يظهر له مع الخضر والملاك جبرائيل فيوحي اليه الى يوم وفاته .

وقال في بعض كتبه : « اني لا أعلم بهذا الامر حتى هجم عليّ من الله ورسوله من غير استحقاق فأمره مطاع وهو يفعل ما يشاء ويختار » ... « وقد أمرني سيد الوجود ﷺ بمكاتبة المسلمين ودعوتهم الى الهجرة معنا الى محل يكون فيه قوام الدين واصلاح امر الدارين » ... « فلازم تحضروا معنا في رمضان ولا تتخلفوا فيعمل بكم الخسران في الدارين » ... وهذه صورة بعض كتبه التي نشرها في أوائل دعوته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الولي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه في الله المؤمنين بالله وبكتابه . اما بعد فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان والفطن بل أحق ان يترك لذلك الاوطار والوطن لإقامة الدين والسنن ولا يتوانى عن ذلك عاقل لأن غيرة الاسلام للمؤمن تجبره . ثم أحبائي كما أراد الله في أزلّه وقضائه تفضل على عبده الحقير الدليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله . وأخبرني سيد الوجود ﷺ بأن المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم الى زماننا هذا وكذلك المؤمنون من الجن وفي

كتاب السيرة

ساعة الحرب يحضر معهم امام جيشي سيد الوجود ﷺ بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والحضر عليه السلام وأعطاني سيف النصر من حضرته ﷺ وأعلمت انه لا ينصر عليّ معه احد ولو كان الثقلين الانس والجن . ثم أخبرني سيد الوجود ﷺ بأن الله جعل لك على المهدي علامة وهي الخال على خدي الأيمن . وكذلك جعل لي علامة اخرى تخرج راية من نور وتكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها اصحابي وينزل الرعب في قلوب أعدائي فلا يلقياني احد بعداوة الا خذله الله . ثم قال لي ﷺ انك مخلوق من نور عنان قلبي فمن له سعادة صدق بأني المهدي المنتظر ولكن الله جعل في قلوب الذين يحبون الجاه النفاق فلا يصدقون حرصاً على جاههم قال ﷺ : حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء في الاثر : اذا رأيت العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم . وجاء في بعض كتبه القديمة : لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبي فأولئك قطاع الطريق على عبادي . ولما حصل لي يا أحبابي من الله ورسوله أمر الخلافة الكبرى أمرني سيد الوجود ﷺ بالهجرة الى ماسة مجبل قدير . وأمرني ان أكتب بها جميع المكلفين امراً عاماً فكتبنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين فأنكر الاشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون في مسا لقوه في الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتى بل هم ناظرون الى وعده سبحانه وتعالى بقوله : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين . وحيث ان الامر لله والمهدي أرادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدي بن عبد الله فيجب بذلك التصديق لإرادة الله وقد اجتمع السلف والخلف في تفويض العلم لله فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفنين بل يحكي الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . قال تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ولا يسأل عما يفعل ويخلق ما يشاء ويختار يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وقد قال الشيخ محي الدين بن العربي في تفسيره

كتاب الشواهد

على القرآن العظيم : علم المهدي كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله . وقال الشيخ احمد بن ادريس : كذبت في المهدي اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه . وهذا لا يخفى عليكم ان التأليفات الواردة في المهدي منها الآثار وكشف الأولياء وغير ذلك فيختلف كل منها كما علمت من انه يدعو الله ما يشاء .. الآية .. ومنها الاحاديث فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح والصحيح يفسخ بعضه بعضاً كما ان الآيات تفسخها الآيات وحقيقة ذلك على ما هي عليه لا يعرفها الا اهل المشاهدة والبصائر . هذا وقد أخبرني سيد الوجود عليه السلام بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله كررها عليه السلام ثلاث مرات وجميع ما أخبرتكم به من خلافي على المهدي النخ ... فقد أخبرني به سيد الوجود عليه السلام بقطة في حال الصحة وأنا خال من الموانع الشرعية لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون بل متصف بصفات العقل أقفوا اثر رسول الله عليه السلام بالامر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه . والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً وسنة . قال تعالى : يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم . وقال عليه السلام : من فرّ بدينه من ارض الى ارض وإن كان شبراً من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام والى غير ذلك من الآيات والاحاديث وإجابة داعي الله واجبة . قال تعالى : واتبع سبيل من أتاب إلي . فاذا فهمتم ذلك فقد أمرنا جميع المكلفين بالهجرة اليها لأجل الجهاد في سبيل الله او الى أقرب بلاد منكم لقوله تعالى : قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فمن تخلف عن ذلك دخل في وعيد قوله تعالى : قل إن كانت آباؤكم وأبناؤكم النخ ... وقوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » النخ ... الآيتين . فاذا فهمتم ذلك فلهوا للجهاد في سبيله ولا تخافوا من احد غير الله لأن خوف المخلوق من غير الله يعدم الايمان بالله والعياذ بالله من ذلك

تأريخ الثورة

قال تعالى : فلا تخشوا الناس واخشوني وقال تعالى : والله أحق ان تخشوه لا سيما وقد وعد الله في كتابه العزيز بنصر من ينصر دينه قال تعالى : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقال تعالى : ألا تنصروه فقد نصره الله وحيث إن لم تجيبوا داعي الله وتبادروا لإقامة دين الله تلتزمكم العقوبة عند الله تعالى لأنكم أدلة الخلق وأزمته فمن كان مهتماً بإيمانه شقيقاً بدينه حريصاً على امر ربه أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه . وليكن معلومكم اني من نسل رسول الله ﷺ فأبي حسني من جهة أبيه وأمه وأمي كذلك من جهة أمها وأبوها عباسي والعلم لله ان لي نسبة الى الحسين . وهذه المعاني الحسان تكفي لمن أدركه الله بالايمان فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها هذا والسلام اه .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد جزيل السلام الى عزيز المقام حبيبنا ذي الاكرام الاستاذ خليفة جدنا الشيخ محمد الطيب البصير وقاه الله من كل التكدير . لا يخفى عزيز علمكم ان من كان لله وخرج من حظه وهاجر الى الله لا يخشى من شيء ولا يخاف من احد فانه منصور مضمون رزقه وموقي من شرور الخلائق بالوعد الصادق الذي لا يشك فيه إلا منافق وحيث انك النائب عنا وكنفسنا في جميع الامور ولازم تشجع الأهل الى الهجرة الينا وجميع من لم يصلنا فليبايعك وقد جعلت مبايعتك مبايعتي وانت الامين على حقوق الله تعالى ولازم ترهد المحبين عن الاوطان والأموال فان الدنيا غرور وما للعبد إلا الأعمال الموافقة للكتاب والسنة ومن لم يجتهد على ذلك بشق الأنفس في هذه الأيام القربة الزوال خسر الدارين ولا تنفعه الأوطان والأموال بل تبقى عليه الحسرة والندامة . ومن البشائر التي حصلت لنا بعدك انه حصلت لنا حضرة نبوية حاضر عليها محبنا الفقيه عيسى فيأتي ﷺ ويجلس معي ويقول للاخ المذكور شيخك هو المهدي فيقول اني مؤمن بذلك فيقول ﷺ من لم يصدق بمهديته كفر بالله ورسوله

قالها ثلاث مرات ثم يقول له الاخ المذكور يا سيدي يا رسول الله الناس من العلماء يستهزئون بنا والحشية ايضاً من الترك فيقول ﷺ والله والله والله ان قوتي تقينكم ان اشرتم بأدنى قشة تنقضي حاجتكم . ثم يقول الشيخ عبد الله يا سيدي الشيخ الطيب نحن مصدقون بمهدية شيخنا والناس ليسوا مصدقين فيقول الشيخ الطيب ان شيخك حين ولادته عرفته اهل الباطن والحقيقة انه المهدي فلما أتم اربعين يوماً عرفته الجمادات والنباتات بأنه المهدي ثم يقول الشيخ الطيب الطريقة فيها الذل والانكسار وقلة الطعام وقلة الشراب والصبر وزيارة السادات فتلک ستة والمهدية فيها ايضاً ستة الحرب والحزم والعزم والتوكل والاعتماد على الله تعالى واتفاق القول فهذه الالنتا عشرة لم تجتمع لأحد إلا لك ويقول عظم قومك ولا تكن فيهم ثلاث خصال الحسد والكذب وترك الصلاة ومن كان متصفاً بواحدة من هذه الثلاث اتصف بالآخرين . ثم يقول وحين قدومك الى «قدير» ليكن النساء مستورات ولا يتكشفن كالبقارة وحين تكون بين كردوفان وتقلي عظم القوم بأجمعهم فمن كان سائراً الى الله بلا علة فليمش معكم ومن كان سائراً لعله لا يمش معكم ولازم . تصلوا الى الملك آدم بهيئة حسنة مع ترتيب الاذكار فلما تصلوا «قدير» لازم تنفي عن قومك الصفات الثلاث ولا يدخل معكم من كان فيه احد اليهن . ثم يأتي الشيخ التوم ويقرأ عليّ السلام بالمهدية ويقول اجتهد على قومك ان يكون الكبير أباً والصغير ولداً والمساوي أخاً وفي رمضان ادخل خلوة الاربعين فتبين فيها دسائس وغوامض . ثم يأتي جدنا الشيخ البصير ويقرأ عليّ السلام بالمهدية ويتكلم بكلام المفهوم منه انه قال اشد الحزام على سنة النبي العدنان . ثم يأتي الشيخ القرشي فيقرأ عليّ السلام بالمهدية ويتكلم بكلام مفهوم منه انه يقول كن ذاكرًا ولن معك سائرًا فيقول الشيخ عبد الله يا سيدي الناس منكرون في مهديّة شيخنا فيقول ان النبي ﷺ أعلمني قبل مماتي ان شيخك هو المهدي بذاته وكان أعلمني الشيخ الطيب قبل مماته وقال انك تدرك المهدي وتلاقيه وهو شيخك بعينه . ثم يأتي النبي ﷺ ومعه الشيخ عبد القادر الجيلاني

نتائج الشواهد

لابس جبة وعليها سيور فيقول الشيخ عبد الله يا سيدي يا رسول الله الناس منكرون بالجبة ويتعففون عنها أمي سنة واردة أم لا فيقول ﷺ في الإنسان نفسه رقع فرأسه رقعة زرقاء وباطن شفتيه رقعة حمراء وأسنانه رقعة بيضاء وأظفاره رقعة صفراء ويقول ﷺ الرقع أربعة بيضاء وحمراء وزرقاء وصفراء ويقول ﷺ لولا أني خشيت عليك أن يكون مغشياً عليك لأريتك جيب الخلفاء الأربعة ويأمر ﷺ عزرائيل عليه السلام ويقول من هذه الليلة اصحب المهدي لا تفارقه ويقول ﷺ للخضر عليه السلام من هذه الليلة اصحب المهدي وكن في قومه وهذه الليلة المذكورة التي حصلت فيها هذه الحضرة المباركة غرة شعبان ليلة الأربعاء ثم تلى لنا جميع الاحوال الى دخول مكة ومنازعة أهلها ومبايعة الضملاء والقربا أولاً ثم مبايعة الشريف ملك مكة وجميع أشرافها معه الى هذا كفاية والسلام غرة شعبان سنة ١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١ م اهـ .

وتاريخ هذا الكتاب هو تاريخ اشهار دعواه في الكتب وعمره اذ ذاك دون الأربعين سنة . وكان يدعى أولاً بمحمد احمد بتركيب الاسمين ثم قال أمرني سيد الوجود ﷺ بالاقتصار على الجزء الاول أعني محمداً وتغيير اسمي بمحمد المهدي فانه ﷺ قال في بعض حضراته اني كنت أسمى محمداً فلما بلغت الرسالة والنبوة سميت رسول الله وني الله كذلك انت كنت تسمى محمد احمد فلما حصلت لك المهدية يقال لك المهدي وسنطلق هذا الاسم بعد الآن . وقد كان له خواتم يختم بها كتبه وملشوراته وآخرها خاتم منقوش فيه ثلاثة أسطر بيئة مربع هكذا : لا إله إلا الله سطر . محمد رسول الله سطر . محمد المهدي ابن عبد الله سطر سنة ١٣٠٢ هـ .

الفصل الثالث

في

وقائع المهدي في جزيرة أبا

دعوة المهدي الى الخرطوم : هذا وكان محمد شريف قد أبلغ رؤوف باشا حاكم دار السودان بالذي عليه محمد احمد وحذره من عاقبة الاممال ولكن رؤوف باشا حل ذلك على ما بينها من العداء فلم يهتم للامر حتى اشتهر امر المنشورات ووقع بعضها في يده فكتب الى محمد احمد يسأله عما نسب اليه من توزيع تلك المنشورات وقد انتحل له عذراً بقوله : لعل بعض العداء كتب هذه المنشورات ونسبها اليكم فأجابه محمد احمد ان هذه المنشورات هي منه لا من غيره وانه هو المهدي المنتظر وهذه صورة الكتاب بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله الى الحكمدار (بالخرطوم) .

وبعد فعلى مقتضى المكاتبة فالامر المطلوب كشفه ان دعائي الخلق على تقويم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية أمر من سيد الوجود ﷺ

والاعلام بأني المهدي المنتظر من سيد الوجود ﷺ مراراً عديدة مع الهوائف الإلهية وعلامات أخبر بها سيد الوجود ﷺ فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذله الله في الدارين وصدّه بقوته التي يعجز عن معارضتها جميع العالمين وأما المواعظ للمؤمنين فهي مبينة فمن لم يصدق طهره السيف وليكن المعلوم انه أثنى من الحضرتين النبوة وحضرة الاقطاب سيف وأعلت انه لا ينصر عليّ معه احد ومن أثنى بالعداوة يأخذه الله إما بالخسف او بالغرق وذلك إعلام منه ﷺ وكل ذلك لم أعمل فيه بشيء من نفسي ولا لغرضي وإنما هو من الله وإلى الله ومعلوم قوله تعالى : إن تنصروا الله ينصركم .. الآية . وقوله ﷺ : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإلى غير ذلك من الأدلة الظاهرية والباطنية وفي ما ذكرته كفاية يكتفي بها اهل العناية والسلام سنة ١٢٩٨ هـ ١٩٠٨ م .

فجمع رؤوف باشا العلماء وأطلعهم على كتاب محمد احمد ومنشوراته وسألهم رأيهم فيها فالتمس له بعضهم عذراً في انه قد حصل له جذب سماوي من انعكافه على الزهد والعبادة ولكنهم حكوا جميعاً بوجوب القبض عليه وتلافي الامر قبل اتساع الخرق . فتدب رؤوف باشا لهذا الامر احد معاونيه محمد بك ابا السعود (المتقدم ذكره في فتح الاستواء) . وكان اذ ذاك من معاوني الحكمدارية فسار على باخرة الى أبا فوصلها يوم الاحد ١١ رمضان سنة ١٢٩٨ هـ ٧ اغسطس سنة ١٨٨١ م فوجد محمد احمد في النار جالساً وحوله جمهور من تلامذته فسلم عليه وقال ان حكمدار السودان بلغه أمر الدعوى التي قت بها وأرسلني لآتي بك اليه بمدينة الخرطوم وهو وليّ الامر الذي تجب طاعته . فأجابه محمد احمد : أما ما طلبته من الوصول معك الى الخرطوم فهذا مما لا سبيل اليه وأنا وليّ الامر الذي تجب طاعته على جميع الأمة الحمديدية . ثم شرع في تقديم الأدلة على انه المهدي المنتظر فأغلظ له ابو السعود في الجواب وقال له ارجع عن هذه الدعوى فانك لا تطيق حرب الحكومة ولا نرى معك من يقاتلها فأجابه محمد احمد وهو يبتسم : أنا أقاتلكم

تاريخ الشوكران

بهؤلاء وأشار الى أصحابه ثم التفت اليهم وقال : أنتم راضون بالموت في سبيل الله ؟ فقالوا كلهم : نعم راضون بالموت في سبيل الله وبأذن الله وأرواحنا في رضى الله ورسوله ومهديه فالتفت الى ابي السعود وقال له : قد سمعت ما أجابوا به فارجع الى وليّ أمرك في الخرطوم واخبره بما رأيت وسمعت . فلما رأى ابو السعود صدق عزم محمد احمد وأعوانه على نصرة دعواهم وان النصيح لا ينجع فيهم عاد مسرعاً الى الخرطوم وقصّ على رؤوف باشا ما رآه وسمعه .

واقعة أبا في ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨١ م : فجهز رؤوف باشا بلوكين من العساكر جعل على كل بلوك صاغاً ومدفعاً وأرسلهم مع ابي السعود على الباخرة للقبض على محمد احمد وأنصاره . وكان محمد احمد عند ذهاب ابي السعود قد جمع أصحابه وقال لهم : « ايها الناس ان التترك رجعوا لطلب المدد وسيعودون الى حربنا فمن كان منكم خائفاً على اولاده وأمواله فليخرج منا فنحن ساهمون له وبيعتنا التي في أعناقكم ليس عليكم فيها حرج فان سلنا فعودوا الينا وإلا فقد أحرزتم أبناءكم وأموالكم » فقالوا جميعاً بلسان واحد « يا سيدنا نحن بايعناك على الموت ورضينا بذلك ولا نرغب بنفسنا عن نفسك بل نحن معك حيثما توجهت فمر بما شئت فنحن لك سامعون ولأمرك مطيعون يا خليفة رسول الله » فدعا لهم .

ثم أرسل الى القبائل التي حول الجزيرة يستنفرها الى الجهاد فاجتمع عنده ٣٥٠ رجلاً وفيهم تلامذته . ولما كانت ليلة الجمعة الواقع في ١٦ رمضان سنة ١٢٩٨ هـ ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨١ م بلغ محمد احمد ان العساكر حضرت بالباخرة للقبض عليه فأمر رجاله بالاستعداد للحرب وان يكون على كل عشرة منهم مقدم وفي فجر يوم الجمعة المذكور وصلت الباخرة بالعساكر فرست تجاه الحلة وخرج العساكر منها وساروا نحو الحلة على غير انتظام فانه عند وصول اولهم الى قرب الحلة كان آخرهم لم يزل عند الباخرة . قيسل وسبب ذلك انه وقع خلاف بين ضابطي البلوكين فان كلا منها ادعى انه المقدم والرئيس فكان الواحد منها يأمر العساكر بشيء والاخر بنيره فاختلف نظامهم .

وأما محمد احمد فانه لما رآهم مقبلين أخذ سيفه من المسجد وخرج برجاله من الحلة وكمن لهم بين الأشجار في الجهة الشرقية منها فلما رآهم العساكر ابتدروهم بالرصاص فحملوا عليهم حملة رجل واحد فاقتتلوا بهم وأعملوا فيهم السيف والحربة وكان محل الواقعة وحلاً لكونه قريب عهد بنزول المطر عليه فما استطاعت العساكر الفرار ففتك بهم أنصار محمد احمد ولم ينج منه إلا الهاربون المسرعون وقليل ما هم . وقد أصابت محمد احمد رصاصة في كتفه اليمنى فجرح جرحاً بليغاً حتى اختضب جسده بالدم وكان عبد الله التعايشي واقفاً عن يمينه فأخذ ثوباً وطرحه على الجرح لئلا يراه الانصار فيفشلوا . وقد قتل من أنصار محمد احمد ١٢ رجلاً فحملوا الى غاره ودفنوه فيه . أما قتلى العساكر فتركوا في العراء وجمع المهدي سلاحهم ووزعه على أنصاره وكان ابو السعود لم يزل في الباخرة فعاد بها وبمن نجا من العساكر الى الخرطوم . وقد سميت هذه الواقعة « بواقعة أبا » وانتشر خبرها في جميع أنحاء السودان بغلو كثير وعدها البسطاء من الاعاجيب السماوية والكبرامات العظمى التي «خص» محمد احمد بها .

الفصل الرابع

في

وقائع المهدي في جبل قدير

هجرة المهدي الى جبل قدير: وعلم محمد احمد ان الحكومة لا تتفاضى عنه بعد الآن ولا بد لها من تجريد الجيوش للانتقام منه فجمع أصحابه في عشية يوم الواقعة وقال لهم: ان سيد الوجود عليه السلام أمرنا بالهجرة الى جبل ماسه بلصق جبل قدير، ولم يكن بلصق قدير جبل بهذا الاسم ولكنه اختلق هذا الاسم لحجر عظيم بجانب الجبل طبقاً لبعض الأحاديث من ان المهدي المنتظر تكون هجرته الى جبل ماسه كما مر فوافقه أصحابه على ذلك وكان عندما بعض المراكب فاجتازوا بها النيل الى الغرب بما معهم من النساء والأولاد والأمتعة وساروا قاصدين جبل قدير.

مطاردة محمد سعيد باشا للمهدي: أما رؤوف باشا فانه عند رجوع أبي السعود بالباخرة من أبا اهتم للأمر وسير القائمقام علي بك لطفى الى الكوة بخمسمائة رجل من العساكر المنظمة والباشبورق وأرسل تلعرفاً الى محمد سعيد باشا مدير كردوفان فوافاه اليها بألف من العساكر المنظمة وثلاثمائة من الباشبورق وكان من رأي سعيد باشا مطاردة محمد احمد قبل فوات الفرصة ولكن رؤوف

باشا لم يأذن له في ذلك وأمره فأخذ بعض العساكر وذهب بها الى أبا ليتحقق فراغ الجزيرة من المهدي وانصاره ويقف على تفاصيل الواقعة . وقد رأيت في مصر بعض العساكر الذين صحبوا سعيد باشا الى أبا فقال: : ذهبنا الى محل الواقعة فوجدناه مستوحلا وغاصا بشجر الاراك وكان قتلى العساكر لا يزالون في العراء وقد دلت جراحهم على انهم قتلوا بالسيوف والحراب ولكن وجد بعضهم مقتول بالرصاص مما دلّ على اختلال نظام العساكر وقتلهم بعضهم بعضا لأن أنصار المهدي لم يكن معهم سلاح ناري فدفعنا القتلى وجئنا الى غار المهدي الذي هو أشبه بسرداب تحت الارض فوجدنا قتلى الدراويش قد دفنوا فيه بتيابهم . ثم دخلنا منزل محمد احمد فوجدنا فيه عدة كتب من مشايخ الطرق والقبائل جوابا على كتبه لهم وأكثرهم مسلمون بدعواه ويعدون بالقيام معه حين ظهوره إلا الشيخ حمد النيل شيخ العراقيين في أبي حراز والشيخ محمد السقا في الخرطوم والشيخ احمد الكناني في الابيض فانهم في أجوبتهم يسفنون رأيه ويقولون « إن المهدي عند ظهوره يظهر كالشمس فان كنت نائما فاصح ، فأحرق سعيد باشا الحلة وعاد الى الكوة فاستأذن رؤوف باشا ولحق بمحمد احمد حتى وصل محلا يدعى أبا شجيرات ومحمد احمد اذ ذاك قريب منه في جبل الكُمر فنزل مطر غزير حبسها على السير أياما وكان سعيد باشا قد فرغ زاده واستخف أمر محمد احمد ولم يخطر بباله انه سوف يحصره في عاصمته أشهراً ثم يأمره ويقتله بعد ان يريه العذاب ألواناً فقرّر رأيه على الرجوع عنه وعاد الى الابيض في اول القعدة سنة ١٢٩٨ هـ ٢٥ سبتمبر ١٨٨١ م .

واقعة المختار ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ م : واستطرد محمد احمد السير نحو جبل قدير وهو يدعو الناس من عرب وعجم الى طاعته حتى وصل الى جبل الجرادة وهو جبل حصين يسكنه اخلاط من العرب والنوبة السود وعليه ملك يسمى المختار فتصدى للمهدي وحاربه فتغلب المهدي عليه وقتله وعرفت الواقعة « بواقعة المختار » وتاريخها سلخ ذي القعدة سنة ١٢٩٨ هـ ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ م .

سائح الشوكان

وسار المهدي حتى وصل جبل قدير يوم الاثنين في ٧ الحجة سنة ١٢٩٨ هـ ٣١ اكتوبر سنة ١٨٨١ م وكان على ذلك الجبل ملك يسمى ناصراً فقابله بالبشر والسرور وأنزله على الرحب والسعة . وأمر محمد احمد اصحابه فبنوا مسجداً للصلاة ومنازل للسكنى وكانوا في تعب شديد بما لاقوه في الطريق من الامطار والوحول والحن فأصابتهم الحمى وساءت حالهم جداً .

واقعة راشد بك ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ : وبلغ راشد بك مدير فاشودة في ذلك الحين ان المهدي استقر في جبل قدير على خمسة ايام منه فاستأذن رؤوف باشا في مهاجته فلم يأذن له . ثم أتاه غبر من قدير وقال له ان المهدي في ضيق شديد وقد فشت الحمى في اصحابه فصمم راشد بك على مهاجته بلا استئذان وجهر ٤٠٠ من العساكر المنظمة وألفاً من الشك وعليهم ملكهم وزحف بهم قاصداً « قديراً » وقد بذل قصارى الجهد في كتمان سيره بقصد مباغته المهدي الهجوم ولكن رآته امرأة كنانية تدعى رابحة قرب جبل قدير فقامت بسرعة حتى وصلت محمد احمد في الثالث الاخير من ليلة الخميس ١٦ محرم سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ م وأخبرته بمسيره اليه . فجمع محمد احمد اصحابه وكانوا قد بلغوا بعد واقعة أبا ٨٠٠٠ رجل وخرج بهم الى غابة بالقرب من جبل قدير وهي طريق الجبل الوحيدة وهناك صفهم راية راية ووقف بينهم خطيباً فحرضهم على الجهاد ورجبهم في ما أعدّه الله للمجاهدين وصبر حتى دخل راشد بك الغابة برجاله وكان ذلك يوم الجمعة في ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ م عند طلوع الشمس فأمر اصحابه فحملوا على راشد ورجاله حملة رجل واحد قبل ان ينتظموا قلعة فقتلهم باطلاق الرصاص فصبر اصحاب محمد احمد على نارهم ثم هاجمهم بحزم وصدق نية فدخلوا بينهم وقتلهم ثم قتل ولم ينج منهم إلا القليل وقد قتل راشد بك وأسر ١١١ من رجاله وغنم محمد احمد ما كان معه من المال والاسلحة والذخائر والزاد فتقوى بها .

وقد عرفت هذه الواقعة «بواقعة راشد» وانتشر خبرها في أقطار السودان الاربعة وشاع ان المهدي يحارب بسيف القدرة وانه يحول رصاص العساكر

الى ماء فلا تضره بأنصاره وان النار خرجت من حراب الانصار وسيوفهم
فأحرقت أجسام العساكر وروى بعضهم انهم رأوا بأعينهم اسم المهدي مكتوباً
على ورق الشجر وبيض الطيور في البرية . وكان محمد احمد بعد استقراره في
قدير قد أرسل البعث الى كل الجهات فأخذ الناس يفدون اليه من سنار
وكردوفان ودارفور ومن كل فج .

ولاية عبد القادر باشا حلمي ١٢٩٩ : ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ : ١٨٨٣ م

وكالة جيكلر باشا ١٨٨٢ م :

ولما بلغ رؤوف باشا خبر راشد بك راعه الخبر وشرع في تجنيد عساكر
باشبورق من الشايقية والدفاقلة وخاف على فاشودة من المهدي فأرسل اليها قوة
من العساكر بقيادة جيكلر باشا (رئيس مصلحة التلغرافات السودانية) وبعث
في طلب المدد من مصر .

وكانت الحكومة في مصر لم تزل مشغولة بالثورة المراتية ولم يسعها امداد
السودان بالعساكر فرأت ان تبعث اليه بوال مدبر حازم يتمكن من إطفاء
الثورة بما لديه من العساكر فعزلت رؤوف باشا فبرج الخرطوم في أوائل مارس
سنة ١٨٨٢ م وندبت لهذا العمل الهام البطل المدرب والسياسي الحنك عبد
القادر باشا حلمي ولكن دعت الضرورة الى تأخيريه بمصر فبقي فيها الى أوائل
مايو من تلك السنة .

واقعة الشاذلي في ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ م : وفي هذه الأثناء قام بأعباء
الاعمال بالنيابة عنه جيكلر باشا فأرسل الى مصر رسالة برقية يلح فيها على
الحكومة ان تأذن له في تجهيز حملة قوية لسحق المهدي في قدير قبل استفحال
أمره فأذنت له . وقد اتصل بي ان عبد القادر باشا عارض الحكومة في ذلك
وألح على ترك المهدي وشأنه الى ما بعد وصوله الخرطوم فينظر في أمره فلم
يسمع له . فحشد جيكلر جيشاً في الكوة مؤلفاً من ١٣ بلوكاً من العساكر



عبد القادر باشا حلمي

النظامية و ١٥٠٠ رجل من الباشبوزق والخطرية من عساكر الخرطوم وسنار والابيض وعقد لواءه ليوسف باشا الشلاي المتقدم ذكره مع جسي في بحر الغزال وكان على باشبوزق الابيض عبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر من أعيانها وسلطان كنتجارة وسلطان المسبغات وكلهم من الابطال المعدودين .

وفي أواسط مايو سار يوسف باشا الشلاي يبيشه من الكوة قاصداً قديراً عن طريق فاشودة وعلم المهدي بقدمه بمن هاجروا اليه من جزيرة سنار وأرسل طلائفه الى قرب فاشودة فكلوا يمتالون حتى يدخلوا الجيش ويتجسوه فيعودوا اليه بالخبر كل يوم .

وأرسل يوسف باشا كئيباً الى المهدي يدعوه الى التسليم وحقق الدماء فكتب اليه المهدي في الجواب ما ذكره بالحرف الواحد ليظلم منه ما صار اليه محمد احمد من الجرأة والاستخفاف بالحكومة وعساكرها وهذه هي صورة الجواب :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار والصلاة على سيدنا محمد وآله الأخيار من الفقير المعتمد بمولاه محمد المهدي ابن السيد عبدالله الى يوسف حسن الشلاي ومن معه من الجموع .

« أما بعد فانه وصل الينا جوابكم وما ذكرتم فيه من وقوفكم على مكاتبتنا وانكاركم صار معلوماً لدينا وكنا قصدنا ان نضرب عن افادتكم صفحاً ونطوي دون اجابتكم كشحاً لوقوفكم على الانذار ومجاهرتكم بالانكار لكن أردنا ان نبين لكم غلطكم في ما ذكرتموه في جميع المواضع ونوضح لكم خطأكم في ما ادعيتموه بالبراهين السواطع فتقول أما قولكم أنا قتلنا العساكر غدرأ في الوقعتين قبل ان يحاربونا فهذا كذب صريح لأنهم في الوقعتين ابتدأونا بالحاربة والضرب بالسلاح حتى حاربناهم وقتلناهم . وقولكم ان الحكومة أرسلتهم ليقفوا على ما عندنا من الأدلة باطل ضرورة لأن الحكومة لو أرادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا من البراهين لأرسلت للصحاء والعلماء أهل المذاكرة والدراية بهذا الشأن ولم ترسل العساكر الأغبياء وتعطيهم الأسلحة . وقولكم أنا قتلنا جملة من

المسلمين المتوطنين بهذا المكان ظلماً وعدواناً باطل ايضاً لأننا ما قتلنا إلا أهل الجردة بعد ان كذبونا وحاربونا. وقد أخبرنا النبي ﷺ وأخبر جميع أهل الكشف بأن من شك في مهديتنا وأنكر وخالف فهو كافر ودمه هدر وماله غنيمة فحاربناهم لأجل ذلك وقتلناهم وبعد ذلك لما انتقاد باقيهم لحكنا رجعنا لهم جميع أمتعتهم التي بأيدي اصحابنا رفقاء بهم مع انها حلال لنا . وقولكم ان الذين قتلناهم من العسكر مسلمون ومتبعون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ونسأل عن دمائهم بين يدي الله تعالى باطل لأن القطب الدرديري قد نص في باب المحاربة على ان امراء مصر وجميع عساكرهم وأتباعهم محاربون لأخذ أموال المسلمين منهم كرهاً فيجوز قتلهم كما قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا الى آخر الآية . على ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا صريحاً بقتال الترك وأخبرنا بأنهم كفار لمخالفتهم لأمر الرسول باتباعنا وارادتهم لاطفاء نور الله تعالى الذي أراد به اظهار عدله فكيف نسأل عنهم بعد هذا. وايضاً قد شاهد جمع من الاخوان التهاب النار في اعضاء المساكين المقتولين جهاراً تعجلاً لعقوبتهم واظهاراً لحقيقتهم وقولكم انكم ضبطتم أربعة انفار الطليعة وأذيتهم فاعلموا انه قد أودى قبلهم اصحاب الرسول عليه افضل الصلوة والسلام بالسجن والضرب والقتل وجميع أنواع الأذى كجلال وحبيب وأمثالهم فليس لهم إلا الثواب ولا بد ان يحازيكم الله على ما صنعتهم بهم . وقولكم ان الطليعة تنافي المهدية لأن المهدي يعلم الغيب ضرورة جهل منكم بسيرة الرسول فان النبي ﷺ كان يرسل الطلائع كحذيفة اليباني والزبير بن العوام وغيرهم ولم يناف ذلك رسالته فكيف ينافي مهديتنا وقد قال الله لنبيه ﷺ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع إلا ما يوحى اليّ وقوله تعالى انما الغيب لله هو يعلمه لا غيره إلا ان يريد الله اطلاقه في بعض الاحيان لحكمة يعلمها هو . وقولكم ما اتبعنا إلا البقارة الجلاء والجهوس فاعلموا ان اتباع الرسل من قبلنا واتباع نبينا محمد ﷺ الضعفاء والجهلاء والأعراب الذين كانوا

يعبدون الحجر والشجر وأما العلماء والاغنياء وأهل القوة والترف فلم يتبعوهم إلا بعد أن يخربوا ديارهم ويقتلوا أشرفهم ويملكوهم بالقهر قال تعالى حاكياً عن قوم نوح وما نريك اتباعك إلا الذين هم أراذلنا باديء الرأي وقال تعالى وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين . ولما بعث نبينا محمد ﷺ كانت مدافن اليهود والنصارى مشحونة بالأحبار والرهبان والاغنياء والملوك أهل الطغيان وكانوا يتمنون إدراك زمنه ويستعزون به فلما ظهر أنكروا وجحدوا نبوته وقالوا ما اتبعه إلا أجلاف الأعراب عراة الأجساد وجياع الأكباد واستكبروا عن اتباعه وكفروا به مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويعلمون أنه الحق من ربهم ولم ينفعهم علمهم ولا غنام بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بفضب من الله ولم يبق لهم ملكهم الذي منهم عن اتباع الحق إلا أياماً قليلة حتى فرق الله وشتت شملهم وجعلهم غنيمة لضعفاء الأعراب الذين كانوا يستهزئون بهم وكذلك نرجو الله أن تكونوا أنتم ومن ورائكم غنيمة للبقارة الجاهلاء الذين تستهزئون بهم قال تعالى موجاً أهل الكتاب وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم وقال تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وقال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضل الله على علم فثال العلماء والصلحاء الذين أنكروا مهديتنا وخالفونا كأمثال أحبار بني إسرائيل ورهبانهم الذين أضلهم الله على علم . وقولكم قم واحضر عندنا لتتوجه إلى محل الهدى مكة المشرفة فاعلموا أن توجهنا إنما يكون بأمر رسول الله ﷺ في الوقت الذي يريد الله ولسنا تحت امركم بل أنتم ومن فوقكم تحت امرنا وأنا ولي الأمر في هذا الآن على سائر الانس والجان وإن خالفتم امرنا في هذه الأيام فلا بد أن تقموا في قبضتنا وتذوقوا السوء بما صدتم عن سبيل الله ونحن نترصد بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . وقولكم ارسل إلينا ملكاً من الملائكة جهل منكم كما قال تعالى موجاً كفار قريش وقالوا لولا

أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون وقد أخبر تعالى بأنهم لا تنفعهم الآيات ولا يدهم على الإيمان ظهور المعجزات قال جل وعلا ولو أنزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين وقال تعالى ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون فالآيات لا تنفع المنكر الجاحد واطهارها إنما يكون بإرادته تعالى لا بتمني العباد وليس علينا إلا التبليغ والانذار كما قال تعالى وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر وقال تعالى قل إنما الآيات عند الله وما على رسولنا إلا البلاغ المبين فكذلك نحن ليس علينا إلا التبليغ ولا نطلب من الله اظهار آية على مهديتنا بل نقف معه على حد أدبنا وعبوديتنا فان شاء اظهر آية كما ظهر لكثير من المحبين نقش اسمنا على بيض الدجاج وورق الاشجار حتى صار لهم ذلك سبباً في اليقين مع انا لا نطلب من الله ذلك ولم تتشوف الى ما هنالك والى الآن نكون ان شاء الله كذلك . وقولكم لا تغفروا بنوأي ولا اسماعيل الامين جهل منكم بأمرنا لأننا لا نعتد إلا على الله ولا نستنصر غير الله . وقد صرح لنا النبي ﷺ في حضرات كثيرة بأن الله ناظرنا وناظرنا وأقسم على ذلك ثلاثاً واذا كانت نصرتنا بالله فلا نبالي بمدافعكم وعواريجكم وكثرة جيوشكم ولو بلغت عدد الرمل لأنه لن يغلب الله شيء وهو غالب كل شيء قال تعالى ان نصركم الله فلا غالب لكم وقال تعالى لن يضروكم إلا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون وقال تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال موبخاً على أمثالكم السابقين : ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وان الله مع المؤمنين . وقد ذكرتكم انكم كاتبتمونا لأن الخديوي الاعظم قال لكم لا تحاربوه حتى يتعدى الحدود فاعلموا انه ما أجركم عنا الا الخوف الشديد والجزع الذي ليس عليه من مزيد لأننا من حين كنا يمجزة أبا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم فكيف تخاطبونا الآن بمثل هذا القول الذي لا ينشأ الا عن ضعف العقول فسارعوا الى محاربتنا

لتأخذوا مناصبكم التي غرّكم بها الشيطان ولا تجبنوا وتحرصوا وتتخلوا إن كنتم كما زعمتم رجالاً أبطالاً اهل دراية بالحرب فانه ليس بيننا وبينكم الا السيف ولنا محتاجين الى مراجعتكم حتى نرسل لكم العلماء ليذاكروكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والخذر الخذر من المجاورة ثانية فانتا لا نرد لكم جواباً ما دمت منكرين ولو جاوبتمونا طول السنين فليس لكم عندنا الا الرماح الطعان والسيوف السنان . وليكن معلوماً عندكم اني من نسل رسول الله ﷺ فأبي حسني من جهة ابيه وأمي كذلك من جهة امها وأبوها عباسي والعلم لله ان لي نسبة الى الحسين رضي الله عنه وفيما ذكر كفاية لأهل العناية والسلام على من اتبع الهدى . في ٤ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٢ مايو سنة ١٨٨٢ م .

ويوم الاحد الواقع في ١٠ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ مايو سنة ١٨٨٢ م وصل الشلاي يحميه الى جبل الجردة فنزل في سهل بسفح الجبل وبني زريبة مربعة من شوك ووضع العساكر عليها وجعل المدافع في أركانها الاربعة والمؤن والذخائر والدواب في الوسط فعادت طلائع محمد احمد اليه بالخبر . وبعد صلاة المغرب من ليلة الاثنين حادي عشر رجب ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ م خرج محمد احمد من منزله شاهراً سيفه يكبر وقال : أانا الخبر من سيد الوجود ﷺ بأن نوجه الجيش الى حرب الترك واستدعى اصحاب الرايات فجعلهم اربع فرق وعين لكل فرقة جهة من الزريبة يهاجها وكان قد بلغ عدد أنصاره نحو ١٥ ألفاً فساروا وسار وراءهم حتى قربوا من الزريبة فنزلوا هناك الى ان لاح فجر الاثنين فصلى محمد احمد بهم الصبح ثم حرضهم على الجهاد وقال : اذا رأيتم العدو فكبروا ثلاثاً وقولوا اللهم انت ربنا وربهم نواصينا ونواصيهم بيدك وانما تضلّهم انت قولوها ثلاثاً ثم أمرهم بالحملة على الزريبة . وكانت العساكر تشتغل ببناء الزريبة وتحصينها الليل كله فناموا عند الفجر وفيما هم كذلك حمل عليهم أنصار المهدي بعزم وصدق نية ما بين مهمل ومكبر وصارخ فشعر الحفراء بهم وأيقظوا العساكر فأطلقوا المدافع والبنادق ولكن

ما كادوا يلتزمون في أماكنهم حتى دخل الانصار عليهم في الزريبة وتلبعهم قتلاً حتى أخرجوهم منها فاقتفوا ارمم يقتلونهم في كل جهة ولم ينجُ الا القليل الذاهب في بطون الأودية والاحتبىء تحت الاشجار فاتخذوا الطريق الى فاشودة. وقتل يوسف باشا الشلاي وعبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر وطاهما الشايقي بعد ان حاربوا حرب الابطال وقتلوا بسيفهم عدداً كبيراً من أنصار المهدي وكان قتل الانصار نحو ٢٠٠ رجل فيهم حامد اخو المهدي فدفنوا بأمر المهدي كما هم ثم جمعت الغنائم فكانت شيئاً كثيراً من النقود والازواد والملبوسات والدواب والذخائر والأسلحة فعزل المهدي الخمس منها لنفسه ووزع الباقي على الانصار ففرحوا به جداً وتيسر امرهم بعد ان كانوا في ضيق شديد. وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة الشلاي .

وهذا النصر المتتابع الذي ناله محمد احمد على عساكر الحكومة أدهش عالم السودان كافة وحطّ من كرامة الحكومة في أعينهم بقدر ما رفع من كرامة محمد احمد . فلقد كان للحكومة قبل الآن سطوة عجيبة في البلاد حتى كان جنديها الواحد يرهب رهطاً من الأهلين وقد مرّ عليها ستون سنة ونيف لم تظهر في خلالها بغير مظهر القوة والبطش فأقمت كل ثورة ونكلت بمن ثارها تنكيلاً شديداً . والآن قام فقيه خامل الذكر وضيع الشأن بنفر معدود من المستضعفين الجياع فتقلب على سراياها القوية المرة بعد المرة وما زال يتهددها ويستعد لثاوتها فلم يبقَ للعامة ريب في ان هذا الفقيه هو المهدي المنتظر وان نصره من الله فهاجروا اليه من كل فج . وقد انحاز اليه على الأخص: أهل البادية لأنهم ميسالون بالفطرة الى الحرب والسلب فرأوا عنده ما يوافق ميلهم خصوصاً وانه رفع عنهم الضرائب التي كانوا يثنون منها كما بيتنا قبل . وتجار الرقيق لأنهم رأوا الوازع قد ذهب واطلقت لهم الحرية في البيع والشراء . وقطاع الطرق واللصوص لأنهم وجدوا به ملجأ من العقاب . والعلماء والفقهاء لأن القائم هو واحد منهم وقد قام ليحررهم من المصريين ويحلمهم حكماً في مكانهم . وهكذا اتفقت الأحزاب على نصره وكثرت الوفود عليه حتى بلغ

عدد انصاره في تقدير نحو ٢٠ ألفاً فضلاً عن الذين آتوا وبايعوه وعادوا الى نصرته في بلادهم .

بيعة المهدي : اما المبايعة التي كان الناس يبايعونه بها فهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك به احداً ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي بهتاناً ولا نعصيك في معروف بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى أن لا نفر من الجهاد .

وكانت هذه المبايعة على وجهين الاول باليد وهي ان يضع المبايع يده في يد المهدي جاعلاً ايماهم على ايماهم ثم يقرأ المهدي صورة المبايعة فيصيدها المبايع بعده . وان كانوا اكثر من واحد الى العشرين وضع واحد منهم يده في يد المهدي وألقى الباقيون أيديهم فوق يديها . والوجه الثاني المبايعة باللسان وذلك متى زاد المبايعون على العشرين فيرقى المهدي الى منبر او يركب جملاً ويقف الناس امامه ويبايعونه .

لباس المهدي : وكان يلبس جبة مرقعة فوق سراويل من الدمور ويتمنطق بمنطقة من خوص وعلى رأسه طاقية مكيّة يلف عليها عمامة كبيرة بيضاء مفلّجة كعمامة اهل الحجاز ويسدل لها عذبة على كتفه اليسرى طولها نحو نصف متر ويضع عنقه سبعة وفي رجله حذاء او نعلين . وهو لباس الدراويش المعتاد في السودان الذي فرضه على جميع اصحابه فعرفوا عند رجال الحكومة بالدراويش كما عرفوا ايضاً بالأشقياء . اما المهدي فقد اطلق عليهم اسم الانصار والاصحاب والاحباب في الله .

حكومة المهدي : وقد تشبه محمد احمد بالنبي في جميع أعماله وجعل جل غايته اعادة الاسلام الى ما كان عليه في اول امره في زمن النبي فنظم حكومته على ما تقتضيه هذه الغاية في الجند والمال والقضاء .

اما في « الجند » فانه قبل خروجه من أبا عين خلفاءه فجعلهم اربعة اعداد الخلفاء الراشدين يتولون الامر بعده الواحد بعد الآخر اولهم عبدالله التعايشي خليفة ابي بكر الصديق والثاني علي ود حلو من عرب دغيم خليفة الامام عمر الفاروق والرابع محمد شريف ابن عمه خليفة الامام علي الكرار واما الكرسي الثالث ابي خليفة الامام عثمان فقد خص به محمد السنوسي فرفضه كما مر فبقي فارغاً. وقسم جيشه الى ثلاثة اقسام فعقد لكل خليفة على قومه وجعل له راية خاصة فعقد للخليفة محمد شريف على انصار السودان الاوسط وم انصار دنقلة وبربر والخرطوم وسنار وضم اليهم الجلابية واولاد النيل وخصه بالراية الحمراء وعقد للخليفة علي ود حلو على عرب دغيم وكنانة وخصه بالراية الخضراء وعقد للخليفة عبد الله على جميع قبائل السودان الغربي كالتعايشة والزيقات والحمر وضم اليهم الجهادية واولاد الريف وخصه بالراية السوداء التي عرفت عندهم بالراية الزرقاء وكان من عزمه ان يخص السنوسي بالراية الصفراء ليجمع بذلك رايات الاقطاب الاربعة المار ذكرها في الكلام عن الصوفية . وقد ميز الخليفة عبد الله بالامباية التي يبوثق بها لجمع الجيش كله وجعله رئيساً عاماً على الادارة والجند وقدمه على الخليفين الآخرين لأنه كان أقوى منها في الجند وأقدر على الادارة والتعلق لا سيما وانه هو الذي قواه على دعواه كما علمت .

وكان لكل خليفة وكيل على رايته ودونه أمراء ومقاديم ولكل امير راية خاصة غير راية الخليفة . ومما كان يكتب على الرايات :

« بسم الله الرحمن الرحيم سطر ، لا إله الا الله محمد رسول الله سطر ، محمد المهدي خليفة رسول الله سطر ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاکرام سطر . او يا الله يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم سطر ، يا ذا الجلال والاکرام سطر ، لا إله الا الله محمد رسول الله سطر ، محمد المهدي خليفة رسول الله سطر . وكان لكل خليفة طبل كبير يعزف بالنقارة او النحاس يضرب عند ارادة جمعهم للعرضة او للحرب .

تأريخ الثورة

وكان المهدي يستعرض جيوشه في كل يوم جمعة فيجعلهم صفاً واحداً متجهين نحو القبلة كوقوفهم للصلاة أو لهم الراية الزرقاء ثم الى يسارها الراية الخضراء ثم الراية الحمراء ويمر عليهم راكباً جواداً او هجيناً من اول الصف الى آخره . وكان هذا دأبه الى يوم وفاته .

واما في « المال » فقد أنشأ له ادارة سماها بيت المال وحفظ فيه اموال الجند والمشور والزكاة والغنائم والغرامات وعهد به الى صديق له يسمى احمد ود سليمان من أهالي المحس وهو من أعز انصاره الأول . وأنشأ فرعاً في بيت المال سماه بيت مال المحس جعل فيه ما خصه من الغنائم .

واما في « القضاء » فقد اسند منصبه الى الشيخ احمد ود جبارة من علماء الازهر الذين صحبوه من جزيرة أبا ولقبه بقاضي الاسلام وجعل دونه قضاة ونواباً كثيرين . اما القضاء فللحكم في المسائل الشرعية الاهلية واما النواب فللحكم في الغنائم والحقوق المتعلقة ببيت المال .

ولترك الآن محمد احمد في قدير يستعد للمستقبل ويبث دعائه في الجهات ولننظر فيما كان من الثورة في جهات السودان .

الفصل الخامس

في

وقائع الثورة في جزيرة سنار

سنة ٢ - ١٨٨٣ م

حركة عامر المكاشف : تقدم ان مشايخ السودان وفقهاء لما سمعوا بنصرات محمد احمد على سرايا الحكومة أخذوا يهاجرون اليه من كل الجهات لتحقيق دعوتوه ومبايعته . وكان اول من هاجر اليه من جزيرة سنار الشيخ احمد المكاشف من كبار فقهاء الكواهلة وكانت الحكومة قد اصدرت منشوراً الى جميع الجهات تحذر الناس من اتباع محمد احمد والمهاجرة اليه وهددت من يخالف الامر « بتصدير » ماله ومعاقبة اهله في غيابه . فلما علمت حكومة سنار بمهاجرة الشيخ احمد المكاشف الى المهدي ألقت القبض على اخيه عامر وزجته في السجن وحملته ما لا يطيق قيل فاقتدى نفسه ببال وخرج من سنار وفي النفس حزازات وأتى عرب رفاعة الهوي في غابة الكبوش جنوبي سنار وكان هؤلاء العربان قد تأخروا عن دفع الضرائب والحكومة مشددة عليهم في تاديتها فنادى عامر المكاشف بهم باسم المهدي فلبوا ندائه واجتمع عليه نحو ٣٠٠٠ رجل منهم فزحف بهم على سنار وكان المدير عليها اذ ذاك حين بك

شكري (حسين باشا الآن) ومعه ١٥٠ جندياً ومدفع واحد ولم يكن للمدينة سور يساعدها على الحصار فجنّد نحو ٢٠٠ رجل من المتطوعة وضمهم الى عساكره وخرج بهم ومعه المدفع لطرد المكاشف فلما بدأ القتال أطلق الطويحية المدفع مرتين وفي الثالثة ادخلوا القنبلة فيه قبل الخرطوش فتعطّل فانقض العرب على العساكر كالنور واختلطوا بهم وأعملوا فيهم السيف والحربة فقتلهم شر قتلة وألقوا المدفع في النيل وكان عليه الصاري محمد اغا النمر تلّب من الباشبوزق الاتراك فقاتل قتال الأبطال حتى قتل بجانبه . ورجع المدير بمن بقي من رجاله الى سنار فنزلوا في الذهبيات والمراكب ودخل عامر المكاشف المدينة وقصد الخزانة في ديوان المديرية وكانت عليها ١٢ رجلاً من السود مع الملازم علي افندي توفيق المصري يحرسونها فدافعوا عنها حتى قتلوا عن آخرهم واستولى العرب على الخزانة وكان الملازم قد صوّب رصاصة على عامر المكاشف فأصابت فخذه فتشامم العرب من ذلك فوضعوا الحراس على الخزانة وعادوا بعامر الى غابة الكبوش فعاد المدير الى المدينة بمن معه من العساكر والتجار وقتلوا حراس العرب واسترجعوا الخزانة ثم دخلوا قشلاق العساكر على النيل وتحصنوا به وقد جرى ذلك كله يوم الخميس في ٦ ابريل سنة ١٨٨٢ م .

فلما كان السبت اي ثالث يوم الواقعة تمائل عامر المكاشف من جرحه وعاد فهاجم القشلاق بأنصاره فلم يقوَ عليه فدخل الشونة شمالي المدينة وأخذ ما كان فيها من السمن والملح والفلال والدمور وهرشيء كثير وحصر المدينة وقطع خط التلغراف بينها وبين الخرطوم . وكان المدير قبل قطع خط التلغراف قد تمكن من مخاطبة جيكلر باشا بحال سنار فأرسل جيكلر امراً الى صالح الملك بالكوة فأثاها ورفع الحصار عنها بعد كفاح شديد واستخرج المدفع من النيل وأعاد خط التلغراف بين سنار والخرطوم وذلك في صباح يوم الخميس في ١٣ ابريل . واما عامر المكاشف فانه فرّ بمن بقي من أنصاره الى بركة

تبقو وهي منهل مشهور في بطن الجزيرة وأقام فيها الى ان طرد منها بالقوة كما سيجيء .

حركة الشريف احمد طاهما : وكان في جملة الذين استنفرهم محمد احمد فلبوا دعوته ورفعوا رايته الشريف احمد ود طاهما من مشايخ الطريقة السمانية شرقي النيل الازرق بين أبي حراز ورفاعة فاجتمع حوله خلق كثير من البطاحين والشكرية والجمعيلين والدناقلة وغيرهم من سكان تلك الجهة . وكان جيكلر باشا بعد ان ارسل امره الى صالح الملك لنجدة سنار خرج بنفسه من الخرطوم بمئتي نفر من الباشبوزق وطلب من القلابات ان ترسل نجدة لتوافيه الى أبي حراز فلما وصل قرب حلة الشريف المذكور بلغه امر قيامه بنصرة المهدي فأرسل عليه الملك يوسف من سناجق الشايقية ومعه مئة رجل من نظامية وباشبوزق فأحاط الشريف ورجاله بهم فقتلهم شر قتلة ولما رأى الملك يوسف ما حلّ برجاله افترش فروته فقتل عليها وذلك في اواخر ابريل .

ونجا بعض العساكر الى جيكلر فأخبروه بما كان فأقنع الى أبي حراز وانتظر حتى أتته النجدة من القلابات وهي اورطة بن السود عليهم البكبائي سرور أفندي بهجت قومنداناً و ٢٠٠ فارس من الشايقية فأرسل منها ٧٠٠ نفر من نظامية وباشبوزق ومدفعاً واحداً بقيادة سرور أفندي لقتال الشريف فالتقاهم في الطريق وهزمهم شر هزيمة وغنم المدفع وكان ذلك يوم الخميس في ٤ مايو سنة ١٨٨٢ م .

فأرسل جيكلر اذ ذاك خبراً الى عوض الكريم بك ابي سن شيخ مشايخ الشكرية فحضر يجيش كبير من عربانه وكتب الى الشريف يقول « اني أنصح لك ان تكف عن العداء وتحضر مسلماً فيمضى عنك وإلا فانج بنفسك واحقن دمك لأنك شريف ولا نريد قتلك فاذا لم تفعل هذا ولا ذاك فلا تلم إلا نفسك » فأجابه الشريف « دع عنك النصيح فاني أوقدت ناراً وأريد ان أتدفا بها » . فلما طلع فجر السبت في ٦ مايو جهز جيكلر جميع من عنده من العساكر وأرسلهم لقتال الشريف وسير الشكرية وراهم فنأدى شيخ الشكرية بالعساكر

قائلاً : « ان من ولّى ظهره خوفاً من الموت امامه لقيه مني وراه » فساروا كلهم على عزم الموت او النصر حتى أتوا حلة الشريف فحمل عليهم بأنصاره حلة رجل واحد فتلقتهم العساكر بالرصاص وكان الشريف راكباً جواداً وقد احتاطه نفر من انصاره فأجلام الرصاص عنه ثلاث مرات حتى تراكمت القتلى حوله كالرّبي ثم سقط هو فوقهم وخذل انصاره فتبعتهم الفرسان ومزقوهم كل ممزق وحرقوا حلة الشريف بالنار وحلوا جثته على جبل وأتوا بها إلى أبي حراز فقطع جيكر رأسه وعلقه على عود وأرسله إلى الخرطوم فعلق فيها أياماً.

وصول عبد القادر باشا إلى الخرطوم في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م

تحصين الخرطوم : وفي ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م وصل عبد القادر باشا إلى الخرطوم فوجد الميرالي حسن بك خلي معسكراً في ظاهر المدينة ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع جبلية وليس حولهم متاريس ولا حصون ولا شيء من معدات الدفاع . ووجد أهل الخرطوم في غاية الخوف والجزع لقلة الجنود وخلو المدينة من كل تحصين مع وجود كثير من أنصار المهدي حول المدينة متحفزين للوثبة عليها عند سماعهم الفرصة فشرع في تحصينها وتجهيزها بالعساكر فأنشأ ثلاثة أروط من السود وغيرهم وبأشر تربيهم على الحركات العسكرية بنفسه واستدعى ست أروط من الجنود المنظمة من السودان الشرقي وخندق على المدينة فسد الخندق من النيل الأزرق إلى النيل الأبيض وجعل عليه الأبراج ووضع على الأبراج المدافع والخراش فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الأمن في الخرطوم وما حولها .

واقعة محمد زين ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ م : واتفق أنه حين وصول جيكر إلى سنار قام في أبي شوكة فقيه من التكارنة يقال له محمد زين وفادى باسم المهدي فالتفت حوله جموع كثيرة من عريان رفاعة الهوى وأخذ يستعد للزحف على سنار فمقّد جيكر للسر سوارى علي أغا كاشف على نحو ألف نفر من

العساكر المنظمة والباشبوزق وأرسله الى ابي شوكة فقتل محمد زين وشتت شمله وعاد برأسه الى سنار .

واقعة تيقو ٤ يونيو ١٨٨٢ م : وعاد جيكر الى الخرطوم فوجد عبد القادر باشا مشغلاً بتحسين المدينة فأخبره ان عامر المكاشف لم يزل مقيماً على المدا في بركة تيقو فأمر صالح بك الملك فأخذ اورطة من العساكر المنظمة وسنجقين من الباشبوزق من سنار وسار الى تيقو فأوقع في رجال عامر موقعة شديدة واضطره الى الانهزام ففر الى المهدي في قدير وعاد صالح بك بالغنائم والأسرى الى سنار وكان بين الأسرى جماعة من اقارب عامر المكاشف فرفع صالح بك امرهم الى عبد القادر باشا فأمر بشنقهم فشنقوا في سوق سنار .

واتضح لعبد القادر باشا حيلثد خيانة بعض كتاب سنار ومعاونيها وتواطئهم على الثورة مع عامر المكاشف فعزل جميع الكتاب والمعاونين وأرسل بدلاً منهم قطعاً جديداً من الخرطوم واستدعى الخواسة وبينهم الزبير ود ضوه صاحب تاريخ سنار المار ذكره ففرقهم في النيل الابيض .

هذا وكان قد وقع خلاف بين حسين بك شكري المدير وبين وكيله محمد افندي جودت فعزلاً فأرسل عبد القادر باشا موسى بك شوقي مديراً على سنار وجعل احمد بك مكوار من كبار تجار سنار وكيلاً له . ثم لم يلبث ان حصل بينها منافسة ورفق الامر الى عبد القادر باشا فعزل موسى بك وسمى بساطي بك مديراً على سنار مكانه وأرسل اليه خليل افندي فؤاد يوز باشي اركان حرب فساعدته على تحصين المدينة فأحاطها بسور منيع جعل فيه المزاغل (الكوى) وحفر حوله خندقاً بعمق ٣ امتار وعرض مترين وجعل وراءه زرباً متيناً من شوك ووضع العساكر على السور واستعد لكل طارئ مفاجيء .

الشيخ المضوي : ثم لم تكد تخمد نار الثورة في جزيرة سنار بطرد عامر المكاشف من تيقو حتى كانت واقعة الشلاي وبث المهدي دعائه في الشرق والغرب لمبايعة الناس له وحشهم على القيام بنصرة الدين وقتال الحاميات العسكرية



الشيخ المضيوي عبد الرحمن

كما مرّ . وكان في جملة الدعاة الذين أرسلهم الى جزيرة سنار الشيخ المضيوي عبد الرحمن من ذرية الشيخ ادريس ودالارباب المار ذكره في تاريخ سنار وهو من تلامذة الازهر النابغين وقد قادته التقادير الى مصر سنة ١٨٩٠ م فحدثني عن خبره مع المهدي في ذلك الحين قال : اني بعد ان أتممت دروسي في الازهر ذهبت الى بلاد كركوج في أعالي النيل الازرق فأقمت فيها حلقة للتدريس واشتغلت بالزراعة فلما ظهر محمد احمد بدعواه لم أحفل به ولكن لم يلبث ان انتصر على ابي السعود في جزيرة أبا ثم على راشد بك في جبل قدير وكثرت أقوال الناس بمجائبه وكراماته فاهتممت اذ ذاك بأمره وهاجرت اليه في جبل قدير لمشاهدته والوقوف على حقيقة حاله فوجدت عنده جموعاً كثيرة ينفون على ١٥ ألف مقاتل من اخلاط الناس بينهم عدد كبير من العلماء ورجال الدين الذين جاؤوه من شرق البلاد وغربها بالقصد الذي جئت لأجله ووجدت العلماء معه فريقين فريقاً يعتقد او تظاهر بالاعتقاد بأنه المهدي المنتظر لا ريب فيه وجميع العامة من رأي هؤلاء وفريقاً قالوا انه ساحر وانه انما فاز بالحرب بسحره لا بمهديته وأما انا فقد رأيت منه اموراً حملتني على الارتباب بأمره : فاولاً اني رأيت يور اقاربه وأخصائه بالفنيمة على بقية جيشه ولا يقسم بينهم بالتساوي كما يطلب الشرع . وثانياً اني رأيت بعض أنصاره نزولاً على تجار سائرين في تجارتهم فقتلهم وأخذوا اموالهم ووزعوها بينهم ولم ينكر عليهم ذلك ولا قاصمهم . وثالثاً اني رأيت يقول ان من أنكر مهديتي فقد كفر مع ان اركان الايمان في الاسلام التي اذ انكر الانسان ركناً منها يعد كافراً هي ستة (وقد مرّ ذكرها) والايمان بالمهدي ليس منها . ورابعاً اني لم أبر فيه شيئاً من العلامات الاجمالية التي أهرقها عن المهدي . ولكنني أردت التخلص منه فأظهرت له الاعتقاد التام بمهديته واستأذنته في العودة الى أهلي لأحرصهم على اتباعه والجهاد في سبيل الله فأجابني الى ذلك وجعلني عاملاً عاماً على جزيرة سنار وأصبحني أميرين من اهل الجزيرة ليساعداني على الجهاد وهما : «ود الصليحي» من الفقهاء المعتقدين عند عربان رفاعة الهوي «وود بروجوب»

من فقهاء اللحيين فودعته وسرت في طريق سنار ومعني الاميران المذكوران وبعض الاصحاب . وفي الطريق سألني الاميران عن رأيي في المهدي فصرحت لهم برأيي فيه وقلت الأولى بنا ان نتثبت في مثل هذه الأمور التي تلتبس على الناس فإن كان هذا الرجل هو المهدي المنتظر كما يزعم فلا بد ان يظهر ولو قاومته الانس والجن وعند ذلك تتبعه على بصيرة وإن كان كاذباً في زعمه سلمنا من شر الحروب والفتن فالرأي الآن ان نتفرق الى أوطاننا حتى نرى ما سيكون من امره . وسرنا حتى وصلنا الجبلين على النيل الأبيض فوجدنا عربان رفاة الهوي مجتمعين عنده الوفاً متلهفين لسماع اخبار المهدي وقد أقبلوا علينا يقبلون أيدينا وأرجلنا ويتمسحون بنا تبركاً لأننا من اصحاب المهدي فلما رأى اصحابي من العرب هذه المظاهر العظيمة قالوا : لا شك ان محمد احمد هو المهدي وهذا نور المهدي قد ضاء في قلوب الناس وعقدوا مجلساً في ذلك الليل أجمعوا فيه على ان يقبضوا عليّ وينعوني السفر الى اهلي فأتى صاحب لي كان حاضراً المجلس وأخبرني بالذي نوا عليه فلما اصبحت ذهبت اليهم فرأيتهم متغيرين فقلت ما بالكم قد تغيرتم من نحوي ألا تعلمون ان الكلام الذي كلمتكم به امس بشأن المهدي عليه السلام انما اقصد فيه اختباركم وسبر غوركم وأتيقن صدق عقيدتكم لأن الامر الذي نحن بصددده امر عظيم لا يقدم عليه الا كل رجل حبل العقيدة ثابت العزم قوي الجنان فسرتي عنهم ما كان من قبلي وسمحو لي بالسفر على وعد ان آخذ عائلتي من كركوج وأرجع اليهم فأخذت عائلتي من كركوج وذهبت الى اهلي قرب الخرطوم فدعاني عبد القادر باشا وسألني عن المهدي فأخبرته بالواقع وبقيت الى ان كانت واقعة شيكان وانتصر المهدي على هكس باشا فقامت الارض وقعدت فلم يسمي اذ ذاك الا القيام بنصرة محمد احمد فكنت من جملة الذين حصروا الخرطوم ، اه .

ود الصليحياتي وواقعة الجبلين : هذا ما كان من المضوي : اما ود الصليحياتي فانه رفع راية المهدي وضم تحتها عربان رفاة الهوي وتبعه ود

تاريخ الشوكة

برجوب فشق على محمد مالك ابي روف شيخ عربان رفاعه الهوي انحياز قسم كبير من عربانه الى ود الصليحي وخروجهم عن طاعته فأبلغ الخبر عبدالقادر باشا في الخرطوم فجمع في الكوة جيشاً من عساكر الدويم وسار فيه ١٠٠٠ من العساكر المنظمة و ٨٠٠ من الباشبوزق و ٤٠٠ من عربان رفاعه الهوي ومعهم شيخهم محمد ابو روف وعقد لواءه للسعيد بك حسين الجميعي المار ذكره في تاريخ سليمان الزبير. فسار بالجيش في البر والبحر حتى أتى الجبلين فأنزّل العساكر الى البر ونظم الجيش « مربعاً » جاعلاً عربان محمد مالك ابي روف ضلعاً من اضلاعه فتلقاهم ود الصليحي بجموعه وانتشب القتال فثقلت نيران المربع على عربان ود الصليحي وكثر القتل فيهم فداروا حتى قابلوا ضلع مالك ابي روف فوجدوا رصاصة خفيفة فدخلوا المربع من جهته وقيل ان مالكا ابا روف فتح لهم الطريق عمداً لأنه رأى كثرة القتلى فيهم وهم عربانه فشفق عليهم فاختلفوا بالعساكر وفتكوا بهم حتى لم يبق منهم سوى ٥٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق فقادهم السعيد بك الى الواور وعاد بهم الى مركزه في الدويم فتحصن فيه وعاد أبو روف برجاله الى سار . وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة الجبلين وكان تاريخها اواخر شعبان سنة ١٢٩٩ هـ أو اسط يوليو سنة ١٨٨٢ م .

ود برجوب : أما عربان رفاعه الهوي فانهم نفروا من ود الصليحي لاخذالهم في بادية الأمر على يده فانحازوا الى ود برجوب وبقوا في الجبلين الى ان جاءتهم الطامة الكبرى من جيش مكس على ما سيجيء .

احمد المكاشف وسقوط شات : هذا وكان في جملة الدعاة الذين بشهم المهدي بعد واقعة الشلال لمناواة الحكومة في جزيرة سار الشيخ احمد المكاشف اخو عامر السار ذكره فجمع العربان في الطريق ونزل على شات في ٨ اوغسطس سنة ١٨٨٢ وكان فيها ٢٠٠ رجل من الباشبوزق عليهم السر سوارى مدني ود شنبول فقتلهم عن آخرهم وغنم أسلحتهم وذخائرهم .

تاريخ السيوكان

واقعة الدويم الاولى : ونزل في وجهه على الدويم وكان السعيد بك لم يزل فيها وقد جمع الى الخمماية رجل الذين سلموا من واقعة الجبلين ٥٠٠ من الجعافرة المتطوعة وسلحهم بالاسلحة النارية وتحصن في طابيته فقتلوا احمد المكاشف بنيران المدافع والبنادق وردّه على الاعقاب بعد ان قتل من جيشه ما زاد عن الالف وكان ذلك في ٢٨ اوغسطس سنة ١٨٨٢ م .

عبد الباسط وواقعة الدويم الثانية : فلما رأى عربان الدويم انخذلهم مع احمد المكاشف هجروه . فاجتاز النيل الابيض وذهب الى سنار فألقى عليها الحصار كما سيجيء . وولّى عليهم المهدي رجلاً منهم يسمى عبد الباسط الجمري من مشايخ الطريقة السمانية وأمره بحصر الدويم ولما طال الحصار بعث عبد النادر باشا يمحكر من الخرطوم فأخذ عساكر الدويم وهاجم العربان في ديمهم فقتل منهم خلقاً كثيراً وشتمهم كل شتم وأخذ عبد الباسط اسيراً فأتى به الى عبد القادر باشا في الخرطوم فشقه وكانت هذه الواقعة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٢ م .

فضل الله ود كريف ، وواقعة ام سنيطرة : وفي هذه الاثناء ظهر في غربي الجزيرة فقيه يدعى فضل الله ود كريف فرفع راية المهدي وشهر العصيان وقطع خط التلغراف بين الكوة والمسلمية فأرسل عبد القادر باشا امراً الى البكباشي حسن عثمان الكريتي فخرج من الكوة بخمماية رجل من جهادية وباشبوزق لقتال ود كريف فالتقاه في ام سنيطرة على يوم ونصف يوم من الكوة . فما انتشب القتال حتى دخل عرب ود كريف في عساكره وأعملوا فيهم السيف والحربة فقتلوا نصفهم وهزموا الباقى الى الكوة وذلك في اواسط ديسمبر سنة ١٨٨٢ م .

احمد المكاشف وحصار سنار : ثم ان احمد المكاشف بعد انهزامه من الدويم ودخوله الجزيرة هتج العربان فالتفت حوله جموع كثيرة فنزل بهم في حلة الحجاج مسيرة ست ساعات من سنار وأخذ يستعد للزحف على سنار فلما

تاريخ السيوف

علم به بساطي بك ارسل الصاغ حسن افندي حسني بخمسمائة من العساكر المنظمة فهاجمه في مركزه فتغلب المكاشف عليه وقتله وقتل مئة رجل من عسكره وتقدم بنحو ١٠ آلاف مقاتل لمهاجمة سنار ثم احجم عنها لمناعتها فنزل في مشرع الداعي على نحو ٢٠ ميلاً شمالي سنار وألقى عليها الحصار وقطع خط التلغراف وطريق البوسطة بينها وبين الخرطوم .

واقعة معتوق : فلما رأى عبد القادر باشا اشتداد الخطب في الجزيرة عزم على مباشرة القتال بنفسه فخرج من الخرطوم في ٢ يناير سنة ١٨٨٢ م وأتى عبود عن طريق المسلية فجمع اليها نحو ١٦٠٠ من العساكر المنظمة و ١٠٠٠ من الباشبوزق وتقدم الى ود كريف فالتقاء عند غابة قرب معتوق فأوقع فيه واقعة شديدة وهزمه ففر الى حيث ألقى .

واقعة الداعي في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣ : ثم اخذ يستعد لسحق احمد المكاشف فجاء بجيشه الى الكوة فوجد فيها البكبائني حسن افندي عثمان السالف الذكر ومعه ٧٠٠ من العساكر السود و ٤٠٠ من الباشبوزق فضمهم الى جيشه وارسل الجميع بقيادة سليم بك عوني بطريق الجزيرة الى ود مدني ونزل في الواور الى الخرطوم فأتهم الثوون التي كانت تلتظره فيها ثم ركب النيل الأزرق الى ود مدني وقاد العساكر قاصداً احمد المكاشف في مشرع الداعي . فلما علم المكاشف بقدمه وضع النساء والاولاد الذين في ديمه على بُعد مرمى الرصاص تجاه سنار وفي أيديهم البيارق ليوم اهل سنار انه قادم لحربهم فيشفلهم بأنفسهم عن نصر عبد القادر ثم اخذ انصاره وخرج الى ظاهر المشرع فلتقاء عبد القادر بنار حامية فصبر على ثاره ٣ ساعات متوالية حتى قتل من جيشه الف رجل ونيف فانهزم الى جنبي سقدي ومويه وقد أصابت عبد القادر رصاصة في جنبه فحطمت ساعته تحطيماً ولكنها لم تضر به وجرح من عسكره ٢٧ رجلاً ولم يقتل احد . وعرفت هذه الواقعة بواقعة الداعي وتاريخها يوم السبت في ١٦ ربيع آخر سنة ١٣٠٠ هـ ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣ م .

ودخل عبد القادر باشا سنار يوم الاثنين فعمد لصالح بك الملك على جميع الباشبوزق الشايقية والأتراك وكانوا ينيفون على ١٢٠٠ رجل وأمره بمطاردة احمد المكاشف فقصده الى جبلي سقدي ومويه وأوقع فيه في ٢ مارس سنة ١٨٨٣ م وهزمه شر هزيمة بعد ان قتل نحو ٦٠٠ من انصاره وفي جملتهم اخوه وصهره فقطع رأسها وأتى بها الى عبد القادر في سنار . اما احمد المكاشف فانه فرّ الى ود بزجوب في الجبلين . واما اخوه عامر فانه بعد وصوله الى المهدي في قدير أمره بالانضمام الى اخيه احمد الذي كان قد ترك قديراً فجاء يبحث عنه فالتقى به في سقدي ومويه بعد انهزامه من مشرع الداعي فانهمز معه الى الجبلين .

الحاج احمد عبد الغفار وواقعة التبنة: هذا وكان قد سحب احمد المكاشف من عند المهدي الحاج احمد عبدالغفار من عرب كنانة القاطن في جوار كركوج فتركه في مشرع الداعي محاصراً سنار وأتى الى بلاده وأخذ يحشد الجيوش لحصر كركوج فلما عاد صالح الملك من مطاردة المكاشف اخذ عبد القادر باشا الجيش وزحف على عبدالغفار فالتقاء في التبنة قرب الرصيرص فقتل من جيشه خلقاً كثيراً وشتت شمله كل شتت وكان ذلك في ٢٧ جهاد اول سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ مارس سنة ١٨٨٣ م . وقد قتل في هذه الواقعة والوقائع التي تقدمتها عدد كبير من عربان رفاعة الهوي فاغتم لذلك الشيخ احمد عم الشيخ محمد ابي روف وقال لعبد القادر باشا « لقد أفنيت الرعية ببطشك با سعادة الباشا فدع عنك هذه المناوشات واقتل الدبيبة من رأسها » فأجابته عبد القادر باشا « اذا لم نظفر برأسها ياشيخ العرب نقطع من ذنبها حتى ندرك الرأس فنسحقه » . وهكذا نكّل عبدالقادر باشا بزعماء الثورة في سنار واحداً واحداً وملا قلوب الاهلين رعباً وخوفاً واشتهر عندهم بالبطش والدرية وجسن السياسة وقد حصن الحاميات في كل الجهات وحمل علماء الخرطوم على نشر الرسايل في تكذيب محمد احمد وضيق عليه وعلى انصاره المسالك فهو هو الرجل الذي كان يصلح للسودان حينئذ ولكن قيل ان بعض الحساد وشوا به فاتهموه

بارادة الاستقلال في البلاد وقبلت وشايتهم فاستدعى الى مصر وُسمي علاء الدين باشا حاكماً على السودان مكانه كما سيجيء .

وكان عبد القادر باشا قد أرسل صالح بك الملك الى فامكه لكشف خبرها فترك باقي العساكر بقيادة الميرالاي سليم بك عوني وعاد الى مصر وعاد سليم بك الى سنار بعد ان أبقي حامية من العساكر في كركوج لحفظ خط الاتصال بين سنار وفامكة وبقيت هي وحامية فامكة الى ان عادت الثورة فعادت الى سنار على ما سيجيء .

هذا ما كان من الثورة في جزيرة سنار فلنتقدم الآن الى ما كان منها في كردوفان .

الفصل السادس

في

وقائع الثورة في كردوفان

سنة ٢ - ١٨٨٣ م

المكي ود ابراهيم في دار حمزة كان اول من ثار على الحكومة في كردوفان المكي ود ابراهيم من مشايخ حر هاجر الى المهدي في قدير فبايعه ورجع منه اميراً على قومه في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هـ ٣٠ مارس سنة ١٨٨٢ م فوجد البكباشي نظم افندي مع نفر من المساكر المنظمة والباشبوزق يجمع الضرائب من دار حر فحرض قومه على عدم دفعها وطرد نظم افندي من الدار.

حامد ود السنجق وسقوط ابي حراز : فلجأ الى ابي حراز حيث كان محمد آغا رحمة الشايقي محافظاً مع نفر من المساكر فوجد البديرية أهل تلك الجهة قد تجمعوا على شيخهم حامد ود السنجق في منهل المشقة على نحو ساعتين من ابي حراز وحصروا البلدة فخرج عليهم المساكر واهل البلدة في ٩ أبريل سنة ١٨٨٢ فردوم على أعقابهم وتبعوم الى ابي حراز فاعتصم المساكر في ديوان الحكومة والاهالي في الجامع فحصروهم في المكانين المذكورين فلما أرخى الليل

سدوله فرّ العساكر الى الابيض فدخلوها الاثنين في ١٠ ابريل وبقي اهل البلدة محاصرين في الجامع ثلاثة ايام حتى اشتد بهم العطش والجوع فسلموا .

واقعة البركة في ١٨ مايو سنة ١٨٧٢م: وسرى روح الثورة الى الحوازمة والنديات فاجتمعوا على حامد ود السنجق حتى بلغ انتصاره نحو العشرين ألفاً فنزل بهم في منهل البركة فجهز سعيد باشا دبير الابيض سرية من العساكر فيها ٤٠٠ من الجهادية و ٦٠٠ من الباشبوزق و ٨٠٠ من المتطوعة وعقد عليها للبكبائي نظم افندي وكان على المتطوعة عمر ود دفع الله من الابطال المعدودين فسارت السرية بهيئة « مربع » المتطوعة ضلع منها والحلة في الوسط فخرج عليهم العرب ودخلوا المربع من جهة المتطوعة واشتغلوا بنهب جمال الحملة فصوبت العساكر اذ ذاك نيران بنادقهم اليهم والى الحملة منعاً ففتكوا بهم وقتلوا منهم الف رجل ونيفاً وهزموهم شر هزيمة واستولوا على المنهل المذكور وكان ذلك يوم الخميس في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩ هـ ١٨ مايو ١٨٨٢م .

خراب اسحف في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢: ثم ان المكي ابراهيم صاحب حادثة سر حشد جيشاً من عربانه وزحف على اسحف وهي نقطة عسكرية على ١٠ اميال غرب بارة وفيها السر سوارى محمد اغا شيو محافظاً مع ٢٠٠ رجل من الباشبوزق والنور عنقرة المار ذكره متقاعداً والشيخ عثمان حامد عمدة البلدة وجابر اغا الطيب ناظر القسم فخرجوا لقتال المكي ابراهيم بهيئة « مربع » جاعلين البلدة في الوسط فكان كل منهم مع رجاله في جانب من المربع فاخترق المكي ود ابراهيم صفوفهم ودخل المدينة ونهبها وأحرقها وقد نجا التور عنقرة ببعض اتباعه الى بارة وكان معه التحاس « المنصورة » الشير المار ذكره في تاريخ الفور فتركه غنيمة للثائرين وآل بعد ذلك الى الخليفة عبد الله فاتخذته تحاساً له . اما محمد اغا شيو فانه نجا بمساكرة بعد كفاح شديد ودخل بارة الخميس في ٧ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ م .

السماني وواقعة بارة في ١٧ يونيو سنة ١٨٨٢ : وبعد واقعة اسحف

حضر رجل لحاوي يدعى السامي من قبل المهدي فاتخذ مع المكي ود ابراهيم وأخذ يستعد للزحف على بارة وكان في حاميتها اذذاك ٩٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق بقيادة الصاغ سرور بهجت فاستقدم سعيد باشا العساكر من البركة وأرسل الى بارة ١٦٠٠ من العساكر النظامية والباشبوزق مع البكباشي محمود حسن فدخلوها في ٦ يونيو سنة ١٨٨٢ م . وكان سعيد باشا في بدء الاضطراب في كردوفان قد ارسل يطلب المدد من الخرطوم فأرسل اليه عبد القادر باشا ٤٠٠ من العساكر المنظمة و ١٦٠٠ من الباشبوزق بقيادة البكباشي محمد الفولي فوصلوا بارة ثاني يوم وصول النجدة من الأبيض فاجتمع في بارة نحو ٥٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق وكان في الأبيض الميرالاي علي بك شريف (مدير دارفور قبل سلاطين باشا) متقاعداً فجهأ قومنداناً عليهم وأخذوا يستعدون للدفاع . وكان على حامية بارة زربية من شوك فشرعوا في حفر خندق من داخلها وقبل ان يتموه حضر السامي يجيوش لا عداد لها فتلقاهم العساكر بالمدافع والسواروخ والبنادق ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً وهزموهم شر هزيمة فخرجوا من الخندق في اثرهم يقتلونهم حتى أخرجوهم من اكناف بارة وقد قتل منهم في هذه الواقعة نحو ٥٠٠٠ رجل .

وتجمع الباقون في منهل شتوره غربي بارة فكتبوا الى المهدي عما جرى لهم فأرسل اليهم عبد الله ود النور من أخص عماله فتولى قيادتهم وعاد معظم المدد الى الأبيض وبقي البكباشي محمود حسن بمسكره فلما علم بمقر العرب خرج عليهم فطردهم منه فنزلوا في منهل ابي سنون فأرسل سعيد باشا تنظيم افندي من الأبيض مدداً له وزحفاً معاً على ابي سنون فأوقعا بعبد الله ود النور ففر الى منهل البركة وكتب الى المهدي عما أصاب أنصاره من الفشل في البركة وبارة وشتوره وابي سنون واستعنه على القدوم الى كردوفان بنفسه قبل ان تخمد حمية العرب ويرجعوا عن نصره .

وكان سعيد باشا قد بعث يطلب المدد من عبد القادر باشا فأرسل اليه

نصف اورطة جهادية من سنهت وسبعة سناجق من الباشبوزق بقيادة البكبائي باشا حماد وصحبهم محمد باشا امام الملقب بالخبير حاملاً مدداً من الذخائر الى الفاشر فدخلوا الابيض في اواسط يونيو سنة ١٨٨٢ م .

المنته ود اسماعيل وسقوط الطيارة في ٦ اوغسطس سنة ١٨٨٢ : وكان في جملة الذين عاهدوا المهدي على الجهاد في كردوفان المنه اسماعيل شيخ قبيلة الجوامعة فحشد نحو عشرين الفا من عربانه وهاجم حامية الطيارة وكانت للحامية خندق عظيم ومتراس وحولها زرب من شوك ولكن لم يكن فيها من العساكر سوى ١٣٥٠ رجلاً من جهادية وباشبوزق وعليهم اليوزبائي محمد الشافعي قومنداناً فصدوا هجوم المنه مرتين وطلبوا المدد من سعيد باشا فوجه اليهم خليل اغا السنجق ومعه ٦٠٠ من العساكر الجهادية والباشبوزق ومدفع واحد ولكن قبل وصول المدد الى الحامية هاجمها المنه اسماعيل ثالث مرة مستقلاً فأخذها عنوة وأعمل في اهلها السيف والخربة فلم ينج منهم الا اليسير . وكان ذلك في ٢١ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ٦ اوغسطس سنة ١٨٨٢ م .

وفي اليوم التالي انقلب المنه على العساكر الآتين من الابيض فقتلهم عن آخرهم وأرسل البشائر الى المهدي في قدير وعبد الله ود النور في البركة وقطع خط التلغراف والبوسطة بين الابيض والخرطوم وأقام في الطيارة منتظراً الامر .

وكان في خورسي نحو ٣٠٠ رجل من الباشبوزق مع احمد اغا الشايقي فلما كانت واقعة الطيارة ارسل اليهم سعيد باشا فأتوا بارة في ١٦ اوغسطس سنة ١٨٨٢ م ولم يبق في كردوفان الى هذا العهد سوى حاميتي الابيض وبارة وحامية صغيرة في جبل الدلان ومجموعها كلها ٨٧٥٠ رجلاً من نظامية وباشبوزق .

وكان سعيد باشا منذ حادثة ابي حراز قد شرع في تحصين الابيض فحفر

تأريخ الثورة المهدية

حولها خندقاً وأقام من ترابه متراًساً وأحاطه بزرية من شوك ووضع عليه
 العساكر وفرق الأسلحة على أهل البلد وجعلهم على الخندق مع العساكر .
 هكذا كانت حال كردوفان لما أتاه المهدي غازياً من قدير وهاك تفصيل
 غزوته :

الفصل السابع

في

وقائع المهدي في كردوفان

سنة ٢ - ١٨٨٣ م

غزوة المهدي للأبيض في ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وكان للمهدي في الأبيض انصار اهل ثروة ووجاهة أخصهم الياس باشا ام بربر الجملي النفيماي وهو من اكابرالتجار وقد تولى مديرية الأبيض مدة ثم عزل عنها قبل لاشتراكه سرأ في حركة سليمان الزبير وكان بينه وبين احمد بك دفع الله من أعيان التجار ضغائن شخصية شديدة وانحاز سعيد باشا المدير الى احمد بك فاشتد حنق الياس باشا عليها ولم يكن يقوى عليها مع الحكومة فانحاز الى المهدي للانتقام منها وأنفذ رسله سرأ الى المهدي بقدير فحثه على مهاجمة الأبيض وأكد له النصر وذلك قبل واقعي راشد والشلاي لكن المهدي شعر من نفسه اذ ذاك بالمعجز عن اتخاذ خطة الهجوم فاكتفى ببث الدعاة لتسييج الناس على الحاميات كما مر . ثم كانت واقعة راشد ثم واقعة الشلاي وكثرت الوفود اليه حتى ضاقت به بلاد قدير وتحتم عليه النزوح الى بلاد أوفر خيراً وأكثر اتساعاً وكبرت نفسه لتوالي النصر عليه فتطلب الهجوم بدل الدفاع وكان الياس باشا

تاريخ الثورة المهدية

لم يزل يستعنه على مهاجمة الابيض وقد وثق المهدي به حتى انه أرسل اليه اسماعيل العمراني من قدير بالذهب والفضة التي غنمها من راشد والشلاي فباعها وأرسل اليه ثمنها ومهد له السبيل داخل الابيض وخارجها وكان عبد الله ود النور قد كتب اليه يستعجله الى كردوفان كما مر فاجتمعت له هذه الأسباب كلها على غزو الابيض .

فلما كان اليوم الثاني عشر من رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٢ م خرج غازياً الابيض بجميع من كان معه من الجيوش إلا المواجز والمرضى واصحاب الاعذار فانه أبقاهم في جبل قدير عند محمود عبد القادر احد أقاربه الذي استعمله على دار هجرته وأبقى عنده المدافع والاسلحة النارية التي غنمها من المصريين لأنه لم ير داعياً الى أخذها . وكان معه من الجيوش نحو ٢٠ ألفاً قبل خرج بهم من قدير وهم لا يعلمون الجهة التي يريدونها حتى أتوا جبل الجرداة فقال لهم « ان سيد الوجود أمرني بالتوجه الى كردوفان فان الترك فيها آذوا المسلمين وضيقوا عليهم » . ثم كتب من هناك الى عامله عبد الله ود النور أنه قادم يجيشه الى غزوة الابيض وأمره بأن يجمع رجاله ويقابله بالقرب منها . وسار من جبل الجرداة فنزل بمحل يدعى اللخة وأقام به ثلاثة ايام وفيه أمر بقتل شخصين لأنها قتلا نفساً بريئة . ثم سار حتى نزل بجرجام لوبه وقد كان عند خروجه للسفر صائماً رمضان والناس معه صائمون حتى وصل الى هذا المكان فأفطر وأمر الناس فأفطروا . ثم استطرد السير في بلاد النوبة فنزلت الامطار في الطريق وفرغت أزواد جيشه فجاعوا وتعبوا فسار ببطء ومشقة حتى أتى البركة فوجد عبد الله ودالنور في انتظاره بنحو عشرة آلاف مقاتل فأقام في البركة أياماً للراحة . ثم زحف يجيشه على الابيض فنزل في منهل كبا على سبعة أميال الى الجنوب الغربي من المدينة وذلك يوم الجمعة في ١٧ شوال سنة ١٢٩٩ هـ ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م وكان قد كتب للمنة اسماعيل ليوافيه اليها من الطيارة فكث في كبا في انتظاره وأرسل فرسانه لاستطلاع الابيض . ثم انتدب رجلين من اصحابه ومحمد المغربي وود جلي الزبادي وأرسلهما

بكتابين الى الابيض احدهما الى سعيد باشا ورؤساء الجيش والآخر الى سكان المدينة من علماء وأعيان وتجّار وغيرهم دعاهم فيها الى التسليم وحقق الدماء متهدداً بإيام بالقتل اذا لم يسلموا فدخل الرسولان المدينة وكل منها متقلد سيفه وحريته فلما الكتابين الى محمد سعيد باشا فجمع الضباط والعلماء والأعيان وأمر بأن يتلى عليهم الكتابان ثم سألهم عن رأيهم فيها فقال الضباط لا رأي لنا إلا الحرب أما التجّار والأعيان والعلماء فانهم لم ينطقوا ببنت شفة ولكن لاحت على وجوههم سمات الميل الى المهدي إلا احمد بك دفع الله فانه انتصب في المجلس وقال أما انا فقد اخترت الحرب مع الجند والدفاع الى آخر نسمة من حياتي . ثم التفت سعيد باشا الى الباقيين وقال وأنتم ما الذي أجمعتم عليه فبقوا صامتين ولما ألحّ عليهم في الجواب قالوا نتشاور في بيوتنا ثم نجيبكم وكان الياس باشا قد فاز باستمالة معظم الأهلين الى حزبه فأجمعوا على الفرار الى المهدي وقد علم احمد بك دفع الله ذلك منهم وحرّض المدير على حبسهم فلم يصغ إليه خوفاً من وقوع الفشل في الحامية فان الياس باشا وسائر التجّار والأعيان كان لهم سلطة نافذة على الأهلين وكان عند كل منهم من ١٠٠ رجل الى ١٥٠ رجلاً مسلحين بالأسلحة الكاملة فكان يطاولهم حتى تتسنى له الفرصة فينكّل بهم الواحد بعد الآخر فأذن لهم في الانصراف فانصرفوا الى منازلهم . وخرج من المجلس فرأى الرسولين قد اجتمع عليها نفر من العساكر والأهلين وهما يكلمانهم ببذاءة واستخفاف ويقولان لهم : أيها النصاري الكفار سوف نقتلكم وننكل بكم كما فعلنا بيجردتي راشد والشلاي ، فاغتاظ سعيد باشا والضباط من بذاءتها وطلبوا من العلماء الاقتداء بقتلها فأبوا قائلين ان الشرع لا يسمح بذلك فأصرّ الضباط خصوصاً اسكندر بك قائمقام العساكر على قتلها فشنتا على الزاوية الجنوبية الشرقية من السور وفرسان المهدي الذين أرسلهم لاستطلاع الابيض تنظر اليهم من بعيد . وقد أراد الضباط بقتل الرسولين ان يستخفوا بقوة المهدي ويلقوا الرعب في قلوب الأهلين الذين عولوا على اللعوق به . ولكن قتلها لم يؤثر شيئاً في ما نواه الأهلون فانه ما خيم الظلام حتى أخذوا

يتسللون من خط النار ثلة بعد ثلة ويأتون الى المهدي في كآبا وفي مقدمتهم الياس باشا وقومه والحاج خالد الغرابي وجرجي استامبولي الحلبي من أعيان التجار ومحمد باشا امام المار ذكره حتى لم يبق في المدينة من الأهليين سوى احمد بك دفع وأتباعه وعددهم ٤٠٠ رجل فيهم ابن خالته عبد الله ود ابراهيم و ابراهيم ود عدلان والمرسلين النمساويين وهم ثلاثة رهبان وخمس راهبات ولهم كنيسة .

وكان في الحامية من العساكر ثلاث اورط نظامية من المصريين وخمسة عشر سنجقاً من الباشبوزق الشايكية والاتراك والمتطوعة في كل سنجق من ١٠٠ رجل الى ١٥٠ رجلاً وجملة العساكر نحو ٦٠٠٠ رجل ولم يكن عددهم كافياً لحماية السور العظيم الذي أقاموه في بدء الحصار فلما علموا بقدم المهدي لمهاجمة الابيض شرعوا في حفر خندق مربع داخل السور العظيم على قدرهم فاشتغلوا فيه الليل والنهار حتى أتموه وجعلوا فيه القشلاق ومحل النخيرة وديوان المديرية والشونة وجعلوا وراءه زرباً متيناً من شوك وأقاموا عليه خمسة أبراج برجاً في كل زاوية وبرجاً في وسط الضلع الشرقي تجاه مركز المديرية واصطف العساكر الجهادية والباشبوزق على الاضلاع هكذا :

١ - البكبائي محمد الفولي ومعه نصف اورطة جهادية و ٣ سناجق على الضلع الشمالية .

٢ - البكبائي محمد نظم ومعه اورطة جهادية و ٩ سناجق على الضلع الجنوبية .

٣ - البكبائي باشا حماد ومعه نصف اورطة جهادية و ٤ سناجق على الضلع الشرقية .

٤ - البكبائي محمود حسن ومعه اورطة جهادية وسنجان على الضلع الغربية .

ووقف احد يك دفع الله برجاله على الضلع الشمالية مع محمد الفولي ومكثوا ينتظرون هجوم المهدي ومعه الملازم يوسف منصور ضابط بوليس الابيض .

ضلع وتعقبهم فقتلهم عن آخرهم ثم أرجع المساكر الى محلاتهم على خط النار . اما العربان المهاجمون للزاوية الجنوبية الشرقية فلما رأوا اخوانهم قد دخلوا الاستحكام ظنوا ان الحامية اصبحت في يدهم فصاحوا صيحة النصر وحلوا على الحامية يرومون اخراقها فتلقتهم نيران المساكر أشد من قبل فردتهم على أعقابهم ودام القتال من صلاة الصبح الى الظهر وقد حمي على المساكر حديد البنادق فتوقوه بطرايبهم ليتمكنوا من مواصلة اطلاق النار ومع ذلك لم يزل العرب يزالون المهجوم الكرة بعد الكرة حتى صاروا اذا أرادوا التقدم داسوا اخوانهم القتل فسادوا اذ ذاك عن الحامية بالحزبي والحسران وقد قدرت خسارتهم بمشورة آلاف الى اثني عشر ألفاً وفيهم القاضي احمد ود جبارة قاضي الاسلام المتقدم الذكر ومحمد وعبد الله شقيقا المهدي والشيخ ادريس شاعره وعبد الله التيجاني كاتبه وأمين ختمه ونحو خمسين رجلاً من عشيرته . وخاب أمل محمد باشا امام بالمهدي بعد هذا الانكسار واشتد به الأسف على الخيانة التي ارتكبها بالفرار من الحكومة التي شرفته برتبها ووظائفها فشرب سماً ومات بعد الواقعة بقليل . وأما خسارة المساكر فلم تزيد عن ٣٠٠ رجل . وفرّ المهدي ناكصاً على عقبيه مع باقي جيشه الى كابا فأقام فيها حائراً ذليلاً منكسر النفس .

ولو عمل سعيد باشا بمشورة احمد بك دفع الله وخرج للمهدي على اثر هذا الانكسار ربما كان أخذ أنفاسه ومحا ذكره ولكنه خاف ان يخرج من الاستحكام فيحتله المنة اسماعيل الذي رجع الى خور طقت فلم ير الخروج من الاستحكام رأياً . وقد أمر عساكره ثاني يوم الواقعة فأبعدوا جثث القتلى عن الخندق وشرعوا في تحصينه فزادوه عمقاً وأقاموا له سوراً من طوب وفتحوا فيه المزاغل ومنتوا الزريبة فأصبحوا في حصن منيع .

اما المهدي فقد قيل ان خليفته التمايشي أشار عليه بالرجوع الى قدير ولكن الياس باشا ثبته ودله على حصار الابيض والتضييق عليها الى ان يضطرها الى التسليم نظراً لقلة أقواتها وعدم المدد .

حصار الأبيض : وفي ضحى الاثنين قال المهدي لأصحابه : « أمرني سيد الوجود بمحاصرة مدينة الأبيض الى ان يسلم أهلها او يهلكوا جوعاً ». ثم خرج من كابا فنزل قرب الأبيض على 'بعد مرمى قنبلة منها بحل يدعى الجزارة فيه آبار غزيرة تعرف بالعُشْر فرسم ديمًا واحتل وسطه وأنزل خلفاءه من حوله وبعدم الأمراء فكبراء الجيش فعامتة وقد بنوا بيوتًا من قش وأقاموا على حصار الأبيض . وكان المهدي قد أخبر أهل المدينة في الكتاب الذي ارسله اليهم ان يخرجوا اليه بأبنائهم ونسائهم ويتركوا أمتعتهم وأموالهم في منازلهم قال : « لأن الملائكة تحرسها لهم فلا يمسها احد حتى 'تفتح المدينة فيعودون اليها فيجدونها كما تركوها » ففعلوا كما قال لهم وكان العساكر عند خروجهم مشغولين بحفر الخندق كما مر فكأنوا يذهبون الى المنازل بالمناوبة ويحملون منها كل ما وجدوه من حبوب وأمتعة وأموال وقد وجدوا في بيوت بعض التجار مطامير ثمينة من الذهب والفضة والحلى فاقتسموها بينهم . وبعد الواقعة أمر سعيد باشا العساكر فانتشروا في أحياء المدينة وجمعوا كل ما استطاعوا جمعه من الغلال والمؤن . ثم ان أهل المدينة الذين فروا الى المهدي لما رأوا ان الملائكة لم تحرس منازلهم كما أخبرهم المهدي صاروا يأتونها خلصة بالجمال فيحملون ما استطاعوا حمله ويعودون الى ديم الجزارة فلما درى العساكر بهم أخذوا يتعقبونهم ويقتلون من ظفروا به منهم فانقطعوا عن الهوى ولكن عربان المنة اسماعيل لم يزالوا يتسللون ليلاً وينهون المنازل حتى منعهم المهدي .

تسليم حامية الدلن في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م : وكان المهدي قبل قيامه من البركة ارسل الملك عمر من فقهاء التكرانة بسرية من الانصار الى جبل الدلن وكان فيه بلوك من العساكر السود لمنع تجارة الرقيق وكنيسة للمرسلين النمساويين فيها قسيان احدهما الأب اوهرولدر المشهور وأخان وثلاث راهبات فاضطرم الملك عمر الى التسليم ونهب الكنيسة وخربها وساق الجميع الى المهدي في الجزارة وكان تسليمهم في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م .

ظهور نجم ذي ذنب : وفي ٢٨ من هذا الشهر ظهر في سماء السودان نجم ذو ذنب كبير قيل امتد في السماء كشراع السفينة وكان يطلع كل يوم قبيل الفجر ويمتد حتى يخفيه نور الشمس وبقي على ذلك أياماً . وفي خرافات اهل السودان ان ظهور مثل هذا النجم شؤم على البلاد فحسبه انصار المهدي شؤم على الحكومة وبالحقيقة انه كان شؤماً كبيراً على الفريقين .

تسليم بارة في ٥ يناير سنة ١٨٨٣ م :

ولما استقر المهدي في معسكر الجنزارة أرسل المنة اسماعيل والامير رحمة ود منوغل الجامعي بعربانها لأخذ بارة وكان في بارة اذ ذاك اورطة نظامية ونحو ٢٤٠ رجلاً من الباشبوزق عليهم الصاغ سرور افندي نهجت قومنداناً ومعه النور عنقرة المار ذكره . وكان سعيد باشا قد أرسل بعد واقعة الابيض الى عبد القادر باشا يعلمه بالنصر ويسأله المدد فأرسل اليه عبد القادر باشا الميرالاي علي بك لطفي المشهور بأبي كوكبة على اورطتين من العساكر النظامية و ٧٥٠ رجلاً من الباشبوزق فتلقاهم الامير رحمة في مكان يدعى « كوز و د جفون » مسيرة يوم من بارة وكانوا عظاماً تمايى فقتل منهم ما ينيف على الف رجل وغنم بنادقهم وذخائرم وكان في جملة القتلى الاستاذ السيد احمد الازهري ابن الولي اسماعيل الكردي وفاني المشهور الذي صاحبهم على ان يكون شيخ الاسلام وقاضي عموم غرب السودان . وفر من سلم منهم فطاردهم رحمة المذكور حتى قربوا من بارة فتلقاهم المنة اسماعيل وأصبحوا بين قوتين فبلغ الحامية ان العرب يحاربون النجدة فخرج النور عنقرة ببعض العساكر ففرق العرب عنها وفتح لها طريقاً فدخلت بارة في ١٠ الحجة سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م .

وكان في الحامية دنقلاوي يقال له احمد ود مالك يود الخروج الى المهدي لأنه من جلسه فاتفق مع المحاصرين ثاني يوم وصول النجدة فأضرم النار في بعض البيوت القريبة من الشونة والذخائر حتى اشغل العساكر ففر مع نفر

من اهل وفي الوقت نفسه هاجم العرب الحامية من الجهات الاربع فاشتغل بعض العساكر في اطفاء النار وثبت البعض الآخر على القتال فردوا العرب على اعقابهم . وفي اليوم التالي خرج النور عنقرة ليلاً بالمساكر وباعت المنة اسماعيل في معسكره فقتل من جيشه وغنم وعاد الى بارة . وكان سلاح أنصار المهدي الى هذا العهد السيف والحربة فلما نزل المهدي لحصر الابيض رأى ان السيف والحربة لا يفيان بالغرض فاستحضر الاسلحة النارية من قدير فوزعها على اصحابه وأرسل جانباً منها الى محاصري بارة فضيقوا على اهل الحامية ومنعوم من الخروج ودام هذا الحال اياماً حتى فرغ زاد العساكر فأكلوا الحمير والكلاب والجلود وقد فرغت ذخائرهم او كادت فعقد الضباط والسناجق ومعهم النور عنقرة مجلساً للنظر في أمر نجاتهم فرأوا انهم اذا بقوا محصورين هلكوا جوعاً واذا خرجوا فان قصدوا الابيض فالابيض يحصرها المهدي وقومه وان قصدوا الخرطوم فهي بعيدة منهم والطريق معطشة فاذا نجوا من المحاصرين لم ينجوا من العطش فأقرتوا على التسليم وخافوا اذا سلموا للمنة اسماعيل ان يسيء معاملتهم أخذاً بثأره فكتبوا الى المهدي يسألونه ان يرسل اليهم اميراً للتسليم عن يده فأرسل اليهم عبد الرحمن النجومي بجيش كبير فسلموا له في ٢٥ صفر سنة ١٣٠٠ هـ ٥ يناير سنة ١٨٨٣ م . فجاء بهم النجومي وبالمحاصرين الى ديم الجنزارة فقابلهم المهدي بجيش كثيف وأطلق ٢١ مدفعاً اعلاناً للنصر .

ثم تقدم اليه النور عنقرة وجميع الضباط والسناجق فبايعوه فطيب خاطرهم وعين لهم محلاً في المعسكر فأقاموا فيه . وقد فرج عنه فتح بارة بعض الغنم الذي ناله من انكساره في واقعة الابيض .

عود الى حصار الابيض : وكان المهدي لما استحضر الاسلحة النارية من قدير أنشأ راية جديدة ضم تحتها جميع الجهادية السود الذين كانوا في أسره وجعل عليها حمدان ابا عنجه أميراً فضيقوا على الابيض وقعدوا لها في كل مرصد .

اما حمدان ابو عنجه فهو عبد من المنضلة أي العبيد المولدين في بلاد البقارة وقد خدم في جيش الزبير في بحر الفزال ثم في جيش ابنه سليمان ولم يسلم مع سليمان ولا فرّ مع رابع بل بقي في دار التعايشة فقبض عليه محمد زقل مدير داره في ذلك الحين وزجه في السجن ثم خرج من السجن وبقي في بلاد التعايشة الى ان ظهر المهدي فهاجر اليه وبايعه ودخل في راية التعايشي وعلم المهدي بسالته وتعوده على ادارة الاسلحة النارية فجعله اميراً على الجهادية كما تقدم . وكان ابو عنجه يأخذ رجاله ويختبئ بهم في منازل الابيض المهجورة ويترصده المساكر فكلمه لاح واحد منهم رماء بالرصاص حتى قتل عدة منهم وفيهم البكباشي باشا حماد قومندان الضلع الشرقية فقد أصابته رصاصة وهو جالس عند باب ديوان المديرية مع سعيد باشا فخر قتيلاً .

وفي آخر الشهر الرابع من الحصار نفذ الزاد من الحامية واشتد الجوع على المساكر حتى صار فرسانهم يخرجون الى اطراف معسكر الدراويش فيخطفون منه القوت او يذهبون الى حلة ابي صفيّة قرب الاستحكام فيأتون منها بالكوريب للثقوت به فتنبه المحاصرون لذلك فوقفوا لهم بالمرصاد وأحرقوا الكوريب . ودام الحصار على هذا الحال حتى ملّ المساكر واشتد بهم القحط فأكلوا ما عندهم من الخيل والحير والكلاب والهررة والفيران ثم شرعوا في أكل الصمغ . وقد غلت الاسعار اذ ذاك غلاء فاحشاً حتى بلغ ثمن اردب الذرة نحو ٣٠٠٠ ريال والمحار ٥٠٠ ريال والفرخة ٤٠ ريالاً والبيضة ريالاً والفار ريالين ورطل اللبن ريالين ورأس السكر ٥٠ ريالاً . ولما بلغ الباعة في معسكر المهدي غلاء الاسعار في الحامية الى هذا الحد صاروا يأتون اليهم سراً بالزاد فيبيعونه لهم بأثمان فاحشة حتى اتصل الخبر الى المهدي فأصدر أمره الى الكافة بمنع ذلك بتاتاً وتهدد من يخالف الامر بقطع يده ورجله من خلاف . فضاق الامر بالمساكر وبلغت المجاعة حدّها حتى صار البعض ينبشون أوكلر النمل ويخرجون منها الحب للثقوت به والبعض يأكلون جلود الأسرّة والأحذية وكلما دُبحَت ماشية اجتمعوا عليها أفواجاً يختطفون دماها تسكيناً لحرارة



جرجي اسطمبرليه

تأريخ الثورة

الجوع واجتزاء به من القوات .
وفوق هذا الجوع الذي أصابهم انتشر فيهم مرض فقر الدم والديزنتاريا
فمات منهم من ١٠ : ٢٠ في اليوم . ولما اشتد بهم الحال الى هذا الحد أخذوا
يتسللون من الحامية واحداً واحداً الى معسكر المهدي وكان في جملة الذين
خرجوا للمهدي فراراً من الجوع ابراهيم ود عدلان فكان له في المهديّة
شأن يُذكر .

تسليم الأبيض في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ :

وكان سعيد باشا يتفقد المساكر على خط النار ليلاً ونهاراً ويثبتهم على
الحصار وهو لم يزل يعلّل نفسه ويعلمهم بقدوم النجدة من الخرطوم فلما سقطت
بارة جاء بعض رجالها قريباً من الاستحكام ونادوا بالمساكر قائلين ان بارة
سلمت والنجدة التي كانت آتية لانتقاذكم قد أهلكها العرب في الطريق ومن
بقي منها سلم مع حامية بارة فلم يصدقوا ما كانوا يسمعون حتى دخل عليهم
في ١٠ يناير سنة ١٨٨٣ ضابط من ضباط بارة وأخبرهم بما كان من سقوط
الحامية وهلاك المدد الآتي من الخرطوم وحدثهم عن الثورة في سنار والثورة
العراقية في مصر فسقط هذا الخبر على الحامية كصاعقة هدمت قوامها وقطعت
رجاءهم .

ثم ان المهدي لما رأى كثرة اللاجئين اليه فراراً من الجوع وعلم تمام الحال
التي صارت اليه الحامية صمم على الهجوم واستعد له فبلغ ذلك جرجي استامبولي
التاجر المار ذكره فشفق على اهل الحامية وعلى الأخص قس الكنيسة لأنهم
اصحابه فذهب الى المهدي وسأله ان يمهله ريثما يذهب الى الحامية ويخاطب
اهلها بشأن التسليم فأجاب المهدي سؤله فأتى ليلاً الى قرب الاستحكام ونادى
طالباً مقابلة الضباط فجاءه علي بك شريف الميرالاي واسكندر بك القائمقام
والبكباشي محمود فأخبرهم بالذي عزم عليه المهدي وألح عليهم بالتسليم فعقد
الضباط مجلساً للنظر في ذلك فقال سعيد باشا : اني افضل ان ألقى النار في

البارود وأحرق الحامية كلها على ان أسلم لهذا الدجال الحقير وكذلك قال احمد بك دفع الله ولكن سائر الضباط والسناسق قالوا : ليس من الحكمة ان نهلك انفسنا وأنفس العساكر الذين في عهدتنا فاذا لم نسلم بالرضى فالمهدي لا بد انه يهاجمنا ويأخذنا بالرغم ولم نعد قادرين على صدّه اليوم كما صدّدناه بالامس اذ لم يبقَ للعساكر قوة على حمل السلاح فضلا عن استعماله بل اذا لم يهاجمنا المهدي هلكنا من الجوع والمرض وقد ذهب منا الآن نحو النصف وانقطع رجاؤنا بالمدد من الخرطوم . وعليه فلم يبقَ لنا رأي غير التسليم لا سيما واننا اذا سلمنا بقي لنا أمل في النجاة إذ الحكومة لا تترك المهدي وشأنه بل لا بد لها من تجريد الجيوش لسحقه ويكفيها ولاء لحكومتنا أننا حاربنا في سبيلها على قدر جهدنا وحافظنا على شرفها الى آخر رفق منا . ثم كتبوا كتابا الى المهدي فاعتذروا عما مضى وطلبوا العفو والخروج لمبايعته وأمضى الكتاب علي بك شريف الميرالاي واسكندر بك القانمقام وباقي الضباط والسناسق وعرضوه على سعيد باشا فأمضاه على الرغم وكذلك فعل احمد بك دفع الله ثم دفعوا الكتاب الى جرجي استامبولي فحمّله الى المهدي وكان ذلك مساء الخميس في ١٨ يناير سنة ١٨٨٣ م وقد طلبوا ان يكون التسليم صباح اليوم الثاني ونهبوا على العساكر في الخط اذا رأوا الدراويش مقبلين ان يطلقوا عليهم البنادق بل يتقدموا اليهم مسلمين .

فلما وصل كتاب التسليم من الحامية الى المهدي كتب اليهم في الجواب ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

و بعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى كل من أقبل على الله بالهبة وسلم لأمرنا ونهينا من الحكام والضباط والفقراء والمساكين الذين بالقبر : (الحصن) .

« انكم كنتم في أمر الترك ونهيبهم صادقين وباذلين انفسكم وأموالكم لغير الله

بلا منافع تعود لكم عند الله وترفعكم في الدار الآخرة فكيف اني داعيكم الى الله وما يرفعكم عنده ويعود عليكم بالخير الدائم والنعم السرمدي وبما انكم عاقلون وتعلمون ان ما كان لغير الله سلمتم فيه فلموا امركم بي لاني لا أريد لكم إلا ما يرضي الله ورسوله. ويدم الخير السرمدي فما دام فعلى بما يعود لكم فمن باب اولى انكم تسلمون لأمرى ونهبي بأنفسكم وأموالكم وأولادكم من غير تهمة بل بمحبة وصداقة بما اني ولي امر الله لكم وخليفة رسول الله فيكم والسلام.

فلما جاءهم هذا الكتاب اطمأنوا . ويوم الجمعة في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ م خرج أهل الحامية جميعاً بأبنائهم ونسائهم مسلمين . فخرج المهدي في ضحى ذلك اليوم من مسجده وعليه الدرع والمقفر ومعه خلفاؤه وسائر أصحابه فتلقاهم بقرب الخندق الكبير المحيط بمدينة الأبيض وجلس على الأرض كجلوسه للصلاة . ثم تقدم اليه محمد باشا سعيد وعلي بك شريف واسكندر بك واحد بك دفع الله وباقي الضباط والسناجق فبايعوه الواحد بعد الآخر باليد ثم بايعه العساكر مشافهة . قيل فلما تقدم محمد سعيد باشا لمبايعة كان بيده خاتماً من الماس فأخرجه المهدي من يده ثم دفعه له في كفه وأطبق يده عليه مشيراً الى ان لبسه ممنوع وأجلسه الى جانبه وحوله الضباط والسناجق . ثم التفت اليه ولامه على قتله رسوله وشكر الله لأنه أخرجهم من الظلمات الى النور ثم أمرهم بالانصراف والاقامة في محل خاص عيّنهم لهم بلصق ديمه وأمر أمين بيت المال فرتب لهم من الزاد ما فيه كفايتهم وقوام أمرهم على حسب أحوالهم وأخذهم الى المحل الذي أعد لهم فخلعوا عنهم الثياب العسكرية فوضعوها في بيت المال لتستخدم للرقع والبسوم الجيب المرقعة . وكان العساكر قد خاروا من الجوع فهرعوا الى السوق في طلب الطعام فأكلوا بشره زائد حتى مات الكثير منهم من كثرة الأكل .

أما المهدي فانه دخل الأبيض ومعه خلفاؤه وامراؤه ونزل في ديوان المديرية وأنزل خلفاءه وأمرائه في منازل الضباط والسناجق وبقي ديم الجنزارة على حاله .

ثم أمر أمين بيت المال وعمله يجمع الغنائم فجمعوا الأثاث والأمتعة ولما لم يجدوا فيها شيئاً من النقود والحلى نادوا ضباط الحامية وساجقها واحداً واحداً وسألهم عن نقودهم وحلّاهم وبدأوا بسعيد باشا فأنكر أمواله وكان قد خبأ ٧٠٠٠ جنياً في صندوق وجعله في حائط منزله ولم يكن يعلم به إلا جارية له فاعترفت به فنقبوا الحائط وأخذوه . ثم استنطقوا باقي الضباط والساجق والموظفين ليدلّهم على الأماكن التي أخفوا فيها أموالهم ومن أنكر أعملوا به السياط وعذبوه حتى اعترف أو مات تحت الضرب كما جرى لأحد شلي وكيل اشغال المديرية فانهم جلدوه بالسياط الى ان مات وبمحمد المليجي متعهد « سلخانة الميري » فانهم ربطوه برجليه ودلّوه في البئر حتى اعترف بماله . وقال الاب روسيليو لي احد السس النمساويين المار ذكرهم « لما دخل العرب الحامية كنت في الفراش مريضاً بفقر الدم فدخل بعض الدراويش عليّ فكسروا الصليبان والصور وأحرقوها ثم تقدموا اليّ وشرعوا يضربوني بحدة السيف ويقولون ابن مالك يا كافر قلت كان عندي الف ريال وهي كل ما أملك فاقترضتها لسعيد باشا فوزعها على العساكر ثم التفتوا فرأوا القبر الذي دفن فيه الاب لوزي فظنوه مالا مدفوناً فنبشوه فرأوا جثة بالية فجمعوا عليها ما وجدوه من ورق الدخان وأحرقوها به وأما انا فأخذوني مع رفاقي الى ديم الجنزارة وضمونا الى جماعة كنيسة الدلن ، . وبذلك جمع أمين بيت المال مبالغ وافرة من النقود والحلى ولكن لم يدخل بيت المال سوى ١٤٠٠٠٠ ريال أخذوها من الضباط والساجق وغيرهم و ٧٥٠٠ ريال من خزانة المديرية . فأقرز المهدي الخمس منها لنفسه وجعل الباقي في بيت المال لينفق على الانصار .

ثم امر فجمعت الاسلحة النارية التي كانت مع العساكر وفي حامية الابيض فضمها الى ما غنموه من واقعتي راشد والشلاي فاجتمع عنده ١٦٤٠٠ بندقية و ١٣ مدفعاً و ٧ سوارين وشيء كثير من الذخائر . واجتمع عنده من عساكر الحكومة نحو ٥٠٠٠ من مصريين وسود فجعل السود في راية حمدان ابي عنجة و سلّحهم بالاسلحة النارية والمصريين في راية حسن حسين احد المصريين المولدين

في السودان ولم يسمح لهم بسلاح غير السيوف والحراب .
وبقي انصار المهدي في ديم الجزيرة اياماً بعد التسليم ثم اشتعلت نار في
الديم فالتهمته كله لأنه كان مبنيًا بالقش كما مرّ فأذن المهدي اصحابه اذ ذاك
في سكنى الابيض فاتسعت اتساعاً عظيماً الى كل الجهات أما أسرى الابيض
فانه أبقام في المكان الذي عينه لهم في الديم القديم .

وبعد هذه الحريقة بعشرة ايام أتى الخليفة عبد الله الى معسكر الأسرى
وجلس في خيمة الحاج خالد العمري المار ذكره فدعا اليه سعيد باشا وعلي
بك شريف ونظيم افندي والصاغ محمد جمعة من رجال نظم واحد بك دفع الله
ومحمد ياسين ناظر قسم خورسي وعثمان أغا سليمان ومثلي أغا حسين وكلاما من
سناجق الابيض وجعل كل اثنين منها في عهدة شيخ من مشايخ العربان المخلصين
لهم وأوعز اليهم سرّاً ان يقتلوه فجعل سعيد باشا ومحمد جمعة في عهدة الشيخ
اسماعيل ود الامين شيخ الفديات . وعلي بك شريف ونظيم افندي في عهدة
الشيخ نواي شيخ الحوازمة . واحمد بك دفع الله ومحمد ياسين في عهدة الشيخ
مادبو احد مشايخ الرزيقات . وعثمان سليمان ومثلي حسين في عهدة الشيخ مكي
ود ابراهيم شيخ عربان حر فذهب كل شيخ بفريسته الى بلده وقتلها فهاقوا
مأسوفاً عليهم من كل حرّ . وسيبقى اسمهم محفوظاً في التاريخ بالتجلة والاكرام
ما ذكر حصار زنّاح حمام .

هذا وقد اختلف الرواة في السبب الذي حمل المهدي على قتل هؤلاء الرؤساء
والذي عليه الاكثرون وذكره سلاطين باشا في كتابه « السيف والنار في
السودان » ان هؤلاء الرؤساء كتبوا تقريراً الى عبد القادر باشا ذكروا فيه
الاسباب التي حملتهم على التسليم وختموا التقرير ورفعوه الى رسول ليوصله الى
الخرطوم وكان في جملة الذين ختموا التقرير الملازم يوسف منصور وكيل بوليس
الابيض والقائم مقام محمد بك اسكندر فخاف يوسف منصور ان يقع التقرير في
يد المهدي فينتقم منهم جميعاً ففضى اليه ووقع على قدميه وأخبره بما جرى
رأى في طريقه محمد بك اسكندر فأقنعه ان يفعل مثله ففعل فأرسل المهدي

في الحال في أمر الرسول فقبض عليه وأخذ التقرير منه وشاع حينئذ ان النبي ظهر للمهدي وأخبره بهذا التقرير . واغتم المهدي تلك الفرصة للانتقام من الذين قتلوا أخويه وخذلوه في وقعة الابيض فنقام ثم قتلهم وعفا عن يوسف منصور واسكندر بك وجعل الاول منها قومنداناً على المدافع .

وقد قابلت اسكندر بك ويوسف منصور في ام درمان سنة ١٨٩٨ م فأنكرا هذه الرواية وقالوا ان المهدي كان حاقداً على الضباط لقتل أخويه وخذلانه في وقعة الابيض ولم يعلم الضباط المشار اليهم كيف يتقون نعمته بل زادوه نكايه بعدم العناية به والاستخفاف بأمره . وذكر احدهما تفصيلاً لذلك وصدقته بعض الرواة قال: كان المهدي في يوم جمعة بعد الصلاة يذاكر الضباط في جامع الابيض وكان سعيد باشا جالساً الى يساره معرضاً عنه ويده اليمنى على خده فأمسك المهدي يده وأزاحها عن خده وقال بماذا تتأمل يا محمد سعيد أنا أذكرك بالله ورسوله واليوم الآخر وانت معرض عني أما أن لك ان ترجع الى الله وتترك الدنيا ومومها وتنظر في أمر آخرتك فنهض اذ ذاك سعيد باشا وتأفف ونفض ثوبه في وجه المهدي وانصرف من المجلس مغضباً فانتقبض وجه المهدي وهب أنصاره طالبين القبض على سعيد باشا فأمرهم بتركه وقال لهم لا تمجبوا من نزقه وحقاقته فأنتم تعلمون انه كان بمقام عزيز من مقامات الدنيا ونزع هذا المقام من طلب الدنيا شديد على النفس .

ثم انصرف المهدي الى منزله وعقد مجلساً مع خلفائه ومجلس شوراه بشأن محمد سعيد فأجمعوا على سجنه وتكبيله بالحديد فأخذوه الى ديوان المديرية ووضعوا قيداً من الحديد في عنقه ومكبية في رجله وربطوه في طريق المارة وكان سميناً قصيراً فلقبوه بحراب الفول فكانوا كلما مرّوا به نادوه أي جراب الفول هذه ثمرة عنادك وعاقبة انكارك المهديّة. وقد أراد المهدي بحبسه وتشهيره على هذه الصورة ان يذل نفسه ويخضع كبريائه ولكنه لم يزد بذلك إلا أنفة وكبراً وكان ينظر الى معذبيه ومهينيه نظر المترفع الجلود ولسان حاله ينادي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا تحسبن يا دهر اني ضارع لنكبة تمرقني عرق المدي
مارست من لو هوت الافلاك من جوانب الجو عليه ما شكي

قالوا فلما رأى المهدي منه هذا الاصرار عقد مجلس شورا فأقروا على قتله
هو ومن كان على شاكلته من الضباط والسناجق فساموهم الى المشايخ المتقدم
ذكرهم فقتلهم شر قتلة رحمة الله عليهم .

هذا وما انتشر خبر سقوط الابيض حتى هرع الناس اليها افواجا لمبايعة
المهدي وأشهر الذين أتوا اليه « عثمان دقنه » أتاه من سواكن فسماه أميراً على
جميع البجة في السودان الشرقي فكان من اعظم انصار المهدي وأشد أياديها
وسبأتي تفصيل خبره . وكان قد أرسل بعد واقعة الشلاي الشيخ مادبو المار
ذكره أميراً على دارفور فكان له فيها من الشأن ما سنذكره بالتفصيل . وبث
المهدي كتبه ومنشوراته في شرق البلاد وغربها مبشراً الناس بما ناله من النصر
ومحرضاً إياهم على شق العصا والاجتماع على عماله في الجهات او المهاجرة اليه
وحذرهم من ترك الجهاد او البقاء على الحياد .

وكان رابع الزبير اذ ذاك لا يزال في بلاد الفراتيت ومعه جيش قوي
فكتب اليه يستحثه على الرجوع الى السودان والانضمام اليه للجهاد في سبيل
الله فلم يجبه .

ثم كان أهم ما سعى اليه ضم كلمة السنوسي الى كلمته ليستعين به على غرضه
ويتهدد مصر فلما لم يجبه على كتابه الاول عاد فكتب اليه كتاباً آخر بتاريخ
٥ رجب سنة ١٣٠٠ هـ ١٢ مايو ١٨٨٣ م وأرسله اليه مع طاهر اسحق الزغاوي
الى جنوب وفيه بيتن له كيفية تجلستي المهدي عليه من النبي كما بيئته في منشوره
العام الى « أحبابه في الله » وذكرناه بحرفه وقال :

« واعلم يا حبيبي قد كنا ومن معنا من الاعوان نلتظرك لاقامة الدين قبل
حصول المهدي للعبد الذليل وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك ودعايتك الى الله
على السنة النبوية وتأهيبك لإحياء الدين ونجتمع معك ولم يرد لنا المكاتبه وأظن

ذلك من عدم وصولها اليكم حتى اني ذاكرت جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والأمراء المشهورين فأبوا ذلك لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة توحيدهم حتى بايعني الضعفاء على الفرار بالدين واقامته على ما يطلب رب العالمين وقنعت نفوس من بايعناه من الحياة الدنيا لما يرون للدين من الممات . ولا زال المساكين الذين لم يبالوا بالله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون حتى هجمت المهدية الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير فأخبرني سيد الوجود عليه السلام بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام على كرسية مراراً بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والحضر عليه السلام ... ولا زال التأييد يزداد من الله ورسوله وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي عليه السلام انك من الوزراء لي ثم ما زلنا ننتظرك حتى أعلننا النبي الحضر عليه السلام بأحوالكم وبما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة عن النبي عليه السلام فيما خلفه من أصحابه من اصحابي فاذا اجلس احد اصحابي على كرسي ابي بكر الصديق واحدم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان فقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى ان يأتيكم بقرب او طول وأجلس احد اصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم ولا زالت روحانيتك تحضر معنا في بعض الحضرات مع اصحابي الذين هم خلفاء رسول الله عليه السلام .. وختم كتابه بقوله :

« فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك الى مصر ونواحيها ان لم يسلموا واما ان تهاجر الينا ولكن الهجرة احب الينا كما علمت من فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت وعلى كل حال ترد الينا منك الافادة بما سيصير اليه عزمك من جهاد او هجرة ومثلك تكفيه الاشارة . اه . فلم يجبه السنوسي على كتابه بل قال للرسول شفاهاً « قل لحمد احد اننا كلانا لا نساوي الغراب الذي كان يطأه عثمان بن عفان » .

وأمر المهدي بعد فتح الابيض بقتل اثنين من اعظم أنصاره وهما المنة اسماعيل المار ذكره وعجيل ود الجنقاوي من كبار مشايخ الرزيقات لمنافسة

تاريخ الثورة المهدية

حصلت بينها وبين التعايشي فساء قتلها جميع الناس وكثر الطعن على التعايشي وقومه سرأ وجهرأ وكان التعايشي وزير المهدي وقائد جيشه وعيبة سره فخوفاً من حصول الفشل في أنصاره اصدر منشوره الشهير بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٨٣ م في فضل التعايشي ومكانته في المهديّة وأمر الناس بطاعته كنفسه وحذرهم من الطعن عليه سرأ او جهرأ . وهذه صورة المنشور :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العهد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلماً منه الى كافة عباد الله المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلموا أيها الأحباب أن الخليفة عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش المهديّة المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله ابن السيد محمد حمد الله عاقبته في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه وقد أشار اليه سيد الوجود ﷺ فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تتهموه في فعله فجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم او بأذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره ﷺ والقضاء بأشارته فان فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً فمن كان في صدره حرج لأجل حكمه فذلك لعدم ايمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك بشاهد قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سبحانه بقوله ﷺ ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الخفي الخ الحديث مع انه خليفة الصديق

وأول المصدقين في المهديّة فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين وأوزره بالباطن بالخصر عليه السلام فهو مسدّد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيادي الله لنصر دينه بإشارة سيد الوجود ﷺ وقد ورد في فضله كثير . فحيث فهمت ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والحذلان وسلب الايمان . واعلموا ان جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمة على قتل نفس منكم او سلب أموالكم فلا تتعرضوا عليه فقد حكمة الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفى قلوبكم وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزماً فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله لأنه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه : إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقال ﷺ : ان آمن الناس عليّ في الصحبة ابو بكر . وقال عليه السلام : ما طلعت شمس على احد بعد النبيين أفضل من ابي بكر . وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلة الآن لأن اصحابي كأصحاب رسول الله وهو خليفتنا في الدين وخلافته بأمر من النبي فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصداقاً بمهديتي فليسلم للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً واذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولي الألباب بقضية موسى والخصر عليها السلام حكاهما الله في كتابه العزيز كحكم داود وسليان عليهما الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والاهام وانما أنذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا اليه الظلم والجور فتهلكوا فاحذروا عن أذية أولياء الله فانها أذية الله ورسوله وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال : ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة كما أن من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فان الله غيور على أوليائه فقد علمتم انه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم جرت بها بالنار أهون عند الله من ان يؤذي ولياً من أوليائه . وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب عنا

في جميع امور الدين وإياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال اليه في قوله والمشاجرة له ولأحكامه والخلاف والحسد فتوبوا الى الله وارجعوا قبل ان تذهب حسناتكم وتسلبون ثوب الايمان وانما حلني على هذا البيان النصيحة في الله وحمایتكم من الوقوع في هاوية الانفس والأمانى فمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلطه عليه وهذا امر الله ورسوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام اه .

الفصل الثامن

في

حملة هكس باشا على المهدي في كردوفان

الحكومة والثورة : هذا ما كان من المهدي في الابيض اما الحكومة في مصر فانها كانت في هذا العهد قد اخمدت الثورة المرابية واحتل الانكليز مصر في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢م فصارت باحتلالهم مستندة الى قوتهم مقيدة برأيهم ومشورتهم فلما استقامت الاحوال في مصر وعاد اليها النظام التفتت بكليتها الى السودان وكان عبد القادر باشا اذ ذاك يلح في ارسال المدد قبل فوات الفرصة فأقرت الحكومة على إلغاء جيش عرابي وإرساله مدداً الى السودان وفي الوقت نفسه أقرت على سحق المهدي في كردوفان فصدر الامر العالي بإلغاء الجيش في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٢ م .

وأُنشأ بدله جيش جديد من فلاحى مصر مؤلفاً من ٦٠٠٠ رجل جعل عليه السرافلن ود من خيار الانكليز سرداراً ومعه جماعة من الضباط الانكليز قواداً للاورط وأركان حرب الجيش .



هكس باشا

ولاية علاء الدين باشا سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م :

ثم سقطت الأبيض وكانت الوشاية على عبد القادر باشا فدعته الى مصر كما مرّ وارسلت علاء الدين باشا والياً على السودان فوصل الخرطوم في ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٣ ولكنها حصرت سلطته في الادارة الملكية وجعلت على العسكرية سليمان باشا نيازي قومنداناً عاماً ومكس باشا رئيساً لأركان حربه . اما مكس باشا فهو من ضباط الانكليز النابغين وقد انتظم في الجيش الهندي سنة ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع حربية في الهند والحبشة وتقاعد برتبة كولونيل . وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر فسمي رئيس اركان حرب الجيش المصري ولما ألقي جيش عرابي وصدر الامر بارساله مدداً الى السودان سمي رئيس اركان حرب الجيش في السودان كما مرّ فبرح مصر في ٧ فبراير رسار بطريق سواكن فوصل الخرطوم في ٧ مارس سنة ١٨٨٣ .

وتبعه جيش عرابي في هذه الطريق عينها وكان مؤلفاً من اربعة آليات في كل آلاي ثلاث اورط ومجموعه نحو عشرة آلاف رجل عليهم اربع ضباط مصريين عظام وهم : الميرالاي سليم بك عوفي قومندان ١ جي آلاي والميرالاي حسين بك مظهر قومندان ٢ جي آلاي والميرالاي ابراهيم بك حيدر قومندان ٣ جي آلاي والميرالاي رجب بك صديق قومندان ٤ جي آلاي . فأقام هذا الجيش في ام درمان وبني فيها رجب بك صديق طابية اشتهرت في حصار الخرطوم .

واقعة المربع في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ م : وكان اول ما أقرّ عليه مكس باشا بعد وصوله الخرطوم ان يجرّد حملة على ود برجوب الذي كان لم يزل شاهراً العصيان في الجبلين وقد اجتمع اليه الزعماء الذين خذلهم عبد القادر باشا كود الصليحيابي واحمد المكاشف وأخيه عامر وغيرهم كما مرّ . فلما كان يوم ٣ ابريل خرج من الخرطوم مع سليمان باشا نيازي القومندان العام وجمع في الكوة نحو ٥٦٠٠ مقاتل فيهم الميرالاي خشن بك مظهر والميرالاي ابراهيم

تَبَاحُ الشُّوْكَانِ

بك حيدر ومع كل منها ثلاث اورط واليوزباشي حن عزمي قومندان الطويحية ومعه سبعة مدافع و ٦٠ رجلاً وسنجقان من سناجق الأتراك مع كل منها ٤٠٠ رجل وسار بهذه القوة قاصداً الجبلين . وخرج ود برجوب لقتاله بنحو ٥٠٠٠ مقاتل فالتقى الجيشان في المربع الجنوبي أبا في فجر ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ م وكان هكس قد نظم جيشه مربعا فجعل حملة الجبال والمهات في الوسط ولم يجعل المدافع في الزوايا كجاري العادة بل جعلها بارزة عنها ووصل اضلاع المربع وصلاً تاماً حتى لا يبقى للعرب سبيل الى دخوله ثم نثر حول المربع قطعاً صغيرة من الحديد ذات اربعة رؤوس محددة تقف على ثلاثة منها. ولم يتم تنظيم المربع على هذه الصورة حتى أقبل الدراويش وفرسانهم في ساقبتهم مهاجمين بهيئة قوس فلما صاروا على مرمى الرصاص صدرت الأوامر للعساكر فأمطروهم سحابة من الرصاص برئت بهم تهرباً وخاف فرسانهم وكبراؤهم ان يثليهم ثقل الرصاص عن متابعة الهجوم فصاحوا بهم وحلوا في مقدمتهم بقلوب لا تهاب الموت فكنت ترى الفارس مجرداً سيفه ومطلقاً عنان جواده قاصداً اختراق المربع فيصيبه الرصاص فيقع فيضمد جرحه بيده ويعيد الكرة راجلاً حتى يصرعه الرصاص الى ان ملئت الارض من قتلام فولوا الأدبار وقد قتل من كبارهم ١٢ رجلاً فيهم احد المكاشف وجرح عامر المكاشف جرحاً بالفاً وجرح ود برجوب جرحاً أقمده حتى صار يحمل على سريره . أما جيش هكس فقد قتل منه رجلان وجرح عشرون وتقدم هكس بجيشه الى الجبلين فوجد ديم الدراويش خالياً فعاد الى الدويم فترك جيشه فيها وتقدم الى الخرطوم ليعد نفسه للحملة على المهدي في كردوفان . وقد اختار الدويم النقطة الأساسية لهذه الحملة لأنها ميناء حسن على النيل الابيض وبها شونة قديمة ومنها تتفرغ الطرق الى كردوفان .

حملة هكس باشا على كردوفان ، وكان عبد القادر باشا اذ ذاك قد عاد الى مصر قبل فالح على الحكومة ببقاء الجيش محافظاً على النيل الابيض من الخرطوم الى فاشودة لمنع امتداد الثورة الى جزيرة سنار وترك المهدي وشأنه

نتائج الشوكات

في كردوفان الى ان يظهر للناس نفاقه او تضيق به البلاد فيضمحل من نفسه وكان هذا رأي الكثير من ساسة الانكليز ولكن الحكومة لم تول مصمة على سحق المهدي في كردوفان خوفاً على دارفور وبحر الغزال فأمرت هكس باشا بازحف على المهدي في الحال فكتب تليفرافاً في ١٣ مايو الى حكومة مصر يقول انه لا يتحمل مسؤولية الحملة إلا اذا كانت له القيادة العامة عليها ولما لم تلقت الى طلبه قدم استعفاه في ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ م فاهتمت اذ ذاك بالأمر ونقلت سليمان باشا نيازي محافظاً على عموم شرقي السودان وجعلت هكس قومنداناً عاماً على الحملة وأمرت علاء الدين باشا بمرافقته كقومندان ثان للحملة وجعلت حسين باشا سرّي وكيلاً عنه في الخرطوم .

فشرع هكس باشا في تجهيز الحملة . وكان اول ما لزمه الاهتمام به وسائل النقل فأرسل علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاشترى ٤٠٠٠ جمل وكان عنده ١٥٠٠ جمل فاجتمع للحملة ٥٥٠٠ جمل . ثم أرسل علاء الدين باشا الى الدويم وشرع في ارسال الجند تبعاً من الخرطوم وأم درمان . وفي ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ سار ببقية الجيش الى الدويم فوصلها في ٢٠ من الشهر المذكور فاجتمع عنده فيها اربع اورط مصرية وخمس سودانية فيها ٧٠٠٠ من المشاة المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان الباشوزق و ١٠ مدافع - ببليّة و ٤ كروب و ٦ من نوع النور دنقلت . ما عدا ٢٠٠٠ من الاتباع و ٥٥٠٠ جمل و ٣٠٠٠ بغل و ١٠٠٠٠ حمار و ٥٠٠٠ فرس .

وأما ضباط الجيش العظام فهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان الآلاي الاول والسيد بك عبدالحالق قومندان الآلاي الثاني وحسين بك فهمي قومندان الآلاي الثالث ورجب بك صديق قومندان الآلاي الرابع ما عدا السناجق الباشوزق . واما حسين بك مظهر قومندان الآلاي الثاني السابق فقد رُقي الى رتبة لواء ورافق الجيش قومنداناً على الآلايات الاربعة واما ابراهيم بك حيدر قومندان الآلاي الثالث السابق فقد رُقي ايضاً الى رتبة لواء وسمي قومنداناً على خط النار في الخرطوم .

وصحب هكس من الضباط الافرنج الكولونيل فركوهار رئيس اركان حرب و ٨ ضباط اركان حرب وسكرتيره الخاص ميخائيل افندي ناصيف اللبناني شقيق سليمان بك ناصيف من كبار موظفي الحربية بمصر وجورجي بك الحكيم الرومي ومكاتبو التيمس والدالي نيوز والغرافيك وكلهم من الانكليز. وصحبه من الخبراء صالح غاتم وابراهيم محجوب وأوآ. ومن الملكية الوطنيين الذين استصحبهم من الخرطوم ليأمن شراهم ويوليهام امر كردوفان في حالة النصر : قناوي بك ابو عموري البحتاري الشهير الذي تقدم ذكره في تاريخ الزبير وبساطي بك المحسي باشكاتب الخرطوم وخذ بك التلب الجملي رئيس مجلس الاستئناف ومحمود بك احمداني الكنزي مدير الخرطوم وعبد الرحمن بك بان التقا الجملي من عمد التجار . وأبقى الكولونيل ده كوتلوجن من اركان حربه في النيل بين الخرطوم وفاشودة لمنع مهاجرة الناس من الجزيرة الى المهدي .

وفي حال وصوله الى الدويم اجتمع بعلاء الدين باشا ونظرا في طريق الحملة فلابيض من الدويم طريقان شهيرتان : طريق بارة طولها ١٧٦ ميلا وماؤها قليل وتصل الابيض من الشمال. وطريق شات طولها ٢٦١ ميلا وماؤها كثير وتصل الابيض من الجنوب . فقال هكس بطريق بارة لأنها أقصر وقال علاء الدين بطريق شات لأن ماءها أغزر يكفي الحملة فقرّر الرأي على قول علاء الدين. وسارت الحملة من الدويم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فرّت بشات وتركّت فيها حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل ثم تقدمت الى آبار زريقة وقبل الوصول اليها وقع اختلاف شديد بين هكس وعلاء الدين في شأن خط الاتصال فأراد هكس ان يجعل في كل منهل حامية عسكرية مؤلفة من ٢٠٠ رجل لحفظ خط الاتصال مع النيل وقد ترك حامية في شات لهذه الغاية فاعترضه علاء الدين وقال ان هذه الحاميات لا تستطيع حفظ نفسها فضلا عن خط الاتصال اذ البلاد كلها قد سلت للمهدي فلا نترك حامية في منهل حتى تحيط بها العربان وتأخذها عنوة فنكون بذلك قد أهلكنا جانباً من رجالنا

ولم نستفد شيئاً . فمقد هكس باشا مجلساً من الضباط الافرنج والمصريين للحكم في الامر فأجمعوا على قول علاء الدين وسار الجيش من ذلك الحين كأنه جسم واحد متأهب للقضاء العدو في كل لحظة . وكان سيره بهيئة مربع عظيم في مندمته الدليلان فالطلائع فاضباط العظام فأركان الحرب ثم المربع وهو مؤلف من المشاة في وسطه الطوبجية وفي ساقته الفرسان ثم الجبال والاحمال ثم الفرسان الباشبوزق وهم وراء الكل .

وكان المهدي لا يغفل طريقة عين عن مراقبة حركات الجيش فلما أتاه خبر قيام هكس من الدويم أمر اصحابه فخرجوا من الابيض الى ساحة في شرقي المدينة ثم خرج بنفسه ونزل تحت شجرة شهيرة من شجر التبليدي وانتدب اربعة من كبار قواده وهم : محمد عثمان الشير بأبي قرجة وشيخ فضلو احمد وعبد الحليم مساعد وعمرود الياس باشا ومعهم نحو ٣٠٠٠ رجل وأمرهم بالتوجه الى حيث تكون الحملة وتعتقب حركاتها وعدم عاربيتها في واقعة بل ان يناوشوها القتال ويمنعوا أهل البلاد من الانضمام اليها ويوافوه بالاخبار تباعاً فصدعوا بالامر ووافوا الحملة بالقرب من العقيلة في ١١ اكتوبر فلاموها من ذلك الوقت وصاروا اذا سارت ساروا وراءها وطمروا الآبار بعدها واذا وقفت وقفوا بعيداً عنها وناوشوها القتال وما تطرف احد منها إلا قتلوه حتى ان الجبال لم تستطع المرعى لانحصارها في المريع فجاءت وأكلت قش رحاها وخارت قواها فمات كثير منها وبدأ ألغظ في الجند من ذلك الوقت فأيقنوا بالخذلان وتوقعوا العواقب الوخيمة وصاروا كلما توغلوا في البلاد زاد خوفهم ولغظهم حتى رأوا انهم سائرون حتماً الى حتفهم وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى منهل الرهد في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م فنزلوا في جنوبيه ونزل أمراء الدراويش قبالتهم في شماليه وذهب اعدم عبدالحليم الى الابيض فأخبر المهدي بما كان من أمرهم .

وفر من الحملة قبل وصولها الى الرهد بقليل خادم مكاتب الداي نيوز وهو صف ضابط الماني اسمه كلوتس فذهب الى المهدي في الابيض وأخبره ان الحملة

تاريخ السيدات

في يأس وخوف شديد فأيقن المهدي انه غالب لا محالة وأمر كلوتس باعتناق الاسلام ففعل فسماه مصطفى وبقي في الأسر الى ان حاول النجاة من القلابات فمات في الطريق .

وأقام هكس في الرهد ستة أيام ينظر في طريق الحملة الى الابيض ولم يكن للأبيض من الرهد إلا طريقان : طريق الملابس وطريق البركة فقرّر الرأي على اختيار طريق البركة لأنها أغزر ماءً فسار بالجيش قاصداً المنهل المذكور وأرسل في الطريق أحد الخبراء ومعه عبد الى الابيض للاستعلام عن قوة المهدي ووجهته ووصل بالجيش الى منهل علوبه الاثنين في ٢٩ اكتوبر فوجد فيه ماءً غزيراً فأقرّ على البقاء فيه الى ان يعود الخبير بخبر المهدي . فلما كان يوم الخميس ١ نوفمبر عاد المهد وحده ومعه ١٥٠٠ نسخة من كتاب كتبه المهدي الى هكس وجنوده وهذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن عبد ربه الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من اهل الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الأمر بيد الله لا يشاركه في ذلك بنادق ولا مدافع ولا صواريخ ولا غصّة لأحد إلا من عصمه الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغفروا بأسلحتكم ولا يجنودكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فان لا قوة لشيء دون الله وان قلتم ان مهادتنا مكذوبة فاعلموا ان الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف الخلق ويستعجز قوة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغفروا انكم اقول علمائكم فان الترك الذين قتلتم شكوا للحق عز وجل وقالوا يا إلهنا ومولانا ان المهدي قتلنا من غير انذار فأقول أنذرتهم يا رب فلم يسمعو وحضر على ذلك شاهد أ سيد الرجود ﷺ وقال لهم الامام المهدي أنذرتكم فلم تسمعوا له وسمعت قول علمائكم فذنبتكم عليكم فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين

استضعفوا ألحن صندقاكم عن المهدي اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا اليها مسلمين ومن سلم سلم وان أبيتم إلا الجحود والاعتزاز بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام .

فلما أطلع مكس على الكتاب مزقه وأحرق نسخه كلها . وسأل العبد عن الخير فقال ان المهدي أمر بقتله وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركة .

واقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ م : ولما كان يوم الخميس ١ نوفمبر وهو يوم وصول العبد الى علوبه استعمل المهدي على الابيض احد أقاربه عهدالله ود الصمد وخرج بجيش يليف على ٥٠ ألفاً قاصداً البركة فسار حتى نزل بمنهل فرتقول وهو منهل قليل المياه جداً حتى ان المسافرين كانوا اذا نزلوا به لا يكاد يكفي العشرين منهم فضلاً عن دوابهم قالوا فلما نزل المهدي به ورأى قلة الماء صفر فخرج منه ماء غزير أروى تلك الجيوش وقاض حتى سقوا رواحلمهم وملأوا قريهم III

ثم بلغ المهدي وهو بالمنهل المذكور ان الجيش قاصد منهل البركة وجاد السير ليسبقه اليه فأمر في الحال محمود بن عبد القادر من أقاربه وضوء الدين ابن عهدالله رئيس النواب ومن معها من اهل رايتها فجدوا السير حتى وصلوا المنهل المذكور الجمعة في ٢ نوفمبر ثم ارتحل المهدي بباقي اصحابه صبيحة يوم السبت ٣ نوفمبر من منهل فرتقول وفي ظهر ذلك اليوم نزل بمنهل البركة .

وكان مكس لما علم من العبد ان المهدي قاصد البركة أرسل اليها رسلاً من علوبه لتحقيق الخبر فعادوا وأخبروا ان الدراويش قد احتلوها فجمع مكس اذ ذاك الضباط والخبراء فعدلوا عن طريق البركة وأتروا على طريق الملبس التي تمر بشيكان فخرجوا من علوبه فجر السبت في ٣ نوفمبر وساروا عشرة أميال ثم وقفوا وزبروا زريبة متينة وباقوا فيها الى صباح الاحد وبلت الدراويش المطاردون لهم بالترب منهم .

تأريخ الثورة

اما المهدي فانه عند وصوله الى البركة ظهر يوم السبت كما مرّ آتاه ابراهيم الحاج الشهير بالترجماوي ومعه جماعة وقالوا له : يا سيدي يقول الناس ان الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الابيض ليستأصلوا من فيها ويحوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر في الجيش وأرجف الناس بذلك فلتنوجه الى الابيض قبل الترك . فالتفت المهدي وقال ايها الناس أنصتوا ثم بصق في كفه اليسرى وقال أي شيء هذا ؟ قالوا بصاق يا سيدي ثم طرحه على الارض فشرته في الحال فقال للناس : هل ترون لهذا البصاق أرواً ؟ فقالوا له لا فقال نحن كالارض والترك كالبصاق . ثم قال : اذا طار طائر فأين ينزل ؟ فقالوا له : على الارض فقال لهم : ان الترك كالطائر ونحن كالارض ايها الناس اثبتوا واطمنثوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لا قدرة لهم مع قدرة الله ثم قال: غداً يوم الاحد تتوجه اليهم وفي صبيحة الاثنين بعد ان نأمركم بمحاربتهم اذا تأخر أحدكم لاصلاح فعله لم يدركهم أحياء . ثم جمع المهدي جميع الفرسان وأهل الاسلحة النارية فضمهم الى ابراهيم الترجمماوي المذكور وأرسلهم لمجدة للسرية لمطاردة الجيش في عشية ذلك اليوم (السبت) فوصلوها صباح الاحد في ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم عبيطين بالجيش من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم فزادوا في حصره . وفي هذا اليوم قبيل الصبح ارتحل المهدي بكل جيوشه من البركة قاصداً الجيش ونزل في منهل شيكان عند الضحى ويسمى هذا المنهل ايضاً بمنهل أم مصارين فلما نزل المهدي به قال له بعض اصحابه : يا سيدي هذا المحل يدعى بمنهل أم مصارين فقال ان مصارين الترك تصب فيه .

وكان هكس لما أصبح صباح الاحد المذكور قد خرج من الزريبة التي كان بائناً فيها واستطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدري ان المهدي قد احتله يحيوش فما سار ساعة حتى خرج من جيش المهدي حمدان ابو عنجه وعبد الله ود النور وقوزي احد كتاب المهدي بمن معهم من الانصار المسلحين بالاسلحة النارية وبينهم عدد وافر من الفرسان وحلوا حملة صادقة على ساقة الجيش حيث المهاات والدخائر فاختلفوا بالمساكر فدارت عساكر المقدمة عليهم وهزمتهم

ولكنهم تمكنوا من أخذ بعض الخيول والجمال والازواد وقد قتل منهم في تلك الهجمة اربعة بينهم فوزي كاتب المهدي وجرح عبد الله ود النور وقتل من الجيش رجب بك قومندان الآلاي الرابع ونفر من العساكر . وزرب الجيش في محل الواقعة زربية من شوك وأقام فيها قيل ولما رأى اصحاب المهدي ما حلّ بالجيش من التزلزل والاضطراب رغبوا من المهدي ان يأذن لهم في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم فقال لهم : أخبرني سيد الوجود ان الترك لا يموتون كلهم اليوم وانما هلاكهم يكون غداً الاثنين . وبقي اصحاب الاسلحة النارية منهم يحيطين بالجيش يرمونه بالرصاص بقية ذلك اليوم وليلة الاثنين الى الصباح فحملوه خسارة تذكر وكان في جملة من قتلوه جويرجي بك الحكيم . فرأى مكس ان الاقامة في تلك الزربية لا تجدي نفعا ولم يكن يدري أي سبيل يتبع فجمع مجلساً من الضباط العظام والملكية الذين صحبوه فلم يقرروا على رأي وكثر اللغط بين الجند وتسلط الرعب على قلوبهم واشتد بهم العطش لبعدهم عن الماء فأيقنوا بالهلاك . فعول مكس اذ ذاك على المسير تحت رحمة الله نحو منهل شيكان . وقيل ان الخبراء الذين كانوا معه كان بينهم وبين المهدي مواطاة سرية فقادوا الجيش في الطريق التي دلهم عليها المهدي .

فلما كان ضحى الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ خرج مكس يحيشه من الزربية بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوي الاضلاع في كل زاوية مربع وبين المربع الواحد والاخر ٣٠٠ ياردة وفي وسط كل مربع مهابه وذخائره . وسار مكس وأركان حربه في مقدمة الجيش يتبعه بعض الطويحية بأربعة مدافع ومن وراء المدافع المربع الاول ثم المربعان الآخران واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وكان السواري يحمون المؤخزة والجوانب المكشوفة من المربعات . وما سار الجيش على هذا الترتيب نصف ساعة حتى دخل وادياً مفتوحاً شائكاً وعلى كل من جانبيه غابة كثيفة فجعل المهدي معظم جيئته في تينك النابتين عن يمين الجيش وشماله وجعل الباقي في وسطه الوادي في طريق الجيش وعليهم عبد الرحمن النجومى وكان محمد أبو قرجه ومن معه من الانصار

تاريخ المهدية

لم يزالوا متتبعين الجيش من الوراء فأصبح الجيش مكتنفاً يحيوش الدراويش من الجهات الأربع . وكان المهدي لما رأى الجيش من بعيد جمع أمراءه لآخر مرة وصلى أمامهم ثم رفع سيفه وقادى الله أكبر عليهم ثلاثاً ثم قال احملاوا عليهم ولا تحشوا نيرانهم فان أرواحهم مزلة ونيرانهم لا فعل لها . وانكم لظافرون عليهم بأذن الله فما دخل الجيش ذلك الوادي حتى حملوا عليه حملة واحدة من كل جهة فاخترقوا صفوفه وأوقعوا الفشل في المساكر وأخذوا يقتلونهم طعناً بالرمح وضرباً بالسيوف واستفروا في القتال فلم يمض ساعة حتى قتل الجيش برمته وفيهم هكس وأركان حربه وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكمت جثث القتلى في محل الواقعة كالتلال ولم ينج من الجيش كله إلا ملازمان (وهما محمد افندي صلي من المنصورة وقد فرّ بعد ذلك من الخرطوم الى مصر واحد افندي عزمي وقد مات في كردوفان) ونحو ثلاثمائة جندي اختبأوا بين الأشجار ودواب الحملة والقتلى فوقعوا كلهم في الأسر . وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحملوه الى المهدي . وقد قاتل هكس وأركان حربه وجميع رجال الجيش ما استطاعوا الى القتال سبيلاً وماتوا مشرفين موت الابطال بعد ان قتلوا من الدراويش نحو مئتي رجل منهم ابو أمية والطاهر وغيرهما من أقارب المهدي وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب وهو من اصحاب المهدي السابقين ومحمد وعبد الرحمن ابنا النصري وعثمان ابن عم الخليفة محمد شريف وعبد الرحيم احد المادحين للمهدي وغيرهم فنقلوا الى محل المهدي فأمر بدفنهم بما عليهم من الثياب . ثم أمر المهدي فجمعت الفنائم ونقلت الى البركة فكان منها كثير من الأسلحة والجبخانه والمدافع والميرة . وأقام المهدي بشيكان الى يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة ثم خرج منها عائداً الى منهل البركة فأقام فيه بضعة عشر يوماً وهناك فرق الغنائم بين اصحابه بعد اخراج الخمس منها لنفسه .

ثم عاد الى الابيض بالمدافع والنخائر والأموال فدخلها باحتفال شائق وكتب الى عماله في الجهات مبشراً أيام بالنصر الذي آتاه الله عن يده في قتله

هكس وهذه صورة ما كتبه الى عثمان دقنه في ١٠ ربيع اول سنة ١٣٠١ هـ
٩ يناير سنة ١٨٨٤ م :

« ومن خصوص الجردة المصرية التي بلغكم أنها حضرت الينا من طريق
الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى. وقتلناها عن آخرها شر
قتلة بما فيها من الرؤوس الكبار احدم علاء الدين الحكندار والثاني هكس
النصراني والثالث حسن وغيرهم من الضباط والآن جميع مدافعهم وأسلحتهم
بيدنا وهي شيء كثير جداً وكان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة
١٣٠١ هـ بحجة علوبه (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون ألفاً. فانقضوا
في أقل من ساعة واشتعلت النار في أجسامهم بأمر الله السماوي هذا وأفيدونا
بأحوالكم والسلام » اه .

اخلاء السودان : وكان هذا الانخزال العظيم الذي أصاب الحكومة في
شيكان قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم فان عقلاء أهل الجزيرة
وغالب اهل الخرطوم والسودان كانوا قبل هذه الواقعة يترددون في اتباع محمد
احمد وينتظرون حربه مع هكس فلما علموا بما أصاب هكس وجيشه ورأوا
عجز الحكومة عن اذلاله انقطع كل رجاء لهم في الحكومة ووقدوا على المهدي
بالابيض أفواجاً يبايعونه وفي جملتهم الملك آدم أم دباله ملك جبل تقلي .
وانتشر خبر المهدي في العالم الاسلامي كله فجاءته الوفود من الحجاز والهند
وقونس ومراكش لزيارته وتحقيق دعوته .

أما الحكومة في الخرطوم فانها عند سماعها خبر هلاك هكس اضطربت
وارتاعت وأرسلت بالخبير تليفرافياً الى مصر وبعثت وابوراتها في النيل الابيض
فانتشلت عساكرها من فاشودة والكوة وشات والدويم الى الخرطوم وشرعت
في زيادة تحصين الخرطوم .

وأما الحكومة في مصر فقد رأت انها لا تستطيع سحق المهدي واعادة
النظام الى السودان بعد الآن إلا بجيش جرار من الجنود النظامية المصرية ولم
يكن هذا الجيش متوفر لديها لا سيما بعد الذي صارت اليه مصر بسبب الثورة

كتاب السودان

العراية من الضعف وتضعف الاحوال . وكانت الحكومة الانكليزية قد أرسلت الكولونيل ستيورت من ضباطها العظام الى الخرطوم في أواخر سنة ١٨٨٢م فدرس احوال السودان درساً دقيقاً وأرسل لها تقرير بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٨٨٣م نظر فيه ملياً في حالة السودان المالية والادارية وبين وجوه الخلل وطرق الاصلاح وعجز المصريين عن حكم السودان وحدهم . فأقرت الحكومة اذ ذاك على اخلاء السودان واسترجاع عاكرها من الحاميات كما سيجيء .

ثم ان المهدي لم يقتصر على بث الرسل والكتب الى الجهات لإذاعة النصر الذي ناله في شيكان بل أرسل السرايا الى الجهات كدارفور وبحر الغزال وبربر ودنقلة وغيرها لاختضاع الحاميات المصرية فيها واحتلال البلاد باسمه وأرسل الى كبراء المشايخ في جزيرة سنار لحصر الخرطوم وأخذ يستعد للزحف بنفسه عليها. فلنبداً الآن ببيان ما كان من الثورة في تلك الجهات قبل زحف المهدي على الخرطوم .

الفصل التاسع

في

وقائع الثورة في دارفور

سنة ٢ - ١٨٨٤ م

كان آخر عهدنا بدارفور لإخماد ثورة الأمير هارون على يد سلاطين والسور عنقرة وكان سلاطين اذ ذاك مديراً على داره والنور عنقرة مديراً على كبكية والمدير العام على الفاشر مساداليه بك والوالي على السودان غوردون باشا قلما تولى رؤوف باشا السودان عزل مساداليه بك فقام على مديرية الفاشر الميرالاي علي بك شريف المار ذكره في حصار الأبيض الى ان سمي سلاطين باشا مديراً عاماً على دارفور فوصل الفاشر في ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ وتولى زمام الاعمال فعزل النور بك عنقرة عن كبكية لشكاوى وجهت عليه من ضباطها وأرسله الى كردوفان فكان من أمره فيها ما قدمناه فبقي البكباشي آدم اقتدي عامر السوداني قومنداناً على الحامية وسمي محمد بك زقل من أقارب المهدي مديراً على داره مكان سلاطين . ثم لم تكن إلا هنيئة من الزمن حتى ظهرت الثورة المهدية وامتدت شعلتها الى دارفور فكان لسلاطين فيها من الشأن ما فصله في كتابه « السيف والنار في السودان » أحسن تفصيل .

ثورة الشيخ مادبو : وكانت أول من أوقد نار الثورة في دارفور الشيخ مادبو أحد مشايخ الرزيقات المار ذكره هاجر الى المهدي في قدير فحضر معه واقعة الشلاي وعاد منه أميراً على دارفور فرفع راية المهدية فيها فاجتمع عليه خلق كثير وكان في شكا حامية عسكرية عليها يوسف افندي منصور قومنداناً فنازل الحامية فخرج عليه نفر منها فقتلهم وتقوى بسلاحهم وذلك في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢ .

واقعة أم وريقات : فلما اتصل الخبر بسلطين أسرع الى داره فأخذ بعض عساكرها وقصد مادبو حتى وصل منهل الضعين فبلغه انه نازل بالقرب منه فعمل زريبة من شوك وتحصن فيها فعلم به مادبو وكان بينه وبين سلطين مودة قبل المهدية فكتب اليه ينصحه بالتسليم ويقول: « ان البلاد كلها أصبحت للمهدي والأجدر بك ان تسلم فتسلم وإلا فلا بد لي من محاربتك وإن كنت صديقي » فلم يجبه سلطين على كتابه بل قال للرسول اذهب الى مادبو وأخبره أن ليس بيني وبينه إلا السيف ثم تجسس جيش مادبو فوجده قوياً لا طاقة له بحريه لقلة رجاله فرجع الى داره لأخذ الأهبة لنفسه. ورجع اليها ايضاً يوسف منصور فاراً من شكا فوبخه سلطين لتركه حاميته بلا اذن . وجع من داره وباديتها ٢١٥٠ من العساكر النظامية والبازنجر و ٧٠٠ من العربان المتحابة كالبيقو والبرثات والبرقد و ٤٠٠ فارس من الزغاوة والمسيرية والداجو والمعالية ومدفعاً جبلياً وعاد قاصداً مادبو وكان مادبو قد كمن له في أرض شائكة موحلة على طريق شكا تعرف « بأم وريقات » فلما دنا من الكين فاجأ بالهجوم عليه وكان سلطين قد جعل عسكره على شكل مربع ولكن كان أكثره من البازنجر وعربان البادية فلم يحفظوا النظام الذي أمروا به فدخل عربان مادبو في وسطهم وفتكوا بهم فتكاً ذريماً حتى لم يبق منهم سوى ٩٠٠ رجل من نظامية وبازنجر وذلك في أقل من نصف ساعة وكانت الواقعة يوم السبت في أواخر أكتوبر سنة ١٨٨٢ . وقد أصيب سلطين برصاصة في بنصر يده اليمنى فذهبت بها وجرح برصاصة في فخذه فجمع بقية جيشه وكان بينهم

كثير من الجرحى فتحصن بهم في تل قريب من محل الواقعة الى ان تماثل الجرحى فرجع بهم الى داره كل ذلك ومادبو لا يزال يهاجمه ويطارده على التل وفي الطريق وهو يصدّه ويدفع غاراته حتى دخل داره .

عصيان حامية دارة : وكان قد ترك في دارة حامية مؤلفة من ٤٠٠ من العساكر المنظمة و ٢٥٠ من البازنجر و ٣٠ فارساً و ٧ مدافع فوجدهم قد تغيرت حالهم ومالوا الى العصيان وكان قد بلغهم خبر ثورة عرابي في مصر واخراج الخديوي منها لمصادقته النصاري فأرادوا ان يفعلوا مثل ذلك بسلاطين خصوصاً بعد انتصار مادبو عليه . ثم لم يكن إلا القليل حتى جاء خبر سقوط الابيض فسرى روح الثورة في جميع بلاد دارفور وازداد عساكر الحامية عتواً ولم ينمهم عن المجاهرة بالثورة والفتك بسلاطين إلا ما بلغهم بعد قليل من عزم الحكومة على ارسال جيش جرار لسحق المهدي في كردوفان ولكن كان بينهم جماعة من اهل دارفور فاتفقوا على الفرار الى دود بنقه الذي قام في جبل مرة بعد الامير هارون كما مرّ وجاهرُوا بالعصيان قائلين « اننا لا نرضى ان يحكنا نصراي » فأمر سلاطين بمجاكمتهم بمجلس عسكري فحكم المجلس بقتلهم وصدقه سلاطين فقتلوا .

اسلام سلاطين : ومع ذلك لم يزد العساكر إلا عتواً ونفورا وقد أثرت ثورة عرابي تأثيراً ثابتاً في أذهانهم وأيقنوا انهم انما خذلوا في واقعة ام وريقات لأن رئيسهم نصراي فرأى سلاطين أنه لا يمكن استرجاع سلطته عليهم وهو نصراي فجمعهم ووقف بينهم خطيباً وقال « اعلوا اني مسلم مثلكم وأشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ففرح العساكر باسلامه وعادوا الى طاعته .

بعثة زُقل الى المهدي : ولكن اهل دارفور في الخارج لم يزالوا على العصيان وتيقن سلاطين انه لا يمكن ودّهم الى الطاعة والولاء إلا اذا كُسرت شوكة المهدي في كردوفان وكان قد بلغه خبر حملة مكس فأصبحت آماله كلها معلقة بها فأحسب مخاطبة مكس ليعمله بحاله ويستحثه على انقاده ولكن كان يخشى

سّر محمد خالد زقل مدير دارة لأنه من أقارب المهدي وكان بينه وبين المهدي غاطبات سرية فأراد سلاطين التخلص منه من جهة والاحتياط للمستقبل من جهة ثانية فخلّا به وأخبره بأنه عالم بعلاقته مع المهدي وقال له اني مرسلك الى الابيض لمنع المهدي من ارسال جيش الى دارفور او تحريض اهلها على الثورة فاذا غلبه هكس واسترد منه البلاد فأنا شفيحك عند الحكومة والا فالبلاد من نفسها تسلم للمهدي وخير له ان يأخذها عامرة من ان يأخذها خربة وفي الوقت نفسه اعطيك كتاباً ترسله الى هكس ليعلم بحالنا ويمجّل في انقاذنا ، فسّر زقل بهذا الرأي واراد سلاطين ان يجعله برأي اهل الحامية ليقدم به فمقد مجلساً من الضباط والأعيان وعرضه عليهم فصدقوه وكتبوا كتاباً الى المهدي يمدونه بالتسليم وكتاباً الى هكس يستعجلونه لنجدتهم فحمل زقل الكتابين وذهب بهما الى المهدي في الابيض . فلما رأى مطوعة المهدي والعزّ الذي صار اليه في كردوفان نبذ سّر سلاطين ظهرياً واتحد مع المهدي قلباً وقالباً وأرسل سراً الى احد اصدقائه في داره يخبره بما رأى من سطوة المهدي ويقول له قم واحضر بعائلي الى الابيض مستعيناً بمادبو فلما علم سلاطين بذلك حبس عائلة زقل في منزلها واستصفى أمواله وألقى القبض على بعض اقاربه في داره وزجهم في السجن .

واقعة كرشو : ولنرجع الآن الى مادبو فانه بعد دخول سلاطين في داره نزل في كرشو على يوم ونصف يوم جنوبياً فخرج عليه سلاطين ببعض عساكره وباغتته الهجوم فهزمه وعاد الى داره بكثير من الأسلاب والفنائم .

واقعة البويرة : وعاد مادبو فجمع جموعه في مكان يقال له البويرة في دار فر فجرد عليه سلاطين ٤٥٠ من الجهادية و ١٥٠ من البازنجر وقتك به وأوقع الفشل في جيشه ففرّ حافي القدم عاري الرأس على جواد بلا سرج وغنم سلاطين جميع أمتعته وفيها نحاسه فعظم على مادبو فقد نحاسه لأن ذلك عار عليه فجمع العربان من جديد وتقدم لمناوأة سلاطين في داره واسترجاع نحاسه .

عقد الصلح: ولم يكن سلاطين يقوى عليه لقلة رجاله ولا كان من الممكن الخروج بجميع العساكر وترك داره بلا حامية فالتجأ الى الحيلة وجمع مشايخ العرب تحت شجرة خارج داره وعقد معهم صلحاً وكتب بمعرفتهم كتاباً الى المهدي يسأله ارسال رجل من قبله ليسلمه البلاد قائلاً انه لا يستطيع ان يسلمها الى العرب الذين حاربهم مخافة ان يلتقموا منه .

وفي هذه الاثناء جاء سلاطين ورقة صغيرة من علاء الدين باشا يقول فيها « ان سمو الخديوي قد سماك قومنداناً عاماً على العساكر في دارفور وان من عزم الحكومة ارسال قوة كبيرة لسحق المهدي في كردوفان وتسكين الثورة » فأرسل صورة منها الى الفاشر وكبكية فقرئت للناس جهاراً وأطلقت المدافع عند قراءتها. وكانت الحكومة قد أرسلت اليه مراراً بتسمية احد أمراء دارفور سلطاناً على البلاد وحشد عساكر الحاميات كلها في الفاشر والعودة بها الى الخرطوم ولكن هذه الرسالة لم تصله .

تسليم دارة في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م :

ثم لم يكن إلا القليل حتى كانت واقعة شيكان فاهتزت لها دارفور وأرسل المهدي محمد خالد زقل عاملاً عاماً على دارفور بجيش عظيم فجاءها بطريق أم شنقه وكان فيها حامية صغيرة فسلمت له . ثم سار منها قاصداً دارة فنزل في حلة شميرية مسيرة يوم من دارة وكتب الى سلاطين يدعوه الى التسليم فحضر اليه مسلماً وذلك في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ فأكرمه وذهب به الى دارة فسلمت اليه . وكان فيها ٥١٠ من العساكر النظامية والباشبورق وشيء قليل من الذخيرة . وانتشر جيش زقل في المدينة يجمعون الغنائم فجرّدوا أهل الحامية وعذبوا من أخفوا أموالهم او ظنوا انهم أخفوها وحتّوهم ما لا يطاق. وأخبرني من أتى به وذكره فوزي باشا في كتابه « ان سلاطين باشا لما رأى ما آتاه زقل من تعذيب المصريين طار صوابه وذهب اليه في دارة وقال له جهاراً : « لو علمت انكم تعاملون ضباطي هذه المعاملة لصليتم حرباً يشيب

لهولها الطفل وسمحت بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب وأنا على يقين من ان الواحد منهم لا يموت الا بعد ان يقتل عشرة منكم ، فأخذ زقل يلاطفه وأوصى بتخفيف العذاب عن البعض وأطلق البعض .

تسليم كبكبيّة : وكان زقل قد كتب من شعيرية الى السيد بك جمعة في الفاشر والى آدم عامر في كبكبيّة يدعوها الى التسليم وطلب من سلاطين ان ينصحها بذلك ففعل فأرسل آدم عامر مفاتيح الخزينة والشونة والجبخانه علامة على التسليم ثم حضر مسلماً بمن معه من العساكر .

تسليم الفاشر في ١٤ يناير سنة ١٨٨٤ م :

وأما السيد بك جمعة فانه رفض التسليم ودافع عن حاميته أياماً حتى اضطر الى التسليم عطشاً وقد رأيته سنة ١٨٩٨ بعد واقعة أم درمان وسأله عن كيفية دفاعه وتسليمه الى زقل فقال : « لما ذهب سلاطين من الفاشر لتأديب مادبو عند أول ظهور الثورة بقيت أنا على الفاشر فقام رجل في كرو على ست ساعات منا يقال له « ابو ود جودة فات » البرناوي وجمع جموعه وأشهر العصيان فجردت عليه ونكلت به وفرقت جموعه . ولكن لم يكن إلا القليل حتى هب للثورة جلّ أهل الدار من حضر وبادية فاجتمعوا على الملك حسب الله ملك زغاوة والسلطان جدّوه سلطان ميمة والشيخ حسب الله من الماهرية وكوع النمر من الزبادية ونزلوا في وادي بيرو على ساعتين جنوبي الفاشر يريدون حصرنا فخرجت عليهم بمعظم العساكر وضربتهم ضرباً شديداً وشتت شملهم ثم عادوا فاجتمعوا على السلطان جدّوه وحصروا الفاشر من كل الجهات وأحرقوا المنازل المجاورة للاستحكام فصيلتهم ناراً حامية من المدافع والبنادق ورددتهم على أعقابهم خاسرين . ومن ذلك الحين لم يعد أحد يحسر على مهاجمتنا حتى حضر محمد خالد زقل وطلب منا التسليم فلم نرض به ولا صدقنا ما قاله لنا من تسليم سلاطين اليه وصمنا على الحرب وكتبنا الى عساكر كبكبيّة لاتضلم البنا ولكن خرج منا عمر أغا. ود ترحو من سناجق الشايقية

مسلماً ولم نكن نعلم بما كان من عساكر ككبكية فخذنا ان عمر مرحو يخبر
 زقل بما كتبناه اليهم فيقطع الطريق عليهم ويصدم عن الوصول اليها فكتبنا
 الى زقل نخادعه بأننا مسلمون ثم حضر فقابلناه بالرفض واشتعل بيننا قتال
 شديد دام ٤٨ ساعة أطلقنا فيها الف قنبلة عدا ما أطلقنا من الرصاص فهزمناه
 الى وادي بيرو حيث أقام ١٨ يوماً حتى أتاه المدد من دارة وكان عساكر
 ككبكية قد انضموا اليه فأعاد الكرة علينا وحصرنا في الاستحكام وكان
 استحكاماً منيعاً وعندنا من الذرة ما ينيف على ٦ آلاف اردب ولكن أعوزنا
 الماء وقد كنا في بادئ الامر نستقي الماء من آبار في الحور خارج الاستحكام
 فلما حضر زقل لحصرنا هذه المرة سد الآبار فشرعنا في حفر بئر داخل
 الاستحكام أوصلناها الى عمق ٦٠ قامة ولم نظفر بالماء لأن الاستحكام قائم على
 تل رملي فعطشنا ودام القتال ثمانية ايام متوالية حتى صار العساكر يموتون
 عطشاً فمعدت اذ ذاك مجلساً من ضباط الحامية للنظر في رأي يكون فيه
 نجاتنا فلم نرَ بداً من التسليم فكتبنا بذلك كتاباً الى زقل يوم الاحد في ١٤
 ربيع الاول سنة ١٣٠١ هـ ١٣ يناير سنة ١٨٨٤ م .

وفي اليوم التالي الاثنين فتحنا الابواب وكان في الحامية اذ ذاك ٥٠٠ رجل
 من الجهادية و ١٠٠ من الطويحية على ١٢ مدفعاً فوق ستة أبراج ونحو ٦٠
 رجلاً من الملكية فدخل الدراويش علينا وصادرونا في أموالنا وأمتعنا وقد
 استنطقوا جميع الضباط والسناجق والأعيان ليدلّوهم على أموالهم ومن أنكر
 عذّبوه حتى اعترف او مات فضربوا الصاغ حمادة افندي من ضباط الطويحية
 حتى فاضت روحه . وقبضوا على سعيد أغا الفولي وابراهيم أغا بزل ولما لم
 يعترفوا بأموالها شرعوا في ضربها بالسياط فطلبوا مهلة ريثما يذهبان ويحضرا
 المال فذهب كل منهما الى منزله وانتحر .

ووزع زقل العساكر على العربان وأرسل سلاطين باشا الى المهدي في كردوفان
 فأدركه في الرهد فبايعه فسماه عبد القادر سلاطين وأمره بلزوم باب التماشي
 والابتار بأمره ثم أرسل بعده السيد بك جمعة فأدركه في الطريق غازياً الخرطوم .

تسليم دود بنقة الى زقل : هذا وكان السلطان دود بنقة لا يزال مقيماً بأتباعه في جبل مرة فكتب اليه زقل يدعوه الى التسليم فأبى فجرد عليه سرية بقيادة آدم عامر مدير ككبكية سابقاً وذلك في أواخر يونيو سنة ١٨٨٤م فدعاه الى التسليم فأجابته : « اني قاومت الحكومة المصرية التي هي أشد بأساً من الدراويش وأعظم قوة منذ موت السلطان هارون الى اليوم ولم يكن زقل اذ ذاك إلا عبداً في سلطنة آبائي فدع عنك النصح وما يحكم بيننا إلا السيف » وكان دود بنقة متحصناً في طابية منيعة في رأس جبل طره فهاجمه آدم عامر فصده عنه بعد ان أذهب نصف قوته فكتب آدم الى زقل في طلب المدد فاستدعاه الى الفاشر وأرسل مكانه عمر أغا ود ترحو الشايقي المتقدم الذكر بجيش كبير وكان عمر اغا متزوجاً باحدى بنات السلطان ابراهيم فكتب الى دود بنقة ناصحاً إياه بالتسليم فطلب مقابلته فأثاه وأقنعه بوجوب التسليم فقال له دود بنقه سر أمامي بمساكرك وأنا أتبعك فصار عمر أغا وتبعه دود بنقه برجاله الى الفاشر فسلم الى زقل فأرسله الى المهدي في الخرطوم وذلك في سبتمبر سنة ١٨٨٤ م .

وبقي زقل في دارفور لا ينازعه فيها منازع الى ان مات المهدي واستدعاه الخليفة عبد الله الى أم درمان وأذله وكان من أمره ما سنذكره بالتفصيل .

الفصل العاشر

في

وقائع الثورة في بحر الغزال

سنة ٢ - ١٨٨٤ م

تركنا بحر الغزال سنة ١٨٧٩ م ولبتن بك من البحارة الانكليزية مدير عام عليها وساتي بك مدير ومحمود المحلاوي مفتش عام لمنع تجارة الرقيق والبلاد كلها مقسومة الى ثمانية اقسام على كل قسم ناظر ومعه نفر من الباشبوزق وفي مركز المديرية اورطتان من الجهادية . وقد قادت التقادير محمود المحلاوي المذكور الى مصر بعد حين فقص عليّ خبر الثورة في بحر الغزال وكيفية سقوطها في يد الدراويش قال ما ملخصه :

ثورة الجانقية : « لما بلغ مشايخ الجانقية والجور خبر المهدي ونصرته على رجال الحكومة في أبا وقدير هاجروا اليه وبايموه فأمرهم بالعودة الى بلادهم وقال لهم « اذهبوا واخرجوا الترك من بلادكم فان الله ناصركم ومتى أخرجتموهم فلتكن بلادكم لكم لا ينازعكم فيها منازع » وكان هذا جل ما يتمناه السود أي الحرية والاستقلال لأنهم لم يتخلصوا من « البحارة » قبل عهد الحكومة

حتى وقعوا في الجبابة الباشبوزق في عهدها فعادوا الى بلادهم وجمعوا جموعهم وجاهروا بالعصيان . وكان اول من جاهر به الجانقية في جوار بحر العرب في اوائل سنة ١٨٨٢ م فجرد عليهم لبثن بك سرية من العساكر المنظمة والباشبوزق بقيادة محمد افندي النصري معاون المديرية فأوقع فيهم واقعتين 'خذل في الاولى وانتصر في الثانية .

ثورة الشيخ يانكو : ثم لما ظهر مادبو بالثورة في بلاد شكا قام الشيخ يانكو شيخ مركز تل قونه وهو من مشايخ الداجو فنزل على بعض العساكر الذين كانوا مقيمين بمركزه وقتلهم في ١٧ اوجستوس سنة ١٨٨٢ م وفر الى الشيخ مادبو فحضر معه واقعة أم وريقات المار ذكرها ثم عاد الى تل قونه ومعه جماعة من فرسان الرزيقات وجاهر بالعصيان . قال المحلاوي فعقد لي لبثن على ١٧٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق وأمرني بحاربته فأوقعت فيه واقعة شديدة وهزمته ثم هزيمة وذلك في ٢١ يناير سنة ١٨٨٣ م . ثم جمع جموعه ونزل على مركز لفي فصدته فاضرها بخسارة جسيمة في ١٠ فبراير من السنة المذكورة ففر الى دارفور وانضم ثانية على مادبو .

عود الى الجانقي : وفي هذه الأثناء حصر وابور من الخرطوم الى مخرج الريك لاستطلاع خبر بحر الغزال فجهز لبثن بك ٤٠٠ عبد أمرد ومقداراً وافراً من سن الفيل وأرسلها مع بعض الحفراء الى الوابور في المشرق المذكور ليأخذها الى الخرطوم فلما درى بهم الجانقي قطعوا عليهم الطريق فقتلوا الحفراء وأخذوا ما كان معهم من الاسلحة والريق والسن وذلك في ١٣ فبراير وكانت ساقى بك المدير اذ ذاك في جور غطاس فلما سمع بخبرهم جرد عليهم فقتل منهم وسبى وغنم وعاد الى الجوار ثم اجتمع الجور على الجانقي ونازلوا لبثن وعساكره في عدة وقائع كان النصر في أكثرها للعساكر .

مكيدة الدناقلة : وكان في بحر الغزال عدد كبير من الدناقلة متفرقين في جميع جهاتها تجاراً ومتسبين وموظفين وبينهم الفقيه عبد الرحمن بن عوف

النصري اخو محمد النصري المار ذكره وهو من خلفاء محمد احمد وقد أقام معه مدة في جزيرة أبا وجاء الى بحر الغزال بمسد تنظيمها للاقامة فيها مع اخيه وأقاربه وكان يراقب حركات محمد احمد منذ ظهوره ويكاتبه سرّاً فلما رأى نصراته المتتابعة عزم على جمع الدناقلة في جميع المراكز والمهاجرة بهم اليه فضرب لهم موعداً في ١٢ شعبان سنة ١٣٠٠ هـ ١٨ يونيو سنة ١٨٨٣ م يجتمعون به في قنّدة . وفي هذه الأثناء قام الشيخ الطيب اخو الشيخ يانكو في جهة لفي فأرسلني لبتن بك بنفر من العساكر نجدة لناظرها فمررت بقنّدة ليلة الميعاد المذكور فأخبرني بحافظها بمكيدة الدناقلة وكان في قنّدة اربعون رجلاً منهم ينتظرون قدوم النصري تلك الليلة فجردتهم من أسلحتهم وتأهبوا للقبض على النصري فلما حضر أخبره رفاقه بما نويت عليه فقرّر ليلاً باثني عشر منهم الى مركز المديرية فأخبر اخاه محمداً وكرم الله الشيخ محمد احد التجار الدناقلة وغيرهما من الدناقلة في المركز بما كان من كشف مكيدتهم فقرّر رأيهم على الرحيل في الحال فتركوا عيالهم وأموالهم وساروا بطريق تل قونا وشكا قاصدين المهدي فلقوه في الأبيض فأقاموا معه الى ان جاء جيش هكس فحضروا واقعة شيكان فقتل فيها عبد الرحمن ومحمد ابنا النصري كما مرّ وجرح كرم الله . ولما تعافى كرم الله من جرحه عقد له المهدي على سرية من جيشه وأرسله لفتح بحر الغزال ولترجع الى ما كنا فيه :

واقعة لفتي : قال الحلاوي فلما أصبح الصباح وعلمت بفرار عبد الرحمن النصري لحقته بالمساكر فلم أدركه فكتبت الى لبتن بما كان منه واستطردت السير الى لفي لقمع الشيخ الطيب فأدركته في غابة قرب لفي فأوقعت به وشتت شمله وقد اصابته رصاصة في فكه الاسفل فشوّهته وكان ذلك في ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٣ م .

سفر ساتي بك الى الخرطوم : وفي رمضان سنة ١٣٠٠ هـ يوليو سنة ١٨٨٣ م حضر وابور من الخرطوم حاملاً الألبسة والملح والراتب للعساكر وكان لبتن

بك في حاجة كبيرة الى الذخائر والكبسول فاستدعى ساتي بك من جور غطاس وأرسله الى الخرطوم لاحضار الذخائر والكبسول فأقلع بالواور في ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فدخل الخرطوم في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٤ فوجدها محصورة فلم يعد يمكنه الرجوع الى بحر الغزال فبقى يحامد في الحصار الى ان قتل في واقعة القطينة كما سيحيي .

امين بك وخط الاستواء : وكان روح الثورة قد امتد الى خط الاستواء ولم يكن امين بين عنطاطا لها فبعث الى لبنن في طلب مدد من الذخائر والكبسول فأرسلني اليه بشيء منها واعتذر له فلقيته في اورمبك فسلمته الذخيرة وعدت منه يجواب الى لبنن .

واقعة بحر بيرى : وفي أوائل يناير سنة ١٨٨٤ م هاج الجانبني من جديد فتجمعوا على بحر بيرى فجرد عليهم لبنن بك جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠ من العساكر المنظمة و ١٠٠٠ من الباشبوزق و ٨٠٠ من البازنجر جمعه من جهات مختلفة وأتى بحر بيرى فرأى الجانبني قد جمعوا جيشاً لا يقل عن ٥٠ ألفاً فزرب على جيشه زريبة متينة من اغصان الشجر ثم أحاطها بزريبة أخرى . قال المحلاوي : فلم يتم لبنن بناء الزريبة حتى أقبل الجانبني علينا مهاجرين وكان الدراويش قد علموا ان يكرروا عند الهجوم قولهم « الدائم الله الدائم هو » فكانوا يكررونه كلهم بصوت واحد جهوري حتى حسبنا الارض قد زلزلت زلزالها ولما قربوا من الزريبة انتشروا حولها فأحاطوها إحاطة الهالة بالقمر وقد سدوا الأفق وأظلموا الجو لكثرتهم وسواد لونهم وكنا في الزريبة وهم من حولنا مهاجرين لنا والرماح تلمع فوق رؤوسهم كأننا في جزيرة صغيرة تلاطمها الامواج في وسط بحر عجاج . فلما قربوا جداً من الزريبة هجموا هجمة واحدة مستقتلين فتلقتهم العساكر بنيران البنادق الرمنتون وابي روحين فحصدتهم حصداً فلم يبالوا بها بل كانوا كلما سقط منهم صف خلفه آخر حتى تمكن بعضهم من الوصول الى الزريبة الخارجية وما زالوا مهاجرين والعساكر

تشوهم بنيرانها شيئاً حتى تراكمت القتلى حول الزريبة أكداً وسدل الليل حجابها فرجعوا عنا بنية إعادة الكرة في الصباح التالي وتاريخ هذه الواقعة ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٠١ ١٣٨٠ يناير سنة ١٨٤٤ م .

وبعد الواقعة فتش لبنن الجبخانه فوجدها لا تكفي لواقعة اخرى فخرج بمساكره من الزريبة تحت جناح الظلام قاصداً مركز المديرية فمر بمركز الدمبو فوجد فيها عبيد قد حضرا من المهدي ومعها كتب الى بغض الدناقلة في بحر الغزال يخبرهم بانتصاره على هكس ويحثهم على الهجرة اليه فأيقن لبنن اذ ذاك بمجيء الدراويش الى بحر الغزال فأمرع الى مركز المديرية وأخذ يستعد للحصار وكان في المركز حصن منيع فزاده مناعة وبث الماوين في الاقسام لجمع الغلال .

تسليم بحر الغزال في ٢٥ جمادى الآخرة
سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٤ م

وقبل رجوعهم أتاها كتاب من حسان أغا عجيب ناظر قسم لفي بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٤ يخبره بأن كرم الله الشيخ محمد الذي كان يتجر في بحر الغزال فر مع عبدالرحمن ومحمد ابنا النصري الى المهدي وقد حضر الآن أميراً من قبل المهدي على بحر الغزال ومعه ثمانية آلاف مقاتل من العرب والجلابة بينهم خمسة بلوكات من المساكر المنظمة مسلحين بالرمثون وسأله عما يفعل فأجابه لبنن أن احضر حالاً بمن معك من المساكر وكتب الى نظار الاقسام الآخرين بالحضور الى المركز ايضاً وقبل وصول الأوامر اليهم تقدم كرم الله بحيته الى لفي فلم له ناظرها واستطرد السير حتى أتى حلة يانقو مسيرة يوم من مركز المديرية فكتب الى لبنن وضباطه وأعيان الحامية والموظفين يدعومهم الى التسليم فأراد لبنن ان يستطلع قوة كرم الله ويغنم وقتاً لجمع عساكره الباشبوزق من الاقسام فأرسل رسلاً من عنده الى كرم الله يسأله ان يرسل اليه منشور المهدي الذي سمّاه فيه أميراً على بحر الغزال لينظر في أمر التسليم ثم

شرع في الاستعداد للدفاع . وكان في مركز المديرية اذ ذاك ١٢٠٠ رجل من
المساكر الجهادية السود ومعهم ٣ مدافع و ٤ سوار يخ فاتفقوا مع الاهالي على
التسليم وأطلعوني على رأيهم فذهبت وأخبرت لبتن به فلم يصدقني فقلت اجمعهم
في مجلسك فأريك باطن امرهم . وكان لبتن قد جعل ضرب النقارة علامة لجمع
الأعيان والموظفين الملكية وضرب البوري علامة لجمع الضباط العسكرية فأمر
فضرب النقارة والبوري معاً فاجتمع الفريقان عنده في ديوان المديرية فوقف
بينهم وقال : بلغني أن بعضكم ينوون التسليم الى كرم الله فمن صمم على الدفاع
معي عن شرف الراية الخديوية فليقف فبقي الكل جلوساً . قال الحلوي :
فوقفت اذ ذاك وقلت مخاطباً لبتن اني لا أعلم ما نواه الحضور في هذا الشأن
وأما انا فأقول إن كان كرم الله قد جاءنا من عند نفسه فأنا اول من يحاربه
معهك وأما إن كان قد جاءنا من عند المهدي فانضمامنا اليه لا يخلّ بشرفنا بل
يزيدنا ديناً على ديننا . فانتهرني لبتن بك وقال : أي دين تريد على دينك أيها
الجبان بتسليمك شرفك وشرف حكومتك الى رجل مثل كرم الله وما هو
شأن المهدي في السياسة والاحكام ؟. ثم التفت الى الاعيان والموظفين الملكية
وقال : وأنتم ماذا تقولون ؟ قالوا : الذي قاله الحلوي . ثم نظر الى الضباط
وقال : سمعتم ما قاله الملكية وانتم رجال افندينا وحماة الزمار ماذا تقولون ؟
أتلسمون البلاد التي أنفق عليها افندينا مليون جنيه . وقد عهد بحمايتها اليكم
من غير ان تطلقوا عياراً نارياً في الدفاع عنها ؟ فقالوا : يا حضرة المدير انما
المراد من الحرب النصر لا الحرب فاذا لم يكن النصر مضموناً فعلى م الحرب
فأنت ترى ان جيش كرم الله اضعاف جيشنا فليس في وسعنا الانتصار عليه
وإن انتصرنا عليه اليوم جاءه المدد من المهدي في الغد وأخذنا عنوة او حصرنا
حتى نموت جوعاً وأما نحن فلا جهة لنا ننتظر منها المدد اذ الخرطوم التي كانت
تمدنا قد اصبحت في الحصار وأهل البلاد كلهم ضدنا وجاراتنا دارفور وخط
الاستواء في أشد الضيق (اذ لم يكونوا يعلمون ان دارفور قد سقطت بعد)
فلا حيلة لنا الا بالتسليم . فقال لبتن : اني أعلم الحرج الذي نحن فيه ولكن

لا عذر لنا في التسليم قبل بذل الجهد في الدفاع اذ النصر لا يكون على الدوام للفئة الكبرى بل قد تنصر الفئة الصغرى بعون الله ومع ذلك فاني افضل الحرب ولو لم أضمن النصر على التسليم لرجل مثل كرم الله فاذا لم تقرّوا معي عليه فاعلموا اني آخذ امرأتي وبنتي (وقد كان متزوجاً بجارية جنقاوية متربة في مدرسة المرسلين النمساويين في الخرطوم) وأدخل الطابية وأحارب كرم الله وحدي حتى اذا دخل المركز صوبت المدافع عليه وقتل علي وعلى أعدائك يا رب فأجابه : افعل ما شئت فانتا لا نرى رأياً غير التسليم . فلما لم ير وسيلة تحملهم على الحرب كتب اليهم السؤال الآتي وسألهم ان يجيبوه عليه كتابة ويختموه بأختامهم فقال : « أتخاربون معي أم تسلمون الى كرم الله ؟ » فأجابه بالتسليم الى كرم الله وختموه بأختامهم فأخذه لبتن وحفظه في جيبه . ثم كتبوا كتاباً الى كرم الله قالوا فيه : « سلمنا الله ورسوله ومهديه الذي أرسلك الينا اميراً فاحضر صباح الغد واستلم الحامية فليس بيننا وبينك حرب » وأمضاه لبتن والضباط والاعيان وأرسلوه الى كرم الله فحضر صباح الثلاثاء في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٤ م ووقف بجيشه في ظاهر الحامية وكان قد ارسل الى لبتن بدلة من لباس الدراويش وهي حزام خوص وطاقيّة ونعلين فلبسها وخرج بالعاكر والملكيّة على نحو ميل من الاستحكام ووقف بهم تجاه كرم الله ثم تقدم بمن معه من الضباط والاعيان فسلموا على كرم الله وأمرائه وعاد العساكر والاهالي الى منازلهم ونزل جيش كرم الله خارج الاستحكام ودخل هو ورؤساء جيشه مع لبتن وضباطه وأعيان الحامية الى ديران المديرية ولما استوى بهم المجلس التفت كرم الله الى لبتن وقال ان المهدي أمرني ان أعرض الاسلام عليك وأستيك عبد الله فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله وان محمد احمد بن عبد الله هو مهدي الله وخليفة رسوله . ثم دعا غبريال افندي وصالح افندي شنوده من كتاب المديرية الاقباط لاعتناق الاسلام ففعلوا فسمى الاول محمد سعيد وأبقى الثاني على اسمه . ثم قام لبتن فسلم الى كرم الله مخازن الذخائر والاسلحة والبضائع

والسن وهي شيء كثير . ولما بلغ نظار الاقسام امر التسليم صاروا يفدون الى كرم الله واحداً واحداً مسلمين فأصبحت البلاد كلها بيده وارتفعت أعلام المهدية في جميع أنحاءها .

قال المحلوي ولما علم كرم الله اني انا ولبتن لم نسلم إلا مرغين أساء معاملتنا فخشينا ان يفدر بنا فاحتلنا عليه وسألناه ان يأذن لنا في الذهاب الى كردوفان لمبايعة المهدي فأرسل معنا الخفراء الى الابيض فوجدنا المهدي قد ارتحل منها غازياً الخرطوم وكان في الابيض السيد محمود عبد القادر من أقاربه فكتب الى المهدي يسأله عما يفعله بنا فأجابه بأن يرسلنا اليه وقبل ورود الجواب أخذنا الى محل واقعة هكس في شيكان فوجدنا جثث القتلى متراكمة في ذلك الوادي تلالاً عظيمة . ثم أرسلنا الى المهدي فوجدناه مخيماً في ابي سعد جنوبي ام درمان فبايعناه وكان ذلك في ١٨ اكتوبر سنة ١٨٨٤ . فجعل لبتن قومنداناً على مدفع وأرسله لمساعدة أنصاره في ام درمان فاستمرض وكتب الى غوردن كتاباً يخبره بما جرى له في بحر الغزال وأصبح كتابه الجواب الذي أخذه من الضباط والأعيان بشأن التسليم فوقع الكتاب بيد المهدي فزج لبتن في السجن وحاول صالح شنودة الفرار فقبض عليه وزججه في السجن ايضاً . وكتب الى لبتن الكتاب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن المبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبدالله الى عبدالله المسلماني وقاه الله سوء وجهه من اهل التداني . كان سابقاً اخبرنا الاخ الصادق وفي العهد الذي جاء صحبتكم من كردوفان بأنه اظهر لك انه لم يكن راضياً بالمهدية واستجلب بذلك الوقوف على حقيقتك فأعلمته بأن التسليم الذي حصل منك ليس على غرضك انما لعدم الموازر على الحراية لأجل العسكر الذي معك سلمت جميعها وأظهرت النفاق معها وانك على ما انت عليه من الكفر ومراكنة الترك فصفحننا عن ذلك أملاً انك ان لاقتنا يصفى ايمانك ويتم

تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذاكرتك وأعلمتك ان أمرنا هذا إلهي وان الله اذا أراد أمراً امضاه ولم تنفع في مقابلته مدافع ولا جيوش انكليز ولا غيرها ولا بوابير ولا كافة الحيل اذ انه لا يغلب الله غالب وكل ذلك لتصفى معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتنال سعادة الأبد وتكون من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن المكانة العظمى وكل ذلك خير لك أبدي حق ظهرت خيانتك وتضيقك على النفاق بمكاتبك للغردون واطهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكليز واطهارك له ان جماعتنا كثيرهم مرضى وجاعين ولا يقدرُوا حراية شهر وكل ذلك ظهر عند ضبط صالح شنودة لحياته ايضاً . فمن الآن وصاعداً ان تبت من سريرتك بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضرك عند الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لا بد ان يظهر لنا على بيمتك او اخبار من الغيب من رسول الله ﷺ او من الخضر عليه السلام وان لم تلب من سريرتك وفضلت على نفاقك كذلك لا بد ان يظهر لنا فتزيد عذاباً على عذابك وفي الآخرة أشد مذاباً وأشد تنكيلاً فان أراد الله بك خيراً يهديك وتظهر هدايتك لاتباعنا والصدقة معنا وان أراد الله شقاوتك وعذابك في الدنيا والآخرة تصمم على ما انت عليه من النفاق ولا تقل ان الهداية التي تنفع بادعاء اللسان فان ذلك لا ينفع كما روي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا على وجهك فان اهتديت من سريرتك سترى خير الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى والسلام في ٢٠ محرم سنة ١٣٠٢ هـ ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م .

ثم أخرجه من السجن بعد فتح الخرطوم وبقي في ام درمان الى ان مات في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٨ م .

وأما كرم الله فانه بقي في بحر الغزال الى سنة ١٨٨٦ م فانضم الى أخيه كركساوي في شكا فبقيا في دارفور بأمر الخليفة الى سنة ١٨٨٨ م وكان لهما هناك من الشأن ما سنذكره في محله . ولنأت الآن على بيان ما كان من عثمان دقنة والثورة في سواكن .

الفصل الحادي عشر

في

عثمان دقنة والثورة في سواكن

سنة ٣ - ١٨٨٤ م

بقي السودان الشرقي هادئاً مطمئناً لا تقلقه الثورة وأهله البجة على أتم
الولاء مع الحكومة حتى سقطت الابيض سنة ١٨٨٣م وجاءه عثمان دقنة عاملاً
عاماً من قبل المهدي كما مرّ فثار الأهليون معه ولا ثورة الذئاب واصبح بلاء
عظيماً على الحكومة في السودان الشرقي وجزت بينه وبين جيوشها وقائع جمة
مشهورة ولم يزل على مناوأتها وقتالها كلما سنحت له الفرصة حتى وقع في
قبضتها سنة ١٩٠٠ م فرأيتنه في محطة مصر ثم في سجن رشيد ثم في سجن
دمياط حيث هو الآن فاذا هو رجل اسمر اللون طويل الوجه برّاق العينين
معتدل الأنف واسع الفم عريض اللحية أشيها غزير الشعر ربع القامة مع ميل
الى الطول . وقد دلت ملاحظه الظاهرة على ما انطوى عليه من المكر والدهاء
وصدق العزم وهو يتردئ برداء من الدمور ويتعمم بمامة بيضاء ويخلق شعر
رأسه كزيّ حضر سواكن . قيل وهو سريع الحركة قليل الكلام وله صبر

غريب على المشي والجوع حتى لقد يشي النهار بطوله حافي القدم بلا طعام ولا شراب ولكن اذا جلس للأكل أكل خروفاً في وجبة واحدة . وقد سألته عن سنه عند قيامه في المهدي فقال ٤٣ سنة . وسألته عن اصل منبته فقال : « ان اصل اجدادي من اكراد ديار بكر أتوا سواكن مع السلطان سليم الفاتح فاستوطنوها واختلطوا بالمهندوة بالزواج فكان منهم قبيلتنا المعروفة بالدقناي وقد ولدت في سواكن ونشأت فيها واشغلت بالتجارة مع السردان والحجاز بالبضائع والريق الى ان قام المهدي فنصرته » . قيل وقد كانت تجارته رائجة وحاله حسنة حتى شددت الحكومة على منع الرقيق فبارت تجارته وساءت حاله وقد سجن مرة في جدة هو وأخوه علي لتاجرتها بالرقيق فحقد على الحكومة وكان من المتعصبين في الدين على طريقة المجازيب فحسب مداخله الحكومة ببيع الرقيق تعرضاً في دينه فلمسا سمع بظهور محمد احمد في أبا اخذ يستنشيء اخباره ويستعد للمهاجرة اليه حتى فتحت الابيض فهاجر اليه وبايعه وأظهر له الغيرة المرة على الاسلام والمسلمين وتصديقه لمهديته والاستعداد لنصرته . وقد سألته مرة في سجن رشيد هل قام بنصرة المهدي عن اعتقاد قلبي قال : « نعم ان محمد احمد هو المهدي المنتظر لا ريب فيه وأموت على هذا الاعتقاد » قلت إن كان هو المهدي المنتظر فكيف مات قبل ان يتم نبواته بفتح مصر والقسطنطينية ومكة قال : « وتدمت مات النبي ﷺ من قبله ولم يتم فتوحاته فأتمها خلفاؤه من بعده » قلت ولكن خلفاء محمد احمد لم يتموا فتوحاته ثم ان أمة النبي باقية لم تزل وأمة المهدي قد زالت قال : « هكذا أراد الله » !!! وعلى كل حال فانه اتحد مع المهدي قلباً وقالباً وُسراً به المهدي سروراً عظيماً لأنه لم يكن له يد في السودان الشرقي بعد . وكان عثمان دقنة عالماً بدخائل اهل سواكن وعارفاً لغة البجة وعاداتهم وهو يحسن القراءة والكتابة في العربية فسماه عاملاً عاماً على جميع بلاد البجة التي بين الاتبرة والبحر الاحمر أي بلاد سواكن وطوكر وكسلا . وقد اصحبه كتباً الى مشايخ تلك البلاد من هندوة وبشارين وامارار وغيرهم يدعوم بها لنصرة

تاريخ السوكان

الدين والقيام مع عامله عثمان دقنة لمحاربة الترك والجهاد في سبيل الله . وهذه صورة ما كتبه الى اهل سواكن بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله الى كافة احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه ومن تبعه ووافقه على إقامة الدين ونصرته . اما بعد فالذي نعلمكم به ايها الاحباب ان الامر كله لله واليه المرجع والمآب وانه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء كما اخبر بذلك في ملبشور الكتاب فاتعظوها وتذكروا يا أولي الألباب وتنبهوا عن الغفلة والغرور بلوامع الدنيا التي هي سراب وتفكروا في انفسكم واعتبروا بفوات دول القرون الماضية وبين هو أشد منكم قوة واكثر جمعا للفاينة فأصبحوا لا ترى إلا مساكنكم الواهية الخالية فاقبلوا نصيحتي وما تبعها إلا أذن واعية وانما انذرتكم يحوايي هذا نصيحة لكم ورحمة بكم وشفقة على عباد الله المؤمنين وسبباً لنجاة المسلمين والمستضعفين . وحيث فهمتم ذلك وعقلتموه فاني موجه اليكم الشيخ عثمان ابا بكر دقنة السواكني لكي تستعينوا به على إقامة الدين وجهاد الكافرين وجعلته اميراً مباركاً لكم لدلائكم وإرشادكم فاسمعوا له وأطيعوا امره ونهيه وبمجرد وصوله اليكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومصدقين اني المهدي المنتظر فتعزبوا اليه واثروه افواجاً افواجاً من كل سهل وجبل لبيمة الرضوان ورضاء الواحد الديان لأجل إقامة الدين والسنن وشمروا في ذلك بفاية الجهد وعلو الهمة واجتمعوا على كلمة واحدة باتفاق الجميع . والكلمة الواحدة هي التصميم والعزم على قتال الترك اهل المديرية التي انتم فيها ثم بعد اتفاقكم بأخذ عهودكم ومواثيقكم مع الله ورسوله وأميرنا النائب عنا في إقامة الدين فخذوا حذركم وأهبتكم الجميع ثم اخبروا أعداء الدين بذلك وبلغوهم امرنا هذا واطلبوا منهم في الحال احد الامرين إما التسليم وإما القتال فإن ندموا وسلموا بصدق وإيمان فليسلموكم جميع ما عندهم من الاسلحة ولزومها والخزائن بما فيها

ومفاتيحها فان كان كذلك فاحدوا الله واشكروه ومن الدنيا الساحرة فاحذروا وان أبرا وسلكوا مسالك الحيل فالقتال القتال لتناولوا مقام الصديقين من الرجال فاجمعوا عليهم الجميع مرة واحدة فأنتم حزب الله الغالبون . واذا اتحد معهم بعض اهل البلد فجميع من هو موافق للشيخ عثمان ابي بكر دقنة فلينضم اليه واخرجوا عنهم خارج البلد واجمعوا العربان التي بأطراف البلد واحكوا فيهم بالحصار والمغار واقطعوا عنهم الموارد بالكلية الى ان يهلكهم الله تعالى كما أهلك اصحابهم فانهم قوم كتب الله عليهم البلاء والعذاب فهم في قبضة الله ونواصيهم بيده فلا تخشوم ابدأ فانهم هالكون باذن الله تعالى وعن قريب يورثكم الله ارضهم وديارهم فعليكم بالعدل والاحسان . واعلموا ان من بايع الشيخ عثمان المذكور فقد بايعني ومن استشهد معه فكأنما استشهد معي ومن صحبه فقد صحبني فاعلموا الجميع بذلك وابشروا بما بشرني به النبي ﷺ وهو ان اصحابي كأصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله كرتبة الشيخ عبدالقادر الجيلاني والله ذو الفضل العظيم وهذا الفضل بشرط الاتباع ظاهراً وباطناً وحيث فهمتم ذلك فلا يفتكم هذا الفضل العظيم فاحرصوا على الصدق والوفاء واقتفاء آثار المصطفى ﷺ واختيار ما عنده تعالى بالجوع والفقر مع الرضاء والتسليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام . غرة رجب سنة ١٣٠٠ هـ ٨ مايو سنة ١٨٨٣ م ٤ ا هـ .

فحمل عثمان هذه الكتب وسار مجدداً حتى وصل محلا يدعى قباب في ضواحي سواكن نلقي فيه الطاهر المجذوب وهو كبير المجاذيب في تلك الجهات ومعظم اهلها على طريقته فسلمه كتاباً من المهدي فقبله وقبله وبايع عثمان وكان له اكبر نصير . ثم تقدم الى اركويت حيث كان اهله فرصلها في ١ اوغسطس سنة ١٨٨٣ م فتلقاء اهله بالقبول وبايعوه وبايعه ايضا بعض مشايخ الهدندوة فرفع راية المهدي واستعد للجهاد .

واقعة سنكات في ٥ اوغسطس سنة ١٨٨٣ م : وكان للحكومة في تلك البلاد عدداً حامية سواكن في طوكر على ٤٠ ميلاً جنوبي سواكن وحامية في

سناكات على مثل هذه المسافة غربها ولم يكن في سناكات سوى ٢٥ عسكرياً. وكان المحافظ على سواكن في ذلك العهد الشهم الباسل محمد بك توفيق المصري فلما سمع بخبر عثمان أسرع الى سناكات ومعه مئة رجل فوصلها في ٢ اوجسطس ليلاً . وفي اليوم التالي ارسل كتاباً الى كل من الطاهر المجدوب واحمد دقنة شقيق عثمان يطلب حضورهما ليتمكن من ضبط عثمان فزق كل منهما كتابه وانضم الى عثمان فجمعوا جموعهم وزحفوا على سناكات فوصلوها ضحى يوم الفطر أي ٥ اوجسطس سنة ١٨٨٣ . وكان عثمان قد أتى بكتاب من المهدي الى توفيق بك يدعو الى الانتظام في سلك المهدية فأرسله اليه وسأله التسليم في الحال او الاستعداد للقتال ولم يكن توفيق بك مستعداً للحرب لأن طابية سناكات كانت متسعة غير حصينة ورجاله قليلون فطلب الى عثمان ان يمهله ثلاثة ايام وقال اني لا استطيع ان اجيبكم من نفسي سلباً او ايجاباً لأنني مأمور ولا بد لي من استشارة صاحب الأمر والنهي فعلم عثمان انها حيلة للتمكن من الاستعداد فأمهله الى الظهر ولم يزد فردة توفيق الرسل وطلب المهلة الى العصر وشرع في الاستعداد ففتح بعض المزاغل في الطابية وسد بابها باكياس من الرمل وجعل بعض العساكر على السور والبعض الآخر على سطوح المنازل وكان عثمان يرى استعداد العساكر رأي العين فلما كان الظهر أمر اصحابه فحملوا على الحامية حملة صادقة فدخلوها واختلطوا بالعساكر فالتجأ بعض العساكر الى منازلهم وأخذوا هم والذين على السطوح يرمون المهاجمين بالرصاص فقتلوا منهم وجرحوا وكان في جملة القتلى محمد اخو عثمان وجرح عثمان نفسه جراحاً بالغة في يده ورأسه وجنبه فحمله اصحابه على جمل وعادوا منهزمين الى اركويت وكانت خسارتهم في ذلك اليوم ٦٠ رجلاً وخسارة العساكر ٧ قتلى و١٢ جريحاً بينهم توفيق بك فانه أصيب بعدة جراح وعاد الى سواكن .

واقعة قباب في ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٣م : وبعد وصوله بقليل أرسل حملة من العساكر بمدفمين يصحبها محمود علي شيخ الامارار بنفر من رجاله وأمرهم ان يحملوا على عثمان في اركويت ويقضوا عليه . فعلم عثمان بخبر الحملة وكانت

تاريخ السوكن

جراحه لم تزل تؤلمه فعقد لأخيه محمد موسى على أنصاره وأرسله للاقائها فالتقى بها في خور قباب في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٣ عند الغروب قبلت الحملة زربية متبنة ببابين جعلت على كل باب مدفعاً وباتت فيها وبات اصحاب عثمان بقرىها وفي صباح اليوم التالي أحاطوا بها من كل الجهات وهاجموها هجمة واحدة فتلقتهم العساكر بنيوانها فصدتهم عن الزربية إلا ثلاثة منهم فانهم تمكنوا من الدخول اليها فقتلوا في داخلها وفيهم رجل يسمى طاهما كان من ملازمي المهدي وجاء مع عثمان قصد الجهاد . وقد خسر اصحاب عثمان في هذه الواقعة ٢٧ رجلاً وعدة جرحى بينهم محمد موسى وخسر العساكر بضعة رجال بينهم احد أبناء الشيخ محمود علي المذكور وعادت الحملة الى سواكن . وأمر عثمان دقنه رجاله فقطعوا خط التلغراف بين سواكن وكسلا .

حصار سنكات وواقعة أبنت في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م : ثم عقد لرجل يدعى علي طلاب بن محمد علي سرية من أنصاره وأرسله لحصر سنكات فسار من اركويت في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م . واتفق انه في هذا اليوم نفسه أرسل توفيق بك البكبائي محمود افندي خليل ومعه ١٥٦ من العساكر المصرية مدداً لحامية سنكات فالتقوا بأصحاب عثمان في منتصف الطريق في مضيق يدعى أبنت وانتشب القتال بين الفريقين فلم تكن ساعة حتى قتل العساكر عن آخرهم وغنم اصحاب عثمان أسلحتهم وأمتعتهم وتقدموا لحصر سنكات . ثم أمدتهم عثمان حتى بلغوا ٧٥٠ رجلاً فأمر عليهم علياً بن حامد المشهور بأمر سنكات لأن فتوحها كان على يده .

حصار طوكر وواقعة التيب الاولى في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ م : وكان عثمان قد أرسل في ٢ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م الخضر بن علي شيخ الحسابات اميراً على قبائل طوكر الذين جلسهم من الارتيقة وأصحابه كتاباً اليهم من الطاهر المجذوب يدعوهم الى القيام معه لنصرة الدين فلبوا الدعوة هم وشيوخهم موسى بن الفقيه وذهبوا مع الخضر لحصر طوكر . وكان في طوكر اذ ذاك ٤ بلوكات من العساكر

تسليح السواكن

عليهم صاغ ولهم خندق حصين فلما جاءهم الخضر بن علي دعاهم الى التسليم والتصديق بالمهدي فأبوا وأرسلوا في طلب المدد من سواكن .

وكان في سواكن اذ ذاك محمود باشا طاهر قومندان السودان الشرقي فجهز ٥٥٠ رجلاً وسار لنجدتهم . وكان الخضر بن علي امير طوكر قد قدّر مجيء المدد من سواكن فأرسل عبد الله بن حامد ومعه ١٥٠ رجلاً من أنصاره ليتربصوا بجيئه في آبار التيب فلما اقترب المساكر منهم حملوا عليهم حملة رجل واحد فاختلفوا بهم وأعملوا فيهم السيف والحربة فقتلوا ١٤٨ رجلاً وهزموا الباقي فأتى بهم محمود باشا الى سواكن فعزل من وظيفته على الأثر وكان قد صحبه القومندار مونكريف الانكليزي فقتل في الواقعة وقتل فيها من أنصار عبد الله بن حامد ٢٧ رجلاً . وتاريخ هذه الواقعة ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ م وهو اليوم الذي هلك فيه جيش هكس في شيكان .

حصار سواكن وواقعة قماي (التمينيب) الاولى في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٣ :
ثم عوفي عثمان دقنه من جراحه فجمع نحو ٣٠٠٠ رجل ونزل بهم في آبار قماي (التمينيب) على نحو ٢٠ ميلاً من سواكن وأخذ يشن الفارة عليها وقطع الطريق بينها وبين سنكات فخرج له كاظم افندي من سواكن ومعه ٧٠٠ من المساكر السود والباشبوزق و ٢٠ فارساً فلتقام عثمان دقنه بأنصاره وقتلهم ثم قتل فلم ينج منهم سوى ٤٥ رجلاً وقد قتل من أنصار عثمان ٨٠ رجلاً وذلك في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م .

حملة باكر باشا الى سواكن وواقعة التيب الثانية في ٤ فبراير سنة ١٨٨٤ م :
وشدد عثمان دقنه الحصار على سواكن وطوكر وسنكات معاً فرأت الحكومة انها اذا لم ترسل اليها المدد في الحال وقعت في يد عثمان وهذا المدد لم يكن متيسراً فان الجيش المصري القديم قد هلك في شيكان كما علمت والجيش الجديد لم يكن بعد مدرباً على القتال فجهزت الحكومة حملة من عساكر الجندرية والبوليس وعساكر الرديف وهي سلاحها الأخير وعقدت لواها لباكر باشا

وكلفت الزبير باشا فجمع لها اورطة من السود ورغبت اليه في مرافقة الحملة فطلب ان يكون مستقلا في أعماله ولما لم تجب الى طلبه اعتذر عن السفر . وصحب باكر جماعة من الضباط الانكليز والمصريين اركان حرب وكان الكولونل سرتوريوس رئيس اركان حرب الانكليز والميرالاي عبد الرزاق بك رئيس اركان حرب المصريين وقد أعطي السلطة الملكية والعسكرية على جميع بلاد السودان الشرقي وعهد اليه في استرجاع الأمن والسلام الى ربوعه على ان يبدأ أولا بالوسائل السلمية فلا يرجع الى القوة إلا اذا لم ينجح السلم وصحبه السيد محمد المرغني لهذه الغاية . فبرح مصر بمعظم قوته وأركان حربيه في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٣م فوصل سواكن في ٢٣ منه ثم ذهب مع الاميرال هيوت الى مصوع فوصلها في ٣١ منه فأخذ منها ومن سنييت بعض العساكر السود وجعل مكانها عساكر مصرية ثم عاد الى سواكن فبدأ بالوسائل السلمية فأوعز الى السيد محمد المرغني فكتب الى عثمان دقنه ينصحه بترك الحرب ويخبره باتحاد الدول على قمع الثورة فأجابه بالجواب الآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم :

« وبعد فمن عبدربه عثمان أبي بكر دقنه الى الجناب الأكرم السيد الجليل السيد محمد بن الاستاذ السيد محمد المرغني وفقنا الله وإياه الى باب العلي . فالذي نعلمكم به جناب الأكرم انه قد وصل جوابكم وفهم خطابكم الى آخر ما أبديت من النصيح العام وذلك على حسب ما بدا لكم لأن الدين مبناه النصيحة فجزاكم الله خيراً . وذكرتم انكم حضرتم بهذا الطرف من طرف الدول لاسكان هذه الفتن الكائنة بهذه الجهة . وكون اننا قمنا فيها باسباب ناس مفتنين فعلى حسب فهمكم حكيتكم ما حكيت فاعلموا يقيناً انه لما قمنا من الامام المهدي المنتظر عندنا اليقين الذي لا يشك فيه عاقل انه لو اجتمعت الحلائق بأسرها شرقتها وغربها لم يقدرها على مقاومة الأيدي التي معها يد الله تعالى فضلاً عما ذكرت لنا من اتحاد الدول ولو كان عندنا أدنى شك في عدم نصرة الدين لما أقدمنا

على هذا الأمر ولكن المطلوب من شيمكم الحضور لطرفنا لأجل المكالمة والمقابلة في الأمر الذي جئنا به فان كان قصدكم احياء سنة رسول الله ﷺ فبعد الكشف على حالنا تكونوا انتم بالخيار وان كان قصدكم تبليغنا اتحادية الدول فقد فهمنا والسلام ٧ ربيع اول سنة ١٣٠١ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٤ م .

فعلم باكر من هذا الجواب ان الوسائل السلمية لا تجدي نفعا فعمل على القوة ونوى انقاذ حامية سنكات اولاً ولكن قبل قيامه جاءته رسالة من قومندان حامية طوكر مفادها ان الحامية نفدت ذخائرها وأضنى عساكرها الاسهال فاذا لم تأت نجدة بعد يومين او ثلاثة اضطر الى التسليم فعدل عن سنكات وسار في الحال لنجدة طوكر فخرج من سواكن بجرأ ووصل ترنكتات في ٢٨ يناير سنة ١٨٨٤ م .

وكان عبد الله امير الساحل المار ذكره واقفاً له بالمرصاد فبعث الجنرال باكر يسأله ترك الحرب فأبى فتقدم اليه في ٢٩ يناير سنة ١٨٨٤ ومعه : ٣٠٠ من الفرسان المصريين و ١٥٠ من الفرسان الأتراك و ٦٥٠ من جندرمة الاسكندرية و ٥٠٠ من جندرمة القاهرة و ٤٥٠ من عساكر مصوع و ٤٢١ من عساكر سنهيت و ٤٢٩ من المشاة الأتراك و ٦٧٨ من عساكر الزبير باشا و ١٢٨ من الطوبجية المصريين و ٤٠ من البوليس الاوربيين المتطوعين ومجموعهم ٣٦٥٦ رجلاً و ٦ مدافع . فسار بهم بالانتظام العسكري مسافة ٣ أميال ثم وقف فبنى طابية جعل فيها ٣٠٠ رجل لحفظ خط الرجعة .

وفي فجر ٤ فبراير سنة ١٨٨٣ استطرد السير بباقي القوة تتقدمه الكشافة حتى صار على مقربة من آبار التيب فعاد الكشافة مذعورين وقالوا ان الدراويش قريبون منا وهم في عدد كثير . وكان عثمان دقنه قد أرسل مدداً الى قوة التيب حتى بلغت ١٢٠٠ رجلاً مؤلفة من عدة فئات كل منها تحمل راية فظن الكشافة ان كل راية تمثل جيشاً ثم لما رأى العساكر كثيرة الرايات ظنوا الذي ظنه الكشافة فهلمت قلوبهم وتولاهم الرعب حتى انه لما صدر لهم الامر بتشكيل مربع لم يحسنوا تشكيله كما مرتوا عليه فاختلفت جبال الضلع الخلفية بدواب

الحملة ولم يحسنوا رمي الرصاص فاخترق الدراويش صفوفهم واختلطوا بهم فازدادوا هلعاً وخوفاً حتى طرح البعض سلاحهم في الأرض وركعوا وبسطوا أيديهم نحو السماء طالبين الرحمة واختبأ البعض الآخر بين دواب الحملة فانقض الدراويش عليهم كاللصور يقتلونهم أينما وشمالاً حتى لم يبق من الجيش كله سوى ١٢٠٠ رجل فانهمزوا الى ترنكتات فعاد بهم باكر الى سواكن . وكان في جملة قتلى الجيش ١١٢ ضابطاً بينهم عبد الرزاق بك و ١٠ ضباط اوربيون وأما الدراويش فلم يقتل منهم سوى ٣٠٠ رجل بينهم محمود اخو الخضر وقد غنموا ٦ مدافع و ٣٠٠٠ بندقية ونصف مليون خرطوشة وانضموا الى اخوانهم المحاصرين لظوكر فضيقوا عليها واضطروها الى التسليم كما سيجيء . وضيق عثمان دقنه على سواكن .

سقوط سنكات يوم الجمعة في ١٠ ربيع الثاني

سنة ١٣٠١ هـ ٨ فبراير سنة ١٨٨٤ م

أما سنكات فكانت اذ ذاك في أشد الخطر وكان توفيق بك قد جاءها بعد واقعة أبلت فحصد طابقتها وخندق عليها وأحاطها بزرية متينة من شجر السبال وبني عليها اربعة أبراج على كل برج مدفعاً فلما جاءها علي بن حامد وجدا حصينة فلم يحسر على مهاجتها بل قعد لها بكل مرصد وحال بينها وبين سواكن ومنع أهلها الخروج منها وكان يبعث بأصحابه الحاملين الاسلحة النارية الى قرب الطابية فكلموا لاح لهم أحد رموه بالرصاص وكان اذا رماهم المساك بالقبابل صاحوا بهم مستهزئين اطلقوا مدافعهم مرة ثانية فان هذه الطلقة لم تصب . وداموا على ذلك حتى نفذ زاد المساك وأكلوا البغال والحير والكلاب والقطط وشرعوا في أكل الجلود ومضغ أوراق الشجر تسكيناً لآلام الجوع . فلما صاروا الى هذه الحال جمعهم توفيق بك المعروف ببطل سنكات وقال لهم ها أيها الرجال ان بقينا هنا هلكنا من الجوع وان سلمنا لهؤلاء الأشقياء لم نضمن السلامة وان سلمنا عشنا عيشة يهون معها الموت فلم يبق لنا الا ان

تاريخ السواكن

نخرج من الاستحكام ونتخذ طريق سواكن فاذا لحقونا حاربناهم حتى ظفرتنا او متنا مشرفين ، وما زال يشدد عزائمهم ويرغبهم في هذا الرأي حتى وافقوه عليه . فلما كان يوم الجمعة ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ ٨ فبراير سنة ١٨٨٤ م أحرقوا مخازن البارود والجبخانه وسدوا افواه المدافع وخرجوا من سنكات وعددهم ٦٠٠ نفس من رجال ونساء واولاد فما ساروا ميلا ونصف ميل حتى أتوا مضيقاً وعراً فوجدوا الدراويش كامنين فيه فانتظموا بهيئة مربع وجعلوا النساء والاولاد في الوسط وشرعوا في رمي الدراويش بالرصاص حتى قتلوا منهم ٥٧ رجلاً ولكن الدراويش تغلبوا عليهم لكثرتهم وقتلوا فلم ينج منهم سوى خمسة رجال بينهم قاضي سنكات وثلاثين امرأة فماتوا موت الابطال الأعداء وخلصوا ذكراً في التاريخ يمدحهم عليه كل شهيم حر . وانضم امير سنكات اذ ذاك الى عثمان في قماي فاشتد الحصار على سواكن .

حمة جراح الاولى الى سواكن سنة ١٨٨٤ م :

هذا وكانت الحكومة الانكليزية لما سمعت بانكسار باكر اخذت الامر كله في يدها فعمدت مجلس نوابها بعد الواقعة بيومين وأقرت على حماية سواكن فأرجمت باكر باشا الى مصر وألقت مقاليد الاحكام العسكرية والملكية في سواكن الى الاميرال هيوت . فأبلغها في ١٢ فبراير خبر سقوط سنكات وهلاك حاميتها فعمدت مجلساً آخر أقرت فيه على ارسال جيش في الحال لحماية سواكن وانتقاد حامية طوكر وأوعزت الى قومندان جنودها في مصر فعمدت للجنرال جراح على ٤٠٠٠ جندي فيهم ١٠٠ من الطوبجية بستة مدافع واورطة من الفرسان وضعه بعض الضباط الانكليز الموظفين في الجيش المصري الجديد بسفة اركان حرب فوصل سواكن في أواخر فبراير فترك بعض الجند لحماية سواكن وسار بالباقي بحراً الى ترنكتات فوصلها في ٢٨ منه وبمث يتجسس احوال طوكر .

سقوط طوكر في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٤ م .

وكان الدراويش قد أخذوا المدافع والأسلحة التي غنموها في واقعة باكر وشددوا الحصار بها على طوكر وكانت مؤونة الحامية تكفيها مدة طويلة وماؤها من آبار في وسطها وحصنها منيع ولكن أعوزتها الذخيرة فثبتت على الحصار حتى علمت بانكسار باكر ولم تعد تسمع بنجدة اخرى فسلمت للدراويش في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٤ م

واقعة التيب الثالثة في ٢٩ فبراير سنة ١٨٨٤ : فعاد الجواسيس الى جراحم في ترنكتات وأخبروه بسقوط طوكر في يد الدراويش فأبلغ الخبر حكومته فأمرته بالحملة عليهم في الحال وتشتيت شملهم فقام من ترنكتات بعد ظهر ٢٨ فبراير ونزل عند طابية باكر المار ذكرها وكان الدراويش قد علموا بقدومه فتجمعوا له في التيب وبعث اليهم عثمان بن اخيه مدني بن علي مدداً حتى بلغ عا. دم ٦٠٠٠ رجلاً . فأرسل اليهم جراحم كتاباً ينصخهم بالتسليم وترك الحرب ودفع الكتاب الى الاميرالاي هارفي بك فألصقه براية بيضاء وسار وخده نحو الأعداء حتى قرب من التيب ففرز الراية في الارض وعاد الى الجيش ثم رجع في صباح اليوم التالي أي ٢٩ فبراير ومعه شرذمة من الفرسان الى المكان الذي غرر فيه الراية فلم ير الراية ولا زداً على الكتاب فصمم جراحم اذ ذاك على القتال فنظم جيشه مربعا وجعل دواب الحملة في الوسط وسار تتقدمه طليعة من الفرسان . وكان الدراويش قد بنوا طابية على مقربة من التيب جعلوا فيها مدافعهم وخرجوا للقضاء العساكر فما سار الجيش ميلا من طابية باكر حتى أطلوا عليه ورموه بالرصاص ثم جعلوا يتقهقرون امامه كلما تقدم نحوهم حتى وصلوا الى طابيتهم فدخلوها فأمر الجنرال جراحم اذ ذاك فعزفت الموسيقى بعض ألحانها الحماسية وتقدم المربع بقدم ثابتة حتى صار على قيد مرمى القنابل فوقف فبادره الدراويش باطلاق المدافع فأطلق المربع اذ ذاك مدافعه فأسكت مدافعهم . ثم ضرب النفير فحمل المربع على الطابية فخرج عليهم قسم من

أهلها وقد أشهروا الأسماء وجردوا السيوف وفرسانهم في مقدمتهم فتلقاهم المربع بغيره فحصد حصدًا وكان الواحد منهم إذا أصيب بالرصاص سد جرحه بيده وأعاد الكرة حتى يلقى حتفه . وما زال المربع يتقدم مقتحمًا نار العدو حتى امتلك الطابية عنوة وفر من سلم من الأعداء إلى آبار النيب فزربوا زريبة وتحصنوا فيها . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تبعهم الجيش وأخرجهم منها عنوة بعد قتال عنيف دام ٣ ساعات متوالية . وقتل من الإنكليز في هذا اليوم ٣٤ رجلاً وجرح ١٥٥ وأما قتلى الدراويش فقد زادوا عن الالفين وزاد جرحاهم عن ذلك . وبين قتلاهم عبد الله بن حامد المشهور بأمير الساحل ومدني بن علي ابن اخي عثمان السالف ذكرهما والطاهر بن عمر ابن عم الطاهر المجدوب وموسى قلاي الذي قال فيه عثمان انه رجل بمقام الف . ولم يقع منهم في الأسر إلا القليل لأنهم كانوا يحاربون إلى آخر رمق حتى ان جريحهم كان وهو ملقى على الارض يختبئ بدماءه اذا مر به عسكري يطمنه بحربة او بسيف . وقد حكى ان الطاهر بن عمر المجدوب المذكور آنفًا قال لأصحابه قبل الحملة على الجيش ، اذا أصبت قبل ان أتمكن من الوصول إلى العدو فجروني برجلي حتى توصلوني إليه لعلني أشفى من أعداء الله بضربة ولو في آخر رمق مني ثم ادفنوني فاستريح من شؤم الدنيا .

واسترجع الجنرال جرام في هذه الواقعة ٧ مدافع وشيئا كثيرا من الاسلحة والذخائر . وفي اليوم التالي أي ١ مارس تقدم إلى طوكر فوصلها الساعة الرابعة بعد الظهر فلم يجد فيها احداً من الدراويش بل وجد ٦٠٠ نفساً من المصريين بينهم ٧٠ رجلاً من حاميتها فعاد بهم إلى سواكن ثم أرسلهم إلى مصر وأخذ يستعد للزحف على عثمان دقنة في تمای .

واقعة تمای (التمينيب) الثانية في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ : وقد ظن الجنرال جرام ان النصح ينفع في عثمان بعد الذي جرى لأصحابه في التيب فكتب إليه ينصحه بالتسليم فلم يجبه فكتب ثانية إليه وإلى أمرائه في ٨ مارس سنة ١٨٨٤ يتهددهم بالزحف عليهم في تمای اذا لم يسلموا فأجابه عثمان بقوله :

دع عنك النصيح واستعد للقتال الذي يكون فيه هلاكك ان شاء الله وختم جوابه هذا بمختمه واختام أمرائه . فخرج الجنرال جرام اذ ذاك بالجيش من سواكن في ١١ مارس فبات ليلته في زريبة من بناء باكر باشا . وفي صباح اليوم التالي (١٢ مارس) تقدم نحو تماي قالقاه عثمان بخارج الآبار فبات جرام بالجيش على مقربة منه فأرسل عثمان رجاله المسلحين بالبنادق فأقلقوا الجيش الليل كله . وفي صباح الغد (١٣ مارس) الساعة ثمانية ونصف نظم جرام جيشه في مربعين فسار المربعان متحازين احدهما متقهقر عن الآخر قليلاً بهيئة « تدريجيه » . وكان مع عثمان نحو ١٢ ألفاً فجعلهم فرقتين كل فرقة صدد مربع فاخترقوا المربع الاول وغنموا بعض مدافعه ولكن المربع الثاني تغلب على فرقته وتقدم فأنجد المربع الاول واسترجع المدافع وصبوا على اصحاب عثمان ناراً لم يطبقوها فانزموا شر هزيمة فلحقوهم الى تماي فوصلوها الظهر فوجدوا ديم عثمان خالياً فأحرقوه وعادوا في اليوم الثاني الى سواكن . وقد قتل من اصحاب عثمان في هذا اليوم ٢٠٠٠ رجل وقتل من الجيش ٥ ضباط و ١٠٤ عساكر وجرح مثل ذلك من العساكر و ٨ ضباط .

وفي ١٧ مارس اعلن الاميرال هيوت ان من يأتيه برأس عثمان دفنة حياً او ميتاً يجيزه بخمسة آلاف ريال ولكن بعد ثلاثة ايام من تاريخ صدور الاعلان أتاها الامر من بلاد الانكليز بالغانه لخالفته لمبادئ حزب الاحرار .

وكانت الحكومة المصرية قد أقرت على إخلاء السودان كما مرّ وولجت بهذه المهمة غوردون باشا فعُصر في الخرطوم وطلب النجدة من حكومته فلما كانت واقعة تماي قال بعض الساسة الانكليز بوجوب فتح الطريق الى بربر وإرسال النجدة الى غوردون عليها وقال البعض الآخر بعدم صلاحية هذه الطريق لطلوها ووعورتها وقلة مائها وخوف القدر من أهلها الذين كانوا لم يزالوا متشيعين للمهدية فأقر رأي الحكومة على تركها ولكنها سلمت بكسر شوكة عثمان دفنة الذي عاد الى ديمه في تماي .

فعمل عليه جرام ثانية في ٢٧ مارس ولم يكن مع عثمان اذ ذاك جيش

يصادم به فانهم من أمامه وفرّ إلى الجبال المجاورة فأحرق جراحم منازلهم وعاد إلى سواكن .

وفي ٣ أبريل سنة ١٨٨٤ عاد إلى مصر ولحقه جيشه . وفي ١٠ مايو سمي الماجور تشمرسيد حاكماً على سواكن وجعل تحت يده اورطتان من الجيش الجديد وأورطة من البحارة الانكليزية لحماية سواكن وكان على سواكن سور منيع عليه الابراج والمدافع . ولما علم عثمان دقنة بذهاب الجنرال جراح وجيشه أشاع أن الانكليز إنما أدخلوا سواكن فراراً من سطوته وأخذ يجمع كلمة القبائل من جديد لحصر سواكن . ولنتركه الآن في هذا الصدد ولنأت على ما كان من أمر غوردون وحصار الخرطوم .



غوردون باشا

الفصل الثاني عشر

في

غوردون باشا وحصار الخرطوم سنة ١٨٨٤ م

ولاية غوردون الثانية على السودان :

تقدم ان الحكومة المصرية لما بلغها خبر هلاك هكس في شيكان قرء رأيها على اخلاء السودان وانتشال حامياتها وموظفيها منه . قيل فلما عرض هذا القرار على النظار برئاسة شريف باشا لتصديقه قدموا استعفاهم من الوزارة فشكل الجناب العالي مجلساً آخر برئاسة نوبار باشا في يناير سنة ١٨٨٤ وعرض القرار عليه فصدقه وندب لهذه المهمة عبد القادر باشا فاعتذر قيل لأنه كان متيقناً الفشل بغير الجند . فندب لها غوردون باشا فحضر من بلاد الانكليز في ٢٥ يناير سنة ١٨٨٤ م . وفي اليوم التالي تشرف بمقابلة الجناب العالي فأصدر له فرماناً بتوليته حاكماً عاماً مفوضاً على السودان وأمرأ آخر يتضمن الغرض الذي ندب له وهذا فحواه : « ان الغرض من إرسالكم الى السودان ارجاع الجنود والموظفين الملكيين والتجار الى مصر وذلك مع حفظ النظام في البلاد

بإعادتها الى سلالة الملوك الذين حكموا قبل الفتح المصري ولنا مزيد الثقة انكم تتخذون افضل الطرق لانعام هذه المهمة طبق رغبتنا والسلام .

فساز غوردون في اليوم التالي (٢٧ يناير) قاصداً الخرطوم وليس معه من الأعوان سوى ستيورت باشا و ابراهيم بك فوزي المتقدم ذكرهما . ويظهر من ارسال الحكومة لغوردون بهذه المهمة وقبول غوردون لها بلا عساكر تعضده ان الحكومة وغوردون لم يدركا حقيقة الحالة التي كان عليها السودان في ذلك الحين . فقد رأيت ان الثورة قد اشتعلت في السودان كله فسقط بعض حامياته في يد المهدي وأصبح البعض الآخر تحت الحصار او في خطر الحصار فكيف يتسنى لرجل واحد مهما اشتدت سطوته وحسنت سياسته ان ينتشل تلك الحاميات من مراكزها وفيها نحو ٣٠ ألفاً من العساكر ومثل ذلك او أزيد من الموظفين والتجار وبين الحامية الواحدة والاخرى مئات من الأميال في برّ مقفر ونيل بعيد المدى قابل للانخفاض مع ما فيه من السدود والشلالات . ثم أية سلطة بقيت لسلالة الملوك الاولين بعد السلطة التي حازها المهدي في البلاد وأين الرأس الذي يجمع اولئك الملوك ويقف نداً للمهدي !

ومما زاد المركز حرجاً الخطة التي جرى عليها غوردون في بدء مهمته : قال حسين باشا خليفة مدير بربره ان غوردون أرسل اليّ رسالة برقية من اسبوط يأمرني بها ان أبلغ عمدة البلاد وأعيانها انه سمي والياً مفوضاً على السودان وانه عند وصوله سيعزل جميع الموظفين الأتراك والمصريين ويولي حكماً من اهل البلاد ليعيد الحكم كما كان قبل الفتح وانه أعفاهم من الأموال الأميرية المتأخرة لغاية سنة ١٨٨٣ ومن دفع الأموال مدة سنتين في المستقبل وانه خفض الضرائب الى نصف ما كانت عليه وألقى الأوامر الصادرة بمنع الرقيق وأذن لهم في المعاملة بالرفق ببعضهم مع بعض وأمرني بجمعهم في مركز المديرية الى ان يحجى . وعند وصوله الى كورسكو أرسل اليّ كتاباً معنوناً باسم محمد احمد يسميه فيه سلطاناً على كردوفان وكتب اليّ أمراً بإرسال الكتاب الى محمد احمد مع رسول خاص مصحوب بهدية وهي جبة جوخ حمراء

وقفطان حرير احمر وطربوش احمر ومركوب احمر فأرسلت الرسول والهدية .
وعند وصول غوردون الى بربر عقد مجلساً من العمد والأعيان وألقى عليهم
خطاباً أعاد فيه ما جاء في رسالته البرقية اليه وقال ان الجنب العالي ترك
السودان لأهله واني قادم الى السودان بقصد ارجاع العساكر الى مصر وليس
إلا . ثم اختار ١٢ عمدة وأمرهم ان يشكلوا مجلساً كل اثنين وخميس وبحكموا
فيه بالشورى وأمرني بأن لا أنفذ أمراً إلا بعد إقرار المجلس عليه . ثم عزل
الحكام الأتراك وسمى عبد الماجد أبا الكيكلك ومحمد خشم الموس من كبار
الميرقاب الاول مأموراً على الوجه البحري الى حلة برقي والثاني على الوجه القبلي
الى حجر العسل . وأعلن الجمهور ان كل من اراد الرجوع الى مصر يرسل على
نققة الحكومة فرحل الكثير من التجار والغرباء . ثم أصدر منشوراً صرح فيه
بتسمية محمد احمد سلطاناً على كردوفان وفتح الطريق بينه وبين بربر بعد ان
كان مقفلاً وألصق المنشور على باب المديرية وباب الضبطية وفي شوارع المدينة
فأخذ الناس هاجرون الى المهدي افواجا خصوصاً بعد الذي علموه من عزم
الحكومة على اخلاء البلاد . وكان في جملة من هاجر اليه محمد الخير الذي افتتح
المديرية باسم المهدي فيما بعد . كما سيحي .

ثم سار غوردون الى الخرطوم فوصلها في ١٨ فبراير سنة ١٨٨٤ . قال
نصحي باشا : « فاستقبله على الشاطئ جميع الجند وقناصل الدول ورؤساء
الاديان والعلماء . ثم دخل ديوان المديرية وكان غاصاً بعمد البلاد ومشايخها
وتجارها فأخرج فرمان توليته من جيبه ودفعه الى الشيخ حسين المجدي فتلاه
على الجمهور . ثم وقف بينهم خطيباً وقال بما معناه : اني بمقتضى هذا فرمان
قد سُميت حاكماً مفوضاً على السودان لأنظر في ما حل فيه من المشاكل
وأسال الله ان يرشدنا جميعاً الى ما فيه اصلاح الحال واطمئنان البال وقد جئكم
وحدي غير مصحوب بالعساكر والاسلحة اعتماداً على معونة الله وولاكم
للحكومة وانتم تعملون شقيقي عليكم ومحبي لكم من قبل فلا يبعث الباشبوزق
بعد الآن في البلاد ولا ترون الا ما فيه راحتكم . إنماء ثروتكم ونجاح تجارتكم

وزراعتكم . ثم أشار الى ستيورت باشا الذي كان يجانبه وقال هذا الواقف أمامكم هو وكيلي ومعتمدي فأطلب اليكم إطاعة أوامره واعتباره كشخصي . ثم أمر فانصرف العساكر الى أماكنهم وذهب الى سراي الحكومة المعدة لسكناء وأقام فيها .

وفي هذا اليوم أمر فجمعت دفاتر الضرائب على الاطيان في ساحة عمومية ووضعت فوقها السياط وآلات الضرب التي كان يستعملها الحكمداريون السابقون وأضرم فيها النار . ثم زار السجون فأخلى سبيل الجميع ما عدا القتلة .

ثم تفقد العساكر على خط النار فسرّ من متانة الحصون التي أقامها عبد القادر باشا وكان الجيش مؤلفاً من عساكر مصرية نظامية وعساكر سود نظامية وعساكر باشبوزق اترك ومنغاربة وشايقية فجعل ابراهيم بك فوزي قومنداناً على العساكر المصرية وفرج بك الزيني قومنداناً على العساكر السود والسعيد بك الجيمائي قومنداناً على العساكر الباشبوزق وحسين بك ابراهيم الشلاي وكيلا له ومنح كلا منهما بعد ذلك لقب باشا . قال نصحي باشا : ثم شرع غوردون في إخلاء الحامية ففرز القسم الأكبر من العساكر المصرية وأرسلهم بقيادتي الى ام درمان على نية ارضاهم الى مصر والاكتفاء بالعساكر السود الى ان يتم اخلاء البلاد وفرز ستيورت باشا بأمره المرضى وعيال الضباط والعساكر الذين قتلوا في شيكان والعساكر غير اللائقين للخدمة العسكرية والمرفوتين من الموظفين والكتاب وشرع في تسفيرهم شمالاً هم ومن أراد من التجار المصريين وغيرهم وأمر ابراهيم باشا جيدر قومندان خط النار سابقاً فذهب الى بربر وأقام هناك مأموراً بتسفيرهم هم والتجار المقيمين في بربر فأرسلهم عن طريق كورسكو ثم لحقهم . وكان غوردون قد بعث برسالة برقية من كورسكو بعزل حسين باشا سرتي من وكالة الحكمدارية فبرح الخرطوم قبل وصول غوردون اليها بأيام وناب عنه الكولونيل ده كوتلوجن المار ذكره فبرح الخرطوم بعد وصول غوردون بيومين . فكان مجموع من نزل الى مصر قبل ان تُسد الطريق نحو ١٠٠٠ نفس .

مخازن الخرطوم وشونها : وفي صباح اليوم التالي أي ١٩ فبراير تفقد غوردون المخازن والشون والترسانة والخزينة وفتش دفاترها فوجد في المخازن :

٨٧٢	بنديفة رمتون	١٣٠٣٢٣	دانة ششخان ابناس للدفع الجبلي
٣٦٨٠	بنديفة طرز قديم	٢٠٠٤٥	حلقوم للدفع الجبلي
٣١٥٠٧٤٠	دسته جبخانه رمتون	٩٠٢٣٤	خرطوشة للدفع الجبلي
١٠٣٠٠٦٨	» » طرز قديم	١٣٠٧١٠	ككة طرز قديم
٣٠٧٠٠	» » للتريليز	٥٧٠	حلقوم لدفع اوردى طرز قديم
١٠٣٦٩	» » جديد	٢٥٥	قنطار بارود جب رفيع للبنادق
٢١٥١٢	خرطوشة للكروب	٢٧٧	» » خشن للدافع
١٠٩٠٠	دانة كروب قطر ٨	١٩	» » ملون للزينة
٢٥٠	حلقوم كروب	٣٧٦٠٠٠	كنسول طرز قديم للبنادق
١٠٢٥٥	طلق ساروخ	٨٥٠٠٠٩	كنسول طرز جديد لبنادق الرمتون

ووجد في الشون :

٢٣٠٥٠٠	اردب دره	٢١	قنطار ريش نعام
١٠٠٠	اردب قمح	٣٠٠٠٠	اردب ملح
٦٠٠٠٠	اوقه ارز مندي	٩١٢	قنطار خريث
١٢٥٠٠٠٠٠	اوقه بقمط	٦٠٠	قنطار صابون
١٤	قنطار عسل	١٠٠٠	قنطار زيت
٢٠٠	قنطار تمر مندي	١٠٠٠	قنطار شحم

المجلس الوطني : وثم نظر في تنظيم مدينة الخرطوم فأنشأ مجلساً وطنياً من أعيانها لفصل المشاكل بين الاهلين . وازسل في طلب عوض الكريم ابي سن شيخ الشكرية ليكون مديراً على الخرطوم بدلاً من علي بك جلاب .

منشور غوردون : ثم وزع منشوراً على اهل الخرطوم وضواحيها فقال : فان السودان قد فصل عن مصر فصلاً تاماً وقد جئكم حاكماً مفوضاً عليه فجعلت محمد احمد سلطاناً على كردوفان والنيبت الاوامر الصادرة في منع الرقيق وأغضيت عن المتأخر من الضرائب لفساية ١٨٨٣ وعن ضرائب سفتين في المستقبل وسأجعل حكومة وطنية من اهل البلاد ليحكم السودان نفسه

بنفسه وقد نذبت الشيخ عوض الكريم ابا سن ليكون مديراً على الخرطوم .
وهو القول الذي أشاعه في بربر بعينه .

ولم تعلم الحكمة التي أرادها غوردون في افشاء الغرض من رسالته لأهل السودان ثم في تسمية محمد احمد سلطاناً على كردوفان فان محمد احمد قد أصبح بعد واقعة شيكان سلطاناً معنوياً على السودان كله و سلطاناً فعلياً على جميع السودان الغربي فهل يحتفل بعد بلقب « سلطان على كردوفان » من حكومة جرّد سيفه لقتالها وقهر جنودها المرة بعد المرة . وما الفائدة في اعطائه هذا اللقب رسمياً ثم ما الفائدة في تبليغ الاهلين قصد الحكومة في اخلاء السودان في مثل تلك الأحوال سوى اظهار البعز امام المهدي وحمل الاهلين الذين كان لهم بقية امل في الحكومة على تركها بتاتا والانضمام الى المهدي قبل فوات الفرصة .

مناشير المهدي : وقد تقدم لنا ان المهدي بعد واقعة شيكان أخذ يستعد للزحف على الخرطوم وكتب الى اهل الجزيرة يستحثهم على القيام لنصرة الدين وحصر الخرطوم الى ان يجيء بنفسه . وقد جاهر الشيخ محمد البشير حمو المهدي بالثورة في جهات النيل الازرق توتاً بعد واقعة شيكان وحصر صالح الملك في فدامي كما سيجيء . وكتب المهدي يتهدد المشايخ الذين لم ينصروه بعد وهاك ما كتبه الى الشيخ العبيد ولد بدر (في ام ضبان) وأعرانه :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فجزيل السلام من عبد ربه الوائق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه العبيد بدر وكافة من كان لله وبذل نفسه في نصرة الدين من عباده المؤمنين أما بعد فالذي نعلمكم به أيها الاخوان ان قد تكررت منا اليكم المخاطبات والانذارات والمواعظ التي يهون في جنبها ارتكاب كل صعب شديد في طاعة الملك المجيد وقد كنا نعدكم للنائبات التي تزل من عدم الصبر عليها

أقدام الثقات لتعمير بواطنكم وأوقاتكم بذكر الله ودلائكم لخلق الله وعكوفكم على قدم الصدق التي تنافس فيه أهل الله وحزبه وأنتم أهل دراية ومعرفة وقد علمتم أن القلب إذا خلا من غير الله يتلي نوراً ويفيض منه إلى خلق الله ولا شك أن الرباني المتسك بالله كأمثالكم شأنه هكذا وسياء هي عدم الخشية من أحد غير الله وإلى الآن أنتم معدودون عندنا لأجل ذلك وقد بلغنا عنكم عدم الاهتمام والقيام لقتال الكفرة حيث ندبكم محمد الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن إجابته وما كان لكم أن ترغبوا بأنفسكم عن الله ورسوله وتشاركوا المتخلفين عن رسول الله ﷺ فأبي عذر لكم بعد أمر الله ورسوله وأمرنا هذا وإن كنتم في أشد البلايا فإن الدين بالبلوى يزيد جملاً ولا يعرف الذهب من الزيف إلا بحرقه في النار ولا يرغب عن ملة إبراهيم ومحمد عليها الصلاة والسلام إلا من سفته نفسه وما أراكم ترضون بذلك لكونكم عندنا من الأخيار فاطلبوا ما عند الله فالبدار البدار وتوبوا مما توقفت لأجله فإنه لا شيء يعتذر به ويستحي المؤمن إذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس رأسه ذليلاً منكسراً حيث آثر الغير على محبة الله وتأنى من طلب الله لأجل شيء ظنه عذر وتوانى عن نصرته الله فيود أن تسوى به الأرض من شدة وجهه وخجله من الله حيث انكشف له حقيقة حاله عند الله وبمثر ما في القبور وحصل ما في الصدور. فإذا بلغك جوابي هذا فشمروا وقوا عزمكم في الله وشذو حزام العزم والحزم واجمع همك في الله وأرسل لجميع أتباعك وأحبابك وأهلك وعشيرتك في الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً بالقتل والأسر والرباط والحصار ولا تتوقف أبداً لأمر ما إن كنت ممتثلاً مصداقاً بمهديتنا افعل ذلك ولا تبالِ حكم ما فعل محمد الطيب البصير وإن خشيت فانضم إليه وهاجر من محلك الذي أنت فيه واتحد معه كيد واحدة فلا يكون لك بد عن هذا أبداً فعرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك وأتباعك من الحساب والسؤال فإن من قصد الله ورسوله وإقامة الدين يجاهد عدو الله ورسوله ولو مع شلكاوي فلا تضر نفسك فلا يكون رضائي

عليك الا بفعل ما أمرتك من احد الامرين مع عود الافادة اليها عاجلا لنعم ما انت عليه والسلام ولا تجاوبنا بغير ما أمرناك ولا تبسط لنا الاعتذار وما قد أنذرتناك ومن بلغه الانذار لا حق له في الاعتذار والسلام .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه خصوصاً دفع الله تلميذ العبيد ولد بدر وكافة عصبته ورجاله وأتباعه اجمعين . اما بعد فالذي نعلمكم به ايها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمت ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة تنصح فيه اهل الدين والايمان ويكشف عن الصادقين من الاحباب وانتم أبناء الطريقة وخدمتها المريدين لحرث الآخرة ومجتهدين فيها وهذه سنة محمد رسول الله ﷺ قد ظلمت وأيدها الله بظهورنا وأوجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لإقامة الدين وترك كل ما لى وشغل من مال وبنين . وحيث فهمتم ذلك وفاتتكم الهجرة الاولى وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليكم من كل شيء سواه فبمجرد وصول جوابنا اليكم ضجة رافعه محمد الناصر تحزبوا في الله احزاباً واحزاباً وجهزوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما أمكنكم وانضموا الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بجلولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم خفافاً وثقلاً وقابلوا الخرطوم بجهتكم التي يقال لها القبة وحاصروا أعداء الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصركم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر عليهم بأذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بعد مجيئنا قدمه هدر وماله واولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبعده السلام . وايضاً كتبنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبة للخرطوم وانه يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبلبيان يشد بعضه البعض يكون معلومكم والسلام . اهـ .

وكتب مثل ذلك الى الشيخ المضوي عبد الرحمن المار ذكره . والشيخ المضوي والشيخ العبيد هما كبيراً الطريقة القادرية من فرع تاج الدين البهاري

وكثير من اهل الجزيرة والشرق على طريقتهما ولم يكونا مصدقين المهدي ولكن عجز الحكومة عن إذلاله اضطرهما الى مسالته والبقاء على الحياد الى ان ترجع احدى القوتين على الاخرى فيتبعانها. فما زالا يتبعان اخبار الحكومة والمهدي الى ان كانت واقعة شيكان وقدم غوردون وحده بلاجند بقصد اخلاء السودان وقام الشيخ محمد البصير في الجزيرة وحصر فدامي كما أشرنا قبلاً فلم يربا بعد ذلك بدءاً من الأخذ بقول المهدي والقيام بنصرته فرفما رأيته وأخذوا يستعدان لحصر الخرطوم .

وكان غوردون بعد ان وزع منشوره المار ذكره قد ارسل وكيله ستيورت باشا في باخرة على البحر الابيض لأجل تأمين الأهالي ومعرفة تأثير المنشور وصحبه الشيخ حنين عبد الرحيم شيخ الدويم والشيخ عبدالقادر قاضي الكلاكلة وغيرهما من أعيان البلاد فلما وصلوا الدويم وجدوا العربان متجمعين للثورة تحت راية احمد المكاشف وما قربوا منهم حتى بادروهم باطلاق الرصاص فانقلبوا راجعين الى الخرطوم .

وفي هذه الأثناء ارسل الشيخ عوض الكريم ابو سن ابنه علي الهد الى الخرطوم فأخبر غوردون ان الثورة اشتعلت في جميع بلاد النيل الازرق ومحمد البصير لم يزل محاصراً لصالح الملك في فدامي وان منشوره لم يكن له أقل تأثير ولذلك فهو لا يستطيع الهجاء الى الخرطوم ويرى ان بقاءه في جهات النيل الازرق أصلح للحكومة .

فلما علم اهل مدينة الخرطوم حال البلاد قلقوا واضطربوا وجاءوا الى غوردون زمراً من تجار ومتسبين وصناع من وطنيين ومصريين وافرنج وقالوا له : إن كنت لم تزل مصمماً على ارسال العساكر فنسألك ان تسعى في ارسالنا قبلهم. وفر كثير من الوطنيين من المدينة وثاروا مع الثائرين وفي جملتهم الشيخ عبد القادر قاضي الكلاكلة .

طلب غوردون للزبير : فرأى غوردون الآن ان السودان اذا ترك لأهله

فأهله لا رأس لهم يجمع كلمتهم لأنهم قبائل شتى لكل قبيلة منهم شيخ أو ملك مستقل عن الآخر فإذا تركهم وشأنهم لم يروا بداً من الانضمام الى المهدي القائم بدعوى الرئاسة على الكون كله . فأراد ان يحصل له في السودان نداءً تجتمع عليه القبائل فترجع كلمته على كلمة المهدي فلم يرَ نداءً أفضل من الزبير لأنه فضلاً عن علوِّ نسبه على نسب المهدي فهو معروف عند اهل السودان كافة بالكرم والشجاعة وحسن السياسة وأهل الخرطوم وضواحيها هم أهله وله من جمة على كثير منهم منذ كان حاكماً على بحر الغزال ودارفور . وكان للزبير اذ ذاك في مصر فبعث غوردون يطلب ارساله الى الخرطوم ليوليه السودان على الشروط الآتية :

- ١ - ان يمنح الزبير رتبة فريق والنيشان العثماني الاول ويحصل حاكماً عاماً على السودان الى حد الخندق من اعمال دنقلة براتب ٦٠٠٠ جنيه في السنة .
- ٢ - ان يُمنح الحرية المطلقة في ادارة الشؤون الملكية والعسكرية فيوتلي من يشاء ويعزل من يشاء وينظم المالية والقرسنة والضرائب وجميع انواع الدخل والخراج .
- ٣ - ان يُعطى السلطة لمنح رتب ملكية وعسكرية الى رتبة ميرالاي على ان يطلب عرائضها من خديوي مصر .
- ٤ - ان تحصل له الحكومة المصرية إعانة سنوية قدرها مليونان ونصف مليون جنيه وهي قيمة ما كان يُنفق على السودان من قبل وذلك لمدة سنتين فقط .
- ٥ - ان يُترك له جميع ما للحكومة في السودان من الأسلحة والذخائر والوابورات .
- ٦ - ان تساعد الجنود الانكليزية على رفع الحصار عن الخرطوم وسنار وسواكن .
- ٧ - ان يشمل السودان جميع بلاد سواكن والقضارف وكسلا والقلايات وسنار والخرطوم وبربر ودنقلة الى حد الخندق . اما مصوع وسنييت فتنفصلان

عن السودان وأما بحر الغزال وخط الاستواء فتخليان ويؤتى بوظفئهما الى الخرطوم او مصر .

٨ - ان يُنشأ جمر ك في سواكن ويُضمّ دخله الى مالية السودان اما في الحندق فلا يكون جمر ك بل تُعفى البضائع الصادرة والواردة من الرسوم .

٩ - ان تبقى تجارة الرقيق ممنوعة بموجب الاتفاق الذي أبرم بين الدولة الانكليزية ومصر .

١٠ - ان تحكر طرق السودان لحسين باشا خليفة (مدير بربر) ولثوريته من بعده .

وقد صرّح غوردون بأنه لا يمكن استرجاع النظام الى السودان ومنع امتداد الثورة الى مصر الا بتوليح الامر كله للزبير فجاءه الجواب من حكومته في ٢٦ فبراير بعدم استصواب ارسال الزبير . قُبعت بعد يومين يلحُ عليها في ارسالة ويبين الاسباب ولما لم تجبه عاد في ٤ مارس الى إلحاحه . قيل وكان الجناب العالي والسر أقلن بارنج (اللورد كرومر) ونوبار باشا رئيس مجلس النظر موافقين على ارسال الزبير الى الخرطوم . لكن جمعية ابطال الرقيق في لندن هي التي عارضت في ارساله وشدت المعارضة فجاءه الجواب من حكومته في ٥ مارس بأنه قد قرّر الرأي نهائياً على عدم ارسال الزبير الى الخرطوم .

فلما رأى غوردون ان حكومته لا تسمح له بالزبير ورأى استعداد الأهلين لحصر الخرطوم أخذ يهتم بتحصينها فأرجع اليها العساكر المصرية من طابية ام درمان ولم يُبقَ فيها سوى اورطة واحدة ومدفع وساروخ لحمايتها . ثم أمر فرج باشا الزيني قومندان العساكر السودانية فشكل مجلساً عسكرياً من الضباط العظام تحت رئاسته ونظر في أمر الدفاع فقرّر رأي المجلس على وضع جميع العساكر المصرية والسودانية والباشبوزق والمدافع على خط النار بين النيل الابيض والنيل الازرق . عدا اوردني من الباشبوزق بوضع في قصر

راسخ بك المعروف، بسراي الشرق تجاه سراي الخرطوم . وبلوك من العساكر النظامية ومدفع واحد في طابية القرن عند التقاء النيلين . مع بقاء الاورطة في طابية ام درمان بالغرب فصدق غوردون هذا القرار ونفذ في الحال .

واقعة الحلفاية في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ : وما أتم غوردون استعداداه حتى حضر الجواسيس وأخبروه بأن الشيخ العبيد زاحف بجيوش تليف على ٣٠ ألفاً لحصر الخرطوم من جهة الشرق فأرسل ٥٠٠ من الباشبوزق مدداً الى سراي الشرق وفتح المزاغل في جدرانها وخندق حولها وأنشأ فيها محطة تلغرافية فوصل بينها وبين سراي الخرطوم . ثم أرسل ٥٠٠ من الباشبوزق الشايقية الى الحلفاية لمنع الدراويش من احتلالها . ولم يكن إلا القليل حتى أقبلت جيوش الشيخ العبيد وعليها ابنه ابراهيم والعباس والشيخ المضوي ونزلوا على الشايقية في الحلفاية فهزموم منها بعد ان فتكوا بهم واحتلوها مكانهم . وكان غوردون باشا واقفاً على سطح السراي يشاهد القتال بالمنظار فلما رأى انهزام الشايقية ارسل ابراهيم بك فوزي في باخرتين مشحونتين بالعساكر فوجد الدراويش قد شادوا المتاريس والطوابي وتحصنوا بها مع انه لم يمض على احتلالهم إياها سوى بضع ساعات فحاربهم مستتبلاً الى ان سدل الليل حجاباه فرجع عنهم بعد ان زحزحهم من حصونهم وقد أصابته رصاصة في فخذه اليمنى فشوهتها فأنعم عليه غوردون برتبة اللواء . وكان تاريخ هذه الواقعة ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ وهي اول وقائع حصار الخرطوم .

واقعة الشرق في ١٦ مارس سنة ١٨٨٤ : وصمم غوردون رأيه على طرد الدراويش من الحلفاية فجهز جيشاً مؤلفاً من ٣٠٠٠ من الباشبوزق و ١٠٠٠ من الجهادية ومدفع جبلي وعقد لواءه للسعيد باشا ووكيله حسين باشا ابراهيم الشلاي المار ذكرهما فخرجا من سراي الشرق وسارا نحو الحلفاية فالتقام الدراويش في منتصف الطريق فانقسموا ثلاث فرق : فرقة عن يمينهم في غابة الملاحة وفرقة عن يسارهم شمالي القبة وفرقة أمامهم قبيل وكان السعيد باشا

ووكيله متواطئين معهم على الفتك بالجيش فلما صاروا على بعد مرمى الرصاص لم يأمر العساكر بإطلاق النار فهباج قومندان الجهادية وأمر رجال المدافع ومقدمة القلعة فأطلقوا نيرانهم وأخذ الدراويش في الانهزام فأمر حسين باشا اذ ذاك ملازم الطوبجية بالكف عن الضرب ولما لم يفعل ضربه بسيفه ضربة أطاحت رأسه. وأمر سعيد باشا البروجي بضرب « نوبة رجعة » ولما اعترضه الصاغ قال انا القومندان دون غيري وأعاد الامر للبروجي فتوقف فضربه بالسيف فقتله ونادى بروجياً آخر فخشى ان يصيبه ما أصاب رفيقه فضرب نوبة رجعة وأخذ العساكر في التقهقر فمجب الضباط من هذا الامر وأخذ خشم الموس ومحمد أغا قرضية وغيرهما من الضباط يستوقفون العساكر للقتال ولكن كان السعيد والحسين يردانهم بالسيف وقد جعل كل منها طربوشه في فمه فظن أنها العلامة التي اتفقا عليها مع الدراويش . ولم يبق في ساحة القتال سوى ضابط من الباشبوزق يدعى موتى بك وقد كانت متولياً ادارة مدفع فبقي يقاوم الدراويش حتى تكاثروا عليه فقتلوه وأخذوا المدفع وتآثروا العساكر المنهزمين فأدركوا اربعة جمال محملة ذخائر فغنموها. وكان قتلى الجيش في هذا اليوم نحو ٤٠٠ رجل وأما الدراويش فلم يقتل منهم سوى ٢٠ رجلاً. وتاريخ هذه الواقعة الاحد في ١٦ مارس سنة ١٨٨٤ وقد عرفت « الواقعة الشرق » لأنها كانت في شرق النيل .

وكان غوردون باشا يشاهد الواقعة من سطح السراي وقد كاد يتمزق من الغيظ لما رآه من انهزام العساكر فأرسل ستيورت باشا الى قصر راسخ ليتحقق سبب انهزامهم فأخبروه بالذي جرى فأبلغه غوردون تليفرافياً فأمر باحضار السعيد والحسين الى الخرطوم وشكل مجلساً عسكرياً من الضباط والسناجق برئاسة فرج باشا الزيني لمحاكمتها وفي أثناء ذلك قدم اهل العساكر الذين قتلوا في الواقعة عرائض شديدة الى غوردون يطلبون بها قتل السعيد والحسين وإلا قتلوهما بأيديهم وأظهر التحقيق انها كانا متواطئين مع الدراويش فحكم المجلس عليها بالاعدام وصدق غوردون الحكم فقتلا . وأنعم على خشم الموس

بالرتبة الثالثة وجعله قومنداناً على الشايقية مكافأة له على بسالته في واقعة الشرق .

وقد رأيت كتاباً من المهدي الى زقل بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٥ ابريل سنة ١٨٨٤ م يشير فيه الى الواقعتين السابقتين قال : « ... وايضاً نعلمكم انه في يرمي تأريخه حضر لنا جواب من الشيخ العبيد بدر يذكر فيه بعد ما ألقاه جوابنا له بالجهاد انه وجّه ابنه ابراهيم العبيد ومعه الانصار لأجل محاصرة الخرطوم فوافو مراكب ملاقات عساكر متوجهة للخرطوم تحت حلة الحلفاية فتقابلوا معهم وهزموم وضبطوا منهم مائة وخمسين عسكرياً من ضباط وغيرهم واستلموا بعضاً من اسلحتهم النارية والباقون ولوا الادبار . وكذلك بيوم الاحد الموافق ١٨ جمادى اول سنة ١٣٠١ في ساعة الضحى خرجت اليهم جردة تساوي اربعة آلاف من فيقر قصر راسخ بالشرق فتقاتلوا مع المذكورين فهزموم في أقل من نصف ساعة وقتلوا منهم اربعماية نفر واستلموا منهم مدفع وجبخانه اربعة جمال والشهداء من الانصار عشرون شهيداً » ...

حصار الخرطوم : وزاد انصار المهدي جرأة بعد واقعة الشرق فتقدموا لحصر الخرطوم وام درمان معاً فذل ابراهيم ابن الشيخ العبيد والشيخ المضوي في قبة خوجلي فحصر الخرطوم من الشمال واجتاز المباس ابن الشيخ العبيد النيل الازرق ونزل في الجريف فحصرها من الجنوب من جهة النيل الازرق . ثم ان عبد القادر قاضي الكلاكلة بعد فراره من الخرطوم نادى باسم المهدي فاجتمع عليه نحو ٣٠٠٠ رجل وأكثرهم مسلحون بالاسلحة النارية فذل بهم في حلة الكلاكلة وحصر الخرطوم من جهة البحر الابيض . وكان المهدي قد كتب الى مصطفى الامين ام حقيين المقيم بجزيرة اسلانج شمالي الحلفاية فجمع نحو ١٠٠٠ رجل ونزل في خورشنبات فحصر ام درمان من جهة الشمال . وجمع احمد ابر ضفيوة شيخ الجموعية نحو ٢٠٠٠ من عربان الجموعية والفتيحاب ونزل في ابي سعد فحصر ام درمان من جهة الجنوب .

شأن السيوف

ولما استقر بهم المقام ارسل كل منهم كتاباً الى غوردون باشا يدعوه الى التسليم وهذا ما كتبه اليه المضوي كما رواه لي :

« اما بعد فقد بلغني انك تزعم ان معظم اهل السودان مجبورون على اتباع محمد احمد المهدي وليس لهم الرغبة فيه باطناً وانك تحب خلاصهم منه فاعلم ان جميع اهل السودان خاصتهم وعامتهم قد اتبعوا محمد احمد قلباً وقالباً ودليل ذلك بذلهم ارواحهم بين يديه في الحروب واني أنصح لك ان تفعل احد امرين : إما ان تسلم للمهدي فتسلم بمن معك من اهل الخرطوم فيؤتيك الله أجرك مرتين او ان ترحل الى بلادك فتنجو من هذه المهالك فانه لا خير لك في البقاء هنا على هذا الحال لأنك إن بقيت فلا بد من هلاكك انت وجميع رجالك والسلام . »

فكسى غوردون رسل الزعماء وأرجعهم بحواب هذا مفاده : « اعلموا ان محمد احمد الذي اتبعتموه ليس المهدي المنتظر على ما أثبتته النصوص الشرعية والمعلوم عندي انه سلطان كردوفان كما سبقت فأخبرته في كتاب خاص . وأما نصيحتكم إلي بالتسليم فتدل على جهلكم وغروركم ولا يسوغ لي ان أسلم لكم المساكر والرعية لتعاملوم بما تعودقوه من القتل والنهب والسلب واعلموا انكم اذا لم ترجعوا عما انتم فيه ستبلون جيوش من قبل الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية لا طاقة لكم بها والماعقل من تدبر أمره والسلام . »

جواب المهدي على كتاب غوردون : ثم لم يكن الا القليل حتى حضر الرسول (عبد الله العبادي) الذي أرسل بالهدية والكتاب الى المهدي ومعه رسولان من قبل المهدي فوقفوا امام السور ورفعوا راية بيضاء فأمر غوردون باحضارهم اليه وكان رسولا المهدي مسلحين فتقدم المأمور اليهما ليجردهما من سلاحهما قبل دخولهما على غوردون فأبىا فسمح لهما غوردون بالدخول عليه بسلاحهما ثم أمر لهما بكرسيين فجلسا وأمر ابراهيم بك رشدي باشكاتب الحكمدارية باستلام ما معها فاذا بالهدية التي ارسلها غوردون مردودة ومعهما هدية من المهدي وهي بدلة من لباس الدراويش وكتاب هذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانيا والحديرية غوردون باشا . قد وصلنا جوابك وفهمنا ما فيه والحال انك تزعم ارادة اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي ﷺ واتصال المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصارى والمسلمانيين وان تجملنا سلطاناً على كردوفان فأقول والامر لله اني قد دعوت العباد الى صلاحهم وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية الى دار البقاء ويعلموا بما يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الى حكدار الخرطوم وأنا بأبا بدعايته الى الحق وبأن مهديتي من الله ورسوله ولست في ذلك بمتحيل ولا مريد ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً وإنما انا عبد احب المسكنة والمساكين وأكره الفخر وتمزز السلاطين ونبؤهم عن الحق المبين لما أُجبلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين وهذا هو الذي صدمهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فأخذوا الفاني وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسمعوا قول الله ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغن عنهم ذلك شيئاً وتندبوا على قدر الذي تمتعوا به فأيدني الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلائهم الى الله تعالى وليتركوا العز الفاني والنعم الفاني الى العز الدائم والنعم الأبدي في دار النعم المقيم ولأعرفهم غرور من يريد العاجلة ويظن انه ساع في رضاء الله ويكون له نصيب في الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام : يا معشر الحواريين ابنوا على موج البحر داراً تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً ومن ظن انه يخوض البحر من غير بلل فهو مفرور فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهها ويكون له في الآخرة شأن . فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله وأطلب عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار تسمى لملكها وعزها وكيف من يكون على خلاف سكة النبي ﷺ يفتح باب زيارة قبره ولم يكن النبي ﷺ ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسي الله وأعرض عن

نَبَأُ السَّيِّدِ الْكَاشَّانِ

كلامه وطلب متاع الحياة الفانية فان كنت شقيقاً على المسلمين فبالاول اشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد رسول الله ﷺ الذي أحيا ما اندرس من ملل الأنبياء والمرسلين وأتى مصداقاً لما بين يديه من الكتب فجميع الأنبياء عليهم السلام لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتمنون ان يكونوا من أمته ومن حضر بعثته وما بعد لا يقبل منه ديناً غير سكتة فطره نفسك اولاً بالدخول في ملته ثم اشفق على أمته بسلوك سنته فعند هذا فأنت الشقيق ومن غير هذا فما لك من المحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى ان قال : وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون . واننا قد امتثلنا أمر الله فما نتخذ ولياً إلا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالقلبة كما سمعته من قول الله . هذا وما دام ان الله يقول لهم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فان رجعت عما انت عليه من ملة غير الاسلام وأنبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة نتخذك ولياً وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون بمن امثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله تعالى : ولو ان أهل الكتاب آمنوا وآتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنة النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .. الآية . فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون من عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد ﷺ عيسى وجميع الرسل والنبيين وحزت الخير الأبدي . وإلا حيث علمت ان حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب الله أوضح اليك ومزيل لك عما شاركت به الله خالقك فاستدعيت ملك عباده وأرضه مع ان الارض لله يورثها عباده الصالحين وأما المسلمانيون

والمسيحيون الذين دعوت بطلقهم اليك فانا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الأبد. كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعدكم من جنتهم الى محنتهم فان الله قد أيدني رحمة للعباد لأنقذهم من الهلاك الذين هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهوري فيهم . واعلم اني المهدي المنتظر خليفة رسول الله ﷺ فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردوفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما أنا عبد الله دال الى الله والى ما عنده فمن كان سعيداً أجابني واتبعني ومن كان شقياً أعرض عن دالتي فأزاله الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الأبد وقد أيدني الله تعالى بالأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الأولياء والصالحين لإحياء دينه وقد بشرني النبي ﷺ ان جميع من يلقياني بعداوة يخذله الله ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تغتر فتهلك كما هلك اخوانك فافهم وسلم وسلم . وأما الهدية التي أرسلتها لنا فعلى حسب نية الخير جزاك الله الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك اننا لا نرغب بمتاع الحياة الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فيها هي رسالة اليك مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولأصحابنا الذين يريدون الآخرة ويرغبون ما عند الله من الخير الباقي الأبدي ليستحقوا بذلك نعم الأبد وملك الدوام كما درج على ذلك الأنبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد الله الصالحين وتعلم ذلك انت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه وقد قال: كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فتعلم بذلك ان من خالفه من الاحبار والرهبان وجميع ما يدعى أتباعه ليسوا محقين وانما غرئتهم الحياة الفانية والأمتعة الآتلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عد ما محضا فتكون حسرة وندماً عند فراقها ولما فوتته من اكتساب خيرات الدوام . ثم ان مثل هـ يتك عندنا كثير ولكن أعرضنا عنه طلباً لما عند الله وأقول لك في ذلك كما قال سليمان عليه السلام لبلقيس وقومها : أتمدوني بما مال فما آتاني الله خير مما آتيكم بل أتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم يحنود لا قبيل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون . واعلم انك اذا أتيتنا مسلماً نزيك ونريك من النور

ما يطمئن به قلبك ويحول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك إن رأينا
فيك خيراً وصلاً للمسلمين ولتيناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بزقل
مدير إدارة سابقاً فإنه لما أتاها ورأى الحق وفرح بلقائنا غاية وندم على ما فات
من ضيعه من عمره في الفاني فاطمأن قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله وليناه
على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم فأكرمناه
والى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد جمعة الذي
كان مدير الفاشر الآن أرسلنا الى محمد خالد المذكور يأتي به الينا لكمال التربية
والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمري سجاهه وصدق أتباعه لنا واثابته
للآخرة . وكذلك جميع امراء النقط بدارفور قد أذعنوا لله كباقي سلاطين
دارفور وسلموا جميعاً أمرهم الينا في حب الله ورسوله فحسن تسليمهم واتباعهم
لنا . وكذلك الملك آدم مك جبال تقلي الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق وحسن
اتباعه وصدقه وقد أكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير وهلم جراً فكل سعيد
لا بد ان يتصل بنا من جميع أقطار الارض ومن أبى لا بد ان يخذله الله
ويعذبه في الآخرة كما أشار الى ذلك النبي ﷺ مراراً . وليكن معلوماً عندك
يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد أنذرتهم اولاً انذاراً بليغاً
وها هي واصله اليك انذار ولد الشلاي بعد مخاطبته لي وانذار هكس بأجوبة
عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولأكابر جيشه وقد أرسلنا الى باشة الابيض
يجواب فقتل رسلنا وبعد ان وقع في يدنا أكرمناه وأعطيناه جبة جميلة ليتدرج
الى الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقندي بنا ويصدق مع الله فيكون
من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال يقع فيما يهلكه ونحن نصفع
عنه حتى أخذته نيته فمات ومع ذلك لأجل مبايعته لي وجمالته معي أياماً
قد أتاها خبر بعد موته أنه عفي عنه في الآخرة فصار من السعداء والعبد اذا
كان يسمد في الآخرة فهو المقصود ولاخير في الدنيا ولا في نعيمها بل انما متاعها
يكثر الحسرة والحسب فقط يوم القيامة ونيتي بالمعباد سعادتهم في آخرتهم
الأبدية وازالة الهلاك عنهم من الله ولذلك لاطفت جميع الأكابر واهل الدولة

بالقول والفعل ليعرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الخسيس الفاني وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الأكابر من الدولة والحكام ما عملنا معه إلا الخير والاكرام فمن صدق منهم معنا فهم الآن في خير كثير وازدياد شرف السلام ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ هـ ٥ مارس سنة ١٨٨٤ م .

« وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لي واتبعني حزت شرف الدنيا والآخرة وفزت بأجرك وبأجر جميع من اتبعك وإلا هلكت فكان عليك انك ومثل آثام جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور في العقل تعلم اني خليفة رسول الله ﷺ فلا تهمني فيما أسوق به الى الله والدار الآخرة ولم تسمع علي قول الظلماء الحساد الذين يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره وقد قال ﷺ من شك في نصرة المهدي فليقرأ قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ولزيادة الشفقة عليكم لزمتم التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان لا تهدي هداثا الله والعباد على الصواب آمين » .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غوردون باشا باطلاعك على ما تدون بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لا يبالون بمافات من المشتبهات طلباً لعالي الدرجات وهي جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبحة فان أنبت الى الله وطلبت ما عنده لا يصعب عليك ان تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وها هو الرسول الذي أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام » .

وكتب على النلاف : « سألتك بحق الله ونبيه عيسى عليه السلام ان تقف على أجوبتنا هذه بالحرف وقد بلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمى جورجى اسلامبوليه ان رجلاً يسمى السيد افندي نعم الاجزجي ان له معرفة

بلغتكم وبالخط العربي وما دام انه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما في هذا الظرف جميعه حرفياً على يد المذكور أو أما هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام اه .

فلما ترجم الكتاب لغوردون استشاط غضباً ودفع الهدية برجله وأمر ابراهيم بك رشدي فأحرقها ثم أوعز اليه فكتب جواباً هذا مفاده :

« من غوردون باشا والي السودان الى محمد احمد المتهمدي : وصلني كتابك الركيك العبارة العاري عن المعنى الدال على سوء نيتك وخبت طورتك وعن قريب ستبلى يجيوش لا طاقة لك بها وتكون انت المسؤول أمام الله عما يُسفك من الدماء كما انك انت المسؤول الآن عن أعيت قلوبهم وغشيت بصائرهم وبتمت أطفالهم وخربت ديارهم وكنت لا أرى حاجة الى مخاطبة رجل مثلك جاحد النعمة عادم الذمة لكني تعلقت بأذيال الأمل راجياً من الله عز وجل ان يتجلى على فكرتك الخادمة فتلقي النصيحة بيد القبول وتعلم من سلطنة مكنتك منها وكان دون نيلها خرط القتاد وما أنا مستعد لقدمك ومعني رجال أقطع بهم أنفاسك والعامل من تدبر والسلام . »

وكان غوردون قد جمع العلماء في الخرطوم فكتبوا نصحاً سريعاً بيتنوا فيه بطلان دعوى محمد احمد وحكوا بتكذيبه فسلم غوردون هذا النص والكتاب الى الرسولين وأعادهما الى محمد احمد في الابيض وأخذ يستعد للدفاع .

تجنيد المتطوعة والباشبوزق : ورأى غوردون قلة العساكر على خط النار فجنّد بعض ارادي باشبوزق جديدة وجمع جيشاً من المتطوعة من أهل المدينة ومرّتهم على حمل السلاح واستماله ووضعهم على خط النار مع العساكر المنظمة فاجتمع في الخرطوم اذ ذاك من الباشبوزق والمتطوعة من قديم وحديث ٣٢ اوردياً في كل اوردي من ٥٠ الى ٣٠٠ رجل وجعل عليهم ثلاثة رؤوس وهم : خشم الموس بك على الباشبوزق الشايقية والمولدين والسودانية وميتو بك

تاريخ الشبكة

على الباشبوزق الاتراك وعبد القادر بك حسن على المساكر المتطوعة وكان معهم ست اورط نظامية ثلاث مصرية وثلاث سودانية وفيهم الاورطة المصرية في طابية أم درمان والكل بقيادة فرج باشا الزيني السوداني .

تقوية الاستحكام : وتفقّد غوردون الاستحكام على عادته فحصّن طابية بُرّي وبني حائطاً على خط النار بعلو ٢٠ سنتيمتراً وفتح فيه المزاغل ليكون ستراً للمساكر يقيهم نار العدو ويمكّتهم من إجادة اطلاق النار . هذا وكان من مآثر عبد القادر باشا انه صنع عدداً كبيراً من الأهرام الفارغة التي توضع امام الخندق لتكون عثرة في سبيل العدو عند هجومه فأمر غوردون فرميت على مسافات مختلفة امام الخندق ولكن لم يكن منها عدد كافٍ فعمل على ما يعبر عنه في فن الاستحكام « بالشرح فلك » وهي أوتاد من الأخشاب الصلبة المحددة الاطراف تفرز في الارض بعضها يحانب بعض وتربط بأسلاك على هيئة شباك وقد جعل ذلك على بُعد عشرين متراً من الخندق . ثم صنع دانات فارغة وملأها باروداً وموادّ فصفورية تلتهب بمجرد اللس وجعل على بُعد ثمانين متراً من الشبكة وذلك على طول الخط من النيل الازرق الى النيل الابيض . وقد فعل مثل هذه الاحتياطات في طابية ام درمان .

ورأى ان الباشبوزق لا يصلحون لحماية سراي الشرق لأنهم كانوا يتركون السراي ويأتون الخرطوم بلا ترتيب فأتى بهم الى الخرطوم وأرسل بدّهم بلوكين من المساكر النظامية . وكان الباشبوزق في الخرطوم يتركون خط النار ويدخلون المدينة بلا اذن فنهام عن ذلك وجعل عليه قصاصاً شديداً ومنع خشم الموس لقب بك وأمره بملاحظة اصحابه وتحملهم على حفظ النظام . ثم أنشأ نقطاً لتلغرافية في كل مركز من مراكز الاستحكام فوصلها بالسراي .

تحصين الواوورات : وكان في الخرطوم من الواوورات : « بوردين وللصافية وتل حوين والتوفيقية والمنصورة والفاسر والاسماعيلية وعباس وشبين والمسلمية والحبينية ومحمد علي » فأصلحها وحصنها وجعل في أكثرها المساكر والمدافع

تأريخ الثورة

وجعل اثنين منها في النيل الازرق واثنين في النيل الابيض لحماية الخندق من طرفيه وجعل وابوراً عند المقرن لتقوية طابيته . ثم امر مدير الترسانة فبنى وابوراً صغيراً كوابر عباس وسماه الزبير فعُرف بعد ذلك بالطاهرة وغرق في واقعة الحفير سنة ١٨٩٦ كما سيحيى .

الغاء المجلس الحسيني واعادة المحافظة : هذا وكان اهل المدينة بعد واقعة الشرق قد اضطربوا وفقدوا الوازع فأطلق بعضهم عياراً نارياً على ستبورت باشا فأخطأه فألقى غوردون المجلس الوطني الذي شكله يوم وصوله الى الخرطوم لأنه لم يقم بالواجب عليه وأعاد الضابطة . قال نصحي : وقد عهد بها اليّ وجعل الصاغ السيد افندي امين وكيلاً لي . فنظمت مع الضابطة ديوان محافظة ووضعت خفراً عسكرياً في كل جهة من جهات المدينة الاربع وفي الشوارع والاسواق والمعادي وأصدرت منشوراً لأهل المدينة فعذرته من اطلاق الأسلحة النارية داخل المدينة ومن الخروج ليلاً من منازلهم وتهددت من يخالف ذلك بالاعدام فاستولت السكينة على المدينة واستتب الامن فوجه لي غوردون رتبة الميرالاي ولوكيل رتبة البكباشي ثم ألقى الضابطة وأبقى ديوان المحافظة وجعلني محافظ المدينة . فلنترك الآن غوردون يستعد للدفاع والمعصاة يحصرونه من كل جهة ولننظر ما كان من الثورة في بربر ودنقلة وسنار .

الفصل الثالث عشر

في

وقائع الثورة في بربر سنة ١٨٨٤ م

محمد الحخير : أما اهل بربر فقد كان وجودهم على الحكومة أشد من وجد غيرهم عليها لأنهم لم ينسوا فظائع الدفتردار في بدء الفتح ثم ظلم الحكام وجباة الضرائب ومفتشي الرقيق من بعده لكن قريتهم من مصر وشدة علائقهم التجارية بها مع وجودهم بين القوات العسكرية بين بربر والخرطوم ذلك كله اضطرهم الى التربص للفرصة حتى جاءهم غوردون وفتح الطريق الى كردوفان وأعلن عن عزم الحكومة على اخلاء السودان فشرعوا في المهاجرة الى المهدي . وكان في جملة من هاجر اليه استاذ محمد الحخير وهو مدرس مدرسة الغبش وله راتب شهري يجري من الحكومة قدره ٤٠٠ غرش وشيء من الحبوب . وهو قصير القامة صغير العينين اسود اللون وله لحية يدورها وقد كان المهدي يكتبه ويلج عليه بالحضور اليه وهو يتردد في الأمر حتى نجاء غوردون وعلم منه عزم الحكومة فأقر على السفر الى المهدي . وكان محمد الحخير صديقاً لحسين باشا خليفة مدير بربر قيل فأطلعه على سره وأراه التحارير التي أتته من المهدي وقال : ان الحكومة قد أقرت على اخلاء السودان فأبي خير لنا في

البقاء معها وما الذي تقوله للمهدي بعد ذهابها واحتلاله مكانها . فقال له حسين باشا « اذاً بادر اذهب الى المهدي وانظر في أمره فان وجدته مصيباً عدت الى بربر فكنت حاكمها الشرعي وانا حاكمها السياسي الى ان يفتح المهدي الخرطوم . وبأني بربر فنسلمه اياها بمخازنها وخزائنها » . وقد أراد حسين باشا بهذا الرأي ان «يمسك الحبل من الطرفين» ويكون الحاكم في الحالين . فذهب محمد الخير الى المهدي في كردوفان فتلقياه بالبشر والسرور وسماه عاملاً عاماً على بربر وأصبحه كتباً الى رؤوس قبائلها يدعوم فيها الى طاعته والجهاد ضد الترك فعاد محمد الخير من عند المهدي في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م ونزل في وادي بشارة على النيل .

الشيخ الهدى الشايقي : وكان في تلك الوادي شيخ من مشايخ الشايقية السواراب يسمى احمد الهدى وهو غير مصدق المهدي فأرسل اليه المهدي سيفاً جميلاً والى الف ريال وأمرأ بالامارة على دنقلة فقبل الهدية وباع محمد الخير باسم المهدي .

الحاج علي ود سعد النفيعاني : ثم سار محمد الخير شمالاً يصحبه احمد الهدى وهو يدعو الناس في طريقه فيجيبونه حتى دخل المتمة بجيش كبير . وكان في جملة من هاجر الى المهدي في كردوفان عبد الله ود سعد من كبار النفيعان الجعليين في المتمة فأعطاه المهدي امانة لأخيه الأكبر الحاج علي ود سعد فقبل الحاج علي الامارة وجمع قومه للجهاد فلما وصل محمد الخير المتمة بايعة باسم المهدي وانضم اليه .

احمد حمزة السعدابي : هذا وكان اول من رفع راية المهدية في بربر احمد حمزة السعدابي من أقارب الملك نمر هاجر الى المهدي سنة ١٨٨٣ وحضر معه واقعة شيكان ورجع من عنده اميراً على قومه فنصره عرب البطاخين وأخلط من العرب ونزلوا على السبلوكة وكان فيها محمد افندي وهبه محافظاً وقد كان قبل الان بأموراً لجمع الضرائب فلما مر غوردون ببربر منعه من جمعها وجعله

في السبلوكة مع ٢٠٠ رجل وواوور لمراقبة الجمعين وموافاته بأخبارهم الى الخرطوم فلما جاء محمد حمزة ورأى انه لا طاقة له على حربه فرّ بالواوور الى شندي فتحصن في ديوان حكومتها فخصره محمد حمزة فيها وبقي في الحصار الى ان قدم محمد الخير الى المتمة فركب النيل وفرّ بمساكره الى بربر . وانضم محمد حمزة الى محمد الخير . وكان محمد حمزة قد قطع خط التلغراف بين بربر والخرطوم فأرسل محمد الخير بعض رجاله فقطعوه بين بربر ومصر وكان قطعه من اكبر الضربات على غوردون .

الامين احمد المجذوب : وتقدم محمد الخير يجموعه الى الدامر فبايعه الامين احمد المجذوب كبير المجاذيب في الدامر وانضم اليه .

هذا ويظهر ان محمد الخير صدق المهدي واتحد معه قلباً وقالباً فلم يمد يرضى بالذي قرّ عليه مع حسين باشا . قيل وكان بعض اهالي بربر مرتابين من صدق محمد احمد فقالوا لمحمد الخير « انت اميرنا وعالمنا ونحن نعتمد على علمك فان كان محمد احمد هذا ليس بالمهدي فأنت تحمل ذنبنا يوم القيامة » فقال ويده على حيته . اذا لم يكن محمد احمد هو المهدي المنتظر فأمسكوني بلحيتي هذه وطالبوني بذنبيكم امام الحق عز وجل ، ولكنه لم يمت حتى رأى انه كان في شطط وندم على ما قال اشد الندم .

دعوة حامية بربر الى التسليم : وكتب من الدامر الى حسين باشا وضباط الحامية يدعوم الى التسليم ويقول : ان خديوي مصر قد ترك لنا بلادنا فسلمونا إياها وإلا فنحن مصممون على قتالكم حتى نخرجكم منها بالرغم . وكتب ايضاً الى اهل المدينة يدعوم الى التسليم فخرج اليه عبد الماجد محمد خوجلي ابن اخيه ثم عبد الماجد ابو الكيلك وخشم الموس محمد اللذان سماعا غوردون مأمورين على بربر كما مرّ .

وكان على المدينة خندق عظيم محيطه نحو ٧٠٠٠ متراً ولم يكن فيه من المساكر سوى ١٦٠٠ النصف باشوزق والنصف عاكر نظامية مصرية والكل

بقيادة البكباشي محمد افندي فهمى المصري وقد إنتشروا على خط النار فكان بين الجندي الواحد والآخر اربعة امتار وزيادة . وكان حسين باشا قد قطع المواصلات التلغرافية يسأل غوردون عما يفعله فيعده بوصول المداد اليه قريباً من مصر ويسأل مصر فتصرّح له بعدم تيسر المدد فلم يكن يدري ما يفعل فلما جاءه كتاب محمد الخير عقد مجلساً من الضباط والسنّاق وقرأ لهم الكتاب وسألهم عن رأيهم فقالوا كلهم بصوت واحد « الموت ولا التسليم » وكتبوا في ذلك الى محمد الخير فأعاد الانذار رفقا بهم فعادوا الى جواهرهم الاول .

حصار بربر: فلما رأى اصرارهم على الحرب سير عليهم الجيوش من الدامر تباعاً ثم جاء في آخرها فوصل بربر في ١٢ مايو سنة ١٨٨٤ م فنزل مع الحاج علي ود سعد وعبد الماجد ابو الكيلك المار ذكرهما في حلة الدكة فحصر بربر من الشمال وأمر سعد ود سالم المشهور بؤد بنونة من السعداب فنزل في قوز الفونج وحصرها من الجنوب وحصرها البشاريون وأخلط من الجعليين من الشرق وكان مجموع جيوشه نحو ٤٠ ألفاً من مشاة وفرسان وكثير منهم مسلحون بالاسلحة النارية . وعند وصوله جدّد الكتابة الى الحامية يدعوم الى التسليم حقناً للدماء وكان الرباطاب قد أمروا علي باشا وهي في بلادهم وهو مسافر الى مصر فأرسله محمد الخير الى اهل الحامية مع الكتاب لحثهم على التسليم فأبوا إلا الحرب . وفي صبيحة يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٨٨٤ أطلقوا نيران المدافع والبنادق على الدراويش فأجابهم الدراويش باطلاق النيران من كل جهات الحصار وكان في جهة الدكة بستان فيه قصر شامخ يطلّ على العساكر في الحندق فاحتل الدراويش القصر وصاروا يوالون اطلاق الرصاص على العساكر فيفتكرون بهم . وكان قومندان العساكر قد تنبّه لهذا القصر وأراد هدمه فمنعه حين باشا لأنه لو كيل المديرية فكان أشد البلاء الذي اصاب الحامية من هذا القصر .

سقوط بربر الاثنين في ٢٣ رجب

سنة ١٣٠١ هـ مايو سنة ١٨٨٤ م

ولما كان فجر الاثنين ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ م ٢٣ رجب سنة ١٣٠١ هـ (وفي قمر السودان ٢٢ منه) صلى محمد الخير بأصحابه صلاة الصبح وأمرهم بالحملة على العساكر في خندقهم وأمر الذين في القصر فوالوا إطلاق النار على الحامية وفتحوا طريقاً للمهاجرين فدخلوا الخندق من تلك الجهة ومن جهة النيل وأعملوا السيف والحربة في العساكر وكان معظم العساكر لما رأوا العصاة قد دخلوا الخندق تركوا الخط ودخلوا منازلهم أو ركبوا الوابور والمراكب واجتازوا النيل الى البر الغربي ولم يبق على الخط سوى البلوك الثالث من الاورطة الثالثة من العساكر النظامية وأوردي علي أغا اسلام وأوردي محمد أغا حسن عوض الله العبادي من العساكر الباشبوزق فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم رحمة الله عليهم . وأما حسين باشا فانه دخل منزله مع القواصة وبعض العساكر وأغلق بابه فبعث اليه محمد الخير بالأمان فسلم له . وما زال الدراويش يتعقبون العساكر ويقتلونهم الى قرب الظهر فننادى المنادي فكفوا عن القتل وكان مجموع الذين قتلهم في ذلك اليوم نحو ١٠٠٠ رجل وأسروا الباقين وصادروهم في اموالهم إلا حسين باشا فانهم لم يمسوه بسوء . وكان في خزينة بربر مبلغ ٥٥٨١٢ جنياً قد أرسلت من مصر الى غوردون ثم سُدت الطريق فبقيت في بربر مع أمانات اخرى في الخزينة تبلغ قيمتها نحو ٨٠٠٠ جنياً فكتب محمد الخير الى المهدي ثاني يوم الفتح يعلمه بالفتح والخزينة وأمر حسين باشا ويسأله عما يفعل فأرسل المهدي ابراهيم ود عدلان فأحضر المال من الخزينة فضمه الى بيت المال وكتب الى محمد الخير فأرسل اليه حسين باشا مع وكيله عمر بك العمراني وكان المهدي اذ ذاك في الرهد . قال الكحل : فوصل حسين باشا الرهد في ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ م فأمر المهدي الخليفة علي ود حلو فاستقبله في ظاهر الديم باحتفال عظيم . وقبل

وصوله الى زريبة المهدي وضع جنزيراً من الحديد في عنقه وحشا التراب على رأسه وتقدم للمهدي ذليلاً وهو لابس الجبة المرقعة فبايعه فقربه المهدي وجعله من خواص رجاله وبقي في أسره الى ان دبّر الحيلة ونجا الى مصر ، كما سيأتي .

وأما العساكر الذين وقعوا في الأسر فقد أمر عليهم حسن افندي شريف احد معاوني المديرية ومن اقرباء الحاج علي ود سعد . ولما فتحت الخرطوم ذهبوا الى ام درمان فبايعوا المهدي وعادوا الى بربر يسعون وراء الرزق في سوق المدينة وكلما سنحت فرصة لواحد منهم فرّ الى مصر حتى لم يبق منهم الى الفتح الاخير إلا القليل .

الفصل الرابع عشر

في

وقائع الثورة في دنقلة سنة ١٨٨٤ م

الشيخ الطيب وواقعة الدبة الاولى في ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ : تقدم ان المهدي أرسل الى الشيخ الهدي أمراً بالامارة على دنقلة فسار مع محمد الخير لحصار بربر وارسل خاله ود عبود بكتاب الى الشيخ الطيب الشايقي السوارابي في جهة مروى يسميه أميراً على الشايقية ويستنهضه للقيام بنصرة المهدي فنادى في الشايقية باسم المهدي ونزل بهم على دار الحكومة في مروى فنهب الخزينة والشونة وسار في وجهه شمالاً يستنفر اهل البلاد للجهاد . وكان المدير على دنقلة في ذلك الحين مصطفى باشا ياور من كرام الشراكسة وقد اشتهر بالتعبد والتقوى مع حسن التدبير والاستقلال في الرأي وقد كتب اليه المهدي من كردوفان يسأله التصديق بمهديته فأجابه بما أرضاه وأحسن الى أقاربه في دنقلة قصد مخادعته فكتب اليه المهدي بالامارة على دنقلة . وكان مصطفى باشا يظن انه بهذه المخادعة يضمن راحة مديريته ويأمن دخول الثورة اليها لأنه لم يكن معه سوى اورطة من العساكر المنظمة و ٦٠٠ من الباشبوزق وبضعة مدافع فلما سمع بخبر الشيخ الطيب أخذ ١٠٠ من العساكر النظامية و ٤٠٠ من

الباشبوزق ومدفعين وسار قاصداً الشيخ الطيب حتى وصل الدبة فلم انه نازل في دبة الفقراء قريباً منه فتحصن في طابية الدبة فعول الشيخ الطيب على حصره وكان قد اجتمع عليه نحو ٦٠٠٠ رجل مسلحين بالسيوف والحراب وبعضهم مسلح بالبنادق فجعلهم قسمين غير متساويين فأتى بالقسم الاكبر الى الكرو شمالي الدبة وأبقى القسم الآخر في دبة الفقراء جنوبها فخرج مصطفى باشا بمعظم قوته وباغت جيش الكرو فقتل منه ٣٠٠ رجل وجرح مثل ذلك وفيهم الشيخ الطيب وانهزم الباقون الى اخوانهم في دبة الفقراء فتبعهم مصطفى باشا اليها بعد ظهر ذلك اليوم يجمع قوته وأشعل فيهم النار فقتل منهم ٥٠٠ رجل وشتت الباقين كل مشتت ولم يقتل من عسكره احد . وكان ذلك يوم الاحد في ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ م أي قبل سقوط بربر بيوم .

الشيخ الهدي وواقعة الدبة الثانية في ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٤ : فلما سقطت بربر لم يلبث الشيخ الهدي ان برحها بنحو ٣٠٠ من اهل الشايقية و٥٠ عسكرياً سودانياً حاملين البنادق وجاء بلاد الشايقية بطريق الدقايت ونادى بالنفير فاجتمع عليه اهل الشايقية والشيخ نعمان ود قمر شيخ المناصير وبعض بادية الحسانية والهاواير فزحف بهم عن يسار النيل قاصداً الدبة . وكان مصطفى باشا بعد طرده الشيخ الطيب من الدبة عاد الى الاوردي بالساكر المنظمة وترك فيها الساكر الباشبوزق بقيادة النور بك من سناجق الارناؤوط ووكيل المديرية جودت بك فبنى جودت بك طابية صغيرة على قدر الساكر وحصنها بالمدفمين ولما سمع بقدوم الهدي بعث بالخبر الى مصطفى باشا فأرسل الى مصر في طلب المدد فلم يُسمع له فجمع نحو ٢٠٠٠ رجل من المتطوعة من اهل ارقو والحفير والاوردي والحندي ودنقلة المجوز وضم اليهم ٢٠٠ من الجهادية وسار الى الدبة لتجدة جودت بك .

وتبل وصوله اقبل الهدي بأنصاره في فجر ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٤ وهاجوا الطابية مستقلين ففتح الساكر عليهم أفواه المدافع والبنادق وأمطروا من القنابل والرصاص ما حصدهم حصداً حتى بلغ عدد قتلاهم ٢٧٠٠ رجل وفيهم

نعمان ود قمر شيخ المناصير ولم يقتل من العساكر سوى اثنين من الطويحية وجرح جودت بك جرحاً خفيفاً في وجهه وانهزم الهدي بباقي جيشه الى الحتاني. ووصل مصطفى باشا الدبة بعد الواقعة بقليل فأخذ العساكر والمتطوعة وسار برأً وبحراً الى الحتاني ففرّ الهدي من وجهه فطارده الى صنم فدخل بلاد المناصير فرجع عنه فترك العساكر في الدبة بمعهد جودت بك وعاد بالتطوعة الى الاوردي ففرقهم الى بلادهم .

محمود ود الحاج وواقعة كورتي في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : ثم عاد الهدي الى مروي وبعث في طلب المدد من المهدي وكان المهدي اذ ذاك في الرهد في طريقه على الخرطوم فأرسل محمود ود الحاج من أقاربه مع نفر من اصحابه على ان يكون عاملاً عاماً على دنقلة وكتب الى الهدي بالانضمام اليه . فسار محمود في صحراء الكبابيش وتزل في ام بليلة على نيسل دنقلة في أواخر اوجسطوس سنة ١٨٨٤ وكتب الى مصطفى باشا يقول له « قم واحضر لمقابلتنا بأبي قسر ومنها نتوجه لمقابلة المهدي لأجل البيعة والتأديب بأداب المهدية » . ثم اجتمع على الهدي في كورتي .

أما مصطفى باشا فانه لما علم بقدم محمود توجهه بالوابور الى الدبة فأخذ عساكرها ومدفعاً واحداً وسار برأً وبحراً طالباً محمود والهدي فالتقاهما الخميس في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ قرب كورتي وأشعل نيرانهم النار فلم يكن إلا القليل حتى قتل محمود والهدي وتشتت جيشها كل مشتت فقطع مصطفى باشا رأسها ورأس رجل قيل انه امير طرابلس الغرب وآخر قيل انه امير مصر وأرسل الرؤوس الاربعة الى سردار الجيش المصري بحلفا وسأله ان يرسل رأس امير الغرب الى جلالة السلطان ورؤوس الباقين الى سمو الخديوي فكتب اليه السردار يدح بسأله ويهنئه بالنصر ويتألف له بقوله انه لم تجر عادة هذا العصر في ارسال مثل هذه العلائم ثم أمر فدفنت الرؤوس الاربعة . ولم يقتل في هذه الواقعة من العساكر سوى اثنين وجرح ضابط واحد . وبعد الواقعة جاء الكثير من

العصاة مسلمين وهدأت البلاد وعاد اليها الأمن كما كان ولم يعد يقيم للدراويش قائمة فيها إلا بعد خروج الانكليز منها أواخر سنة ١٨٨٥ كما سيجيء .

وقد رأيت كتاباً من المهدي الى زقل امير دارفور بتاريخ ٨ الحجة سنة ١٣٠١ هـ ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٨٤ م يشير فيه الى هذه الواقعة قال :

« ... وقد ورد لنا خبر أكيد من دنقلا ان حبيب الجميع محمود الحاج محمد واحمد الهدي استشهدا في سبيل الله . قيل انها لما حضرا بالقرب من دنقلا نزلا في محل وهم قليلون جداً فما شعروا إلا وقد هجم عليهم أعداء الله فصبروا عليهم صبر الكرام حتى نالوا احدى الحسنتين . وكنا أرسلنا محمود الى دنقلا بنساء على ما ورد لنا من « ياور » مديرتها يوري بأنه طائع لله ومسلم لأمر المهدي وان الشيخ احمد الهدي أتى اليهم وحاصره وضايقه ورغب كف يد المذكور عنه بواسطة مخصوص من طرفنا فلذلك أرسلنا محمود بدون جيش اختباراً لحال المذكور وقد ألزمناه بتسليم البلد الى محمود وحضوره هو على وجه الفور فظهر غدره وعلم انه منافق ماكر والله خير الماكرين » .

الفصل الخامس عشر

عودُ الى

وقائع الثورة في سنار

سنة ٣ - ١٨٨٤ م

واقعة الشريف انجضو : تقدم لنا ان عبد القادر باشا قبلما يرح سنار في أواسط سنة ١٨٨٣ م أرسل صالح بك الملك الى فامكة ليتعهدا وكان عليها مأمور تلياني يدعى مارنو بك ومعه ٤ بلوكات من العساكر النظامية و ١٠٠ من الباشبوزق بقيادة الصاري سعد أغا شميم الشايقي فلما جاءهم صالح بك وجدهم بنفاية الجوع والعري فعماد على الأثر في طلب الزاد والكسوة لهم فاعترضه في الطريق قرب شلال الرصيرص فقيه من أنصار المهدي يدعى الشريف انجضو فأوقع فيه واقعة شديدة وقتله وشتت شمل أنصاره واستطرد السير شمالاً حتى وصل كركوج فوجد فيها حامية مؤلفة من ٤٠٠ رجل بقيادة علي كاشف ووجد فيها أمراً من مدير سنار بالبقاء في سيرة تجاهها لحماية الغرب فصعد بالامر وكتب الى المدير يخبره بحال فامكة .

اخلاء فامكة ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م : ولما أبطأ المدد على مارنو بك

جاء بقارب صغير الى الخرطوم وكان عليها اذ ذاك علاء الدين باشا فأخبره بالضيق الذي صارت اليه حامية فامكة فأصدر أمره بمزل بساطي بك وأرسل حسن بك صادقاً مديراً على سنار مكانه فجاء الى سيزو في وابور ومعه الزاد والصاكر الى فامكة فسلمها الى النور بك محمد وعثمان بك الدالي فأخذها بالمراكب الى الرصيرص ليحملها من هناك على البقر. وقبل قيامها من الرصيرص وردت الأنباء بانكسار جيش هكس وهاجت البلاد فرأى المدير ان يلم شعثه فبعث اليها أمراً باخلاء فامكة فأخليها ورجعها بالحامية الى سنار في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م فوجدا حامية كركوج وصالح بك الملك قد سبقاها اليها. ونزل صالح بك بأمر المدير في ابي سقره على حدود سنار الشمالية فبقي فيها الى ان كانت حركة محمد ود البصير حيي المهدي في الخلاويين .

حركة محمد ود البصير في الخلاويين : وقد تقدم ان المهدي أجاز حماه المذكور باعطاء البيعة بالنيابة عنه فبقي في مكانه يتربص للفرصة الى ان كانت واقعة شيكان وعاد من عند المهدي عبدالله ود الشيخ حمد النيل شيخ العراقيين في ابي جراز وعبد الله ود البحر شيخ الكواهلة في وسط الجزيرة ومع كل منهما أمر بالامارة على أهله وأمر الى كل من عبد الله بن عوض الكريم باشا ابي سن في رفاعه والطيب ود حامدون ناظر الجميلين في المسلمية بالامارة على أهله فلبيا الدعوة وانضم الجميع الى محمد البصير فصادفوا عسكرياً في سوق الخلاويين فقتلوه قتل فغمس كل من حضر حربته بدمه وشهروا المصيان وذلك في أواخر ديسمبر سنة ١٨٨٣ .

واقعة ود مدني في ١٧ يناير سنة ١٨٨٤ : فلما بلغ الخبر صالح الملك في ابي سقره زحف على ود البصير ومعه نحو ١٤٠٠ رجل من الباشبوزق الشايقية وكلهم مسلحون بالاسلحة النارية فالتقاء اصحاب ود البصير قرب ود مدني في ١٧ يناير سنة ١٨٨٤ فقتل منهم ٥٠٠ رجل وفيهم الطيب ود حامدون وهزم الباقي، ثم تقدم الى فداسي فحفر خندقاً وتحصن فيه وبعث يطلب المدد من

سبار فجاءه محمد أغا الصاغ من مواليد الاتراك على وابور « محمد علي » بمئة صندوق من الذخيرة و ٧٥ رجلاً من الباشبوزق .

واقعة فداامي : فجمع محمد البصير جيوشه وهاجم صالح الملك في الخندق فصدّه بخسارة ١٠٠٠ رجل ولم يفقد من عسكره سوى ١٤ رجلاً . فلما رأى العرب ان لا طاقة لهم على حربه عولوا على حصره فنزل عبد الله ود الشيخ حمد النيل في جنوبيه لمنع المدد عنه من سبار ونزل محمد البصير وباقي الأمراء في شماليه لمنع المدد من الخرطوم ثم حضر الشيخ عوض الكريم باشا ابو سن بألف من رجال قبيلته ونزل تجاه فداامي شرقي النيل فتظاهر بأنه محاصر لصالح الملك واتفق معه سرّاً فأرسل كل منهما رسولا الى غوردون يعلمانه بالحالة ويطلبان المدد فأرسل عوض الكريم ابنه علي أهد كما مرّ وأرسل صالح بك حسن افندي وراق من ضباط الباشبوزق وكان غوردون اذ ذاك في مركز حرج فلم يستطع المجادها فبعث يشكر لهما ثباتهما ويعدهما بارسال المدد بأول فرصة فعاد الرسولان منه بعد غياب ٣٠ يوماً وقد رقي صالح بك الى رتبة اللواء ورفع رتبة كل ضابط من ضباطه رتبة وكانت حاجة صالح باشا الآن الى المدد لا الى الرتب وقد بعث الى سبار في طلب المدد فأحالوه على الخرطوم وكان الجوع قد مسّ الحامية فلم يبق له بعد هذا سوى التسليم فخشي ان سلم الى ود البصير ان ينتقم منه بمن قتل من رجاله فأرسل الى المهدي في الابيض كتاباً يسأله ان يبعث اليه بأمير من قبله ليسلمه الحامية .

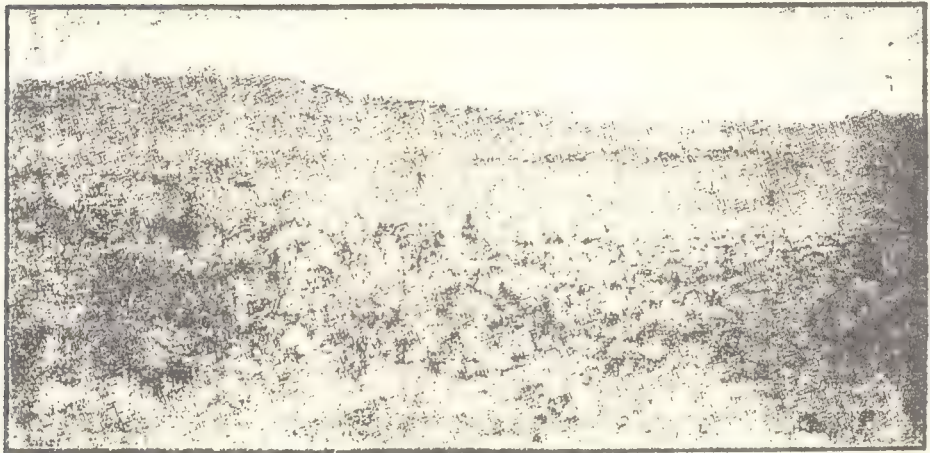
سرية محمد عثمان ابي قرجة وتسليم صالح الملك في فداامي

في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م

وكان المهدي اذ ذاك على أهبة الزحف على الخرطوم فأرسل اليه محمد عثمان أبا قرجة الدنقلوي بجيش مؤلف من ٢٠٠٠ مقاتل من اخلاط حمر ودغيم وكنانة وجعليين وحسانية ومعهم ٤ بلوكات من العساكر السودانية الذين أسروا



واقعة فركة



واقعة أم درمان
« الهجوم الثاني »

شأن الشوكان

في الأبيض ومدفعان وساروخ وأمره باستلام فداسي من صالح الملك والتوجه منها لحصر الخرطوم . فخرج بجيشه من الأبيض في أواخر مارس سنة ١٨٨٤ وسار مجدداً حتى نزل بحجة فداسي قرب الخندق وأرسل الى صالح الملك فخرج اليه مسلماً في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م فاستولى ابو قرجة على جميع أسلحتهم وذخائرهم ووابورهم و محمد علي ، وأرسل صالح الملك الى المهدي فوافاه بالرهـد وصحبه الى أم درمان فحاول مكاتبة غوزدون فلم يـهـلـه المهدي فزجه بالسجن وعذبه وبقي في أم درمان الى ان مات قهراً سنة ١٨٨٩ رحمة الله عليه .

واقعة أبي الحسنى في ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ ، وجاء مع ابي قرجة من كردوفان شيخ من اليعقوباب من أتباع الطريقة السمانية يدعى عبد القادر أبا الحسنى كان قد هاجر الى المهدي في كردوفان وحضر معه واقعة شيكان وبقي الى ان جاء ابو قرجة فصحبه الى فداسي . وفي ثاني يوم التسليم انفصل عنه ببعض الأنصار فجمع الجوع وقصد سنار فوجدها محاطة بخندق حصين فلم يحسر على مهاجمتها فقمعد لحصرها قرب حلة البقرة فخرج عليه مديرها حسن بك صادق في ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ بمعظم العساكر فأمر ابو الحسنى اصحاب الأسلحة النارية من جيشه فساروا في منحدر شاطيء النيل متوارين به وداروا من وراء العساكر فقطعوا خط رجعتهم الى سنار وتصدى لهم ابو الحسنى بجرايته من الامام فحصرهم في الوسط فدهش المدير من مكيدة أبي الحسنى وحار في امره فبرز له عثمان بك الدالي اذ ذاك وقال اعطني ٢٠٠ رجل وتفرغ انت لمن امامك ولا تهتم بمن وراءك فاني أكفيك شرم فأعطاه ما طلب فانقلب على من في الورا وأشعل فيهم النار وهو يتقدم نحوهم رويداً حتى هزمهم ونكل بهم وعاد على الأثر الى المدير فأنجده على أبي الحسنى فهزمه وشتت شمله ومن ذلك الوقت خند ذكر ابي الحسنى ومات بعد قليل فدفن في حلة البقرة وبني ابنه قبة فوق قبره .

واقعة الشيخ غالب في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٤ : وظهر الشيخ غالب في حلة داود على الدندر فجاءه بالعداء ورفع راية المهدي فهاجمه المدير في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٤ وبدد شمله ونزل في حلة الجادين على ١٢ ميلا من سنار وشرع في جمع الحبوب للحامية .

الفصل السادس عشر

عود إلى

غوردون وحصار الخرطوم سنة ١٨٨٤ م

ابو قرجة وحصار الخرطوم :

ولقب المهدي ابا قرجة بأمر البرين والبحرين وجعله اميراً عاماً على محاصري الخرطوم فزحف بجيشه عليها ومعه ود البصير وقد نادى بالنفير العام في الجزيرة كلها وأمر ان لا يتخلف احد عن الجهاد فكان جيشه يزداد ضخامة وقوة كلما تقدم شمالاً حتى نزل بالجريف قرب الخرطوم فكتب الى غوردون كتاباً هذا مفاده :

« اني حضرت من قبل المهدي أميراً على البرين والبحرين وقد أخذت قداسي وجئت الى الخرطوم أنصح أهلها بالتسليم فإذا سلموا سلموا وأمنوا على أموالهم وأرواحهم وإلا فلا بد لي من محاربتهم وأخذ المدينة منهم عنوة والسلام . »

فأحسن غوردون الى الرسل وردّهم بلا جواب . فتقدم ابو قرجة اذ ذاك الى بُري ودنا جداً من الخندق فبنى طابية ونزل فيها بجيشه وأبقى محمد

البصير في الجريف فبنى فيها طابية كطابية بري وجعل الطاهر العبيد ود بدر السالف الذكر في الوسط بينها . ثم أرسل وابور محمد علي ، الى الحلال فجمع مقداراً عظيماً من الحبوب وبنى لها مخازن بين طابيتي بري والجريف وجعل في الطابيتين مزاغل ترمي على النيل والخرطوم وحصن طابية بري بالمدافع وشرع يرمي بمقدوفاتها على الخرطوم . وكانت ذخيرة الحامية في مخزن قريب من الخندق فأصبحت في خطر عظيم فقتلها غوردون الى كنيسة المرسلين النمساويين الكاثوليك الواقعة في وسط المدينة وقد كانت من أمتن أبلية المدينة وأتقنها صنعا .

هذا وكان أصحاب الشيخ العبيد لم يزالوا يناوشون العساكر القتال كل يوم بلا انقطاع من الفجر الى الضحى ثم يصبرون الى ما بعد الغروب بنصف ساعة فيجددون المناوشة الى الساعة الرابعة في الليالي المقمرة فانتقى غوردون نفراً من العساكر الماهرين في الرماية وجعلهم على سطح السراي وأقام لهم حائطاً فتح فيه المزاغل ليقبهم نار العدو ويمكنهم من اجادة الرمي . وأصدر أمره الى ابراهيم افندي لبيب فصنع اشخاصاً من الخشب بهيئة العساكر وصفها على هيئة طاوور على الشاطئ الشرقي للنيل الازرق فظنها الدراويش عساكر وأخذوا يرمونها بالرصاص ولما لم تتحرك علموا انها خدعة فكانوا يأتون اليها ليغنموا ملابسها فيدخلون ضمن دائرة مرمى الرصاص فيصوب الرماة النيران عليهم من سطح السراي فيقتلونهم .

واقعة ود جار النبي : وبلغ غوردون ان في موردة ود جار النبي على النيل الابيض جموع من الدراويش ومعهم قطعان كثيرة من الغنم والبقر فأرسل ساقى بك مدير بحر الغزال باحدى الواورات فشتت شملهم وغنم الف رأس من الماشية وعاد الى الخرطوم وكانت الحامية في أشد الحاجة الى اللحوم فقتلوا بها .

واقعة الشجرة : فلما رأى ابو قرجة ضعف أنصاره في النيل الابيض أرسل سرية من جيشه بقيادة شيخ فضل احمد الدنقلوي فبنى طابية قرب شجرة محو

بك ووضع فيها مدفعاً فأرسل غوردون سرية من العساكر بالوابورات والمدافع ومعه من القواد ساقى بك وعبد القادر بك حسن وحسن بك العقاد فهدموا الطابية وعطلوا المدفع وطردوا شيخ فضل وأنصاره من تلك الجهة وعادوا الى الخرطوم. فنجح غوردون كلا من الساقى بك وعبد القادر بك الرتبة الثانية وحسن بك العقاد الرتبة الثالثة. ثم أرسل بعض العساكر فغربوا حلة الكلاكلة لمنع الدراويش من التحصن فيها وعادوا بأخشيائها وقوداً للوابورات . وعاد الشيخ فضل بعدهم الى محله على النيل الابيض .

وكان النيل اذ ذاك في زمن انخفاضه ولا يمكن الانتفاع بالوابورات ولا سيما على النيل الازرق فبقي غوردون في انتظار ارتفاعه على أحر من الجمر .

هذا ولم تكن متاعب غوردون داخل المدينة أقل منها خارجها فقد كان في المدينة من السكان نحو ٥٠ الف نسمة ما عدا العساكر وأكثرهم من المصريين والمولدين والغرباء فحماؤه مشاق كان في غنى عنها ولكنه تحملهم بصبر غريب وأظهر في سياستهم من الرفق والاحسان ما دل على تناميهِ في حب العدل والانسانية .

علم الحامية بسقوط بربر : ولم يعلم غوردون بسقوط بربر حتى بعث اليها بجاسوس فوجدها بيد الأعداء وعاد اليه بالخبر فأمره بالتحفظ عليه ولكن ليصح القول « ان الحيطان آذاناً » شاع الخبر بين سكان الخرطوم فقلقوا وخافوا وكثر الشغب في المدينة فرأى غوردون ان يستنبط حيلة تسكن روعهم فعلق منشوراً في شوارع المدينة والمراكز العسكرية يقول « انه أتى بالأمس جاسوس ومعه يريد من مصر ينبيء بأن الانكليز قد جردوا حلتين لانقاذ الخرطوم حلة بطريق دنقلة وحلة بطريق كسلا وان حلة كسلا انقسمت فرقتين فرقة أنت بطريق الاتبرة. بقصد النزول على بربر وفرقة بطريق ابي حراز بقصد النزول على الخرطوم وقد جرد السلطان حلة ثالثة بطريق سواكن وجردت مصر حلة رابعة بقيادة السيد محمد عثمان المرغني عن طريق كسلا

ورفاعة وقد رسم صور العساكر في الحملات الاربع على ورق شفاف وعلقها مع المنشورات .

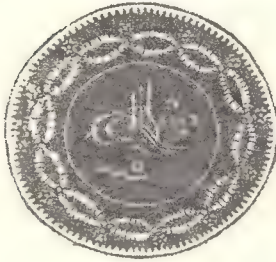
نجمة الحصار : وصنع ميدالية كالمداينة المضربة علق في أعلاها النجمة واللال وكتب في دائرها هكذا : « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وسماها « نجمة الحصار » وقد صنعها من فضة ونحاس وطلّى بعض الانجم الفضية بالذهب فوزعها على الضباط من رتبة بكباشي فما فوق ووزع الانجم الفضية على الضباط من رتبة صاغ فما دون والانجم النحاسية على الصف ضباط والعساكر فكان لها أحسن تأثير على الحماية كلها .

اعانة الفقراء : وسمح للتجار والاعيان بحمل الانجم الفضية فجعل على كل نجمة عشرة جنيهات فجمع مبلغاً وافراً من المال وزعه على الفقراء .

ولما كان موسم النخيل جمع التمر من جنائن الخرطوم الأميرية فبلغ ثمنه ٢٦٠٠٠ غرشاً فوزعه على الفقراء والفقهاء وحلة القرآن وسألهم قراءة كتاب البخاري في المساجد والتوسل الى الله بضالّ الدعاء لينبئهم على رفع الحصار وقطع دابر العصاة .

أوراق البون : وكانت يدفع مرتبات العساكر والموظفين كل شهر حتى نفدت النقود من الخزينة فأخذ يقرض من تجار المدينة وأعيانها ويعطيهم « رجماً » بمضاة باسمه واسم محمد باشا حسن رئيس المالية حتى عجز التجار عن زيادة القرض فأصدر أوراق « بون » بقيمة ٥٠ الف جنيه مصري الورقة بخمسة غروش صاغ وعشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومئة وخمسمائة والف والفين وكتب على كل ورقة ما يأتي : « هذا المبلغ مقبول ونجري دفعه من بخزينة الخرطوم او مبصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه في ٢٥ ابريل سنة ١٨٨٤ م » وجعل لكل ورقة ثمرة متسلسلة وختمها كلها بختمه وختم الحكمدارية ثم أمضاها بامضائه وسلمها الى رئيس المالية فقيدها في دفاتر اليومية وصار ينفق منها على العساكر والموظفين كأنها نقود فتوقف أهل المدينة عن

تاريخ السودان



حسنة غزو شميرى

١٤١٥

هذا المبلغ مقبول ويحوى دفع من خزينة الخراج او مصر نفوسى
ستة شهور من تاريخه ١٤٥٠

مطعم
بالتاريخ
١٤١٥

قبولها لأنهم لم يكونوا متعودين عليها فرفع الأمر الى غوردون فأوعز الى المحافظ فجمع أعيان التجار الوطنيين والاوروبيين وأرباب الصنائع والمتسببين وأفهمهم معنى تلك الأوراق وأمر الاوربيين بقبولها تشجيعاً للوطنيين فلم يجد ذلك نفعاً فملق منشوراً في الشوارع والممرات فحواه « ان من يتجرأ على رفض أوراق البون يُقتل بالرصاص » فاضطر الأهليون الى قبولها بالرغم ولم يكن بينها أوراق اقل من خمسة غروش فتعسرت المعاملة بها فطبع غوردون أوراقاً بقيمة عشرة آلاف جنيه منها عشرة آلاف ورقة الواحدة منها بفرش والباقي بخمسة غروش وعشرة غروش . ولكن لم يلبث التجار ان بنحسوا أثمانها وصاروا يشترونها بثمان أقل من الثمن المعين لها فقبض غوردون على بعضهم وأرسلهم الى سراي الشرق فحبسهم مدة ثم غفا عنهم وأعادهم الى الخرطوم بعد ان أقسموا بالتوبة . ثم لم يتلاف هذا الشر حتى ظهر ان صابراً واحمد ابني الشيخ عبد الغني السلاوي قد قلدا ختم الحكمدارية « وفرمة » غوردون بالنقش على القرع وطبعاً أوراق « بون » كأوراق غوردون فحوكاً بمجلس عسكري فاعترف أبوهم انها فعلاً ذلك نظراً للضييق الذي صار اليه . فحكم المجلس بحبسها سنة فصدق غوردون الحكم وجعل لوالدهما مرتباً يستعين به على معيشته قدره خمسة جنيهات في الشهر .

اخفاء التجار للغلال : ثم لما طال الحصار أخذ التجار في اخفاء الغلال في مطامير داخل منازلهم فارتفعت أثمانها وكثر عدد المتسولين في المدينة حتى غصت بهم شوارعها فأحصاهم غوردون فكانوا ٣٠٠٠ نفساً فأمر بمرتب يومي يجري لهم من المخازن قدره ١٠٠ درهم من البقسماط لكل نفس ولما طال الحصار خفض المرتب الى ٥٠ درهماً . ثم أمر غوردون المحافظ فنبش المطامير وأحصاها في « كشف » فأخذ التجار يخفون منها ايضاً ويقولون انها نفدت فضج الأهالي لقلة الغلال ففتح غوردون شونة الحكومة وأخرج منها ٤٠٠٠ اردب غلة فبيعت للموظفين والأهالي بثمان معتدل وبحث المحافظ عن الغلال الخفاة فوجد تاجراً « ومياً بشركة ابراهيم بك البورديني الوطني » قد أخفى ٦٠٠٠ اقة ذرة

تاريخ الثورة المهدية

فأحضره ووجّهه قيل وجلده بالسياط حتى أدماه فحمله رفاقه الاروام على سرير وأتوا به الى غوردون طالبين بثأره فألقى غوردون المحافظة تسكيناً لروحهم وأعاد نصحي ووكيله الى خط النار وأرجع الضابطة بأمورها السابق حسن بك فؤاد ووكيله ابراهيم افندي لبيب وأمرهما ان يسلكا فيها مسلك المحافظة بلا فرق .

إباحة الفطر والحرب في رمضان : وقد تقدم ان غوردون كان ينتظر ارتفاع النيل بفارغ الصبر ليتمكن من استخدام الواورات لرفع الحصار ويتمكن الانكليز من تجديده فلما بدأ النيل في الارتفاع بدأ شهر رمضان فجمع العلماء واستفتاهم في إباحة الفطر والحرب فيه فأفتوا بذلك بدليل ان النبي ﷺ فتح مكة في شهر رمضان فنشر غوردون هذه الفتوى في جميع المراكز العسكرية.

واقعة القطيعة ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ : ولما كان يوم ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ م بلغه ان رجلاً يدعى حامد ود الفقيه عبدالله الدنقلاوي من سكان القطيعة قد جمع جموعاً من بلده ونوى الزحف على الخرطوم فجهد عليه ساتي بك بالواورات فحاربه مستبلاً ولكن حامد عبد الله تغلب عليه بكثرة العدد وقتله مع نفر من عسكره وهزم باقي المساكر الى الخرطوم وما انتشر خبرهم حتى ارتفعت أصوات الحزن في المدينة وتأسف غوردون لموت الساتي بك لأنه كان من أعجز رجاله فاستدعى أخاه وعزاه ووجه اليه الرتبة الثالثة وقلده قومندانية الواورات مكان أخيه .

واقعة الكلاكلة في ٩ يوليو سنة ١٨٨٤ : وقطع الدراويش رأس الساتي بك وعلقوه على حربة طويلة وأتوا به قرب الخندق وصاروا ينادون المساكر « اخرجوا ايها الملاعين ليحل بكم ما حل بالساتي » فاشتمل غوردون غيظاً من قحتهم وقظاعتهم فجهز جيشاً مؤلفاً من ٦٠٠ من المساكر النظامية و ٢٠٠ من الباشبوزق و طقم ساروخ وعقد لواءه للبكباشي السيد افندي امين فجعل المساكر النظامية بهيئة « قلعة » او « مربع » ووضع المساكر الباشبوزق

تاريخ الثورة المهدية

بهيئة « شرخجية » على ٣٠٠ متر من مقدمة المربع وسار حتى أقبل على الدراويش قرب حلة الكلاكلة وكان بينه وبينهم خور يمتد من تلك الحلة الى النيل الابيض فخاف اذا لجأ الدراويش اليه تعسر اخراجهم منه ففتح المربع وصفه بهيئة طاوور فسبقهم اليه ووارى عسكره به وفتح على الدراويش تاراً حامية فمالوا نحو الجناح الشمالي بقصد تجاوزه وقطع خط الرجعة فأمر السيد افندي فانكسر الجناح المذكور واضطف بهيئة طاوور على زاوية مستقيمة مع الطاوور الاول ووالى الطاووران رمي الرصاص وطويحية الكروب من الخراطوم تساعدهما وكان الدراويش يوالون المهجوم مستقثلين حتى ان احدهم أمراهم المسمى ود دفع الله دفع جواده وسط النيران وكرّ مهاجماً والسيف مشهور بيده وهو ينادي « انا ود دفع الله » حتى اخترق الصف فانبرى له الملازم عبد الخالق افندي المصري وابتدره بضربة من سيفه فجندله . ودام القتال من الضحى الى ما بعد الغروب وقد قتل من الدراويش نحو ١٠٠٠ رجل ولم يقتل من العساكر سوى اثنين وجرح ١٢ لأن الخور حمام من النيران فمادوا الى الخراطوم وألوية النصر تحفّق فوق رؤوسهم فزال الغم عن الحامية وعمّ الفرح المدينة كلها .

واقعة برّي في ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٤ : وكان غوردون ينتظر ارتفاع النيل الازرق بفارغ الصبر ليتمكن من الانتفاع بالوابورات فلما كان يوم الاحد ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٤ م وقد ارتفع النيل المذكور الى الحد المطلوب جرّد على ابي قرجة جيشاً من العساكر النظامية بقيادة الميرالاي محمد علي بك وجيشاً من الباشبوزق في البر بقيادة خشم الموس بك فحصر ابا قرجة بين تارين وأخرجاه من الطابية عنوة وتقدما بالمساكر الى الطابية فهدماها وهدما المنازل التي في جوارها وكان غوردون يشاهد القتال من الخندق فلما رأى انتصار العساكر أتى الى محل الواقعة فهأنهم بالنصر ورقى كل ضابط الى رتبة أعلى من رتبته واستطرد العساكر القتال في اليوم الثاني والثالث فهزموا الدراويش

نتائج الثورة

الى الجريف وقد قتلوا منهم في الايام الثلاثة ٨٠٠ رجل ولم يقتل من العساكر سوى ٣٠ رجلاً .

واقعة الجريف في ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨٤ : وصم غوردون الآن على طرد ابي قرجة من الجريف فلما كان يوم الثلاثاء في ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨٤ م عاد محمد علي بك بمسكره في النيل الازرق وخشم الموس بك في البر فحصر ابا قرجة بين تارين كما فعلوا به في برّي فحارب مستقلاً حتى قتل معظم جيشه وفيهم أخوه نصر وحاج محمد ولد الزبير العابدلاني وغيرهما من الابطال المدودين وقتل فرس ابي قرجة فشاع بين أنصاره انه قتل هو فانهزموا شر هزيمة واستولى العساكر على الديم فكانت غنائمهم ٦٠٠ اردب ذرة و ١٠٠٠٠ بندقية و ١٢ صندوق جبخانه وعدداً من السيوف والمواشي .

هذا وكان ابر قرجة قد أرسل يطلب الشيخ فضلاً من النيل الابيض لنجدته ولكن غوردون كان قد احتاط لذلك وأرسل برية من العساكر الى الصحراء لتحول بينه وبين ابي قرجة فخرج فضل في اصحاب الخيل وترك باقي اصحابه في صدد السرية فقابلته الدراويش المنهزمون في الطريق وأخبروه بنصر العساكر وخبر قتل ابي قرجة قيل فاسترجع ودمعت عيناه ومم ان يحمل على العساكر وحده فتعلق اصحابه في عنان فرسه ومنعوه عن ذلك فعاد وبحت عن ابي قرجة فوجده حياً فنزل معه بمحل يدعى ود شكر الله على النيل الابيض على نحو ٢٠ ميلاً من الخرطوم وأرسل الرسل الى المهدي يعلمانه بما كان . وسم غوردون من محمد علي بك فرقه الى رتبة اللواء الرفيمة .

واقعة الحلفاية الثانية وطرود الشيخ العبيد في اواسط اوغسطس سنة ١٨٨٤ : هذا ولما فرغ غوردون من ابي قرجة التفت الى الشيخ العبيد الذي كان محاصراً الخرطوم في الحلفاية فسير عليه جيشاً في النيل في ثلاث بواخر بقيادة خشم الموس بك وجيشاً في البر بقيادة فرج الله بك فلما رأى العساكر مقبلين برأ وبجراً ترك النيل وتوغل في البر الى غابة الملاحة فاجتمع العساكر

تسليح المشركين

عليه وأشعلوا النار في جيشه من البر والبحر فثبت أمامهم الى الظهر ثم ولى
الادبار منهزماً الى ام ضبان وقد قتل من جيشه نحو ٢٠٠ رجل وجرح ابنه
ابراهيم وحمل على فرس واستولى المساكر على دية فغنموا شيئاً كثيراً من
الحبوب والاقمشة والكتب والاسلحة .

ثم ان محاصري ام درمان لما رأوا بطش المساكر خافوا على أنفسهم وتركوا
الحرب فانجلى الحصار عن الخرطوم وام درمان ووزع غوردون كتب الأمان
الى أطراف البلاد وأعاد المساكر والتلغراف الى الحلفاية ففتحت سوقها وصار
الناس يأتونها بالحبوب والمواشي والسمن من كل الجهات فتنفس اهل الحامية
وزال عنهم الغم .

واقعة ابي سراز : وكان اول ما بدا لغوردون بعد رفع الحصار عن
الخرطوم ان يستطلع حال النار فبعث لها بجيت بك بطراكي بوابور بوردين
و ٢٠٠ عسكري فأوصله محمد علي باشا بخمس وابورات الى ابي حراز فوجد
أهلها لم يزالوا على العداء فأوقع فيهم واقعة شديدة وطردهم من البلدة وغنم
منها ١٨٠٠ اردب ذرة و ٨٥ قنطار بن و ٢٣ اردب سمسم فحملها في الوابورات
وعاد بها الى الخرطوم .

واقعة الميلفون في اواخر اوغسطس سنة ١٨٨٤ : فأخذ غوردون ينظر
الآن في استرجاع بربر وفتح الطريق الى مصر فاستدعى رؤساء جيشه واستشارهم
في الامر فوافقوه على ذلك فجهز جيشاً مؤلفاً من ١٠٠٠ جهادي و ٨٠٠ من
الباشبوزق وعقد لواءه الى محمد علي باشا وفيما هو يتأهب للمسير اذا بمخبر قد
حضر من الجنوب وقال ان انصار الشيخ العبيد قد عادوا الى تجمعهم في
الميلفون وسدوا طريق النيل الازرق فرأى محمد علي باشا وجوب تمهيد الميلفون
قبل الزحف على بربر وصدق غوردون رأيه فركب الوابورات قاصداً الميلفون
في ٢٩ اوغسطس سنة ١٨٨٤ ونازل أهلها يومين فقتل منهم وهزمهم الى ام
ضبان على ١٢ ميلاً من الميلفون حيث أقام الشيخ العبيد بباقي أنصاره .

تَبَاحُ السُّودَانِ

واقعة ام ضبان في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : فطلب محمد علي باشا الاذن من غوردون في الحملة عليه فلم يأذن له لأنه لم يرَ الخروج عن النيل رأياً فبعث محمد علي باشا يلح عليه في طلب الاذن ويقول ان سحق الشيخ العبيد لا يسد منه لراحة الخرطوم وفتح طريق سنار وان النصر عليه مضمون فأذن له بعد تردد. وفيما هو يتأهب للسير الى ام ضبان أتاه عبد اسود أرسله الشيخ العبيد جاسوساً فقال اني فررت من الشيخ العبيد لشدة ما لحقني من الضرب والاهانة وجئت أدلكم على طريق يكون فيها هلاكه فلأم ضبان من هنا طريقان الطريق المعتادة وطريق قصيرة في غابة كثيفة ملتفة الأشجار فان أتيتموه بالطريق المعتادة شعر بقدومكم وفر منكم فاقصدوه بطريق الغابة وباغثوه الهجوم وأنا أدلكم على هذه الطريق فانظلي خداع هذا العبد على محمد علي باشا فنظم جيشه مريعاً جعل الجهادية فيه ضلعين والباشبوزق ضلعين والحملة في الوسط وسلك طريق الغابة فما توسطها حتى خرج له كينان عن اليمين والشمال فاخترقوا القلعة واختلطوا بالمساكر فقتلوا منهم نحو ٨٠٠ رجل وهزموا الباقي وقد أصيب محمد علي باشا برصاصة فافتش فروته على عادة اهل السودان الممهودة واجتمع عليه الدراويش فقتلوه ولم يقتل من اصحاب الشيخ العبيد سوى ٥٢ رجلاً. وقتل من الضباط سلطان بك عبد الله بعد ان حارب حرب الابطال ونجا فرج الله بك فجمع شتات المنهزمين وعياد بهم وبالبواخر الى الخرطوم فما انتشر فيها خبر الانكسار حتى ضجت بالبكاء والمويل فبذل غوردون جهده في تسكينهم بالحسنى فلم يفلح فأصدر أوامره المشددة بأن من لم يكف عن الصياح والمويل يطرد خارج الخندق ويحرق منزله فهدأت المدينة.

وقد اغتم غوردون لقتل محمد علي باشا لأنه كان من أفضل قواده فجاء رؤساء العسكرية وقنصل اليونان وحكيم الاسبتالية يعزونه وقالوا ان كنا قد انكسرنا في هذه الواقعة فقد انتصرنا قبلها في وقائع. وهذه عادة الدهر « يوم لك ويوم عليك » فشكر لهم غوردون سعيهم وقال اني لا زلت أجد بكم

الكفاءة لقمع العصاة ولكنني أتأسف ان قائداً من قوادي العظام يتبع عادة همجية ويودي بنفسه الى الهلاك وله من ذلك مفرّ .

اما الشيخ العبيد فانه بث الرسل الى كل الجهات يخبرهم بالنصر الذي قاله في ام ضبّان ويستعشهم على حصر الخرطوم من جديد . فلنترك الشيخ العبيد يجمع رجاله على النيل الازرق وأبا قرجة يقتظر المدد على النيل الابيض ولنرجع الى المهدي في كردوفان فنقول :

عصيان جبل الداير : كنا تركنا المهدي بعد واقعة شيكان يعدّ نفسه للزحف على الخرطوم فمضاه اهل جبل الداير وقطعوا طريق الابيض فجرد عليهم الجيوش لقمعهم فكان بينهم وبين أهالي ذلك الجبل وقائع معدودة قتل فيها خلق كثير من الفريقين . وقد رأيت كتاباً من المهدي بتاريخ ٢ مارس سنة ١٨٨٤ الى عامله محمد خالد زقل في دارفور يخبره بما كان من عصيان جبل الدائر قال : ... والملك آدم ملك جبال تقلي أتى الينا مسلماً وجميع ملوك الجبال انقادوا لأمر الله ورسوله ما عدا أهالي جبل الدائر عصوا وخالفوا امر الله ورسوله بقطعهم لطريق المسلمين ونهبهم لأموال الناس ولذلك عينا لهم من يبرق الخليفة شريف عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور ومن يبرق الخليفة عبد الله حمدان أبا عنجه ومن معهم من الاخوان فتوجهوا لهم .

انتقال المهدي الى الرهد غازياً الخرطوم

٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٤ ابريل سنة ١٨٨٤ م

وقد خرج الجيشان المذكوران من الابيض في ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ مارس سنة ١٨٨٤ م وطالت الحرب بينهما وبين الجبل والمهدي لم يزل في الابيض حتى أتاه رسول صالح الملك من قدامي فسير اليه عثمان أبا قرجة كما مرّ وقام هو على الاثر قاصداً منهل الرهد بعد ان استعمل محمود عبد القادر من أقاربه على الابيض . وهاك ما كتبه الى زقل في ٥ ابريل سنة ١٨٨٤ بهذا الشأن :

« ... وقد عيننا محمد ابا قرجة ومن معه من الانصار اميراً على جهة البحر ووجهناه لمحاربة أعداء الله . وأما نحن فقد ألقينا الخبر النبوي بالتوجه الى البحر وجهاد الخطوطم فيها هو قد صار قيامنا مع كافة الاحباب والاصحاب في اثره مع قيام وتوجه عمد وأعيان كردوفان معنا كمثل الياس محمد ام برير وبان النقا وولد العريق والمكي اسماعيل وغيرهم . وايضاً عيننا السيد محمود اميراً لكافة أهالي مديرية كردوفان وملحقاتها لإزالة الفساد والضلال والامور غير المرضية كتاباً سنة ... »

قيل وفي أثناء سيره الى الرهد كان يمشي على رجله مراعاة لحال الضعفاء من أنصاره الذين ليس لهم دواب حتى انه حفي وقورمت رجلاه . وقد اختار الرهد لكثرة مائه وقربه من جبل الدائر الذي كان لم يزل على العصيان وقد عجز عن قمع الجيشان اللذان أرسلها عليه في مارس فجهز جيشاً آخر من راية الخليفة علي ود حلو وعقد لواءه لموسى ود حلو وأرسله مدداً الى الجيشين المذكورين ووزع منشوراً بين اصحابه بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ يدعوهم الى الجهاد فرافق موسى ود حلو خلق كثير من أخلاط الرايات فلما رأى اهل الدائر كثرة الجيوش أتى رؤساؤه مسلمين فكتب الأمراء الى المهدي بذلك وكان المهدي قد قلق لطول حرب الدائر وصار يتمنى عذراً من الغيم لتزكها لأنها تحرفه عن قصده وتضعفه ولا تفيده بشيء فكتب الى الأمراء يدعوهم الى الرهد وهذه صورة الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العبد الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله وأصفياه المكرمين عبد الرحمن النجومى وحمدان ابي عنجة وموسى حلو عملاء المهدي جزام رب البرية خيراً واحساناً وقولاهم الله . نفريكم السلام ونعرفكم ان جوابكم ورد علينا كلما ذكرتموه صار معروفاً والحال ما دام ان المطلوب نصره الدين وقد حصلت وظفركم الله على أعدائكم فجزاكم الله عنا كل الخير

وعن الاسلام والمسلمين حيث صبرتم وجاهدتم لوجه الله وللآخرة أردتم ولما عند الله قصدتم وفي الله تبعتم وعلى المقصود حصلتم بمقاساتكم الشدائد كالجبال فبوصول هذا اليكم حالاً احضروا جميعاً انتم ومن معكم كما كاتبكم خليفة الصديق الخليفة عبد الله ولا يكون لكم تعويق الا مسافة الطريق هذا وبارك الله فيكم وعليكم وأنى فضلكم الى لقاء ربكم آمين . بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٣٠١ هـ ١٣ يونيو سنة ١٨٨٤ م . فلما وصلهم كتاب المهدي هذا أحرقوا الديرم التي كانوا مقيمين فيها ورجعوا جميعاً الى الرهد .

عبد الرحمن النجومي وحصار الخرطوم :

وعند وصول الجيوش من الدائر ندب المهدي عبد الرحمن النجومي وعقد له على ١٠٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠٠ من أخلاط العرب وكلهم مسلحون بالبنادق الرمنتون وأعطاه مدفعين كروب واربع مداخل جبلية وساروخ وسيره الى الخرطوم اميراً عاماً على جميع المحاصرين فخرج من الرهد في غرة رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٤ م وأبطأ في السير فنزل على النيل الابيض بمحل يدعى شبة قرب الدويم في اواخر اغسطس فوافاه هناك رسول من أبي قرجة يخبره بما حصل له في الجريف يوم ١٢ اغسطس فجدد السير حتى أتى ود شكر الله فأخذ ابو قرجة ومن معه من الانصار وزحف على الخرطوم فنزل يحيوشه في محل يدعى الفرقان بينه وبين خندق الخرطوم مرمى القنبلة وكذلك بينه وبين النيل الابيض فترك العائلات في الفرقان بمعية ابي قرجة وتقدم بالمقاتلة لحصار الخرطوم فأقام لهم طوابي تجاه طوابي الخندق طابية تجاه طابية الكلاكلة وعلى مرمى الكلة منها وقعد فيها بمعظم جيوشه وأمر عبدالقادر ولد مدرع امير الحسنيات فنزل بمقابلة باب المسلية من ابواب الاستحكام وأمر عبد الله ود النور فنزل تجاه طابية برّي وكان محل نزوله أقرب اماكن الحصار حتى كان الواقف فيه يرى الداخل والخارج في منازل

تاريخ السودان

الخرطوم ولذلك سمى بعضهم هذا المكان بالدار الآخرة اشارة الى ان من كان يقيم به للحصار كأنه صار من اهل الدار الآخرة .

وكان الشيخ العبيد لما علم بقدوم النجومي لحصر الخرطوم قد حشد جيوشه وتقدم لحصرها من الشرق فأصرع غوردون وأخرج عساكره من الحلفاية وهدم منازل قبة الشيخ خوجلي وقبة الشيخ حمد ولكنه أبقى على القبتين وعلى محل السادة المرغنية في حلة الشيخ خوجلي فجعل الشيخ العبيد مدفعاً في محل السادة المرغنية وقعد لحصر الخرطوم ومعه الشيخ المضي . وأرسل اليه النجومي بأمر المهدي عبد الله ود جبارة وابو بكر ولد عامر ليساعده على الحصار بتلك الجهة وهكذا حصر الخرطوم من الشرق والجزيرة وترك جهة ام درمان للمهدي الذي كان لاحقاً به . وبعد ان رتب النجومي جيوشه على ما قدمناه أرسل الى غوردون كتاباً هذا مفاده :

« اعلم اني ود النجومي امير أمراء جيوش المهدية الملقب بسيف الله المسلول وفاتح كردوفان والداير وقد جئت لك الآن يميوش لا طاقة لك بها ومدافع لا قدرة لك على احتمالها فلم تسلم ولا تسفك دماء العساكر والاهلين بعنادك والسلام » .

فرد عليه غوردون بقوله : « قد اطلمت على خطابك وأنا لست بمبال بك ولا بسيدك المهدي ولسوف يحل بك ما حل بأبي قرجة في بري والجريف وبابن عمك العبيد بالحلفاية فخل عنك شقشقة اللسان وكثرة الهذيان وجرب نفسك والسلام » .

هذا وكان النجومي قد كتب الى اهل الخرطوم ايضاً كتاباً يدعوهم به الى التسليم وقد أوعز الى العلماء الذين صحبوه فكتبوا لهم كتاباً حاولوا فيه بيان صحة دعوى محمد احمد وتطبيق صفاته على ما جاء في الكتب من صفات المهدي فاجتمع علماء الخرطوم وأصدروا فتوى بتاريخ ٢٣ القعدة سنة ١٣٠١ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م فندوا فيها كتاب النجومي بنداً بنسداً وأمضاه كل من الشيخ الامين محمد رئيس وميز علماء السودان وشاكر افندي مفتي استئناف

السودان والشيخ حسين المجدي مدرس العلم بالجامع ومحمد خوجلي قاضي عموم السودان وموسى محمد مفتي مجلس السودان . فدفع غوردون هذه الفتوى والكتاب الى رسول النجومي بعد ان طاف به على مراكز الدفاع ثم أخرجه من الاستحكام .

مواصلة سنار : ولننظر الآن الى ما كان من بنجيت بك بطراكي الذي أرسله غوردون في اواخر اوغسطوس ليتعهد حال سنار فانه جد السير حتى وصل الجادين فوجد المدير لم يزل فيها ومعه النور بك محمد وعثمان بك الدالي ففرح بهم وفرحوا به وأخذوه الى سنار فمكثوا يوماً ثم عادوا الى الجادين وكان بنجيت بك قد أخذ معه الى الحامية مقداراً من الذخيرة والصابون والملبوسات وعدداً معلوماً من ورق البون فسلمها الى المدير وكان معه أمر من غوردون الى النور بك محمد يسميه قومنداناً عاماً على العساكر لأنه كان يعرفه من خط الاستواء فسلمه إياه ثم سقى ٨٠٠ اردب ذرة في الواوير وانقلب راجعاً الى الخرطوم فوصلها في ٧ سبتمبر فعنفه غوردون على عاقته بلا سبب وقلة ما أتى به من الذرة وأوقفه عن الاشغال .

بعثة نصحي بك الى سنار في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : ثم عقد مجلساً من الضباط العظام للنظر في اخلاء سنار وجلب عساكرها الى الخرطوم فقرروا عليهم على ترك العساكر في سنار والاستمرار على مواصلتها فنسب غوردون نصحي بك وجهازه وابوري بروردين وقتل حوين واربعة مراكب شرعية و ٢٠٠ عسكري وأعطاه الف طاقم للعساكر وأمرأ بزيادة مرتب المدير الف غرش في الشهر ومعاملته كأميرالاي من كل وجه مع الوعد بالتقدم الى رتبة لواء وأعطاه اوراقاً بيضاء مختومة بختمه وفوض اليه منح الرتب لمن يستحقها من الضباط والعساكر ومشايخ البلاد . وكان مدير سنار قد ارسل مع بنجيت بك : محمود افندي . طلعت بكباشي العساكر واحمد افندي مكوار وكيل المديرية لخصام وقع بينها فصالحها غوردون ورقى كلا منها رتبة وأرجع

احمد بك مكوار مع نصحي بك فخرج نصحي من الخرطوم في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وسار حتى وصل الكاملين فتصدى له أهلها فحاربهم ست ساعات متوالية وخرج منهم ظافراً ثم تقدم الى رفاعة فحاربوه اربع ساعات واستطرد السير نحو سنار وقد عانى المشاق في إيجاد الخشب وقوداً للوابورات فلم يصل الجادين الا الجمعة في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فوجد فيها بعض عساكر سنار يجمعون الحبوب فأنفذ خبراً الى المدير بعله بوصوله فحضر اليه في صباح الغد فناولوه أمر غوردون القاضي برفع مرتبه وصالحه مع احمد بك مكوار . ثم أمر رجاله فشرعوا في شحن المراكب حبوباً وتقدم مع المدير الى سنار فاستقبله العساكر على الشاطئ ، بالتشريفات ، اللازمة ثم دخل ديوان المديرية فأتمه الاعيان والتجار وضباط الجيش فوقف بينهم خطيباً وقال : « لقد أمر حكمدار السودان من تعلقكم بالراية الخديوية وولائكم لحكومتم في هذه الايام الشديدة وكلفني ان أبلغكم سلامه وشكره القلي ووعده بمكافأة كل منكم بما يستحقه وهو يوصيكم بترويج اوراق البون والتعامل بها كالدراهم لأنها مضمونة من الحكومة الخديوية والدولة البريطانية وجميع الدول تتعامل بها لا سيما في الاحوال المائلة لحالتنا واذا احتاج المدير الى نقود معدنية للانفاق منها على الجوايس والرسل فاقضوه ما يلزم وخذوا منه « رجماً » واحفظوها معكم الى ان يرتفع الحصار فترجع لكم مع المكافأة اللازمة » . فأجابوه بالسمع والطاعة فوزع عليهم الرتب حسب التماس المدير . وكان المدير قد ارسل مع بجيت بك بطراكي يلتمس جزاء السري سوارى عثمان بك الدالي لأجل ما أبداه من الدربة والبسالة في واقعة ابي الحسن المار ذكرها فرقاه غوردون الى رتبة ميرالاي جهادي فتقبلها شاكراً . وفي اليوم التالي الاحد تفقد نصحي الخندق فوجده في غاية المناعة وعاد يوم الاثنين الى الجادين ومعه أشياء كثيرة من الحبوب والزيت والسمن والسمن من اهل سنار الى اقاربهم في الخرطوم فوجد رجاله قد شحنوا مراكبهم بثلاثة آلاف اردب ذرة لحامية الخرطوم فشحن الف اردب اخرى أمانات وفي فجر الاربعاء قفل راجعاً بالوابورين والمراكب الى

الخرطوم وسار لا يعترضه احد حتى وصل الكاملين صباح الجمعة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فتصدى له أهلها كالاول فرمام بالقنابل وتخلص منهم وسار حتى وصل الجريف وكان النجمي قد علم ببعثته الى سنار وأرسل بعض الطويحية واصحاب الاسلحة النارية الى الجريف ففتحوا المزاغل في منازلها وعملوا متراساً على شاطئ النيل وكنوا له فما اطل حتى ابتدروه بالقنابل والرصاص فأرسل غوردون وابور « المنصورة » بالعاكر فأجده فدخل الخرطوم مساء الجمعة المذكور وقد قتل من عسكره ١٥ رجلاً وأصيب قزان وابوره بوردين فسر غوردون من نشاطه ودريته فرقاه الى رتبة لواء وقال « اني أريدك لأمر هام فاذهب الآن واسترح الى الغد » .

بعثة ستيورت باشا الى مصر في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : هذا وكان غوردون يوم وجّه نصحي الى سنار قد وجّه وكيله ستيورت باشا بوابور عباس الى مصر لابلاغ الحكومة حالة الخرطوم واستعجالها في انقاذه . وقد صحبه على الوابور ٤٠ رجلاً وفيهم المستر بور قنصل انكلترا في الخرطوم والمستر هربن قنصل فرنسا فيها وحسن افندي حسني من موظفي التلغراف الانكليزي و ١٩ من التجار اليونان و ٥ عساكر طويحية ومدفع صغير . وجرّ الوابور وراه اربعة اراكب صغيرة اخذ فيها جماعة من تجار اليونان والشوام واليهود بشرط تركهم عند أقل خطر . وبعث غوردون مع «عباس» وابوري المنصورة والصفافية بقيادة عثمان بك حشمت ليسانعاده على المرور ببربر ثم يعودان الى الخرطوم فسار ستيورت باشا بمن معه بلا معارض حتى أشرف على شندي فبادره اهله بالرصاص من الشونة الاميرية فرمام بقنبلة واحدة . وبقي سائراً الى ان وصل الدامر فوجد اهله قد أقاموا متراساً وكنوا للوابورات قصوب عليهم المدافع ونجا منهم ووالى السير حتى أطل على ببر فلتقاه اهله بالقنابل والرصاص من الشرق والغرب فأطلق مدافعه وبناذقه يميناً وشمالاً وهو موصل السير حتى تخلص منهم فأمر عثمان بك حشمت فعاد بالوابورين الى الخرطوم فوصلها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ .

تاريخ الشوكان

وجدت ستيورت السير شمالاً وهو يحرق المراكب الاربعة الى ان وصل
 المبيدية فترك مركبين منها وراه لضيق النيل هناك وكان محمد الخير عامل
 بربر لا يعلم سبب سفره فأقلت من الوابور رجل من الباشبوزق يقال له التوم
 ود علي بك فأخبر محمد الخير بقصده فأرسل وراه ابن اخيه عبد الماجد على
 وابور الفاشر الذي غنمه في بربر فلما أدرك المركبين اللذين تركهما ستيورت
 رفعاً له راية بيضاء دلالة على التسليم فتركها وجد السير وراه وابور عباس
 حتى وصل شلال الحمار فوقف لضيق الشلال عليه واجتازه « عباس » لصغر
 حجمه ولكنه ترك المركبين الآخرين وراه لتخف حركته فوقع المراكب
 الاربعة في أسر « الفاشر » فقطرها وقفل راجعاً الى بربر .

ثم وواصل وابور عباس السير حتى دخل شلالات ود قرر فاصطدم بصخرة
 فدخله الماء فرسى على جزيرة صغيرة تجاه قرية هبة على ٩ أميال من السلامة
 وذلك في ضحى الخميس ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فأخرج ستيورت صحن الوابور
 الى الجزيرة ورمى بالمدفع الى البحر فعلم به شيخ هبة الفقيه ود عثمان فأرسل
 الى السلامة الى الشيخ سليمان بن الشيخ نعمان ود قرر الذي قتل في الدبة يعلمه
 بفرق الوابور ويستعجله لاغتنام الفرصة والأخذ بالتأثر فأتى الشيخ سليمان الى
 ستيورت باشا وأظهر أشد الاسف لما اصابه وسأله ان ينزل معه الى البر فيدبر
 له الركائب ويوصله بنفسه الى دنقلة قبيل فارتاب ستيورت باخلاصه ولكن
 الحاجة وفراغ الاجل اضطراره الى قبول دعوته فترك أشياءه في الجزيرة ونزل
 بمن معه الى هبة فأبقى العساكر والخدم على شاطئ النيل ودخل منزل سليمان
 ودنمان ومعه المستر بور والموسيو اربان والتجار اليونان وحسن افندي حسني
 الذي استعمله مترجماً وكان سليمان ود نعمان قد دبّر المكيدة لقتلهم فذبح لهم
 ذبيحة وأحضر بعض الجمال ليومهم انه يهتم بترحيلهم بعد الضيافة وكان قد
 بعث بالرسل الى قومه فاجتمعوا حوله من كل جهة ثم أشار فانقضوا عليهم
 كالنور وقتلهم عن آخرهم حتى العساكر والخدم ولكنهم أبقوا على حسن
 افندي حسني ورئيس الوابور فاختلف في سبب نجاتها فقال البعض انها نطقا

بالشهادة واستغاثا بالمهاجرين فأبقوا عليها وقال البعض انها اشتركا في المكيدة. وقد رأيت حسن افندي بعد واقعة ام درمان فاراني جرحاً في جسمه قال انه أصابه في تلك الواقعة فصرع منه فظنه المهاجون انه قتل ثم ظهر لهم انه حي فأبقوا عليه واستولى سليمان ود قمر على جميع مهات ستيورت وأوراقه وفي جلستها يومية غوردون منذ اول مارس الى قيام ستيورت من الخرطوم في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فوقعت بيد سليمان ود قمر فبعث بها الى المهدي وبعث بالخبر الى محمد الخير فأرسل ابن اخيه عبد الماجد الى ود قمر فأخذ مهات الوابور وعاد بها الى بربر . وأما غوردون فلم يعلم خبر ستيورت قبل ١٠ اكتوبر :

بعثة نصحي باشا بالوابورات الى شندي لمقابلة الانكليز

في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤

هذا وكانت الحكومة الانكليزية قد أقرت على ارسال حملة لانقاذ غوردون منذ ٨ اغسطس كما سيجيء وبلغ الخبر غوردون من طريق دنقلة في اواخر سبتمبر فنشره في المدينة كلها ولما عاد نصحي باشا من سنار جهز له ثلاث وابورات وأمره بملاقاة الانكليز في التمة واستقصاء اخبارهم وارسالها اليه تبعاً وهذا مفاد الامر الذي أصدره له في هذا الشأن بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م أي ثاني يوم وصوله من سنار :

سعادتو افندي محمد نصحي باشا

د اني اخترتك للذهاب الى شندي لمقابلة الجيش الانكليزي القادم لنجدتنا بطريق دنقلة وجهزت لكم وابورات تل حوين والصافية والمنصورة لتذهبوا فيها ومعكم من الضباط محمود بك طلعت وعلي افندي رضا فيكون كل منكم في وابور ويرافقكم خشم الموس بك ليؤلف السناجق الذين في شندي ويضمهم اليكم . وفي مروركم الى شندي اختبروا حال الاهلين واعلموا الطيب منهم والرديء وأبقوا في شندي فلا تتعدوها الى بربر ولا تخرجوا من الوابورات الى البرّ لأي سبب كان وابعثوا بالجواسيس الى دنقلة لاستطلاع خبر الجيش

وأرسلوه اليّ تبعاً. ويرافقكم يوسف افندي صديق من كتاب الحكدارية بصفة كاتب لكم ومعه ٨٠٠ ريال لأجل الاتفاق منها على الجواسيس واذا أتكم رسالة من مدير دنقلة او من الجيش فأرسلوها اليّ حالاً . ولي الامل الوطيد انكم تقومون بواجب مأموريّكم هذه خير قيام والسلام .

ولما كان يوم الثلاثاء في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م خرج نصحي من الخرطوم بالوابورات الثلاثة قاصداً التمة وسعود اليه بعد . ولنأت الآن الى ذكر ما كان من المهدي فنقول :

المهدي وحصار الخرطوم

غزوة المهدي للخرطوم : تقدم ان المهدي أتى الرهد من الابيض في أوائل جمادى الآخرة فأقام فيه الى آخر شوال سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ اوجسطس سنة ١٨٨٤ م يستعد للزحف على الخرطوم . وفي أثناء ذلك أتاه سلاطين باشا (وقد سمي بعبد القادر سلاطين) والسيد بك جمعة من دارفور وحسين باشا خليفة من بربر وصالح باشا الملك من فداسي وقد مرّ ذكر ذلك كله في محله .

وأناه الحاج عبد الله الكحال التاجر الشامي المشهور في خان الخليلي بمصر وكان قد ذهب بتجارة الى الفائر بطريق الاربعين فلم يصلها حتى كان زقل قد استولى عليها فأخذ منه ثلثي تجارته وترك له الثلث الباقي فباعه وأخذ يحتال على النجاة فطلب من زقل الاذن في زيارة المهدي فأناه الى الرهد وبايعه . فسماه المهدي أميراً على بلاد الشام وأصعبه كتباً الى أهلها للقيام بنصرته والانضمام الى أميرهم الكحال لمحاربة الترك فحمل الكحال هذه الكتب وجد السير الى مصر بطريق دارفور فودّ أي قبني غازي فالاسكندرية وهو غير مصدق بالنجاة .

وأتى المهدي الى الرهد في أواخر يوليو سنة ١٨٨٤ رجل من الغرب يدعى فخر الدين ادّعى انه خليفة المهدي فسلمه الى الخليفة عبد الله فحبسه ثم قتله .

وأرسل من الرهد محمود الحاج محمد الى دنقلة كما مرّ ومحمد ود ارباب الى القلابات كما سيجيء .

ولما كان يوم ٢٩ شوال سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ اغسطس سنة ١٨٨٤ م خرج من الرهد غازياً الخرطوم بجميع جيوشه فنزل في منهل البساطة وأذن لأصحابه فزاروا قبر والد الخليفة عبد الله المدفون في ابي ركة .

قدوم الاستاذ محمد شريف الى المهدي : ثم استطرد السير حتى أتى شات فاستراح فيها نحو شهر حتى تكامل جيشه وهناك أتاه استاذ الشيخ محمد شريف السالف الذكر مسلماً طائعاً وكان الاستاذ المذكور قد انتقل من المراديب الى مقام جده الشيخ الطيب في ام مرّحي فبقي فيه مؤملاً كسر شوكة المهدي حتى سقطت بربر وسدّت طريق مصر في وجهه وزحف المهدي غازياً الخرطوم فلم يعد يرى بداً من التسليم اليه فاستقبله المهدي احسن استقبال وأمر بذبج النياق احتفالاً بقدومه وبقي في صحبته غير متهان الى ان مات المهدي فوق في يد خليفته التعايشي فأهانته وأذله ثم وضعه في السجن وبقي فيه الى ان أنقذه الجيش المصري الانكليزي بعد واقعة ام درمان سنة ١٨٩٨ .

خبر اوليفر باين : وقبل وصول المهدي الى شات أتاه رجل فرنساوي عن طريق دنقلة والابيض يدعى اوليفر باين وعرض عليه مساعدته ومساعدة قومه فرفضها المهدي وجعله في صحبة سلاطين فرض بالحمى التيفوسية ومات في الطريق .

وقد فصل سلاطين باشا خبره في كتابه « النار والسيف في السودان » فقال : « وشاع خبر قدوم اوليفر باين في جيش المهدي فقال البعض انه امبراطور فرنسا والبعض انه من أقارب ملكة الانكليز فأحضره الى الخليفة فسأله عن غرضه فأخذ يتكلم بالعربية كلاماً لا يفهم فقال له المهدي : تكلم بلسانك مع عبدالقادر سلاطين وهو يترجم لنا فأخذ يتكلم بالفرنساوية فقال : انا فرنساوي واسمي اوليفر باين وقد أحببت السودان منذ صغري وأهل

تأريخ الثورة المهدية

بلادي ايضاً يحبون السودان مثلي ونحن في اوروبا على خلاف مع الانكليز الذين احتلوا مصر وأرسلوا غوزدون الى الخرطوم وقد أتيت اليكم لأعرض عليكم مساعدتي ومساعدة أمتي، فقال له الخليفة: وما هي هذه المساعدة ؟ فأجاب: أما انا فأساعدكم برأيي وأما أمتي فتساعدكم بالمال والأسلحة فذهب الخليفة ليخبر المهدي بذلك وبقي سلاطين وباين وحسين باشا خليفة فقال حسين باشا لسلاطين: أمن السياسة ان يعرض المال والأسلحة على أناس غرضهم قتل البشر ونهب الاموال وسي النساء والبنات وأنتم اذا اشتري واحد منا عبداً اسود قلتم ان ذلك اثم فظييع وعاقبتمونا أشد العقاب ؟ فلم يحجر سلاطين جواباً . ثم أحضروا باين الى المهدي وأمر سلاطين ان يترجم بينها فقال باين للمهدي كما قال للتعايشي فأجاب المهدي: لقد علمت ما تقول ولكن لا أعتمد على الناس بل على الله ورسوله وأنتم قوم كفار فلا يمكنني محالفتكم وفي الكفاءة على قهر جميع أعدائي بأنصاري هؤلاء ثم قال لبائين هل انت مسلم فقال نعم ثم قال كلمة الشهادة بصوت جهوري فأعطاه المهدي يده فقبلها . ولما وقف باين على حقيقة المهدي ودّ لو ان طيراً من السماء يحمله الى بلاده وينجيه من تلك الهلكة التي أوقع نفسه بها وتوصل الى سلاطين فتوسط له الخليفة ليسمح له بالعودة الى بلاده فلم يفلح . ثم مرض بالتيفوس فقام سلاطين على الاعتناء به ولما اشتد عليه المرض استدعى سلاطين وقال له : وقد دنا اجلي فأشكر لك اعتنائك بي واهتمامك بأمرى وآخر معروف أطلبه منك هو انك اذا نجوت من أيدي هؤلاء البرابرة وأتيت باريز فأخبر زوجتي وأولادي التمساء انني كنت أفكر بهم وأنا على حافة القبر ثم اخذ يبكي ويلتجئ وحلوه في اليوم التالي على جبل فوقه وقع عنه وقضي نحبه ودفن في بركة شات اه ملخصاً .

وارتحل المهدي من شات فنزل النيل عند الدويم ثم ارتحل الى الترعة الخضراء فصلى فيها صلاة عيد الاضحى سنة ١٣٠١ هـ ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م . ثم ارتحل الى القيعة وهناك أتته الوفود من جهات الجزيرة والسودان الشرقي لمبايعته ووردت عليه الكتب من اعيان الجهات المذكورة بالتسليم وطلب البيعة والتماس

كتاب الشوكات

الغزو عما حصل من تأخيرهم لأجابة داعيه قبل الآن. وأرسل غوردون وابورا فكشف خبره وعاد الى الخرطوم . ثم ارتحل وتزل بمحل يدعى ابا سعد بينه وبين طابية ام درمان مسيرة ساعة ومن هناك أمدّ النجومي بجيوش لتثديد الحصار على اهل الخرطوم وجهاز جيوشاً لمحاصرة خندق ام درمان وبقي في ابي سعد الى ان فتحت ام درمان فانتقل اليها . وكان وصوله الى ابي سعد في ٢٣ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م قيل وكان عدد الجيوش التي حضر بها تنيف على ستين ألفاً .

تأثير غزوة المهدي في الخرطوم : هذا ولما علم المحاصرون بقدوم المهدي ازدادوا جرأة حتى صاروا يحفرون في الليل حفراً قريبة من خط النار ويختبئون بها فاذا لاح لهم عسكري رموه بالرصاص والمساكر لا ترام حتى اشتد أذاهم فأمر غوردون المهندسين فأقاموا على خط النار أبراجاً شاهقة أطلت عليهم في تلك الحفر فطردوهم منها .

أما اهل الخرطوم فانهم لما سمعوا بقدوم المهدي اضطربوا وهلمت قلوبهم وكثر شغبهم فعلق غوردون منشوراً في جميع الممرات والشوارع والمراكز العسكرية مؤداه : « ان الجيش الانكليزي القادم لنجدتنا تبلغ عدته خمسين ألفاً وقد انقسم الى قسمين قسم بطريق ابي حمد وقسم بطريق ود قر وقد وصلت اول فرقة منه بالرويان وعن قريب تصل بربر وربما وصلت الخرطوم قبل وصول محمد احمد الى ام درمان فتشدوا واعلموا ان الله فاصركم والسلام » . ومنح مكافأة شهرين لجميع المساكر والموظفين الملكية .

وكان غوردون عند اول سماعه بقدوم الجيش الانكليزي قد أمر باعداد بعض المنازل على شاطئ النيل لسكنى الضباط الانكليز فذهب الآن بنفسه الى تلك المنازل وتمهدها فوجد انها مفتقرة الى اصلاح كثير فأعطى احد المعاونين ٢٠ ألف غرش قمرمها وداوم الكنس والرش داخل المنازل وخارجها .

كتاب النجومي الثاني الى غوردون : هذا وكان النجومي لما وصله الخبر

تاريخ الشوكات

بقيام المهدي من الرهد قد كتب الى غوردون كتاباً مفاده: ان الامام المنتظر قد تحركت ركائبه الشريفة من الرهد غازياً الخرطوم يحياش لا عسده لها فأنصحك ان تقابله مع من تختار من الاعيان طائماً طالباً الامان وهو لا شك يؤمنك على نفسك ومالك ومن معك وذلك أولى من سفك الدماء . واما ما ينقله اليك الجواسيس من ان الانكليز قد أرسلوا جيشاً لانقاذك فكله كذب وهم انما ينقلونه اليك لتبذل لهم العطاء كما هي عادتك وانا بعون الله قادر على فتح الخرطوم وأخذها منك عنوة ولكن سيدنا الامام المهدي أمرني بنصحك والرفق بك حقناً للدماء والسلام على من اتبع الهدى .

جواب غوردون للنجمي: فأجابه غوردون في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ بكتاب هذا مفاده : « من غوردون باشا والي السودان الى ولد النجمي بالكلاكلة : اعلم اني لست بمبال بك ولا بسيدك المهدي ولا بمسا معكما من الجيوش . واما خبر قدوم الجيش الانكليزي فليس هو من اختلاق الجواسيس بل قد جاءني به اخبار رسمية من قبل الحكومة الحديوية والدولة البريطانية العظمى وسأرى عن قريب ما يحمل بك من الدمار وتقول يا ليتني مت قبل هذا ولا تعد الى مخاطبتي بعد الآن فهذا آخر العهد بيننا والسلام » .

خبر احمد العوام : وكان في الخرطوم رجل من خطباء الثورة العربية يقال له احمد العوام وهو مصري الجنس حسيني الانتساب وقد نفى الى الخرطوم بسبب الثورة العربية فرأى الثورة المهدية في وجهه فتشيع لها وقد اطلعت على رسالة له بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ١١ يوليوس سنة ١٨٨٤ م سماها « نصيحة العوام » فاذا هي ثورية محضة وقد أعلن فيها تشييعه للثورة المهدية وكرمه للحكومة الحديوية ومما قاله فيها مشيراً الى موظفي حكومة الخرطوم : « .. وقد طالما جادلتم بالحق سراً ونصحت لهم حق في دار الحكومة جهراً على مرأى ومسمع من وكيلها النصراني ومن حضر من كتبة الديوان في ليلة النصف من شعبان هذه السنة (١٣٠١ هـ) ٩ يونيو ١٨٨٤ م ان يسعوا في

الصلح بين الطائفتين المتحاربتين عملاً بأمر الله فلم أجد فيما بينهم محملاً ولا ساعياً بكلمة حق لإخاد هذه الحرب بين المسلمين وعباد الله المؤمنين مع تطلع الحاكم غوردون باشا وهو نصراني لإطفاء لهيب هذه الحرب الموقدة ولذلك اعتزلتهم وجميع المحصورين إلا من جاءني يسعى وهو يخشى فاني أبذل له محض النصح حتى يفتح الله بيننا وهو خير الفاتحين ...

وقد أثرت أقواله تأثيراً سيئاً في نفوس أهل الخرطوم فسجنه غوردون وكتبه بالحديد حتى رأى منه انكسار النفس ووعد أنه لا يعود إلى ما كان عليه فمعا عنه وجعله معاوناً في الحكدارية براتب ١٥٠٠ غرش في الشهر ولكن ما لبث أن عاد إلى سابق عاداته من انتقاد أعمال الحكومة وتهيج أهل البلاد ضدها . ولما جاء الخبر بزحف المهدي على الخرطوم وأعلن غوردون خبر قدوم الجيش الانكليزي جاهر في تكذيب غوردون وتصديق المهدي ولم يقتصر على ذلك بل أغرى إحدى النساء فرمت جرة من شباك على معمل الفسكليك بقصد احراق الجبخانه كلها فسقطت الجرة على بعض الأوراق فأحرقتها فشمع بها الديدبان فأطفأها واعترفت المرأة أن أحمد العوام هو الذي أغراها بذلك فأمر غوردون بقتله فقتل في سراي الشرق .

خيانة بعض أعيان الخرطوم : ولما حل المهدي بأبي سعد زاد قلق أهل الخرطوم فاتفق جماعة من أعيانها وكبار موظفيها وجمعوا مبلغاً من النقود لفقراء جيش المهدي وكتبوا إليه كتاباً يصرحون فيه بتسليمهم بمهديته وأنهم ساعون في اضعاف الحكومة بكل جهدهم ويبتغون الفرصة للخروج إليه وقد أرسلوا الكتاب والنقود مع عبد لأحمد بك جلاب مدير الخرطوم فصادفته « دورية » أم درمان وأرسلته إلى غوردون فاستنطقه فكان في جملة المشتركين في هذه الجناية :

أحمد بك جلاب مدير الخرطوم وأخوه تيممي	الخليفة ولد أرباب من أرباب المعاشات
الشيخ محمد خوجلي قاضي عموم السودان	الفي الأمين الضرير شيخ الاسلام
الفضل إبراهيم باشا كاتب مجلس الاستئناف	محمد عبد الرحمن البشير تاجر
أبو بكر الجركوك أحد أعضاء مجلس الاستئناف	ادريس بك النور أحد أعضاء مجلس الاستئناف

تأريخ الثورة المهدية

فأمر غوردون مأمور الضابطة فأحضرهم من منازلهم ليلاً وحبسهم في ثكنة المساكر ماعدا المدير وأخوه والقاضي وشيخ الاسلام وادريس بك النور فانه حبسهم في منازلهم ومنع الناس من الدخول اليهم . وسمى موسى بك شوقي مديراً للخرطوم بدلاً من احمد بك جلاب وأعاد المحافظة فجعل ابراهيم باشا فوزي محافظاً وأمره بمساعدة الضابطة على معرفة المؤثرين وقطع دابر المفسدين .

عوداً الى نصحي والوابورات : وفي ١١ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ارسل غوردون وابور التوفيقية بكتب الى نصحي والجيش ليستطلع خبرهم ويعلمهم بقدم المهدي فأبقى نصحي وابور التوفيقية وأرسل الى غوردون وابور تل حوين الى الخرطوم فوصلها في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ بكتاب هذا مفاده : ولما خرجنا من الخرطوم لم يقابلنا احد بالعداء إلا ادريس شيخ الجريساب فانه أقام متراًساً على النيل وتحصن فيه هو ورجاله وبادرونا باطلاق النار فصوبنا عليهم المدافع فهزمنام شر هزيمة وخرجنا الى الحلة فخربنا منازلها وساقينا وأخذنا أخشابها وقوداً للوابورات ثم استطردنا السير الى المئمة فوجدنا أهلها وفي رأسهم احمد حمزة قد أقاموا استحكاماً منيعاً فبادرونا برمي الرصاص فرمينام بالقنابل ثم انقلبنا الى شندي فوجدنا السناجق الشايقية قد تحصنوا في المنازل التي على النيل واتحدوا مع الدراويش ورمونا بالرصاص فحاربناهم حتى هزمنام من تلك المنازل واحتلناها مكانهم ثم سطنا الست فاطمة والست نفيسة كريمي السيد حسن المرغني المقيمين في شندي لدعوتهم الى الطاعة فظهر انهم متذبذبون وما ينتصرون إلا للغالب . وقد ارسل احمد حمزة اخاه الى بربر يطلب المدد فعاد بلا شيء . وبلغ محمد الخير ان الجنود الانكليزية زاحفة على بربر من دنقلة وكسلا وكورسكو فزادوا بالنفير العام في البلاد ليأتوا الى بربر لمحاربة الانكليز فلم يذهب احد من هذه الجهة خوفاً على بلادهم من الوابورات لكن حضر اليوم سعد ولد بنونه بمذبح من بربر وربما بعدة قنابل فلم يصبنا بضرر . وقد اظهر محمد بك طلعت

ساح السودان

وعلي افندي رضا كل نشاط ودربة وبسالة وجرح منا في المناوشات التي حصلت بيننا وبين الأعداء ٢٥ رجلاً وها هم واصلون اليكم امامجتهم عنكم فأرجو ارجاع الوابور الينا بما عنكم من الاوامر وأما الكتب التي برسم الجيش فقد بعثناها اليه مع الجواسيس .

فأعلن غوردون في المدينة ان الانكليز قد زحفوا على بربر من كسلا وسواكن ودنقلة واستشهد بكتاب نصحي وأرجع اليه وابور تل حوين ثاني يوم وصوله ومعه وابور بوردين وأصحبها كتباً الى الجيش الانكليزي على ان تبقى في شندي الى حضور الجيش وكتاباً الى نصحي هذا مفاده :

« واصل اليكم بوردين وتل حوين بما يلزم من الذخائر والبسماط فعند وصولها أبقوا خشم الموس بك بشندي بوابور المنصورة وخذوا وابورات بوردين وتل حوين والتوفيقية والصافية وسيروا بها حتى تشرفوا على بربر فتستلموا طلع الجيش فاذا وجدتموه قريباً ساعدوه على بربر وأرسلوا الى تل حوين بعد ١٠ ايام بما عنكم من الاخبار . واحذروا من استعمال الذخيرة إلا عند الضرورة . وأكرر عليكم الامر بعدم الخروج من الوابورات الى البر فقد علمت ان الجرحى الذين أرسلتموهم انما جرحوا بالهرازة في البر وها قد أرسلت اليكم ٢٥ عسكرياً من المصريين بدلاً منهم واجابة للتمسك انعمت على محمود بك طلعت برتبة الميرالاي وعلى علي افندي رضا برتبة القائم . »

وصدع نصحي بالامر فذهب الى بربر واستطلع خبر الجيش ولما لم يجد له أثراً فيها عاد الى شندي وأرسل وابور تل حوين بالأخبار الى الخرطوم فأرجعه غوردون ثانية الى نصحي بكتاب الى رئيس الحملة الانكليزية بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ فأوصله نصحي الى رئيس الحملة وسيأتي ذكره .

الفصل السابع عشر

في

تاريخ الحملة الانكليزية

سنة ١٨٨٥ - ٤ م

مأمورية كتشنر ورندل؛ هذا وكانت الحكومة في مصر ساهرة على الثورة في السودان وترقب حركاتها بكل اهتمام وكان الحكومة الانكليزية في رفضها ارسال الزبير الى الخرطوم قد ضمنت سلامة غوردون والحاميات المصرية في السودان فوق سلامة مصر . وكان غوردون يطلعها على أحواله تفصيلا الى ان سدت طريق مصر وخيف على حامية بربر فندبت الكبتن كتشنر (الجنرال كتشنر المشهور) واللفتننت رندل (الجنرال رندل الآن) وكان كلاهما من ضباطها النجباء الموظفين حينئذ في الجيش المصري وأمرتها بالذهاب الى بربر ومساعدة مديرها حسين باشا خليفة على تهديد البلاد فما وصلا كورسكو حتى علما ان الرباطاب ثاروا في ابي حمد فأمرتها بتجنيد جيش من متطوعة العباددة وانجاء بربر ولكن قبل ان يتا جمع الجيش المطلوب سقطت بربر فبقيا بمن جمعا من العباددة في كورسكو .

ارسل الجيوش الى الحدود : وخافت الحكومة على حدودها النيلية لمحاورتها للسودان وشدة علائق اهلها التجارية والقراية بأهله فجعلت الجيش المصري على الحدود منذ شهر ابريل سنة ١٨٨٤ ووزعته بين اسوان وكورسكو وحلفا . وفي ٧ يوليو أرسلت اورطة انكليزية الى اسوان . .

بعثة كتشنر الى دنقلة : ثم كانت الثورة في دنقلة على ما علمت ولم تكتفِ الحكومة بما كان يرسله مصطفى باشا ياور من اخبارها فتطوع الكبتن كتشنر للذهاب الى دنقلة واستجلاء الحقيقة فترك رندل مع متطوعة العباودة في كورسكو وذهب الى دنقلة فوصلها في ١ اوجسطس سنة ١٨٨٤ فوجد مصطفى باشا ياور مشغولاً بحاربة الدراويش فاستأذن الحكومة في مشاركته في العمل فلم تأذن له فأرسل لها تقريراً مطولاً عن حالة دنقلة وعما سمعه عن غوردون والثورة في الخرطوم وبقي في الدبة .

طريق الحملة الى الخرطوم : وكانت الحكومة الانكليزية منذ علمت بحصر غوردون في الخرطوم أخذت تفكر في أمر انقاذه وفي الطريق التي تتخذها الحملة اذا أقرت على ارسالها الى الخرطوم فكان امامها اربع طرق : طريق مصوع الى كسلا فبربر وطولها ٦٠٣ اميال وطريق النيل وطولها من حلفا الى بربر ٦٦٦ ميلا وطريق سواكن الى بربر وطولها ٢٤٥ ميلا وطريق كورسكو الى ابي حمد فبربر وطولها ٣٦٠ ميلا فبحث كبار قوادها طويلا في هذه الطرق ففضل اللورد ولسلي طريق النيل مع انها اطولها لوفرة مائها وطيب هوائها ورفض طريق مصوع لقلة مائها ووعورة مسلكها فضلا عن طولها ورفض طريق سواكن لقلة مائها وكثرة حرها وعداء القبائل المالكة لآبارها . وفضل الجنرال ستفنسن قومندان جيش الاحتلال في مصر طريق سواكن لقصرها . والسر افلن سردار الجيش المصري طريق كورسكو لقصرها وقربها من مصر . وقال البر صموئيل باكر باتخاذ هذه الطرق الثلاث ممّا فاخترت الحكومة طريق النيل أي الطريق التي قال بها اللورد ولسلي .

تاريخ السودان

قرار الحكومة الانكليزية على ارسال الحملة : فقر رأيا في بادىء الأمر على ارسال آلاي من الجيش الانكليزي الى دنقلة بقصد تثبيت اهل الحدود ودنقلة على الولاء وارهاب قبائل السودان لعلها ترجع عن حصار الخرطوم فاذا لم ترجع جعلت هذا الآلاي مقدمة الحملة على الخرطوم وكان ذلك في ٧ اوغسطس سنة ١٨٨٤ . فما لبثت ان رأت ان اهل السودان لم يكونوا اذ ذاك ليرهبوا آلايا من الجيش في دنقلة ويرجموا عن حصر الخرطوم فأقرت نهائياً على ارسال حملة منظمة لانقاذ غوردون وأناطت قيادتها العامة باللورد ولسلي القائل بطريق النيل وهو من أكبر ضباطها شأناً وأشدّهم رأياً وأكرمهم خلقاً وأعظمهم اقداماً وقد أجملت له الغرض من الحملة بقولها : « ان الغرض الاساسي من الحملة انما هو انتقاذ الجنرال غوردون والكونوليل ستيورت من الخرطوم فتى تمّ هذا الغرض فلا تباشروا حركات عدائية أياً كانت والحكومة تعتمد عليكم بأنكم لا تتقدمون جنوباً إلا بقدر ما يلزم للحصول على هذا الغرض » .

قوة الحملة : وكان اول ما نظر فيه اللورد ولسلي القوة اللازمة للحملة فطلب جيشاً مؤلفاً من ٩ آلاف من المساكر الانكليزية فوق الجيش المصري على ان يحمل الجيش المصري في خط الاتصال بين شلال حلفا وشلال حنك ويحمل ٤ آلاف رجل من جيشه في هذا الخط بين شلال حنك وبربر وذلك للمساعدة على النقل والحفاظة على المؤن والذخائر في الطريق فيتوفر عنده ٥ آلاف عسكري انكليزي لساحة القتال فلبت الحكومة طلبه ولم تكن المساكر كلها متوفرة لديها في مصر فأبقت بالباقي من مالطة وبلاد الانكليز .

العقبات في طريق الحملة : ولما تمّ اللورد ولسلي ما طلب من الجيش أخذ بهم في نقل هذا الجيش وما يلزمه من المؤن والذخائر وتمهيد العقبات التي وقعت في سبيله في البر والبحر وأمهأ طول المسافة وكثرة الشلالات وقلّة المؤن في الطريق فضلاً عن حرّ الشمس وبرد الليل ووعورة الطريق فصبر أمره بمدّ سكة حديد حلفا ومرس الى عكاشة ولكنها لم تتم حتى كان الجيش قد أصبح

جنوبها . وكان آخر الحد الجنوبي لسكة الحديد المصرية أسبوط فمهد أمر النقل من أسبوط الى حلغا الى المنستر كوك الشهير . وسأل بعض معاملى بلاده في ١٢ و ٢٢ اوغسطس فصنعوا له ٩٠٠ قارب يسع كل قارب منها ١٢ رجلا بمعدتهم وسلاحهم ومؤنتهم وكلها صالحة لسبوك أضيقي الشلالات وأرسلوها الى حلغا فوصلتها في ١٤ اكتوبر فأبقى ٢٠٠ منها بين حلغا وأسوان وأرسل الباقي بالمساكر الى دنقلة . وأجاز فوق شلال حلغا وابوري ناصف الخير والجيزة من وابورات الحكومة المصرية فوصل « ناصف الخير » الى دنقلة في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٨٤ وساعد كثيراً في النقل بين الشلال الثالث والرابع وأما « الجيزة » فانه غرق في شلال تنجور . وأحضر وابورين من بلاد الانكليز قطعاً فبنى احدهما « ووترلي » في الاسكندرية وسيّره بالنيل الى حلغا وبني الآخر « لوتس » جنوبي شلال سمنة .

هذا بعض ما سهّل به النقل في النيل وأما لتسهيل النقل في البر فقد اشترى اربعة آلاف جبل واستأجر ضعفها من الجمال وعدداً كبيراً من البغال والحمير .

وكان خط التلغراف ممتداً الى مروي . فأخذ معه جميع معدات التلغراف ليّمده الى حيث أراد جنوبي هذا الخط . ونظم البريد أحسن تنظيم بحيث انه لم يسمع ان احداً فقد كتاباً واحداً كل مدة الحملة .

وقد كان من نصيبي اني رافقت هذه الحملة موظفاً في قلم الاخبارات فوصلت معها الى آبار الجكدول في صحراء البيوضة وشهدت بعيني الهمة التي بذلها اللورد ولسلي ورجاله في تذليل الصعاب حباً بخلاص غوردون وحاميته فاذا هي مثال الهمم وعنوان الشمم .

وبعد ان أتمّ اللورد ولسلي استعداداته في مصر خرج منها بأركان حربه في ٢٧ سبتمبر فوصل حلغا في ٥ اكتوبر سنة ١٨٨٤ . وكان قد أرسل اورطة مزجيشه الى دنقلة فوصلتها في ٢٠ سبتمبر ووصل السر هربرت ستيورت في ٢٩ من الشهر المذكور فاستلم قيادة العساكر ووصل السر تشارلس

ولسن رئيس قلم الخبايا في ١١ اكتوبر وكان من المساعدين في هذا القلم الكولونيل كولفل والماجور ترز وكلهم من كرام الانكليز . وبقي اللورد ولسلي في حلفا الى ان رأى بعينه المراكب تسير بالعساكر فوق الشلال فمرّ أولها في ٢٥ اكتوبر بمساعدة كوكو شيخ الشلال وفي ٢٨ منه قام الى دنقلة فوصلها في ٣ نوفمبر . وكان قد أتى بنيشان القديسين ميخائيل وجورج من جلالة الملكة فسلمه إياه وأرسله الى مصر . وأقرّ على جعل كورتي النقطة الاساسية للجيش وعاد الى حلفا ليعجل في نقل الجيوش والمؤن فوصلها في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ .

مواصلة غوردون: وكان ممّ رجال الخبايا مواصلة غوردون واستطلاع حاله كما انّ ممّ غوردون من الجهة الثانية مواصلة مصر واستطلاع خبر النجدة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر خصوصاً بعد ارساله ستيورت باشا وقد بث كل فريق الميون والجواسيس حتى تمّ الاتصال بينها وتحقق غوردون بحجى الانكليز لنجده في ١٧ سبتمبر فأرسل الواورات لملاقاتهم في التمة في ٢٩ من الشهر المذكور وأرسل معها كتباً يخبرهم بحاله كما مرّ فبعد وصول اللورد ولسلي الى حلفا بيوم أي في ١٧ نوفمبر وصله كتاب من غوردون بتاريخ ٤ نوفمبر وهو الكتاب المشار اليه آنفاً بهذه الترجمة :

كتاب غوردون الى رئيس الحملة بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ : « وصلني أمس بريد من كشنر بالدبة بتاريخ ١٤ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ومعه كتاب « بالجفرة » من اللورد ولسلي بتاريخ ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ لا أستطيع حله لأنني أرسلت المفتاح مع ستيورت . وما وصلني قبل هذا البريد إلا كتاب من كشنر مؤرخ في ٣١ اغسطس سنة ١٨٨٤ وصلني في ١٧ سبتمبر أي بعد سفر ستيورت من هنا بأسبوع . في جهة التمة الآن خمسة وابورات عليها تسعة مدافع بانتظاركم . يمكننا ان نثبت في الحصار ٤٠ يوماً بالراحة ومن ثمّ يصعب علينا الثبات . اني أشتمل غيظاً لفرق الوابور ومتى تأكدتم غرقه اخبروا

نظارة الخارجية ان مفاح الجفرة قد ضاع لاني أرسلته مع ستورت اذ كنت في ريب من نجاتها . وقد ظننت ان سفر النيل سليم فأرسلت ستورت و بـور وهربن في وابور ليطلعوكم على حالنا لعلمكم تعجلون بانقاذنا وأرسلت مع ستورت يومية الحوادث من اول مارس سنة ١٨٨٤ الى ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ . المهدي هنا الآن على ثمانية اميال منا (في أبي سعد) والعرب يحصروننا من الشرق والجنوب والجنوب الغربي ولكن ليس منهم احد شمالي ام درمان . سنار لا تزال ثابتة في الحصار وهي عالة بقدمكم . وفي الوابورات يوميقي من ١٠ سبتمبر الى هذا اليوم وفيها تفصيل حالنا وخارطة بربر . يقع بيننا وبين العرب قتال من وقت الى آخر ولكن المهدي يقول انه لا يحارب في هذا الشهر (وهو شهر محرم سنة ١٣٠٢) وقد أحضر معه جميع الاوربيين والراهبات الذين وقعوا في أسره ويقال انهم جميعاً اعتنقوا الاسلام . سلاطين ايضاً مع المهدي وكذلك لبنن ويقول المهدي ان لبنن سلم . منذ ١٠ مارس سنة ١٨٨٤ الى اليوم وصلني (عدا كتابي كتشتر المشار اليها آنفاً) رسالتان واحدة من دنقلة بدون تاريخ وواحدة من سواكن بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٨٤ ووصلتني رسالة بمعنى هذه الرسالة من مصوع بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٨٨٤ وأما انا فقد أرسلت في الثانية أشهر الماضية عدة رسل في كل الطرق .

و نزل العزب في ضواحي الخرطوم في ١٢ مارس سنة ١٨٨٤ فهاجتمهم في ١٦ مارس فهزمونا وحملونا خسارة جسيمة من العساكر وغنموا مدفعاً واحداً ومن ذلك الوقت لا تزال في قتال مستمر وقد جرح ستورت جرحاً خفيفاً في ذراعه في بعض المناوشات . ولما ارتفع النيل خرجنا عليهم فأوقفنا فيهم ثلاث وقائع او اربع ورفعنا الحصار عن المدينة وأرسلنا حملتين الى سنار . وفي كل واقعة جرت لنا مع المحاصرين كانوا يهاجمون المربع مستقنلين فيخترقونه ويدخلون وسطه وقد كسرونا في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ كسرة شليعة ومن بعدها لم يكن شيء يذكر . ومجموع ما أطلقناه من الرصاص الى الآن ٣ ملايين رصاصة والسراي احسن محل لاطلاق الرصاص . مع العرب هنا مدافع كروب

تاريخ الثورة

وقد عطلوا وابوراتنا مراراً وغنموا وابوزين صغيرين في بربر ووابورا في النيل الازرق وبلغينا نحن وابورين جديدين وصفحنا جميع الوابورات وقويتنا الحصون بالألغام والشباك الشرخجية . ندفع مرتبات الجنود شهراً شهراً فغير متأخر لهم إلا راتب نصف شهر . وقد استعملنا عملة الورق وأنفقنا جميع الثياب التي في المخازن . الأسرى الذين مع المهدي كلهم بخير وقد تزوج الراهبات زواجا ظاهرياً بالاروام تخلصاً من التزوج بالعرب . سلاطين مع المهدي والمهدي لم يصادره في ماله بل أبقاه له كله وهو يحسن معاملته ولكني سمعت اليوم انه مقيد بالحديد . مع المهدي رجل فرنساوي جاءه بطريق دنقلة ولا أعلم سبب مجيئه . وقد صنعت مدالية وجعلتها ثلاثة انواع ذهب وفضة وقصدير ووزعتها على أهل الحامية . يقول كثيرون انه ارسل الي عدة رسائل ولم يصله جوابها مع اني أرسلت في الشهر الماضي عشر رسائل على الأقل . يسافر الوابور بكتابي هذا نهار غدٍ الى المتمة ويُرسل لكم من هناك مع جاسوسين . لا تدعوا العساكر المصرية تأتي الى هنا استلموا قيادة الوابورات منهم واخرجوهم منها فانه لا فائدة لهم .

جواب اللورد ولسلي على كتاب غوردون : فكتب له اللورد ولسلي جواباً على كتابه هذا يوم وصوله (١٧ نوفمبر) وهو موجسٌ خوف وقوعه في يد المهدي فقال :

« وصلني كتابك بتاريخ ٤ الجاري (نوفمبر) وهو اول كتاب أخذته منك الى الآن . وسأكون في دنقلة بعد ٤ أيام ويكون الجيش كله بين الدبة وامبقول في ٧ يناير سنة ١٨٨٥ ولست أعطيك تفصيل القوات التي يتألف منها الجيش ولكن تأكد انها كافية لسحق محمد احمد وأنصاره وبحو ذكره من الوجود وكلما زاد عدد مقاتليه زاد سرورنا لأنه بذلك يزيد عدد قتلاهم . ويود جنودي ان يثبت المهدي في ساحة الحرب لأنهم يحبون القتال ويعظم أسفهم اذا قطعوا هذه المسافة الطويلة من بلادهم ولم يجدوا فرصة لقتل محمد احمد والفتك بأنصاره . اما أنا فقد رأيت سفك دماء كثيرة في زماني وأفضل ان

سائح السرايا

تنتهي المسألة سلمياً وذلك بمساحة محمد احمد في ما مضى وجعله سلطاناً مستقلاً على كردوفان يكون الملك فيها له ولأولاده من بعده وبتأسيس حكومة وطنية في الخرطوم يكون الحاكم فيها مستقلاً عن مصر وحكمه وراثي فيملك دنقلة وبربر والخرطوم وتعود انت الى انكلترا . وأما اذا كان محمد احمد أحق وأبى إلا الحرب فاني أدع عساكري ينالون مأربهم منه وهم نخبة جيشنا المظفر وصفوته وهم الآن سائرون برأ وبجراً الى دنقلة . لم أكتب هذا اليك في الجفرة لأنك تقول انك أضعت مفتاحها . ابعت برسلك اليها في كل اسبوع واخبرنا بجميع أحوالك ونحن نكافئ رسلك الذين يأتوننا بكتب منك بكل سخاء ...

وقد جعل من هذا الكتاب نسختين فأرسل نسخة بطريق الدبة بواسطة الكبتن كشتنر ونسخة بطريق مرزوي بواسطة الكولونيل كولفل . ويظهر ان النسخة التي أرسلها كولفل وصلت الى نصحي في شندي . فأرسلها بوايور بوردين الى غوردون .

وكان اللورد ولسلي لا يعلم عن غوردون والخرطوم إلا من الجواسيس فلما جاءه كتاب غوردون وعلم منه حقيقة الحال التي صار اليها جدد المهمة في تمجيد الجنود وكانت اذ ذاك (١٨ نوفمبر) موزعة على نقط خط الاتصال بين اسبوط ودنقلة فأرسل اليهم التلغرافات يحثهم على الاسراع في السير برأ وبجراً الى كورتي فاجتازت المراكب بالجنود شلال حنك الى نيل دنقلة البهل في ٣٠ نوفمبر . وفي هذا اليوم نشر اللورد ولسلي في الجيش كله الأمر الآتي: د الى عساكر الحملة النيلية وبجريتها .

د ان انقاذ الجنرال غوردون وحاميته المحصورين في الخرطوم منذ زمان طويل هو العمل المجيد الذي نديننا اليه جلالة الملكة وهو يحرك عاطفة كل عسكري وبحري حباً بالاشتراك فيه . وجسامة المضاعب التي يستلزمها هذا العمل انما هي بعينها تحركنا الى زيادة المهمة . فكلنا نفتخر بالشهامة وانكار النفس اللذين يظهرهما غوردون في الدفاع عن حاميته وذلك مما يزيد شهرته

العالية ان كانت الزيادة ممكنة بعدُ ولكن غوردون لا يستطيع الثبات طويلا في الحصار وهو الآن يدعونا لانقاذ حاميته . وشهامته وحبه لوطنه مشهوران في كل بلاد ناطقة بلفتنا فليس أمر انقاذه مما يهيم الأمة فقط بل مجرد معرفتنا ان رفيقاً باسلاً في حاجة الى المساعدة يستفزنا الى اعانته بحمية مضاعفة وما تسمح لنا المروءة ان نتركه يلاقي ما لاقاه رفيقه المقدام ستيورت الذي غدر به الأهلون وقتلوه وهو مجدّ في القيام بمهمة خطيرة حرجة . وفي يدنا ان نخلص غوردون من ميتة كهذه بعون الله . المسير صعداً في النيل وشلالاته شاق جداً ولا يتحمل مشاقه إلا من كانت له أسمى الصفات العسكرية وهي احتقار الاخطار والمصاعب بالحزم والعزم الصفات التي امتاز بها عساكر جلالة الملكة وبحريتها في الممارك السالفة . اني عالم بحسامة الموانع التي تعوقنا عن الاسراع في السير ولكن من منا يبالي بهذه الموانع اذا علم ان الجنرال غوردون وحاميته في خطر فانقاذ غوردون وحاميته من الخطر هو الآن بمسد الله في ايديكم . وكيف كان الحال فلا بد من انقاذهم بعون الله وبهذا كفاية للعساكر والبحرية الانكليز ، اه .

جيش الصحراء : وأقام اللورد ولسلي في دنقلة الى ١٣ ديسمبر حتى اجتمع الجيش المحارب كله في كورتني فتقدم اليها مع أركان حربه فوصلها في ١٦ ديسمبر سنة ١٨٨٤ وقسم جيشه قسمين : جيشاً يسير بطريق النيل بقيادة الجنرال أرل فيؤدّب المناصير الذين غدروا بالكولونيل ستيورت ويتقدم الى ابي حمد فيوافيه اليها للفتنت رندل بالمؤن من كورسكو بمن معه من المتطوعة المباددة ثم يسير القوتان لفتح بربر . وجيشاً يسير بطريق الصحراء الى المتمة بقيادة الجنرال البر هربرت ستيورت فيسرع في نجدة غوردون قبل فوات الفرصة . وكان غرض اللورد ولسلي ان يبعث بجيش الصحراء كله دفعة واحدة ولكن لم يتيسر له العدد اللازم من الجبال فجعل محطة في وسط الطريق عند آبار الجكدول وأرسل اليها الزاد والعساكر تباعاً .

أما آبار الجكدول فهي عبارة عن ثلاث برك واسعة بين التلال تجتمع إليها مياه الأمطار اثنتان منها وسط تلال شاهقة يشق الوصول إليها .

فلما كان يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ سار الجنرال ستيفورت بقسم من جيشه حاملاً الذخائر والمؤن ومعه الكبتن كتشنر الذي ألحق بقلم الخبائرات فترك الزاد والذخائر في عهدة الكبتن كتشنر ونقر من الجيش في الجكدول وعاد بمعظم القوة والجمال الى كورتي فوصلها في ٤ يناير سنة ١٨٨٥ وشرع في ترحيل الجند . وفي ٨ يناير سار بباقي قوته الى الجكدول وفي ١٤ منه سار بالجيش كله من الجكدول قاصداً المتمة .

سرية موسى ود حلو : وفي أثناء ذلك كان محمد الخير يبث العيون والطلائع في بلاد دنقلة والحدود لاستطلاع خبر الحملة ومراقبة حركاتها ويرسلها تباعاً الى المهدي والمهدي أيضاً يبث العيون بطريق جبرة لمراقبة الحملة فلما تحقق قيام جيش الصحراء من كورتي قاصداً المتمة أخرج سرية من جيش الخليفة ود حلو قبل فيها نحو ٣ آلاف مقاتل من عرب دغيم وكنانة وهم أخلص انصاره وأشدهم بأساً وعقد لواءها للأمير موسى ود حلو أخى الخليفة علي ود حلو وأمرها بمقابلة الانكليز في الصحراء .

سرية الجعليين : وأمر محمد الخير في بربر بإرسال سرية من بربر تنضم الى سرية موسى ود حلو فتصدان الانكليز عن الوصول الى النيل . فأخرج محمد الخير سرية من جيشه بقيادة ابن اخيه عبدالماجد محمد خوجلي وأوعز الى الحاج علي ود سعد فنادى بالنفير العام في بلاد الجعليين فاجتمع عنده وعند ابي الماجد في المتمة نحو ٨٠٠٠ مقاتل فأرسل الطلائع الى الانكليز فرجعوا وقالوا انهم خرجوا من آبار الجكدول قاصدين آبار ابي طليح وهي في منتصف الطريق بين الجكدول والمتمة وليس في الطريق آبار غيرها فلم يعد ينتظر موسى ود حلو بل أسرع يحميه الى الآبار المذكورة ليمنع الانكليز من ورود الماء ويفتك بهم فيفوز بالغنيمة وحده .

ساحة السور

واقعة ابي طليح في ١٧ يناير سنة ١٨٨٥ : وفي ١٦ يناير سنة ١٨٨٥ وصل الجنرال ستيورت الى ظاهر آبار ابي طليح فوجد الجمعين قد سبقوه اليها وكان الوقت اذ ذاك العصر قرأى ان يؤخر الهجوم الى صباح اليوم التالي خوفاً من دخول الليل قبل انتهاء المعركة فمسكر في محل حصين قرب الآبار وسهر الليل كله خوفاً من هجوم الجمعين . وفي ذلك الليل حضر موسى ود حلو يحميه فانضم على الحاج علي ود سعد . وفي فجر ١٧ يناير سنة ١٨٨٥ نهض الجنرال ستيورت فنظم جيشه مربعا وزحف على الدراويش وهو لا يرتاب من انهم يهاجمونه فاتخذ خطة الدفاع وكانت قوة المربع ١١٥ ضابطاً و ١٦٨٧ عسكرياً انكليزياً و ٨ عساكر مصرية و ٣٤٠ من الخدم و ١٥٣ جواداً و ٢٨٨٨ جلاً و ٣ مدافع وصحب المربع البسر شارلس ولسن رئيس قلم المخابرات والكبتن ككتشر اركان حرب المخابرات وصحبه من السوريين جورج افندي زيدان من كبار موظفي المخابرات وامين افندي حداد مترجم الجنرال ستيورت ومن المصريين محمد افندي ابراهيم (محمد بك الآن) مترجم السر تشارلس ولسن .

وبقي الجنرال ستيورت زاحفاً بالمربع حتى صار على ٥٠٠ يرد من معسكر الدراويش فحملوا عليه حملة واحدة في خمس فرق وفرسانهم في مقدمتهم وكان كشافه المربع اذ ذاك على ٢٠٠ يرد من الدراويش فتقهقروا الى المربع حسب الاصول العسكرية فصبر المربع حتى انضموا اليه فلما انكشف له الدراويش حتى صاروا على ٢٠٠ يرد منه ففتح عليهم أفواه المدافع والبنادق وقتل بهم فتكاً ذريعاً والدراويش مع ذلك يوالون الهجوم حتى اجتمع قتلاهم أكداً . قيل اول من هاجم المربع موسى ود حلو وكان قد أمر أصحابه بأن يكون اهل الاسلحة النارية في جهة وأهل الخيل في جهة والراجلون في جهة ليتمكنوا من الحرب على احسن منوال ولكنهم لما رأوا الانكليز قالوا كيف نرى الكفار امام أعيننا ونصبر عن قتالهم فبادروا بالحملة عليهم جميعاً دفعة واحدة من غير نظام او ترتيب فحصدهم الرصاص حصداً ولم يسلم منهم

تاريخ السيوكان

إلا طويل العمر وقليل ما م وكان في جملة القتلى اميرهم موسى ود حلو والامير ود برجوب المار ذكره واحد ود بلال من رؤساء دغيم وقد أنشد شعراء السودان في رثائهم الأشعار فقالوا :

موسى الشهيد وود برجوب وود بلال باعوا الجنات من الدلال
في أثناء ذلك هاجم الحاج علي ود سعد والجمعليون فتقلت عليهم فار المقدمة
فداروا الى ميسرة المربع ومؤخره وحملوا عليه حملة صادقة فاخترقوه ودخلوا
وسطه وتقهر عساكر المؤخرة والميسرة الى داخل المربع واختل نظامهم
فاختلطوا بجمال الحملة واشتبك القتال بالسيف والحراب واتفق ان عساكر
المقدمة والميمنة كانوا على ارض مرتفعة فوالوا النار على المهاجمين فصدومهم عن
المربع واشتد القتال داخل المربع وعلا الصياح والضجيج حتى لم تعد تسمع
أوامر القواد فكان كل عسكري يدافع عن نفسه بما بدا له فقتلوا الذين دخلوا
المربع عن آخرهم وبذلك انحلت الواقعة فكانت خسارة المربع ٧٤ قتيلاً فيهم
٩ ضباط و ٩٤ جريحاً فيهم ٩ ضباط . وأما الدراويش فقد زادت قتلاهم عن
١١٠٠ وزادت جرحاهم عن ذلك وأما الحاج ود سعد فقد قتل ان فرسه قتل
من تحته وأصيب هو بثلاث رصاصات داخل المربع فعد بين القتلى وبقي الى
ان انحلى المربع عن محل الواقعة فأتى أهله وحملوه ورجعوا به مع باقي المنهزمين
الى المتمة . وتقدم الجنرال ستيورت الى الآبار فاحتلها عصر ذلك اليوم .

وفي صباح اليوم التالي (١٨) يناير بنى طابيه صغيرة جعل فيها الجرحى
ووضع عليهم مئة رجل لحفارتهم وخفارة الآبار وفي العصر تقدم بباقي الجيش
نحو المتمة فسار بهم الليل كله لأنه أراد ان ينزل النيل الازرق بدون قتال
وكانت الطريق شائكة واليلة مظلمة والجمال تعب فتعبوا ونعسوا فلم يقطعوا
في ١٤ ساعة سوى ١٨ ميلاً .

النور عنقرة وواقعة المتمة في ١٩ يناير سنة ١٨٨٥ : ولما طلع فجر ١٩
يناير أطلوا على المتمة فظنوا انهم ينزلون النيل بلا معارض . وكان المهدي قد

أرسل النور عنقرة بألف مقاتل من اهل الأسلحة النارية مدداً لموسى ود حلو فوصل المتمة يوم رجوع المهزمين من ابي طليح فبقي فيها متربصاً قدوم الانكليز فلما رآهم مقبلين خرج لقتالهم في الصحراء وهم على اربعة اميال من النيل فجعل ستيورت الجرحى وجمال الحملة على أكمة وأخذ يستعد للزحف على المتمة فأصابته رصاصة طائشة في بطنه فجرحته جرحاً مميتاً وذلك في الساعة العاشرة صباحاً فأحيلت قومندانة الجنود على السر تشارلس ولسن لأنه كان أقدم ضابط بعده فنظم الجيش مربعاً وسار قاصداً النيل وكان النور عنقرة لا يزال متربصاً للمربع فتلقاه بنار حامية واضطر الى الانهزام في اقل من خمس دقائق ونزل النيل عند قبة ابي خروق جنوبي المتمة وكانت خسارة الانكليز في هذا اليوم من القتلى ضابط و ٢٢ عسكرياً ومن الجرحى ٨ ضباط و ٩٠ عسكرياً . وأما الدراويش فقد قتل منهم اضعاف هذا العدد . وفي اليوم التالي أي ٢٠ يناير عاد الانكليز الى جرحام وجمال الحملة الذين تركوهم على التلة وأتوا بهم الى القبة فكان اول واجب على السر تشارلس ولسن الآن ان يسرع لنجدة الخرطوم ولكنه رأى ان يفتح المتمة قبل التقدم الى الخرطوم . فلما كان يوم ٢١ يناير اخذ معظم العساكر والمدافع وزحف على المتمة وقبل مباشرة القتال كتب الى أهلها يدعوم الى التسليم او الاستعداد للحرب ولما لم يجيبوه أمر الطويحية فرموا المدينة بالقنابل فأجابه الدراويش من حصونهم بالقنابل والرصاص وفيما هم كذلك اذا بالوابورات الاربعة وهي يوردين والصفية والتوفيقية وتل حوين التي أرسلها غوردون لمقابلة الانكليز قد أقبلت وكانت عند وصولهم تتأوش العصاة شمالي شندي فنزل خشم الموس بك ببعض العساكر الى البر وأخبر السر تشارلس ولسن ان الفقيه مصطفى الامين المار ذكره قادم يحيش جرار من قبل المهدي مدداً للدراويش فراجع اذ ذاك عن المتمة وبني طابية عند القبة وطابية اخري تجاهها على شاطئ النيل ووضع العساكر في الطابيتين والجرحى في طابية النيل وفيهم الجنرال ستيورت .

وفي صباح ٢٢ يناير ركب بالوابورات الى شندي فرماها ببعض القنابل

فوجد أهلها قد مجروها وعاد الى القبة بعد الغروب وكان قد أرسل بعض الكشافة الى جهة الجنوب فعادوا في المساء ولم يروا أحداً فأقرّ على التقدم الى الخرطوم ففضى يوم ٢٣ يناير في انتقاء العساكر وترميم الواپورات استعداداً للسير . وكان اللورد بارسفورد قد صعب جيش الصحراء على ان يكون قومنداناً للواپورات فاتفق انه كان اذ ذاك مريضاً في الاسييتالية وقد قتل أكثر عساكره البحارة في واقعي ابي طليح والمتمة او جرحوا فانتقى السر تشارلس ولسن ٢٤٠ رجلاً من العساكر السودانية الذين في الواپورات فجعلهم تحت قيادة خشم الموس باشا وضم اليهم ضابطين و ٢٠ عسكرياً انكليزياً وأنزل الكل في وابوري بوردين وتل حوين وقطر بأحدهما مركباً مشحوناً ذرة اعانة لأهل الخرطوم وسار بها في ٢٤ يناير نحو الخرطوم فأركا الكولونيل بوسكوين قومنداناً على العساكر في القبة . ولترك الآن السر تشارلس ولسن سائراً في الواپورين الى الخرطوم لكشف خبرها ولترجع الى غوردون وحصار الخرطوم لئلا يرى ما كان من اخبارها بعد حلول المهدي بأبي سعد .

الفصل الثامن عشر

عودٌ ثانٍ الى

غوردون وحصار الخرطوم

سنة ٤ - ١٨٨٥ م

تقدم إن المهدي حل يحيوشه في ابي سعد في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م
٢٨ الحجة سنة ١٣٠١ هـ ففضى بقية الحجة ومحرم سنة ١٣٠٢ هـ في الاستعداد
للحرب لأنه لم يحب الحرب في محرم فلما كان غاية الشهر المذكور أي ١٩ نوفمبر
سنة ١٨٨٤ م كتب الى غوردون يدعوه الى التسليم وهذه صورة الكتاب بعد
البسلة :

و وبعد فمن العبد المقتدر الى الله الوائق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله
الى غوردون باشا : اعلم اني حضرت بالقرب من ام درمان يحيوشي المتصورة
وأصحابي وأحبابي في الله المؤيدين بالنصر من عند الله وكن على يقين اني على
علم من حضور عساكر الانكليز يجهة دنقلة ولكني لست مبالياً بهم ولا بغيرهم
بفضل الله وسيكون لهم اسوة يحيوش هكس والشلالي ولا تفرك نصرتك
المتوالية فكل من استشهد بها فهو عن امري رافة بهم لينالوا درجة الصالحين
تصديقاً لقوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء

عند ربههم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولولا مراعاة حسم دماء المسلمين لضربت صفحا عن غخطبتك وبادرتك بالهجومات التي لا أشك في نجاحها فلم تسلم انت ومن معك وقد نصحتك وأنصحك وإلا فالجرب بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى .

جواب غوردون للمهدي: فكتب اليه غوردون في الجواب يقول: «لست أبالي بك ولا يحيوشك وليست العساكر الانكليزية بحجة دنقلة كما تزعم تضليلا لعقول انصارك واغرائهم بطلب المستحيل بل هم بحجة بربر والمثمة وسترى ما يحل بك ويحيوشك عند مجيئهم من النكال بل اذا لم يأتوا ففي الكفاءة لأن أعرفك قدرك ولا تغرنك كثرة أنصارك فالبغي له مصرع والسلام .» وكتب المهدي الى فرج الله بك ما نصه :

« وبعد فمن العبد المقتدر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية وهم كبير العساكر وعظيمهم فرج الله وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الأكابر والأصاغر اعلوا وتحققوا احبابي اني لست قائما هذا المقام إلا بدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى ونيل مراتبهم العلية ومنفرهم عما يضرهم من خسيس فاني اللذات التي تعقب طول الحشرات وقد بلغني ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط اهل فاشودة الذين يحبوني سابقا وانا بابا من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدقي في الطلب لما عند الله وارادة الآخرة ودلالي على الصلاح والفلاح وارشاد العباد الى رضا الفتاح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح فلا تظنوا اننا نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمتم لنا وصرتهم من أصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود ﷺ بأنهم كأصحابه وأدنى اصحابي رتبة ينال مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لأهل العناية . وأظن انه قد بلغتمكم انذاراتي سابقا فلا فائدة حينئذ في التطويل فان سلمتم فقد عفونا عنكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند الله حسن المكانة الأبدية فاني المهدي

المنتظر خليفة نبيكم ﷺ فابشروا بالكرامة والفخامة ان سلمت لي واتبعتموني. وليكن معلوماً عندكم احبابي ان من لم يصدقني ويتبعني يعذب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيتم نصري في حال الضعف والقلة الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي أسلحة راشد بك وولد الشلاي وهكس والابيض ودارفور وبحر الغزال وجباخينهم وبشرت بأني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث ان اصحابي يقتلونهم ولا يقتلون ولكن اخترت توفيقاً من الله ان ينال اصحابي الشهادة ويبولون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه كما علمت ولتعتمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام في غاية محرم سنة ١٣٠٢ هـ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٤ . فلم يحبه فرج الله بك على كتابه هذا .

فلما كان يوم الاربعاء، غرة صفر سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م أمر أنصاره فضربوا نقاير الحرب وأبواقه وصاروا ينادون العساكر ويتهددونهم بالموت العاجل وشرعوا في اطلاق البنادق والمدافع على الخرطوم من كل جهات الحصار .

حصار ام درمان : وفي الوقت نفسه أرسل سرية من الانصار بقيادة أبي عنجة لمهاجمة طابية ام درمان وهي واقعة تجاه طابية القرن وبينها وبين شاطئ النيل الابيض نحو ٥٠٠ متر ويوصلها بسراي الخرطوم خط تلغرافي وهي عبارة عن خندق عميق من داخله سور منيع مفتوحة فيه المزاغل وعليه الأبراج ومن داخل السور بئر ماء للشرب وفيها اورطة من العساكر المصرية عليهم فرج الله بك قومنداناً فما اقترب ابو عنجة منها حتى انهال عليه الرصاص انهال المطر فرجع عنها خاسراً وقد ترك وراءه ٩٠ بقرة غنيمة للعساكر فأخبروا غوردون تلغرافياً فأمرهم فأرسلوا ٧٠ بقرة الى الخرطوم وأكلوا الباقي . وفي اليوم التالي هاجم ابو عنجة الطابية مرة اخرى فرد عنها خاسراً كل مرة الاولى وغنم العساكر ٨٠ بقرة فأكلوا ٢٠ وأرسلوا ٦٠ الى الخرطوم وبذلك امتنع ابو عنجة عن الهجوم وجوّل على حصر الطابية فنزل عند

تاريخ السيوف

شاطيء النيل وحال بينها وبين طابية المقرن وأجهد أصحابه فأقاموا في الليل
متراسين متوازيين متراساً يقيمهم مقذوفات الخرطوم وآخر يقيمهم مقذوفات ام
درمان وأقاموا طابية عن يمين المتراسين وطابية عن شمالها وجعلوا في كل
طابية مدفعين وشرعوا يرمون الخرطوم وام درمان مماً بالقنابل . وقطعوا
خط التلغراف بين الحاميتين فأصبح أهلها يتخابرون بالاشارة الحربية .

وكان في طابية المقرن بلوك من العساكر النظامية ومدفع واحد فقواها
غوردون بمدفعين آخرين ، واوردي باشبوزق وأمر فخرج وابورا الاسماعيليه
والحسيني في النيل الأبيض لمساعدة الطابيتين على طرد ابي عنجة من حصنه
فرماهما بالقنابل فأصابت قنبلة احدى جوانب الاسماعيليه فعطلتها وأصابت
قنبلة اخرى قزان الحسيني ففرقه وقتل قومنداناه مصطفى افندي فأرسل
غوردون الاسماعيليه الى الترسانة ونظر اصلاحها بنفسه الى ان تم فأرجعها
لنشل الحسيني فما وجد لذلك سبيلاً فأخذ نوقيته وأمتعته وعاد الى الخرطوم .

وفي هذه الأثناء حضر وابور بوردين بكتاب اللورد ولسلي المار ذكره الى
غوردون فأرجعه غوردون الى نصحي في الحال فأمر المهدي أصحابه فبنوا
طابية في الحلقاية وطابية في خور شمبات تجاهاها وذلك لمنع الواپورات من
المروور ذهاباً وإياباً بين شندي والخرطوم . وبنوا طابية قبالة كل طابية من
خط نار الخرطوم وثلاث طواب حول طابية ام درمان طابية الى شمالها
وأخرى الى جنوبها وثالثة الى غربها عدا الطابيتين في شرقيها وجدد الهمة
في مناوشة الحاميتين القتال الليل والنهار فدافع العساكر عن أنفسهم أحسن
دفاع وحمّلوا الدراويش خسارة تذكر . ولم يقتل منهم سوى البكباشي ابراهيم
افندي سودان قومندان طابية المقرن وبضعة عساكر فسر غوردون من نشاطهم
وتيقظهم وطبع ٩٠ الف غرث من اوراق البون ووزع عليهم مرتب ستة أشهر
ونصف شهر مكافأة لهم على حسن دفاعهم ووجه رتبة اللواء الى كل من موسى
بك شوقي مدير الخرطوم وفرج الله بك قومندان طابية ام درمان وأمره
فأعطى بالاشارة الحربية أسماء الضباط المستحقين الجزاء وهم البكباشي خليل

تاريخ السوكان

افندي عمارة والبكباشي مصطفى افندي عصمت والساخ حسين افندي محمد واليوزباشي محمد افندي والملازم محمد افندي كريم فرقتى كلا منهم الى رتبة أعلى من رتبته .

اشتداد الجوع في الخرطوم؛ واشتد الجوع في الحاميتين ولاسيما في الخرطوم حتى صار أهلها يموتون جوعاً في الطريق وكان غوردون قد أوى الرقيق والمساكين والعواجز من النساء والرجال وجعل لهم مرتباً من الذرة كما مرّ فلما اشتد الحال عليه الى هذا الحد أخرجهم الى المهدي بكتاب هذا مقاده :

« اعلم ان المجلس للجلس رحمة وهؤلاء المساكين يشتركون معك في الجلسية وقد قضت الحال باخراجهم من الحامية بعد ان عاشوا فيها سنة على نفقة الحكومة فصار عليك الآن ان تتولى امر معيشتهم فافعل بهم ما انت امله . »
 وكان ذلك في اواخر ديسمبر سنة ١٨٨٤ ولم يكن اذ ذاك في المخازن ما يكفي المساكن مرتبهم الشهري فجمع غوردون مجلساً من الضباط من رتبة بكباشي فما فوق برئاسة فرج باشا الزيني فأقرّوا على تخفيض المرتب من ٢٠٠ درهم بقسماط و ٤٠٠ درهم ذرة في اليوم الى ١٠٠ درهم من البقسماط أو الذرة للمسكري النظامي و ١٥٠ درهم من الذرة للمسكري الباشبوزق وان يُعطى المساكن مرتب ٥ ايام فحق انتهت يعطون مرتب ٥ ايام اخرى وهكذا الى ان يمن الله بالفرج فصدّق غوردون هذا القرار وامتدح صبر المصريين الذين رضوا بالشدة على أنفسهم دون سوام .

اشتداد الجوع في ام درمان ؛ ولما كان يوم ٢٨ ديسمبر أرسل فرج الله باشا قومندان ام درمان اشارة حربية الى غوردون بأن مرتبات الزاد للمساكن قد نفدت ولم يبقَ منها إلا مرتب ٣ ايام فاغتم غوردون لهذا الخبر ودعا الضباط العظام في الخرطوم من رتبة قائمقام فما فوق للنظر في حالهم فأقرّوا على الخروج من الخرطوم على المحاصرين وكسب قوت الحاميتين منهم بالقوة .

خروج حامية الخرطوم في ١ يناير سنة ١٨٨٥ ؛ ولما كان الخميس ١ يناير

سنة ١٨٨٥ أمر غوردون فخرج بجيئ بك بطراكي من باب برّي بخمسمائة من العساكر السودانية ثم تبعه محمد بك الملك بألف من الباشبوزق وقصدا عبد الله ود النور في برّي وخرج البكباشي يوسف افندي عفت بخمسمائة من العساكر المصرية من باب المسلة لحماية ظهر بجيئ بك فما قرب بجيئ بك من برّي حتى خرج عليه الدراويش فلم يسهه إلا التقهر أما محمد بك الملك فاستل سيفه ودفع جواده في وسطهم وقاتل قتال الابطال حتى قتل . وفي أثناء ذلك ثار أنصار النيل الأبيض في وجه يوسف افندي عفت وكان قد نظم عسكره قلعة فأمرهم فجلسوا على ركبة واحدة وما زال يطير عليهم من الرصاص حتى هزمهم وأبى الرجوع الى خط النار إلا بأمر غوردون فأمره فرجع فامتدح غوردون بسالته ولام بجيئ بك على عدم ثباته .

خروج حامية الخرطوم المرة الثانية في ٣ يناير سنة ١٨٨٥ : وصبر غوردون الجمعة حتى استراحت العساكر . وفي فجر السبت في ٣ يناير سنة ١٨٨٤ أرسل تلغرافاً الى فرج باشا الزيني يأمره بالتنبيه على عساكر الخميس ان يخرجوا ثانية في طلب القوات للحامية إلا بجيئ بك فانه أمر ببقائه على خط النار وذهب حسن بك البلساوي في مكانه قبل قتارض البلساوي فولى الأمر للشجاع المذرب البكباشي السيد افندي امين صاحب واقعة الكلاكلة المار ذكره ووعدته بالتري الى رتبة قائمقام فخرج السيد افندي بجميع العساكر من باب المسلية ونظم عسكره قلعتين العساكر النظامية قلعة قادها بنفسه والباشبوزق قلعة ولى قيادتها للصاغ منصور عبد المال وسار بالقلعتين حتى صار على الف متر من خندق الخرطوم فوقف فجعل قلعة الباشبوزق قبالة انصار المسلية والكلاكلة وتقدم بقلعته نحو برّي .

هذا وكان قد فرّ يوم الجمعة عسكري من الخرطوم الى النجومي وأخبره بأن العساكر خارجون اليه في ثلاث قلعات قلعة تهاجم في الكلاكلة وقلعة تهاجم عبد الله ود النور في برّي وقلعة تهاجم عبد القادر مدرع تجاه باب المسلية فأرسل النجومي أوامره المشددة الى عبد الله ود النور وعبد القادر

مدرع بالاستعداد للحرب فأمر عبد الله ود النور اصحابه بأن يسقطوا الى الارض ولا يباثروا القتال حتى يقرب المساكر منهم جداً فيخرجون عليهم اذ ذاك ويقتلونهم بالسيف والحرية . ولما قرب السيد افندي امين من طابية برّي ولم يرَ للدراويش حركة علم ان في الامر مكيدة فبعث فارسين يستظلمان طلعمهم فرجفا وأخبرا بأن الدراويش قد أدخلوا طوابيهم فأرسل فارسين آخرين فلم يريا احداً فسار اذ ذاك بنفسه وأمامه اوردي باشبوزق بهيئة «اطلاقجية» حتى اقترب جداً من طوابي الدراويش فأمر الاطلاقجية باطلاق النار فهب الدراويش اذ ذاك من مراقدم وبادروهم باطلاق الرصاص فأمر السيد افندي الاطلاقجية فرجعوا الى يمين القلعة وشمالها ثم أمر عساكر القلعة فاصطفوا بهيئة طاوور وأسرعوا الى خرائب أبلية قديمة فامتلكوها وصبوا على الدراويش ناراً دائمة .

وكان غوردون يشاهد القتال بالمنظار فلما رأى ان السيد افندي قد توغل نحو برّي أمر واور الاسماعيليه فسار في النيل الازرق ومعه الجبخانه نجدة له فما خرج الواور من الخرطوم حتى انتشر الدراويش الذبيح في الشرق على طول الشاطئ ورموه بالرصاص والقنابل فانقلب راجعاً فغضب غوردون منه وأمره باعادة الكرة فتلقاه اهل الشرق بنار أشد من قبل فرجع ثانية . وأما القلعة الثانية فقد تصدى لها أنصار المسلمية والكلاكلة واندفعوا عليها كالسيل العرم فاضطرت الى التقهر بعد ان قتلت جماعة من أكابر أمراء الدراويش وفيهم عبد القادر مدرّع قائد أنصار المسلمية وعمر ولد الخليفة وغيرها . ولما عادوا الى الخندق أغلق فرج باشا باب المسلمية في وجوههم ووبخهم على ترك اخوانهم عرضة لهجوم الأعداء من وراء فلم يؤثر فيهم توبيخه لأنهم باشبوزق لا يعرفون نظاماً فاخبتاً بعضهم بالخندق ولحق بعضهم بالدراويش .

وبقي السيد افندي يجاهد وحده الى ان نفذت منه الذخيرة فأنفذ اشارة حربية الى فرج باشا في طلب الذخيرة وارسال قلعة الامداد الى جهته فأجابه ان قلعة الامداد انهزمت ولا واسطة لارسال الذخيرة وأمره بالرجوع الى

الاستحكام فعاد القهقري حسب الاصول العسكرية . وفي أثناء ذلك أصيب برصاصة في رجله وقتل حصانه فحمله رجاله وعادوا به الى الخندق فأتى غوردون بنفسه ومعه حكيمباشي الاسبتالية فصاحه وشكر له بسالته ودريته ورقاه الى رتبة قائمقام وأمر الحكيمباشي فضمد جراحه وبالح في الاعتناء به ورقى كل ضابط من ضباطه الى رتبة أعلى من رتبته . وكانت خسارة السيد افندي في هذه الواقعة ١٢ قتيلًا وجريحًا وأما الدراويش فقد قتل منهم ٦٠٠ رجل وزيادة وفيهم اميرهم عبد الله ود النور من الفرسان المدودين فحزن عليه الدراويش حزنًا شديدًا وكان قتله خذلًا صريحًا للمهدي لأنه صرح مراراً بأنه لا يموت في حصار الخرطوم بل يموت في الكوفة .

محاولة اخلاء ام درمان: ومن شدة حزن الدراويش على قتلاهم لم يناوشوا العساكر القتال ليل ذلك اليوم فرأى غوردون ان يغتم الفرصة ويحاول اخلاء ام درمان وجلب عساكرها الى الخرطوم فأرسل اشارة حربية الى فرج الله باشا يعلمه بذلك فأجاب اني مستعد للخروج بالحامية والمدافعة الى آخر رمق على شرط ان الواور المزمع ارساله لملنا اليكم يقف في نقطة معينة ويثبت في مكانه الى ان نصل اليه . ففي صباح الاحد في ٤ يناير سنة ١٨٨٥ م أرسل غوردون الواور وأمره بالذي أمره فرج الله باشا فما قرب من النقطة المعينة على الشاطئ حتى ابتدره الدراويش بالقنابل ومنعوه من الوصول الى الشاطئ فكرر راجعاً الى الخرطوم فوبخه غوردون فرجع وعاد خائباً كالاول . وكان فرج الله باشا لما رأى الواور مقبلاً قد خرج بنصف عساكره قلعة وترك النصف الآخر في الطابية تحمي ظهره فهاجمه الدراويش وانتشب القتال فثبت حتى رأى ان الواور قد رجع المرة الثانية فقفل راجعاً الى الطابية بعد ان نكل بالدراويش وقتل من عسكره اليوزباشي احمد افندي فهمي والملازم عبد النبي افندي .

تسليم ام درمان الاثنين في ٥ يناير سنة ١٨٨٥

وبعد ظهر الاحد ارسل اشارة حربية الى غوردون يقول ان مؤونة الحامية قد نفدت فاذا لم يف الوابور بالشرط السابق ايضاحه اضطر الى التسليم او القتال الى الموت قيل فاذن له غوردون في التسليم . وفي يوم الاثنين ٥ يناير سنة ١٨٨٥ رفع العلم الابيض وكتب الى المهدي بالتسليم وأرسل الكتاب مع الشيخ موسى امام الاورطة فألبسه المهدي جبة مرقعة وأرجعه مع اربعة من اصحابه الى الطابية فأثوه بفرج الله باشا ثم أرسل جماعة من اصحابه فأثوه بالمساكر فسمي فرج الله باشا اميراً على عساكره وجعل له مرتباً قدره ٢٠ ريالاً في الشهر يجري له من بيت المال وأمر اصحابه بعدم التعرض له ولا لرجالهم . وكان غوردون يشاهد حركة التسليم من سراي الخرطوم فشق عليه ذلك جداً قيل وأخذ يضرب الارض برجله ودموعه تجري على خديه وشيع العساكر بنظره الى ان غابوا عن عينيه .

وأذاع محمد احمد خبر تسليم ام درمان في الجهات . وهذا ما كتبه الى عامله عثمان دقنة : ... وفي هذين اليومين يبلغكم ان شاء الله فتوح الخرطوم فان ققرة ام درمان التي كانت لها كالروح صار فتحها على يد جند الله ووقعت في القبضة بما فيها واطمحل امر الخرطوم وهى وصار في ضعضة نظراً للفتوح الذي ذكر ولكونه خرج اربع قلعات كبار منها على قصد المحاربة مع الانصار فأهلكهم الله بقدرته ورد كيد اهلها في نحرهم والذي أمر منهم كثير ولما رأى ذلك الباقون الذين داخل الققرة صاروا يخرجون افواجا ليلاً ونهاراً خفية وجهراً حتى اجتمع معنا أناس كثيرون من نساء ورجال وأطفال بعضهم اهل بلد وبعضهم عماليك (عبيد) وما زال جاري خروجهم وذلك لما رأوه من التضيق عليهم وشدة بأس الله الذي حل بهم من حصارنا لإيام . وقد بلغنا ان بعضاً من أعداء الله الانكليز حضروا بدقنة وأرسلوا منهم جانباً الى جهة المتمة لكي يدخلوا الخرطوم من قبلها والى الآن ما تم وصولهم بها وقد وجهنا

لهم من طرفنا نحو احد عشر ألفاً والبشائر متواترة علينا بهلاك أولئك المخذولين وإن بلغوا في الكثرة عدد الشجر والمدر وزيد البحر ولا فهمكم بما ذكر والعمل كما أشير لزم تحريره والسلام . في ٢٦ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ١٣ يناير سنة ١٨٨٥ م .

وقد كان لتسليم ام درمان أسوأ وقع في نفوس اهل الخرطوم فانهم أدركوا به حقيقة الضعف الذي صاروا اليه وازداد ألم الجوع فأخذوا يخرجون الى المهدي مسلمين فنتشر المهدي كتاباً لقومه للرفق بمن يخرج من الخرطوم وهذه صورته بعد البسمة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي الى احبابه وأصفيائه أنصار الدين بالهوي والشرق والغرب وخصوصاً العملاء والرؤوس : وبعد فإذا فهمتم هذا احبابي فالفوا عباد الله الذين يخرجون مسلمين ومنقادين بأنواع التأليف وتلقوهم بالاكرام والتشريف ولا تنظروا لمن استشهد من الانصار فتحنقوا بسبب ذلك على من كان مع الكفار فان قيامنا هذا الله ... ومن استشهد من الانصار فقد نال عظيم المقدر فيما فعله لوجه الله ... فاكموا الذين يأتون مسلمين وخصوصاً العملاء ومن كانوا اهل وظائف كبار وبالأخص نحو الامين الضير فقد قال ﷺ : اكرموا عزيز قوم ذل غني واقتقر ... والسلام . ١٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٥ م . »

وكتب ايضاً الى اهل الخرطوم يدعوم الى التسليم بما نصه بعد البسمة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أهالي الخرطوم هدام الله الى الصواب ... وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالى متى الففلة والتسويق والى متى مبارزة مولاكم بالعداوة أترغبون النجدة والفرج عند الانكليز وتصرفون نظركم عن خالقكم الذي بيده أموركم وقوامكم وهو القوي العزيز فما الانكليز وغيرهم اضعافاً مضاعفة بشيء في جنب قدرة الله التي يعجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيب وما الغوث الا من عند الله القريب المحيب . وحيث فهمت ما ذكر فاني لا

أواخذكم بما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأنيبوا الى ربكم وسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تשמرون وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته ان من سلم سلم ومن خالف عطب وندم فها هم هيا الى طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شيء يحصل عليكم فانا مناظرون فيكم آية قوله تعالى : « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً يجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم . والسلام » .

وكتب ايضاً الى غوردون كتباً يدعو به الى التسليم هذا نصها بعد البسملة :

الكتاب الاول : « وبعد فمن العبد المقتدر الى الله المعتم به محمد المهدي ابن عبد الله الى غوردون باشا فسلمت تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن أعرضت كان عليك إنمك وإثم من معك فقد أتاني الخبر من الرسول ان الجردة الآتية لو كان معي ستة انفار تموت او خمسة تموت او واحد تموت او وحدي كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد أتاني خبرها انها تموت أيسر من موت جردة ولد الشلاي وهكس والمديريات الغربية كلها والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله وما دام ان الله القادر أيدني بالكرامات وبالنصر فلا يضرنني انكار منكر وانما يضر نفسه فقط والامر الذي وعدت به من رسول الله ﷺ صار . على ان الجردة التي تعتمدونها ما لها وجه بوصولها لكم من سد الانصار الطرق فان اسلمت وسلمت فقد عفوتك وأكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وإن أبيت فلا قدرة لك على نقض ما أراده الله والسلام . ٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٤ م » .

تحشية : وإن طلبت زيادة بعد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة الواصلة اليك وإن رأيت التمكين واليقين ان أردت التسليم اكثر من هذا الجواب

سنرسل لك عبد القادر ولد ام مريوم لزيادة الطمأنينة في الأمان فلا مانع وبهذا
لزمت التحشية .

الكتاب الثاني : « وبعد فان أراد الله سعادتك وقبلت نصحننا ودخلت في
أماننا وضمماننا فهو المطلوب وإن أردت ان تجتمع على الانكليز الذين أخبرنا
رسول الله ﷺ يهلكهم فنوصلك اليهم فالى متى تكذيبنا وقد رأيت ما رأيت
وقد أخبرنا رسول الله ﷺ يهلك من في الخرطوم قريباً إلا من آمن وسلم
ينجيه الله ولذلك أحببت لك ألا نهلك مع الهالكين لأننا قد سمعنا مراراً فيك
الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية والسعادة ما أجبنا بكلام يؤدي الى
خيرك كما نسمعه من الواردين والمترددن والآن ما أيسنا من خيرك وسعادتك
ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب لك آية واحدة من كتاب الله عسى ان
يسر الله هدايتك بها إذ جعلنا الله باب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طالما
كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز فضالتك الكبرى ولئلا تياس من الفضل
الكبير أقول لك قال الله تعالى : « ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً »
والسلام . ٢٠ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٧ يناير سنة ١٨٨٤ م . وقد بلغني في
جوابك الذي ارسلته الينا أنك قلت ان الانكليز يريدون ان يفدوك وخذك
بمشرين الف جنيه ونحن نعلم ان الناس يتقولون من البطال كلاماً كثيراً ليس
فيها وذلك لصدود من أراد الله شقاوته ولا يعلم نفيه الا من اجتمع بنا وانت
إن قبلت نصحننا فيها ونعمت وإلا ان أردت ان تجتمع على الانكليز فبدون
خمس فضة نرسلك اليهم والسلام في تاريخه .
فأجابه غوردون برفض التسليم وطلب اليه ارسال عبد القادر ام مريوم
فكتب المهدي .

الكتاب الثالث : « ... نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل الينا وفهمنا
مضمونه وقد عذرتناك في عدم اذعانك واجابتك لينا بالطاعة كما طلبنا منك
وذلك لأنك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا ودلائبنا الى الله

وشفقتنا على عموم خلق الله حتى من هو مثلك لم يطب قلباً بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسى الله ان يهديك الى سواء السبيل فأجب داعي الله واغتم سلامتك من الشر الويل فقد رأيت ما حل ونزل ولا زلت ترى ولا طاقة لك ولا لأعوانك على حرب جند الله عز وجل وقد ذكرت ان عبد القادر ولد ام مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت ارساله اليك فعلى م ذا ؟ هل انت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور ام انت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فأفدنا على هذا لنعلم طلبك له على أي الوجهين هو ونرسله لك ان رأينا في ذلك صلاحاً للدين وأقول لك ان عزة الاسلام خير لك وأبقى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها ان عقلت والسلام في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ ٨ يناير سنة ١٨٨٥ م .

ولما رأى غوردون اضطراب اهل الخرطوم علق منشوراً في المراكز العسكرية والشوارع العمومية قال فيه : « انه وان تكن حامية ام درمان قد سلمت فهي انما سلمت بأمرى وانا أعطني بعائلاتهم هنا وأجري لهم مرتباتهم كالاول وعن قريب نتقدم من مغالب الأعداء لأنه قد جاءت البشرى بأن الجيش الانكليزي فرق جموعهم في صحراء البيوضة وقتل منهم الوفاً ونزلت مقدمته في المتمة وهي مسرعة لاتخاذنا وبسبب هذه البشرى عفوت عن احمد بك جلاب مدير الخرطوم وعمن اشتركوا معه في مراسلة المهندي وأطلقت سراحهم من السجن » .

وحان ميعاد مرتب الخمسة ايام الثانية من يناير سنة ١٨٨٥ حسبما قرر المجلس العسكري السالف الذكر ولم يكن في الخازن ما يكفي خمسة ايام فعمد غوردون مجلساً برئاسة احمد بك جلاب للبحث عن الذرة في المدينة فلم يجدوا سوى ٣٦ اردباً ثم أمر فجمعت الأبقار والأغنام وثمنت بأثمان باهظة وأعطى اصحابها « رجماً » لتدفع لهم عند رفع الحصار واستشار الأطباء في أكل الصمغ فأقروا على أكله ولما تم جمع الذرة والماشية والصمغ أجرى مرتب الخمسة ايام الثانية من ٦ يناير الى ١٠ منه .

ثم بحث في المجلس عما يجريه للعساكر بعد انقضاء هذه المدة فقرّر الرأي على قطع التخيّل في جنائن الخرطوم وأخذ قلبه وتحفيفه ففعلوا وكلفوا نساء العساكر فطحته وخبزنه وصاروا ينفقون منه على العساكر مع ما بقي من الذرة والصنع .

ثم كانت واقعة ابي طليح في ١٧ يناير كما مرّ قيل فبلغ خبرها المهدي في ٢٠ منه فأمر فأطلقت المدافع مئة طلقة وظلقة وهي علامة النصر وقد أراد بذلك ان يوم انصاره وأهل حامية الخرطوم بأن رجاله انتصروا على الانكليز . ثم وصل المنهزمون من ابي طليح فأخبروا اخوانهم بهول تلك الواقعة والخسائر التي حلت بهم . وتلاهم خبر انكسار النور عنقرة في المتعة ونزول الجيش الانكليزي على النيل فاضطرب المهدي وقومه واشتد النوح والبكاء في غيظه . وصار عساكر الحكومة الذي في أسر المهدي يفرون منه ويدخلون الخرطوم سباحة في النيل حتى بلغ عدد اللاجئين الى الخرطوم ١٢٠٠ رجلاً وقد حدثوا الحامية عن انهزام الدراويش في ابي طليح والمتعة وعن الاضطراب الحاصل في غم المهدي فانتعشوا وأملوا قرب الفرج . وتهلل غوردون فرحاً لهذا الخبر واطمان باله وأعلن رسمياً منح مرتب شهرين مكافأة لجميع العساكر والموظفين الملكية داخل الاستحكام وخارجه وذلك عند تيسر النقود .

وقد أمّل غوردون ان الانكليز بعد هذا النصر الذي ناله لا يلبثون ان يحضروا بالوابورات لتجديته فأصبح في انتظارهم كل ساعة وقلق لتأخرهم عن الميعاد الذي قدره لهم فكنت تراه يقضي أوقاته على سطح السراي والمنظار بيده يوجه الى الشمال لعله يراهم او يرى آثارهم فيرجع خائباً . وكانت أهل الحامية قد نقد منهم القوات الذي جمعوه في المجلس الأخير وشرعوا في أكل الكلاب والخنير والخيّل والبغال وصاروا يطلبون ربع الذرة بمئة ريال نقوداً ومئة جنيه ورق بون فلا يجدونه . وكنت ترى النساء حاملات الذهب في أيديهن وهنّ يطفن في الشوارع طالبات ربع الذرة بأربع اوراق ذهباً فلا يجدونه . وإذا حظى صياد بسمكة في الليل باعها في الصباح بخمسين ريالاً او

تاريخ السيد محمد

أكثر . وظهر تأثير الجوع في العساكر فهزلت أجسامهم واصفرت ألوانهم وغارت عيونهم وأخذ عساكر الشاذلية والسودانية يخرجون الى الدراويش فراراً من الموت جوعاً فشق الأمر جداً على غوردون وزاد ألم انتظاره للانكليز وهو لا يعلم السبب الذي يؤخرهم عنه وحار في الوسطة التي يصبر بها عساكر الحامية الى ان تصلهم النجدة وكان قد قضى مدة ولم يدفع لهم مرتبهم نقوداً فجمع قرضاً من التجار والأعيان والضباط بسندات على نفسه ووزعه على العساكر فأصاب كلا منهم مرتب نصف شهر وأصدر منشوراً قال فيه : «اني سبقت فأنعمت على جميع العساكر والموظفين الملكيين بمرتب ٣ أشهر ثم بمرتب ٦ أشهر ونصف شهر ثم بمرتب شهرين والآن اعود فأثبت انعامي هذا وانا في انتظار الانكليز القادمين لنجدتنا كل يوم بل كل ساعة فكلما تأخروا يوماً حسبته لكم شهراً وجملة ملكة الانكليز ضامنة لقولي هذا » ومع ذلك ظل العساكر يخرجون من الخندق فراراً من الجوع .

قرار المهدي على مهاجمة الانكليز : هذا وكان المهدي من الجهة الثانية لما بلغه خبر ابي طليح عقد مجلساً من خلفائه وخاصة اهل مشورته مثل محمد عبد الكريم والسيد عبد القادر ود ساتي علي واحمد شرفي وكلهم من أقاربه ويعقوب اخي الخليفة عبد الله ومحمد لوبايوي شيخ بني جرار واحمدي كاتب المهدي . حدثني المضيوي عن محمد عبد الكريم قال : اتفق اولاً رأي الأكثرين في هذا المجلس على الهجرة الى كردوفان خشية من الوقوع في قبضة الانكليز فعارضهم محمد عبد الكريم في ذلك وقال : اننا حاصروا اهل الخرطوم حتى صاروا في حيز العدم فاذا تركناهم وبهم بقية حياة وورد عليهم الجيش الانكليزي تقووا وسعوا في اقتفاء اثرنا ومعهم اهل النيل . وايضاً اذا كان غوردون وهو واحد من الانكليز قد اتعبنا كل هذا التعب فكيف يكون حالنا اذا اجتمع على غوردون جيش من ابناء جلسته . فالرأي الأتم هو الهجوم على الخرطوم وأخذها عنوة قبل وصول الانكليز اليها فلم يقبلوا رأيه خوفاً من ان يصيبهم في مهاجمة الخرطوم ما أصابهم في مهاجمة الأبيض . واخبرني الشيخ اسماعيل

كتاب الشوكات

الازهري عن احمدي كاتب المهدي : « ان رأي الهجرة الى كردوفان لم يُشير به احد ولكن عُرض في المجلس رأيان : الاول الزحف على الجيش الانكليزي وصدّه عن الوصول الى الخرطوم مع البقاء على حصرها حتى تضطر الى التسليم جوعاً والثاني مهاجمة الخرطوم وأخذها اولاً ثم الانقلاب على الانكليز . وكان اول من أبدى هذا الرأي محمد نوباوي شيخ بني جرار وقد ضرب لهم مثلاً تأييداً لرأيه قال : اذا طارد صياد صيداً حتى ارمقه ثم عرض له صيد آخر فهل من الرأي ان يترك الصيد الاول الذي ارمقه ويلحق بالثاني الذي لا يزال قوياً ونحن الآن حصرنا الخرطوم حتى أضعفناها فكيف نتركها ونلحق بالانكليز الذين ما زالوا في قوتهم فصدق محمد عبد الكريم هذا الرأي ولكن خالفها الباقون خوف الفشل وقرّر رأي الاكثريين على مهاجمة الانكليز » . فكتب المهدي الجمعة في ٦ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ هـ ٢٣ يناير سنة ١٨٨٤ م كتاباً الى ابي قرجة يأمره بالاستعداد للقاء الانكليز وصدّم عن النزول في الحلال كما فعل بجيش هكس الى ان يصلوا الى ام درمان ومما قاله فيها :

« ... وقد استحسننا مع الخليفة عبدالله والخليفة علي والخليفة محمد شريف وبقية الاصحاب من النواب وغيرهم توجيهك الى الجردة متولياً على من يسير من هنا وهناك تنظرون فيها ان لزم الأمر محاصرتها تحاصرونها كهكس فتحصرونها من التصرف في الحلال حتى تصل اليها او ما تروه فيها فقد يرى الحاضر ما لا يراه الغائب والسلام » .

فرار السنجق عمر ابراهيم : وفيما هم كذلك اذ فرّ اليهم من الخرطوم يوم السبت في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ سنجق من الباشبوزق يقال له عمر بك ود الفقيه ابراهيم الملقب بغرة العينين من اهل الخرطوم وقد أخذ معه راتبه ورواتب عساكر أوردية التي نقده إياها غوردون عن نصف شهر كما مرّ وكان المهدي لا يعلم حقيقة الحالة في الخرطوم اذ جميع الذين فرّوا اليه قبل هذا الرجل كانوا من ضعفاء الناس وليس لهم اطلاع على ماجريّات الأحوال فأخبره عمر المذكور بحال الخرطوم على التام ودله على مواطن الضعف فيها .

نقطة الضعف في خندق الخرطوم : وقد تقدم ان خندق الخرطوم يمتد من النيل الازرق الى النيل الابيض إلا انه لم يكن يتصل بالنيل الابيض إلا في زمن ارتفاعه فاذا انخفض انحسر عن ثغرة يُدخل منها الى الخرطوم بسهولة وكانت الثغرة التي انحسر عنها النيل الى ذلك العهد (٢٤ يناير) نحو ١٥٠٠ متر فمدّ العساكر الخندق فيها رويداً متبعين النيل مسافة الف متر وبقي ٥٠٠ متر بين الخندق والنيل كان الماء فيها ضعلاً ولا يمكن نزحه وحفر الخندق إلا بقوة جسيمة والعساكر في هذا العهد لا يقدرّون على حمل انفسهم فضلاً عن حفر خندق مثل هذا ولم يعطوا جراية منذ ١١ يناير فكانوا يقتاتون ما يحدونه من الحيوان والنبات داخل المدينة وغاية ما استطاعه غوردون لأجل سد هذا الخلل في الخندق انه وضع عقبين (مركبين) في النيل وجعل في كل منها ضابطاً و ٢٥ عسكرياً .

ترتيب العساكر على خط النار : وكان لخط النار كما علمت ثلاثة ابواب : باب الكلاكلة تجاه حلة الكلاكلة قرب النيل الابيض وباب برّي تجاه حلة برّي قرب النيل الازرق وباب المسلية في الوسط . وكان عليه خمس اورط من العساكر النظامية اورطتان مصريتان وثلاث اورط سودانية ومعه ٢٥ اوردياً من الباشبوزق الشايقية والأتراك والمتطوعة موضوعة على الترتيب الآتي مبتدئاً من جهة النيل الابيض :

اورطة مصرية فيها ٣٢٠ رجلاً فقط بقيادة يوسف افندي عفت . يليها عشرة ارادي باشبوزق بملاحظة القائمقام عثمان بك حشمت يمتدون الى باب الكلاكلة . ويليهم الاورطة الثانية المصرية وعليها القائمقام فرج بك صالح بدلاً من السيد بك امين الذي جرح في برّي . ثم ثلاثة ارادي باشبوزق شايقية . يليهم اورطة سودانية بقيادة البكبائي علي افندي صقر . ثم تسعة ارادي باشبوزق بملاحظة القائمقام سرور بك بهجت . ثم الاورطة الثانية السودانية وعليها البكبائي محمد افندي عثمان . ثم اورديان باشبوزق بملاحظة احمد افندي

حماية ثم الاورطة الثالثة السودانية وتمتد الى النيل الازرق وعليها البكباشي محمد افندي دسوقي .

وقد جعل خط النار كله قسمين : قسم اليمين ويمتد من النيل الابيض الى باب الكلاكلة وعليه الميرالي حسن بك البهلساوي قومنداناً وقسم الشمال وعليه بجيت بك بطراكي قومنداناً . والكل بقيادة القومندان العام الفريق فرج الله الزني .

قرار المهدي على مهاجمة الخرطوم : فدل السنجق المذكور المهدي على هذا الترتيب وعدد المساكر وشدة الحال التي صاروا اليها كما دله على نقطة الضعف في خط النار فجمع مجلس شورا (السبت) وأخبرهم بما أتاه عمر المذكور فأجمعوا كلهم على مهاجمة الخرطوم . قيل وفي يوم الاحد (٢٥ يناير) أتى هجان من التمة وأخبر المهدي ان الواورات خرجت من القبة في فجر ٢٤ يناير قاصدة الخرطوم فأقر المهدي اذ ذاك على مهاجمة الخرطوم في الحال . وفي المساء (ليلة الاثنين) اجتاز النيل على المراكب ومعه خلفاؤه من أراد الجهاد من اصحابه في ابي سعد ونزل بالقرب من معسكر النجومي عند شجرة عو بك وأمر جميع اصحابه فحضروا بين يديه وكان النجومي قد أرسل يطلب عبد الله ود جبارة وأبا بكر ولد عامر بن معها من الانصار المحاصرين بحجة الشرق فحضروا ايضاً واجتمعوا كلهم حول المهدي في شكل نصف دائرة وهو في الوسط فقال لهم ان سيد الوجود امرني بمهاجمة الخرطوم في فجر غد الاثنين فهل انتم مستعدون لاقتحام الخندق وعدم المبالاة بما سيكون قالوا كلهم نعم ثم قال هل انتم طالبون الجهاد في سبيل الله بنية صادقة وقلوب سليمة قالوا نعم فقال وهل تثبتون فيه ولو مات منكم الثلثان قالوا نعم فرفع يديه اذ ذاك الى السماء فرفع الجميع أيديهم وقرأوا الفاتحة ثم استل سيفه وضرب به الهواء ثلاث مرات وهو يقول الله أكبر ثم قال هيا هيا على الخرطوم . ثم أرسل أوامره الى جماعة الشيخ العبيد في الشرق بمهاجمة سراي الشرق وجزيرة

توفي في الوقت الذي يهاجم النجومي فيه الخرطوم وعاد هو وخلفاؤه الى ابي سعد فوصلها في بقية ليلته المذكورة .

استعداد غوردون الاخير : وكان غوردون يقضي أكثر أوقاته على سطح السراي ويبيده النظارة يرقب حركات الدراويش المحاصرين من الشرق والغرب والجنوب كما يرقب مجيء الانكليز لنجدته من الشمال . وفي مساء الاحد بينما كان ينظر الى جهة ابي سعد رأى الدراويش يختازون منها الى الجزيرة ويجمعون عند شجرة عو بك بالقرب من معسكر النجومي . فعلم ان الدراويش قد أقرروا على مهاجمة الخندق قريباً فأعلن تلغرافياً الى جميع القومندانات على خط النار ما عول عليه الدراويش وأمرهم بالتيقظ وأخذ الأهبة لأنفسهم والاستعداد للدفاع ثم قال ان الجنود الانكليزية لا بد ان تكون هنا قبل ظهر الغد فاذا ثبتم الى ذلك الحين نجوتم لا محالة . ثم جمع الموظفين الملكيين وأعيان المدينة وكل من له قدرة على حمل السلاح وأرسلهم الى خط النار لمساعدة المساكر على الدفاع .

مقوط الخرطوم الاثنين ٩ ربيع الثاني

سنة ١٣٠٢ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ م

هذا ما كان من غوردون وأما النجومي ومن معه من الجيوش فانهم باتوا تلك الليلة بين مهلل ومكبر ومصل . وقبل طلوع الفجر بساعة زحفوا على الخرطوم وقد انقسموا فرقتين يمين وشمال فقاد النجومي فرقة الشمال وهي الفرقة الكبرى وهاجم قسم اليمين من خط النار جهة البحر الابيض وقاد ابو قرجة فرقة اليمين وهاجم قسم الشمال من خط النار جهة البحر الازرق وقد جعلت كل فرقة منها رجال الاسلحة النارية في مقدمتها فانتشروا أمام خط النار بصفة شرخجية وأبقوا الطويحية في الطوايي . وقبيل الفجر فتحوا أفواء البنادق والمدافع على خط النار فنهض المساكر اذ ذاك ووجهوا نيرانهم الى طوايي الدراويش وشرخجيتهم

ووالوا عليهم رمي الرصاص والقنابل ولم يكن لهم علم بالمهاجرين من الجناحين فدخل عربان النجومي من الثغرة التي دلم عليها عمر الفقيه وأعملوا السيف والحربة في الاورطة الاولى حتى قتلوا معظمها وفيهم قومندانها يوسف بك عفت والتجأ من بقي الى المركبين في النيل الابيض وعبروا النيل الى ام درمان . وأما ارادي الباشبوزق العشرة التي تلي هذه الاورطة فان اكثر عساكرها تركوا الخط فدخلوا المدينة او نجوا الى الصحراء وثبت الباقون فحاربوا الى ان قتلوا وفيهم من السناجق علي آغا وانلي ومتو بك وعبدالهادي آغا وعمد بك كرسي وعمد بك قرصية ونصر بك . وأما عثمان بن حشمت قومندان الارادي المذكورة فانه كان في جملة من دخلوا المدينة فقتل بعد حين في منزله . ثم انقلب الدراويش على الاورطة الثانية المصرية فنظم ضباطها العساكر ثلاث قلمعات وحاربوا الى ان قتلوا . وأما قومندانها فرج بك صالح فانه جاهد قدر المستطاع ثم نجا الى الصحراء . ودخل بعض أنذال الدراويش على السيد بك امين وهو على فراشه في غرفة قرب اورطته فطعنوه بالحرايب وتركوه يخبط بدمائه ولطول أجله لم يموت . وأما حسن بك البهناوي قومندان قسم اليمين كله فانه كان واقفاً بطابية باب الكلاكلة فلما رأى ما حل بالعساكر خلع ثيابه العسكرية وتعدى الخندق الى جهة الصحراء فوقع أسيراً . وبعد ان أجهز الدراويش على عساكر قسم اليمين انقلبوا على قسم الشمال وكان في أوله ٣ ارادي باشبوزق كما مر فدخل بعضهم المدينة وثبت البعض الآخر فحاربوا الى ان قتلوا وفيهم من السناجق محمد بك السنجق وبشير بن خشم الموس بك ومحمد علي بن نعمان . ثم زحف الدراويش على الاورطة السودانية الاولى فقتلوا قومندانها علي افندي صقر ومعظم ضباطها . ثم انقضوا على الارادي التسعة الباشبوزق بقيادة سرور بك بهجت فمنهم من حارب وقتل ومنهم من فر . وأما فرج باشا الزيني قومندان «عساكر العام» فانه لما رأى انكسار العساكر خلع ثيابه العسكرية وفتح باب المسلية وخرج منه فاراً الى الصحراء ومعه سرور بك بهجت . وزحف الدراويش على الاورطة الثانية السودانية بقيادة البكباشي محمد افندي

عثمان فثبت أمامهم وحاربهم حتى قُتل هو ومعظم الضباط والعساكر وخرج من سلم من باب المسلية الى الصحراء..

ثم لما فتح باب المسلية دخل منه كثير من الدراويش المهاجرين وزحفوا على الباقي من عساكر قسم الشمال في جهة بري وهم الاورطة الثالثة السودانية وار رديان من الباشبوزق ومعهم بجيت بك بطراكي قومندان قسم الشمال العام واذا شب القتال بين الفريقين . وفي أثناء ذلك دخل ابو قرجة يحيوشه من باب بري فهاجموا بجيت بك من الورا وحصلوه في الوسط وبقي يقاتلهم الى ان قتل حمة الله عليه وقُتل معه اكثر الضباط والاعيان الملكية وفيهم محمد بك ابراهيم . ابو بكر الجركوك وعصمت بك رئيس التلغرافات ومحمد بك القباني قومندان عموم الطويحية . وأما حسن بك القباني واحمد بك ابو القاسم فانها نزلا في صندل مع نفر من العساكر . وفر البكبائي احمد حاية مع بعض الضباط الى جهة الصحراء .

هذا وكان الدراويش الذين نكلوا بقسم اليمين من خط النار أي بحية النيل الابيض قد انقلبوا على البلد فأدركوا الكثير من الفارين اليها في الطريق فقتلهم ودخلوا المدينة فوجدوا الكثير من أهلها قد أقفلوا ابواب منازلهم تخلصاً من القتل فكسروا الابواب ودخلوا المنازل وقتلوا من وجدوه فيها أشنع قتلة وأخذوا اموالهم وسبوا حريمهم وفي جملة هؤلاء موسى باشا شوقي مدير الخرطوم والمفتي شاكِر وابنه وعثمان بك حشمت المار ذكرهم . ذلك مع اشتغال كثير من الدراويش بالنهب والسلب وارتكاب الفظائع والموبقات فعلا الصراخ والمويل في المدينة وكان هول تلك الساعة عظيماً .

قتل غوردون : قيل وكان اول من اخترق خط النار ودخل الخرطوم محمد نوباوي شيخ بني جرار المار ذكره فأخذ فصيلة من عربانه وقصد سراي الخرطوم طالباً غوردون وكان غوردون قد صعد على سطح السراي من قبل الفجر لمشاهدة القتال ولم يكن معه في السراي سوى خادمه محمد ادريس وثلاثة من القواصة وعلى باب السراي ضابط وبعض الحفراء فلما أقبل العرب مهاجرين

السراي تلقاهم الخفراء بالرصاص فقتلوا منهم ٦ رجال ولكن العرب تغلبوا عليهم لكثرتهم فقتلهم عن آخرهم وصعد جماعة في سلم السراي وفي مقدمتهم محمد نوباوي فوجدوا غوردون واقفاً عند رأس السلم بثيابه العسكرية والسيف عن جنبه فقال لهم : « أين محمد احمد ؟ » فأجابوه بالطمع بالحراب وكان اول من طمنه محمد نوباوي وقبل ان قاضت روحه مسكوه برجله وجروه على السلم بقسوة بربرية الى اسفل السراي ثم قطعوا رأسه وحلوه الى المهدي في ابي سعد. وقد شاع ان المهدي أوصى قومه ألا يقتلوا غوردون بل يأتوه به حياً ليفتدي به عراي باشا ولكن هذه الاشاعة لم يذكرها ثقة من محاصري الخرطوم وليس في كتب المهدي ما يصدقها او يشير اليها . حدثني ثقة قال : اني ذهبت مع ابي عنجة الى سراي الخرطوم توأ بعد قتل غوردون فوجدنا جثة غوردون ملقاة في اسفل السلم عارية بلا رأس وهي مضرجة بالدماء مشخنة بالجراح ثم صعدنا في سلم السراي الى الدور العلوي فوجدنا في الغرفة ثلاثة قتلى ودخلنا غرفة الطعام وهي غرفة مكتبة الخاض قرأنا على المائدة صحناً فيه بيض مقلي ويحانه علبه لحم صغيرة في وسطها شوكة والى جانبها ملقعة صغيرة وصحن آخر فيه قطعة من السكر ثم دخلنا غرفة النوم فوجدنا الكيلة مدلاة على السرير والمرات وصناديق الثياب الجلدية على حالها . قال محدثي اني لا أشك في ان محمد نوباوي شيخ بني جرار هو قاتل غوردون وقد قطع رأسه وأخذه الى النجومي فأرسله النجومي الى الخليفة شريف فأتى به الى المهدي فأرسله المهدي الى سلاطين باشا وهو في السجن مقيد بالحديد ليتحقق انه رأس غوردون ثم علقه في المشنقة ثلاثة ايام .

هذه نهاية تلك الرواية المزعومة التي مثلها ذلك البطل العظيم في حصار الخرطوم فمثل فيها الشهامة وانكار النفس وحسب الانسانية أحسن تمثيل وسيدقى ذكره في التاريخ موضوع التجربة والاعتبار ما بقيت الخرطوم وذكر حصار .

سقوط باقي نقاط الحصار : أما طابية القرن فان قومندانها الصاغ ابراهيم

الشيخ لما رأى انتشار الدراويش في المدينة كلها وان لا فائدة في المقاومة رفع العلم الابيض علامة للتبليغ ولكن الدراويش لم يبالوا بالعلم الابيض بل دخلوا الطابية وقتلوه هو ومن معه. وفي الوقت الذي هجم فيه النجومي على الخرطوم هاجم رجال الشيخ العبيد سراي الشرق ونقطة جزيرة توتي عملاً بأمر المهدي وكان قومندان النقطين عبد الله بك العبد في سراي الشرق فدافع دفاع الابطال ولكن تكاثر العرب عليه فقتلوه هو ومعظم رجاله وأخذوا النقطين منه عنوة .

واستمر القتل في اهل الخرطوم من لدن طلوع الفجر الى قرب الضحى حتى امتلأت الطرق من جثث القتلى قيل وكان جملة من قتل من اهل الخرطوم نحو ٣٥ الف نسمة وأما الدراويش فلم يقتل منهم إلا القليل . وقد أوقف القتل في اهل الخرطوم بأمر المهدي قيل لما أخذوا له رأس غوردون وأخبروه بما كان لهم من النصر على الحامية أمر اصحابه فكفوا عن القتل وذلك في الساعة الخامسة صباحاً عربياً .

الغنائم والاسرى : ثم صدر الأمر الى الامراء يجمع الاسرى والغنائم في ديم النجومي خارج الخندق فطافوا المدينة ودخلوا المنازل منزلاً منزلاً فساقوا من وجدوه فيها من الناس اسرى وأخذوا أموالهم غنيمة وكان ابراهيم باشا فوزي المحافظ في جملة هؤلاء . وقد عذبوا كل من ظنوا به انه أخفى أمواله حتى أظهرها . ثم أوقفوا الخفراء من النساء والرجال في ابواب الخندق الثلاثة ففتشوا الاسرى وهم خارجون وجردوهم من كل ثياب و تركوهم عراة الرؤوس حفاة الأقدام وجعلوا الكل في مكان واحد في المراء وجعلوهم قسمين أحراراً وأزقاء أما الأرقاء فقد أرسلوهم مع الغنائم الى بيت المال وأما الأحرار فقد جعلوهم ايضاً قسمين النساء والرجال ففرزوا الابكار والحسان من النساء وأرسلوهم الى المهدي فاختار منهم عشرين وأرسل الباقيات الى الخلفاء فانتقى كل منهم من حسنت لديه ووزعوا الباقيات على الامراء الأكبر فالأكبر وأما غير الحسان من النساء والمجائز فقد تركوهم وشأنهم . وأما الرجال فعند

فرزم وجدوا بينهم فرج باشا الزيني وسرور بك بهجت وحسن بك البهلساوي فأدخلوهم المدينة أولاً أمروهم ان يسلموا أموالهم فسلموها بعد تهديدهم بالضرب ثم عقد المهدي مجلساً مع الخليفة عبد الله واحمد ود سليمان امين بيت المال في شأنهم فأقروا على قتل فرج باشا الزيني وسرور بك بهجت ورمي جثتيهما على تربيقي السعيد باشا وحسن باشا ابراهيم اللذين قتلا لحياتهما في واقعة الحلفاية كما مرّ وأنفذ القرار فيها وأما حسن بك البهلساوي فقد أطلق سبيله ولكنه جرد من نسائه وقد اتخذ المهدي ابنته زوجة له وترك باقي الأسرى بلا قوت حتى مات بعضهم من الجوع فرفعوا أمرهم الى المهدي فأمر الحاج خالد المعمراني الذي سمي أميراً على الخرطوم فحصر أسماءهم في كشف و سلمه الى امين بيت المال فأجرى لكل منهم نصف غرض في اليوم وبقي على ذلك مدة يسيرة ثم تركهم وشأنهم فاشتد الحال عليهم حتى كان الموظف الكبير او الضابط يضطر ان يخدم في السوق او ينقل الماء من النيل ليلقى لقمة او حفنة من الذرة يسد بها رمقه فرفعوا شكواهم الى المهدي ثانية فوزعهم على الرايات وجعل لكل منهم ربيع ريال في الاسبوع .

هذا ما كان من جهة الأسرى وأما الفنائم فقد جمع منها شيء كثير من الأسلحة والذخائر والنقود والأمتعة ما عدا المراكب والوابورات وكان الباقي في الخرطوم من الوابورات اذ ذاك : المنصورة والفاشر والاسماعيلية وشبين والمسلمية ومحمد علي .

وعلم المهدي ان بعض أصحابه أخفوا من الفنائم فأصدر اليهم منشوراً شديد اللهجة يحذرهم من الغلول في الفنائم وردّ جميع ما أخفوه الى بيت المال . وكتب الى عماله يخبرهم بفتح الخرطوم وهذا ما كتبه الى محمد زقل عامل دارفور بعد البسمة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله وعامله وابن عمه محمد خالد تولاه الله بلطفه وحرسه بعين عنايته آمين منا لكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم اعرف الحبيب انه بمقتضى وعد الله الوفي ولطفه

الحقيقي قد صار فتوح مدينة الخرطوم بعون الله الحي القيوم وذلك بيوم الاثنين الموافق ٩ ربيع آخر سنة تاريخه بعد انفلاق الصبح بواسطة أنصار الدين فقد استعدوا واقتحموا الخندق توكلًا على رب العالمين فلم يكن قدر ربع ساعة أو أقل إلا وحلّ بأعداء الله ماحلّ من قطع دابرهم عن آخرهم مع شدة استعدادهم وفي أول الصدمة ولوا الأدبار منهزمين بين يدي جند الله الأنصار ظانين السلامة بدخولهم الحيشان واغلاق أبوابها فاتبعوهم ضرباً بالسيوف وطعنًا بالرماح حتى كثر الصياح واشتد الأذنين وجندلوهم في الحين ثم استحصلوا على الباقيين الذين أغلقوا الأبواب خشية من نزول العذاب فأخذوا وقتلوا تقتيلاً ولم تبقَ لهم بقية إلا القليل والموالي والذرية. وأما عدو الله الغوردون فعلى قدر ما أنذره ولاطفناه بأن يرجع وينتدب إلى الله فلم يكن ليفعل ذلك لنبوق شقاوته وزيادة غباوته حتى بلغ أجله منتهاه وحصد بالندامة ما زرعه من خطايا وأسكنه الله دار غضبه التي ساءت مستقرًا ومقامًا فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فويل لمن كانت النار جزاءه وهنيئًا لمن كانت الجنة مسكنه وماواه جعلنا الله وإياكم من الفائزين برضائه الأكبر وعظيم خيره المستقر وقد فاز بالشهادة عشرة من أصحابنا في هذا الفتوح ولم يصب الباقيين شيء من جراح أو نكبة وذلك الفضل من الله وما النصر إلا من عند الله وقد سجدنا شكرًا لله على نصرة الدين فافعلوا أنتم كذلك والسلام ١٢ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ هـ ٢٩ يناير ١٨٨٥ م ٠٠

الفصل التاسع عشر

عود إلى

تاريخ الحملة الانكليزية سنة ١٨٨٥ م

المر تشارلس ولسن وكشف حال الخرطوم : ولنرجع الآن الى السر تشارلس ولسن الذي تقدم انه سار بوابوري بوردين وتل حوين من القبة في صبح ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ لكشف حال الخرطوم فانه ما زال سائراً بلا معارض حتى وصل ود حبشي في رأس شلال السبلوكة . فتلقاه الفقيه مصطفى الأمين بالقنابل والرصاص وكان قد أرسله المهدي نجدة الى النور عنقرة ومقاومة الواويرات فأقام في ود حبشي وبني طابية فرماه السر تشارلس ولسن ببعض القنابل ومروقه منه مروق السهم وذلك عصر ٢٥ يناير . وفي صباح ٢٦ يناير وهي ساعة سقوط الخرطوم ارتطم وابور بوردين في صخرة فعلق بها فأفرغ شعثه وأخرج منها ثم لم يسر إلا قليلاً حتى غرز في رملة فأخرج منها فكانت عاقته في الحادثين ٢٤ ساعة . وفي عصر ٢٧ يناير وصل شمالي الثمانيات فرماه الأهلون بالرصاص وسمع رجلاً ينادي « الخرطوم سقطت والغوردون مات » فلم يصدقه وسار حتى أتى الثمانيات فقطع الحطب وقوداً للوابورين وبات فيها ليلته الى فجر ٢٨ يناير فاستطرد السير جنوباً الى الساعة ١١ من الصباح فأطل على

الخرطوم وهو اذ ذاك شمالي الحلفاية في النقطة التي طالما وجه غوردون نظره اليها ليرى تباشير النجدة وهناك سمع ايضاً رجلاً ينادي : « الخرطوم سقطت والغوردون مات » .

وكان خبر الواورين قد وصل المهدي فأصدر أمره الى أمرائه في الشرق والغرب والخرطوم بالاستعداد لصدّ ما فأقام اهل الشرق خطاً في الحلفاية وآخر في جزيرة توتي وتحصن ابو عنجة في طابية ام درمان بالغرب والنجومي في طابية المهرن بالخرطوم لما اقترب السر تشارلس ولسن بالواورين من الحلفاية حتى ابتدره اهلها بالقنابل والرصاص فلم يبال بها وتقدم نحو الخرطوم حتى اقترب من المهرن فانهاالت عليه القنابل والرصاص من جزيرة توتي وطابية ام درمان وطابية المهرن فتيقن اذ ذاك ان الخرطوم قد سقطت ففعل راجعاً نحو المتعة وما لحجا من الخطر حتى العصر . قيل وقد أشغل الواورين بال المهدي جداً فصاروا بالنصر على الخرطوم ولا هداً له بال حتى رأها عائدين عن الخرطوم . حدثني السيد اسماعيل الازهري قال : « ان المهدي عند سماعه بخبر الواورين أرسل الطلائع لمرافقتها وموافاته بأخبارها تبعاً الى ابي سعد فلما قربا من الخرطوم صاح الخليفة عبد الله بقومه وسار بهم الى ام درمان فضم جميع الاسلحة النارية الى أبي عنجة في طابية ام درمان وأرسل الى النجومي واهل الشرق بالتبقيط وبذل الجهود في مقاومة الواورين . أما المهدي فانه صلى الظهر جماعة في مسجده بأبي سعد ثم رفع يديه نحو السماء وبكى وقال « اللهم يا قوي يا عزيز انصرتا على الترك وأعوانهم الشايقة والانكليز » ثلاث مرات ثم خرج فركب جواداً وأردف خلفه الشيخ ود ارباب من مشايخ الدين بالخرطوم لأنه كان عاجزاً هرمّاً وسار حتى أتى شجرة بين ابي سعد وام درمان فنزل تحتها فسميت بشجرة الحضرة قيل لأن قد هبطت عليه هناك « حضرة » . وعند نزوله ناوله احمد ود سليمان امين بيت المال سيفاً فاستله فوجد مكتوباً عليه بماء الذهب هذه الآية « نصر من الله وفتح قريب » فاستبشر بذلك فجمع بعض الحضور أحرف الآية بالجميل فوجدها ١٣٠٢ وهي السنة التي كانوا

كتاب الشوكات

فيها فزاد استبشاراً وبقي تحت الشجرة الى ان رجع الوابوران فرجع الى ابي سعد فرحاً ملثراً الصدر .

هذا ما كان من المهدي وأنصاره أما السر تشارلس ولسن فكل قارىء يعلم مقدار الاسف الذي تولاه وهو راجع الى قومه بخبر سقوط الخرطوم الذي ذهب بأتماب الحملة أدراج الرياح وأقل ما يتمناه القارىء له الزجوع الى قومه بالامان والراحة ولكنه ما وصل جبل الرويان عند قدم شلال السبلوكة حتى ارتطم وابور تل حوين في صخرة ففرق قيل ان ربانه اتفق مع عبد الحميد بك احد ضباط الشايقية ففرقاه عمداً وقد فرّ الى المهدي تراً بعد غرقه وذلك في عصر ٢٩ يناير . وفي المساء أتى رسول بكتاب من المهدي الى الانكليز والشايقية الذين على الوابورين يخبرهم بسقوط الخرطوم وموت غوردون ويسألهم التسليم فأجابه خشم الموس بك مخادعاً له « اذا ضمنت لنا السلامة نسلم للفقير مصطفى الامين في ود حبشي » . ونقل السر تشارلس ولسن أمتعة تل حوين ورجاله الى وابور بوردين وسار حتى أتى جزيرة مرفات على ٣ أميال جنوبي ود حبشي فارتطم في صخرة تحت الماء ففرق وذلك في ٣١ يناير فانزل السر تشارلس ولسن رجاله وأمتعته الى البر الشرقي وأرسل اللفتفت ستيورت ورتلي في قارب الوابور الى القبة يطلب النجدة فلما مرّ بود حبشي رماه الدراويش بالرصاص والقنابل فلم يصيبوه بضرر وبقي مجدداً السير حتى وصل القبة الساعة ثلاثة من صباح ١ فبراير فأخبر قومه بسقوط الخرطوم ونكبة السر تشارلس ولسن .

وكان اللورد تشارلس بارسفورد قد تعافى من مرضه فأخذ بعض العساكر في وابور الصافية وأمرع لنجدة السر تشارلس ولسن فلما قرب من ود حبشي بادره الدراويش بالقنابل وقد اضطر ان يسير على ٧٠ يرداً من الشاطئ لقلّة ماء النيل اذ ذاك فأصابته قنبلة قزان الوابور فمطلته فرسى به في البر الشرقي على ٥٠٠ يرد من ظابية العدو ليصلحه ومع ذلك فان مدافعه وينادقه لم تكف عن العمل فأبلى بالدراويش وقتل قائدهم احمد ود فنته . وكان السر تشارلس

تأريخ السوكان

ولسن قد شحن أمتعته في فخر وجره بإزاء الشاطيء وسار هو ورجاله في البر محاذياً له حتى وصل الى حيث اللورد تشارلس بارسفورد فشاركه في محاربة الدراويش الى ان أصلح القزان فنزل هو ورجاله وأمتعته في الوابور وقفلوا كلهم راجعين الى القبة فوصلوها مساء ٤ فبراير .

هذا وقد وجه فريق من الانكليز اللوم على السر تشارلس ولسن لعاقته في القبة وألقوا عليه تبعة سقوط الخرطوم فقالوا لو انه أسرع لنجدة الخرطوم حال التقائه الوابورات في المتمة أي صباح ٢١ يناير لأدرك الخرطوم قبل السقوط ومنع سقوطها. فدافع السر تشارلس ولسن عن نفسه بكتاب خاص نشره بين قومه وانتصر له جماعة منهم فقالوا ان أحوال المتمة وسلامة جيش القبة قضت عليه بهذه « العاقبة » وايضاً فان المهدي لم يتأخر عن مهاجمة الخرطوم إلا مصابرة لها ليضطرها الى التسليم جوعاً . ويكفي نفسه الخسائر ما أمكن ولكنه كان يرقب حركات الانكليز والوابورات وهو مصمم على مهاجمة الخرطوم حال علمه بتحرك النجدة اليها وقالوا بل لو وصل الوابوران الخرطوم قبل مهاجمة المهدي لها ما امتنع عن مهاجمتها ولا أمكن الحامية حيثئذ صده عنها فسقوطها بعد الضعف الذي صارت اليه من قبل وصول الجيش الى القبة كان أمراً محتوماً سواء حضر الوابوران لنجدها في الحال او تأخرا . ولكل من الفريقين أدلة كثيرة يؤيد فيها رأيه . على ان المسألة الهامة في هذا البحث هي هذه : أكان تأخر السر تشارلس ولسن في القبة بما تستلزمه القواعد الحربية أم كان في امكانه السفر الى الخرطوم حال التقائه الوابورات لأننا قد رأينا ان المهدي لم يقر على مهاجمة الخرطوم بل أحجم عنها خوف الفشل حتى فر الى ذلك السنجق الشقي ودله على مواطن الضعف فيها وهو ان عليه أمر افتتاحها فلو أمكن السر تشارلس ولسن لنجدها حين التقائه الوابورات (أي صباح ٢١ يناير لوصلها قبل فرار السنجق منها) (٢٤ يناير) ومنع مهاجمة المهدي لها . ثم لو وصل الوابوران بالزاد الى الخرطوم لأنعاش حاميتها أي انعاش وزاد خوف المهدي من مهاجمتها . حتى لو صح انه كان يهاجمها بعد

وصولها لاحتمل انه كان 'يصد' عنها . وعليه فالتأخر عن مجدة الخرطوم الى ما بعد ٢٤ يناير موجب للأسف الشديد مهما كانت الأسباب .

تغيير صبغة الحملة : ولنرجع الآن الى ذكر الوقائع فان قومندان القبة لما علم بسقوط الخرطوم من اللفتلت ستيورت ورتلي في ١ فبراير كما مرّ أرسل الخبر مع ضابط خاص الى اللورد ولسلي في كورتي فوصل في ٤ فبراير ووقع على اللورد ولسلي كصاعقة فأبلغه في الحال لتلغرافياً الى حكومته ببلاد الانكليز وتبودلت بينه وبينها التلغرافات بشأن السياسة التي يجب اتباعها بعد الآن فأجابته في ٦ فبراير : أما الغرض الذي ترمي اليه الآن فهو سلامة غوردون ان كان لم يزل حياً ومنع تقدم المهدي الى البلاد التي لا تشغلها الثورة ، فأجابه بأنه سيبدل جهده في خلاص غوردون ان كان باقياً حياً وسألها التصريح له بالسياسة التي تريد اتخاذها بشأن السودان عموماً . فجاءه الجواب مساء ٧ فبراير : بأن غاية الحكومة الآن سحق المهدي واخماد ثورته وانها تعتمد عليه في جميع التدابير العسكرية التي توصله الى هذه الغاية . فأقرّ اذ ذاك على فتح بربر قبل حلول الصيف وبعث في ٨ فبراير يشكر لحكومته التصريح بسياستها ويسألها ارسال الجند الى سواكن لسحق عثمان دقنة ومدّة سكة حديد منها الى بربر حتى متى جاء الخريف التالي ضمّ قوة سواكن الى قوة بربر وسار بالقوتين لسحق المهدي في ام درمان . وفي ٩ فبراير وصل السر تشارلس ولسن نفسه الى كورتي وأخبر اللورد ولسلي بتفاصيل سفرته الى الخرطوم فأبلغها هذا الى حكومته .

عود الى جيش الصحراء : هذا وكان اللورد ولسلي لما بلغه جرح الجنرال ستيورت في واقعة المتعة أرسل الجنرال 'بلر' رئيس اركان حرب ليقود جيش الصحراء وسمى الجنرال وود سردار الجيش المصري رئيس اركان حرب مكانه . فخرج الجنرال 'بلر' من كورتي في ٢٩ يناير فاصداً القبة . وفي صباح اليوم التالي سيّر اللورد ولسلي اورطة انكليزية مدداً له . وصدر لي الأمر من رئاسة

قلم المحاربات بالذهاب الى الجكدول مع شيخ من مشايخ الدين بدققة بقصد مكاتبة عربان الصحراء وتثبيتهم على الولاة فسرنا مع هذه الاورطة . وفي الطريق بلغنا خبر سقوط الخرطوم المشوم فكتبنا في الجكدول الى ابن عاد جيش الصحراء الى كورتي فعدنا معه .

وأما الجنرال بلر فقد علم بسقوط الخرطوم في الجكدول فتأخر فيها بضعة ايام بأمر اللورد ولسلي ثم استطرد السير الى القبة فوصلها في ١١ فبراير . وكان اللورد تشارلس بارسفورد وهو أقدم ضابط في جيش الصحراء قد كتب انذاراً الى أعيان النيل وسكانه أجمعين بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ هذا نصه :

« نكتب اليكم هذا الانذار كي لا يفوتكم العلم أننا نحن القسم الاول من الجيش الانكليزية الزاحقة على الخرطوم لمعاقبة العصاة الأشقياء فاذا أتيتم النينا مسلمين خاضعين قبلناكم وأملنا بكم ودفعنا لكم أثمان ما نأخذ من مواشيكم ومحصولاتكم لكن اذا رأينا منكم ما دل على اصراركم على عدم التسليم غاملناكم معاملة الأعداء وسلبنا جميع مواشيكم وأحرقنا منازلكم وسواقيتكم وكل ما ملكته أيديكم أما أنتم انفسكم فتلاقون ما لاقى الذين تجرأوا على قتالنا في ابي طليح والتمتة . ومن أراد المجيء منكم الى الجنرال الانكليزي للفاوضة معه بشأن من الشؤون فليأت حاملاً راية بيضاء ماشياً وحده على شاطئ النيل فيدخل بلا معارضة ويحمي من كل خطر والسلام ، فلم يجبه احد . وفي مساء ذلك اليوم جاء خبر فتح الخرطوم الى اهل التمتة فضربوا نقايرهم وزادوا جرأة على عساكر القبة . وأما العساكر فقد شق عليهم هذا الخبر وكانوا قد تعبوا لكثرة ما قاسوه من المشاق والحروب ولم يكن عندهم يوم وصول الجنرال بلر اليهم سوى مؤونة ١٢ يوماً وكان الزاد يأتيهم من الجكدول على جمال قد تلف اكثرها وانهاك باقيها التمت والجوع . هذا وكان المهدي بعد ان عاد الوابوران عن الخرطوم قد اصدر امره للنجومي فحشد جيشه في كبري وزحف في ٨ فبراير قاصداً الانكليز في القبة وكان في التمتة نحو ٢٠٠٠ من الدراويش ومعهم مدفعان ومن الف الى الف وخمسة بندقية . فلهذه الاسباب

كلها رأى الجنرال بلر وجوب اخلاء القبة والعودة الى ابي طليح فكتب في ذلك الى اللورد ولسلي ثاني يوم وصوله (١٢ فبراير) وشرع فعلاً في تنفيذ رأيه . وكان اللورد ولسلي لما آتاه تلفراف حكومته في ٧ فبراير مصرحاً له بعمليتها على سحق المهدي وأقر على فتح بربر قد أرسل امراً الى الجنرال بلر في ١٠ فبراير ليفتح المتمة عنوة ويتقدم الى بربر فيتحد مع جيش النيل على فتحها فوصله الامر في ١٣ فبراير أي بعد شروعه في اخلاء القبة فلم يكف عن اخلائها بل أعاد اللورد ولسلي الاسباب التي حملته على الاخلاء . وفي ذلك اليوم أرسل جميع الجرحى والمرضى وفيهم الجنرال ستورت الى الجكدول . وفي فجر اليوم التالي ١٤ فبراير لحق بهم بنفسه مع باقي القوة (١٧٠٠ مقاتل) بعد ان عطل الوابرين الباقيين ورمى بالثقلات في النيل وقد حرك بعض الخيام منصوية والأتوار موقدة فيها ليوم اهل المتمة انه لم يزل محتلاً القبة . ولكن الدراويش دروا بخروج حملة الجرحى فلحقوها في الطريق فقتلوا منها رجلين وجرحوا ستة ودروا ايضاً بخروج الجنرال بلر فلحقه بعض فرسانهم فرأوه من بعيد وعادوا الى المتمة . وجد بلر السير حق وصل آبار ابي طليح صباح ١٥ فبراير فكث في انتظار الامر . اما الجرحى فوصلوها في ١٤ فبراير فاستراحوا قليلاً ووالوا السير الى الجكدول وكان الجنرال ستورت قد قضى مدة في النزاع بسبب جرحه فمات في الطريق بين ابي طليح والجكدول في ١٧ فبراير فعملوا جثته الى الجكدول ودفنوها هناك وذلك في ١٨ منه وكانت حكومته قد رفته الى رتبة ماجور جنرال فوصلته البشرية الى القبة ولكنه لم يتنأ بها وكان رحمه الله قائداً حازماً شهماً كريم الخلق فاشتد اسف الجميع عليه .

وأما الجنرال بلر فلم يلبث ان رأى ان ماء الآبار لا تكفي عساكره فأرسل قسماً كبيراً منهم الى الجكدول وذلك في ١٦ فبراير . وفي هذه الأثناء وصل النجمي الى القبة وأرسل مقدمة جيشه لمطاردة الجنرال بلر فوصلت الآبار مساء اليوم المذكور فنزلت على أكمة تجاه الآبار وشرعت في اطلاق الرصاص على الجنرال بلر ودامت على ذلك الليل كله . وفي صباح اليوم التالي خرج

اليهم بعض العساكر وطردهم عن الأكمة وكانت خسارة العساكر في اليومين من القتلى ٤ ضباط و ٣ عساكر ومن الجرحى ٢٣ عسكرياً . وأما جيش النجومي فلم يصل أبا طليح حتى ظهر ٢٣ يناير فرأى الجنرال بلر ان لا قبل له بمصادمته فلما أمسى ردم الآبار وخرج بجميع عساكره الى الجكدول وقد ترك ثار المعسكر موقدة ليوم النجومي انه لم يزل باثناً فيه ولحقه بعض فرسان النجومي في اليوم التالي فأدركوه الظهر فأطلقوا عليهم بنادقهم وعادوا الى حيث أتوا فاستمر السير حتى وصل الجكدول ظهر ٢٦ فبراير بعد عناء شديد.

هذا وكان اللوردولسلي لما عزم على فتح بربر قد ولج الجنرال وود اخلاء نقط الصحراء بعد ذهاب الجنرال بلر من القبة فخرج من كورتي في ١٥ فبراير ومعه اللقنت ونجبت (سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الآن) أركان حربه فيما وصلا الجكدول حتى كان الجنرال بلر قد أدخل القبة كما مرّ فبقيا في الجكدول وساعده على اخلاء ابي طليح . وفي ١٨ فبراير وصل اللوردولسلي كتاب الجنرال بلر بالاسباب التي حملته على اخلاء القبة فصدقه وأقرّ على حشد جيش الصحراء في مرزوي والحاقله بجيش النيل لفتح بربر ولكنه لم يلبث ان رأى هذا الرأي ايضاً لا يمكن تنفيذه لقلة الجبال وصعوبة الشلالات في الطريق من جهة ولسوء الحالة التي صار اليها جيش الصحراء من جهة اخرى . فعدل عن فتح بربر في هذا الفصل وأقرّ على جمع الجيش كله بين الشلال الثالث والرابع أي بين الحفير وابي دوم الى الحريف التالي فيزحف على بربر والخرطوم بقوة مضاعفة وعزم جديد . وفي ٢٠ فبراير أصدر امره الى جيش النيل بالرجوع الى ابي دوم كما سيحيى والى الجنرال بلر والجنرال وود بالرجوع بجيش الصحراء الى كورتي . فخرج الجنرال بلر من الجكدول في ٢٧ فبراير وبقي الجنرال وود واللقنت ونجبت اركان حربه فيها حتى أتى اخلاء النقط كلها على احسن اسلوب ولم يرجع الى كورتي حتى ١٤ مارس ورجع آخر الجيش في ١٦ مارس سنة ١٨٨٥ . وقد عانى جيش الصحراء مشاق كثيرة من العطش والحر والعري . وما زاد هذه المشاق عناء قلة الركائب اذ لم

تاريخ الشوكة

يكن للجيش واسطة للقتل إلا الجمال التي ففي أكثرها كما مرّ حتى كنت ترى جيشها منتشرة في الطريق من القبة الى كورتى وما بقي من الجمال تقرحت ظهورها حتى اضطر العساكر كافة ومعظم الضباط الى المشي وقد بليت أحذية العساكر وتقرحت أرجلهم من الحفا .

هذا وقد حضر الجنرال بلر معه من القبة نصحي باشا وخشم الموس بك (الذي رقي بعد ذلك الى رتبة باشا) ورجاله الذين حضروا بوابرات غوردون الاربعة . وكانت معهم في الوابرات يريد من غوردون فيه يوميته من ١٠ سبتمبر أي من يوم سفر الكولونيل ستورت من الخرطوم الى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤ فطبعت في كتاب خاص . وفيها كتاب الى قومندان الجنود الانكليزية وعدة كتب خصوصية بينها كتاب بتاريخ ١٤ ديسمبر الى الماجور وطسن من ضباط الجيش المصري يقول فيه انه يتوقع شراً عظيماً في المدينة بعد عشرة ايام . وايضاً ورقة صغيرة مكتوب عليها ما ترجمته :

« الخرطوم بخير ويمكنها الاقامة على الحصار سنين . غوردون في ٢٩ ديسمبر ١٨٨٤ » . وكان قد وصل رسول من غوردون (بطريق المتمة) الى مزوي في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ ومعه ورقة صغيرة بقدر طابع البريد مكتوب على وجهه منها ما ترجمته : « الخرطوم بخير في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤ . غوردون » وعلى الوجه الآخر ختم غوردون .

جيش النيل وواقعة كربكان في ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥ : تقدم ان الجنرال أرلى تولى قيادة جيش النيل لفتح بربر فشرع في حشد الجيش في الحامداب في رأس الشلال الرابع فخرج اول الجيش من كورتى بالمراكب في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٤ ووصل آخره في الحامداب في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٥ وعنده من المؤونة ١٠٠ جراية لكل عسكري . وفي صباح اليوم التالي زحف الجنرال أرلى بالجيش برأ وبحراً فصار المشاة بالمراكب في النيل . وصحبه ٣٠٠ من عساكر دنقلة بقيادة البكباشي احمد افندي سليمان يرافقهم جودت بك وكيل

تاريخ الثورة المهدية

المدير (على ان يكون مديراً لبلاذ المناصير بعد فتحها) والكولونيل كولفل ضابط الخبايا فصاروا عن يمين النيل لحماية يسار المراكب وسار هو بباقي جيشه من الفرسان والطويحية عن يسار النيل حماية يمين المراكب .

هذا وكان محمد الحير لما علم يحبس النيل أمر موسى ابا حجل كبير الرباطاب وسليمان ود قمر كبير المناصير فجعلوا نحو ١٠٠٠ مقاتل من اهلها وتزلا في حلة برقي على الحد بين مديرتي دنقلة وبربر . ثم بعد رجوع ابن اخيه عبد الماجد الكيلك من ابي طليح أرسله الى برقي بنحو ٢٠٠ مقاتل من اهل بربر على ان يكون رئيساً عاماً على الجيش كله . وكان الجنرال أرل عالماً بتزول الدراويش في برقي فسار بجيشه حتى وصل غمرة على ٧ اميال منهم . ولما رأى الدراويش ان لا قبل لهم بمقاومة الجيش في برقي تنهقروا الى جبل كريكان وذلك في ٣٠ يناير فتقدم الجنرال أرل واحتلها في ١ فبراير ببعض العساكر ومكت في انتظار باقي الجيش . قيل وهنا وقع الخلاف بين امراء الدراويش فأراد عبد الماجد ان يتنهقروا امام الجيش رويداً فيضيقوا عليه في الطريق ويناشوه القتال الى ان يصلوا بربر فينضموا الى اخوانهم فيها ويحاربوه هناك فأبى موسى ابو حجل وسليمان ود قمر هذا الرأي لأن فيه خراب بلادها وأصرّوا على الثبات في كريكان فتركها عبد الماجد اذ ذاك وعمل برأيه . وفي ٥ فبراير وصل الجنرال أرل تلغراف من اللورد ولسلي يخبره بسقوط الخرطوم ويأمره بالبقاء حيث هو منتظراً الامر . وفي ٨ فبراير وصله كتاب بتاريخ ٧ منه باستطراد السير واتباع الخطة التي رسمها له قبلاً حتى متى وصل قرب بربر يوافيه بجيش الصحراء اليها فيتحدان معاً على فتحها فأمر اذ ذاك عساكر دنقلة فعبروا النيل الى برقي فتركهم فيها وسار بالجيش براً وبحراً تتقدمه الكشافة حتى قرب من جبل كريكان فعاد الكشافة وقالوا ان الدراويش قد نزّلوا في الجبل المذكور وقطعوا طريق الجيش . أما جبل كريكان فجبل حصين على النيل يعلو ٣٠٠ قدم عن سطح الارض ويمتد مسافة ٦٠٠ يرد الى جهة الصحراء وبينه وبين النيل مضيق لا يزيد عن ٢٠٠ يرد وفي فم المضيق اربع أكام

تاريخ الثورة المهدية

صخرية متجاورة في صف واحد تختلف في الارتفاع بين ٥٠ و ٨٠ قدماً اولها على ضفة النيل وطريق المارة بينها وبين الأكمة الثانية. فلما عاد الكشفة بخبر الدراويش أقام الجنرال أرل زريبة متينة على جيشه وذهب بنفسه لاستطلاع مركز الدراويش فوجدهم قد احتلوا الأكتين المتوسطتين من الآكام الأربع والطرف الغربي من الجبل وأقاموا امامهم متاريس من الحجارة تقيهم شر الرصاص فتحم على الجنرال أرل محاربتهم ليفتح طريقاً للجيش . وكانت قوة جيشه اذ ذاك ١٠٤٢ من العساكر الانكليزية و ٥٦ ضابطاً انكليزياً وبطارية بمدفعين من الطوبجية المصرية وبلوك من الهجانة المصرية ومعهم الدكتور خليل افندي خير الله من الاطباء السوريين في الجيش المصري .

فلما كان صباح ١٠ فبراير استعد للهجوم فترك بلوكاً من العساكر في الزريبة لحماية المراكب وأمتعة الجيش وجعل بلوكين من العساكر الانكليزية والطوبجية المصرية بين الزريبة والآكام الأربع وعلى مرمى القنبلة من الآكام وأمر الهجانة المصرية فوقفوا على مرمى الرصاص من الدراويش الذين على جبل كربكان لمنهم من الفرار وجعل ٣ بلوكات من العساكر في جزيرة كربكان تجاه الآكام وسار هو وباقي القوة فدار في الصحراء حول جبل كربكان حتى أله من الورا فإرسل فرقة من جيشه لمهاجمة الدراويش الذين في أعلاه وتقدم هو بمن بقي لمهاجمة الدراويش الذين على الآكام وهكذا أحاط بالدراويش الذين على الجبل والآكام من الجهات الأربع وحصرهم في الوسط ثم أمر العساكر ففتحوا أفواه البنادق والمدافع من كل الجهات ففتكوا بالدراويش فتكاً ذريعاً وأخذ المهاجون للآكام يتقدمون ويبدأ مقتحمين رصاص الدراويش بقلوب لا تهاب الموت حتى اختلطوا بهم وقتلهم بالسج ورمى بعض الدراويش بأنفسهم في النيل تخلصاً من القتل فتصيد العساكر أكثرهم بالرصاص وتنقّت الآكام منهم فوقف الجنرال أرل في ساحة بين الأكتين المتوسطتين وأمر عساكره بالانتظام صفوفاً فيها وهو على ١٠ امتار من كوخ صغير قد التجأ اليه بعض الدراويش وهو لا يدري فنادى به صف ضابط وقال : في هذا الكوخ نفر من الدراويش وقد رموا

تأريخ الثورة

واحداً منا الآن بالرصاص ، فأمر بأحراق الكوخ وتقديم هو بنفسه نحوه وكان الجنرال بركنبري بجانبه فصاح به « الحذر يا سيدي فات الكوخ ملآن من العدو ، وما أتم كلامه حتى خرج من الكوخ رصاصة فأصاب الجنرال أرل في رأسه فقضت عليه في الحال وكان رحمه الله قائداً مدبراً شجاعاً فعم الأسف عليه .

وقول الجنرال بركنبري قيادة المسافر مكانه وكان الدراويش الذين على جبل كريكبان لا يزالون يقاتلون فأرسل الجنرال بركنبري ممدداً لمقاتليهم فهاجموا الدراويش في الجبل ونكلوا فيهم وفرّ من سلم منهم إلى جهة السلامة فطاردهم الفرسان إلى مسافة بعيدة . وقد دامت الواقعة أربع ساعات ونصف ساعة وقتل فيها من الدراويش نحو ٨٠٠ رجل وفيهم الأمير موسى ولد حبل . وأما خسارة الانكليز فكانت ٣ ضباط و ٧ عساكر قتل و ٤ ضباط و ٤٣ عسكرياً جرحى .

ومن اشتهر في هذه الواقعة من الضباط الانكليز العظيم بالبسالة والاقدام الكولونيل جرين قومندان العساكر الاسكوتلندية والكولونيل بتلر . أما الكولونيل جرين فقد بلغني انه لما رأى تحصن الدراويش على الأكمة التي جعل في صدرها ورأى ان لا حيلة له في قهرهم إلا بالخاطرة والهجوم استل سيفه ونادى يمينه « اتبعوني يا رجالي اتبعوني » ثم عمل بشاكلة جواده المهاز واقتحم النيران ورجاله تتبعه كالأسود حتى وصل إلى أعلى الأكمة وقتل الدراويش عن آخرهم . وقد كوفئ على ذلك بعد الحملة بترقيته إلى رتبة ماجور جنرال وجعل قومندان العساكر الانكليزية في اسوان فمكث هناك سنتين . وقد كان من حظي الخدمة في مركز قومندانيتها كل هذه المدة . وكان معه اركان حربه الماجور ككوتش (الجنرال ككوتش الآن صاحب حصار كبرلي في حرب الترنسفال الحديثة) الذي اشتهر أيضاً في جيش النيل بالدربة والاقدام كما اشتهر بين أقرانه بالذكاء والنبل وشرف الخصال .

وقد غنم الانكليز أمتعة الدراويش وأوراقهم فوجدوا بينها كتاباً من محمد

الخبر الى عبد الماجد الكيلك بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٢٠٣ هـ ٣٠ يناير ١٨٨٥ م وفيه ان قد وصله كتاب من الخليفة عبدالله يوم تاريخه يخبره بسقوط الخرطوم وقتل غوردون .

وكتب الجنرال بركنبري خبر الواقعة الى اللوردولسي فكتب اليه بتاريخ ١٢ فبراير يأمره بالتقدم الى بربر ويسأله متى يصلها ليخبر قومندان القبة حتى يوافيه اليها فأجاب الجنرال بركنبري انه لا يستطيع تعيين الوقت بالدقة لأن أمانه شلالات لا يعرفها وعدوا لا يعلم حركاته وفي ظنه انه لا يصلها قبل ١٣ مارس .

وفي ١٣ فبراير استطرد السير برأ وبحراً حتى وصل السلامة في ١٧ منه فأحرق منزل سليمان ود قمر الذي غدر بالكولونيل ستيورت وأحرق منازل اهله وسواقيهم ونخيلهم . ثم تقدم بالجيش حتى وصل تجاه هبة في صباح ٢٠ فبراير فرأى النيل عندها سهل العبور فعبره لأن ابا حمد وبربر المراد احتلالها مما عن يمينه وكان معه ٨٧٠ من الجبال والنخيل وستة مدافع فعبر بهم وذلك في ١٣ ١/٢ ساعة ثم ذهب الى قرية هبة والجزيرة التي غرق عندها وابور عباس وقتل لعله يحدد شيئاً من آثار الكولونيل ستيورت فما وجد إلا بعض اوراق الزبارة باسمه وأقمصة ملطخة بالدم فأحرق القرية كلها وفيها بيت الفقيه عثمان المتقدم ذكره . وفي ٢٢ فبراير استطرد السير بالجيش برأ وبحراً حتى أتى عصر اليوم التالي حلة الخلعة بين الرباطاب والمناصير على نحو ٣٠ ميلاً من أبي حمد و ١٥ ميلاً من هبة .

وفي صباح ٢٤ فبراير أتاه رسول بتلفراف من اللوردولسي بتاريخ ٢٠ منه يقول فيه : ه اتي عدلت عن فتح بربر الى الخريف الآتي فقف عن السير الى ابي حمد ولكن احرق ودمر البلاد البلاد التي اشترك اهلها في قتل الكولونيل ستيورت وعبد بالجيش الى مروي إلا اذا امامك عدو فاقهره قبل عودتك واذا لم يصلك هذا التلفراف قبل وصولك الى ابي حمد او وصلك وكنت قريباً منها بحيث لا يبقى عليك إلا احتلالها فاحتلها وارسل للحمة في كورسكو

لتوافيك اليها . فانقلب الجنرال بر كنبري راجعاً بالجيش ظهر ٢٤ منه وفي اليوم التالي مرت بهية فأتى خراب بيوتها وسواقيها وعاد الى مروي فعبر النيل الى ابي دوم صم . ثم تقدم بمعظم القوة الى كورتي فوصلها في ٨ مارس سنة ١٨٨٥ وقد قاست عساكره في الشلالات وسفر البر من النساء ما لا يوصف . وفقد ستة مراكب و ٣ رجال .

معسكر الصيف في دنقلة : ولما تم رجوع العساكر من ساحة الحرب أقرم اللورد ولسلي على يسار النيل بين الشلال الثالث والرابع في الحفير ودنقلة والختنق وابي قس والكرد والدبة والختاني وامبقول وكورتي وابي دوم . وقد وصل هذه النقاط بعضها ببعض وصلاً متيناً بحيث لو هاجم العدو نقطة منها أمكن سائر النقاط الاسراع الى لمجدها . وبني للعساكر منازل من الطوب النقي وسقفها بالقش والجريد على اسلوب صحي يخفف وطأة الحر وجلب لهم عنكريات ينامون عليها وألباباً يتسلون بها . وأوصى معامل بلاده فصنعوا له ٣٠٠ قارب و ١١ وابوراً محمول الواحد منها من ٣٠ : ٥٠ طناً استعداداً للعملة المنوية .

رجوع الحملة الانكليزية النيلية : وبعد ان أقرم العساكر في أماكنهم رجع الى القاهرة فوصلها في ١١ ابريل . وقد رجعت معه إليها . ورجع معه زهرا بasha (وكيل نظارة الحربية الآن) الذي صحبه من مصر أركان حرب فأحببه وامتدح كفائه فمنحته الحكومة الانكليزية نيشان القديسين جورج وميخائيل مع لقب سر .

وأراد اللورد ولسلي ان يجعل القاهرة مركزاً له مدة الصيف لأنها متوسطة بين دنقلة وسواكن ولكن أنفاه تلفراف من وكيل نظارة الحربية بلندن في ١٣ ابريل بما مؤداه : ان علاقاتنا الخارجية (يشير الى علاقاتهم مع روسيا على حدود الافغان) ربما اضطرتنا الى العدول عن استرجاع الخرطوم في الخريف التالي وطلب اليه اتخاذ افضل الطرق لارجاع العساكر الى مصر . وفي ٢١

ابريل أقر مجلس النواب رسمياً على العدول عن استرجاع الخرطوم وكان ذلك ضد رأي اللورد ولسلي فحذر حكومته من نتائج هذا القرار وقال : اذا رحلنا عن دنقلة اليوم احتلها المهدي في الغد وتقدم طالباً مصر فتضطر الى حشد جيش عظيم على الحدود فلم يُسمع له . وفي اواخر ابريل ذهب الى سواكن فكشف حالها وعاد الى مصر . وفي ١١ مايو اصدر امره الى العساكر بالخروج من دنقلة وكان في النقط الحربية اذ ذاك ٦٨٢٥ من العساكر الانكليزية بينهم ٤٢١ عسكرياً في الاسبيتالية . وكان الجنرال وود قد عاد الى القاهرة مريضاً فتولى الجنرال دورمر قومندان العساكر في دنقلة امر ترحيلهم . وكان في دنقلة ايضاً ٥٠٧ من العساكر النظامية المصرية و ٦٧٣ من الباشبوزق و ٥٠ موظفاً ملكياً و ٩٤٠٠ من الاغراب والوطنيين الذين احبوا المهاجرة مع الجيش فولج امر ترحيلهم بالماجور ترز من ضباط المخابرات الكرام . لما أخلت العساكر الانكليزية النقط الجنوبية الى دنقلة حتى سقطت وزارة غلاستون رئيس حزب الاحرار وقوى الوزارة اللورد سلسبري رئيس حزب المحافظين فأمر اللورد ولسلي ان الوزارة الجديدة تعود الى رأي الزحف على المهدي فأرسل تلغرافاً الى دنقلة بالتوقف عن الرحيل ولكن الوزارة الجديدة بعد إعادة النظر في الامر أيدت قرار الوزارة القديمة وارسلت بذلك تلغرافاً الى اللورد ولسلي في ١ يونيو ودعته الى لندن للنظر معه في حماية الحدود المصرية فأرسل امره الى الجنرال بركنبري الذي كان قائد الجنود في دنقلة اذ ذاك باستطراد الرخيل فقام آخر الجنود من دنقلة شمالاً في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٥ فوصلوا كوشة في ٢١ منه . وسلم الجنرال بركنبري قيادة العساكر الى الجنرال غرنفل الذي سمي قومنداناً على جيش الحدود بلقب ماجور جنرال محلي وبذلك انحلت الحملة النيلية الانكليزية . .

اما الجيش المصري فقد تقدم انه يُجعل في خط الاتصال بين الشلال الاول والثالث في اصفوان وكورسكو وحلفا وجماي وسرس وسمنه وامبقول وتنجور وعكة وعكاشه ودال ومفركة وكوشة وعبري وراي صاري ودلقو وخيبر وابي

فاطمة . فساعد على ترحيل الجيش الانكليزي والذخائر والمؤن وخدم في الشلالات خصوصاً احسن خدمة حتى ان المراكب لما وصلت شلال دال منها التيار من المرور فحملتها العساكر المصرية من رأس الشلال الى قدمه مسافة ٣ أميال في البر . ولم يتعد شلال حنك منهم الا نفر قليل فرافق بعضهم جيش الصحراء وهم : الملازم اول السيد افندي ماجد (ميرالاي الآن) ومعه ١٨ نفر من الطوبجية فرافقوا جيش الصحراء وحضروا واقعة ابي طليح . والملازم ثاني مرسى افندي فهمي (بكباشي الآن) والملازم ثاني ابراهيم افندي صادق (بكباشي الآن) ومعه ٤٠ عسكرياً من المشاة فخدموا مع حملة الجبال . ورافق بعضهم جيش النيل وهم : اليوزباشي حسن افندي رضوان (لواء باشا الآن) والملازم ثاني محمد افندي محمود (ميرالاي الآن) والملازم اول احمد افندي حافظ (قائمقام الآن) واليوزباشي محمد افندي حامد ومعه بطارية من الطوبجية فيها ١٥٠ رجلاً و ٦ مدافع ، وبلوك هجانة فيه ١٠٠ رجل و ٤ ضباط و ١٨ رجلاً من الفرسان . وبقي بعضهم مع اللورد ولسلي في كورني وهم : اليوزباشي اسماعيل افندي همت (بكباشي الآن) وقسم من الفرسان والملازم ثاني موسى افندي حموده (صاغ الآن) وبعض المشاة . فعاد الكل مع الانكليز الى الحدود المصرية .

ومن رافق هذه الحملة من الموظفين السوريين فامتازوا فيها بحسن الخدمة ولا يزالون في خدمة الجيش الى الآن : ملحم بك شكور سكرتير الجنرال غرنفل والآن سكرتير عربي السردار ، وسليمان افندي ناصيف سكرتير قومندان عموم السواري والآن سليمان بك رئيس قلم في رئاسة الجيش المصري ، وشاهين افندي جرجس مترجم مدير المهابت والآن شاهين بك سكرتير عربي السردار ، والدكتور سليم موصللي والآن الميرالاي موصللي بك من كبار أطباء الجيش ، وشاكر افندي الخوري مترجم صراف الحملة العام والآن شاكر بك مترجم جيش الاحتلال العام . ومنهم المستر ادوارد فنديك نجل الدكتور فنديك

الشهير سكرتير قلم المخبرات، والاستاذ جبر ضومط، ونجيب افندي ايكاريوس وكثيرون غيرهم ممن تركوا خدمة الجيش .

ومن الموظفين المصريين الملكيين الذين امتازوا في هذه الحملة ولا يزالون في خدمة الجيش المصري الى الآن : نخلة افندي تادرس مترجم تشيلات الجيش الانكليزي. والآن وكيل قلم في ادارة سكرتير مالي السودان. وابراهيم افندي زيدان مترجم قومندانة حلفا والآن في رئاسة الجيش بمصر . وعبد الباقي افندي صالح كاتب بالزلات والآن في ادارة سكرتير مالي الحربية . وغبريال افندي جرجس كاتب وصراف السردارية والآن في قومندانة حلفا. ويمقوب افندي صبري كاتب الاورطة التاسعة السودانية والآن في ادارة التعيينات . ومحمد افندي محمد كاتب عموم السواري والآن في ادارة سكرتير مالي الحربية. وحبيب افندي بطرس مترجم تشيلات الجيش الانكليزي والآن في ادارة الطويحية بالقلمة . وبشارة افندي حنا مترجم في بوسطة الجيش والآن في ادارة المهات بالقلمة . وروفاثيل افندي جرجس كاتب العربان المتحاببة بكورسكو والآن كاتب وصراف قومندانة اسوان. وعبدالله افندي ميخائيل مترجم السواري الانكليزي والآن مترجم في قومندانة شندي . والسيد افندي حسين كاتب في السردارية والآن كاتب في القرعة العسكرية .

ومنهم احمد افندي حلمي مترجم رئاسة الوابرات والآن في شركة التلغرافات الشرقية الانكليزية بالسويس . ومحمد افندي شيخون باشكاتب الاورطة الرابعة . ومكارم افندي ضيف باشكاتب الاورطة السادسة وكلاهما الآن من ارباب المعاشات وكثيرون غيرهم ممن تركوا خدمة الجيش او توفاهم الله. وبعد المحلل الحملة النيلية استقال السرافلن وود فسمي الجنرال غرنفل سرداراً للجيش المصري مكانه وسمي الجنرال بتل قائداً للعساكر الانكليزية على الحدود فجعل كوش آخر الحدود المصرية وبني فيها طابية وبني طابية في مفرقة وأخرى في عكاشة واستمر العمل في سكة حديد عكاشة الى ان تمت في ٧ اوغسطس سنة ١٨٨٥ .

نسخة المخطوط

أقارب المهدي بدنقلة : وكان قلم الخبارات بعد ان استقر العساكر في منازل الصيف قد التفت الى أقارب المهدي بدنقلة فقبض على جماعة منهم وهم محمد عبد القادر وشریف ساتي علي ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شريف محمد نور وحاج شريف محمود وعبد القادر عبد الكريم وسألهم ان يكتبوا الى المهدي كتاباً يسألونه اطلاق الاوربيين وغيرهم من رجال الحكومة الذين في أسره فدية لهم فكتبوا اليه بذلك . فكتب المهدي الى الجيش كتاباً هذا نصه بعد البسلة :

و بعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى وكيل اللورد ولسلي وكافة عساكره . اعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لا يخفاه شيء في الارض ولا في السماء واذا أراد شيئاً قال له كن فيكون وهو مالك الملك ذو الجلال والاکرام ولما اظهرني لتأييد دين الاسلام أيدي بلائكم وجنوده وأوليائه وبغذف الرعب في قلوب أعدائي ووعدني بالنصر عليهم وبملك جميع الارض ولا يثبت لقتالي انس ولا جن وقد كنت قبل ذلك رجلاً ضعيفاً فأيدني الله من عنده وأظهر أمري وأهلك من كذبني من أعداء الله الترك وغيرهم ولا يخفى عليكم ما حصل علي جرادتهم التي أعدوها بالأسلحة والجباخين ووجهوها لقتالي من القتل والأسر والاحراق بالنار لمن قتل بسيفي وقد رأيت امتلاكي لخصونهم في السودان وتحققتم ما صار اليه أمري من القوة بالله والمنعة ولا زال يزداد الى ان يتكامل لي ملك جميع الارض باذن الله تعالى . وحيث فهمتم ذلك فأنهبوا الى الله يا عباد الله وأجيبوا داعيه فاني ادعوك الى الايمان بالله ورسوله والتسليم بأمر المهدي أسلموا تسلموا يؤتكم الله أجركم مرتين يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فانكم ان أسلمتم وأنبتم الى ربكم تكونوا من اخواننا في الله لكم ما لنا وعليكم ما علينا ونحفظ دماءكم وأموالكم وعروضكم وتقاتلوا من الله يوم القيامة الذي لا ريب فيه كل خير تؤملونه فان هذه الدنيا لا بد من زوالها وانما الدار آخرة فلهوا اليها فانها دار القرار ومسكن الاخيار .

وان ضربتم عن نصحننا هذا جيفحاً وبقيتهم على اختيار كفركم فاعلموا انه يحل بكم من النكال والوبال ما حل بمن قبلكم كهكس وغوردون ولن تغنر عنكم عددكم من الله شيئاً وستعلمون غداً من الكذاب هذا . ولكن بعلكم انه قد ورده لنا خطاب من الجماعة الذين أسرقوم في شأن القسيسين والافرنج والاقباط يلتصبون فيه . ارسالهم اليكم لكي تفرجوا عنهم وما ذلك إلا من باب حيلكم وغشاداتكم التي لا تجدي نفعا . وحيث ان هؤلاء الجماعة الذين هنا قد أنابوا الى الله ودخلوا في دين الاسلام فقد صاروا أكرم الى الله وأعز عندنا من الجماعة الذين معكم وأسرقوم ولا نرضى لهم الرجوع ليد الكفر بعد دين الاسلام كما أنهم لا يرضون ذلك ولا يمكن ارسالهم اليكم ولو قطعتم الذين بطرفكم ارباً ارباً وجميع ما أجريتموه عليهم فهو أقل من جزائهم وأنتم وهم اسوة عندنا ولا فرق فيما بينكم ولا بد من وقوعكم الجميع في قبضتنا باذن الله وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ان لم تنيبوا اليه وهذا انذارني اليكم والسلام على من اتبع الهدى .

قيل وقد جمع أنصاره في الجامع فقرأ لهم الكتاب والجواب عليه وسألهم ان كان الجواب مناسباً فصاحوا كلهم باستحسانه فطواه وأرسله، وأرسل معه كتاباً آخر الى أقاربه يقول لهم فيه : « كنا سابقاً كاتبناكم بالهجرة الينا فسا هاجرتم ورجعتم في منازلة الجليف ومن أراد ان يأخذ من الجليف فليصبر على عض الكلاب وسيجفل الله كيدهم في محرم وسيكونون قريباً في قبضتنا » . وكان الانكليز قد أخذوا أقارب المهدي معهم الى حلفاء ، فلما وقفوا على ما قال لهم المهدي أطلقوا أقاربه وأكرموم وأعطوم رواحل وأزواداً وكسوة وأرجعوم الى بلادهم . فأتوا الى المهدي في ام درمان واعتذروا لعدم مجيئهم اليه من قبل بسبب الجيش فقبلهم ..

حكومة دنقلة الجديدة : هذا وقبل ان أخلت الحكومة دنقلة رأت ان تنظم فيها حكومة وطنية مؤقتة لكي لا تتركها فوضى لا حاكم لها فاجتارت لها حكماً من سلالة ملوكها الذين حكموها قبل الفتح المصري فجعلت محمداً ولد

كنيش الشايقي من البلل حاكماً على مروى ، وسعيد محمد فرح من بقايا الفرنج حاكماً على الدبة ، والملك طنبل حاكماً على ارقو ودنقلة ، والشيخ محجوباً كبير المرغنية في بلاد سكوت حاكماً على سكوت والمحس . ولكن ما روح الانكليز دنقلة حتى احتلها الدراويش غنيمة باردة كما سيجيء . وبادت الحكومة الجديدة من نفسها . اما محمد ولد كنيش فانه حال خروج الانكليز من بلاده ذهب الى ام درمان قبائع المهدي وعاد مع الجيش الذي أتى لاحتلال دنقلة وحارب معهم في واقعة جلس كما سيجيء . وانضم اليهم ايضاً سعيد محمد فرح حاكم الدبة . وأما الملك طنبل فانه ما وصل الدراويش دنقلة حتى فرّ بعائلته ولجأ بالجيش فانزله في الشلال . وأما الشيخ محجوب فانه بقي في بلدته كويكة الى ان أتى الدراويش فقبضوا عليه وأرسلوه الى الخليفة - في ام درمان فأساء معاملته فمات قهراً . وقد أسروا ابنه الشيخ ادريس معه فبقي الى ان ارسله الخليفة في حملة النجومى ففرّ منها وأعلم الحكومة بحاله بعد واقعة طوشكى فأرسلت اليه جملاً فنجبا بعائلة ابيه وأهله الى حلفا ، وبقي فيها خادماً للجيش الى ان عادت الحكومة الى السودان فعاد الى بلاده .

الفصل العشرون

عودُ الى

عثمان دقنة والثورة في سواكن سنة ١٨٨٥ م

حملة جرامم الثانية الى سواكن سنة ١٨٨٥ م :

تقدم ان اللورد ولسلي لما أقر على فتح بربر بعد سقوط الخرطوم سأل حكومته ارسال قوة انكليزية الى سواكن لسحق عثمان دقنة ومد سكة حديدية في طريق سواكن الى بربر فأجابته الحكومة الى طلبه . وفي ١٧ فبراير سنة ١٨٨٥ م عقدت اتفاقاً مع احدي شركاتها لمدة سكة الحديد المطلوبة وفي ٢٠ منه نذبت الجنرال جرامم قائد الحملة الانكليزية الاولى الى سواكن ليقود حملة ثانية اليها فوصلها في ١٤ مارس سنة ١٨٨٥ وكان في سواكن اذ ذاك من الجنود ١٠٩ ضباط و ٢٥٢٦ عسكرياً و ١٨٧ جواداً و ٢٨ بغلاً و ٣٣٩ جلاً و ٦٣ تابعاً فأخذت الحكومة الانكليزية تحشد اليها الجنود من مصر والهند واستراليا وبلاد الانكليز حتى اجتمع فيها تحت قيادة الجنرال جرامم ١٣٠٠٠ مقاتل من فرسان ومشاة وطوبجية ومعهم كل ما يلزمهم من الجبال والدواب والمؤن والذخائر .

تاريخ السيوف

وجاء مع الجيش جماعة من العارفين بركوب البسالون ومعهم بالون ولكن الرياح العالية المتغلبة في تلك الجهات منعت استعماله . وكان عثمان دقنة لما بلغه خبر قدوم الجنرال جرام الى سواكن بعث اليه بكتاب يتهدده فكتب اليه الجنرال جرام ينصحه بالتسليم ويحذره من التمادي في الطغيان فلم يجبه .

واقعة تل هشيم في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٥ : وكان عثمان دقنة اذ ذاك معسكراً في تمّاي ومعه نحو ٥٠٠٠ مقاتل وله جيش آخر فيه نحو ٣٠٠٠ مقاتل في تل هشيم على ٧ اميال من سواكن وجيش صغير في طوكر فأقرّ الجنرال جرام على سحق قوة هشيم قبل التقدم على تمّاي . ففي صباح ١٩ مارس خرج ببعض الفرسان والمشاة فاستكشف التل وعاد الى المعسكر . وفي اليوم التالي ٢٠ مارس تقدم الى هشيم بالقوة الآتية من الفرسان والمشاة الهندية والانكليزية وهي : ٣٠٦ ضباط و ٧٨٨٦ عسكرياً و ٣١٧ تابعاً و ١١٩٢ حصاناً و ٢١٠ بغال و ٧٣٥ جلاً و ١٠ مدافع فوصل تل هشيم الساعة ٩ ١/٢ صباحاً وأحاط بالدرائش من كل جانب وأشعل فيهم النار فثبتوا له ودامت الحرب نحو خمس ساعات ثم انهزم العرب الى عثمان دقنة بعد خسارة جسيمة واحتل جرام التل فجعل فيه نقطة عسكرية ورجع الى سواكن وكانت خسارته في ذلك اليوم من القتلى ضابط و ٨ عساكر ومن الجرحى ٣ ضباط و ٣٦ عسكرياً .

واقعة توفرك في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٥ : ثم أخذ يتسبأ للزحف على عثمان دقنة في تمّاي فرأى ان يؤسس نقطة اتصالية في الطريق بين سواكن وتمّاي يحفظها مخزناً للزاد والماء اللازم للحملة . فلما كان ٢٢ مارس أخرج سرية من جيشه ببعض المدافع بقيادة الكولونيل مكينيل وأمره بأن يسير في طريق تمّاي حتى يكون على ثمانية اميال من سواكن فيبني ثلاث زرائب واحدة تسع ٢٠٠٠ جل وواحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها تسع كل منها اورطة من العساكر وبعد اتمام الزرائب يجعل فيها المدافع وقسماً من العساكر ثم يرجع

بالقسم فيبني زريبة في وسط الطريق بين تلك الزرائب وسواكن فيجعل فيها أورطة ويرسل الباقي الى سواكن .

وكان عثمان دقنة عالماً باستعداد الانكليز لمهاجمته فلما رأى سرية الكولونيل مكثيل ظن ان الجيش كله زاحف عليه فدق طبل الحرب وخرج للاقائه بجميع انصاره . فبا سار الكولونيل مكثيل خمسة أميال عن سواكن حتى رأى ان تقدمه الى الميل الثامن فيه خطر وان جهد ما تسمح له الاحتياطات العسكرية التقدم الى الميل السادس وكان يد خط التلغراف من سواكن ليبقى متصلاً بها فأرسل تلغرافاً الى الجنرال جرام يعلمه بالحالة ويبين له رأيه فصدقه فسار الى الميل السادس ونزل في خور يعرف باسم « توفرك » وبأشر بنساء الزرائب ولكن قبل ان يتمها جاءت الطلائع وأخبرته بقرب الدراويش فأمر بترك العمل في الحال والاستعداد للدفاع وما انتظم المساكر في أماكنهم حتى كان الدراويش قد صاروا على مرمى الرصاص ففتحوا عليهم أفواه البنادق والمدافع فلم يبلوا بها بل هاجوا مستقتلين حتى اختلطوا بالمساكر وأعملوا بهم السيف والحرية فدافع الجنود أحسن دفاع حتى قيل ان احد الجنود الهندية تصدى له ثلاثة من الدراويش فضرب كلا منهم ضربة بالسيف فقتله . وكان هجوم الدراويش الساعة ٣ إلا عشر دقائق فانهمزوا الساعة ٣ والدقيقة ١٠ وكانت خسارة الدراويش لا تقل عن ١٥٠٠ قتيل وأما خسارة الجيش فمن المساكر الانكليزية ٦٤ قتيل و ٦٣ جريحاً . ومن المساكر الهندية ٥٣ قتيل و ٩٢ جريحاً وفقد ١٠ ومن الاتباع ٢٣ قتيل و ١٩ جريحاً وفقد ١٢٤ ومن الجبال ٥٠١ فقتلوا او فقدوا .

حملة الجنرال جرام على تمای ٣ ابريل سنة ١٨٨٥ . وبعد انهزام الدراويش عاد الكولونيل مكثيل الى بناء الزرائب فأتمها الساعة ٧ مساء فشرع الجنرال جرام في حشد المساكر اليها فاجتمع عنده في ٢ ابريل ٨١٧٥ رجلاً فسار بهم الساعة ١٠ من الصباح قاصداً عثمان دقنة فوصل تل تسلهاي على مقربة من تمای الساعة ١/٤ بعد الظهر فرأى انه اذا هاجم يدخل الليل قبل انتهاء

شأن السواكن

الواقعة فزرب زربية بجانب التل وبات فيها ليلته فجاء رجال عثمان ليلاً ورموه بالرصاص فأصابوا بعض رجاله ولكن العساكر فتحت عليهم أفواه المدافع فصدهم الى تمّاي .

وفي الساعة ٨ من صباح اليوم التالي ٣ ابريل ترك الجنرال جراهم بعض العساكر في الزربية لحفظ أمتعة الحملة وسار بمعظم العساكر الى تمّاي فوجدها خالية فاحتلها الساعة ٩ صباحاً . وكان عثمان دقنة لما رأى كثرة الجيش أخلي معسكر تمّاي وتحصن في الجبال المجاورة لها وأرسل كشافة يناوشون الجيش ويتقهقرون أمامه الى الجبال التي تحصن بها ليعمدهم عن الماء ويحاربهم وهو في مركز حصين فسار الجنرال جراهم وراءهم مسافة قريبة ولما لم يرَ عثمان ورأى ان توغله في الصحراء يمرضه الى العطش رجع الى تمّاي فأحرق معسكر عثمان وعاد بالجيش الى سواكن في اليوم التالي .

مدّة سكة الحديد : وبعد ان أتمّ جراهم الغرض الاول من الحملة وهو تشتيت شمل عثمان دقنة التفت الى الغرض الثاني وهو مدّة سكة الحديد الى بربر . وكان العمال قد بدأوا بمد الخط منذ ١٣ مارس ولكنهم لم يتقدموا فيه كثيراً بل أعدّوا المعدات اللازمة لمدة . بعد انتهاء القتال . فلما انتهى القتال اجتهدوا في مد الخط حتى أتموه الى اوتواوا في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٥ .

وأراد الجنرال جراهم عقد معاهدة مع القبائل التي على طريق سكة الحديد لحماية السكة فأشرطت عليه ألا تترك الجنود سواكن كما تركتها في السنة التي قبلها بل تبقى فيها لحمايتهم من عثمان دقنة فأرسل الجنرال جراهم تلغرافاً الى حكومته في ٢١ ابريل سنة ١٨٨٥ بهذا الشأن وكان اللورد ولسلي اذ ذاك قد عدل عن فتح بربر كما مرّ فلم يعد امر مد السكة الحديد وترك العساكر في حرّ سواكن من الضروري فأجابته حكومته بعدم عقدها .

خروج العساكر الانكليزية من سواكن : ثم أقرّت الحكومة على اخراج عساكرها من دنقلة كما مرّ فأمرت الجنرال جراهم بالخروج من سواكن فعاد

نتائج الثورة

منها بجملة الى مصر في ١٧ مايو سنة ١٨٨٥ هجر سكة الحديد . وكان
 أهل بادية سواكن لما رأوا ما حل بهم من النكال والضيق في محاربة الانكليز
 تفرقوا الى بلادهم ومراعيهم ولم يبق مع عثمان دقنة الا نفر قليل . فلما خرج
 الانكليز من سواكن عاد عثمان دقنة الى حث الأهلين على الجهاد مبيّناً لهم
 ان الانكليز انما فروا من سطوة المهدية وان لا قدرة لهم على مناوأتها فالتف
 حوله جمع كبير من الهدندوة والامرار وعاد الى تمساي (تسلاي) وبقي
 فيها الى ان سلت كسلا للدرأويش فذهب اليها بأمر الخليفة كما سيحيى .
 ولنتقدم الآن لنرى ما كان من امر كسلا وسائر الحاميات التي الى جنوبي
 السودان الشرقي على حدود الحبشة وفي جملتها بلاد مصوع وهرر وذلك منذ
 بدء الثورة .

الفصل الحادي والعشرون

في

تاريخ الثورة في بلاد كسلا

وفيه ذكر حاميات كسلا والقضارف والقلابات والجيرة واميديب وسنيت
مع ذكر عافظي مصرع ومور

تسليم القضارف الاثنين في ٢٤ جمادى الآخرة

سنة ١٣٠١ هـ ٢١ أبريل سنة ١٨٨٤ م

الامير الحسين عبد الواحد؛ تقدم ان المهدي سمي عثمان دقنة سنة ١٨٨٣
عاملاً عاماً على بلاد البجة بين البحر الاحمر والاتبرة أي على بلاد سواكن
والقسم الاكبر من كسلا فبقيت البلاد الواقعة بين النيل والاتبرة فسمى الحسين
عبد الواحد من ذرية الشيخ الطيب عاملاً عليها وأصبحه ثلاثة امراء وهم الطاهر
محمد تاتاي وعبد الله الطريفي الجملي والسمتاني ود احمد . وكان الحسين عارفاً
أحوال تلك الجهات لأنه كان مقيماً قرب « تبارك الله » على الاتبرة فسار
برفاقه حتى أتى القلعة أرانج من مراكز الشكرية فجمع أهلها وزحف بهم على
مركز القضارف وكان فيه محمد باشا اغا ابو زيد من سوارى الكفاربية على ٢٠٠
رجل ومدفعين ومعه محمد بك بن عوض الكريم باشا ابو سن مأموراً من قبل

الخرطوم وجماعة من التجار والمتسبين من أروام ووطنيين فأرسل اليهم كتاباً أتى به من عند المهدي وكتاباً من عنده يدعوهم الى الطاعة ويعدّهم بحفظ ما لهم وسلامتهم فاجتمعوا وتشاوروا في الأمر فأقروا على التسليم وسلموا الاثنين في ٢١ ابريل سنة ١٨٨٤ فأخذ الحسين جميع ما في مخازن الحكومة من الاسلحة والذخائر ثم جمع بضائع التجار وأدخلها بيت ماله خلافاً للوعد وأجبر النصارى على الاسلام وقطع خط التلغراف بين القضايف والقلابات .

حصار القلابات وانقاذها سنة ١٨٨٥ :

ثم تقدم لأخذ القلابات فمرّ بالتومات فوجد فيها محمود بك زايد شيخ الضباينة فسلمه كتاباً من المهدي باسمه فسلم اضطراراً . ودعا عرب الخزان في تلك الجهة الى الطاعة فلم له قسم منهم بقيادة الشيخ عمر ود الكردي وعصاه القسم الآخر بقيادة الشيخ العجيل فحارب الدراويش في كسلانما سيجيء . ثم تقدم الى « الصوفي » فوجد فيها الجعليين سلالة الملك نمر الذين تقدم انهم صالحوا الحكومة ايام موسى باشا سنة ١٨٨٦ وعليهم الامير خالد فانضموا اليه . واستطرد السير الى دوكة فسلم له الشيخ عجيب ود النيسي وكيل الشيخ محمود ود زايد . وكان في دوكة ٢٠ عسكرياً عليهم محمود اغا محمد التركي فسلموا له اضطراراً . وانضم اليه ايضاً اولاد الشيخ مريود من مشايخ العراقيين وبذلك دانت له معظم القبائل العربية التي بين الاتبرة والنيل .

وكان للحكومة في تلك الجهة حاميتان : المتممة عاصمة القلابات والجيرة فاهتم بأخذها . أما المتممة فكان فيها اذ ذاك صالح بك - ادريس المار ذكره ومعه من خاصة اهل التكارنة ٤٠٠ فارس ١٠٠٠ رجل عدل اهل السلاط الذين بلغ عددهم ٢٠٠٠٠ نسمة . وفي المتممة طابعية حصينة فيها ٤٠٠ من العساكر الباشبوزة، النصف فرسان والنصف مشاة بقيادة النسر سوارى محمد بك السيد و ٢٠٠ من العساكر السودانية و ٤٥ من الطوبجية و ١٢ مدفعاً بقيادة الصلغ محمد افندي رياض والكل بقيادة البكباشي محمد افندي مريوي . فكتب عبد الحسين

عبد الواحد من دوكة الى صالح بك يدعوهُ الى التسليم فأجابه في غرة رجب سنة ١٣٠١ هـ ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م بخادعاً له : « اني انا وأهلي التكارنة مسلمون للمهدي ولكن العساكر الذين بيدم الحامية غير مسلمين فامهلوني ريثما أدبر الحيلة للخلاص منهم ». وكان الأوان اذ ذاك أوان الأمطار وبلاد القلابات مغمورة بالمياه ولا يمكن الحسين عبد الواحد مهاجمتهم قبل انقطاع الامطار فاستشار المهدي في شأنهم فقبل المهلة . ثم سار الى الجيرة كما سيجيء فوجدها حصينة والامطار تنمعه من حصرها فعاد الى دوكة في صدد القلابات .

وقد اطلعت على كتاب منه الى الشايقية الذين في حامية القلابات بتاريخ ٣٠ القعدة سنة ١٣٠١ هـ ٢١ سبتمبر سنة ١٨٨٤ يقول فيه :

« ... وانكم ممن يظنّ بالصدّاقة والاخلاص عندنا دون غيركم بسبب ما بلغنا من اخباركم بأنكم مسلمون ومتبعون الامام المهدي ... وأيضاً يا أحبائنا لا تقطعوا عنا مادة الجواب ... والمأمول المقابلة معنا في أي مكان والسلام ». وكتب صالح بك الى غوردون في الخرطوم بتاريخ ٢٢ سبتمبر يعلمه بحاله بما مفاده : « انتا محاطون بالأعداء من كل الجهات : الشكرية والضباينة والجميلين من جهة دوكة والمحمدية ... من جهة الرهد ولكننا لا نزال ثابتين على الحصار ولا نحسب لهم حساباً فان الله ناصرنا والامل الجواب على كتابنا مع الرسول ونحن لم نكتب لكم قبل الآن لعدم الأمان في الطريق وقد قتل الضباينة اثنين من رسلنا في طريق التمرقو (جبل بين دوكة والتومات) ومع ذلك فلا زلنا نواصل مركز كسلا بالمكاتبات » .

واقعة مريود في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٤ : وبقي الحسين محاصراً في دوكة حتى انقطعت الامطار فكتب الى صالح بك يطالبه بالوعد فعاد صالح بك الى الخادعة فسأله مهلة ٣ أشهر اخرى وبعث له برسيرة وقنطارين بنا وحمل عسل وخمماية ريال هدية فتيقن الحسين اذ ذاك انه يخادعه فصمم على حربه فقسم جيشه قسمين قسماً ذهب به لحضر الجيرة وقسماً أرسله لقتال القلابات فهاجم رجال هذا القسم سرف سعيد فنهبوا وتقدموا لحصر المئمة فأمر صالح بك

أخاه عثمان فخرج عليهم بسماية من أهله وصحبه السر سوارى محمد بك السيد بفرسانه فالتقوا عند تل بين سرف سعيد ومريود يوم الجمعة في ١٨ محرم سنة ١٣٠٢ هـ ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م فارتقوا الى التل وصبوا عليهم ناراً حامية حتى هزمهم الى الحسين وقتلوا منهم نحو ٧٠٠ رجل وفيهم اثنان من اولاد الشيخ مريود قيل ان أكبرهما دفع الله كان حاملاً الراية فلما قتل حملها أخوه محمد فقتل فحملتها امها فقتلت وقتل من العساكر ٦٢ رجلاً .

النور فقرا وواقعة قدي في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ : هذا وكان من جملة انصار المهدي في تلك الجهة رجل من الجبرقة (مسلي الحبشة) يدعى النور فقرا هاجر الى المهدي في كردوفان فبايعه وعاد منه اميراً فجمع نفراً من الضبانية ونزل بهم على قدي من حللات التكرانة ففرغ اهل قدي الى صالح بك فجهز الف فارس و ٢٠٠ رجل من أهله ومتطوعي الشايقية واستنصر الاحباش فأقاه الراس دهنشوم فنته بنحو ٨٠٠٠ مقاتل وزحف الجيشان في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ على ود فقرا في قدي فقتل من جيشه ٧٠٠ رجلاً وزيادة وفيهم الجبار وعمر واحمد ود عايس من مشايخ الضبانية وجرحاه جرحاً بالفاً ففر بمن بقي من جيشه الى الحسين في حصار الجيرة . وعاد الاحباش الى بلادهم بالاسلاب والفنائم وقد قتل منهم نحو ٧٠ رجلاً وعاد صالح بك الى التمة ولم يقتل من جيشه احد .

واقعة زرقه في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ : وبعد هذه الواقعة بقليل نزل الحدة بقيادة الرضى ابي ريش وبنى حسين البقارة بقيادة محمد ماجوق على زرقه من ارض القلابات فقتلوا وسبوا وغنموا فخرج عليهم صالح بك بسرية من جيشه فالتقوا في خور القنا قرب زرقه في ٢١ صفر سنة ١٣٠١ هـ ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ وأوقع فيهم واقعة شديدة وقتل وأسر منهم خلقاً كثيراً وكان في جملة القتلى الرضى شيخ الحدة وفي جملة الاسرى امرأة الرضى و ١٤٠ نفساً . وبقي الحسين على حصر الجيرة حتى وقع الخلاف بينه وبين امرائه فرفعوا

الأمر الى المهدي فخطأ الحسين وبعث في طلبه في ٧ ربيع الاول سنة ١٢٣٠ هـ ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٤ م . وكانت عند المهدي في الزهد رجل من تكارنة القلابات يسمى محمد ود ارباب فأرسله اميراً على القلابات فأتى اليها وحشد الرجال وحصرها من الشمال الغربي . بقي الطريفي على حصار الجيرة .

انقاذ حامية القلابات في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ : هذا وكانت الحكومة في مصر عالة بحصر الحاميات على حدود الحبشة ولكن لم يمكنها انقاذها فطابت الى الملك يوحنا ملك الحبشة ان يساعدها على ذلك فتعطيه المراكز نفسها بما فيها من الاسلحة والذخائر . وقد أرسلت اليه الاميرال هيوت وماسون بك منذ شهر يونيو سنة ١٨٨٤ للمفاوضة معه رسمياً في هذا الشأن فأقر الملك يوحنا على انقاذ القلابات اولاً وندب لهذه المهمة قائده دهنشوم فنته . وندب لها الكولونيل تشرمسيد باشا (محافظ سواحل البحر الاحمر في ذلك العهد كما مرّ) القائنقام سعدبك رفعت (ميرالاي الآن) بالنيابة عن الحكومة المصرية فخرج من مصوع بخمسة وعشرين من الباشبوزق في ١٨ اوغسطس سنة ١٨٨٤ وأتى الملك يوحنا في عدوة . فصدر أمر الملك الى دهنشوم فصار معه بخمسة عشر الف مقاتل الى القلابات فوصلها في ١٢ فبراير سنة ١٨٨٥ فوجد الدراويش قد حصروها من جهة السودان . بامارة محمد ود ارباب كما مرّ فطرداهم الى سرف سعيد وجعلوا الجيش بينهم وبين المنمة ثم شرعوا في اخلاء الحامية فبلغ عدد المهاجرين من عساكر الحكومة ورجال صالح بك نحو ٣٠٠٠ نفساً فلم سعد بك الاسلحة والذخائر الى دهنشوم وخرجوا بهم كلهم من المنمة السبت في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ وأتيا قنندر فتأخر فيها صالح بك ورجاله وذهب سعد بك مع دهنشوم الى الملك يوحنا فشكر له . سعيه فأهدى اليه الملك بفلتين بسرجين من الفضة ودرقة مذهبة وأنعم عليه بلقب دجازماتش وأصغبه كتاباً الى جميع البلاد التي في طريق مصوع لمساعدته على السفر فأخذ سعد بك العساكر من قنندر وسار الى مصوع بخفر من الاحباش فأكرمه اهل البلاد التي مرّ بها اعظم اكرام وقدموا له كل ما لزمه من الزاد

وللواء والركائب حتى وصل مصوع في آخر مايو سنة ١٨٨٥ فسمح لأكثر الباشبوزق بالبقاء في مصوع وأخذ الباقي وهم ٦٧٠ نفساً إلى مصر وفيهم السرب سوارى محمد بك السيد. وتقدم محمد ود أرباب يحيشه من سرف سعيد واحتل القلابات يوم الخميس في ٥ مارس سنة ١٨٨٥ أي بعد خروج الحامية منها بخمسة أيام وسعود إلى ذكره .

حصار الجيزة وانقاذها سنة ٤ : ١٨٨٥ :

الجيزة طابية حصينة على حدود الحبشة وهي مبثية بالحجر الصلب على أكمة مرتفعة على بحر ستيت وكان فيها في بدء الثورة اورطة من العساكر السودانية بقيادة البكباشي فضل الله افندي حبيب فذهب ٥ بلوكات منها نجدة إلى سنار كما بقي فيها ٣ بلوكات وبطارية طويلة و ٣ مدافع ثم ذهب نصف بلوك إلى كسلا جلب رواتب العساكر وكساوهم فحُصروا فيها ولم يرجعوا كما سيجيء. وحُصر الباقي في الطابية منذ مايو سنة ١٨٨٤ . وقد أُطلعت على كتاب أرسله البكباشي فضل الله قومندان الطابية إلى حاكم مصوع بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٨٤ يصف فيه حصاره بما مفاده : « جاءنا الشقي الحسين عبد الواحد منذ مدة وحصرنا بثمانية آلاف رجل ودعانا إلى التسليم فرددناه بالخربة وقد سبقت فأخبرتم بذلك وسألتكم المدد وكنت أرجو أن يصلني في شهر فخاب رجائي والآن أرسل إليّ المهدي كتاباً يدعوني به إلى التسليم لأحد أمرائه القريبين كعبد الله أحمد أبي سن أو محمود زايد وأرسل إليّ أمراؤه أيضاً عدة تحارير بهذا المعنى وأنا لا أزال اخادعهم واطارهم حتى يأتيني المدد . وفي ٧ نوفمبر عاد الحسين عبد الواحد ومعه الطاهر ود ثنائي وعبد الله ود الطريفي وتميمي أحمد ومحمود ود زايد وأعادوا طلب التسليم مني فسألتهم فرصة شهر آملاً وصول المدد وأرسلت رسلاً إلى معسكرهم لأتجسس أحوالهم فعاد الرسل بكتاب منهم يقولون فيه : « إذا لم تسلموا بالرضى نأخذكم بالرغم » فلم نجيبهم وعقدنا النية على الثبات إلى أن تأتينا النجدة وهم الآن

بهاجوتنا كل يوم وقد انقسموا فريقين فريقاً لقتالنا وفريقاً لحصرنا وأصبح مركزنا من أخرج المراكز . نعم ان الطابية حصينة ولكن العساكر قليلون كما تعلمون لذلك ارجو ان تسرعوا بارسال المدد ولو اورطين تأتيان بطريق الحمران .

انقاذ الجيرة في ٨ يوليو سنة ١٨٨٥ ، وكانت الحكومة تسمى مع الحبشة في انقاذ جميع الحاميات التي على حدود الحبشة كما مر فكتب اليه حاكم مصوع في الجواب : « ان الحبشة آتون لانقاذكم قريباً فاخلوا لهم الطابية وسلموهم الاسلحة والذخائر وهم يأتون بكم الى مصوع » . فأرسل فضل الله افندي الملازم ابراهيم افندي حزين بكتاب الى الملك يوحنا في دبر تابور فجاءه جيش جرار بقيادة دجاج تسمى . وكان امراء الدراويش اذ ذاك في خلاف كما مر فلما رأوا الأحباش في عدد عظيم تفرقوا . ودخل الأحباش الجيرة في أوائل يوليو سنة ١٨٨٥ واستلموا ما كان فيها من الاسلحة والذخائر وكان فيها من الاسلحة : ٣٠٠ بندقية رامتون و ٦٠٠ بندقية بالكبسول و ٣ مدافع وصاروخ . وفي ٢٥ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ ٨ يوليو سنة ١٨٨٥ خرجوا بالحامية الى « غبطة » فأقام العساكر هناك سبعة أشهر بسبب الامطار وامتلاء الأنهر فلما انقطعت الامطار وانفتحت الطرق أتى مندوب من طرف ملك الأحباش فأخذه الى مصوع فوصلوها في اوائل فبراير سنة ١٨٨٦ ومنها أرسلوا الى مصر .

تسليم مصوع للتليان في ٦ فبراير سنة ١٨٨٥ :

أما محافظة مصوع فانها سلمت للتليان منذ ٦ فبراير سنة ١٨٨٥ وعادت حاميتها الى مصر .

اخلاء أميديب في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ :

وأما أميديب فقد كان فيها اورطة من العساكر بقيادة الصاغ عبد الله افندي سالم و ١٠٠ رجل من الباشوزق بقيادة حسن اغا التوم فعادت بطريق سنهت الى مصوع فوصلتها في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ .

اخلاء سنهيت في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٥ :

وأما سنهيت فقد كان فيها اورطتان من العساكر وفيها خسرو باشا قومندان شرق السودان فلم سنهيت للحبشة وخرج منها الى مصوع فوصلها في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٥ .

وقد كان في وسع هذين الحاميتين الرجوع الى مصوع قبل ذلك بزمان لأن الثورة لم تمتد اليها ولكن 'ظن' ان بقاءهما يساعد على اخلاء كسلا فلما وجد ان اخلاءهما ورفع الحصار عنها يستلزمان تجريدة قوية أمرت الحكومة فرجعتا الى مصوع .

اخلاء هرر وزيلع وبربرة في ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ :

ثم ان قرار الحكومة على اخلاء السودان لم يستثن محافظة هرر شرقي الحبشة لا سيما وان حفظها كان يستلزم نفقات جمة ومشقات جسيمة فندبت لذلك رضوان باشا من الجيش المصري والماجور هنتر من الجيش الانكليزي في الهند. فخرج رضوان باشا من السويس في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ومعه ٥٠٠٠ لاخلاء المحافظة فوصل عدن في ٢٣ منه فوجد الماجور هنتر في انتظاره فذهب به في اليوم التالي الى بربرة وقرأ لأهلها الامر العالي القاضي باخلائها ثم أتى زيلع فوضع الدراهم في خزيرتها وأرسل في البريد كتاباً الى محافظ هرر يعلنه بحضوره وعاد الى بربرة فباع ما أمكن بيعه من أشياء الحكومة بالمزاد العلني ثم سلكها الى قنصل الانكليز فيها وسار منها في ١٢ اكتوبر الى هرر ومعه اللفتنت بيتن الذي قاب عن الماجور هنتر وشرع في اخلاء الحامية فباع ما في المخازن الاميرية بالمزاد العمومي ونقد العساكر رواتبهم المتأخرة عن خمسة أشهر. وفي آخر اكتوبر أرسل ١٠٠٠ رجل ثم في وسط نوفمبر أرسل ٢٧٠٠ نفس ودفاتر الحكومة . وفي ١٣ نوفمبر حضر الماجور هنتر ومعه ٤٠ الف ربية وشرع مع رضوان باشا في تنظيم حكومة وطنية للبلاد فبليا طابية جملا فيها

٣٠٠٠ رجل من السومال حاميةً وسلحاهم بالبنادق وعلماهم كيفية استعمالها وعاد الماجور هنتر الى زيلع فوصلها في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٥. وبقي رضوان باشا فعقد مجلساً اجتمع فيه ٥٦ من مشايخ هرر وأعيانها وسألهم ان يختاروا من يولوه عليهم من سلالة الامراء الذين حكموا قبل الاحتلال المصري فاختاروا عبد الله عبد الشكور . وفي ٢٥ ابريل قرأ رضوان باشا على الجمهور الأمر العالي القاضي باخلاء هرر وأعلن تولية عبد الله المذكور حاكماً عليها وأطلق ٢١ مدفعاً اشعاراً بذلك . وفي اليوم التالي أي ٢٥ ابريل خرج بباقي الحامية وهم ٦٥٠٠ رجل الى زيلع . وبقي القنصل بيتن في هرر لحماية بعض التجار الاوربيين الى ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ فسلم مباني الحكومة وجنائها التي قدرت قيمتها بنحو ٧٤٠٠ جنيه الى الحاكم الجديد وعاد الى زيلع .

وبقيت هرر بيد عبد الشكور لا ينازعه فيها منازع الى بدء سنة ١٨٨٧م فزحف عليه منليك ملك شوه (ملك الحبشة الآن) وأخذها منه عنوة فاستعمل عليها الراس مكوين وعاد الى شوه ولا تزال بيده الى اليوم. وهكذا صارت هرر الى الأحباش وزيلع وبربرة الى الانكليز . ولم يبق في السودان للشرقي إلا حامية كسلا التي اضطرت الى التسليم بعد حصار طويل كما سيجيء.

حصار حامية كسلا

سنة ١٨٨٥ : ٤ م

بدء الثورة في كسلا في اوغسطس سنة ١٨٨٣ : ما حرك اهل كسلا ساكناً للثورة حتى قدم عثمان دقنة الى بلاد سواكن في اوغسطس سنة ١٨٨٣ ووزع عليهم كتب المهدي فقام للكيلااب الهدندوة على جباره اغا الشايقي ونفر من الباشوزق كانوا في بلادهم يشترىون الابل لحملة مكس فعاربوهم مستبسلين وتخلصوا منهم وأموا مركز كسلا حتى وصلوا بلاد السمرندواب الهدندوة

فرحبوا بهم وأظهروا أسفهم من فعل الكيلا ب وأمنوم حق ناموا عندهم .
 وكان الكيلا ب لا يزالون يطاردونهم فوصلوا ليلا واتحدوا مع السمر ندواب
 فانقضوا عليهم عند صلاة الصبح فقتلوم وغنموا سلاحهم .
 وكان في كسلا اذ ذاك راشد باشا كمال قومندان عساكر شرق السودان
 فخرج بألف وخمسةائة رجل من نظامية وباشبورق ونزل على السمر ندواب
 فقتلهم عن آخرهم وتقدم لتأديب الكيلا ب . فهاج لذلك غضب محمد بك موسى
 ناظر الهدندوة ورفع الأمر لتلغرافياً للجنا ب العاليي بمصر وقال ان فعل راشد
 باشا يهيج القبائل كافة فصدر أمره الى راشد باشا بالرجوع عن الكيلا ب والعودة
 الى مصر وسمي محمد خسرو باشا قومنداناً على عساكر شرق السودان مكانه
 فاتخذ مركزه سنهيت .

مصطفى هدل سنة ١٨٨٤ : وهذأت بلاد كسلا بعد ذلك اربعة أشهر
 حتى انتشر خبر هلاك هكس وجيشه في شيكان فتحتفز الأهليون للثورة وقام
 رجل يدعى مصطفى هدل قيل انه من الشرعاب الهدندوة وحرفته صنع أسورة
 العلاج للنساء ومسكنه الدقا . مركز بني عامر وكانت له علائق تجارية وودية مع
 عثمان دقنة من قبل الثورة فلما بلغه خبر قيام عثمان في سواكن ذهب اليه وبايعه
 باسم المهدي فكتب اليه بالامارة على كسلا وأمره يجمع الهدندوة ومحاصرة
 حاميتها حتى تخضع له فحمل كتاب عثمان وأتى الى فللك مركز الهدندوة
 العام فوجد فيه احمد موسى شيخ مشايخ الهدندوة وحوماً الحبشي وكيل محمد
 بك موسى ناظر الهدندوة فقرأ لها كتاب عثمان دقنة ودعاهما للجهاد فلبيا
 الدعوة وجما له جيشاً عظيماً من اهلهما فزحف به طالباً كسلا .

وكان في كسلا اذ ذاك اورطة من العساكر السودانية المنظمة وتفر من
 الطويجية معهم ١٨ مدفعاً وصاروخين وبضعة ارادي باشبورق وعلى الجميع فرج
 بك عزاز التقلوي وهو من الأبطال المعدودين والمدير على كسلا احمد بك
 عفت الشركسي المشهور بالحزم والعزم وجودة الرأي والكل في « استحكام »
 منيع بخندق وسور لها خمسة ابواب وتسعة أبراج ومعهم بداخل الاستحكام

نحو ٢٠٠٠ من التبوع و ٢٠٠ من التجار و ٥٠٠ من اهل الزراعة . وكان في الحاقية جنوبي كسلا السيد محمد عثمان المرغني شيخ الطريقة المرغنية في السودان ومعه نفر من أتباعه وقد كتب اليه المهدي يدعوه للقيام بنصرته فلم يجبه بل حذر أنصاره من اتباعه فكان الوحيد من مشايخ الدين في السودان الذي قاوم المهدية الى النهاية وكان اعظم سند لحماية كسلا كما سيجيء .

واقعة الجمام في ١٢ فبراير سنة ١٨٨٤ : فلما وصل مصطفى هدل الجمام على ٣ ساعات من كسلا كتب الى المدير يدعوه للتسليم فأجابه المدير « ارتدع عن غيك وفرق القبائل الى أماكنها ولا تكن سبياً في سفك دماء المسلمين » . فرد مصطفى هدل كتابه بقوله « دع غنك هذا القول الهراء وسلم تسلم او استعد للحرب » . فخرج له اذ ذاك فرج بك عزاز بألف وخمسمائة مقاتل من نظامية وباشبوزق فالتقاء مصطفى هدل في ظامر الجمام ودارت رحى الحرب بين الفريقين فدامت من الصبح الى ما بعد الظهر وقد فتك الرصاص بأنصار مصطفى هدل فتكاً ذريعاً ولكنهم فازوا اخيراً لكثرة عددهم ودخلوا وسط المساكر فأعملوا فيهم السيف والخربة وقتلوا منهم ٤٥٠ رجلاً فغنموا أسلحتهم واضطر الباقين الى الفرار وذلك يوم الثلاثاء في ١٤ ربيع آخر سنة ١٣٠١ هـ ١٢ فبراير سنة ١٨٨٤ م .

وكان المهنددة يعتقدون ان من يقتل منهم في هذا الجهاد تحمله الحور العين الى الجنة كما وعدم المهدي في كتبه قرأوا بعد الواقعة رجلاً منهم قد جرح جرحاً مميتاً وهو في حال النزاع فتجمعوا حوله وسألوه هل ترى الحور العين مقبلة لتحملك الى الجنة فصاح بلفته قائلاً « حورية كا كا حورية كا كا أي لا أرى الحور لا أرى الحور بل أرى ناراً توقد في فارقوا بأنفسكم واطركوا هذه الحرب وعودوا الى أهلكم » .

أما المدير فإنه لما عاد المساكر منهزمين من الجمام تحقق الأمر وشرع في تقوية الاستحكام والاستعداد للدفاع فهدم حلالات الخلائق والجميلين والشايقية والتكارنة خارج الخندق لينكشف ما حوله ثم عمق الخندق وجعل المدافع على

الأبراج التسعة وأغلق بابين من ابواب السور وما باب القاش وباب رجب بك وصف العساكر على خط النار فوجدوها غير كافية لحماية السور فجند ١١ اوردياً من المتطوعين وأرسل في طلب المدد من الحاميات الأخرى فأثابه ٢٠٠ رجل من اميديب و ١٠٠ من سنهيت و ١٠٠ من القلابات وجاء ٢٥ رجل من الجيرة جاؤوا لأخذ رواتب العساكر فيها فحصرها معه كما مر. وأرسل السيد محمد عثمان الى القبائل التابعة له فجاءه : شكرية الاتبرة وعليهم الشيخ عمارة ولد حمد ابو سن والشيخ ابراهيم ولد قلبوس . وشكرية القاش المعروفون بالنوامة وعليهم ولد الفجل . وبنو عامر وناظرهم الشيخ علي بك البخيت . والقادين جماعة الشيخ احمد حجاج . وبعض اهل سبدرات جماعة الشيخ علي نورين . وقسم من الحمران شياخة عجيل الحمراني المشهور . والحلانقة بقيادة عبد القادر بك محمد إيلة . وقد جاؤوه بخيلهم ورجلهم وآلات حربهم فكانوا نحو ١٠٠٠ فارس بالدروع واللبوس و ٧٠٠٠ راجل . وأما مصطفى هدل فانه بعد واقعة الجمام زحف بجيوشه الى قلويسيت على نحو عشرة أميال شمالي كسلا وألقى الحصار على كسلا .

الحسن ود حاشي وبلال السمرندوايي : وهنال « آناه الحسن ود حاشي » من سكان قوز رجب « وبلال السمرندوايي » وكلاهما من فقهاء الهدندوة ومع كل منها كتاب من المهدي بالامارة على اهله .

عمارة ولد ضاوي وواقعة العشرة في مارس سنة ١٨٨٤ : ثم جاءه عمارة ود ضاوي من فقهاء البوادزة الشكرية ومعه ايضاً كتاب من المهدي بالامارة على من يتبعه وكان عمارة المذكور صاحب مكر ودهاء فاستمال اليه الحسن ود حاشي وبلال السمرندوايي المذكوران فسلخهما عن مصطفى هدل وزحف بهما من قلويسيت الى توكرف على نحو ساعة من حصن كسلا وهناك كتب كتاباً الى المدير في كسلا وكتاباً الى السيد محمد عثمان في الخاقية يدعوهما للتسليم فبعثا ينصحانه بالعدول عما هو فيه فلم يزد إلا طغياناً وأرسل جماعة من

رجالهم فقطعوا الطريق بين كسلا والخاتمية وقتلوا وخرّبوا . فتجرد له المدير وجرحه الى كمين على القاش بالقرب من جيزة العوض وجعله بين نارين فقتل نحو ألفين من رجاله وهزمه شر هزيمة الى قلوسيت وكانت الواقعة في شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠١ هـ مارس سنة ١٨٨٤ م وقد سميت بواقعة العشرة لأنها وقعت عند شجرة كبيرة من العشر .

واقعة الفقيه عيسى : وكان في جيش عمارة المذكور فقيه من التكرانة الفلانة يقال له الفقيه عيسى كان هذا متوطناً في كسلا قبل الثورة بخمسة عشر سنة وكان اهلها يعتقدون به الصلاح والتقوى وهو يكره السيد محمد عثمان فجاء يجيش من قلوسيت لأخذ الثأر فرأى بعض نساء خارجات من الخاتمية من زيارة السيد محمد عثمان المرغبي الى الابرة فجردهن من حلائن وسبى بعضهن وقطع آذان البعض الآخر وأنوفهن فرجع المشوهات الى السيد محمد عثمان شاقيات مولولات فلما رآهن في تلك الحالة هاج به الغيظ وصاح بأنصاره فضربوا طبول الحرب وزحفوا على الفقيه عيسى فالتقوه على القاش وأوقعوا به واقعة دموية فقتلوا خلقاً كثيراً من أنصاره وهزموه أقبح هزيمة واسترجعوا النساء المسييات وعادوا بغنائم كثيرة .

هذا وكان مصطفى هديل قد اشكى عمارة ولد ضاوي المذكور الى عثمان دقنة فكتب عثمان الى عمارة يأمره بالحضور اليه في الحال فخرج بجبة انه ذاهب الى عثمان فاخفى ولم يعلم احد مقره وقيل انه التجأ الى الحبشة .

باشريك السمرندوباي وواقعة تنبكيهاي : في ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤ : وبعد ذهاب عمارة وقع الخلاف بين مصطفى هديل والحسن ود حائبي وبلال السمرندوباي في من يكون رئيس الجهادين فقام فقيه من السمرندوباي يسمى باشريك واغتتم الفرصة ودعا الناس لاتباعه فاتبعوه فزحف بهم الى توكرف بنية فتح الخاتمية وكانت معه محمد ولد حامد ابن أخي موسى بك فخرج بالقسم الاكبر من الجيش ورحف على الخاتمية فنزل بجبة تنبكيهاي أي محل زرع

التنبأ على القاش تجاه الخاقية فالتقاء رجال السيد وقتلوه حتى قتلوه مع ألف رجل من أنصاره وهزموا الباقين إلى توكرف وذلك يوم الخميس في ٢٤ شعبان سنة ١٣٠١ هـ ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤ م .

وكان موسى بك ناظر الهندوة قد قرأ من الاستحكام وانضم إلى الدراويش في توكرف فلما سمع بقتل ابن أخيه ضرب نقارة الحزب في اليوم المذكور وأتى تنبكياي بجيش عظيم فخرج محمد عثمان بنفسه ليلا يجمع جيوشه واستعد للملاقاته . وفي صباح اليوم التالي حضر كتاب من موسى بك إلى السيد محمد عثمان يدعوه للتسليم فأجابه وقرأت كتابك وفهمت خطابك فان أقمت في محلك إلى الظهر ألحقتهك بابن أخيك بعون الله . وأرسل إلى المدير في طلب المدد فبعث إليه بألف رجل وكانت فاطمة بنت الشيخ موسى زوجة محمد المقتول في الخاقية وهي على عقيدة السيد محمد عثمان فلما رأت القوة في جانب السيد خافت على أخيها ان يلحق بزوجها فأرسلت إليه رسولا سراً تخبره ان لا طاقة له على هذه الحرب وتلح عليه بالرجوع فرجع .

خروج السيد محمد عثمان من الخاقية في ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٤ : ورأى السيد محمد عثمان ان الخطب قد تفاقم إلى حد لا يمكن ملاقاته إلا اذا جاء المدد من مصر فلم يجيء المدد من مصر وخاف اذا بقي ان يقع في الأسر فهان ويدل فقر رأيه على الخروج من الخاقية فخرج في ٦ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٤ م قاصداً مصر فشيعة المرابان الذين كانوا مجتمعين عليه إلى الدقا وتمعروا إلى أماكنهم أما السيد فانه بقي في الدقا مدة ثم ذهب إلى مصوع فصر فأقام في مصر بضعة أيام ثم توفي إلى رحمة ربه السبت في ١٠ ربيع الآخر ١٣٠٣ هـ ودفن في باب الوزير ومقامه مشهور .

السيد البكري ومور الخاقية : وتولى الخاقية بعد ذهابه ابن عمه السيد البكري ابن السيد جعفر المرغني ولم يبق معه إلا أخلاط من الدناقلة والجعلين والخلانقة والبجة . فبنى سوراً حول الخاقية جعل بناءه أقساطاً على الأهالي

نتائج الثورة

على كل جماعة قسماً فاشتغلوا فيه ليلاً ونهاراً حتى أقموا على ارتفاع خمسة أمتار في أقل من شهر وكان جداره من جهة الشرق الجبل لأن الخاتمية بلصقه .

واقعة سدينة الاولى في ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٤ : هذا وكان العصاة بعد الانحلال الذي لقوه برئاسة باشرىك قد انصرفوا عنه ووقع الخلاف بين مصطفى هدل والحسن ود حاشي بشأن الرئاسة فذهب الحسن ود حاشي الى المهدي شاكيًا فزحف مصطفى هدل على الخاتمية مصصاً على فتحها فنزل في سدينة غرب القاش وكان قد علم بخروج محمد عثمان منها فكتب الى السيد البكري بالتسليم فطلب السيد البكري المدد من كسلا فجاءه الف رجل من جهادية وباشبوزق بقيادة الصاغ فرج افندي من ضباط مدد اميديب ومعه من الرؤوس صالح بك البغدادي وعبد القادر بك محمد ايله الحلانقي فطردوا مصطفى هدل من سدينة بعد ان نكلوا يحيشه تنكيلا وعاد الى كسلا عند الغروب وذلك اول اربعاء في شوال ١٣٠١ هـ يوليو ١٨٨٤ م .

واقعة سدينة الثانية: وفي اليوم التالي ضرب مصطفى هدل نقارته وجمع شتات جيشه وعاد به الى الحرب فخرج له فرج بك عزازي بألف وخمسمائة مقاتل من كسلا مع فرسان السيد البكري من الخاتمية فضربه ضرباً شديداً وهزمه الى قلويسيت . ومن ذلك الوقت لم يعد مصطفى هدل ولا غيره من امراء الدراويش يحسروا على مهاجمة كسلا او الخاتمية بل اقتصروا على غزو القبائل المتحابة وداموا على ذلك أشهراً .

قتل الميتكناب في اوغسطوس سنة ١٨٨٤: ففي اول القعدة سنة ١٣٠١ هـ ٢٣ اوغسطوس سنة ١٨٨٤ م أرسل مصطفى هدل ابن عمه جمعة بسرية من جيشه لتأديب الميتكناب الذين على الطريقة المرغية وكانوا نحو الف رجل فقاتلوه مستبسلين وصدّوه بخسارة جسيمة فأرجعه مصطفى هدل بسرية أعظم فأطبق عليهم من كل جانب وقتلهم عن آخرهم حتى النساء والاولاد وغنم أموالهم وخرب ديارهم .

عوض الكريم كافوت؛ وفي هذه الأثناء قدم جملي من مواليد التاكا يسمى عوض الكريم كافوت كان قد ذهب بتجارة الى شكا قبل الثورة فلما كانت الثورة انضم الى المهدي في كردوفان فأرسله اميراً على قومه الجعليين في التاكا وكان رجلاً شريفاً ولأهله مهارة في فن الحرب فجمعهم وأخذ يغزو بهم الشكرية الذين على الاتبرة فقتل من رؤسائهم عوض الكريم دكين وأخاه احمد . وكان من عادة اهل كسلا الخروج من الاستحكام لجمع الحطب للوقود والعلف للبهائم فوقف لهم عوض الكريم بالمرصاد ومنعهم من الخروج .

سبدرات والسمرنداب؛ وفي أواخر القعدة سنة ١٣٠١ هـ أو اسط سبتمبر سنة ١٨٨٤ م غزا علي نورين شيخ سبدرات بلاد السمرنداب فأصاب قطعاً من الماشية فباعه في كسلا وعاد الى سبدرات فجمع بإشراف السمرندي قومه وقصد سبدرات فكن له علي نورين خارج البلدة ولما أطل خرج من الكين وأوقع الفشل في قومه فقتل منهم نحو ألف رجل وهزم الباقين ولكنه جرح جرحاً شديداً في وجهه . ولم يعد في امكانه استمرار القتال ولم يكن يشك في عودة السمرندي الى الأخذ بالنار فكتب الى المدير يسأله المدد فأرسل اليه المدير ٢٥٠ رجلاً من جهادية وباشبوزق بقيادة اليوزباشي دياب اغا والصارى ابراهيم اغا البدوي فأقاموا حامية في سبدرات . ولم يلبث بإشراف ان عاد اليها بجيش عظيم فهزم المساكر المحافظين عليها وقتل اهلها واحتلها. وأما علي نورين فقد حمله ابنه وفر به الى كسلا .

وكان السيد محمد عثمان لا يزال في الدقا فلما سمع بنكبة سبدرات كتب الى المدير يسأله ارسال جيش الى سبدرات في يوم معين وساعة معينة فيهاجم بإشراف من الغرب وهو يوجه البخيت شيخ بني عامر فيهاجمه من الشرق في الميعاد المضروب. فخرج المدير بنفسه بألف وخمسمائة رجل من جهادية وباشبوزق ومعه من الرؤوس القاتقام فرج بك عزاز والسر سوارى بشير اغا كبال والسر سوارى حسن اغا سليمان وكان علي نورين قد تعافى من جرحه فصحبه المدير ونزل بالجيش في خور ملاسي غرب سبدرات وعمل لزربية من الشجر ومكث

تاريخ الشوكلا

يلتظر قدوم الشيخ البخيت ولكن هذا الشيخ لم يصل سبدرات حتى بادرها بالهجوم ولم يعلم المدير بقدمه وكان جيش باشرىك أقوى من جيشه فهزمه شر هزيمة وانقلب على زريبة المدير يريد اختراقها ففتح عليه ناراً حامية فثبت ساعة خسر فيها ألف رجل ولم يقتل من عساكر المدير إلا رجل واحد . وانهمز باشرىك الى فتهاي على عشرة أميال من سبدرات فتبعه علي نورين وبقية المشايخ المتعابة المرافقين للجيش فهزموه الى قلوسيت .

غزوة قلوسيت في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ : واغتر المشايخ بالنصر الذي نالوه على الدراويش فزينوا المدير ان يهاجمهم في ديمم العام في قلوسيت فرضي بذلك . وفي يوم الاثنين في ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ ٥ يناير سنة ١٨٨٥ م جهز نحو ٢٠٠٠ رجل من جهادية وباشبوزق وعزم على الخروج للحرب بنفسه فزلت رجله وهو نازل على سلم المديرية فوئلت فلم قيادة الجيش الى فرج بك عزاز فزحف به على قلوسيت . وكان مصطفى هذل قد بلغه عزم الجيش على مهاجمته فاستعد للملاقاة وكان عوض الكريم كافوت متغيباً في غزوة على النوايمة فبعث اليه يستعجله في الرجوع الى الديم فوصل قبل وصول الجيش بقليل والتقى الجمعان عند الضحى في ظاهر ديم قلوسيت وهاجم العصاة بحزم وثبات مستقلين فلم يكن إلا القليل حتى دخلوا وسط العساكر وأوقعوا فيهم الفشل فانهمزوا والعصاة وراءهم تقتل بهم طعنًا بالرماح وضرباً بالسيوف الى جبل مكرام شرقي كسلا . وقد قتل من العساكر وحدهم ٧٥٠ رجلاً من نظامية وباشبوزق فيهم ١٧ ضابطاً وغنموا مدفعاً وأسلحة كثيرة .

وقويت نفوسهم لهذا النصر فتقدموا الى توكرف وحصروا كسلا والخاتمية معاً وذلك في ١٣ يناير سنة ١٨٨٥ . ومن ذلك اليوم انحصر العساكر في استحكامهم فلم يعودوا يحسرون على الخروج منه قيد شبر .

صد باشرىك عن الخاتمية : وكان السيد البكري قبل واقعة قلوسيت يحمي سور الخاتمية بنحو ٦٠٠ بندقية فلما نزل العصاة بتوكرف طلب المدد من المدير

فأرسل اليه صالح بك البغدادي ومعه ٢٠٠ جهادي و ٣٠٠ من الباشبوزق والخطرية فحصّن بهم سور الخاتمية وما أتم استعداداه حتى هاجمه بإشرافك السمرندوايي فردّه خاسراً .

عودة الحسن حاشي الى كسلا : وفي ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ٦ ابريل سنة ١٨٨٥ م عاد الحسن حاشي الى كسلا ومعه منشور من المهدي بالامارة على من يتبعه فقبه معظم الجيش فزحف به في ١١ ابريل الى سدّينة وحصر كسلا والخاتمية ممّا ومنع ما كان بينها من الاتصال .

مقوط الخاتمية في ١٨ رجب

سنة ١٣٠٢ هـ مايو سنة ١٨٨٥ م

ثم كتب الى السيد البكري يقول «اني جئت بك بكتاب من المهدي بتوليتك على مديرية التاكا وعلى جميع هذه الجيوش قتال للمفاوضة في هذا الشأن » فلم يركن السيد البكري اليه فبعث الى بلال السمرندوايي نظراً لسابق المودة بينها فأثاه الى باب سور الخاتمية وأكد له صحة قول الحسن حاشي وعاهده اذا خرج الى معسكر العصاة ان يحميه من كل ضرر فاستشار السيد البكري المدير وخرج الى ديم العصاة مساء ١٧ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ومعه ١٥٠ رجلاً من جهادية وباشبوزق فرحّب به بلال وباشريك وبات ليلته عند بلال ولما أصبح يوم ١٨ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ٣ مايو سنة ١٨٨٥ م اجتمع اليه الأمراء ما عدا مصطفى هدل فانه بقي منفرداً يبيشه واشتد الجدل بين السيد البكري والامراء في شأن التسليم . وانهم كذلك اذا بعوض الكريم كافوت قد انقض على خفراء السيد البكري فقتلهم عن آخرهم ثم انقلب على السيد البكري يريد قتله فرمى بلال السمرندوايي بنفسه عليه وحماه من القتل وكذلك فعل علي شتير الجملي وابراهيم حمد الشبودينابي فاحتله عمارة ابو سن الى محل الامان فأتى مصوع فسواكن فكة فمات فيها سنة ١٣٠٤ هـ . وفي الوقت نفسه زحف مصطفى هدل يبيشه على الخاتمية فأخذها غنيمة باردة ثم جاء الحسن حاشي

يحيث فاحتل الحامية وعاد مصطفى هدى الى توكرى فحصرها كسلا من الشمال والجنوب وضيقا عليها بعد ان هدما قبة السيد حسن المرغني وجامعه .

مواصلة الحامية للحكومة : وكان المدير قبل الآن في اتصال دائم مع خسرو باشا قومندان عموم شرقي السودان في سنهت فكتب اليه بعد واقعة الجمام يسأله المدد والنقود فبعث بالنقود يخفها سعد بك رفعت بمئة رجل . ثم عاد المدير الى طلب النقود والمدد فأجابه عندي نقود ولكن ليس عندي خفراء لحايتها في الطريق وقد سألت مصر تلغرافياً ارسال المدد فمضى حضر أرسله اليكم مع النقود .

وكان المحافظ على سواكن في هذا العهد تشرمسيد باشا كما مر فبعد ان فاضه خسرو في شأن كسلا كتب الى المدير كتاباً آخر يقول « ان الحكومة ليس عندها مدد فتخيروا الرأي الذي ينجيكم من العصاة واذا أمكنكم فاتركوا المثقلات في مكانها وتعالوا خفافاً الى مصوع » فجمع المدير الضباط والتجار وتلا عليهم الكتاب فكتبوا في الجواب « ان كثرة عائلتنا تمنعنا من الخروج بلا مجسدة قوية ويلزمنا ٥٠٠٠ رجل وخفراء أقوياء لحفظنا في الطريق » فلم يجبه بشيء . ولكنهم لم يهتموا في بادىء الامر لابطاء المدد لأنهم كانوا فائزين على العصاة فلما كانت واقعة قلوسيت وأصبحت الحامية بتلك الضربة الموجهة أرسل المدير عبد القادر كبير الحلائقة الى سنهت يستعجل المدد والنقدية ويقول انه لم يبق للحامية سوى قوت شهرين وقد اشتد الحصر عليها حتى لم يعد يمكنها الخروج في طلب القوت . فأبلغ خسرو باشا الخبر الى تشرمسيد باشا بسواكن . وبعد ذلك بقليل وصلت حامية اميديب ومعها السيد محمد عثمان المرغني الى سنهت واستطردت السير الى مصوع فصحبها عبد القادر بك . وبعد قليل لحقتها حامية سنهت كما مر . وانتظر المدير المدة التي كان يمكن لعبد القادر بك الرجوع بها فلما لم يرجع ولا ورد منه خبر ارسل اربعة جاويفية الى سنهت ليعلموا ما الخبر فوجدوا خسرو قد أدخل سنهت فلحقوه الى مصوع . وكانت الحكومة على ما علمت تفاوض ملك الحبشة بشأن انقاذ

الحاميات التي على الحدود فكتب الكولونيل تشرمسيدي الى الملك يوحنا في ١١ أبريل سنة ١٨٨٥ يستحثه على التعجيل في ارسال المدد ويقول اذا لم تسرعوا في ارسال النجدة فالحامية لا بد من سقوطها وقد وعدوه بعشرة آلاف بندقية فأرسل الملك يوحنا امره الى الراس الولا لاتخاذها لأن جهته موالية لكسلا فأبطأ في نجدها .

وكتب خسرو الى المدير بعد المفاوضة مع تشرمسيدي بما مفاده : « اعلم ان الخرطوم قد سقطت وانسلخ السودان عن مصر وغير متيسر للحكومة ارسال مدد اليكم من جندها ولكن المفاوضة جارية مع ملك الحبشة للاسراع في نجدةكم فاعقدوا مجلساً من أعيان المدينة وانظروا في أمر سلامتكم فاذا حكمتم باخلاء الحامية فخطبوا ملك الحبشة رأساً وعدوه بعشرة آلاف بندقية مكافأة على ما عساه ان يبذل من المساعدة لكم » . فكتب المدير الى ملك الحبشة في طلب المدد . وكتب الى حكومته في ١٣ أبريل سنة ١٨٨٥ يقول : ان الحامية قد صارت في أشد الضيق فقد نفد منها الزاد واضطرت الى أكل الحير ونحن لا نزال ننتظر النجدة اذ لا يمكننا الخروج من الحصن بدونها .

كتاب الحامية الى المهدي بشأن التسليم : ولما لم ير جواباً من الحكومة ولا من الحبشة على الحاحه في طلب المدد ورأى انه اذا طال هذا الضيق على الحامية اضطرت الى التسليم او الموت جوعاً اختار التسليم على الموت ولكنه كره التسليم الى مصطفى هدى وأعوانه خوفاً من غدرهم فجمع ضباط الحامية وتجارها وكتبوا الى المهدي في الخرطوم كتاباً يخبرونه بأنهم مسلمون ويسألونه ارسال أمناء من طرفه ليسلموا لهم وقالوا فيما بينهم اذا جاءنا المدد قبل مجيء الأمناء استعنا به على المحاصرين وإلا سلمنا لهم .

جواب المهدي للحامية : فبعث المهدي حسين ابراهيم الشهير بالزهرة وابراهيم احمد عالم وجماعة من أصحابه ومعهم كتاب منه الى أهل كسلا ولفظ الكتاب بعد البسملة :

و وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه في الله
احمد عفت مدير التاكا وفرج عزازي رئيس العساكر وخسن لبيب وعبدالقادر
هديب وحسن سليمان وبشير كبال ونعيم الفكي و ابراهيم بدوي وحسن موسى
وخورشيد واحمد المنسي وحسن بدوي وخلف خلف الله واحمد حمدي وكافة
عباد الله المحصورين بخندق كسلا تجاراً وعمداً وغيرهم وفقهم الله تعالى الى
الصواب يجاه النبي الأواب آمين. منا لكم السلام ثم نعرفكم بأن خطابكم المحرر
لنا صعبة رسولكم المعين عبد الله بطلب الأمان ورغبة تعيين احد من طرفنا
للتسليم على يدينا والتمس العفو عنكم وخشيتكم من الجهال المحاصرين لجهنكم ان
سلمتم على يدم الى آخر ما بخطابكم قد أخطأنا به علناً وشكرنا صنيعكم ودعونا
لكم بكل خير وحدثنا الله تعالى على هدايتكم وأجابتكم الى ريككم فان ذلك
سبب فلاحكم وفوزكم ونجاحكم الذي هو مقصودنا من دعاية الخلائق الى الله
وقد عقلتم فيما ضنعتم وتداركتم انفسكم من عطب الدارين والمقصود الأهم هو
سلامة الآخرة فان هذه الدنيا قريبة الزوال منغصة العيش مكدرة الأحوال
لا خيرها يدوم ولا ثمرها يبقى ولا فيها مخلوق بقناء حلالها حساب وحرامها
عقاب ومتشابهها عتاب لم ينظر الله اليها منذ خلقها وقد ورد في الخبر انها لا
تزن عند الله جناح بعوضة وانها دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له كما جاء في الحديث وأما الآخرة فنعمت الدار هي دار
دائمة النعيم أعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وأكرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم وقد ورد في حكم
القرآن مدحها والتتويه بقدرها قال الله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان
وقال الآخرة خير وأبقى وقال اذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً الآية.
وحيث كان الامر كما ذكر فينبغي للعاقل ان يطلب ما عند الله ويعرض عن
هذا الفاني الخسيس الموق عن الوصول الى الدائم النفيس . ولما أظهرني الله
رحمة للعباد وطفقت أدعوم الى الله والى الرغبة فيما عند الله وأنقرم عن هذه
الدار كثيرة الحن والأشرار وقد هدى الله بي من أراد هداه وأضل من أراد

شقاء. وبعد ان فتح الله مدينة الخرطوم حسنت الظن بأهل الخنادق المحصورين بالسودان وقلت في نفسي لعل الله ان يلهمهم رشادهم ويأخذ بنواصيرهم الى طريق سدادهم . ولما وردت لي مخاطبتكم هذه ازداد حسن ظني بكم وسددت من جهتكم ورضيت عنكم واهتممت بأمركم رغبة في هدايتكم ورشادكم وعلى حسب التماسكم قد عيّنت لكم كلا من الحبيب الحسين بن ابراهيم زهرة والحبيب ابراهيم عالم فان المذكورين من الاحباب الاصفياء الذين لا قصد لهم سوى تأييد الدين وسوق عباد الله بالتي هي أحسن وأشرت عليها بمعاملتكم بالرفق والتأليف ولين الجانب وهما ما واصلان اليكم لتطمينكم وحقن دمائكم واعطائكم أمان الله ورسوله وأماننا في أنفسكم وأولادكم التي تؤخذ منكم ما يزيل ضرركم كل واحد منكم على حسب حاله وراحته التي تلزم له وترشيدكم وتذكيركم بالله وبأيام الله به وبأن من يريد الهجرة منكم الينا يعطياه الاذن بذلك فان أمركم على حسب حكيمة يجوابكم وترغبون الاسلاك في سلك أنصار دين الله والاثابة اليه والاقلاع عما مضى فإنا بيننا وبينكم إلا المحبة الخالصة لوجه تعالى ولكن اول وصول هذا الخطاب اليكم سارعوا الى الخروج لمقابلة الجماعة المندوبين من طرفنا واطلبوا أماننا منهم وسلموهم كافة الاشغال الميرية ولا يصير منكم أدنى تأخير . هذا وليكن في علمكم انهم النائبون عنا في جميع ما يحرونه معكم أمضيانه فاعتمدقوه ولا تخشوا من شيء وابشروا بكل خير ما دمت على الاخلاص معنا ألهمكم الله رشادكم وحفكم بعنايته وجعلكم من أهل هدايته والسلام في ٣ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ١٨ مايو سنة ١٨٨٥ م . ولنترك الأمانه الآن سائرین لاستلام كسلا ولنرجع الى المهدي لنرى ما كان منه بعد سقوط الخرطوم .

الفصل الثاني والعشرون

في

المهدي بعد سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ م

دخول المهدي الخرطوم في ٣٠ يناير سنة ١٨٨٥ : تقدم ان المهدي ما سرّ بالنصر على الخرطوم حتى عاد الواور ان عنها . وفي يوم الجمعة ٣٠ يناير سنة ١٨٨٥ أي بعد رجوعها بيومين ركب الواور المسمى « الزبير » وعبر النيل الى الخرطوم فصلى الجمعة في جامعها وعاد الى ابي سعد في الواور نفسه فغير اسمه الى « الطاهرة » اشارة الى انه طهر بركوبه فيه . ومن ذلك اليوم أخذ يتردد الى الخرطوم فأعدوا له منزل ابي بكر الجركوك لأنه كان متقن البناء ولأن ابنة ابي بكر المذكور التي تسراها بعد فتح الخرطوم كانت ذات حظوة عنده . وأعدوا للخليفة عبد الله سراي الحكومة ولكل امير من الامراء منزلاً في المدينة فرتموا فيها وبقي معسكر المهدي في ابي سعد وابي عنجة وجهاديتة في ظابية ام درمان التي عرفت عندهم بالكارة .

سرية النجومي الى القبة في ٨ فبراير سنة ١٨٨٥ : وفي ٥ فبراير أتى المهدي بخلفائه وخاصة امرائه من أبي سعد الى كرري لتبشيع جيش النجومي

الذي أمره بطرد الانكليز من القبة وعاد الى أبي سعد الاحد في ٨ فبراير سنة ١٨٨٥ يوم خروج النجومي بأخر جيشه من كرري كما مرّ .

انتقال معسكر المهدي الى ام درمان أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ : ثم لم يكن إلا القليل حتى أتاه الخبر من النجومي أن الانكليز رجعوا الى دنقلة فطابت نفسه وسرتي عنه فشرع في نقل الديم من أبي سعد الى ام درمان لأنها أسهل مراساً وأفضل موقعاً من أبي سعد فضلاً عن أنها قريبة الى الخرطوم فركب هو وخلفاؤه وبعض امرائه وأتوا ام درمان فخططوا جامعاً يسع ألف نفس على شكل ظهر الثور وسقفوه بالزنك الذي وجدوه في ترسانة الخرطوم وبنوا للمهدي وخلفائه وكبار أمرائه منازل من الحجر والطين وسقفوها بالقش والبروش ثم شرعوا في نقل الديم الى ام درمان حتى أتموه وكان ذلك في أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ . قبل وقد اجتمع في ام درمان في ذلك الوقت نحو مليون نسمة .

سرية أبي عنجة الى جبال النوبة في أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ : ولما استقر المهدي في عاصمته الجديدة نظر أولاً في جهات السودان التي لم تزال على العصيان . وكان البعض من أهل جبال تقلي وجبال النوبة قد تخلّفوا عن الجهاد ورجعوا الى أماكنهم بأسلحتهم وقطعوا طريق الخرطوم من الغرب فجرد لهم جيشاً جراراً من راية الخليفة عبد الله وعقد لواءه لحمدان أبي عنجة وأمره بأن لا يبادرهم الى الحرب بل يدعوهم الى الطاعة ويحذرهم العقاب فان أبوا فاجزهم فخرج حمدان أبو عنجة من ام درمان بجيش كبير من جهادية وحرابة فيه نحو ١٥٠ اميراً وسلاح الجهادية رمنتون وأبو روحين وأبو لفتة ومدافع وصواريخ . وذلك بعد فتوح الخرطوم بشهر .

سرية محمد عبد الكريم الى منار ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ : وكانت منار لا تزال ثابتة على الحصار فندب لها ابن عمه محمد عبد الكريم فخرج بجيش كثيف

من راية الخليفة شريف يوم الخميس في ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ م .

بعثة الأمناء الى كسلا مايو سنة ١٨٨٥ : وكانت كسلا في هذه الأثناء في أشد الحصار وقد كتب أهلها الى المهدي يسألونه ان يبعث اليهم أمناء من عنده لیسلموا لهم فأجابهم في شهر مايو سنة ١٨٨٦ الى سؤالهم كما مر .

مطاردة الانكليز الى دنقلة : هذا وكان المهدي لما أتاه الخبر من النجومي ان الانكليز رجعوا من القبة الى دنقلة أمره باللحوق بهم وذلك في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ٢٤ مارس سنة ١٨٨٥ م ثم أمره بالبقاء في التمة وعهد بالأمر الى محمد الخير فأخذ في الاستعداد واستنفر الجيش . وبينما هو في ذلك اذ أتاه الخبر باخلاء الانكليز لمديرية دنقلة فأمره المهدي بالزحف عليها واحتلالها .

استعداد المهدي لغزوة مصر : وكانت نفس المهدي تسوّل له فتح مصر والشام والقسطنطينية ومكة واخضاع جميع الأمم . فلما خرج الانكليز من دنقلة شرع في الاستعداد لغزوة مصر .

حسين باشا خليفة وغزوة مصر : وكان حسين باشا خليفة قد تمكن من تخادعته حتى أقنعه انه مخلص له في السر والظهر فساهم عاملاً عاماً على قومه العباددة الذين في حدود مصر وعلى من أراد الانضمام اليهم من أهلها وأمره بمواقعة الترك الى ان يدركه يجهشه . وهذه هي صورة المنشور الذي أصدره اليه بهذا الشأن .

و بعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله وصفيه حسين خليفة تولاه مولاه واجتباؤه وأكرمه واصطفاه آمين . ايها الحبيب اعلم وفقني الله تعالى وإياك الى الصواب وجعلنا من اعتمك بحبل الله الوهاب ان الله سبحانه قد أكرمكم بصحبتنا وجعلكم من أنصارنا وأعواننا وأتمم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة يسمع وعظنا والتنوير بأنوارنا فصرتم بذلك من

انصار الله وأحبابه وعدتم من الاصحاب الصادقين . ولما كان موضوع امرنا القيام بأمر الدين وجهاد أعداء الله الكافرين وقد انتهى أمرهم بالسودان وعزمنا بإرادة الله على التفرغ لغيرها من البلدان فقد اخترنا الله تعالى ووجهناك امامنا عاملاً عموماً على كافة قبائل جماعتك العبايدة الذين بالجهات البحرية عشاباب وشنانير وفقرا وعلى كافة من يرغب الانضمام عليك من القبائل الأخر بطوعه واختياره لتبلغهم دعوتنا وتعطيهم بيعتنا وتستنفروهم لإحياء الدين وحررتنا لهم الأوامر بذلك وما تركنا لهم في الدلالة على الله والترغيب فيما عنده والتنفير عن هذه الدار الفانية شيئاً فخذ الأوامر المذكورة وتوجه على بركة الله وابذل وسعك في ابلاغ الدعوة واستنفار الناس للجهاد ودلاتهم على طريق السداد وكما آذناك في اعطاء البيعة لمريدها فقد آذناك في جهاد الأعداء تركاً وغيرهم وفي تولية من ترى فيه اصلاح المسلمين وعزل من ترى فيه افسادهم وفوضنا اليك الامر في فعل كل ما ترى فيه مصلحة الدين بتلك الجهة فشر فيما ندبناك اليه وقم بواجب امرنا هذا وتوكل على الله واعتصم به وليكن اكبر همك الاقبال عليه وبجبة لقائه فان من أحب لقاء الله أحب لقاءه وأكرم نزله ووصيتنا الجامعة لك ان تتقي الله وتكون من الصادقين وان تسير في الناس بسيرنا وامارتنا لك على شرط اتباع الكتاب والسنة فان غيَّرت او بدلت فلا اماره لك فافهم ذلك واسترشد به سدد الله امرك وجعلك ممن قال في شأنهم الذين إن مكنهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . وفقنا الله وإياكم على مرضاته والسلام . في ١٢ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ م .

تحشية : ثم اعلم ايها الحبيب انه قد سبق التحرير منا بامارة الحسن سعد محمد وشمعون ابراهيم والحسن ابي سيدين على جهات قبائل العبايدة ثم صار ضمهم على محمد الخير وحيث ان اماره محمد الخير محصورة ومعددة فلتكن امارات هؤلاء الجماعة على العبايدة الذين بمديرية بربر ويفضلوا مع محمد الخير كما كانوا ولا

تأريخ الشوكان

يكن لأحد منهم تعرض على العباددة بخارج مديرية بربر وانما يكونوا تحت امارتكم هذا لزم الالحاق في تاريخه والسلام اه .

وأرسل في الوقت نفسه كتاباً الى الشيخ منشتج كرّار يسميه اميراً على قومه الشناثير وفيه : « ... ان خطابك الذي تذكر فيه تسليمك لأمر المهدي ورغبتك للانسلاخ في سلك انصار الله واحبابه وانتظارك لاشتارتنا قد وصلنا وفهمنا مضمونه . » وكتاباً الى الشيخ بشير جبران يسميه اميراً على قومه العشاباب ويخبر كلا من الشيخين المذكورين بتولية حسين خليفة عاملاً عاماً على العباددة ويسأله الانقياد اليه ومعاونته على الجهاد .

فخرج حسين باشا من ام درمان في ١٦ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ م وأتى القاهرة وهو غير مصدق النجاة فحوكم بمجلس عسكري وخرج منه بريئاً فسمي مفتشاً في الداخلية وبقي الى ان توفاه الله سنة ١٨٨٦ .

كتاب المهدي الى أهل مصر : وكتب المهدي منشوراً عاماً « الى سكان مصر حكاماً وتجاراً وعمداً وغيرهم » يخبرهم بعزمه على غزو مصر ويدعوهم الى نصرته .

كتاب المهدي الى الخديوي : وكتب في الوقت نفسه الى سمو الخديوي كتاباً هذه صورته بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المعتمد بالله محمد المهدي بن عبد الله الى والي مصر .
« لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذي يكون المتمسك به ناجياً عند الله هو دين الاسلام الذي جاءنا به نبينا محمد ﷺ ونزل به القرآن من الملك العلام قال تعالى : ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وما سوى ذلك من الأديان فضلال يدعو الشيطان اليه حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين الخبيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل الأقدام ويشيب الطفل ويشد الزحام والا كان أسوأ حالاً

من البهائم حيث أضع حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله
 الا باتباع دينه وإحياء سنة نبيه وأمه وإماتة ما حدث من البدع والضلال
 والإجابة اليه تعالى في كل الاحوال وقد تأكد ذلك في هذا الزمان الذي عمّ
 الفساد فيه سائر البلدان فان دسائس اهل الكفر التي أدخلوها على اهل الاسلام
 وضلالاتهم التي مكنوها من قلوب الأنام قد أغضت الى اندراس الدين وعطلت
 احكام الكتاب والسنة بيقين فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الأنام وتراكت
 الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت محارم الاسلام واشتد الكرب على اهل
 الايمان فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البغي والعدوان فعند
 ذلك أظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لعباده لانتقذهم من ظلمة الكفر
 الى نور الايمان وأدلهم الى الله على هدى منه وتبيان وطوقني بالخلافة الكبرى
 على المهدي وخلع عليّ حلها البهية وبشرني سيد الوجود ﷺ بالنصر على كل
 من يعاديني ولو كان الثقلين وبأن من يقصدي بمداوة يحذله الله في الدارين
 وقلدني سيف النصر وأيدني بقذف الرعب في قلوب أعدائي يسعى امامي اربعين
 ميلاً . وأخبرني بأني أملك جميع الارض وبأن من شك في مهديتي فقد كفر
 بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمة للمسلمين وبأن الله قد أيدني بالملائكة الكرام
 وبالجن أحياء وأمواتاً وهكذا من البشارات المعجائب الذي يطول شرحها وكل
 ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الاربعة والحضر عليه السلام وما كنت
 أترقب هذا الامر لنفسي ولا سألت الله إياه بل كنت أسأله ان يجعلني معيناً
 لمن يقوم به فلما أراد الله كان وحتم الأمر عليّ من سيد الأكوان فقمت بأعباء
 هذه الحالة واعتصمت بالله وتوكلت عليه وأخبرت الحكمدارية بأني المهدي
 المنتظر وقد كان بها محمد رؤوف وما تركت لأهلها في ايضاح هذا الأمر شيئاً
 وأنا في انتظار الاختبار وتسليم الأمر لله الواحد القهار فما كان منهم إلا ان
 ضربوا عما أخبرتهم به صفحاً وطووا عن قبوله كشحاً وبأدروني بالمحاربة من
 غير روية ولا تثبيت في هذا الأمر الديني الذي جتتهم به من خير البرية فأيدني
 الله عليهم كما وعدني . وهكذا صارت جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة وأقدم لهم

الانذارات ولم تفهمهم والله يؤيدني وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم الى ان قلت حيلتك وتلاشا أمرك فسلمت أمر أمة محمد ﷺ لأعداء الله الانكليز وأحلت لهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم فجاءت الانكليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله فلما سول الشيطان لهم ادراك غوردونهم بالخرطوم وأيست من هداية أهله وعلمت ان تكرار الانذارات لا ينفعهم وحقت عليهم كلمة العذاب وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم وسواء عليهم أنذرتهم أم لا تنذرهم الآية عجل الله بفتحها واهلاك من فيه وأحرقت النار أجسامهم عياناً كالذين من قبلهم اظهاراً للحقيقة وتمجيلاً للعقوبة وصدق عليهم قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذتهم بغتة الآية . ثم أنذرت الانكليز فلجأوا رؤوسهم فوجت اليهم طائفة من الانصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا هاربين بعد ان أهلك الله فيهم من أهلكه وشئت شملهم وهذا كله غير خاف عليك ولا زال حزب الله مقتفياً اثر باقيهم وعن قريب يحل الله من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر هذا أوان المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما في الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فاتته من ملكها الذي مآله الى الزوال وعظيم النكال وانما يكون مطمح نظره الى ما عند الله من النوال في دار الكرامة والافضال فان الدنيا لو بقيت للأول لم تنتقل للآخر ومن هنا نعلم ان هذا الملك لم يصل اليك إلا بموت او عزل من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك . وحيث كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك ان كنت ترجو من الله نعيم دار الأبد ان تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا بخذا فيرها فدقق النظر واجمع عليك فكرك وتدارك نفسك واسع فيما ينجيك عند ربك اذا تمثلت بين يديه وسألك عما جرى منك وسلم الأمر اليه تسلم وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستمعن وهم على سفك دماء أمة محمد ﷺ ألم تسمع قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم الآية وقوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد

الله ورسوله ولو كانوا آباءهم الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الآية
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزماً ولعباً من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء الآية وما هذه الطاعة لأعداء
الله والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب
يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله الى
ان قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
الآية ، فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على
نعم آخرته فاعتبر بذلك وبادر الى النجاة والسلامة المعتبرة وهي سلامة الايمان
ونزه نفسك عن ان تكون في أسر أعداء الله دائماً ولا تهلك من كان معك
من أمة محمد ﷺ واغسل ما جرى منك بدموع الندم ولا تكثر مجاه الدنيا
الفاني ولا بملكها الزائل فان لله داراً خيراً منها وقد أعدها لعباده المتواضعين
جلاله قال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا
فساداً والعاقبة للمتقين الآية وإياك والركون الى أقوال علماء السوء الذين
أسكرهم حب الجاه والمال حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكوك كما
أهلكوا من قبلك ففي الحديث القدسي لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا
فينصذك عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي ولا تغتر بقوة حصن
بلدك وكثرة أسلحتك وعددك الظاهرية ومظاهرة دول اهل الكفر لك فانها
لم تغن عنك من الله شيئاً وكم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعة من
هو أشد منك قوة واكثر جمعاً لما بغوا وعثوا في الارض مفسدين . وليكن
في علمك ان أمرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ونور من رسول الله ﷺ
ومؤيد من عند الله يخنود ظاهرية وباطنية وما قصدنا فيه إلا إحياء الدين
وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً
فان نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة بالسوء وقبلت هدينا هذا وأنبت
الى الله بنية خالصة فعليك أمان الله ورسوله وأماننا وما بيننا وبينك إلا

الحبة الخالصة لوجهه تعالى ونكون الجميع يداً واحدة على اقامة الدين واخراج
اعداء الله من بلاد المسلمين وقطع دابرهم واستئصالهم من عند آخرهم ان لم
ينبوا الى الله ويسلموا . وقد حررت اليك هذا الكتاب وأنا بالخرطوم شفقة
عليك وحرصاً على هدايتك فأرجو الله ان يشرح صدرك لقبوله وبدلك على
صلاحك ورشادك في الدارين وها انا قادم على جهتك يحنود الله عن قريب ان
شاء الله تعالى فان امر السودان قد انتهى فان بادرتني بالتسليم لأمر المهدي
والانابة الى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية وأمنت على نفسك ومالك
وعرضك انت وكافة من يحجب دعوتنا معك وان أبيت بعد هذا إلا الاعراض
عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك
في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية لمن
أدركته العناية والسلام على من اتبع الهدى ، اه .

عبد الله الكحال وغزوة الشام : وكان المهدي قد ارسل الحاج عبد الله
الكحال عاملاً على بلاد الشام فجاء مصر بطريق وداي وعاد الى تجارته فيها
كما مر .

المهدي ومراكش : ويظهر ان جماعة من اهل مراكش المستوطنين مصر
كتبوا الى المهدي يصرون له بتصديقهم مهديته ويسألونه تسمية اقدم السيد
محمد الغالي اميراً على مراكش لنشر دعوته في بلادهم فأجابهم بالكتاب الآتي :
« وبعد فمن المبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه المكرمين
السيد ابراهيم السنوسي الحسني ومحمد عبد السلام الحباني وعبد السلام البناني
ومحمد قاسم الخلو وفقهم الله وسددهم وألهمهم الصواب وأرشدكم آمين . ايها
الاحباب اهدي لكم جزيل السلام الممزوج بالرضاء عنكم وجليل الاكرام
وأعرفكم بأن خطابكم المؤرخ ٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ قد وصلني وما احتوى
عليه من حسن تسليمكم لأمر المهدي ورجبة وصولها اليكم ونشرها بجهاتكم الغربية
مع تولية السيد محمد الغالي عبد السلام على فاس وجهاتها الى آخر ما بخطابكم

قد أحطت به علماً وجزاكم الله عن دينه وعننا أحسن الجزاء وشكر سعيكم وأدام هديكم وجعلكم مفتاح كل خير وقد سرنا حسن رشادكم زادكم الله رشاداً ومحبة وما نحن قد أجبناكم الى ما طلبتم وحررنا الاوامر بإمارة السيد محمد الغالي وما هي واصله اليكم صحبة الحبيبين عبد الخالق السبكي والطبيب البستاني فان المذكورين قد أوصلا جوابكم الينا وأخذنا بيعتنا وسما من مواعظنا ما ينور البصائر وصارا عندنا من الاحباب ورأينا تحميلهم للأوامر أصوب وأنفع فيلغني مراعاتها ومشاورتها في امر الدين . ثم انه لا يخفى عليكم ان جهات فاس فيها أكابر من اهل الخير الذين يقتدى بهم في الدين فلذا ولحقي اتفاق كلمة المسلمين في الله قد جعلت تفويض الامر اليهم فان اتفقت كلمتهم على السيد محمد الغالي المذكور فذلك جل قصدنا وقد باركناه لهم وان اتفقت كلمتهم على غيره من الأفاضل فقد آذناهم في ذلك وان السيد محمد عندنا من الملحوظين بعين الرعاية المكرمين النفاية ولكن حيث كان قصدنا واحداً وهو تأييد الدين فلا يليق يا احبابنا الا الرضا والفرح والقبول لما نريده فانه عين الخير عند الله تعالى . هذا وأوصيكم ايها الاحباب بتقوى الله والاعتصام به والتوكل عليه في كل الامور وعزيمتي عليكم العمل بما في الاوامر وأخذها على النور والتوجه بها لجهة التعمين وابلاغ الدعوة فانكم القائمون بأعباء هذا الامر بتلك الجهة والمتسببون فيه ولكن الاعتماد على الله والاقبال عليه ومحبة لقائه والاعراض عن هذه الدار الفانية التي لا تزن عند الله جناح بعوضة ولا بد من تعجيل غناطبتنا في كل ما يتجدد لكم حال وصولكم بارك الله فيكم وألهمكم رشادكم وجعلكم من اهل اجتهاد يحياه سيدنا محمد ومن والاه والسلام . ٢٥ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ١٠ مايو سنة ١٨٨٥ م اهـ .

وكتب في التاريخ نفسه كتاباً خاصاً الى السيد محمد الغالي بالعمالة العامة على فاس وكتاباً الى الطبيب البستاني احد الرسولين بالامانة ضمن عمالته. ثم كتب الى أهل فاس يدعوهم الى الانضمام الى عامله . وكتب الى والي فاس ما نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله السيد الحسن بن محمد بن عبد الرحمن والي فاس ونواحيها وفقه الله. أيها الحبيب منا اليك جزيل السلام ومزيد الاحترام ثم اعلم وفقني الله تعالى وإياك الى ما يحبه ويرضاه وغمسي وإياك في بحار محبته ورضاه ان الدين خير للمرء من نفسه وماله وهو الرفيق الذي ينفعه عند هول المحشر. ولا يخفى ما حصل على الدين في آخر الزمان من الالهانة وتعطيل الاحكام وإهمال العمل بالشريعة المطهرة ولكن المسموع عن أهل جهنكم انكم اهل خير والي الان متمسكون بشريعة خير الانام وحيث انكم كذلك فقد جاءكم الهدى والرشاد ودعائم داعي الله الى طريق السداد اذ قد طوقني الله بالخلافة المهدية وأمرني بدعاية الخلق الى احياء السنة المرضية وقد لبي دعوتي من أسعده الله ببلاد السودان وأعرض عنها من أشقاء فأهلكه واشتعلت فيه النيران وقد وفق الله جماعتكم الذين بمصر وألهمهم رشادهم فخطبوني بالتسليم التام لأمر المدينة والرغبة الكاملة في نشرها في الاقطار العربية والتمسوا تولية السيد محمد الغالي عبد السلام عاملاً من طرفنا على فاس وما والاها ونحن لمحتنا ابصال الخير للمؤمنين قد جررنا للمذكور بالامارة على تلك الجهة ولكن فوضنا الأمر لأهلها فان اتفقت كلمتهم عليه فيها ونعمت وان اتفقت كلمتهم على غيره من الفضلاء فقد أذناهم في ذلك . وحيث انك والي تلك الجهة من سابق وراع. أمرها فقد حسنا بك الظن وخطبناك بهذا لتبادر الى فلاحك وفوزك ونجاحك وتجيب دعوتنا على اقامة الدين وجهاد أعداء الله الكافرين وان اتفقت كلمة أهل البلد على توليتك عليهم من طرفنا فقد وليناك عليهم ولكن تكون مع السيد الغالي المذكور يداً واحدة ونفساً واحدة وتتحابوا في الله ولا تتنافروا فان المقصود واحد وهو اقامة دين الله . وان اتفقت كلمة أهل البلد على غيرك سواء كان الغالي المذكور او غيره من المسلمين فكن انت كرجل منهم ولا تكثر بزوال الملك فان ذلك رحمة من الله حفك بها . ألم تعلم ان النبي ﷺ قد ذمه في غير ما حديث وقال عليه السلام في الامارة اولها ملامة ووسطها ندامة وآخرها

عذاب يوم القيامة الى غير ذلك من الاحاديث التي لا تحصى . وحيث كان أمر الامارة كذلك فلا تحزن لفواتها واعلم انك ان أجبت دعوتنا فانت مقبول ومكرم عندنا ومنا والينا دنيا وآخرة وابشر بخير الدارين وعزيمتي عليك ان تعمل بالكتاب والسنة وان تتفقد جميع ما في الأوامر المحررة الى أهل جهتك . وليكن في علمك اني عن قريب ان شاء الله تعالى حاضر بحزب الله للجهات المصرية فان أمر السودان قد انتهى فان باذرت أمري هذا بالتسليم وطلبت سلامتك عند الله وآثرت ما في الآخرة من النعيم فقد حزت السعادة الابدية وأمنت على نفسك ومالك وعرضك انت وجميع من يجيب الدعوة معك وان أبيت إلا الاعراض عن طريق الرشاد فانما عليك اثمك وإثم من معك وأمر الله واقع وفيما هو مسطر اليك في الاوامر الواصلة لك صحبة هذا كفاية لمن حفته العناية ألهمك الله رشادك وذلك على الصواب يحياه النبي الاواب هذا والسلام ٢٨ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ، ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ م .

ولكن لطف الله بعباده ولم تصل هذه الكتب الى اصحابها اذ الطيب البناني الذي عاد بها لم يبلغ بربر حق كان المهدي قد مات وعلم الخليفة به فأرسل في طلبه فأخذ منه الكتب وحبسه « حبس عين » في ام درمان فبقي الى ان فتحها الجيش سنة ١٨٩٨ فرأيت فيها ورأيت هذه الكتب بين أوراق الخليفة فسألت البناني عنها فقال انه احتال على المهدي للتخلص منه فلم يقدر الله له الخلاص . وسألت عنها بعض المراكشين المخاطبين فيها فأجابوا : « لا علم لنا بذلك مطلقاً » .

انتشار الجدري في ام درمان : وفي ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١ ابريل سنة ١٨٨٥ م فشا وباء الجدري في ام درمان واستمر شهراً كاملاً ففتك بالأهلين فتكاً ذريعاً حتى قيل ان الأكفان التي أنفق عليها من بيت المال وحده بلغت ١٢٦ الف كفن . واصبح لسان حال السودان ينادي : قل للوبا انت « وابن دُنْقُل » قد جزمنا الحد في النكابة ترفقا بالورى قليلا في واحد منك كفاية

يكنى بابن دُنُقُل عن المهدي اذ في تقاليد الدناقلة ان أصلهم من جد يسمى دنقل .

الاحتمال بختان أولاد المهدي : وفي يوم المراج أي في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ١٢ مايو سنة ١٨٨٥ م احتفل المهدي بختان اولاده فاختنن في ذلك اليوم جميع اولاد الأمراء والأعيان طمعاً في ان ينال الاولاد البركة وقد عملوا وليمة عامة وذبحوا من الابل والبقر والغنم ما لا يحصى عد وكان ذلك اليوم يوم فرح عظيم عند جميع الشعب .

تبرئ المهدي من أهله : وكان الاشراف اهل المهدي قد طفوا وبغوا على الناس وأسأؤوا السيرة فاستاء المهدي منهم فلما كان يوم آخر جمعة في شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ١٢ يونيو سنة ١٨٨٥ م بعد ان فرغ من الخطبة في الجامع وهم الناس بالوقوف للصلاة أشار اليهم بيده وقال اجلسوا ثم نادى بأعلى صوته وقال : ايها الناس اني مللت من النصيح والمذاكرة لأقاربي الاشراف الذين تمادوا في الطيش والغواية وظنوا ان المهدي لهم وحدهم ثم مسك ثوبه ونفضه ثلاث مرات وقال انا بريء منهم فكونوا انتم شهوداً علي بين يدي الله تعالى فنكس الاشراف رؤوسهم ولم يحبه احد بكلمة . ثم نزل عن المنبر وصلى صلاة الجمعة وخرج . وكان هذا آخر عهده بالجامع كما سيحيى .

سك النقود فبرابر سنة ١٨٨٥ : وكثر ما غنمه المهدي من مصوغات الذهب والفضة من الابيض والخرطوم وقلت النقود في أيدي الناس فأراد ان يسد هذه الحاجة ويبين للملا استقلاله عن الدول وتأسيسه مملكة جديدة بعملة جديدة فجمع الصاغة وأمرهم بسك النقود فأنشأوا ضربخانة في بيت المال وضربوا من الذهب جنيناً قلدوا به الجنينه المصري فهو على مثاله بطفرائه وتاريخه وقطعه وتخنه عملوه من ذهب خالص ولكنهم جعلوا وزنه أقل من وزن الجنينه المصري بجبتين وضربوا من الفضة ريالاً بقطع الريال المهيدي ووزنه فجعلوه سبعة دراهم فضة ودرهم نحاس وقد كتبوا على وجهه الواحد « ضرب

في الهجرة سنة ١٣٠٢ هـ ، وعلى الوجه الثاني « بأمر المهدي » بهيئة طغراء وضربوا منه نصفاً وربعاً . وكان بدء هذا العمل في جمادى الاولى سنة ١٣٠٢ هـ فبراير سنة ١٨٨٥ م .

جمع الزكاة والعشور : وقد شرع المهدي في جمع الزكاة والعشور توطأ بعد فتح الخرطوم وهاك ما أرسله الى احد نوّابه في هذا الشأن بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه وصفيه وعونه في الله محمد عثمان وقائي الله وإياه من كل علة ورفقني وإياه الى نور الرفيق الاعلى . حبيبي فجزاك الله كل الخير وأعطاك ما هو له اهل فيما بينت له مادة الزكاة على الاحاديث الواردة . وأما أخذ الزكاة فهي كما ذكرت المناشير حلول المهدية سنة قتلة الشقي الهكسي (٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣) اذ ان أحكام الترك زالت سلتها من الجزيرة فلذلك تعدّ الزكاة منها اذ انها هي وضع حكنا في تلك الأمكنة فمنها تؤخذ الزكاة وعلى السنة الناقصة من باب اولى . ولكن اذا سبقت الخدمة قبل تمام السنة الناقصة فلا يخدمونهم فيها حتى تتم السنة الثالثة ومن لا يخدمونهم في الناقصة يتركونهم الى حين تمامها فيخدمونهم هذا والسلام نهاية شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ، ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ م .

الغنائم : وقد حذر المهدي أنصاره من الغلول في الغنائم ونشر في ذلك عدة منشورات وجاء في واحد منها : « ان من أخذ ابرة من الغنائم تقع يوم القيامة في قعر بحر من نار ويؤمر بأن يخوض في البحر ليخرجها » .

وأما توزيع الغنائم فيظهر رأيه فيها من كتابه الى محمود عيسى زايد عامله على جهات الضباينة بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ م .

« وأما الغنائم وتقسيمها فان كانوا المجاهدين منقطعين لله فقط ولا غرض لهم سوى الله ولا حرفة لهم سوى الجهاد وليسوا اهل بيع وشراء ولا حرث فليصر جمعها ووضعها في بيت المال والصرف منها شيئاً فشيئاً اذ انهم لا وسيلة

لهم سواء. أما اذا كانوا من ذوي الحرف ويتجمعون للجهاد لوقت معلوم وعند انتهائه ينفرون لحرفهم فليصر اخذ الخمس منها (الغنائم) وباقيا ينقسم لهم على وفق كتاب الله وسنة رسوله .

وقد كان من مبدأ المهدي جمع أموال العشور والزكاة والغنائم كلها في بيت المال والاتفاق منها على المجاهدين كافة بحسب عددهم وحالهم وهاك منشوره بهذا الشأن :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أصحابه وأعوانه في الله من الخلفاء والعمال والانصار والمأمورين . احبائي ان أمر الدين يحتاج الى اتفاق الكلمة واتفاق القلوب واتصال الاحوال والمقال وان يتصل بالواطي العال فقد قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ولذلك أتتكم الوصية من الحضرة ان اصحاب المهدي يكون الصغير منهم ابناً والكبير أباً والمتوسط أخاً واذا حصل الامر على هذا الاتفاق استقام الامر واتصل العسر وتيسر العسر . وعلى ما سبق من الرصايات والمنشورات فعزيمة مني على كافة الاصحاب خصوصاً الخلفاء ان يعاونوا الخليفة عبد الله في جمع الغنائم والزكوات لبيت المال وهو يفرق بمعرفته العمال فيها وهم يكونون معاونين بأنفسهم وأتباعهم وقد عازمت على كل احد من الاخوان ان من كان يؤمن بالله ورسوله ومهديه ألا يؤخر عن بيت المال درهماً ولا ديناراً وتكون راحة جميع الاخوان والاصحاب كبيراً وصغيراً من بيت المال ولتفرح الاخوان لخدمة الدين وراحة المسلمين لا يخدم احد لنفسه ولا لجماعته فكل مؤمن بالله ورسوله ومهديه ومعاون لي على هذا الدين يكون على راحة المساكين ولا يستبد احد بطائفة لجماعته ولا بقبيلة لرايته ولا بجهة ومعلومية لأمره لأن هذا فيه خدمة النفوس والاتكال على غير الله القدوس مع ان البيعة على زهد الدنيا والاتكال على الله وبذل النفس لاقامة الدين . وحيث كان الواجب القيام بالبيعة فالاخوان جميعاً فليخدموا « الاعشار والزكوات والغنائم » لبيت المال ولا يأخذ أحد لنفسه ولا لجماعته شيئاً . ولتكن الراحة من بيت المال لجميع الانصار وليبين

من كان له عيال وأهل من كثير وقليل ومن ليس له إلا قليل فالكل يقنن له من بيت المال ما يكفيه والجميع خدمتهم لله وان فرغ بيت المال يكون الصبر حتى يعطي الله بيت المال الكفاية له والسلام .

كتاب المهدي : وكان المهدي قبل فتح الخرطوم ينظر بنفسه في جميع المسائل الادارية التي تأتيه من الجهات ويشير الى كتابه بالاجابة عليها بما يقتضيه رأيه وأشهر كتابه : الصديق ولد ابو صفية من أعيان كردوفان الذي صحبه من قدير . واخوه عبد الكبير . وفوزي السوداني التلغرافجي الذي قتل في واقعة هكس كما مر . وفوزي محمود بادي من مواليد بارة . وأخواه احدي ومختار . والطبيب الهائم وابو القاسم اخوه ومدّسر ابراهيم من جملي بربر . وقد كان ختمه بيد فوزي السوداني فلما قتل سلمه الى فوزي محمود فبقي بيده الى ان مات المهدي .

امناء المهدي : ثم لما فتحت الخرطوم واتسعت الاشغال الادارية على المهدي عجز عن النظر بنفسه في جميعها لا سيما وانه كان يهتم اذ ذاك في غزو مصر فاختار سبعة من الأمناء وعهد اليهم بالنظر في جميع الامور الادارية وأمرهم بالآلا يقطعوا في أمر إلا بعد عرضه على الخليفة عبد الله وأخذ رأيه فيه . وهؤلاء الامناء هم : الرئيس السيد عبد القادر الساتي علي من اقارب المهدي . والاضحى فوزي محمود كاتبه وامين ختمه وقد امره بختم جميع الكتب التي يقر عليه مجلس الامناء والخليفة وارسالها الى جهتها . ومحمد سليمان شقيق احمد ود سليمان امين بيت المال . والشفيع رحمة الشايفي كاتب الالهام للمهدي وعلي ود الفقيه الامين خوجلي من علماء السودان . واسماعيل ود شجر الخيري الدنقلوي ومعههم احمد ود النور كاتباً . وبقي حكمهم نافذاً الى ما بعد وفاة المهدي ففرقهم الخليفة عبد الله كما سيجيء .

وأجاز المهدي لعماله الحكم بالقتل بدون استئذانه وهاك ما كتبه الي عامله من بربر محمد الخير في ٢٤ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ٩ مايو سنة ١٨٨٥ م

« ... قد سبق منا مراراً وتكراراً ان أمر تلك الجهة مفوض منا اليكم ولو يقتل احد في الحق ... » .

منشور الراحة في رمضان : ولما اقبل شهر رمضان سنة ١٣٠٢ طلب الراحة من الاشغال والانقطاع الى النظر في تدبير المستقبل فنشر لأنصاره المنشور الآتي :

« وبعد فيقول العبد لله محمد المهدي ان هذا الذي اقبل هو شهر رمضان زمن الاقبال على الرحمن وميدان الاشتياق الى عظيم الشأن فافزعوا أيها الاحباب فيه للديان ووطنوا قلوبكم على الشدائد والرضا بالبلايا والامتحان حيث اوعد بذلك الرحمن لتبيين حال اهل الصفة والرسخان وبشر الصابرين بعظمة الشأن وحسن العواقب وتولية الديان فتوكلوا على الله وفوضوا له في كل ما يفعل لحسن الظن به اذ هو حقيق بالاحسان وهو العالم بما لا يعلمه الأبوان ... فتحققوا ذلك أيها الاحباب وانصبوا أنفسكم لله وارفعوا حواجبكم فكلنا عبيد الله والامور بيده فلا تشغلوني بقضايا ولا بجوائج في هذا الشهر واخلونا للذكر والتذكر والصلوات والدعوات فان فقد العبد نور الصبر والرضا والتفويض وأراد ان يرفع حاجته الى العبيد فما هم الخلفاء نيابة عني والامناء المتبين والقاضي فمن شغلني بشيء في رمضان بعد هذا فلا يلم إلا نفسه والسلام غاية شعبان سنة ١٣٠٢ هـ « اه ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ م .

الفصل الثالث والعشرون

في

وفاة المهدي وصفاته وتعاليمه

وفاة المهدي في ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥ هـ ولما كان يوم الاربعاء في ٤ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ أصابت المهدي حمى خبيثة تعرف في السودان « باب دم » وعند الأطباء بالالتهاب السحائي الشوكي . وفي يوم الجمعة ٦ رمضان أمر الخليفة عبد الله فخطب وصلى بالناس الجمعة . ودامت الحمى على المهدي الى يوم الاثنين ٩ رمضان (وفي قمر السودان ٨ منه) سنة ١٣٠٢ هـ ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥ م فأسلم الروح عند الضحى وكان عنده خلفاؤه وأقاربه فأمر الخليفة عبد الله أقاربه فجهزوه وحفروا قبره في محل فراشه في منزله ثم صلى عليه اماماً وباقي الخلفاء والناس مؤتمنون به ودفن عند الظهر ولم يسمع لدفنه صوت . وبايع الناس الخليفة عبد الله فقام بالامر بعده كما سيجيء .

وقد شاع بعد موت المهدي انه مات مسموماً وان بنت ابي بكر الجرkok هي التي دست له السم في الطعام انتقاماً لأبيها وزوجها الذين قتلوا في فتح الخرطوم ولكن الثقات من أهل السودان ينكرون هذه الاشاعة ويؤكدون ان بنت ابي الجرkok كانت تحب المهدي وكان المهدي يحبها وان أقارب المهدي

شدوا شعر لحيته قبل دفنه وتيقنوا انه لم يميت مسموماً . وقد رثاه جماعة من
أدباء السودان نظماً ونثراً ومنهم ابراهيم شريف الدولابي الكردي وفاني فانه
رثاه بقصيدة غراء هذه هي بحروفها :

كيف التام فؤادي المفطور
أم كيف يتفك الضنا عن مهجة
أسف على المهدي من مهد الصبا
لا زال في كف العناية يفتدي
حق انتهى لمقامه الأعلى الذي
وأقامه المختار عنه خليفة
ورقى الى كرسيه متسماً
فدعا الى الدين الحنيف مجاهداً
فتح الفتوح ودمر الكفار في
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلاً
ومن انتمى لسواه أمسى حائراً
ما شئت فيه من الشاء فقل ولا
ما أطنبت مداحه إلا وهم
هو جمع البحرين بحر شريعة
سر الوجود وترجمان الحضرة الـ
والله أكرمهم بطيب تحية
قد كان قوام الدجى متبتلاً
طلق الحيا خاشعاً متواضعاً
وتفيض بالجلود الكثير يمينه
ويبيت طاوي الكشح جوعاً وهو قد
لا يبتغي جاهاً ولا مالاً ولا
ما هم إلا اجتذاب الخلق من

ورقوء دمع محاجري المفجور
أنحشاؤها تصلى على تنشور
قد كان معصوماً عن المحطور
بدقائق التبصير والتنوير
عنه النهى في حيرة وقصور
خلعت عليه ملابساً من نور
في مشهد بالأوليا معمر
بالسيف والانذار والتبشير
كل البلاد يحيشه المنصور
سور الرضا أعظم به من سور
ضل الطريق بلبلة ديجور
تأخذك لومة لائم مدحور
عن وصف بعض حلاه في تقصير
طام وبحر حقيقة مسجور
غليبا ومظهر غيبها المستور
يحذو بها موسى كلام الطور
متواصل الاحزان غير فخور
كهف الفقير وجابر المكور
أبدأ بلا من ولا تكدير
أعطى الكنوز يجمعها الموفور
عز الموك ولا ارتباع الدور
درك الشقاوة عميم والمور

لما أبانت لنا السبيل ولم يدع
والدين عز وأهل بلغوا المنى
ناقت الى الذات العلية روحه
ففضى وأودع كل قلب حسرة
تبكي المساجد والمحارب فقده
يا طيب أرض ضمّ جسمك تربها
يا آل بيت المصطفى صبراً وإن
فلکم تسلّ في مصيبة جدم
وإذا توارت في الثرى شمس الهدى
أبقاه مهدي الإله وراهه
ويسوق للنهج القويم بحاله
هو ذاك عبد الله نجل محمد
وخليفة الفاروق نجم ثاقب
وخليفة الكرار سيف منتضى
بطل اذا اقتحم الكتيبة غادر الا
فبهم قوام الدين بعد امامه
صلى الإله على ضريح ضمه

ورثاه محمد ابن الطاهر المجذوب بقصيدة طويلة اقتطفنا منها هذه الأبيات:

دهتنا دواء يضرس القلب ثابها
غداة نعى الناعون نور الوجود من
امام الهدى المهدي افضل من دعا
ألا قد أصبنا اذ عدمنا حبيبنا
ليبك له الدين الجنيف وملة
فقدناك يا هدياً يتما بفقده
الى الله انا راجعون هو الذي
ويوقد في الأحشاء ناراً منأها
به ملة الاسلام جل مصابها
الى الله مفتاح النجاة وبأها
وضاقت بنا الارض الوسيع رحابها
أبان هداها حين تم خرابها
فقدناك يا شمساً دهانا غيابها
اليه نفوس العالمين إياها

هو الفاعل المختار باق وأنفس الو
 وكنت نرى انا نفوز بوصله
 فلم يبقَ فيها الآن ما يبتغي له
 سقى الله ارضاً ضمنتها بقاعها
 عزاء الى الصديق فائبه الذي
 عزاء الى الفاروق من كان دأبه
 عزاء الى الكرار ذي الناصر الذي
 عزاء الى الال الكرام أولي التقى
 وألحقنا المهدي في جنة العلى
 ألا أبلغوا عنا ضريح أبي الهدى
 رى كلها جمعاً اليه انقلابها
 بذى الدار حتى صاح فينا غراياها
 بقاما فقد أضحى سراياها
 به فاقت العرش العظيم قباياها
 به الملة الغراء شد انتصاها
 لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها
 لديه يهاب البائرات ذهابها
 على الله هاتيك الرزايا احتسابها
 ليذهب عن هذي القلوب اكتسابها
 تحايا الى الله الكريم انتسابها

اوصافه : وكان عمر محمد احمد عند وفاته نحو اثنتين وأربعين سنة وكان
 طويل القامة كبير الرأس عريض الوجه اسمر اللون أدعج العينين ازج الحاجبين
 واسع الجبين ألقى الانف رحب الصدر واسع الفم عريض الشفتين عظيم المنكبين
 ضخيم العظام واسع الكفين والقدمين سائل الاطراف مفلج الاسنان مشروط
 الوجنتين على كل وجنة ٣ شرائط افقية مستدير اللحية واسعها خفيف الشاربين.
 وكان يخلق شعر رأسه ويحسن لحيته . ولباسه الجبة والعمامة على ما تقدم
 قبل . وكان كثير التبسم يظهر من تبسمه فليج اسنانه المستحب عند اهل
 السودان حتى لقبوه « بابي فلجة » .

اخلاقه : وقد وصفه اسماعيل عبد القادر الكردي وفاني وصفاً طويلاً اضطر
 فيه الى التملق الكثير ومما قاله : « انه كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
 ليس بفظاً ولا غليظ ولا فحاش ولا عياب ولا مداح . ترك نفسه من المراء
 وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث لا يذم احداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته
 ولا يواجه احداً بما يكره . يتفقد اصحابه ويسأل عنهم فمن كان غائباً دعا له
 ومن كان حاضراً زاره ومن كان مريضاً عاده . وأفضل الناس عنده أعمهم

نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواسة. لا يجلس ولا يقوم عن ذكر... يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه ان احداً أكرم عليه منه . وما جالسه احد إلا صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . وقد وسع الناس بسطه وخلقهم فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء ... أوسع الناس صدرأ وأصدقهم لهجة وألينهم خلقاً وأكرمهم عشرة لا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يغفو ويصفح . متخلقاً بالقرآن المجيد عاملاً بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على أعدائه والتواضع ولين الجانب والرحمة لأوليائه ومواسة عباده وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتثال لأذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خير في الدنيا والآخرة. ذا حلم وعلم وصبر وشكر وعدل وزهد وتواضع وعفو وعفة وتقوى وحياء ومروءة وجود ومماحة وشجاعة وصمت إلا عن ذكر الله وتؤدة ووقار ورحمة المؤمنين وما وضع احد فمه في اذن له إلا استمر مصغياً اليه حتى يفرغ من حديثه . أكثر الناس شفقة على خلق الله وأرأفهم بهم . يركب الحمار ويردف خلفه ويجلس على الارض ويأكل مع الخادم ويحمل حوائجه بنفسه من السوق يحب الطيب ويستعمله ويحب من الثياب ما خشن ومن الطعام ما خشن... واشتهر من اول نشأته بحب الخلوة والانفراد عن الناس والتمسك بالدين كما بينا قبل .

جلوسه : وكان يجلس على فروة من الضأن ويقعد القرفصاء وحوله أخصاؤه وأقرباؤه يذاكرهم . واذا جلس على الطعام جثا على احدى ركبتيه وبارك الطعام قبل الأكل ودعا اليه أخصاءه وأقرباءه .

الدخول عليه : وكان الداخل عليه يخلع نعليه ويتقوم اليه حبواً حتى يقرب منه فيلمس يده ويرجع عنه قليلاً ثم يكلمه وهو منكسر الرأس ويخاطبه بقوله يا سيدي . وبعد الفراغ من حديثه ينصرف راجعاً القهقري غير مولتيه ظهره ..

نساؤه : ولكنه كان مولعاً بالنساء وقد مات عن نحو ١٠٠ امرأة منهن اربع شرعيات عرفن بأمهات المؤمنين والباقيات سراري وقد حبسن في منزله بأم درمان ولم يسمح لهنّ بالزواج الى ما بعد الفتح الاخير فأطلق سراحهنّ فتزوج بعضهن ولا يزال البعض الآخر بلا زواج .

أما نساؤه الشرعيات فهنّ : فاطمة بنت احمد شرقي التي تزوجها في الخرطوم قبل المهدية وقد توفيت في قدير . وعائشة بنت احمد شرقي تزوجها في الابيض بعد وفاة اختها . وفاطمة بنت حاج ابنة عمه تزوجها في كرري قبل المهدية . وفاطمة بنت حسين الحجازي تزوجها بشات قبل المهدية . وعائشة بنت ادريس الفلاحي تزوجها بقدير .

أما سراريه فقد استقضيت أسماء ٦٣ منهن وأشهرهنّ من سبايا كردوفان : ام الحسن اخت احمد بك دفع الله ، وعائشة بنت حاج احمد ام بربر ، وزنوبة بنت خورشيد كاشف ، وكنانة سرية الزبير ود ضوّه ، ونظيفة ونحل الجود سريتا محمد بك الشايقي ، ومدينة سرية يوسف باشا الشلاحي . ومن سبايا الخرطوم : آمنة بنت ابي بكر الجر كوك المار ذكرها . وأمنة بنت ابي السعود بك العقاد ، والشول بنت يوسف بك مدير فاشودة ، وفاطمة بنت حسن مسمار ، وزينب بنت حسن بك البهنساوي ، وفاطمة بنت النور بك ، ونزهة بنت محمد بك سليمان الشايقي ، وآمنة بنت احمد شجر الخيري ، وزينب بنت يوسف باشا الشلاحي ، وزينب بنت اخته . ومن سبايا الجزيرة : النعمة بنت الشيخ القرشي . والسرة بنت محمد ولد البصير ، وزينب زوجة حمد التلب ، ومقبولة الدارفورية ، ومأمونة الحبشية . وقبيل الله النوباوية .

اولاده : وله من فاطمة بنت احمد شرقي : ثلاثة اولاد ذكور وهم الفاضل وهو بكر اولاده ومحمد والبشرى وبنت تسمى زينب تزوجها الخليفة شريف . ومن فاطمة بنت حاج اربع بنات . ام كلثوم تزوجها الخليفة عبد الله ، وبور الشام تزوجها الخليفة علي ود حلو ، ونفيسة ، وعائشة توفيت بعد وفاته .

ومن فاطمة بنت حسين الحجازي : ثلاث بنات رحمة توفيت قبله ، وأم سلمة تزوجها شيخ الدين ابن الخليفة عبد الله ، ومريم ، وولد يسمى الصديق ومن نخل الجود مرية محمد بك الشايقي ولد يسمى عبدالله . ومن النعمة بنت الشيخ القرشي ولد يسمى علي ومن مقبولة الدارفورية ولد يسمى عبد الرحمن. ومن مأمونة الحبشية ولدان توأمان الطاهر والطيب . ومن قبيل الله النوباوية ولد يسمى نصر الدين. وجملة من ذكرنا ١٠ بنات و ١٠ صبيان سبعة من الصبيان ماتوا او قتلوا وبقي ثلاثة وهم علي والطاهر في قلعة مصر وعبد الرحمن في جزيرة الخرطوم وسيأتي ذكرهم بعد .

اخوته وأقاربه : وأما اخوته فهم ثلاثة محمد وحامد وعبد الله قتل حامد في قدير ومحمد وعبد الله في الابيض كما مر . وأما أقاربه الأخصاء فهم : السيد احمد شرقي حموه ، وعبد القادر ود ساتي علي ، ومحمود امير الابيض ، ومحمد عبد الكريم ، والخليفة شريف ، عدا محموداً الذي قتل في واقعة كورتي كما مر .

تعاليمه : وكان أساس تعاليمه ان يعيد الدين الى ما كان عليه في اول الاسلام . ويملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، فمن سلم له وبأيمه على الجهاد ضمه الى أنصاره ومن لم يتبعه حاربه وأذله سواء كان مسلماً او غير مسلم بلامتياز . وكان اذا أنكر احد عليه مهديته قتله . واذا خالف له أمراً قاصه اما بالقتل او بقطع اليد والرجل من خلاف. وقد رفع المذاهب الاربعة (وهي المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي) وتفرد بمذهب اجتهادي خاص به وحد فيه المذاهب بتسوية ما بين بعضها من الخلاف والفناء البعض الآخر وفرضه على أتباعه مدعيًا انه هو الواسطة بينهم وبين نبي الاسلام في تبليغ الاحكام الاسلام وان فعله كفعل النبي ففرض عليهم ان يتوضأوا كما رأوه يتوضأ ويصلوا كما رأوه يصلي وهكذا في جميع العبادات والعبادات من غير نظر لما تدون بالمذاهب الاربعة المذكورة. وقد أحرق كل كتب السنة والتفسير وأحرق معها جميع الكتب الدينية والعلمية حتى لم يبق في السودان من الكتب

إلا القرآن ومناشيره ورواتبه. واختار لراتبه آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف وفرض على أتباعه حفظه غيباً وتلاوته كل يوم مع تلاوة حزب من القرآن بعد صلاة الصبح وصلاة العصر . وقد بدأ بإنشاء هذا الراتب منذ اشهار دعوته فأخذ يزيد عليه من وقت الى آخر الى ان اتمه قبل وفاته بقليل. وقال ان الطريق الموصلة الى الله تعالى محصورة في ستة اشياء وهي : صلاة الجماعة ، والجهاد في سبيل الله ، وامتنال اوامره ونواهيه. والاكثر من كلمة التوحيد ، وتلاوة القرآن ، وتلاوة الراتب. وقد كتب كراساً علم فيه اتباعه كيفية قيام رمضان . وسهل طرق الوضوء ، وعلم الزهد في الدنيا والجهاد للدار الآخرة ، ومنع الناس من زيارة قبب اوليائهم التي كانوا يزورونها قبل المهدية وقد زريها زرباً قوياً . بل منع الحج الى الحرمين بحجة ان الجهاد اشد لزوماً منه ، وهدم اكثر الجوامع ، ومنع اقامة صلاة الجمعة في الجوامع الاخرى او انشاء جوامع جديدة إلا بأمره ، وشدد في المحافظة على الصلوات الخمس جماعة . وابطل الرتب والالقب الرسمية وغير الرسمية ، وساوى الغني بالفقير. وفرض على جميع اتباعه لباساً واحداً وهو الجبة المرقعة التي كان يلبسها هو ، ومنع النساء من لبس الذهب والفضة وشعر المارية وخروجهن مكشوفات الرؤوس وخروج الحديشات السن منهن بين الناس وقاص من خالف ذلك بالجلد ولكنه سمح لهن بالتعطي في منازلهن بالسوميت والمرجات والصدف واللؤلؤ ، وامر اهل البادية بخلق شعر الرأس ولبس العمة بعد ان كانوا يرخون شعورهم ويدهنونها بالشحم وربما كان هذا من احسن آثاره . وحرّم الاحتفال بالاعراس احتفالاً يدعو الى النفقة وخفض مهر الزواج فجعله عشرة ريالات وبدلتين أي ثوباً وقرباباً للبكر وخمسة ريالات وبدلتين للثيب وعاقب من خالف ذلك بمصادرة أمواله لبيت المال . فسهل بذلك وسائل الزواج على الفقراء وقد كانت نفقات العرس الباهظة تحول بينهم وبين الاقتران فأقبلوا على الزواج حتى ان بعضهم عدّ ٧٠ عقداً عقدت في ليلة واحدة وأبطل الرقص والغناء وضرب الدلوكة الذي اشتهر اهل السودان بحبه وجازي من

خالف ذلك مجلده وتصدير ماله . وحرّم خصي العبيد . ومنع البكاء وراء الميت ، وابطل السحر والتعزيم وكتابة الحُجُب . وحرّم شرب الدخان ومضغه وشرب الخشيش والحجارة وقضى على من خالف أمره هذا بالجلد ثمانين سوطاً والحبس سبعة أيام مع تصدير امواله كلها . وجعل عقاب من شتم بلفظ الكلب والخنزير ٢٧ سوطاً والحبس سبعة أيام وعرف هذا القصاص عندما والذي قبله « بحق الله » . وأعاد قصاص الرّجم للزّاني والزانية وقطع اليد للسارق .

كتب المنشير : وكان يثبت تعاليمه ووصاياه في منشير ينسخها النساخ . وبعد فتح الخرطوم واستيلائه على مطبعة الحجر الأميرية صار يطبعها بمطبعة الحجر ويوزعها على أنصاره . وقد أمر قضاته باتخاذها أساساً لأحكامهم وقال لهم احكموا بالمنشير فاذا عرضت لكم مسائل لم ترد فيها فاحكموا بالكتاب والسنة . وجمع خليفته هذه المنشير في جزئين طبعها بمطبعة الحجر وجعلها أساساً لأحكامه . وقد أسقط عدة منشورات منها كمنشور المهدي للسنوسي ومنشوره الذي صرّح فيه بفتح مكة وقال انه اسقطها حذراً من ضلال الجهال . وكان المهدي قد شرع في تأليف كتاب سماه « المجلس » ضمنه ارشادات للصلوات والاذكار وقراءة الراتب وكان القصد ان يضمه الاحكام الشرعية في المعاملات والديانة ويكون سنة لأنصاره ولكن النية عاجلته فبات قبل ان يتمه .

تعاليم المهدي من منشوراته : وأهم منشور نشره المهدي بين اصحابه فضمنه معظم تعاليمه المنشور الآتي وهو بحرفه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله الى كافة الاحباب في الله . أيها الاحباب ان الامر كله لله واليه المرجع والمآب وان النبي ﷺ لما أجلسني على كرسي المهديّة قد امرني بجهاد الترك وقال لي ان الترك كافرون بل هم أشد الناس كفراً ونفاقاً لقوله تعالى يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم

وانهم يسمعون في اطفاء نور الله تعالى لقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأهانة السنة النبوية واستعطاف الاسلام . وقد اظهروا كتباً يريدون بها طغي نور الله تعالى ويسمونها كتب القانون مع شتم الاسلام وقهره . أما ترونها يسحبونكم في الحديد والسلاسل لاجل اخذ أموالكم لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ويحملونكم المشاق القوية . لا تترككم حتى يسلوكم الاسلحة والاموال فان فعلوا ذلك فلا تسترقوا اولادهم ونساءهم بل اقروهم على حالهم وهم اخوانكم في الدين واحسنوا اليهم . وان العمل كله للنية في الجهاد في سبيل الله كمثل خطاف اخذ بمنقاره من ماء البحر قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة عوضاً عنها اذ قتلوا او قاتلوا . قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . وقال لي سيد الوجود عليه السلام من أنكر مهديتك فقد كفر . وان ارواح الترك اشتكت الي وقالوا يا إلهنا ويا خالقنا ان الامام المهدي قتلنا من غير انذار فقلت يا إلهي أنذرهم وخالفوني وصالوا عليّ وسيد الوجود شاهد علينا . وقال سيد الوجود عليه السلام ذنبكم عليكم وانكم خالفتم وصلتم فقتلتم . واني عبد مأمور باظهار الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيم . وقد امرني سيد الوجود عليه السلام ان كل من خالفني عدّ كافراً وان الله قد غفر ذنب من اتبني وقواني . وقد أمرني سيد الوجود عليه السلام ان زواج الثيب بخمسة والبكر بمشرة ريات . تخفيفاً لأمته ومن نقص الصداق عن ذلك فهو أقرب اليّ من بياض العين الى سوادها وإياكم والزيادات . فامنعوا نساءكم عن النوح والتسليم وذبح الاموال سرفاً . وأما كيفية الحافرين والحاملين النعش فلا بد من ماله اذا كان له مال وإلا فمن بيت مال المسلمين . فمن بكت او سوّدت الباب او ناحت او حدثت على غير زوجها فتؤدب حتى تظهر توبتها بالضرب والسخط بما يناسب لها . ونهيتكم عن التنباك الخبيث فمن شربه منكم فليؤدب حتى يموت او يتوب . وان الجهاد فرض فمن تخلف عنه فهو عاص الله ورسوله ولا تقبل صلاته ولا صومه ولا صدقته بل أمره كله هدر فمن تركه من غير عذر باين فحكه كذلك . أطيعوا

طعامكم المجاهدين . فمن لم يأخذ البيعة من الامراء اصحاب الرايات الذين يخرجون من عندنا لاجل الجهاد فهو منافق ملعون . فأما العالم التابع لي في مهديتي فهو كالنبي المرسل والعامي التابع لي كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني والعالم المخالف لي كفرعون والعامي المخالف لي كهامان . ومن علامة مهديتي ان النار تخرج من ثقب السلاح أي يخرج دخاناً . وان الله قوائي باللائكة الكرام وعزرائيل حامل لواء نصرتي وان الخضر وسيد الوجود والاولياء من عهد أبينا آدم الى هنا معي ومؤمن الجن كذلك معي . وقد أمرني سيد الوجود ﷺ بأن يخرجوا الاحراز ساعة الملاقاة كون الجان تنفر منه . وأمرني بأن أتوكل على الله كيف يهتم العبد بالرزق حيث ضمن الله رزقه لقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وقوله تعالى وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها . كيف يرتقي العبد من الأمراض كونه هو الفاعل والتوكل أولى . وكيف يصح للعبد ان يسوء في بساط الخيرات لأن الفاعل يفعل والمفعول يدفع لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه . ومن سرق منكم سرقة قل او كثر فاقطعوا يده لأنه يوم القيامة يقوم بلا يد ويتخبط كما يتخبط العبد في الدنيا بحس الشيطان لا بارك الله في ولي تركه او امير استعان به . وكذلك الزاني يرحم اذا كان محصناً ويحلد البكر وأما المرأة فاذا دخلت بالاجني الذي يخشى عليها منه فيؤدبان بالاجتهاد لأن الشاب والشابة اذا تلاقيا يكون الشيطان دليلهما فلا بأس بمقاضاة الحاجات بحضرة واسطة من الناس . ومن ترك الصلاة او تهاون بها قتل حداً في ضرورية . وأما من تعدى منكم على اخيه ببسط لسانه في عرضه او ماله فهو ليس مني وأنا لست منه . وان ادعيت انكم أتباعي ولم تفعلوا فعلي فانكم منافقون لقوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فاذا لم تتعابوا كالاخوين من الأيوين فليس أتم اتباعي . ومن ستر على سرقة رأها او شرب خمر او زنى فكتمه رافة عليهم فهو كالفاعل . ومن تخلف عن الجهاد بصحة جسم لا بارك الله فيه . واذا أخذتم ذنب الأبقار والاعنام والابل والزرع وتركت الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم .

اتركوا الترفهات وفرأوي الريف لأن موت النفوس حياتها . والبسوا الجلب المرقعات ولبسوا نساءكم الثياب الخلقه . وان أمري مبهم لا يعرفه إلا اصحاب الحضرة الذين يرون رسول الله ﷺ لقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون . أما ترون الترك لهم الأسلحة النارية والقوة العديدة قد هلكوا وأورثكم ارضهم وديارهم . هذا حصل لهم بمصية الله كذلك اذا عصيت الله يحصل لكم كمثلهم لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وأفضل الخلق من اتقاه . بأموراته ونهى نفسه عن منهياته . وان الشخص اذا اخذ البيعة وعاد الى فعله الخبيث فهو كالمرتد . ويقول الانسان اذا الليل أظلم يجناحه الله القادر المقتدر القاهر على كل جبار عنيد فاصر الحق حيث كان به الحول والقوة ان هي إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشائي هذا اليك لم أخرج اشرأ وبطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب إلا انت . ومن قال هذا الدعاء صباحاً ومساءً احدى واربعين مرة فهو معي ومع سيد الوجود ﷺ وان عمله كعمل اهل السموات والارض . ولا تجاوروا من ترك الجهاد او فعل منكراً من المنكرات المنهية كتاباً ومنه فاستعينوا عليه فخذوا نفسه وماله غنيمة للمسلمين المجاهدين ان استحل ذلك وإلا فليؤدب . ولا تمنعوا الاراضي لأنها لا تملك بسل هي محوزة لبيت مال المسلمين . وأما المجاهد فان استضافكم فأضيفوه وان استغاث بكم فأغيثوه . واما ارباب الجاه الذين اتخذتم اولياء ان نهوكم عن متابعتنا فانهم كافرون لا تسمعوا لهم قولاً لأنهم ضالون مضلون بل هم اشد اهل النار وعلمهم كعمل الذين قال فيهم ربنا كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين . وقال لي سيد الوجود ﷺ ان السعيد من اتبعك والشقي من خالفك واني عبد ضعيف ليس لي طاقة على قوام أدنى شيء فضلاً عن ذلك الملك الجائر الذي غير السنة النبوية والكتب الازلية واني على بصيرة من الله واعانة من رسوله ومعني سيف النصر لا ينفع الشريف

شرفه ولا العالم علمه ولا الولي ولايته إلا باتباعي والخير كله في تسليمه الأمر
 أيها الاحباب اني محمد بن عبدالله وأبي حسني من جهة ابيه وامه وامي عباسية
 من جهة ابيها وامها حينئذ لا شك اني من نسل المصطفى ﷺ واني ولدت في
 بحر النيل وهاجرت الى مائة في اقصى الغرب بلصق جبل يقال له قدير لاني
 موعود به فلا تلبسوا على انفسكم بقول ظهرنا في المشرق المعنى اننا نظهر
 بالشرق ويملا الله لنا البلدان عدلاً كما ملئت جوراً ويدرك الله لنا الارزاق درأً
 ويفيض الماء غيضاً وتتأنس الذباب يعني بها السباع الضارية في الانعام ويؤمن
 كل مؤمن من سم الحية وهذا كله بعد وصولنا لبنت الله الحرام والبيعة الثانية
 هي الكبرى وتسمى بيعة الفوز والرضوان . اللهم اجعلنا واخواننا المؤمنين
 على التقوى لقوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون . وقوله تعالى الاخلاء
 يرمئ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
 تحزنون . وقال تعالى واتقوني يا اولي الألباب وقال تعالى واتقوا الله لعلكم
 تفلحون وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
 والتقوى المذكورة لا توجد غاية إلا بالجهاد في سبيل الله والعمل بالكتاب
 والسنة رأس المال والجهاد ثمنه . ويجب على المجاهدين يعني بهم أتباعنا الذين
 يلهجون بالذكر في جل احوالهم بالتهليل والتسبيح والتكبير . وان اصحابي
 كأصحاب رسول الله ﷺ وهذا قاله لي بلفظه الشريف ان اصحابك كأصحابي
 فلما كان كذلك يلبغي لنا ان نقتفي أثر اصحاب رسول الله ﷺ الذين قال
 فيهم ربنا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وبما رزقناهم
 ينفقون وكن كذلك واحمل نفسك ودسها تحت اقدامك لعل الله يملوك . أيها
 الاحباب قد أمرتكم ان من ترك منكم عقيقة ابنه فليدعها لأن الروح تشي
 اليّ ونقول والذي لم يدعني فاعطني اسماً أدعى به فيقول الله لها سمي نفسك
 بنفسك وكذلك من لم يسمه ابوه فليسم نفسه ولو بعبد الشيب والهرم فيا
 حسرة اب لم ينم ابنه . وكذلك تجب اعادة الزكاة لمفرطها والصوم والكفارة
 فتفحصوا من الذنوب . واذا ضعف المجاهدون عن الجهاد أعينهم أيها القاعدون

تَبَاجِ الشُّعْرَانِ

اولوا الضرر بثلك مالكم واتقوا نفوسكم بمالككم ولا تخزنوها فيها لكم ضرر وسوء حظ . وحكم النساء ان المرأة الناشئة لزوجها احبسوها في الاوكار والبيوت المظلمة حتى ترجع او يتوفاها الله تعالى كالزانية فمن ثببت نفسها عن زوجها فمالها غنيمة لزوجها وان راضاها فماله غنيمة للمسلمين فان فعلوا ذلك فلا تمودوم ان مرضوا ولا تشيعوا جنازهم ولا تعينوم عند الشدائد . ولا يجهل في مهديقي إلا شقي محروم الحظ وعادم الخير والاحسان . واعلموا ان الوقت قد أزف وربما قام كالشمس تكون في اوكر غروبها . وتجنبوا عن النساء واللذات العديدة التي تورث صاحبها الكبر والبطر وجاهدوا في حق الله حق جهاده ايها الاحباب الناظرون لرضوان الله الواحد القهار . وناصرخوا المؤمنين وحب لأخيك المؤمن كما تحب لأخيك من ابويك وقدم حب اخيك المؤمن على نفسك وذلك الوقت تكون صاحبنا فان لم تكن كذلك بل انت مغرور وقد حرّم الله عليك سيد الوجود . واموال الغنيمة وان قلت كآبرة فانه لا يدخل الجنة إلا من اخذها بقسمة او شراء او استحق شيء من بيت مال المسلمين فان من سرق منها لا تقبل عمله حتى يردّها او قيمتها . فمن أعان مجاهداً بلقمة او درهماً او اثناء شرب او آلة حرب فكان يوم القيامة تحت ظل العرش ومن ناصر مجاهداً فكان مأواص محمداً ﷺ وأمن في الجنة . ليتعلم بعضكم من بعض وليتأدب بعضكم لبعض وليكسر طرفه لأخيه المجاهد . وان لا يعملوا عليه وان يساويه في الفراش والاكل إلا الضرر البيتن وان الامراء والعاميين فكلهم على حدّ سوى إلا في الامر والنهي فليخبرهم ولا يتفاضلون عليهم في المركب والملبس والاكل فمن فعل ذلك فهو مردود منا . وقال في الغنيمة المتقدمة وما كان لنبي ان يغفل ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة فهو العتاب عدم نهب الغنيمة للنبي وغيره . فمن جاهد خوفاً على ماله او عياله وجماهه فهو مخسور عند الله كالصدقة تخرج الناس . ايها الاحباب كونوا ربانيين وفوضوا امركم الى الله فان النصر لكم وان القتل الذي ترونه امتحاناً لكم وليس يريد به تضعيف المسلمين وان الله مع المؤمنين والسلام .

تعالم المهدي عن استاذة محمد شريف؛ وجاء في رائية الاستاذ محمد شريف
عن تعالم المهدي ما يأتي بحرفه مع اصلاح وزن بعض الابيات :

وأكاذيب ابداءها فمنها عن النبي	ومنها عن المولى ومنها غن الخضر
كأخباره بالخسف والمسح للعدا	وكم في قدبر من سلاح ومن تبر
ومن بعضها تحليل كل جميلة	ولو ذات بعل دون عقد ولا مهر
ومنها روى عن زوجة المتخلف	بما لم يكن في المسلمين ولا الكفر
ومنها اصلي في الجوامع كلها	الى المسجد الأقصى ولم يدبر مايجري
ومنها انا المهدي منتظر الورى	ولم يستع من عالم السر والجهر
وينهى النساء عن حلين وان بدت	بها كان منه والحكم بالنتف للشعر
وينهى عن التتباك نهياً كأنما	أتى منعه في الذكر من شدة الزجر
وينهى عن الارباح في الاخذ والعطا	ويمنع عن حرث وعن سبب الخير
وينهى عن العلم وعن كل واجب	ويأمر بالمنهي وينهى عن الامر
ويمنع عن حج وينهى عن النبي	ويمنع عن درس وينهى عن الذكر
يبيح حرام الدين كاللال والزنى	وسفك الدما والبيع للمسلم الحر
وينسخ حكم الله بالرأي والهوى	ويقضي بالقاء الشريعة في البحر
ويزعم بالجهل المركب فضله	على الانبيا إلا الرسول فذو شطر

مراتب اصحاب المهدي : وقد كان انصار المهدي مراتب متفاوتة في
المقام والكرامة بحسب أسبقيتهم في الانضمام اليه : فالمرتبة الاولى « تلامذته »
الذين صحبوه قبل ادعائه المهديّة ويقال لهم أبكار المهدي . والمرتبة الثانية
« انصار أبا » أي الذي نصره في أبا . والمرتبة الثالثة « انصار قدبر » أي
الذين هاجروا اليه وهو في قدبر . والمرتبة الرابعة « انصار كبا » وهم الذين
خرجوا له من الابيض الى كبا . ثم باقي الانصار وهم ايضاً طبقات بحسب
أسبقيتهم في صحبته فأهل بارة اكرم من اهل الابيض وهؤلاء اكرم من اهل
الخرطوم وهكذا . قيل ان اللواء ابراهيم باشا فوزي اجتمع بالملازم يوسف

افندي منصور في بيت الحاج خالد العمرابي بعد سقوط الخرطوم فلما حضر الخادم بالقهوة قدمها الى يوسف منصور اولاً فأشار هذا اليه لينذهب بها الى ابراهيم باشا فالتفت الحاج خالد الى يوسف منصور وقال لماذا ترد القهوة وتقدمها الى ابراهيم فوزي قال يا سيدي لأنه أكبر مني مقاماً فقال الحاج خالد لا بل انت أكبر منه الآن لأنك اسبق الى صحبة المهدي . وكان الخادم قد قدم القهوة الى ابراهيم باشا فلما سمع كلام سيده اخذ الفئجان من يد ابراهيم باشا وأعطاه ليوسف منصور ثم قدم لابراهيم باشا فئجاناً فاعتذر عن شربه وانصرف وهو يحرق الارم على المهدية وساعتها .

اهل السودان ودعوى المهدي : وقد صدق اهل السودان خاصتهم وعامتهم دعوى المهدي ونصروه وهم لا يشكّون ان من مات في سبيله فنصيبه الجنة والحرور والعين حتى صاروا يتمنون الموت وينادون عند رؤية القتال والجنة جت قريبة تحت المدفع وتحت الزريبة . وقد سموا التجارب « كلاب الدنيا » لتقاعدهم عن الجهاد . وحكي ان جعلوا جرّ صديقاً له الى المحاكمة لأنه قال له عند وداعه « الله يكتب سلامتك » . ولم يبق في السودان من شك في دعوى المهدي إلا نفر قليل من الادباء العقلاء وهؤلاء لم يحسروا على الاباحة بسرهم حتى الى نسائهم خوفاً على انفسهم من نقمتين فضلاً عن نقمة المهدي . ومن أباح منهم بسرّه قتل إلا ثلاثة من العلماء خطأوا المهدي في وجهه قصد إراحة ضميرهم مع الله فسلموا وهم :

« الشريف محمد الامين بن الشريف يوسف افندي » . من سكان رهد النيل الازرق . قيل ان المهدي كتب اليه يأمره بالانضمام الى عامله احمد المكاشف او الهجرة اليه في الابيض فاختر الهجرة اليه ليختبره وأتاه الى الابيض بمسد فتوحها في شوال سنة ١٣٠٠ فأقر له مع الشريف حمد النيل قرب ديوان المديرية فلما خبره أنكر عليه أشياء كثيرة ولم يكن له القدرة على رده ولم يطاوعه رأيه على المظاهرة بنصرته فقال للمهدي في بعض زياراته له « اني أستحلفك الله ان تتركني وشأني فلا تزورني ولا تدعوني الى زيارتك » قيل وطلب من الله

ان يقبض روحه وينجيه من هذه الضلالة فلما زحف المهدي من الابيض لغزو الخرطوم خرج معه فتوفاه الله في رهد كردوفان في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٠ هـ ودفن هناك رحمة الله عليه . وقد رأيت نجمة الشريف يوسف الهندي في مصر فأكد لي هذه الرواية وقال انه سيبنى قبة فوق قبره في وقت قريب .

« والشيخ محمد الزاكي من اقارب ود الزاكي المدفون على البحر الابيض » . قيل انه كتب الى المهدي يصرح له في الامور التي خالف بها الشريعة واحدة واحدة وقال له : اني أكتب هذا اليك لمجرد النصيح فأمل ان تعمل وتحقيه عن اصحابك لأنهم لو علموا به لقتلوني جهلاً فان أخفيته وحفظت هذه النصائح فأنت جدير بذلك وان لم تحفه ولحقني شرٌ بسببه فأعدّه « كلمة حق عند ملك جائر » فأخفاه المهدي عن اصحابه ولكن اباح به ود الزاكي لبعض اخصائه .

« والشيخ محمد نور احمد من عمد بارة » . قيل انه كان يصلي كثيراً بالصلاة الجزولية فلما أمر المهدي بمنع قراءة الكتب كلها اغتاض من منع كتاب الصلاة الجزولية فحمله بيده وتقدم الى المهدي وقال له اني لا أستطيع ترك هذه الصلاة وانا راض بما يصيبني من قراءتها فكتب اليه المهدي كتاباً يسمح له بقراءتها هذه صورته بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي الى حبيبه محمد النور وقاه الله الشرور اننا قد قلنا ان من أمكنه ان يصلي على النبي بالصلوات الواردة المأثورة فخير لأجل الاقتداء ومن كان لا ينشط لذلك فليصلي على النبي بما ينشطه من جزوليته او غيرها والسلام » .

العالم الاسلامي ودعوى المهدي : هذا وقد امتز لمهدي السودان العالم الاسلامي في جميع الاقطار وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب قصد زيارته والوقوف على حاله ولو أطال الله في أمده وزاد في توفيقه لقلب وجه الشرق انقلاباً عظيماً ولكن لطف الله بعباده وأوقفه عند هذا الحد فلم تتعد نصرته السودان .

الحكومة ودعوى المهدي : وكانت الحكومة قد تحوطت له فأصدر جلالة السلطان عبد الحميد السلطان الحالي أيده الله منشوراً رسمياً كذب فيه دعوى محمد احمد ونشره في جميع البلاد الاسلامية . وكذلك استفتى علماء الازهر في شأنه فافتوا بتكذيبه ونشر مجلس النظار منشوراً بذلك . قال العوام في نصيحته المنشورة : « ان الحكومة لم تستفت علماء الازهر في أمر المهدي إلا في شهر محرم سنة ١٣٠١ هـ أي بعد مباشرتها الحرب سنتين وأربعة أشهر وعجزها عن القيام باستمرار الحرب فكان رجوعها بعد ذلك الى الاستفتاء رجوع فرعون الى الايمان » . ثم لما ذهب عبد القادر باشا والياً على السودان أوعز الى علماء الخرطوم فألفوا الرسائل في تكذيب محمد احمد وتسفيه رأيه وقد طبعت في مطبعة الحجر في الخرطوم ووزعت في البلاد وأشهر هذه الرسائل :

رسالة السيد احمد الازهري ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردوفاني شيخ الاسلام في عموم غرب السودان المسماة بالنصيحة العامة لأهل الاسلام عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الامام . ورسالة الشيخ الامين الضير شيخ الاسلام في عموم شرق السودان المسماة هدي المستهدي الى بيان المهدي والمتهمدي . ورائية الاستاذ محمد شريف المار ذكرها . ورسالة المفتي شاكر مفتي مجلس استئناف السودان . وهذه هي :

رسالة المفتي شاكر الغزّي

في بطلان دعوى محمد احمد المتهمدي

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل السلطنة سرّاً من أسرار الالوهية وفرضاً من الفروض الشرعية الدينية . وجعل لزوم طاعتها فرضاً لازماً وأمرأ جازماً . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بين الحلال والحرام وأزال الشكوك والاهوام . وعلى آله وأصحابه السادة في الاهتداء وشموس

الاعتداء فيقول العبد الفقير شاكر الغزني مفتي مجلس استئناف السودان بلغه
الله أقصى منازل الرضوان :

لما كان ما ادعاه محمد احمد من المهدية بعيد عن الصدق بالكلية وصدقه في
مدعاه جهلة العوام والأوباش الطغام جمعت هذه الرسالة في نصحهم وارشادهم
من هذه الضلالة مرتبة على مقدمة وفصلين وخاتمة فأقول والله المستعان .

المقدمة

في وجوب طاعة السلطان وولاية الامور

اعلموا أيها الاخوان أصلح الله لي ولكم الشأن ان الدين والسلطان اخوان
متلازمان فالدين هو الأساس والسلطان هو حافظه ومشيده وما لا حافظ له
ضائع يمز تأييده فلا دين إلا بالسلطان . فالسلطان في الحقيقة هو القائم بحماية
الدين وحفظ بلاد المسلمين وهو ظل الله في ارضه وبه تقام شعائر سنته وفرضه
فهو خليفته على خلقه وأمينه على رعاية حقه قد ارتضاه من خليقته وأمرم
بطاعته . قال تعالى اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . وقال
ﷺ عليكم بالسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة .
وقال عليه السلام تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك . واعلموا ان
من أوضح الأدلة السالمة من الاعتراض الحاسمة أبواب الانتقاص ما ورد في
القرآن العظيم وسنة النبي الكريم من الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة والائتلاف
وعدم النزاع والخلاف قوله وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم . وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . وقال تعالى لو
أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم والمراد
بحبل الله المعتصم به هو القرآن وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير . ونقل
عنه عليه السلام انه قال ان الله رضي لكم ثلاثاً وكره لكم ثلاثاً رضي لكم ان
تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .
واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله تعالى أمركم . وكره لكم قيل وقال واضاعة

المال الحديث . وقال عليه السلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وقال عليه السلام من حمل علينا السلاح فليس منا . وقال عليه السلام من رأى من أميره شيئاً فكرمه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية . واعلموا ان نور التآلف ينسخ ظلم العداوة من القلوب ويكون سترأ من هجوم الحوادث وسداً في وجه الخطوب . وقديماً ثبت في القبائل والعشائر نار العداوة فأحرقتهم والنبسط يد المنازعة والمخالفة بينهم فمزقتهم واستلت فيهم سيوف الاحن والبغضاء ففترتهم ولعلت بروق التقابل والتقاتل فتألفت . ثم هبت عليها رياح التآلف والاتفاق فأطعمت ضرامها وضرفت غرامها وشفت سقامها ونفت عنها آلامها وملامها فتبدلوا بالاساءة احساناً وبالمخالفة أماناً وبالمنافرة اذعاناً وبالنقيصة رجحاناً فعادوا بعد التباين صنواناً وأصبحوا بنعمة الله اخواناً . فاذا علمتم ذلك وعلمتم ما تضمنته هذه الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة من وجوب طاعة ولاية الأمور وحرمة قتالهم والخروج عن طاعتهم أيقنتم ان من خرج عن الطاعة شبراً فقد عصي الله ومات ميتة جاهلية . واذا علمتم ايضاً ما في الخلاف والمنازعة والعداوة من الخراب والدمار أيقنتم ان الواجب عليكم الرجوع الى الائتلاف والاتفاق فاتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . فذكروا انفسكم رحمكم الله تعالى فان الذكرى تنفع المؤمنين .

الفصل الاول

في بطلان دعوى محمد احمد المهدية

ان بعض العلماء قال بظهور المهدي في آخر الزمان واحتجوا لذلك بأحاديث خرجها الأئمة . وبعض العلماء أنكروها وتكلموا فيها وربما عارضوها ببعض الاخبار . وللمتصوفة المتأجرين طريقة اخرى في امره . ورمز بعضهم الى خروجه في جفج إشارة الى انه يخرج سنة ٦٨٣ . ورمز بعضهم الى خروجه في سنة ٧٠٠ وكسور وغير ذلك ولم يخرج . فللعلماء فيه قولان قول بخروجه

شأن السيوف

في آخر الزمان وقول بعدم خروجه . وعلى القول بخروجه فهذا ليس زمانه .
 ومحمد احمد ليس هو المهدي المنتظر لخالفته له في اوصافه وفي مكان مولده
 ومكان خروجه ووزرائه ورجاله . فما ورد من ذلك ان مولد المهدي المنتظر
 ومظهره بمكة كما في العرف الوردي والصواعق . وقيل مولده بالمدينة . وقال
 العلقي والقول بأنه يخرج من المغرب لا اصل له وعلى تسليم صحته فالذي قال
 بخروجه من المغرب قال انه يخرج بموضع يقال له ماسة وراء السوس الاقصى .
 وأنتم لا تخفى عليكم ان مولد محمد احمد بدنقلة وخروجه بجزيرة ابا وجبل قدير
 فقد باين المهدي في المولد والخروج وهذا دليل على بطلان دعواه وظهور كذبه
 وافترائه . ومنها انه من عترته عليه السلام أفرق الشنايا أجلى الجبهة وجهه كالكوكب
 الدرري ومحمد احمد ليس كذلك . ومنها انه شاب أكحل العينين ازج الحاجبين
 أقنى الانف كث اللحية على خده الايمن خال وعلى يده اليمنى خال وهذه
 الاوصاف تبين اوصاف محمد احمد وهو ايضا برهان قاطع بعدم صحة دعواه
 وبطلانها . ومنها انه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق ويقرب منه في الخلق
 وأنتم تعلمون ان لونه صلى الله عليه وسلم ابيض مشرب بحمرة كما في الشماثل الترمذية ولون
 محمد احمد ليس بأبيض كما هو مشاهد لكم فمن اعتقد ان لون نبينا صلى الله عليه وسلم كلونه
 فقد انتقصه وحكم منتقصه صلى الله عليه وسلم الردة حتى قال في الشفاء لا تقبل توبته وهذا
 دليل ايضا على عدم صحة دعواه . وايضا لا يقارب خلقه صلى الله عليه وسلم لقتله المسلمين
 واستباحة أموالهم وحملهم على قتل بعضهم بعضا ورسول الله صلى الله عليه وسلم منزّه عن
 ذلك . ومنها انه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله
 فاتبعوه ومحمد احمد ليس كذلك فكيف تتوهمون في عدم صحة دعواه الباطلة
 وهذه الاحاديث تكذبه أكذبتم بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله تعالى .
 ومنها ما أخرجه الحاكم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام قال يحل بأمتي
 في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد
 الرجل ملجأ فيبعث الله رجلا من عترتي اهل بيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما
 ملئت جورا وظلما يحبه ساكن الارض وساكن السماء وأنتم لا تخفى عليكم ان

شدة البلاء من السلطان وعدم الملجأ لم يوجدنا فأنا وأنتم في رعد من العيش آمنين مطمئنين وملجأنا وملجأ العامة موجود وهو ولي النعم الحديوي الاعظم وسعادة افندم ناظر ديوانه وحكمدار عموم الاقاليم السودانية «عبدالقادر باشا» بلغه الله ما يشاء . والمأمورون من تحت ادارته تلجأون اليهم في مهماتكم فيأخذون بيد المظلوم وينتقمون من الظالم . فلا يتوهم حينئذ ظهور المهدي في هذا الزمان لأن هذا الزمان ليس زمان ظهوره لوجود الملجأ وفقد البلاء. وان كنتم تتوهمون انه المهدي فأين ملؤه الارض عدلاً وقسطاً كما في الحديث بل والله ما ملأها إلا قتلاً وفساداً وخراباً كما هو مشاهد وأين حب ساكن الارض له هل يحب العاقل من يسعى في الارض بالفساد وينهب ويقتل العباد وهل يرضى احد بفقد الامن وقتل المسلمين بغير حق وتقريرك كلمتهم . فاعتبروه يا أولي الابصار وانظروا بعين الاستبصار واعتقدوا ان محمد احمد ليس مهدياً وكذبوه في دعواه لما بسطناه من الاحاديث ولما ورد عن رسول الله ﷺ ان رجال المهدي المنتظر الهيون ابدال الشام وعصائب اهل العراق فهل رأيتم يا جهلاء المسلمين معه رجالاً الهيون من ابدال الشام وعصائب اهل العراق كلا والله ما معه إلا جهلة العوم واوباش الطغام كما هو ظاهر لكم وهذا دليل ايضاً يكذبه في دعواه . ومنها انه يخرج لقتال يوسف السفياي لا لقتال المسلمين ومحمد احمد انما يقاتل المسلمين ويقتلهم ظمناً فهل رأيتم في كتاب الله او سنة رسول الله ان المهدي يقاتل المسلمين ويقتلهم وينهب أموالهم وهو انما يظهر لحماية الدين ونصرة المسلمين . وأين السفياي وجيوشه الذين خرج محمد احمد لقتالهم فهذا برهان آخر على ان دعوى محمد احمد زور وبهتان . ومنها ان المهدي يبايع وهو كاره لهذه البيعة ومحمد احمد يندب الناس الى مبايعته ويقتل من لم يبايعه وهذا دليل على ضلال محمد احمد وبطلان دعواه . ومنها ان المهدي المنتظر لا يخرج عن الكتاب والسنة لا تبيحان الخروج عن طاعة الامام والكذب والفش والتليس على المسلمين وقتلهم ونهبهم بلا حق والشرع لا يبيح قتل الكافر

المؤمن والمعاهد ولا نهب ماله فأين العمل بالكتاب والسنة . فهذه عدة أدلة نقلناها في بطلان دعواه . فهل رضىتم بالحياة الدنيا من الآخرة وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ام قبلتم الخروج عن سنن الكتاب والسنة وانقلبتم على أعقابكم خاسرين أم هكذا شأن المسلمين فكيف ترضون بأقرار هذه المعاصي بين أظهركم ولم لا تغيرون هذا المنكر من بين أظهركم . فيا أيها المسلمون أنشدكم الله تعالى في دينكم لا تغيروه بوساوس محمد احمد الشيطانية وهذاباته النفسية . فانا رأينا وسمعنا كثيراً من ادعى المهدي قبله كإبراهيم السوداني فانه ادعى المهدي بالخرطوم واتخذ محمد اهراف وزيراً وتلاثى أمره وبطلت دعواه بقوة الحكومة . وكذلك الشيخ احمد بن عبيد المدعي انه المهدي بصعيد مصر قد تلاشت دعوته الباطلة وفرقت جموعه العاطلة وغير ذلك ممن ادعى المهدي بل النبوة بل الالوهية كالقنق الكندى وبطلت دعواهم وكذبهم الكتاب والسنة فيها وانقطع امرهم . فاعلموا ان محمد احمد هذا قد تأسى في دعواه هذه بمن ادعاه قبله وسيحل به ان شاء الله تعالى ما حل بهم فاتقوا الله عباد الله وأزيلوا هذا المنكر بما قدرتم لأنه ورد عنه عليه السلام من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يقدر فليسله فان لم يقدر فليقلبه وذلك اضعف الايمان والله سائلكم عن ذلك

الفصل الثاني

في النهي عن اتباعه ونصيحة من اتبعه

قد أوضحنا لكم السبيل السويّ ونقلنا لكم القول القوي بما ليس فيه شائبة توهم ان محمد احمد هو المهدي فلا يتبعه إلا من استحكت عليه عوائد التوحش ووقع في ظلمات الجهل والطمع في ايدي الناس وباع دينه بدينه فجعله أتباعه من حقى العربان وحقى الدراويش الذين ليس لهم مقصد إلا النهب والسلب والقتل اذ انهم أضل من الأنعام سبيلاً لا بصيرة لهم ولا معرفة ولا دين . فما مثال هؤلاء الأتباع إلا كمثل امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر

من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعاً وابست على رأسها مفراً وتعلمت من رجز الأبطال أبياتاً وتعودت ايرادها بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف تبخترهم في الميدان وتحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر أنفذت الى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المففر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عناثها فلما جردت عن المففر والدرع فإذا هي عجوز ضعيفة زميتة لا تطيق حمل الدرع والمففر فقبل لها أجنت للاستهزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم. خذوها فألقوها قدام الفيل لسحقها فألقيت الى الفيل وهكذا يكون حال الجبهة الطغام الذين لا يعرفون عاقبة ما هم فيه المغرورين بالمبسين الذين سول لهم الشيطان أعماهم فصدمهم عن السبيل وما كانوا مهتدين . فأيامكم أيها الاخوات الاقتداء بهؤلاء الجبهة والعمل بأعماهم فيجب عليهم ان يرجعوا الى طاعة الحكومة ولا يقتدوا بشيخهم ابليس لأنه اذا كشف عنهم الغطاء وأتتهم الجلل والمدافع والبنادق والرصاص لتمنوا الخلاص ولات حين مناص اذ ما من احد ينكر ان عساكر الحكومة هي مئات من الالوف وان الحكومة قادرة في كل وقت على تجديد الالوف من المعسكر وتجهيزها بالمهمات الكافية الحربية وعلى تشكيل القوى العديدة وان حصول التلف لجزء من عساكرها لا يؤثر في الحكومة شيئاً ولا تعنـد به لاقتدارها على تجديد أكثر منه في اقرب وقت . فبمجرد وقوع الفشل لبعض العساكر في بعض الوقائع لتباؤن الضباط وامهاهم لا تؤيد دعوى الشقي محمد احمد اذ لذلك امثال مضت ووقائع تقدمت . ألا ترون ما وقع من عساكر الحكومة مع العصاة الذين كانوا يجهة شكا ودارفور وغيرها ففي اول الامر أوقعوا الفشل في عساكرها ثم انتصرت عليهم عساكر الحكومة وعاد عليهم العصيان بالوبال والخسران وذهبوا فريسة عساكرها جزاء خروجهم عن الطاعة وأمثال هذا كثير يعلمه من شاهد الحوادث او سمع بها . فكيف يتصور بعقل

عاقِل ان هذا الشقي بمجرد اجتماع شرذمة من المفسدين عليه غايتهم السلب والنهب يقارم حكومة لها منات من الوف المساكر والجيش قادرة بمنه تعالى على تسليحهم بأسلحة نارية وآلات حربية . وهذا ما أعد لهم في الدنيا وقد أعد الله لهم جهنم وساءت مصيراً جزاء خروجهم عن طاعة الله ورسوله وولادة الأمور وقتلهم النفس التي حرم الله قتلها ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها فالله الله عباد الله عليكم بتقوى الله تعالى والعمل بكتابات الله وسنة رسوله . راجعوا الى طاعة الله وطاعة الحكومة ولا تتبعوا الأوهام الشيطانية والوساوس الخرافية وأنشدكم الله في دمائكم وأموالكم ودينكم ألا تضيعوها بمتابعة محمد احمد الشقي وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الخاتمة

في وجوب قتل الخوارج ونصر السلطان

اعلموا أيها الاخوان قد أجمع أئمة الدين ان الخروج عن الطاعة من الكبائر ولو جار السلطان لا يجوز الخروج عليه ويجوز له قتالهم . ويجب عليكم قتال الخوارج معه ونصرته عليهم لحلمهم ربة الاسلام قال عليه السلام من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربة الاسلام من عنقه . وقال عليه السلام يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم فأينا لقيتموهم فاقتلوه فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة . وعنه عليه الصلاة والسلام قال سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القول ويسيثون الفعل يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقهم هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قاتلهم وقتلهم يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم . فعليكم أيها المسلمون ان تنصروا الله تعالى بنصر سلطانكم قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . فيجب عليكم صيانة لدينكم وحفظاً لأموالكم ودمائكم ان

تقاتلوا هؤلاء الخوارج الدجالين وتقتلهم حيث وجدتمهم وان تمنعوا كل من أراد الخروج معهم وتفرقوا جماعتهم وتمنعوا زيادتهم ويحرم عليكم جلب السلاح اليهم وكلما يؤدي الى قوتهم وزيادتهم حتى يرجعوا الى الحق ويعلموا الطاعة ولا يفرنكم قول محمد احمد الشيطان الفرور ان يخرج عليكم مدافع الترك وينادقها ورصاصها ماءً بارداً لا ناراً . وانه يمكس من النار لكم فهذا كذب وغرور وبهتان وزور لا حجة له ولا دليل عليه بدليل ان الرصاص من الترك اصابه في كتفه ولم يقدر ان يجعله ماء على نفسه فكيف يجعله عليكم ماء وهذا وزيره ولد المكاشف واحمد ولد طاهما وغيرهم ممن كانوا بحزيرة أبا وغيرها وجميع من كان معهم من حزب الشيطان قتلهم الرصاص ولم يجعله عليهم ماء كما هو مشاهد لكل مطلع بالعيان . فيا أتباع محمد احمد قد اوضحنا ما أنتم عليه ومحمد احمد من الباطل مؤيد بالكتاب والسنة وعلمتم حكم الله فيكم فالحمد لله في دمائكم ودماء المسلمين والدين . فبادروا الى الحكومة بطلب العفو والأمان وتقربوا اليها بالسمع والطاعة وتوبوا الى الله تعالى وتوسلوا اليه باتباع أوامر الحكومة واجتناب نواهيها فانها تقبل متابكم وتعفو عن عقابكم وتشملكم بالرحمة والاحسان والعفو والأمان . وها قد بذلت لكم النصيحة فاتركوا الأفعال القبيحة فكم للحكومة عليكم من الاحسان الجليل والفقران الجزيل فانها ربتكم فوق مهد عدلها وأدرت عليكم وافر فضلها وخلصتكم من ملوككم الاولين الذين اتخذوكم عبيداً وخولاً وعمرت بلادكم وأمنت اوطانكم وكثرت زراعتكم بعد ان كانت بلادكم بغاية الخراب والبوار وأموالكم وذرايركم للنهب والاسار لا تملكون خطيراً ولا حقيراً . والآن الله الحمد صرتم بفضلها وحسن سياستها في غاية الامن والعمار وكثرة الغنى واليسار ومع ذلك فهي تتفق على عمار بلادكم وحفظ حياتكم المبالغ الوافرة من خزائنها العامرة ولا تحملككم دفع شيء من ذلك . وما تأخذه منكم من المطالبات الميرية ينفق مع زيادة عليه منها في مصالح بلادكم الضرورية . ومع هذا فلا يبلغ مطلوبكم نصف مطلوب مديرية من المديرية مع ان الله تعالى أوجب

عليكم ان تدفعوا للحكومة زكاة سائمتكم من ابل وبقر وعنم وخراج
أراضيكم واذا حاسبتكم الحكومة على ما هو واجب عليكم دفعه شرعاً
اليها وأخذت منكم على مقتضاها يكون اضعاف ما يؤخذ منكم من المطالبين
الآن . فمع شمولها بهذه الشفقة والرحمة الخديوية كيف يليق بكم ان تقابلوها
بالعصيان وتتبعوا حزب الشيطان واهل الفساد والبهتان وتسعوا في خراب
دياركم وقتل نفوسكم ونهب أموالكم فلولوا شفقتها ورحمتها بكم لأنزلت
بكم العذاب وعاملتكم بأشد العقاب فاقبلوا هذه النصيحة وأسأل الله لي
ولكم الهداية في المبدأ والنهاية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
انتهت . ويلها :

رسالة السيد احمد الازهري

في تكذيب دعوى محمد احمد المتمهدي

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خصّ من اصطفاه بالهداية وهدى
من وفقه الى سلوك سبيل الرشd بمحض العناية والصلاة والسلام على حبيبه
ورسوله الذي أنزل عليه كتابه الذي لم يفرط فيه من شيء وعلى جميع آله
 واصحابه الناهجين منهاجه في تبين الرشd من النفي .

«أما بعد فأقول وانا الذي من كل حول وقوة بريء الفقير اليه تعالى «السيد
احمد المعروف بالأزهري ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردي وفاني» أقاض الله تعالى
عليّ وعلى المسلمين من فيض مدده الرحماني . انه لما كانت النصيحة لله ولرسوله
ولأئمة المسلمين وعامتهم من الدين وقد ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة عن
سيد المرسلين وخاتم النبيين وورد عنه ايضاً من لم ينصح في ديننا هذا فليس
منا أي ليس تابعاً لسنننا وورد عنه ايضاً من لم ينصح في ديننا هذا فبيعته
منقوضة . غير ذلك مما لا يمكننا ايراده هنا قد عن لي ان أتدرك نفسي
والمسلمين من اتباع الوسوس الشيطانية واقتحام سبيل المهالك بالتسويلات

النفسانية وذلك لما تحقق عندي من عموم البلوى التي انتشرت ببلاد السودان حتى ضاعت بسببها الآلاف المكررة من دماء المسلمين وأموالهم خصوصاً في جهات سنار وجهات كردوفان والمجبرت الحكومة العثمانية على بذل التكاليف لتجصيل العدد والعدد غيرة على الدين والاسلام وأهله لأجل الذب وردع المفسدين بسطوة الدولة وقوة المدد . وحيث ان شتيت القبائل من العربات وغيرهم أغلبهم عوام وقد قام بأفكار أرباب العقول الضعيفة ما قام بها من الاوهام نظراً لما سمعوه من دعوى المهدية التي قام بها محمد احمد وصدور مكاتبات منه لبعض من يظن انه يعتمد عليها وتكون له كالستند وقد هيئت تلك الدعوى وما اشتملت عليه من المكاتبات فتنة عظيمة بين المسلمين حتى صار البعض منهم يقتل بعضاً وينهب ماله من غير حق الاسلام وغاب عنهم ما حذر الشارع ﷺ وصرح بأن ما كان مماثلاً لما ارتكبه لا يشك فيه بأنه حرام . وكان قبل خروجي من محل وطني كردوفان قد بلغني ان مدعي المهدية المذكور قد خاطبني بكتاب وكنت حريصاً على وجدانه والنظر لما اشتمل عليه من الخطاب ولكني لم أجده ولم اجسد احداً يكيّفه لي لكي أبني عليه مخاطبة تشتمل على ما لا بد منه من النصيحة وأوضح فيها ما يحتاج اليه من النصوص الصريحة رجاء مني بأنها ان وصلت اليه وتليت بين يديه فانه لا يسمعه إلا الرجوع الى الحق ومقابلة أولي الأمر بالسمع والطاعة وتسكين هذه الفتنة التي هاجت بين الخلق وما كنت أظن اشتداد هذه الفتنة يبلغ هذه الغاية حتى مرت بمجزيرة الخرطوم قاصداً التوجه الى مصر المحروسة وبعد وصولي الى الخرطوم تراكمت عليّ المخاطبات بوصول تلك البلوى والفتنة الى ما ليس له نهاية . ثم لما حضر صاحب الجلالة والشهامة والرأي السديد والتدبير الكامل والبسالة والفخامة ناظر الديوان وحكمدار عموم الأقاليم السودانية « سعادتو عبد القادر باشا » بلغه الله تعالى غاية الأمانة بمركز الحكومة الذي هو في الخرطوم وبسديد رأيه دبّر الأمور ورتب الترقيات ونشر راية الأمن واجتهد في نشر ما يكون به اصلاح العموم ومن الجملة فان الواجب علينا القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر والاجتهاد في بذل النصيحة ودرء الشبه التي قامت بأفكار من ليس لهم قريحة بإيراد الأدلة المأخوذة عن الأحاديث الصريحة وأقوال أهل العلم المعتمد على أقوالهم الصحيحة عسى أن يكون في ذلك نفع للعموم وردع للفسدين بما يكون لهم من الدين معلوم وقد ألفت هذه النصيحة التي سميتها « النصيحة العامة لأهل الإسلام عن مخالفة الحكم والخروج عن طاعة الإمام » وعند شروعي في ما قصدت بعون من عليه اعتمدت وقلت :

« اعلّموا أيها الإخوان في الإسلام الراغبون فيما عند الله تعالى من الكرامة والانعام أن الله سبحانه وتعالى بيّن لعباده طريق الضلالة وطريق الهدى وأنه مراقب لهم في جمع أحوالهم وأفعالهم ولم يتركهم سدى واختار من عباده أناساً أولاهم أسرار الملكة وأمر بطاعتهم وجعل مخالفتهم مؤدية إلى الوبال والتهلكة قال تعالى اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالسمع والطاعة وإن وليت عليكم عبد حبشي . وقد نص العلماء على أن الخروج عن طاعة الإمام حرام . وقال عليه الصلاة والسلام من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني . وقد نص العلماء أيضاً على أن الإمام لا يعزل ولا تنبذ بيعته ولا ينطرح عهده إلا إذا أمر أحداً أن يكفر أو كفر هو أي الإمام وأما إذا لم يكفر فإنه لا يعزل عن الإمامة ولا يُنبذ عهده ولا تنطرح بيعته ولو زالت عنه العدالة واتصف بالفسق كما عليه أهل التحقيق . وحيث علمت ما أوردته لكم من النصوص من أن طاعة الإمام واجبة عليكم وإن خروجكم عن طاعته حرام عليكم وأنه لا يصح لكم نبذ عهده وطرح بيعته ولو اتصف بالفسق ما لم يكفر فكيف يسوغ لكم الاستماع لما نقل عن محمد أحمد من دعوى المهدية والاعتراض بما ينقل عنه من الأقوال في المخاطبات مع أن دعواه المهدية له دليل عقلي ولا نقلي يوافقه على صدقه فيها وما أني أذكر لكم أدلة تناقضه في دعواه المذكورة :

أولها : أن محمد أحمد المنقول عنه أنه مدعي المهدية مولده ببلاد السودان وذلك معروف متواتر عند جميع من يعرفه من أهل عصره فضلاً عن كونهم

يعرفون أباه وأمه وانها مما يطلق عليها اسم الدناقلة ولو ان ذلك نسبة الى البلد ولم ينقل عن احد انه توجه الى مكة ولا الى المدينة . والذي ذكره العالم المحدث شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي تزيل مكة في كتابه الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة نقلاً عن الامام علي كرم الله وجهه انه قال مولد المهدي بالمدينة .

ثانيها : ان المحققين من العلماء ذكروا من الحديث الذي أخرجه ابو نعم ليبي عن الله رجلاً من عترتي أفرق الثنايا أجلى الجبهة أي منحصر الشعر عن جبهته . ومما أخرجه الروياني وغيرهما المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرري اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي أي طويل . وورد ايضاً في حليته انه شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أفنى الانف كث اللحية على خده الايمن خال اه فهذه الصفات المذكورة في صفات المهدي مفقودة في محمد احمد المذكور فانه حضر عندنا بكردوفان في مدينة الابيض مركز المديرية وحضر عندنا بجامعنا زائراً لنا وجلس مجلسنا ونحن نقرأ وقتئذ درس الحديث في الثمائل الترمذية وهو بالمجلس الى ان فرغنا من الدرس وانه زارنا وطلب منا الدعاء وتوجه الى منزله ولم نر فيه شيئاً من تلك الاوصاف بل انما هو عند جلوسه بمجلسنا لم نر منه إلا الرزانة والخضوع والصمت وكان اذ ذاك في الربيع الاول ثم رجع الى جزيرة أبا وأقام فيها أشهراً . ثم بلغنا انه تقوه بتلك الدعوى وقيل انه قال انه له خال في خده الايمن فان ثبت ذلك مع عدم ثبوت بقية الاوصاف لم يفد شيئاً .

ثالثها : ان الذي ذكره العلماء المحققون ان ظهور المهدي بعد ان يخسف القمر في اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه ومثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض اه ومن المعلوم ان محمد احمد المذكور تقوه فيما قبل بتلك الدعوى بجزيرة أبا في شهر شبان وان رمضان قدم ولم ينقل عن احد خسوف القمر في اول ليلة منه ولا كسوف الشمس في النصف

منه وذلك دليل واضح على ان المهدية التي ادعاها لم يظهر فيها ما يدل على دعواه .

رابعها : انه نقل عن الامام المحقق الجامع بين الحقيقة والشرعية الشيخ الشمراني انه قال في مختصره روي انه يخرج في آخر الزمان رجل يقال له المهدي من أقصى المغرب يمشي النصر بين يديه اربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الأعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعائها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون اه وقد علمت ان محمد احمد المذكور لم ينقل عن احد انه رآه توجه الى أقصى المغرب ولم يكن يجبل المغرب بالموضع الذي يقال له ماسة بل ان المسموع الآن انه يجبل قدير من جبال الصعيد وان قال قائل بأن جبل قدير هو الذي يقال له ماسة يرد عليه انه ليس يجبل قدير بحر له ساحل ولم يحصل منه بعث رايات بالصفات المذكورة وان من بيدهم الرايات الزاعمين انهم وزراء له قد اتضح لكل احد خذلهم وقتلهم على يد عساكر الحكومة ولم يأخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر .

خامسها : ان شهاب الدين احمد بن حجر قد ذكر مما أخرجه ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه اذا قام قائم آل محمد عليه السلام جمع الله اهل المشرق وأهل المغرب فاما الرفقاء فمن اهل الكوفة وأما الابدال فمن اهل الشام ثم قال وصح انه عليه السلام قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً الى مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبأيعون به بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبأيعون به ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث اليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والحية لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة

نبيهم ﷺ اهـ . ولا يخفى على العاقل ان الامام هو خليفة رسول الله ﷺ موجود الآن فلم يت ولم يحصل اختلاف في الخلافة حتى يدعيها احد فدعوى محمد احمد بالخلافة الكبرى والمهدوية مع وجود الخليفة وطلبه من الناس مبايعة فيه مخالفة لنفس الحديث المتقدم فضلاً عن كون نبذ عهد الموجود وطرح بيعته مع انه لم يكفر لا يجوز شرعاً . ومما ذكرناه يعلم رد جميع الأدلة التي تنقل عنه بأنه يستدل بها على ايجاب طاعته وإلزام موافقته لأنه لم تثبت امامية مع وجود الامام فجميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المعزوة اليه بأنه يستدل بها مسوقة في غير موضعها .

سادسها : ان الذي رواه الامام احمد وغيره المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة اهـ والمعروف عند جميع المعاصرين لحمد احمد المذكور انه قد سلك الطريقة الخلوتية على يد الشيخ القرشي وعلى يد غيره وحضر مجالس العلم عند جماعة فعلى تقدير اصلاحه من المشايخ المذكورين فانه لا يوافق ظاهر ما رواه الامام احمد فضلاً عن كون الامام المهدي المنتظر من السودان ولم يعهد له شيخ أرشده بسلوك طريقة مخصوصة .

سابعها : ان الحاكم قد روى في صحيحه بحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يحسد الرجل ملجأ فيبعت الله رجلاً من عترتي اهل بيتي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحببه ساكن الارض وساكن السماء وترسل السماء قطرها وتخرج الارض نباتها لا تمسك فيها شيئاً اهـ والمشاهد في حكومة الدولة العثمانية لم يحصل من حكامها البلاء الذي ذكرناه حتى يخرج المهدي والمشاهد الآن ان كل من وقع في قبضة محمد احمد مدعي المهدية يسخط عليه لأنه يقتل رجاله وينهب ماله فأين الاتفاق من ساكني الارض على محبته فضلاً عن الظلم والجور الذي حصل من بعض الناس لبعض وأين العدل والقسط .

ثامنها : ان الامام الأكبر سيدي محي الدين بن عربي الصوفي قال في

فتوحاته المكية قد استوزر الله للمهدي طائفة خباياهم الله تعالى في مكنون غيبه أطلعهم كشفاً وشهوداً على الحقائق وما هو إلا امر الله في عباده فلا يفعل المهدي شيئاً إلا بمشورتهم وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا الله ما دعاهم اليه وهم من الأعاجم ليس فيهم عربي لكنهم لا يتكلمون إلا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء اه . فلم بما ذكره هذا الامام ان الجانين على أنفسهم هم الذين عرضوا أنفسهم للتلف حتى طهر الله تعالى الارض منهم بسيف الحكومة كان ادعاؤهم الوزارة مجرد تسويلات نفسية وان ثبت ان محمد احمد قد خاطبهم بالوزارة المذكورة او أقرم عليها فذلك دليل على عدم دعواه المهدية .

تاسعها : قال بعض أئمة التحقيق وجاء في بعض الروايات انه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه فقبل عليه الناس ويشربون حبه وانه يملك الارض شرقها وغربها وان الذين يبائعونه اولاً بين الركن والمقام بعدد اهل بدر ثم تأتيه ابدال الشام ونجباء مصر وعصائب اهل الشرق وأشباهم ويبعث الله له جيشاً من خراسان برايات سود نصره له ثم يتوجهون الى الشام وفي رواية الى الكوفة والجمع ممكن وان الله تعالى يؤيده بثلاثة آلاف من الملائكة وان اهل الكهف من اعوانه . فالذي عليه الناس الآن من تمنيهم ظفر الحكومة بمحمد احمد ونصرتها عليه لازالة المفاصل التي حدثت بأسباب ادعائه هذه الدعوى ينافي نداء الملك واشراب محبته في قلوب الناس .

عاشرها : قد ورد ان الكنوز تفتح في زمن المهدي وانه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم وأجابوا بأن اتصاف سيدنا عيسى بذلك لا ينافي اتصاف المهدي بأن كلا منها امام متبع ومقرر لشريعة رسول الله ﷺ وحيث ان الكنوز تفتح في زمانه فلا نفع لأخذ الجزية حينئذ حتى يشرع اخذها لأن الوسيلة اذا لم يترتب عليها مقصدها فلا تشرع . وورد في رواية الترمذي ان

الرجل يحيى اليه فيقول يا مهدي اعطني فيحني له في ثوبه ما استطاع ان يحمله . وأخرج احمد ومسلم يكون في آخر الزمان خليفة يحني المال حثياً ولا يعده عدداً . وأخرج احمد الماوردي انه عليه السلام قال ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويرضى عنه ساكن الارض والسماء ويقسم المال صحاحاً بالسوية ويملا قلوب أمة محمد غنى ويسمعهم عدله حتى ان يأمر منادياً فينادي من له حاجة اليّ فما يأتيه احد إلا رجل واحد فيأتيه فيسأله فيقول انت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول انا رسول المهدي اليك تعطيني مالاً فيقول احث فيحني ما لا يستطيع ان يحمله فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع ان يحمله فيخرج به فيندم فيقول انا كنت أجشع امة محمد نفساً كلهم دعي الى هذا المال فتركه غيري فيرده عليه فيقول انا لا نقبل شيئاً أعطيناه اه . فما ذكرناه في سابع الأدلة وما ذكرناه هنا يتضح لكل عاقل ان الامر الآن بالعكس فأين ارسال السماء قطرها وأين اخراج الارض نباتها وأين غنى القلوب وأين اخراج الكنوز وأين حثي المال وأين فيضانه بل ان الامر الآن لم تشاهد إلا شدته من قلة الأمطار وغلاء الاسعار وتكالب الناس في الدنيا حتى ان بعضهم صار يقتل بعضاً لأجل أخذ ماله وبهذا يتضح لكل عاقل ان هذا الزمن ليس زمن الامام المهدي .

حاددي عشر : قال شهاب الدين الامام احمد بن حجر قال ابو الحسين الابري قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى عليه السلام بخروجه وانه من اهل بيته وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلاً وانه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب له بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه اه وما ذكروه من ان المهدي يصلي بعيسى هو الذي دلت عليه الأحاديث كما علمت اه وقال سيدي الإمام محيي الدين بن عربي الصوفي الحاتمي الطائفي الأندلسي في كتابه بلغة الفواص في مبحث سيدنا عيسى عليه السلام وتمام ملكه موقوف على ظهور

المهدي وبظهوره يعمّ النداء وينفتح فم الاحاطة ويسمع الرجل من شرك
نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذها بما عمله اهل بيته من بعده وتدعوم الاحجار
والاشجار لليهود ويفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل فيفتحون القسطنطينية
بالتسبيح والتقديس اه . فأن ما ذكره هؤلاء المحققون من حال هذا الوقت
ودعوى محمد احمد للمهدية فكيف يليق بعامل تصديقه فيها .

وأما ما نقل عنه بأنه ادعى انه مأمور من رسول الله ﷺ وانه مصرح في
مكاتباته بذلك فان حاله لا يخلو اما ان يكون رأى رسول الله ﷺ في المنام
وأمره بذلك فان صح ذلك فان أمر رسول الله ﷺ له في المنام بذلك لا
يصح له العمل به حيث كان يخالف ظاهر الشرع من الخروج عن طاعة الإمام
ونبذ عهده وطرح بيعته فضلاً عن تأدية ذلك الى سفك دماء المسلمين وتلف
أموالهم بغير حق الإسلام وقد نص الفقهاء بأن الرجل اذا رأى رسول الله
ﷺ في المنام وأخبره بطلاق زوجته فانه تجوز له معاشرتها معاشرة الأزواج
ولا تحرم عليه وذلك لعدم ضبط النائم وان كان الشيطان لا يتمثل برسول الله
ﷺ في النوم . واما ان يكون ذلك يقظة بطريق الكشف فان كان بطريق
الكشف فانه لا يصح له ايضاً ان يعمل به حيث انه يخالف لظاهر الشرع
وقد نص أكابر العلماء على ان الولي يباط به حكم الظاهر فكيف وانه ان
ارتكب امراً مخالفاً لظاهر الشرع يتبع فيه خصوصاً ان أدى الى سفك دماء
المسلمين وتلف أموالهم . وحيث كان ذلك فلا يصح لمؤمن يؤمن بالله واليوم
الآخر ان يوافقه على ذلك فضلاً عن كون الدلائل الظاهرة تناقض دعواه
المذكورة وقد نص أكابر الصوفية على ان الكشف أقسام وان بعضه يكون
خيالياً فكيف بالعمل به مع ايقاعه في المحذور .

وأعجب من ذلك ما نقل عنه بأن من شك في مهديته كفر فانه ان أراد
بالكفر تغطية الحق بالباطل فان ذلك لا يحصل إلا اذا اتضحت له دلائل
تصدقه في دعواه والمكذب او الشاك لم يجد دليلاً يعارض تلك الدلائل فضلاً
عن ان جميع الأدلة الظاهرة التي أطبق عليها المحققون مناقضة لدعواه

المذكورة . وان أراد بالكفر الخروج عن الإيمان فذلك لا يقول به احد لأن المهدي ليست بنبوة ولا رسالة وغايتها خلافة فانكار أصل المهدي والشك فيها لا يوجب كفراً بمعنى الخروج عن الإسلام لما مال اليه بعض العلماء في بعض طرق الحديث من قوله عليه السلام لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا ادباراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة ولا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم . وان أول هذا الحديث بعض العلماء بأن معناه لا مهدي معصوم إلا عيسى او لا مهدي على الإطلاق سواء يأتي بعده عيسى فضلاً عن مهدي انسان مخصوص ادعاها في زمن لم يقم دليل على حصولها فيه .

وحاصل الأمر ان الإمام الذي هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله موجود الآن بقيد الحياة ودولته منتظمة مؤيدة بوزرائه وجميع اهل الإسلام يخطبون باسمه في المنابر ويدعون له بالنصر والتوفيق بوجوده وانتظام دولته خاصة لجميع اهل الدولة الصيانة لدمائهم وأموالهم فالخروج عن طاعته مع ان اوصافه التي انعقدت بيعته عليها من اهل الحل والعقد باقية لم تزل عنه حرام على كل مسلم وإن الذي يخرج عن طاعته ويكون باغياً ومحارباً لله ورسوله وساعياً في الارض بالفساد تجوز مقاتلته ورده عما هو عليه واقامة حد الشريعة فيه . فلا وجه الآن يجوز لكم معاصر المسلمين الخروج عن طاعة امير المؤمنين واتباع الباغيين المفسدين فان قابلتم ما قلته لكم بالامتنال وتركتم سبيل الضلال فالله سبحانه وتعالى يعفو عما سلف ويوفق الجميع لصالح الأعمال وان أبيتم إلا ما أنتم عليه عاكفون فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

هذا والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على من جاء بالحق المبين وعلى آله وصحبه أجمعين . كان الفراغ من تأليفها صبيحة يوم الجمعة المباركة لعشر ليالٍ بقيت من شهر شعبان المكرم من شهر سنة ١٢٩٩ الف ومائتين وتسع وتسعين من هجرة أشرف المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، اهـ . الى هنا انتهى بنا الكلام عن سيرة محمد احمد المهدي ووقائعه فلنأت الآن على ذكر خليفته التعايشي وما كان في ايامه من الوقائع والحروب .

الباب الثالث

في

خلافة عبد الله التعايشي

الفصل الاول

في

مبايعة عبد الله التعايشي

مات محمد احمد عن ثلاثة خلفاء يتولون الأمر بعده الواحد بعد الآخر وأولهم وأدهام عبد الله التعايشي الذي تولى أمر دفته . ولولاء الدهاء والحزم اللذان فطر عليهما هذا الرجل ومساعدة الاقدار له لاتفلت الأمر من يده وعنت القوضى السودان . ولكنه حال وفاة المهدي دعا اليه احمد علي قاضي الإسلام (الذي تولى هذا المنصب بعد قتل احمد جبارة في الابيض) وبعض الأمراء والاعيان الذين من حزيه كالسيد المكي الكردوفاني وعبد الحمود نور الدائم فحضروا الدفن مع رفيقيه الخليفتين وأقارب المهدي . وبعد الدفن عقد معهم مجلساً . وخاطبهم قائلاً :

« أيها الاخوان ان المهدي الآن قد مات ولكن مات النبي من قبله وقام الخلفاء بعده فأتموا عمله . وقد ترك المهدي خلفاء يتولون الأمر بعده وأنا خليفته الاول فمن احبه وآمن به فليبايعني الآن على السبيل الذي خطه لنا لنقتني اثره ونتم عمله » .

أما الخليفة شريف وقومه الاشراف فانهم حاروا في أمرهم ولم يدروا ما

يفعلون وقالوا في انفسهم مات المهدي الآن وقد أسس مهديّة وملكنا فلماذا
تتبع ترتيب المهديّة فنولي علينا عبد الله التعايشي غريب الوطن والجنس ولا
تتبع ترتيب الملك فنولي ابن مؤسسه او خليفته ابن عمه . ولكن لم يكن في
وسمهم اذ ذاك المجاهرة بهذه الافكار او القيام بحركة عدائية لأن قوات المهدي
في السودان كانت كما علمت ثلاث رايات : الاية الزرقاء راية الخليفة عبد الله
وهي أكبر الرايات وأقواها وتحتها جميع اهل الغرب ولم يكن غائباً منها
سوى جيش ابي عنجة الذي أرسل لغزو جبال التوبة كما مرّ. والاية الخضراء
راية الخليفة علي ود حلو وهي أصغر الرايات وتحتها قبيلتنا دغيم وكنانة
وتوابعها . والاية الصفراء راية الخليفة شريف وهي راية قوية وتحتها جميع
سكان النيل والجزيرة والجلابة وغيرهم . فلو كان رجال هذه الاية كلهم في
أم درمان لترجح وقوع حرب شديدة بينهم وبين الخليفة عبد الله ولكن كان
اعظم قوادها متفرقين في الجهات وهم : عبد الرحمن النجومي في المتمة ومحمد
عبد الكريم في سنار ومحمود عبدالقادر في كردوفان ومحمد خالد زقل في دارفور
وكرم الله في بحر الغزال ومع كل منهم جيش كبير .

وكانت راية الخليفة عبد الله اذ ذاك اقوى من رايتي الخليفة ود حلو
والخليفة شريف معاً فضاقت أنفُس الأشراف من حرج هذا المركز وظهرت
على وجوههم علامات الحيرة والأسف ولكن التعايش اخذهم بالدهاء والحيلة
وبالغ في ملاطفة الخليفة علي ود حلو الذي لا يوافقهُ تحوُّل المهديّة الى ملك
لأنه ثاني الخلفاء من جهة ولا قرابة له بالمهدي من جهة اخرى فكان اول من
بايع الخليفة عبد الله ثم بايعه الخليفة شريف مضطراً ثم اولاد المهدي وأقاربه
ثم الامراء والاعيان الذين في المجلس .

ولما شاع خبر موت المهدي ومبايعة الخليفتين وأقارب المهدي والامراء
للخليفة عبد الله هرع اهل أم درمان وضواحيها الى منزله افواجاً وبايعوه بقية
ذلك اليوم والذي بعده . وهذه صورة المبايعة : « بايعنا الله ورسوله ومهديه
وبايعناك على طاعتك والانقياد الى حكك » .

ثم بعث الخليفة بكتبه الى امرائه وجميع قبائل السودان في الجهات لاربع لتجديد البيعة له ودعا اهل الجهات البعيدة الى حضور عيد الاضحى في أم درمان في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ فاجتمع عنده في هذا العيد خلق كثير . وحضر اهل الجهات القريبة قبل العيد فبايعوه وعادوا الى بلادهم . وكانت مبايعتهم له بالصيغة الكبيرة وهي : « بايعنا الله ورسوله ومهديه وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك بالله احداً ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان ولا نعصيك في معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما يريد الله رغبة في ما عند الله والدار الآخرة وان لا نفر من الجهاد » .

تأثير موت المهدي في السودان : أما موت المهدي فقد أوقع الدهشة في نفوس اهل السودان خاصتهم وعامتهم . وكان العقلاء قد انكروا عليه بعض الافعال والاقوال مثل قتله عجيل ود الجنقاوي الرزيقي بعد ان أناه مسلماً وقتله المئة اسماعيل الذي نصره في كردوفان وقتل عبدالله ود النور في واقعة برّي بعد قوله انه يموت في الكوفة . ورأوا ان هذه الاقوال والافعال لا تنطبق على ما ظنوه في مهدي الزمان ، ولكن ادهشهم ثوالي النصر على يديه وأخذوا ينتظرون اتمام باقي نبوته كصلاته في كراسي مصر والشام والاسنانة ومكة وقوله ان مهديتنا تظهر خيراتها ويرعى فيها الذئب مع الغنم وتأمين الناس الآفات فتلمب الاولاد الصغار بالمقارب وذلك بعد فتح مكة . فلما مات في أم درمان ولم يصل في الكراسي المذكودة ولا لعبت الاولاد بالمقارب أيقنوا انهم كانوا في ضلال وأن الأمر الذي قام به محمد احمد انما هو ثورة وبلاء ليس إلا .

قيل ان الملك أبا حجل ملك الرباطاب لما عاد من مبايعة الخليفة من أم درمان حضر اهله للسلام عليه وسأله عن البيعة الجديدة فقسال : « البيعة اس ، أي اسكتوا .

ولما عاد الشيخ أبو خرسي من مبايعة الخليفة إلى قومه في المسلية قال لهم

« اشفقوا على انفسكم ايها الناس واستغفروا ربكم عما فرط منكم فانها مصيبة عامة وقد حلت في السودان وليست من المهديّة بشيء » .
 على ان ضعاف العقول لم يؤثر ذلك كله في اعتقادهم وبقوا مصدقين انه المهدي ، ولا يزال بعضهم يعتقدون بأنه المهدي الحقيقي الى هذا اليوم . لكن الحماية التي قاموا بها اولاً خدّت في نفوسهم فلم يقدموا على الجهاد من ذلك الحين إلا مكرهين ، وأخذ الامر يتحول تدريجياً من صبغة دينية الى صبغة سياسية . وكانوا كلهم قد اغضبوا الحكومة ورفعوا السلاح في وجهها وكانت الحكومة قد تركتهم وشأنهم فاضطروا عقلاء وجهاً الى متابعة صاحب القوة الخليفة عبد الله والعمل بأوامره ونواهيته .

منشور وفاة المهدي : وقد قرر التعايشي التأثير الذي يحصل للناس بموت المهدي واحتاط لذلك فوزع منشوراً في جميع البلاد بأن المهدي قد مات وأنه قام في الامر بعده ، وقال ان موت المهدي انما يزيدنا احتقاراً لهذه الدنيا وجباً للموت في سبيل الله . وأمر رفيقيه الخليفين والأشراف اهل بيت المهدي فوزعوا منشوراً صرحوا فيه بمبايعتهم له وحثوا الناس على الاقتداء بهم وقالوا « ان المهدي ليلة وفاته حصلت له « حضرة » ظهر له فيها الشيخ القرشي ومعه جمع من الأولياء فقال له ان النبي ﷺ قد استمجل انتقالك الى الدار الآخرة فاجعل لك وكيلاً من خلفائك يقوم بالأمر . فقال المهدي أوكلت الخليفة عبد الله فاتفقت كلمتنا عليه » . ثم شاع ان الخليفة شريف لم يبايعه وان الخليفة ود حلو منحاز اليه فأمر اذ ذاك الخليفين فوزعا منشوراً آخر صرحا فيه بأنها بايعاه حقاً وان جميع ما شاع عن وقوع خلاف بينها وبين الخليفة عبد الله هو محض كذب واختلاق . وهذه هي صورة المنشور الذي أصدره الخليفة عبد الله بشأن وفاة المهدي وتوليته الخلافة بعده بحرفه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى أحبابه في الله ... »

وأحبائي بعد اهداء السلام اليكم فان الله جل شأنه وعز سلطانه هو الفاعل المختار الحي الدائم الباقي الذي لا يموت والخلق عبيده وتحت مشيئته وكلهم موعودون بالفناء والانتقال من هذه الدار الى تلك الدار ولا أكرم عليه تعالى من نبيه محمد ﷺ وقد نعمه بقوله تعالى في كتابه المكنون انك ميت وانهم ميتون وزاد الامر تأكيداً بقوله تعالى وان الدار الآخرة لحي الحياة لو كانوا يعلمون وحيث كان كذلك فان الرضا بالقضاء من الواجبات. ثم ليكن معلومكم ان المهدي عليه السلام قد دنا أجله فتدلى ودعا ربه قلبى وقبض اليه كريماً طيباً في يومنا هذا الذي هو يوم الاثنين الموافق ٨ شهر رمضان سنة تاريخه وقت الضحى الاعلى بام درمان ودفن عليه السلام بها بعد صلاة الظهر بداخل بيته وان مصيئته لعظيمة على الجميع احسن الله عزاءاً وإياكم فيه وألزمنا الصبر وضاعف لنا ولكم الأجر والثواب بعده وهو حبنا ونعم الوكيل ليهتنا وإياكم انه عليه السلام فرطنا بعد النبي ﷺ ونحن وأنتم لاحقون بها وقد سار الى الله تعالى الى سدة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكأس الأوفى والرفيق الأسنى والحظ الانفس والعيش الهني وان موعداً الحوض الذي عرضه كما بين الشام وصنماء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن والين من الزبد وأحلى من الشهد . من شرب منه لم يظمأ ابداً حصاؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك ومن حرّمه فقد حرم الخير كله نعوذ بالله من ذلك . وان سبب وفاء المهدي عليه السلام حتى أصابته ولازمته نحو ستة ايام . وقد تعلمون انه داعيكم الى الله وخليفة نبيكم ﷺ وقد أبان الدليل وأوضح السبيل ودلّ الى الجليل فجزاء الله عنا وعنكم احسن الجزاء وأمدنا بمدده دنيا وآخرة وانه عليه السلام قد كان على نور من الله وتأييد من رسول الله . وفائبه العبد لله تعالى بعده كذلك بحسب اشارته عليه السلام التي هي عن أمر رسول الله . واني أقول لكم نصحاً في الله ورسوله كقالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث دلّ الى الله بقوله « أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي » لا يموت وان الله قد تقدم اليكم في أمره فلا

تأريخ الشيعة

تدعوه جزعاً فان الله عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ ومن أخذ بها عرف ومن فرق بينها أنكر . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويشتنكم . هذا والمطلوب منكم أيها الأحباب ان تثبتوا مع الله كما عاهدتموه وبايعتموه على اتباع المهدي عليه السلام وطاعته وبذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله لإعلاء كلمته وشدوا حيلكم وشعروا فان اصحاب رسول الله ﷺ لم يهملوا الدين بعنده بل تحزبوا عليه وأبدوه وجاهدوا في الله حق الجهاد ورغموا انفس أهل الشرك والمرتدين وفتحوا كثيراً من البلاد ولكم بهم أسوة حسنة فاقفوا أروم لتسالوا نيلهم وتدرخوا الحقوق بنبيكم ومهديكم معهم ولا تغفروا بأيام الدنيا القليلة فقد انقضت مدتها وزال عرضها وأن أوانها فعضوا على إيمانكم بالتواجد وأيقنوا بأنكم ما دمتم على عهد البيعة فأنتم حزب الله وأنصاره والفائزون برضاء ربكم ونبيكم ومهديكم ورضائكم عليكم وابشروا بالخير فان دين الله منصور بحول الله وقوته . وواصل لكم مع هذا جواب من الخلفاء والأشراف اهل بيت المهدي عليه السلام وباقي المهاجرين والأنصار اطلعوا على ما فيه واعملوا بمقتضاه وفقنا الله وإياكم الى سرك طريق المقربين الاخيار هذا والسلام سنة ١٣٠٢ - ٨ رمضان ، اه ، والصواب ٩ رمضان ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٥ .

ختم المهدي وسيفه : وعند وفاة المهدي اخذ التعايشي خاتم ختم المهدي وخاتم يده . فأما خاتم الختم فقد ابطل العمل به واستعمل بدلاً منه خاتماً مستديراً نقش عليه « حبسنا الله ونعم الوكيل » . وأما خاتم اليد وهو خاتم من فضة له فص من عقيق احمر مستدير فقد جعله في بنصر يده اليمنى . وطلب سيف المهدي فلم يجده لأن نساء المهدي اخفينه عنه ثم اعطينه الخليفة شريف زاتمين ان النصر يكون فيه وكان ذلك من أهم اسباب الضغائن بينه وبين الاشراف .

تاريخ الشيخوخة

سياسة التعايشي : وتولى التعايشي الخلافة وهو لا يصدق انه يتولاها وكان يغار عليها حتى من خياله ويحرص عليها حرصه على نفسه وقد ساسها بثلاثة أمور وهي :

الاول : المحافظة على شعائر المهدي مع علمه بمروق العقلاء منها إذ لا جامعة لأنصاره إلا بها ولا حجة له في الملك سواها .

والثاني : مراقبته المنكرين حقه في الملك والمزاحمين له على السلطة والبطش بهم بالقتل او بالنفي كثروا او قلوا .

والثالث : حصر المناصب العالية في اهل التعايشة وتفريق كلمة سائر القبائل وإذلالهم حتى لا تقوم لهم قائمة .

وكان اول ما أتاه بعد توليه الخلافة انه اسند الى اخيه يعقوب المنصب الذي كان له في زمن المهدي فجعله وزيره وقائد جيشه ومدبر اشغاله الحربية والمالية . ثم اخذ يدرّب اهل التعايشة على الادارة والملك ويوليهم امور الجيش والبلاد تدريجياً حتى اصبح جميع القواد والعمال وأصحاب المناصب العالية منهم .

وأما المهام التي باشرها اولاً قياماً بواجب الخلافة واقتفاء لأثر المهدي فهي : فتح كلا وسنار وغزو جبال النوبة ومصر ولكنه دبرها حسباً تقتضيه سياسته كما سيجيء .

الفصل الثاني

عود الى

حصار حامية كسلا

سنة ١٨٨٥ م

كتاب مدير كسلا الى محافظ سواكن في ٩ يونيو سنة ١٨٨٥ :
تقدم ان حامية كسلا لما اشتد عليها الحصار كتبت الى المهدي فوجه اليها
بعض الأمناء للتسليم على يدهم . وقبل وصولهم وفد الى المدير كتاب من
تشرمسيد باشا محافظ سواكن يقول فيه أنه لم يزل باذلاً الجهد في تعجيل
الرأس الوله لنجدتهم فكتب اليه المدير جواباً مفاده : « ان حاكم مصوع
ارسل إليّ نسخ الكتب التي بعثتم بها الى الرأس الوله للتعجيل في انقاذنا
فشكرنا لكم هذه الفيرة ونحن ايضاً كتبنا اليه اربع كتب والى الآن لم يأتنا
منه خبر وقد صرنا في اشد الضيق فالحصار لا ينفك عنا ليلاً ولا نهاراً والزاد
قد نفذ منا وأصبحنا نأكل الصمغ والجلود بل هذان الصنفان ينفذان منا قريباً
وقد عدنا كل حيلة وسلمنا أمرنا الى الله في ٩ يونيو سنة ١٨٨٥ . »

صدّ الحسن حاشي عن الحامية في ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ :
هنا وكان الحسن ود حاشي كبير المحاصرين لما بلغه قدوم الأمناء لاستلام

الحامية عزّ عليه ان تسلم لغيره بعد طول حصرها فهاجها في ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ هجمة صادقة فأمطرت الحامية عليه سحائب الرصاص والقنابل ونكلت به تنكيلاً ولكنه صم على اخذها عنوة في ذلك اليوم فوالى الهجوم عليها المرة بعد المرة حتى قتل من جيشه نحو ٣ آلاف رجل فارتد عنها ولم يعد يحسر على مهاجتها ولكنه زاد في حصرها والتضييق عليها .

وبعد الواقعة بأيام معدودة وصل أمناء المهدي وهم : الحسين الزهرة وادريس عبد الرحيم وعبد الله حمزة وأخوه محمد فنزلوا في معسكر توكرف وكتبوا الى المدير يدعونه للتسليم ومعه كتاب المهدي المتقدم ذكره . فعقد مجلساً من الضباط والتجار والموظفين للنظر في أمر التسليم وقبل ان يقرؤا على شيء حضر رسول من الرأس الوله يقول : « تشددوا واثبتوا فاني منجدم قريباً ، فأقروا إذ ذاك على انتظار الوله وعدم التسليم فهاج الحاضرون وأخذوا يناوشونهم القتال الليل والنهار وكانوا هم يصدونهم بشجاعة وثبات وقد أطلقوا يوماً مدافعهم فقتلوا عبد الله حمزة احد الأمناء وعشرة آخرين .

تسليم حامية كسلال الاربعاء في ١٦ شوال

سنة ١٣٠٢ هـ ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٥ م

وصبر أهل الحامية على الجوع صبر الكرام حتى نفذ منهم القوت او كاد ولم يبقَ لهم طعام سوى الجلود القدية والأشياء المسترذلة حتى صار يموت منهم في اليوم ٤٠ نفساً وزيادة . فلما رأى المدير اشتداد الحال الى هذا الحد وقد يلس من انتظار المدد لم يرَ بداً من التسليم فانتدب ثلاثة من رجاله وهم اليوزباشي حسن افندي برونوس والصباري طيفور أغا وحسين افندي خليل معاون التفграф وأرسلهم الى الامناء بكتاب التسليم على انهم لا يؤذون احداً من أهل الحامية ولا يأخذون منهم سوى خمس مالهم . فتلقاهم الحسين الزهرة كبير الامناء عند جيزة العوض « وحلف لهم الكتاب » على ذلك فخرج المدير اليهم راكباً حاراً بنفر من الضباط والموظفين الملكية والتجار منهم : اليوزباشي

علي افندي خوجه والسنجق بشير اغا كقبال وحسين افندي بدوي وكيل المديرية والعوض المرضي باشكاتب المديرية وبرسوم القبطي رئيس الحسابات وعلي جاويش من أعيان التجار فتلقاهم الحسين الزهرة عند الجيزة بالترحيب ثم أحضر لهم طعاماً من اللبن والعصيدة والسلات فأكلوا ثم بايعوه باسم المهدي فألبسهم الجلب المرقعة وأرسلهم الى ديم توكرف ثم ساق الجيش ودخل الخندق .

الفنائم والاسرى : وكان العساكر قد تركوا خط النار وأووا الى منازلهم فأحاط الدراويش بهم وبالنازل الاميرية واستولوا على الخزينة فما وجدوا فيها شيئاً يذكر . ثم استولوا على مخازن الجبخانه والاسلحة فوجدوا فيها : ٦٠٠٠ بندقية ارشليك وكبسول قديم و ٢٠٠٠ بندقية رمنتون و شيئاً كثيراً من الجبخانه ما عدا المدافع والبنادق التي كانت على خط النار . ثم دخلوا المنازل وجمعوا الاسرى فكانوا نحو ٣٠٠ من العساكر النظامية و ٤٠٠ من الباشبوزق و ٥٠٠ من التجار و ٣٦٠٠ من النساء والاولاد والجملة نحو ٤٨٠٠ نفساً وهم عشر سكان الحامية قبل الحصار او اقل . فجردوهم من ملهم ورقيقهم وأخرجوهم خارج السور فقسوهم قسمين قسماً أرسلوه الى ديم الحسن حاشي في الحاقية وآخر الى ديم مصطفى هدل في توكرف . ثم أخذوا في جمع أموال أهل البلد وأشياءهم وقد دهم عليها الرقيق الذي أبقوه داخل السور . وفي اليوم الثالث بعد التسليم أتوا بالاسرى من الحاقية وتوكرف الى ديوان المديرية وأخذوا يستنطقونهم واحداً واحداً عما خبأوه من الاموال وقد تولى الاستنطاق ود حمزة أحد الامناء مستعيناً بالعوض المرضي باشكاتب المديرية فمن لم يعترف بماله جلدوه بالسياط او جلدوا امرأته حتى يظهر المال وكان في جملة من ضربوهم الضرب المبرح حسين افندي بدوي المصري وكيل المديرية . قيل ومع ذلك فقل من اعترف بماله وبقيت أموال كثيرة مدفونة تحت الارض الى ان كان الفتح الاخير .

قدوم عثمان دفنة الى كساد في ٢٦ اوغسطس سنة ١٨٨٥ م : وكتب

شأن الشيعة

الامناء الى الخليفة عبد الله بأم درمان وعثمان دقنة يجهة قماي يعلمونها بفتح
كسلا فحضر عثمان دقنة الى كسلا وكان الخليفة قد أرسل اليه كتاباً بموت
المهدي وطلب اليه ان يدعو اهل عمالته الى تجديد البيعة له على يده فعند
وصوله الى كسلا صعد على سطح ديوان المديرية فاجتمع اليه الامراء والانصار
فقرأ لهم كتاب الخليفة ثم قال ان كنتم تعبدون المهدي فان المهدي قد مات
وان كنتم تعبدون الله فالله حي لا يموت والخليفة عبد الله هو خليفة المهدي
القائم بالامر بعده فهل أنتم طائعون له متبعون لامره قالوا كلهم نعم ثم بايعوه
باسم الخليفة .

واقعة كوفيت في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥م : وبعد وصول عثمان دقنة الى
كسلا بأيام معدودة أتت اليه امرأة من نساء الهدندوة تنادي بأعلى صوتها
« واغوثاه اللصوص التقوني بجانب جبل مكرام وأخذوا مني حارقي وأشيائي
التي عليها » وكان عثمان جالسا مع نفر قليل من أصحابه فقام لساعته وتأبط
نعميه وأسرع حافي القدم الى جهة الجبل وقال ان من يكره الظلم ويأبى
التعدي فليتبني فتيه أصحابه الذين كانوا جالسين معه فطاردوا اللصوص الى
سبدرات فلم يقفوا لهم على أثر. ثم تبعه الجيش كله وفيه من الامراء مصطفى
هدل والحسن ود حاشي وبلال السمرندواي وباشريك السمرندواي وعوض
الكريم كافوت . ولم يبق في كسلا إلا نفر قليل لحمايتها وخضر الاسرى .
وأناه الى سبدرات احمد حجاج شيخ الجادين وعجيل شيخ الحمران المار ذكرهما
طائعين فأمنها وزحف بالجيش كله على كوفيت في حدود الحبشة .

وكان الرأس الوله إذ ذاك في اسمره يستعد لنجدة كسلا فلما بلغه خبر
سقوطها وتهجم عثمان دقنة على الحدود كتب اليه يقول: « بلغني انك حضرت
كوفيت وقصدك دخول الحبشة فانتظرنى ثلاثة ايام فأدخلك الجنة عاجلا
ان شاء الله » .

وفي الميعاد المضروب أي في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ حضر الراس الوله
يحيى جراز الى كوفيت ومعه علي نورين شيخ سبدرات وعبد القادر بك محمد

ايه ومحمد الفيل شيخ بني عامر المتقدم ذكرهم . قيل وكان جيش الرأس الوله نحو ٢٠ ألفاً وجيش عثمان دقنه نحو ١٠ آلاف . وكان دجاج قبره في مقدمة جيش الرأس الوله فأطبق عليه عثمان بجيشه فقتله وقتل معظم رجاله وتقدم الى جيش الوله فاشتبك القتال بين الفريقين وانجلى عن هزيمة عثمان بخسارة جسيمة فرجع يجر اذيال الخيبة الى كسلا .

وكان الشيخ محمد عوض ناظر الحلائقة سابقاً قد ذهب الى القادين قصد الانضمام الى عثمان دقنه فلما بلغ القادين انهزام عثمان قبضوا عليه وعلى رفيقه الشيخ نافع الحلائقي وأخذوهما الى الرأس الوله في اسيرة فقتلها .

قتل المدير وبعض الموظفين والتجار : اما عثمان دقنه فانه حال وصوله الى كسلا أمر بسجن احمد بك عفت المدير وابراهيم افندي شوقي الشرکسي باشماون المديرية والنسر سوارى حسن آغا سليمان الارناؤطي وثلاثة من التجار وهم : الخواجه استيلو الرومي والخواجه بدروس الارمني وعلي جاويز الحجازي . وبعد يومين عفا عن ابراهيم شوقي وعلي جاويز وقطع رؤوس الباقين . وقد اختلف الرواة في سبب قتلهم والذي عليه الاكثرون أن عثمان دقنه وجد بين اوراق قتلى الأحباش في كوفيت كتباً يستحثون فيها الرأس الوله لنجدتهم ويلعنون المهدي وأعوانه . وقد أسف الجميع على قتلهم ولا سيما على المدير لأنه كان صاحب عفة ونزاهة وعدل مع حسن رأي وشجاعة وتدبير . وقد رفته الحكومة بعد وفاته الى رتبة باشا برآ بخدمته ورفقاً بعائلته .

وكتب الخليفة الى عثمان دقنه فأخذ الخمس من الغنائم وقسم الباقي على الامراء ثم ارسل الامناء مع الاسرى والغنائم الى أم درمان فأرسل نحو ألف من الجهادية وجانباً كبيراً من المدافع والاسلحة والذخائر فأفلت منهم الصاغ فرج افندي ونسي المار ذكره بأربعة وخمسين رجلاً وأتى بهم الى مصر بطريق مصوع .

نتائج الإستوداء

هدم عثمان دقنه الخاتمية ورجوعه الى سواكن : ثم أخذ عثمان دقنه الجيش فهدم منازل الخاتمية وخرّب قبة السيد الحسن المرغني وجامع نجله السيد محمد عثمان تخريباً تاماً وعاد الى كسلا فكتب اليه الخليفة عدة كتب للرجوع الى سواكن لأهمية وجوده فيها فسمى محمد فاي ابن اخيه اميراً على كسلا وعبدالله ابا بكر اميناً على بيت المال وعاد الى معسكره في تمّاي فوصله في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٦ وسنعود اليه .

الفصل الثالث

عود إلى

حصار حامية سنار

سنة ٤ - ١٨٨٥ م

كتاب مدير سنار الى غوردن في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ : كان آخر عهدنا بسنار يوم رجوع نصحي باشا منها الى الخرطوم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وكانت إذ ذاك آمنة مطمئنة. وفي ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ كتب مديرها حسن بك صادق الى غوردن جواباً على كتاب ارسله اليه مع رجل تكروري هذا مفاده :

« من حسن صادق مدير عموم سنار الى غوردن باشا حاكم عموم السودان
« في ٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤ تشرفنا بورود كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فسرنا ما حواه من البشائر بقدم تسع اورط من ابطال الانكليز ومسلمي الهند من فرسان ومشاة ومدفعية بمدافع جديدة وخيول شديدة وقد قرأنا كتابكم على رجال الحامية ونشرناه في البلاد فسرنا الجميع به سروراً عظيماً وكلهم يدعون لكم وللجيش بالظفر . ثم ان حامية سنار وأهلها من علماء وتجار وأعيان يقبلون ידיكم ولنا الرجاء انه بهمة سعادتكم

ويجاه نبينا عليه السلام تسكن الثورة في السودان وتزول دعوى المهدي
ويخضع الكل لسيف الحكومة بحول الله وقوته .

حاشية : المرجو الاسراع بارسال وابور بالأشياء التي طلبناها في كتابنا
مرة ١٤/٢٩ .

المرضي ابو روف وحصار سنارة فظهر من هذا الكتاب ان سنار كانت
الى ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م هادئة مطمئة ولكنها لم تبقى طويلا في هذه
الطمأنينة فان المهدي في طريقه الى حصر الخرطوم كما مرّ أمر المرضي أبا روف
أخا ملك ابي روف المار ذكره فحشد جيشا كبيرا من عربان رفاعة الهوي
ونزل لحصر سنار في حلة عابدين على ٤ ساعات جنوبي سنار وذلك في أواسط
نوفمبر سنة ١٨٨٤ م .

حبس المدير : وقبل ذلك بايام وقع نزاع بين المدير والنور بك قيل سببه
الأمر الذي أرسله غوردون الى النور بك ليكون قومنداناً على المساكر فعند
المدير الامر اهانة له لأنه أقدم من النور بك وأحق منه بالقومندانية والحجاز
معظم المساكر الى النور بك فحبس المدير في منزله ووضع الحفراء على بابه .

واقعة العردية : فلما قدم المرضي لحصر سنار خرج عليه النور بك بنحو
٧٠٠ من عساكر الحامية وعثمان بك الدالي فالتقاء المرضي في العردية على ٣
ساعات من سنار وهزمه وتقدم الى غابة الكبوش فأقام فيها محاصراً سنار
الى ان سقطت الخرطوم فكتب الى النور بك يعلمه بسقوطها ويدعوه الى
التسليم فبعث النور بك يجلي يدعى سعيد وداعة الله الى الخرطوم لتحقيق
الخبر فرجع وأخبره بأن الخرطوم سقطت والانكليز عادوا من المتمة ومحمد
عبد الكريم قادم بجيش كبير لفتح سنار .

اطلاق المدير وقتله : فعقد النور بك مجلساً من الضباط والأعيان للنظر في
أمر نجاتهم فتوصل الاعيان اليه فأخرج عن المدير ودعاه الى المجلس وسأله رأيه
فقال لا رأي لي إلا الحرب فاذا سلمت لي قيادة المساكر تكلفت بطرد

الدراويش المحاصرين حتى اذا ما جاءنا عبد الكريم قاتلناه فاذا لم نفرز به لجأنا الى الحبيشة . وعندي مخزن كبير من الحبوب أقدمه للمساكر فصدقوا رأيه وسلموه قيادة المساكر فخرج بهم لقتال المرضي في غابة الكبوش فتوغل المرضي في الغابة وانقلب المدير راجعاً بالمساكر قلعة الى سنار وفي الطريق نزل مع بعض الضباط تحت جبهة ظلية للراحة وتناول الطعام وأمر المساكر ففرطوا عقد القلعة وتفرقوا جماعات فورد بعضهم النيل فشرّبوا واتخذوا الطريق الى سنار وجلس البعض الآخر قرب الجبهة للراحة . وكان كشافة المرضي لا يزالون يرقبونهم فلما رأوا المدير ورفاقه تحت الجبهة تواروا بشاطئ النيل حتى أتوا بالقرب منهم فباغتوهم الهجوم فهب كل منهم الى جواده فأجفل جواد المدير وأفلت من يد الساييس فانقض العرب عليه وقتلوه هو ونحو مئة من الضباط والمساكر . وأما النور بك وعثمان بك الدالي فقد ركب كل منهما جواده وضربا النفير فجمعوا بعض المساكر ورجعوا الى محل الواقعة فهزما الدراويش وعاد يبحث الضباط الى سنار فدفنوها بالجبانة . وعادت القيادة العامة الى النور بك وعاد المرضي الى غابة الكبوش .

محمد عبد الكريم وحصار سنار : وفي ١٨ ابريل سنة ١٨٨٥م وصل محمد عبد الكريم حلة البقرة ومعه من الامراء الشيخ عبد الرحمن المضوي السالف الذكر ومحمد احمد ود الشيخ ادريس من أقارب المهدي ومصطفى ود جبارة و خليل عمر ابو زهانة ومن الواورات وابور محمد علي فحصر سنار من الشمال . وحال وصوله ارسل الى أهل سنار كتاباً يدعوهم الى التسليم ويعدم بالعفو والصفح عما مضى ان خرجوا اليه طائعين فسأل النور الرسل عن الامراء الذين معهم فسموا له خليل عمر ابا زهانة وكان النور بك يعرفه من خط الاستواء فطلب من محمد عبد الكريم ارسال خليل المذكور للمفاوضة معه بشأن التسليم فحضر بموكب حافل فاستقبله الضباط والاعيان في ديوان المديرية فأخذ يعدد لهم نصرات المهدي وأعاجيبه ولكن قيل انه خلا بالنور بك فأخبره بما يحصل لهم اذا سلموا فقال : اما كبار الضباط فيقتلون او يعذبون وأما اهل البلد

فياخذ منازلهم وتسبى الجميلة من نسائهم . فصمم النور بك إذ ذاك على القتال ولكنه اخذ يخادع محمد عبد الكريم ويطاوله ريثما يتمكن من تقوية الخندق . وكان الخندق على شكل مربع مستطيل يحيط بالبلدة من ثلاث جهات والنيل يحيط بها من الجهة الرابعة فقطعه من الجنوب حتى صيرته مربعاً فضم اكثر منازل المدينة ومخازن الذخائر والشونة وثكنة العساكر ودوران المديرية . وقد عمقه وعلّى أبراجه وجعلها سبعة اي في كل زاوية برجاً وبرجاً في وسط الضلع الشمالية وبرجين في الضلع الغربية وجعل في كل برج مدفعاً . وجعل للخندق بابين باب في طرف الضلع الشمالية الغربي وباب في وسط الضلع الغربية . وصف العساكر على خط النار فجعل في كل جانب من جوانب الخندق الثلاثة نحو ٥٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠ من الباشبوزق وجند الملكية من موظفين وتجار وجعلهم مع العساكر على خط النار . وجعل عثمان بك الدالي قومندان الضلع الشمالية والقائمقام حسن بك عثمان الكريتلي قومندان الضلع الغربية وحى بنفسه الضلع الجنوبية واستعد للدفاع .

فلما تحقق محمد عبد الكريم ان النور بك يخادعه شرع في التضييق عليه فأمر بعض الأمراء فزلوا في البساتين الملاصقة للخندق من جهة الشمال وبنوا فيها طابيتين حصنوهما بالمدافع . وأمر مصطفى ود جباره ومن معه فعبروا النيل الى الشرق ونزلوا تجاه سنار وبنوا هناك ايضاً طابيتين حصنوهما بالمدافع وصاروا كلما لاح لهم شخص او بهيمة رموه بالرصاص حتى صار اهل البلد يأخذون من المياه ما يكفيهم النهار كله ويحبسون في منازلهم الى الليل .

وكان اهل الحامية من الجهة الاخرى كلما رأوا رجلاً خارج الخندق رموه بالرصاص حتى اهلكوا كثيراً من المحاصرين .

مهاجمة محمد عبد الكريم لسنار في ١٧ يونيو سنة ١٨٨٥ : ودأبوا على ذلك حتى فرغ صبر محمد عبد الكريم فعقد مجلساً من أمرائه وأهل شوره فأجمعوا على مهاجمة الخندق وأخذ البلد عنوة فأمر مصطفى ولد جباره فعب

بن معه الى الدير العام في الغرب . وكان قد قرأ اليه في هذه الاثناء كاتب من سنار فظن انه هو الذي جراه على مهاجتها . ولما كان الثلث الاخير من الليل في ٢ شعبان ١٣٠٢ هـ ١٧ يونيو ١٨٨٥ م زحف محمد عبد الكريم يحيوشه على الخندق وقد أمر اصحابه بالسكوت فساروا تحت جنح الظلام سراً بطيئاً هادئاً حتى وصلوا الخندق فتسلق بعضهم الطابية الشمالية الغربية وقتلوا بعض الطويحية ودخلوا الشونة وحمل الذخائر فاستيقظ الحفراء ورجال الخط كله وكان عثمان بك الدالي قومندان الخط في الطرف الشرقي منه فأخذ بعض العساكر وانقلب على الدراويش الذين دخلوا الشونة . قيل وكان الصاغ رمضان بهجت قومندان الطابية ثامناً في منزله فلما علم بدخول العرب جمع من بقي من عسكره وانضم الى عثمان بك الدالي وأشعلوا النار في الشونة من جهة الشمال . وعلم النور بك بهم فأسرع ببعض العساكر وأشعل النار في الشونة من الجنوب فحصرهم بين تارين ووالوا اطلاق الرصاص عليهم حتى أفنؤهم عن آخرهم ورجع كل الى محله على خط النار . وكان محمد عبد الكريم قد ارسل خيراً الى المرضي قبل الفجر فهاجم الخندق من الغرب فأمطر العساكر عليهم سحب الرصاص والقنابل ووالوا الضرب بنير فاصل وتلبعوا الذين داخل الخندق فقتلهم عن آخرهم وهزموا الباقين شر انهزام . قيل وكانت قتلى الدراويش نحو ٢٠٠٠ رجل وفي جملتهم احمد الكاشف السالف الذكر .

ومن ذلك اليوم لم يعودوا يحسرون على مهاجمة الحامية بل اقتصروا على حصرها والتضييق عليها . وقد بذل اهل الحامية الجهد في مواصلة الانكليز أملاً بأنهم يأتون لنجدهم وتفننوا في استنباط الحيل لايصال الرسائل اليهم فكتبوها على ورق رقيق جداً وجعلوها بين نصاب السكين ومقبضه او في جوف العصا او في طي النعال او بين الفص والخاتم ومع ذلك فما ارسلوا رسلاً إلا قبض الدراويش عليه واستنطقوه وعذبوه حتى اعترف برسالته ، فانقطعت آمالهم من وصول النجدة اليهم واشتد الحنن عليهم وعمتهم الجوع وتعذر وجود القوت فأكلوا الكلاب والحمير والجلود وصار الضعفاء منهم

يخرجون خارج الخندق لالتقاط بعض النباتات البرية كالضريسة وقش النبال وغيرها للتقوت بها فيقع البعض في ايدي المحاصرين ويسلم البعض انفسهم هرباً من الموت جوعاً فصمم النور بك إذ ذاك على الخروج من الخندق ومهاجمة الدراويش في ديمهم وكسب غلالمهم للتعطل بها او الموت دون ذلك .

خروج حامية سنار مهاجمة في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٥ : ولما كان يوم الاثنين في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٥ خرج النور بك بألف ومائتين من العساكر النظامية والباشبوزق وهم جلّ عساكرهم فهدم طابيتي الدراويش اللتين في الجنائن وقتل من فيها ثم زحف قاصداً ديم الدراويش في البقرة فالتقوه في الطريق واشتعل القتال بين الفريقين فأصيب النور بك برصاصة في رجله فحملوه على حمار وأخذوه الى سنار وألقيت قيادة العساكر الى عثمان بك الدالي فاشعل في الاعداء ناراً حامية حتى هزمهم وقتل منهم نحو ٢٠٠٠ رجل ودخل ديمهم فغنم كل ما فيه من حبوب وخيم واسلحة وعاد الى سنار فعمّ الفرخ أهل الحامية كلها وزال ما حلّ بهم من كرب الجوع والحصر . وقد وجد العساكر في كوخ عبد الكريم كتباً من أم درمان تنبئ بوفاة المهدي ، فازدادوا سروراً واستبشاراً وظنوا ان المهدي قد زالت بوفاته وان الدراويش لا يرجعون الى القتال .

خروج حامية سنار المرة الثانية في ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٥ : ولكن ما لبث الدراويش ان تجمعوا وعادوا الى ديمهم في البقرة فاقر أهل الحامية على اعادة الكرة عليهم وكان النور بك لا يزال طريق الفرائش من جرحه فقاد عثمان بك الدالي العساكر وخرج بهم صباح الخميس في ١٧ شوال سنة ١٣٠٢ هـ ٣٠ يوليو ١٨٨٥ م وكان الدراويش قد أقاموا متراً امام الديم ووضعوا عليه أهل الاسلحة النارية فلما أقبل العساكر بادروهم بالرصاص فقال عثمان بك بالعساكر الى جهة الغرب فهاجمه اذ ذاك الحراية وكانت العساكر بهيئة قلعة ففتحت عليهم نيران البنادق فأصاب عبد الكريم رصاصة في فخذه فكسرتها

فوقع فيهم الفشل وانهمزوا شر هزيمة . ودخل العساكر الديم فأخذوا جميع ما وجدوه فيه من حبوب وغلل وأغنام وغيرها ثم أحرقوه وعادوا بالفنائم الى سنار ودامت هذه الواقعة من الساعة واحدة من النهار الى الساعة ١١ حساباً عربياً وقد قتل في هذا اليوم من الدراويش نحو ٢٠٠٠ رجل وأما العساكر فقد قتل منهم ١٢٠ رجلاً من ضباط وعساكر وجرح احمد بك مكوار جرحاً مميتاً فحمل الى سنار ومات هناك . وأصيب عثمان بك الدالي بثلاث رصاصات واحدة أصابت يده اليمنى واثنين أصابتا فخذه ولكنهما لم منها كلها . أما عبد الكريم فقد حمله أنصاره الى البرباب لمعالجته هناك وقد لزم الفراش بسبب انكسار فخذه ولم يعد له طاقة على ادارة الجيش فأمر محمد احمد ولد شيخ ادريس المار ذكره فجمع شتات الانصار وعاد الى ديم البقرة وعاد مصطفى ود جبارة الى ديمه في الشرق .

واقعة كساب الاثنين ١٧ اوغسطس سنة ١٨٨٥ : ولم يكن إلا القليل حتى فرغ الزاد الذي كسبه العساكر وجاءهم نبأ ان في جهة كساب شرقي النيل على نحو عشرة أميال من سنار مخزناً كبيراً من الحبوب فأقروا على أخذه وكان النور بك وعثمان بك الدالي لا يزالان طريحي الفراش بسبب جراحهما فجهز القائمقام حسن بك عثمان نحو الف من العساكر النظامية والباشبوزق ومعهم الملك تاج الدين كبير الفونج بسنار وعدى بهم الى الشرق السبت في ١٥ اوغسطس سنة ١٨٨٥ وفي صباح الاحد تقدم بالعساكر الى كساب فلم يجد فيها شيئاً فأراد ان يتوغل جنوباً للتفتيش عن الغلال فلم تدعن المساكر لأمره فبات ليلته في كساب وهو لا يدري ما يفعل . ولما استيقظ صباح الاثنين في ١٧ اوغسطس سنة ١٨٨٥ م وجد ان ٤٠٠ رجلاً من عساكره السود قد هجروه وانضموا الى مصطفى ود جبارة امير الدراويش بالشرق فقفل راجعاً بباقي المساكر قاصداً سنار فكان له مصطفى ود جبارة في غابة الشيخ فرح بين سنار وكساب وما اقترب منه حتى خرج عليه يبيشه فقتله وقتل معه الصاغ رمضان افندي بهجت والملك تاج الدين كبير الفونج المار ذكرهما وبعض

العساكر وأسروا البعض ولم ينج من العساكر إلا القليل فعبروا النيل سباحة الى سنار ونزل بعضهم بالمراكب ففقدتهم التيار الى قرب ممسكر محمد احمد ولد الشيخ ادريس في البقرة فأرسل وابور محمد علي فقبض على المراكب ومن فيها ولم يرجع من الالف رجل الذين خرجوا الى الشرق إلا نفر قليل . وأصبحت حامية سنار بعد هذا المصاب تحت رحمة الدراويش .

تسليم حامية سنار في ١٩ اغسطس

سنة ١٨٨٥ م

وكان محمد احمد ولد الشيخ ادريس لما ألقى القبض على العساكر في المراكب ألبس اربعة منهم جبباً مرقعة وأرسلهم في صبيحة اليوم الثاني أي ١٨ اغسطس الى سنار بكتاب الى أهل الحامية يدعوم الى التسليم ويقول اذا سلمتم سلمتم وإلا هاجتكم ودخلت الخندق عنوة . فجمع النور بك اذ ذاك مجلساً من الضباط والتجار والأعيان فلم يجدوا بداً من التسليم فكتبوا بذلك كتاباً الى محمد احمد شيخ ادريس وأمضاه الميرالاي النور بك قومندان العساكر وعثمان بك الدالي ثانيه والبكباشيان محمد صالح وعثمان ذهني والشيخ احمد مكي قاضي سنار والشيخ احمد ابو عامر سر تجار سنار وغيرهم من التجار والأعيان . ثم خرجوا فسلموا له وبايعوه وذلك في يوم الاربعاء ٨ القعدة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ اغسطس سنة ١٨٨٥ م وكانت سنار آخر من سلم من حاميات السودان بعد جهاد ثلاث سنين وخمسة أشهر .

الفنائم والأسرى : ودخل الدراويش الخندق فأخرجوا العساكر الى الديم وكانوا لا يزيدون عن ٧٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق ثم اخرجوا أهل البلد وأخذوا في جمع الفنائم فأتوا بمن ظنوه اخفى ماله فعذبوه وجلدوه بالسياط حتى اعترف به كما فعلوا في كل حامية فتحوها . أما النور بك فانه لم يهن لأن ابنته كانت في عصمة محمد عبد الكريم وقد تسراها بعد فتح

تأريخ الشيعة

الخرطوم وكان النور بك وعثمان بك الدالي لا يزالان طريحي الفراش بسبب جراحها فتركوما داخل الخندق .

بعثة النجومي الى سنار : هذا وكان الخليفة عبد الله لما رأى محمد عبد الكريم قد أبطأ في فتح سنار استدعى عبد الرحمن النجومي من الممتدة وأرسله الى سنار ومعه ثلاثة وابورات وهي : تل حوين وبوردين والاسماعيلية فسار براً وبحراً يجيش لا يقل عن ١٣٠٠٠ رجل وفيهم من الأمراء ود جبارة وابو قرجه ومكين النور وعبد الحليم مساعد . فوصل سنار السبت في ٢١ اغسطس أي بعد التسليم بثلاثة ايام . وكان انصار محمد عبد الكريم لا يزالون مشتغلين في نهب المدينة وتعذيب اهلها ، فمنهم النجومي من ذلك وأمن البلاد .

خراب سنار : وكتب محمد عبد الكريم الى الخليفة يبشره بفتح سنار فكتب اليه جواباً بتاريخ ١٢ القعدة سنة ١٣٠٢ هـ اوغسطس سنة ١٨٨٥ م يخبره بوصول كتابه الحاوي بشائر فتح سنار وعليه حاشية : « جرى الله الانصار خيراً وخصوصاً الحبيب المكرم مضوي عبد الرحمن فقد مرّ ما نوهتم به في حقه من حسن الثبات وفتكه بالعدا . وهكذا شأن من تكتل وتصفى وبعهد الله وفتى » .

وكان الخليفة عبد الله لا يأمن جانب الاشراف لما تقدم من الاسباب ، وخشي من اتحاد النجومي وعبد الكريم عليه في سنار فأخذ يوالي تحاريره الى كل منها بحرق سنار والرجوع الى أم درمان في الحال ويقول : « سنار تصيبها النار » . فعاد النجومي يحيوشه ووابوراته اولاً فوصل الخرطوم في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٥ وأقام فيها . ثم لحقه عبد الكريم بعد ان احرق سنار وأتم خرابها وبقيت خراباً فلم يجسر احد على سكناها الى ان كان الفتح الاخير فعمّرت كما كانت .

هذا وكان قد شاع في أم درمان ان محمد عبد الكريم لما علم بوفاة المهدي اراد جمع كلمة جيشه لمحاربة التعايشي وجعل الخلافة لابن عمه الخليفة شريف لأنه أحق منه بالملك ، فعند وصول محمد عبد الكريم الى أم درمان استدعاه الى مجلسه وتهدهه وطلب اليه ان يحلف له بيمين الطاعة ففعل .

وأذاع التعايشي خبر فتح كسلا وسنار وكتب بذلك الى امرائه في الجهات ، وهاك ما كتبه « الى حبيبه المكرم يونس الدكيم » : « واعلم حبيبي انه بحمد الله قد انتصر الدين النصر المبين وذلك ان كلاً من مديرتي كسلا وسنار قد صار فتوحها ببركة الله تعالى على أتم حال وأمر بالسيرتها ان اهل كسلا قد اشتد عليهم الضيق بواسطة انصار الدين وقطعت عليها المواد بالكلية حتى تضايقوا المضايقة الشديدة وأكلوا الحميم ولحوم بني آدم ، ولما ضاق بهم الحال واشتد عليهم النكال رجعوا الى الواحد المتعال وسلموا للهدية حقراً أذلاً منقادين ، والآن جميع مدافعهم وجبيخاتهم وأسلحتهم استلمت بيد الانصار والجهادية كذلك والحمد لله على ذلك . وكيفية فتح سنار هي ان اعدله الله لما اشتد كرههم خرجوا لجنود الله للحراية فتصادموا فقتلت منهم مقتلة ثم انهزموا ودخلوا حصنهم وقد املوا التوجه لجهات الصعيد لقصد اخذ غلال لإزالة ما بهم من الضرر فدخلوا في مراكز وتوجهوا فصادمهم الانصار وشدوا عليهم حتى هلك منهم نحو الالف وثلثمائة وأمر منهم نحو الثلثمائة واستلمت مراكزهم وما فيها من الجباخين والأسلحة ولما رأوا ما حصل لهم من الدمار انحل عزمهم وتشتت رأيهم ، وبعد هذه المقتلة منهم غزم الانصار على دخول خندقهم وافتتاحه ليدمروا من فيه نصرة لدين الله وإحياء ملّة رسول الله ﷺ فقبل انتقامهم خاطبهم الاعداء بالتسليم والانقياد للهدية وطلبوا الامان خيفة على انفسهم من الهلاك فأمنتهم الانصار فخرجوا من حينهم واستلمت مديريتهم بجميع ما فيها وصارت غنيمة

شأن الإسلام

للمؤمنين ، ولعلمائكم بما ذكر فحرم هذا . فاسجدوا شكراً لله كما سجدنا
وان شاء الله بعد الآن تتكاثر الفتوحات ويتأيد الدين زيادة على ما فات
فشدوا الحزم وقووا العزم وتشوقوا للقاء الله يا حزب الله فان خيركم
قدام فلا تطلبوه هنا رحكم الله . هذا والسلام على جميع من معكم من
انصار الدين ... »

الفصل الرابع

في

وقائع الحدود وأم دومان

سنة ١٨٨٦ : ٥ م

واقعة جنس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ : تقدم ان محمد الخير لما علم بخروج الانكليز من دنقلة في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٥ أرسل مقدمة جيشه بقيادة ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي فاحتلها في ٢٦ اغسطس بنحو ٣ آلاف مقاتل . ثم لحقه على الأثر فوصل دنقلة في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٥ . وبعد وصوله بقليل سبّر عبد الماجد المذكور بمعظم أنصاره لناواة جيش الحدود في كوشة وأخذ يستعد للحق في . فوصل عبد الماجد بلدة جنس على نحو ٣ أميال من كوشة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٥ فأقام فيها دوماً ووضع بعض الانصار في بلدة كوشة والبعض الآخر على أكمة صخرية شمالها عرفت بالحجر الاسود تطل على طليبة الجيش ووضع على الأكمة مدقاً وبعض الرماة فشرعوا يرمون الطليبة بالقنابل والرصاص حتى صار أهلها يحفرون الحفر ويختبئون بها فأقرّ الكولونيل أفرت قومندان الطليبة على طردهم من الأكمة عنوة . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٥ خرج عليهم معظم المسابكر فرماهم بالقنابل اولاً ثم أمر

شأن السودان

الصفوف فوضعوا السنج في رؤوس البنادق واقتحموا رصاص الأعداء وتسلقوا
الأكمة فأجلوهم عنها وغنموا المدفع فجعل الكولونيل أنرت نقرأ من المسكر
في مكانهم ورجع بباقي القوة الى الطابية . وقد خسر في هذه الهجمة ضابطاً
وعسكرياً وجرح الكبتن هنتر (الجنرال هنتر الآن) وثلاثة عساكر .

هذا وقد صحب عبد الماجد . من دنقلة عبد الله ود سعد فتزل بأنصاره في
الشاطئ الغربي تجاه ديم الدراويش في جنس وكانوا يأتون قبالة الطابية
فيختبئون بالصخور ويترقبون العساكر فكلمنا لاح لهم عسكري رموه بالرصاص
فاجتاز البكبشي بارو ببعض العساكر السودانية والمصرية وزرب زريبة تجاه
الطابية ومكث بها فمنع أذام .

وكان الجنرال ستفنسن قائد جيش الاحتلال في مصر لما علم بقدم الدراويش
الى كوشة ساق اليها الجنود الانكليزية والمصرية من مصر والحدود فوصلها في
١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٥ م سؤمعه الجنرال غرنفل مرقدار الجيش المصري بصفة
رئيس أركان حرب . وكان الجنرال بتلر قومندان العساكر الانكليزية في
الحدود قد سبقه اليها فاجتمع عنده بين طابيتي مفرقة وكوشة خمس اورط
مشاة واورطة راكبة من الجيش الانكليزي وقسم من الاورطة التاسعة
السودانية وآخر من الاورطة الثالثة والاورطة الاولى من الجيش المصري
وأقسام متفرقة من الطوبجية والمهندسين والهجانة والسواري من انكليز
ومصريين . ذلك عدا واور لوتس الحربي بقيادة الكبتن لويد في النيل . وكان
مع عبد الماجد في جنس وكوشة والغرب نحو ٦٠٠٠ مقاتل . فأقرّ الجنرال
ستفنسن على مهاجمة الدراويش في الشرق والغرب فجعل الماجور بارو وجنوده
في صدد عبد الله ود سعد في الغرب وقسم جيشه الى آلايين : الآلاي الثاني -
وهو مؤلف من ثلاثة انصاف اورط انكليزية والاورطة الاولى المصرية وبعض
الهجانة الانكليز والمصريين وستة بلوكات من الهيلندرس وبلوكين من الاورطة
التاسعة السودانية بقيادة الكولونيل هوش - يهاجم بلدة كوشة ثم يتقدم على
ديم الدراويش في جنس بطريق النيل . والآلاي الاول - وهو مؤلف من

ثلاث اورط انكليزية وأقسام من الطويجية والهجانة والاورط الثالثة المصرية بقيادة الجنرال بتلر . تتبعه الاسلحة الراكبة من انكليز ومصريين بقيادة الكولونيل بلاك - يسير في نصف دائرة ويهاجم ديم جنس من الجنوب .

وفي ٣٠ ديسمبر قبيل الفجر زحف الجنرال ستفنسن بالجيش من النيل الى التلال الجنوبية المطلة على كوشة وجنس من جهة الصحراء جاعلاً الآلاي الاول ومعه الاسلحة الراكبة أمامه والآلاي الثاني وراءه . ولما كان الفجر أمر مدفعية الآلاي الاول ففتحوا أفواه مدافعهم على كوشة . ثم أمر الستة بلوكات من اورطه الهيلندرس والبلوكين من الاورطه التاسعة السودانية من الآلاي الثاني فهجموا على بلدة كوشة هجمة الاسود واحتلوها عنوة وغنموا منها مدفعاً وذلك في الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ . وكان الآلاي الاول اذ ذاك قد اتخذ مركزاً على التلال الجنوبية على نحو ميل ونصف ميل من ديم الدراويش في جنس والآلاي الثاني وراءه تجاه بلدة كوشة . وكان الدراويش في جنس لما سمعوا اطلاق المدافع قاموا مذعورين الى سلاحهم فما طلع النهار حتى رأوا العساكر قد ملأوا التلال وهم زاحفون عليهم فخرجوا لصدّهم زمراً ففتح العساكر أفواه البنادق والمدافع فاقتحموا النيران وتسلقوا التلال بقلوب لا تهاب الموت وذهبت فرقة منهم في خور متوارين بشاطئه حتى أقوا على الهجانة المصرية في يسار الآلاي الاول والتحم القتال بينهم وبين الهجانة بالسيف والحراب فساعد هؤلاء فرقة من العساكر الانكليزية فردوهم على أعقابهم خامرين وشتتوهم كل مشتت . ووالى العساكر رمي النار على الدراويش حتى أجلوهم عن التلال وتقدم الآلاي الاول الى الديم فاحتله الساعة ٩ والدقيقة ١٥ . وبعد ربع ساعة انضم اليه الآلاي الثاني واستولى الجيش على جميع ما كان في الديم من الامتعة والذخائر والاسلحة وفيها ٤ مدافع .

أما عبد الله ود سعد في غربي النيل فانه كان قد استعد للهجوم على زريبة الماجور بارو فلما رأى قومه قد شرعوا بالانهزام انهزم هو ايضاً بلا قتال .

تأريخ السوڤدان

ولحق فرسان الجيش بالدرأويش المنهزمين الى عبري فقتلوا من أدر كوه في الطريق وعادوا بالغنائم الى جنس .
وأما الوابور لوتس فانه ساعد الجيش في أثناء القتال ولما انهزم الدرأويش تتبعهم الى ابي صاري فغنم منهم تسعة مراكب ملأى بالوّن والدخائر وعاد الى جنس .

هذا وبعد انجلاء الواقعة علم ان جماعة من الدرأويش لا زالوا مختبئين في بيت من بيوت كوشة فدُعوا الى التسليم فلم يسلموا بل رموا العساكر بالرصاص وقتلوا ضابطاً مصرياً فأتى العساكر بالمدافع فهدموا البيت وقتلوا من فيه . وكانت خسارة الجيش في هذا اليوم ٧ قتلى و ٣٤ جريحاً وأما خسارة الدرأويش فقد قدرت بنحو ٥٠٠ قتيل و ٣٠٠ جريح وبين قتلاهم عبد الماجد الكليلك الميرفابي المار ذكره وحسن ابو قرجة وبين الجرحى عبد الماجد رئيس السرية وعثمان ازرق .

وقد أعجب الهيلندرس ببسالة عساكر الاورطة التاسعة السودانية الذين صبحوم في الهجوم على كوشة فأهدوهم راية مكتوباً عليها اسم جنس فصارت الاورطة التاسعة تحملها مع رايتها الخاصة الى اليوم .

ومن امتاز في هذه الواقعة والمناوشات التي تقدمتها من الضباط المصريين وذكروا في الاوامر العسكرية : البكباشي احمد افندي فهمي ارکان حرب فانه « أدّى مساعدة ذات قيمة » . والبكباشي في الطويحية المصرية حسن افندي رضوان (رضوان باشا الآن) فانه « اصيب بجرح في طابية كوشة وقد صبر شهراً على نيران العدو وأظهر بسالة ومهارة في ادارة المدفع » .

ومن امتاز من الموظفين السوريين : البكباشي الطيب سليم افندي موصلی (الميرالاي موصلی بك الآن) فانه « ساعد مساعدة عظيمة جداً اذ كان طبيب طابية مفرقة » . ثم ألحق في الالاي الاول وحضر واقعة جنس فداوم على الاعتناء بالجرحى وقام بالواجب عليه أحسن قيام » . وملحم افندي شكور (ملحم بك الآن) سكرتير السردار المربي فانه « خدم مدة ثلاثة

أشهر قبل الواقعة بضعة معاون الخابرات في نقط الجيش الأمامية . فأظهر من الحمية والمهارة وحسن التدبير في تأدية واجباته مما أتى بأحسن النتائج . وقد صحب سعادة السردار في الواقعة فكان له افضل مساعد في الدلالة على نقط شتى لزمت الجيش معرفتها .

هذا وبعد الواقعة رأت الحكومة ان لا فائدة لها من احتلال بطن الحجر غير تحمل المشاق والتنفقات فأخرجت جنودها منها وجعلت آخر حدها الجنوبي حلفا فوصل آخر الجند اليها من الجنوب في ١٣ ابريل سنة ١٨٨٦ . وفي ٧ مايو خرج المساكر الانكليز من حلفا فتركوا حمايتها للجيش المصري ولكن بقي الف رجل منهم في اسوان لتجدة الجيش المصري اذا منست الحاجة الى سنة ١٨٨٧ فعادوا الى مصر .

التعايشي وخبر الحملة على دنقلة : هذا وكان محمد الخير لما بلغه خبر استعداد الانكليز لواقعة جنس بمث الى الخليفة بكتاب وصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٨٥ قال فيه :

« ... ان الانكليز لما بلغهم خبر وفاة المهدي سؤلت لهم أنفسهم الرجوع الى دنقلة وقد قاموا فعلا من حلفا قاصدين دنقلة في ثلاث طوائف طائفة بالبحر وطائفة بالخلا لجهة الغربية وطائفة بالجهة الشرقية وان بعضهم دخلوا عكاشة ... » .

فاضطرب الخليفة لهذا الخبر وأرسل في الحال طليعة من عنده الى الحدود لتأنيته بالخبر اليقين . وكان النجومي قد حضر من سنار في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٥ كما مر فأمره بالزحف على دنقلة فصدع بالأمر وشرع في تسيير الجيوش الى بربر .

وكتب الخليفة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨٥ م « الى جماعة مضوي عبد الرحمن وكافة الخلاويين التابعين لمحمد البصن: وأولاد المرحوم العبيد بدر وغيرهم » يقول : « ... حيث أمرنا الرايات بالخروج الى الجهاد في سبيل الله

وأنتم من جملة الرايات التي تعملت للجهاد فيقتضي ان تستعدوا لذلك ولا يتخلف منكم احد ... »

وبعث امراً الى أبي عنجة في جبال النوبة في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٥ :
« ليستعد للرجوع الى أم درمان عند اقل اشارة » . وقد كان من رأيه ان يجعل الخليفة شريفاً في صدد الجيش المهاجم ثم يجمع اطرافه في أم درمان ويستعد للطوارئ .

قبل وعند وصول الخبر اليه من محمد الخير استدعى رفيقيه الخليفة شريفاً والخليفة ود حلو وقال لهما ان الحضرة النبوية قضت بتقسيم الرايات على الجهات فجعلت كل راية في صدد جهة ، فالراية الحمراء التي هي راية الخليفة شريف في صدد مصر والجهات البحرية . والراية الخضراء التي هي راية الخليفة ود حلو في صدد السودان الشرقي والحبشة . والراية الزرقاء في صدد السودان الغربي الى آخر حد الاسلام في السودان . وعليه ، فقد عهدت امر مصر والجهات البحرية بالخليفة شريف وولجته فتح مصر .

وقد رأيت كتاباً منه الى عثمان دقنة بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣٠٣ هـ ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٥ م رداً على كتابه عن واقعة كرفت يقول فيه : « ... وليعلم لديك اننا بخير وقد تعين خليفة الكرار برايات الى فتح الجهات البحرية ودعاية من فيها الى رب البرية وها هم على جناح السفر » ... « ثم اعلم يا حبيبي انه قد صار تعيين الحبيب عبد الرحمن الجنومي وقيامه في أول السرية وفي تاريخ اثنين ربيع الاول الآتي يصير قيام خليفة الكرار بباقي الجيش » .

وكتب له في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٠٣ هـ ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٥ يقول : « ... خرج خليفة الكرار مديماً للسفر خارج المدينة ونحن أخرجنا خيمتنا معه للمشاورة والمدايرة في امر الجيش وفي شهر ربيع الثاني الآتي يقوم ببركة الله الى الجهات البحرية يحيوش لا قبل لها من العداء » .

ثم كانت واقعة جنس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ فازداد قلق الخليفة وجدد المهمة في حشد الرايات الى دنقلة . وكان محمد الخير قد ارسل الطلائع

نتائج الإستبصار

لاستطلاع طلع الجيش فعادوا في اواسط ابريل سنة ١٨٨٦ وأخبروه بأن الانكليز قد أدخلوا البلاد كلها الى حلفا ، فكتب في ذلك الى الخليفة فسُري عنه وأشاع ان الانكليز فزعوا من سطوته فعادوا الى بلادهم .

تجريد الخليفتين من الأسلحة والرايات : وكان التعايشي : انما جعل الخليفة شريف في صدد مصر ليدراً به نار مهاجميه فلما سمع برجوعهم الى حلفا خاف انه اذا ذهب الخليفة شريف الى دنقلة ومعه تلك الجيوش الجرارة يفلت من يده ويستقل عنه ويكون له نداء ايما حل فأمره بالبقاء في أم درمان . ولم يكتف بذلك بل امر بتسليم العساكر الجهادية الذين في رايته وما معهم من الاسلحة النارية الى اخيه يعقوب لضمهم الى الراية الزرقاء . وطلب مثل ذلك من الخليفة علي ود حلو ، فأدرك ود حلو ان مراد التعايشي بذلك انما هو تنكيس الاشراف ليس إلا ، ولم يكن عنده إلا نقر قليل من السود فسلمهم طائفاً ، فلم يسع الخليفة شريفاً اذ ذاك إلا الطاعة . فجعل التعايشي جميع الجهادية راية واحدة وولى عليهم فضل المولى صابون أخا حمدان ابي عنجة وجعلهم في طابية أم درمان التي عرفت بكاراة الجهادية . ثم أمر التعايشي الخليفتين فلما طبولهما الحربية ثم راياتهما التي كانا ينصبانها امام منزلها بحجة ن الدين واحد والجيش واحد . وكان ذلك في اواسط جهادي الآخرة سنة ١٣٠٣ هـ اواسط مارس سنة ١٨٨٦ م .

فرار الشيخ المضوي : ولم يكن ذلك كله بلا جلبة او لفظ بل قيل ان الشيخ المضوي انكر هذه المطالبات وحرّض الاشراف على رفضها والعبور الى شرق النيل ، فتكفل بضم اهل الشرق والجزيرة اليهم وتدبير ما يلزمهم من المؤن ، ولما لم يوافقوه على رأيه خشي ان يبلغ التعايشي تحريضه فيبطش به ففر الى الحبشة . وخاف ان يعترضه احد في الطريق ، فلفق كتاباً بختم التعايشي قال فيه انه مرسل من قبله بأمر ديني .

ولما علم التعايشي به بث اصحابه في أثره فلم يدركوه فبعث الى ملك

الحبشة في تسليمه فلم يجبه . وبقي المضوي في عاصمة الاحباش الى سنة ١٨٨٩ ثم أتى الى مصر وتوسط له الزبير باشا فمُنح العفو الخديوي وعاد الى الأزهر فأقام فيه حتى فتحت دنقلة سنة ١٨٩٦ فسَمِيَ قاضياً عليها ثم عُزل وعاد الى بلاده على النيل الازرق .

عزل احمد سليمان وتسمية ابراهيم عدلان مكانه : وقد تظاهر احمد سليمان أمين بيت المال بأنه معازب للأشراف وكان التماشي حاقداً عليه من أيام المهدي فاحتال لعزله والابقاع به فطلب اليه تقديم حساب مدقق عن السنين السالفة وإذا لم يستطع ذلك رماء بالاختلاس والخيانة وعزله وزجه في السجن فبقي فيه سنة وشهراً وسمى مكانه أميناً على بيت المال ابراهيم ود عدلان المار ذكره في حصار الأبيض .

بعثة النجومي الى دنقلة ورجوع محمد الخير الى بربر : هذا وكان النجومي قد شرع في ترحيل جيشه من بربر الى دنقلة منذ اوائل ابريل سنة ١٨٨٦ م . وكان التماشي يود تكيس محمد الخير لأنه كان ذا سطوة ونفوذ في البلاد من لدن المهدي فاتخذ انكساره في جنس سبباً لذلك فكتب اليه فلم البلاد الى حسن ود جبارة امير مقدمة جيش النجومي ورجع بجيشه الى بربر . وكان معه من جيش النجومي راية حسن ابي قرجة وراية مرغني سوار الذهب فتركها في دنقلة .

عزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الدكيم مكانه : ثم لم يكف التماشي بعزله عن عمالة دنقلة بل عند وصوله الى بربر استدعاه الى ام درمان وعزله عن عمالة بربر وأرسل عثمان الدكيم من أقاربه مكانه . وماك ما كتبه الى عثمان الدكيم في ٦ الحجة سنة ١٣٠٣ هـ ٥ سبتمبر ١٨٨٦ بنصه بعد البسملة :
« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى حبيبه وعونه في دين الله عثمان الدكيم كان الله له أمين . بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته . حبيبي ان هذا الأمر الذي نحن عليه

هو الدين الخالص الذي كان عليه نبينا ﷺ وجاء به عن الله . وظهر المهدي عليه السلام لآحيائه واقامته وإظهاره على الدين كله ونحن بحمد الله على اثره . وحيث انك من الاصحاب الكرام الذين أخذ عليهم العهد من المهدي عليه السلام ومنا ومعدود عندنا من اهل الحزم والعزم والتشمير في الدين وظننا بك جميل فقد جعلناك عاملاً على عموم بربر ونواحيها تعمل فيها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتجتهد في إظهار شعائر الدين وتتحزب أنت وجميع أهالي الجهة المذكورة لجهاد أعداء الله الكافرين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فاعلم ذلك حبيبي وسر في العباد بسير الصديق وكن على الحق الذي يرضي الله ورسوله واتق مولاك في الحركات والسكنات وسائر الضعيف والقوي في الحق وأرفق بالمسلمين وسر بهم الى مولاكم وعظمهم بالحكمة والموعظة الحسنة وكن انت ومن معك على الاستقامة أشداء على الكفار رحماء بينكم وأجبر الحق ولو على نفسك وكن على غاية الاجتهاد وعلو الهمة في الاستعداد لملاقاة مولاك ونصرة الدين حتى تفوز بذلك الفوز العظيم وتنال من ربك التكريم ولا يبلغنا عنك إلا الخير وحسن السير . واعلم ان امارتنا لك هي على شرط اتباع الكتاب والسنة والعمل بما يرضي الله فكن على ذلك تسلم من المهالك والسلام .

تسمية مساعد قيدوم وكيلاً للنجومي : ثم ان التمايشي لم يبق النجومي وحده على ادارة الجيش بل أرسل مساعد قيدوم من أهله رقيباً عليه فمناه وكيلاً على الجيش على ان يوليه بلاد دنقلة فيما بعد . وهاك ما كتبه الى أبي عنجة في ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٦ بهذا الشأن : « ... فالآن عزمنا على تعيين الحبيب مساعد قيدوم برايته اللحق بالحبيب عبد الرحمن النجومي ويوم الاثنين بعد غد قصدنا اخراجها للسفر ... » .

وكتب الى الامراء الذين مع أبي عنجة في ١٨ القعدة سنة ١٣٠٣ هـ ١٨ اوغسطس سنة ١٨٨٦ يقول : « ... وان سألتكم عن حال اخوانكم الانصار فانهم على حالة تسر الخاطر وتقر الناظر ولا زالوا متوجهين للجهاد وناشرين

تَبَاحُ الشُّرُوكِ

خُفَافاً وثِقَالاً للحوث بالحبيب عبد الرحمن النجومي وقد تكامل بدنقلة منهم خمسة عشر ألف مجاهد منهم من وصل بذات العرضي ومنهم من لا يزال بدار الشايقية ونحوها من الجهات والباقي منهم برببر ستة آلاف مجاهد بعمية عبد الرحمن النجومي والحبيب مساعد قيدوم وهم شارعون الآن في السفر وجميع جهات الارياف ساكنة وليس بها أدنى حركة . وأما أعداء الله الانكليز فقد هربوا من جهة مفركة وكوشة وغيرها من محلات قياقرم السابقة ولا زالوا في هرب الى مصر ومنها الى ديارهم وتركوا الترك وحدهم حيارى في ما يصنعونه وقلت حيلهم لا سيما بعد ما بلغهم نزول الانصار الى جهات الارياف، فلذلك وبالنظر لامتلاء دنقلة يحيش الحبيب عبد الرحمن النجومي حررتنا الى الحبيب العامل محمد الخير عبد الله خوجلي بالحضور والنزول يحيات ابي حمد بمن معه من الجيوش لشن الغارة على اهالي الجهات البحرية وربنا يتم بالخير ودين الله لا زال منصوراً وعدوه مغلوباً مقهوراً اه .

وخرج النجومي ببقيّة جيشه من رببر في ١٤ أكتوبر سنة ١٨٨٦ فوصل دنقلة في ٩ نوفمبر من السنة المذكورة . وفي ٣ ديسمبر من هذه السنة كتب الخليفة الى انصار دنقلة يحثهم على الجهاد والحفاظة على رباطهم والطاعة لعمالهم النجومي بما نصه :

« ... وبعلمكم ان الله تعالى قد عظم امر الجهاد واستنفر اليه جميع العباد ونوّه بفضله كثيراً ووعد عليه اكيداً فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التورية والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . وقال تعالى: ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعملون يغفر لكم الآية . وقال نبيه المعظم : ان مثل المجاهد في سبيل الله والله اعلم بمن يجاهد

في سبيله كمثّل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد . وقال ما معناه من نزل منزلاً يخيف فيه العدو... كتب له كأجر ساجد لا يرفع رأسه الى يوم القيامة وأجر صائم لا يفطر الى يوم القيامة وأجر قائم لا يقعد الى يوم القيامة . وقال من غزا نجات في سنته دخل الجنة ومن ضمان الله ألا يترك من خرج في سبيله بدار ضيقة ولا هوان بل يتولاه بلطفه ويرفع ضرره بما يسوق من فضله ويستجيب دعاءه برحمته . وقال ما جميع اعمال العباد عند المجاهدين في سبيل الله إلا كمثّل خطاف اخذ بمنقاره من ماء البحر وأن الله تعالى يغضب للمجاهدين كما يغضب للأنبياء والرسل ويستجيب لهم كما يستجيب للأنبياء والرسل ولا طلعت شمس ولا غربت على احد أكرم على الله من مجاهدته . وقال من سأل عني او مره ان ينظر إليّ فلينظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمم اليه ليوم المضار وغداً السباق والغاية الجنة او النار ، ... فشدوا يا احبابنا في الله حيلكم واعلموا انكم الآن في خير كثير وفضل غزير ومستقرون ما بين فضيلة الجهاد وقد تقدم لكم بيانها وفضيلة الرباط وقد ورد فيها عن النبي انه قال من رابط يوماً في سبيل الله جعل الله تعالى بينه وبين النار سبع خنادق كل خندق كسبع سموات وسبع أرضين . وقال : ثلاثة لا ترى النار أعينهم عين حرسيت في سبيل الله تعالى وعين بكيت من خشية الله تعالى وعين كفت عن محارم الله تعالى . وقال : من حرس ليلة على ساحل البحر كان افضل من عبادته في أهله ألف سنة وأن من ادركه الموت وهو في الرباط فقد فاز فوزاً عظيماً . قال عليه السلام ليعتقن اقوام يوم القيامة يتلأأ نور وجوههم يمرّون بالناس كهيئة الريح يدخلون الجنة بغير حساب فقل من هم يا رسول الله قال اولئك قوم ادركهم الموت وهم في الرباط ، ... وما دمت من اهل الكمال وتعلمون ان الحبيب الصفي عبد الرحمن النجومي هو صاحب امركم ونبيكم وبأمرورون منا باتباع اشارته وإداء طاعته فما زلت فكلوا قائمين بسمع امره ونهيه ما أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فانكم ما دمت على ذلك فرضاً عليكم ولا زلت

ببائنا مذكورين وبصالح دعواتنا مغمورين واني اوصيكم ايها الاخباب بتقوى الله في السر والنجوى والقيام بإداء طاعته في السراء والضراء وملازمة القيام بشعائر الاسلام ولا سيما التحزب والتجمع بمحل الديم وإقامة الصلوات فيه جماعة وقراءة راتب المهدي عليه السلام والحزب في الاوقات المعلومة وانكم لا شك منصورون وأعداؤكم مخذولون بمقتضى الوعد الصادق الذي لا يخلف . فشمروا في أمر دينكم وتحابوا فيما بينكم وليرحم كبيركم صغيركم ويوقر صغيركم كبيركم وكونوا على طريق السلف الصالح الذين انتم على أثرهم تاهجين ولسكتهم سالكين لتدخلوا في مدح قوله تعالى: الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، بارك الله فيكم وتولاكم وحفظكم ورعاكم وفي هذا كفاية لكم والسلام ، اه .

الفصل الخامس

في

كتب التعايشي الى خارج السودان في الدعوة الى المهدي

سنة ١٨٨٨ - ٦ م

كتبه الى اهل مصر وحكومتها :

كتابه الى اهل مصر : هذا وقد كان من هوّس التعايشي الذي أخذه عن سيده المهدي ان المهدي ستم بلاد الدنيا ويخضع لسلطوتها جميع الأمم طوعاً او كرهاً فأخذ في بث مناشيره خارج السودان للدعوة الى المهدي والحث على الجهاد محذراً الناس من الاحجام عنها . ولما كان فتح مصر من اول احلامه كما مرّ أمر انصاره في دنقلة فهاجموا حدود مصر الى خلفا كما سيجيء . وكتب منشوراً عاماً الى «احبابه في الله أهالي الريف والجهات البحرية كافة» يدعوم الى الانخراط في سلك المهدي ويحذرهم من المخالفة وهو منشور طويل جاء في ختامه :

«... واعلموا ان ما حلني على نصعكم ولا دعائي الى بسط اللعان في عظمتكم إلا مزيد الشفقة عليكم والخوف من ان لا تنجع فيكم المواعظ غروراً بالأمانى

الكاذبة وركوناً الى راحة الدنيا الفانية الذاهبة فتدور عليكم الدوائر كما دارت على من قبلكم في بلاد السودان لما أعرضوا عن قبول الحق وجنحوا الى اتباع أقوال علماء السوء الذين أضلهم الله على علم واغتروا بأكاذيب حكاهم وكثرة عدد جنودهم وعددهم العارية عن معونة الله تعالى فغتم الله على سمعهم وقلوبهم وجعل على بصرهم غشاوة وحق بهم مكرم وهلكوا وحرقت النار أجسامهم وخسروا الدارين والعباد بالله ولكم فيهم عبر وعندكم من أمرهم خبر والسعيد من اتعظ بغيره ونظر في صلاح عاقبته وكشف ضيره . وليكن في علمكم ان هذا الأمر ديني مبني على نور من رسول الله ومؤيد من عند الله يحنو ظاهرية وباطنية ولا يختلج في صدوركم انقطاع ذلك المدد الالهي بسبب انتقال المهدي عليه السلام فان للمهدي يحمده المصطفى ﷺ اسوة حسنة ولما انتقل ﷺ لم يزل المدد مع اصحابه الكرام حتى تأيد دين الله واتسعت دائرته كما لا يخفى عليكم . وانتقال المهدي عليه السلام للدار الآخرة قبل فتح مكة والقسطنطينية وغيرها من الامصار كما هو مذكور في بعض الروايات لا يقدر في انه مهدي آخر الزمان الذي بشر الأمة بظهوره سيد الاكوان على فرض صحة تلك الروايات لما ان النبي ﷺ قد أخبر في حياته بفتح بعض البلاد كاليمن والشام وغيرها وأضاف ذلك الى نفسه الشريفة كما قيل به في حديث حفر الحندق والله اعلم ثم لم يكن فتح ما ذكر على يده الشريفة بل كان على يد خلفائه الكرام بعد انتقاله ﷺ ولم تقدح ذلك في نبوته اذ لا غرو في نسبة فعل خلفائه اليه لما انهم أياديه وخاصته الوارثون لمقامه المنيف . ولا يخفى ان فعل التابع يسبب الى المتبوع وقد أخبر أنبياء الامم السابقة أمهم ببعثة نبينا ﷺ وذكروا انه يفتح الامصار ويظهر الملوك ويخرب المدائن الكبار ومعلوم انه لم يفتح في زمنه غير مكة وخيبر وكانت بقية الفتح على يد الخلفاء بعده . وعلى طريقته المثل أتى خليفته المهدي عليه السلام فجميع ما وجد مضاف اليه في الأحاديث من فتح البلاد فلا بد من حصوله على يد خلفائه واصحابه لما انهم ورثته القائمون بالأمر بعده وأما نسبة جميع ذلك اليه فمن كمال وراثته

تأريخ الشيعة

المصطفوية . وحيث فلا بد من ان يعم أمره هذا مشارق الارض ومغاريها
بمؤن الله تعالى فان الله غالب على أمره ومعلوم ان قدرته لا تقاوم وبطشه لا
يصادم . وما قد بلغتكم وأعذرت اليكم فلا عذر لكم بعد هذا الانذار
وفقكم الله وشرح صدوركم لقبوله . ثم انه لا بد من ورود الرد منكم بما
تصرون اليه ألهكم الله رشادكم وأخذ بنواصيكم الى طريق سدادكم هذا
والسلام . اه .

كتبه الى حكومة مصر : ومما دل على تناهيه في الفرور وجهله البتام
بأحوال العالم الخارجي انه أرسل الى مصر اربعة رسل بثلاثة كتب بتاريخ
جمادى الآخرة سنة ١٣٠٤ هـ سنة ١٨٨٧ م منها كتاب الى جلالة السلطان عبد
المجيد وآخر الى سمو الخديوي توفيق باشا وآخر الى جلالة الملكة فكتوريا
ملكة الانكليز وفيها يدعوهم الى اعتناق المهدية قبل ان تطأ جيوشه بلادهم
وتنتقم منهم ! . فوصل الرسل حلفا في ١٢ ابريل سنة ١٨٨٧ م فأرسلوا الى
الجناب العالي في مصر حيث قرئت الكتب وأرسل كتاب جلالة الملكة اليها
ثم أرجع الرسل من حيث أتوا يجواب شفاهي هذا نصه : « ان اولئك الملوك
الذين تجرأ سيدكم على الكتابة اليهم لأرفع جداً من ان يتنازلوا الى مجابته » .
أما الخليفة فانه تباهى بهذه الكتب وأرسل صورها الى جميع أمرائه في
الجهات للاطلاع عليها وتلاوتها على الانصار . وهذه هي صور كتبه الثلاثة
بمخروفا :

كتابه الى سمو الخديوي توفيق باشا : « وبعد فمن عبد ربه خليفة
المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى « والي مصر محمد
توفيق » وفقه الله لمرضاته وسلك به طريق نجاته آمين . سلام على من اتبع
الهدى . أما بعد فاعلم ارشدك الله تعالى الى الصواب ورزقك حسن المكاب
ان هدي الله هو الهدى ومن حاد عنه باتباع النفس والهوى فقد هوى . وخير
الهدى هدى نبينا محمد ﷺ الذي نزل به الروح الامين على قلبه من عند ربه

الا وهو دين الاسلام الذي عناه الملك العلام بقوله جل شأنه: ان الدين عند الله الاسلام . وأن الله سبحانه وتعالى لما اراد إحياء هذا الدين بعد اندراسه بين العالمين أظهر لذلك المهدي المنتظر وأيده بالنصر والظفر فاعتمد على ربه ودعا العباد الى طريق الهداية والرشاد وأجاب داعيه كل سعيد أواه وأعرض عنه من 'كتب عليه شقاوة ومنهم اتباع دولتك بالسودان ومن نحاً نحوم وسلك مسلكهم من اهل الطفيان حتى قضى الله عليهم بالهلاك على يده وجندلهم بسيفه ثلة عقب ثلة وقرية تتلو قرية بعد تكرار الانذارات وتتابع الآيات . وانك مع علمك بذلك وادعائك انك من ولات المسلمين السالكين احسن المسالك فما زلت مصراً على اعراضك عن طريق هداك ومحجماً عن اجابة داعي من دعاك الى مولاك فان كان ذلك منك ايثاراً لجانب علو الدنيا الذاهب عما قريب على الخضوع لأمر الله المفضي الى الفوز بأوفر نصيب فاعلم ان الدنيا بخذافيها ليست بشيء في جنب ما عند الله ولا تن اقل قليل منه كما ورد . وكيف يليق بمن يؤمن بالله واليوم الآخر حب العلو في الدنيا بعد العلم بقول الله تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين . وقوله تعالى : من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . وان كان ذلك استكباراً منك عن قبول الحق فان الله تعالى قد اوعد المستكبرين في الارض بغير الحق بأليم العذاب وسوء المآب . قال تعالى: ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحداً منها القيته في جهنم ولا أبالي . وقال عليه السلام: بش العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى ، بش العبد عبد تجبر واختال ونهى الكبير المتعال ، بش العبد عبد غفل وسها ونسى العقاب والبلا ، بش العبد عبد عتي وبغى ونسي المبدأ والمنتهى . وغاية الامو انه لا حجة لك مع الله تعالى ان لم تفسلخ عن الحالة التي انت فيها وتبادر الى اجابة دعوتي بالتلبية

فاني ادعوك الى القيام بتأييد دين الاسلام كما دعاك الى ذلك المهدي عليه السلام
فان كنت تريد سلامتك مع ربك فأنب اليه بالوقوف مع اوامره ونواهيه
وتسليم الأمر إليّ والتصديق بأمر المهديّة والدخول تحت طاعتها المرضية فاني
خليفة مهدي الله وصاحب العهد من بعده والقيام بأمر الله ولا فخر . وليس
قصدي من دعوتك الى هذا الأمر الذي انا بصده الا جلب النفع الدائم لك
فان ما انت عليه من ملاذ الدنيا لا يدوم لك وعمّا قريب يزول عنك ولا
يصبحك لاخوتك إلا عملك نجّاك او اهلكك فصدق نظرك وتوق ضررك ولا
تركن الى دار الفناء والذهاب بل تأهب لدار البقاء والمآب . واعلم ان ما
دعوتك اليه هو الدين الحق القديم والمنهاج الواضح المستقيم فلا تعرض عنه الى
نزّهت الباطل فان الحق جدير بالاتباع والباطل حريّ بالتلاشي والضياع ولو
كان قصدي من هذا الأمر ملك الدنيا الزائل وعزّها الفاني الذي ما تحته
طائل لكان في السودان وملحقاتها كفاية كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها .
ولكن ما القصد كما يعلم الله إلا إحياء السنة الحمديّة والطريقة النبويّة بين
أظهر عامة البرية . ولو نظرت بعين البصيرة والانصاف وتركت التعامي عن
الحق والاعتساف لأذعنت لي بذلك وسلكت باتباعي احسن المسالك وتيقنت
انك الآن بمزل عن الهداية حيث اتخذت الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اهل العناية وركنت الى مؤاخاتهم والانحراط في سلوكهم حتى كأنك تريد بهم
اطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره اعداؤه ... ومن ثم فقد
حملتنا الشفقة عليك على تحرير هذا اليك مقدماً قبل حلول جيش المهديّ بديارك
البحرية وأقطارك المصرية بدعوتك الى الله وتسليمك الامر لنا لتكون من أعز
رجال الدين القائمين بنصرة الاسلام وجهاد اعدائه الكافرين . فان كنت من
اهل الغيرة على دينك وتريد الفوز عند ربك والتخلص من أسر اعدائه
الكافرين فبادر الى اجابة الدعوة واندرج في سلك اهل الصفوة انت ومن تبعك
من المسلمين لتكون الأمة الحمديّة يداً واحدة على قطع دابر الفئة الكفريّة أو
ينبؤوا لأمر رب البرية وحينئذ نصفح عن جميع ما سبق صدوره منك

وتكون كريماً لدينا وخبيراً لنا في الله وتأمين على نفسك ومالك وكافة متعلقاتك انت ومن يكون معك من أمة محمد ﷺ . واعلم اني عبد ضعيف لا طاقة لي بقوام ادنى شيء وانما سبيلي التوكل على الله وهو وليي وكفيلي ولولا اني على نور منه على هذا الامر الذي انا بصده اقتفاء لأثر مهديه وهو المحرك لي والمؤيد والمسن والمشد لما كان في طاقتي ان اقوم بمداغة اضعف مخلوقاته ولكني عليه توكلت فكفاني بقدرته وبه اعتصمت فهداني وتولاني بنصرته ولا شك ان ناصية كل شيء بيده وان قدرته لا تقاوم وبطشه لا يصادم . فتدارك ايها الرجل نفسك ودبر حالك ولا تغتر بما يلوح على نظرك من عددك الظاهرية العارية عن معونة رب البرية فان قوة العدد وتحصن البلد لا يدفعان عنك مقدور الواحد الصمد . وليكن بعلمك يقيناً ان لا قصد لي غير سوق العباد الى طريق الهدى والرشاد فلم رحمك الله الى ذلك واسلك محجة فوزك ومناللك ولا تعرض عما دعوتك اليه ركونا الى علماء السوء الذين أسكروا حب الدنيا حتى باعوا بها دينهم فيصدوك عن طريق هداك وتخسر دنياءك وأخراك . فقد ورد عن الله تعالى في الحديث القدسي : لا تسأل عني عالماً أسكروه حب الدنيا فيصدك عن طريقي اولئك قطاع الطريق على عبادي الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الصدد. فأمعن ايها الرجل فكرك لتستبين طريق هداك قبل ان تحل رمسك فتساعدني على نجائك وسلامتك من موبقاتك فاني لأشفق عليك من نفسك التي بين جنبيك . وان أبيت بعد هذا الاحجام فقد انقطعت حجتك فصار ذنبك وذنب من تبعك مطوقاً بك في رقبتك ولا بد بمشيئة الله من وقوعك في قبضتنا أسوة من تقدمك فلما ساعدون بالنصر على كل من يبادرنا بالعبادة ولو كان في عدد معدودة وبروج شديدة وهناك ترى عاقبة امرك ولوائح خسرك . وحيثما ان الهمم نهضت الى توجيه الجيوش نحو وجهتك وعن قريب ان شاء الله تعالى تحل بديارك فلا بد من سرعة ورود الرد منك بما يحيط عليه رأيك صعبة الخواصص المعينين لك من طرفنا . فان سلمت فقد فزت وللخير ادركت وإلا فذنب جميع من

معك من المسلمين يكون عليك يوم لقاء احكم الحاكمين وفي هذا القدر كفاية لك والسلام على من اتبع الهدى ، اه .

كتابه الى جلاله الملكة فكتوريا ملكة الانكليز : « وبعد فمن العبد المعتمد بمولاه القاهر خليفة المهدي عليه السلام عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى « عزيزة قومها فكتوريا ملكة بريطانيا » سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاعلمي ان الله عز وجل هو ملك الملوك القادر المقتدر الذي ليس كمثل غيره وجميع ما في الوجود فهو في حيز قبضته لا يعجزه في الارض ولا في السماء ولو اراد ان يهلك اعداءه في اقل من خطوة بال كان جديراً بمحصول مراده ولكنه لكرمه يهل ولا يهل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين . وقد أرسل الرسل الكرام لايضاح السبل للاتمام وجعل نبينا محمداً خاتمهم رسولاً عاماً الى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً فكان ناسخ الملل وفاسخ الدول وكل من آمن به وصدق ببعثته فاز برضاء الله وأدرك من الحظ الاوفر ما تمناه ومن كفر به وأنكر بعثته باء بخزي من الله وصار الى النار وبئس القرار . ولما كان المهدي المنتظر عليه السلام هو خليفة نبينا محمد الذي أظهره الله لدعوة الناس كافة الى احياء دين الاسلام وجهاد اعدائه الكفرة اللثام : وأنا خليفة القائي أمره في ذلك فاني ادعوك الى الاسلام فإن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واتبعت المهدي عليه السلام وأذعنت لحكمي فاني سأقبلك وأبشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير وتكونين آمنة ومطمئنة ، لك ما لنا وعليك ما علينا وتتصل بيننا المحبة في الله ويغفر الله لك جميع ما فرط منك في زمن الكفر كما وعد بذلك في قوله تعالى قال للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . وان أبيت إلا الجحود اعتماداً على ما عندك من الاستعدادات والجنود فاعلمي انك في غرور كبير وبعد عن السداد والتدبير اذ ان ما نحن بصدده فهو الدين الحق الذي تكفل الله الملك القادر بنصرته وتأييده ورفع مناره وتشيده فلا طاقة لأحد بمقاومته ولا سبيل الى مغالبتة ضرورة ان قدرة الله غالبه فلا تقاوم وبئس شديداً فلا

يصادم . وإن كنتَ تظنين توهماً أن جيوش المهديّة القائمة بتأييد السنة الحمديّة مثل عساكر أحمد باشا عراقي الذين أدخلت الغش عليهم بالدنيا حتى افقتتوا بها عن دينهم وتخلّذوا عن نصرته ومكنوك من الاستحصال على البر المصري وصاروا أكلة أسرى لا يستطيعون المدافعة عن أنفسهم فهذا توهم فاسد وغرور كاسد فإف رجال المهديّة رجال الهيئون طبعهم الله على حب الموت وجعله أشهى لهم من الماء البارد للظمان فلذا صاروا أشداء على الكفار كأصحاب رسول الله الأبرار لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يثنيهم عما هم بصدد صدمة صادم يمل لا يرون لجميع ما سوى الله التأثير لصدق يقينهم برهم القدير ولا يريدون حياة الدنيا الذاهبة الساحرة وإنما يرون أن نعيمهم الدائم وعيشهم الناعم معه لهم في الدار الآخرة . بخلاف أولئك فانهم لو صدقوا مع ربهم وظنوا على حسن اسلامهم وطرحوا حب الدنيا وراء ظهورهم وحفظوا الله فيما أمرهم به لأنجدهم الله بنصره ولما توصلت عساكرك الى هزمهم والاستيلاء على بلدهم ولو نظرت بعين البصيرة والانصاف لعلمت الفرق . ثم مما يقضي عليك بتغني الغرور الفاسد منك انك بعد ان بلغك ظهور المهدي المنتظر عليه السلام وعاربة دول الاتراك له وظفروه بهم في عدة وقائع سوت لك نفسك ان منك الكفاية لحربه والاستيلاء عليه قبضت الى ارسال احد رجالك المشاهير المدعو هكس باشا ومع جيش عورم مؤلف من أجناس شتى وعدد منوعة وذلك من بادي رأيك بدون امان نظر في المواقب بلا مشورة باقي الدول في ذلك توهماً منك انك ستظفرين بالنصر على جند الله الغالب فمنذما حضر ذلك الجيش في ألوف مؤلفة وعدد معدة ما ثبت امام حزب الله إلا نصف ساعة بل قضى الله عليه بالدمار والبوار عن آخره . وكان هلاك ذلك الرجل المدبّر الشجاع يبيشه بأسباب سوء تدبيرك وكثرة غرورك ولم تغن عنه كثرة العدد ولا قوة العدد بل صار الى النار وغضب الجبار . ثم ما اعتبرت بنفسك ولا دبّرت حالك بل صرت تجهزين عساكرك من بادي رأيك جردة بعد جردة بكل فج لماربة الله ورسوله ومهديه فارة بسواكن وثارة

بدنقلة وقارة بوادي قمر حتى أمتكت بسوء صليحك من رجالك ما ينوف عن عدة ألوف . ومن ذلك هلك كثيراً من رؤساء رجالك المعروفين لديك بالشجاعة وحسن التدبير والثبات وقوة العزم كالجنرال غوردون باشا هلك بلخرطوم والجنرال استيورت هلك بأبي طليح واستيورت الثاني ومن معه من القناصل بوادي قمر وفلان وفلان وما يكثر عددهم من مشاهير رجالك كما هو بعلمك . ومع كثرة دعواك التقدم في مجالات الحروب وتفوهك بقوة البأس والشهامة فما بال عساكرك رجعت من السودان القهقري بالحنية والهزيمة قانعة منها بالكلية ولا شك ان موجب ذلك الهرب محض الخوف من سطوة حزب الله الغالب كما هو بديهي وانهم صاروا الآن الى أسوأ حال وأضيق مجال تأمّن في أودية الحيرة لا يهتدون الى المخلص سبيلا . وكل هذا من سوء تدبيرك واستبدادك برأيك عن باقي الدول ولو رفعت الثورة اليهم كما هو الواجب عليك لأرشدوك الى ما يسكن روعك في الجملة وكانوا اما ان يشيروا عليك بالكف عن مصادمة حزب الله الذي لا طاقة لك بمقاومته وتكوني مقتصرة على محافظة بلدك لا غير واما ان يمدوك بالرجال والاسلحة ويحزّبوك على حرب حزب المهدي وحينئذ لا يتوجه عليك العار وحدك عند حصول الهزيمة بل يكون ذلك بالاشتراك . والحاصل انك قد أخطأت الرأي وصرت الى نقص كبير ولا مخلص لك من ذلك إلا بالانابة الى الله المالك والدخول في ملة الاسلام واتباع المهدي عليه السلام فانك ان فعلت ذلك وسلمت الامر لنا تظفرين بمقصودك من السعادة التامة والراحة الحقيقية التي هي الفوز عند الله بدار النعيم المقيم الذي فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وان كنت لا تزالين على غرورك واستبدادك برأيك فأقدمي على حرب حزب الله بنفسك بجميع جيوشك واستعداداتك الحربية لنرى كيف عاقبة أمرك فتهلكي بحول الله وقوته او تعذري من مات أو فرّ من رجالك الذين تطفلوا على محاربة حزب الله بمقتضى غرورك ... واعلمي يقيناً اني مؤيد من عند الله وبه قوتي ونصرتي لا بنفسي فاني عبد ضعيف لا قوة لي من نفسي وانما عصيتي

بالله واعتمادي على الله وهو كفيل بنصرة من اعتمد عليه واعتم به ومن ثم فكل من بادرتا بعداوة يقتل على يدنا بعون الله وقوته ولو كان الثقلين. فأعي ذلك جيداً ولا تغتري بما يلوح على نظرك من العدد والجنود فان ناصية كل شيء بيد الله ولن يقلب الله احداً بل هو القاهر فوق عباده . وانك ان لم تسلمي لأمر الله وتدخل في ملة الاسلام واتباع المهدي عليه السلام فاحضري بنفسك وجنودك لحرب حزب الله. وان لم تحضري فاستعدي في علك فان حزب الله سيطراً دارك باذن الله في الوقت الذي يريد الله ويذيقك السوء بما صدت عن سبيل الله وفي هذا كفاية لك والسلام اه .

كتابه الى جلالة السلطان عبد الحميد : « وبعد فمن عبد ربه الملتصم به خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق » الى سلطان اسلامبول عبد الحميد ، جعله الله من خواص المبيد وشرح صدره بنور الايمان والتوحيد آمين .

« لا يخفى عليك ان الله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده المتصرف فيهم بحسب مراده وقد أراد اظهار دين الاسلام واحياء ما اندرس من سنة خير الأنام فأظهر سيدنا الامام المهدي المنتظر خليفة سيد البشر وأنجع دعوته في المباد والبلاد وخذل اهل العناد والفساد فمنه بنهي الله وأمر وبشر وأنذر وأجاب داعيه كل سعيد وأعرض كل شقي عن الرحمة طريد . وكان فيمن أعرض عن اجابة داعية الذي هو داعي الله امل دولتك ومن تبصم حرصاً على فاني الملك وزائل الجاه فضربوا صفحاً عما أصدره اليهم من الانذارات وطوروا كشحاً عن الهدى وابتدروا بالمحاربات فنصره الله عليهم ثلة بعد ثلة وأهلكهم على يده مع ما كان عليه من الضعف والقلة . ولا شك انك قد رويت من آثاره وسمعت من اخباره ما يكون عبرة لمن اعتبر وهدية لمن اهتدى ومقنعاً لمن اختبر . ومع كونك تدعي انك سلطان الاسلام القائم بتأييد سنة خير الأنام فما لك معرضاً عن اجابة داعي الله الى هذا الآن ومقرراً لرعيك على محاربة حزب الله المؤمنين مع اهل الكفر والعدوان فهل أمنت مكر الله ام

كذبت وعد الله حتى صرفت مجهودك في اعانة اهل الاصنام على هدم اركان الاسلام ما كان الظن بك ان تحيد عن طريق الصواب وترغب عن اتباع السنة والكتاب لما انك أولى الناس بالاعتناء بهذا الشأن والوقوف منه على بنية . فالمعجب كل المعجب من اعراضك عن اجابة داعي الهدى واتباعك لشهواتك الى الردى وتمكينك للأعداء من بلاد الاسلام مع علمك سعيهم في اطفاء نورا الله بأشد اهتمام . وأنت تزعم انك والي المسلمين الذاب عن حرم الدين فما عذرك غداً اذا وقعت بين يدي مولاك فسألك عما قدمته يداك . فهل جرى منك ما جرى ثقة بخلودك في الدنيا ألم تعلم ان من ذوقته الدنيا حلاوتها بركون منه اليها أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها . وان النبي ﷺ قال انما الدنيا دار بلاء ومزل عناء قد نزع منها نفوس السعداء وانتزعت بالكره من أيدي الأشقياء وأسعد الناس فيها أرغبهم عنها وأشقام بها أرغبهم فيها . هي الغاشة لمن استصحبها والمفوية لمن أطاعها والفائز من اعرض عنها والهالك من هوى فيها . طوبى لعبد اتقى فيها ربه وتناصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة ... فيحشر اما الى جنة يدوم نعمها او نار لا ينفك عذابها . ام اغتراراً بالملك الفاني ألم تعلم انه لم يصل اليك إلا بموت او عزل ممن كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك اسوة من تقدمك قال النبي ﷺ انما أنتم خلف ماضين وبقية متقدمين كانوا أكثر منكم بسطة ... فلا تكن أيتها الرجل ممن خدعته العاجلة وغرته الامينة واستهوته الخدعة . فركن الى دار قريبة الزوال وشيكة الانتقال فقد ورد عن النبي ﷺ انه قال انه لم يبق في دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كاتاخة راكب او صر حالب ... وحيث أيقنت من دنياك بالزوال وتحققت حلول الارتحال فتدارك أيتها الرجل نفسك قبل ان تحمل رمسك واعلم اني داعيك الى الله ومرشدك الى ما يحلب لك رضا فأجب الداعي تسلم وسلم الأمر لله ورسوله ومهديه والي نعم فاني خليفة مهدي الله القائم بعده بأمر الله ولا فخر وقد دعوتك الى جنة عرضها السموات والارض فأعني على جلب الخير لك بالامتثال تفز يوم العرض ولا

تسوف بالاجابة فتخطيء الاصابة بل بادر التسوية بالعزم والتفريط بالحزم
فرحم الله امرءاً نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى وجبله على
غاربه ملقى قبل ان ينفذ أجله وينقطع عمله . ولا يغرنك ان الله وسع عليك
سلطانك وكثر خدمك وأعوانك وسوى لك البلاد وملكك أمر العباد فلان
ذلك مع اقامتك على تعدي الحدود ومخالفة الرب المعبود استدراج من الله
وامهال لا امهال فيوشك ان تثببت بعد هذا عن اجابة داعي الله ان يحل بك
الندم وتزل منك القدم فتلحق بمن غرّم حلم الله عنهم وطول أملمهم فزلت
بهم الاقدام فهووا في النار فلا جعلك الله منهم وألحقك بمن رضي عنهم . وما
كان يجب منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتركن الى موادتهم
ومتابعتهم على ما يجلب لك سخط الله . ألم تسمع قول الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم
منكم فإنه منهم الآية . وقوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر
يرادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او أبناءهم الآية . وقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآية .
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء الآية . وما هذه المطاوعة لأعداء الله
ومتابعهم على اطفاء نور الله والله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون
وأنتم تتلى عليكم آيات ، الى ان قال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقائه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الآية .
فان كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر متاع الدنيا الفاني على نعم آخرته
فتذكر ذلك وانتشل نفسك من اوحالك وبادر الى نجاتك وسلامتك من
موبقاتك ونزّم رأيك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك او يفقدك حيث
امرك . ودعائك ولا تكثرت بزخرف الدنيا الباطل وملكها الزائل . وأجب
داعينا الذي هو داعي الله ورسوله ومهديه ويكون ذلك بتسليم الأمر لنا

شأن الشوكان

والقيام بواجب طاعتنا والمبادرة الى فعل احد امرين أما جهاد الكافرين وإخراجهم من بلاد الاسلام كمصر وغيرها صاغرين مع العمل بكتاب الله وسنة رسوله الامين وإبطال جميع البدع التي أحدثتها اعداء الدين وأما السعي في الاجتماع بنا لنقوم جميعاً بنصرة الدين وقطع دابر القوم الكافرين فانك ان بادرت الى اجابة الداعي فزت بالسعادة الابدية وجلبت رضاه رب البرية ، فاجمع عليك ايها الرجل فكرك ودبر امرك واغسل ما جرى منك بدموع الندم وتدارك سلامتك قبل أن تزل منك القدم . واعلم إنا قد فرغنا من فتوحات السودان منذ ازمان وسمت بنا ممتنا الى فتح الجهات البحرية والممالك المصرية فان كنت طائماً لأمر الله وتريد الفوز بقربه ورضاه فبادر الى الاجابة فيما طلبناه منك وسلم تسليمًا وتكون كريماً علينا فخيماً لدينا ونضرب عما جرى منك صفحاً وتنال منا محبة كاملة وعفواً فان هذا الأمر الذي نحن عليه ديني مبني على هدى من الله ونور من رسوله الأواه ومؤيد من عند رب البرية يجنود إلهية ولا قصد لنا غير اقامة الدين وإحياء ما اندرس من سنة سيد المرسلين ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً واعتادنا في قوامه على الله فنه نصرتنا وبه استعانتنا وعليه اعتمادنا واتكالنا . فعليك بالمبادرة الى ما دعوناك اليه لتنال رضاه الله وتحظى بالاكرام لديه . وإن اعرضت بعد هذا البيان ... فاعلم ان أمر الله غالب على أمرك وسلطانة فوق سلطانك ولا بد ان شاء الله من وقوعك في القبضة . فانظر ايها الرجل بنور بصيرتك فانما ينفعك مع الله صفاء سيرتك فاعلم ان جميع من تحت طاعتك فذنبه مطوق بك في رقبتك وها قد اندرناك الى وجهة فلاحك وفوزك ونجاحك شفقة عليك وعلى من ينسب بالطاعة اليك فساعدنا على نجاحك بحسن الامتثال واتباع رضاه الجلال واعلم أن دين الله بلا شك منصور وعدوه قطعاً مقهور فلا تغتر بكثرة عدوك وقوة حصن بلدك فان قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم فارحم نفسك واتي ربك . ومن باب اتباع الأثر النبوي والسير المهدي فقد حررنا هذا الكتاب اندازاً لك من الوقوع في سخط رب الأرباب فامعن فيه نظرك

وأفدنا بما يوافق رأيك وليس بعد هذا الانذار إلا الاعذار والسلام على من
اتبع الهدى ، اه .

عجبا لفعل الجهل والغرور في الناس !!

كتبه الى قبائل نجد والحجاز :

كتبه الى قبائل الحجاز : وكتب ايضا الى جميع قبائل الحجاز يدعوم
الى المهدي والجهاد ، ومنهم قبائل قريش وخزاعة ولحيان والحمران والمجانين
والصحاف وبشر وزبيد والحجاولة وصبيح والحوازم والطوامرة وعوف والهلبة
والصواعق وميمون والدعاجين والمزاميم والزاهرة وهذيل الشام وبنو مسعود
والمطارحة والأحامدة وغيرهم .

تسميته حذيفة بن سعد عاملا على الحجاز : وقد جعل حذيفة بن سعد
كبير الأحامدة عاملا عليهم وكتب اليه منشورا في العمالة بتاريخ ٢١ شوال
سنة ١٣٠٣ هـ ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٦ م قال فيه : « ... فلما بالنظر لما بلغنا
من جهتك من خلوص النية وصفاء الطوية وقوة العزم وثبات النفس قد حسنا
بك الظن وأملنا فيك الخير وجعلناك عاملا من طرفنا على قبائل الحجاز كافة
لتدعوم الى الله وتحرضهم على الجهاد فحقق حسن ظننا بك وقم بواجب أمرنا
هذا وابشر بنصر الله وولايته ولا تأل جهدا في جهاد الترك واخراجهم من
جبهاتك وقطع دابرهم فانهم قد غيروا دين الله وبدلوا فيه ... وقد حررنا الى
قبائل الحجاز كافة بامثال أمرك ونهيك ما دمت قائما بأمرنا هذا على اتباع
منهج الحق وما هي الاوامر المحررة اليهم واصله اليك صحة هذا الامر بمعية
رسولنا اليك الحبيب علي... فان المذكور من اهل الصدق مع الله ومن خاصة
الاصحاب الذين بذلوا ارواحهم لله وحسنت لهم التربية ، وبالنظر لذلك
ولمعرفته بالأحوال من جهة الطرفين احببنا ارساله اليك بأوامرنا لتقوم بواجب
أمرها .

تحشية : أيها الحبيب نعلمك إنا كنا قد حررنا « لعثمان تورين الدين » وإلى الحرمين من طرف الترك بالدعوة إلى الله ويجعله عاملاً على تلك الجهات على شرط مبادرته إلى القيام بأمر المهدي وذلك بناء على ما ورد منه إلى المهدي عليه السلام بالتسليم ورغبة الدخول تحت سلك المهدي وخطاتها ومن حيث كونه من طرف الترك فقير بعيد أن يركن إلى تأثير ملكه فليكن لك علم بحاله فإن عمل بمقتضى أمرنا له بالانسلاخ عن طاعة الترك فكونوا الجميع متوازين على إقامة الحق وعجلوا لنا بالإفادة وإلا فإن كان اعرض عن إجابة الداعي اغتراراً بملكه الذين لا بقاء له فالأذن معك بحصاره وشن الغارة عليه وكل من يأتيك مسلماً منيباً لأمر الله راغباً للدخول في سلك المهدي فآكرمه وأمنه ولا سيما أهل الحرمين الشريفين وبهذا لزمتم الحاشية والسلام . اهـ .

كتابه إلى قريش : وما كتبه إلى قبيلة قريش : « ... فكيف يليق بكم وأنتم بضعة سلف طاهرين وبقية اخيار بذلوا ارواحهم في نصرة الدين ان تتكاسلوا عن المبادرة لاجابة دعوة المهدي بل المناسب لحاكم حيث انكم بتلك البقاع الطاهرة والأماكن التي لا يليق بها إلا نشر احكام الاسلام واتباع سكة خير الأنام ان تبادروا لاجابة تلك الدعوة الدينية وتبذلوا ارواحكم في طاعة رب البرية ولو أدى ذلك إلى التقطع أرباً أرباً فإنه سهل في جنب رضا الله عند من رضى رباً » ... « وقد توسمنا في المكرم حذيفة بن سعد الصدوق وحسن الانقياد للمهدي والاهتمام بأمر السنة الحمدي فجعلائه عاملاً من طرفنا وأذناه في الجهاد فيلزم ان تنضموا اليه وتوازروه على إقامة الدين وتمثلوا أمره ونهيه في طاعة رب العالمين لكن عمالتنا له على شرط اتباع الكتاب والسنة والقيام بأمر المهدي فعزوه على ذلك ولا يحصل منكم تراخ بعد كتابنا هذا عن شن الغارات على اعداء الله تملأ بضعف الحال فإن أمر المهدي هذا مبناه التوكل على الله وهو تعالى قائم بنصرته وخذلان اعدائه بقدرته . وحيثما ان الوجه عليكم ولا بد من بلوغ المهدي إلى جهاتكم فقد

حبرنا لكم هذا مقدماً بالانذار فان غلتم بموجبه وتحزبت مع المكرم حذيفة ابن سعد على القيام بأمر المهدي وجاهد من خالف ذلك الى ان يجتمع بكم جيش الاسلام فقد أدبتم الواجب عليكم وإلا فقد وصلكم البلاغ وأمر الدين لا بد من قوامه بقدرة الملك الحلاق وفي هذا كفاية لكم ولتزد لنا منكم الافادة . والله المسؤول ان يوفقكم والى طريق الحق يرشدكم ، اه .

كتابه الى اهل المدينة : وما قاله لأهل المدينة بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٣٠٣ : ... فمع هذا لا يسوغ لأمثالكم حيث أكرمكم الله بيجوار خير الأنام وبدر الظلام ان تكونوا راغبين عن القيام في نصرة سلفته ركونا لهذا الحطام الذي لا يزن جناح بعوضة عند الملك العلام بل اللائق ان يكون مطمح نظركم ومنتهى أمركم الالتفات الى الخير الابدي والنعم السرمدي الذي فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... ومن باب حسن الظن بكم ومحبة الخير لكم قد حبرنا لكم هذا بالدعوة الى الله فان كانت لكم طاقة بذلك فنيبوا عليكم من تختارون واتبعوا اشارته وجاهدوا الترك بعد انذارهم حتى يهلكهم الله على أيديكم او تخرجوهم من جهاتكم صاغرين وإلا بأن حسستم بالضعف من أنفسكم ولم تقدروا على مقاومتهم فأنحازوا الى الحبيب حذيفة بن سعد وانضموا عليه وتوازروا جميعاً على جهادهم فانا قد حررنا للحبيب المذكور بالامارة على جهات الجهات الحجاز كافة نظراً لما بلغنا في حق المذكور من كمال الصدق مع الله والتسليم لأمر المهدي فكونوا معه ظاهراً وباطناً ان رأيتم الانضمام اليه . وعلى أي حالة فلا بد من اجابة داعي الله والانخراط في سلك المهدي والقيام بجهاد الطائفة الكفرية ابتغاء لاهياء سنة خير البرية واقادتنا عن ذلك هذا والوصية لكم بعد تقوى الله العمل بمقتضى كتابنا هذا فان فيه الكفاية لمن أدركته العناية والسلام ، اه .

تسميته عبد الله بن فيصل عاملاً على نجد : هذا وكان قد كتب الى جميع امراء نجد وسمى « عبد الله بن فيصل بن مسعود » عاملاً عليهم وبعث

اليه في ذلك منشوراً بتاريخ ١١ جمادي الاولى سنة ١٣٠٣ هـ ١٥ فبراير سنة ١٨٨٦ م جاء فيه : ... هذا ولعلم لديك حبيبي ان رسولك الحبيب ... قد من الله عليه بالوصول لساحة الامام المهدي عليه السلام وحظني بزيارة ضريحه وتم مقصوده بمقابلتنا وسماع مذاكرتنا وصار من الاحباب الكرام والأصحاب الفخام وقد ذكر لنا من جهتك ما يشرح الخاطر من مزيد مهمكم بإقامة الدين وجميل تصديقكم بخليفة رسول الله الامام المهدي عليه السلام وبالنظر لذلك وحسن الظن بكم فقد اخترنا ان تكون عاملاً من طرفنا على عموم جماعتك كافة أمراء نجد وعموم اهاليها على شرط دلائهم على الله وإدخالهم في سلك المهدي والتحزب بهم على جهاد اعداء الله والعمل بكتاب الله وسنة رسوله... وقد فرغنا من فتوحات السودان وتطلعت انظارنا لتجهيز السرايا لفتح جهات الامصار ونحن الآن ان شاء الله شارعون في ذلك بعون الله ومشيتته وعن قريب يبلغكم فتحها واتساع دائرة الدين فيها فليكن الاجتهاد يا حبيبي فيما أشرنا به عليك وصورة ما تحرر لأهل الامصار البحرية واصلة اليكم طي هذا مع بعض من منشورات المهدي فليكن الاطلاع على ما ذكر والعمل بمقتضى هذا وما في مناشير المهدي عليه السلام وسرعة الرد منكم بما تصيرون اليه . هذا واني اوصيك بما اوصى به رسول الله معاذ بن جبل حيث قال يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقد في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وإياك ان تسب حليماً او تكذب صادقاً او تطع آثماً او تعصى إماماً عادلاً او تفسد ارضاً . اوصيك بتقوى الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك آداب الله عبادة ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب .

كتبه الى ملك الحبشة :

هذا وكان المهدي قد كتب الى يوحنا ملك الحبشة في سنة ١٨٨٥ يدعوه الى اعتناق الاسلام والمهدية ويحذره من المخالفة فلم يجبه . فلما مات المهدي كتب التعايشي اليه والى خلفه الملك منليك الحالي عدة كتب يدعوما الى الطاعة ويتهددهما وقد جرت بينه وبينها وقائع مشهورة يأتي ذكرها في ما بعد مع بعض كتبه اليها .

كتبه الى غرب السودان الاقصى :

كتابه الى الاستاذ محمد السنوسي : وقد اهتم التعايشي كما اهتم سيده المهدي من قبله باستمالة الاستاذ محمد السنوسي اليه للاستعانة به على فتح مصر فكتب اليه يدعوه الى اعتناق المهدية ويؤاخذه على تقاعده عن نصرتها ومما قال له : ... وبعلبك ان المهدي عليه السلام عندما طوق بهذه الجمالة الالهية وأعلن بأمر المهدية اعتنى بشأنك واهتم بأمرك وكاتبك اولاً وثانياً بأسرار غيبية وإشارات نبوية للقيام بأمر الدين وإحياء أمر سيد المرسلين وما ذاك إلا لحسن ظنه بك وتوسمه الخير فيك وشفقته عليك وما زال حاله معك طيباً ورضاًؤه عليك مسبلاً وظنه بك حسناً وترقبه لقاءك في الله حاصل إلى أن انتقل إلى الرفيق الاعلى . ثم نحن كذلك لما رأينا من حال المهدي عليه السلام معك ما زلت منا على ظن حسن وما زلنا نترقب قيامك في الدين وانتدابك لجهاد الكافرين ولكن من عهد ظهور المهدي ومكاتبتك لك الى هذا الآن قد مضت عدة أعوام فضلاً عن الشهور والايام وما أتى من جهتك رسول ولا جواب ولا بلغنا عنك التفات لأمر المهدية ولا استصحاب مع انك لست بالبعيد عن جهة المهدية بعداً يتصور معه عدم بلوغ الدعوة ... ولا بد من ورود الرد منك عن هذا الجواب فانا لذلك في انتظار والمعاقل مثلك يكتفي بأقل من هذا والوصية بيننا تقوى العظم والسلام في ٢٩ شعبان سنة ١٢٣٠ هـ ١١ مايو سنة ١٨٨٨ م اه .

قد عهد بإيصال هذا الكتاب الى محمود احمد المغربي وسلمه أمراً الى أبيه
بالعالة على « أهل المغرب » فذهب تبعه باطلا .

كتبه الى سلطان ودائي : وكان على دار ودائي في زمن المهدي السلطان
محمد يوسف ابن السلطان محمد شريف ابن السلطان محمد صالح ابن السلطان صليح
العباسي فكتب اليه المهدي يدعوه الى طاعته والقيام بأمره . قيل فسأل
السلطان يوسف الاستاذ السنوسي عن السياسة التي يتخذها مع المهدي فأجابه
السنوسي « اتركه وشأنه ما تركك فاذا دخل دارك فحاربه فانك منصور
عليه بعمون الله » فعمل برأيه ولكنه أحب مجاملة المهدي ليأمن شره فكتب
اليه انه مصدق مهاديته وتبادل الهدايا وكُتِب المودة هو ومحمد خالد زقل عامله
على دارفور فبعث اليه زقل بمذفع جبلي مع طويحيته وقنابله. ولما تولى التعايشي
كتب الى السلطان يوسف مراراً يذكره عهوده ويحثه على القيام بأمر المهديّة
وهذا بعض ما قاله له في كتابه الاخير في أواخر سنة ١٣٠٥ هـ : « ... وانك
يا حبيبي على علم من أمر المهديّة وقد كنت بادرت بالتصديق والاذعان لأوامرها
السنية وورد كتابك بذلك للمهدي عليه السلام وحظي لديه بالقبول والاكرام
وتحرر لك منه بالحث على اقامة الدين واحياء الاثر النبوي يحثك بين العالمين.
وكذا مكاتبتك وكبراء قومك المحررة منكم لمحمد خالد لما كان بدارفور بعد
انتقال المهدي عليه السلام بأنكم ما زلتم على عهدكم وتصديقكم بالمهديّة وقيامكم
بأوامرها المرضية وانك سترسل نخصوصاً من طرفك لمقابلتنا وتحديد العهد لك
عن يدنا قد وصلت بطرفنا وفهمناها ولكن من وقت ما كاتبتك المهدي عليه
السلام بل من وقت وصول مكاتبتك المذكورة بطرفنا قد مضت مدة ولم
يأتنا منك رسول ولا جواب ولا سمعنا منك بقيامك في المهديّة ظاهراً عملاً بما
تحرر لك في الكتاب مع انتظارنا لذلك وترقبنا لحصول ما هنالك فلما طال
علينا المطال دعانا داعي المحبة لك والشفقة عليك الى مخاطبتك ثانياً فكاتبتك
في تاريخ ٢٣ شوال سنة ١٣٠٤ هـ بحثك على القيام بأمر المهديّة والانتداب
لاحياء السنة الحمديّة وعدم انقطاع أخبارك عنا وفتح طريق الهجرة لكل من

يرغب القدوم إلينا وقد مضت على ذلك مدة ولم يأتنا الرد منك وما علمنا السبب الذي دعا لقطع اخبارك عنا بالكلية مع قرب جهتك وموالاتها لحدود المهديّة ... وبالنظر لكونك من المظنّون لدينا بالخير لسابق تصديقك فقد حررنا لك هذا وهو ثالث مكاتباتنا لك فان كنت على حسب ظننا بك وتوسمنا الخير فيك فأول وصوله بطرفك فبادر بإجابة الداعي وقم بتأييد أمر المهديّة بجهتك واحمل من معك على العمل بالكتاب والسنة ومنشورات المهدي عليه السلام وافتح طريق الهجرة لكل من رغبها من المؤمنين واجعل اخبارك متصلة بنا في كل وقت . وكل من أباك فاراً من المهدي فلا تأوّه بجهتك ولا تقبله أياً كان وبالأخص ان كان من القور أو العرب بل اضبطه وارسله الى المكرم عثمان آدم عامل المهدي بجهات دارفور ونواحيها بالمحافظة القوية واجعل اخبارك متصلة معه في الله فانك ان فعلت ذلك فقد صرت حقاً من ضمن أعوان المهديّة وكنت منا على بال ومن خواص الاصحاب اهل الكمال وإلا فأنت الجاني على نفسك ولا بد من قدوم حزب الله لجهتك ويكون عليك إثمك وإثم من معك . من المستضعفين وهذا ما لزم اعلامك به وفيه الكفاية ولترد لنا منك عنه الافادة فانا في انتظار لذلك والوصية بيننا تقوى الله والسلام . اه .

كتبه الى حياتو بن سعيد : وكان المهدي قد أرسل الى « حياتو بن سعيد ابن محمد بلتو سلطان سو كوتو » يدعوّه الى اعتناق المهديّة فأجابه بأنّه مصدق دعواه وانه سيجمع قومه ويلحق به . فلما تولى التعايشي الخلافة كتب اليه والى جميع أهالي سو كوتو وملي يخبرهم بوفاة المهدي ويدعوم الى الهجرة اليه لنصرة الدين وجهاد أعداء الله الكافرين وبما كتبه الى حياتو بن سعيد بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٣٠٤ هـ ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٦ م : « ... وفي موسم هذا العيد الماضي وفدت إلينا عمال المهديّة المشاهير من الجهات فوفد إلينا الحبيب عثمان بن دقنه ابن ابي بكر من جهة بوغاز سواكن والحبيب محمد الخير من جهة بربر والحبيب

محمد ارباب من بوغاز القلابات بنواحي الحبشة وأخذوا معنا مدة في المذاكرات ثم وجهنا كل منهم الى جهته . وان شاء الله تعالى يبلغكم فتح الجهات المصرية بقدره رب البرية إذ الاعداء على فزع شديد وخوف أكيد من جهة انصار الله المجيد وجميع الاهالي في عموم الجهات المصرية متشوقون للاندراج في سلك المهدي . وقد حضر بطرفنا بعد انتقال المهدي أمة من الناس من الجهات النائية البعض من الهند والبعض من بخارى على مسافة خمسة أشهر من مكة المشرفة والبعض من بني تميم شرق مكة بمسافة عشرين يوماً والبعض من الحبشة والبعض من الرحمنو والبعض من تونس والبعض منهم حسنت تربيته ورجع الى انذار قومه رسولاً منا بما فيهم الحبشة قد حسن اسلامهم ورجعوا منذرين الى اهلهم ودين الله قد تأيد . فعليكم يا حبيبي بالتشهير في أمر الدين وبذل المهج في تأييده ابتغاء مرضاة رب العالمين وفيما تحرر لكم في الأجوبة التي ارسلت اليكم مع الحبيب محمد العربي كفاية فليكن العمل بموجبها بارك الله فيكم وتولاكم وركاكم ، اه .

ومما كتبه اليه في ٢٨ شعبان سنة ١٣٠٤ هـ ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧ م :
 «... كاتبتك مراراً وألحنا عليك في الهجرة لله ورسوله الى عندنا والى الآن لسنا بصارفين النظر عنك ولا بأس عليك فيما مضى من تأخيرك لأننا تحققنا انك معذور بعدة امور فمنها اولاً من مكاتباتك الواردة الى المهدي عليه السلام مراراً ومن رسولك الحبيب محمد العربي وثانياً من اجوبتك التي وردت الينا اخيراً بعد أوبة المذكور اليكم من عندنا وفيها تعرفون انه وصلكم على السلامة هو والحبيب محمد الامين احمد فالحمد لله على ذلك وكل ما في تلك الاجوبة من حسن اجراءاتك قد علمناه واستصوبناه لظننا بك انك على هدى ولا ترى إلا مصلحة الدين ولا تقصد غير وجه رب العالمين وغاية الامر اننا في انتظار وشوق اليك فان وجدت بعد وصول هذا لك سبيلاً فبادر للهجرة الينا بنفسك ... اه . وقد كتب اليه مراراً بعد هذا على غير جدوى .

كتابه الى رابع الزبير وفيه خلاصة وقائع المهديّة

الى ٢٢ اوغسطس سنة ١٨٨٦

وسمى التعايشي والمهدي من قبله اعظم السمي للحصول على رابع الزبير الذي فرّ يجهش الى الغرب الاقصى سنة ١٨٧٨ م كما تقدم فكتب اليه مراراً قصد ارجاعه الى السودان وضمه الى جيش المهديّة فلم يفلح . ولكن يظهر ان راجعاً اتخذ المهديّة شعاره وراية المهديّة راية له وما زال يتوغل في غرب السودان الاقصى حتى فتح مملكة برنو فأسس فيها ملكاً عظيماً بقي فيه الى ان تغلب الفرنسيّ عليه وقتلوه سنة ١٩٠٠ كما مر .

وهذا اول كتب التعايشي لرابع بحرفه وفيه مجمل وقائع المهديّة من اول ظهورها في أبا الى يوم تاريخ الكتاب في ٢٢ القعدة سنة ١٣٠٣ هـ ٢٢ اوغسطس سنة ١٨٨٦ :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الحبيب في الله ورسوله المكرم رابع فضل الله كان الله له متولياً وحافظاً وهادياً ووفقه لما فيه رضاه وأدخله في كنف بره وحماه آمين . أيها الحبيب انه بعد السؤال عن كامل احوالك والدعاء لك بشرح بالك فنعلمك إنا بحمد الله وعنايته على احسن حالة وأطيب سيرة جادّين في ما نحن بصده من اقامة الدين وإرشاد عباد الله الى ما يجلب لهم رضاه في كل حين . وقد كنا ونحن بالابيض سنة ١٣٠١ هـ بالنظر لكونك منا على بال ونحب لك الخير والكمال خاطبتك وأخبرناك بأن اعداء الله الترك لما ترايد طفيانهم واشتد فسادهم وعصيانهم وانتشرت ضلالتهم بين المسلمين وعطلوا احكام سنة سيد المرسلين خيب الله سعيهم ونقص عيشهم بظهور المهدي المنتظر الذي بشر به سيد البشر . وانه عليه السلام ظهر بجزيرة يقال لها أبا من جزائر البحر الابيض ودعا الناس الى الله وخاطب الترك بأمر المهديّة ودعاهم الى رب البرية فأجاب من أسعده الله من المؤمنين وأعرض الترك ومن تبعهم عن داعي الله لشقاوتهم

نَبَاحُ الشُّكْرَانِ

وضلالهم المبين فجيشوا جيشهم وحاربوه بالجهة المذكورة فقتلهم الله شر قتلة في اسرع مدة ومع قلة عدده إذ ذاك وضعف امره وكثرة عددهم واستعداداتهم هلكوا على يده ولم ينج منهم إلا النادر الذي فر هارباً ببوابيرهم . وأنه عليه السلام بعد قتله أيام جاءهم الاذن في الهجرة الى جهة قدير وماسة فجيشوا كذلك جيشاً من جهة كردوفان تحت رئاسة مديرها محمد سعيد لمحاربته ومنعه عن التوجه الى الجهة التي قصدوها على زعمهم الفاسد فالقى الله الرعب في قلوبهم لما استطاعوا الوصول اليه من شدة الفزع مع قربهم منه في بعض الحالات بمراى العين وهو عليه السلام في غايبة الأناة والثبات وعدم الاكتراث لهم ثقة بالله واعتصاماً بحبله المتين . وكلما نزل عليه السلام في محطة وتأنى بها انتظاراً لهم يرجعون القهقري عن القدوم فرقاً من صدمته الالهية وهكذا الى ان خرج من جهات مملكتهم فرجعوا فاكسين على أعقابهم . وهو عليه السلام جاد فيها هو بصدده فمرض له اهل الجراة فدعاهم الى الله فلم يقبلوا فناجزهم الحرب فكانوا تحت القبضة وأذعنوا لحكمه وانقادوا لطاعته فأخذ فيها هو فيه حتى حل" بيحة قدير . فحضر اليه راشد مدير فاشودة بمساكره فأهلكهم الله على يده وشتت شملهم وآل اليه بما كان لهم من الاسلحة والجبائين وغير ذلك . ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى حصر اليه يوسف الشلالي في جردة عظيمة مؤلفة من جهادية وبازنقر وبجارة وأولاد عرب وعساكر تركية وغير ذلك من الأجناد والاتباع في عدد واعدد فحين قاربوا أنذرهم وحذرهم فلم يسمعوأ غروراً بما معهم من العدد والعدد فقام فيهم بأمر الله فناجزهم الحرب فقطع دابرهم في أسير مدة واغتتم جميع ما أتوا به من الاسلحة والجبائين وغير ذلك . ثم بعد ان نشر معالم الدين في تلك الجهات جاءه الاذن في التوجه الى جهة الابيض لانتقاز من فيها من الظلمات الى النور فخرج في كتائب أنصاره وسار في حفظ الله وأمانه الى ان حل" بالقرب من بـدر الابيض فدعا من فيه الى الله فمنهم من أجاب الداعي ونجا بنفسه ودينه ومنهم من أبى وبقي في الخندق كالأتراك وأتباعهم فحاصروهم حصاراً شديداً واشتدت وطأته د عم عليهم . فلما ضاق بهم

الحال استنجدوا اهل مملكتهم فحضر لنجدتهم عدو الله المدعو ابا كوكه ومعه جردة من العساكر التركية من جهادية وخران وغيرهم فقابلها حزب الله قبل وصولها وقطع دابرها ولم يصل اليهم منها احد وجميع ما كان معها من الاسلحة وغيرها صار تقوية للدين . فلما انقطع رجاؤهم وضعفت قواهم وأشرفوا على الهلاك وصاروا في حيز الهلاك والشتات وعابثوا من صولة حزب الله ما أذهل عقولهم وأرعد فرائصهم انقادوا لحكم الله صاغرين وجميع ما حوته تلك المذبذبة من الجباخين والاسلحة وغير ذلك آل الى المهدي « عم » وأصحابه في الحين . وانه بعد ان تكامل فتوح جهات كردوفان كافة جيشوا لهم جردة كثيرة العدد متنوعة العدد مؤلفة من نصاري وجهادية وأرانطة وأولاد عرب وأولاد بلد واتباع وقائد جردتهم هذه عدو الله هكس ومعه الحكمدار . ومن حين وصولهم في جهات الدويم وشروعهم في القيام تعين حزب الله لمقابلتهم ومناوشتهم وحصرهم عن الرجوع القهقري فأحاطهم حزب الله بالأماكن الى ان أوصلهم بحمة شيكان بنواحي البركة فقابلهم المهدي « عم » بباقي أنصاره هتالك وقطع دابرهم في أقل من ساعة فلكية ولم ينج منهم احداً ما عدا نفرأ قليلا أخذوا أسرى وجميع ما أتوا به من الاسلحة والجباخين صار تقوية للدين الله . وانهم في جميع وقائعهم المذكورة تحرق النار أجسامهم عياناً اول خروج الأرواح من ابدانهم ومبداها من محل طعنة الكيس وذلك اظهاراً لحقيقتهم وتمجيلاً لعقوبتهم الى آخر ما سطرناه لك آنفاً قبل هذا مستوفياً من الاحوال والأخبار والدعاء الى الله العزيز الغفار وما ندرى هل وصلك ام لا .

« وما نحن على حسب ارادتنا الخبر لك واعتنائنا بشأنك نفصل لك ما جرى بعد ذلك من الاحوال وما حصل للدين من الاتساع والتأييد من ذي الجلال ليكون مدركاً لديك ومحسباً لك او عليك فنقول لك ايها الحبيب انه بعد ان نصر الله دينه في مواطن كثيرة وعز جنده وقوى شوكة اهل الاسلام وقل شوكة أعدائه اللثام وجاء عباد الله من جهات شتى وفوداً وفوداً داخلين في دين الله افواجاً افواجاً مشاةً وركباناً جماعةً ووحداناً وهم لا

شأن السوكنان

يحصون في كل حالاتهم كثرة طفق « عم » يجهز السرايا للجهات النائية فجهز
سرية لجهات دارفور وفتح مدائنها وسرية لجهات الجزيرة وحصار مدينة
الخرطوم وسرية لجهات بربر وفتح مدينتها وهكذا نشر سراياه في الجهات
البعيدة لدعوة العباد الى طريق الرشاد . ولما أزمع عم على الهجرة الى جهات
البحر لقطع دابر من بغى بها من أعداء الله الترك وجّه جملة سرايا لدعاية
أهالي جبل الدائر وانضمامهم الى حزب الله والقيام بأمر الدين فلووا رؤوسهم
اجابة داعي الله واغثروا بحصانة جبلهم وشدة حمايته ووعورة طرقه وغفلوا
عن قدرة التي لا تقاوم وبطشه الذي لا يصادم فعند ذلك تاجزهم حزب الله
الحرب وشنوا عليهم غارات بأسهم وعلت راياتهم على رأس جبلهم فالانوا
شديدهم وقتلوا صناديدهم وأنخنوهم ضرباً وطعناً واستأصلوهم قتلاً وأسرأ
وصيروهم عبرة لمن اعتبر ومقنعاً لمن اختبر وأزلوهم من صياصيم صاغرين
وأقامت الجيوش يجبلهم أشهراً حتى اجلوهم عن دورهم وصيروا أماكنهم
بلاقع . وهكذا الى ان حضر الاذن بهجرة المهدي « عم » الى نواحي البحر
فخرج من الابيض ونزل بالرهد حيث اجتمعت عليه الجيوش وهم في كثرة لا
يحصى عددهم إلا الله ووردت الأخبار من بعض الجهات بفتح كثير من المدائن
كبربر وغيرها . ثم زحف المهدي « عم » من الرهد الى جهة البحر يجيوش لا
قبل بها للعدى ولا يدرك عددها إلا رب السماء وتراكت حتى ضاق عنها الفضاء
وأريت على عدد الحصى بل كانت جيوش متواصلة وأنصار متزاحة يتلو بعضها
بعضاً وقد أعدوا من اليقين بالله والاستغراق في حب الموت في سبيله ما لا
يكاد يوصف . ومعهم فوق ذلك آلات حربية من خيول ولبؤس ودروع
وأسلحة نارية وغيرها ما لا يحصى وهم جادئون مع مهدي الله « عم » من
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله الى ان نزلوا بالقرب من مدينة
الخرطوم ووجدوا من كان قبلهم من الانصار وأهالي البلد عاقدين عليها الحصار
فترتبت الجيوش لحصار تلك المدينة من جوانبها الثلاثة أي الجانب الغربي
والشرقي وجانب الهوي وشنوا الفسارة عليها من كل الجهات بالضرب وشدة

الحصار . ومن ذلك فالأنصار الذين بالجبهة الغربية شدوا الوطأة على أعداء الله فحالوا بينهم وبين عساكرهم المقيمين بخندق ام درمان بالغرب وعملوا المرسد والطواوي اللازمة ما بين الجبهتين لضربها ككتيبتها والبوابير المحاربة بالبحر وانقطعت المواصلات بين القفرتين وجرت في أثناء ذلك محاربات شديدة حتى انكسرت شوكة الأعداء وداخلهم الرعب الشديد وضاعت عليهم السبل وتقطعت بهم الأسباب فعند ذلك خرج عساكر ققرة ام درمان مسلمين منقادين لأمر الله . ثم التفت جنود الله الى المدينة الكبيرة وهم في أثناء حصارها اذ ورد الخبر بحضور أعداء الله الانكليز زاعمين انهم يلحقون الخرطوم قبل فتحها لينجسوها السرية الكافية لمقابلتهم على الطريق والحزم الامر على اقتحام خندق الخرطوم فافتحمه حزب الله من جهة الهوي وقطعوا دابر من فيه في اقل من ساعة وفي الحال قطع رأس عدو الله الفوردون وحل الى المهدي « عم » ضحوة يوم الفتح . وكذلك الأنصار الذين بالجبهة الشرقية اقتحموا الخندق المحفور بالجبهة المذكورة وقتلوا من فيه من أعداء الله وفاز الدين بالنصرة وجنده بالظفر . وداخل اعداء الله الانكليز الرعب الشديد والخوف الذي ما عليه من مزيد فحفروا لهم ثلاث ققرات بالقرب من حلة التمة موالية البحر . ودخل بعضهم في وابرين وأتوا ليختبروا أمر الخرطوم في ثالث يوم الفتح فوجدوا أنصار الدين قد تبوأوها داراً وابتدروهم بالقاء الجلل والسواربخ عليهم من كل جهات الخرطوم والمقرن وام درمان وتوفي فجدوا السير هارين نحو جماعتهم . فبعد ذلك تعينت اليهم الجيوش الكافية لقطع دابرهم فعندما سمعوا بقدمها خرجوا من ققراتهم ليلاً وفروا هارين جادين السير نحو جهة دنقلة بطريقهم التي أتوا بها بعد ان طرخوا كثيراً من مثقلاتهم بالبحر فافتقى الأنصار أثرهم الى محل يقال له ابو طليح على مسافة يوم في الحلاء من جهة التمة فلم يدركوهم لتمكن الرعب من قلوبهم وسرعتهم في السير . فعندما وصلوا يجهات دنقلة خائبين تنازلوا عن حرب السودان وجدوا في السير الى بلادهم فرعاً من كفاح أنصار الله . ثم تعينت الجيوش الكافية لفتح جهات سنار . وفي أثناء حصارها وقبل

تَبَاحُ الشُّوْكَانِ

فتحها انتقل المهدي عم الى الرفيق الأعلى حسبما هو مبين في الكتاب الواصل اليك طي هذا . وما زال أنصار الله بعد انتقاله « عم » جادين في ما هم بصدده من أمر دينهم حتى فتح الله على يدهم مدينة سنار المذكورة ومدينة كسلا والجيرة ، وبعضاً من مدائن الجهات الشرقية . وبحمد الله وعونه قد اتسعت دائرة الدين وكثرت أجناده وأنصاره وجميع جهات السودان الآن صارت تحت طاعة المهدي مباشرة اقامة السنة المحمدية في طمأنينة وأمان وخيرات حسان .

« وقد تواتر وفود عباد الله علينا من الجهات القاصية والأماكن النائية مهاجرين رغبة في دين رب العالمين ومحبة في بذل الروح لله ابتغاء مرضاته في كل حين . فمن ذلك انه قبل انتقال المهدي « عم » وبعمده حضر الينا جماعة من المهاجرين البعض من مكة المشرفة . والبعض من المدينة المنورة . والبعض من الهند . والبعض من بخاري على مسافة ستة أشهر من مكة المشرفة . والبعض من نجد على مسافة عشرين يوماً منها ايضاً . والبعض من تونس . والبعض من استنبول . والبعض من الرحنو والجبرتة والبعض من المكادة بما فيهم أسرى وكلهم قد أخذوا البيعة عنا واندرجوا في سلك الاصحاب وصاروا من أنصار الدين . والبعض منهم قد كملت تربيته وتطور قلبه وحررنا المكاتبات الكافية اليه والى أهالي جهته لدعوتهم الى الله ووجهناه اليهم رسولا من طرفنا وبأقبيهم معنا على أحسن حالة مرضية من الجهة الدينية .

« وبوغازات السودان كافة مشحونة بالأنصار فبوغاز دنقلة فيه الحبيب عبد الرحمن النجومى ومعه من الجيوش أهل الهمة والعزم ما فيه الكفاية لقطع دابر أعداء الله وأولهم الآن بنواحي وادي حلفا والأعداء في غاية الفرع والجزع من جهتهم ومقتصرون على حفظ جهاتهم البحرية وفي كل يوم يتصورون هجوم الأنصار عليهم ولا بد من حصول ذلك عن قريب بمشيئة الله . وبوغاز ابي حمد فيه الحبيب محمد الخير يجميع جيوش أهالي بربر والجعليين والرباطاب وغيرهم من القبائل التي يكثر عددها والأعداء ايضاً في غاية الفرع من جهتهم

تأريخ السوكن

والمحافظة على أنفسهم . وبوغاز سواكن فيه الحبيب عثمان دقنة ابن ابو بكر
يجمع جيوشه والأعداء كذلك في غاية الجزع من جهته وكثيراً ما ألقى
جموعهم في وقائع كثيرة يطول شرحها . وبوغاز المكادة فيه الحبيب يونس
الدكيم يحيوش لا قبل للعدى بها والأعداء ايضاً في غاية الفزع من جهتهم
وكثيراً ما يطلبون الصلح خوفاً من سطوة الانصار اذ قد حصلت لهم معهم
مناوشات كثيرة ووقائع خطيرة هلك منهم فيها جم غفير وهدم الأنصار لهم
كنائس قديمة وكسروا ما فيها من الصلبان . وبالجملة فجميع جهات السودان
من بوغازات وجبال وغيرها مشحونة بالانصار . وعلى ذلك فنحن جادون
في تجهيز السرايا وتسفيرها لفتح جهات الامصار وعن قريب يصير فتحها
بعمون الله القهار . والأخبار الواردة اليها من جهتهم تفيد ان جميع الأهالي
راغبون في الاندراج بسلك المهدي اول حلول جيشها بتلك الجهة والأعداء
كافة تركا وغيرهم على وجل شديد من جهة الانصار وخصوصاً الانكليز فقد
تنازلوا عن مصر وتركوا حمايتها للترك وقد داخل الترك من جهة المهدي
رعب شديد وفزع أكيد، وقد اطلعنا على وقائع المطبوعة فعرفنا منها حالهم
وخشيتهم من جهة حزب المهدي . ولما بلغنا من أحوال أهل الجهات البحرية
وحال أهالي الجهات الحجازية فقد حررنا لكل من أهالي الجهتين الانذارات
الكافية والتبشيرات الوافية بالدعوة إلى الله والانخراط في سلك طاعة مهدي
الله والقيام بجهاد أعداء الله وبعثنا اليهم المحررات وما هي صورها واصلة اليكم
طبي هذا للاطلاع عليها والاسترشاد بما فيها .

و قد اجتمع للدين من القوة والعدد ما يكثر عدده فمندنا الآن من صنف
المدافع ما يليف على مائة مدفع فضلاً عن كثير من الاسلحة المتنوعة من صنف
الرامنتون وغيره والجبائين والبوابير وعددها ثمانية فضلاً عن الكبكات
والمراكب المعدة لأهبة الأنصار . ومع هذا كله فاعتمادنا في نصرة الدين على
الله لا على هذه العدد وان كانت مطلوبة بحسب امثال قوله تعالى « وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية » .

و ما نحن ايها الحبيب اعتناء بك قد بسطنا لك الاخبار على سبيل
الاجمال والاختصار ولو أردنا ان نستقصي لك كل ما جرى لضاع عنه النطاق
وا تسعد الاوراق. وحاصل الامر ان عناية الله بأنصار دينه وأصحاب مهديه
صيرتكم في غاية لا تدرك ونهاية لا تستدرك ولا غرو فإله غالب على أمره
ومتم نوره بتأييد حزيه . فافهم ذلك أيها الحبيب بقلبك السليم وبأدر الى ما
فيه نجاتك وفوزك بالثواب العظيم واعلم انك منا على بال كبير ونحب لك ما
نحب لنفسنا من الخير الفزير وما دعانا الى بسط الاحوال اليك إلا مزيد
شفقتنا عليك ورغبتنا في ان تفوز بنصرة الدين كما فاز أصحابك وأقرانك من
السابقين فصاروا الآن في حالة يغبطون عليها وحازوا رضاء الله بأعراضهم عن
الدنيا وما لديها ولا شك انك ان بادرت الينا بعد ذلك يكون لك ما لهم
وتنال من الخير ما لا يكون في حسابك وفي هذا القدر كفاية لأمثالك
والله المسؤول ان يوفقك للالتفات الى ما فيه الخير والمبادرة الى المعجزة
الينا انه جواد كريم .

تحشية : و ايها الحبيب ان الاسلحة النارية التي استحوذت عليها المهدي
كثيرة جداً ولا يمكن حصرها الآن بالدقة ومن باب الجزر والتقريب فصنف
البنادق ما بين رامتون وأبي روحين وأبي لفته وخشخان يزيد عن مائة الف
بكثير وغالب ذلك رامتون . وصنف المدافع ما بين الكروب والجبلي
والمترىوز واوردي وبلبل وكبس ينيف على مائة مدفع كما اشرنا . وصنف
الصواريخ كذلك كثير . وهذه الاصناف منها ما هو بمدينة المهدي عليه السلام
تحت الطلب ومنها ما هو بأيدي الانصار في السرايا وجميع البوغازات مشحونة
منها بما فيه الكفاية . وأما البوابير الموجودة فهي وابورات بوردين والصفافية
والاسماعيلية والفاسر ومحمد علي والمسلمية والتوفيقية وهذه تحت خدمة الدين
وقد اضحناها لكم بأسمائها القديمة المعروفة عند اعداء الله الترك . ووابور
الطاهرة وهذه أسمائها المهدي عليه السلام لأن الاعداء صنعوها ايام الحصار
وعند تمامها وقبل دخول عدو الله الفردون بها حصل الفتح ودخل فيها

المهدي عليه السلام ولم يسبق دخول احد من اعداء الله بها فلذا سماها الطاهرة وهي وابور عظيم جداً وكان عدو الله الفردون قصد الهروب فيها بطريق البعير وسماها الزبير ولم يمكنه الله من ذلك وأهلكه لسابق شقاوته . وبقية البوابير قد تكسرت في محاربة الانصار فمنها وابور تل حوين كسرها الانصار يجهة ود رملي . ووابور المنصورة كسروها يجهات شندي . ووابور عباس كسروها يجهات وادي قر حين هرب فيها عدو الله استورت وكيل الفردون بالبوستة وقتلوه هو ومن معه هناك . ووابور الحسينية غرقها الانصار قبالة ام درمان في اثناء الحصار . وأما وابور شين فهي الآن بالخرطوم تحت التصليح . والانصار جماعة الحبيب محمد الخير الذين اخبرناكم في أصل هذا الجواب بأنهم في بوغاز ابي حمد فطائفة منهم يجهات المرات قريبة من كورسكو وكذلك بعض من امراء المهدي يجهات عربان الريف شارعون في جمع الجيوش هنالك . وجماعة الحبيب عثمان دقنه الذين ببوغاز سواكن منتشرون بنواحي عتباي الى الملاحه من الجهة المذكورة . وبحمد الله فالدين كل يوم يزيد اتساعاً ويعلم مناره ارتفاعاً والأعداء في وجل شديد وخوف ما عليه من مزيد ولمزيد افهامكم بالأحوال لزم الالحاق في تاريخه والسلام ، اه .

وكتب اليه مع هذا ايضاً كتاباً آخر ذكر فيه بعثة صديقه حمدان ابي عنجة الى جبال النوبة وما أوتيه من الظفر هناك مما سنأتي عليه في ما بعد وذكر له اسماء سائر اصحابه وأقرانه الذين نصروا المهدي قال :

« ... والذين مع الحبيب حمدان المذكور من الاخوان احبابكم وأهل معرفتكم فهم الحبيب النور عنقرة والحبيب السيد جمعة مدير الفاشر سابقاً والحبيب الزاكي ولد طنبل والحبيب بلبل تاقور والحبيب ولد فرح والحبيب ابو بكر ولد الحاج والحبيب عبد الرسول عمر والحبيب ابتر ولد محمود والحبيب ام بدي ولد حمدون والحبيب عبد الرحيم ولد ابي دقل والحبيب ابراهيم المليح والحبيب عبد الحميد الشايفي والحبيب البشير الياس ام بربر والحبيب عمر الياس وهم الذين حضروا لنا من معارفك معه وغيرهم من

الجيوش والأمراء ومن لم تعرفهم كثيرون جداً لا يستقصي عددهم في هذا الخطاب. وأما الذين معنا منهم بمدينة المهدي عليه السلام لمساعدتنا في خدمة الدين فهم الحبيب حمدان ولد حمد والحبيب السعيد صغير ولد احمد وهذا من المأزمية ابناء البيت والحبيب موسى ولد ثاني الله والحبيب الحسن اخوه والحبيب عبد المولى صايون والحبيب عبد القادر سلاطين مدير عموم دارفور سابقاً والحبيب عبد الله لبتن المسلماني مدير بحر الغزال سابقاً وهذا معين بالترسانة لإصلاح البوابير نظراً لما له من الدراية التامة بذلك والحبيب صالح الملك الشايقي والحبيب محمد حامد جفون والحبيب الياس ام بربر وغير ذلك من الاحباب الذين لهم الدراية بمعرفتك . ومع ذلك فبيان الحال الواقع على ما هو عليه من كمال التأييدات الالهية والوقائع المهدية لا يمكن ان تسعه هذه الاوراق وعند حضورك ستري مما هو فوق ذلك ما يسر خاطرك ويقر عينك وتطلع من ذلك على ما لا يكون في حسابك هذا ما لزم وبعده السلام اه . وأرسل له مع هذين الكتابين عدة منشورات وروايت .

الفصل السادس

في

وقائع السودان الغربي

سنة ٥ : ١٨٩١ م

حمدان ابو عنجة وجبال النوبة سنة ٥ : ١٨٨٧ م :

غزو جبال تقلي : تقدم ان المهدي وجه ابا عنجة في أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ يبيش كنيف لفزو جبال النوبة فأتى اولاً جبل الدوري من جبال تقلي ودعا اهله الى الطاعة ولما لم يجيبوه أشعل فيهم ناره و فرقهم في بطون الاودية والكهوف وغنم ماشيتهم وغلاهم . ثم تقدم الى جبل كراية كرسي مملكة تقلي أيام الملك آدم ود دباله المار ذكره وكان فيه البعض من ذرية الملك المذكور فأروا ضعفهم بجانب قوته فسلموا له فضهم الى جيشه . وقصد جبل تكم وهو جبل شاق صعب المرتقى فوجد اهله مستعدين لمحاربتهم فحاربهم اياماً حتى ظفروهم وأسر ملكهم . فمات في الاسر . وتوجه منهم الى جبل الكجاجة وهو جبل مرتفع حصين وأهله سبع طوائف على كل طائفة ملك فاتفقوا كلهم على قتاله فحمل عليهم وقهرهم واتخذ جبلهم دياراً له . ثم دخل

تاج الشوك

بلاد الكواليب فتجمعوا له في جبل دري فحاصروهم اياماً حتى دانوا له فاستولى
« على جميع ما ملكته أيديهم من غلال ومواشٍ مع ٣٠٠ رأس رقيق و ١٢٠
بندقية » وعاد الى ديمه في جبل الكجاكجة وقد قتل من جيشه ٢٥ رجلاً
فيهم عمر بن الملك آدم .

غزو الحوازمة : ثم تفرغ الى عرب الحوازمة المنتشرين في اودية تلك
الجبال وسهولها وكانوا هم الذين أغروا اهل الجبال بالتحزب عليه فدعاهم الى
الهجرة الى ام درمان فأخذوا يحاولونه ويخادعونهم فتلطف لهم حتى ظفر
برؤوسهم فجردهم من ما لهم فكان ما غنمه منهم « ٢٧٠٠ بقرة و ٥١ حصاناً
و ٢٠٠ رأس رقيق » .

غزو جبل قدير : هذا وكان قد بعث بجماعة من أصحابه الى جهات جبل
قدير لجمع الغنائم فقام اهلها بقيادة الملك بوش وقتلهم عن آخرهم فخرج
عليهم بنفسه وقاتلهم اياماً فنكل بهم واكتسح بلادهم وعاد الى الكجاكجة .
فوجد ان اولاد ملوك تقلي قد نقضوا العهد وجمعوا جموعهم في جبل شندورة
وصاروا يشنون الفارة على ديم الكجاكجة فانتقل بالديم الى جبل كراية
وسط بلادهم وجرد عليهم السرايا وما زال يتتبهم في المعقل والجبال حتي
ظفر بهم وقتل منهم نحو ١٠٠ رجل بالسيف فدانت له جميع البلاد من سهل
وجبال عرب ومجوس وكانوا قد غنموا كثيراً من الاسلحة النارية من واقعة
شيكافاتوه بها من انفسهم . وقدموا له ما عليهم من الزكاة والفقرة وهم
صاغرون .

كردوفان والامير محمود

سنة ١٨٨٧ م :

حادثة جهادية الابيض : تقدم ان المهدي قبل خروجه من الابيض لغزو
الخرطوم استعمل عليها ابن عمه محمود عبد القادر فبقي فيها نافذ الامر والنهي

تَبَاجِ الشُّوْكَانِ

حتى مات المهدي واستدعاه التمايشي الى ام درمان لتجديد البيعة عليه فلبى الدعوة وحضر الى ام درمان في اوغسطس سنة ١٨٨٥ . وكان جيشه في الابيض مؤلفاً من نحو ٣٠٠٠ من العرب و ٣٠٠ من السود وأكثر هؤلاء أسرى من رجال الجيش المصري فكان محمود يرفق بهم نظراً لما يعمده فيهم من حب الحرية وعدم تحمل الضيم فلما غاب أساء العرب اليهم ولم يحسنوا سياستهم فشقوا العصا واجتمع عليهم اخوانهم السود فبلغوا نحو الف رجل فحملوا على العرب وقتلوا منهم جماعة ونهبوا بعض المنازل وساقوا نساءهم وأولادهم وخرجوا من البلد علانية وما زالوا سائرين حتى أتوا جبل النام من جبال النوبة فجعلوا احدم علي يوسف رئيساً عليهم ورفعوا الراية الحديدية وصاروا يحلفون برأس « افندينا » ومن حلف باسم المهدي سهواً جلدوه ٨٠ سوطاً. وبالغوا في التحفظ على الذخيرة حتى جعلوا قصاص المقرط بها القتل.

عزل محمود وتولية عثمان آدم مكانه ولما بلغ الخبر ام درمان طلب محمود الى الخليفة ان يأذن له في الرجوع الى الابيض لمطاردتهم . وكان الخليفة يهتم كثيراً لعرب السودان لأنها بلاده وحامية ظهره وقد ودّ اخراج الاشراف منها على الخصوص وجعلها بيد اهله الاخضاء فسمى عثمان آدم الملقب بجانو من أعزّ اهله عاملاً على الابيض وقال لمحمود « ان مصلحة الدين تقضي بتركك الابيض والحق بعبد الرحمن النجومي في دنقلة » . وكان محمود رجلاً نحيفاً اصفر اللون خفيف الشاربين واللحية وكان قبل المهدي تاجراً قيل فلما ظهر المهدي ذهب اليه والمصحف في يده وقال له اني رجل أمي لا أعرف القراءة ولا الكتابة فاحلف لي على هذا المصحف ان دعواك هذه على حق فحلف له فقام بنصرته وهو يثق انه ينصر الله ورسوله ومهديه وكان عادلاً في أحكامه صادقاً في أقواله وأفعاله متقشفاً في مأكله وملبسه . فلما جاء ام درمان رأى اموراً كثيرة مغايرة لمبدأ المهدي فناصر الخليفة بها فلم يسمح له ثم عزله عن منصبه كما مرّ فساء جداً انقلاب الحال وانخفاض سلطة الاشراف الى هذا الحد فقال لأصحابه « الموت يعد هذا خير من الحياة » .

قتل محمود في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ : ثم استأذن الخليفة في العودة الى الابيض لجلب عائلته فأذن له فأتى الابيض ولم يدخلها بل نزل تحت شجرة ظلية في ظاهرها وبعث الى الانصار فيها يقول من أحب الموت في سبيل الله فليتبني قبعة نحو الف رجل فصار بهم حتى أتى جبل النافدعى الجهادية الى الطاعة ولمسالم يحبوه حمل الراية بنفسه واقتحم رصاصهم غير مبالٍ بالموت فقتلوه وقتلوا جماعة من أنصاره وهزموا الباقين الى الابيض وكان ذلك في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ م .. ووصل عثمان آدم الابيض بعد ذلك بقليل وسعود اليه . ويذكر اهل السودان انه لم يمس اليوم الذي قتل فيه محمود حتى بدأت النجوم تتساقط في الجو تساقطاً عجيباً ودامت كذلك الى آخر الليل .

هذا وكان الخليفة حالماً علم بمجاذبة الجهادية بعث الى ابي عنجة بأمره بمراقبتهم حتى كلما ظفر بواحد منهم وضع الشعبة في رقبتة وأرسله مخفوراً الى ام درمان . فلما بلغه خبر محمود كتب اليه بمطاردتهم وتلافي أمرهم قبل اتساع الخرق . ثم لم يكن إلا القليل حتى عرضت له فرصة على زقل عامل دارفور وهو من أكبر زعماء الأشراف فكتب الى ابي عنجة بترك أمر الجهادية وموافاة زقل الى كردوفان في الحال واليك البيان :

دارفور ومحمد خالد زقل سنة ٤ : ١٨٨٦ :

تقدم ان زقل استولى على دارفور كلها سنة ١٨٨٤ فعاش فيها ملكاً عظيماً الى ان توفي المهدي فعزم التعايشي على عزله عملاً بقاعدته الاساسية المار ذكرها فاستدعاه الى ام درمان يجيشه وأشار الى رفيقيه الخليفين فكتبوا اليه بذلك ايضاً . بل أمر النجومى وأمرأه فكتبوا اليه قبل سفرهم لفتح سنار يقولون: ... فاذا وصلكم هذا الكتاب فاجموا رجالكم مشاةً وركباناً واسرعوا بالحضور كما أمر خليفة المهدي لتبايموه وتسمعوا مذاكرته وتزوروا ضريح سيد الجميع . ولما أبطل كتب اليه الحضور عيد الاضحى في ام درمان . ثم لما مضى العيد ولم يحضر عاد فكرر الطلب فأدرك زقل ان التعايشي انما يريد تكيسه

تأريخ السودان

واحتال جداً على البقاء ولكنه لم يرَ بدأ من اجابة الداعي فتترك الامير يوسف ابن السلطان ابراهيم اميراً على الفاشر وخرج بجيشه منها في ٧ يناير سنة ١٨٨٦ فوصل بارة في أوائل ابريل من السنة المذكورة ومعه من الأمراء عمر الياس الجعلي وعمر محمد خير ترحو الشايقي ومحمد ولد فرح الدنقلاوي الفونجي و ابراهيم المليح الحمري وحسن ام كدوك البرتاوي وحسب الله الماهري وأبو جوده فات البرتاوي وآدم عامر السوداني البكباني رئيس جهادية كبكية ومحمد سليمان رئيس سائر الجهادية وغيرهم . ومعه من الانصار نحو ١٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ راجل و ٣٠٠٠ من الجهادية السود وكان التعايشي انما يريد تجريده من الاسلحة النارية والخيول قبل وصوله الى ام درمان خوفاً من اتحاده مع الاشراف عليه بعد وصوله . فلما سمع بخروجه من الفاشر كتب الى ابي عنجة بتاريخ ١١ مارس سنة ١٨٨٦ لموافاته الى كردوفان كما مرّ وتجريده من الاسلحة النارية والخيول وأرسل كتابه هذا مع كاتبه الخاص مدثر ابراهيم ليتأكد وصوله اليه في وقته فسار ابو عنجة لساعته بطريق البركة والابيض قاصداً بارة فوصلها بعد وصول زقل اليها بتسعة ايام .

تجريد زقل وسجنه في ١٨ يونيو سنة ١٨٨٦ : وكان التعايشي بعد ان ارسل جوابه الاول الى ابي عنجة قد جرّد الأشراف من الاسلحة. والرايات كما مرّ ورأى منهم علامة النذر فألحق بأبي عنجة كتاباً آخر بتاريخ ٩ ابريل سنة ١٨٨٦ يأمره بتجريد زقل من الجيش كله وبيت المال فعند وصوله بارة أحاط جيش زقل بجهاديته ثم بعث في طلبه ودفع اليه أمر الخليفة فلم يسعه إلا الطاعة فاستلم منه الجيش ويوم السبت في ١٨ يونيو سنة ١٨٨٦ عند استلامه الخزينة وجد في حساباته بعض المعجز فرماه بالاختلاس وألقى القبض عليه ثم كبّله بالحديد وأرسله الى الابيض فأمر درمان فبقي فيها الى سنة ١٨٨٩ فعفا الخليفة عنه وسماه اميراً على دنقلة كما سيجيء .

قتل جهادية الابيض في اوائل اوغسطوس سنة ١٨٨٦ : ولما أنفذ

التعايشي غرضه في زقل كتب الى ابي عنجة في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٦ لمداركة أمر الجهادية قبل استفحاله فزحف بالجيش الى جبل النما محل واقعة الامير محمود فرأى الجهادية قد هجروه وتوغلوا في الجنوب فسار في أثرهم حتى وصل جبل الوطا فبلغه انهم نازلون في جبل السما على ٣ ايام جنوبيه فمقد لعبد الله ابراهيم على مرية من الجيش وأمره بالتحقق بهم فلما علم الجهادية به فروا ليلا الى « ققرة صباحي على جبل تلك » فلحقهم اليها فثبتوا له وحاربوه حتى قتل رئيسهم علي يوسف ففروا منهزمين فاعترضهم نهر كبير ولحقهم عبد الله ابراهيم فقتل منهم وأسر ٤٠ رجلاً وعدداً كبيراً من النساء والاولاد ثم حز رأس رئيسهم ورأسى اثنين من زعمائهم وأرسلها الى ابي عنجة فبعث بها الى الابيض فأم درمان فعلقت في السوق اياماً . وكان ذلك في اوائل اوغسطس سنة ١٨٨٦ .

هذا وكان عبد الله ابراهيم قبل قتله الجهادية قد سبق أبا عنجة الى جبال النوبة فغزا جيل كودور والكافير في اوائل يونيو سنة ١٨٨٦ فغنم منها ٤٠٠ رأس رقيق و ٢٠٠ بقرة و ٥٥ بندقية . ثم غزا جبل الدائر فنكل بجبلتي كله وسدرة وغنم ٤٠٩ رؤوس رقيق و ٦٠١ بقرة وقتل الملك الباجي وتسعة من اعيانه . ثم بعد قتل الجهادية بين أواخر سنة ١٨٨٦ وأوائل سنة ١٨٨٧ زحف ابو عنجة بالجيش كله فغزا جبال انبري وتقوي ورشاد والكودور وغنم منها اشياء كثيرة من نحاس وبارود وكبسول ورصاص ولبوس وشايات وعبايات جوخ وقمصان مقصبة وطواق حرير وثياب علج وأثواب دمور ونحوها .

رجوع ابي عنجة الى أم درمان في ٢٣ ابريل سنة ١٨٨٧ : ثم لم يلبثه أمر جبال النوبة وجهادية الابيض حتى دعت الحاجة الى ابي عنجة في السودان الشرقي فاستدعاه الخليفة الى أم درمان فأتى الابيض وقسم جيشه قسمين فأرسل قسماً منه بقيادة عبد الله ابراهيم بطريق بارة وقسماً بقيادة الزاكي طمل بطريق الطيارة ثم خرج بمن معهم الزوامل في طريق بينها يوم السبت

في ١٢ مارس فدخل أم درمان بالجيش كله السبت في ٢٣ ابريل سنة ١٨٨٧ .
 وكان جيشه مؤلفاً من : ٨١ راية و ٢٨٢٥١ مجاهداً و ٣١٩٥٥ من النساء .
 والاولاد و ٨٤٨٧ بندقية رمنتون و ١٣٦٠ بندقية ابو لفنة وروحين و ١٠١١
 جواداً و ١٣١ درعاً و ٧٤ من اللبوس و ٢٨١ صندوق ذخيرة رمنتون ومدفع
 و ٥ مدافع و ٥ صواريخ و ٦٣ نقارة نحاس و ٧١ بورتاً و ٣٦ طرنبيطة
 فاستقبله الخليفة احسن استقبال وعين له ديماً جنوبي أم درمان فأقام فيه
 الى أن عيّد الاضحى فأرسله الى القلايات لقتال الحبشة كما سيحيى .
 هذا ولم تلبثه متاعب التعايشي في السودان الغربي بانتهاء أمر جبال النوبة
 بل خرج عليه هناك في هذه الاثناء اربعة رؤوس فاقتلوا باله وتهددوا راحته
 مدة فجرد عليهم ووقف لهم معظم اهتامه حتى ظفر بهم جميعاً وهم : الشيخ
 صالح شيخ الكبابيش في شمالي كردوفان والشيخ مادبو شيخ الرزيقات المار
 ذكره في جنوبي دارفور والامير يوسف ابن السلطان ابراهيم الذي ابقاه زقل
 وكيلا عنه في الفاشر وابو جيزة في دارتامة .

حركة الشيخ مادبو وقتله في اواسط فبراير سنة ١٨٨٧ :

أما مادبو فقد كان آخر عهدنا به انكساره على يد سلاطين قبل تسليم دارة
 بقليل فلما سلمت دارة والفاشر عاد الى باديته في شكا فكتب اليه الخليفة
 مراراً من الابيض والرهذ وأم درمان للهجرة الى جيش المهدي فلم يجبه ثم لما
 مات المهدي كتب اليه للحضور الى أم درمان لتبديد البيعة على يده وزيارة
 ضريح المهدي ثم طلبه لحضور عيد الاضحى ثم عاد فكرر اليه الطلب بالحضور
 وحده على جواده وحذره من المخالفة فلم يحضر وكان في كل مرة يلتحل عذراً
 او لا يكتب ثم جمع جيشاً من أهل قبيلته وأشهر العصيان فكتب الخليفة الى
 قبائل الرزيقات والهبانية وبني هلبة فهدر لهم دمه وكتب الى محمد كرقساوي
 عامله على شكا فأرسل جيشاً لمطاردته في رمضان سنة ١٣٠٣ هـ . هذا وكان
 الخليفة قد بعث في طلب كرم الله من بحر الغزال فأخلى البلاد وحضر الى شكا

في محرم سنة ١٣٠٤ هـ اكتوبر سنة ١٨٨٦ م كما مر . وفي اوائل صفر اخذ جيشه وسار في أثر مادبو فطارده الى قرب الفاشر فلم يدركه فكتب الى الامير يوسف فقبض عليه في الدور قرب جبل مرة وأرسله الى كرم الله فأرسله كرم الله الى كرقساوي فبعث به الى أم درمان فاتفق مروره بالأبيض عندما كان ابو عنجة مشغولاً في ترحيل جيشه الى أم درمان كما مر ، وكانت لأبي عنجة نار عليه قبل المهديّة لأن مادبو سخره حينئذ في حمل صندوق ذخيرة على رأسه مسافة طويلة ولما تشكى جلده وأهانه فعلم مادبو انه لا يلقي رحمة عنده فقال له : « اني لا اطلب منك رحمة بل عدلاً فاني ما كنت أود محاربة المهديّة ولكن مظالم كرقساوي اضطرتني الى محاربتها » فقال ابو عنجة : « ومع ذلك فلا بد من قتلك » فتيقن مادبو من قوله هذا ان لا فائدة له من الاحتجاج وانه مقتول لا محالة فأسلم نفسه لعزتها وقال مخاطباً أبا عنجة : « لست أنت الذي يقتلني ايها العبد الذمير بل الله سبحانه وتعالى يقتلني اذا شاء وأنا ما سألتك الرحمة بل العدل ولكن عبداً مثلك لا يتاح له ان يكون شريفاً فان كان قتلي يبرء غليلك ويبرئ الدبرة (الندبة) التي في رأسك (من حمل صندوق الذخيرة) فلا بأس من قتلي ولكن اعلم انه كيف جاءني الموت يحديني رجلاً صديداً ثابت الجأش قوي الجنان فاني انا مادبو والقبائل تعرفني » . فانتهره ابو عنجة وأمر بارساله الى السجن ، وفي اليوم التالي أمر فمقلوه وقطعوا رأسه فأرسله الى الخليفة في أم درمان فعلقه في الجامع من صلاة الصبح الى صلاة الظهر .

حركة الشيخ صالح الكباشي وقلته في ١٧ مايو سنة ١٨٨٧ :

وكان في جملة الذين دعاهم. التعايشي مراراً للهجرة الى أم درمان بعد موت المهدي فلم يلبوا الدعوة الشيخ صالح كبير مشايخ الكبابيش فصمم الخليفة إذ ذاك على الفتك به فكتب الى رؤوس الكبابيش فهدر لهم دمه وكتب الى النجومى في دنقلة فسدّ طرق الشمال في وجهه فجعل سرية من انصاره بقيادة

تسليح القبائل

مكن النور في العقبة وأخرى بقيادة أحمد الطيب البصير وعثمان ازرق في جهة عيلاوي وأخرى في عين حامد ولد تنكل وكتب إلى عثمان آدم عامله على كردوفان فمنع بيع الحبوب لأهله الكبابيش من كردوفان ليهلكهم جوعاً وأرسل سرية من الانصار لمطاردته . فطاردوه في بادية الكبابيش من منهل إلى منهل حتى ظفروا به حياً في عين حامد ولد تنكل وذلك في ١٧ مايو سنة ١٨٨٧ فقتلوه وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى الخليفة فعلقه في الجامع وجرد عربه الكبابيش من إبلهم وأموالهم ونكل بهم تنكلاً شديداً .

اسر نوفل النمساوي في ١٦ أبريل سنة ١٨٨٧ :

هذا وكان الشيخ صالح منذ صمم العصيان يواصل جيش الحدود لمساعدته على التماشي . وفي أوائل سنة ١٨٨٧ بعث بأربعين رجلاً من أخصائه بمئة وعشرين رجلاً إلى حلفاء جلب الأسلحة والذخائر فجهز له الجيش ٢٠٠ بندقية رمنتون و ٤٠ صندوق ذخيرة وغيرها من الأسلحة والهدايا . وفي هذه الاثناء جاء إلى اسوان خوجال دفع الله التاجر الجملي المشهور فوجد فيها تاجراً نمساوياً يدعى نوفل وأخبره أن في كردوفان صمفاً كثيراً بشمن بنحس جداً أو بلا ثمن ، وكان نوفل جاهلاً حال السودان والدرائش واغتر بالريح فعمز على الذهاب إلى كردوفان فأتى القاهرة ورأى الجنرال ستفنسن قومندان جيش الاحتلال فأخبره بعزمه فحذره من سوء العاقبة ونصحه بالمعذول عن رأيه ، ولما لم يقبل النصح أخبره بعرب الشيخ صالح الآتين لأخذ الأسلحة ، فاستأذنه في الذهاب معهم فأذن له وأعطاه كتاباً إلى الشيخ صالح . فخرج هو وجماعة الشيخ صالح من حلفاء في ١ أبريل سنة ١٨٨٧ فوصلوا سليمة في ٧ من الشهر المذكور فاستراحوا فيها أياماً ثم استطردوا السير إلى صحراء الكبابيش وكان خبر جماعة صالح والقصد الذي جاؤوا لأجله قد وصل النجومى من بعض أياديه فأرسل عليهم محمد حمزه ومعه ٦٠ رجلاً فالتقاهم في الطريق بين البطحاء وسليمة ضحوة يوم السبت في ١٦ أبريل سنة ١٨٨٧ فبادرهم القتال فقتل منهم

عشرة رجال وأسرى ٤٣ نفساً وفيهم نوفل وغنم ما معهم من الأسلحة والذخيرة وأتى بالجميع إلى النجومي في دتقلة فأرسل النجومي نوفل إلى الخليفة في أم درمان وكتب إليه في تفصيل الواقعة بما نصه :

« وبعد فمن عبد ربه عبد الرحمن النجومي إلى سيده وسنده ووسيلته إلى ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله خليفة الصديق نصر الله بوجوده الإسلام ومحق بسيف قهره رقاب الكفرة اللثام آمين. سيدي بعد أن أهدي لحيا طلمتكم أوفر السلام ومزيد التحيات الفخام أبدي ... اني سبقت فأخبرت جنابكم بالبوسطة الماضية بأن عدو الله المخذول صالح الكبائشي أرسل جماعة من قبله إلى أعداء الله الكفرة لاحضار السلاح والجبخانة منهم ليستعين بها على حرب الانصار ... فخرج اصحابه بالأسلحة والجبخانة من حلفا في ٧ رجب كما حققه لنا الحبيب محمد احمد هائم في كتابه ففرزنا في الحال ٦٠ رجلاً من الانصار وجعلنا عليهم الحبيب محمد حمزة رئيساً وأمرناهم بالتوجه إلى منهل اللقية في طريق الأربعين على سبعة أيام منا ليتربصوا به للمذكورين فلما وصلوا البطحاء مسيرة يوم من رباط الحبيب مكين النور واربعة أيام من اللقية سقوا رواحهم وملأوا روابهم. إذ لا ماء منها إلى اللقية ثم استطردوا السير الجمعة في ٢١ رجب . وفي ضحى السبت ٢٢ منه صادفوا عربان المخذول صالح وعبيده الحاملين الأسلحة والجبخانة فبادروهم باطلاق الرصاص وانتشب القتال بين الفريقين مدة ٣ ساعات ثم حمل الانصار عليهم حملة صادقة فقتلوا منهم عشرة وأسروا الباقي وهم ٤٣ نفساً فأتوا بهم إلينا وفيهم رجل نصراني من دولة النمسا يدعى نوفل خرج معهم من قيفر حلفا مرسلًا من أعداء الله الانكليز إلى عدو الله صالح للنظر في ما عرضه عليهم بكتبه والاطلاع على حال جيوش المهديّة. وفيهم سرية للنصراني المذكور وعبد عارف بالخط قال انه تابعه . وجميع ما أحضره المذكورون. وقع في يد الانصار وهو من الأسلحة ٢٠٠ بندقية رمنتون و ٤٠ صندوق جبخانة و ١١ طبنجة ذات ستة ارواح و ٤ بنادق بروحين وبضائع غير الهدية المرسلة إليه من أعداء الله الموضحة بالكشف الملصق

بكتاتهم له المرسل طيه لطرف السيادة للعلم بما حواه... وقد وعدوه بكتاتهم انه متى وصلت هذه الرسالة اليه فاذا أرسل رسله يزيدونه أسلحة وذخائر... وقد وجد بشنطة النصراني كتب وخارطة بلسان الانكليز وهي واصله لقراءتها هناك بواسطة من له إلمام بلسانهم... ومن جملة الأسرى اولاد العرب اولاد هوال... ومنهم علي ولد الأمين الذي سبقت فعرضت عنه لسيادتكم بأنه توجه الى اسوان بناء على طلب الأعداء له وانه طلب لأجل توصيل هذا النصراني الأسير الى عدو الله صالح والرجوع اليهم بأخبارهما. وقد عاد اليها الحبيب محمد حمزة وانصاره وهم على احسن حالة ولم يصب منهم احد في الواقعة يجرح. وعند استنطاق الأسرى اتضح لنا ان جميع عبيد الخذول صالح من أكبر المفسدين ولا ثمة للدين في بقائهم فحكنا بعد استشارة الاخوان بقتلهم قهراً لسيدهم الخذول وارهاباً لغيرهم فحفرتنا شقاً في ارض السوق فقتلناهم عنده ودفناهم فيه. أما اولاد هوال وغيرهم من عرب الكبابيش فقد رأى معشر الاخوان ان الصواب عدم قتلهم ترغيباً لأهاليهم الذين مع الخذول في الدخول في الدين اذ لو سمع أهاليهم بأنهم قتلوا زادوا نفوراً عن الدين فكبيلناهم بالحديد ووضعناهم في السجن الى ان يصدر أمر السيادة في شأنهم... أما النصراني نوفل فها هو مرسل الى سيادتكم لتجروا ما يوافق بشأنه... وأما الأسلحة والجبخانة فهي محفوظة عندنا... والسلام في ٢ شعبان سنة ١٣٠٤ هـ ٢٦ ابريل سنة ١٨٨٦ ع. اه.

وبقي نوفل في أسر التعايشي تارة في السجن وتارة خارجه مقيداً بمكينة في رجليه الى ان فتحت ام درمان وكان اذ ذاك في السجن فأخرج منه وعاد الى مصر.

دارفور والامير يوسف ابن السلطان ابراهيم سنة ١٨٨٨ : ٦

تقدم ان زقل لما خرج من الفاشر سنة ١٨٨٦ أبقى الأمير يوسف ابن السلطان ابراهيم اميراً عليها. فلما رأى هذا انه يجالس على كرسي آبائه

وأجداده ارتاحت نفسه الى منصبه وعقد النية على حفظه والاستقلال به .
 لذلك لما جئناه كرم الله مطارداً مادبو ألقى القبض عليه وسلمه إياه كما مر
 أملاً بسرعة خروجه من بلاده . فلما رآه قد استقرّ في دارة صمم على اخراجه
 منها بالرضى او بالرغم فرفع الامر أولاً الى الخليفة فأحسن بالغرض الذي يرمي
 اليه يوسف فكتب اليه في ١٠ فبراير سنة ١٨٨٧ يؤيد كرم الله على دارة
 ويقول : « ... والحال يا حبيبنا ما دام ان امر المهدي ديني لا منافسة فيه
 وانت والامير كرم الله اخوان في الدين فلا يليق بكما إلا الهابة والاتفاق على
 ازالة كل ما لا يرضي الله ... فيلزم بوصول كتابنا هذا اليك ان تتفق مع
 الحبيب كرم الله وتطلب منه المساعدة وهو كذلك وقد حررنا اليه بمثل ما
 حررنا لك والسلام » . فساه يوسف تأييد الخليفة لكرم الله وبعث برجاله الى
 دارة فأكرهوه على تركها . وفي ٢١ فبراير سنة ١٨٨٧ م كتب كركساوي
 أخو كرم الله الى الخليفة يقول : « ... ان الفور قد شرعوا بالفساد وأعادوا
 الى البلاد نظام حكومة آباؤهم السابقين فسموا بالحكام بالملوك والشراتي وسموا
 الجهات بالحواكير وأطلقوا على اميرهم يوسف اسم السلطان وصاروا يسمون
 عليه سلامهم على سلاطينهم السابقين ويقبلون الارض بين يديه وقد جاهرنا
 بشرب الخمر والتبناك ومشوا سكارى في شوارع الفاشر وارتكبوا غير ذلك
 من البدع والمنكرات ... » .

فاهتم الخليفة جداً لهذا الخبر وأخذ يتلطف في السعي للحصول على يوسف
 فكتب اليه أولاً ان يحضر الى أم درمان مع بعض اعوانه لتجديد العهد على
 يده والتبرك بزيارة ضريح المهدي ثم يعود الى الفاشر ، وكرر الطلب مراراً
 بصور متنوعة فأجابه يوسف بعدم قدرته على اجابة دعوته نظراً « لما وقع
 بين رجاله ورجال كرم الله من الخلاف ولأن أعوانه المطلوب حضورهم معه
 متفرقون في الجهات لتسكين الحركات » .

عثمان آدم في دارفور سنة ٨٧ : ١٨٩١ :

فتيقن التعايشي اذ ذاك ان السياسة لا تتجمع فيه فكتب الى عثمان آدم

نتائج الإستقلال

عامله على كردوفان فجهز جيشاً عظيماً وسار به قاصداً الفاشر بطريق شكا .
فضم أنصار كرم الله وكرقساوي الى جيشه وأبقى كركساوي محافظاً على
شكا ، وسار يصحبه كرم الله قاصداً دارة فالتقاء جيش يوسف قبل وصوله
اليها فهزمه في واقعتين ودخل دارة .

قتل الامير يوسف في يناير ١٨٨٨ : وكتب الى الامير يوسف يدعوه الى
الطاعة ، ولما لم يجبه زحف بجيشه عليه فخرج الامير يوسف بجميع انصاره
والتقاء في وادي بيرة قرب الفاشر واقتتلا قتالاً شديداً فلم تكن ساعة حتى
انهزم الامير يوسف ودخل عثمان الفاشر . وقد قُتل ليوسف في هذه الواقعة
اخوان وهما ناصر وعباس ، وأما هو ففرّ بباقي انصاره الى جبل مرة فأرسل
عثمان آدم بعض الانصار خلفه فطاردوه حتى ادركوه في وادي عزوم فقتلوه
وحزوا رأسه وأتوا به الى عثمان في الفاشر فأرسله الى الخليفة فعلقه في السوق
وكان ذلك في يناير سنة ١٨٨٨ .

هذا وكان قد وقع في أسر عثمان آدم في الفاشر جماعة من أمراء الفور
وفيه تاج الدين ابن بنت السلطان محمد الفضل فأمر عثمان بقطع رأسه ، فلما
شرعوا في شذ وثاقه قال لهم : على مَ الوثاق ؟ إينوا لي أن أصلي ركعتين
فأذنوا له فصلّى ثم جاء الى عثمان آدم فجثا أمامه وألقى بيديه الى الارض ثم
نكس رأسه وقال : افعلوا بي ما شئتم ، فضربوا عنقه بالسيف : تباً لهم !

الامير ابو الخيرات : ثم ان الذين سلموا من امراء الفور ، ولوا أبا الخيرات
اخا الامير يوسف سلطاناً عليهم وبثوا الدعاة في أكناف البلاد لاستنفار الأهليين
الى القتال .

حركة ابي حميرة وانطفاؤها سنة ٨ : ١٨٨٩ :

وفي هذه الأثناء ظهر في الغرب في دار تامه رجل فقيه يدعى ابا حميرة
ادعى انه خليفة عثمان وانه قام لفتح طريق الحج التي سدّها التعايشي وكان
اهل الغرب خصوصاً حانقين لسدّ هذه الطريق فاجتمعوا على ابي حميرة من

كل فج من برقو وبرنو ومساليات وقامه وترجم واستقور وزغاوله وبني هلبة والقرعان والبديات ورتقا . وكانت ذلك طبق مرام ابي الخيرات فانضم اليه بأنصاره فأصبح ابو جميزة في جموع كثيرة فزحف بها على الفاشر . وكتب الى التعايشي في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ يعلمه بظهوره فأجابه التعايشي بتاريخ ٢٤ ديسمبر من السنة المذكورة بما نصه بعد البسمة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الشخص المدعي خلافة عثمان بالغرب . اما بعد فنعملك ان جوابك المحرر لنا بتاريخ ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ (١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م) وصل بطرفنا وما سطرته به من انك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي « عم » وانك خليفة عثمان وقد بايعتنا على السمع والطاعة في الامر والنهي الى آخره فهم لدينا . ونقول لك أما من خصوص قولك انك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي « عم » مع ما انت عليه من الجاهرة بالعداوة لحزب المؤمنين والاعراض عن اجابة داعي رب العالمين فهو زور وافتراء وكذب على الله واجترأ فانك قد خالفت أمر الله ورسوله ورفضت العمل بالكتاب والسنة واتباع سكة المهدي « عم » بمحاربتك لأنصار دين الاسلام واصحاب مهدي الله الكرام الذين شاهدوه وبايعوه وبذلوا ارواحهم في نصرته وشيدوه ... وأما قولك أنك خليفة عثمان فهذا ايضاً مع تلبسك بما انت عليه من محاربة الله ورسوله ومهديه ومحاربتنا وإثارة الفتن التي قال فيها رسول الله ﷺ الفتنة ثامة لعن الله من أيقظها محض زور وافتراء على الله وفجور فان من كان متصفاً بخلافة عثمان « رضه » على الحقيقة لا يكون بهذه المثابة بل يكون مقتفياً لآثره وسالكاً لمنهجه . وهل بلغك ان عثمان « رضه » جرد سيفه على مسلم او سعى في الارض فساداً او حارب احداً من اصحاب رسول الله ﷺ في زمان ابي بكر الصديق او في زمان عمر الفاروق او في زمانه هو ... وأما قولك انك قد بايعتنا على السمع والطاعة في الامر والنهي فان كنت صادقاً فيما ذكر فقد صرت ببيعتك هذه تحت أمرنا ونهينا وفي حيز

اشارتنا فيلزمك الوفاء بذلك عقداً وعملاً قولاً وفعلًا بنصّ قوله تعالى وأوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها الآية . ولا بد ان تسأل
عن تلك البيعة بين يدي الله كما أخبر سبحانه بذلك في قوله تعالى وكان عهد
الله مسئولاً وها نحن قد أمرناك أمراً جازماً وعزيمة مؤكدة بالاقلاع عما انت
فيه وان تتوب الى الله توبة نصوحاً مما ارتكبته من عظم الفساد ومحاربة رب
العباد فاعمل بأمرنا هذا ولا تحرك شيئاً او تسكنه من الآن فصاعداً إلا بأذن
منا حيث علمت وجود طاعتنا عليك من كتب الله تعالى ولا تقدر على محاربة
احد أياً كان ولا سيما اصحاب المهدي « عم » المعينين بأمرنا الى اصلاح العباد
وإزالة الفساد ودعوة الخلق على الدخول في طاعة المهدي تحت رئاسة عاملنا
المكرم عثمان آدم في الجهات الغربية ان كنت على طاعتنا كما ذكرت . وان لم
يكن لما ذكرته من مبايعتك لنا والتزام طاعتنا صحة ولا عزم من قبلك فاعلم
انك رجل قد غرّك الشيطان حتى سلك به سبيل الهوان فتدارك نفسك قبل
القوات وتلاف سلامتك قبل الممات ولا يسؤل لك شيطانك انك تقوم بمحاربة
المهدي ويزين لك ذلك حتى يوقعك في ورطة الهلاك ويتبرأ منك وتبوء بسخط
رب البرية والعياذ بالله فان أمر المهدي هذا من الله ورسوله وما تصدئ احداً
لهاربتة إلا خذله الله وقطع دأره وشتت شمله ودمر أمره فاعتبر بالمعرضين
قبلك كيف أهلكهم الله ودمرهم أجمعين ولا تغرر بما سئل لك من الاستدراج
والإسهال فان ذلك من عادة الله مع أمثالك في سبأ أمرهم ثم يأخذك اخذ
عزيز منذر ... ففرق من مملك من جموع الفساد واضفر لطرفنا منيباً لأمر
رب العباد لننظر في أمرك ونرشذك الى طريق فلاحك ونفورك وإلا بأنت
كنت لم تزل على سعيك في الارض بالفساد والبني والصاد فوالله أكبر عليك
الله أكبر عليك ! الله أكبر عليك ! ولا بد بمشيئة الله بعونه من وقوعك في
القبضة أينما كنت وحيثما توجهت وفي هذا كفاية لمن كان من اهل العناد والسلام
على من اتبع الهدى ٢٠ ربيع آخر سنة ١٣٠٦ هـ ٢٤ ديسمبر سنة
١٨٨٨ م ٤ هـ .

هذا وكان عثمان آدم لما علم بظهور ابي جميزة جهز عليه جيشاً بقيادة الامير محمد بشارة فعاد منهزماً فأرسل عليه جيشاً آخر فانهمز كالاول فاضطرب الخليفة من ذلك ومدّ عثمان بالرجال . وتقدم ابو جميزة يحيوشه الجرارة قاصداً الفائر فأصابه الجدرى فمات في الطريق . قيل وقد سمي أبا جميزة لأنه كان يقبل تحت جميزة كبيرة في دار ثامة .

واقعة ساغة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٩ : وخلفه اخوه ساغة فقاد الجيوش وسار حتى نزل بمحل يدعى مجدوب على ٤ ساعات جنوبي الفائر فبرز عثمان آدم الى لقائه في ارض مكشوفة بظاهر الفائر . وفي يوم الجمعة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٩ زحف عليه ساغة يحيوش لا يحصى عددها وقد صاحبها النساء والاولاد فسدت الأفق لكثرتها . وكان جيش عثمان اربعة ارباع على كل ربع أمير وأمراء الارباع : محمد بشارة والحتم موسى وعبد القادر دليل والمطا أصول فوقفوا كلهم صفاً واحداً كل ربع على حدته والفرسان عن الجناحين وصبروا حتى صار ساغة على بعد مرمى الرصاص ففتحوا افواه البنادق وامطروا عليهم من الرصاص ما حصدهم حصداً فامتلات الارض من قتلام وما زالوا مهاجمين حتى اختلطوا بجيش عثمان والتحم القتال بالسيوف والحراب فما لبث جيش ساغة في الملحمة حتى انهزم وأسلم نساءه وأبنائه للأسر وتبعه انصار عثمان فرساناً ومشاة يقتلونهم في كل جهة بقية ذلك النهار ، وقد قتل ساغة وكثير من رؤساء جيشه وتفرق الباقون أيدي سبا . وحزّ عثمان رأس ساغة ورأس وكيل ابن السلطان سلا وأرسلها الى الخليفة في أم درمان فعلقا في السوق وأرسل مع الرأسين كتاباً بتفصيل الواقعة قال فيه : ... أما الأعداء فلما لم يجدوا سبيلاً الى الخلاص تحول بعضهم قرده وبعضهم ذئاباً وبعضهم ارانب وغزلانا . وأما الانصار فقد رأى بعضهم ساعة الحرب رايات بيضاء بأطراف خضراء في الهواء . ورأى بعضهم سوراً عظيماً كهيئة الجبال تازلاً من السماء على الأعداء . وسمع بعضهم صوت أم بابه مسماعاً محققاً لا شك فيه ... ١

قتل ابو الخيرات : وأما ابو الخيرات فانه فرّ بن بقي من اتباعه الى جبل مرة فبقي فيه الى ان ثار عليه عبيده اوائل سنة ١٨٩١ فقتلوه وذهبوا الى الفائر مسلمين .

عثمان آدم ووداي : هذا وكان عثمان آدم بعد قتل الامير يوسف قد شرع في تتبع الرؤوس الذين نصره فكتب الى السلطان يوسف سلطان وداي يسأله ألا يأوي احداً من العصاة الفور في داره فكتب اليه السلطان يوسف يخادعه بكتاب مؤرخ في ١٨ اوجسطس سنة ١٨٨٨ هذا نصه بعد البسملة :

نقش خاتم السلطان في أعلى الكتاب : ملك السلطان محمد يوسف ابن السلطان محمد شريف ابن السلطان محمد صالح ابن السلطان صليح العباسي سنة ١٢٩٣

« انه من عبد مولاة اللطيف السلطان محمد يوسف ابن السلطان محمد شريف عامل المهديّة بالديار الوداوية - الى امير الامراء ونخبة الوزراء عامل المهديّة بعموم الجهات الغربية مولانا الامير عثمان آدم حفظه الله . من بعد اهداء السلام وإسداء التحية والاحترام اللائقين بعالي المقام قدم الينا رسلكم مسعود وحسن ورفيقانما وكنت لدى حضورهم خارج البلد لأجل الصدقة والزيارة للوالدين لما أوجب الله لهم من الحقوق علينا ... فلما بلغني خبر رسلكم تركت بعض شؤوني وقدمت لملاقاتهم يوم الاحد في ٣ الحجة فاجتمعت بهم في الاثنين ؛ الحجة فبقراءة كتابكم انشرح الصدر بعد ضيقه وانسرّ خاطر بعد « صفوقه » والله الحمد على ذلك . وليكن في علمك حبيبي انه لو كانت الدنيا تدوم لدامت لمن قبلنا وأمر المهديّة لا يخفى حتى على غير العاقل حتى الاطفال الذين لا حساب عليهم ولا عقاب يتمنون زمن المهديّ وحضوره . ونحن لأول وهلة ساقطنا السعادة الازلية الى مبايعته وأخذ العهد عليه وكيف ينكث العاقل وعده وينقض عهده ولكن الوشاة وهم شياطين الانس الذين تخشاهم شياطين الجن لفقوا الاكاذيب ونشروها في الناس فأقلقوا البلاد والعباد . هذا ومنذ مجيء

رسولنا اسحق ونحن متجهزون في رد كتبكم الواردة الينا معه فجاءت الاخبار المرجفة وشوشت علينا وما خطر ببالنا انه يصدر من حضرتكم ما لا يليق بها كما اتضح لنا بكتابكم المرسل الينا صحبة رسلكم ولذلك حررنا هذا مقدماً لتقفوا على حقيقة حالنا وبعد العيد بيومين او ثلاثة نبعث لكم رسلكم ومعهم رد الكتب المبعوثة لنا من الاحباب ومن حضرتكم . ومن الآن فصاعداً ان شاء الله تجري المواصلات التامة بيننا وبينكم حسب اشارة خليفة المهدي «عم» وهو ذخرتنا يوم العرض والزحام . وكذلك انت ايها السيد لا تسمع كلام الوشاة ولا تصنع لتسويلاتهم فانهم قوم بهت ... وليكن في علمك ايها الحبيب ان الاحباب عبد القادر دليل وحامد مجبور والمطاع اصول خاطبوني بشأن العصاة وادريس القمراوي فأجبتهم بأنك خاطبتني انت من قبل في شأنهم وقد شرطت على عمالي بأن يردوا كل مخالف حتى القمراوي مع انه تربى عندها لم نقبله امثالاً لأمرهم . وأما ادريس القمراوي فانه ارسل إليّ رسولاً وهو بدار زغاهه اطارييف دارنا فرددت له رسوله وحلفته بالله وبمحمد رسول الله وبالمهدي والخلفاء ألا يدخل داري فاني لا اقبله ومن يومئذ ما بلغني خبره والذي بلغني قبل هذا انه متوجه بطريق الفيزان وقد اشترت عليهم ان يكتبوه ويحالفوه ليطمئن فمسي الله ان يهديه ويدخله في قبضتكم ولأجل المعلوماتية حررت لكم هذا وسيأتيكم مع رسلكم شرح ما هو لازم تفصيلاً ونرجوكم المساعدة في التقصير والسلام ٧ الحجة سنة ١٣٠٥ هـ .

وكتب عثمان آدم الى الخليفة يسأله عن السياسة التي يتبناها مع ملك وادي (برقو) فأجابه بتاريخ ١٦ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ ١٧ ابريل سنة ١٨٨٩ م « ... أما البرقاوي فلا تدخلوا داره وخاطبوه بالكلام اللين وأخبروه بأن خليفة المهدي لم يأمرني بدخول دارك وانه في انتظار رد ما تحرر اليك منه اذ لم يزل ظاناً بك الخير وحذروه من ان يأوي محارباً للمهدية فمسي الله ان يهديه ... »

فلما أقام ابو جيزة في دار ثامة تبعه كثير من اهل برقو وغيرها من اهل

تأريخ السودان

الغرب كما مرّ فصمم عثمان على فتح بلاد الغرب الى عاصمة وداي فخرج من الفاشر بجيش ينيف على ٣٦ ألفاً أكثرهم مسلحون بالبنادق وسار حتى أتى أم دخن من بلاد المساليت فتفتشى في جيشه مرض « اب دم » ففتك به فتكاً ذريعاً فاضطر ان يرجع على عقبه الى الفاشر وما زال المرض يفتك بالجيش حتى هلك نحو ثلثيه وامتلات الطرق من الجثث وأصيب عثمان آدم نفسه بالمرض في الطريق فحملوه على عنقريب الى الفاشر فمات بعد وصوله بقليل وذلك في يوم الجمعة ١١ صفر سنة ١٣٠٨ هـ ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٩٠ م . وكان مربوع القامة نحيف البدن اسمر اللون على وجهه اثر الجدري وكان كثير الدماء شجاعاً في الحرب ميالاً الى التخشن وقد حزن الخليفة لموته . وكان قد سماه عاملاً عاماً على الغرب كله أي على كردوفان ودارفور وشكا فأرسل محمود احمد ابن عمه عاملاً على الغرب مكانه فوصل الفاشر الاثني في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٩١ م وكان من أمره في دارفور ما سنينيه في محله ان شاء الله . وأما كرم الله وأخاه كرقساوي فقد دعاهما الخليفة الى ام درمان فلبيا الدعوة قبل ذلك بزمان ولنأت الآن الى ما كان من اخبار السودان الشرقي :

الفصل السابع

في

وقائع السودان الشرقي

سنة ١٨٩١ : ٥ م

وقائع القلايات والحبشة سنة ١٨٨٩ : ٥

عمالة محمد ود ارباب على القلايات : تقدم ان محمد ود ارباب احتل القلايات بعد خروج الحامية المصرية منها بخمسة ايام أي الخميس في ٥ مارس سنة ١٨٨٥ . وتزل النور ود فقراء مع جماعة من أنصاره في مبارك الله على الاتبرة وصار يشن الفارة على حدود الحبشة والاحباش لا يحركون ساكناً حتى ظهر رجل من قطاع الطرق يدعى الحاج علي عاث في الحبشة والتجأ الى القلايات فكتب الراس عدار الى محمد ود ارباب يسأله ارسال الحاج علي مخفوراً الى الحبشة ولما لم يجبه زحف بجيش كبير ومعه صالح بك على ود فقراء في تبارك الله فقتل من جيشه نحو ٥٠٠ رجل وشتت شمله كل مشتت . ثم انقلب في اليوم التالي على القلايات فقتل محمد ارباب وجيشه وأحرق القلايات وعاد بالغنائم والأسرى الى الحبشة وذلك في اوائل يناير سنة ١٨٨٧ .

عمالة يونس الدكيم على القلابات : فلما بلغ التماشي الخبر اضطرب جداً واهتم للأمر ، اذ القلابات ثغر حصين في صدر الحبشة وحفظ السودان يقضي بحفظه مسدوداً ، فجهز جيشاً عظيماً وعقد لواءه ليونس الدكيم من أخص أقاربه وأرسله عاملاً على القلابات في ١١ مارس سنة ١٨٨٧ فجاءها بطريق القضايف فوجد فيها رجلاً يدعى سكرأ من جماعة محمد ارباب كان قد جمع شتات جيش ود ارباب المذكور وأقام بالقلابات الى ان وصل يونس فعزله . وكان قد وفد الى القلابات بغض تجار الحبشة فألقى يونس القبض عليهم وأرسلهم مخفورين الى ام درمان فأدخلهم الخليفة في دين الاسلام وبايعهم وعفا عنهم ثم أرجعهم الى يونس ليجعلهم مع الانصار او يرسلهم الى أهلهم ليبشروا بسطوة المهدي . هذا وكان المهدي قد كتب الى الملك يوحنا ملك الحبشة يدعوه الى اعتناق الاسلام والمهدي ويحذره من المخالفة ومما قاله له :

« ... غير خاف عليك ما حصل لأعداء الله الترك من القتل والأسر وتخريب ملكهم وكذا ما حصل لأعداء الله الانكليز من القتل وتمكن الرعب من قلوبهم حتى صاروا كلما عزمت على التوجه لجهة تجمعهم يفرون هاربين لغيرها وهكذا ينسحب الامر على من خالفني من اهل الكفر بحول الله وقوته لأنني مؤيد من عند الله بالملائكة الكرام وبالأولياء وبمؤمني الجن وموعد من عنده ايضاً بالنصر والقلبة على كل من يعاديني ولو كان الثقلان الجن والانس فافهم ذلك . واعلم اني قد استعقلتك وشكرت صنيعك وظننتك بالخير فيما صنعت من ارسالك الرسل الى عاملنا على جهة القلابات محمد ارباب والتاسك لتحرير مخاطبة منا اليك بمقنا ببيان ما نحن عليه فان فعلك هذا انما يصدر من العقلاء الذين يطلبون الحظ . وبناء عليه قد حررت لك هذا الكتاب اجابة لطلبك ورغبة في هدايتك ومحبة لا يصال الخير لك ودعوتك فيه الى الاسلام فأسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين وتقوز نعيم الدارين وتغنم أجر صحبتنا وتكون مكرماً عند الله ورسوله وعندنا . وحيث ان الله سبحانه وتعالى قد أكرمك بحضورك هذا الزمن النبوي بظهوري فيه خليفة لنبينا

محمد ﷺ حقاً فكن كسلفك النجاشي رضي الله عنه فإنه لما أكرمه الله بحضور
 زمن نبينا محمد ﷺ آمن به وصدق وآوى إليه أصحابه ولم يمنعه ملك الدنيا
 من اتباع الحق لما جاءه فنال من النبي ﷺ غاية الأكرام ولما مات رضي الله
 عنه ببلده صلى عليه النبي ﷺ وهو بالمدينة اظهراً لشرفه ورفعته لمكانه
 ووردت في حقه احاديث كثيرة وقصص عجيبة تنبئ عن علو شأنه عند الله
 تعالى بسبب اتباعه لنبينا محمد ﷺ وعدم اكترائه بملك الدنيا الفاني وأرجو
 الله الذي أحضرك هذا الزمن المبارك أن يجعلك وارثاً لمقام سلفك المذكور
 باتباعي ويخرجك من ظلمات الكفر الى نور الايمان ويزيل عنك ولات الطاغوت
 ويدرجك في سلك ولاية الكريم انه على ذلك قدير . هذا وليكن في علمك
 اني على سكة نبينا محمد ﷺ وما قصدي من الخلق إلا دلاتهم الى الله
 وإرشادهم لسلك طريقة النجاة ولا اريد بحمد الله ملك الدنيا ولا جاهها ولا
 مالها الفاني فان انبت الى الله وسلمت وأسلمت فابشر بخير الدارين وطيب نفساً
 وقرّة عيناً وستجد منا ما يسرك دنيا وآخرة وإن أبيت إلا الاعراض
 واستحباب العمى على الهدى والرشاد فانما عليك اثمك واثم من اتبعك ولا بد
 من وقوعك تحت يدنا فإننا موعودون بملك جميع الارض التي انت في جزء قليل
 منها ... سنة ١٣٠٢ هـ .

فلما ارسل الخليفة يونس الى القلابات كتب الى الملك يوحنا كتاباً هذا

نصه :

« وبعد فمن العبد القائم بأمر مولاه في نصرة الاسلام خليفة المهدي عليه
 السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى يوحنا عظيم الحبشة . اما بعد
 فاعلم ان الله عز وجل هو ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويدل
 من يشاء بيده الخير والشر والنفع والضر لا إله غيره ولا شريك له يفعل في
 ملكه ما يريد وله التصرف النافذ في جميع العبيد خلق الخلق ليعبدوه وأرسل
 اليهم رسلاً ليعرفوه فيوحدوه وجعل للمطيع الجنة بفضلهم والمعاصي النار بعدله
 وختم الرسالة بحبيبه ونجييه ورسوله وصفيه ونبيه محمد ﷺ حين ارسله الى

كتاب الشوكات

جميع الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً وشرع على لسانه دين الاسلام ونسخ به ما سواه من شرائع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . ثم أرسل خليفته الموعود به في الخير الامام المهدي المنتظر ليجدد دين الاسلام ويقيم شعائره بين الأنام فدعا الناس الى اقامة الدين وإحياء شريعة محمد سيد المرسلين ﷺ وأجاب دعوته من فاز وسعد وأعرض من شقي وطرده . ولما اني خليفته عليه السلام القائم من بعده في تأييد دين الاسلام فاني أدعوك الى ذلك الدين الحق كما دعا الله اليه في قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله » . فان شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله نطقاً بلسانك واعتقاداً في جنانك وأجبت دعوتي وألقيت زمام أمرك طوع اشارتي فقد دخلت في حرم الاسلام وألقيت الرشد والفوز والاكرام وصرت أخاً لنا ومناً وإلينا لك ما لنا وعليك ما علينا وتتصل بيننا المحبة في الله وتصدق المودة لله وتكون في أمن وأمان وخيرات حسان . وإن أعرضت عن قبول الاسلام وإجابة الملك العلام فانما عليك اثمك ومحيط بك مكرك وحينئذ فليكن بعلمك ان تعدتي الحدود عاقبت وخيمة وضرورته جسيمة . ونحن قد كنا معك ملاحظين اشارة قول سيد المرسلين : اتركوا الحبشة ما تركوكم ومن ثم فلم نصرح لجيوش المسلمين بغزو جهتك حتى حصل منك التعدي البليغ على ضعفاء المسلمين الذين بالقرب الى بلدك المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة بالقتل والأسر والنهب والضرر وصار يأوي اليك كل من يرتد عن دينه من المسلمين كصالح شنقة وعجيل وادريس أبي جن ومضوي ومن معهم من المرتدين . ولما لم يمكن تركها سداً على ذلك الحال وتعين الالتفات الى صدرك عن هذا المجال عيننا الجيوش الكفاية من الانصار اهل النجدة والحماية الى الاقامة بالثغر الموالي لجهتك صداً لم يتوقع منك . فان كنت تريد رفع المحاربة عنك وعدم غزو جيوش المسلمين لبلدك فأولاً بادر بإرجاع جميع الاسرى المسلمين الذين بطرفك من ذكر وأنتى حر وعبد صغير

وكبير يا كرام واحترام حتى لا تترك احداً منهم عندك ولو كالغلام . وثانياً
الجماعة الذين ارتدوا وانضموا عليك بكصالح شنقة وادريس ابي جن وعجيل
ومضوي ومن معهم ان كانت لهم رغبة في الرجوع لدينهم مستسلمين فاخرجهم
من بلادك وأرسلهم اليك مكرمين وان كانوا لم يزالوا مصرين على ردتهم
وختارين الكفر على ايمانهم فخذ اقرارهم بذلك بمقتضى مكاتبة منهم بأختامهم
وأرسلها لطرفنا لكي نعدم من جماعة قومك وحزبك وأهل ملتك وجندك .
وثالثاً كف يدك عن التعمدي على بلاد الاسلام من الآن فصاعداً وألزم حدودك
ولا تمد لغيرها يداً . فان فعلت ما ذكرناه لك فاعلم اننا نكف الحرب ولا
ندع جيش المسلمين يدخل بلدك وان اخترت الاسلام والدخول في صحبة
المهدي « عم » فستلقى القبول والاكرام في هذه الدار ويوم القيامة وإن
أعرضت عن كلا الأمرين وغرتك ابليس اللعين فلا بد من مناجزتك الحرب
ووقوعك في القبضة بمشيئة الرب لما انا على هدى من الله وهو تعالى ناصرنا
وخاذل اعدائنا ولو كانوا عدد الرمل لا يحول منا ولا قوة بل بحوله وقوته
وتأييده ونصرته . ولا شك أن من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر
له . وحينئذ فلا تغتر بكثرة عددك وقوة عددك العاريتين عن معونة الله فان
الله من البطش الشديد ما لو تجلّى به على ألبال لدكت وعلى الأرض لرجت .
وهذا ما لزم تحبيره اليك من الانذار وفيه الكفاية لك ان كنت من أهل
الاعتبار وبعد وصوله بطرفك صحبة الرسل الواصلين به لك فلتزد لنا منك
الافادة عنه بما يوافق رأيك والسلام على من اتبع الهدى في جمادي الاولى
سنة ١٣٠٤ هـ مارس ١٨٨٧ م ، اه .

بعوث يونس الى الحبشة : فلم يحبه الملك يوحنا على مطالبه ولا أجاب
كتابه فشرع يونس في ارسال البعوث لغزو الحبشة فأرسل بعثاً بقيادة علي
جبير الى جبل غورة على نحو ٣ أميال من القلايات فغرب كنيستين للأحباش
وغنم وسبى . وأرسل بعثاً آخر على عجيل الحميري الذي نزل بأرض غبطة
على حدود الحبشة فقتل اثنين من اولاده وأخاه وابن عمه ووكيله وبعض

رؤوس الشكرية المتحزبين معه وأسر نساءهم وذرائعهم . وأرسل بعضاً آخر بقيادة عربي دفع الله الى دبرسينة بقصد القبض على صالح فأوقع به وبالأحباش الذين نصره وقتل منهم خلقاً كثيراً وعاد بالأسرى والغنائم الى القلابات . وكان كلما مرّ بحلة من حلال الحبشة قتل من فيها وأحرقها .

عمالة حمدان أبي عنجة على القلابات سنة ١٨٨٩ : ٧

فلما رأى الملك يوحنا تمادي الدراويش في البغي أمر الراس عدار فشرع في حشد الجيوش الى غندر بقصد النزول على القلابات وطرد الدراويش منها . وكان يونس لا ينفك يتجسس أخبار الحبشة فلما علم باستعدادهم طيّر الخبر الى الخليفة . فاهتم الخليفة لذلك ولم يكن عنده قائد يدفع به شر الحبشة افضل من أبي عنجة فأمره بالسفر على جناح السرعة الى ثغر القلابات فخرج من ام درمان يحميه في منتصف محرم سنة ١٣٠٥ هـ ٣ اكتوبر سنة ١٨٨٧ م وسار براً وبحراً الى ان وصل ابي حراز فشرع في ترحيل جيوشه الى القلابات طائفة بعد طائفة لثلاث تضيق بها المناهل فأرسل قسماً منها بقيادة الزاكي طمل بطريق القلعة ارانج وآخر بقيادة النور عنقرة بطريق البحر على ان يجتمعا في راشد ثم يتقدما معاً الى القلابات . وفي أوائل نوفمبر سنة ١٨٨٧ خرج بباقي الجيش وسار بطريق البحر والقضارف حتى دخل القلابات بجميع جيوشه في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٧ .

ظهور النبي عيسى في القلابات في ديسمبر سنة ١٨٨٧ :

وفي هذه الاثناء ظهر في القلابات رجل تكروري يدعى آدم محمد البرقاوي ادعى انه نبي الله عيسى وصدق به عشرة من الامراء وخمسة من العامة في جيش يونس وقد حفظوا الامر سرّاً ليعرضوه على يونس عند سنوح الفرصة حتى اذا لم يسلم به قتلوه . فاطلع ابو عنجة على السر بعد وصوله بيومين فاستدعى اليه صاحب الدعوى واستنطقه عن دعواه في مجلس من القضاة

تَبَاحُ الشُّكُوكِ

والامراء فأجابه بكل صراحة وجرأة انه النبي عيسى وسأل أنصاره عن ذلك فأجابوه انه على حق وانهم مصدقون دعواه وثابتون عليها فزجهم في السجن وبعث هو ويونس الى الخليفة يفصلان له خبرهم ويستشيرانه في شأنهم بما نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبدین الذلیلین العاجزين حمدان ابي عنجة ويونس الدكيم الى سيدهما وسندهما ووسيلتهما الى ربها خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق « رضه » آمين ... سيدي انه لقد حدث عنا بمركز القلابات امر عجيب جلل وهو ان احد المجاهدين المدعو آدم ولد محمد البرقاوي من راية الحاج عبد الله البرقاوي ادعى زوراً وبهتاناً انه نبي الله عيسى بن مريم عليها السلام . وقد قام بهذه الدعوى من امد بعيد غير انه لم يظهرها إلا لبعض خواصه الذين يثق بهم سرّاً وأكد عليهم بعدم افشائها إلا لمن يثقون به وبذلك أضلّ كثيرين من أعيان السرية الذين أقرّوه على أمره وحالفوه على كتاب الله تعالى وما زال مستمراً على فعله غير مكترث لقيح عمله وكبير زلله حتى تكاثرت ما قد افتراه ووصل اليها خبره من بعض الاصدقاء وذلك في يوم الاربعاء في ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ فبعثنا في طلبه . وقبل حضوره حضر بعض أنصاره عبد الله البرقاوي ومحمد عمر المشهور بأبي القرشي ومهاجر اسماعيل وعيسى احمد والطبيب محمد بن البديري ومحمد احمد ابو ام فضالي المحري فسألناهم عن الامر فأقروا لدى المجلس المؤلف من جماعة من المسلمين وفيهم نواب الشرع الثلاثة وهم آدم ضو البيت وحامد بلوله وآدم علي وجميع العمال والنقبا وغيرهم . ثم حضر هو بذاته في المجلس فقلنا له : « أيها الاخ لقد بلغنا بأنك زعمت انك نبي الله عيسى وروح الله فهل ما نسب اليك صحيح أم هي اشاعة كاذبة لا اصل لها » ؟ فأجاب أيها الاخوان ان ما قد بلغكم حقيقي هو وأنا نبي الله عيسى فان لم تصدقوا بي الآن فلا تصديق لكم بعد هذا ثم قلنا له وما دليلك على ثبوت دعواك فأجابنا بأن الحق عز وجل أخبرني بأني نبي الله عيسى وكذلك الرسول ﷺ فقلنا له ان كان ولا بد من ذلك فاعلمنا في أي زمن

وبأي وقت اجتمعت بخليفة المهدي « عم » وفي أي محل صليت خلفه فان عندنا منه « رضه » اشارات نفهمك بها فان أنبأتنا بشيء منها فو رب المهدي « عم » وهذا الكتاب الشريف لنصدقن بك فيما ادعيته . فأجابنا بقوله يا هؤلاء انكم تلوذون الكلام وانني انا عيسى ومالي بغير هذا لكم من جواب فافعلوا ما أنتم فاعلون او خاطبوا في أمري خليفة المهدي « عم » ليعلمكم بحقيقي فانكم انتم لا تعلمون ووافقه على ذلك وزيره ابو القرشي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم وكذلك الطائفة احمد وهنون النيل الهباني ومحمد حسين بقاري ومحمد علي البرتاوي وداوود التاماوي وعبد الرحمن ابراهيم البرتاوي وعبد الله جاموس وعثمان احمد المنموس وجميع هؤلاء امراء رايات فحينئذ أخذتنا عليهم غيرة الاسلام وأمرنا بسجنهم جميعاً . ثم أحضرناهم ثانياً وأعدنا لهم السؤال عليهم يرجعون عما هم فيه فما زادوا إلا تصميماً وإصراراً عليه . فسالنا المتنبئ عن أبيه وأمه ومولده ومنشأه فقال اني من البشر مثلكم واني نبي الله عيسى بلا ريب ولكن ليس هذا أواني وليس لكم معي الآن من قول لأنني لأن ما أنذرتكم وعما قليل ترون صدق ذلك . ولشدة اعتقاد جماعته فيه وتصديقهم إياه كانوا لا يتكلمون في المجلس إلا عن اذن منه فلو سألناهم صدقوا عن الاجابة حتى يأذن لهم فاستأذنه احدهم مهاجر اسماعيل في الكلام فأذن له فقال ان دعوى هذا الرجل صحيحة وانه قبل هذا أخبرنا بأن هذا ليس أوانه . ثم سألنا المدعي عن شأنه في المهديّة فقال نحن وأنتم الآن فيها سواء تحت اشارة خليفة المهدي « عم » وتابعون اليه فعليكم بالايمان . وعلامة ستأتيكم الحبشة على جردتين فتقوت الاولى ويأتيكم الدجال في الثانية وهناك ترون المعجب من أمري ويتم لكم ظهوري فقلنا له ما شأنك مع خليفة المهدي « عم » فقال ان الخليفة عبد الله والخليفة علي عارفان بأمري وأما الخليفة شريف فلا علم له بي واني الآن تحت اشارة خليفة المهدي « عم » الى الوقت المعلوم . ثم ان مهاجراً المذكور اجاب ثانياً بقوله للمجلس يا أيها الاخوات ان الأنبياء والمرسلين والمهدي عليهم الصلاة والسلام المؤيدين من الله بالملائكة

تَبَاحُ السُّجُونِ

والأولياء والجن والانس فأول تأييدهم لهم هل هو ظاهري أم باطني فأجبناه بأنه باطني فأجبناه هل لكم من علم في الباطن فقلنا لا فقال هذا تأييده لعبده هذا . وقد طال الكلام وكثر المقال على هذا المتوال فأعدناهم الى السجن فقال بعضهم عند القيام الى السجن لا إله إلا الله محمد رسول الله ان هذا هو عيسى حقاً لا غيره لا تشرك به شيئاً . وحيث سيدي ان هذا من أهم ما يجب رفعه لباب السيادة وان ارباب هذه الدعوى امرأه رايات كما سلف ومن الضروري ان تكون عقيدة اتباعهم مثل عقيدتهم . وربما اذا داموا على ذلك او أمهلوا ودام لهم هذا المدعى ان يوقدوا نار الفتنة على غفلة ويحصل الفشل في الدين فقد قلناهم الآن بالحديد وتحاسرنا برفع هذا لتصدر لنا الاشارة الكريمة بشأنهم . أما صاحب الدعوى فانه مولود في برقوق وأمه فاطمة بنت خديجه وعمره ٢٥ سنة وهو أمرد لا لحية له ولونه أخضر الى صفرة أعجمي اللسان مفلج الاسنان السفلى مفتوح الوجه مربع القامة متوسط الجثة واسع الجبهة عظيم الرأس ونظر السيادة فيه كفاية والسلام ٢٩ ربيع اول ١٣٠٥ هـ ١٥ ديسمبر ١٨٨٧ م اه .

فاهتم الخليفة للأمر وكتب الى ابي عنجة في قتل المدعي في الحال وخيبره بين قتل الامراء معه والرفق بهم بالاعتصار على سجنهم . وأرسل مع الكتاب أربعة أمناء لتحقيق الخبر فعالموا وصل كتاب الخليفة نصب ابو عنجة المشنقة وشنق المدعي وأنصاره واحداً واحداً امام الجيش كله وذلك في صباح الخميس في ١٥ ربيع آخر سنة ١٣٠٥ هـ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٧ م . ثم قطع رؤوسهم وأرسلها الى أم درمان فعلقت في السوق . وكان الخليفة قد ألحق كتابه الاول بكتاب آخر يقول فيه « أما المدعي ووزيره فيقتلان في الحال واما الامراء فان رجعوا عن الدعوى يكتفى بسجنهم وإلا فليقتلوا » . فوصل هذا الكتاب بعد الكتاب الاول بثلاث ساعات وعاد الأمناء الاربعة الى الخليفة وأخبروه بملية الامر فلم يأسف على قتلهم ونشر منشوراً وزعه على جميع انصاره في الجهات يحذرهم من اتباع اهل الضلالة وما قاله فيه : « ... ان شخصاً في

القلابات أعظم الفرية على الله تعالى وادعى ضللاً وكذباً انه نبي الله عيسى مع انه معلوم الام والاب والقبيلة وساراً بذلك اشخاصاً ودعاهم الى تصديقه ومحالفته فصدقوه وحالفوه لضعف يقينهم فقال أمرهم الى الهلاك وقتلوا جميعاً باشارتنا وطهرت الارض منهم « ... » ومن الآن فصاعداً فأني من عثر على صاحب دعوى فليرفع امره الينا ويتبين خبره منا ولا يبادر الى تصديقه من عند نفسه فينقض عهده مع الله ورسوله ومهديه ومعنا ويخسر الدارين ويهلك أسوة بالهالكين ... » .

رجوع يونس الى أم درمان : هذا وكان الخليفة قد ارسل أبا عنجة الى القلابات على ان يكون قائداً عاماً لجميع جيوش المهدي فيها ويكون يونس الدكيم ممثلاً له في الادارة العسكرية فثقل الامر على يونس لأنه من اقرباء الخليفة ولم يكن أبو عنجة في الاصل سوى عبد من المنضلة ففرز جيشه عن جيشه ورفض الطاعة له . فاستدعاه الخليفة الى أم درمان وجعله ملازماً له الى ان ارسله عاملاً على دنقلة اواخر سنة ١٨٨٨ كما سيجيء وأبقى أبا عنجة عاملاً على القلابات ادارياً وعسكرياً . وكان قد ارسل معه كتاباً الى الملك يوحنا ملك الحبشة يدعوه من جديد الى طاعته ومما قاله له :

« ... » وبعد فان المهدي « عم » قد كاتبك وحثك على الدخول في ملة الاسلام فحصل منك الصدود والاعراض عن طريق الرشاد ثم نحن قد كاتبناك قبل هذا بمثل ما كاتبك به المهدي « عم » وأعلمناك بأنك ان لم تعمل طبق أمرنا فلا بد من حلول جيوش الاسلام بديارك ومناجزتك الحرب وقتل رجالك فما حصلت منك الى الله اقامة ولا لداعيه اجابة حتى غزا المسلمون بلادك فخرّبوا الديار وقتلوا الرجال وأحرقوا الكنائس والمدن الكبار وسبوا النساء وبنوا الاطفال وعادوا غانمين حائزين لرضاء ذي الجلال وصار اثم من هلك من اتباعك عليك ولو أجبت داعي الله لأجابوا معك تبعاً اليك . والحاصل ان ما مضى قد فات وما زلنا نريد هدايتك فيما هو آتٍ ودخولك

في دين الاسلام وانتظامك في سلك اصحاب المهدي « غم » ومن ثم حررتنا هذا ثانياً اليك قبل اعادة الكرة عليك فان رحمت نفسك بالدخول في ملة الاسلام والانتظام في سلك اتباع المهدي « غم » وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله نطقاً بلسانك واعتقاداً في جنانك وأقمت يجهتك شعائر الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من الاحكام فاعلم انك تكون منا وإلينا ونكف عنك المحاربة ويفقر الله لك جميع الآثام التي وقعت منك في زمن الكفر . وإلا فان كنت لم تزل على اعراضك عن اجابة داعي الهدى واصرارك على دين الكفر واتباع الهوى فاعلم انك تصير من الهالكين بقدرة رب العالمين إذ لا بد من حلول جيوش الاسلام بدارك ومناجزتك الحرب وقطع دابرك ... ، ولترد لنا منك الانادة بما تختاره من اعراض او اجابة وعلى من اتبع الهدى السلام سنة ١٣٠٥ هـ . اه .

غزوة حمدان الاولى للحبشة : فلم يحبه الملك يوحنا على كتابه كعادته فأمر أبا عنجة « فخرج لغزو الحبشة في ٩ يناير سنة ١٨٨٨ بجيش كثيف جعله اربعة ارباع وجعل على كل ربع اميراً وهم : احمد علي وعبد الله ابراهيم والزاي طمل وعربي دفع الله . وكان في كل ربع جماعة من اهل الاسلحة النارية والباقون من اهل السيوف والحراب فجعل اهل الاسلحة النارية صفاً واحداً واهل الرماح صفاً آخر وراهم كل ربع على حدة وكان هو وملازموه في الوسط وراه ربع الزاي طمل وله اشراف على الجيش كله حتى اذا ظهر له خلل في الارباع ولزمت مداركته أمده بملازميه . وأما الفرسان فقد جعلهم في الجناحين وجعل طليعة الجيش امام الكل . وسار على هذا الترتيب حتى أتى بلاد دمبيا من الحبشة فعات فيها فأخرب حلالها وقتل أهلها وغنم وسبى وعاد الى القلابات » وكتب الى الخليفة تفصيل غزوته بما نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد الحقير ذو العجز والتقصير حمدان ابي عنجة الى عيبي الدين ومدمر الكافرين وسفينة المؤمنين الموصلة لرب العالمين سيدي وسندي الى

تأريخ الإسلام

الله خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة الصديق « رضه »
وارضاه ونفعنا ببركته وأفسح في أيامه وأهلك أعداء الدين بماضي حسابه
آمين ... سبق فأخبرنا السيادة انه صار قيامنا على بركة الله تعالى من القلايات
الاثنين في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٠٥ ... فبعد مضي ثلاثة أيام من قيامنا
تناولنا اطراف دار العدو من جهة علفه فمرّ بعض الانصار بشجرة ذات ثمر
يؤكل ولكنها في ارتفاع عظيم وكانوا جوعاً فحاروا لا يدركون كيف يقتطفون
ثمرها وبينما هم كذلك اذ بها تدانت لهم باذن الله تعالى الى الارض بكليتها
فأكلوا جميعاً وشبعوا وحمدوا مولاهم على تلك الكرامة في الدين والانصار
المذكورون هم من جماعة الاخ علي فايت وقد قابلونا وقصوا علينا القصة . وفي
اليوم التالي أتى جماعة من الاخوان الرزيقات جماعة عيسى عبد الله على شجرة
بجذاء كنيسة الكفرة بالجهة المذكورة فتسلقها ثلاثة منهم وجعلوا يأكلون
فسألهم الباكون ان يناولهم من طلحها فلم يعطوهم كفايتهم فسا شعروا إلا
والشجرة قد خرت الى الارض فأكلوا وشبعوا ... هذا ولما تم لنا في المسير
تسعة ايام وصلنا دمبيا محل الكافر عدو الله النفس راس عدار (وهو الذي
صار ملكاً على كوجام باسم قله هيمنوت) فالتقتنا طلائع الفرسان في اول
البلاد فهزمنام وقتلنا منهم واستطردنا السير بقية يومنا الى الاصفرار فزلنا
قريباً من ديم أعداء الله ... ولما طلع فجر اليوم العاشر من خروجنا من
القلايات قوضاً على حالتنا المعهودة ورتبنا حزب الرحمن من الاسلحة والخيول
بحسب ما يسره الله لنا من علمه وقمنا بعد صلاة الصبح على بركة الله تعالى
قاصدين ملاقاته حزب الشيطان وعلينا من الله السكينة والوقار لا نؤمل إلا
لقاء الله ونصرة الدين فلما أشرقت الشمس قبل وصولنا لأعداء الله أخرج الله
تعالى نوراً عظيماً ساطعاً تجاه الشمس من جهة بحر هناك يقال له « بحر ابيض »
وعندما شاهدناه استبشرنا وخررنا من ظهور الركائب 'سجداً لله تعالى على
اسداء النعمة وفعل كذلك جميع الاخوان الذين معنا ... ولما تراءينا مع
اعداء الله الكفرة اذا هم من كثرتهم لا اول لهم يعرف ولا آخر يوصف

فابتدرونا ضرباً بمدافعهم الاربعة بمسافة لا يصلها الرمتون لزعمهم اننا نقف مكاننا ونبناوشهم مناوشة وما زالوا كذلك ونحن زاحفون زحفاً عليهم حتى ادللقوا علينا ١٦ قبلة ثم شرعوا بضرب السلاح. هذا كله والاخوان زاحفون عليهم يسبق بعضهم بعضاً اقداماً بلا احجام طمعاً فيما ينالونه من نفحات العزيز العلام . ولم نأذن لهم بالضرب الى ان حققنا بأن أفواه السلاح امتلأت من اعداء الله فعند ذلك شرعنا في ضربهم بغاية الحزم وشدة العزم مع الزحف عليهم فما كانت لهم ساعة إلا وقد زلزل الله أقدامهم وألحق الرعب في قلوبهم وانكشفوا عن وجوهنا مسرعين مرتكبين عار الفرار ذاهلين عن كل ما لهم من ذراري ونساء وخيول وبغال وحير وخدم وحشم ونحو ذلك . هذا كله والاخوان الصادقون يسمعون صوت الأم بأية تضرب في وقت اشتداد الحرب. وبعد انكشاف الاعداء اقتفينا أثرهم طعناً وضرباً وأسراً حتى اضطر الذين اماننا الى ان رموا بأنفسهم في النهر المذكور وكانوا يزيدون عن الف نفس من ذكر وأنثى فمات اكثرهم غرقى . وما رجعنا عن مطاردتهم الا بعد الساعة العاشرة من النهار ووجدنا الهالكين من اعداء الله الوفاً مؤلفة لا يحصي عددهم إلا الذي اراد هلكهم ولم يفز ببقاء الله من الانصار إلا نفر قليل كما يرى في الورقة الاخرى طيه . هذا وجميع الغنائم مع المدافع الاربعة وبعض السلاح الذي تيسر جمعه والخيول والبغال وغير ذلك اخذناه بفضل الله تعالى بلا منازع ولا معارض لأن الكفار تركوا الديم كما هو . وقد أعلننا نقاد رأس صابون من ثقة مسلمي الجبيرة الذي شهد معهم الواقعة وسلم بالفرار ان عدد الكفار مائتين وأربعين ألفاً بلا نقصان منها خاصة اهل الحربة والدرقة والسيف مائتين ألف وخمسة السلاح الرمتون اثنا عشر ألفاً والأجناس ثمانية آلاف والخيول عشرون ألفاً والمدافع اربعة . وأهل الديار التي تجمعت معهم لحربنا هم قجاس واجفر وعلفه وطماقسة ودمبيا وقندر وشقلته وشلعة وأم بجارة وارمجوه وغيرهم من عامة الديار . وقد هلك أكثر البطارقة والرؤوس ومن جعلتهم الشقي دجاج كاسة قائد جميع الجيش بعد الشقي

شَاجَ الشَّيْخِ

رأس عدار الذي حصلت على يده. وقعة القلابات . وهذه ثلاثة رؤوس مع رافعه وهم دجاج كاسة عقيد الحربة وبزابة بن الشقي رأس عدار وقداري يقرا عقيد السلاح وكان جملة من يقال له دجاج ستة عشر ومع كل دجاج خمسة عشر ألفاً أعني كل واحد صاحب جهة ونقارة وما أرسلنا هذه الرؤوس الثلاثة إلا لشهرة أربابها . ومن جملة الاسارى لدينا اولاد الشقي رأس عدار ذكوراً وأنثاء مع حرم وأولاد الرؤوس المفسدين بما فيهم بعض حرم وأبناء عدو الله المخذول صالح شنقة وغيره ...

« هذا ولما خلت الدار من الكفار وانتنت رائحة الدم من جيف أعداء الله ورمم بهائمهم انتقلنا على بركة الله تعالى طالبين قنبر ام مدائنهم يوم السبت في ٧ جمادى الاولى وقبل وصولنا اليها قابلنا اهل الديار المذكورة أعلاه راغبين الامان ورافعين الرايات البيض وفي ايدي البعض الاغصان الخضراء ثم لما قربنا اليها قابلنا جميع كبرائها من مسلمي الجبيرة بالطاعة والاذعان طالبين الامان فأمّناهم . وبعض المكاتبات التي قابلتنا منهم بالطريق، ها هي واصلة طي هذا . وجميع الكفار الساكنين بها ولوا مدبرين فدخلنا يوم الاثنين وجلنا فيها يمينا وشمالاً فأعجبنا بما شاهدناه من القصور الشاغات وأحرقنا فيها ٤٥ كنيسة ما عدا الكنائس التي أحرقناها بالديار المذكورة عند مرورنا بها وهي تزيد على ٢٠٠ كنيسة . فلما لم نجد بالمدينة المذكورة إلا المسلمين من الجبيرة (وكانوا نحو ٢٠٠٠) ولم نعلم جهة للعدو فلزيادة اشتياقنا لمخاطبات السيادة لانقطاعها عنا مدة غزوتنا هذه وايفاء بوعدنا السابق للسيادة عن تمجيل الأوبة قنا منها ومعنا جمع من الجبيرة بأموالهم وأولادهم مهاجرين لله والغنائم المتقدم ذكرها آنفاً . وسيتم وصولنا الى القلابات غداً ان شاء الله تعالى . ولعلنا بأن الافكار الشريفة متعلقة بنا قد بادرتا بتحرير هذا في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠٥ ٢٩ ٤٥ ١٨٨٨ م اه .

« تحشية : استقر ومع الرؤوس الثلاثة رأس رابع وهو رأس شيخ عموم

القائلة المدعو « أسوري قلا » كان بالعام الماضي شاهداً معهم وقعة العامل ابن ارباب « اه » .

غزوة خمدان الثانية للحبشة : وأقام ابو عنجة في القلابات نحو اربعة اشهر ثم دأقت نفسه الى غزوة اخرى للحبشة فخرج في ٧ شوال سنة ١٣٠٥ هـ ١٧ يونيو سنة ١٨٨٨ بطريق علفة وبعد ثمانية ايام من خروجه وصل محلاً يدعى تنكل فوضع الدِّيم فيه وأرسل البعوث يمينا وشمالاً فلم يجد أحداً على محاربتة وبلغه ان في مدينة ام بشارة رئيساً يدعى دجاج مشته قد جمع له فقصده ففر من وجهه فرجع الى تنكل . وفي رجوعه مرّ بدير عظيم في جزيرة من جزائر « بحر ابيض » فأمر الزاكي طمل وعبد الله ابراهيم فأحرقاه وقتلا من وجدا فيه من الرهبان والقسس ورجعا اليه فعاد الى القلابات فدخلها في ٧ الحجة سنة ١٣٠٥ هـ ١٥ اوغستوس سنة ١٨٨٨ « .

كتاب الملك يوحنا الى ابي عنجة في طلب الصلح : وكان الملك يوحنا في هذه الأثناء منشغلاً بالتليان الذين احتلوا مصوع وقد خشي على بلاده منهم فرأى ان يعقد مع الدراويش صلحاً ليتفرغ للتليان فكتب الى ابي عنجة كتاباً بالحبشية والعربية يدعوه الى الصلح بما نصه :

« نقش خاتمه : ملك الملوك يوحنا ملك صهيون الصليب بالحبشة غلب أمة اسماعيل .

« رسالة من المؤيد من الله يوحنا ملك صهيون ملك ملوك الحبشة - فصل الى المعظم دجاج ابي عنجة . اول سؤالنا عن صحتك وسلامتك عسى ان تكون بخير وعافية . نحن الآن مع جميع الجيوش والامراء والوزراء بخير بمعونة الله والأولياء الأبرار والله العظيمة والحمد دائماً لأن رحمته دائمة الى الابد . قبل تاريخه بخمس عشرة سنة حكم الترك بلادكم الى حدود المتعة . وقد أرادوا ان يحكموا بلاد التيفرى فأتوا بطريق مصوع ودخلوا بلاد هماسين فحاربناهم وأعطانا الله القوة فظفروا بهم وهزمناهم مرتين . وبعد ذلك فيا نحن في مدينة

تأريخ الشيعة

استمر حاكمين الاسلام بالايمان المسيحي كتب الينا المهدي كتاباً يأمرنا بالدخول في دين الاسلام ففضبنا وأرسلنا «حربة» الى مدينة المتمة فأهلكنا من الخلائق عدداً جزيلاً . ثم حضرتم أنتم الى بلاد دمبيا وحاربتم وغلبنتم من غلبتموه وبهذا السبب هلكنا المساكين . والآن فاذا انا حضرت الى بلادكم وأهلكنا المساكين ثم جئتم أنتم وأهلكتم المساكين فما الفائدة في ذلك . ونحن ليس لنا ارادة على التعدي من حدودنا الى حدودكم فلا يكن لكم ارادة على الخروج من حدودكم الى حدودنا بل نحن وأنتم نكون ساكنين جوساً ببلادنا فلا تهلك المساكين في الباطل . والواقع ان الافرنج أعداء لنا ولكم فاذا غلبونا وهزمونا لم يتركوكم بل أخربوا دياركم واذا غلبوكم وكسروكم فعلوا بنا كذلك . فالرأي الصواب ان نتفق عليهم ونحاربهم ونغلبهم ويتردد التجار من اهل بلادنا بالتاجر الى بلادكم وكذلك تجار بلادكم تتردد الى غنندر لأجل المعاش والمكاسب لأهلكم ولأهلنا . فاذا صار كذلك فهو غاية المنفعة لنا ولكم لأنكم أنتم ونحن في الاصول السابقة اولاد جد واحد فاذا قاتلنا بعضنا بعضاً فماذا نستفيد فالافضل والاصوب لنا ولكم ان نكون ثابتين في المحبة جسداً واحداً وشخصاً واحداً متفقين بعضنا مع بعض ومتشاورين بالمشورة الواحدة ضد اولئك الذين يحضرون من بلاد الافرنج والترك وغيرهم الذين يريدون ان يحكموا بلادكم وبلادنا مزعجين لكم ولنا اولئك اعداؤكم وأعداؤنا نحاربهم ونهينهم ونحرس حدود بلادنا وممالكنا منهم . هذه هي مشورتنا العظمى لمن يسمع وينظر فيفرح ويبتهج . وايضاً قبل تاريخه بنحو خمس سنوات ونحن في امباجاره طلب الطليان التوجه الى سنهيت وكسلا وطلبوا منا خبر السكة والمعاونة قائلين لنا الانكليز من هناك ونحن معكم من هنا نحارب الدراويش ونهلكهم فنعتهم من ذلك وما مكنتهم من شيء وقلت لهم أليس الناس نامي وهم بلاد واحدة معنا وجبهة واحدة فنمتهم من ذلك منعاً باتاً ولهذا السبب ضارت المداوة معهم الى الآن فليكن ذلك معلوماً لديكم في ١٧ كيهك سنة ١٨٨١ مسيحية . اه ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م .

جواب ابي عنجة للملك يوحنا : فأجاب حمدان ابو عنجة بكتاب فقط
هذا نصه :

« وبعد فمن عبد ربه قائد جيوش الاسلام لتدمير الكفرة اللثام حمدان
ابي عنجة الى يوحنا بالحبة . انه لقد وصلنا جوابك عربياً وعجمياً تاريخه
١٧ كيهك سنة ١٨٨١ مسيحية وفيه تعرفنا بملك الترك سابقاً لبلادنا الى حدود
المنة وما قد حصل لهم فيما بعد . وانهم لما أرادوا الدخول في بلادك منعتهم
منها وهزمتهم مرتين . وان سيدنا الامام المهدي « عم » أرسل اليك جواباً
يدعوك فيه الى الاسلام ففضبت وأرسلت الى المنة من حاربها وكان ما كان
من امر الله ثم توجهنا نحن الى بلادك وكان ما قد كان بأرض دمييا وعلى ان
يقف كلا منها على حده وينعقد الصلح بيننا ويكف الحرب ونكون اخواناً
واعواناً على من يقصدنا من دول الافرنج والانكليز وان يتردد بيننا وبينكم
التجار بتاجرم فذلك الذي رأيتوه صواباً ولعدم الثمرة في المحاربات وهلاك
المساكين الى آخر ما عددته لنفسك من المزاي والتظاهرات الباطلة فهناه وما
سأوضح لك ما ظهر لمهديننا « عم » من الكرامات وخوارق العادات فلعلك
ان عقلتها تكون لك أكبر عبرة (ثم عدد له الوقائع التي فاز بها المهدي
وخليفته من بعده وقال) : وأما غضبك من جواب سيدنا المهدي « عم » فهو
من أعظم الشقاء عليك ولقد رأيت ما حل بمن جاء الى المنة انتقاماً من عند
الله تعالى فاذا لم تعتبر به فتكون انت ان شاء الله عبرة لغيرك . وما كان
بالمنة سابقاً إلا التكاير الذين يحرثون الارض ويستعملون القطن ولكنها الآن
امتلات ليوناً ضواري يقاوم الواحد منهم عشرة من الكفار وجميعهم بايعوا
الله ورسوله ومهديه وخليفته من بعده عهداً وثيقاً على الموت في سبيل الله
ابتغاء وجهه الكريم فان لم تعرفهم فستعرفهم غداً فانه ما جاء بهم الى هذه
الجهة حب مال ولا جاء بل جاؤا لقطع دابرهم وجميع الكفار فانتبه من الغفلة
واصح من النومة وفق من السكره ولا تفرنك جموع الشيطان التي لم تقن
عنك من الله شيئاً وفيما سبق عبرة لأولي الألباب . فأما نداؤك لي في صدر

تَبَاحُ الْيَسْوَكَاتِ

الجواب بقولك دجاج ابو عنجة فاعلم اني لست بدجاج وانما انت الدجاج لكفرك وتماديك على غضب باريك . وأما طلبك الصلح منا وأنت باقي على كفرك فبعيد بعد المشرقين ودليل على ضعف عقلك وفراغ ذهنك فيما لك من سفيه وبإا لك من جاهل أتريد منا صلحاً ومؤاخاة ولم تدخل في الدين الحق وكتاب الله ناه عن ذلك . فان رمت الصلح فقل مخلصاً من قلبك أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وإلا فإننا نقاتلكم ونحرب دياركم وتقيم باذن الله أطفالكم ونغنم أموالكم كما وعدنا الله ذلك في كتابه العزيز اذ انه لا قصد لنا في الدنيا وما هي لنا بدار وانما هي دار الكفار اهل الذل والصغار ودارنا هي الآخرة ذات الدرجات الفاخرة ولم تكن اقامتنا هذا لخدمة قُبُر ولا جمع رزق وانما هي لجهادك وجهاد أمثالك في رضاء الله . فحيث انت والطلبيان والافرنج ومن والاك الله أكبر عليكم جميعاً فيما بيننا وبينكم إلا السيف ما لم تؤمنوا بالله وحده فان آمنت فذلك الذي نريده وإلا فاتخذ لك داراً غير التي انت فيها فلا بد ان تتجلى عنها قريباً . واعلم انه لا حد لنا نقف عليه إلا بيتك خاصة حيث جاهرت بكفرك وخالفت مهدي الله خليفة الرسول وسيف الله المسلول فان كنت ذا قوة وشجاعة كما تزعم فأقدم علينا ولا تحجم اذا ما أخرجك كل هذه المدة إلا شدة الخوف واذا لم يكن ذلك فأنبت في محلك فلا بد لك من الهلاك عن يد حزب الله الغالب وجنده المفلح فأولى لك الانابة الى الله ومداركة عمرك قبل فواته فسلامتك في الاسلام وعطبك في ضده فإياك ان كنت باكياً على نفسك فقد حان ذهابك ولن يتعظ شقي مثلك إلا بنفسه وما قد نصحت لك وأندرتك فأنب الى الله او بوء بغضب من الله ورسوله فقد هيا مقعدك من النار وبئس القرار وفي هذا كفاية والسلام على من اتبع الهدى جهادى الاولى سنة ١٣٠٦ هـ يناير سنة ١٨٨٨ م .

غزوة الملك يوحنا القلابات : فلما اطلع الملك يوحنا على كتاب ابي عنجة طار صوابه وصمم على طرد الدراويش من القلابات ومطاردتهم الى ام درمان فأرسل الى جميع مدائن مملكته باستنفار الجيوش فاجتمع عليه نحو ٢٥٠ ألف

مقاتل ومعهم من الرؤوس والأعيان الراس عدار والراس الوله وهيل مريم وصالح شنقة وغيرهم من مشاهير دولته الابطال فقادهم وزحف بهم قاصداً القلابات .

تحصين القلابات : وعلم ابو عنجة باستعداده فشرع في تحصين القلابات فأحاط الديم بزريبة مربعة متينة ومن داخلها متراس بغاية الحصانة وأقام من داخل المتراس سوراً طول الجانب منه ١٧٠ متراً لوقاية العائلات والنخائر والشون وجعل الزريبة اربعة أبواب على كل باب مدفع .

وفاة ابي عنجه في ٢٩ يناير سنة ١٨٨٩ : وقبل ان يتم زريبته أصابته حمى فقضت عليه في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ هـ ٢٩ يناير سنة ١٨٨٩ م فبكاه أصحابه والجيش كله لأنه كان محبوباً من الجميع وكان طويل القامة غليظ الجثة قوي البنية خفيف اللحية أشيها اسود اللون حتى تظنه عبداً لكنه كان مهيباً عادلاً حسن الخلق سديد الرأي ونقش خاتمه : « وفق يا ذا القدرة عبدك حمدان ابو عنجة » . وكان أشد قواد المهدي باباً وأكثرهم جرأة وأطوع الى الخليفة من بنائه لذلك حزن عليه حزناً شديداً ونعاه الى جميع امرائه في السودان . وقد رثاه محمد المجذوب بن الطاهر بقصيدة منها :

حمدان انك طالما سمعت العدى ذلاً وذكرك في المحافل يرفع
ما وُجِّهَتْ رايات نصرك وجبة إلا وبالظفر المؤكد ترجع
فلك الهنا بلقاء ربك شاهراً سيف الجهاد وكل قرم تقمع
فسحائب الرضوان تغشى تربة ضمتك ما نجم يغيب ويطلع

عمالة الزاكي طمل على القلابات سنة ١٨٨٩ :

واقعة القلابات في ٩ مارس سنة ١٨٨٩ وموت الملك يوحنا : هذا وكان ابو عنجة قبل وفاته قد سمى الزاكي طمل خلفاً له على جيوش القلابات فنازعه الرئاسة اجدعي من أخص رجال التعايشي وكاد الامر يفضي الى وقوع

الفضل في الجيش فأرسل الخليفة القاضي احمد علي وبعض أخصائه فثبتوا الزاكي طملاً في الرئاسة . فأتى الزبينة التي شرع فيها أبو عنجة وصف عليها المقاتلة وقد بلغوا نحو ٦٠ ألفاً ومعهم ١٢ ألفاً بندقية رمنتون و ٣٥٠٠ بندقية من اجناس شتى والف جواد . ويوم السبت في ٩ مارس سنة ١٨٨٩ وصل الملك يوحنا القلابات يحموشه الجرارة وانتشبت حرب هائلة ظل النصر فيها في جانب الاحباش حتى جرح الملك يوحنا جرحاً مميتاً فحمله رجال حاشيته وخرجوا به من الموقعة فوق الفضل في الاحباش اذ ذاك وانهمزوا شر انهزام . وتبعهم الزاكي في اليوم التالي فأدركهم على الاتبرة يوم الثلاثاء في ١٢ مارس فأوقع فيهم واقعة شديدة قتل وغنم وسبى وعاد الى القلابات وبعث الى الخليفة في تفصيل الواقعتين بكتاب طويل هذا نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد الحقير المعترف بالمعجز والتقصير الزاكي طملاً الى سيده وسنده ووسيلته الى ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق رضي الله عنه ونفعنا به آمين . بعد ان يهدي العبد الى سيده جزيل السلام ويقبل أياديه الكرام يعرض للأعتاب العلية والمسامع الزكية ما حصل بحول الله وقوته من عظيم البشارة بتأييد الدين وقطع دابر أعداء الله الحبشة الكافرين وهو انه بعدما سبق العرض للسيادة عما بلغنا من حضور أعداء الله الحبشة لحاربتنا فقد تم وصول الأعداء المذكورين يوم السبت في ٦ رجب ومعهم أنفسهم الهالك الملعون يوحنا قريباً منا فكانوا على حالة عجيبة وقوة شديدة وجموع كثيرة العدد عظيمة العدد لا يحصى مقدارهم إلا الله تعالى حتى من شدة كثرتهم ضاقت بهم الأرض وما يستقيم الطريق فصاروا يطلقون الحرائق امامهم لتنظيفها ولقد رأينا نيرانهم من مسافة ثلاثة ايام فلما قربوا من المركز مسافة ساعتين تار الغبار من جهتهم حتى سد الافق وصار من في ديم الانصار لا ينظر من يكون بجذائمه من شدة ثوران الغبار وانتشاره . وعندما شاهد الانصار ذلك أظهروا من الثبات والصبر والشهامة والاشتياق الى لقاء الله والوفاء بالمهد ما هم به حريون وبقينا مترقبين ومستعدين على الحالة

المهودة ومنتظرين قدوم الأعداء الى ميدان الحرب لمناجزتهم وقطع دابرهم فحضروا البنا في ألوف مؤلفة وعدد متنوعة ومعهم من الخيول والأسلحة والبغال ما لا يحصى وقد ساقوا أمامهم الوحوش كالجواميس والذئاب والغزلان وخلاف ذلك وأحاطوا بنا من كل جانب حتى صرنا في وسطهم كالحاتم الصغير وهم في غاية الغرور والاعتماد على كثرتهم العارية من المعونة الإلهية وكان عدد الانصار اهل الأسلحة النارية اذ ذاك سبعة عشر ألفاً بخلاف الحراية لكون الأعداء المذكورين أوثنا على حين غفلة قبل التمكن من جمع جيوش الانصار المتفرقة بالجهات في المصالح . فبعدما أحاطوا بنا من كل جانب ومعهم نقسم الملعون يوحنا يحشم ويحرضهم على القتال ويمنيهم بحسب ما يلقيه اليه الشيطان وتسوّل له نفسه الخبيثة من القدرة على اطفاء نور الرحمن ابتدروا بضرب المدافع والأسلحة النارية من كل الجهات وحملوا علينا حملة ارتج لها الكون وصار لهم دوي عظيم وأصوات مختلفة من ضرب الأسلحة المتنوعة والانصار في تلك الحالة في غاية الثبات والصبر وقوة العزم وعدم الاكتراث لكثرة الأعداء وجموعهم ولم يسبق لأحد مصادمة نظير هذه فيما نعلم في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . فعندما ابتدروا بالضرب عاقبنام بضرب المدافع من كل ناحية وصبرنا لهم حتى «ملأوا أفواه الأسلحة» فتوكلنا على الله وضربناهم ضربة رجل واحد واستمر اطلاق الأسلحة النارية من الجهتين وتواتر حتى ارتجت الارض من أصوات الأسلحة واسود النهار وصار كالليل المظلم من تراكم الدخان والغبار في الجو وكأنما السماء قد أطبقت الارض من عظيم ما حصل والانصار وقتلوا جزام الله خيراً مع قتلهم بالنسبة الى كثرة جموع الأعداء في غاية الثبات والصبر والاقدام والشهامة والبسالة وشدة الوطأة على أعداء الله ضرباً بالأسلحة وطعناً بالرماح وقطعاً بالسيوف واستمر الحرب بيننا وبينهم نحو خمسة ساعات بحيث لم يكن في أثنائها فاصل بين الضرب بالأسلحة والالتحام مع الأعداء . وبعد ذلك أنزل الله علينا نصره وأنجز لنا وعده وزلزل أقدام أعدائه فولوا هاربين وعلى أعقابهم ناكسين بعد ان أهلك الله تعالى الملعون

يوحنا وجماعة من رؤساء دولته ووزرائه وأهلك من جموعه ألوف مؤلفة حتى امتلأت الارض من جيفهم الخبيثة وجيف خيولهم وبغالهم . وبعد انكشافهم عن وجوهنا أخذوا نقسهم الملعون يوحنا وأدخلوه في صندوق وأشاعوا انه حي ولكنه مجروح جرحاً خفيفاً وحملوه معهم وفروا هاربين ولعار الفرار مرتكبين . وبالنظر لكون الانصار جزاهم الله خيراً ما انتبهوا في حالة التحام الحرب مع الاعداء لشيء سوى مصادمتهم وقطع دابرهم ولم يشغلهم عن ذلك شهيد ولا جريح حتى كشفوهم وصدوهم على أعقابهم فنحن بعد هرب الاعداء شرعنا في دفن من أكرمهم الله بالشهادة من الأنصار وهم عدد يسير وتميز المجاريح وكان ذلك ليلة السبت ويوم الاحد .

و ثم تجهزنا بما لزم من الاستعداد واقتفينا أثر الاعداء المذكورين في صباح الاثنين وجددنا السير في طلبهم وأدركناهم عشية يومنا هذا على بحر اتربرة نازلين وبايتناهم هناك فطلعونا في تلك الليلة بجانب من خيولهم فحملنا على طلائعهم فانهمزوا . فلما أصبحنا بيوم الثلاثاء الموافق ٩ رجب (والواقع ١٠ رجب ١٢ مارس) ناجزناهم الحرب فانكشب القتال بيننا وبينهم فثبت لهم الانصار ثبوت الرواسي واشتد الحرب وعظم الخطب واستمر الحال على ذلك ست ساعات فانكشفوا عن وجوهنا منهزمين لا يلوي منهم احد على احد لشدة ما رأوه من سطوة انصار الدين وذلك بعد ان اهلك الله منهم كل من يقال له رأس او دجاج من الباقيين بعد الواقعة الاولى فاقتفى الأنصار أثرهم ضرباً وطعنات حتى استأصلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا الهارب وقد غنمنا جميع ما معهم من الاسلحة والمدافع والجباخين والخيول والبغال وبقية الامتعة . وبعد استئصال المنهزمين صار تفقد الهالكين من رؤساء الكافرين بواسطة من لهم المعركة التامة بهم فوجدنا عدو الله الهالك النقس يوحنا مقتولاً في الواقعة الاولى كما ذكرناه آنفاً مدخلاً في صندوق مشمع يبطن خيمته وعلى صدره صليب من ذهب كان يعبده من دون الله ومعه ايضاً أفخر ملابسه وبعنقه العتبة التي يتخذونها وعليه أنواع من الادوية لئلا يمتزق ففي الحال .

كتاب الشهادتين

أخرجناه من الصندوق وحزنا رأسه ورفعناه على قناة فاستبشر الانصار بذلك وحدوا مولاهم على تلك النعمة العظيمة ثم أرسلنا رأس الهالك يوحنا المذكور ورؤوس وزرائه كرأس الوله وغيره لصوب السيادة اعلماً بتأييد الدين ودمار الكافرين ومعها تاج المملكة الذي للعلمون المذكور وخيامه ونحاساته وغير ذلك من أمتعه الخاصة به . وبعد ان فرغنا من مكافحة الاعداء وقطع دابرهم تفقدنا من أكرمهم الله بالشهادة من الانصار في تلك الواقعة فوجدناهم عدداً يسيراً بالنسبة الى الأعداء وقلة الانصار واستمرار الحرب وفرحنا لهم بما نالوه من حسن لقاء الله ودفنناهم ورجعنا الى المركز سالمين غانمين . ثم من جملة ما رأينا من الكرامات في حال انتشار الحرب مع الاعداء المذكورين ان كثيراً من الانصار سمعوا صوت ام بابه وشاهدوا خليفة المهدي « عم » ذاته امام الاصحاب وبعضهم رأوا رايات بيضاً بأيدي رجال نازلين من السماء يقتلون في الاعداء فضلاً عن مشاهدة التهاب النار في اجسام أموات الكفار من محل الطعنة حتى تعم الجسد كافة وغير ذلك من البشائر والكرامات التي لا يمكن استقصاؤها فهذا ما كان لنا مع أعداء الله الهالكين في كلتا الوقعتين . اما الانصار ففي كل يوم يلتسمون منا التوجه لغزو الحبشة في بلادهم وما يمكننا ان نجيب التماسهم إلا بعد تشریفنا بصدور امر كريم للتبرك به والعمل بما فيه . وبالنظر لما هو واجب علينا من رفع الاحوال مفصلة لولي امرنا فقد حررنا هذا اداء للواجب علينا ولا شك ان جميع ما حصل من هلاك الكافرين ونصرة الدين فهو من عناية الله وتأييده لخليفة مهديه عليه الرضوان فنسأل الله تعالى سيدي يجاهكم عنده ان يمنحنا رضاكم في الدارين ويعمنا بعفوكم في كل حين ويوقع في قبضتكم كل معاند من الكافرين انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير هذا والسلام في ١٠ رجب سنة ١٣٠٦ هـ ١٢ مارس سنة ١٨٨٩ م .

وكتب اليه كتاباً آخر في التاريخ نفسه يقول : « ... سيدي ان بعض خيالة الأعداء وجدوا لهم منفذاً من جهة المكرم احمد علي وأخذوا بعض « عوائل » الانصار ... وقد فاز بالشهادة من انصار الدين جهادية واولاد

تأريخ الشيعة

عرب جماعة ما أمكن حصرهم وفيهم عشرون رجلاً من اهل الرايات وأكثرهم من راية المكرم احمد علي ... وعند دخول الأعداء في الدير ساعة المصادمة أثاروا فيه الحرائق بقصد نهب الأمتعة ... » .

وفي كتاب ثالث بتاريخ ١١ رجب سنة ١٣٠٦ هـ ١٢ مارس سنة ١٨٨٩ م يقول : « ... سيدي ها هو برنس عدو الله الملعون يوحنا من الحرير الأخضر المرصع بالذهب والجواهر ومعه عراقية ملطخة بدمه وخاتم الملعون راس الوله ذهباً بفصّ احمر ... » .

وفي كتاب رابع بهذا التاريخ يقول : « ملحق بما سبق ذكره من أشياء الملعون يوحنا : طاقية ذهب خالص تساوي ٤٠٠ اوقية وصليبان من فضة وذهب ومركوب قطيفة وسوار كبير فضة ... سيدي ان هذه الأشياء أحضرها الانصار بعد تحرير الكتب المرسلة مع هذا وها هي واصلت للسيادة مع رافعه عبد الكريم لغرابتها ليراها أنصار الدين ويحمدوا الله على ما أولاهم من النصر المبين ... » .

وكتب اليه في ١٤ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ ١٥ ابريل سنة ١٨٨٩ م يقول : « ... بحسب ما ورد لنا من سيادتكم يجمع الاسلحة التي غنمناها من أعداء الله الحبشة أكدنا على الاصحاب في احضارها فحصلنا منها الى الآن ١١٨٦ بندقية من رمنتون وايبى لفنة وخشخان وشيئا قليلا من الجبخانه كما ترون في الكشف طيه ... وقد حفظنا الجميع في منزل سيدنا المرحوم حمدان ابي عنجة الى ان تصدر الاشارة الشريفة بشأنها ... » .

فطبع الخليفة كتاب الزاكي الاول في مطبعة الحجر ووزعه على أنصاره في جميع البلاد اشهاراً للنصر على الاحباش . ولكن الراس الوله لم يقتل كما جاء في كتاب الزاكي . وجاء مصر وقد من الحبشة سنة ١٨٩٩ لأخذ مطران لمملكة كوجام وكان احد اعضاء الوفد غبريل بفطر قد حضر واقعة القلايات فسألته عن الواقعة وموت الملك يوحنا فقال : « كنا قد انتهزنا في بادئ الامر حتى اخترقنا زريبة القلايات وكدنا نستولي عليها فأصابنا الملك يوحنا رصاصة

طائشة اختزقت ذراعاه ودخلت صرته فجزعته جرحاً مميتاً فحمله رجال حاشيته الى الخيام فطلب ابنه الراس منقشا وقال له ان جرحي قتال فشد حيلك واجمع رجالك وارجع الى بلادك فرجع في مقدمة الجيش والملك يوحنا معه محمولا على سرير حق وصل دير محبته سلاسه على نحو يومين من المتمة فثقل حال الملك ومات الاحد مساءً وكان قبل موته أوصى ان يدفن في الدير المذكور فدفن فيه صباح الاثنين في ١١ مارس سنة ١٨٩٩ . وفي اليوم التالي لحق الدراويش ساقه الجيش عند فرع للابرة يعرف بنهر الكلب فأوقعوا فيهم وكان معهم جثة هيلامريم من وزراء الملك يوحنا فأخذوها وذهبوا بها ظانين انها جثة الملك .

هذا وكان أقوى ملك في الحبشة بعد الملك يوحنا الملك منيلك ملك شوا فلما بلغه خبر وفاة الملك يوحنا أشهر نفسه ملك ملوك الحبشة وعقد صلحاً مع الطالبان ثم نقضه وكانت بينه وبينهم وقائع مشهورة يأتي ذكرها في تاريخ الحبشة .

وقائع كسلا سنة ١٨٨٩ :

تقدم ان عثمان دقنه قبل رجوعه الى ثماي سمي ابن اخيه محمد فاي أميراً على كسلا فضرب الزكاة على الماشية بأكثر مما تحمله الأهليون وحبس محمد ابن الشيخ موسى ناظر الهدندوة لتقصيره في تأدية الزكاة فضج الهدندوة لذلك ورفقوا الامر الى عثمان دقنه ولما لم يجيبهم تجمعوا برئاسة بلال السمرندواي ودخلوا السجن وأخرجوا محمد موسى منه عنوة وكتبوا الى الخليفة يطلبون عزل محمد فاي من كسلا وتسمية عامل عليهم غير عثمان دقنه . فاستدعى الخليفة عثمان الى أم درمان برسالة عن ذلك ففتد شكوى الهدندوة وتزلف الى الخليفة فثبته في مركزه وأصعبه بجيش كبير فيه نحو ١٠ آلاف من اخلاط البقارة والجمعيلين والدافلة بقيادة محمد عثمان ابي قرجة . وبلغ الهدندوة ان الخليفة أيتد عثمان دقنه على عمالته فتجمعوا في أم قروفه على ١٦ ساعة من

كسلا مصممين على القتال فخفف الفقيه علي بن حامد الجيلاني الى ام درمان وأخبر الخليفة بالذي عليه الهدندوة فتلافى الأمر وكتب الى ابي قرجة ودقنة ان يأخذ احدهما منصب الآخر فجعل دقنة امير الجيش وأبا قرجة عاملاً على القبائل وكتب الى القبائل النافرة منشوراً بتاريخ ٢٣ صفر سنة ١٣٠٤ هـ ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٦ قال فيه : ... فان كان ما جرى منكم من الاعراض عن طريق الهدى والرشاد سببه كما بلغني ما أصابكم من الحبيب عثمان أبي بكر دقنة من الضرر وعدم المراعاة ومعاملتكم بالشدة وانكم ما زلتم على طاعتكم لأمر المهدي ... فاعلموا أنا قد عينا لكم من طرفنا الحبيب محمد عثمان أبا قرجة لمباشرة اموركم وراحة بالكم ورفع الضرر عنكم والسير فيكم بمقتضى السنة الحميدة والطريقة المهديّة . وأرسلنا معه قاضياً شرعياً وعضدناهما برجال من أمناء الدين والاصحاب السابقين وما تركنا للحبيب محمد عثمان المذكور من التوصية والرفق بكم شيئاً وسيعمل فيكم بمقتضى وصيتنا وبمعاملكم بالعدل والفضل ولا يأخذ منكم غير الزكاة المفروضة عليكم في كتاب الله وسنة رسوله

فرضي الهدندوة بذلك . وحال وصول ابي قرجة الى كسلا بثّ المقادير في أنحاء البلاد فعدّ الانتفس والمواشي وشرع في جمع الزكاة على ما يفرضه الشرع الاسلامي . وكان محمد فاي قد هجر بندر كسلا ونزل في ديم توكر فالتحق ابو قرجة بحلجة القطن البخارية للتاجر عمر أغا خارج البندر ديماً له . وسمى الخليفة علي حامد المذكور آنفاً عاملاً على جهات سواكن وبني عامر والحباب فنزل في طوكر وكتب الى اهل سواكن في ٧ يناير سنة ١٨٨٧ م يدعوهم الى الطاعة فلم يجبه احد .

وقائع سواكن سنة ٨٦ : ١٨٩١ م :

احتلال عثمان دقنة لهندوب : هذا وكانت الحكومة في سواكن لما علمت بذهاب عثمان دقنة الى ام درمان اوعزت الى محمود علي شيخ الامارار فهجم بنفر من رجاله على ديمه في تمّاي في ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٦ فقتل جماعة من أهله

وأمر آخرين . وبلغ عثمان الخبر وهو في طريقه الى كسلا ولكنه انشغل بالهندوة مدة . وفي اوائل نوفمبر سنة ١٨٨٧ أخذ جانباً من جيش كسلا وأتى هندوب على ١١ ميلاً الى الشمال الغربي من سواكن وأرسل بعضاً الى بلاد الامارار للأخذ بشار اهله فالتقام في مكان يدعى دارة فقتل وسبى وعاد الى هندوب . ثم أرسل بعضاً آخر بقيادة شائب الدنقلوي فأوقع فيهم في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨م قرب محل الواقعة الاولى فقتل منهم نحو ٥٠٠ رجل وفيهم محمد شيخ اخو شيخ الامارار .

واقعة هندوب في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ : وكان المحافظ على سواكن في ذلك العهد ككتشر باشا فلما علم بخروج سرية شائب من هندوب رأى ان ينتهز الفرصة ويهاجم عثمان وهو في قلة لعله يظفر به ويريح السودان الشرقي من شره فاستأذن مصر وخرج من سواكن الساعة الاولى بعد نصف الليل في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ ومعه ٥٠٠ رجل من الامارار والعساكر السودانية والباشبوزق والبوليس ونفر من السواري والهجانة فلما صار على ٣ اميال من هندوب وقف ينتظر بزوغ الفجر وهو يظن انه على ميل واحد منها . وفي الساعة ٤ والدقيقة ٥ أمر المشاة بقيادة محمد بك احمد مأمور بوليس سواكن فخفتوا نحو هندوب وسار هو في اثرهم بالفرسان والهجانة متمهلاً . وكان عثمان دقنة مديماً في زريبة متينة بين سلسلة من الاكام عن اليسار وأكمة منفردة عن اليمين ومن ورائه بلدة هندوب ومن امامه غابة من الأشجار فكان المشاة في الغابة الى ان بزغ الفجر فخرجوا منها وهجموا على عثمان وهو يصلي بأنصاره خارج الزريبة فانهزموا مذعورين تاركين أسلحتهم في الزريبة فطاردهم العساكر الى بلدة هندوب . وكان ككتشر قد اوعز الى العساكر السودانية بمطاردة عثمان ذاته فأتوا محلاً في البلدة ظنوا انه يلجأ اليه فرأوه من بعيد فأرأ على جبل سريع ولكن انصاره تجمعوا بعد الشتات فرساناً ومشاة وداروا حول الأكمة المنفردة ورجعوا الى الدِّم فأخذوا سلاحهم وأوقعوا الفشل في المباركة فأمسرع ككتشر اذ ذاك الى نجدتهم وضرب البوري فاجتمعوا عليه فهاجم الزريبة بجميع

رجالاً فأصابته رصاصة في وجهه فجرحته جرحاً بالغاً اضطره الى ترك القتال فعاد بالعساكر الى سواكن وقد خسر ١٠ عساكر قتل و ١٩ عسكرياً و ٣ ضباط جرحى .

واقعة شكسبير : وعاد عثمان الى ديبه فأرسل جماعة من انصاره في ٣ مارس على سواكن فنزلوا على مسافة ١٩٠٠ يرداً منها وأخذوا يرمونها بالرصاص . وكان ككتشر اذ ذاك قد ذهب الى مصر بسبب جرحه وتاب عنه الماجور شكسبير فخرج عليهم في صباح ٤ مارس ببعض العساكر فردوه خاسراً وعادوا الى ديبهم في هندوب ولما بلغ ككتشر خبر هذه الحادثة أسرع الى سواكن وكان لم يزل متألماً من جرحه فلم يمكث إلا القليل حتى عاد منها عليلاً وتاب عنه الماجور رندل رفيقه القديم الى ان رقي الى منصب ادجوتانت جنرال فسمى هولده سمث باشا محافظاً على سواكن فأخذها من الماجور رندل في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٨ .

تولية حامد علي عاملاً على كسلا وذهاب ابي قرجة الى هندوب :

هذا وكان عثمان دقنة بعد واقعة هندوب قد ارسل الى الخليفة في طلب المدد . فأرسل الخليفة حامد علي من أخصاء رجاله عاملاً على كسلا وكتب الى ابي قرجة فأتى هندوب في اوائل ابريل سنة ١٨٨٨ فوجد الاقامة فيها شاقة لقلة ماؤها وعدم وجود الغلال فيها فأشار على عثمان بنقل الديم الى طوكر فلم يسمع له فاشتد الخلاف بينها ورفعا الامر الى الخليفة . وكان الخليفة يحرص على رضى عثمان لأنه لم يكن عنده في السودان الشرقي اصلاح منه فاستدعى ابا قرجة الى ام درمان وارسل عثمان نائب مدداً الى هندوب .

واقعة الجميزة في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ : وفي ١٧ سبتمبر اصدر عثمان دقنة امره الى عثمان نائب فنزل بأنصاره على ٩٠٠ يرد الى الجنوب الغربي من طابيتي الشاطة والجميزة اللتين تحميان آبار المساء لحامية سواكن وحفر خندقاً

طويلاً فتمتع به وجعل يترصد العساكر ووراد الماء فكلما لاح له شخص رماه بالرصاص . وفي ١٣ اكتوبر أمر جماعة من انصاره فأتوا الآبار خلست في الليل وشرعوا في ردمها فأحس العساكر بهم وأجلوم عنها . وكان هولاء سميت باشا يرفع خبر الدراويش الى السردارية في مصر ويسألهم الممدد فحضر السردار غرنفيل باشا بنفسه الى سواكن واستكشف الخندق وعاد الى مصر فاستأذن الحكومة في الحملة عليهم وطردهم من الخندق فأذنت له فطلب الاورطتين التاسعة والعاشرة من الحدود النيلية فذهبتا الى سواكن بطريق قنا والقصير . وخافت الحكومة الانكليزية ان العساكر التي توفرت للسردار في سواكن لا تضمن له النصر فبعثت اليه بأورطة من عساكرها . فخرج من مصر في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٨ قاصداً سواكن فوصلها في ٩ منه وقد اجتمع فيها ٧٥٠ من العساكر الانكليزية و ٢٠٠٠ من العساكر السودانية و ٢٠٠٠ من العساكر المصرية . وكانت العساكر الانكليزية بقيادة الكولونيل كوك وعساكر السردار لواءين : اللواء الاول وفيه الاورط التاسعة والعاشرة والثانية عشرة السودانية بقيادة اللواء كتشنر باشا واللواء الثاني وفيه الاورطتان الرابعة المصرية والحادية عشرة السودانية بقيادة اللواء هولاء سميت باشا . وكان معه من الضباط المصريين اركان حرب : القائم علي بك حيدر ياوراً . وملحم بك شكور ضابط ملكي الخبايا . والبكباشي ابراهيم افندي فتحي من اركان حرب اللواء كتشنر باشا والبكباشي احمد افندي فهمي من اركان حرب اللواء هولاء سميت باشا . ولما كان فجر ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ خرج السردار من سواكن بالجيش كله فوقف بين طابقي الهيزة والشاطة ومعه الطويحية السواري المصرية والاورطة الانكليزية وأمر اللواءين فزحف الواحد بجانب الآخر مهاجرين الدراويش عن يسارهم فتجمع أكثرهم الى هذه الجهة وأطلقوا رصاصهم على العساكر وهم على ٦٠٠ يرد منهم فاقتحم العساكر الرصاص يحنان ثابت الى ان صاروا على ٢٠٠ يرد منهم فاشعلوا فيهم ناراً حامية . وفي أثناء ذلك كان الطويحية السواري

والاورطة الانكليزية مع طويجية الوابورات الانكليزية الراسية في ميناء سواكن يهدون السبيل للوامين باطلاق القنابل والرصاص في زاوية منحرفة على الخندق وما زال اللوامين يتقدمان وهما يفتكان بالدراروش حتى دخلا عليهم في الخندق وطردهام منه بجد السنج فتبعهم السواري اذ ذاك الى مسافة بميدة فقتلوا وأمروا وانتهت الواقعة الساعة ٨ صباحاً . وكان عدد الدراويش في الخندق نحو ١٦٠٠ رجل فقتل منهم ٥٠٠ واكثر وفيهم اربعة امراء وأسر جماعة وفيهم ضرير موسى دقنة ابن عم عثمان . واما خسارة الجيش فكانت ضابطين و ٦ عساكر قتلى و ٢٤ جريحاً . وكان عند الخندق جيزة كبيرة فعرفت الواقعة بها . وقد تسلى هذه الجيزة ساعة القتال رجل من البقارة واخذ يرمي العساكر بالرصاص وهو يشتمهم بأعلى صوته ويناديهم بأقبح الألفاظ فصبوب العساكر ثارم عليه فخره الى الارض قتلاً . وبعد الواقعة امر السردار فزيد عدد الطوابي خارج سور سواكن لحماية الآبار ومنع الدراويش من العودة الى مثل حالهم الاول وعاد الى مصر .

انتقال عثمان دقنة بالديم الى طوكر : وبعث عثمان دقنة بخبر واقعة الجيزة الى الخليفة فاهتم للأمر وكتب اليه فانتقل بالديم الى طور في ١١ فبراير سنة ١٨٨٩ وأمر ابا قرجه فخف الى كسلا واخذ ما بقي من رايات عثمان فيها ووافاه الى طوكر في اواخر مارس . ولكن لم يكن إلا القليل حتى وقع الخلاف بينها بشأن الرئاسة على الجيش ورفع الأمر الى الخليفة فكتب في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٩ بأن يكون عثمان دقنة العامل وابو قرجه وكيلا له وارسل اربعة امناء وهم : محمد خالد زقل والطاهر المذدوب والشفيع رحمة واسماعيل احمد ليكونوا معهم في طوكر يصلحان ما بينها ويرفعان الأحوال كما هي الى الخليفة . وفي ١٤ يوليو سنة ١٨٨٩ كتب الخليفة الى عثمان فذهب الى ام درمان قيل للنظر في أمر مهاجرة مصر من طريق القصير بينا النجمي يهاجمها من جهة النيل فمر وهو راجع بالقضارف وكسلا فاخذ منها كل من له رغبة في

الجهاد وأرسلهم امامه ثلة بعد ثلة الى طوكر وما عاد اليها حتى كان النجوم في
 قد خذل في طوشكي كما سترى فبقي في طوكر . وما زال النفور بينه وبين
 ابي قرجة فاستدعى الخليفة ابا قرجة الى ام درمان في ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٠ م
 فسماه اميراً على بربر وبقي عثمان في طوكر وله نقطة صغيرة في هندوب الى ان
 طردته الحكومة منها في اوائل سنة ١٨٩١ كما سيحيى .

الفصل التاسع

في

وقائع الثورة في خط الاستواء

سنة ١٨٨٩ : ٧٩ م

نزول امين بك الى الخرطوم : تقدم لنا الكلام على بلاد خط الاستواء الى ان برحها غوردون سنة ١٨٧٩ وصارت في عهدة امين بك . وكان فيها اذ ذاك نحو ١٥٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠٠ من الباشبوزق . وفي مارس سنة ١٨٨٢ نزل امين بك الى الخرطوم لمقابلة حاكمها رؤوف باشا وبقي فيها الى ١٥ يونيو من السنة المذكورة ثم قفل راجعاً الى خط الاستواء . وكان قد علم في الخرطوم بقيام محمد احمد وعند وصوله الى فاشودة سمع بانكسار جيش الشلاي في قدير ولكنه لم يعبأ بما كان ولم يكن يشك ان الحكومة تسحقه عاجلاً او آجلاً فعاد الى خط الاستواء فاعم الببال وكان مولعاً بدرس النبات والحيوان فعاد الى درسه وجمع روائع النبات الى يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤ اذ جاءه كتاب من لبن بك مدير بحر الغزال ينبئ بهلاك جيش هكس في شيكان وتسليم سلاطين في دارة وامتداد الثورة الى بحر الغزال .

كتاب كرم الله الى امين بك يدعو الى التسليم : ثم فتح كرم الله بمر الغزال على ما علمت وبعث الى امين بك كتاباً يدعو الى التسليم وصله في ٢٧ مايو سنة ١٨٨٤ . وكان امين بك اذ ذاك في موقف حرج لأن عساكره على قلنها وعدم تدريبها على القتال كانت موزعة على نحو ٤٠ نقطة في شرق البلاد وغربها ولم يكن عنده من القواد ما يعتمد عليه وقد اعوزته الاسلحة والذخائر والميرة لأن آخر وابور وصله من الخرطوم في ١٦ مارس فعاد منه في ١٤ ابريل سنة ١٨٨٣ . وفوق ذلك فقد كان الدناقلة منتشرين في كل أنحاء البلاد تجاراً ومتسبين بل كان بعضهم كتاباً وموظفين في المديرية وقد مدّوا اعناقهم لسماع اخبار ابن وطنهم المهدي وكتب كرم الله الى كثير منهم يدعوهم الى الهجرة اليه . فأغلق امين بك اذ ذاك كتاب الطبيعة واخذ يقلب في كتب السياسة والادارة لعله يجد فيها باباً ينجيه من ذلك الحرج .

ارسل وقد الى كرم الله : فعمد مجلساً من ضباطه وموظفيه الملكيين وقرأ لهم كتاب كرم الله وسألهم رأيهم فيه فأجمعوا كلهم على التسليم وكتبوا بذلك كتاباً واختاروا وفداً يوصله الى كرم الله فجعلوا امين بك رئيساً له وعثمان حاج حامد قاضي المديرية وعثمان ارباب الباشكاتب وكلاهما من اقرباء المهدي وابراهيم اغا مأمور اللاتوكا اعضاء فقلق امين بك لاختيارهم اياه رئيساً للوفد فاعتذر بأن البلاد تصبح في غيابه فوضى واقترح ان يكون القاضي رئيساً للوفد واحب القاضي الرئاسة فبيّن للناس اوجه الصواب في بقاء امين بك فرضوا به وخرج الوفد من اللادو في ٣ يونيو سنة ١٨٨٤ وكان في جملة شروط التسليم ان تبقى البلاد على ما هي عليه الى ان تأتي الوابورات من المهدي في الخرطوم فيذهبون بها ويسلمون اليه وان جيوش كرم الله لا تدخل البلاد بأية صورة كانت . وقد اراد امين بك ان يطاول كرم الله الى ان يجمع شتات عسكره فما سار الوفد حتى أصدر اوامره الى النقاط البعيدة بالتجمع على النيل وحشد جيشاً في امادي الواقعة على طريق كرم الله الى اللادو وخندق على اللادو واستعد للدفاع .

حصار امادي نوفمبر سنة ١٨٨٤ : واما كرم الله فانه لما اطلع على شروط التسليم أبى قبولها وصمم على ان يكون التسليم على يده فأرسل عبد الله عبد الصند في مقدمة جيشه الى خط الاستواء فحاربه مرجان اغا قومندان طابية امادي في عدة وقائع وقتله فزحف كرم الله اذ ذاك بمعظم جيوشه على امادي فحصرها حتى نفذ زادها وأكل اهلها الجلود فخرج ستة ضباط و ٣٠٠ رجل منهم واخترقوا صفوف المحاصرين ونجوا الى ودلاي بطريق وندي عاصمة مكركة . ثم خرج مرجان اغا القومندان بباقي القوة بقصد اللخوق بهم فاعترضه كرم الله وقتله هو ومن معه وذلك في اواخر مارس سنة ١٨٨٥ م وكتب الى امين بك بلاغاً نهائياً ليحضر مسلماً في ٥ ابريل فاذا لم يحضر في الميعاد المذكور زحف عليه واخذ البلاد عنوة وكان قد كتب له من قبل واخبره بسقوط الخرطوم وقتل غوردون فلم يجبه بل جمع عساكره في نقط النيل بين الرجاف وودلاي وجعل الدفلاي مركز المديرية وجعل المساكر اورطتين الاولى في النقط الشمالية بين الدفلاي والرجاف والثانية في النقط الجنوبية بين الدفلاي ووداي واستعد للقتال. وفيما هو كذلك شاع ان كرم الله رجع يحيشه الى بحر الغزال . واختلف الرواة في سبب رجوعه فقبال البعض ان المهدي دعاه الى ام درمان ليرسله في جيش مصر وقال البعض الآخر ان العبيد في بحر الغزال ثاروا على من خلفهم وراه في المركز فرجع لتمهيد الثورة وبقي الى ان مات المهدي واستدعاه الخليفة فلبى الدعوة كما مر .

مواصلة امين بك لمصر : ومما يكن السبب في رجوعه فقد كان من سعد امين بك الذي اصبح مه بعد الآن مواصلة مصر . وقد جاءه في هذه الأثناء سائحان اوربيان ومما ينكر الالماني والكبتن كازاتي الايطالي فبقي الكبتن كازاتي معه لمساعدته على حمله وسافر ينكر الى مصر في يناير سنة ١٨٨٦ م وكان امين بك قد كتب الى الحكومة المصرية في ١ نوفمبر سنة ١٨٨٥ يسألها النجدة وارسل كتبه عن طريق زنجبار . ومن غريب الاتفاق ان الحكومة المصرية كتبت اليه بهذا التاريخ ايضاً وفي الطريق عينها فوصلته الكتب في ٢٦

فبراير سنة ١٨٨٦ وكان بينها كتاب بامضاء نوبار باشا رئيس مجلس النظار بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٨٨٥ يقول له فيه : ان الحكومة قد أخلت السودان وليس في قدرتها ان تساعد بشيء ولكنها فوضته في اتخاذ أفضل الطرق لاخلاء البلاد .

على ان اخلاء البلاد لم يكن من السهل لأنه فضلا عن بُعد طريق زنجبار وكثرة مشاقها ومخاطرها . فان العساكر واكثر الضباط كانوا من السود وقد تزوجوا من نساء البلاد واقتنوا من رقيقها . وفوق ذلك فان انشغال امين بك بدرس النبات والحيوان وعدم اهتمامه بالادارة العسكرية أنسى العساكر الطاعة العسكرية حتى لم يكونوا يسمعون له امرأ إلا اذا وافق أمياهم . فلما قرأ لهم كتاب نوبار هاجوا وماجوا وقالوا اذا كان لا بد لنا من ترك البلاد فلا نعرف لنا طريقا غير الخرطوم وقد أرادوا القبض عليه ولكن بعض ضباط الاورطة الثانية انحازوا اليه وحالوا دون ذلك .

حملة المستر ستنلي لانقاذ امين باشا سنة ٧ : ١٨٨٩ :

وفي يناير سنة ١٨٨٧ وصل السائح الالماني ينكر الي مصر ووصلت قبله كتب امين بك الى الحكومة المصرية فعمل العالم المتمدن بحاله في خط الاستواء فتألفت حملة في لندن لانقاذه وتبرع الرحالة الشهير المستر ستنلي فترأس الحملة وأتى بها الى مصر في اواخر يناير سنة ١٨٨٧ . فقابل الجناب العالي الخديوي فنأوله فرمانا الى امين باشا بتاريخ ٨ جمادى الاول سنة ١٣٠٤ هـ ١ فبراير سنة ١٨٨٧ م هذا مفاده :

« حررتا لك قبلا في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ نمرة ٣١ مع ما حرره عطوفة نوبار باشا رئيس مجلس نظارتنا فشكرنا لك الهمة والبسالة اللتين أظهرتهما انت والضباط والعساكر الذين معك في الدفاع عن بلاد خط الاستواء المصرية . لذلك قد رقيناك الى رتبة لواء باشا وصدقنا جميع الترقيات التي توصي بها للضباط الذين تحت ادارتك . ولما كان غرضنا الاعظم انقاذك انت والضباط

والعساكر الذين معك من المركز. الحرج الذي صرتم اليه . وقد ألفت الآن حملة بقيادة السائح الحبير الطائر الصيت المستر ستنلي لانقاذكم من ذلك الحرج والجيء بكم الى مصر في الطريق التي يختارها فقد أصدرنا امرنا العالي هذا وبعثنا به معه لاعلامكم بما كان . وعند وصوله أكلفكم بإبلاغ الضباط والعساكر احسن رغائي واعلموا انكم احرار في الجيء الى مصر او البقاء حيث أنتم مع الضباط والعساكر ولكن اعلموا ان من احب البقاء هناك من الضباط والعساكر فهو انما يفعل ذلك على مسؤوليته فلا ينتظر أية مساعدة من الحكومة . افهم ذلك جيداً وأفهمه للضباط والعساكر ليكونوا على بصيرة مما يفعلون . الامضاء : (توفيق) .

وفي ٣ فبراير سنة ١٨٨٧ خرج ستنلي بجملته من مصر فصار بطريق البحر الاحمر الى زنجبار ودار حول رأس الرجاء الصالح حتى أتى نهر الكونغو في ١٨ مارس فأبحر فيه الى ييمبوعة فوصلها في ١٦ يونيو فترك بعض الحملة فيها حرساً خلفياً وسار بنحو ٤٠٠ رجل فاخترق الغابة العظيمة المشهورة ونزل عند بحيرة البرت في ١٥ ديسمبر بعد معاناة شدائد جمة ووقائع دموية مع اهل الغابة . ولما لم يجد امين بك في البحيرة ولا رأى مركباً يوصله اليه انقلب راجعاً الى ييمبوعة . فأتى بقارب كان قد تركه فيها وعاد الى البحيرة . هذا وكان القناصل في زنجبار قد بعثوا فأخبروا امين باشا ان ستنلي ذاهب لانقاذه بطريق الكونغو فوصل الخبر في مايو سنة ١٨٨٧ وارسل الرسل الى البحيرة للتفتيش عليه فلم يجدوه ولكنهم سمعوا بخبر الحرب التي كانت بينه وبين عبيد الغابة وكان هؤلاء العبيد من حلفاء كبريئة ملك يونيورو فحقن على امين ظاناً انه بعث في طلب ستنلي لفتح بلاده . وكان امين قد ارسل اليه الكبتن كازاتي لتسهيل مواصلة مصر فطرده كبريئة من داره فذهب به امين في الواور « الحديوي » الى البحيرة للتفتيش عن ستنلي فلقبه في نسابي في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٨ . فسلمه ستنلي الفرمان العالي المار ذكره للعمل به وترك عنده المستر جفسن احد اعوانه لمساعدته في شؤونه . ثم رجع ثانية الى ييمبوعة لجلب بقية

عسكره . فعاد امين باشا ومعه المستر جفنسن الى العساكر وقرأ لهم الامر العالي مبتدئاً من نقطة ودلاي فكان جوابهم انهم يتبعونه حيثما ذهب حتى وصل نقطة كييري فأتاه كتاب من حامد أغا محمد قومندان الاورطة الاولى في الرجاف يحذره من التقدم شمالاً ويقول ان العساكر لا يريدون السفر الى مصر فاذا أتاكم قبضوا عليه وحبسوه فرجع على عقبه . هذا وكان في النقط الجنوبية ضباط من رجال الثورة البرابية فنفضوا روح الثورة في عساكر الاورطة الثانية بقولهم ان الفرمان الذي سمعتموه من امين مزور وان ستعلي ورفاقه ليسوا الا سياحاً وقد أتوا بهذه الحيلة ليأخذوكم من بلادكم ويسلموكم عبيداً للانكليز . فصدق العساكر قولهم وقاموا على امين وجفنسن في اللابوره وكادوا يفتكون بها وعند وصولها الى الدفلاي في ١٨ اغسطس سنة ١٨٨٨ كان فضل المولى احد ضباط السود العظيم قد حضر من نقطة فبثو الشرقية فألقى القبض عليها وحبسها ثم عقد مجلساً من الضباط فعزل امين عن منصبه وسمى حامد أغا مديراً على خط الاستواء مكانه وسلم بك مطر قومنداناً للاورطة الثانية .

سرية عمر صالح الى خط الاستواء سنة ١٨٨٨ :

وانهم وكذلك اذ ورد خبر من الشمال في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٨ انه قد وصل اللادو سرية من الدراويش في ثلاثة وابورات وتسعة مراكب . وبعد يومين جاء الدفلاي ثلاثة من الدراويش ومعهم كتاب من عمر صالح امير السرية الى امين باشا يخبره بما جرى في السودان ويدعوه الى التسليم .

وتحرير الخبر ان الخليفة لم يبرح من باله ان بلاد خط الاستواء كانت لا تزال بيد امين وقد زين له أصحابه فتحها لكثرة ما فيها من سن الفيل والعبيد الصالحين للانتظام في الجيش . وكان قد نوى فتحها بعد فتح سنار ولكن شغلته حوادث ام درمان والحدود المصرية وكردوفان ودارفور والقلايات المار ذكرها فلما انتهى منها او كاد جهز سرية مؤلفة من ١٥٠٠ من اخلاط الجعليين

وعربان النيل ومعهم ٧٠٠ بندقية من رمنتون وغيره وعقد لواءها لعمر صالح وهو جملي مترب في شكا ومتزوج من الرزيقات واصحبه ثلاثة وابورات وتسعة مراكب والكاتب عثمان ارباب المار ذكره . وأوعز الى سلاطين باشا وجورج استنبولي وبولس صليب فكتب كل منهم الى امين باشا كتاباً اجل فيه نصرات المهدي ونصحه بالتسليم وهذه هي صورة كتاب سلاطين :

« وبعد فمن عبد ربه عبد القادر سلاطين الى حضرة المكرم محمد امين مدير خط الاستواء وفقه الله الى الصواب. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نعلمك ان العارف لا يعرف وانك ذو عقل ودراية وتعلم ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وقد أراد الله تعالى ظهور المهدي المنتظر «عم» وانتشار امره في جميع الأقطار . وبلغك ما حصل له من النصر على جيوش الحكومة في جزيرة أبا وجبل قدير . ثم زحف على كردوفان فاقتتحها وأهلك من فيها من العساكر . وأرسلت عليه الحكومة جردة برئاسة علي بك فقتلها . ثم أرسلت عليه الجيش المصري بقيادة هكس باشا الى كردوفان فأهلكه «عم» في ربيع ساعة بجميع من معه من ضباط مصريين واورباوين وفيهم علاء الدين. ثم بعد قتل المذكورين حرر الينا مكاتبات ونحن اذ ذاك يجهة الغرب بدارة فحررنا اليه ردها بالاذعان والتسليم ثم حضر الجيش المعين لجهتنا فلما تراءى لنا وجه الحق خرجنا اليهم من الاستحكام الذي علمناه في دارة وسلمنا الأمر للمهدية وجميع ما معنا من أشياء الميري سلمناه لهم وأعطينا لنا جميع املاكنا من خيل ورقتي ومصوغات وغيرها. ثم توجهنا معهم الى مديرية الفاشر وكان فيها السيد جمعة فسلمناهم جميع ما فيها من أشياء الحكومة . وكذلك سلمنا مديريات كلكل وكبكبية وام شنقة . ثم توجهنا لمقابلة المهدي «عم» وخليفته عليه الرضوان فقابلناهما وأخذنا البيعة وحصل لنا من الاكرام والاحترام ما مرنا وشرح صدرنا . وتوجهنا مع جيش المهدية الى الخرطوم وحين وصولنا حررنا كتاباً الى الفوردون وعرفناه بما شاهدناه في جيش المهدية وأعلمناه بما حصل لنا من الاكرام وطلبنا منه ان يفعل مثل ما فعلنا فأبى ومكر .

وحرّر اليه المهدي « عم » انذاراً وأمنه على نفسه فأعرض عنه فأمر المهدي « عم » وخليفته عليه الرضوان الجيش باقتحام خندق الخرطوم وكان فيه من العساكر ما ينيف على الف مقاتل من جهادية وملكية وغيرهم وفي ساعة واحدة قتل الفوردون وجميع الضباط والعساكر والتجار وما نجا منهم إلا طويل الاجل وصارت الحكدارية في حوزة المهدي بجميع ما فيها من الاسلحة المتنوعة والجباهين والمدافع والصواريخ والخزائن . ثم ارسل جيش لفتح سنار وآخر لفتح كسلا ففتحتا . وفي أثناء اقامة المهدي « عم » وخليفته بجبهة كردوفان والبحر ارسلت الحكومة ما ينيف على خمس وعشرين جردة بطريق سواكن فخذلت جميعها على يد جيش المهدي المقيم بتلك النواحي وقتل جميع ضباطها من باشوات وغيرهم كباكر باشا واستورت واستورت الثاني وغيرهم وخربت جميع مراكز الحكومة مثل بربر وفاشودة وفازوغي ودنقلة والقلابات . ثم بعد هلاك الجردات المصرية أرسلت الحكومة الانكليزية عدة جردات بطريق دنقلة وسواكن فقتلت ايضاً وما رجع منها الى القطر المصري إلا النذر اليسير . وفي شهر جمادى الاولى من هذه السنة وجّه جيش وافي يضاهي ١٢٠ ألفاً من طرف سيدنا خليفة المهدي « عم » لغزو الحبشة فدخلها وأهلك من جيوشها عدداً وافراً وغنم جميع ما معهم من الاسلحة والمدافع والخيول والبغال وكان جيش الحبشة تحت رئاسة النقس راس عدار واحضرت نساؤهم واولادهم حتى اولاد راس عدار ذاته وقد أحرقت مدينة غندر ومدم ما فيها من الكنائس والقصور . والآن حضر ابن النقس تادرس طالباً الأمان فأعطيه وهو الآن في البقعة بمعية سيدنا خليفة المهدي « عم » وصار الحبشة يأتون افواجا للمهدي مسلمين ومسلمين . ولما صار جميع جهات السودان من دار برقو والى وادي حلفا في قبضة المهدي أرسلت الجيوش الكافية لفتح الجهات البحرية وقد وصل اوائل الجيش بقرب كورسكو وهجم على النقط التي في جوار المركز المذكور وقتل من فيه من العساكر وضبط رؤساء النقط المذكورة واحضروا الآن الى خليفة المهدي « عم » وهذا الجيش الذي وصل بقرب

تَبَاحُ الشُّكْرَانِ

كورسكو هو المعين بطريق المرات وأما الجيش المعين بطريق دنقلة فهو الآن في حلقا . وبما ان المهدي لا قصد لها إلا هداية العباد قد حرر سيدنا خليفة المهدي « عم » انذارات الى السلطان عبد الحميد وتوفيق والي مصر وفكتوريا ملكة الانكليز فان أذعنوا وبلغوا فقد حازوا السلامة وان أعرضوا فلا بد من هلاكهم اسوة من تقدمهم من رؤساء الحكومة . ولما توجهت انظار سيدنا خليفة المهدي « عم » لخلاصكم بما أنتم فيه وانضمامكم الى جيش المهدي استأذناه في مخاطبتكم لسابق مودتنا معكم فأذن لنا « رضه » وجررنا اليكم هذا لتعلموا حال الحكومة وانشغالها بنفسها عنكم فعليكم قبول اوامر خليفة المهدي « عم » وإياكم والاعراض عنها فانه ما اعرض عن أوامره أحد إلا ذاق شديد النكال لأن أمر المهدي هذا من الله ورسوله فلا يستطيع أحد من المخلوقين ان يقاومه كما شاهدنا ذلك بأعيننا ونحمد الله تعالى ونشكره على ما أولانا من الاسلام والتسليم والاندراج في سلك المهدي وأخرجنا من الظلمات الى النور . فان أردتم السلامة فافعلوا كما فعلنا ولا تظنوا انكم تقاومون المهدي التي أمرها دولة مصر والانكليز فضلا عن كان مثلكم منقطعاً في بلاد العبيد وما كتبنا هذا اليكم إلا حباً بسلامتكم فان سمعتم نصحننا وسلمتم للمهدي فقد حصل المقصود وسنجتمع ان شاء الله تعالى ونصير يداً واحدة في خدمة المهدي فتشكرون صليماً وتعلمون محبتنا لكم وان أعرضتم فأنتم الجانون على أنفسكم . وبلغوا سلامنا الى جميع من معكم من الضباط والعساكر . وما نحن منتظرون رد الجواب لنعلم ما أنتم عليه ليطمئن قلبنا من جهتكم . ثم نعلمكم ان عبد الله لبن قد توفي الى رحمة مولاه (هذه السنة) بالحي . وطيه صورة ما تحرر من خليفة المهدي « عم » الى السلطان وتوفيق والانكليز للاطلاع عليها سنة ١٣٠٥ هـ .

- فحمل عمر صالح هذه الكتب وخرج بالجيش والوابورات من ام درمان في ١١ يونيو سنة ١٨٨٨ فوصل اللادو في ١١ اكتوبر فوجدوها خالية من العساكر ولكنه وجد فيها كثيراً من سن القيل فأرسله الى ام درمان . وسأل عن امين

تاريخ السودان

باشا فلم انه في الدفلاي وان اول جيشه في الرجاف فأرسل اليه ثلاثة رسل بكتاب يدعوه الى التسليم كما مر ويخبره بكتاب سلاطين له فقتل المصاة الرسل وصمموا على الحرب .

واقعة الرجاف الاولى : وكان عمر صالح بعد ان أرسل الرسل ترك حامية صغيرة في اللادو مع الواورات وتقدم بمعظم جيشه الى الرجاف فخرج اليه حامد آغا في قلعين فهزمه ودخل الرجاف فاستحوذ على النساء والاولاد وغنم مدفعين و ١٨ صندوق من الجبخانه وكثيراً من الاسلحة والأمتعة والحبوب والرقيق والمواشي .

واقعة الرجاف الثانية في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٨ : ثم جمع حامد آغا شتات جيشه وعاد به لاسترجاع الرجاف فخرج اليه عمر صالح الاثنين في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٨ فقتله وقتل نقرأ من عسكره وضباطه وفيهم علي جبور وبخيت من الضباط السودانيين وسالم خلاف وعبد الوهاب طلعت من الضباط المصريين وحسن لطفي الكاتب . وكانت خسارة عمر في الواقعة الاولى ١٠٦ قتلى وفي الثانية ٧ قتلى و ٣ جرحى .

خروج امين وجفسن من السجن : هذا ولما بلغ النقط الجنوبية خبر هاتين الواقعتين اضطربوا وارتاعوا وأخذوا يستعدون للدفاع فاغتم انصار امين من الموظفين الملكيين وغيرهم فتوسطوا له عند المصاة فخرج هو وجفسن من السجن واخذ النساء والاولاد والموظفين الملكية وفيهم عثمان بك لطيف وكيل المديرية وسار جنوباً الى ودلاي .

حصار الدفلاي : وتقدم عمر صالح لفتح الدفلاي وكان قد اجتمع في طابيتها بقية الاورطة ومعظم الاورطة الثانية بقيادة سليم بك مطر فأقام على حصرها مدة ثم رجع مخذولاً الى الرجاف بعد ان قتل نحو ١٤ ضابطاً من ضباطها وهاك ما كتبه الى الخليفة في ١٣ ربيع آخر سنة ١٣٠٦ هـ ١٧ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م بهذا الشأن :

« وبعد فمن عبد ربه عمر صالح الى القائم بأمر الله خليفة المهدي « عم »
 الخليفة عبد الله بن محمد ... بعد الفراغ من محاربة حامد محمد مأمور ادارة
 خط الاستواء فجميع الكفرة في محطات الشلال وكيري ومقي واللابورة توجهوا
 الى الدفلاي مركز المديرية وتركوا المحطات قاعاً صفصفاً . ولعلمنا ان أميناً
 معهم بالمركز المذكور وهو الغرض المطلوب خرجنا بنفسنا ومعنا غالب الجيش
 تاركين باقيه لمحافظة ديم الرجاف والوابورات والعائلات والمريض من الاخوان
 وجددنا السير ثمانية ايام حتى وصلنا الدفلاي فوجدنا أميناً قد توجه الى محطة
 ودلاي ومعه البعض من النصاري واولاد الريف المائلين اليه وأما المساكر
 والضباط من السودان واولاد الريف فقد اقاموا في قبعة الدفلاي فكاتبناهم
 ثلاث مرات وأخبرناهم بما معنا من المكاتبات الشريفة الصادرة اليهم من السيادة
 وعرضنا عليهم ان نرسلها اليهم فلم يفيدونا بسوى قولهم « انتم خطرية »
 فحاصرناهم ليلاً ونهاراً قريباً منهم جداً حتى كنا منهم بمرأى ومسمع . وبعد
 ثلاثة ايام خرجوا قلعة فحمل عليهم الانصار حملة رجل واحد فولوا هاربين
 ودخلوا قيقرم . فلما كانت اليوم الرابع من الحصار أي يوم الاربعاء في ٢٤
 ربيع الاول سنة ١٣٠٦ أجمع الاخوان على مهاجمتهم في القيقرة فحمل عليهم
 تسع رايات ... وبعض الجهادية ليلاً قبل طلوع الفجر وحصروا القيقرة من
 الجنوب وحصرها باقي الرايات من الجهة الغربية وعندما وصلوا الصبح حملوا على
 القيقرة حملة رجل واحد فوجد بعض الاخوان الذين هاجموا من الجنوب سبيلاً
 الى الدخول بعد مخاطرة جسيمة وتمنر ذلك على باقي الجيش لأن القيقرة كانت
 محصنة بخندق عظيم ولها ابواب محكمة فاجتمع الاصحاب على الباب الجنوبي
 يضربونه بالفؤوس والسيوف فما أراد الله فتحه لشدة متانته ولا أراد الانصار
 الرجوع فتمكن أعداء الله منهم وصاروا يرمونهم بالرصاص حتى استشهدوا
 جميعاً ثم ورؤوس الرايات الثمانية وكان الواحد منهم يقول لصاحبه تقدم على
 الكفرة فأنا شهيد فيجيبه صاحبه وانا ايضاً شهيد ولما لم يجدوا للدخول سبيلاً
 وخشية من ان يراهم الله مدبرين من أعداء الله كان يقبض الواحد منهم على

يديه كاقباض المصلي ويطرق استحياء من ان يراه الله مدبراً عنه حتى استشهدوا جميعاً بهذه الحالة. وأما راية آدم جاد الرب التاسعة فقد نجحها الله بصاحبها. وأما الذين دخلوا القيقرة من الاصحاب فانهم مع قلة عددهم اختلطوا بالفساكر داخل القيقر وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ودخل بعضهم الوانور فقتلوا قبطانه وجميع من فيه حتى ضرب الأعداء يورهم وتجمعوا على الاصحاب من كل جانب فاستشهد منهم من استشهد وسلم من أراد الله سلامته . ويوم الجمعة أي بعد الواقعة بيومين خرجوا قلعة فما حل الانصار عليهم حتى رجعوا الى قيقرم . وفرغت الجبخانه منا في زمن الحصار والوقعات الثلاث فلم يبق منها إلا جانب يسير ومع ذلك ما زلنا مصممين على محاصرتهم حتى أئانا خبر بأن الترك الذين بمكركة متحركون على ديم الرجاف وقد أرسلوا لهم طلائع من العبيد فاستصوبنا الرجوع لوقاية الديم فوجدناه بحمد الله سليماً والطلائع موضوعة في الحديد ونحن الآن مقيمون بديم الرجاف على أحسن حال ... والسلام . اه .

هذا وكان عمر صالح قد علم بمجيئ ستلي . لانقاذ امين وحبس العساكر لأمين وجفسن في الدفلاي ورفضهم الذهاب الى مصر فكتب في ذلك الى الخليفة وكان قد ارسل اليه تفاصيل واقعي الرجاف وبعض النوائم فلخص الخليفة هذه الكتب وأرسلها الى محافظ سواكن اشهاراً للنصر فقلقت الافكار في مصر بشأن ستلي وأمين مدة .

وفي ٤ ديسمبر شاع في ودلاي ان الدفلاي سقطت في ايدي الدراويش فخرج امين باشا بمن معه من الملكية والاتباع وفيهم كازاتي وجفسن وسار جنوباً الى تنقرو فأقام فيها ينتظر ستلي . وفي ١٨ يناير سنة ١٨٨٩ عاد ستلي بحملته فمسكر في كفالي غربي البحيرة وبعث في طلب امين وقومه فشق على امين رجوعه الى مصر بدون عسكره فكتب الى سليم بك مطر وهو أرشد ضباطه وأعقلهم ملحاً عليه بالهجرة مع سائر الضباط لمقابلة ستلي وكان الضباط قد سمعوا ان ستلي عاد في المرة الثالثة بقوة عظيمة فهاقوا اذا

لم يصدعوا بالأمر ان يزحف ستيلي عليهم من الجنوب والدراويش من الشمال فيصبحوا بين تارين فجاء سليم بك ومعه ١٤ ضابطاً في وايوري الخديوي ونيانزة الى امين باشا في تنقرو فاعتذروا له عما فرط منهم فسأحهم وذهب بهم الى ستيلي فعمد معهم مجلساً أقروا فيه على السفر من كفالي بطريق زنجبار في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٩ ومن تأخر عن الميعاد تركوه . ورجع الضباط على أن يعودوا بالمساكر في الميعاد او قبله ولكنهم لما رأوا ستيلي آتياً بنفر قليل ورأوا الدراويش قد استكنوا في الرجاف اعتصب اكثرهم برئاسة فضل المولى وعادوا الى رأي البقاء حيث هم . على ان سليم بك مطر كتب الى امين باشا بأنهم لا يزالون مصممين على السفر وسأله انتظارهم فطلب امين تأجيل السفر ٣ اشهر فرفض ستيلي ذلك بتاتا وبلغه ان بعض المهاجرين في المعسكر قد رغب عن السفر فصفهم صفاً واحداً وقال من اراد البقاء هنا فليخرج من الصف فبرز له واحد فأمر بسجنه في الحال وأقر الباقون على السفر وكانت عددهم ٦٠٠ نفس وعدد نفوس الحملة كلها ١٥٠٠ . فلما جاء الميعاد المضروب للسفر خرج ستيلي بأمين والحملة من كفالي وسار في طريق زنجبار فأصابته حمى في مازمبوني فتأخر فيها الى ٨ مايو وما خرج منها حتى وصله رسول من سليم بك مطر يخبره بأنه آت على أثره ومعه ٨٠٠ رجل ما عدا النساء والأولاد ويسأله انتظاره قليلا فبعث اليه في الجواب : « ان اسرع في السير فتدركني لأنني اسير على مهل واما ان انتظرك ولو دقيقة فلا » . وبقي دائباً في السير حتى وصل زنجبار في ٦ ديسمبر سنة ١٨٨٩ وذهب منها الى مصر فبلاد الانكليز فكتب تاريخ رحلته هذه في مجلدين .

وفاة سليم بك مطر : وأما سليم بك فانه وصل يجماعته الى كفالي فعلى فيها الى ان أتاه الكبتن لوجارد من رجال الشركة الانكليزية في شرقي افريقيا فأخذه الى أوغنده فجند من رجاله من اراد التجنيد في خدمته وأرسل الباقي الى مصر ثلة بعد ثلة فوصل اولهم في ٩ يونيو سنة ١٨٩٢ وآخرهم في مارس

سنة ١٩٠٣ . وأما سليم بك فقد وافته المنية في ارغنده وهو على أهبة السفر الى مصر .

وفاة امين باشا : أما امين باشا فانه لم يذهب مع ستيلي الى مصر بل بقي في زنجبار فدخل في خدمة الالمان وعاد الى خط الاستواء فمرّ بكفالي في ابريل سنة ١٨٩١ قبل سفر سليم بك منها فأحب ان يحنّد عسكريه في خدمته فأبوا لعلمهم انه ترك الحكومة المصرية فسار في مهمته الى الكونغو فاعترضه بعض العبيد في الطريق وقتلوه :

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
وبقي في خط الاستواء خصمان عنيّدان عمر صالح في الرجاف وفضل المولى
في الدفلاي ثم انتقل هذا الى ودلاي ودخل خدمة البلجيك فبقي حتى قتله
الدراويش كما سيجيء .

هذا وقد اصبح التعايشي بعد فتح خط الاستواء سيد السودان المصري كله
من حلفا الى الرجاف شمالاً وجنوباً ومن سواكن الى وداي شرقاً وغرباً
وكان قد اقم جميع مقاوميه في السودان فبلغ الآن اعالي مجده ثم اخذ نجم
سعده في الأفول الى ان دالت دولته وانقضى امره . وكان بدء سقوطه اتخذاله
في غزوة مصر كما سيجيء .

الفصل التاسع

في

وقائع الحدود ودنقلة وفيها غزوة النجومي لمصر

سنة ٦ - ١٨٨٩ م

وقائع الحدود سنة ٦ - ١٨٨٩ :

تخريب سكة الحديد بين حلفا وعكاشة سنة ٥ - ١٨٨٦ : تقدم لنا ذكر اخبار الحدود الى ان خرج الانكليز منها سنة ٦ - ١٨٨٧ وتركوها لحماية الجيش المصري بقيادة سرداره الهام غرنفيل باشا . وكان على دنقلة اذ ذاك عبد الرحمن النجومي يستعد لغزوة مصر . وقد أرسل مقدمة جيشه بقيادة النور الكنزي الى الحدود فوصل سرس في ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ . وكان محمداخير قد خرب سكة الحديد بين عكاشة وسرس سنة ١٨٨٥ فخرّبها النور الكنزي بين سرس وعبكه في أواسط نوفمبر سنة ١٨٨٦ واحتل عبكة . وكان آخر نقطة للجيش في خور موسى باشا فأخذ النور الكنزي بعض رجاله واقتلع بعض قضبان سكة الحديد بين خور موسى وحلفا . وكان قومندان الحدود اذ ذاك الجنرال مونتورنسي فساق الجنود وقصده الى عبكه ففر امامه الى جنوبي سرس ثم عاد الى سرس وديّم فيها .

واقعة سرس في ٢٨ ابريل سنة ١٨٨٧ : فبلغ خبر عودته تشرمسيد باشا قومندان حلفا في ظهر ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٧ فجهز سرية من المساكر الطوبجية والسواري والمشاة والباشبوزق الشايقية وسار بهم ليلا الى سرس قصد مباغتة الهجوم . ومما طلع فجر ٢٨ ابريل حتى كانت المساكر قد أحدقت بالبلدة من الجهات الثلاث ومن الجهة الغربية النيل . وكان النور الكنزى قد عسكر في سفح تلة هناك وجعل رجاله المسلحين بالأسلحة النارية في برج على التلة بناء الجيش قديماً فأمر تشرمسيد الطوبجية فصوبوا القنابل نحو البرج فهدموه ثم أمر الباشبوزق الشايقية وكانوا نحو ٧٠ رجلاً فتسلقوا التلة وقتلوا من كان في البرج . وفي اثناء ذلك هاجم النور الكنزى فأوقع الفشل في ديمه وقتله هو ورجاله وكانوا يزيدون عن ٢٠٠ رجل فلم يفلت منهم احد . وأما خسارة تشرمسيد باشا فكانت ٢١ قتيلاً و ٣٠ جريحاً .

مجيء عبد الحليم مساعد الى الحدود سنة ١٨٨٧ : ولما بلغ النجومي خبر هذه الكسرة أرسل الى الحدود جيشاً قوياً بقيادة عبد الحليم مساعد فبنى ديماً في فرقة وأرسل مقدمة جيشه فاحتلت سرس في ١٨ يونيو ثم لحقها بجميع الجيش في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٧ فاجتمع عنده هناك ٢٨٠٠ مقاتل فيهم ٢٠٠ فارس و ١٠٠ هجان .

غزوة دراويش ابي حمد للكلابشة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٨ : هذا وكان الخليفة قد جعل حامية في بوغاز أبي حمد لرصد حركات الجيش في كورسكو وعهد بها الى الحسن محمد خليفة فبلغه ان في شرقي الكلابشة نقطة للبوليس المصري عليها الملازم محمد فتسي فركب يجماعة من انصاره وهجم على النقطة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٨ فقتل بعض البوليس واختطف الملازم وعاد به الى أبي احمد ثم ارسله الى أم درمان فسر به التعايشي سروراً عظيماً وخرج به الى ساحة « العرضة » فاستعرض جيوشه امامه ثم أرسله الى القلابات ليرى جيوش أبي عنجة وأعادته الى أم درمان . وجعل السردار سنة ١٨٨٩ نقطة من العبادة المليكاب في آبار المرات برئاسة صالح بك خليفة لتكون في صدد

بوغاز أبي حمد كما سيجيء فسمى قلم الحبارات مع صالح بك فانقذ الملازم محمد فنتي من قلب أم درمان وأتى به مصر بطريق المرات في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٢ .

غزوة دراويش سرس لارمنة في ٥ ابريل سنة ١٨٨٨ : ولنرجع الى الدراويش في سرس فان الزاد الذي أتوا به من دنقلة نقد ولم يكن في بلاد سرس إلا الحجارة وبعض اشجار النخيل فقطموا تلك الاشجار وأكلوا جوفها وبعثوا في طلب الزاد من دنقلة فأبطأ عليهم . وفي ٢٢ مارس أتاهم مدد مؤلف من ٥٠٠ مقاتل بلا زاد . وكان امر الخليفة لهم ان يبقوا محافظين على الرباط فلا يباشرون حركة عدائية حتى يصلهم النجومي يحيشه فلما جاعوا عصوا الأمر وأصبحوا كالذئاب الخاطفة يشنون الغارة على بلاد الحدود فيقتلون وينهبون ويعودون الى ديمهم في سرس . ففي ٥ ابريل سنة ١٨٨٨ غزا جماعة منهم ارمنة على ٥٠ ميلاً شمالي حلغا فانتهبوا ماشيتها وقتلوا ٣ من أهلها وعادوا الى سرس .

غزوة التوفيقية في ١٩ يوليو سنة ١٨٨٨ : وفي ١٩ يوليو سنة ١٨٨٨ م مجمت سرية منهم على التوفيقية وهي مدينة استحكام حلغا فانتهبها وقتلت من أهلها وعادت الى سرس غائمة . وقد دعر اهل التوفيقية ذعراً شديداً عند رؤية الدراويش فرموا بأنفسهم الى النيل وكان عند شاطئه ٢٠ مركباً فنزلوا فيها وعبروا الى جزيرة تجاء البلدة ففرق ثلاثة مراكب فيها ١٣٧ نفساً . وما وصل خبر الدراويش الى حامية حلغا حتى كانوا قد أبعدوا جنوباً فركب بعض السواري والمجانة في اترم فلم يدر كوم .

مهاجمة طابية خور موسى في ٢٩ اوغسطس سنة ١٨٨٩ : وهذا النصر الذي ناله الدراويش عند انف الاستحكام جرأهم على مهاجمة الاستحكام نفسه ففي ٢٩ اوغسطس سنة ١٨٨٨ خرج ٥٠٠ رجل منهم بقيادة عبد الحفيظ وهجموا على طابية خور موسى قصد اخذها فقتلوا الحفير على الباب فاستيقظ وكيل الحفراء وفتح الباب مذعوراً ليعلم ما الخبر فقتلوه هو ومن معه من

الحقراء ودخلوا الطابية نصف الليل . وكان فيها بلوكان من الاورطة السابعة المصرية وبلوك من المهجانة عليهم البكباشي عبد الغني فؤاد قومنداناً فبعث عبد الغني رسالة تليفونية الى ود هوس باشا قومندان العساكر في حلغا فأرسل في الحال وابوراً حربياً في النيل ونقرأ من العساكر في سكة الحديد بقيادة ماتشل بك . وكان الدراويش قد احتلوا الجهة الجنوبية من الطابية وتجمع لهم العساكر مع القومندان في الجهة الشمالية فأخذ الوابور يرمي قنابله على الجهة التي فيها الدراويش الى ان وصل ماتشل بك فأحاط جهتهم بمعظم العساكر وأتى بالباقيين الى باب الطابية ففتح عليهم ناراً دائمة فذعروا وتسلقوا الجدران قصد الفرار فتلقاهم العساكر الذين كانوا متربصين لهم خارج الطابية ودخل ماتشل الطابية فنقاهما منهم . وكانت خسارتهم في تلك الليلة ٨٥ قتيلاً وكثير من الجرحى . وأما خسارة الجيش فكانت ١٩ قتيلاً و ٢٤ جريحاً .

غزوة صحابة وارجين في ١٥ ابريل سنة ١٨٨٩ : وبقي الدراويش في سرس مدة بعد هذه الكسرة لا يحركون ساكناً حتى عاد النجمي من ام درمان على نية غزو مصر فجددوا المهمة وكان لهم نقطة امامية في عبكة ونقطة تجاهاها في معتوقة فلما كان يوم ١٥ ابريل خرج جماعة عبكة على صحابة على ٦ اميال من حلغا وجماعة معتوقة على ارجين تجاه صحابة فانتهبوا ماشية البلدين وعادوا قبل ان تدركهم العساكر :

غزوة دبيرة في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٩ : وفي ٢٩ من الشهر المذكور خرج جماعة منهم ليلاً قاصدين دبيرة على نحو ١١ ميلاً شمالي حلغا وكان الجيش قد أخرج الوابورات في النيل لحماية البلاد شرقاً وغرباً بين حلغا وكورسكو فعلم بهم البكباشي دن قومندان احد الوابورات فأمرع لنجدة البلدة ولكن الدراويش كانوا قد دخلوها قبل وصوله فاخطفوا ما استطاعوا من الماشية والامتعة وساقوا بعض الامالي أمبري وانقلبوا راجعين فأمرع البكباشي دن الى حلغا وأخير ود هوس باشا بما كان فأصدر امره في الحال الى هكن بك فخرج بمئة فارس وكن لهم في طريقهم الى سرس على ٣ اميال من حلغا . وفي فجر ٣٠

تأريخ الشوكات

أبريل أطل الفزاة وكانوا نحو ٥٠ رجلاً وقد ركب بعضهم الابل وبعضهم الخيل والباقيون مشاة وهم يسوقون أمامهم الماشية والأسرى فأغار عليهم هكن ورجاله حتى صاروا على ٣٠٠٠ يرد منهم فنزلوا عن خيولهم وأصلوهم ثاراً حامية ثم ركبوا خيولهم واقتحموهم ودخلوا بينهم وأعملوا فيهم السيف وقد صالوا عليهم حتى كانوا يلتقطون حراهم من الارض ويطعنونهم بها . وهجم اميرهم ود رحمة على باشجاويش من السواري يدعى حسن محمد الفقي (الآن يوزباشي) فطعنه بجرية في جنبه فأخرج حسن الحربة من جنبه وأنشبا في صدر ضاربه فصرعه وبلغ ود هوس خبره فأوصى به فرقي الى رتبة ضابط . وقد أظهر الفرسان المصريون في هذه الواقعة خبرة تامة في استعمال الحراب فأدخل السردار المزارق في سلاح السواري من ذلك المهد فجعل نصفهم بالسيوف والنصف الآخر بالمزاريق . ولم يفلت من الدراويش في هذه الواقعة إلا طويل الاجل وقد أسر المساكر منهم ثمانية رجال وأنقذوا أسرى ديرة وعادوا الى حلفا مكللين بالظفر .

غزوة سرّا الغرب في ٩ مايو سنة ١٨٨٩ : ومع ذلك لم يكف الدراويش عن التمدي والغزو ففي ٩ مايو سنة ١٨٨٩ خرج عبد الحفيظ شمت بنحو ٦٠٠ رجل وهجم سرّا الغرب فقتل وأسر وغنم ولكن علم به ود هوس فأنجس البلدة وأنقذ الأسرى .

وقائع دنقلة سنة ٧ - ١٨٨٩ :

وقوع النزاع بين النجومي وقيدوم : تقدم ان التعايشي ارسل مساعد قيدوم من اهله ليكون وكيلًا للنجومي في الظاهر ورقيباً عليه في الباطن فنازعه السلطة ولم يسمح له ان يقطع أمراً إلا بمشورته فعظم ذلك على أعز أبكار المهدي وفاتح الدائر والخرطوم وقائد السرية المصرية فاستأذن الخليفة وخرج من دنقلة الخميس في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٨ فأتى أم درمان وبسط شكواه من قيدوم فتصام الخليفة عن سماعها وحبس النجومي عنده مدة قصد تذليله وتعويده على الرضى بالحال التي يرضاها له .

حكى لي من أتق بصدقته : ان الخليفة التفت الى النجمي في بعض جلساته في الجامع وقال انت يا ولد النجمي « ماك هيتن لكن هويتن » أي اسمك كبير ولكن فعلك صغير وكرر ذلك مراراً ثم التفت الى الهادي دفع الله من كبار الحلاويين وقضاة الفتح الاول وقال : « يا الهادي اذا كان الرئيس هوين ولكن مو هين اما يضر الجيش » فقال الهادي : في المثل السائر يا مولاي « ان الف ثعلب يقودم اسد خبير من الف اسد يقودم ثعلب » . فضحك الخليفة حتى استلقى على قفاه وقرّب الهادي فجعله قاضياً من قضاته فاغتاط النجمي من ابتداله امام الجمهور وقال لأصحابه : لا خير في العيش بعد هذا فاذا لقيت العدو رميت بنفسي في نحره ومت موت الشهداء . ثم اذن له الخليفة فرجع الى دنقلة فوصلها الاثني في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٨ ورجع الى النزاع مع قيدوم فكتب قيدوم يشكوه الى الخليفة بما نصه :

« ... وبالتفحص في حاله وجدنا ان المذاكرات التي سمعنا من جنابكم شفاهياً ما أثرت فيه ولا هو راض بما في الأوامر الرسمية المحررة اليه بل ازداد من جهتنا بغضاً ولا زال منطوياً على غير المطلوب وعلى قدر ما سمعنا في الطريقة التي تحبب اليه الجيش فهو لا يزال صاداً عنها ونيته بخلاف نيتنا فان كانت بالسيادة مؤملة فيه نصرة الدين والقيام بأحوال الجيش فلا نرى لذلك سبيلاً لعدم عمله بشروط النصرة وواجباتها وعدم صفاء نيته . وقد تداولنا معه قريباً في مصالح الدين فقلنا له في عرض الكلام أنت رئيس الجيش فاعرض عن هذه الكلمة وقال ان رئاستي ليست برئاسة بل هي عملية وهو لا يزال متضجراً ويتلفظ برغبته في الرجوع ... وهذه الحالة لا تحصل بها راحة ولا يمكننا السكوت عليها فانم رفعها لجنابكم للعلمية سنة ١٣٠٦ » .

تسمية يونس الدكيم عاملاً على دنقلة : فأرسل الخليفة ثلاثة أمناء هم ابراهيم الحاج ومكي ابو حراز والهادي دفع الله فنظروا في الخلاف بين النجمي وقيدوم ورفعوا تقريرهم اليه فاستدعى قيدوم الى أم درمان وأرسل يونس الدكيم المار ذكره عاملاً على دنقلة وأمر النجمي بطاعته .

غزوة النجومي لمصر سنة ١٨٨٩ :

وكان التعايشي قد استراح من المشاغل الداخلية واستتب له الأمر على حدود الحبشة ودارفور وخط الاستواء فباشر الآن ما طالما جاهر به من غزو مصر بدهاء عجيب فانه أمر النجومي فلم جميع الجهادية والأسلحة والنخائر الى يونس الدكيم ولم يبق مع النجومي إلا الجيوش والأمراء الذين لا يأمن جانبهم او لا همه عاشوا او ماتوا وبقي يونس في دنقلة يحيش قوي بحجة المحافظة على دنقلة ونجدة النجومي عند الاقتضاء متوقفاً للنتيجة حتى اذا فاز النجومي لحقه وانتفع بنصره وإلا بقي بالجيش المصفي في دنقلة .

وكان الخليفة قد كتب الى مشايخ العبادية وبعض اهالي الصعيد للخروج عن طاعة الترك والقيام معه للجهاد تمهيداً لجيوشه الزاحفة لغزو مصر . ومما كتبه بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٣٠٦ هـ ١ اكتوبر سنة ١٨٨٨ م الى بشير مصطفى ابي جبران :

« ... وبعلبك ان المهدي قد اتسعت دائرتها وشاع في بلاد الله امرها وقد التفتت الآن لفتح الجهات البحرية والشرع في توجيه الجيوش اليها بعون رب البرية ولا بد من وصولها لجهاتكم عن قريب فيلزم ايها المكرم ان تكون في غاية الاهبة والاستعداد والتعزب لجهاد اعداء رب العباد فانا بالنظر لما بلغنا عنك من علو الهمة وتصديق المهدي عليه السلام اختراقك ان تكون عاملاً من طرفنا على اهاليك العشاباب وجميع من تبهم وحررنا لك هذا بالعمالة عليهم وأمرنا المكرم محمد بحر كرار بمؤازرتك على ذلك ومساعدتك على تنفيذ اشارتنا والقيام بأمرنا في تأييد الدين وجهاد الكافرين فيلزم أول اصول كتابنا هذا اليك ان تلبه على اهاليك كافة بالتعزب والاستعداد لجهاد اعداء رب العباد بحيث اول ما يبلغكم قدوم الجيوش من دنقلة الى جهات حلفا تنفصلون عن اعداء الله وتأخذون في شن الفارة عليهم وقطع طرق المواصلات عنهم ومناجزتهم الحرب والانحياز الى جيش المهدي ... »

وكتب الى أهل دنقلة يستنفرهم الى الجهاد فضرب على كل ساقية رجلاً نشيطاً يقوم مع النجومي لغزو مصر . وكتب الى محمد الخير في بربر وعلي ود سعد في المتعة ان يجمعوا الجيوش بمثل هذه الضريبة ويلحقوا بورد النجومي . فخرج النجومي من دنقلة في ٣ رمضان سنة ١٣٠٦ هـ ٣ مايو سنة ١٨٨٩ م بجيش مؤلف من ٤٠٠٠ مقاتل و ٧٠٠٠ من النساء والاولاد من اخلاط الجعليين والدناقلة والبطاحين والفلاته والمولدين والبقارة ومعهم نحو ٣٠٠ بندقية و ١٠ مدافع و ٣٠٠ جواد و ٥٥٠ جل و ٣٠٠٠ حمار . وكان قد جمع لهم الفلال والتمر في الكرمة فوزعها عليهم للرجل الواحد ٣ قراريط ذرة و ٣ قراريط شعيراً و ٣ قراريط تمرأ وللأمير اردب واحد من كل صنف . وسار بالبر الغربي مع علمه بأفضلية البر الشرقي ليتجنب حصون الجيش . وقد اكتسح بلاد المحس وسكوت وساق أهلها كرهاً أمامه لحمل أثقاله وسار ببطيء حتى وصل سرس بمقدمة جيشه في ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٩ . وكان قد كتب الى عبد الحليم مساعد فاستقبله غربي سرس ومعه من الانصار ١٢٠٠ مقاتل و ١٠٠٠ من النساء والاولاد معهم ٣٠٠ بندقية و ٤ مدافع و ٥٠ حصان و ٥٠ جمل .

وزحف النجومي بالجيش كله على معتوقة فوصلها في ٢٨ يونيو فأخذ بعض الأمراء وصعد على حجر ابي صير فكشف منه حلقاً وحصونها ثم عاد الى المعسكر وهناك قسم جيشه الى ثلاثة اركان : الركن الاول الجعليين والبطاحين وعليهم ابن اخيه احمد بشير . والركن الثاني الدناقلة والمولدون وعليهم عثمان ازرق . والركن الثالث البقارة من حر وهبانية وأولاد حميد ومسيرية وعليهم اسماعيل عبد الجايد من اولاد حميد . وجعل عبد الحليم مساعد وكيلاً له في الجيش .

واقعة ارجين في ٢ يوليو ١٨٨٩ : وفي ظهر الاثنين في ١ يوليو تقدم بالجيش طالباً ارجين شمالي حلقاً بقصد الاستقاء منها فاحتل التلال المطلة عليها ضحوة ٢ يوليو .

وكان ود هوس باشا عالماً بجميع تحركاته ومستعداً لملاقاته وقد أمر أهل
 العدوة الغربية من حلفا الى توماس على نحو ٧٠ ميلاً شمالي حلفا فقطعوا ثمر
 نخيلهم وأخلوا منازلهم وعبروا الى العدوة الشرقية وبقي في حلفا يرقب
 حركاته فلما علم بخروجه من معتوقة أسرع الى ارجين فحضرها . أما ارجين
 فهي بلدة مستطيلة تمتد على النيل نحو اربعة اميال في وسط غابة من النخيل
 في طرفها الجنوبي طابية صغيرة على نحو ٣ اميال من حلفا وفي طرفها الشمالي
 بيت العمدة فحضر ود هوس البيت والطابية وجعل اورطة من العساكر في
 مجموع من المنازل وسط البلدة وحضر طابية اشكات تجاه بيت العمدة وبقي
 هو مع بقية عساكر حلفا في اربع وابورات حربية وهي التمة وابو طليح
 والتيب وتباي لنجدة النقطة التي يقع فيها القتال فاجتمع عنده من العساكر في
 ارجين عدا اركان حربه ١٩٤٢ عسكرياً منهم ١٦٠ من السواري و ٥٠ من
 الطويجية معهم ٨ مدافع كروب و ١٣٠ من الهجانة والاورطة السودانية
 التاسعة والعاشر والحادية عشرة و ٢٣٢ رجلاً من القسم الطبي . وكانت قلال
 ارجين التي نزل بها النجومى على ٥٠٠٠ يرد من النيل اي ضمن دائرة مرمى
 القنابل فلما أطل النجومى أمر ود هوس طويجيته فرموه بالقنابل من الشرق
 والغرب والوابورات وكان جيش النجومى في أشد العطش فرأى انه لا يتسنى
 له الوصول الى الماء إلا بالقوة فأمر وكيله عبد الحليم مساعد فأخذ وكن اخذ
 البشير وفيه نحو ٣٠٠٠ مقاتل ومدفعاً واحداً وسار في خور متصل بالنيل
 تحت القنابل والرصاص حتى ورد الماء بين الطابية الجنوبية والاورطة التي في
 وسط البلدة ونضب المدفع في محل مرتفع فأسرع ود هوس وأنجد الطابية
 والاورطة التي في وسط البلدة وحتم على العساكر طرد الدراويش من النيل
 فصبوا عليهم الرصاص والقنابل من كل الجهات ثم هاجمهم في مراكزهم فدافعوا
 عن انفسهم دفاع الابطال ودام القتال من الضحى الى قرب الغروب فكان
 النصر للعساكر والهزيمة للدراويش وقد قتل من الدراويش نحو ٩٠٠ رجل
 وأمر ٥٠٠ وجرح من أمرائهم عبد الحليم مساعد وعثمان ازرق وأصاب

النجمي شطايا قنبلة وهو على التلال البعيدة فجرحته في فخذيه وغنم الجيش مدفعهم وأمر نحو ٥٠٠ نفس من النساء والاولاد . وأما خسارة الجيش فكانت ١١ قتيلًا و ٥٩ جريحاً . وقد كان بين قتلى الدراويش من الأمراء ٢٥ وفيهم شيخ ادريس ود الهاشمي الجملي . قيل انه قال لأصحابه قبل الهجوم : « هيا بنا نموت قبل أن نجفت ، أي نضعف ونهزل جوعاً .

وبات النجمي ليلته على تلال ارجين فعمد في تلك الليلة مجلساً من الأمراء فقال عبد الحليم الرأي ان نرجع الى بلاد المحس الى ان يأتينا الزاد والنجدة من الجنوب لأننا عدنا القوت والماء والطريق أمامنا مفازة قاحلة معطشة والجيش يطاردنا فيمنعنا ورود الماء وجلب القوت . فقال النجمي لا والله لا أرجعنا الى الورا إلا محمولاً على الاكتاف فاذا عطشنا او جعنا فائمانحن في جهاد فلنتدبر بالصبر والثبات حتى نفوز بالنصر او بالشهادة قال ذلك وهز سيفه فوق رأسه فتحمس الأمراء في المجلس وهزوا سيوفهم فوق رؤوسهم وانحازوا الى رأيه . وفي صباح في ٤ يوليو سنة ١٨٨٩ نهض من التلال وأوغل في طريق الصحراء حتى تجاوز مرمى القنابل واستطرد السير شمالاً ولم يكن مع ود هوس ما يكفي من العساكر لمهاجمته في الصحراء فسار بجذائه في الواورات بقصد منعه ورود الماء . ومع ذلك فقد فرض النجمي على أصحابه النزول الى الماء متلوين فكل ليلة ينزل جماعة منهم الى النيل تحسب في الظلام فيحملون منه كفاية الجيش كله يوماً واحداً . وما زال كذلك حتى أتى البلينة جنوبي هيكل أبي سحبل فاتخذ تلالاً على نحو ميلين منها و ٣٠٠٠ يرد من النيل وأقام فيها ينتظر علي ود سعد الجملي ومكين النور المزكي اللذين كانا يتبعانه . فحسبكر ود هوس قبائلته في البلينة .

وأرسل الخليفة الى النجمي رسلاً هجانة مخصوصين ليطلعوا على حاله ويعودوا اليه بالخبر اليقين وأرسل معهم كتاباً يوصيه هو وأمراؤه بالتيقظ وعدم الغفلة من الأعداء والاختذ بالحزم والعزم والاتحاد الى ان يأتهم عاملهم بونس الدكيم . فكتب اليه النجمي عما جرى له منذ خرج من معتوقة وما لاقاه

هو وقومه من المشاق والحن في الطريق . وبما قاله له بعد ذكر واقعة ارجين
وأسماء الامراء الذين قتلوا فيها :

« سيدي وملاذي بعد اهداء مزيد السلام نرفع الى مكارمكم عن احوالنا
وأحوال الانصار الذين معنا انه قد مسهم الضرر الشديد الذي ما غلبه من
مزيد واشتد بهم الحال وضاق الامر جداً فان الجوع الحال بهم أضنام وأذهب
قوام فورم أجسامهم وغير أحوالهم لأنهم قبل دخول بلد العدو كان قوتهم
التمر الأخضر المرّ وثواء وانقطع عنهم من مدة ولطول الطريق وكثرة المشقة
ضعفوا فدخلوا البلد على حالة ضعيفة . ولشدة الضرر جلسوا جميعهم على
الارض وكثيرون منهم ماتوا جوعاً . وأما ضعفاء اليقين منهم فلعدم صبرهم
على البأساء والضراء رغبوا في الأعداء . والجهادية والعبيد والخدم لحقوا ايضاً
بالأعداء وارتدوا عن الدين ولم يبق منهم إلا النادر . ثم ان الجهادية الذين
أرسلوا معنا طويحية للمدافع من طرف سيدي يونس كانوا خمسة وثلاثين الجميع
رغبوا في الكفرة وهربوا اليهم ولم يبق منهم إلا ثلاثة . وكذلك من سرس
انضم اليانا نحو سبعين من الجهادية والجميع دخلوا القياقر ما عدا ستة وما
دعاهم لذلك إلا تراكم الضرر والاضطرار الذي ألجأ الناس كافة الى أكل ما لا
يذكر من الحيوانات وغيرها ولم يبق معنا من الانصار إلا من تداركه الله
بلطفه وصبر على البلاء والاختيار وله جلد على ذلك ولولا لطف الله بنا
وجميل نظرهم لما قدرنا على الوصول الى بلاجه (البلينة) . والحاصل ان
الانصار تبعوا وضاق بهم الحال وعظم الخطب وطالما صبروا على ذلك لأنهم
من عهد ما « صرفوا » بدنقلة لم يجدوا « صرفاً » اصلاً ولم يكن معنا ما
نعطيهم لسد رمقهم وحفظ انفسهم وأرجو الله يباهم سيدي ان يتولاهم ويصلح
شأنهم ويأتيهم بالفتح من عنده . وكذلك الجمال التي كانت عندهم وجمال
الجبخانة والخيول والحير ماتت من شدة المحل وطول السفر ولم يبق منها إلا
النادر . وان الخيل الموجودة بالجيش فهي مائتان بالكشف المعروض لسيدي
يونس الدكيم في تعداد الجيش مع انها كلها هزيلة ولا تقدر على كرا أو فزع .

والخيل القوية منها لا تزيد على الخمسة عشر حصاناً ولذلك فإن خيل الكفرة دائماً تبدو بنواحي الديم وليس عندنا خيل قوية لمطاردها غير الخمسة عشر المذكورة . وان جبخانه الرمتون التي معنا جميعها وزعت على اهل السلاح لعدم القدرة على مشالها دفعة واحدة وكذلك جبخانه المدافع وزعت على الانصار جلّة جلّة خرطوش خرطوش لموت جمالها كافة وان من المدافع مدفعاً جرّه الانصار اولاد العرب على أعناقهم الى مكان بعيد لعدم وجود حمل يحمله . وكذلك بعض الجبخانه والمدافع التي كانت بسرس تركت يجهاتها لعدم وجود الجبال . وجميع الانصار كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم ماشون على أرجلهم حاملون على رؤوسهم كما شاهد ذلك الاخوان الهجانة الذين أتوا من سيادتهم .

حاشية : انه لشدة الضرر الحاصل على الانصار فلو صار قيامنا من المرحلة الاولى فلا يمكن جرد السير وقطع مسافة الى مرحلة اخرى بل نزل بالقرب منها برأي العين ولا يتلاحق الناس إلا الى الغروب لعدم القدرة على المشي . ولو صار قيامنا من هذه المرحلة للمدافع لا يمكن حملها معنا بحال مطلقاً . وقد نرينا انه لو قنا ندفعها بالخلاء ونأخذ واحدة منها فقط حتى ينصر الله دينه . وجميع الملازمين الذين معنا ليلة تاريخه لحقوا بالأعداء حتى حامل ركوتنا وما بقي منهم إلا نحو ثلاثة او اربعة ...

أما اهل الريف من معتوقة الى بلاجة التي وصلنا اليها فكلهم قاموا في عون الكفرة وحزبهم كل التحزب ومن عهد دخولنا ديارهم الى الآن لم يأتنا منهم وارد ولا معرج ولا راغب في الدين ولا من يريد تجارة بل الجميع حملوا الاسلحة النارية وحاربونا أشد الحاربة وما من قرية من قراهم التي بشاطيء البحر الغربي إلا رأينا اهلها قد قطعوا أثقلم بالشرق او ادخلوها الجزائر وتركوا القرية خالية لتكون حصناً لهم وللکفرة لحرب الانصار . وتبين ان جميع الجهات التي مرّ الجيش بها من ارض الريف اهلها أعداء وعصاة بل الذين لم نكمل جهتهم الى الآن فالترامي من حالهم انهم كذلك لأننا ناهزنا الوصول الى بلدهم ولو كانوا راغبين لأتونا فإن المكان ليس ببعيد . أما بوايين الكفرة فما

زالت سائرة معنا بالبحر تبيت معنا حيث بتنا وتقبل حيث قلنا وعساكرهم ماشية بالشرق في خيل وجمال لمنع الانصار ماء البحر ولم يمكن شرب الماء إلا بقتال ومضاربة واستشهاد وجراحات وجزى الله الانصار خيراً وبارك فيهم فانهم ما زالوا مطمئنين على حالهم وثابتين على محاربة عدوهم لا ينتظرون إلا النصر والظفر بالأعداء او الفوز بالشهادة . ولقد وصلهم المنشور الكريم الصادر من لدنكم لهم بالذاكرة والمداولة والتذكير بالله وبأيام الله فتلقوه بقلوب صادقة ونيات صافية وألزموا انفسهم القيام بذلك حق القيام وزادوا به نشاطاً في الدين وعلو همة لكفاح القوم الكافرين . ولقد رفعنا لسيدي يونس الدكيم ما جرى من هذه الوقائع بالتفصيل ولم نزل نرفع اليه ما يتجدد من الاخبار شيئاً فشيئاً حسب الاشارة ... في ١٢ القعدة سنة ١٨٠٦ هـ « اه ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ .

يحيى السردار الى البلينة وكتابه الى النجومي : هذا وكان السردار غرنفيل باشا يدير حركات جيش الحدود تلعرافياً من مصر ويحشد الجيوش الى ااصوان . فلما كان ٥ يوليو سنة ١٨٨٩ خرج بأركان حربه وأتى معسكر ود هوس في البلينة في ١٥ من الشهر المذكور فعلم من الفارين سوء الحالة التي صار اليها النجومي وجيشه فأرسل اليه ثاني يوم واصله كتاباً مع رسولين يدعوهم فيه الى التسليم بما نصه :

« ما على الرسول إلا البلاغ . وبعد فاني اكتب اليك هذا يا ولد النجومي لأعطيك ان قائدني الباسل ود هوس باشا اخبرني بتجهمك على الحدود فجئت لأرى بعيني الحالة الراهنة وعلى أثري ألوف من العساكر الانكليزية والمصرية . وقد بلغني انتهابك لممتلكات الناس المساكين الذين لا طاقة لهم بالدفاع عن انفسهم وأخذك نساءهم وأولادهم وتخريبك بلاداً كانت بالأمس عامرة مطمئنة . وكنت قد صممت على سحقك ومحو أثرك وأثر انصارك عن وجه البسيطة بلا انذار ولكن عند مجيئي الى هنا وجدت انكم قوم مستضعفون مساكين تموتون جوعاً وعطشاً . وأنا عالم سوء حالك انت وعالم انك فريسة لغيره

كتاب الشوكات

ذلك الخليفة الكذاب الذي جعل ابن عمه يونس عاملاً في مكانك وجعلك تحت طاعته وأرسلك أنت والأعراب الذين يخشى شرهم بحجة فتح مصر وهو اغا يريد هلاككم فانه يعلم ان الذي أرسلكم اليه لمستحيل عليكم بل انتم ايضاً تعملون ذلك ولكنكم لهماوة قلوبكم تظنون ان طاعة ذلك الكذاب واجبة . ولقد رأيتم الآن خيبة مسعاكم وسوء مصيركم . وأنتم فيما تعلم طالبون ببيان وتظنون ان املاها ينصرونكم فاعلموا ان بيان تبعد عنكم مئات من الاميال وتصلكم عنها مفازة طويلة لا ماء فيها . بل هب انكم وصلت اليها فانكم تلاقون فيها جيوشاً انكليزية ومصرية متعطشة لشرب دماء الأعداء . وعليه فاذا تقدمت الى الامام فانت هالك لا محالة واذا رجعت الى الورا فان جيوش حلفاء واقفة لك بالمرصاد . واذا بقيت حيث أنت مت جوعاً وعطشاً فأصبحت كالطائر في القفص لا منفذ لك ولا معين . لذلك ولما كانت حكومتنا السنية مجبولة على حب الشفقة والانسانية . ولا تريد قتل النفوس ولا سب النساء والأولاد فقد جئتكم بهذا ادعوك الى التسليم فاذا سلمت سلمت أنت ومن معك من الأمراء والأعوان . واعلم انك تأخذ هذا الوعد من جنرال انكليزي . وأما اذا أبيت التسليم فليس امامك إلا الهلاك كما بينا لك . فاختر أرشدك الله الى الصواب احدى الطريقين واني في انتظار الجواب على كتابي هذا مع رافعيه والسلام .

فأجابه النجومي في اليوم التالي بكتاب هذا نصه بعد البسملة :

و بعد فمن عبد ربه المعتم بمولاه عبد الرحمن النجومي الى السردار غرنفيل باشا هداه الله الى الصراط المستقيم . سلام على من اتبع الهدى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . ثم نعلمك ان جوابك المرسل منك بإعلامنا بحضورك وما جئت لأجله وصلنا ولاخر ما ذكرته فيه وزعمته من الاقاويل التي لا طائل تحتها قد علم لدينا ونقول لك اننا ما بمشاي من طرف السيادة . إلا لدعاية الناس والمسلمين وإدخالهم في سور الرحمة والهداية اجمعين . وليس حضورنا الى بيان فقط كما تقول ولنا نقصدها بالذات بل المقصود بالذات

تأريخ الشيعة

الوصول الى جميع البلاد وإدخال أهلها في الدين بمعونة الله رب العباد فمن صدق وآمن واتبع وسلم الأمر لله تعالى ورسوله ﷺ ومهديه «عم» وخليفته عليه الرضوان وسلم جميع ما كان معه من الأسلحة والجبّاحين أمناه على نفسه وماله وولده له ما لنا وعليه ما علينا ومن خالف واتبع نفسه وهواه وأبى إلا جماحاً فالسيف حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو أحكم الحاكمين . هذا واعلم ان جوابك المذكور وغيره . من الاجوبة الواردة منك الى الاخوان الثلاثة ارسلت الى سيدي يونس مع احد الرسولين عبد الهادي ومنه الى سيدنا ووسيلتنا الى الله خليفة المهدي «عم» للاطلاع عليها وحضور الرد لكم من لدنه بما فيه الكفاية ولو كنا مأمورين بردها امثالها لكتبنا اليكم من ذلك ما فيه المقنع . أما ما ذكرته من كثرة عساكرك وقرب وصولها الخ فذلك لا يهولنا ولا يخيفنا بل لا نخشى احداً إلا الله تعالى ولو الثقيلين الانس والجن فلقد كنا قبل هذا متربصين بكم وقائمين على جهادكم وشن الفارة عليكم وبما ان الله تعالى اخرجنا من ظلمات موالاتكم وقربكم فاعلم اننا باقون على قتالكم وجهادكم واستئصالكم حتى لا ندع على وجه الارض منكم داعياً ولا مجيباً او يفوز بالشهادة من يفوز ويلقي الله تعالى . فتحقق ذلك ولا تنتر بعساكرك ومدافعك وصواريخك وكثرة بارودك العارية عن معونة الله تعالى وفيما سبق من إهلاك رجالكم ورؤساء دولتكم كهكس وغوردن وأشباههم مع كثرة جنودهم وعدتهم وكفلية فان أسلمت وسلمت جميع المدافع والجبّاحات والأسلحة سلمت عليك أمان الله ورسوله ﷺ ومهديه «عم» وخليفته عليه الرضوان وإلا فهذا حجة عليك وذنبك وذنب من معك مطوق في ذمتك . أما رسولكم الآخر فضل المولى فهو عائد لكم بهذا والسلام على من اتبع الهدى القعدة ١٣٠٦ هـ يوليو ١٨٨٩ .

وأرسل النجمي الرسول الآخر الى يونس والخليفة كما قال ومعه الكتب التي ارسلها اليه السردار وصورة جوابه هذا . فكتب الخليفة اليه بهذا الشأن ما نصه :

و بعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة الصديق الى المكرم عبد الرحمن النجومى كان الله له وتولاه وحفظه ورعاه آمين . بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نعلمك أيها المكرم ان المحررات التي وردت من عدو الله جرنفل برسكم قد وصلت لطرفنا من المكرم يونس الدكيم ومعها المحررات منكم له بأحوالكم وأحوال من معكم وما بالجميع فهم . والحال أيها المكرم ان ما حررت له عدو الله المذكور رداً لما ورد منه قد وافق فجزاك الله تعالى خيراً وكفاكهما وضيراً وبارك فيك وحمد مساعيك وهكذا شأن من يكون بمثابة من رجال الدين الذين يبيعوا الله ورسوله ومهديه ويبيعونا . وقد اطلعنا على محررات جرنفل الخبيثة وما ذكره فيها من الأمور التي سوتها له الشيطان وحمله عليها ظنه الفاسد مؤملاً ما ليس له اليه سبيل ولم يعلم قاتله الله ان اصحاب المهدي « عم » لا يلتفتون الى مثل هذه الاباطيل ولا يتخدعوا بأقوال الكافرين . وقد علمنا من محرراته ان الذي حمله على ما قاله هو محض الخوف الشديد فانه لما كان يجهة سواكن وحصلت المضايقة الشديدة من الانصار على اهل القيمر حرر مكاتبات مثل هذه الى المكرم عثمان دقنة ولما رفعها المذكور اليها أمرناه بعدم الرد عليها وصرف النظر عنها ولما علم ان الانصار لا يلتفتون الى قوله ولا يردون له جواباً كفت عن المخاطبات وخيب الله سعيه . فالان بما انه حضر الى جهتكم وابتدأكم بالمحررات فاعلم ان قصده ادخال الغفلة عليكم . والرسل الذين يأتون منه بالمكاتبات انما هم طلائع يكشفون اخباركم ويعرفونه بما أنتم عليه فلا يجد عدو الله فيكم مدخلا ولا غفلة بمحرراته الفاسدة فانه قد علم بهزيمكم لمساكره مراراً عديدة ودخولكم ارض الريف على رغم انفه ولحقه من ذلك الفزع الشديد فأراد ان يوقع في قلوبكم أقاويله الكاذبة ومعتقداته الفاسدة فلا تقبلوا له قولاً ولا يبلغه من جهتكم أدنى وهن او ضعف . ومن الآن فصاعداً اذا أرسل اليكم جواباً ورأيتم استصواب رده فحرروا به على ظهر ظرفه بأن جوابك وصل وما هو عائد اليك ولا رغبة لنا في نظره وسماعه ما لم توف بالله

ورسوله وتصدق المهدي « عم » وتسمع اشارة خليفته وانا لسنا بأذنين في مجاوبتك وإلا فان رأيتم عدم رجوع رسوله فأحرقوا جوابه بالنار وله تجيبوه بشيء وجزاكم الله تعالى خيراً حيث تفتنتم لأقواله وحررتهم له ما يفيظه فلا تشتغلوا معه بمكاتبات ولا يطلع احد من الاصحاب على محرراته فان الأقوال الفاحشة فيها كثيرة وسماها لا خير فيه لأنه مضر وعليه ظلمة الكفر وما زلتم فعاملوه بما يفيظه من عدم رد محرراته فان ذلك ألبق بحاله لأنه كافر بالله ورسوله وآيس من رحمة الله والسلام في ٢ الحجة ١٣٠٦ هـ ، ١٥ ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٩ م .

هذا وكان السردار لما رأى عناد النجومي واصراره على الحرب اخذ يهتم لصدّه عن التقدم شمالاً والتكليف به فرجع الى اصوان وشرع في حشد الجيوش الى طوشي . وفي ٢٢ يوليو فرّ الى معسكر ود هوس باشا كاتب عبد الحلیم المدعو حسن حبشي من كتاب الفتح الاول فأخبر ود هوس بعدد جيش النجومي وما عليه من سوء الحال وانه أحصاه بنفسه قبل فراره فكان ٢٨٢١ مقاتل معهم ٣٠٩ بنادق و ١٣٢ جواداً و ٢٠٠ جمل و ٤٠٠٠ من النساء والاولاد . وفي ٢٥ من الشهر المذكور وصل علي ود سعد ومكين النور اللذان كان النجومي في انتظارهما ومعها نحو ٥٠٠ مقاتل و ٣٠٠ بندقية . وبعد وصولها بثلاثة ايام خرج النجومي يبحشه مستطرداً السير شمالاً . وعند خروجه ذهب بعض الجنود المصرية الى معسكره لتفقد حاله فوجدوا بعض المرضى قد تركوا وحدهم بحالة تفتت الأكباد من الجوع والعطش والعري والالام فنقلوهم الى اسبیتالية الجيش في البلينة . ووجدوا في الدیم ٢٥٠ ضريحاً عدا الجثث التي تركت في العراء بلا دفن . ووجدوا عظام البهائم التي أكلوها قد كسرت واستخرج ما فيها من الدهن بما دلّ على شدة احتياجهم الى القوت . واقتفوا اثر النجومي شمالاً فما أبعدوا حتى وجدوا مدفعين مطمورين بالرمال والطريق مغطاة بالدروع التي عجزوا عن حملها .

هذا وحال خروج النجومي من البلينة خرج ود هوس بمساكره وأتى

تأريخ السودان

طوشي وكان السردار قد حشد اليها من اصوان الجيوش المصرية وفرسان
الجيوش الانكليزية . وهو في انتظار الجنود الانكليزية المرسلة من مصر لنجدة
الجيش المصري . فلما علم بتحرك النجومي شمالاً أسرع بأركان حربه الى طوشي
فوصلها في ٣٧ يوليو وقد اجتمع له فيها القوات الآتية : الأسلحة الراكبة
وفيه ٤٠٩ فرسان من السوارى الانكليز الهوسار والسوارى المصرية والشايقية
بقيادة اللواء كلشنر باشا . والطويحية المصرية وهم ٢٤١ مقاتلاً ومعهم ٨
مدافع بقيادة القائمقام رندل بك . والمشاة المصرية وهم لواءان اللواء الاول
مؤلف من الاورط السودانية التاسعة والعاشر والثالثة عشرة وفيه ١٤٨١
جندياً ، واللواء الثاني مؤلف من الاورطتين المصريتين الاولى والثانية والاورطه
السودانية الحادية عشرة وفيه ١٤٨١ جندياً وكلاهما بقيادة اللواء ود هوس
باشا ذلك ما عدا ٧ ضباط اركان حرب و ٧١ رجلاً من القسم الطبي والقسم
البيطري ، وبمجموع الكل ٣٦٨٠ رجلاً و ٨ مدافع . وكان رئيس اركان حرب
السردار اللواء ستل باشا المشهور بثبات الجأش وسداد الرأي . وكان أهم
اركان حربه في هذه الواقعة كما في واقعة الجيزة المار ذكرها القائمقام ونجت
بك (السردار الحالي) الذي عهدت اليه وظيفة مساعد ادجوتانت جنرال
المخابرات فوق وظيفة اركان حرب فقام في الوظيفتين خير قيام وأثنى عليه
السردار في تقاريره الرسمية أجمل الثناء . وقد كان ما أبداه في ذلك العهد
من الكفاءة والبسالة وعلو الهمة بشيراً صادقاً بما بلغ اليه الآن من سمو المنزلة
ورفعة المقام .

واقعة طوشي السبت في ٣ اوغسطس سنة ١٨٨٩ :

اما طوشي فهي بلدة مستطيلة على غربي النيل على نحو ٦٠ ميلاً من حلفا
وفيهما نخيل كثير وتمتد أراضيها الزراعية نحو ١٢٠٠ يرد الى جهة الصحراء
ومن ورائها سهل رملي متسع تتخلله الآكام والصخور العظيمة وتكتنفه الجبال
من الشمال والجنوب والغرب . أما الجبال التي الى جنوبيه فتبعد اربعة أميال

تاريخ السودان

من طوشي وتمتد من النيل ٣ أميال غرباً. فلما كان مساء الخميس ١ أوغسطس سنة ١٨٨٩ وصل النجومي تلك الجبال وعسكر عند سفحها الغربي ليكون في مأمن من قنابل الواورات التي كانت لا تزال تطارده . وكان قد هجره بعض أتباعه في الطريق فبقي معه ٣٢٠٠ مقاتل و ٣٦٠٠ من النساء والاولاد والأتباع وهي القوة التي حارب بها في واقعة طوشي .

وفي فجر الجمعة في ٢ أوغسطس خرج السردار ببعض الفرسان من طوشي وكشف معسكر النجومي من تلة في السهل فرآه يصلي هو وجيشه . وأفساد الفارثون منه انه مستطرد السير شمالاً في فجر اليوم التالي فكشف السردار طريقه فوجد انه لا بد له من المرور في سهل طوشي فعاد الى البلدة على نية الخروج الى هذا السهل وصدّه عن التقدم شمالاً الى ان تصل النجدة الانكليزية فيوقع به .

ولما كان فجر السبت في ٣ أوغسطس نهض النجومي بجيشه ودخل سهل طوشي فخرج له السردار بأركان حربه والاسلحة الراكبة حتى صار على ١٥٠٠ يرد منه الساعة ٦ والدقيقة ٤٥ فتقدم اهل البنادق من جيش النجومي ورموه بالرصاص وتبعهم الباقون مهاجرين فأمر السردار السواري فتواروا خلف تل صغير وأمر الهجانة فترجلوا ووقفوا صفاً واحداً وصبوا الرصاص على الدراويش حتى كثر عدد المهاجرين فتقهقر السردار بالمساكر امامهم لجذبهم الى وسط السهل فظنوا انه يفر خوفاً منهم فأسرعوا وراءه مهاجرين فاتخذ مركزاً حصيناً وسط السهل وأرسل في طلب مدفعين من البطارية السواري واللواء الاول وما زال رجال الاسلحة الراكبة يطلقون نارهم حتى كانت الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ فحمل النجومي عليهم بجيشه حملة واحدة في مقدمته اهل الاسلحة النارية وفي ساقته النساء والاولاد . ولم يكن السردار قادراً على صده بما لديه من المساكر فتقهقر امامه الى جهة طوشي واتخذ مركزاً حصيناً عند سفح تلة مغروطة الشكل على نحو ميلين من جنوب طوشي الغربي ولم تمضِ عشر دقائق حتى كان العدو قد وصل المركز الذي هجره السردار وظلّ مهاجماً . وفي الساعة



الجنرال غرنفيل

تأجيل الشوكات

٩- وصل المدفعان اللذان طلبهما السردار فاتحهم رجالهما مع رجال الاسلحة الراكبة وسددوا رمي القنابل والرصاص على النجومي فلم يكن إلا القليل حق غير وجهة سيره. وشار نحو الشمال الغربي ليتخلص من السهل وكان السردار انما يريد حصره فيه لموافقته لتحركت العساكر فأصدر أمره الى الاسلحة الراكبة بقيادة كشنر باشا. فنقلت الى التلال التي الى الشمال الغربي من السهل وسدت طريقه شمالاً .

وفي الساعة ١٠ وصل اللواء الاول بقيادة هنتر بك فاحتل مركز الاسلحة الراكبة وهو سلسلة من الآكام الصخرية تمتد نحو ٢٠٠ يرد شمالاً وجنوباً وتبعد نحو اربعة أميال من النيل فلما رأى النجومي ان طريقه الى الشمال قد سدت عول على الحرب ورأى أمامه اربع آكام متجاورة في وسط السهل تجاه مركز اللواء الاول وعلى ٨٠٠ يرد منه فصف أنصاره عليها. فجعل اهل البنادق في الامام ومن وراءهم الحراية ونصب هو رايته في تلة وراءها وجعل النساء والاولاد والحملة في مكان منخفض وراءه بعيداً عن رمي الرصاص والقنابل . وفي هذه الأثناء حضر اللواء الثاني مع الستة مدافع الباقية فأمره السردار فوقف وراء اللواء الاول لتجديته عند الحاجة . ولما كانت الساعة ١٠ أمر السردار اللواء الاول والطويحية ففتحوا نيرانهم على حامية العدو فأجاب العدو نيرانهم مدة نصف ساعة ثم أمر اللواء الاول فافتحم رجاله رصاص الدراويش من القلب والجناحين. يحرأه الاسود حتى وصلوا تلاهم والتحموا بهم وساعدم اللواء الثاني والطويحية والاسلحة الراكبة فلجأوا الدراويش من مراكزهم عنوة بعد ان جندلوا أبطالهم وكانت الساعة اذ ذاك ١١ ونصفاً وقر من سلم من الدراويش نحو معسكر النساء والحملة ولحق بهم النجومي على جواده ليجمع شتاتهم فأمر السردار الاسلحة الراكبة والطويحية بطارتهم وعند الظهر تقدم بسائر العساكر فسار اللواء الثاني أولاً ليأخذ « نوبته » في القتال وتبعه اللواء الاول . وفي أثناء ذلك جمع النجومي شتات جيشه وركز على العساكر فلم يلبث ان اصلبه الرصاص فسقط مجندلاً الى الارض ومات فحصله بعض اصحابه

على جل وفروا منهزمين وانهزم بقية جيشه فتقدم العساكر واستولوا على الديم وما فيه من الخيام والطبول والسروج والسيوف والدروع ولحقوا بالمنهزمين فأمرؤا عدداً كبيراً من الرجال والنساء والاولاد. ولحقت كتيبة من السواري الجبل الذي حمل الجثة فقتلوا حراسها وأتوا بها الى طوشي فوجدوا انها جثة النجمي . وأمر السردار فأوقفت النار الساعة الثانية بعد الظهر وعادت العساكر بالفنائم والامرى الى طوشي فوصل آخرهم الساعة الخامسة بعد الظهر وقد قضوا النهار كله يقاتلون بلا زاد ولا ماء او بماء قليل لأن أكثرهم خرجوا للحرب قبل ان يفطروا .

القتلى والجرحى : وقد كانت خسارة الجيش في هذه الواقعة ٢٥ قتيلاً و ١٥٠ جريحاً فضموا القتلى جميعاً الى مكان واحد في ساحة القتال وبنوا فوقه قبراً نقشوا على واجهته باللغة العربية كتابة هذا نصها : « شيد هذا الاثر تذكراً لواقعة طوشي التي حصلت في ٦ الحجة سنة ١٣٠٦ هـ وانهزم فيها جيش العصاة السوداني المرسل تحت امرة عبد الرحمن ولد النجمي فقتلتوا بعد قتل اميرهم وكان الجيش المصري تحت قيادة سعادة السردار غرانفل باشا وفي هذا القبر دفنت جثث العساكر المصرية الذين استشهدوا وهم بالميدان ... وأما المدوف فقد قدرت خسارته بنحو ١٢٠٠ قتيل فيهم ٦٢ اميراً وأهمهم النجمي وابنه وعبد الحليم مساعد . ولجأ من امرائه عثمان ازرق وعلي ود سعد وحسن النجمي ومرغني سوار الذهب والطاهر والشيخ العبيد ، ومن عامتهم ١٤٠٠ نفس نصفهم او أكثر من النساء والاولاد فعادوا الى دنقلة . وأما محمد الخير فانه لم يكذب يصل من بربر الى دنقلة حتى مرض بالحمى فمات قهراً قبل واقعة النجمي بأيام معدودة . قيل وقد استغفر ربه كثيراً قبل وفاته لنصرته المهدية .

الفنائم والامرى : وجمعت الفنائم بعد الواقعة فبلغت ١٤٧ راية و ٤٠٠٠ حرية وعدداً كبيراً من السيوف والبنادق والدروع والسروج والطبول . وأما

أسرى الواقعة فكانوا ١٢٠٠ فأصبح عدد الأسرى والفارين من جيش النجومي منذ دخوله الحدود نحو ٤٠٠٠ من رجال ونساء واولاد فوزع نحو الف منهم في مديرية الحدود وأرسل الباقون الى اسيوط فوزعوا على مديريات القطر إلا نحو مئة من الامراء والمقاديم فانهم وضعوا في سجن طره مدة ثم نقلوا الى رشيد حيث بقوا الى ما بعد فتح دنقلة سنة ١٨٩٦ فأطلق سراحهم . وكان السردار قد أذن لـ ٣٤١ نفساً منهم فرجعوا الى بلادهم بطريق سرس في ١٣ ابريل سنة ١٨٩١ . هذا وكان بين الأسرى ابن النجومي عمره سنة فأدخل في المدارس الاميرية بمصر ولا يزال يتلقى العلوم فيها الى اليوم . وكان بينهم تاجر يدعى أبا زيد فرّ من التوفيقية سنة ١٨٨٨ وهو الذي دلّ الدراويش على مهاجمتها فعوكم بمجلس عسكري وقتل رمياً بالرصاص .

« وانحلت قوة الحملة » على النجومي في ٦ اوغسطس وعاد السردار الى مصر في ١٧ منه . وقد امتاز فيها من الضباط المصريين برتبة بكباشي : علي بك حيدر ياور السردار وحسن افندي رضوان من الطوبجية ومصطفى افندي رمزي اركان حرب . وامتاز فيها من الموظفين الملكيين السوريين : ملحم بك شكور سكوتير عربي السردار وسليمان بك ناصيف من موظفي السردارية وطنوس افندي شحادة مترجم السواري وأمين افندي حداد مترجم في « المهات » . ومن الملكيين المصريين : عبد الله افندي فكري المار ذكره وابراهيم افندي زيدان مترجم الحدود ونحله افندي تادرس مترجم الاورطة الحادية عشرة السودانية . وحضر منهم ميدان القتال ملحم بك شكور وطنوس افندي شحادة وابراهيم افندي زيدان .

وبعد واقعة طوشي مدت الحدود المصرية جنوباً الى سرس فاحتلتها الاورطة الثالثة عشرة في ١١ اوغسطس سنة ١٨٨٩ ورُمم خط سكة الحديد بينها وبين حلفا . وكان الدراويش قد جعلوا حدودهم الشمالية حلة فركة فلما رأوا الحكومة قد احتلت سرس رجعوا الى سواردة على نحو ١٠٠ ميل من سرس وبقوا فيها الى ان طردتهم الحكومة منها سنة ١٨٩٦ كما سيجيء .. ثم

لما استقر الدراويش بسواردة هاجر جماعة من اهل المحس وسكوت الى الحدود فاعطاهم السردار ارضاً في ديرة شمالي حلفا فسكنوها الى ان فتحت بلادهم سنة ١٨٩٦ فعادوا اليها .

احتلال المرات : هذا وكان التعايشي لما صمم على ارسال النجومي لغزو مصر أمر حسن خليفة فخرج من ابي حمد واحتل آبار المرات في ١٩ يونيو سنة ١٨٨٩ م فلما توجه السردار لملاقاة النجومي أمر صالح بك خليفة كبير المليكات فجهز سرية من عربانه وهاجم المرات فطرد الحسن منها واحتلها في مكانه وذلك في ٣ اوغسطس سنة ١٨٨٩ أي يوم واقعة طوشكي . فاتهم التعايشي حسن خليفة بعدم الدفاع عن المرات فعزله وجعل جريجر من أقاربه في مكانه .. وهكذا انتهى حلم التعايشي الذي رآه سيده المهدي من قبله في فتح مصر والعالم فانه بعد انخذه في هذه الواقعة لم يعد يخطر ببالة فتح ولا حملات عدائية كبيرة بل خسر كل اهتمامه في حفظه مملكته من القوات المحيطة بها من الخارج والفتن التي تهددتها من الداخل . وأما حكومة مصر فاتها منذ واقعة طوشكي اخذت تهتم في استرجاع السودان وكان لها بعد الواقعة أحسن فرصة لما اصاب السودان من الجوع والضيق في ذلك العهد ولكن أعوزها المال لما زالت متربصة حتى أتاحت لها الفرص فأعادت السودان حامية حامية بكاسيحي .

وكان السردار قد أصدر الى اهل الحدود منشوراً بتاريخ ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ حذرهم فيه من بمالة النجومي بقوله : « ان من كاتب الدراويش او ساعدهم بشيء ما فعقابه القتل ومن بقي على الولاء وفقد شيئاً من زرعه فالحكومة تعوض عليه » . وفي اكتوبر سنة ١٨٨٩ أصدرت الحكومة الى اهل السودان منشوراً تستحثهم فيه على الرجوع الى الولاء وأرسلت مع بعض أسراء طوشكي ليوزعوا عليهم وهذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيد المرسلين . وبعد فلا يخفى عليكم ما كانت عليه بلادكم السودانية أيام الحكومة الخديوية من رغد العيش

وراحة البال وما آلت اليه حالتها من الضنك والاضمحلال بأسباب الفتنة المهدوية التي هي نتيجة اغراض الرؤساء وحب التظاهر من الأغنياء دون مبالاة منهم بما يترتب على ذلك من سفك الدماء والضرر بالأفراد وخراب البلاد . على ان ملتنا الغراء الاسلامية تأمر بالائتلاف والاتحاد وتنهى عن التنازع والسعي في الفساد وأي فساد اعظم من ايقاد نار الفتنة بين المسلمين . وقد غشكم اولئك الرؤساء تمويهاً باسم الدين وهم أبعد الناس عن معرفة شيء منه حتى اوردكم الممالك واكتسبوا بدمائكم ودماء اخوانكم من المسلمين حسن التمتع بنفوذ الكلمة وظنوا انهم صاروا من ارباب الممالك . أمن قواعد الدين منع الناس عن الحج وهو من الأركان الخمسة التي بني عليها الاسلام وما أنتم ترون اولئك الرؤساء يمنعون قوافل السودانيين عن اداء تلك الفريضة المبرورة . أمن قواعد الدين التحريض على قتال المتسكين بالكتاب والسنة من المسلمين وما أنتم ترونهم يحرضونكم على قتال امة مسلمة عاشت معكم مع حسن التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم وقد ورد عن النبي ﷺ « اذ أشهر المسلم على اخيه في الدين سلاحاً فلا تزال الملائكة تلعه حتى يفمده » . أمن قواعد الدين تحريضكم على ان تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . فلا حاجة الى اطالة الكلام على ما هم عليه اولئك الرؤساء من الاعوجاج عن الدين القويم ومخالفة جماعة المسلمين . واعلموا أيها الاخوان ان ما حل بولد النجومي وقومه وقد اشتهر بينكم بالبسالة والاقدام بما يذكركم بعاقبة الامر الذي أنتم فيه والعامل من اعتبر بغيره فالنصيحة ان تعودوا الى قول القائل :

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

فترجعوا عما انتم عليه بما أضرب بلادكم وينتم اطفالكم ورمّل نساءكم كل ذلك خدمة لأغراض الرؤساء وابتناء غاياتهم . والحق الذي يعلمه الله ان الجئاب الخديوي العالي نصر الله أعلامه أشفق على الرعية من الآباء على الأبناء

حريص على راحة العباد واطمئنان البلاد وقد أبى افتتاح بلادكم بالقسوة والعنف حقناً للدماء وشفقة على الفقراء وكثيراً ما غيّر خاطره الشريف ما ألم بكم من الوبال وسوء الحال وتمنى ان ينعم الله عليكم بالهداية ويمنحكم من مراحه ما يرجع بكم الى ما كنتم عليه من الرغد وصفاء البال فاغتنموا هذه الفرصة الجليلة وقدموا لاعتاب حكومته الخضوع تفوزوا بالمساعدات الجمة والنعم الجزيلة ولا تنسوا الشرف الرفيع والمزايا التي خصتكم بها الحكومة السنية أنتم وآباءكم من الشائقية والجعليين وغيرهم وما أصبحتم فيه من الذل والاهانة تحت أحكام أناس كانوا يلجأون الى سطوتكم ويهابون سلطتكم ففي ذلك الكفاية لمن رام الهداية والسلام سنة ١٣٠٧ هـ ، اه .

وكتب الخليفة من الجهة الثانية الى اهل دنقلة والمقاتلين الذين نجوا من واقعة طوشي يصبرهم على ما اصابهم من الخذلان قال: «... وبما انه لا يخفى عليكم أيها الاصحاب ان أمرنا هذا ديني والقصد منه إحياء السنة النبوية واتباع الاثر فالابتلاء الحسن لا بد ان يحصل للمؤمنين لكي يتميز بذلك الحديث من الطيب طبق ما وقع للصحابة رضوان الله عليهم قاتنهم قد كابدوا في الله كل شدة وحصل عليهم من البلاء الحسن ما لا يطاق فصبروا صبر الكرام وأوفوا بعهد الملك العلام وجميع ما وعدهم الله به في قوله تعالى «ولنبولنكم بشيء من الخوف والجزع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين» حصل عليهم في الغزوات والجهادات فما تنام عن قصدكم ولا برّد مهمهم عن اقامة الدين وجهاد الكافرين بل لم يزدكم ذلك إلا قوة وثباتاً وشجاعة وإقداماً وإيماناً وتسليماً . وأنتم يا اصحاب المهدي «عم» لا شك انكم على أحراركم فجميع ما يحصل عليكم من نزول الشدائد وحلول المصائب فهو لرفع درجاتكم واختباركم فيلزم ان تلبسوا لذلك جلباب الصبر والثبات وتندرعوا بدرع التوكل فان الخير كله امامكم في الآخرة وما الدنيا إلا مزرعة لها فازرعوا فيها صالح الاعمال وأوفوا بعهدكم مع الله ورسوله ومهديه ومنعنا . ولا تهنوا او تضيعوا في دينكم والوفاء بعهدكم مع ربكم بسبب ما حصل لأعداء الله من الاستدراج

والامهال وفوز اخوانكم الصادقين ناس الشهيد عبد الرحمن النجومي فان ذلك قدر إلهي وسعادة كتبها الله لهم في ازله ودين الله لا شك منصور وعدوه مقهور كما وعد الله تعالى بذلك في غير ما آية من كتابه والعاقبة لا شك للمؤمنين والدائرة على الكافرين ... »

ثم كتب الى اهل دنقلة ما نصه: « ... وبما انكم من الاعوان والأصحاب التابعين المهدي بصدق وصفاء نية فعليكم منا أمان الله ورسوله ومهديه وأماننا في أنفسكم وأموالكم ولا يحصل عليكم من احد من الانصار أدنى شيء ما دتم صادقين في معاملتكم ومنقادين لعاملكم المكرم يونس الدكيم وكل من له ساقية فليصلحها ومن له نخيل فليلقحه ومن له انسان يجبات الريف فليسمى في حضوره لوطنه ان أمكنه ذلك فان من يحضر لوطنه ويقم فيه تحت طاعة المهدي فعليه منا الأمان ومن له نخيل او سواقي يجهة دنقلة ويحضر اليها على مقتضى أماننا هذا وعلى وجه الفور فهي له ولا يحصل عليه تعد من احد لأننا لسنا نريد منكم إلا القيام بأمر الدين واداء ما هو مطلوب منكم من حقوق الله تعالى . وبما ان المكرم يونس الدكيم هو العامل عليكم بأمرنا فاسمعوا امره ونهيه وقد اوصيناه بكم خيراً وان شاء الله لا ترون إلا ما يسركم هذا والسلام ه جادي الاولى سنة ١٣٠٧ هـ ، اه ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٩ م .

الفصل العاشر

في

وقائع ام درمان وسائر السودان

سنة ٨٦ : ١٨٩٠ م

خراب الخرطوم وعمار ام درمان سنة ١٨٨٦ :

جرت عادة الدراويش انهم كلما فتحوا مدينة أخرىها وأقاموا لهم دياراً بجانبها كما فعلوا في الأبيض وبربر ودنقلة وكسلا وغيرها ولم يستثنوا من ذلك الخرطوم فانهم هجروها تدريجاً وعمرّوا ام درمان تجاهها على النيل الأبيض مع ان الخرطوم افضل موقعا وأخصب تربة وأعذب ماء . وقد كانوا يأخذون اخشاب منازلها ويبنون بها مدينة ام درمان فلم تفتنه سنة ١٨٨٦ م . حق خربت الخرطوم خراباً تاماً ولم يبق فيها عامراً إلا جنائنها وترساتها .

بناء جامع ام درمان : وما زالت ام درمان تزداد عمراناً واتساعاً حتى ضاق على اهلها جامع الصفيح الذي بناه المهدي فأقام الخليفة بجانبه جامعاً متسعاً فوضع حجر اساسه بيده يوم الاحد في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ هـ ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٧ م وسخر اهل المدينة فبنوه في مدة ٧٣ يوماً . وهو

تأريخ السودان

عبارة عن محوش عظيم مربع يحيط به سور مرتفع من الطوب المحرق طوله نحو ٤٧٠ ذراعاً. وعرضه نحو ٢٩٥ ذراعاً وله ثمانية أبواب لكل بهمة بابان . وقد تركه مكشوفاً بلا سقف لكنه أقام قلوب الخزاب صفاً من الرواضيب لجلس أمرائه وخاصة رجاله وفرض على أهل أمدرمان كافة حضور الصلوات الخمس فيه يومياً .

بناء قبة المهدي : وبعد ان أتم بناء الجامع بدأ له ان يقيم فوق قبر المهدي قبة ليصرف للناس الى حجها بدل الكعبة فدعا اليه الأمراء من الجهات وأبا عنجة من القلابات للاحتفال بذلك . وفي يوم الاربعاء في ٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ - ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م شرع في حفر الاساس بيئته ثم تبعه الخليفان فالأمراء وتتابع الناس في العمل به فأنقروا بأسبوع ثم وضع لهم حجر الاساس وشرعوا في البناء حتى اكملوه فكانت بنية عظيمة مربعة طول كل جدار من جدرانها الاربعة ١٧ ذراعاً وسمكها ٣ ١/٢ ذراعاً وعلوه ١٤ ذراعاً وفوقه بناء مثنى يعلو ١٥ ذراعاً وفوقه القبة وتغلو ٣٦ ذراعاً . فكان سلعو البنية من الارض الى القمة ٥٠ ذراعاً . وقد بنيت بالحجارة على علو ذراعين ثم بالطوب الاحمر الى آخرها ولها بابان كبيران باب الى الجنوب وباب الى الشمال وثمانية شبابيك في كل جدار من جدرانها الاربعة شبابكان وغاني كوي او «مناور» بيضوية الشكل في القسم الثمن في كل ثمانية «منور» فجاءت أعظم قبة بنيت في السودان الى هذا العهد وكان المهندس لها رجلاً مصري المجلس يدعى اسماعيل . وفي فتح أم درمان سنة ١٨٩٨ دكها الجيش الى الارض هي والجامع كما سيجيء . وقد وصفها اسماعيل عبد القادر الكردوفاني بقصيدة غراء هذه هي بحروفها :

سمت قبة المهدي مجدداً . وسوددا
وصيغ من الاكليل تاج لها
وسال بها نهر المجرة مزبدا
وقد نظمت زهر النجوم قلائداً
ولاخت بانوار الهداية شمستها
فأشترق منها الكون سواقتشع الرى

يطوف بها الزوار مثني وموحد
وروضتها الزهراء بالفضل والندی
لخير الوری طه المشفع احدا
وأفضل من في الخير راح او اغتدى
مآثر فضل ما أجل وأعجدا
شفيح الوری في الحشر من طاب محتدا
وقام على غصن المرات منشدا
وأولاه افضالاً ونصراً مؤيدا
ودمر جباراً طغى وتغردا
وقد قل جيش المعتدين وشردا
لدار بها الفوز العظيم غلدا
يذوب أسا والصبر عز وابعدا
وأعلى منار الدين حقاً وشيدا
خليفته هادي الوری قانع العدی
وأعمل في أهل الضلال المهندا
فلا تنثني إلا عنها وانجلي الصدى
وتوجه تاج القبول وأيدا
فغاية ما عندي القصور وقد بدا
لأنصار دين الله حالاً ومبتدا
لنحزز أجراً في البنية سرمدا
يباشر اعمال البنية مرشدا
له وهو بدر في سماء الملا بدا
حوت كل مجد لا يمد وسوددا
بقبر حوى الفضل الجسم المؤيدا
لتظفر بالحسن وتبلغ مقصدا

بليّة مجد شادها الحلم والتقى
فله مغناها ومحكم صنعها
ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث
خلاصة صفو المجد عن آل هائم
امام له في كل مجد وسود
محمد المهدي بشري محمد
ببشراه غنى بلبل السعد مطرباً
به الله أحياناً وأظهر دينه
وقد أحرز الدين الحنيفي بالطبي
وجاهد من قد حاد عن شرع احمد
ولما دعاه الحق جل جلاله
أجاب النداء فالقلب بعد فراقه
وقد جبر الله الوجود بأسره
بهدي الذي قد قام فينا مقامه
فقام بأمر الدين حق قيامه
قلوب الوری تنو جميعاً لهديه
إمام أجل الله في الكون قدره
مآثره في الدين يعسر حصرها
وقد اصدر الأمر الكريم مخاطباً
وقال لهم قوموا بكامل جهدكم
وبادر أبقاه الاله مسارعاً
ومن بعده الانصار تحت اشارة
فجاءت بحمد الله أعظم قبة
فيا زائراً تلك البنية لائذا
ترسل ببشري المصطفى متادباً

وقف خاضعاً وارجُ القبول مؤرخاً بقبة مهدي الأنام ترى هدى
وقد نقش تاريخ القبة على حجر رخام فوق عتبة بابها الجنوبي سنة
١٣٠٦ هـ .

قتل محمد نور في جمادي الاولى سنة ١٣٠٥ هـ فبراير سنة ١٨٨٧ م :

هذا وعلى أثر بناء الجامع ظهر في أم درمان رجل من الفادنية يدعى
محمد نور جاهر بإنكاره المهدي ورفض الصلاة في الجامع فاتصل خبره بالخليفة
فحاكمه بمجلس من القضاة حضره الأمير محمد الخير لأنه كان اذ ذاك في أم درمان
فحكم المجلس بقتله فقتل شنقاً وكتب الخليفة بشأنه الى جميع امرائه في
الجهات ومما كتبه الى أبي عنجة في ٢٨ جمادي الاولى سنة ١٣٠٥ هـ ١١ فبراير
سنة ١٨٨٨ م :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد
خليفة الصديق الى المكرم حمدان أبي عنجة كان الله له أمين . بعد السلام
نعلمك انه ظهر رجل بهذا الطرف يدعى محمد نور فأعرض عن الدين ونفر من
جهتنا غاية النفرة حتى انه لم يصل بالمسجد معنا وقد توجه اليه بعض الاصحاب
الثقات مراراً في محله فوجدوه في غاية الاعراض والانكار . ثم أحضر عند
القضاة في المحكمة فقالوا له ان الله سبحانه وتعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الامر منكم وان خليفة المهدي « عم » قد ولاه الله علينا
وطاعته واجبة فقال لهم المراد من أولي الامر هو الله . فقالوا له ان الله تعالى
قال أولي الامر منكم فكيف مع هذا تقول ما ذكرته فلم يعترف بخطأه وما
زاد إلا تقوراً . ومع ذلك فانه منكر قتل من قتل على يد المهدي « عم »
كأهل الخراطوم وغيرهم من الأعداء الذين خرجوا من الدين بكفرهم بالامام
المهدي « عم » ومحاربتهم له وليس مصدقاً بكفرهم . ولما لم يرجع عن
اعراضه حكم الشرع بقتله فصلب وقد أكلت النار لسانه ولحيته ويديه

تأريخ السودان

ورجليه وسرحت فيه وتغير لونه والعياذ بالله من ذلك وبعد ذلك أمرنا فأخرج من الديم خارج قبور المسلمين وقد حررنا هذا لاعلامكم بما كان ... اه .

التمايشي وقبائل السودان سنة ٨٦ : ١٨٩٠ :

تقدم ان التمايشي بعد موت المهدي كتب الى مشايخ السودان كافة من حضر وبادية بالحضور الى ام درمان لتجديد البيعة على يده والتبرك بزيارة قبر المهدي فن أطاع ونصره رضي الله عنه ومن عصى جرّد عليه حتى أقمعه ونكل به وبأهله كما فعل بصالح الكباشي وأهله الكبابيش ومادبو شيخ الرزيقات وكثيرين غيرهم من القبائل والأفراد نخص بالذكر :

عوض الكريم باشا أبا من شيخ الشكرية : المار ذكره فانه تمنع عن اجابة داعي المهدي الى ان سقطت الخرطوم فحضر الى ام درمان وسلم للمهدي فعفا عنه . وبعد موت المهدي أمره الخليفة فكتب الى رؤساء قبيلته يدعوهم الى الحضور الى ام درمان بخيلهم وإبلهم ولما لم يحضروا قبض الخليفة عليه وزجه في السجن فمات قهراً سنة ١٣٠٤ هـ وجرّد على الشكرية فقتل وسبى وغنم حتى استجاروا بالحبشة والانكليز ومن ذلك قول شاعرهم الحارثي اخي عوض الكريم باشا :

ناس قباج من العرب يوم جوتا جابوا التصفية ومن البيوت مرقوتا
اولاد ناس عزاز مثل الكلاب سووتا يا يا بالنفس يا لانكليز الفوتا

ومحمد البشير علي طه بن جن شيخ الحمة : فانه أبى الحضور الى ام درمان فظل يتتبعه حتى ظفر به وقتله ونكل بأهله تنكيلا وذلك سنة ١٣٠٤ هـ .

ومحمود ود زايد شيخ الضباينة : فانه رفض اجابة داعيه فأمر عثمان دقنة فجرّد عليه عوض الكريم كافوت بمدفع جبلي و ٤٠٠ رجل مسلحين بالبنادق فوجده مستعداً للحرب بقوة كبيرة فخادعه حتى جرّه الى معسكره

فقبض عليه وكبله بالحديد وجردته من جميع ماله وأرسله الى ام درمان والى ذلك أشار الحارثون بقوله :

يا شابل الجواب وديه للحراني وقل له الزمان مثل الكلب سواني
اكتب لي جواب يا صاحي لا تنساني ولد زايد يقول ظاهر الامان غشاني

وبقي ود زايد في سجن الخليفة الى سنة ١٣٠٧ هـ فمضى عنه وعاد الى بلاده فمات ذليلاً .

والمرضي أبا روف شيخ بني حسان : السالف الذكر فانه حضر الى ام درمان بعد فتح سنار وبائع الخليفة فأمره بالعودة الى بلاده وجمع رجال قبيلته للجهاد فذهب الى قومه ولم يرجع فبعث الخليفة يستعجله فأخذ الأسلحة من الرسل ونصره قومه قتل وذبحوا الثيران التي عنده وقالوا للرسل اذهبوا الى التعايشي وأخبروه أننا ذبحنا هذه الثيران لأنها تشبه لباس الدراويش وتجمعوا في قوز الاهليلج تجاه فاشودة واستعدوا للحرب . وكان ذلك على اثر عودة أبي عنجة الى جبال النوبة فأخرج التعايشي سرية قوية من هذا الجيش وعقد لواءها لعبد الله ود ابراهيم والزايكي طمل وأرسلها عليهم بطريق النيل الابيض وأرسل اسماعيل ود الامين من مشايخ حمر برجالها بطريق النيل الازرق فنزلوا في أبي شوكة وقطعوا خط الرجعة عليهم . فسار عبد الله ابراهيم بالوابورات حتى أتى الجبلين فأنزل جيوشه الى البر وتقدم الى قوز الاهليلج فأوقع في المرضي وقومه واقعة مشهورة فقتله هو وجميع كبار جيشه وفيهم الشيخ محمد ابن الشيخ مالك ومردس شيخ الملاطين و ابراهيم رد صابون شيخ العقليين والفقير ابراهيم ود خالد وغيرهم . ومن فرّ من الواقعة وقع في يد جيش النيل الازرق فاجتمع عند أنصار الخليفة عدد لا يحصى من الأسرى والغنائم من الابل والغنم فأتوا بها الى الخليفة فوزع الأسرى في الجهات وضم الغنائم الى بيت المال . واخترق عبد الله ود ابراهيم الجزيرة وأتى أبا حراز في ٣ صفر سنة ١٣٠٥ هـ

٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٧ م حيث كان أبو عنجة ينتظره فسار معه الى القلابات كما مر .

قتلة البطاحين نوفمبر سنة ١٨٨٨ : هذا وفي مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ قرّ بعض البطاحين من جيش النجومي لشدة ما أصابهم من الجوع في دنقلة وأتوا الى باديتهم شرقي النيل الأزرق بين رفاعة والحلفاية ورجعوا الى عاداتهم من قطع السابلة ونهب المارة فأرسل اليهم التعايشي الامير ود جار النبي من جيش الخليفة ود حلو بنفر قليل من الانصار يدعوم الى ام درمان فحاربوه وقتلوا بعض رجاله فجرّد عليهم التعايشي جيشاً يزيد على ٢٥٠٠ مقاتل من حراية وجهادية وخيالة فأوقع فيهم واقعة شديدة وقتل معظم أكابرهم وساق الباقين الى ام درمان وفيهم ٦٧ رجلاً فجعلهم الخليفة اربع فرق فرقة قتلت شقاً وفرقة ضربت أعناقها واخرى قطعت أيديها اليمنى واخرى قطعت أيديها وأرجلها من خلاف . وقد أثبت سلاطين باشا هذا المشهد في كتابه « السيف والنار في السودان » فاذا هو مما تقشعر له الأبدان ويقضي بأن البشر قد يبلغون في الشراسة مبلغاً تقصّر عنه الوحوش الضارية .

الخليفة والبقارة : ورأى الخليفة ان سكان النيل لا يقيمون على ولائه اذا ضعف أمره او خانه دهره فبعث الى مشايخ البقارة في جنوبي كردوفان ودارفور يستحثهم على الهجرة الى ام درمان بخيلهم وابلهم ومواشيهم ليعزّز بهم ملكه ويأمن بهم غدرات الزمان وقد كرّر أجوبته لهم وأكثر من الوعود براحتهم وبدأ بهذا المسمى يجد واهتمام منذ سنة ١٣٠٤ هـ . على ان البقارة قد ملوا جدد صحرائهم وحرية البادية على خصب النيل وعزّ الملك ولسان حالهم ينشد قول تلك البدوية التي زوجت للحضر :

بيت تحفّق الارياح فيه أحبّ الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ الي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي أحبّ الي من أكل الرغيف

تأريخ السودان

خشونة عيشتي في البدو أشهى الى نفسي من العيش الطريف
فما أبني سوى وطني بديلا فحسي ذاك من وطن شريف

لكن الخليفة صمم على انفاذ رأيه فيهم فأمر عماله بتخريب ديارهم وجلبهم الى ام درمان بالرغم او بالرضى فهاجر الوف من التعايشة والرزيقات والهبابية والحر وغيرهم قسراً الخليفة بهم سروراً عظيماً وكتب الى أبي عنجة بتاريخ ٨ محرم ١٣٠٦ هـ ما نصه :

« بعد السلام نعلمك انه بحمد الله قد انتهى أمر التعايشة فحضروا من بلادهم بأكلهم والآن قاموا من الفاشر وأولهم قد وصل جبل الحلة وهم كثار حتى لقد يبلغون من عائلة المجاهد نحو ستين ألفاً وكون ذلك مما يزيد المسرة في الدين حرراً لك هذا . ثم ان الهبابية حاضرون جميعهم بعد التعايشة بواسطة المكرم عثمان آدم ومن بعدهم يحضر قبائل متفرقة من اهالي الناقصة وخلافهم رزيقات وغيرهم نساء ورجال والله ينصر الدين ويخذل الكافرين . . . »
وما زال البقارة يفدون الى ام درمان الى آخر سنة ١٣٠٧ هـ فاستقبلهم الخليفة احسن استقبال وأسكنهم على الرحب والسعة ومع ذلك حاول الكثير منهم الفرار فأرسل الخليفة الى عثمان آدم « بالبحث عن الفارين وارجاعهم الى ام درمان بالشعبة والجنزير مع المحافظة القوية » . وفر الغزالي كبير التعايشة فألقى به بعض الجند فأدركوه على يومين من ام درمان فقتلوه وأتوه برأيه « هذا بعض ما فعله التعايشي بقبائل السودان وسيأتي ذكر ما فعله بالشلك وبالأشراف وأقارب المهدي .

الجوع في السودان سنة ٦ : ١٣٠٧ هـ سنة ٨٨ : ١٨٩٠ م :

مضى خريف سنة ١٣٠٦ هـ سنة ١٨٨٨ م فلم يقع مطر كاف في السودان ولا زاد النيل الزيادة المعتادة . ثم جاءت سنة ١٣٠٧ هـ ٨٩ : ١٨٩٠ م فأتى الجراد وأكل معظم الزرع وأحضر التعايشي أهله البقارة من الغرب كما مر فأكلا ما في البلاد من الحبوب المذخورة فأصاب الناس في السنتين المذكورتين

جوع عظيم لم يروا مثله في سالف الأعصار فأهلك منهم اضعاف ما اهلكته الحروب والأوبئة. وقد اقبل الكثير عليهم الابواب وماتوا جوعاً هم وأولادهم لكي لا يضطروا الى التسول فيعبروا بذل السؤال . وعمت هذه المجاعة جميع بلاد النيل والسودان الشرقي والغربي ما عدا فاشودة فذهب التجار اليها وأتوا منها بالحبوب الى أم درمان فخفضوا بعض المصاب على اهلها . ولقد رأيت في كتب عمال الجهات الى الخليفة ما يشير الى هذه المجاعة . من ذلك ما كتبه اليه النجومي من دنقلة في ٩ صفر سنة ١٣٠٦ هـ ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٨ م : « وما يلبني الاخبار عنه من احوال دنقلة هو الضيق الحاصل فيها هذه السنة بخلاف عاداتها وذلك لأن انتاج الحبوب قليل لعدم فيضان البحر فيها فكثير من الاماكن التي كانت تنتج الحبوب عندهم كالجزائر الكبار ما عتها النيل ولا زرعت . والزراعة فيها قليلة وأهلها يشكون الضيق والتعب من عدم الميوش... » وكتب اليه عثمان الدكيم من بربر في ١٤ القعدة سنة ١٣٠٦ هـ ١٢ يوليو ١٨٨٨ م يقول : «... ان الاردب الواحد من الذرة بلغ في الثمن ستين ريالاً... »

وخرج الزاكي طمل من القلابات الى القصارف طلباً للقوت وكتب الى الخليفة في ١٨ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ : «... والحال سيدي ان الجيش بعدما حررنا في طلوعه لأرض العدو قد تزايد به الضرر من جهة المعاش وعم ذلك الكافة صغيراً وكبيراً مجاهداً وعائلة حتى صاروا يأكلون الجيف ويلتقطون الحبوب من الارض في الطرق والمزابل ومجلات الرماد وهم الآن بحالة لو رآها سيدي لرثى لهم .. وتفرق الغالب منهم في الجهات في التماس المعاش وبعضهم يلتقطون القشوش والأشجار من الاودية مسافة ٣ ايام او اربعة ... لذلك قد أخترنا السرية عن التوجه الى الحبشة ونحن كذلك غير متيسر توجيهنا اليها الآن لأن الجيش قد اشتغل بنفسه ... وفي هذين اليومين قصداً ارسال سرية الى جهات الجبال الصعيدية كمثل أبي رملة وما يليه فيها ٨٠٠٠ رجل ٤٠٠٠ سلاح ناري و ٤٠٠٠ حراية وفي رأسها عبد الرسول عمر فبذلك تحصل مداركة الجيش بما يحضرونه من المواشي وهم ايضاً يتمتعون ... »

وقد اجتمعت بكثيرين من حضروا هذه المجاعة في السودان فقصوا علي كثيرًا مما قاسوه بأنفسهم وما شاهدوه بغيرهم . من ذلك ما حكاه لي عمر بك ابو سن قال : « خرجت من الخرطوم في شهر محرم سنة ١٣٠٧ هـ قاصدا رفاعة ثم اقبل الليل حتى تراكمت السحب وخفنا ان يدامنا المطر في الطريق فمرجنا الى حلة في الجزيرة تسمى « ولد عثيب » للبيت فيها فوجدنا ابواب منازلها مقفلة ولا يسمع فيها صوت انسان فعمدنا الى باب دار فخلعناه فانتشرت منه رائحة منتنة فأوقدنا نارا لنرى ما الخبر فاذا بأهل المنزل رجلا ونساء وأطفالا قد رقدوا على أسرهم موتى ثم طرقتنا بيتا آخر فسمعنا صوت أنين ضعيف فدخلناه فاذا بسكانه قد أشرفوا على الهلاك فسألناهم عن الخبر فأوما الينا صاحب الدار ان اطعمونا فنعلمكم بحالنا فأحضرتنا لهم ما تيسر من الزاد فأكلوا وشربوا وأكل بعضهم بنهم زائد فماتوا في الحال وقال صاحب الدار ان القحط قد بلغ حده عند اهل البلدة بسبب انحباس الأمطار فأقفلوا عليهم الابواب فماتوا جوعا كما ترون » اه .

وأخبرني من أثق به انه دخل منزلا في التمة من اهل البيوتات فرأى صاحب المنزل ميتا على سريريه وأولاده موتى بجانبه وقد ربطهم الى قائمة السرير لئلا يفلتوا ويضطرم الجوع الى التسول فيمير بهم .

وحدثني احد الثقات قال : كنت في جماعة سنة ١٣٠٦ هـ في كسبة في اماره حامد علي البقاري وكيلا على السوق فدخلت ذات يوم منزلا فوجدت امرأة تطبخ في قدر فكشفت القدر فاذا فيها يدا عروس لا يزال عليها أثر الحناء فسألته عن ذلك فقالت اني دخلت ليلا على عروس فلان مع فلانة وفلانة فوجدناها قد أشرفت على الهلاك جوعا فذبجناهما واقتسنا لهما للتغوث به . قال محدثي : وكثيرا ما رأيت الموتى قد بقرت جثثهم وأخذت اكبادهم طعاما للجياع . الى غير ذلك من الاخبار الرائعة والانباء المحزنة .

قتل ابراهيم ود عدلان سنة ١٣٠٧ هـ :

تقدم ان الخليفة عزل احمد سليمان وسمى ابراهيم ود عدلان المار ذكره في

حصار الأبيض أميناً لبيت المال فأحسن إدارته ونقله من مكانه الأصلي إلى شاطئ النيل لتقليل نفقات النقل ومشقاته ونظم أساليب الدخل والخرج وضرب الريالات مازجاً فضتها بالنحاس . وقد علم كيف يكتب رضى الخليفة فخصه وأقاربه بالنصيب الأكبر من بيت المال فبقي مكرماً مسموع الكلمة إلى أن كانت سنة ١٣٠٧ هـ وتم ورود البقارة من الغرب فأمره الخليفة أن يمضي إلى الجزيرة ويقنع أهلها بارسال ما استغلوه من الذرة إعانة للبقارة بلائهم فذهب مكرهاً لأنه لم يكن يرضى بالجور إلى هذا الحد وكان قد أثرى من بيت المال وكثر حساده فوشوا به إلى الخليفة أنه غير راض بأمره وأنه نسب المجاعة التي حصلت سنة ١٣٠٦ هـ إليه وإلى سلبه الناس لأجل قبيلته وكان أكبر خصومه يعقوب أخا الخليفة فاستدعاه الخليفة إلى أم درمان ووجهه توبيخاً صارماً وكان ود عدلان جسوراً أبي النفس فقال له نعم أنك بتفضيلك لقومك نفرت منك قلوب الذين كانوا يخلصون لك وأنا لا أقدر أن أخدمك بعد . فاضطرب الخليفة من هذا الكلام وقال في نفسه أن الرجل لم يتكلم بهذه الجرأة إلا وله انصار في البلاد ولم يستف من منصبه إلا وهو على ثروة طائلة وقد صمم على الفتك به لكنه اضمر الكد وأظهر الجلد وقال له : اذهب الآن وغداً أرد لك الجواب . فطلب الخليفين والقضاة وأخاه يعقوب ثم استدعى ود عدلان وعنفه امامهم على جرأته ثم أمر الملازمين فقبضوا عليه وخفوا به إلى السجن وأمر باستصفاء أمواله ولكن ود عدلان رضى السجن وأسرع إلى بيته ليلاً وأخفى أمواله في مكان قيل أنه لا يزال مجهولاً إلى اليوم وعاد إلى السجن فلما جاء رسل الخليفة لاستصفاء ماله لم يجدوا منه إلا النزر اليسير . هذا وكان الملازمون عند القبض عليه وجدوا ورقة في جيبه عليها اسم الخليفة وكتابة مبهمه فقال الخليفة أنها طلسم أراد أن يسحرني به فحكم عليه بالقتل فقيده إلى المشنقة فصعد إلى السلم بقدم ثابتة وأسلم الروح . وسمي في مكانه النور الجريفراوي من تجار الخرطوم سابقاً وسيأتي ذكره .

الباب الرابع

في

استرجاع السودان

الفصل الاول

في

استرجاع طوكر

في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١

تقدم ان الحكومة المصرية ما خرجت من السودان إلا مكرهة مضطرة فوقفت عند حدودها في حلفا على النيل وفي سواكن على البحر الاحمر وهي غير آيسة من الرجوع الى السودان بل ما زالت تؤمله وتترقب الفرص . وقد تسلت لها فرصة بعد واقعة طوشي سنة ١٨٨٩ فأعوزها المال كما قدمنا . ثم أتاحت لها فرصة في سواكن في اوائل سنة ١٨٩١ فاسترجعت طوكر بنفقة لا تذكر واليك البيان :

غزوة عثمان دقنة للحباب : قد ذكرنا ان عثمان دقنة هجر هندوب بعد واقعة الجيزة واحتل بلاد طوكر الخصية فاشتغل في تهريب الرصاص من أرض الحجاز الى السودان وقد ترك عصابة من الرجال في هندوب وأخرى في قماي فتطعوا السابلة وضيقوا على سواكن وكثر تهريب الرقيق الى الحجاز من داخلية السودان وكان المحافظ على سواكن الى هذا العهد هولاء سمث باشا

فراى ان لا يمكن اصلاح الحال إلا بطرد عثمان دقنة من طوكر فأخذ يتربص الفرص لذلك .

ولما دخلت سنة ١٨٩١ خرج عثمان دقنة بمعظم جيشه لغزو الحباب الذين خرجوا عن طاعته ولم يبق في طوكر إلا حامية صغيرة فأبلغ هولده سميت الخبر تلغرافياً الى السردار في ١٥ يناير سنة ١٨٩١ واستأذنه في مهاجمة طوكر بما لديه من المساكر قبل عودة عثمان اليها وكان السردار اذ ذاك في الحدود النيلية بمعية المغفور له توفيق باشا الحديوي السابق فرجع الى مصر للنظر مع رجال الحكومة في اغتنام هذه الفرصة .

أخذ هندوب وتميهاً للزحف على طوكر اخذ هولده سميت الاورطة الحادية عشرة وبعض الفرسان ونزل على هندوب في ٢٧ يناير وكان فيها نحو ١٠٠ رجل فقتل نحو ٤٠ رجلاً وفيهم مقدمهم رقعة وهزم الباقي الى الجبال . وفي ٢ فبراير ارسل العربان المتحابة الى تمياي وكان فيها ٥٠ رجلاً عليهم الشريف قبسة فأسروا الشريف المذكور وبعض اصحابه وعادوا الى سواكن .

الزحف على طوكر : وفي ٨ فبراير أقرت الحكومة على استرجاع طوكر فأبلغ السردار قرارها الى هولده سميت تلغرافياً وأرسل اليه بعض اركان حربه من مصر لمساعدته على الفتح وهم اللواء ستل باشا رئيس اركان حربه والقائمقام ونجت بك مدير قلم الخبايرات (السردار الحالي) والميرالاي رندل بك . وكنت في هذا العهد في قلم الخبايرات تحت ادارة القائمقام ونجت بك فصعبته انا وملحم بك شكور سكرتير عربي السردار . فدخلنا سواكن في ١٤ فبراير فوجدنا هولده سميت قد سبقنا بالمساكر الى ترنكتات ومعه من اركان حربه البكبباشي ابراهيم افندي فتحني فلققناه اليها في اليوم التالي

وفي صباح ١٦ فبراير أبقى هولده سميت في مرسى ترنكتات بلوكاً من المساكر وسار نحو ساعة حتى بلغ اليبس فأقام مخزناً للماء حصنه بمدفعين وبعض المساكر واستطرد السير قاصداً التيب بالقوة الآتية : اورطة من السواري



الماجور ونجت

مدير قلم المخابرات الحربية سابقاً

سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الحالي

ومدفعين كروب والاورطة الرابعة المصرية والاورطتين السودانيتين الحادية عشرة والثانية عشرة وبعض رجال القسم الطبي ومجموع الكل ٨٥ ضابطاً و ١١٩٦ عسكرياً و ١٥١ جواداً و ١٩٥ جملاً و ٣٠ بفلاً و ٤٦ حميراً . وقبل وصولنا الى التيب بقليل رأينا عظام القتلى قد انتشرت أكداً في سهل فسيح تعلوه الانجم فلمنا أننا في ميدان واقعة باكر . وعند العصر بلغنا التيب فوجدنا الآبار مسدودة وكان الجيش قد أحضر معه بعض الفؤوس والفلة فحفرها وأخذنا منها كفايتنا من الماء وبتنا على نية استطراد السير نحو طوكر في فجر الغد . ولكن ما طلع الفجر حتى ثارت زوبعة شديدة غشيت الجو والطرق بسحاب غبار كثيف دام عدة ساعات فانتظرنا الى صباح اليوم التالي . هذا وكان عثمان دقنة قد عاد من غزوة الحباب وعلم باحتلال هولدهم لهندوب فترك ابن الطاهر المندوب وكيلاً عنه في طوكر وقام لساعته بمعظم أنصاره قاصداً استرجاع هندوب فما وصل تمهي حتى جاءه رسول من ابن الطاهر المندوب يعلمه بخروج المساكر من ترنكات قاصدين طوكر فرجع على الاثر ودخل الديم الاثنين في ١٦ فبراير وكان الديم في بقعة خصيبة تسمى عفايت على نحو ٣ أميال الى الجنوب من طوكر القديمة وهو ديم متسع محيطه ٤ أميال وفيه نحو ٦٠٠٠ طقل . فحال وصوله ضرب نقارة الحرب وجمع أهل بادية طوكر الى جيشه فاجتمع عنده في ذلك اليوم : ٦١٣٠ مقاتل منهم ٥٠٠ رجل من الارتيقة والجبلاب والنوارب والاشراف والدقناي والحاسة وغيرهم من أهل بادية طوكر وكلهم مسلحون بالسيوف والحراب والدرق و ٧٠٠ من الاغراب الجعليين والدناقلة والبقارة معهم ٣٠٠ بندقية و ٣٠٠ جهادي مسلحين بالبنادق و ١٣٠ فارساً .

وفي ظهر الثلاثاء في ١٧ منه خرج بجميع مقاتليه الى ظاهر الديم فلم يبق فيه سوى النساء والاولاد وجعلهم اربعة ارباع في كل ربع خليط من الوطنيين والاغراب والجهادية وجعل على ربع اميراً وكان امراء الارباع : شايب احمد والشريف حمد النيل ومحمد احمد واحمد بدوي أبو صفيّة وجعل على الفرسان

عثمان نائب وكلهم من مولدي الدناقلة وقد جعله وراء الجيش ليمنع الناس من القوار وأرسل طلائمه لتنبه بحركات الجيش .

هذا وكنا عند وصولنا ترنكتات قد علمنا برجوع عثمان دقنة الى طوكر ولكننا لم نتحقق ذلك حتى مساء ١٦ فبراير اذ فرّ الينا محو اغا حسين الشايفي من ضباط كردوفان الباشبوزق فأخبرنا برجوع عثمان من غزوة الحباب وشغوصه الى هندوب . وفي فجر ١٨ فبراير قبض كشافة الجيش على طليعة لعثمان فأكد لنا رجوعه الى عفافيت واستعداده لملاقاة الجيش وانه يوم رجوعه شتق ثلاثة من مشايخ البلاد لأنهم حاولوا الفرار الى الجيش وقطع يد ورجل ٢٠ رجلا منهم لاتهم اياهم بالجاسوسية .

واقعة طوكر في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ :

وفي فجر ١٩ فبراير ترك هولده سمث في التيب المدفعين و ٥٠ رجلا من الطوبجية ونصف بلوك من الاورطة الثانية عشرة . وسار بالجيش الى طوكر تتقدمه السواربي وكان في مقدمة السواربي القائمقام ونجت بك فالتقى بطلائع العدو عند خرائب طوكر القديمة فردم على اعقابهم وبمئ يستحث الجيش على الاسراع لاحتلال تلك الخرائب والامتناع بها قبل وصول العدو فسار الجيش حينئذ حتى وصلها الساعة ١٠ صباحاً فاتخذ من جدرانها متاريس واصطف فيها على شكل نصف دائرة جاعلاً حمة الماء والذخيرة وراءه ومكث هولده سمث وأركان حربا في الوسط . وفي اثناء ذلك كنا نرى العدو من خلال الأنجم التي ملأت السهل من حولنا وهو مقبل نحونا ركضاً قصد احتلال الخرائب قبلنا فسبقناه اليها ببضع دقائق ولو سبقنا اليها لاستحال علينا اخراجه منها وترجع رجوعنا عنه بالخبية والخسران وكان الفضل كل الفضل في هذا للسبق للحازم الباسل القائمقام ونجت بك كما ذكرنا . وأتم الجيش انتظامه في الخرائب حتى كان العدو قد اصبح على قيد ٥٠ يرداً منها ففتح الجيش اقواء البنادق وصب الرصاص عليه كالطرر الوابل وأجاب العدو نيراننا

تسليح المشركين

واشتد القتال بإطلاق الرصاص من الجانبين . وقد كنت قبل بدء القتال على قمة تلة بين الخرائب أشاهد العدو وهو مقبل علينا فبقيت على تلك التلة أشاهد القتال فكان رصاص العدو على كثرتة قليل الاصابة عالي المرمى حتى انه كان يمر فوق رأسي مع شدة ارتفاع موقعي وأما رصاص الجيش فقد كان صائبا فتاكاً فكنت أرى ابطال العدو مهاجرين والرصاص يحندلهم الواحد بعد الآخر حتى كان بعضهم يقتل على قيد متر او مترين من صفوف الجيش . ولما كثرت القتل فيهم رأيت فرسانهم يدورون حول الجناح الايمن قصد مهاجتنا من الورا فمد الجيش جناحه وصلاحه ناراً حامية فجندل ابطالهم وصدم عنه ولكن فاز اميرهم عثمان نائب باخترق الصف وإذا قبل فرسه من تحته هجم راجلاً وبيده الحربة وهو ينادي : « اين الملعون كبيركم » فتصدى له الكبش ماتشل قومندان الحملة (مستشار الداخلية الآن) ورماه برصاصة من مسدسه فاحتمل الضربة وظل مهاجماً ثم رأيت محمد بك احمد مأمور سواكن قد كره عليه راكباً جواده وشاهراً سيفه ولكنه قبل ان يدركه وقع يخبط بدمائه عند أسفل التلة التي كنت جالساً عليها فضربه بالسيف ضربة فأجهز عليه . واخترق صف العساكر ايضاً فارس آخر يدعى الأخيضر فقطع ارباً . ثم ان رماحة الدراويش حاولوا ان يدوروا حول الجناحين فلم يفلحوا ودامت الواقعة في احتدامها ساعة ونصف ساعة فكانت أشد الوقائع التي جرت للجيش مع الدراويش وحقق لجميع الضباط والعساكر الذين اشتركوا فيها كل مدح وثناء . وقد انجلت عن انهزام عثمان دقنة وانصاره فمروا بديمهم وأخذوا نساءهم وما خف من الامتعة وفرّوا جنوباً وما ابعدوا حتى انقسموا فريقين فريقاً انضم الى الامير شايب فذهب الى حامد علي البقاري في كسلة وفريقاً بقي مع عثمان دقنة فنزل في ادارامه على الانبرة . وزحف الجيش على الديم وكان قد تخلف فيه كثير من اهل البلاد وجماعة من رجال الفتح الاول الذين كانوا في أسر الدراويش من ضباط وعساكر وملكية وتجار فرفعوا راية بيضاء وخرجوا لاستقبال الجيش فتلقاهم بالترحيب واحتل الديم مساء يوم الواقعة

وبذلك عادت بلاد طوكر الى الحكومة المصرية بعد ان رجع فيها الدراويش سبع سنين . وقد قتل من الجيش في هذه الواقعة ضابط و ٩ عساكر وجرح ٤٨ رجلاً وأما الدراويش فقد بلغ عدد قتلاهم ٧٠٠ رجل فيهم ١٧ اميراً وزاد عدد جرحاهم على ذلك .

الفنائم : ثم جمعت الفنائم من الديم فكانت أكداً عظيمة من الأسلحة القديمة والجنخانة والرصاص والنقايز والذرة والأثاث وفيها ٤ مدافع وخيام من ايام باكر . وقد وجدت بين دفاتر بيت المال وأوراقه تاريخ وقائع عثمان دقنة كما قدمه للخليفة فاطمت منه على حقائق شتى . وبيعت الفنائم التي لم يحتاج الجيش اليها بالمزاد فاشترى القائمقام ونجت بك نقارة كبيرة عليها كتابة قديمة تقرأ هكذا : هذه نقارة الفضة ... نقارة سلطان الحبشة السلطان ناسو ابن السلطان الكبير .. بيوم الاثنين ... سنة ١١٠٧ ... يوم جاء بنفسه فقتله السلطان بادي في شهر صفر ، وعليها كتابة اخرى حديثة بأحرف رفيعة : ملك السيد محمد احمد الشيخ ادريس سنة ١٣٠٤ .

ولم تر في عفايت شيئاً يستميل النظر سوى مشنقتها وجامعها وهو عبارة عن عدة رواكيب من قش بعضها يجانب بعض . ويجانبه قبر الطاهر المحذوب الذي مات سنة ١٨٩٠ . وثاني يوم الواقعة جاء مشايخ البلاد المجاورة وقدموا الطاعة للجيش قمعي عنهم . وفي ٣٢ فبراير حضر السردار غرنفل الى عفايت وأرسل منشورات الى اهل بادية السودان الشرقي كافة يخبرهم باحتلال الحكومة لطوكر ويدعوهم الى مجلس في سواكن . وفي ٣ مارس أخذ اركان حربه والمهافظ وعاد بطريق تمساي وسنكات فوصل سواكن في ٧ مارس . وفي ٨ مارس عقد مجلساً مع مشايخ البلاد فصرح لهم بالعفو باسم افندينا . وفي ٩ منه عاد الى مصر هو وأركان حربه فعدت معهم .

ولاية سمو الخديوي عباس باشا حلي الثاني في ٨ يناير سنة ١٨٩٢ :

وكانت طوكر البلاد الوحيدة التي استرجعها الجيش في عهد المغفور له



عباس باشا حمدي
خديوي مصر المعظم

توفيق باشا الذي انتقل الى رحمة ربه في ٧ يناير سنة ١٨٩٢ . وكان لمجمله
الاكبر عباس باشا حلي (الحديوي الحالي) اذ ذاك يتلقى العلوم في كلية
برلين فوصل مصر في ١٦ يناير وقرىء الغرمان السلطاني بتوليته في قصر
عابدين في ١٤ ابريل من السنة المذكورة فكان استرجاع السودان في ايامه
السعيدة ادام الله نصره وأيده .

الفصل الثاني

في

استرجاع كسلا عن يد التليان

في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤

مع ذكر وقائع فاشوده والسودان الشرقي سنة ١ - ١٨٩٦ :

غزوة الزاكي طمل للشك : تقدم لنا ذكر قتل ملك الشك في واقعة راشد بك في قدير فتولى الشك بعده الملك عمر قيل انه ذهب الى المهدي فأعطاه البيعة وثبته ملكاً على بلاده فبقي لا يعارضه فيها معارض الى ان كانت مجاعة سنة ٦ - ١٣٠٧ هـ فأرسل اليه الخليفة جيشاً في باخرتين لجلب العشور منه فأبى تأدية العشور ولكنه ارسل اليه ٢٠٠٠ اردب ذرة على سبيل الهدية. فلما كانت سنة ١٣٠٨ هـ أنفذ الخليفة أمره الى الزاكي امير القلابات فخرج بنحو ٢٠ الف مقاتل واخترق الجزيرة الى بلاد الشك فوجد الملك عمر قد حشد الجيوش واستعد لمحاربته فأوقع فيه وقائع دموية حتى قتله فأرسل رأسه الى الخليفة وبقي يبعث في بلاد فاشوده فيسرق اهلها وينهب ماشيتهم وغلاهم الى اواسط سنة ١٨٩٢ .

مفر الزاكي طمل الى القصارف : فاستقبله الخليفة احسن استقبال وأرجعه بجيشه الى القصارف في اوائل سنة ١٨٩٣ بطريق ابي حراز ليكون مع جيش كسلا في صدد التليان الذين كانوا يمدون حدودهم في الارثريا جنوباً وغرباً فبنى الزاكي في القصارف قصراً جميلاً وعاش بأبهة عظيمة . فسمى به بعض حساده الى الخليفة وفيهم حسامد البقاري وعبد الله ابراهيم من أمراء جيشه بأنه طامع الى الاستقلال . قبل وقد أساء معاملة الامراء الذين رأى منهم الانحراف عنه .

موت الزاكي في سجن ام درمان : فاستدعاه الخليفة الى أم درمان فحضر الجمعة في ٢٥ اوجسطس سنة ١٨٩٣ . فألقى القبض عليه وزججه في السجن وكبله بالحديد ومنع عنه الغذاء فمات جوعاً في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٩٣ . وكان رجلاً جباراً عبوساً طويل القامة قليل اللحم متمسك البدن اسمر اللون جداً خفيف اللحية طويل الشاربين ونقش خاتمه : « وفق لأحسن العمل عبدك الزاكي طمل » . وقد غنم الخليفة ماله فوجد عنده ٥٠ ألف ريال مجيدي وأبو طيره وحلى ثمنه من غنائم الحبشة وكثيراً من الخيل والماشية والرقيق . قيل وكان عنده من النساء فوق المئة ومن الاولاد ٢٧ فوزع الخليفة النساء اللواتي لهن اولاد على عبيده واللواتي ليس لهن اولاد على خاصة رجاله .

وكتب الى امرائه في الجهات يخبرهم بسجن الزاكي ثم بموته فما كتبه الى محمود احمد امير الفاشر في سجنه : « ... هذا ونعملك أيها المكرم ان الزاكي طمل قد كثرت فيه التشكيات من الانصار الذين معه وتضرر كثيراً من سيره فيهم بالعنف وضيق اخلاقه وتغير احواله فطلبناه لطرفنا ومعه العمال وبالممارسة لأحواله وجدنا ان به عارضاً شديداً وقيل انه كان معه من سابق إلا أنه اشتد عليه في هذا الوقت وبأسباب ذلك أجرينا زجره وحبس به بالمشورة فان طاب وشفي من ذلك العارض فيها وإلا فتصير معالجته منه الى ان يقدر الله له الشفاء او يقضي الله أمراً كان مفعولاً... والسلام في ١٤ صفر سنة ١٣١١ هـ ٢٧ اوجسطس سنة ١٨٩٣ م .

ثم كتب اليه في ١٠ ربيع الاول ٢١ سبتمبر من السنة المذكورة يقول
 « انه هلك في السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة وانه بمجرد خروج روحه
 اشتعلت النار في جسمه واسود وجهه والعياذ بالله » .

واقعة اغوردت في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٣ : وسمى الخليفة احمد علي
 قائداً على الجيش مكانه وكان التليان لم يزالوا يمدون حدودهم الى جهة كسلا
 فأمره بصدم فساق الجيش وفيه ١٢ الف مقاتل وأوغل في بلاد الارثريا حتى
 بلغ اغوردت في منتصف المسافة بين كسلا ومصوع فالتقاء الكولونيل اريمونيدي
 بنحو ألفي مقاتل من العساكر الوطنية و ٤٢ ضابطاً وأوقع فيه واقعة عظيمة
 فقتله هو ومعظم رجاله وفيهم الامير عبد الله ود ابراهيم وهزم الباقين الى
 كسلا وكان ذلك في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٣ .

فتح التليان كسلا في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ :

فاشدد قتل الخليفة اذ ذاك على كسلا فعزل اميرها حامد علي (اخا احمد
 علي) وولى مكانه أبا قرجة ثم مساعد قيدوم وأرسل جيشاً بقيادة احمد
 فضيل من أقاربه الى القضارف تعزيزاً له وشرع يستعد لأخذ الثار فرأى
 التليان ان اخذ كسلا يقوي مركزهم في السودان والحبشة فاستأذنا الحكومة
 المصرية وأمروا قائدهم الكولونيل بارتيازي فتقدم ب ٢٥١٠ رجال الى كسلا
 وباغت اهلها المهجوم في فجر ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ فاحتلها عنوة وفر مساعد
 قيدوم ومن سلم من القتل الى القضارف وام درمان فحصن التليان كسلا
 وأقاموا فيها الى ان سلموها للحكومة المصرية في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٧ م .

ولما وصل خبر كسلا الى الخليفة طار صوابه فركب جواده وأتى بأنصاره
 الى ضفة النيل الابيض ثم دفع الجواد في الماء حتى غمره الى صدره فاستل سيفه
 وهزه مشيراً الى كسلا ثم كبر على التليان ثلاثاً وأقسم ان لا يرجع عنهم حتى
 يسترجع كسلا ويردهم الى مصوع . ولكنه لم يأت شيئاً يستحق الذكر حتى

كانت واقعة عدوة في ١ مارس سنة ١٨٩٦ التي انتصر فيها الأجباش على التليان انتصاراً باهراً كما سيجيء في تاريخ الحبشة فشرع في تعبئة الجيوش في القضايف لاسترجاع كسلا. وكان استعداد هذه السبب الأعظم الذي حمل الحكومة المصرية على مباشرة الفتح الأخير كما سيجيء . هذا ما كان في السودان الشرقي فلننظر الآن الى ما كان في السودان الغربي بعد ان تولاه محمود احمد ابن عم التعايشي .

الفصل الثالث

في

وقائع السودان الغربي في ولاية محمود احمد

سنة ١ : ١٨٩٦

مرّ بنا ان محمود احمد وصل الفاشر الاثني في ٢٦ يناير سنة ١٨٩١ وتولى قيادة جيوش الغرب بدلاً من عثمان آدم . وكان عنده من الجيوش عدا حامية صغيرة في الابيض ٥٤٣١ جهادياً و ٥٥٥٠ حراباً و ٨٢٨ فارساً فجعل منها حاميات في دارة وشكا وكبكية والاضية وبقي هو بمعظم الجيش في الفاشر .

غزوة الميسوب في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩١ : وكانت باكورة أعماله فيها انه أرسل سرية بقيادة البشاري ريده على الميسوب فالتقام في عدّ المالحه يوم الجمعة في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩١ م وقتل منهم خلقاً كثيراً وعاد بالأسلاب والفنائم الى الفاشر .

غزوة الرزيقات مارس سنة ١٨٩١ : وأرسل فضل النبي اصيل على الرزيقات فغنم منهم : ٣٩ جواداً و ١١٣ جملاً و ٥٥٩ بقرة و ٦٢ حماراً و ٤٤٦٨ رأس غنم و ٦٤ رقيقاً .

حسن تور: هذا وكان الفور المطالبون بملك إجدادم بعد قتل أبي الخيرات قد تجمعوا على حسن تور وهجموا على سنين حسين عامل كبكية فردهم بالخنية والحسران ثم أعادوا الكرة عليه يوم الجمعة في ٦ مارس سنة ١٨٩١ م فردهم ثانية .

الامير علي دينار والتعايشي : فولى الفور الامير علي دينار ابن الامير زكريا ابن السلطان محمد الفضل سلطاناً عليهم بدلاً من أبي الخيرات فامتنع بهم في جبل مرة فكتب اليه محمود يدعوهم الى التسليم فحاوله مدة ثم جاءه مسلماً . فكتب محمود بذلك الى الخليفة في ٢٨ مايو سنة ١٨٩١ فكتب الخليفة الى الامير علي دينار مراراً يستدعيه الى ام درمان وقد بالغ في التلطف له وأكثر من الوعود فلبى الدعوة بعد تردد كثير فقابلته بالاحترام والاكرام وأبقاه عنده الى ان كانت واقعة كرري سنة ١٨٩٨ ففر منها بأنصاره الى دارفور فتولاهما الى اليوم وسيأتي ذكره .

تمرد الجهادية في النهود في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩١ : وفي هذه الأثناء حصل جوع في الفاشر فانتقل محمود يمحوشه الى النهود وقد أساء معاملة الجهادية فاقتمروا على قتله وقتل جميع التعايشة الذين معه وخرجوا عليه الاثنين في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩١ فأخذ بعضهم بالحيلة وبعضهم بالقوة ففاز بالنجاة وثلث برؤوس العصاة . وأقلق الخليفة عليه فكتب يستدعيه مع الجيش الى ام درمان لأجل تدريب الجهادية على طاعته فوصلها في ٧ يونيو سنة ١٨٩٢ فأقام فيها نحو خمسة أشهر وعاد الى الفاشر .

خبر مزمل المحن سنة ١٨٩٣ : ولم يكذ يصل الفاشر حق آثاء كتاب من الخليفة يخبره بأن الناس أرجفوا كثيراً في ام درمان بقيام رجل في جبال النوبة ادعى الاصلاح فدعا الناس لحرب الأنصار فالتفت عليه جموع كثيرة وقد سمى نفسه مزمل المحن وسماه بعضهم ابا نعال لأنه يلبس نعالاً . فكتب اليه محمود بتاريخ ٢٩ يناير سنة ١٨٩٣ يقول : ان هذه الأخبار شائعة في

الفائز أيضاً وإن الناس على خلاف في شأنه فبعضهم يقول انه كجور جبال الكدرو وبعضهم انه رجل غيره ظهر لرفع الظلم وغالب الناس يقولون انه في السما . قلت وقد وصلت هذه الاشاعات مجسمة الى مصر حتى ظننا ان نهاية التعايشي قد اقتربت ولكن لم تلبث الاشاعات ان انطفأت وبقي التعايشي على حاله . وقد رأيت كتاباً من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٣ يقول : « اني جلت في جبال النوبة كلها افتش على الرجل فوجدت خبره كذباً واختلاقاً » .

غزوة الشانقية وخبر النصارى في بحر الفزال سنة ١٨٩٣ : وفي أوائل سنة ١٨٩٣ غزا فضل النبي اصيل عامل شكا بلاد الجانقية فتجمعوا عليه وقتلوه هو ومعظم جيشه . وخلفه الزبير الفحل على شكا فكتب الى محمود في ٧ مارس سنة ١٨٩٣ يقول : ان ٣٠ سائحاً من النصارى حضروا الى بلاد الفراتيت ثم عادوا الى النائم .

خبر النجل المكرم سنة ٤ : ١٨٩٥ : هذا وما يذكر في هذا الموضع « خبر النجل المكرم » الذي بلغ دويّه أقاصي السودان ومصر وذلك ان الخليفة عبد الله لما كان في الابيض استعطى جازية من النوبة فحملت منه وما لا يعلمان فلما خرج مع المهدي لغزو الخرطوم سنة ١٨٨٤ لم ترضَ الذهاب معه فرجعت الى جبالها فولدت ولداً ذكراً وموت الأيام والسنون حتى بلغ عمر الولد ١٠ سنين فنقل بعض التجار خبره الى الخليفة فاهتم له جداً وأرسل رسلاً مخصوصين الى جبال النوبة فأحضروا الولد وأمه الى ام درمان بطريق الفائز سنة ١٨٩٥ فاستقبلها الخليفة باحتفال عظيم باهر وهذا « النجل المكرم » وقع أسيراً في يد السر رجينولد ونجت باشا في واقعة « جديد » سنة ١٨٩٩ وهو الآن في قلعة مصر يتعلم الأشغال اليدوية في ورشتها واسمه عبد الصمد .

غزوة محمود لدار قمر ودار تامة سنة ١٨٩٥ : وفي أوائل سنة ١٨٩٥ م خرج ادريس القمراري عن طاعة المهدي فزحف عليه محمود من الفائز ففر

أمامه الى دار تامة فطارده اليها فجرد عليه سليمان بن ابراهيم سلطان تامة جيشاً جزاراً بقيادة ابن اخيه وولى عهده يونس فالتقاء محمود وأوقع به في مكان يدعى كيمه ضحوة الثلاثاء في ٢٧ شعبان سنة ١٣١٢ هـ ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٥ قتلته وهزم جيشه .

مهدي تامة الاول : فجهز السلطان سليمان جيشاً آخر اعظم من الاول وعقد لواءه لأخيه فضل وأرسله لقتال محمود وقبل الوصول اليه ظهر فقيه من قرية الجميزة التي خرج منها ابو جميزة المار ذكره وادعى انه المهدي المنتظر وتكفل لجيش السلطان سليمان بإبادة الدراويش فصدقه وكتب الى برقو والمساليت فوفد اليه جموع كثيرة ثم كتب الى محمود يخبره بظهوره ويدعوه الى الطاعة وكان محمود قريباً منه فاستعد له والتقاء ضحى الاثنين في ٢٤ مارس سنة ١٨٩٥ م قرب وادي « بالي » فكان بين الفريقين قتال شديد اقتتلا فيه بالحرايب والسيوف فقتل مهدي تامة وانهزم جيشه . وقد علق كل من أنصاره لوحاً في عنقه عليه كتابة مقطعة زعم انها تقيه من الرصاص فأرسل محمود رأس المدعي وبعض هذه الألواح مع تفصيل الواقعة الى الخليفة وتقدم لقتال السلطان ابراهيم في عاصمته ففر من وجهه الى برقو .

مهدي تامة الثاني : ولكن لم يكن إلا القليل حتى ظهر من قرية الجميزة مهدي آخر يدعى احمد بن عبد الله فالتفت حوله الانصار من تامة وبرقو والمساليت وقد ادعى انه نزل من السماء وان أبا جميزة تلميذه ولكنه قام بالدعوة بلا اذنه فلم يفلح فطارده محمود الى مكان يدعى « ليلة » ففر منها فأرسل خلفه الفرسان فأدركوه جنوبي ليلة فقتلوه وشتتوا جموعه وتقدم محمود الى قرية الجميزة فأخربها وحرق الجميزة ثم ولّى ادريس ابراهيم وكيله عنه في دار تامة فأقام في عاصمتها نيرة وولى حسب الله ابوبكر اخا ادريس القمراري وكيله عنه في دار قمر فأقام في عاصمتها قناطير .

وفي ١ اوجسطس سنة ١٨٩٥ م غزا زغاوة فغنم وسبى وعاد الى الفاشر .

النبي عيسى في دار ثامة : ورأيت منه كتاباً الى الخليفة بتاريخ ٤
 اكتوبر سنة ١٨٩٥ م يقول فيه : « انه ظهر في دار ثامة رجل ادعى انه
 نبي الله عيسى » .

وبقي محمود في الفائر الى أن زحف الجيش المصري لاسترجاع دنقلة
 فاستدعاه الخليفة الى أم درمان فحضر وعاد في ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٦ وأخذ
 في جمع أطرافه . ثم ولّى امبدى الرضى على الفائر والحنيم موسى على
 الابيض وأتى يحيته الى أم درمان فوصلها في ٨ الحجة سنة ١٣١٤ هـ ١٠ مايو
 سنة ١٨٩٧ م فأرسله الخليفة الى المتمة لتأديب الجعليين الذين خرجوا عن
 طاعته والوقوف في صدد الجيش المصري كما سيجيء تفصيلاً .

الفصل الرابع

في

وقائع أم درمان

سنة ١٨٩٦ : ١ م

الخليفة والاشراف سنة ١ - ١٨٩٥ :

أشرنا غير مرة الى الشدة والدناءة اللذين عامل بهما التعايشي رفيقه الخليفة شريف لمناظرته اياه في الخلافة وما زال التعايشي يضيق عليه حتى ضاق صدره ونفذ صبره . وقد قال اولاد المهدي والاشراف عموماً نصيبهم من هذا التضيق لمحازبتهم للخليفة شريف فاجتمعوا كلهم وألقوا جميعاً سريّة في أم درمان على قتل التعايشي والقبض على ازمة الملك وقد كاتبوا اخوانهم الدناقلة في الجزيرة يدعونهم الى أم درمان للتضافر على هذا العمل . وأودعوا سرهم بعض الجمليين وفيهم البدوي ود العريق فوثق بهم الى التعايشي فشرع هذا في اتخاذ التحوطات اللازمة لصيانة نفسه والتنكيل بالاشراف . وعلم هؤلاء باقتضاح سرهم فأمرعوا الى تنفيذ مشروعهم قبل ان يتمكن التعايشي من عرقلة مساعيهم . فاجتمعوا في قبة المهدي والمنازل المجاورة لها وكانوا قد

خيأوا بعض الاسلحة والذخيرة فأخرجوها ولم يبقَ واحداً منهم إلا تقلد حساماً أو بندقية حتى ارامل المهدي فانهم كن الى ذلك العهد محجورات في منازلهم لا يخرجون ولا يرين احداً فخرجن في تلك الليلة وتقلدن السيوف طالبات الحرب .

كل ذلك والخليفة عبد الله في منزله يستعد لرد كيد الاشراف في نحرهم ففرق على ملازميه البنادق والذخيرة وأمر بعضهم بملازمة بابيه وبمض البعث البعض الآخر الى الاسواق لمنع المدد عن الاشراف . ثم جمع اهله التعايشة فوزع عليهم نحو الف بندقية وجعلهم في الساحة التي بين منزله ومنازل الاشراف وأقام أخاه يعقوب بحيثه في الجامع بجانب منزله وقد جرى ذلك كله مساء الاثنين في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠٩ هـ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩١ م . وفي صباح الثلاثاء أحاط بالاشراف إحاطة السوار بالمعصم واستعد أتم الاستعداد للبطش بهم . ولكنه لم يكن يود الالتجاء الى القوة ما استطاع الى الدماء سبيلا وقد خشي انه اذا انتشبت الحرب يلتهمز عرب الغرب الفرصة فينهبون المدينة ويفرون الى بلادهم فأمر رجاله بأن يلزموا خطة الدفاع مها بدا من الاشراف حتى يأمرهم بالهجوم . ثم ارسل الخليفة ود حلو وجماعة من اكابر القوم الى الاشراف يدعوم الى الصلح ويمهدهم على اجابة سؤلهم وإزالة شكواهم فلم يرض الاشراف بالصلح وبدأوا بإطلاق النار على منزل التعايشي فأجابهم انصار التعايشي بإطلاق النار وداموا على ذلك نحو ساعة . فعاد الخليفة وعرض عليهم الصلح ثانية فلما رأوا استعداد التعايشي نالوا الى المسألة وقالوا نريد ان نعرف ما هي شروط الصلح . فأجابهم التعايشي : ضعوا اتم الشروط . وما زالت المفاوضة جارية بقية ذلك اليوم (الثلاثاء) وطول ليله الى الصباح التالي (الاربعاء في ٢٥ نوفمبر) فانفجرت الازمة وتم الصلح على شروط امها :

- ١ - ان يعفو التعايشي عفواً عاماً عن جميع المشتركين في الثورة . ٢ - ان يحمل محمد شريف مقاماً يليق به ويخلى له كرسيه في مجلسه . ٣ - ان يرد اليه راياته ليجمع تحتها المتطوعة . ٤ - ان يخصص له راتباً شهرياً قدره

٢٠٠٠ ريال ولأولاد المهدي ونسائه رواتب تكفيهم من بيت المال . ه - ان
يسلم الاشراف سلاحهم ويطيعوا التعايشي طاعة عياء .
وعاهد الخليفة علي ود حلو الخليفة شريفاً على انفاذ هذه الشروط وحلف
على المصحف انه يكون ظهيراً له اذا لم تنفذ . ثم أتى به الى التعايشي فاستقبله
احسن استقبال ووقع على عنقه يقبله ويتأسف على ما جرى وأمل ان تعود
المياه الى مجاريها ثم امضى له الشروط وأمضاها الخليفة شريف وعاد الى منزله
وهو بفاية الطمانينة وراحة البال . ثم أخذ التعايشي يبحث سراً عن مثيوي
هذه الفتنة ولم يمض ٢٠ يوماً على الصلح حتى قبض على جماعة من الاشراف
أهمهم : احمد ود سليمان امين بيت المال الاسبق وفوزي محمود وأخوه احمدي
كاتب الخليفة وصالح ود سوار الذهب وسعيد محمد فرح وكلاهما من كبار
الدائرة وأحمد محمد خير من الاشراف وأحمد النور كاتب الخليفة شريف
فسجنهم في أم درمان اياماً مكبلين بالحديد . ارسلهم في قارب الى الزاكي
طبل في فاشوده فقتلهم ضرباً بالنبايت . وكان قد اصدر منشوراً بحبسهم
هذا نصه :

« وبعد فيقول عبد ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد
خليفة الصديق انه بليدة الاثنين الماضي الموافق ١٢ الجاري سنة تاريخه قد سمعت
وأنا بين اليقظة والنوم هاتفاً يتلو عليّ هذه الآية وهي قوله تعالى « فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما
قضيت ويسلموا تسليماً » . ثم في ضحوة هذا اليوم الذي هو يوم الاربعاء
الموافق ١٤ الجاري ايضاً حصلت لي حضرة اجتمعت فيها بالنبي عليه الصلاة
والسلام والمهدي « عم » فقال لي المهدي « عم » بلغ الخليفة علياً والاصحاب
الواقفين مع اشارتك السلام وقل لهم المهدي يقول لكم جزاكم الله خيراً عن
ذلك ثم أخبرني « عم » بأن الاصحاب الذين وقفوا مع اشارتي في المسألة التي
حصلت قد نظر الله اليهم بعين الرحمة ثم قال لي « عم » ان احمد سليمان واحمد
النور واحمد محمد خير وسعيد محمد فرح وفوزي واحدي وصالح سوار الذهب

فليكن حبسهم فقلت للمهدي « غم » ان اهل الظاهر ينكرون عليّ ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقال لي المهدي « غم » ان الحق معك وأهل الباطن معك فاحبسهم واتصل على الاصحاب المنشور المحرر منا في حقك فمن ينكر بعد ذلك فذنبه عليه ثم قال المهدي « غم » ان من يخالف اشارتك في هذا الزمان ولو كان يمشي على البحر حتى يقطعه فأمن باطل وهذا ما لزم الاعلام به والعلم لله والسلام في ١٤ جبادى الاولى سنة ١٣٠٩ هـ ١٦ ديسمبر سنة ١٨٩١ .

سجن الخليفة شريف : ولما بلغ الخليفة شريفاً قتل المذكورين غضب وشكا أمره الى الله جهاراً من ظلم التعايشي وجوره وامتنع عن صلاة الجمعة والجماعة ففتح للتعايشي باباً طاملاً ترقب فتحه فأمر الخليفة عليّ ولد حلو والقضاة ان يقضوا عليه بما فيه تأديب له وعبرة لغيره ويعلموه ان تجاوزه حدوده أوجب قتل أقاربه . فاجتمع القضاة والامراء وحكوا بسجنه فسيق مضروباً مهاناً الى السجن حيث وضعوه وحده في كوخ من قش وكبلوه بالحديد وذلك في ٢ مارس سنة ١٨٩٢ . وهذه هي صورة الحكم حرفياً بعد البسملة :

حمداً لمن جعل الاستقامة طريقاً للسلامة وشكراً لمن وفق ذوي البصائر الى الوقوف على قدم الصديق فصاروا من اهل الكرامة وخصّ أهل عنايته بأنوار هدايته فاستسلموا لقضائه واستراحوا من الوقوع في هاوية الندامة وحضّ على طاعة أولي الأمر بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم لا تنتظام الحلال والسلامة في يوم القيامة وصلاة وسلاماً على قطب دائرة الاصل النوراني ومنبع الفيض الرحاني وأشرف النوع الانساني ومعدن السر الرباني سيد محمد الذي قصم بسيف الحق ظهر الخلاف ومكن حسام الشرع من رقاب اهل الانحراف وعلى آله وأصحابه الذي قوي في الله يقينهم فأمنوا بالغيب فأنكشت غياهب الشك عن بصائرهم فازدادوا ايماناً وتمكن دينهم . وبعد فان الخليفة محمد شريف حامد قد بارز خليفة المهدي « غم » بالمداوة والعصيان والخلاف حتى تظاهر بالحراية له وشهر

السلاح عليه ولم يبال بادخال الخلل في الدين وشق عصا المسلمين . فبعد هذا كله اجتمع جماعة المسلمين وأحضروه بين أيديهم وحلقوه على كتاب الله تعالى فحلف وعاهد على ان لا يعود الى مثل ما صدر منه ثم جاء خليفة المهدي «عم» نادماً على شنيع فعله فقبله مع ما ارتكبه من عظيم الذنب والخطيئة... وعفا عنه وقبّله بالصفح والاكرام . ثم نقض العهد وعاد الى الخلاف واضمار السوء والاصرار على عدم الامتثال فضلاً عن كونه تاركاً الجمعة والجماعة فعند ذلك اجتمع اصحاب المهدي «عم» من قضاة الشرع الشريف وأمرآء وعمد وأعيان وسألوه عن ذلك فقابلهم بأقبح المقال وتقوّه بما يؤدي الى سوء الحال حتى قال ان الفتوت معه وفي حزيه وان نصرة المهديّة تحت قدمه وان الصحابة اعترضوا على النبي ﷺ وغير ذلك من سوء المقال وما زالوا يراجعونه بالقول اللين الحسن وقلوا عليه منشور المهدي «عم» في خليفته والمنشور الذي وجّهه اليه خاصة وأمره فيه باتباع خليفته وعدم خروجه عن أوامره فعند ذلك أظهر التوبة والندم. فنظرا لما حصل منه من نقض العهد وعدم استمراره على التوبة السابقة اقتضى نظر اصحاب المهدي «عم» طبق الوجه الشرعي وضعه بالسجن تأديباً له . ولولا اظهاره التوبة عما حصل منه لكان جزاؤه أعظم من السجن . وقد ثبت جميع ذلك لدى اصحاب المهدي «عم» الآتي ذكر أمماتهم وأختامهم فيه أدناه وجميعهم شهدوا عليه شهادة حتى يؤدونها بين يدي أحكم الحاكمين والسلام سنة ١٣٠٩ . وأمضى المنشور ٤٦ رجلاً من أكابر دولة التعايشي وأهل شوره وهم :

احمد علي قاضي الاسلام	السيد المكي اسماعيل	عبد القادر ام مريم	اسماعيل عبد القادر
المهدي دفع الله الحلاري	عثمان احمد البطحاني	محمد البديري	مكي ابو حراز
احمد حمدان	حسين جزر	شرف الدين دفع الله	عبد الله الحسن
احمد الاخضر	الزاكي محمد	محمد عمر البنا	البديري المريق
محمد حامد جفون	علي الامين	عبد الباقي الماحي	عمر الياس ام بربر
طه الجملي	خالد عطا النان	طه الازرقاني	المطاط الدرد
المبارك جبارده	محمد البصير	عبد الله احمد	عجب الفيه

بابكر عمر	القرشي احمد	ابراهيم الفكي	محمد علي بلال
عبد الله يرجوب	عبد الرحمن ابو سيل	عثمان ابو خويدم	كباشي محمد
جاء الله بليار	النور السيمني	النعم احمد	الشريف النابر
جفون احمد	ابراهيم علي عبيد موسى	محمد عثمان الضيف	علي المدني سميدلطة

وأما منشور المهدي المشار اليه في حق الخليفة عبد الله فهذا هو بنصه
بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلاماً منه الى
عباد الله المؤمنين بالله وبكتاب الله . أما بعد فاعلموا أيها الاحباب ان الخليفة
عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق هو خليفة الخلفاء وأمير
جيش المهدي المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله ابن السيد محمد
حمد الله عاقبته في الدارين . فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله
هو مني وانا منه وقد أشار اليه سيد الوجود ﷺ فتأدبوا معه كتأديبكم معي
وسلوا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تهملوه في فعله
فجميع ما يفعله بأمر النبي ﷺ او بأذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن
هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره ﷺ والقضاء بأشارته فان فعله بكم
وحكمه فيكم بحسب ذلك . واعلموا يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله
ﷺ كما قال تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان
تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً »
فمن كان في صدره حرج لأجل حكمه فذلك لعدم ايمانه وخروجه من الدين
بسبب غفلة وذلك بشاهد قوله تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلوا تسليماً . ولا
شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله ﷺ ان أخوف
ما أخاف عليكم الشرك الحقيقي الحديث . مع انه خليفة الصديق واول المصدقين
في المهدي فانظروا لمكان الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم وانظروا
لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالخبر « عم » فهو مسدد

مؤيد من الله ورسوله ويد من الله لنصر دينه بإشارة سيد الوجود ﷺ وقد ورد في فضله كثير. فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الايمان . واعلموا ان جميع افعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكه على قتل نفس منكم او سلب أموالكم فلا تعترضوا عليه فقد حكه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفى قلوبكم وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزماً فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله لأنه خليفة الصديق الذي قال في حقه اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . وقال ﷺ ان آمن الناس علي في الصعبة ابو بكر . وقال «عم» ما طلعت شمس على احد بعد النبيين افضل من ابي بكر. وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلة الآن لأن اصحابنا كأصحاب رسول الله ﷺ وهو خليفتنا في الدين وخلافته بأمر من النبي ﷺ فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديتي فليسلم للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولي الأبصار بقضية موسى والخضر عليها السلام حكاهما الله في كتابه العزيز كحكم داود وسليمان عليها السلام ولتسلخوا من الشكوك والأوهام وانما أُنذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا اليه الظلم والجور فتهلكوا . فاحذروا عن اذية أولياء الله فانها اذية الله ورسوله وقد لمن الله ذلك في كتابه فقال : ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة كما ان من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فان الله غيور على أوليائه فقد علمتم انه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من ان يؤذي ولياً من أوليائه وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب عنا في جميع امور الدين واياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامثال اليه في قوله والمشاجرة له ولأحكامه ... فتوبوا الى الله وارجعوا قبل ان تذهب حسناتكم وتسلبوا ثوب الايمان .

وإنما حلني على هذا البيان النصيحة في الله ... فمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فليتقم الله منه ويسلطه عليه وهذا امر الله ورسوله فليحذر الذين يخالفون امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام سنة ١٣٠٠ هـ .

حبس اولاد المهدي : وبعد حبس الخليفة شريف أمسك التمايشي اولاد المهدي البالغين وهم الفاضل ومحمد والبشري وحبسهم في منزل جدم لأهم احمد شرفي ومنعهم الخروج منه ولم يسمح لأحد ان يراهم وبقوا على ذلك مدة .

حبس الدناقلة : ثم أرسل بعض رجسالة الى الجزيرة فأمسكوا نحو الف رجل من الدناقلة الذين اتهموا بمشاركة الاشراف في الفتنة وأتوا بهم الى ام درمان فزجهم في السجن ثم استصفى أموالهم وأطلق سراحهم وأردعهم منة عفوه عنهم .

نفي بعض التمايشة وقتل محمد عبد الكريم وعبد القادر ساتي علي : وفي شهر يوليو سنة ١٨٩٢ اتتمر نحو ٧٠ رجلاً من التمايشة على قتل الخليفة عبد الله أخذاً بشار الغزالي فخائنهم واحد منهم وأعلم الخليفة بمكيدتهم فقبض عليهم ونفاهم الى الرجاف .

ثم لم يبق في ام درمان من كبار الاشراف إلا محمد عبد الكريم المشهور وعبد القادر ود ساتي علي طبيب المهدي وكانا قد اشتركا في فتنة الاشراف فأبقى عليها الخليفة ريثما يطلع منها على أسماء بقية المشتركين في الفتنة فلما كانت فتنة التمايشة قبض عليها بحجة انها يغريان الناس بشق عصا طاعته ثم أوثقها بالحديد وأرسلها الى الزاكي في فاشودة فقتلها ضرباً بالفؤوس وذلك في اوغسطس سنة ١٨٩٢ .

وفي هذه الأثناء انتدب الجميلين الذين عاهدوا الاشراف على الثورة ثم خانوهم كما مرّ وأمرهم بالذهاب الى كسلا فتأخروا في رفاة فاستدعاهم الى ام درمان ونفى رؤوسهم الى الرجاف في نوفمبر سنة ١٨٩٢ وهم : البدوي العريق

وعمر الياس باشا ومحمد حامد جفون ومحمد صالح وحاج مرزوق الشايقي وعبد الباقي الماحي المكابراي وعبد المجيد نور الدائم وقد سجنهم سنة في الرجاف ثم أطلق سراحهم فمات بعضهم في المنفى ونجا البعض .
وكان قد نفى قبلهم الى الرجاف اسماعيل شجر الخيري لاتهامه بأنه محارب للأشراف .

نفى أبي قرجة وزقل: وبقي من الأشراف المعروفين في السودان أبو قرجة وزقل . أما أبو قرجة فإنه عند قيام الأشراف كان عاملاً على كسلا فحشي الخليفة ان يتحد مع التليان فاستدعاه الى أم درمان بعد ان تولى كسلا ثمانية اشهر وولى مكانه مساعد قيدوم كما مر ثم ارسله الى خط الاستواء بنفر من الانصار معللاً إياه بأنه سيكون عاملاً عليها وأصبحه بقاريًا بكتاب الى امير الرجاف فقبض عليه حال وصوله وزجه في السجن . ثم ألحق به محمد خالد زقل سنة ١٨٩٣ على ما سيجيء .

المصاحفة : وطال الزمان على الخليفة شريف في السجن فتوسط له اولاد المهدي وأمهات المؤمنين مع التعايشي فأرسلهم التعايشي الى اخيه يعقوب فضرب لهم المثل الآتي :

« حكي ان رجلاً كان يكتاب حية في جذع شجرة فيحمل اليها كل يوم شيئاً من اللبن فتشربه وتلفظ من فيها قطعة من الذهب في الوعاء فيحملها وينصرف ثم يأتي في اليوم التالي باللبن فيعود بقطعة من الذهب وبقي على ذلك اياماً حتى عرض له سفر فأثاب ابنه عنه في ارسال اللبن الى الحية فلما رأى الابن ان الخير كله في جوف الحية قال في نفسه اقتل الحية وأخذ الذهب من جوفها مرة واحدة واستريح من العناء فأخذ سيفاً في يده وحمل اللبن على عادته وقدمه الى الحية فلما همت بشربه بأدنها بضربة من سيفه فقطع ذنبها فثارت الحية عليه وقتلته . فلما عاد الرجل من سفرته تفقد ابنه فلم يره فذهب الى مكان الحية فوجده مقتولاً تحت الشجرة ثم اقبلت الحية فقدم اليها اللبن فقالت له دع عنك

هذه الصعبة بعد الآن فان ابنك غدر بي فقتلته فانت لن تنسى قتل ابنك وأنت لا انسى قطع ذني ، اه .
ففهم المتوسطون من ذلك ان التعايشي لا ينفو عن الخليفة شريف لأنه لا يأمن غدره بعد الآن .

وكان في جملة المتوسطين للخليفة شريف محمد ابن المهدي المتزوج باحدى بنات التعايشي فلما رأى اصراره على سجن الخليفة شريف ثار به الغضب فطلق امرأته هذه فزوجها التعايشي سلفها البشري فازداد محمد غيظاً واستياء . وبقي الجفاء مستحكماً بين التعايشي والاشراف حتى بدأ الجيش المصري بالزحف على السودان فرأى التعايشي ان يسلم الضغائن والأحقاد التي بينه وبينهم فأطلق الخليفة شريفاً من السجن وزوج محمد المهدي بابنة اخيه يعقوب وعاد الى مصافاتهم .

زيادة ملازمي الخليفة وتولية ابنه اميراً عليهم وبناء سور حول منزله سنة ٣ - ١٨٩٤

أما ملازمو الخليفة فهم حرسه الخاص وكانوا قبل فتنة الاشراف لا يزيدون على ٥٠٠ من الجهادية السود فلما كانت الفتنة اخذ في زيادة عددهم من شبان السود وجميع القبائل من عرب وعجم حتى بلغوا الوفا . فأسكنهم حول منزله وجعل ابنه البكر الذي سماه شيخ الدين اميراً عاماً عليهم ورشعه للملك بعده . وسخر اهل ام درمان فبنوا حول منزله ومنازل ملازميه سوراً منيعاً سمكه اكثر من متر وعلوه نحو ٥ امتار وظل يزيد عدد ملازميه حتى ضاق بهم السور فأقام لهم سوراً آخر لاصقاً بالسور الاول وطرد اهل البلد منه وقد شرع في بناء السور في اوائل سنة ١٨٩٣ فأتمه سنة ١٨٩٤ .

قتل ود جار النبي الثلاثاء في ١٠ صفر ١٣٠٩ ١٥٥ سبتمبر سنة ١٨٩١ م :
مر بنا ان التعايشي أنفذ ود جار النبي الى البطاحين لي جلبهم الى ام درمان

وانه هو الذي هيج التماشي عليهم فنكل بهم تنكيه المعلوم . وكان ود جار النبي فارساً مشهوراً في راية الخليفة ود حلو ومعه في الراية نفسها رجل من دهاة البطاحين يدعى عثمان احمد فحنق عليه لعدم الرفق بقومه وأخذ يسمى في تنكيهه والخط من كرامته عند الخليفة ود حلو فأفلح مسعاه وأقصاه الخليفة ود حلو بعد أن كان مقرباً جداً عنده فاستاء ود جار النبي من ذلك وخرج من راية الخليفة ود حلو الى راية يعقوب اخي التماشي وأطلق لسانه في ذم الخليفة علي ود حلو والاستخفاف به فعظم ذلك علي ود حلو ورفع الامر الى التماشي وكان التماشي يود مراعاة رفيقه لمضافرته له على الخليفة شريف فأحال الامر على القضاة فحكوا بقتل ود جار النبي وصدق الخليفة الحكم . وكانوا قد قيدوا المحكوم عليه وأرسلوه الى السجن فلما صدر حكم القتل عليه جاؤا ليأخذوه من السجن . فقال لهم : حلوا القيد من رجلي لأن فارس السودان لا يمشي بين الناس راسفاً بالقيود . وأصر على ذلك فرفعوا الامر الى الخليفة فأمر ان يقطعوا كمي قدميه ويخرجوا القيد منها بلا فتح ففعلوا كما أمر وساقوه الى المشنقة بالضرب والاهانة فأطلق لسانه إذ ذاك على الخليفة والبقارة وأخذ ينادي بأعلى صوته بما معناه : « يا قبائل السودان وأبطال هذا الزمان استيقظوا من غفلتكم وارفعوا براقع الجهل عن عيونكم فليس بينكم مهدي ولا خلافة ولا دين بل هو ملك مدني جائر في يد بقاري ظالم غشوم يسمى الى اعدام كل بطل في السودان وجعل اهله كالأنعام يسوقهم رعاة من البقارة الاجلاف الذين كانوا بالامس يلبسون « الكنفوس » ويركبون الثيران ويتبعون في حكم هؤلاء الانذال الى ان تستفزكم نخوة الرجال وتحدوا قلباً واحداً على قتلهم او طردهم الى اقصى الجبال . انهضوا ما دامت لكم بقية حيوة وجاهدوا في سبيل الحرية والاستقلال فحيوة الحيوان ارقى من حياة تقضى بالذل والهوان . وقولوا لذلك المغفل الجبان علي ود حلو انه لن يرى الخلافة في عينيه لأن التماشي يرشح ابنه للملك بعده وأخبروه اني لم اقتل مراعاة لمقامه او اكراماً لشأنه بل قتلت لأني بطل كرار وفارس مغوار ولأن

التعايشي يهرب فمالي ويخاف على نفسه مني ومن امثالي .
ثم لما أدنوه من المشقة عظم عليه القتل شقاً فالتفت الى البقارة وقال :
أمن المروءة ايها اللثام ان تقتلوا فارس السودان قتل لص جبان ؟ أليس بينكم
فارس ينزلني في هذا الميدان فأشفي غليلي بقتله او أموت ميتة الفرسان .
ثم أصعد على كرسي المشقة فأقوه بالماء ليشرّب فرفض الماء باحتقار وقال :
انما يشرب في هذا الموقف الجبان . ثم التفت الى الناس وقال : من لم ير شجاعاً
يقتل فلينظر إليّ وباليّتي أقتل وأنا على ظهر جوادي أجاهد البقارة الاندال
في الدفاع عن الحرية والاستقلال . ثم تنفس الصعداء وقال : أفارق الحياة
بهذه النفصة فاعتبروا بمصيري وخذوا ان كنتم رجالاً بشاري . ثم رفس
الكرسي برجله فتملق جسمه في الهواء وأسلم الروح . وكان ذلك ضحوة الثلاثاء
في ١٠ صفر سنة ١٣٠٩ هـ .

نفي اسماعيل عبد القادر الى الرجاف سنة ١٨٩٣ م :

تقدم لنا ذكر اسماعيل عبد القادر مراراً بلا تعريف فهو ابن اخت السيد
احمد الولي الكردوفاني المشهور وقد قضى في الازهر مع خاله ٨ سنين فاشتهر
بالنجابة والذكاء ثم عاد الى الابيض فخدم فيها مفتياً للمديرية الى أن كانت
المهدية وأتى المهدي الى كابا مهاجماً الابيض فخرج اليه مسلماً من خرج من
اهلها كما مر فصحب المهدي الى ان توفي فصحب خليفته التعايشي الذي عهد
اليه تأليف سيرة المهدي وما كان في المهدي من الوقائع والفتوحات لتكون
شاهدة بفضل المهدي ومؤيدة للملك خليفته في السودان . فشرعن ساعد
الجد وكتب الى جميع العمال في الجهات فأرسلوا اليه التقارير الوافية عما جرى
على يدهم من الوقائع والفتوحات وجمع اليه من كان في ام درمان من القواد
والمحاربين فألف سيرة نفيسة ضمنها وقائع المهدي منذ قيام المهدي الى ما قبل
واقعة طوشكي اي منذ رمضان سنة ١٢٩٨ الى ٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ
وقد قضى في تأليفها بضعة عشر شهراً وتحرّى فيها الحقيقة ما امكن ولكنه

طلاها بطلاء كثيف من الاطراء والتلقى للمهدي وخليفته واضطر الى ذكر كثير من الكرامات والحوارق المنسوبة اليها مما لم يكن في اعتقاده فسر بها الخليفة سروراً عظيماً وأمر الناسخ فليسخوا منها عدة نسخ وزعها على الامراء. وعلت منزلة اسماعيل عبد القادر ونفذت كلمته فحسده القاضي احمد وسلط عليه بعض اخصائه فسموا به عند الخليفة فشهد بعضهم انه سمعه يقول : « كيف تطلق ان تسلم امور الرعية كلها الى رجل جاهل غشوم مثل عبد الله التعايشي » وشهد آخر عليه انه قال : اني والخليفة كاسماعيل باشا المفتش مع اسماعيل باشا الحديوي . وقال آخر : انه ملأ السيرة مفامز تحط من شأن المهدي وقدل على انكاره اياها . ففعلت هذه الرشايات في رأس الخليفة فعل النار بالهشيم فنفى اسماعيل عبد القادر الى الرجاف وأرسله مع زقل في وابور واحد سنة ١٨٩٣ وأمر ان تحرق سيرته اينما وجدت فأحرقت كلها إلا نسخة منها خباها احد كتاب الخليفة حرصاً على حقائقها . وقد بلغني خبرها وأنا في قلم الاخبارات في مصر أتحرى وقائع الثورة من الضباط والعساكر الذين نجوا من الأسر فبحثت عنها مستعيناً بالتجار الذين يترددون الى السودان حتى ظفرت بها فاذا هي مع كثرة ما فيها من الاطراء والتلقى للمهدي وخليفته قد ضمنت الحقيقة احسن تضمين وانطبقت حقائقها على ما تحرّيت جمعه في مصر فزدت به ثقة واستشهدت بالسيرة في مواضع كثيرة من التاريخ . أما المؤلف فانه بقي في الرجاف في اشد العناء والضيق حتى مات اوائل سنة ١٨٩٧ م . وقيل ان مرعياً اختطفه وهو ملقى على سريره لا يستطيع حراكاً من شدة الجوع رحمة الله عليه .

سجن احمد علي قاضي الاسلام وموته في السجن في يونيو سنة ١٨٩٤ :

اول من سمي « قاضي الاسلام » في المهدي احمد ود جبارة فقتل في واقعة الابيض كما مر وتولى القضاة بعده ود حلاب احد فقهاء النيل الابيض فمات في حصار الابيض فخلقه القاضي احمد علي من فقهاء بني هلبة فلم يكن له في زمن

المهدي شأن يذكر لأن المهدي أقام النواب للفصل في القضايا الشرعية ثم أقام الأمناء للنظر في القضايا السياسية كما رأيت فلما مات المهدي واستبد التعايشي عزل الأمناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة برئاسة القاضي احمد فقضى له بما اقتضاه رأيه سواء وافق الشرع او خالفه فأصبح من أعظم المقربين عنده . وكان مع وظيفة القضاء امير راية في جيش يعقوب فانضم الى رايته كثير من سراة البلاد وأغنيائها ومدته يده الى الرشوة فجمع مالا طائلا وعظم شأنه جداً فحسده يعقوب على ذلك وسلط عليه بعض القضاة فعادوه وتتبعوا مفواته فوجدوا انه يأمر الجباة بإعفاء المنتمين الى رايته من الضرائب فشكوه الى الخليفة فجرده من رايته وأمره بالانقطاع الى القضاء . ثم شكوه لقبوله الرشوة ومداخلته في الضربخانة متحزباً لفريق دون آخر فجرده من جميع أمواله ونسائه وزجه في السجن ومنع عنه الغذاء حتى مات وذلك في يونيو سنة ١٨٩٤ . وكان طويل القامة غليظ الجثة اسود اللون حتى تظنه زنجياً خفيف اللحية عبوساً مهيباً شجاعاً نهاباً وهاباً . وكان من الدهاء على جانب عظيم . وفي اعتبار اهل السودان انه قام في هذا القرن اربعة دهاة لم يقم في السودان ادهى منهم . اثنان قبل المهدي وهما الملك بشير عقيد من المسلمات والحسن الملك سعد من السعداب . واثنان في زمن المهدي وهما القاضي احمد المذكور والحاج علي ود سعد امير الجمليين المار ذكره في واقعتي ابي طليح وطوشكي وقد عاد هذا بعد واقعة طوشكي الى ام درمان فمات فيها سنة ١٣٠٧ هـ وقيل ان الخليفة أماته مسموماً . وخلفه على الجمليين اخوه عبد الله ود سعد فكان له من الشأن مع التعايشي ما تذكره في محله :

سجن الحسين الزهرة وموته في السجن سنة ١٨٩٥ : وبعد القاضي احمد أسند منصب القضاء الى سليمان الحجاز من تجار بربر المتفقيين فكث فيه مدة قصيرة ثم خلفه الحسين الزهرة المتقدم ذكره في حصار كسلا وهو من قرية ام عظام في ضواحي المسلية ومن متخرجي الازهر النابغين وقد هاجر الى المهدي بعد واقعة هكس وظن انه ينال في دولته مقاماً عالياً فلم يلبث ان

رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والعلماء ولا تولي الوظائف إلا الجهة الطغام فلما كانت واقعة الخرطوم نظم المهدي قصيدة طويلة في ١١٢ بيتاً أشار فيها الى فتح الخرطوم وقتل غوردون ونصح المهدي بوجوب اسناد الوظائف الى العلماء وقد استدل بعضهم من بعض أبياتها انه منكر للمهدية ومندد في رجالها مع انها تدل على اضطراب قصد المؤلف وليس فيها تصريح بسوى كدره من اسناد الوظائف الى غير اهلها . وهذه هي بغض مقتطفات منها :

برج الخفا ما الحق فيه خفاء	وقالت الآيات والأنباء
بالآية الكبرى التي بظهورها	كمل الرضى والحجاب الاسواء
بشرى لنا بظهور مهدي الورى	ايه ونعمى بعدها نعاء
علماء امة احد ناشدكم	ردوا جوابي انكم علماء
أرضى وترضون الضلال بعيد ما	ظهر الهدى والحجاب عنه قذاء
ويخيب ظني فيكم وعشيرتي	أنتم ويقمع جمعنا الغرباء
مهدي امة احمد بي لم تذر	خلأ يدوم له لدي اخاء
مالى سواك وليس بعدي من جفا	لكن بذاك جرى علي قضاء
لم تعرف الايام قبلك منزلي	ولذا لم يرفع علي لواء
جهل الولاة أمات دين محمد	وأهله ماتوا وهم أحياء
يا ابن النبي محمد ووليه	وأمينه ماذا اليك مرأه
الا عبد عبد أستعيد بذمتي	أبدأ اليك ولي هنا أعداء
ما بي استهانوا بل بشرع محمد	فعليه من اثر الدماء حياء
واماته الجمل الغفير مهاجراً	وله بماء سمائك الاحياء
فتناولنه من اللثام واعطه	صنف الكرام فأهله العلماء
واشروط عليهم ما أردت من الهدى	يعطوا العهد لأننا امناء
وديار من ناوى الهدى منقوضة	وسقوفها بين السقوف هواء
في تاسع من رابع في الثان من	بعد المئين وللأمور مضاء
والله دمر من طغى وأباده	حقى تولى قتله الضعفاء

ولقد تبدد جسمه برماحهم فكانه من خلقه أشلاء
 صالوا به وذويه بين حصونهم في خندق غرت به الاذواء
 والنار ترعى في الجسوم كأنها عشب لمعري ان ذا لبلاء
 أتظن تلك كرامة مأنوسة لا والذي ضلت به الآراء
 فسوى خلائف احمد مهدي الوري كل الأنام من الخيور فضاء
 إلا الذين غدوا على آثارهم اهل الولاية والصفاء الامراء
 ذاك الرفيق الزمه واترك غيره ربط الجياد لغير ذاك نواء
 واعصم سقاءك بالوكاء من الظماء ما في الفضاء امام قصدك ماء
 واحلل أسيرك ههنا ان تستطع ما في القيامة للأسير فداء
 خفض عليك فللخطوب ترسل طورا وطورا شدة ورخاء

ويظهر ان المهدي التفت اليه على أثر هذه القصيدة فأنقذه الى كسلا لاستلام
 حاميته كما مر . وبعد رجوعه كان المهدي قد مات فعاد الى بلاده . ثم جمع
 الخليفة جميع العلماء في ام درمان وهو في الجلة فعهد اليه تدريس علم الميراث
 في المسجد الى ان ولاء منصب القضاء كما مر فوقف عند حد الشرع وقضى
 بعدة مسائل على خلاف ما اراد التعايشي فاغتاض منه وحبسه وكبله بالحديد
 ومنع عنه الطعام والماء الى ان مات قهراً سنة ١٨٩٥ . وبما قاله التعايشي في
 ود الزهرة ان مثل العالم بين اصحاب المهدي مثل الشجرة وسط الزرع فانها
 تأوي الطير الذي يفسد الزرع فلا يستريح الزارع حتى يقطعها من اصلها .
 وتولى القضاء بعد ود الزهرة امبدى البقاري ثم النذير من علماء الخرطوم فبقى
 الى فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ .

الخليفة والاسرى المصريون في السودان :

مر بنا ان الدراويش أسروا كثيرين من موظفي الحكومة المصرية وضباطها
 وعساكرها عند فتح حاميته في السودان فعرفوا بأولاد الريف لأن اكثرهم
 من المصريين وعرف النصارى منهم الذين اكرموا على الاسلام بالمسلمانيين .

وقد قضت سياسة التعايشي وسيد المهي من قبله بالحجز عليهم جميعاً في السودان للانتفاع بصنائعهم ومعارفهم الكتابية من جهة . وكم اخبار السودان عن مصر من جهة اخرى . وقد اطلعت على كتب كثيرة من الخليفة الى عماله يحذرم فيها من انتاتهم على الاشغال الهامة ويأمرهم بشدة المراقبة عليهم لئلا يفلتوا . فمن ذلك ما كتبه الى احمد محمد خوجلي في دنقلة بتاريخ ٨ محرم سنة ١٣٠٣ هـ : « حيينا ينبغي ان تنبهوا على جماعتكم بأن من يوجد من اولاد الريف متوجهاً من هنا ان يحضروه اليكم وأنتم ترسلونه الينا ولا تتركوا احداً منهم يتوجه الى بحري او خلافها إلا أن كان معه خطاب منا . وأولاد الريف الذين معكم احرصوا عليهم كل الحرص » .

وكتب الى كرم الله شيخ محمد بتاريخ ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هـ : « اما اولاد الريف فأرسلوهم جميعاً لهذا الطرف ليقبضوا في البقعة ولا تتركوا منهم احداً كلية لأنهم اينما كانوا لا يؤمنون » .

ورأيت كتاباً من مساعد قيود الى الخليفة بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٣٠٦ هـ يقول فيه : « انه بناء على الاشارة الكريمة بدقة البحث عن أبناء الريف في دنقلة وارسلهم اليكم فقد بخشنا عنهم في جميع جهات دنقلة من ارقو الى صن وألقينا القبض على من وجدناه وها هم واصلون مع الحبيب محمد عبدالله الفادي وجماعته للحفاظ عليهم ومع المذكور كشف بأسمائهم ووظائفهم السابقة » .

وكتب الخليفة الى عثمان آدم بتاريخ ٢٩ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٧ هـ : « وكذلك جميع اولاد الريف لا تمكنوهم من اموركم المهمة لأننا نحن منال نمكنهم من امورتنا بل نشغلهم بالكتابة على قدر اللزوم بدون دخل لهم في شيء آخر . ومن المجلة موسى حسين وجماعته فانهم وإن كانوا من الانصار فما دام انهم أبناء ريف فخذوهم حذرهم منهم » .

وكتب الى محمود احمد في ٥ جمادي الآخرة سنة ١٣١٠ هـ : « ينبغي الالتباه الى مثل موسى حسين ومن معه من المواليد وأمثالهم الذين كانوا

مخالفين الترك سابقاً فاجعلوهم في وسط بلاد الاسلام ولا تجعلوهم في الجهات
الموالية لجهة الاعداء ولا تندبوا اليها .

وقد جمع الخليفة اكثرهم في ام درمان واستخدم الصنائع والكتبة والطوبجية
في مصالحه العامة وترك الباقين يمتثلون على معائشهم بتعاطي الاشغال الوضيعة
جداً حتى كان الضابط الذي قاد الجنود الى ساحة القتال يضطر ان يعيش
بالاستقاء او الاحتطاب من الصحراء او بفتح دكان للقهوة او لبيع الخضر .
وقد حاول كثيرون منهم الفرار فمنهم من قبض عليه وعذب او سجن حتى
ذاق الموت الاحمر ومنهم من نجح بطرق اسوان وكورسكو وسواكن وقليل
ما هم وأكثر هؤلاء من العساكر والكتبة الصغار . وأما الضباط والموظفون
الكبار مثل سلاطين باشا وفوزي باشا والافراد الاوربيون من قس وتجار
فقد كانت المراقبة عليهم شديدة جداً حتى عدت أمر فرارهم مستحيلاً أو
شبهها به .

مآثر الميرالاي ونجحت بك مدير قلم الخبائرات سنة ١ - ١٨٩٦ :

انقاذ اوهر ولدر من الاسر سنة ١٨٩١ : وكان الميرالاي ونجحت بك
مدير الخبائرات في مصر (السردار الحالي) عالماً بحال الاسرى في ام درمان
وباذلاً جهده في انقاذهم وإمدادهم بالمال . فسمى مع مطران المرسلين النمساويين
في القاهرة فأرسلوا الى ام درمان خبيراً من عبادة السيالة يدعى احمد حسن
فأقتبس الاب اوهر ولدر الذي أسر في جبل الدكن وراهبين من راهبات
الابيض فخرج بهم من ام درمان في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩١ على أثر فتنة
الاشراف واتخذ طريق المرات وكورسكو فوصل بهم مصر في ٢١ ديسمبر
من السنة المذكورة .

تأليف كتاب المهديّة والسودان سنة ١٨٩١ : وكان ونجحت بك قد فرغ
من تأليف كتابه المشهور المسمى « المهديّة والسودان المصري » الذي فصل

فيه وقائع الثورة المهدي ولا سيما وقائع الجيش مع الدراويش الى ما بعد واقعة طوكر احسن تفصيل .

تأليف كتاب اسر عشر سنين في معسكر المهدي سنة ١٨٩٢ : فرأى ان الأب اوهر ولدرد ذو اطلاع كبير وخبرة تامة في احوال السودان والثورة المهدي مع ذكاء وفطنة وصدق لهجة فطلب اليه ان يخط اختباره هذا على ورق فكتب اصوله بالألمانية فألف منها ونجحت بك كتاباً بالانكليزية من أنفس الكتب سماه « أسر عشر سنين في معسكر المهدي » ونشره سنة ١٨٩٢ فنال رواجاً عظيماً في اوربا كلها .

انقاذ روسينيولي من الاسر سنة ١٨٩٤ : ثم ارسل الى ام درمان عبادياً آخر يدعى عبد الله محمد عمر من سكان دراو فانقذ الأب روسينيولي الذي أسر في الابيض ١٨٨٣ وأتى به الى مصر في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٩٤ .

انقاذ سلاطين من الاسر سنة ١٨٩٥ : وكان اخوة سلاطين باشا باذلين الجهد في انقاذ اخيهم من الاسر وقد استودعوا قنصلية النمسا في مصر الف جنيه لهذه الغاية فسمى ونجحت بك والقنصلية المذكورة سعياً متواصلاً حتى وفقوا اخيراً الى تاجر جملي يدعى المعجيل فعمدوا معه اتفاقاً ودفعوا له ٢٠٠ جنيه مقدماً وكتبوا له صكاً بـ ٨٠٠ جنيه تدفع له بعد رجوعه بسلاطين سالماً الى مصر . وكان سلاطين بعد وصوله الى ام درمان مع المهدي سنة ١٨٨٤ م قد كتب الى غوردن كتاباً بأمل التخلص من أسر المهدي والفرار اليه فوقع الكتاب في يد المهدي فسجنه وكبله بالحديد ثمانية اشهر . ولما مات المهدي جعله الخليفة من ملازمي بابه لا يبرح منه من الفجر الى ما بعد العشاء إلا اذا ركب فيركب معه . وقد شدد المراقبة عليه وأعطاه منزلاً ينام فيه قرب منزله وكان يفخر بأن مدير دارفور اسير عند بابه . فدبر المعجيل الامر سراً مع سلاطين وخرج به من ام درمان في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٥ وأرسله مع رسل مخصوصين على هجن قوية فعبز النيل بين أبي حمد وبربر وأتى بطريق

اسوان فوصل مصر في ١٩ مارس من السنة المذكورة . وقد اغتاط الخليفة جداً من قراره وبجث عن الساعين في ذلك حتى درى بالمعجل فنفساه هو وصديقاً له يدعى الصادق عثمان الى الرجاف وقتلها هناك .

تأليف كتاب النار والسيف في السودان سنة ١٨٩٦ : وكان سلاطين باشا أعلم الناس بأحوال السودان ومطلماً على اسرار حكومة التعايشي فأوعز اليه ونجحت بك فشرع حال وصوله في كتابة معلوماته بلغته الالمانية فأنشأ منها ونجحت بك كتاباً ثميناً في الانكليزية سمي « النار والسيف في السودان » فشر في اوائل سنة ١٨٩٦ ثم ترجم الى اهم اللغات الاوروبية وكان له اعظم شأن في اوربا كلها . وقد جاء بعد كتاب اوهر ولدر عرضاً قوياً للحكومة المصرية على استرجاع السودان . وسمي سلاطين باشا مساعداً لمدير قلم الاخبارات فراقق الجيش في الفتح الاخير الى ان تم استرجاع السودان فسمي مفتشاً عاماً على السودان كله ولا يزال في هذا المنصب الرفيع الى اليوم .

وبعد نجاة سلاطين باشا بأيام اهدى جلالة امبراطور النمسا الى ونجحت بك وساماً من أعلى وسامات الدولة النمسية . ثم رفع سلاطين باشا الى جلالة اسمي واسم ملحم بك شكور فانعم على كل مناسام عالي فرفعت الى جلالاته في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٦ قصيدة عربية عنوانها « شكر الجليل » هذه هي بحروفها :

أحبل أنفاسَ النسيم اذا مرى	وفي طيته ما فاق في الشر عنبراً
لما صممة النمسا « فيينا » التي همت	على روضها مزن المعالي فازهرها
عقودَ ثناء رائعات أصوغها	وأنظمها في السلك درأ وجوهرها
واجبل تعبير « امتنان » عبيره	أتى يستعير المسك منه التعطرها
تقبل اعتاب المللك « فرنسوي »	وتبدي بناديه الرفيع التشكرا
هو الامبراطور الذي فاق مجده	وفاخر كسرى في المعالي وقيصرا
تسامى على هام الثريا بهمة	علت ايضاً للهند يعزى وأسمرا

تقول لمن رام التشبه واثبرى
هو البحر قد عمت موارد فضله
لقد جاد لي فضلاً بأكرم منة
سأجعله عنوان فخر وعزة
وتذكاري شريف بمنحة سيد
واني وإن أطنبت في وصف فضله
ولكنني أرجو إلى الله داعياً
فلا زال في عرش الجلالة زاهياً

يقلده ابن الثريا من الثرى
ولكن معاذ الله أن يتكدراً
«وسام صليب فوقه التاج أسفراء»
يحق به لي أن أعز وأفخراً
غدا حمده فرضاً علي مقررأ
يظل لساني في الثناء مقصراً
مدى الدهر أن يبقيه للفضل مصدراً
بعز واسعاد ودام مظفراً

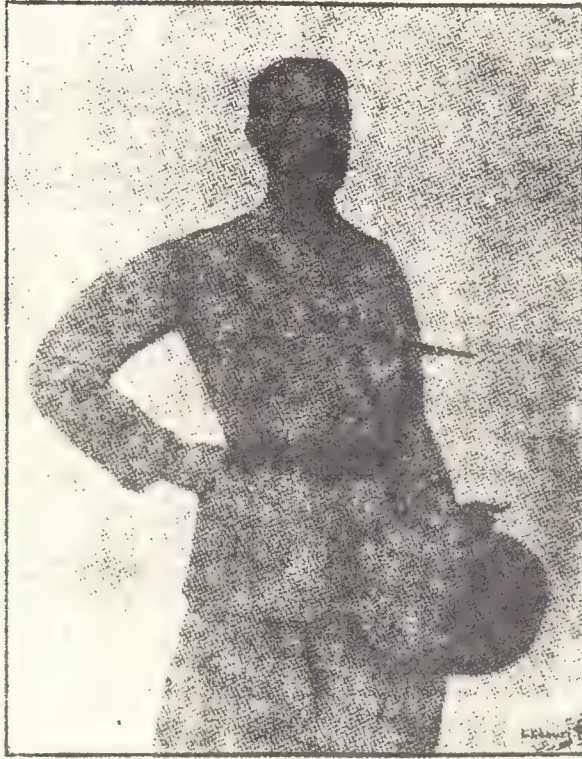
الفصل الخامس

في

استرجاع دنقلة في سنة ١٨٩٦

وفيه وقائع دنقلة والحدود سنة ١ : ١٨٩٦

امراء دنقلة سنة ٩٨ : ١٨٩٦ : تركنا دنقلة بعد خروج النجمي منها سنة ١٨٨٩ وعليها يونس الدكيم عاملاً ومساعد قيدوم وكيلاً له فوق بينهما خلاف اشتد حتى لم يعد من الممكن ازالته فاستدعي يونس الى ام درمان وسمي زقل عاملاً على دنقلة في ٢٥ شعبان سنة ١٣٠٧ هـ فاغتاز مساعد قيدوم لعدم انتخابه عاملاً وكان معه من امراء البقارة عربي دفع الله فنصبا العداء لزقل . وفي ١١ شعبان سنة ١٣٠٨ كتبوا الى الخليفة « انه مواد للكفرة وانه متحيز لأولاد البلد الجميلين والدناقلة على البقارة والجهادية السود » فبعث الخليفة في طلبه وحاكمه في مجلس من القضاة فأنبت خصماء شكرواها عليه فأمر الخليفة بسجنه . ولما ثار الأشراف ثورتهم المار ذكرها كان في جملة شروط الصلح اخراج زقل من السجن فأخرجه ثم نفاه الى خط الاستواء سنة ١٨٩٣ م كما قدمنا . واعاد يونس الدكيم ثانية الى دنقلة فعامل الأهليين بالشدة والغلظة فرفعوا شكواهم الى الخليفة فلم يسمع لهم ولما كرروا شكاويهم خاف ان



اللورد كتشنر أوف خرطوم

يلجأوا الى الحكومة المصرية لقرينهم منها فاستدعى يونس الى ام درمان سنة ١٨٩٥ وأرسل مكانه محمد بشارة المار ذكره في الكلام على دارفور وكان عمره اذ ذاك لا يزيد على ٣٣ سنة ولكنه كان على حداثة سنه من اعظم رجال التعايشي دهاء وأعلام همة واشدهم رأياً وافضلهم سياسة .

تسمية كتشنر سرداراً على الجيش : وفي أثناء ذلك استعفى السر جرنفل باشا من منصبه فخلفه اللواء كتشنر باشا سرداراً على الجيش المصري وذلك في ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢ . وفي أيامه استرجعت الحكومة دنقلة وسائر السودان وقبل الكلام على ذلك نذكر ما كان من وقائع الحدود بعد حملة النجومي في أيام يونس وزقل .

وقائع الحدود سنة ٨٩ : ١٨٩٦ :

غزوة سرس : تقدم ان الدراويش بعد حملة النجومي رجعوا الى سواردة فجعلوها أقصى نقطة لهم في الشمال وكان عليها حموده ادريس البقاري اميراً فبقوا نحو ثلاث سنين لا يبدون حراكاً . ثم عادوا الى تهجماتهم السابقة على الحدود فأغار جماعة منهم في ٤ ابريل سنة ١٨٩٢ على سربى القديمة واختطفوا ماشيتها وغادوا الى سواردة .

غزوة سرّاً الغرب : وفي ٢١ مايو سنة ١٨٩٢ أغار عثمان ازرق على سرّاً الغرب شمالي حلفا بنفر من الهجانة فقتل ٣٤ نفساً من اهلها وغنم ٥٠ رأساً من الماشية .

غزوة قستل : وفي ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٢ غزا جماعة منهم بلدة قستل قرب ادندان فقطعوا خط التلغراف بين كورسكو وحلفا وغنموا ماشية البلدة وقفلوا راجعين .

غزوة جماي : ولما رأى اهل سواردة ان الجيش لم يبدِ حراكاً اشد طمعهم وزاد طموحهم فخرجوا كلهم يتقدمهم اميرهم حموده بقصد غزو جماي

وسرس وتخريب سكة الحديد بين سرس وحلفا فاتصل الخبر بقلم المخابرات قبل وصولهم فاستعدت حامية سرس لصدم وذهبت الاورطة العائرة فاحتلت بجاي وجاء الدراويش بطريق امبقول فلما قربوا من النيل انقسموا فريقين لفريق الهجانة وعليهم عثمان ازرق وفريق الفرسان والمشاة وعليهم حموده فأغار الاول على جماي والثاني على سرس فرد الجيش الفريقين خاسرين الى امبقول وذلك مساء ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٢ .

واقعة امبقول في ٢ يناير سنة ١٩٠٣ : وفي أثناء ذلك جهز البكباشي بلن ضابط المخابرات اربعة بلوكات من السواري وبلوكا من الهجانة و ٢٥ رجلا من عساكر الشايقية وسار بهم الى سرس فوصلها في فجر ١ يناير سنة ١٨٩٣ فلم ان الدراويش قد فروا راجعين بطريق المرات وامبقول فتقدم الى المرات ولما لم يجدهم أبقي السواري في المرات وتقدم بالهجانة الى امبقول في فجر ٢ يناير فوجد بعضهم قد تأخروا في الآبار يسقون رواحلهم فأمر هجائته فترجلوا واتخذوا ثلاث تلال متقاربة في صف واحد وابتدروهم بالرصاص فتمنعوا في تلال منيعة شرقي الآبار وأجابوا اطلاق الرصاص بمثله وسمع اخوانهم صوت البنادق فأسرعوا الكرة لنجدتهم فهاجم فرسانهم ميمنة الهجانة ودار الباقون عليهم من شمالهم فالتحموا بهم وقتلوا البكباشي باين والصاغ فؤاد افندي قومندان الهجانة وبعض العساكر وخف الباقون الى هجنتهم فركبوها وانقلبوا راجعين فرقتين : الهجانة المصرية وعليهم الملازم محمد افندي بركات والهجانة الشايقية وعليهم الصاغ سليمان افندي عبدالله فتأثرهم الدراويش فنجا محمد افندي بركات بفرقة وأما سليمان افندي عبد الله فانه لما رأى الدراويش قد قربوا منه أمر رجاله فترجلوا وتسلقوا أكمة وشرعوا في اطلاق النار على الدراويش الذين أحاطوا بهم من كل جهة وما زالوا يطلقون الرصاص حتى فرغت جيخسانتهم او كادت . وكان معهم موظف في المخابرات يدعى الشيخ صالح جبريل من مواليد دنقلة النجباء فلما رأى حرج المركز صعد الى أعلى التلة وطلق ينادي « ابشروا بالخير ابشروا بالخير جاءت السواري » فلما سمع

ال دراويش هذا النداء صدقوه وانقلبوا راجعين فنزل الهبة عن التلة وأتوا سرس في اليوم التالي . وكان الملازم محمد افندي بركات قد سبقهم اليها وأنفذ خبراً الى السواري في المرات فرجعوا الى سرس . وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة امبقول . وكانت خسارة العساكر فيها ٣٦ قتيلا و ١٥ جريحاً . وأما خسارة الدراويش فكانت ٥٠ قتيلا و ٦٠ جريحاً . وقطع الدراويش رأس البكباشي باين وأرسلوه الى الخليفة في ام درمان مع مسدبه ونظارته ومرآته . وقد مررت بامبقول سنة ١٨٩٦ وشاهدت محل الواقعة فاذا فيه آثار ملابس العساكر وبعض رفاتهم .

غزوة بريس في ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٣ : وبلغ يونس الدكيم امير دنقلة ان في واحة بريس على ٦٠ ميلا من الخارجة خيراً كثيراً وهي خالية من العساكر والحصون فجهز عثمان ازرق بنحو ٣٠٠ مقاتل وأرسله لغزوها في يونيو سنة ١٨٩٣ فلما أتى واحة سليمة رأى آثار قافلة آتية من سوهاج الى آبار النطرون فأرسل خلفها مئة رجل فأدركوها عند الآبار فاعتقلوا رجالها وغنموا ما كان معهم من الجمال والمال وساقوم الى دنقلة . وسار عثمان ازرق بباقي القوة الى بريس فدخلها في ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٣ ولم يجد من يقاومه فأخذ يجمع ما فيها من الفنائم فكانت ٥٤ بقرة و ١٨٧ رأس غنم و ١٠ جياد و ٢٥٦ بندقيّة و ١٠٠ اردب حنطة و ٤٥ حماراً و ٥ قناطير من آنية النحاس ومن الذهب والفضة ما قيمته ٣٤٠ ريالاً و ١٥٠ جنيناً وقضى في جمعها ٣ ايام ثم حملها وعاد بها الى دنقلة ومعه ١١ رجلاً من أهلها فأخذ يونس جانباً من الفنائم الى بيت المال ووزع الباقي على الغزاة وارسل اسرى الواحات والآبار الى ام درمان .

وكان اهل بريس قبل خروج الدراويش من واحتهم قد أنفذوا خبراً الى معاون الخارجة فأنفذه الى مدير اسبوط ووصل السردارية بمصر في ٣٠ يونيو فأرسلت الجند الى سوهاج بقصد انجاد الواحة وقبل ذهاب الجند اليها ورد الخبر بأن الدراويش قد خرجوا منها فذهبت اورطة من العساكر لتسكين

روح الاهالي. وخصصت الحكومة ٥٠٠٠ جنيه لتنفق على حماية الواحات فبنى
المساكن طابية في بريس وطابية في الخارجة وُمد خط التلغراف من الخارجة
الى جرجا. وُجعلت نقطة من الكبابيش في بير الشب غربي حلفا على طريق
الاربعةين .

غزوة المرات وقتل صالح بك اخذا بشار سليمان ود قمر في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣ م

ذكرنا احتلال صالح بك للمرات يوم واقعة النجومى سنة ١٨٨٩ . وفي
سنة ١٨٩١ بلغه ان الدراويش في ابي حمد يستعدون للهجوم عليه فرأى ان
يتقدم قبل ان يتعشوه ، فجهز رجاله ونزل بهم على ابي حمد فباغت اهلها
المهجوم في الفجر وهم يصلون صلاة الصبح في الجامع فذرعوا وأسرعوا الى
اسلحتهم وبدأ اطلاق النيران من الفريقين ثم برز سليمان نعمان ود قمر الغادر
بسيورت باشا راكباً على جواده وهجم على رجال صالح بك فرموه بالرصاص
فسقط الى الارض يتخبط بدمائه ففتموا جواده ورجعوا الى المرات . فجار
الخليفة بعد هذه الواقعة على المليكاب الذين في السودان ونفى كبيرهم حسن
محمد خليفة الى بحر الجبل وصمم على اخذ الثار من صالح بك فأمر يونس الدكيم
امير دنقلة فعقد لعثمان ازرق على ٦٠٠ مقاتل بالاسلحة النارية وارسله لغزو
آبار المرات فوصلها في فجر ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣ وكان مع صالح بك ١٠
رجال مسلحين بالبنادق وقد تحصنوا وراء متراس من الحجارة على رأس أكمة
فانتشب القتال بين الفريقين ودام من لدن الفجر الى ما بعد العشاء وقد وقف
صالح بك بين رجاله يحثهم على القتال والثبات الى ان اصيب برصاصة في
فخذة حالت دون تمكنه من الوقوف ومع ذلك ظل يشجع رجاله على القتال
الى ان توفي بعد ان جرح بخمس ساعات. وتولى اخوه عبد العظيم قيادة العربان
مكانه واستمر القتال حتى ارخى الليل سدوله فرجع الدراويش الى دنقلة وقد
قتل منهم ٢٩ رجلا واما المباداة فقد قتل منهم عدا صالح بك ١١ رجلا .

وجعل السردار عبد العظيم مكان اخيه ووصى الحكومة بعائلة صالح بك فأجرت لها مرتبة بتمامه حتى بلغ اولاده سن الرشد . وارسل الكبتن ماتشل فبنى في المرات طابية حصينة في ديسمبر سنة ١٨٩٣ .

زيارة الجناب العالي للحدود في يناير : وفي يناير سنة ١٨٩٤ زار الجناب العالي الحدودي بلاد الحدود وكان قومندان الحدود اذ ذاك لويد باشا فوزع منشوراً على الأهالي أخبرهم بتشريف سموه بلادم وأوعز اليهم بغرس شجرة من الحمير في كل بلدة تذكراً لزيارته . وبلغ الدراويش خبر هذه الزيارة فظنوا ان الحكومة تستعد للزحف على السودان فتيقظوا .

غزوة الشب سنة ١٨٩٤ : وفي آخر سنة ١٨٩٤ نزل جماعة منهم على حامية الشب فوجدوا حاميتها الكبابيش متيقظين فرجعوا عنها .

غزوة ادندان : وفي ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٥ غزا ود حمزة الانقريابي جماعة من الهجانة بلدة ادندان على ٣٠ ميلاً من حلغا فقتل ١٦ رجلاً من أهلها .

غزوة سوس القديمة ٣٠ يناير سنة ١٨٩٦ : وفي ٣٠ يناير سنة ١٨٩٦ م اغار جماعة من سواردة على سوس القديمة فقتلوا ٣ من أهلها .

حملة دنقلة سنة ١٨٩٦ م

وهكذا كان الدراويش كلما سنحت لهم فرصة ركبوا الهجن وضربوا في عرض الصحراء واغاروا على بلدة من بلاد الحدود فقتلوا ونهبوا ثم رجعوا قبل ان تدركهم العساكر حتى اقلقوا راحة الجيش وسكان الحدود ولم يمكن توقي شرهم ومنع تعديهم إلا بنشر العساكر على طول البلاد من اصوان الى حلغا شرقاً وغرباً وهذا لم يكن ميسوراً لقلة عدد الجيش . وكان السردار قد طلب من الحكومة في اواخر سنة ١٨٩٢ مبلغ ٦٠ ألف جنيه ليزيد بها عدد الاسلحة الراكبة . ويقف للدراويش في المرصاد فلم تعط له . ولم ينفك يحث الحكومة

على وجوب الحملة على دنقلة وطرد الدراويش منها رفقا بالحدود والجيش وهي لا تجيبه الى طلبه لعجز ماليتها عن تحمل النفقات حتى كانت واقعة عدوة بين التليان والحبشة في ١ مارس سنة ١٨٩١ وهب الدراويش لاسترجاع كسلا من التليان كما مر فأقرت بأدىء بدء على ارسال الجنود الى سواكن والتظاهر في الحملة على بربر لارهاب الدراويش وحلهم على العدول عن كسلا ثم رأت ان مجرد التظاهر لا يفي بالمقصود فأقرت ايضا في ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ على الحملة دنقلة والتظاهر في الحملة على بربر . وفي ١٨ مارس سنة ١٨٩٦ أصدر السردار امره تلغرافيا الى هنتر باشا قومندان الحدود فأرسل معظم العساكر الى عكاشة وأسس نقطا حربية بينها وبين حلغا لحفظ خط الاتصال وشرع في مد خط سكة الحديد اليها بطريق الصحراء . وفي ٢٩ مارس وصل السردار حلغا بأركان حربه وشرع في اعداد معدات الحملة والتهيؤ لها .

غزوة عثمان دنقلة لطوكر مارس - ابريل سنة ١٨٩٦ :

ولكن لم يلبث ان جاءته الانباء من سواكن ان عثمان دنقلة حضر الى اركويت بنحو ٢٠٠ فارس و ١٠٠٠ راجل بنية استرجاع طوكر فظهر ان الخليفة انما اراد استرجاع طوكر وكسلا معا وقد عهد الى عثمان دنقلة استرجاع طوكر كما عهد الى احمد فضيل استرجاع كسلا فأصدر السردار امره الى لويده باشا عافظ سواكن وكان اذ ذاك في مصر فخفف الى سواكن وأرسل الى سدني بك قومندان طوكر ليوافيه بما لديه من الجند الى خور ونترى على ٢٢ ميلا من سواكن في يوم عينه له بقصد جمع القوتين وطرد عثمان دنقلة من البلاد . وكان في سواكن من الجند نحو ٩٠٠ رجل من سوارى وهجانة وبيادة وفي طوكر نحو ٢٥٠ رجلا من الاورطة العاشرة السودانية .

واقعة سدني في ١٥ ابريل سنة ١٨٩٦ : فخرج سدني بعساكره من طوكر في ١٤ ابريل ولويده باشا من سواكن في ١٥ منه قاصدين نقطة الملتقى فما وصل لويده الى طروة حتى أتاه نخبه بأن عثمان دنقلة قد خرج من اركويت قاصدا خور ونترى فأقام في مكانه وأنفذ خبرا في الحال الى سدني ليعمدل عن خور

ونتري ويأتي رأساً الى طروة وأرسل البكباشي فنك بـ ٨٠ فارساً تقوية له . فأبطأ رسول لويد ولم يعلم سدي بك بشيء حتى صار على نحو ميل من خور ونتري في عصر ١٥ ابريل فماد الكشافه وأخبروه بأن عثمان دقنة قد احتل الخور فأمر العساكر في الحال فترجلوا ونظموا قلعة حول هجنهم وما أقموا انتظامهم حتى هجم عليهم عثمان بجيشه وأحاط بهم من كل جانب فصبوا عليه الرصاص كالعارض المطال وهزموه في اقل من ساعة بعد ان قتلوا من جيشه نحو ٢٥٠ رجلاً .

واقعة فنك : وكان فرسان عثمان دقنة لما رأوا ثقل الرصاص من مربع سدي تحولوا عنه الى جهة طروة فصادفوا « السواري » الاتين من لويد لنجدة سدي فهجموا عليهم وقتلوا منهم وأوقعوا فيهم الفشل فانهمزوا فرقتين فرقة فازت بالنجاة الى طروة وأخرى وفيها البكباشي فنك و ٣٨ فارساً صعدت الى الاكمة ثم ترجلت وصلّت فرسان عثمان بنار بنادقها فردتهم على اعقابهم . ثم انضم اليهم بقية جيشهم المنهزم من واقعة سدي فحاصروا الاكمة الليل كله الى الصباح (١٦ ابريل) فلم يظفروا منها بطائل فارتدوا عنها فنزل فنك بفرسانه عن الاكمة الساعة ٩ صباحاً وعاد الى طروة . وأما سدي فانه بات ليلته في محل الواقعة وفي صباح اليوم التالي (١٦ ابريل) تقدم الى خور ونتري وأنفذ خبراً الى لويد باشا فوافاه اليه وطلبه عثمان دقنة فوجداه قد انتقل راجعاً الى ادارمة فدخلوا سواكن فبقي لويد فيها محافظاً وجاء سدي وفنك والعساكر الى النيل للمشاركة في حلة دنقلة .

غزوة احمد فضيل لكسلا مارس - ابريل سنة ١٨٩٦ :

وقعة كسلا ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ : هذا ما كان من غزوة عثمان دقنة لطوكر . اما احمد فضيل فانه زحف على كسلا في اواخر مارس سنة ١٨٩٦ بنحو ٦٠٠٠ مقاتل فحصرها . وكان التليان قد ارسلا اليها من مصوع حملة كبيرة من المؤن والذخائر بحرسها ٣٥٠٠ رجل بقيادة الكولونيل ستفاني فالتقاه احمد فضيل في ظاهر المدينة في ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ فجمع الكولونيل

ستفاني قواه وأوقع فيه واقعة مشهورة وهزمه الى طوكرف بخسارة ٤٠٠ قتيل وأما خسارته فكانت ١٠٠ قتيل وجريح .

واقعة طوكرف في ٣ ابريل سنة ١٨٩٣ : وفي صباح اليوم التالي ٣ ابريل خرج عليه بجميع عساكره الى طوكرف وأوقع فيه واقعة أشد من الواقعة الاولى فقتل من جيشه ٨٠٠ رجل وهزمه الى القصارف وكانت خسارته في هذه الواقعة ١٤٣ قتيلاً منهم ٤ ضباط و ٢١٧ جريحاً .

عود الى حملة دنقلة سنة ١٨٩٦ :

واقعة ١ مايو سنة ١٨٩٦ : ولنرجع الآن الى حملة دنقلة فان الدراويش لما علموا بتحريك الجيش الى عكاشة هبوا الى سلاحهم وتقدم حمودة بحامية سواردة الى كوشة فاحتلها في ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ ثم تقدم الى فرقة فاحتلها في ٢٨ منه . وخرج محمد بشارة امير دنقلة بجميع مقاتلته خارج الديم وشرع في ارسال المدد الى حموده حتى اجتمع عنده في فرقة نحو ١٦٥٠ رجلاً فخرج في ١ مايو بطريق الصحراء بنية جرت عساكر عكاشة الى الصحراء والايقاع في ٣٣ . وكان قلم الخبايا متنبهاً للدراويش وقد بث الميون والارصاد لمراقبة حركاتهم ومعرفة احوالهم فلما علم بخروجهم من فرقة ابلغ السردار فصدر أمره الى القائقام برن مردخ بك قومندان السواري فخرج به ٢٥٠ فارس والتقام في منتصف الطريق بين عكاشة وفرقة فقتل منهم ١٢ رجلاً وردم على اعقابهم مدحورين وقد قتل من عسكره رجل واحد وجرح سبعة . وكانت الاورطة التاسعة السودانية قد خرجت لنجدته فما وصلت حتى كانت الواقعة قد انتهت فعاد الكل الى عكاشة .

قوة جيش فرقة : قيل وقد أظهر حموده الجبن في هذه الواقعة فشكاه الامراء الى محمد بشارة امير دنقلة فعزله وسمى عثمان ازرق اميراً على الجيش مكانه وكان الجيش مؤلفاً من ١٦٣٢ رجلاً فجعله اربعة ارباع وجعل على كل ربع اميراً من جلسه وهم : الهبانية وعددهم ٣٣٦ رجلاً وعليهم حموده ادريس . والدناقلة والحمر وعددهم ٤٤١ رجلاً وعليهم كرم الله كرقساوي



صعود الوابور فوق الشلال الثاني

الدنقلوي . والجمعيلين وعددهم ٢٤٥ رجلاً وعليهم محمد الامين ابن عبدالحليم .
والجهادية السود وأولاد العرب وعددهم ٦١٠ رجال وعليهم يوسف عنقر
ودودوبدر البقاريين . اما الجهادية فسلحهم البنادق الرمنتون وأما الباقون
فالسيف والحرب وبعض البنادق . ومعهم كلهم ٧٢١ بندقية رمنتون و ٥٠
صندوق جبهة و ٢٠٥ افراس و ١١٠ جمال و ٥٠٠ حمار .

استعداد العدو في فرقة : واستعد عثمان ازرق للدفاع في فرقة فعين
لكل امير مكاناً يدافع فيه . اما فرقة ففي بلدة حنة على الضفة النيل
هجرها اهلها منذ الحملة النيلية فراراً من الدراويش فأصبحت خراباً وفي شمالها
جبل شاهق علوه ٩٠٠ متر ينسب اليها والى جانبه الجنوبي اكمل تختلف في
الارتفاع من ٣٠ الى ١٥٠ قدماً وبينها وبين خرائب البلدة ديم الدراويش
فجعل عثمان ازرق الهبانية والجهادية على الاكمل والجمعيلين شمالي خرائب فرقة
والدناقلة والحمر جنوبيها . وقد علم قلم المخابرات قوة العدو تماماً بل رسم له
فرقة وعين مكان كل امير فيها وقت الدفاع حسباً رتبته عثمان ازرق فشرع
السردار في الاستعداد للحملة وهاك ما دبّره .

جيش الحملة على دنقلة : لما صدر الامر بالحملة على دنقلة كانت قوة
الجيش المصري مؤلفة من: آلاي من السواري فيه ١٢٥٣ فارساً . وآلاي من
الطوبجية فيه ٩٥٣ رجلاً و ١٨ مدفعاً . وآلاي من الهجانة المصرية والسودانية
فيه ٦١٨ رجلاً . و ١٣ اورطة بقيادة أي ثنائي اورط مسرية وهي التي انشئت
بعد الغاء الجيش القديم سنة ١٨٨٣ وخمس اورط سودانية وقد انشئت في اثناء
الثورة المهدية وفي الكل ١٠٧١٥ رجلاً . و اركان حرب مصالح الجيش وعددهم
١٦٠١ رجل . ذلك ما عدا ٩٤٢ من المساكر غير المنظمة ونحو ٦٠٠ من
رجال حملة النقل ومجموعهم كلهم ١٦٦٨٠ فيهم نحو ٧٠٠ ضابط . وسلاح
الجميع بنادق مارتين هنري إلا المساكر غير المنظمة فانها كانت مسلحة
بننادق رمنتون .

فجعل السردار الاورط المصرية الاولى والخامسة والسادسة في نقط خط

الاتصال بين اسوان وعكاشة وأعد باقي الجيش للحملة على دنقلة. وتبرع الجناب العالي ببلوك من الهجانة كان في خدمة سموه فأضيف الى قوة الحملة . وكان السردار قبل صدور الامر بالحملة على دنقلة أمر بإنشاء الاورطة السودانية الرابعة عشرة فأنم انشاءها وأبقاها في اساس الجيش في مصر . ثم لما صدر الامر بالحملة أنشأ اورطتين من العساكر الاحتياطيين : الخامسة عشرة فجعلها في اصوان وكورسكو والسادسة عشرة فأرسلها الى سواكن . وكان في خدمة الجيش نفر من عربان العبابدة والكبابيش والعلقيات فزاد عددهم اكثر من الف رجل وحصن بهم نقط الصحراء الشرقية والغربية . واستنصر دولته فأرسلت اليه اورطة من الآي نورث ستفوردشير فيها ٨٧٠ رجلاً وبعض المهندسين الملكيين والطويحية والبحارة فاستخدمهم في حملة دنقلة . وأرسلت الى سواكن آلايا من الهند بقيادة الجنرال اجرتن فكان لوجوده في سواكن في أثناء الحملة على دنقلة تأثير أدبي عظيم في الدراويش .. وقد تطوع لها جماعة من كبار ضباط الانكليز فكانوا من اركان حرب فيها أهمهم : اللورد ادورد سسل ابن اللورد سلسبري وزير انكلترا الشهير فألحق بأركان حرب السردار . واللورد اثلني ألحق بأركان حرب اللواء هنتر باشا . والكونت كليخن من افراد العائلة المالوكية ومن اركان حرب مخبرات الجيش الانكليزي جعل في قلم المخبرات في حلفا اياماً ثم نقل الى سواكن فتولى اشغال المخبرات فيها . والماجور ستيورت ورتلي من رجال الحملة النيلية . والماجور كتشنر شقيق السردار .

وسائط النقل : وكان أهم ما لزم السردار بعد حشد الجيش الاهتمام بوسائط النقل في صحار مقفرة ونيل تعترضه الشلالات . وكان في الجيش عند صدور الامر بالحملة ٣٠٤٨ رأساً من خيل وجمال وبغال وحير فأرسل السردار بعض ضباطه وأركان حربه فاشترؤا الفئجل من اسوط وقنا واصوان فوق جمال الحملة . وأنشأ عشرة بلوكات من عساكر القرعة غير المستوفين الشروط من جهة القد والطول فضمهم الى البلوكات الثلاثة المخصصة للحملة في الجيش

وجعل لكل بلوك قومنداناً وجعل الكل بإدارة شقيقه الماجور ككتشر .
وكانت الحكومة قد أقرت قبل الحملة على مد سكة الحديد من كورسكو
الى المرات وبوشر العمل فلما كانت الحملة اوقف السردار العمل وأتى بمواد
السكة الى سرس وشرع في مدها جنوباً الى عكاشة فكوشة وقد أنشأ اورطة
من عساكر القرعة غير المستوفين الشروط وولجها العمل ثم استخدم اورط
الجيش عند الحاجة .

هذا من جهة تدبير النقل في البر اما في النيل فقد كان بين اسوان وحلفا
١٢ وابوراً من الواورات التي تخلفت عن الحملة النيلية فاستخدمها السردار في
نقل المؤن والذخائر من اسوان الى حلفا وأعدت سبعة منها للصعود فوق الشلال
الثاني وسماها الظافر والقاتح والناصر .

ونظم بواسطة يومية على الهجن عهد بها الى الشيخ صالح جبريل المار ذكره
في واقعة امبول فقام بها خير قيام . وأما التلغراف فكان يمدّه الى حيث
يكون الجيش .

تأليف ادارة الجيش: وفي ٢ يوليو نقل مركز السردارية الى عكاشة وألفت
ادارة الجيش من سرس وجنوبها كما يأتي :

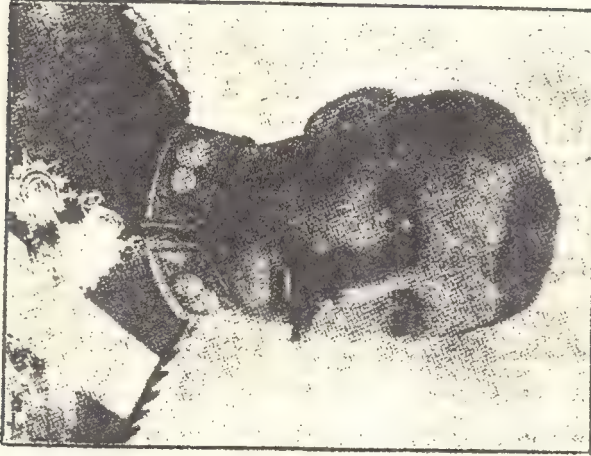
السرهبرت ككتشر باشا السردار . ربارانه :	قومندان عموم القوة
اللورد ادورد سل . والقائمات وتن بك .	
والصاغ محمد افندي بدر	
اللواء رندل باشا	رئيس اركان حرب
الميرالاي ونجت بك	مدير قلم الاخبارات
الميرالاي سلاطين باشا	مساعد قلم الاخبارات
القائمات منتر بك	حكيمباشي التجريدة
جريفث بك	حكيمباشي بيطري .
القائمات دراج بك	مدير المقات
الماجور ككتشر	مدير حملة النقل
البكباشي جبروادر	مدير سكة الحديد
البكباشي مانيفولد	اركان حرب التلغراف

قومندان عموم السواري	القائمقام برن مردخ بك
قومندان طويحية السواري	البكباشي يونج
قومندان بطاريات الطويحية	بيك بك البكباشي لوري والصالح محمد افندي حافظ
قومندان الهجانة	القائمقام تدوي بك

قومندان فرقة البيادة	اللواء هنتر باشا
قومندان اللواء الاول	الميرالاي لويس بك
(وفيه الاروط ال ٣ و ٤ و ٩ و ١٠)	
قومندان اللواء الثاني	الميرالاي مكدونلد بك
(وفيه الاروط ال ١١ و ١٢ و ١٣)	
قومندان اللواء الثالث	الميرالاي مكنول بك
(وفيه الاروط ال ٢ و ٧ و ٨)	
قومندان خط المواصلات	الميرالاي كوكرين بك
(بين اصوان وعكاشة)	

واقعة فرقة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ :

وفي اوائل يونيو 'مدت سكة الحديد الى آبار امبقول وكانت دوريات الدراويش تصل الى تلك الآبار فتعرض حملات النقل وتحاول منع العمل في سكة الحديد فوجد السردار ان استمرار العمل في السكة يقضي بطرد الدراويش من فرقة وقد أقر على مهاجرتهم بطريق الصحراء وطريق النيل معاً . فلما كان يوم ٦ يونيو جمع الجيش كله في عكاشة وجعله قسمين : الاسلحة الراكبة وهم آلاي السواري والبطارية السواري والهجانة ومعها الاروط الثانية عشرة السودانية راكبة على الهجن ومدفعا مكسيم وجماعة من القسم الطبي بقيادة الميرالاي برن مردخ بك تسير بطريق الصحراء فتأتي فرقة من الشرق والجنوب . وفرقة البيادة ومعها بطاريتا ميدان ومدفعا مكسيم واسيبتالية ميدان بقيادة اللواء هنتر باشا تسير معه بطريق النيل فتأتي فرقة من الشمال ويكون الجيشان محيطين بفرقة في فجر اليوم التالي فيها جمانها معاً من الجنوب والشرق والشمال . ولما كانت الساعة الرابعة بعد الظهر خرج السردار يحيشه



رندل باشا



هنتر باشا

من عكاشة وسار بطريق النيل وخرج برن مردخ بك بالأسلحة الراكبة بعده بساعتين وسار بطريق الصحراء واتيأ فرقة في فجر ٧ يونيو والدراويش اذ ذاك يؤدون صلاة الصبح فما شعروا إلا والقنابل تنصب عليهم من كل جهة فهرع كل فريق منهم الى مكانه مذعوراً واستعدوا للدفاع وانتشب قتال حاد دام نحو ساعتين أبلى المساكر فيها بالدراويش بلاء حسناً . ثم هجمت فرقة البيادة عليهم في اماكنهم فقتلتهم شر قتلة وامتلكت الديم . وتمكن بعضهم من الفرار متوارين يحرف النيل وفيهم عثمان ازرق وكرم الله كرقساوي فلحقهم السواري الى بمفرقة فقتلوا منهم وأسروا . ولجأ بعضهم الى جزيرة في النيل تجاه فرقة فرفعوا راية بيضاء وأتوا مسلمين وفيهم بان النقا عبد الحفيظ من موظفي حكومة الفتح الاول . وقد سر السردار من بسالة برن مردخ بك وحسن تدبيره فرقاه الى رتبة ميرالاي في الحال وأمره فتقدم بالأسلحة الراكبة الى سواردة واحتلها في صباح اليوم التالي اي في ٨ يونيو . وكان عثمان ازرق قد سبقه اليها فعدى العائلات الى البر الغربي حيث كانت النجومى معسكراً بثلاثمائة مقاتل وبقي في سواردة الى ان رأى غبار الجيش ففر بمن معه من الانصار الى كدين ثم الى الكرمة . وفرّ حسن النجومى بالعائلات الى دنقلة .

القتلى : وقد قتل من الجيش في واقعة فرقة ٢٠ رجلاً وجرح ٨٦ . وأما قتلى الدراويش فنحو ٥٠٠ وفيهم الأمراء حموده وعبد الامين ويوسف عنقر . وقد رأيت بين القتلى امرأة من الهبانية قالوا انها جاءت الى الحرب لتقتل مع رجلها او تحيا معه فأصيبت برصاصة في صدرها وكانت علامات الهدوء والاطمئنان بادية على وجهها كأنها نائمة .

الاسرى والفنائم : وقد جمع الاسرى بعد الواقعة فكانوا ٥٩٣ نفساً من السود والجمليين والبقارة فأدخل السود في خدمة الجيش في الحال وأما العرب فمن عرف انه كان مكرهاً على الحرب اطلق سراحه وأما البقارة وأنصارهم فقد ارسلا بعيالهم الى سجن حلفا . وكان بين الاسرى ٧١ جريحاً

فنتقلوا الى الاسييتالية وعولجوا فيها الى ان شفوا فوزعوا على الاسلوب المار ذكره. وكان بين الجرحى الشيخ الطاهر ود العبيد المذكور في حصار الخرطوم فانه كان في ربيع الجعليين وقد كثر على الجيش في وسط المعركة فقتل فرسه فترجل وقعد على قناة ماء ووضع سيفه بجانبه اشارة الى تركه الحرب فرآه احد ضباط الاورطة الرابعة فأفرغ فيه مسدسه فجرحه في فخذه وجنبه وصدره ويده اليمنى ومع هذا كله لم يتحرك من مكانه إلا انه أشار الى ضاربه بيده فأتى اليه بعد توقف فقال له : ما الذي دعاك الى ضربي وأنا مطوي اليدين . فقال : الغدر الذي لقيناه من اخوانك في المواقع السالفة . فقال له : ان الذي يقعد قعودي لا ينوي الغدر.. ثم حملوه الى المستشفى . وكان قد سأل عن سلاطين باشا فأتى وأوصى بالاعتناء به .

وقد غنم الجيش في فرقة ٢٥ صندوقاً من الجبخانه وشيئاً كثيراً من الاسلحة والنقاير والدروع والخيول والجمال والحير والحبوب والخبز . وكان بينها خوزة نقش عليها هذا البيت من قصيدة البردي المشهورة :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها تحم

ولعلها من خوذ ملوك سنار لأن هذا البيت كان شعارهم الذي يكتب على اختتامهم .

وقد فلتشت عن اوراق الدراويش فوجدت بينها كتباً كثيرة من عهد بشارة الى حموده وعثمان ازرق حشها فيها على التيقظ والثبات ودرهمها أحسن تدريب .

معسكر كوشة : وبعد انتهاء الواقعة عسكر السردار في جنوبي فرقة اياماً ثم انتقل الى كوشة في قم عقبة ابي صاري وجعلها مركز الجيش واهتم باقام سكة الحديد اليها ونقل الوابورات . وأرسل من فرقة منشوراً الى اهل السودان فوصل نسخ منه الى ود بشارة في دنقلة والخليفة في ام درمان هذا ملخصه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . اما بعد فغير خاف على الحكومة ان الذي جعلكم على شق عصا طاعتها انما هو تصديقكم دعوى محمد احمد المتهمدي وقد اتضح لكم الان ان تلك الدعوى لم تكن من المهدي بشيء بل هي ثورة دموية افضت الى ملك جائر يتولاه الآن عبد الله التعايشي الذي عزل كل امير من غير اهله وولى أهله فاستبدوا بكم . ولما رأت الحكومة سوء مصيركم أرسلت الآن جنودها الجرارة لانتشالكم من وهدة الضلال التي اوقعكم فيها ذلك المتهمدي واتخاذكم من الظلم الذي تقاسونه في عهد خليفته التعايشي . وقد كان من مبتدعات المتهمدي وخليفته هذا منع الحج الشريف مع انه فرض وجب على كل من استطاع اليه سبيلا . ثم ان كلا منها فسر القرآن على رأيه وهواه واستنبط أحكاماً شرعية كما أراد ومنعكم قراءة كتب الحديث والتفسير فضلاً عما يأتيه التعايشي الآن من جمع المال وتفريق كلمة الاسلام ومثك الاعراض وظلم الفقراء وهدم بيوت الكبراء وبعد ان كان رجلاً مسكيناً لا يملك شروى تقير استأثر بأموال الرعية كلها وسكن القصور المشيدة واتخذ نساء المؤمنين سراري له واستحل وطأهن بلا عقد ولا ملك يمين وهو مع ذلك يدعي بالزهد والمسكنة ويتنعم سرّاً بكل ما تطيب به نفسه وتقر عينه وهو ظالم غشوم ما تكلم احد بالحق إلا قتله او سجنه او نفاه . وقد سجن الخليفة شريفاً وأهان الخليفة ودخلوا واولاد المهدي وقتل ابراهيم عدلان واقارب المهدي مثل عبد القادر ود سائي وعبد عبد الكريم واخوانهم سجن والزواكي طمل والقاضي احمد والحسين ود الزهرة أماتهم جوعاً . وخرب مساجد المسلمين كمساجد الحسن المرغني واولاد نور الدائم والشيخ العبيد والشيخ حمد النيل العركي . ونفى امراء الجعليين مثل بدوي ودالعريق وغيره وبذلك أسخط جميع العالم الاسلامي وأصبحت مكة المشرفة وكرسي الخلافة العظمى تنظر الى عمله بعين المقت والكرامة . ولما رأى ولي النعم خديونا المعظم عباس حلمي الثاني ان جرائم هذا الطاغية تزداد يوماً فيوماً اخذته الشفقة على المسلمين المظلومين وصمم على انقاذهم من الظلم

فأرسل جيوشه المظفرة لكي تهدم أركان دولة التعايشي وتقيم حكومة شرعية مؤسسة على العدل والاستقامة وتبني المساجد وتعين على نشر الدين القويم . وقد أصدر سموه عفوه التام عن جميع ذلوفكم وأمر برده أملككم . وهو يدعوكم الى استقبال جيوشه بالترحيب فاذا قبلتم الدعوة وعرفتم قيمة الانعام كنتم انتم الراجحين الناجين وإلا فالويل لمن رفض نعمة ربه وكرم خديوته المعظم وباسمه لي الرجاء الوطيد ان أراكم قريباً طائعين ومعضدين للحكومة الخديوية والسلام يونيو سنة ١٨٩٦ هـ . الامضاء : كلشنر قائد جيش حملة السودان وسردار الجيش المصري .

هذا ولم يعد في الامكان الانتقال من كوشة جنوباً قبل مدة سكة الحديد والوابورات اليها . اما الوابورات فلم يمكن عبورها فوق الشلالات إلا بعد استيفاء الفيض حده . وذلك في اوائل اغسطس فاهتم السردار بأنعام سكة الحديد الى كوشة بأسرع ما يمكن من الزمن لينقل اليها الزاد والذخائر واجزاء الوابورات التي أوصى بها في بلاد الانكليز على ان يبينها في كوشة حتى اذا ما ارتفع النيل الى الحد المطلوب وجاءت الوابورات من حلها تكون الوابورات الجديدة قد تمت فأضاف اربع اورط من الجيش الى اورطة سكة الحديد وحتم على الجد في العمل .

انتشار الكوليرا في الجيش : وكانت الكوليرا قد تفشت في مصر بعد خروجنا منها بقليل فوصلت اسوان في أواسط يونيو وما زالت تذهب صعداً في النيل حتى تفشت في جميع نقط خط الاتصال من اسوان الى سواردة فاجتهد السردار وأركان حربه والأطباء في محاربتها حتى زالت في ١٠ اغسطس وبلغت الوفيات في جميع نقط الجيش ٩١٩ منهم ١٤ عسكرياً و ٥ ضباط من الانكليز وفيهم البكباشي فنك بطل الاكمة المار ذكره في سواكن و ١٥٦ عسكرياً و ٤ ضباط من المصريين و ١٨٣ من « حريمات » العساكر السودانية . ٤٥٦ من أهل البلاد . ومنهم المرحوم يوسف شكور من مهندمي سكة

الحديد النجباء وابن اخي ملحم بك شكور ونسيب سليمان بك ناصيف .
توفي في فركة في ٢٩ يوليو رحمه الله على الجميع .

تفشي الحمى التيفودية في الجيش : ولكن المصائب لا تأتي فرادى فإنه
قبل زوال الكوليرا تفشت في الجيش الحمى التيفودية وما زالت حتى اخذت
نصيبها منه .

الحر والزوابع والامطار : ومعلوم ان الفصل الذي قامت فيه الحملة
هو فصل الحر وقد اشتد علينا حتى بلغت درجة الحرارة ١٢٥° بمقياس فارنهایت
في الظل . ثم لم يبدأ شهر اغسطس حتى بدأت الاعاصير والرياح واللوآح
فكانت كلما ثارت تقتلع الحيام وتثير الغبار وتغادر الجو مظلماً . وفي ٢٥
اوغسطس ثار اعصار شديد عند الغروب فاقتلع نصف خيام المعسكر ونسف
خيمة هندية كبيرة كنت اكتب فيها فسقطت عليّ ولكنني نجوت منها بمعونة
الله وخرجت فوجدت العاصفة قد أثارت الغبار وهي لا تزال تهب بشدة
وعنف حتى كنت اذا وقفت ترميني الى الارض واذا جلست تنسف التراب
والحصى في وجهي وبقيت على هذه الحالة الشديدة نحو ساعة اذ كررتي جيش
كمبيز الذي هلك في صحراء سيوه . ثم هطلت الامطار فكنت الرياح
وانقشع الغبار فذهبت الى خيمتي لأتقي المطر فوجدت الريح قد اقتلعتها
والمطر مبللاً فرائي وثيابي ولكنني وجدت كثيرين قد اصابوا بما اصب
فقضينا ليلة شر الليالي .

وفي ٤ اغسطس مدت سكة الحديد الى كوشة وأخذ الجيش ينقل عليها
المؤن والذخائر بكل اهتمام . وفي ١٥ منه وصلت اجزاء الواور الجديد المسمى
الظافر الى كوشة فبناه القومندان كولفل من البحارة الملوكية في ايام معدودة
وأنزله الى الماء قصد تجريته فانفجر قزانه فتأخر في كوشة مدة .

وتأخر ارتفاع النيل هذه السنة عن ميعاده فلم يمكن الشروع في مرور
الواورات فوق شلال حلفا قبل ٢ اغسطس وقد تولى هذا العمل الشاق

اللواء هنتر باشا والقومندان روبرتصن من البحارة الملكية وكان عدد الوابورات التي عبرت الشلالات سبعة : اربعة مدرعة وهي تمّاي والمنمة وأبو طليح والتيب وثلاثة غير مدرعة وهي عكاشة ودال وخيبر وقد وصلت كوشة في ٢٣ اوغسطس .

وفي هذا اليوم عاد الينا رسول كنا ارسلناه في بدء الحملة الى دنقلة لاستطلاع اخبارها فقبض عليه اميرها وأرسله الى الخليفة في ام درمان فزجه في السجن الى ان كانت واقعة فركة فاستدعاه اليه وسأله هل سلاطين باشا في الحملة قال نعم فقال له « ان سلاطين كتب الينا كتاباً وهذا جوابه فسلمه إياه سرّاً » فحمله وأتى به الى سلاطين وهو غير مصدق انه نجى . وكان سلاطين عند وصوله الى مصر قد ارسل الى الخليفة كتاباً يخادعه به ليرفق بخدمة الذين تركهم وراءه وهذه صورته :

« اما بعد فمن عبد ربه عبد القادر سلاطين الى سيدي وسندي خليفة المهدي (عم) السيد عبد الله بن السيد محمد حفظه الله آمين نخب سيادتكم اننا وصلنا الى مصر بعون الله سالين وبعد وصولنا حصل لنا لطف من الله وان شاء الله عن قريب يحصل الشفاء ونتوجه الى بلادنا لمقابلة اهلنا واخواننا وأنا لا زلت اذكر فضلكم ومعروفكم أيام كنت في بابكم واذا بلفكم عنا ما يكدر خاطرکم فأرجو ان لا تصدقوه وأنتم قد وهبكم الله سبحانه معرفة الباطن ومن ذلك تعلمون ان محبتنا لكم خالصة . نعم اني تركت بابكم بدون اجازة منكم ولكن هيبة سيدي خليفة المهدي منعني عن طلب الاجازة والآن ألوم نفسي على ذلك وأطلب منكم العفو وان شاء الله بعد رؤية الامل والوطن نعود الى خدمة بابكم المالي وذلك عند وصول كتاب الأمان من سيدي خليفة المهدي . مصر في ٧ ابريل ١٨٩٥ هـ . وهذا جواب الخليفة عليه :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى عبد القادر سلاطين . بعد السلام نعلمك ان الجواب المحرر

لنا منك بخطك بأنك ثابت على دين الاسلام وانك لا تخون العيش والملح قد وصلنا وهو الآن محفوظ بطرفنا وحيث انك على ذلك وقد حضرت الآن مع الكفار الذين انت معهم فاعمل المكيدة التي تمكن من انتهاز الفرصة فيهم وها هي الجيوش الاسلامية متوجهة اليهم وهذا ما لزم اعلامك به لتجري العمل بموجبه سراً والسلام في ٢٠ صفر سنة ١٣١٤ هـ ٤ اه ٣١ يوليو سنة ١٨٩٦ .

وعند وصول الواورات الى كوشة أي في ٢٣ اوغسطس أمر السردار حامية سواردة فتقدمت الى ابي صاري وشرع في ترحيل الجيش اليها بطريق العقبة فخرج اللواء الاول من كوشة في ٢٧ اوغسطس وتبعه اللواء الثاني على الاثر . وفي مساء هذا اليوم جاءت الأنباء يهطول امطار غزيرة شمالي عكاشة أفاضت الخيران وأخربت ٢٠ ميلاً من سكة الحديد بين المرات وسرس فأمر السردار جميع من توفر لديه من العساكر وقد زادوا على ٥٠٠٠ فأصلحوا الخط بمزيد الهمة وما كادوا يتمونه حتى هطلت الأمطار ثانية وخربت محطة عكاشة وثمانية اميال من الخط بقربها فخفف العساكر اليها فانصبوا على العمل فيها ليلاً ونهاراً حتى أتموها في ٣ سبتمبر . فاستأنف السردار ترحيل العساكر جنوباً وأرسل اللواءين الثالث والرابع في عقبة أبي صاري في ٥ سبتمبر وأتى بالاورطة الانكليزية من حلفا بسكة الحديد وأرسلها في الواورات في ١٢ منه وسار وراها في النيل فاجتمع الجيش كله والواورات في دلقو في صباح ١٣ سبتمبر . وعند العصر سار السردار بالجيش المصري برأ وسارت العساكر الانكليزية بالواورات مقابله حتى وصل الى ابي فاطمة جنوبي شلال حنك مساء ١٨ سبتمبر . وقد عبرت الواورات شلال حنك سالمة إلا وابور خيبر فانه ترك شمالي الشلال ووابور التيب فانه ارتطم بصخرة جنوبي الشلال فقرر عليها وتعذر اخراجه منها فترك مؤقتاً .

هذا وكان ود بشارة لما علم بخروجنا من كوشة خرج بجميع جيشه الى الحفير تجاه الكرمة فأقام فيها ٣ طواحي على النيل جعل في كل منها مدفعين ووصلها بخندق حصين بنى من ترابه مئراساً فتح فيه المزاغل وجعل فيه رجاله

المسلحين بالبنادق وكانوا نحو ١٨٠٠ ونزل هو بباقي جيشه بعيداً عن مرمى الرصاص وراهم . وكان قد بنى استحكاماً في الكرمة وعزم على مقاومة الجيش فيها وفي الحفير معاً ولكن امرأه ألحوا عليه فأخلى الكرمة وأتى بالمساكر التي كانت فيها الى الحفير وذلك في مساء ١٨ سبتمبر أي عند وصولنا ابا فاطمة فاجتمع عنده في الحفير من الجيش ما يأتي :

القبائل	الامراء	القرابة	الجهادية	المهجانة	الفرسان
الملازمون (ار الحرس الخاص)	محمد بشارة		١٦٠	١٣٠	١١٠
الجهادية السود	عبد الباقي عبد الركيل (ولثلاثة غيره من التمايشة)		١٥٣٢	٨٦	١٠٥
التمايشة	احمد محمد منجي	٦٠٠	٦٠	١٥	١٧٠
الحمر	حماد رقيعات	٥٦٥		٢	١٥٠
الهبانية	مساعد قيدوم	٤١٠	٣٠	٥	٥٠
دغيم	سليمان جمعه	٤٥٩		٦	٦٠
الجعلين	الحسن النجومى	١١٠٨	٢٠	١٥	٣٠
الدناقلة	عثمان ازرق	٣٣٢	٢٥	٤	١٢
	بمجموعهم	٣٤٧٤	١٨٢٧	٢٦٣	٦٨٧

واقعة الحفير في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٦ :

الوابورات الخيرية : وفي فجر ١٩ سبتمبر سار الجيش كله براً وسارت الوابورات مقابله في النيل وفي كل منها نفر من المساكر الى ان وصل الكرمة الساعة ٦ صباحاً فوقف تجاه الحفير . وأما الوابورات فقد صدر لها الأمر

باستطراد السير الى دنقلة وضرب الحفير عند مرورها بها . وندبت من قلم
 المخبرات لمرافقة الشريف الكبتن كولفل قومندان العارة فصعبته في وابور
 « طهاي » الذي سار في مقدمة الواورات . وما زلنا سائرين حتى صرنا على
 بعد مرمى القنابل من الحفير فلاح لنا خيمة ود بشارة في وسط معسكره
 وراء غابة من الذخيل فصدر أمر القومندان فصوبت القنابل عليها وقد علمنا
 بعد ذلك ان اول قبلة اصاب ود بشارة وهو يقرأ كتاباً من الخليفة جاءه
 في تلك الساعة فجرحته وقتلت عبداً له وكانت الساعة السابعة فاضطر أن
 يتقهقر الى التلال البعيدة فراراً من القنابل . وأمر السردار طويحيمة الجيش
 فاتخذوا مكاناً عاليّاً في الكرمة وشاركوا الواورات في رمي الحفير بالقنابل
 ولم يلبث العدو ان اطلق علينا مدافعه فتقدمنا نحوه ونحن نرميه بالقنابل حتى
 ظهرت طوابيهم للعين المجردة فسدنا مرامينا فهدمنا الطابية الاولى وصوبنا
 القنابل نحو الثانية والثالثة ومازلنا نتقدم حتى صرنا على ٥٠٠ يرد من الشاطئ
 ففتح اهل الخندق بنادقهم وصلونا ناراً حامية فأصيب سليم افندي شقيره
 مترجم الوابور برصاصتين احدهما في كتفه اليمنى والاخرى في جنبه فجرح
 جراحاً خفيفة . وأصاب رصاصة رسغ الكبتن كولفل فجرحتها جرحاً شديداً
 دامياً فألح عليه الطبيب في الدخول الى غرفته لضمد الجرح في الحال فامر
 الواورات اذ ذاك بالتقهقر عن مرمى الرصاص وعاد بالوابور الى البر الشرقي
 ليضمد جرحه ولكنه أبقي الواورات الاخرى تجاه الحفير ترميها بالقنابل .
 وعند وصوله الى البر ذهب الكبتن ده روجمان قومندان الطويحية في الوابور
 فأخبر السردار بما كان فتكدر لجرح الكبتن كولفل وأمر باخراجه الى البر
 لمعالجته وعهد بقومندان الواورات الى الكبتن ده روجمان وأمره بالمبور بها
 الى دنقلة تحت كل خطر فرجع ومعه اللورد اثلني الذي ابلغ الكبتن كولفل
 أوامر السردار فطار صوابه وكان حكيمباشي الجيش قد جاء لينزله الى البر
 فأخذ يتوسل اليه بالحاح ان يسمح له بالبقاء في الوابور ويخبر السردار ان
 جرحه لا يمنعه عن اتمام وظيفته فسمح له بالبقاء في الوابور بعد تردد كثير وما

نزل الحكيماشي حتى غاب الكبتن كولفا، عن صوابه من شدة ألم الجرح فأقلع الوابور الساعة ٩ ١/٢ يقوده الكبتن ده روجمان وأهاب بالوابورين أبي طليح والمتمة ان يتبعاه الى دنقلة فتبعاه ولما رأنا الاعداء مقبلين قاصدين المرور امطرونا وابلا مطالا من الرصاص والقنابل فرددنا نارهم بأحر منها حتى اغرقنا ووابورهم الطاهرة . وكان معنا الملازم الباسل حسن افندي توفيق نجبل بدر بك الحكيم ومعه ٣٠ رجلا من الاوردطة السابعة فاستل سيفه ووقف في رجاله يحشم على مواصلة اطلاق الرصاص ويدلهم على مواقف العدو يحبان ثابت وعزم راسخ . وما زلنا نصادم تيار النيل ونواصل العدو برصاص البنادق وقنابل المدافع وطويجية الجيش تساعدنا من البر الشرقي حتى اجتزنا الحفير آمنين وذلك الساعة عشرة وربع وقد أصابت قنابلهم وابوراتنا الثلاثة لكنها لم تضر بها ضرراً يذكر وجرح بعض المساكر والبحارة . وكان مرورنا بالحفير تحت قنابل العدو ورصاصه مخاطرة شديدة لكن السردار رأى انه لا بد من هذه المخاطرة لأنه اراد ان يزحزح الدراويش من الحفير ويعبر اليها بالجيش فيهاجمهم في ديمهم وقد فاز بتدبيره هذا كل الفوز فان الدراويش لما رأوا ان الواورات تجاوزت الحفير قلقوا أشد القلق على ديمهم وعيالهم التي تركوها فيه وكان مدير الخبارات قد ارسل اليهم رسلا من اهل البلاد فأشاعوا ان الجيش لاحق بالوابورات في البر الشرقي ليعبر بها الى دنقلة ويستولي على الديم وانه لم يبق الا الطويجية لمشاغلتهن فازداد قلقهم وما ارخى الليل سدوله حتى اخلوا الحفير وأسرعوا الى ديمهم في دنقلة فوصلوه في صباح ٢٠ سبتمبر .

عبور الجيش الى الحفير : وفي فجر هذا اليوم شرع السردار في العبور الى الحفير بجميع الجيش وكان مؤلفاً من ١٢٦٩٣ رجلاً و ١٣١٢ جواداً و ٣٧١ بغلاً و ١٤٤٢ جملاً و ٦٤ حماراً و ٢٢ مدفعاً ولم يكن عنده سوى واپورين وبعض المراكب التي غنموها في الحفير فعبزوا جميعاً في ٣٠ ساعة .

عود الى الواورات الحربية : هذا ما كان من الجيش والدراويش أما

نحن في الواورات فائنا بعد ان تجاوزنا الحفير واصلنا السير حتى صرنا نجاء
ديم الدراويش وكانت الشمس قد غابت فبتنا في البر الشرقي قبالة . والديم
المذكور من بناء النجومى طوله نحو ٣ أميال وعرضه نصف ميل وهو على ٣
أميال شمالي مركز الاوردي وعلى نحو ميل من النيل ولكنه قائم على ترعة
قديمة تجري من جنوبي مركز الاوردي وتصب عند مسجد الحجر شمالي الديم .
أما مركز دنقلة الاوردي فقد هدمه الدراويش عند دخولهم البلاد وبنوا
بأخشابه ديمهم إلا مركز المديرية فقد جعلوه شونة للفلل والتمر .

وفي فجر ٢٠ سبتمبر خرجنا من مبيتنا وقصدنا الشونة فوجدناها خالية
وإذ لم يكن لنا اذن في النزول الى البر انقلبنا راجعين الى حيث كان السردار
فوجدناه لم يزل مهتما لتعدية الجيش الى الحفير وكان وصولنا اليه الساعة ٤ بعد
الظهر فأخبرناه بما كان فامر الكبتن كولفل بالبقاء في الحفير للراحة وأمر
المستر بيتي قومندان ابي طليح بالرجوع الى الديم في فجر الغد لمراقبة العدو
بعد تقهره اليه وندبني للذهاب معه . . وفي فجر ٢١ سبتمبر صرنا حتى قربنا
من ديم الدراويش وكانت الأهلون يستقبلوننا في الذهاب والاياب وعن اليمين
والشمال بالتأهيل والترحيب والزراغيت فسألناهم عن الدراويش فقالوا ان ود
بشارة حال وصوله امس الاحد من الحفير ارسل ٣٠٠ رجل بثلاثة مدافع الى
الشونة لمصادمة الواورات فجعلوا مدفعين في طابية قديمة شمالي الشونة والمدفع
الثالث في غرفة جنوبيها وكان بين الطابية القديمة والشونة حائط حصين قديم
فتحت فيه المزاغل فاحتله بعض الجهادية ثم حفروا بين الشونة والمدفع الثالث
خندقاً وبنوا من ترابه متراً كما فعلوا في الحفير فاحتله باقي الجهادية وتربصوا
للواورات . فتقدمنا الى الشونة لتحقيق الخبر وابتدرواهم بقنبلة من أقوى
مدافعنا فأجابنا العدو على الفور من الطابيتين وانتشب القتال بإطلاق القنابل
من الجانبين لكن قنابلهم كلها أخطأت الرمي إلا أنهم رموا قنبلة من قنابل
شربل فتفرقت في الجو فوق واور ابي طليح ولكنها لم تلحق به ضرراً
يذكر . وأصابني اذ ذاك شظية من كبسول مدفعنا عند اطلاقه فجرحتني في

وجهي جرحاً خفيفاً فظن انها من قبلة العدو . وبعد ان دمرنا الشونة بسبعين
 قبلة رجعنا عنها الى الديم فرميناه بالقنابل الى قرب غروب الشمس فجعنا الى
 جزيرة ارقو . وأرسلنا منها اخبار يومنا الى مدير المخابرات وبقنا فيها الى
 الصباح . . وفي فجر اليوم التالي (٢٢ سبتمبر) رجعنا الى الشونة فناجزناها
 نحو نصف ساعة وعدنا الى الديم نستطلع اخباره فما كدنا نصل اليه حتى جاءنا
 الوابوران الحربيان يقودهما الكبتن كولفل وقد أتى ليتحقق بنفسه خبر الشونة
 التي بعثنا به امس فندبني اليه وسار حتى أتى الشونة الظهر فرماها بالقنابل
 فأجابته واشتد القتال ساعتين ثم انقلبنا راجعين الى الجيش وكان قد خرج من
 الحفير في ظهر ٢١ سبتمبر وأتى الزورة على ٦ أميال من ديم الدراويش صباح
 ٢٢ منه . وكنا نحن عنده بعد ظهر هذا اليوم فرأيناه يستعد للهجوم على ديم
 دنقلة فأخذ الكبتن كولفل يعد عمارته ايضاً للهجوم وكان الظاهر قد أصلح
 قزانه (مرجله) فوصل الزورة بعد الغروب وانضم الى الوابورات الثلاثة
 المدرعة .

احتلال دنقلة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ :

ولما كان فجر ٢٣ سبتمبر سار الجيش كله برأ لمهاجمة دنقلة وسارت الوابورات
 في النيل فسار طمهي في مقدمتها وتبعه الظافر ثم الوابورات الاربعة الاخرى
 وكنا نتقدم الجيش قليلاً حتى كان الوابور الاخير مقابلاً مقدمته . ولما كانت
 الساعة السابعة صباحاً أشرقنا على ديم الدراويش فرأيناهم قد اجتمعوا كلهم في
 شماله وراء خط النار الذي سبق ذكره فأمر الكبتن كولفل فأطلقت الوابورات
 الحربية مدافعها عليهم فسقطت القنابل في وسطهم ففرقتهم وقتلت منهم وقد
 رأيناهم مهرولين غرباً وجنوباً حتى أبعدوا عن مرمى القنابل . ثم أرسلت
 الوابورات قنابلها الى الديم فصرنا نرى الناس يخرجون منه أفواجاً مسرعين
 الى جهة الجنوب وكنا نشاهد الجيش كله سائراً نحو الديم ومستعداً للهجوم في
 نظام بديع جداً :

ولما كانت الساعة ٨ والدقيقة ١٥ رأينا فارساً مقبلاً نحونا من بعيد ومعه بعض الأتباع فوقفنا فننظره حتى اقترب منا وصاح الامان الامان فقلنا له عليك الامان فترجل ودخل الوابور فسألته عن اسمه فقال الامير حسن النجمي وكان متقلداً سيفه وحاملاً بيده حربة فرحبت به وأخذت منه الحربة وأتيت به الى الكبتن كولفل قومندان المارة وعرفته به فأخذ السيف بين يديه وقدمه له وقال ارجو الامان فقال له القومندان عليك الامان فما وراءك من الاخبار قال : رجعنا من الحفير مساء ١٩ الجاري على نية الحرب فأرسلنا بعض الجهادية والمدافع الى الشونة لمقاومة الوابورات وأمرنا باقي الجهادية فحفروا خندقاً طويلاً شمالي الديم وتترسوا به وبنوا طوابي ايضاً للمدافع الاربعة وبقينا في الديم الى ان عاد الكشافة امس الصبح فأخبرونا بقدوم الجيش الى الزورة وانه في عدد عظيم فخرجنا كلنا ووقفنا كل امير مع رجاله صفاً واحداً وراء خط النار وفي نصف الليل عقدنا نحن الامراء مجلساً دعونا اليه ود بشارة وقلنا له يا سيدنا اذا يأسر احد الناس تجارة ثم تحقق انه خاسر لا محالة أفلا يحجم عنها قال بلى فقلنا له اذا كان هذا شأن الانسان والاتجار في المال فما قولك به والاتجار في الارواح فأنت تعلم ان جيشنا كله من فرسان ومشاة نحو ٦٢٠٠ رجل وجيش المصريين ينيف على ١٥٠٠٠ رجل ثم ان عدد بنادقنا ١٨٠٠ وأما م فكل رجل منهم مسلح ببندقية فضلاً عن ان بنادقنا من نوع رمنتون وبنادقهم مارتين هنري وعندنا من المدافع ٧ وأما مدافعهم فتعد بالعشرات ولهم جيش في البر وعمارة في البحر أفلا تظن ان قتالنا ايام تجارة خاسرة يجب الاقلاع عنها . نعم اننا اذا ثبتنا أمامهم نحملهم خسائر جمة ولكن هل يمكننا الثبات الى النهاية حتى نظفر بهم ونردم الى مصر اذا فالرأي عندنا ان نأخذ عيالنا وننقهر بهم الى الدبة ومن هناك نطلب النجدة من ام درمان . قال ود بشارة عندي الموت خير من عار القهقري ورأيت ان تثبت ونقاتلهم هنا حتى نظفر او نموت مشرفين . قلنا ليس من الحكمة ان يلقي الانسان بنفسه الى التهلكة ومازلنا به حتى أقنعناه بترك

الحرب وانصرفت الجلسة الساعة الاولى بعد نصف الليل وقبيل الفجر جئنا نحن الامراء وود بشاره فأخبرنا العائلات في الديم بالاستعداد للرحيل . وما طلع الفجر حتى جاء فارس من الكشافة وقال ان الجيش مقبل نحونا في البر والبحر بعدد الرمل والانصار على خط النار ينتظرون الامر فركب وود بشاره جواده وهم بالمسير لمقاتلة الجيش فأخذنا بعنان الجواد وأزلناه عنه وأركبناه حاراً وقلنا له قد أجمعنا ان لا نلقي بأنفسنا في المهالك فالى اين تذهب ثم أوعزنا الى الجيش بترك الحزب والتقهر جنوباً وصعدنا الى التلة ننتظر قدومهم واذا بالوابورات مقبلة وقنابلها تعبت بهم فانهزموا جنوباً ورد بشاره في مقدمتهم وأما انا فانتهزت هذه الفرصة التي طالما تمنيتها فخضت بجوادي الترة وجئت اليكم لأن أنفسنا سئمت حكم البقارة وقد ارسلكم الله رحمة لنا . ثم سألناه عن الشونة فقال ان وود بشاره لما أوعز الى الجيش بترك الحرب أمر ايضاً بترك الشونة فاذا ذهبتم اليها لم تجدوا مقاوماً . فلخص الكبتن كولفل هذه الاقوال وأرسلها مع رسول خاص الى السردار الذي كان لم يزل زاحفاً يبيح على الديم وأسرعنا الى الشونة فوجدنا جماعة من الناس قد رفعوا راية بيضاء وأتوا لاستقبالنا فنزلنا الى البر فأمناهم وعلنا انهم وكلاء الشونة وعمالها وكبيرهم عبد الدائم بدر من أهالي اسنا . ثم دخلنا الشونة فاذا هي ملاء بالذرة والقمح والشعير والتمر ووجدنا الدراويش قد تركوا المدافع وفروا هاربين . وفي الساعة العاشرة صباحاً رفعنا الراية الحديبية على مركز المديرية وأرسلنا الخبر الى السردار .

أما السردار فظل زاحفاً بالجيش حتى صار على مرمى القنابل من خط نار الدراويش فجرى بينهم وبين مقدمة الجيش اطلاق القنابل والرصاص على التبادل وذلك قبل ان بلغهم أمر وود بشاره بالتقهر فلما جاءهم الامر المذكور تركوا المدافع الاربعة وفروا هاربين واستولى السردار على الديم .

الامرى والغنائم : وكان قد تخلف فيه بعض موظفي الفتح الاول

وفيهام حامد البدوي كاتب ود بشاره وحمد بساطي ابن بساطي بك الشهير فسلما له وجمعت الاسرى في مساء هذا اليوم فبلغت ٢٠٠٠ نفس وصاروا يزيدون كل يوم حتى بلغوا ٣٠٠٠ نفس . وجمعت الغنائم فكان منها شيء كثير من الاسلحة والجبنانة والحبوب والأمتعة والجمال والحيل والمواشي . وكان في جملة الغنائم طلبة غريبة الشكل ليونس الدكيم صنعت من جذع شجرة ضخمة على هيئة ثور ذي قرنين وذنب وأربع أرجل ثم شقت من الوسط وجوفت وجلدت الشق على مثال طبيلات الفرائيت المسبات قدود قدو . ومن الغنائم ايضاً سيف مكتوب عليه باللاتينية ما محصله : لا تُسَلِّني إلا مضطراً ولا تقمديني إلا مشرفاً ، وهو في الارجح من سيوف الصليبيين .

وجمعت دفاتر بيت المال وأوراقه فمالت ٣ صناديق كبيرة فاستخرجت منها فوائد شتى عن محصولات البلاد الزراعية وضرائبها مدة حكم الدراويش لها .

مطاردة السواري للدراويش : هذا وكان التردار بعد ان دخل الديم قد ارسل السواري والهجانة في أثر الدراويش المنهزمين فطاردهم الى حلة الشيخ شريف فقتلوا منهم وسبوا وغنموا . ثم جاء الشونة ومعه الميرالاي ونجحت بك مدير المخابرات فشكر للقومندان كرفل رسائله وحسن تدبيره وأوعز اليه ان يكف عن الحركة رفقا ببحرجه .

احتلال الدبة في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ : ثم أمر القومندان روبرتسن ان يطارد الدراويش في النيل فيرسل من جاءه مسلحاً ويحمي الاهالي من تعدياتهم ويسرع الى الدبة فيحتلها قبل وصولهم اليها فأخذ وابوري المتمة وأبا طليح وسار جنوباً الساعة ١١ ونصف صباحاً . وكان قد صدر لي الامر فسرت معه . وكان الدراويش المنهزمون قد تسابقوا في الفرار فانقسموا جماعات يتلو بعضها بعضاً في سلسلة متقطعة طويلة لا يدري اولها اين آخرها والسابق السابق منها الجواد وقد ابعدوا عن النيل فراراً من الواپورات ولكن

كانوا كلما عطشت جماعة منهم نزلت الى النيل فشربت وسقت رواحلها ثم عادت الى طريق الصحراء . وقد لقينا بعض الجماعات في طريقنا فأمنام وأمرناهم بالرجوع الى دنقلة . وفي صباح ٢٤ سبتمبر وصلنا دنقلة المجوز فبلغنا اث في جزيرة حثور اميراً من اقارب ود بشارة يدعى عبد الرحمن معه ٦ رجال مسلحين بالبنادق يجمعون الضرائب فأتينا الجزيرة وأرسلنا في طلبهم ولما لم يأتوا تهددنا اهل الجزيرة فلم يلبثوا ان أتونا بهم واستطردنا السير الى الدبة فوصلناها ظهر ذلك اليوم ورفعنا العلم المصري عليها . وكان ود بشارة قد ارسل مشايخ المحس وسكوت الى الدبة على نية ارسالهم الى ام درمان خوفاً من انضمامهم الى الجيش فلما رأونا اقبلوا علينا يرحبون بنا فسألناهم عن الدراويش المنهزمين فقالوا انه لم يمر بهم احد بعد ولكن كان في الدبة امير من التعايشة يدعى فضالي فلما رأى الواورات من بعيد فرّ بمن معه من الانصار فأرسلنا وابور أبي طليح بالخبر الى السردار ومكثنا في الدبة .

احتلال مروي في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٩٦ : وفي فجر ٢٥ سبتمبر حضر الكبتن دهروجمان على وابور الظافر مأموراً من قبل السردار بأن يذهب الى مروي ويأخذني معه فانتقلت الى الظافر وسرنا حتى اتينا جزيرة قانتسي فأخبرونا ان فيها اميراً من التعايشة يدعى حامداً ومعه قاض يدعى محمد هاشمي لجمع الضرائب فأنزّلنا بعض العساكر الى الجزيرة وأتينا بها الى الواور واستطردنا السير فوصلنا صنم (تجاه مروي) في فجر ٢٦ سبتمبر ورفعنا العلم المصري عليها . وكان فيها امير من التعايشة مع بعض الانصار فلما رأونا مقبلين من بعيد فروا هاربين .

وكان السردار قد ارسل تلغرافاً الى عبد العظيم بك في المرات ليوافي الواورات الى بلاد الشايقية ويحول دون المنهزمين من دنقلة فلما لم نره صعدنا في النيل الى كاسنجر عند اول الشلال الرابع فرأينا آثار نبتة في البرقل ونوري من بعيد ولم نر عبد العظيم بك فبعثنا اليه برسول يستعجله الى مروي وانقلبنا راجعين الى دنقلة .

وفي الطريق اخبونا ان اول المنهزمين من جيش ود بشارة وصلوا كورتى وم في أسوأ حال من الجوع والعطش والعري وان بعضهم يترقبون ابتعاد الواورات فيغشون ضفاف النيل وينهبون البلاد المجاورة ثم يرجعون من حيث أتوا فأخذنا كلما لاح لنا جماعة منهم نرميهم بالقنابل لثربهم ونكفي اهل القرى شرم .

جاء السردار الى مروي في ٣٠ سبتمبر : وما زلنا سائرين حتى قربنا من دنقلة فاذا بالسردار مقبل على الواورين دال وطماي ومعه الميرالاي ونجت بك وسلاطين باشا وكانت الساعة الاولى بعد نصف الليل من صباح ٢٨ سبتمبر فأمر بانتقالي الى دال ورجوع الظافر الى دنقلة ثم استطرد السير الى الدبة فوصلها الساعة ٣ بعد الظهر ورأى ان ساقه الدراويش قد تجاوزتها فأرسل اليهم الأمان فلقى الرسل فتى من الهبانية ضالاً في الطريق وقد أنهكه التعب والجوع فأتوا به الى السردار فناولوه بيده فنجائاً من الشاي . وبقي في الدبة الى الساعة ٢ من صباح ٢٩ سبتمبر ثم استطرد السير الى مروي فدخلها في صباح ٣٠ سبتمبر ورأى ان الدراويش ساروا بطريق بشر الغزالي الى بربر فأرسل الى عبد العظيم رسولا آخر يستحثه على الجيء الى مروي وفي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر انقلب راجعاً الى دنقلة فمر بالدبة ولم يمكث إلا ريثما أصدر أوامره الى الواور المقيم فيها وما سار إلا قليلا حتى اتاه ضابط برأ يحمل اليه تلغرافاً من حكومته بترقيته الى رتبة ماجور جنرال فأخذه ورجع الى حيث كان الجيش معسكراً في حلة الشيخ الشريف فوصلها الساعة ١١ في ١ اكتوبر .

تنظيم مديرية دنقلة : وفي ٢ منه خرج بأركان حربيه لانتقاء مركز جديد للمديرية فاختر النبل الى جزيرة ارقو فلم يجد محلاً افضل هواء وأحسن ميناء للواورات في الصيف والشتاء من مركز الاوردي القديم فنقل الجيش اليه . وفي هذا اليوم أتاه تلغراف من الجناب العالي ينشئ بالفتح وينعم عليه

بالنيشان العثماني العالي من الطبقة الاولى فأجاب سموه شاكرًا وقال ان الفضل في هذا الفتح عائد الى همة جيش سموكم وثباته وحسن صفاته العسكرية . ثم وزع معظم الجيش المصري بين دنقلة والحدق والدبة وكورتى وصنم وشرع مع مدير قلم الخابرات في تنظيم حكومة البلاد ووضع القوانين والأوامر للحكام والمأمورين الى صباح ٨ اكتوبر فجعل اللواء هنتر باشا قومندانًا على الجيش وحاكمًا عسكريًا على دنقلة ورجع مع اركان حربه الى مصر وقد رجعت معهم فوصلناها في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٩٦ .

وانحلت تجريدة دنقلة في ١٥ منه ورجعت الاورطة الانكليزية الى مصر . وقد امتاز في هذه التجريدة جماعة كثيرة من الضباط المصريين فمن رتبة قائمقام : محمد بك بكير من الطوبجية وعبدالجواد بك برهان قومندان الاورطة الخامسة ومحمد بك بليغ قومندان الاورطة السادسة . وابراهيم بك فتحي قومندان الاورطة السابعة . ومحمد بك خلوصي قومندان الاورطة الثامنة . وسليم بك موصلى من القسم الطبي . ومن رتبة بكباشي احمد افندي زكي واسماعيل افندي همت وعبد السلام افندي زكي من اركان حرب . وحسين افندي شريف من السواري . ومحمد افندي مختار من الطوبجية . وابراهيم افندي صبري من الاورطة الاولى . ومحمد افندي رفعت من الاورطة الخامسة . وعثمان افندي عفت من الاورطة السابعة . ومصطفى افندي فكري من الاورطة الثامنة . وابراهيم افندي زهني من الاورطة الخامسة عشر . واحد افندي فضلي من القسم الطبي . وامتاز ايضا من القسم الطبي ولا سيما عند ظهور الكوليرا الصاغ حسين افندي طلعت ومحمد افندي عهدي . ورافق هذه التجريدة جماعة من الموظفين الملكيين فامتازوا في خدمتها وقاسوا فيها ما قاسى الجيش أهمهم : سليمان بك ناصيف من كبار موظفي السردارية وشاهين افندي جرجس . ووطنوس افندي شحاده وسليم افندي شقره وكلهم من موظفي الخابرات ويوسف افندي حسب الله وعلي افندي وهبه وحسن افندي

نتائج الإستوكانج

حسين واسعد افندي حنا من موظفي مصالح الجيش. ورافقها الى حلغا ملحم بك شكور سكرتير عربي السردار ونجيب افندي شقره من موظفي المخابرات. وقد بالغ السردار في اقتصاد نفقات الحملة حتى كان الموظف حينئذ وهو في ساحة الحرب يتناول علاوة على مرتبه اقل جداً من العلاوة التي يتناولها الآن والسودان في مجبوحة السلم والامان .

الفصل السادس

في

استرجاع بربر

سنة ٧ : ١٨٩٨

لما رأت الحكومة انها لم تتفق على فتح دنقله الا قليلا جداً من المال والرجال وان اهل السودان مستعدون لقبولها وليس فيه من يناوئها الا التعاشي واتباعه اقرت على استطراد الفتح واسترجاع سائر السودان . وكان السردار قد ابقى معظم الجيش في دنقله كما مر فاستخدمه في اقام مد سكة الحديد الى الكرمة ليتخلص من شلالات المحس وسكوت فأتمها في ٤ مايو سنة ١٨٩٧ . ثم شرع في مدها من حلفا الى ابي حمد للتخلص من شلالات المناصير واخذ ينتظر ارتفاع النيل لاستطراد الفتح .

استعداد الخليفة للدفاع : أما التعاشي فانه منذ سمع بواقعة فرقة خرج بأنصاره من ام درمان الى ظاهر المدينة وشرع في حشد الجيوش من جميع جهات السودان ظاناً ان الجيش المصري يسرع في استطراد السير فلما رآه مبطناً قدومه رجع الى المدينة وأخذ يتربص أبناء دنقلة الى ان أتاها الخبر بانهمزام

ود بشارة فظن ان السردار يتخذ خطة اللورد ولسلي فيقسم جيشه في كورتي الى قسمين فيرسل احدهما بطريق النيل الى ابي حمد وبربر والآخر بطريق الصحراء الى المتمة . وكان قد ارسل في طلب محمود وجيشه من دارفور فحضر في سنة ١٨٩٧ كما مرّ فأرسله الى المتمة ليصد جيش الصحراء . وعقد لآدم يحيى الحمري على ٤٠٠ جهادي و ٥٠٠ فارس وأرسله الى بلاد المناصير ليصد جيش النيل . وأوصى محمد الزين بالتيقظ في حراسة طريق كورسكو . وكان قد بعث في طلب احمد فضيل من القضارف وعثمان دقنة من ادارة فجعلها في السبلوقة فبقيا فيها مدة ثم شاع ان التليان زاحفون على ام درمان من كسلا فأرجع احمد فضيل الى القضارف ليصدم وأمر عثمان دقنة فانضم الى محمود في المتمة .

واقعة المتمة في ١ يوليو سنة ١٨٩٧ : هذا وكان الخليفة لما علم بانهمزام ود بشارة من دنقلة استدعى اليه عبدالله ود سعد امير الجميلين وفرض عليه عدداً معلوماً من اهله يستنفروهم للجهاد وقدرأ معيناً من المؤنة يقدمها للجيش المنوي ارساله الى المتمة فنقل الطلب على عبد الله ود سعد وقد طالما أرمقه الخليفة من قبل فعقد النية على عصيانه ولكنه أظهر الطاعة وعاد الى المتمة فجمع كبار قومه وأسرّ اليهم ما نوى فمن وافقه ضمّه الى جيشه ومن لم يوافقه استحلّفه على كتم السر فاجتمع اليه نحو ٣٠٠ رجل من اهله الاذنين وأرسل في طلب المدد من جيش الحكومة في دنقلة . وكان له عدو من اهله يدعى احمد ود حمزة فوشى به الى الخليفة وكان محمود اذ ذاك في كرري وجيشه في طريق المتمة فأمره الخليفة ان يلحق بجيشه في الحال ويسحق عبد الله ود سعد قبل وصول المدد اليه من دنقلة فجد محمود السير حتى وصل المتمة بجميع جيشه في فجر ١ يوليو سنة ١٨٩٧ فأحاط بها من كل الجهات وابتدراها القتال بدون ان يدعوها الى التسليم . وكان عبد الله ود سعد قد تحصن في منازل المتمة الجنوبية وفتح فيها المزاغل فرأى انصاره انهم هالكون لا محالة فأشاروا عليه بالفرار الى دنقلة حتى اذا ما تقدم الجيش لمحاربة الخليفة عادوا معه فقال دعوني من الفرار وعاره

فاني كلما ذكرت حادثة الملك نمر وفراره من وجه الدفتردار ضاقت علي الارض بما رحبت وتمنيت الموت فلنمت هنا او تحيا هنا وشرع في اطلاق النار فتبعه انصاره على الاثر وصدوا غارة المهاجرين وقتلوا منهم. فلما رأى محمود ما أصاب رجاله امرهم بالهجوم على المنازل فدخلوها عنوة وقتلوا ود سعد وأنصاره عن بكرة أبيهم ثم انتشروا في البلدة يقتلون ويسبون ويعيثون حتى قتلوا من اهلها نحو ٢٠٠٠ نسمة وبلغ خمس السبي الذي أرسل الى الخليفة خاصة ٢٣٤ جارية و ٣٢ حرة . وأما خسارة محمود فكانت ٨٨ قتيلاً و ٣٣٠ جريحاً . وقد ارتكب رجاله في المتمة من المنكرات ما تقشعر لذكره الأبدان وأظهر نساء المتمة من الحصانة والعفاف ما يخلد لهن الذكر الجليل ما ذكر السودان حتى ان بعض ألقين بأنفسهن في النيل وفضلن الموت على حياة الفضيحة والعار. وبعد نهاية الواقعة امر الخليفة فجمع الجمليين والشايقية من بلادي المتمة والزبداب فبلغ عدد الجمليين ٢٣٠٥٦ نفساً والشايقية ١٢٢٦٦ نفساً وأرسلوا الى ام درمان فبقوا فيها حتى دخلها الجيش سنة ١٨٩٨ فأرجعهم الى بلادهم .

جاء السردار الى مروي في ٨ يوليو سنة ١٨٩٧ : وكان السردار اذ ذاك في مصر يتنهماً للفتح وهو في انتظار ارتفاع النيل فخرج منها في ٨ يوليو سنة ١٨٩٧ يصحبه اركان حربه وأتى رأساً الى مروي فجعلها مركزاً له وأخذ يحشد الجيوش اليها .

وكانت الحكومة الانكليزية قد بعثت وفداً سياسياً بعد حملة دنقلة الى منليك ملك الحبشة برئاسة السير رنل رود من الوكالة البريطانية ومعه الميرالاي ونجحت بك والكونت كليخن والورد ادورد سل المار ذكرهم وبلنشنج بك من أطباء الجيش المصري وشاهين افندي جرجس من موظفي المخابرات فعادوا الى مصر قبل ذهاب السردار الى مروي فذهب الميرالاي ونجحت بك وشاهين افندي معه .

رجوع ابي الخليل من السلامات : وكان أبو الخليل قد ضاق به العيش

في بلاد المناصير فرجع الى بلاد الرباطاب ونزل في كعب المرة وأرسل في طلب المؤونة من الزاكي امير بربر فبعث اليه بستة مراكب من الحبوب .

واقعة ابي حمد في ٧ اوغسطس سنة ١٨٩٧ :

فبقي محمد الزين وحده في صدد الجيش في ابي حمد ومعه من الانصار نحو ١٥٠ فازسأ و ٢٥٠ جهادياً و ١٥٠ من عربان البقارة والكبابيش والفادنية و ٣٠٠ من الرباطاب والمناصير . وقد كتب الخليفة يحرضه على الثبات في رباطه ومحاربة الجيش إلا اذا أتاه بالوابورات فليتهقر الى بربر . قيل وجاءه كتاب من امرأته في ام درمان تستحثه على الثبات وتقول له ان نساء البقعة يقرعن ود بشارة في غنائن لانهم لا ينظمون في دنقلة وينظمون في ذمه الأشعار فإياك والانضمام لأنني لا أطيق العيش معك بالذل والاهانة فصمم محمد زين على القتال حتى يموت او ينتصر . ورأى السردار انه لا بد من طرده من ابي حمد ليتمكن من استئناف العمل في سكة حديد ابي حمد فجهز جيشاً مؤلفاً من بلوك من السواري وبطارية طويجية واربع اورط بقيادة وهي الثالثة والتاسعة والعاشر والحادية عشرة وعقد لواءه هنتر باشا وأمره بمهاجمة محمد زين فسار من مروي في ٢٩ يوليو حتى بلغ تخوم ابي حمد في ٦ اوغسطس بعد سفر شاق . وكان السردار قد ارسل تلغرافاً الى عبدالمعظم بك في المرات ليوافي هنتر باشا الى ابي حمد فوافاه اليها بـ ١٤٠ رجلاً . وكان محمد زين قد ارسل طلائعه لمراقبة حركات الجيش منذ قيامه من كاسنجر فعلم من انبائه انه لا يقوى على مهاجمته فحفر خندقاً شرقي البلدة وفتح المزاغل في المنازل الشمالية والشرقية واستمد للدفاع .

وفي فجر اليوم التالي (٧ اوغسطس) أعد هنتر عساكره للهجوم وزحف بهم فلما صارت العساكر على ١٠٠ ياردة من الخندق أمر محمد زين رجاله في الخندق والمزاغل فأمطروهم عارضاً هطالاً من الرصاص فرد العساكر نيرانهم بأشد منها وما زالوا مهاجمين غير مباليين بالموت حتى دخلوا البلدة وقتلوا كل

من وجدوه فيها بجواب البنادق. حكى لي ضابط شهد الواقعة قال ان بقارياً يدعى كراراً لما رأى العساكر منتشرين في البلدة نثر على عتبة بابه بعض الريالات ليشغل العساكر بها وتواري بالحاظ وصار كلما جاء عسكري وهم بالتقاط الدراهم يصصره ويحمره الى داخل المنزل حتى قتل سبعة منهم فدرى به احد ضباط الانكليز فأحاط منزله ببلوك من العساكر فرماهم بالرصاص فأتى بالمدافع ودك منزله عليه ثم بحث عنه بين الانقاض فوجده مقتولاً وامراته وأولاده مذبحون بجانبه . وقد رمى البعض بأنفسهم في النيل تخلصاً من آثار الجيش فلاقوه فيه وحمل التيار بعض جثثهم الى حلقاً . وبلغ مجموع قتلى الدراويش في هذه الواقعة نحو ٥٠٠ رجل . وأما خسائر الجيش فكانت ٢٣ قتيلاً وفيهم القائم مقام سدني بك قومندان الاورطة العاشرة المار ذكره في الكلام على سواكن والبكباشي فتزكلارنس من ضباط الاورطة المذكورة وجرح ٦٣ رجلاً فيهم ٣ ضباط مصريون. وأسر الجيش محمد زين في منزله ومعه ٥٠ رجلاً وغنم مدفعاً وكثيراً من الاسلحة والذخائر .

مرور الواپورات فوق الشلال الرابع : وكان السردار قد بنى وابوري الناصر والفتاح المشار اليهما قبل فضهما الى الظافر وطماي والمتمة ودال والتيب وأرسلها كلها الى فوق الشلال الرابع منذ ١٣ اغسطس فوصلت ابا حمد في ٢٩ منه إلا التيب فانه غرق في شلال كعب العبد .

احتلال بربر في ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٧ :

ومن ثم توجهت عناية السردار الى فتح بربر وكان فيها الزاكي عثمان البقاري اميراً وكان ابو الخليل لا يزال مقيماً في كعب المرة فلما علم بسقوط ابي حمد رجع الى بربر فدخلها في ١٦ اغسطس وكتب الزاكي الى محمود يطلب منه النجدة فلما لم تأت خرج من بربر في ٢٤ اغسطس وانضم اليه في شندي . وفي ٢٧ اغسطس بلغ هنتر باشا ان الزاكي ترك بربر فأرسل احمد بك خليفة (اخا عبد العظيم بك) بأربعين رجلاً من عربانه لتحقيق الخبر فوصل بربر في

٣١ منه فوجد الخبر صحيحاً فبعث برسول الى هنتر باشا فحضر بأربع وابورات ودخل بربر في ٦ سبتمبر فرفع العلم المصري عليها. ثم جاءها السردار في ١٠ اكتوبر ولم يكن يدري بذهاب عثمان دقنة من ادارة فأرسل اليها هنتر باشا بالأورطة الحادية عشرة وبعض الملحقات العسكرية فوصلها في ٢٩ منه فوجدها خالية فعاد الى بربر في ٩ نوفمبر .

وجاء مشايخ الهدندوة الى السردار في بربر فقدموا له الطاعة ففتح الطريق الى سواكن . وجدّد الهمة في سكة حديد ابي حمد فأتمها في ٣١ اكتوبر سنة ١٨٩٧ . وبني طابية في الداخلة عند ملتقى الاتبرة وجعلها مركزاً للوابورات وأخذ يستعد للحملة على محمود في التمة . وقد رأى ان الجيش المصري وحده لا يكفي لقهره فاستنصر دولته فأجندته بالاي من العساكر فيه اربع اورط بقيادة الجنرال كاتيجر .

خروج محمود الى الاتبرة : اما محمود فانه بعد قتل الجمليين أخرب التمة ونزل يجيشه في شمالها على نحو ٣ اميال منها وتحصن هناك متأهباً للدفاع فحفر خندقاً طويلاً على زاوية قائمة مع النيل جعل فيه البنداقه وبني طوابي على شاطئ النيل شرقاً وغرباً وجعل فيها عشرة مدافع لمقاومة الوابورات وبث الميون والارصاد بطريق الصحراء وطريق النيل لاستطلاع طلع الجيش . وكان من رأي الخليفة قبل واقعة ابي حمد ان يتقدم محمود يجيشه وينزل في بعض المضائق او الشلالات شمالي بربر ويتربص للجيش هناك وفيما هو يستعد لذلك جاءه الخبر بسقوط ابي حمد وفرار الزاكي من بربر واحتلال الجيش لها فكتب الى الخليفة في ذلك فأقر الرأي اخيراً على العبور الى الشرق والزحف على بربر . وفي ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٨ تم عبور محمود بالجيش الى الشرق فبقي في أخذ الأهبة الى ١٠ مارس ثم زحف شمالاً فوصل العالياب في ١٥ منه وهناك حصل خلاف بينه وبين عثمان دقنة بالذهاب فأراد هو الزحف بطريق النيل ومهاجمة طابية الداخلة وأشار عثمان دقنة بالذهاب بطريق الصحراء الى الاتبرة ومنها الى الداخلة لأن طريق النيل مكشوفة للوابورات ورفعوا

الأمر الى الخليفة فصدق رأي عثمان فخرج محمود من العالياب في ١٨ مارس
فوصل الأتبرة في ٢٠ منه ونزل في مكان يدعى النخيلة على ٣٢ ميلا من الداخلة
ومعه من الجيوش عدا جيش عثمان ما يأتي :

الامراء	اولاد عرب	جهادية	رمنتون	بنادق	خيل	دروع
علي السنوسي	١٩٤٥	١٥١٣	٨٢٠	٥٤٤	٣٤١	٣٤
صلاح ابوه	١٤٢٢	١١٢١	٤٨١	٣٦٨	٣٢٦	٤٣
محمد علي	١٨٠٤	٢٢٠٦	٨٩٥	٥٩٣	٤٨٦	٤٧
عيسى زكريا	٤٩٠	٦٢٣	٢١٤	٢١٣	٨٢	١٦
البشاري ريده	١٥٨٦	٥٣٨	٣٤٢	٢٠٦	١٤٣	١٩
محمد فضل الله	٤٦١	٤٦٥	١٥٢	٢٥٨	١٤١	١٦
عبد القادر دليل	١٣١٤	٤٢٥	٢٠٨	٣٦١	١٧٩	١٦
الفضلي آدم	٤٤٣	١٤٧	١٠٢	١٥٨	٨١	٧
المطا اصول	١٢٨	٢٤١	٥٨	١٤٢	٤٧	٢
المجموع.	٩٥٩٣	٧٢٧٩	٣٢٧٢	٢٨٤٣	١٨٢٦	٢٠٠
فضل الحسة	٣٨٣	٦٥٧	٦٧٢	٢٢	٩٦	٢
عبد الله حامد	٤٢٦	٣٣٤	٥٤٥	٦	٥٤	٢
محمد الزاكي عثمان	٦٦٢	٩٩٥	٧٦٧	١٢٦	٣٧١	٧
محمد ود بشاره	٢٧	٦٠	٥٨	٢	١٨	
المجموع	١١٠٩١	٩٣٢٥	٥٣١٤	٣٠٠٢	٢٣٦٥	٢١١

وكان عندهم من البنادق غير الرمنتون : ابو صرة وبيادة وابو روحين
واورشليك وخشخان . وكان مع الجهادية من الجبخانة لكل بندقية رمنتون
خمس دسات ولكل بندقية بيادة ست دسات ولكل بندقية ابي روحين
خمس دسات .

تاريخ السودان

خروج السردار على محمود في الاتبرة : هذا وكان السردار يراقب حركات محمود ويرسل الواهورات في النيل الى المتمة فتناوش طوابيه وتعود اليه باخباره وقد جاءت بخبر تحركه من المتمة فاستمد له حتى اذا تقدم شمالاً - شد جيوشه كلها في كنشور على ٦ اميال شمالي الداخلة . ثم لما علم بتجوله الى الاتبرة زحف الى رأس الهودي على ١٢ ميلاً من الداخلة فكان فيها في ٢٠ مارس اي يوم وصول محمود الى النخيلة ومكث يلتظر قدوم محمود ومعه جيش مؤلف من نحو ١٣٠٠٠ رجلاً .

اخذ شندي في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ : هذا وكان محمود قد ترك في شندي عائلات الأمراء وعائلات الجعليين التي اسرها من المتمة وبلغ السردار ذلك فأرسل مكن بك بالاورطة الثالثة و ١٥٠ من الجعليين في ٣ وابورات حربية فأتى حوش بان النقا قرب شندي حيث كانت العائلات في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ فقتل الحقرء وأنقذ ٦٥٠ نفساً من النساء والأولاد وأعادهم الى المتمة وغنم كميات وافرة من الحبوب والمواشي وهدم طوابي شندي وعاد الى الداخلة .

واقعة الاتبرة الجمعة في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ :

وظن السردار ان محموداً يهاجمه فانتظره في رأس الهودي اياماً وظن محمود ايضاً ان السردار لم يخرج من النيل إلا بقصد مهاجمته فاتخذ خطة الدفاع وتحصن تحصناً قوياً في النخيلة فحفر خندقاً مستديراً في وسط أجمة وبني من ترابه متراساً فتح فيه المزاغل وأحاطه بزرية متينة من شوك فرسم مدبر الخابرات صورة الزريبة للسردار كأنه يراها . فزحف السردار بالجيش من رأس الهودي في ٤ ابريل قاصداً النخيلة فنزل في رأس عدار على ٩ اميال من الهودي و ١١ ميلاً من النخيلة . وفي صباح ٥ ابريل أرسل هنتر ياثا بالسواري والطويحية وبعض البيادة لاستكشاف زريبة محمود والاحتياط على اخراجه منها فسار هنتر حتى اقترب جداً من الزريبة ونصب

المدافع وأطلقها عليها فنفر فرسان الدراويش من جانبيها وحاولوا ان يكتنفوا هنتر فتقهقر برجاله رويداً وهو يطلق المدافع حتى خرج منهم ظافراً وعاد الى معسكره . ولما رأى السردار ان محموداً لا يخرج من زريبته أقرّ على مهاجمته فصار بالجيش في ٦ ابريل الى ام ضبيح على نحو اربعة اميال من خور ابي عدار . فترك فيها الاسيائية والانتقال تخفيها نصف الاورطة الخامسة عشرة في زريبة قوية وسار في مساء ٧ ابريل بالجيش كله قاصداً محموداً في زريبته فوقف على ميل ونصف ميل منه فاستراح الى الساعة ١ بعد نصف الليل وكان الجيش من قبل يسير قلاعاً فصفه الآن صفوفاً للهجوم فجعل اللواء الانكليزي عن اليسار ولواء مكسول عن اليمين ولواء مكدونلد في الوسط ولواء لويس مع الماء والحملة في الوراى يحمي ظهور الأولوية الثلاثة . وتقدمت المدافع الجيش فكان منها ٢٤ مدفعاً وصاروخ بقيادة الكولونيل لونج في المينة و ١٢ مدفعاً من مدافع مكسيم موزعة على المينة والميسرة والقلب . وسارت الجيوش بهذا الترتيب والسردار واركان جريه بين اللوائين المهاجرين حتى صارت على ٦٠٠ يرد من الزريبة وبزغت شمس يوم الجمعة الواقع في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ وعلت درجتين فوق الألق فصدر الامر للجيش بالوقوف لاجراء التدبير الاخير قبل الهجوم . فخطب قومندانات الاورط الخطب الحماسية على جنودهم فقال الكولونيل مري قومندان اورطة السيفورث هيلندرس لجنوده . « لا بد ان تبثغ اخبار نصرنا مدينة لندن هذه الليلة » وخطب الجنرال جاتيكر بخطبة غراء قال فيها للجنود « اني على يقين انكم لا تجمعون حتى تخترقوا زريبة العدو وتطردوه الى الاثيرة » . وفي الساعة السادسة وربع ابتدأ الطويحية عن اليمين باطلاق القنابل فخرج فرسان الدراويش حينئذ من طرف الاجمة الاقصى عن اليسار فتلقتهم مدافع مكسيم وردتهم على أعقابهم خاسرين . وأطلق الدراويش مدافعهم ولكن أكثرها لم يطلق غير طلقة واحدة وأما البنادق فانهم صبروا على نار المدافع نصف ساعة حتى اقترب الجيش منهم جداً فصلوه نارا حامية . وما زالت المدافع ترمي بمقذوفاتها على الزريبة والجيش يتقدم

رويداً نحوها حتى كانت الساعة السابعة وربع فصدر الامر للعساكر بالهجوم فصدحت الموسيقى العسكرية بالنغمات الحماسية امام الجنود وهجموا كلهم من انكليز ومصريين هجمة الاسود وهم يطلقون البنادق غير مبالين بنيران العدو التي كانت تشويهم حتى وصلوا الزريبة فاخترقوها عنوة بحراب البنادق وقتلوا كل من وجدوه فيها وأجلوا الباقيين ووقع محمود اسيراً في يد الاورطة العاشرة بقيادة الباسل الميرالاي ناسون بك (اللواء ناسون باشا الآن وسكرتير ملكي السودان) قتل وجدوه مخبئاً في حفرة وسط الزريبة. وأظهرت الجنود الانكليزية في هذه الواقعة البسالة المشهورة عنهم في مواقع القتال. وكان الكبث فندي من ضباط الكرون هيلندرس اول من اخترق الزريبة فأصابته رصاصة اخترقت صدره فخر صريعاً فقال لرجاله « تقدموا يا رجالي وخذوا بشاري ». وهو من الضباط البواسل الظرفاء الذين امتازوا في الحملة النيلية وكان قد تزوج قبل الواقعة ببضعة أشهر رحمة الله عليه. ولما خر الماجور ار كهرت صريعاً قال للذين حوله « سيروا ولا تبالوا » وكان هذا آخر ما فاه به. ولما وصل الجنرال جاتيكر قائد اللواء الانكليزي الزريبة كان معه الجندي كروس من الكرون هيلندرس فصوب درويش كبير الهامة حريته الى الجنرال وهم ان يرميه بها فابتدره كروس المذكور بطعنة من حربة بندقيته أردته حنقه. وقال السردار لقومندان الكرون هيلندرس « يحق لك الافتخار بهذه الاورطة » فأجابه الكولونيل « نعم اني لمفتخر بها ». هذا ولم تكن بسالة الجنود المصرية والسودانية في الهجوم بأقل من بسالة الجنود الانكليزية فقد سار أمامها قائدها العام هنتر باشا وسيفه بيده يلوحه في الهواء ويحرضهم على الهجوم فهجموا هجمة الاسود غير مبالين بنيران العدو وقد خسروا خسارة عظيمة في تلك الهجمة. وكان ختام الواقعة الساعة الثامنة ونصفاً. وبعدها جد لواء لويس بك والسواربي والمدافع الراكبة في أثر المنهزمين فقتلوا وأسروا. وانقسم المنهزمون قسمين فذهب بعضهم الى القصارف وبعضهم الى ام درمان وفيهم عثمان دقنة.

نتائج الإستعداد

القتلى : وكانت خسارة الجيش في هذه الواقعة : من الجيش الانكليزي ٣ قتلى و ١٠ جرحى من الضباط و ٢٢ قتيلا و ٨٢ جريحاً من العساكر . ومن الجيش المصري ١١ قتيلا من الضباط منهم ٥ من الانكليز و ٥٧ قتيلا و ٣٦٥ جريحاً من العساكر . وقد كان رصاص الدراويش كمادته عالي المرمى حتى انه اخترق كثيراً من خوذ العساكر ولولا ذلك لكان فتكه بالجيش أشد وأعظم . وأما الدراويش فقد قتل منهم نحو ٣٠٠٠ رجل وفيهم من الأمراء : علي السنوسي والبشاري ريدو والعطا اصول وعبد القادر دليل وصلاح ابو وعبد الله حامد والشريف النقيب وكيل دقنة .

الغنائم والامرى : وأمر منهم عدا محموداً نحو ٢٠٠٠ نفس وغنمت مدافعهم العشرة وشيء كثير من الاسلحة والذخائر والرايات والنقاير . وعاد السردار الى بربر قدخلها في ١٤ ابريل باحتفال شائق . وقد كان هذا الظفر أحسن تمهيد لفتح السودان .



الأمير محمود أسيراً

الفصل السابع

في

صفات الخليفة عبدالله وأخلاقه وحكومته وجيشه وإجمال حاله

صفات الخليفة وأخلاقه :

صفاته : كان التعايشي ربع القامة اسمر اللون أشيب الشعر عربي الملامح خفيف الشاربين خفيف اللحية مستديرها يهذب لحيته وشاربيه . على وجهه آثار الجدري ألقى الأنف حسن الفم قصير الشفتين حتى تكاد أسنانه تظهر من خلالها فإذا تكلم برزت لامعة بيضاء كأنه يبتسم وبالإجمال فإنه كان كثير الشبه بالمهدي بالقدر واللامح إلا أنه كان أقصر قليلاً من المهدي وأقل سمرة وأضيق جبهة وأصغر لحية . وكانت ملاعجه في أول أيامه تتخللها طلاقة وبهجة فأمست بعد تولية الخلافة وقد كساها انقباض تقبض منه النفس ويدل على ما انطوى عليه الرجل من الاستبداد والمكر والدهاء . وكان في أول أمره نحيف الجسم شديد العضل فلما تولى الخلافة سمن كثيراً إلا أن سمنه لم يضعف نشاطه ولا همته .

لباسه : وكان لباسه كلباس المهدي أي الجبة المرقعة فوق سراويل من الدمور المعروف بالقنجة والعمة المفلجة فوق المكاوية مدلاة منها عذبة على كتفه

اليسرى ويلقي على كتفيه رداء بطرف حرير ازرق ويتمنطق بمرفعة حول خصره وكتفه اليسرى ويتلمم برداء من الشاش الرفيع فوق العمة بحيث لا يظهر من تحته إلا دائرة وجهه ويلبس في عنقه سبحة كبيرة وفي قدميه الخف الاصفر في الحذاء الاصفر فاذا جلس خلع الحذاء وأبقى الخف وتربع على عنقريب فوقه فروة من جلد الضأن وهي التي يصلي عليها . وكان مولعاً بالتطيب والنظافة فكانت رائحة الطيب تفوح من ثيابه على بعد خطوات . واذا مشى حمل بيساره سيفاً وبيمينه حربة قصيرة هذندوية ومشى وراءه بعض غلمانه الاحباش وغيرهم . وهو يعرج في مشيته عرجاً خفيفاً . وسبب عرجه انه وقع عن حصانه بعد فتوح الابيض فكسرت ساقه . وكان يركب جلاً او جواداً او حماراً او احدى العربات التي غنمها من الخرطوم . واذا ركب الجمل تقلد السيف على جنبه الايمن او وضعه امامه على السرج واذا ركب الجواد لبس احياناً الدرع والخوذة وألبس جواده اللبوس .

نساؤه : وكان يحب النساء كسيده المهدي وقد بالغ مثله في الاكثار منهن فكان اربع منهن شرعيات والباقيات جوارى وأكثرهن من اللواتي اسرن في الحرب فهن في اعتباره منا ملكت يمينه وهن من كل أمة من أمم السودان والحبشة . وكان اذا اراد ان يتزوج بنت زواجاً شرعياً تتحنى عن احدى زوجاته الشرعيات وتزوج بها .

أما نساؤه الشرعيات اللواتي كن في عصمته عند وفاته فهن : زهرة التعايشية التي تزوجها في بلاده قبل التصاقه بالمهدي . ونفيسة بنت بابكر القاسمية . وأم كلثوم بنت المهدي . والسرة بنت وقيع الله الجعلية . وأما سراريه فأشهرهن : مريم بنت ابراهيم . ومرحومة بنت زايد . والسرة بنت عبد الله . وخادم الله بنت عبد الهادي . وسعيدة بنت بيت الامان . وحفصة بنت عبد السلام وكلهن من المولدات . ومدينة بنت علي . وزمزم بنت حسن واما حبشيتان . ونصرة بنت مدني . ورقيقة وكلاهما نوبيتان . ونخل الجنة بنت المبارك . وآمنة بنت كرم الله وهما جعليتان .



أولاد المهدي : الطاهر ونصر الدين وعلي وهم الجلوس
وأولاد الخليفة : عبدالصمد ويحيى وعمر وإبراهيم واسماعيل
وهم الواقفون والقاعدون القرفصاء

وفاطمة بنت الكرة تقلاوية . وآمنة بنت السيد حامد الحنافية . والتومة بنت راض الله المحسية . وزينب بنت نقيب المصرية . ومن مطلقاته فاطمة بنت احمد اغايسين دولابية دنقلاوية .

اولاده : وله من امرأته الاولى زهرة التعايشية ثلاثة اولاد وهم شيخ الدين ويحيى وخديجة أما شيخ الدين فهو بكر اولاده وقد رشحه للملك بعده وجعله رئيساً لملازميه كما مرّ وزوجه بآمنة اخيه يعقوب وله من العمر ١٧ سنة واحتفل بزواجه احتفالاً عظيماً وبنى له منزلاً واسعاً قرب منزله وعني بتربيته وأحضر له الفقهاء فعلموه القراءة والكتابة وقد رأيت في منزله كتابي « أمثال العوام » وقيل لي انه كان يحب مطالعته . ومن نفيسة بنت بابكر ثلاثة اولاد عمر وهو الذي أشار اليه بأنه عند بلوغه سن الرشد يكون اميراً على أخواله العباسيين وسليمان والفاضل . ومن أم كلثوم بنت المهدي اربعة اولاد محمد الطاهر ومحمد السيد والطاهرة . ومن الأسرة بنت وقيع الله بنت تسمى زهرة . ومن مريم بنت ابراهيم ثلاثة اولاد داود وحليمة وحوا . ومن خادم الله بنت عبدالهادي ولدان حسن ونور الشام . ومن سعيدة بنت بيت الامان بنت تدعى نفيسة . ومن حفصة بنت عبد السلام ولد يدعى عبد السلام . ومن مدينة بنت علي ولد يدعى اسماعيل . ومن زمزم بنت حسن بنت تدعى رابحة . ومن نصرة بنت مدني ولد يدعى حمزه . ومن رقيقة النوباوية ولد يدعى عبد الصمد وهو « النجل المكرم » الذي تقدم لنا خبره . ومن نخل الجنة بنت المبارك ولد يدعى عبد الحميد . ومن آمنة بنت بكرم الله بنت تدعى مريم . ومن فاطمة بنت الكرة ولد يدعى عبد الرحيم . ومن آمنة بنت السيد حامد ولد يدعى عبد الله . ومن التومة بنت راض الله ولدان محمد الامين وام نعيم . ومن زينب بنت نقيب بنت تدعى صافية . ومن مطلقته فاطمة بنت احمد اغا ولد يدعى عبد الرحمن القرشي الذي أشار اليه بأنه عند بلوغه سن الرشد يكون اميراً على أخواله الدناقلة .

وجملة من ذكرنا ٣٢ ولداً أي ٢١ ذكراً و ١١ انثى مات منهم شيخ الدين

في سجن رشيد سنة ١٩٠٠ من اثر جراح اصيب بها في واقعة جديد وله من العمر ٢٤ سنة والباقون احياء بين مصر وحلفا وام درمان ويختلفون في السن بين ٥ و ١٩. وقد مات له عدة اولاد وهم صغار قدنهم في تربة خاصة داخل حوش منزله .

وكان عنده كثير من الخصييان لادارة حرمه وعليهم رئيس يدعى عبدالقيوم .

اخوته : وأما اخوته فهم ثلاثة تقدم لنا ذكرهم وهم : يعقوب اخوه من أبيه الذي جعله وزيره ووكيل رايته ورئيس مجلس شوره وقد كان أطوع له من بنائه . وصفته مربع القامة فاتح اللون خفيف اللحية بوجهه اثر الجدري يتمهل في الكلام واسع الصدر صبور بعيد الغور اذا صادقته صدقك واذا خاضعته خادعك وألان جانبه لك حتى تسنح له الفرصة فيغدر بك. والسنوسي احمد اخوه من أمه وقد جعله اميراً على الجبارات التعايشة . وهارون محمد اخوه من أبيه واهه جارية .

أقرباؤه : وأما أقرباؤه الأخصاء فهم الأمراء محمود احمد وأخوه ابراهيم الخليل . وعبد الباقي عبد الوكيل . وأحد فضيل . ويونس الدكيم وأخوه عثمان . والزايكي عثمان . وحامد علي واخوه احمد علي . ومساعد قيدوم . ومحمد بشارة وقد تقدم لنا ذكرهم . ويعقوب ابو زينب من أخصاء مجلس شوره وصالح حماد وامير الجزيرة . واب بسام من امراء الملازمة . وقد كان من امنائه الاخصاء الحاج الزبير الجملي وهو المولج في تبليغ رسائله الى امرائه في ام درمان وفي كشف أسرار الاهلين والجمعيات السرية .

معيشته اليومية : وقد استقصيت من أمنائه عن كيفية معيشته البيتية فقالوا : انه كان يقوم عند طلوع الفجر ويدخل الجامع فيصل في الناس صلاة الصبح ثم يمكث في مصلاه قليلاً ليسمع شيئاً من الراتب . ويرجع الى منزله فيخلع الجبة والسراويل ويلبس الشقة كما هي عادة اهل السودان في منازلهم . ويطلب الطعام فيأتونه بشيء من الزبدة البقرية واللبن البقري الحليب . ثم ينام

الى الضحى . وعند استيقاظه يطلب الطعام فيأتونه بعصيدة من الدخن وعليها ملاح الثقليبة او ام دقوقه وهو ملاح مركب من السمن والشرموط البقري والويكة مع الشطة والملح والبصل ثم يأتونه باللحم المنصص وهو عضو من خروف الضأن مشوي على النار . ثم يخرج الى مجلسه فيطلب الكتاب وينظر معهم في تحريراته ومراسلاته الى الضحى الاعلى . فيصرف الكتاب ويدخل الحريم فيستريح الى الظهر . ثم يدخل الجامع وبعد ان يصلي الظهر في محرابه يجلس تحت الرواكيب فيجتمع الامراء والاعيان والقضاة حوله حلقة واسعة ومن ورائهم الملازمية وكلهم جاثون على ركبهم منكسو الرؤوس وأيديهم مقبوضة على صدورهم او مبسوطة على ركبهم فينفقد النائب منهم ثم يشرع في اصدار الأحكام التي دبرها ليلا . قال لي بعض الادباء الذي أوجده سوء الحظ في زمن التعايشي ان تلك الساعة كانت أشد الساعات علينا فانه فيها كان يسكب جام غضبه على من خرجوا عن حد اشارته او خالفوا رأيه او وشي بهم اليه فتراه 'يوبخ هذا ويأمر بسجن ذاك ونقي ذلك وقتل الآخر. ثم يدخل الى منزله فيطلب الطعام فيحضرون له الكسرة والطبخ فيدعو اليه بعض التعايشة والقضاة فيأكلون معه وينصرفون الى العصر . فيرجع الى الجامع لصلاة العصر ثم يعود الى منزله . وكان في غالب الأيام يولم وليمة عامة بعد العصر لجيشه كله فيقدم لهم طعام الكسرة وعليها اللحم المشوي من الضأن او البقر يضعه في قدح كبير يسع اردب غلة وهو قدح ود زايد المشهور الذي غنمه منه سنة ١٨٨٦ كما مر وكان الجيش يأتي الى الطعام أفواجا حتى لقد تدوم الوليمة من صلاة العصر الى ما بعد صلاة الغروب . وبعد صلاة العصر يجلس قليلا لسماع شيء من الراتب ثم يخرج من الجامع فيذهب في الغالب الى مكان معد له في شرق القبة ليرى الملازمية وهم يقرأون الراتب وقد ينتظر الى تمام الراتب فيأمرهم بضرب البوري واجراء التمرينات العسكرية الى قبيل المغرب فيدخل منزله ويحدد وضوءه ثم يدخل الجامع فيصلي المغرب ويجلس في مصلاه للمذاكرة والامر والنهي كالجلسة التي بعد الظهر ويرجع الى منزله فيطلب

العشاء فيؤتى بالكسرة والطبيخ كالظهر فيتعشى ويستريح الى وقت العشاء فيصلي العشاء في الجامع ويدخل منزله للنظر في الأمور الهامة مع اهل مشورته وكبار دولته كابنه عثمان شيخ للدين وأخيه يعقوب وقاضي الاسلام وشيخ السوق وأمين بيت المال وأمين بيت مال الخس فينظر مع كل منهم في شؤون مصلحته ويدبر أمور المملكة على ما يقتضيه رأيه . كل ذلك وملازموا الباب جالسون بباب داره او في الجامع منتظرين اشارته ويمكثون كذلك حتى يغلق باب منزله ويتحققوا انصراف مجلسه فينصرفون . ثم يدعو رئيس خصيائه عبد القيوم وحده او يدعو محمد بشير وكيل الفي معه فينظر معها في نفقات منزله . ثم يدخل مخدعه ويدعو اليه من شاء من نسائه فينام الى قبيل الفجر اذ يقوم للصلاة وهكذا شأنه في كل يوم إلا اذا طرأت حوادث مزعجة فانه يطيل جلسته بعد صلاة العشاء مع اهل مشورته ويمتنع عن النساء .

آداب الدخول عليه: وكان اذا أراد احد الدخول عليه في مجلسه استأذنه أولاً ثم تجرد من سلاحه ودخل عليه وهو منكس الرأس قابض يديه على صدره حتى يكون على بضع خطوات منه فيقف ويقول السلام عليك يا خليفة المهدي « عم » فيجيبه وعليك السلام يا فلان ثم يشير اليه بالجلوس فيجلس جاثياً او يمد له يده فيهرول نحوه مطرقاً فيأخذ يده ويقبلها ظاهراً وباطناً وهو جاثٍ على ركبتيه والخليفة يرحب به ثم ينهض ويرجع القهقري الى حيث وقف أولاً فاذا أمره بالجلوس جلس في الارض جاثياً على ركبتيه واضعاً يديه عليها وانتظر حتى يأذن له الخليفة فيحدثه بما جاء لأجله وهو لا يرفع طرفه اليه حتى يتم كلامه فيأمره بالانصراف فينصرف راجعاً القهقري الى ان يتوارى عنه فيعود الى سلاحه . هذه هي آداب الدخول على الخليفة وهي سواء على الجميع من عامة وخاصة جهلاء وعلماء . وأما آداب مخاطبته في الكتب فكما رأيت في كتب امرائه اليه .

اخلاقه : كان التعايشي قبل اتصاله بمحمد احمد في مصاف الدجالين فتخلق بأخلاقهم مع الدهاء والمكر والتشيع للدين . فلما التصق بالمهدي تجلت

فيه هذه الصفات وامتاز بالقسوة وسفك الدماء كما امتاز بالأدارة والتدبير .
ثم لما مات المهدي واستأثر بالملك كان أظهر صفاته الغيرة على ملكه . فكان
إذا رأى أو توهم عدم الولاء من أحد بطش به وقتله أو نفيه أو اذله وغنم ماله
حتى أنه ارهب أهل السودان كافة على ما بهم من الجرأة واحتقار الموت . ولم
يكن أحد منهم يحسر أن يخالف أمره أو يتعدى اشارته . وكان يصنى إلى
النسيمة ويرتاح إلى الاطراء فما كان أحد يحسر أن يكلمه إلا نعتة بالحكمة والقوة
والعدل . والويل لمن ينطق بكلمة تحط من قدره . وكان على قسوته سريع
الغضب شديد النعمة فإذا سخط على أحد صب عليه جام غضبه بقسوة بربرية
ولم يرض عنه إلا إذا تذلل له وهيبات أن يرضى . ثم إن ما أوتيته من النصر
المتوالي أورثه العجب والخيلاء والاعتداد بالنفس حتى كان يثق بنفسه وثوقاً
عظيماً ويظن أنه قادر على كل شيء لذلك كان أكره الناس إليه من أئامه بنصيحة .
حكى لي محمد خدام كبير الحجر الذي وقع أسيراً في واقعة طوشكي قال :
« لما أراد الخليفة ابن يرسل جيشاً لغزو مصر أخذ في جمع أهل الجزيرة إلى
أم درمان بأموالهم وعبائهم وأبعدهم عن مزارعهم فذهبت إلى محله واستأذنته
في الدخول عليه فأذن لي فقلت له : يا سيدي إن الزراعة لمن أضر الأمور
للأمة وفي إهمالها خطر كبير على سلامة الرعية والجيش فأنت الآن قد جمعت
إليك أهل الجزيرة وأبعدتهم عن زراعتهم ونحن نحتاج إلى الطعام ولنا
بلائكة فقدأ نطلب القوت فلا نجد فموت جوعاً . قال محمد فانقبض وجه
الخليفة وقال يا محمد خدام ألم يكن المهدي يطلب الناس للهجرة إليه بأموالهم
وعبائهم ليكونوا من أهل الجنة وأنا جار على أثره ومقتف خطواته وأخاف
أنى إذا تركتهم يفسون الخالق فيسألني عنهم ولم يمس إلا القليل حتى أصدر لي
أمرأ بمرافقة النجومى لغزو مصر ليستريح منى ، اهـ .

صلاته : وكان الخليفة يلزم الصلوات الخمس كل يوم في الجامع ويفرض
على أهل أم درمان ولا سيما الأمراء حضور الصلوات معه وكان إذا تخلف عنها
أحد الأمراء ولو مرة في اليوم لأمه وعنفه . وإذا منعه مانع كمرض أو غيره

عن الخروج للصلاة أتاب عنه الخليفة علي ودخلوا او احد قضاته ولكن لم يكن يجلس في المهراب احد غيره. ويجلس وراءه في الصف الاول القضاة وعن يمينهم بعض الملازمة ثم يعقوب اخوه وأخصاؤه وأمرأؤه وعن شمال القضاة بعض الملازمة ثم الخليفة علي ودخلوا ثم جماعة الخليفة شريف هذا في الصف الاول ومن ورائه باقي الملازمة صفوفاً وعن يمينهم رجال راية يعقوب صفوفاً. وعن يسارهم رجال راية الخليفة ودخلوا صفوفاً ومن وراء الجميع الجمعليون والدناقلة وأهل البلد وفي آخر الجامع النساء وبينهم وبين الرجال فسحة رحبة . وكان يقف وراء الخليفة تماماً في صف القضاة سعد الدين الكناني وهو المؤذن والمقيم والمبلغ . ويجلس علي مرحوم قاري الفواتح بين الملازمة وراء القضاة وعند انتهاء الصلاة يقرأ الفاتحة ثم يقول: اللهم انصر خليفة مهديك كما نصرت نبيك وأيده بالظفر على اعدائك اعداء الدين يا رب العالمين. ثم يكبرون وينصرفون. وكان الخليفة على جهله يتولى الخطابة في الجامع أي خطبة الجمعة والخطب المعتادة التي يراد بها الوعظ والقاء الأوامر فاذا اراد هذه الخطب افتتح خطبته بقوله : السلام عليكم يا اصحاب المهدي فيجيبونه عليك السلام يا خليفة المهدي ويشرع في الخطبة ثم يدعو لهم بالبركة والخير فيؤمنون على دعائه . وكان جهير الصوت قويته غزير المادة في الكلام عامي النطق بقاري اللهجة إلا انه كان يحسن لهجته بتقليد اهل النيل . وقد كان في بادىء امره أمياً لا يحسن القراءة ثم تعلم مبادئ القراءة والكتابة على اخيه يعقوب بعد تولية الخلافة . ولكنه استخدم أمهر كتاب السودان علماً وأوفرهم عقلاً وأذكاهم فطنة وآخرهم الشيخ مدثر ابراهيم أمين ختمه والشيخ ابو القاسم احمد هاشم المارة ذكرهما .

حضراته : وكان يدعي ان الحق سبحانه وتعالى يتجلى له ومعه النبي والخضر والمهدي فيوحدون اليه ما أرادوه من الأمور العظيمة وأول حضراته الحضرة التي رواها لأنصاره في الجامع بعد فتح سنار وهذه صورتها بعد البسملة : « وبعد فمن ربه خليفة المهدي «عم» الخليفة عبد الله بن محمد خليفة

الصدیق إلى أحبائه وأعوانه على إقامة الدين . أحبائي ان في هذه الصفوف التي هي صفوف الصلاة أولياء وأتقياء وعلماء عاملين وفيها أيضاً من التائبين والمعرضين . واني منذ انتقال المهدي «عم» الى الآن وأنا أفكر في تقديمي على هؤلاء الأخبار من المهاجرين والأنصار وفي كيفية إيصال التائبين الى الله وإرجاع المعرضين عنه اليه . ففي ضحوة الثلاثاء في ٢٨ القعدة سنة ١٣٠٢ (١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٥) بينا أنا أفكر في ذلك اذ حصلت لي حضرة عظيمة بين اليقظة والنم . وهي : انه حضر لي واحد من الجن وطلب البيعة فسألته عن اسمه فقال كان اسمي السابق ماشي لأنني كنت لا عقل لي وأما الآن وقد حضرت الاسلام فاسمي خاشي . ثم سألته عن قبيلته فقال العرضيون ويقال للواحد منا العارض دعينا بذلك لإعراضنا عن الحق . فقلت له قل آمنا بالله والرسول وآمنا بالامام المهدي وبك فقال ثم أعطيت البيعة . وسألته عن اسم ابيه فأخبرني فنسيته لصعوبته وغالفته لأسماء الانس . ثم سألته عن أمه فسكت فظننت ان لا أم له . ثم سألته عن بلده فقال بلدي من المحيط ثلاثون سنة وطلب الاذن في الذهاب الى اهله ليدعوم الى حضور الصلاة هنا وملازمة الصف فأذنت له وذهب ... وبعد انصرافه حضر جن بكثرة طالبين البيعة ورافعين أصواتهم بلا إله إلا الله محمد رسول على صفة اهل البيعة وقائلين في شأن الله على هيئة الاصحاب وكان بعضهم لابسين الفراوي وبعضهم قصان بلا رقع فسألته عن عددهم فقالوا الذين حضروا هنا ٧٠ ألفاً فسألته عن قبيلتهم فقالوا الشمسيون فظننت انهم من عباد الشمس فلقنتهم البيعة ثم حضر نساؤهم فبايعني ايضاً . ثم طلبوا الانضمام الى الاصحاب في الرايات فقلت الى أي راية تنضمون قالوا الى الراية الزرقاء مع يعقوب فأذنت لهم في ذلك . ثم طلبوا تعيين محل لهم بين الصفوف للملازمة الصلاة فقلت أي محل تختارون فاختاروا محل الاخوان الذين يتأخرون عن الصلاة فأذنت لهم في ذلك . ثم طلبوا محل يسكنونه في المدينة فخيرتهم فاختاروا الجبال التي بقرب المدينة ثم قدم لي واحد منهم بنته هدية فلم أقبلها ... ثم اضطجعت على المنقرب وأدخلت

أرسي يهدومي فحضر لي الخضر وصلى على فروتي ركعتين ... وبعد ان سلم قال لي ربك يقرئك السلام والملائكة يقرئونك السلام والني ﷺ يقرئك السلام والمهدي «عم» يقرئك السلام ويقول لك بارك الله فيك فيما صنعت في الدين . ثم قال ان المهدي «عم» أخبرني بأن أخبرك لتبشر الاصحاب الذين لازموا الصفوف الثمانية من اول نشأتها الى الآن هم مضمونون وكلما أمرت بحفر صف ولزم فيه الاخوان يلحق بهذه الصفوف ...

ثم سألت الخضر «عم» عن سبب انقطاعه عني منذ انتقل المهدي فقال اني كنت خافراً شعرة من شعر المهدي أمّن احد سليمان عليها فحفظها ولكنه كان يكشفها احياناً ويبكي عند رؤيتها وقد كشفها مرة في الخرطوم فخشيت ان يخطفها ربح او تقع في محل وسخ تضيع فيه فبعد ان بلغت انت امس استرحت وسرتي عني . وكانت هذه الشعرة أمانة لك عند أحمد سليمان فالآن ان رضي ببلعك إياها فله ثواب حفظ الامانة وان لم يرض فلا ثواب له . ثم قال الخضر «عم» ان القلب الذي تدخله هذه الشعرة يأمن النفاق . وقد كانت هذه الشعرة أياً الاخوان عند الحبيب احمد سليمان في ورقة حرصاً عليها وفي يوم الاثنين في ٢٧ القعدة وهو اليوم الذي بنى فيه هذا الحبيب التابوت أراد ان يكشف لنا الشعرة للتبرك بها فقبل ان يكشفها شمت رائحة عجيبة واول ما بدا لي رأس الشعرة حصل لي انشراح لا يعلم مقداره إلا الله فتناولتها بقصد شمتها فأراد الله ادخالها في فمي وابتلعها . فطلبها الحبيب احمد سليمان مني ففتحت له فلي لم يجدها والحمد لله على ذلك ... ثم قال لي الخضر «عم» أخبرني المهدي ان أخبرك ان في ساعة الحرب التي معك والمهدي معك والخضر معك والملائكة معك فقلت من هم الملائكة الذين معي قال جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومنكر ونكير ورقيب وعتيد ومالك ورضوان وأرواح جميع المؤمنين من ابينا آدم الى الآن . وكذلك جميع المؤمنين من الجن وقد جعل الله روح من يعاديك في رؤوس حراب الانصار وسيوفهم .. ثم قال يقول لك المهدي سنار اصحابي لا يسكنوها كررها ثلاثاً ويقول ان الذي

يسمع الانذار ويموت فيها ليس من اصحابنا . وكذلك جبل الضباب وكلاجة وجبل مرة ودار التعايشة لا يسكنها اصحابي إلا اذا توجهوا لغزو وأما سنار فلا يسكنوها ولو كانوا في الغزو . ذلك كله عن لسان الخضر من غير زيادة ولا نقصان اخبرتكم به تحدثاً بنعمة الله وتبشيراً لكم قصد صلاحكم فتلقوا ذلك بانسراح أرشدكم الله والسلام . اه .

ومن تدجيله المضحك ما كتبه الى عامله حمدات ابي عنجة في غرة محرم سنة ١٣٠٤ هـ قال : أيها الحبيب بعد السلام عليك نعلمك ان أمر الدين يعون الله وقوته لا زال في تأييد وممدد من الله الحميد وقد تكاثر ظهور البشائر والخواارق والكرامات بين الاصحاب في مدينة المهدي (عم) حتى تواتر ظهور الأنوار على اسلحة الانصار ففي يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ الحجة سنة ١٣٠٣ حضر لدينا بالحرب اثنان من الاصحاب من راية الحبيب جلال الدين وهما الحبيب طاهها علي والحبيب محي الدين وأخبرانا بأنه في يوم الاحد الذي نزل فيه المطر وظهرت الانوار على الاسلحة سمعا حراب احدهما طاهها تنطق بالشهادة أي كل حرية تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله سمعه الحبيب طاه ونادى ابنه فسمعه ايضاً وكذلك جماعة من الاخوان الصادقين حضروا معهم وسمعوه وفي ليلهم المذكور حضروا لدينا في المحراب وأخبرونا بهذا الخبر . هذا فضلاً عن بقية الخوارق والمعجائب التي أظهرها الله في الخارج بين الاصحاب وكل ذلك من عناية الله بأنصار الدين وبروز الأدلة الظاهرة على اعلاء الحق واخساد الباطل جعلنا الله وإياكم من اهل عنايته والسلام .

ومن هذا القبيل ما كتبه اليه عامله على القلابات احمد علي في ١٠ الحجة سنة ١٣٠٦ :

« سيدي مما لزم الحال عرضه لجنابكم هو انه لما قابلنا سيادتكم بالعام الماضي سألتمونا عن زوجتنا زينب بنت الريف هل هي حامل فقلنا لا فلما عدنا الى القلابات وجدناها حاملاً قبل توجهنا لمقابلة سيادتكم بشهر ثم وضعت بنتاً في

اوائل ذي القعدة الماضي وليلة امس التي هي ليلة الثلاثاء في ٨ الحجة كانت مضطجعة في حجر والدتها ترضع فجذبت والدتها منها الثدي ظناً بأنها نامت وولت مدبرة ففي الحال تكلمت البنات المذكورة بلسان فصيح قائلة لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمعت والدتها بذلك فزعت منها وطاش لبها وأشهدت عليها من كان حاضراً معها من اللسوة فتمعجنا من تكلم هذه الصبية في المهد مع ان عمرها لا يتجاوز الشهرين فلذا لزم ترقيمه لسيادتكم راجين الارشاد في أمر هذه الصبية والسلام اه .

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

حكومة الخليفة وجيشه واجمال حاله :

عمالته : قسم الخليفة السودان الى عمالات كما قسمته الحكومة الى مديريات إلا أنه ألقى مديرتي سنار والخرطوم وجعل منها ٨ عمالات وهي عمالة الجزيرة من المقرن الى جبال ادريس وتشمل حلال شرق البحر الازرق وغربيه من العليفون الى سيرو وحلال شرق البحر الابيض . وعمالة جبال ادريس . وعمالة غرب البحر الابيض من امدرمان الى بلدة شبشه تجاه شات . وعمالة البادية الغربية من امدرمان الى شات . وعمالة البادية الشرقية في البطانة . وعمالة شرق النيل الكبير من العليفون الى حجر العسل . وعمالة غرب النيل الكبير من خور شمبات الى حجر العسل . وسمي مديرية فاشودة عمالة الشلك والدنكا ولكنه لم يحتلها بل كان يرسل اليها العمال من وقت الى آخر فيأتون منها بالحبوب والعبيد على سبيل الجزية . وهكذا فعل ببلاد فازوغي . وهجر بحر الغزال واحتل مديرية خط الاستواء وسماها بعمالة بحر الجبل . وجعل مديرتي دارفور وكردوفان عمالة واحدة سماها عمالة الغرب وذلك بعد تجريد زقل سنة ١٨٨٦ . وجعل ايضاً القلابات والقضارف عمالة واحدة . وكان قد ضم كسلا وطوكر الى عمالة واحدة تحت ادارة عثمان دقنة ثم فصلها فجعل

كلا منها عمالة . وكان كل من دنقلة وبربر عمالة . وكانت كل عمالة مستقلة عن الاخرى ترجع بأحكامها اليه . وجعل ام درمان عاصمة حكومته بدل الخرطوم وقد تقدم لنا وصفها في باب الجغرافية . وحكم البلاد حكماً عسكرياً فجعل في كل عمالة جيشاً وكان العامل قائداً للجيش ومديراً للجهة التي هو فيها يجمع زكاتها وعشورها ومعه وكيل عامل وأمين بيت مال وقاض وكاتب .

وقد أوجب على عماله الطاعة العمياء له كما أوجبها على من دونهم لهم . من ذلك ما كتبه الى عثمان آدم عامل كردوفان يوصيه بالطاعة لمحمدان ابي عنجة ايام كان ابو عنجة في جبال النوبة قال : « ... وما زلت فكن للحبيب حمدان ابي عنجة عضداً وساعداً وساعده في جميع أمور الدين وكن معه كاليد للقم او كاليت في يد الفاسل يقلبك كيف شاء واخدمه بنفسك ومن معك من الانصار وكل ما يأمركم به تلقّوه بالقبول وافعلوه بالسرعة... في ١٤ رجب سنة ١٣٠٤ هـ .

ثم لما أرسل ابا عنجة عاملاً على القلابات ورئيساً على يونس الدكيم خشي ان يشغل الأمر على يونس لأن ابا عنجة لم يكن في الاصل إلا عبداً في بلاده فكتب الى يونس يأمره بالانقياد الى ابي عنجة وكتب الى ابي عنجه يسأله الرفق بيونس بقوله : « ... لا يخفى عليك ايها الحبيب ان أمر الدين يحتاج الى المعاضدة والمراء كثير بأخيه والمؤمنون كالبليان يشد بعضهم بعضاً وكاليدين تفسل احدهما الاخرى وان الحبيب يونس الدكيم هو نفسك وأخوك وهو لك وأنت له قديماً وحديثاً فينبغي ان تزداد المحبة بينكما وتخطابه قبل وصولك اليه بما يشرح صدره وعند مقابله تلقه بالمودة والبشاشة حتى يرى ذلك الخاص والعام ويحصل الغيظ للمناققين الشامتين الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر ويريدون التفرقة وتكدير السرائر . وكن كأنك حضرت تأييداً له وعضداً... ولو إنا أمرناه بالامتنال لك فان الكفرة اعداء الله اذا كان احدهم في جهة وأرسلوا اليه رجلاً أكبر منه لأمر حدث في تلك الجهة فيكون هذا الرجل

واقفاً في حده كأنه تحت الاول الذي هو صاحب المحل فذلك شأنهم وهم على الباطل فأهل الحق والدين أولى بذلك وأحرى لا سيما أمثالك الذين أثار الله بصائرهم بمعرفة مكاييد الاعداء وكيد الحساد والله المسؤول ان يتولاك وبمعين عنايته يرعاك والسلام سنة ١٣٠٥ هـ .

وقد أوصى عماله بكم الاسرار وعدم اطلاق افراد الجيش على مفصلات احوالهم ولا سيما احوال الجبخانه . وكان يذكركم على الدوام بأمر أهمها : ملازمة الصلوات الخمس وقراءة الراتب والتشمير للجهاد والوقوف عند الاشارة . ومن وصاياه الرفق بالجيش ونهيه عن الفساد والمدل في الرعية وعدم الغلول في الغنائم . وكان من شأنه انه كلما أثاره خبر النصر من جهة قرأه لأنصاره في الجامع وأذاعه الى جميع الجهات . وكذلك كان كلما نكل بأحد للذنوب أثاره نشر خبره في الجهات وبالحق في الاسباب التي حملته على التنكيل به . وكانت العمال يهابونه لأجل بطشه حتى لم يكن احد منهم يجسر ان يباشر عملاً او يتزوج امرأة او يسمي ولداً رزق به إلا بإذنه . وإذا حصل نزاع بين عامل ووكيله ارسل امناء من عنده فرفعوا اليه تقريراً في اسباب الخلاف ففصله . وكان من عادته ان يعقد مجلساً من عماله وأعيان البلاد في كل عيد من الاعياد العمومية أخصها عيد الرجبية (٢٧ رجب) وعيد الضحية (١٠ الحجة) وذلك لاختبار حالهم ومذاكرتهم في مصلحة البلاد .

جيشه : أما جيشه في أم درمان فجيش ضخم يزيد على ٥٠ الف مقاتل من جميع اجناس السودان من السود وشبه السود والنوبة والبعجة والعرب . والمواليد على اختلاف قبائلهم وقد انقسم الى ستة جيوش كبار وهي : (١) جيش الملازمة القديم وهم حرس الخليفة الخاص وقد أسكنهم حول منزله داخل السور وأكثرهم من السود المسلحين بالبنادق الرمنتون وعليهم قائد فربي يدعى بخيت جاموس (٢) جيش الملازمة الجديد وهو الذي أنشأه بعد حادثة الأشرف وسلّحه بالأسلحة النارية وأسكنه السور وجعل عليه ابنه .

شيخ الدين قائدًا عامًا وهو أقوى جيوشه ومؤلف من نخبة شبان السود والعرب ومنقسم إلى ١٦ ربعًا ، على كل ربع أمير من التعايشة (٣) جيش الكارة وهم العساكر الذين وقعوا في الأسر من جيش الحكومة فأسكنهم طابية أم درمان القديمة التي عرفت بالكارة وجعل عليهم إبراهيم الخليل أميراً .

(٤) جيش الراية الزرقاء وهو الجيش الذي كان يقوده قبل وفاة المهدي فسلمه لأخيه يعقوب وكان جيشاً قوياً مؤلفاً من ٣ قبيلة من عرب وعجم وهي : التعايشة والهبابية والحمر والرزيقات . وبني هلبة والزبادية والمعالية والماهرة والحاميد والمسيوية والعريقات ودار حامد وبني جرار وحمر والتام والغدييات والهواره وبني عمران والفور والكنجارية والمسبحات والتامة والبرقي والميمة وجماعة الخبير علي ونوبة الحرازة والميدوب والبزعة والداجو والترجم والبرقو والبرنو والباجرمة والفلاتية وكلهم من أهل الغرب ومعهم نفر من الجمعين والسعداب والدناقلة والشنبلة والركابية وأولاد البلد وأولاد الريف والأقباط والمسلمانية من أهل الجزيرة والنيل . (٥) جيش الراية الخضراء أو جيش الخليفة علي ودخلو وجلته من أهل الجزيرة وهو ثلاث رايات : راية دغيم بأمارة عبدالله أحمد أبي سوار وتحتها الشانخاب والحساب والمبيساب والحجاجة ودار محارب والمسمية والعقليين والمحمدية والعرواب والبجة . وراية اللحويين بأمارة عبدالله برجوب وتحتها الشبيلاب وبني حسين والعركيين والمعاشرة والبطاحين والأحامدة والمبارنة والكواهلة . وراية كنانة بأمارة البشير عجب الفية . (٦) جيش الراية الصفراء وهو شردمة قليلة عليها الخليفة شريف ومعه عثمان أزرق الذي فر من دنقلة . وانضم إلى هذه الجيوش جيش عثمان دقنة ومعظمه من سكان الصحراء الشرقية الأشراف والهدندوة والمجاهدين والبشارين ومعهم نفر من الدناقلة وغيرهم . وهاك بيان عدد كل جيش من هذه الجيوش وما معهم من الأسلحة النارية والخيول نقلاً عن الأوراق التي وجدت في بيت يعقوب بعد فتح أم درمان :

الجيش	الامراء	المجاهدون	الاسلحة النارية	الخيل
جيش الملازمة القديم	بخت جاموس النوبي	١٤٨٦	٩٠٠	١١٢
جيش الملازمة الجديد	عثمان شيخ الدين بن الخليفة	٢٥٢٩٢	١١٢٥٢	٢٦٧٨
جيش الكارة	ابراهيم الخليل اخو محمود	١٦٠٠	٧٣٠	١٣٥
جيش الراية الزرقاء	يعقوب اخو الخليفة	١٤٤٤٨	١٠٥٣	١٥٨٨
جيش الراية الخضراء	الخليفة علي ود حار	٥٥١١		٧٩٤
جيش الراية الصفراء	الخليفة شريف	٨١		١
جيش الصحراء الشرقية	عثمان دقنة	٣٣٧١	٣٦٥	١٨٧
	المجموع	٥١٧٨٩	١٤٣٠٠	٥٤٩٥

الاسلحة والذخائر : أما الأسلحة النارية التي كانت عند الخليفة فغالبيتها من نوع الرمنتون والباقي من بنادق «الحشخان» الكبيرة التي استخدمها البحارة قديماً لصيد الأفيال وتعرف عندهم بربع مدفع . وبنادق «بيادة» وهي بنادق ثقيلة من عهد ابراهيم باشا تطلق بالكبسول وتعرف ايضاً باب لفته . و « ارشليك » وهي البنادق القديمة بزناد وشطفة . وبنادق « ابو روحين » المعروفة . وكان عنده من المدافع في ام درمان ٦٣ مدفعاً منها ٣٥ جبلياً و ٨ كروب و ٦ متريلوز و ٥ شرخة و ٢ اوردي و ٢ حبشي و ٣ قبس و ١ رمنتون و ١ فرنساوي . وأما الصواريخ التي غنمها من الخراطوم فقد تطرقت اليها الرطوبة فأخربوها وأخرجوا الرصاص منها .

وأما « الجبخانه » فقد كان عند الخليفة منها مقادير وافرة إلا انه كان يحاط بالأعداء من كل الجهات وكان في حرب دائمة معهم وقد منعوا عنه الاسلحة والذخائر منعاً صارماً بل منعوا عنه كل ما يساعد على عملها كالرصاص والنحاس والمبارد والكبريت وملح البارود . لذلك كان أعظم ما وجه اليه اهتمامه عمل الجبخانه . وكان أهم ما لزمه الكبريت وملح البارود والرصاص والنحاس والمبارد وعجينة الكبسول (وهي المادة المفرقة فيها) . أما الرصاص فقد استخرجه من جبل الكتّم في دارفور وأغرى التجار فهرّبوه له ايضاً مع

الكبريت والمبارد من الحجاز ومصر بطرق سواكن ومصوع واسوان . وأما عجينة الكبسول فقد استعان على عملها بلبتن بك مدير بحر الغزال الى ان توفي سنة ١٨٨٨ فاستعان بالدكتور حسن افندي زكي من أطباء الخرطوم . وأمر نوفل النمساوي وغيره فصنعوا له ملح البارود . وجمع كل ما أمكن جمعه من آنية النحاس في البلاد فصنع منها الظروف وأرسل الى عماله في الجهات فجمعوا له الظروف الفارغة من محال الوقائع . وأقام معملاً للبارود في جزيرة توتي وورشة لعمل الخرطوش في ام درمان فقلد جبخانة الحكومة أحسن تقليد فكان يصنع كل شهر من البارود ١٠ قناطير ومن الرصاص ١٠٠ صندوق في كل صندوق ١٤٤ خرطوشة . وشيد داراً واسعة لحفظ الاسلحة والجبخانة والمهمات الحربية والتحف احاطها بسور منيع وسماها « بيت الامانة » . وقد شدد في المحافظة على الجبخانة فجرّد الأهلين من الاسلحة النارية وأصدر أمراً بمنع الصيد بالبنادق وعدم اطلاق الرصاص إلا في ساحة الحرب .

أقسام الجيش حسب أسلحته : وقد انقسم جيش الخليفة بحسب الأسلحة الى ١١ قسماً وهي :

« الجهادية » وهم المسلحون بالأسلحة النارية ويعرفون ايضاً بالبنداقه وهم من السود والعرب إلا ان أكثرهم من السود . وقد أدرك الخليفة قدر السود في الحرب فأكرمهم وأحسن معاملتهم وأوصى عماله في الجهات بمداراتهم . وهاك ما كتبه الى عثمان دقنة في ٣ الحجة سنة ١٣٠٣ هـ بشأن جهادية كسلا قال :

« ... نعلمكم حبيبي ان الجهادية لا بد لهم من التربية التامة وبعد المشقة في مذاكرتهم والتأليف الكلي لهم اولاً حتى يوافقوا على الدين وتشرح قلوبهم وقد علمنا يقيناً شأنهم مما شاهدهناه فيهم من ابتداء المهدي الى الآن فمن ذلك اننا في محاربة أعداء الله بجزيرة أبا أسرنا بعضاً من الجهادية وظهر لنا منهم الالفه والاثني عشر فتوجهنا بهم الى قدير فلما غزونا الفنقر هربوا منا وتوجهوا لأعداء الدين بفاشودة . ثم حضر أعداء الله جيش راشد فأسرنا منهم جهادية فهربوا

ثانية الى جهة فاشودة . ثم حضرت جردة ولد الشلاي . فأسرنا منهم جهادية بكثرة فاتحدو مع الانصار وظننا انه لا يحصل منهم مثل ما حصل من السابقين فعند حضورنا للأبيض هربوا وانضموا الى اهل ققرته حتى فتحها الله . ثم بعد فتوح الأبيض وجدوا فيها جهادية بكثرة فاهتمنا بأمرهم وأكرمناهم وما تركنا لهم من الاكرام شيئاً وبعد ذلك كله هرب بعضهم الى جهة الخرطوم . وعند مجيء جماعة ابي قرجة لحصار الخرطوم هرب بعض من معه وانضموا الى القيقر وكذلك بعض من جهادية ولد النجومي انضموا الى اهل الخرطوم فبقوا حتى وقعوا في الأسر ففرّ بعضهم الى سنار وانضموا الى أهلها حتى فتحت . فمن ذلك اتضح ما ذكرناه . فينبغي ان تعتنوا بالذكورين غاية الاعتناء وتربوهم التربية السامة حتى يرسخ الايمان في قلوبهم فانهم اذا تربوا صلحوا للمساعدة في الدين . ومما يساعد على تأليف المذكورين اعطاؤهم زوجاتهم واذا كان لهم أقارب يضمنون اليهم حيث ان مصلحتهم عمومية ولو انضم اليهم غير المستقيم من اخوانهم يحرمه حالهم الى الايمان والاذعان اذ الطبايع تسرق الطبايع والأوادم الذكور الذين يطيقون حمل السلاح جميعهم يلحقون بالجهادية في جميع ما ذكر . والدمور الموجود بمخازن كسلا أكسوا منه الجهادية ونساءهم لأجل تأليفهم . . . اه .

وقد رسم الجهادية بحرف ج في أيديهم اليسرى بين الابهام والسبابة وجعل لكل منهم مرتباً شهرياً قدره نصف ريال وربع اردب ذرة ولم يفعل ذلك لباقي الجيش .

« والخيالة » او الفرسان ويقابلهم القرابة او المشاة من جهادية وغيرهم وأكثر الخيالة من البقارة . وسلاح الفارس سيف يتقلده على جنبه الأيسر والبندقية يعلقها في مقدم السرج والتركاش وفيه ٧ طبائق يعلقه في مؤخر السرج ويحمل بيده الكيس . ويمتاز في لبسه بعمامة حمراء وشال احمر يتحزم به حول خصره وكتفه اليسرى وهو لا يلبس حذاء في رجله لضيق الركاب وقد يلبس الدرع تحت الجبة ويلبس فرسه اللبس .

« والهجانة » وهم اصحاب الجمال ولكن لم يكن عنده من الهجانة سوى ٧٠ رجلاً استخدمهم في بريده الخاص الى جهات السودان المختلفة . وسلاح هؤلاء السيوف والدرق والبنادق الرمنتون .

« والطويجية » وكلهم من طويجية الجيش المصري الذين وقعوا في الأسر وقد اجتمع عنده منهم في ام درمان ١٥٢ رجلاً .

« والحراّبة » وهم حاملوا الحراب والسيوف وجلهم من عرب البادية . ويقال لحاملي الدرق والسيف الدراّقة .

« والحشخنجية » وهم المسلحون بالبنادق الحشخان المار ذكرها وعددهم نحو ألفي رجل وجلهم من السود . وهم يمتازون بلبس صدره حمراء فوق جبينهم على نحو لبس بازنجر الزبير ولها جيبان للكبسول واحدة عن اليمين واخرى عن الشمال .

« والبلطجية » او « الفرّارة » وهم جند من العرب والسود يحملون بلطات كبيرة بما كان مستعملاً في الجيش القديم وهم يمتازون بلبس قبعة مزينة بريش النعام .

« والمتشمبرون » ويبلغ عددهم نحو ٢٠٠ رجل وكلهم من التكارنة وهم طوال القامة غلاظ الأجسام يحملون حراّباً طويلة بيضوية الشكل يبلغ طول الواحدة منها نحو ذراع وطول قناتها نحو ٤ أمتار ويمتازون بلبس جبة قصيرة مشمرة الى ما فوق الركبة ومن ذلك اسمهم . ويحمل الواحد منهم في وسطه خنجرين وعلى رأسه طاقية ذات قرنين تعرف بام قرينات . وهذا الجند من مبتكرات التعايشي .

« وجوق الفروع الحربية » ويحملون آلات موسيقية كالآلات المستعملة في الجيش .

« وجوق البيدو والصفار » مؤلف من نحو ٥٠ عبداً يحملون أبواقاً من قرون الوعل وطبولاً مصنوعة من جذوع الشجر وقرعاً يابساً محشواً حصى وهي على نحو موسيقى سلطنة الفور القديمة ولها اصوات تخدش الآذان .

« وجوق الامباية » وهم اربعة رجال مع كل منهم امباية يصوت بها عند ركوب الخليفة . اما الامباية والبيدو والصفار والفروع الحربية وكذلك المتشمرون والبلطجية والحشخاجية فكلهم تابعون لحرس الخليفة ومنهم جميعاً تتألف قلعة يركب في وسطها اذا خرج لعرصة او لحرب .

موكبه في العرصة او الطر : وكان التعايشي في اول أمره يستعرض جيشه في يوم الجمعة من كل اسبوع ثم عهد بذلك الى اخيه يعقوب واقتصر على استعراض الجيش في ايام المواسم والأعياد وذلك في موكب حافل جداً . قالوا انه كان اذا أراد الاستعراض المعروف عندهم بالعرصة او الطر أمر من الفجر بضرب نحاسه « المتصورة » المشهور الذي وضعه في محل مرتفع في بيت الأمانة . فاذا سمع الناس صوت النحاس هروا الى الجامع فصلاوا صلاة الصبح وقرأوا الراتب . ثم ذهب البيرقدارية الى بيت الامانة فاتوا بالرايات وانضم كل رجل الى رايته وساروا فرساناً ومشاة وهم يهللون ويكبرون الى محل العرصة في ساحة فسيحة غربي المدينة تتقدمهم الراية الزرقاء فالراية الخضراء فالراية الصفراء فيقف الكل صفوفاً مستقيمة من الجنوب الى الشمال متجهين نحو الشرق . أما جهادية السكارة فانهم يأتون رأساً من كارتهم ويقفون في الجنوب والى يسارهم الراية الزرقاء فالراية الخضراء فالراية الصفراء في أقصى الشمال ويقف الأمراء على خيلهم كل عند رايته في الصف الاول ويقف يعقوب والخليفة علي ودخلو والخليفة شريف كل على جواده عند رايته العامة بارزين عن الصف الاول . ثم يأمر الخليفة فتضرب الامباية فيخرج جيش الملازمية ببنادقهم يتقدمهم شيخ الدين على جواده ويتبعه الارباع الستة عشر رباعاً رباعاً صفوفاً متوالية في كل صف من ٦ : ١٢ رجلاً وأمام كل ربع رايته وأميره وفرسانه والبوري والطرنية . ثم يأتي وراهم الخليفة بقلعته فيحيط به ملازموه الاخضاء بالبنادق صفوفاً اربعة من الجهات الاربع أمامهم البلطجية ومن ورائهم المتشمرون ثم جوق البيدو والصفار والفروع الحربية . وفي ساقية القلعة وعن جانبيها الحشخاجية وفي وسطها الخليفة على جمل او جواد فاذا

ركب الجمل قاده محمد بشير كرار العبادي وهو رجل طويل القامة كبير الهامة ومشى عن جانبيه جوادان مسرجان وحمار مسرج ومن امامه جوق الامباية ومن خلفه اصحاب النفير العسكري لتبويق الوقوف او المسير وخلف هؤلاء خدمه الخصوصيون من الاحباش وغيرهم يحملون له ركوة الوضوء وسعن الماء وأدوات التزين وفروة الصلاة والنعال والكبس والطبائى والرمح الذي يتوكأ عليه . ويسير الموكب الى ان يصل اول جيش الملازمة عند منزل الخليفة في محل العرضة فيقف صفوفاً متوالية متجهاً نحو الشمال على زاوية قائمة مع صف الرايات ؟ فيمر الخليفة بقلعته من امامه الى ان يأتي المنزل فيحيط به ملازموه ثم يخرج من بينهم مع نفر قليل فيمر بالرايات مبتدئاً من جيش الكارة الى ان يأتي على آخر الجيش . وقد يقف في مروره عند امير فيخطبه قائلاً السلام عليك يا فلان طيبين يا الاخوان الله يوديكم البركة يا انصار الدين الله يوديكم العافية يا الاخوان . هذا والأمير ورجاله يؤمنون على دعائه . ثم يرجع الى منزله فيستريح قليلاً ويأمر الأمراء فيشيعون الرايات الى بيت الأمانة ثم ينصرفون الى اماكنهم ويرجع اصحاب الخيل منهم الى ساحة العرضة لتشييع الخليفة الى منزله . ثم يأمر جيش الملازمة فيرجع الى السور براياته ويعود بقلعته على نحو ما جاء ووراءه الفرسان الى ان يصل منزله فيدعو لهم فيؤمنون وينصرفون .

ماليته : سار الخليفة على خطبة سيده المهدي فجمع الزكاة والعشور والغنائم في بيت المال وأنفق منها على الجيش. لكنه لم يبق بيت المال واحداً كما كان في زمن المهدي بل فرغ منه بيت مال الملازمة وخصص له ريع الجزيرة وبيت مال ورشة الحربية والترسانة وخصص له ريع جنائن الخرطوم والسواقي التي حوالها والسن الوارد من خط الاستواء . وفرز مال الخمس عن بيت المال وأضاف اليه مال الفيه كإيراد المشاريع والمراكب وأراضي الغنيمة والغابات والسن والريش وثلاث الصنع وعشور البضائع وجعل لها بيت مال خاص سماه بيت مال الخمس والفيه وعهد به الى محمد بشير كرار العبادي

وأنفق منه على بيته وأخصائه . وجعل لكل عمالة بيت مال ينفق منه على أنصار العمالة وما فضل يرسل الى بيت المال العام في ام درمان مع حساب الدخل والخرج بالدقة كل شهر . ولم ينفق من بيت المال العام إلا على عمال مصالحه المتنوعة والكتاب والخليفة ود حلو ونساء المهدي وأما المجاهدون أولاد العرب فقد كانوا يعملون انفسهم إلا اذا أرسلوا لغزو او لحرب فانه كان ينفق على ترحيلهم . ثم ان الجبابة الذين ارسلهم لجمع الزكاة والمشور لم يكتبوا بما فرضه الشرع بل فاقوا الباشبوزق في الظلم فعلت الشكوى وعمت البلوى . وكثيراً ما شكى الخليفة من فراغ خزانة بيت المال وأخذ المال من التجار على سبيل السلفة بحجة إعالة الجيش ولكن المشهور انه لم يفعل ذلك إلا قصد ابتزاز أموال الأغنياء ليضعفهم ويتقوى بهم . وقد قيل انه كان يخزن المال في أجربة من جلد وصناديق الجبجبانة ويطمرها داخل منزله فلما فتحننا ام درمان فقتلنا عن المال فلم نجد إلا النذر اليسير جداً كما سيجيء . أما أمناء بيت المال العام فهم :

احمد سليمان سنة ١٣٠٠ : ١٣٠٢ هـ . وابراهيم عدلان سنة ٢ : ١٣٠٧ هـ .
والنور الجريفاوي سنة ٧ : ١٣١٠ هـ . والعوض المرضي المرة الاولى سنة ١٠ :
١٣١٤ هـ . وابراهيم رمضان الاسواني سنة ١٤ : ١٣١٥ هـ . والعوض المرضي
المرة الثانية ثلاثة أشهر والحج احمد ياسين النيلة سنة ١٣١٥ هـ فبقي الى فتح
ام درمان .

الزراعة : أما الزراعة فقد كان الخليفة يحفل أهميتها حتى كانت مجاعة
سنة ١٣٠٦ هـ فتنبه لها وحث العمال على تنشيطها .

الصناعة : وأما الصناعة فقد أحيا منها صنع الأسلحة والذخيرة وأبقى
على الترسانة لاصلاح الوابورات وعلى خط التلفراف بين الترسانة وام درمان
وروج صناعة المراكب وعمل الحراب وشاد معمل للصابون في بيت المال
للانتفاع بريعه وأهل ما سوى ذلك .

التجارة : وأما التجارة فإنه لم يكن يودّ تنشيطها لكرهه مواصلة البلاد الأجنبية لكنه رأى ان أهم حاصلات بلاده كالصمغ والريش والسن اذا بقيت عنده ولم ترسل الى الخارج ذهبت سدى . وطمع بأخذ العشور من البضائع الواردة الى السودان ففتح ابواب التجارة الى اسوان وسواكن ومصوع والحبشة ووداي ولكنه سد طريق الاربعين وطريق كورسكو . وضرب العشور على البضائع في كوكريه وبربر وكسلا والقلابات والفاشر^١ ونام درمان . واحتكر السن والريش كله لنفسه وأما الصمغ فقد أخذ من التجار ثلثه وأعطاهم الثلثين . وماك ما كتبه الى ابي عنجة في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ بشأن احتكار السن :

« حبيبي نقرئك السلام ونعرفك ان سن الفيل كانت سابقاً للكفرة وآلت بعد ذلك للمهدية وصارت حقاً لعموم المسلمين وحقها ان تحفظ من الضياع لذلك نحن قبلاً لم نأذن في بيعها لأحد او التصرف فيها بدون اجازة منا . والآن أردنا حصرها في بيت المال لينظر فيها فآلقوا نظركم عليها . وأينا وجدتموها اضبطوها وأرسلوا جميع ما عندكم منها ولا تبيعوا منه شيئاً وتحروا ما يحضر منها من جهات شكا وقلوا واضبطوه وأرسلوه الينا والسلام ، اه . وقد منع تصدير العبيد الذكور الى الخارج وبيعهم في داخل البلاد إلا الى بيت المال وذلك لمنع المدد عن جيش مصر وتنظيمهم في جيشه .

وبلغت قيمة البضائع الصادرة الى السودان بطريقي اسوان وسواكن في سني ١٨٩٨:٢ نحو ٤٧٧٨٩٦ جنياً وقيمة البضائع الواردة منها نحو ٣٩٧٤٥١ جنياً .

ضرب النقود : واستمر الخليفة على ضرب النقود كسيده المهدي ولكنه لم يضرب شيئاً من الذهب بل ضرب الريال وأجزائه من الفضة والنحاس وأول ريال أصدره في ايام ود عدلان كتب على وجهه الواحد « ضرب في ام درمان سنة ١٣٠٤ هـ » وعلى الوجه الآخر « مقبول » فكان كالريال المجيدي بقطعه ووزنه وقيمته أي سبع دراهم فضة ودرهم نحاس وهو الريال الوحيد الحالي من

النش . ففي أيام النور الجريفاوي اصدر ريالاً سمي « ابو صدر » فجعله ٤ دراهم فضة و ٤ دراهم نحاس وهكذا اخذ ينقص من قيمته تدريجياً حتى صيره سنة ١٣١٢ هـ سبعة دراهم كلها نحاس وليس فيه من الفضة إلا الطلاء فأطلق عليه التجار اسم « بزاجوري » قيل أرادوا به « بداجور » وقد رفعوا أسعار الأشياء بالنسبة الى نقص الريال ليحفظوا قيمتها الحقيقية . وقلد البعض عملة الخليفة فعاقيهم بقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف . وراح في أيامه الريال المهيدي والريال ابو طيره واليرة الانكليزية .

العلم : وأما العلم فقد حاربه الخليفة جهده شأن الجاهل الغشوم وجمع العلماء كلهم في ام درمان وأذلهم ولم يسمح لهم بتعليم كتاب إلا القرآن ومنعهم تعليم تفسيره فساد الجهل في أيامه وفست الآداب العمومية وساءت الأحوال .

القضاء : اما القضاء فقد كان في أيامه اسماً بلا معنى فانه ابطال الأمناء والتواب الذين اقامهم المهدي وحصر القضاء كله في قاضي الاسلام وأعوانه الذين جعلهم طوع بنائه كما مر . وفي غرة رمضان سنة ١٣٠٣ هـ أصدر منشوراً الى انصاره كافة مفاده : « ان القضايا التي قبل وفاة المهدي سواء كانت جنائية او دمائية او مالية او غير ذلك يصير رفعها وعدم سماع شيء منها بالكلية ما عدا المستثنيات الاربعة المعلومه من منشورات المهدي وهي الدين والأمانة ومال اليتيم والحرية » . وأمر قضائه بالحكم في الدعاوي التي جدت بعد وفاة المهدي بحسب كتاب الله وسنة رسوله ومنشورات المهدي هذا اذا وافقت غرضه فاذا علم ان الشريعة لا تساعد عليه اوعز الى قاضي الاسلام فانتحل مسوغاً وقضى له بما اراد فأصبحت ارادته هي الشريعة .

وقد ابقى على قصاص السارق والزاني ومنع الحج وشرب الدخان وقراءة الكتب إلا القرآن والمنشورات كما أمر المهدي .

ولم يكن يقبل شكاوى على ورق لأنه لم يكن يحسن القراءة كما مر فاذا أراد احد ان يرفع شكواه اليه فاداه وهو داخل الى الجامع : « يا خليفة

المهدي انا مظلوم ، . فيقف ويسمع له ويحكم في الامر ولا يحسر احد ان يعارضه .

أما سجنه فهو عبارة عن حوش متسع محاط بسور حصين وفي وسطه بعض اكواخ من الحجر والطين كان يحشر الناس فيها بعضهم فوق بعض راسفين بالقيود . أما القيود التي استعملها فالكبيرة بالرجل والجزير بالعنق واستخدم للقصاص المشانق والهربندي (الفلتق) باليدن للنساء وبالرجلين للرجال .

سياسته الداخلية : قضى التعايشي السبع السنين الاولى من حكمه في مناوأة المعارضين له في الملك من الاشراف وغيرهم حتى خذلهم وأذلهم وأبعد ملكه تأييداً قوياً . ثم لم يكتف بتأييد ملكه بل سعى سعياً حثيثاً لجعل هذا الملك وراثياً في نسله كما مر ولكن لما كانت المهدي التي هي حجته الوحيدة في الملك تنافي هذه الغاية وتقضي بحمل الملك من بعده للخليفة علي ود حلو ثم للخليفة شريف جعل منه تقوية نفسه وإضعاف كل ذي قوة في السودان من الخليفة علي ود حلو فنازلاً حتى لا يبقى في البلاد من يقوى على معارضته . فسلخ ابنه البكر يحيش قوي من السود وغيرهم وجرد الخليفة علي ود حلو من الاسلحة النارية كما مر وفرق عنه ما استطاع من جيشه وساس الاهلين بأحسن مبادئ السياسة الداخلية فرفع أسفلهم على أعلام وفرق بينهم على حد قوله « فرق تسد » . وقد أطلعت على كتاب منه الى عامله على دارفور عثمان آدم بتاريخ ٢ رجب سنة ١٣٠٢ للتفريق بين الحمر والرزيقات هذا هو بنصه :

« واعلم أيها المكرم اننا قد ألزمتنا أخاكم احمد فضيل ان يريحكم من جهة عربان الحمر ويشتغل بضرهم وتشتيتهم والحصول عليهم بأي وجه كان فليكن معلومكم ذلك . وانظروا على أي حالة الكيفية التي توقع العداوة والخلاف بين الرزيقات والحمر وافعلوها لأن في عداوتهم مساعدة في الحصول عليهم ومتى وصلت الجيوش اليهم وضربتهم فاهارب منهم لا يدخل دار الرزيقات لوقوع العداوة فاسموا فيما ينفرهم بعضهم من بعض والله نرجو ان يأخذ بيديكم والسلام » اه .

وحكى لي من أتى به قال : كان بين محمد عمر البنا من اهل رفاعة والعباس ابن الشيخ العبيد صداقة قديمة مشهورة ففي ذات يوم تشاحنا في مجلس الخليفة مشاحنة حادة وصدّ كل منهما عن الآخر حتى اشتهر الخصام بينهما كما اشتهر الود . قال الثقة : فلما كانت واقعة ام درمان وخرج الخليفة منها منهزماً قابلت محمد البنا فسألته عن سبب المشاحنة بينه وبين العباس معها هو مشهور بينهما من الصداقة والود قال : « اجد الله الذي أراحنا من هذا الطاغية فقد ساء الود الذي بيننا فدعاني يوماً الى مجلسه الخاص وقال لي يا ود البنا أي شر فعلت للعباس حتى انه كلما جاءني رماك بوشايات لو أصغيت اليها لنفيتك او قتلتك فحقا بي مكر التماشي وعجبت كيف ان العباس مع ما له عندي من الود يشي بي الى الخليفة فأخذتني الحدة وقلت والله يا سيدي خليفة المهدي ان العباس لكاذب في ما يقوله عني فاني خادم جنابك بتمام الولاء والاخلاص فقال لي التماشي بارك الله فيك وجزاك خيراً . فانصرفت الى منزلي وأرسلت صديقاً لي الى العباس أعاتبه فلما جنّ الليل وأقفلت باب منزلي سمعت الباب يدق ففتحته فاذا بالعباس متكرر وبيده المصحف الشريف فسألني عما كان بيني وبين الخليفة فأخبرته فقال اعلم ايها الاخ ان هذا الماكر ساء الود الذي بيننا فنوى تفريق كلمتنا ولقد طلبني اليوم قبل ان يطلبك وكلمني عنك بمثل ما كلمك عني ثم حلف لي العباس بذلك على المصحف فصدقته ومن ذلك الحين تعاهدنا فأبقينا الود في سرنا وتظاهرنّا بالعداء فمكر بنا ومكرنا به والله خير الماكرين . »

وكان الخليفة كما وفرت نعمة شخص او عظمت سطوته ولو انه من اعز انصاره الذين خدموه السنين الطوال بدمائهم واموالهم خشي على نفسه منه وترقب الفرص للايقاع به كما فعل ابراهيم عدلان والزاكى طمل والقاضي احمد وغيرهم .

هذا ولما احس بعدم ميل اهل النيل الى نصرته جردهم من سلاحهم واتى باهله البقارة من الغرب واسكنهم بينهم وسلطهم عليهم فأذلوهم حتى كانوا

لا يرون ثياباً نظيفة على احد إلا حاولوا نزعها عنه ولا يمرؤن ببلد إلا دخلوا منازلها ونهبوها حتى قيل ان ظلمهم تناول محمد الخير المشهور فرفع الأمر الى عثمان الدكيم امير بربر فقال له : « أتكلمني في الدنيا الفانية يا محمد الخير ألم يقل المهدي « عم » الدنيا جيفة وطلابها كلاب » فانصرف وهو يحرق الارم على المهدي التي اوصلته الى هذه الحال . ومن اقوال البقارة المشهورة :

« التعابشة اولاد نبي الله عيسى . والجملي ما أكثر حديثه والشايقية شرابين المريسة . والدناقلة أكالين الفطيسه واولاد الريف عين الكديسه » . وقالوا ود الريف شن جابه حربة وكوكاب (رمح مسنن) في جمابه .

ولما كثرت الشكاوى الى الخليفة من ظلم اهله أراد ذر الرماد في أعين الاهلين فأصدر منشور « منع الظلم » المشهور وبما جاء فيه :

« ... فلزام ان تكونوا واقفين على قدم الاستقامة بامثال أوامر الله واجتناب منكره لا سيما ظلم العباد فان الله تعالى قد نهى عنه في حكم الكتاب وبين شؤم عاقبته في دار المكاب . قال تعالى الا إن الظالمين في عذاب مقيم . وقال تعالى ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً . وقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم . وقال ألا لعنة الله على الظالمين . وقال وتلك القرى أهلكتنا لما ظلموا . وقال ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وقال رسوله ﷺ اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال لا يحل لمسلم ان يأخذ عسا اخيه بغير طيب نفس منه . وقال ينادي منادي يوم القيامة أين الظلمة وأشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم ... الى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في تم الظلم والتحذير منه فكيف بعد ذلك يليق بالمؤمن وخصوصاً من كان بمثابةكم من رحمه الله وأكرمه بصحبة المهدي ان تحدثه نفسه بالاقدام على ظلم احد من المسلمين وأخذ حقه بغير وجه جاز عند رب العالمين . فيلزام ان

تكونوا واقفين مع حدود الله وتلزموا طريق الاستقامة والاستعداد ليوم القيامة وتلباعدوا عن كل ما يجز سخط رب العالمين ويمطل نصرة الدين كالظلم والغفل والحسد والكبر والمعجب والرياء والتعدي على حقوق المباد والجور في الأحكام والركون الى حب الدنيا . وغير ذلك من الصفات الذميمة التي نهى الله عنها ... في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٦ هـ .

فصدق فيه قول الآية : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

سياسته الخارجية : هذا كان شأن الخليفة مع رعيته أما شأنه مع الدول المحيطة به فالعداء والحرب او يصدقها المهدية ويخضوا لسلطانها او قد سد بلاده في وجه جميع الاجانب لا سيما الاوربيين بل سد باب المفاوضة في أي بحث كان . وقد ذكرنا ما كان له من الشأن مع مصر ووداي والتليان في الارثريا ومنع الحبشة في ايام الملك يوحنا .

الصلح مع الحبشة : ولما ارتقى الملك منليك الى عرش الحبشة كتب اليه يدعو الى التسليم ويحذره من تعدي الحدود ولما لم يجبه كتب اليه ثانية سنة ١٣٠٨ هـ بما نصه :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى منليك . نعلمك اننا قد كنا قبل هذا كاتبناك للدخول في الملة الاسلامية والانتظام في سلك اتباع المهدية رحمة بك وشفقة عليك وحباً لهدايتك وخوفاً عليك من الموت على ملة الكفار الذين مصيرهم الى النار وغضب الجبار وحذرناك عاقبة الخلاف والاعراض وقد مضت من عهد ذلك مدة وما أظنا منك رد عن المكاتب التي جردناها اليك وما علمنا السبب في ذلك أفما وصلت اليك مكاتبنا ام وصلت واخترت عدم مجاوبتنا كما حصل من الهالك النقص يوحنا عظيم الجيش فانا قد كاتبناه مراراً ودعواته الى الاسلام جهاراً فاستكبر واستنكف حتى أهلكه الله تعالى على يد انصار الدين هو ومن معه

من الوزراء والمشرّكين وقطعت رؤوسهم وحملت الينا فكانت عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين . وغاية الأمر انا قد ضربنا صفحاً عن جميع ما مضى منك ومن باب الشفقة عليك حررنا هذا ثانياً اليك . بدعوتك الى الدخول في ملة الاسلام والانتظام في سلك أتباع المهدي والاذعان لحكنا والعمل باشارتنا فان أجبت داعينا وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وحسن اسلامك والتزمت العمل باشارتنا وصرت من ضمن أتباع المهديّة القائمين بأوامرها المرضية فاعلم انا سنقبلك ونجعلك اميراً من طرفنا على بلادك . وتكون مكرماً لدينا وإلا فان أعرضت عن ذلك فذنبتك عليك لكن يلزمك ان تكون واقفاً على حدودك ولا تتعدى حدود الاسلام وإلا فان تعديت الحدود فلا بد من مناجزتك الحرب ويكون عليك من الهلاك والدمار مثل ما كان على الهالك يوحنا لما طفى ونفى وتعدى الحدود وما قد أنذرناكم بهذا وفيه الكفاية لك والسلام على من اتبع الهدى في سنة ١٣٠٨ هـ .

فلم يحبه منك على هذا ايضاً ولكنه بعد انتصاره على التليان في عدوة كتب اليه بتاريخ ١١ يونيو سنة ١٨٩٦ بما نصه :

« غلب الاسد من طائفة يهوذا منك الثاني المجهول بارادة المولى ملك ملوك الايثيوبية - الى جناب الخليفة عبد الله بن محمد . بعد مزيد السيف كيف حالكم اما انا فاشكر الله بخير وعافية واخبركم اني بعد حصول المحاربة بيننا وبين التليان بناحية مدينة عدوة غلبتهم باحسان الباري وعدت الى مدينتي المحروسة بخير وسلام : واما باقي الكلام الذي اريد ان ابلغكم اياه فالرسول الواصل صحبة هذا وهو الحاج احمد يخبركم به شفاهاً ودمتم . كتب بمدينة اديس أبابا في سنة ١٨٨٨ حبشية ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣١٣ هـ ١١ يونيو سنة ١٨٩٦ م . وكان جيش الحكومة اذ ذاك قد زحف على دنقلة فكتب اليه الخليفة بعد البسمة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد

خليفة الصديق الى عظيم الحبش منيلك . نعلمك ان جوابك المحرر لنا في ٢٩ الحجة سنة ١٣١٣ صحبة رسولك الحاج احد وصل بطرفنا وجميع ما تضمنه ذلك الجواب وحله منك رسولك المذكور من الرصية فهمناه ونقول لك أما ما اردته من انعقاد الصلح بيننا وبينك فليكن بعلمك اننا لا نريد دخول احد من الاوربيين في أية جهة من جهاتنا الاسلامية لا بحرقه البيع والشراء ولا بصفة السياحة وليس بيننا وبينهم إلا الحرب فان كنت كذلك ومنمت جميع الاوربيين من الدخول في بلدك إلا بالحرب بحيث لا يكون بينك وبينهم علاقة او اتصال وعلى هذا الشرط ينعقد الصلح بيننا وبينك . فها نحن قد أرسلنا لك سفيراً معتمداً من طرفنا اسمه محمد عثمان خالد مع رسولك حسب التماسك فان قبلت الشرط المذكور فاكتب لنا بذلك وابعث لنا مع سفيرنا المذكور مخصوصاً معتمداً من طرفك لانعقاد الصلح فيما بيننا وبينك على الوجه المرضي وعلى من اتبع الهدى السلام ٦ ربيع آخر سنة ١٣١٤ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ م .

فحمل محمد عثمان هذا الكتاب وأتى الى الملك منيلك في أديس أبابا فقال له منيلك أما الافرنج فلا مداخله لي معهم إلا بالتجارة التي منها النفع لبلادي وأعادته الى ام درمان مع رسول منه الى الخليفة لعقد الصلح فقال الخليفة للرسول بلغ منيلك ان ود تور الجوري في جبال فازوغلي عاص علي فليؤدبه فأرسل منيلك جيشاً بقيادة راس مكوئن الى فازوغلي سنة ١٨٩٧ فأوقع بود تور الجوري في واقعتين وأمتلك بلاده وما زالت هذه البلاد في يد الحبشة الى اليوم .

وبالاجمال فقد كان التعايشي من الدهاء الحنكين الساهرين على حفظ ملكهم وتقويته وجعله وراثياً في نسله ولكن جهله بمبادئ اتقاء الامم وطبع الاستبداد الذي فطر عليه شوها ادارته وأفسد تدبيره ونفرا اهل البلاد منه ومهدا السبيل للسردار احسن تمهيد .

الفصل الثامن

في

استرجاع الخرطوم وسائر السودان

استرجاع الخرطوم سنة ١٨٩٨ :

استعداد السردار للزحف على الخرطوم ، وشرع السردار بعد واقعة
الابترة في الاستعداد للزحف على الخرطوم وأم درمان فزاد عمال سكة الحديد
ومدّها من ابي حمد الى الابترة ومد الى الابترة ايضاً خط التلغراف وشرع في
مده من بربر الى سواكن وكان قد استلم كسلا من التليان كما مرّ فمد خطاً
تلغرافياً منها الى سواكن .

قوة جيش السردار : ورأى ان الجيش الذي حضر واقعة الابترة لا
يكفي لفتح ام درمان فاستنصر دولته فأنجذته بآلاي آخر مؤلف من ٤ اورط
فأصبح جيشه مؤلفاً من القوات الآتية : ٤ اورط سوارى انكليز و ٩ اورط
سوارى مصريين و ٨ بلوكات مهبانة وبطاريتين مدافع انكليزية وخمس
بطاريات مدافع مصرية والفرقة البيادة الانكليزية وفيها آلايان بثنائي اورط
والفرقة البيادة المصرية وفيها اربع آلايات بست عشرة اورطة . ورجلة الجيش

نحوه ٢٥ ألفاً. ضم اليه نحو ألفي رجل من العربان المتحابية من العباددة والجمعيلين والجميعاب والمسلمية والشكرية والشانقية والبطاحين وغيرهم . وأحضر من بلاد الانكليز ثلاث مدرعات مثل التي احضرها لحة دنقلة فبناها في العبيدية شمالي بربر وسماها بأسماء « السلطان والملك والشيخ » فأصبح عنده لحة الخرطوم عشر مدرعات وهي: السلطان والملك والشيخ والفتاح والناصر والظافر وقماي والتيب وأبوطليح والمتمة . ففرق وابور الظافر عند شندي في ٢٨ اوغسطس فبقي ٩ مدرعات . فحشد هذا الجيش كله في الاتبرة ثم في ودحامد شمالي شلال السبلوقة . وفي ١٤ اوغسطس سنة ١٨٩٨ ألقت ادارة الجيش كما يأتي:

قومندان عموم القوة	الفريق السر هربرت ككتشر باشا (سردار)
رئيس اركان حرب	ويادوانه الكبتن اللورد سمل والبكبائي رتسن
مدير قلم المخابرات	اللوا رندل باشا
مدير مساعد قلم المخابرات	الميرالاي ونجت بك
مدير مساعد قلم المخابرات	اللوا سلاطين باشا
مساعد ادجوتانت جنرال	والماجور الشريف م. ج. تلبوت
(للجيش الانكليزي)	الكبتن السر ه. س. رولنسن
حكيمبائي الجيش الانكليزي	والكبتن ي. ي. برنارد
حكيمبائي الجيش المصري	الجراح الجنرال و. تيلر
حكيمبائي بيطري الجيش الانكليزي	الميرالاي جلوي بك
حكيمبائي بيطري الجيش المصري	الكبتن ج. ل. بلنكنسوب
ادارة التعمينات	القائمقام جريفت بك
(للجيش الانكليزي)	الكولونل ل. ا. هوب
ادارة التعمينات	والماجور ه. ج. مورغن
(للجيش المصري)	الميرالاي روجرس بك
مدير حملة النقل	والقائمقام دراج بك والبكبائي بلنت
	الكولونل ككتشر

الكولونل ر. هـ. مارتن	قومندان السواري الانكليزي
القائمقام برودود بك	قومندان السواري المصري
القائمقام تدوي بك	قومندان الهجانة
الكولونل م. ج. لونج	قومندان الطويحية

الماجور جنرال جاتيكر	قومندان فرقة البيادة الانكليزية
الجنرال ووشب	قومندان الالاي الاول
الجنرال لتون	قومندان الالاي الثاني

اللواء هنتر باشا	قومندان فرقة البيادة المصرية
الميرالاي مكدونلد بك	قومندان الالاي الاول (وفيه الاورط الـ ٢ و ٩ و ١٠ و ١١)

الميراي مكسول بك	قومندان الالاي الثاني (وفيه الاورط الـ ٨ و ١٢ و ١٣ و ١٤)
------------------	---

الميرالاي لريس بك	قومندان الالاي الثالث (وفيه الاورط الـ ٣ و ٤ و ٧ و ١٥)
-------------------	---

الميرالاي كولنسن بك	قومندان الالاي الرابع (وفيه الاورط الـ ١ و ٥ و ١٧ و ١٨)
---------------------	--

القومندان كولن كبل	قومندان العمارة البحرية
الماجور ستورت ورتلي	لقومندان العربان المتحابة

وفي ٢٤ اوغسطس زحف السردار بالجيش من ودحامد الى جبل الرويان جنوبي شلال السيلوكة. وأمر الماجور ستورت ورتلي قومندان العربان المتحابة فصار تجاهه في شرق النيل. وفي ٢٨ منه أبقي مستحفظاً من المؤن والنخائر واسبتالية حربية في جبل الرويان وسار بسائر الجيش طالباً ام درمان وكانت الواورات تتقدمه في النيل وجمال الحملة تتعقبه في البر والعربان المتحابة تسير

في حذائه في الشرق فبات ليلته عند جبل الشيخ الطيب على نية الزحف بالبر والبحر على الخرطوم وأم درمان في الغد . وفي تلك الليلة أرسل الى التعايشي يتهدده بكتاب هذا نصه :

« من سردار الجيوش المصرية والانكليزية الى عبد الله التعايشي زعيم السودان »

« اعلم ان شرورك في السودان ولا سيما قتلك الجمل الغفير من نفوس المسلمين الابرياء أوجبت تقديمي بيجوشي الى هذه البلاد لديك سلطتك وإراحة البلاد من شرك وبغيك . ولكن بين جيوشك كثير من الاهلين الكارمين لك ولحكومتك ومن العواجز والنساء والاولاد الذين لا نريد ان يلحقهم سوء فاعزل هؤلاء من ديمك الى مكان لا تصله القنابل والرصاص لتلايقتلوا وتكون أنت المسئول عن دمائهم امام الله واثبت أنت وأشياعك فقط في ساحة القتال لتلاقوا النعمة التي أعدها الله لكم . وأما ان كنتم تودون التسليم حقناً للدماء فاعلموا اننا نستقبل رسلكم استقبالا حسناً ونعاملكم بالعدل والسلام في ١١ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ هـ ، ٣٠ اغسطس سنة ١٨٩٨ م . فجعلنا من هذا الكتاب صورتين وعلقنا كل صورة في رأس عود وأرسلناهما مع عبد ففرز عوداً منها قرب كرري والآخر في الطريق بين كرري وأم درمان . أما الكتاب الذي وضع قرب كرري فقد بقي الى ان تقدم الجيش ولقيه ضابط انكليزي فترجمه ونشره في جرائد بلاده وأما الكتاب الثاني فيظن انه وصل للخليفة ولكننا لم نر له جواباً .

استعداد الخليفة للدفاع : أما الخليفة فانه بعد واقعة الاتبرة يتقن ان الجيش زاحف عليه قريباً فجمع مجلس شوره من التعايشة وغيرهم للنظر في الاستعداد للدفاع . قيل وكان من رأي يعقوب اخي الخليفة وسائر التعايشة الهجرة الى دار الغرب ولكنهم لم يحسروا ان يبدوا هذا الرأي للخليفة فحملوا الزاكي عثمان الذي حضر واقعة الاتبرة على القول به فلما انتظم المجلس سأل الخليفة كلا من الحضور عن رأيه حتى انتهى الى الزاكي عثمان فقال : « اعلم

يا مولاي انتا لم نفس ما كنا عليه قبل ان خصلك الله سبحانه بالخلافة فقد كان أعظم رجل منا يملك بقرة او بقرتين يرعاهما في البادية في النهار ويأتي بهما في المساء فيحلبهما فيشتري بنصف لبنها عيشاً يصنعه عصيدة ويجعل عليه باقي اللبن ملاحاً فيأكله هو وزوجته وأولاده ولكن من حين اجتماعنا بك أطعمتنا بما تأكله أنت وأكل اولادنا مما يأكله اولادك ولبس نساؤنا مما يلبسه نساؤك وصار كل من حضر في هذا المجلس كملك في بيته وفي الناس فليس بكثير علينا اذا نصرناك وغديناك بدمائنا ولكن يا مولاي اذا هوى قصرك هذا علينا في هذه الساعة فما الذي نفعله بحكم السليقة والطبع أنقف حق يسقط علينا ويهلكنا أم نفر من وجه الخطر . وأنا أؤكد لمولاي ان الجيش الذي حاربنا في الاتبرة لا طاقة لنا على حربه هنا فاذا وقفنا له تغلب علينا وأهلكنا لا محالة . وأم درمان ليست بلادنا حتى نقف فيها وندافع عنها فالأولى بنا أن نأخذ رجالنا وأسلحتنا ونرحل الى كردوفان فاذا لحقنا جيش الحكومة اليها وهو لا يفعل ذلك إلا بعد استعداد كثير وزمن طويل هجرناها الى شكا وهي دارنا فاذا جاءت اليها قاتلناه ودافعنا عن وطننا حتى انتصرتنا او متنا . فاحتدم الخليفة غيظاً من هذا الرأي لأنه لم يكن يطبق الخروج من مركز ملكه وعزه وقال لمن عن يمين الزاكي « شيله ام آذان ، أي الطمه كفا على وجهه ففعل ثم قال لمن عن شماله وأنت ايضاً شيله ام آذان ففعل ثم امر فجرتوه الى السجن وكبلاه بالحديد . وقال الخليفة : يا سبجان الله يستقبح عبدالله ودسعد الفرار ويقاوم جيشاً ضخماً كجيش محمود بثلاثمائة رجل لأجل حلة واحدة ونحن رجال المهدي وأنصارها المديدين نجبن عن حرب جيش الكفرة المخذول لأجل السودان كله فأننا أحارب حتى انتصر او يقتل جيشي كله فأجلس اذ ذاك على فروتي عند قبة المهدي وأسلم أمري الى الله . فنكس جميع اهل المجلس رؤوسهم ولم يحسر احد ان يحببه بكلمة . ثم تشفع شيخ الدين بالزاكي فأخرجه من السجن وألحقه بيمعقوب فبقي الى ان مات معه في واقعة أم درمان كما سيجيء .

تأريخ السودان

طواحي الخليفة ومدافعه وطوبجيته : وشرع الخليفة في حشد الجيوش في ام درمان والاستعداد للدفاع وكان من أهم ما شغله وابورات الجيش وقد أعد لمقاومتها ١٧ طابية طابيتين في الخرطوم واحدة عند المقرن وأخرى عند السراي وطابيتين في البر الشرقي جنوبي الحلفاية واحدة في الصبائي وواحدة في شمبات واثنين في جزيرة توتي و ١١ طابية في ام درمان . وكان قد بنى سبع طواب في مضيق السبلوكة ولكن اضطر الى اخلائها لجمع رجاله حوله من جهة ولعدم مقدرته على امدادها بالمؤن والذخائر من جهة اخرى . وكان عنده من المدافع ٦٣ مرّ تفصيلها فكان منها اثنان في الترسانة بقصد تصليحها وثمانية في بيت الأمانة غير قابلة التصليح و ١٩ مدفعاً معدة لساحة القتال والباقي وهو ٣٤ مدفعاً موزعة على الطواحي السبع عشرة وكلها بمعدة ١٥٢ رجلاً من الطوبجية المصريين الذين كانوا في الأسر وعليهم رؤساء من التعايشة . وقد كان لكل طابية جناحان مفتوح بها المزاغل وعليها نفر من الأنصار المسلحين بالبنادق .

الغام الخليفة : وما استنبطه الخليفة لمقاومة وابورات الجيش الألفام فانه أمر رجلاً مغربياً من عمال الترسانة يدعى منوراً فصنع له لغماً من البارود في اسطوانة كبيرة من حديد أتى بها من معمل النيلة القديم في الكاملين وجعل للغم ديكاً يرمي على كبسولة متصلة بالبارود وحمل اللغم في مركب جره وابور الاسماعيليه وأتى به الى وسط النيل تجاه خور شمبات لينصبه للوابورات فأفلت الديك من يده سهواً على الكبسول فانفجر اللغم وحطم المركب والوابور تحطيماً وقتل جماعة من البحارة والعمال وفيهم منور نفسه . ثم أمر الخليفة عمال الترسانة ان يصنعوا ألفاماً اخرى فلم يفلحوا .

وابورات الخليفة : هذا وكان وابور محمد علي الملقب كاو كاو والفائسر المعروف عندهم بالمنصورة قد غرقا في السد . وشبين والمسلمية قد عتقا وتعتلا . وأرسل الصافية الى فاشودة لمحاربة البيض كما سيجيء فلم يكن في ام درمان

سوى بوردين والتوفيقية ومعها ٥١٩ مركباً فخبأها الخليفة في خور لأنها لم تكن تصلح للدفاع وبقي كل اعتماده في مقاومة الواورات على طواحي شرقي النيل وقوتي والخرطوم وام درمان .

العربان المتحابة وفتح شرق الخرطوم : وفي فجر اول سبتمبر زحف السردار بالجيش والواورات والعربان المتحابة قاصداً ام درمان حتى تجاوز جبل كرري عند الظهر فوقف بالجيش في مكان يدعى العجيبة على نحو ٨ اميال من ام درمان . وكان قد اصدر امره الى الواورات والعربان المتحابة في الشرق لمقاومة طواحي العدو في الشرق والغرب والخرطوم . وقد تقدم ان في الشرق بين الحلفاية والخرطوم طابيتين شمبات والصباي فصار الماجور ستيورت حتى أتى بلدة شمبات فوجدها خالية وعلم ان في طابيتها التي على شاطئ النيل على نحو ميل منها أميراً من الجعليين يدعى محمد ود قايت ومعه عشرون رجلاً من اهله وبعض الطويحية المصريين ومدفع واحد وان في طابية الصباي على ربع ساعة منها أميراً من التعايشة يدعى غالي جودة ومعه ٢٠ رجلاً من البقارة والجهادية وبعض الطويحية المصريين وان في بلدة الصباي نفسها أميراً من التعايشة يدعى عيسى زكريا معه نحو ٣٠٠ رجل من اخلاط العربات ومعهم كتيبة من الفرسان التعايشة . فأمر الماجور ستيورت الشيخ ابراهيم ود فرح كبير الجعليين بأخذ طابيتي الصباي وشمبات وأمر ميسرة بن الزبير باشا كبير الجميعاب والطاهر العبيد (الذي وقع اسيراً في فركة) كبير المسلمية بمهاجمة بلدة الصباي من الجنوب وهاجمها هو بالمعابدة وعليهم عبد العظيم بك من الشمال تاركاً العربان المسلحين بالحرايب والسيوف في شمبات . فزحف الشيخ ابراهيم على طابية شمبات وارسل الأمان الى اميرها فسلم له ثم تقدم الى طابية الصباي فأخذها عنوة وانتقل على بلدة الصباي لنجدة الماجور ستيورت . وقبل وصوله اليها اغار فرسان الدراويش على الماجور ستيورت فانهمز المعابدة امامهم وكان مع الماجور ستيورت ابن الجنرال ود فثبت للفرسان ورماهم بمسدسه فجتدل فارساً منهم وصاح الماجور ستيورت بالمعابدة فثبتوا وصوبوا

نيرانهم على الفرسان . ووصل في هذه الأثناء الشيخ ابراهيم لنجدتهم فرأى
فرسان العدو انهم اصبحوا بين قوتين فانقلبوا راجعين الى الصبائي . وكانت
عيسى زكريا قد تحصن برجاله في بيت من بيوت البلدة فأطبق عليه ميسرة
الزبير والطاهر العبيد من الجنوب والشيخ ابراهيم من الغرب . وعبد العظيم
والمعابدة من الشمال فقتلوه هو ومعظم رجاله . وكانت خسارة العربان المتحابة
في هذا الهجوم ١١ قتيلاً و ١٨ جريحاً وأما خسارة الدراويش فقد قدرت
بنحو ٢٠٠ رجل . وحضر هذه الواقعة طنوس افندي شحادة من موظفي
مخابرات الحدود فأظهر فيها من البسالة والدرية ما أطلق لسان الماجور
ستيورت بالثناء عليه . ولما تم للماجور المذكور فتح الشرق انضم الى الواورات
وكان الوقت الظهر .

الواورات وفتح توتي والخرطوم : أما الواورات فكانت في أثناء
القتال في الشرق تساعد العربان المتحابة برمي القنابل على طابيتي شببات
والصبائي . ثم انقلبت على طابيتي توتي حتى اسكنتها وتقدمت الى الخرطوم
فأخذتها عند العصر .

رمي ام درمان بالقنابل : هذا وكان مع الواورات بطارية من البطاريات
الانكليزية المعروفة بالهويتزرس فلما اخذت طابيتا شببات والصبائي نزلت
البطارية الى البر الشرقي وصويت قنابلها على ام درمان . وبعد اخذ الخرطوم
وتوتي انضم اليها الواورات فخرّبت في ام درمان واسوارها وكانت طواي
ام درمان تجيب نيرانها إلا انها لم تحسن الضرب فلم تصبها بأقل ضرر . وكان
الهويتزرس قد صويت بعض القنابل على قبة المهدي ففتحت في قمتها ثغرة
كبيرة فذعر الناس من ذلك . قيل وصاح الخليفة ويلاه من نار الكفرة فقد
هشموا قبة المهدي ولم يخافوا الله . وفي المساء جاء ضابط من ضباط البحرية
وأخبر السردار بما كان من فتح الشرق وتوتي والخرطوم فاطمان قلبه وتفرغ
للخليفة وأم درمان .

واقعة ام درمان الجمعة في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ :

خروج الخليفة لمقاومة السردار : وكان الخليفة قد أنفذ الامير عبد الباقي من اهله ليراقب حركات الجيش فأقام في وادي بشارة حتى زحف الجيش من الاتبرة فرجع الى شلال السبلوقة وصار كلما تقدم الجيش جنوباً يتقهقر امامه ويرسل بخبره الى الخليفة حتى دخل ام درمان الاربعاء مساء . وكان الخليفة لما علم بخروج الجيش من جبل الرويان الاربعاء صباحاً في ٣١ اوغسطس سنة ١٨٩٨ خرج بجميع جيوشه من المدينة الى ساحة العرضة غربيها . وكان عدد جيوشه ٥١٧٨٩ مقاتلاً فيهم ٨٦ اميراً و ٥٤٩٥ فارساً و ١٤٣٠٠ راجلاً مسلحين بالبنادق الرمنتون وغيرها والباقيون مسلحون بالسيوف والحراب كما بيناه قبل . ويوم الخميس في ١ سبتمبر عند الضحى زحف الخليفة من ساحة العرضة لمقابلة جيش السردار على الترتيب الآتي : جيش الملازمة الجديد وجيش الكاره وجيش الخليفة علي ودخلو في صف واحد في المقدمة وجيش يعقوب ومعه جيوش الخليفة شريف وعثمان ازرق وعثمان دقنة في الساقة والخليفة في وسط حرته الخصوصي بينهما . وكان السردار عند وصوله الظهر الى المعجبة قد صعد هو وأركان حربه الى الاكمة على نحو ٨٠٠ يرد من البلدة في طريق ام درمان تعرف بجبل صرغام فرأى جيوش الخليفة على ثلاثة اميال من الاكمة فتوج في عرض ذلك البر كأنها بحر عجاج فظن ان الخليفة يهاجمه في ذلك اليوم فرجع للحال عن الاكمة وأخذ يستعد للملاقاته فصف العساكر حول البلدة على هيئة نصف دائرة طرفاها يمان النيل - الجيش المصري الى اليمين والجيش الانكليزي الى اليسار - وجعل الحملة في الوسط والوابورات تحمي ظهرها في النيل . فأقسام الجيش الانكليزي زريبة من شوك للتترس بها وأما الجيش المصري فلما لم يجد الشوك في جهته حفر خندقاً وقترس به . وكانت بيننا وبين الخليفة سهل فسيح جداً في وسطه الى اليسار جبل صرغام الذي كان يحجب جيش الخليفة عنا وبين الجبل والنيل الطريق الى ام درمان والى يميننا جبل كرري الذي يمتد من النيل الى مسافة بعيدة في الصحراء . وفي

الساعة الثانية بعد الظهر عاد كشافة الجيش وأخبروا ان الخليفة وقف يحيشه عند خور شمبات . ثم جاءت الانباء انه ينوي الهجوم ليلا . ولما لم يكن الهجوم ليلا من مصلحة الجيش ارسل قلم الخبايا الجواسيس من اهل العجيعة فلتشروا الخبر في معسكر الخليفة ان الجيش يستعد لمهاجتهم قبل دخول الليل وذلك ليشغلهم بالاستعداد للدفاع عن الهجوم . على ان الخليفة لم يقرّ على مهاجمة الجيش ليلا لأنه كان على يقين ان الجيش مستعد للقائه أي وقت جاءه وأن عنده الانوار الكشافه فيلقي بها على جيشه فيجاريه وهو يرى ولا يرى . ثم انه لم يكن واثقا من ولاء جميع رجاله وثباتهم معه الى النهاية فخاف انه اذا أمرهم بالهجوم ليلا ان يتستروا بالظلام ويفروا فيفسلوا . فعقد مجلسا من أخصاء اهل مشورته وأقروا على تأجيل الهجوم الى الصباح .

ولما كان فجر الجمعة في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ صلى الخليفة الصبح وتقدم يحوشه مهاجما الزريبة حتى بلغ جبل صرغام فتواري به وجعل الجميلين والشابقيه والدناقلة شرقي الجبل الى النيل وقال لهم أنتم العباسية نصرة الدين فسدوا هذا الثغر . وجعل عثمان دقنة وعبد الباقي عبد الوكيل ومساعد قيدوم في صف آخر وراءهم لنجدتهم ومنعهم من الفرار . وجعل جيش السكارة بقيادة ابراهيم الخليل غربي الجبل والى يساره جيش الملازمة بقيادة ابنه عثمان شيخ الدين وكان شيخ الدين نفسه في وسط قلعة من ملازمة تليف على ٤٠٠٠ مقاتل وراء الصفوف بعيدا عن مرمى القنابل والى يسار جيش الملازمة جيش الخليفة علي ود حلو وبقي يعقوب اخو الخليفة بالراية الزرقاء وراء الجميع .

الهجوم الاول : ولما كانت الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ سمعنا اصوات التهليل والتكبير الى الزريبة فعلمنا ان جيوش الخليفة تهاجمنا ولم يمض إلا بضع دقائق حتى رأيناهم مهاجمين في هيئة هلال متسع على نحو ٢٥٠٠ يرد منا . وكان السردار قد أعد جيشه منذ الساعة ٤ قبل الفجر وبدأت الواورات ترمي قنابلها على ام درملن منذ الساعة ٥ والدقيقة ٢٠ فما اطل الدراويش حتى تلقاهم طويحية الزريبة بالقنابل فلم يبالوا بها وما زالوا مهاجمين حتى صاروا

على نحو ١٢٠٠ يرد من الزريبة قبدأ الجيش باطلاق البنادق ومدافع مكسيم . وقد هاجم الدراويش اولاً . ميسرة الزريبة ثم قلبها ثم ميمينها فاشتعلت النيران من كل انحاءها وأنجدها الواورات في النيل بمدافعها من اليمين والشمال فكان لأصوات البنادق والمدافع في البر والبحر من الجيش والعدو دوي لا يعبر عنه بالقلم . وكنت اذ ذاك على هضبة عالية وسط الزريبة تشرف ساحة القتال من كل الجهات فكنت أرى الدراويش فرساناً ومثاة يسقطون دسفا وراء صف امام نيران الجيش الحاصدة وهم يتلقونها بقلوب لا تهاب الموت حتى رأوا انه يستحيل عليهم اختراق هذه النيران الى الزريبة فنكصوا عنها بعد ان فقدوا اعظم ابطالهم وأعز رجائهم .. أما الجمعليون والشايقية والذناقلة الذين هاجموا ميسرة الزريبة فما لبثوا بعد ان حمي الوطيس ان انقلبوا راجعين الى ام درمان لأنهم سيقوا الى ساحة الوغى بالرغم . وأما جيش الكارة الذين هاجموا قلب الزريبة فانهم كرهوا مستبسلين حتى صار بعضهم على نحو ٥٠٠ يرد منا فكنوا في منخفض من الارض تجاه الجيش الانكليزي وصوبوا رصاصهم عليه فقتلوا وجرحوا وكان في جملة القتلى ضابط انكليزي وعدة عساكر ومن الجرحى المستر وليمس مكاتب الدالي كرونكل والكولونيل رودس (اخو استر سسل رودس الشهير) مكاتب التيمس فصوب الطويحية الانكليز قنابل مدافع الميدان عليهم فنكلوا بهم واضطروهم الى الفرار وبقي جيش الكارة يجاهد محاولاً اختراق الزريبة حتى قتل قائدهم ابراهيم الخليل فحملوه الى الخليفة فأمرهم ان يذهبوا به الى ام درمان ويدفنوه هناك ففعلوا . وأما شيخ الدين فانه بقي في وسط حرسه الخاص بعيداً عن مرمى القنابل وقسم جيشه قسمين قسماً هاجم قلب الزريبة مع جيش الكارة فغخل معه وقسماً انضم الى الراية الخضراء فهاجموا السواري والطويحية في ميمنة الزريبة على جبل كرري وقتلوا منهم ودحروهم الى النيل وغنموا مدفعاً من مدافعهم ولكن لم يكن إلا القليل حتى أسرعوا الواورات الى نجدهم وأنجدهم ايضاً عساكر الميمنة فأكثروا من القتل في الأعداء وهزمهم شر هزيمة واسترجع السواري مدفعهم . وما كانت الساعة

٨ والدقيقة ٣٠ حتى المجلى الدراويش عن ساحة القتال .

هجوم السوارى الانكليزي : وكان الخليفة اذ ذاك لم يزل في مركزه وراء جبل صرغام واخوه يعقوب ورايه وعثمان دقنة عن يمينه الى جهة النيل وعثمان شيخ الدين بقلعته في أقصى جبل كرري وبقره جيش الخليفة علي ود حلو وجميعهم متوارون عن نظر الجيش فظن السردار انهم تركوا القتال وانهزموا الى ام درمان فأرسل السوارى الانكليز (اورطة اللانسرس الحادية والعشرين) في الطريق التي بين جبل صرغام والنيل لقطع طريق العدو ثم شكل الجيش مربعات جاعلا كل لواء مربعا وسار في أثر السوارى « بهيئة تدريجيه » .

هجوم السوارى الانكليز : ولكن ما انتهى السوارى الى منحدر الجبل الجنوبي حتى هب عثمان دقنة من كمينه وأشعل فيهم النار وذلك في الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ وكانوا اذ ذاك على مقربة منه فلم يكن لهم بد من اختراق صفوفه فبدلوا في شواكل خيلهم المهايمز وأطلقوا لها الأعنة واندفعوا على الصفوف فتلقتهم بالسيف والحراب فجاهدوا جهاد الأبطال المدربين حتى اخترقوا الصفوف واتخذوا لهم مكانا على ٤٠٠ يرد منهم حيث ترجلوا وأصلوهم نارا لم يطبقوها فانهزموا غربا الى الراية الزرقاء وعاد السوارى الى الجيش وقد فقدوا ٢١ قتيل فيهم اللفتنت غرنفيل و ٤٩ جريحاً وقتل وجرح من خيلهم ١١٩ .

المهجوم الثاني : وفي أثناء ذلك كان السردار يتقدم نحو ام درمان بالألوية الخمسة فما وصل منحدر جبل صرغام الشرقي حتى جاءه الخبر بأن الخليفة لا يزال مقيماً بأنصاره غربي الجبل فأصدر امره في الحال بتغيير السير واتجه الجيش الى اليمين وكان الخليفة قد أصدر امره لأخيه يعقوب صاحب الراية الزرقاء (السوداء) فحمل الجيش حملة صادقة وكان هجومه على لواء مكدونلد فتصدى له هذا القائد الباسل وأسعفه قواده المدربين الميرالايات وولتر وناسون وجكسن قومندات الاورط التاسعة والعاشر والحادية عشرة السودانية فدرّبوا جنودهم أحسن تدريب وصدوا هجمات العدو المرة بعد المرة وما زال

رجال يعقوب يكرون على اللوائين طالبين اختراق صفوفه او الموت وثيران اللواء تنكل بهم تنكيلا حتى تراكمت جثث القتلى كالرعى وقتل يعقوب نفسه وخذل جيشه . وكان الخليفة قد أرسل حرسه الخاص بقيادة بجيت جاموس لنجدة اخيه يعقوب فأصابه ما اصاب يعقوب .

المجوم الثالث : ولكن لم ينته اللواء من هذين الجيشين حتى كان جيش الراية الخضراء قد أقبل عليه من الغرب وهاجم من عن اليمين فاتجه اللواء نحوه وصب عليه نيرانه وصد هجائته المتتابعة وجندل ابطاله وهزمه أقبح هزيمة . وكان السردار قد أرسل لواء وشب الانكليزي لنجدة مكدونلد فلم يكده يصل اليه حتى كان قد أتم عمله . وأمر لواء مكسول ولواء لتلتون فأخذا جبل صرغام ثم دارا الى الغرب ووجها نيرانها على الفارين من رجال الراية الزرقاء ثم من رجال الراية الخضراء فأوغل هؤلاء في الفرار غربا فتبعهم السواري والهجانة وقتلوا منهم وأسروا .

فرار الخليفة من ساحة القتال : أما الخليفة فانه ثبت في مكانه حتى انهزم جيش الراية الخضراء . وعلم ان أخاه يعقوب قد مات فأيقن بالخذلان التام ولم ير بابا للنجاة سوى الفرار ففر مع بعض اصحابه وأخصائه وأرسل خبرا الى ابنه عثمان شيخ الدين بترك الحرب وموافاته الى ساحة العرضة غربي ام درمان ففعل .

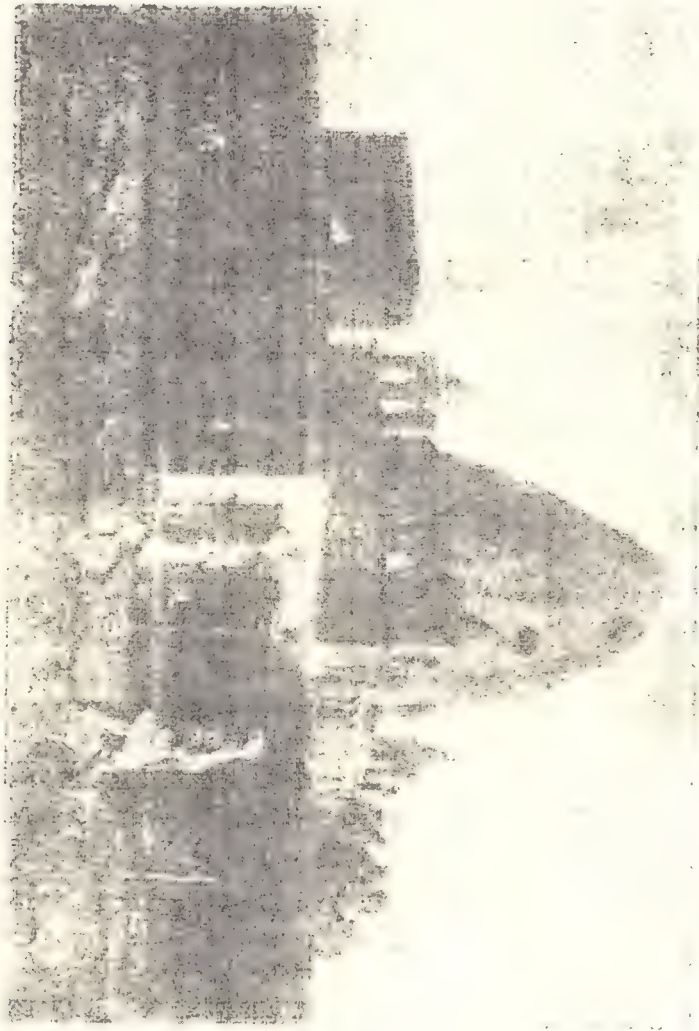
احتلال الجيش لأم درمان : وفي الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ أمر السردار بإيقاف النيران وتقدم الى خور شمبات ومعه لواء مكسول ولواء لتلتون فأحتله الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ واستراح نحو ساعتين حتى تكامل الجيش في الخور ثم تقدم الى ام درمان ومعه اركان حربه وفيهم الميرالاي ونجت بك مدير المخابرات وسلاطين باشا مساعده ولواء مكسول وستة مدافع من الطويحية الانكليز تحفق فوقه راية الجيش والراية الزرقاء التي غنمها من الواقعة ولما وصل ضواحي المدينة خرج اهله الى جانبي الطريق فاستقبلوه بالترحيب والتأهيل

وعلت اصوات النساء بالزراغيت وما زال سائراً حتى وصل الزاوية التمايلة الغربية من السور فسأل عن الخليفة فقالوا انه داخل منزله فأرسل مدفعين وثلاث اورط من لواء مكسول فوقفوا غربي الجامع لقطع طريق الخليفة وتقدم هو بالاورطة الثالثة عشرة السودانية والاربعة مدافع الباقية للقبض عليه فدار حتى دخل من باب السور الشرقي الذي يفتح على النيل وأتى منزل الخليفة وقتل عنه فلم يجده .

فرار الخليفة من ام درمان ، وكان الخليفة قد أتى من ساحة العرضة الى منزله ومعه ابنه وأخصاؤه وضرب النحاس والأمبابة بقصد جمع الناس لمقاومة الجيش داخل السور فلم يجتمع عليه إلا القليل فرأى انه اذا بقي وقع في قبضة الجيش فأخذ نساءه ونساء المهدي وأركن الى الفرار جنوباً ومعه بضعة آلاف من الجهادية والعرب البقارة وفيهم: عثمان شيخ الدين ابنه وهارون محمد اخوه من أبيه والسنوسي احمد اخوه من امه والخليفة علي ود حلو والبشير عجب الفيه امير كنانة والخليفة شريف الذي تخلف عنه في الطريق وأتى مسلماً كما سيجيء والبشرى ابن المهدي صهره والفاضل ابن المهدي صهر الخليفة شريف والصديق ابن المهدي وعثمان دقنة وعبد القادر ام مريوم الذي تخلف عنه وأتى مسلماً بعد ايام ويونس الدكيم وعبد الباقي عبد الوكيل وحامد علي الذي كان في كسلا ويعقوب ابو زينة من أخص أقربائه وغيرهم . وبفراره اصبحت ام درمان بل السودان كله بيد السردار والى ذلك أشار نساء ام درمان بقولهن :

اليلة هاي قلبوها تركية ود تورشين شرد رقدوا الملازمة

وكان فرار الخليفة قبل دخول السردار بساعة على انه بقي داخل السور بعض البقارة فربوا السردار وأركان حربه بالرصاص ولكن كانت رصاصهم عالياً فلم يمسنا بضرر . ثم ان الطويجية الذين جعلهم السردار عند باب الجامع الغربي لما سمعوا اطلاق النار من داخل السور ظنوا ان الخليفة لم يزل محاصراً



قبة المهدي بعد واقعة أم درمان

فيه فرموا بالقنابل الى داخل السور فوقعت قنبلة عند باب القبة حيث كانت السردار وأركان حربه فأصاب الشريف هيوبورت هوارد مكاتب النيويورك هارولد فقتلته فأسف عليه كل من عرفه . فأرسل السردار أمراً الى الطويحية بإيقاف النار وخرج من السور فأتى الى السجن وكان فيه ٨٨ سجيناً بينهم ابراهيم باشا فوزي والمستر نوفل يرسفان بالقيود فأطلق سراحها ووضع الخفراء على السجن وبيت الخليفة وبيت يعقوب وبيت شيخ الدين وبيت الامانة وبيت المال وغيرها من المحلات الشهيرة وبات ليلته يجمع الجيش غربي المدينة .

مطاردة الخليفة : وكان السردار حالماً تحقق فرار الخليفة قد أرسل في أثره السواري والهجانة ومعهم سلاطين باشا في البر وأرسل مدرعتين في النيل فطارده السواري والهجانة مسافة ٣٠ ميلاً حتى أعيت ركائبهم ونفذ زادهم وطارده الواورات تسعين ميلاً جنوباً فلم يدركوه فعادوا كلهم الى ام درمان .

رفع الرايتين : ويوم الاحد في ٤ سبتمبر أي بعد الواقعة بيومين عبر السردار النيل الى الخرطوم فرفع الرايتين الانكليزية والمصرية معاً على خرائب السراي وأقام الصلاة عن نفس المرحوم غوردن . ومن هذا اليوم دخل السودان في عصر جديد فعرف باسم السودان الانكليزي المصري . وعرفت الواقعة بواقعة الخرطوم وواقعة ام درمان وواقعة كرري وهي اكبر واقعة رأها السودان منذ قام العالم ولقد أظهر السودانيون فيها من البسالة واحتقار الموت والاستهلاك في سبيل الغرض ما لا مزيد عليه .

جهاد الجيش : أما الجيش المصري الانكليزي فكل رجل فيه جاهد حق الجهاد واستحق أطيب الثناء وان 'خص' بعضهم بالمدح كلواء مكدونلد والسواري الانكليزي . وأما الموظفون الملكية الذين صحبوا هذا الجيش وشاركوه في الاتعاب والاضطار فاستحقوا الثناء فأمهم : شاهين افندي جرجس الذي حضر واقعة الاتبرة وواقعة الهيزة من قبلها وابراهيم افندي ديمتري وجورج افندي مظلوم وكلهم من موظفي المخابرات . وخطار افندي

كنعان ومحمود افندي عباسي وحسن افندي حسني من موظفي السردارية .

القتلى والجرحى : وقد قتل في هذه الواقعة من الدراويش نحو عشرة آلاف رجل وجرح مثل ذلك وأكثر. وكان في جملة القتلى من الراية الزرقاء : الامير يعقوب ومحمد ابن المهدي صهر يعقوب وأب بسام تعايشي من اخصاء شوري يعقوب وعثمان الدكيم اخو يونس الدكيم ومحمد الزاكي وعثمان امير بربر وعثمان ازرق وحسين ودجزو الحمري واحمد حمدان العربي ومحمد بشاره امير دنقلة سابقاً وسليمان كشه تاجر المنوعات . ومن جيش الكاره : ابراهيم الخليل امير الجيش ومحمد اسحق التعايشي وحامد صابون الرزيقي . ومن الراية الخضراء : عبدالله وداحمد ودابوسوار وكيل راية دغيم واحمد ودعبد الجليل ابن عم الخليفة علي ودخلو واحمد عبدالله برجوب امير ربع اللحويين واحمد ود المكي الدنقلوي كاتب الراية .

أما خسارة الجيش فكانت ٤٩٠ قتيلاً وجريحاً من انكليز ومصريين . فالقتلى من الجيش الانكليزي ٣ ضباط و ٢٤ عسكرياً ومن الجيش المصري ضابطان و ٢٧ عسكرياً وأما الجرحى فمن الجيش الانكليزي ٨ ضباط و ١٢٥ عسكرياً ومن الجيش المصري ١٥ ضابطاً و ٢٨٦ عسكرياً .

وقد دفن قتلتان بالاكرام اللاتق بهم . وسمح السردار لأهل المدينة فذهبوا الى محل الواقعة ودفنوا اقاربهم . وبعد الواقعة بأيام معدودة صعدت على جبل صرغام لمشاهدة محل الواقعة فاذا بالقتلى قد غطت السهل من حوله على مدى النظر والنسور قد حامت فوقها أسراباً فملأت الجو وكان المشهد مما تنقبض له النفس اشد الانقباض ويوجب منتهى السخط على الحروب وأسبابها .

اوراق الخليفة : وفي ثاني يوم الواقعة عند الفجر أتى رسول بكتاب من الشيخ مدثر ابراهيم الى الميرالاي ونجحت بك مدير الخبايرت يسأله الامان فذهب المدير الى بيت الشيخ مدثر وأعطاه الامان وسأله عن كتب الخليفة وأوراقه فدله عليها وكان بعضها في منزله وبعضها في منزل الخليفة وكنت قد صحبت

المدير فشرعت في فرزها وجمعها في عشرين عدلاً وأتيت بها الى مكتب الخابرات في مصر فاذا هي جامعة لأهم ما دار من الكتب بين الخليفة والمهدي من قبله وبين امرائها وغيرهم في الجهات وقد تحققت منها بعض الوقائع التاريخية واستشهدت بها كثيراً في هذا الكتاب . وأعطانا الشيخ مدثر ختم الخليفة وأما ختم المهدي فقد عثر عليه بعض رجال الحملة ليلة الواقعة وباعه الى المستر كوك الشهير في مصر .

بيت الخليفة : ثم جلنا في بيت الخليفة فوجدناه فارغاً بعد ان كان مفروشا بأفخر الاثاث والتحف السودانية إذ أن اهل المدينة وغيرهم قد نهبوا ليلة الواقعة ولم يبقوا فيه سوى كرسي كبير من خشب في القاعة المعدة لجلوسه .

قبة المهدي وقبره وجثته : وخرجنا من بيت الخليفة الى قبة المهدي والجامع فاذا هما كما وصفناهما قبل إلا أن قنابل الجيش قد هشمت قمة القبة وجانباً من جوانبها العليا وفتحت فيها عدة ثغور . وأما قبر المهدي فقد كان محاطاً بدرابزون من النحاس إلا أن الرداء الذي كان يغطيه مأخوذ عنه . وفي ١٨ سبتمبر لغمت القبة فسقطت الى الارض ولم يبق قائماً منها إلا اركانها الاربعة . ونش قبر المهدي وأخرجت جثته فحمل رأسه الى معرض التحف بلندن وبعثت عظامه .

بيت يعقوب ومال الخليفة : ثم ذهبنا الى بيت يعقوب قرب بيت الخليفة حيث كان يظن ان مال الخليفة محفوظ فيه فوجدنا عدة مخازن مملأة بالثمن والذخائر كالدرة والبن والقرب وسروج الجمال والجبب والسيوف والحراب والخنود ونحوها . وأتينا الخزن الذي كان يحفظ فيه المال فوجدنا بابه مغلوعاً والصناديق التي فيه فارغة وبينها صندوق صغير قيل كان فيه الجواهرات الكريمة التي غنمها الدراويش من الخرطوم والحشة ولم نجد من المال سوى كيس من « خيش » فيه ٤٠٠ ريال مجيدي فسالنا الحفراء عن ذلك فقالوا

انهم منذ اتوا مساء الواقعة وجدوا الباب مغلوعاً وصدق قولهم بعض الاهالي فقالوا ان بعض رجال يعقوب لما علموا بقتله اسرعوا الى منزله فخلعوا الباب وحملوا ما استطاعوا حمله من المال وفروا هاربين .

بيت الامانة : ثم ذهبنا الى بيت الامانة قرب بيت يعقوب فوجدنا مخازن كبيرة من البارود تحت الارض وأشياء شتى من التحف والمهات الحربية بينها مدفع وعدة صناديق جيبخانة وخمس عربات كانت للحكمدارية والمرسلين الكاثوليك في الخرطوم ونحو ١٠٠ نقارة من نقاير اهل البلاد جمعها الخليفة بعد استيلائه على الملك لكي يحصر السلطة كلها في يده ولا يكون في البلاد رأس يجمع للحرب غيره . وكان بينها نقارة كبيرة مكتوب عليها : « ملك السلطان يادي بن نول سنة ١١٦٧ هـ » وهو الملك السادس عشر من ملوك سنار الملقب بأبي شلوخ الذي اشتهر في حرب الحبشة وقد مر في تاريخ سنار. ونقارة الخليفة (المنصورة) موضوعة على دكة مرتفعة على شكل نصف دائرة عند مدخل باب البيت يصعد اليها بسلم كانت تضرب عند اجتماع رجاله للعرضة . وفي احدى الغرف الكبيرة معرض للتحف والغنائم الحربية وقد جعلوا ما غنموه من كل دولة على حدة فترى هناك غنائم من المصريين والأحباش والتليان والبلجيك والشلوك وبين هذه الغنائم صندوق صغير عليه ورقة صغيرة مكتوب عليها هكذا : « هذا الصندوق داخله الاصناف الآتية ادناه المحضرة من بحر الجبل برفقة سعيد صغير في شهر ربيع آخر سنة ١٣١٤ هـ - نيسان . ميزان هوا . ختمات . بوسطة ووقائع » ففتحت الصندوق فلم اجد فيه غير «البوسطة والوقائع» وهي جرائد افرنسية وتحارير خصوصية لبعض الضباط البلجيك من اقاربهم في اوربا .

والى شرق بيت الامانة بيت مال الحربية وفيه معمل الخرطوش والاسلحة الصغيرة وأما معمل البارود فقد كان في جزيرة توتي . وكان هناك اسدان كبيران نقلتا الى حديقة الحيوانات بمصر .

بيت المال : ثم ذهبنا الى بيت المال فوجدنا فيه نحو ٢٠٠ قنطار من العاج
أتي بها من خط الاستواء . ومحل الضربخانة وفيه ٨ قوالب « تمغة » العملة
و ٣ صناديل و ٣ مرزبات و ١٥ سندالاً من سناديل الصياغ و ١٥ مطرقة
حديد و ١٥ ماشة حديد و ١٥ نفاخ جلد و ٥ مبارد مثلثة لبرد العملة .
ومطبعة الحجر التي غنموها من الخرطوم واستعملوها لطبع منشائر المهدي
وزواتبه ثم لطبع منشائر الخليفة وكتب اخرى وأهم ما طبع فيها غير
منشورات المهدي ورواتبه : رسالة حسن سعد العبادي ورسالة العوام ورسالة
الشيخ الحسين ابراهيم ولد الزهراء ومنشور منع الظلم للخليفة وكتاب الزوجية
في الميراث وكتاب النصائح المرسلة الى الجهات البحرية ومنشور ترك الاسلحة
النارية ودعوة رمضان والجزء الثاني من تاريخ فتوح الشام . أما منشورات
المهدي فقد طبعت في جزئين ووزعت على الجهات .

سجن الخليفة : وبعد الواقعة بأيام ذهبت الى السجن مع قدمندان ام
درمان لانقاذ باقي المسجونين فاذا هو عبارة عن حوش متسع محاط بسور من
الحجر وفي وسطه بعض الأكواخ من الطوب والطين وكان الباقي فيه من ال ٨٨
سجيناً نحو ٤٠ رجلاً وكان بعضهم مقيداً بالمكاكي وبعضهم بالمكاكي والجنازير
وبعضهم بلا قيد فأمر القومندان باطلاق سراحهم ففكوا قيودهم بالحجارة
والعصي وهم يدعون للحكومة بالنصر والتأييد . وكان أهم من في السجن
عدا ابراهيم باشا فوزي والمستر نوفل المار ذكرهما : الشيخ محمد شريف نور
الدائم استاذ المهدي وقد سجن لعدم ولائه للخليفة والعوض المراضي و ابراهيم
رمضان لاتهمها بمحاولة الفرار و ابراهيم محمد حمزة لاتهمهم بالمساعدة على انقاذ
سلاطين باشا وحسن سرف ام كدوك كبير البرته لأنه علم بفرار سلاطين ولم
يخبر به وبولص صليب من كتاب الحكومة في الخرطوم لأنه زوج ابنته لرجل
من الأقباط بعد ان أمر بحفظها للخليفة وحمد محمد الملك من دنقلة لعدم ولائه
لحكومة التعايشي .

أسرى الحكومة : وكانت في ام درمان نحو ١٤٠٠ رجل من الموظفين الملكيين والضباط والعساكر النظامية والباشبوزق الذين وقعوا في أسر الدراويش وأهمهم عدا ابراهيم باشا فوزي: القائم محمد بك اسكندر والملازم يوسف افندي منصور والميرالاي النور بك محمد والقائم عثمان بك الدالي والقائم السيد بك جمعة والدكتور احمد افندي زكي من اطباء الخرطوم . ذلك ما عدا ٨٠٠ عائلة من عيال الضباط والملكيين الذين توفوا في أثناء الحصار او بعد الأسر .. وكان فيها ٥٣ رجلاً من التجار الأروام والتليان والشوام والارمن واليهود واكثرهم من الاروام وقد عرفوا بالمسلمانية كما مرّ وسكنوا حياً خاصاً بهم فكان انظف احياء المدينة واجملها وقد غرس البعض في دورهم الليمون البرتقال والحامض والحناء وأهمهم : الخواجه يوسف الشبخاني اللبناني المشهور بالروعة والوفاء ولين المريكة وجورجي اسطمبولية المار ذكره ونعم عجي الحلبي ومعهم الراهبة تريزة من راهبات المرسلين النمساويين في الابيض وقد أمرها الخليفة بالزواج فخافت اذا امتنعت عنه ان يزوجها رجلاً من اهلها فتزوجت بتاجر رومي مسيحي وبنت جورجي بك الحكيم الذي قتل في واقعة هكس وقد تزوجت برجل رومي آخر فأرسل السردار جميع هؤلاء الأسرى الى مصر ... وكان في ام درمان من الاحباش الذين وقعوا في أسر التعايشي ٢٣٣ نفساً فأرسلهم السردار الى الحبشة عن طريق مصر ومصوع .

موظفو السودان «والمأهيات» والتعويضات والرُّجْع : وانهالت طلبات الاسرى وغيرهم من سكان السودان على المالية المصرية فمن طالب ماهيته في أثناء الثورة ومدة الأسر ومن طالب ديناً أسلفه للجيش مدة الحصار وذلك بموجب رُجْع محفوظ في يده او مفقودة منه ومن طالب تعويضاً على ما فقده من الاموال بسبب الثورة فانقسمت طلباتهم الى ثلاثة أنواع : مأهيات ورُجْع وتعويضات أما المأهيات فقد سعى السردار مع المالية فوزعت على الموظفين الملكية والعسكرية من باشبوزق ونظامية وعلى عيال المتوفين منهم ٢٩ ألف

جنه وذلك بنسبة ماهياتهم وسني خدمتهم وكفاءتهم. وأما الرجوع فقد نُوزع على أصحابها ٤٠ الف جنيه. وأما التعويضات فقد نظر في كل طلب على حدة وكوفى المستحق منها.

حادثة مارشان واحتلال فاشودة في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ :

مارشان في فاشودة : اتصل بنا قبل وصول الحملة الى ام درمان ان جيشاً من البيض جاء من الجنوب، فاحتل فاشودة وان الخليفة أرسل مرية من أنصاره في وابورين واحد عشر مركباً ومدفعاً بقيادة سعيد صفيّر الجملي لطرده منها. فلما دخلنا ام درمان تأكدنا الخبر . وبعد الواقعة بأسبوع أي في ٩ سبتمبر اقبل احد الوابورين « التوفيقية » وهو يظن انه يجد الخليفة فوجد السردار وقصّ عليه الخبر فقال : « وصلنا تجاه فاشودة صباح ٢٥ اوغسطس فوجدنا البيض قد تحصنوا في طابيتين فرميناهم بالقنابل والرصاص فأجابونا بالرصاص ودام القتال الى قرب الغروب فقتل منا ٣١ رجلاً وجرح ٦٠ ووجدنا ان لا قدرة لنا على حريهم فانثنينا عنهم الى الرنك وجئت بهذا الوابور لأخذ المدد». فشرع السردار في الاستعداد للزحف على فاشودة . وفي فجر اليوم التالي ١٠ سبتمبر خرج بجبهة وابورات حاملة بلوكاً من الكامرون هيلندرس وأورطتين سودانيتين وبطارية من الطويحية المصرية ومعه اركان حربه الباسل الكولونيل ونجت مدير المخابرات العام وسار حتى اقبل على الرنك في ١٥ سبتمبر فتلقاه الدراويش بقنبلة من مدفعهم ففتح مدافعه عليهم فقتل منهم وأسر وكان في جملة الأسرى سعيد صفيّر امير السرية وغنم وابور « الصافية » واحدى عشر مركباً .

السردار في فاشودة : ثم استطرد السير جنوباً نحو فاشودة حتى صار على ١٢ ميلاً منها فأرسل الى رئيس السرية الاوربية في فاشودة كتاباً بتاريخ ١٨ سبتمبر يخبره بما كان في ام درمان والرنك وانه واصل قريباً لاحتلال فاشودة. وفي صباح ١٩ سبتمبر استطرد السير الى فاشودة فالتقاه في الطريق زورق

عليه الراية الفرنسية فلم ان هؤلاء البيض هم فرنساويون ثم وصل الزورق وفيه بعض العساكر السود ومعهم كتاب من الموسيو مرشان الى السردار حينئذ بالنصر على الخليفة ويخبره ان حكومته اوعزت اليه فاحتل ببحر الغزال الى مشرع الريك ثم جاء الى فاشودة فاحتلها في ١٠ يوليو وعقد معاهدة مع ملكها عبدالفضيل على ان يكون تحت حماية فرنسا ثم ذكر له انتصاره على الدراويش وانه يثب يطلب المدد من فرنسا بطريق الحبشة وطريق ببحر الغزال وكان مع مرشان تسعة ضباط فرنساويين فيهم الكبتن جرمان و ١٢٠ عسكرياً من عبيد، النيجر . فلما وصل السردار تجاه فاشودة جاءه مرشان الى الوابور ومعهم الكبتن جرمان فحياهما وهنأهما بالسلامة . ثم التفت الى المايجور مرشان وقال اني ماذون ان اصرح لك بأن وجود فرنساويين في فاشودة وفي وادي النيل يعد تعدياً صريحاً على حقوق مصر وبريطانيا العظمى واني بحسب الأوامر المعطاة لي أقيم الحجة على احتلالك فاشودة ورفعك الراية الفرنسية في أملاك الحضرة الفخيمة الحديوية . فأجابه المايجور مرشان انما انا عسكري وليس لي إلا الطاعة . والامر الذي تلقينته من حكومتي باحتلال ببحر الغزال وفاشودة صريح لا يقبل التأويل والآن قد أتممت الامر فلست أستطيع ان افعل شيئاً حتى تصدر لي أوامر جديدة . فقال السردار وانا مأمور من حكومتي ان ارفع الراية المصرية في فاشودة فهل انت مستعد بالنيابة عن الحكومة الفرنسية ان تقاومني ثم قال والرجاء ان لا تبدي الحكم النهائي قبل النظر ملياً في الامر واذا قررت اخلاء فاشودة والنزول الى مصر عن طريق الخرطوم فاني اعطيك وابوراً من هذه الواپورات تنزل فيه . فرفض مرشان بتاتا اخلاء فاشودة قبل الوقوف على أوامر حكومته بهذا الشأن وقال للسردار اني لا اضادك في رفع الراية المصرية على فاشودة بشرط ان تبقى الراية الفرنسية في مكانها ثم قال وانا عالم بضعف قوتي بالنسبة الى قوتك ومع ذلك فاذا أخرجتني وقررت ازالة الراية الفرنسية بالقوة فاني ادافع عنها الى ان أموت انا ورفاقي تحتها. فرضي السردار بترك الراية الفرنسية في مكانها ورفع الراية

المصرية على ٥٠٠ ياردة منها في الطرف الجنوبي من الطابية القديمة المصرية ثم أطلق ٢٠ مدفعاً تحية لها ووضع عندها اورطة من العساكر السودانية و ٤ مدافع ووابور حربي بقيادة الماجور جكسن وكان ذلك الساعة الاولى بعد ظهر ذلك اليوم . ثم تقدم الى سبت فبلغها بعد ظهر ٢٠ سبتمبر فأسس فيها طابية على شاطئ النهر الغربي عند التقائه بالنيل الابيض ورفع فوقها العلم المصري ووضع فيها نصف اورطة سودانية وأرسل بلوكاً من العساكر فاحتل الناصر وانقلب راجعاً الى ام درمان فوصلها في ٢٤ سبتمبر وعسكر بالجيش في خور شمبات .

زيارة الجنرال غرنفل لأم درمان : وقدم في هذا اليوم من مصر الجنرال غرنفل السردار السابق وقومندان جيش الاحتلال العام فكث أياماً فشاهد محل الواقعة وتفقد الأحوال وعاد الى مصر .

اخلاء مرشان لفاشودة : وعرض السردار أمر مرشان لتغرافياً الى مصر فاعترضت الحكومة المصرية رسمياً بلسان طرس باشا غالي فاطر خارجيتها على احتلال فرنسا لفاشودة وسألت الحكومة الانكليزية ان تساعد على ذلك . فطلبت الحكومة الانكليزية من الحكومة الفرنسية اخلاء فاشودة وجاشرت بأنه ليس لدولة اوروبية حق في أي جهة من جهات النيل . وكان مرشان قد ارسل الكبتن جرمان بتقريره الى فرنسا ثم جاء بنفسه الى مصر لتلقي اوامر دولته فرأت دولته بعد النظر ملياً في الأمر ان الحكمة والسداد بقضيان بإخلاء فاشودة فأصدرت امرها الى مرشان فرجع الى فاشودة وأخلاها في ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ وعاد الى فرنسا عن طريق سبت والحبشة .

رجوع السردار الى مصر : وقام السردار وأركان حربه من أم درمان في ٣ اكتوبر سنة ١٨٩٨ فسافر بجرأ الى الاتبرة ثم بسكة الحديد الى حلفا فبحراً الى اصوان فبسكة الحديد الى مصر فوصلنا مصر صباح ٦ اكتوبر بعد سفر ٣ ايام. بلباليها وهذه اول مرة وصل فيها المسافر من ام درمان الى مصر

بهذا الوقت القصير منذ قام العالم . ثم بنى جسراً (كوبري) على الاتبرة أقامه على ٨ ركائز وفتحه في ٢٦ اوجسطس سنة ١٨٩٩ . وشرع في مد سكة الحديد الى الخرطوم فتحت في آخر يوم من سنة ١٨٩٩ فزادت المسافة قصراً وستقصر ايضاً بعد وصل سكة حديد اصوان بسكة حديد حلغا في المستقبل القريب ان شاء الله .

مكافأة السردار ومدير الخبايرات : وقد دلت اعمال السردار في فتح الخرطوم وجميع الفتوحات التي تقدمته على مقدرة فائقة في الاقتصاد المالي والادارة العسكرية كما دلت على براعة تامة في الفنون الحربية فكافأته حكومته بلقب لورد وخبرته باللقب الاضافي فاختر الخرطوم فسمي اللورد ككتشنر أوف خرطوم .

وكان الكولونل ونجت مدير الخبايرات العام يده اليمنى في هذه الفتوحات كلها فرقته حكومته في جيشها ومنحته نيشان القديسين ميخائيل وجورج مع لقب « سر » ورفي في الجيش المصري الى رتبة لواء مع لقب باشا وسمي ادجوتانت جنرال للجيش المصري وذلك في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨ .

احتلال القضايف في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ :

خروج احمد فضيل قاصداً ام درمان : تقدم ان الخليفة بعد احتلال الجيش لدنقلة أتى بأحمد فضيل من القضايف للاستعانة به على الجيش فلما اخذت الحكومة المصرية كسلا من التليان سنة ١٨٩٧ ظن انها ترسل جيشاً منها على القضايف فأخرج من جيش احمد فضيل رايتي فضل الحنة وعبد الله حامد فضمها الى جيش محمود كما مر وأرجعه الى القضايف ليوقف في وجه جيش كسلا . ثم كانت واقعة الاتبرة وزحف السردار على ام درمان ولم يتحرك جيش كسلا من مكانه فأمر احمد فضيل فأبقى في القضايف حامية مؤلفة من نحو ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة سعد الله التعايشي ومعه النور عنقرة المشهور بالوقوف في صدد جيش كسلا وسار هو بمعظم القوة أي بنحو ٤٠٠٠ مقاتل من السود

والعرب المسلحين بالبنادق الرمنتون طالباً امدرمان لانجناد الخليفة ولكنه ما وصل رفاعة على النيل الازرق حتى كانت واقعة امدرمان وأصبحت البلاد كلها بيد السردار .

واقعة القضايف : وكان السردار قبل سفره الى فاشودة قد علم بخروج احمد فضيل من القضايف فأرسل امراً الى بارسونز باشا بالزحف على القضايف وأوعز الى هنتر باشا بالذهاب بالوابورات في النيل الازرق لمراقبة حركات احمد فضيل ورفع الرايتين المصرية والانكليزية على سنار والرصيرص. فخرج بارسونز باشا من كسلا في ٧ سبتمبر ومعه ١٤٠١ من العساكر النظامية و ٢٨ ضابطاً مصرياً و ٨ ضباط انكليز ونحو ٨٥٠ من العربان المتحابة من الشكرية وبني عامر والهدندوة فاعترضه نهر الاتبرة في الطريق فصنع اطواقاً من الخشب وعبر بها النهر عند الفاشر وأما الجمال والخيول فقد عبرت النهر سباحة وسار عن يسار الاتبرة الى ان انتهى الى جزيرة المقطع في ١٨ سبتمبر . وكانت « دورية » الدراويش قد جاءت من القضايف لمراقبة حركاته فقتل منها ٣ وأسر ٧ . وسار قاصداً القضايف حتى أتى تلة مشرفة عليها في صباح ٢٢ سبتمبر فرأى الدراويش قد خرجوا اليه مصطفىين للقتال فأشعل فيهم ناره ودارت رحى الحرب بين الفريقين فدامت الى الساعة العاشرة ونصف اذ انهزم الدراويش وتشتت تملهم . وتقدم بارسونز الى القضايف فخرج النور عنقرة بمدفعين و ١٥٠ رجلاً وسلم له وكان بيده كتاب الأمان من ادارة مخابرات الجيش اذا خرج مسلماً عند مجيء الساعة فأراه الكتاب فأمنه ودخل القضايف عند الظهر .

رجوع احمد فضيل الى القضايف : أما هنتر باشا فانه عند صدور أمر السردار اليه بمراقبة احمد فضيل لم يكن عنده من الواپورات إلا واپور واحد فأرسله بقيادة الشريف الماجور تليوت فالتقى بأحمد فضيل قرب ابي حرار فرماه بالقنابل وأبعده عن النيل ولم يتمكن من العبور الى الجزيرة فعسكر في

الصحراء على ٨ اميال من ابي حراز وهناك علم باحتلال جيش كسلا للقضارف فانقلب راجعاً الى القضارف وهاجمها في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ هجمة صادقة من كل الجهات وكان جيش الحكومة قد تحصن في ثلاث طواب من بناء الدراويش فتلقاه بنار حامية وصدد هجماته المتتابة العنيفة المرة بعد المرة وردّه خائباً بخسارة ٥٠٠ رجل فقعد لحصار القضارف في جبل عصّار على ٨ اميال جنوبها وأرسل « الدوريات » لقطع طريق الجيش الى كسلا . وفي اواسط اكتوبر سنة ١٨٩٨ التقت « دورية » من جيشه بنفر من العساكر يخفرون خزانة فيها ١٦٠٠ جنيه مرسلّة من كسلا فانقضت على الخفراء وقتلت منهم وحملت الخزانة الى عصّار . وكان مع الخفراء امين افندي حداد مترجم اللواء بارسونز باشا فبذل الجهد في تخليص الخزانة فلم يفلح فنجأ بنفسه .

احتلال سنار والرصيرص : وفي ١١ سبتمبر خرج هنتر باشا في النيل الازرق فأسس نقطة في سنار ونقطة في الرصيرص وقفل راجعاً الى ام درمان في ٢ اكتوبر .

واقعة الرصيرص في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨ : وكان السردار قد عاد اليها من فاشودة في ٢٤ سبتمبر كما مر فلما علم برجوع احمد فضيل الى القضارف أرسل رندل باشا رئيس اركان حربه يحيش من العساكر في النيل الازرق لمطاردته والاتحاد مع جيش القضارف على سحقه . فلما وصل رندل الى ابي حراز أرسل سرية من جيشه الى القضارف بقيادة القائمقام كولنسن بك فسار بطريق القلعة أرانج ووصل القضارف في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٩٨ :

فأخذ بارسونز إذ ذاك في الاستعداد للخروج على احمد فضيل في عصّار أما احمد فضيل فانه تيقن بعد وصول المدد الى القضارف انه لا يقوى على أخذها فأقرّ على تركها واللحوق بالخليفة فخرج من عصّار في ظهر ٢٣ اكتوبر قاصداً الرصيرص للمبور منها الى الجزيرة فهجره ابو بكر دود بنقة من امراء دارفور بنحو الف مقاتل وانضم الى بارسونز باشا فبقي معه نحو ٣٠٠ مقاتل

ما عدا النساء والأولاد فسار بهم الى شلال الرصيرص وشرع في اجتياز النيل الازرق الى الجزيرة فأتاه الميرالاي لويس بك قومندان حامية الرصيرص بنحو خمسمائة رجل من الاورطة العاشرة السودانية ومدفعين مكسيم وكان قد عبر بنحو نصف جيشه الى الجزيرة فأشعل النار في من بقي في البر الشرقي فرمى البعض بأنفسهم في النيل وثبت البعض فدافعوا مستقتلين حتى قتلوا ووقع الباقون اسرى . وفي اثناء ذلك كان احمد فضيل ورجاله الذين اجتازوا النيل معه الى البر الغربي قد اصطفوا على الشاطئ وفتحوا نيرانهم على العساكر حامية لآخوانهم في الشرق فقتلوا من العساكر وجرحوا فحوّل العساكر مدافع المكسيم عليهم فأسكتهم وهزمهم .

القتلى والاسرى : وكانت خسارة الجيش ٢٨ قتيلًا و ١١٨ جريحًا وأما خسارة العدو فكانت ٥٠٠ قتيل ما عدا الذين غرقوا في النيل . وأسر الجيش نحو ٣٠٠٠ نفس من الرجال والنساء والأولاد وغنم شيئاً كثيراً من المواشي والخراب والسيوف . وكانت هذه الواقعة التي عرفت بواقعة الرصيرص في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨ . وفي اليوم التالي عاد الجيش الى الرصيرص وأما احمد فضيل فانه سار بمن بقي من رجاله الى النيل الابيض فالتقوا بوابور البتمة آتياً من فاشودة وكانوا قد تعبوا وجاعوا وشموا عيشة القتال والفرار من مكان الى مكان فلم يكثرهم الى الوابور في ١٧ يناير سنة ١٨٩٩ واجتاز احمد فضيل النيل بمن بقي فانضم الى الخليفة عبد الله الذي كان لا يزال يتنقل في جبال النوبة كما سيجيء .

احتلال القلابات في ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨ :

وبقي بارسونز في القضايف الى ان جاءه الامر باحتلال القلابات فأرسل اليها الميرالاي كولنسن بك فاحتلها ورفع عليها العلم المصري والعلم البريطاني في ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨ . وكان الحيلة قد احتلوا قبله ورفعوا عليها علمهم بحجة ان مصر تركتها لهم سنة ١٨٨٥ فأخبر كولنسن حكومته بذلك

فدارات المفاوضات السياسية بين مصر والحبشة بهذا الشأن وانتهت برجوع الحبش عن القلايات وبقائها للسودان كما كانت في الاصل ثم فتحت فيها سوق وضربت العوائد على حاصلات السودان والحبشة فكان نصفها لحكومة السودان والتصف الآخر لحكومة النجاشي .

احتلال الجزيرة وسنار وفازو غلي سنة ١٨٩٨ :

وكان في الجزيرة احمد السني عاملاً في ود مدني ومعه نحو ٨٠٠ مقاتل فسلم للماجور تلبوت في ١٥ سبتمبر عند بحيه لمطاردة احمد فضيل كما مر . وكان فيها ايضاً صالح حمادو التعايشي محافظاً بثلاثمائة مقاتل ومعه الشيخ عبدالرحيم ابو دقل شيخ عربان الحمر فسلم الشيخ عبد الرحيم للشيخ الطاهر ود الميبد . وأما صالح حمادو فانه لم يسلم إلا بعد ان حال في الجزيرة ورأى عجزه عن الفرار فسلم في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٨ .

تسلم الخليفة شريف في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ : وتخلف الخليفة شريف واثنان من اولاد المهدي وهما الفاضل والبشرى عن الخليفة عبدالله عند جزيرة أبا فسلموا للبكباشي بليوت الذي ذهب من الدويم لاستقبالهم .

جبال الفونج : وكان على الفونج محمد سرور وهو من سلالة الهمج إلا انه لم يكن وارث الهمج وإنما كان وارثهم ادريس رجب وقد حبسه الخليفة في ام درمان فأعطاه مدير الخبايا الامان وأرسله الى الجبال فحكمها باسم الحكومة .

وكان هنتر باشا قد احتل سنار والرصيرص في شهر سبتمبر سنة ٩٨ كما مر . فتقدمت عساكر الحكومة الى فازو غلي فاحتلتها وأسست نقطة في فامكة في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ . وأما بني شنقول فانها بقيت بيد الحبشة كما تقدم الكلام . .

احتلال بحر الغزال سنة ١٩٠٠ :

الفرنساويون في بحر الغزال : تقدم ان الدراويش أخذوا بحر الغزال في اكتوبر سنة ١٨٨٦ فصارت الى أهلها وان فضل النبي اصيل غزام في أوائل سنة ١٨٩٣ فقتلوه . وفي ١٤ يوليو سنة ١٨٩٤ عقد الفرنسيون اتفاقاً مع حكومة الكونغو على ان تكون بلاد بحر الغزال ضمن دائرة نفوذهم وأسسوا نقطاً حربية في ديم الزبير وبحر العرب واورميك وايك ومشع الريك وغيرها ثم تقدموا الى فاشودة فاحتلوها حتى تقرر خروجهم منها ومن بحر الغزال سنة ١٨٩٨ بكا مر .

وكان السردار لما جاء الى سبت أمر الماجور بيك بالذهاب الى مشع الريك ورفع علم الحكومة عليها فخرج من سبت في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٨ وسار حتى صار على بضعة أميال من مشع الريك فنعمه السد عن مواصلة السير فرفع الراية المصرية هناك وعاد ثم فتح السد ولكن لم يتيسر للحكومة احتلال بحر الغزال إلا في أواخر سنة ١٩٠٠ فأرسل السردار الحسايلي اللواء سباركس باشا بسرية من العساكر فوصل مشع الريك في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٠ واحتل بلاد بحر الغزال فجعل عاصمتها واو .

وقائع خط الاستواء سنة ١٨٨٩ : ١٨٩٨ :

مر بنا ذكر وقائع خط الاستواء الى سنة ١٨٨٩ اذ كان عمر صالح اميراً على الرجاف من قبل الخليفة وفضل المولى مقبلاً في ودلاي مع بقية جيش امين باشا . وفي سنة ١٨٩٢ ارسل الخليفة أبا قرجة عاملاً على الرجاف وجعل المختار من أقارب رقيباً عليه وفي ايامه حضر البلجيك الى بحر الغزال وخط الاستواء وأسسوا نقطاً حربية فكتب المختار الى الخليفة يخبره بقدمهم الى خط الاستواء والمحرف ابي قرجة عن التعايشة . فأرسل الخليفة عربي دفع الله عاملاً على بحر الجبل فوصل الرجاف في ١٠ ربيع ثاني سنة ١٣١١ هـ ٢١

اكتوبر سنة ١٨٩٣ بعد سفر شهرين و ١٢ يوماً وما أبطأ ان قبض على أبي قرجة وزجه في السجن .

وكان البلجيك قد أدخلوا فضل المولى وعساكره في خدمتهم على شروط معلومة بتاريخ ١٩ اكتوبر سنة ١٨٩٢ فصمم عربي دفع الله على طردهم جميعاً من البلاد فسار أولاً الى فضل المولى وكان مقبلاً قرب ودلاي فقتله وشتت شمله وغنم ما كان معه من اسلحة وجبجخانه وكتب وغيرها وأرسلها الى الخليفة . وكان قد طلب مدداً من الخليفة فأرسل اليه عمر صالح العامل الاسبق ومحمد حمدنا الله وبعض الأنصار في ثلاثة وابورات فخرجوا من ام درمان في أوائل سنة ١٣١٢ هـ فاعترضهم السد في الطريق ففتحوه بعد كل جهد ومشقة الى شامي وبعثوا رسلاً منها الى عربي دفع الله وكان قد استبطأهم وأتى الى بور يتنسم أخبارهم فلقية الرسل في بور فأخبروه بحبس السرية في شامي وانها في أشد الضنك مما تقاسيه من العري والجوع والمرض فأثام بزاد وحاول فتح السد من شامي فلم يفلح فأعاد الواورات الى الخليفة وأتى بمن بقي من جماعة عمر صالح ومحمد حمدنا الله الى الرجاف . ثم جمع جيشه وهاجم البلجيك في نقطهم الغربية فأوقع فيهم ٣ وقعات كان النصر له فيها جميعها .

واقعة الرجاف في ١٤ فبراير سنة ١٨٩٧ : فجهز البلجيك سرية من العساكر بقيادة الموسيو شلتن ونزلوا على الرجاف يوم الاثنين في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٧ فأوقعوا في عربي دفع الله واقعة عنيفة وطرده من الرجاف واحتلوها مكانه وكانت خسارة البلجيك ١٠٠ قتيل و١٦٠ جريحاً وأما خسارة الدراويش فكانت ٩٣ قتيلاً وفيهم عمر صالح ومحمد حمدنا الله ومحمد الطريفي وعلي ود فايت والبدوي ود العريق .

وكان محمد عثمان ابو قرجة ومحمد خالد زقل واسماعيل شجر الخيري قد لجأوا الى البلجيك سنة ١٨٩٦ فلم يبقَ مع عربي سوى : ٤٠٠ رجل وكلهم من عامة الانصار وليس معهم سوى أسلحتهم وقليل من الجبجخانه فانهمزوا بهم الى بور وبعث بالخبر الى الخليفة ولكن كتبه لم تصل بلاد فاشودة حتى كانت

السردار قد استل ام درمان وسار في النيل الابيض فالتقى الرسول في الطريق وأخذ منه الكتب .

عربي دفع الله : أما عربي دفع الله فانه لما علم بقدوم الجيش وفرار الخليفة من ام درمان فرّ يبيشه الى شكا فأرسل السردار بعضاً من الباشبوزق لمطارده ففر منهم الى بلاد فرتبت ثم انضم الى علي دينار في الفاشر .

زقل وابو قرجة واسماعيل شجر الخيري، أما زقل وابو قرجة واسماعيل شجر الخيري فانهم أتوا مع قافلة من التجار الى وداي واستجاروا بسلطانها فمات اسماعيل شجر الخيري هناك ولجأ زقل وابو قرجة الى علي دينار . ثم قبل ان زقل أغرى بعض الأمراء بقتل علي دينار فعلم به هذا فقتله وأما ابو قرجة فلا يزال عنده الى الآن .

حملة الكولونيل مارتو من اوغندة : وكانت الحكومة الانكليزية عند قيام السردار لفتح ام درمان أمرت الكولونيل مارتو والمajor مكدونلد من مقاطعة اوغندة فخرجوا بسرية من العساكر لمقابلة حملة السردار ومساعدته على طرد الدراويش من وادي النيل . فلما أتى السردار الى سبت في ٣٠ سبتمبر أرسل اليها كتاباً بما كان فكتب مارتو من الدفلاي بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ٩٨ يقول انه اوصل قطع الوابور الى اللابوره وسيقدم شمالاً الى ان يلتقي السردار . أما السردار فانه أمر المajor بيك بعد ان عاد من سفرة بحر الغزال ففتح السد في بحر الجبل بعد معاناة مشاق جمة وأسس نقطة في منجلا شمالي اللادو فجعلت آخر حد السودان المصري الانكليزي . وأما القسم الجنوبي من خط الاستواء فألحق بأوغندة وأعطيت اللادو وما حولها للملك البلجيكي على ان تعود للانكليز بعد وفاته .

الخليفة بعد واقعة ام درمان سنة ٩٨ : ١٨٩٩ :

لا تقطعن ذنب الاعمى وترسلها ان كنت شهياً فاتبع رأسها الذنبا

حالة الكولونيل كتشتر على الخليفة في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ : تقدم ان الخليفة فرّ من واقعة ام درمان وسار جنوباً متخذاً طريق الصحراء واستمر على الفرار حتى وصل « ابا ركة » فأقام فيها بأتباعه وكتب الى الحقيم موسى الذي أبقاه محمود حامية في الابيض فانضم اليه بأنصاره وبعض العائلات التي أبقاها محمود في بارة. وكتب الى مشايخ النوبة وكردوفان للانضمام اليه ولكن قلّ من أجابه . وكتب الى احمد فضيل كتاباً هذه نصه بعد البسلة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي «عم» الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى المكرم احمد فضيل كان الله له وقولاه آمين : بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فنعلمك أيها الحبيب إنا غنك سائلون ولك بالخير والبركة داعون وما زلت ملحوظاً منا بعين الرضى ومزيد الاكرام لما انت عليه من القيام بأمر الدين وبذل المهمة فيه فجزاك الله عن ذلك خيراً وهداك سيراً وشكر مسماك وحفظك وقولاك . ثم نعلمك أيها الحبيب اننا بحمد الله تعالى فبمن معنا من الانصار بخير وقد انحزنا عن الاعداء بعد حصول الحزب بيلنا وبينهم الى جهة دار الجوامعة بنواحي المحل المسمى بالنبيشة فنحن الآن به في أمن وأمان ومزيد اطمئنان وليس القصد من حضورنا في هذه الجهة المذكورة إلا التحيز عن الاعداء أخذاً بالحزم وإلا فليس القصد ان شاء الله تعالى إلا إعادة الكرة على الاعداء المخذولين ومحاربتهم حتى يقتصر الدين ان شاء الله تعالى ويهلك الكافرون . ثم ليكن بعلمك أيها الحبيب ان ما حصل للأعداء المخذولين فهو محض استدراج لهم واختبار وتمييز للمؤمنين من الله كما قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء » وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه متى نصر الله ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم تكون الدولة عليهم في الاحيان والنبي ﷺ بين ظهرانيهم حتى انزل الله تعالى في ذلك « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاغلبون » إن كنتم مؤمنين ان يمسمكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الايام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين

وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، فالعاقبة للمتقين بمقتضى وعد الله الذي لا يخلف فثقوا بوعد الله تعالى وأيقنوا بنصره ولا يهينكم أمر الاعداء فانهم ان شاء الله تعالى أحقر شأنًا من ان تهتموا بهم وأضعف كيداً وبعد هذا ان شاء الله تعالى لا تقوم لهم قائمة بل يكون الدين في نصر وتأييد وقواعد الاسلام في أعز تمهيد. وجميع الاصحاب الذين معكم فليكونوا على يقين من هذا الأمر وثبات فؤاد في هذا الشأن وإعراض عن سماع اقوال المرجفين والاصفاء لما يلقيه الشيطان لأولياته ليردهم ولبلبس عليهم دينهم فان لنا فيما حصل أسوة بأصحاب رسول الله ﷺ فذكروا جميع الاصحاب الذين معكم بذلك وبلغوم منا جزيل السلام فرداً فرداً أولاد عرب وجهادية وخصوصاً رؤوس المئات فأقروهم منا السلام واعلموا الجميع اننا على رضا تام من جهتكم واتسراح صدر بأذلين لهم الدعاء بالخير والبركة . ولانبهاهم احوالكم علينا قد حررنا لكم هذا الكتاب لكي بوصوله لديكم تفيدونا عن احوالكم تفصيلاً وتعرفونا بما انتم عليه وتمجلوا لنا بذلك لرفع المشغولية . ثم ليكن بملك أيها الحبيب اننا قد حررنا لك هذا ونحن في غاية الانسراح من جهتك والرضا التام عليك كيف لا وأنت من أجل الأيادي وأعظم الأعوان المعدودين للقيام بنصرة الدين فاحمد الله على ذلك واشكره والله يميزك خيراً ويثيبك اجرأ ويهديك سيراً اه .

فأتى احمد فضيل بمن بقي معه من الانصار وانضم اليه في دار الجوامعة كما مر .

حملة الكولونل كتشنر على الخليفة سنة ١٨٩٩ : اما السردار فانه اقل جنداً في الكوة وجنداً في الدويم لحماية النيل . وفي ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ أرسل أخاه الكولونل كتشنر بحملة صغيرة للقبض على الخليفة فوصل ابا ركة في ٢٦ منه فوجد الخليفة قد فرّ جنوباً ولم يكن هناك إلا نفر قليل من اتباعه فأسزرم وعاد بهم الى النيل .

حملة السردار على الخليفة سنة ١٨٩٩ : ثم جاءت الأنباء ان الخليفة قد استقر في جبل قدير وقد اتعب اهل النوبة من عرب وعجم بالغزو والسلب والتعدي فجرح عليه السردار جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠٠ مقاتل وقصده من طريق كاكا فما وصل الجيش جبل فنقر على نحو ٥٠ ميلاً من كاكا و ٣٠ ميلاً من جبل قدير حتى فر الخليفة شمالاً فعاذ السردار بجيشه الى ام درمان وترك بعض الجند بقيادة الميرالاي لويس بك يحولون في النيل في جهة الدويم ليرقبوا حركاته .

حملة السر رجينلد ونجت باشا على الخليفة سنة ١٨٩٩ :

وبعد قليل شاع ان الخليفة قادم لغزو ام درمان فجهز له السردار حملة صغيرة وولى عليها وكيله السر رجينلد ونجت باشا فقادها بما اشتهر به من البسالة والدربة والاعتدال وفاز بالغرض المطلوب فقتل الخليفة في جديد في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ وأراح البلاد من شره ورفع بذلك تقريراً وافياً الى السردار بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٩ هذه ترجمته :

واقعة ابي عادل واحمد فضيل في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩٩ :

« بناء على أمركم لي بالخروج بسرية من الجيش على احمد فضيل والخليفة عبد الله في جهة « جديد » أتشرف بأن اعرض لسعادتكم اني خرجت من الفشاشوية (غربي أبا) في ٢١ نوفمبر الجاري الساعة ٤ بعد الظهر ومعني ٣٧٠٠ رجل من السوارى والهجانة والبيادة والطويحية فرسنا ٥ اميال الى الجنوب الغربي حتى كانت الساعة ٦ فاسترحنا الى الساعة ١٠ وكانت الليلة مقمرة فاستطردنا السير على ضوء القمر حتى صرنا على ١٥ ميلاً من أبا وكنا نسير والسوارى في مقدمتنا على بعد ميلين منا والهجانة في الساقة والجناحين وقب رأى سوارينا عشرة فرسان من الدراويش فطردوهم ودلت الأنباء في الطريق ان احمد فضيل غزا العشوب فغم منها مقداراً كبيراً من الحبوب وانقلب راجعاً الى الخليفة وكان اذ ذاك في نفيسة على مقربة منا . فلما طلع فجر ٢٢

نوفمبر تركت حملة الجبال في محل حصين ومرت بالمساكر سيراً حربياً قاصداً
احمد فضيل في نفيسة ولكن لم نسر إلا القليل حتى عاد السواري وأخبرونا
ان نفيسة خالية من الدراويش فتقدمنا واحتلناها الساعة ٨ صباحاً فوجدنا
فيها كمية كبيرة من الدرة ووجدنا رجلاً مريضاً قد تخلف من جيش احمد فضيل
فأخبرنا انه خرج من نفيسة الفجر قاصداً أبا عادل على ٥ اميال منا. فأرسلت
اليوزباشي محمود افندي حسين مع بعض الفرسان لتحقيق الخبر فعاد بعد قليل
مصدقاً له فخفت اني اذا تمهلت يستطرد احمد فضيل السير جنوباً ويفلت من
يدنا فجرّدت عليه حملة بقيادة الكولونيل ماهون مؤلفة من السواري والهجانة
والمساكر السودانية غير النظامية ومعهم اربعة مدافع مكسيم ومدفعا ميدان
وأمرتهم ان يسرعوا في المسير اليه ويناوشوه الى ان أدركهم بباقي السرية فآثم
الكولونيل ماهون الأمر بمهارة تامة ولما صار على ٣٠٠ يرد من ابي عادل أتى
تلة تشرف على معسكر الدراويش فأشعل فيهم ناره . وكنت بعد خروج
الكولونيل ماهون قد أرسلت باقي الطويحية والمكسيم في أثره وسرت وراءهم
بالبياة سيراً حيثما فوصلت في الساعة المطلوبة وقد هاجم الدراويش مستققلين
وكانت حزون الارض التي بيننا وبينهم تحجبهم عنا حتى صاروا على ٦٠ يرداً
منا ولكن نيران الطويحية والمكسيم والهجانة الدائمة حصدهم حصداً وردتهم
على أعقابهم خاسرين . فتقدمت اذ ذاك بالسرية كلها الى معسكرهم في غابة
كثيفة حول بركة ماء فخرجوا منه الى سهل يغطيها العشب فتعقبهم البياة
ميلاً ونصف ميل والسواري والهجانة ومدافع مكسيم خمسة اميال فقتلوا
وأسروا وغنموا . وقد قدرت خسارة الدراويش بنحو ٤٠٠ قتيل وأما
خسارتنا فكانت قتيلاً من المساكر وأربعة جرحى فيهم اليوزباشي مصطفى
افندي شاهين .

واقعة جديد وقتل الخليفة عبد الله يوم الجمعة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ :

وبعد الواقعة أصبح هنا محصوراً في معرفة مكان الخليفة فكانت أقوال

الخبيرين فيها مضطربة وأقربها الى التصديق انه خرج من منهل الحمارة منذ ٣ ايام قاصداً منهل جديد وانه ارسل احمد فضيل ليوافيه بالحبوب الى هناك كلهم شمالاً لغزو ام درمان وعليه خرجنا من ابي عادل نصف الليل فوصلنا منهل جديد الساعة ١٠ من صباح ٢٣ نوفمبر فوجدناه خالياً ولكن لحسن الحظ وجدنا فيه بركة ماء صالحة للشرب ولولا هذه البركة لاضطررنا ان نرجع القهقري . وكنت قد رجعت من أقوال الخبراء في ابي عادل ان مياه هذا المنهل غير صالحة للشرب فأرسلت بعض الجمل للاستقاء من النيل ووجدنا في جديد رجلاً فاراً من الخليفة فأخبرنا انبه معسكر يحيشه على نحو سبعة اميال الى الجنوب الشرقي من جديد فأرسلت اليوزباشي محمود افندي حسين بكتيبة من فرسان العرب المتحابة ليكشف لنا خبره ويعين مكانه فأتى الامر بالاقدام والبسالة كما في المرة الاولى وعاد فأخبر ان الخليفة معسكر في منهل ام دبريكات على بضعة أميال منا . وقد تبين لنا ان احتلالنا لمنهل جديد أوقع الخليفة في مركز حرج جداً لأنه لم يعد بسبينا قادراً على المسير شمالاً ولا يستطيع ان يتركنا ورائه ويرجع جنوباً يجمع من النساء والأولاد في قفر وعمر لا ماء فيه وزد عليه انه كان في حاجة شديدة الى الحبوب التي أتى بها احمد فضيل واستولينا نحن عليها فل هذه الأسباب ترجع لنا انه يثبت حيث هو وكانت طريقنا في ارض شائكة وعرة مشتبكة الشجر حتى كنا في بعض المحال نفتحها بالقووس . ولما كانت الساعة ٣ من الصباح أخبرنا الكشافة ان الدراويش على ثلاثة اميال منا . وكان الكولونيل ماهون قد استكشف معسكرهم بنفسه وعين موقعه ووقف بالسواري والمكسيم الراكبة عند هضبة عالية على نحو ميلين منا . فانتظم المباركر انتظام الحرب وسرنا بجذر وهدوء حتى لم يكن يسمع لنا صوت وفيما نحن كذلك سمعنا اصوات النفاير وبوقت الامباية تبويق الحرب ثم سكنت بغتة . وفي الساعة ٣ والدقيقة ٤٠ وصلنا الى الهضبة التي وقف السواري والمكسيم عندها فأبدلنا بكشافة السواري كشافة بيادة ومكثنا ننتظر بزوغ الفجر . فلما كانت الساعة ٥ والدقيقة ١٠

من الصباح وذلك عند اول طلوع الفجر رجع الكشافة البيادة اليها ورأينا صفوف الدراويش مقبلة نحونا من بعيد فاستعد العساكر على خط النار للقتال. وفي الساعة ٥ والدقيقة ١٥ بدأت المدافع والمكسيم باطلاق النار وتبعها البيادة فشرعوا كلهم في اطلاق النار دفعة واحدة وكان نور الفجر لا يزال ضعيفاً فلم تتمكن من مراقبة حركات الدراويش بالدقة ولكن رأينا من نيرانهم التي كانت تزداد من جهة الشمال انهم كانوا يتحركون نحو تلك الجهة بقصد مهاجمتنا من الوراء فأخذ عساكر الميمنة يتحركون رويداً الى الامام وعساكر الميسرة يمدون خط النار الى جهة الشمال حتى بقي الدراويش تجاهنا ولم يتمكنهم ان يدوروا من خلفنا كما أرادوا. وكان كلما انقشع الظلام وأضاء نور النهار زادت حركات الدراويش وضوحاً حتى رأيناهم يهاجموننا زمراً وهم يضعون بالتهليل والتكبير غير مباليين بالموت ولكن نيراننا التي كانت تنصب عليهم بلا انقطاع ردت هجائهم وأخذت نيرانهم وهزمتهم الى معسكرهم فأخذنا نتقدم رويداً ونحن نتصيد من نراه منهزماً امامنا حتى كانت الساعة ٦ والدقيقة ٢٥ فأمرت بإيقاف النار فأثنا كثيرون منهم مستأمنين فأمناهم. وما زلنا سائرين حتى أثينا معسكرهم فإذا هو في وسط غابة كثيفة على نحو ميل ونصف ميل من محل الواقعة وفيه الوف من النساء والاولاد وبعض الرجال فأثوا اليها مسلمين. وإقتفى السواري والهجانة اثر الدراويش ولكنهم ما أبعدوا حتى علموا ان جميع الذين سلموا سلموا إلا بعض جهادية الختم موسى فانهم حاربوا اولاً ثم سلموا.

القتلى والأسرى والغنائم : وبعد انجلاء الواقعة وجدنا في ساحة القتال في طريق الاورطة التاسعة السودانية ثلة من القتلى في بقعة واحدة فسالنا الأسرى عنهم فقالوا انهم الخليفة عبدالله التعايشي والخليفة علي ودخلوا واحمد فضيل والسنوسي احمد اخو الخليفة من امه وهارون محمد اخوه من جارية والصديق ابن المهدي ويعقوب ابو زينبة وحامد ود علي شقيق احمد ود علي وعبدالباقي عبدالوكيل وكلهم من التعايشة وبشر عجب الفيه أمير كنانة.

ورأينا وراءهم على مسافة قريبة منهم جثث خيولهم . وأخبرنا يونس الدكيم الذي وجد مختبئاً بين القتلى ان الخليفة عبد الله لما عجز عن الوصول الى الجيش أراد ان يدور حوله ولما لم يفلح نزل عن جواده وأمر امراءه فنزلوا عن جيادهم ايضاً ثم افترش فروقه وجلس عليها على عادة فرسان العرب في السودان فجلس الخليفة على ودحاو عن يمينه وأحمد فضيل عن يساره وجلس باقي الامراء حوله حلقة وجعلوا حرسهم الخاص صفاً واحداً أمامهم على ٢٠ يرداً منهم ومكثوا ينتظرون الموت يحنان ثابت فلما رأيتهم على تلك الحالة أمرت اهلهم الذين وقعوا في الاسر فحفروا لهم حفرة في المكان الذي قتلوا فيه ودفنهم فيها امامي .

(قلت وكان وتسب بك اول من رأى الخليفة مقتولاً في ساحة القتال فزع عنه جبته وسيفه قبل دفنه وأتى بها الى مصر ورأيت الجبة فاذا هي ملطخة بالدم ومخرقة بالرصاص وقد وجد في جيبها كيس صغير فيه صور التحارير التي ارسلها الى مشايخ البلاد بعد فراره من ام درمان يحثهم على الانضمام اليه . ورأيت السيف فاذا به سيف قديم مكتوب على جانب منه اسم صاحب السيف وهو الشيخ ناصر ابن الوزير المرحوم الشيخ محمد السلطان وعلى الوجه الآخر : يا رب بهم وبآلهم عجل بالنصر وهب لي يا وهاب علماً وحكمة وللرزق يا رزاق كن لي مسهلاً .

ومها يكن من ظلم الخليفة واستبداده لا يسع الانسان إلا الاعجاب بالشهامة وثبات الجاش الذين لاقى بها منيته . وقد حدثني من شهد واقعة احد فضيل انه رأى رجلين ربطا يديهما معاً عند رسيهما بوثاق وتعاهدا على أن يهجا معاً فينتصرا او يسيرا الى الجنة يداً بيد وهذا ما يعرف عندهم بعقد الطرف والى ذلك يشير شاعرهم بقوله :

يا اخوات البنات تعالوا أوصيكم وأودعكم نبياً لا يخون فيكم
اعقدوا الطرؤف ما تجونا بقفيم الموت في الخلا وفي الحلة راجيم

قال السير رجينلد ونجت : د ولما شاع خبر موت الخليفة سلم من لم يكن قد سلم بعد فاجتمع عندنا من الاسرى نحو ٣٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠ من النساء والاولاد بينهم ٢٩ اميراً من اكبر امراء المهدي وأهمهم عثمان شيخ الدين ابن الخليفة ويونس الدكيم والختيم موسى وفضل الحسنة واسماعيل أخو الامير محمود (فأرسل هؤلاء مع الامير محمود ومحمد الزين وغيرهما الى سجن رشيد ثم نقلوا الى سجن دمياط ولا يزالون فيه) .

د وكانت خسارتنا في هذه الواقعة (التي عرفت بواقعة جديد) ٣ قتلى و ٢٣ جريحاً فيكون مجموع خسارتنا في الواقعتين ٦ قتلى فيهم ضابطان و ٢٧ جريحاً من العساكر . وأما خسارة الدراويش فقد قدرت بنحو ١٠٠٠ قتيل وجريح و ٩٤٠٠ اسير من الرجال والنساء والاولاد . د وغنم الجيش ٣٥ جملاً و ٥٠ حميراً و ١٨٠ بقرة و ٣٠٠ رأس ماعز ونحو ٢٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ سيف وحرية و ٢٠٠ اردب غلة .

د وفي الختام أسرّ بأن أشهد بالبسالة والاقدام وثبات الجأش التي أظهرها العساكر في الواقعتين فان اهمية الامراع في ضرب احمد فضيل والاستطرداد الى ضرب الخليفة اوجبا متابعة السير آتاء الليل واطراف النهار في ارض وعرة بلا راحة او براحة لا تذكر . وقد قام العساكر بهذا الواجب ولم يبالوا بمألقوه من المشاق والاختطار فانهم من الساعة ٤ بعد ظهر ٢١ نوفمبر الى الساعة ٧ من صباح ٢٤ من الشهر المذكور أي في مدة ٦٣ ساعة قطعوا مسافة ٥٧ ميلاً وواقعوا العدو في واقعتين وخرجوا ظافرين . وما اظن قائداً يلقى من ضباطه وعساكره مساعدة حقيقية مخلصة كما لقيت من الضباط والعساكر الذين أسعدني الحظ بقيادتهم وأنا أصدق الترقبات التي جاءني من القومندات للضباط والصف ضباط والعساكر الذين امتازوا في الخدمة وأشرف بأن أعرض اسماء الذين امتازوا في هاتين الواقعتين ... اه .

ثم ذكر اسماء الضباط الانكليز والمصريين الذين امتازوا في الخدمة وكان في جملة الضباط المصريين : البكباشي احمد افندي حافظ من الطوبجية .

والبصاغ محمود افندي صادق من الهجانة . واليوزباشيون محمود افندي نهجث
اركان حرب ومصطفى افندي شاهين من الهجانة وأحمد افندي عوني من
الاورطة الثانية . وعبد الله افندي رومية من الاورطة التاسعة . وعبد الرحمن
افندي رضى من الاورطة الثالثة عشرة . ومحمد افندي طلعت واسماعيل
افندي كامل وحسن افندي عطية من الحملة فكوفنوا جميعاً .

وحضر هذه الواقعة من الملكية شاهين افندي جرجس وابراهيم افندي
ديميري وكلاهما من موظفي الخبايا فأظهرا فيها من الهمة والنجدة والاقدام
ما أظهرهما في الوقائع السالفة التي حضراهما . فسر السر رجيند من سلوكها
وأوصى بترقيها فأنعم على شاهين افندي بالرتبة الثانية مع لقب بك ثم سمي
سكرتير السردار العربي ولا يزال في هذه الوظيفة الى الآن . ومنح ابراهيم
افندي النيشان المجيدي للرابع ثم سمي سكرتيراً لمفتش السودان العام
ولا يزال .

وكان السردار قد وعد بجائزة ١٠ آلاف جنيه لمن يلقي القبض على الخليفة
فوزعها على عساكر هذه التجريدة . وقد دلت اعمال السر . رجيند ونجت في
هذه التجريدة على صفات عسكرية عالية كما دلت على همة بالغة الحد وحزم
ودربة وإقدام فجاءت اجل ختام لماثره الحسان في استرجاع السودان وحملت
دولته على ترقية الى المركز الذي أعد نفسه اليه فما اشتهر حرب الترنسفال
حتى ندب اللورد ككتشر اليها وسمي السر رجيند ونجت باشا سرداراً على
الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان وذلك في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩
وقد رقي في الجيش المصري الى رتبة فريق وفي الجيش الانكليزي الى رتبة
ماجور جنرال محلي ثم رقي حديثاً الى رتبة ماجور جنرال وهو لم يتجاوز
الثالثة والاربعين من العمر .

ولقد كانت واقعة جديد الضربة الاخيرة للقاضية على الخليفة والمهدية
ونختم الوقائع التي انقذت السودان من بلاء شديد حاق به مدة ١٧ سنة
متوالية فأهلك نحو ٣/٤ اهله وأراحت مصر من نفقات الحروب الباهظة

وأعادت اليها بلاداً واسعة الاطراف كثيرة الخيرات جزيلة النفع . وقد قدرت نفقات استرجاع السودان بنحو ٢٣٥٤٣٥٤ جنيهاً مصرياً منها ١١٨١٣٧٢ جنيهاً على سكة الحديد من حلفا الى الكرمة والى الخرطوم و ٢١٨٢٥ على التلفراف و ١٥٤٩٣٤ جنيهاً على الواورات الحربية و ٩٩٦٢٢٣ جنيهاً نفقات عسكرية . مع ان نفقة الحملة الانكليزية وحدها كانت ١٥ مليون جنيه وأكثر .

قتل الخليفة شريف وابني المهدي في شكابة في ٢٧ اوغسطس سنة ١٨٩٩ :

تقدم ان الخليفة شريفاً سلم للحكومة قرب جزيرة ابا في اواسط نوفمبر سنة ١٨٩٨ ومعه الفاضل والبشرى ابنا المهدي فأمنهم السردار وأرسلهم الى حلفا فبقوا فيها مدة ثم استأذنوا السردار فسكنوا في شكابة على ٤٠ ميلاً من سنار وهناك عاد الخليفة شريف الى قراءة راتب المهدي وشرع في جمع الناس بنية اللحق بالخليفة عبد الله وذاع خبره في الجزيرة حتى وصل فرج افندي شحاده باشكاتب مديرية سنار فأبلغه سمث بك مفتشها فزار في ٢٦ اوغسطس مع بلوك من الاورطة الـ ١٥ السودانية بقيادة البكباشي و. ب. واليوزباشي محمد افندي شفيق وجماعة من البوليس وأحاطوا بشكابة صباح اليوم التالي فقبضوا على الخليفة شريف والفاضل والبشرى ابني المهدي وكانت شكابة مملوءة بالمقاتلة فحاولوا تخليصهم من الجنود عنوة وجرحوا ٣ منهم فأشعل العساكر فيهم النار فقتلوا منهم ١٧ رجلاً وأسروا ٥٥ وحوكم الخليفة شريف والفاضل والبشرى ابنا المهدي في مجلس عسكري وقفي فأعدموا رمياً بالرصاص .

اسر عثمان دقنة في ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ :

أما عثمان دقنة فانه لما رأى الجيش في جديد متغلباً على الخليفة أسلم نفسه للفرار شأنه في كل واقعة لم يظفر بها وكان اذا سئل في ذلك يقول : « اني ابدل كل ما في طاقتي قبل الحرب لجمع الانصار وحثهم على الجهاد وأقاتل

العدو يحنان ثابت وعزم وطيد حتى اذا ما ظهر يحيشي لجأت الى الفرار لا حباً بالفرار او خوفاً من الموت ولكن هرباً من الوقوع في أسر الكفرة فاني أريد أن اعيش لأقهرهم وأجمع رجالي مرة اخرى وأعود الى حربيهم حتى اجد فيهم الفرصة . أما الآن وقد قلّ جيش المهدي ولم يبق في السودان من ينصره فقد عول على الفرار الى الحجاز والاحتماء بمكة . فعبّر النيل الابيض عند جزيرة ابا ثم النيل الازرق ثم الاتبرة عند أدارامه وأتى الى جبال ورتيه فنزل عند الشيخ محمد علي عمر اور شيخ الجيلاّب وأخبره بعزمه على الفرار الى الحجاز وسأله ان يساعده على اكتراء قارب له من احدى مين البحر الاحمر البعيدة عن المدن فرحب شيخ الجيلاّب به ووعده بإجابة سؤاله وأضمر له السوء فأرسل سراً الى الحكومة بسواكن يخبرها بوجوده عنده فاستأذن حاكم سواكن السردار وأرسل البكبائي برجس مفتش المديرية بنفر من الجيش والبكبائي محمد بك احمد قومندان بوليس سواكن الى الشيخ محمد علي اور فدلهم على غيباً عثمان فوجدوه تحت حجر من حجارة الجبل فقبضوا عليه ووجدوا معه جراباً فيه قليل من الدوم وكان لابساً جبة وعلى رأسه عمامة فوضعوه بالحديد وقفلوا راجعين الى سواكن وذلك في ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ فوصلوا سواكن في ٢١ من الشهر المذكور بعد الظهر . ثم أتى به الى مصر القاهرة فرأيناه فيها بعد ظهر ٢٧ من الشهر المذكور وفي اليوم نفسه أرسل الى سجن رشيد فجعل مع أسرى الدراويش ثم نقل الاسرى الى دميّاط فنقل معهم وهو لا يزال هناك الى اليوم . وقد حصل له في هذه الاثناء جذب ديني فأغضب عينيه ومنع نفسه عن الكلام والأكل فلا يأكل إلا اذا أمره قومندان السجن فيشرب فنجاناً من اللبن بلقمة من العيش ولكنه لا يتكلم مطلقاً ويقضي وقته كله نائماً .

بدعة علي عبدالكريم الدنقلادي اوائل سنة ١٩٠٠ :

وفي اوائل سنة ١٩٠٠ ظهر رجل من اقارب محمد احمد المهدي يسمى

علي عبد الكريم (شقيق محمد عبد الكريم المشهور) فابتدع بدعة غريبة في الاسلام ادعى فيها انه من يوم واقعة ام درمان انتهت اعمال « التكليف » ولم يعد احد مطالباً بما يفعل فمن كتبت له السعادة فقد سعد ومن كتب له الشقاء فقد شقي سواء فعل خيراً ام شراً وقد نهى انصاره عن الصلاة والصوم فغنى له بعض شعرائهم بقوله : جيت لنا بالخير بطلت لنا الصلاة « ام ذنقير » وعلمهم ان يسلموا هكذا : الحمد لله فيجيبه الثاني : في رضاء الله . ولما بلغ أمره الحاكم العام عقد مجلساً من علماء الخرطوم وفقهائها للنظر في أمره وم السيد ندا قاضي ام درمان والطبيب احمد هاشمي قاضي الخرطوم والاستاذ محمد شريف باشا نور الدائم والسيد محبوب المرغني والسيد المكي والشيخ محمد البدوي والشيخ مدثر ابراهيم والسيد اسماعيل الازهري فأصدر على اعتقاده امامهم فظهر لهم ان في عقله خللاً ونصحوا بنفيه هو واتباعه من الخرطوم فصدق الحاكم العام الحكم ونفاهم الى حلفا في ٤ مارس سنة ١٩٠٠ ولا يزالون فيها الى الآن .

احتلال كردوفان سنة ١٨٩٩ : ١٩٠٣ :

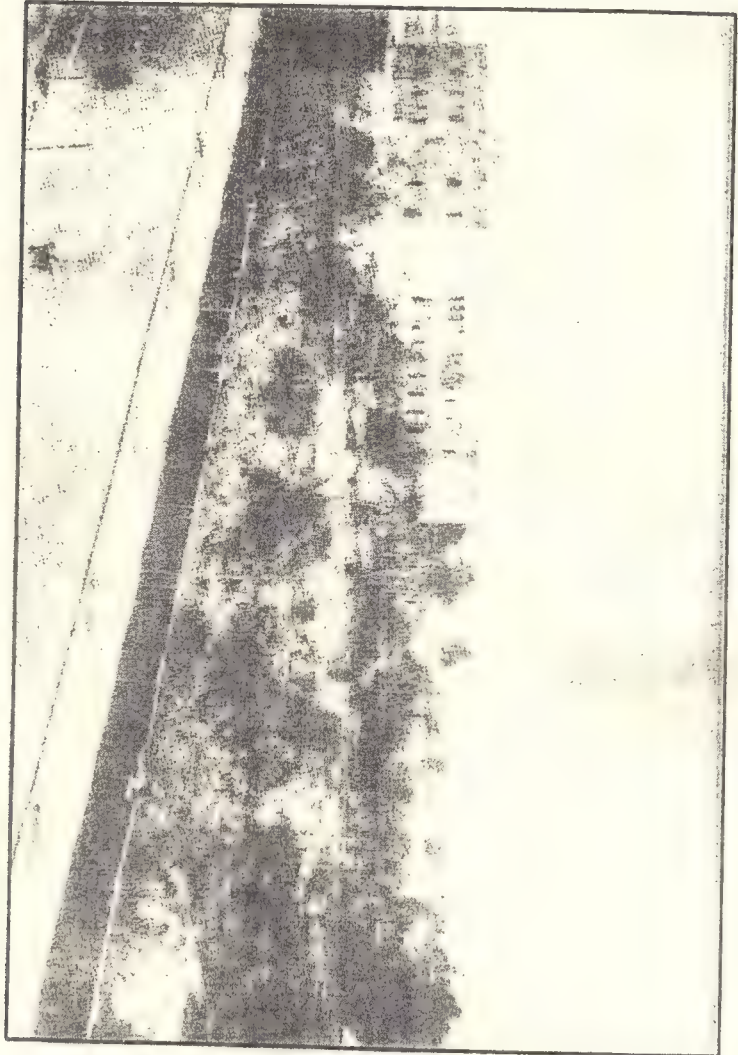
تعمير البلاد : وبعد قتل الخليفة عبد الله في جديد تحولت انظار الحاكم العام الى احتلال كردوفان فأرسل اليها الكولونيل ماهون بفرقة من الهجانة فاحتلها في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ونشر الحاكم العام الحالي منشوراً عاماً الى أهالي مديرية كردوفان المنتشرين في الجزيرة . وغيرها من بلاد السودان يدعوم الى الرجوع الى بلادهم وقد ساعدتم على الانتقال اليها وأمدتهم التقاوي اللازمة لزرعها فعادوا اليها وشرعوا في تعميرها .

مهدي جبال تقلي وشنقة في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٣ : وفي هذه الأثناء ظهر في جبال تقلي رجل ادعى المهدي والكرامات والشرف اسمه محمد الأمين فصدق به ملك تقلي وجماعة من اخلاط الناس واشتهر أمره حتى بلغ الابيض في اول سبتمبر سنة ١٩٠٣ وكان مدير الابيض ماهون باشا في طريقه الى

الخرطوم ذاهباً بالاجازة وقد ناب عنه او كئل بك وكان السردار والحاكم العام بالاجازة في بلاد الإنكليز. ونائبه في الخرطوم اللواء ناسون باشا فعند وصول ماهون باشا في ٦ سبتمبر الى الخرطوم حتم ناسون باشا بوجود القبض على المدعي في الحال وتلافي الخطر في حينه فاستأذن السردار تلهغرافياً فخرج الكولونيل ماهون من الخرطوم بكوكبة من الفرسان يرأسها البكبائي الباسل شحاتة افندي كامل في ٨ سبتمبر وسار بها سيراً حثيثاً بطريق فشنوية وشركية وأبي ركة فباغت المدعي وأشاعه سحراً وهم يصلون الصبح في ١٢ سبتمبر في حلة على ٣٥ ميلاً من ابي ركة فأسرعوا الى حراهم ولكنهم لما رأوا انهم محاطون من الجهات الاربع سلموا. فشد ماهون باشا وثاقهم وساقهم الى الابيض وهناك حوكم المدعي بمجلس عسكري وشنق عصاري الاحد في ٢٧ سبتمبر. والرجل مربوع القامة اسود اللون غليظ الشفتين ذو عينين نحلاوين ولحية صغيرة وشعر اسود جمعد وعمره ٤٥ سنة ولما جيء به الى المشنقة كان مرتدياً فوق اللباس العادي برنساً من الجوخ الأخضر النفيس بقبعة على الزبي التونسي ولكنه برئوي الاصل في الارجح وكان رحالة يضرب في الآفاق فزار دمشق الشام وازمير ومراكش وغيرها من البلاد الشرقية وزار الابيض غير مرة فلقى من أعيانها اكراماً وحفاوة وذهب الى الحجاز لاداء فريضة الحج وعاد منها قريباً بطريق مصوع وكسلا وبقي الى ان ظهر في جبال تقلي.

دارفور والامير علي دينار سنة ١٨٩٨ الى الآن :

أما علي دينار فقد مرّ انه فرّ من واقعة ام درمان بنفر من اهله وأخصائه وفيهم الامير قمر الدين البرتاوي من امراء الارباع والفقير امين الفلاقي وهو من رجال السلطان ابراهيم الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى وسداد الرأي وقد كان عند الخليفة اميناً للجبجبانة فسار بهم الى التربة الخضراء وكان فيها قطيع من ابل الخليفة فأخذه وتقدم الى كجمر فأقام فيها ٨ ايام الى ان تكامل الفارون من اهل دارفور من عرب وسود وسار بهم الى الفاشر. وكان محمود قد ترك



سراي الخرطوم سنة ١٩٠٢

فيها حامية مؤلفة من ٣٠٠ رجل بقيادة امبدي الرضي التعايشي وحامية في
كبكية مؤلفة من ٥٠ بندقية بقيادة سنين التاماري فطرد علي دينار امبدي
الرضي من الفاشر واحتلها مكانه وطرده سنين بعد وقائع جمة الى دار ثامة .
وكان قد لجأ الى السردار من جيش محمود سنة ١٨٩٧ رجل من سلالة سلاطين
الفور يُدعى ابراهيم علي فأذن له السردار قبل الحملة على ام درمان ان يذهب
الى دارفور ويجمع كلمة أهلها على طاعة الحكومة ولكنه لم يصل أم شنقة حتى
كانت واقعة ام درمان وأتى علي دينار الى الفاشر وطرده امبدي الرضي كما
مر فانضم الى ابراهيم علي في أم شنقة . وعدّ علي دينار دخول ابراهيم علي
تمديداً على حقوقه بحجة انه احق منه بحكم دارفور فجرّد عليه جيشاً وغلبه
فبعث ابراهيم علي يطلب المدد من السردار فكتب السردار كتاباً الى كل منها
يرفق بينها الى ان يتسنى للجيش الذهاب الى دارفور لاحتلال البلاد . ورأى
ابراهيم علي ان لا طاقة له على مناوأة علي دينار فرجع الى ام درمان وكتب
علي دينار الى السردار بالطاعة وانه يحكم البلاد على جزية يدفعها للحكومة
السودان ولا يزال يرسل الجزية كل سنة الى الآن . وقد أسس حكومته على
مثال سلطنة اجداده وصنع ختماً للسلطنة كأختام اجداده هذه نقشه :
السلطان علي دينار ابن السلطان زكريا ابن السلطان محمد الفضل ابن السلطان
عبد الرحمن الرشيد ابن السلطان بكر سنة ١٣٠٠ هـ .

الباب الخامس

خاتمة

في

السودان المصري والانكليزي

ولاية اللورد كتشنر اوف خرطوم على السودان سنة ١٨٩٩: ٨ :

عرف السودان الذي فيه كلامنا « بالسودان المصري » الى ان كانت واقعة ام درمان ورفعت الرايتان الانكليزية والمصرية على سراي الخرطوم في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ فعرف « بالسودان الانكليزي المصري » وعقد وفاق بين الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ نشرناه في باب الجغرافية مؤداه جعل البلاد في يد حاكم عام يختاره الانكليز ويؤيده الجناب العالي الخديوي فيحكم البلاد بقوانين وشرائع يسنها من وقت الى آخر حسب حاجة البلاد وحالتها ويصدقها معتمد الدولة البريطانية ومجلس النظار في مصر . وفيه انه ليس للمحاكم المختلطة سلطة في السودان إلا في سواكن فانه بقي لتلك المحاكم سلطة الى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ اذ عقد وفاق آخر بين الحكومتين ألغيت بموجبه تلك السلطة وأصبحت سواكن كسائر بلاد السودان في جميع الاحكام .

وفي تاريخ الوفاق الاول سمي اللورد كتشتر اوف خرطوم سردار الجيش المصري حاكماً عاماً على السودان فشرع في تجديد بناء سراي غوردن وتأسيس مدرسة غوردن التي جمع لها المال من المحسنين الانكليز كما مرّ . وبعد قتل الخليفة عبد الله ارسل ماهون باشا فاحتل كردوفان وأعلن افتتاح السودان رسمياً للناس كافة .

ولاية الماجور جنرال الفريق السر رجينولد ونجت باشا سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ندب اللورد كتشتر لحرب الترنسفال وسمي اللواء السر رجينلد ونجت باشا الادجوانت جنرال سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان ولا يزال الى الآن فكان أهم ما جرى في ايامه الى هذا العهد : القبض على عثمان دقنة وقمع بدعة علي عبد الكريم وقتل محمد الامين مهدي جبال تقلي واحتلال بحر الغزال كما فصلنا في محله . وهو باذل اقصى الجهد في تنظيم ادارة البلاد وإصلاح شؤونها الزراعية والصناعية والتجارية والأدبية وسن القوانين الملازمة لأحوالها . وقد عقد الاتفاقات بين السودان والقوات المحيطة به لتبادل المنافع التجارية وأنهى لأول مرة تحديد التخوم بين السودان والحبشة في ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ واستعان على أعماله الهامة بالأكفاء من موظفي الانكليز والمصريين كما مرّ .

تسمية اللورد ادوارد سسل وكيلاً عاماً لحكومة السودان في مصر :

ولما دعي الكونت كليخن وكيله في مصر ليكون مندوباً عسكرياً للدولة البريطانية في برلين في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٣ ألقى مقاليد هذا المنصب الهام إلى فرع سلالة سسل الشريفة النبيل اللورد ادوارد سسل المشار اليه آنفاً وقد رقيه في الجيش المصري الى رتبة لواء وجعله وكيلاً عاماً للسودان على جميع المهام العسكرية والملكية في مصر .

تاريخ السودان



عباس باشا حلي الثاني الحديوي
والفرق السرجينك ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام
يخطبان ام سراي الخرطوم

جريدة « السودان » في الخرطوم :

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ منح الدكتور فارس نمر وشركائه الاجلاء امتيازاً بلشر جريدة في الخرطوم باسم « السودان » فولجوا ادارتها وتحريرها الى الكاتب الاديب المتفنن خليل افندي ثابت من متخرجي المدرسة الكلية السورية النابغين فأصدر مثلاً منها في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٣ ثم شرع في اصدارها تباعاً مرتين في الاسبوع فصدر منها الى الآن بضعة اعداد دلت على انها ستكون من أسمى الجرائد العربية شأنًا وأجلها عبارة وأجزؤها نفعا ومن أجل الوسائط التي بُذلت لتقدم السودان وتعيده ان شاء الله .

زيارة الجناب الخديوي السودان سنة ١٩٠١ :

وفي أواخر سنة ١٩٠١ شرف الجناب المالي الخديوي السودان بزيارته فوصل الخرطوم في ٣ ديسمبر سنة ١٩٠١ حيث استقبل استقبالاً باهراً . وفي اليوم التالي أي في ٤ ديسمبر الساعة ٣ بعد الظهر قدّم سعادة السردار وحاكم السودان العام خطبة الترحيب بسموه وذلك في وسط حفلة حافلة امام سراي الخرطوم حضرها جميع الضباط العظام وكبار الموظفين الملكية ونخبة علماء البلاد وأعيانها وهذه هي ترجمة الخطبة :

« مولاي سمو الخديوي المعظم

نحن سردار الجيش المصري وجاكم السودان العام وضباط وصف ضباط وعساكر جيش سموك المعظم مع الموظفين العسكريين والملكيين والعلماء والعمد والمشايع والأعيان في السودان وعموم سكان السودان نسرّ بأن نقدّم مع شائثر الولاء والاخلاص هذا الخطاب ترحيباً بتشريف سموك للمرة الاولى للسودان :

« لقد نلنا أعظم الشرف بأن سموك تجشمت السفر الطويل الشاق من مصر لقضاء بضعة ايام في الخرطوم عاصمة السودان التي خرجها الأشقياء الذين شقوا عصا الطاعة لحكومة سموك بعد ان كانت عامرة زاهرة وهي الآن تتدرج في

تأجيل السودان

الحضارة والعمران على مبادئ تؤمل ان ترقى بها رويداً حتى تصبح عاصمة فاخرة ومركزاً مهماً لتجارة السودان . وقد مضى الآن ثلاث سنين على انتشالها من يد ذلك الطاغية عبد الله التعايشي ببسالة جيش سموكم وجنود المملكة البريطانية العظمى .

« أما وجود سموكم بيننا فقد ملأ قلوبنا مسرةً وابتهاجاً فبالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع الحاضرين هنا اليوم والغائبين عنا في جهات السودان البعيدة الذين تمنهم واجباتهم الهامة عن الحضور لتقديم واجب الترحيب والتعظيم نتمنى لسموكم حياة مديدة مقرونة بالسعادة والفخار ونسأل الله تعالى ان يثبت في أنحاء بلاد سموكم طولاً وعرضاً روح الفلاح والسلام . »
(فليمش افندينا)

فتكرم الجنب العالي وفاء بالخطاب الآتي الذي ضمنه خطة حكومة سموه في السودان قال :

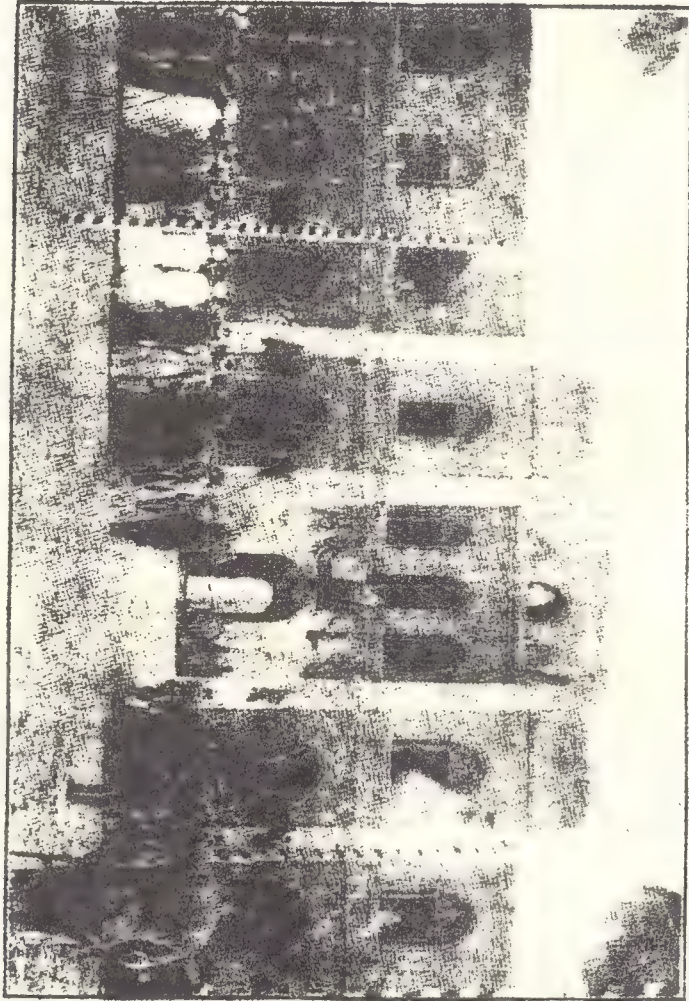
« يا سعادة السردار وحاكم السودان العام ويا حضرات الضباط والعساكر والموظفين وعلماء ومشايخ وأعيان وأهالي السودان كافة .
« اني أشكر لكم الخطاب الذي حييتموني به وأؤكد لكم بأني أعدت من اعظم مسراتي رؤيتي اياكم في هذه البلاد الشاسعة التي قربتها منا سكة الحديد العجيبة التي ملأتني ارتياحاً وابتهاجاً .

« الآن وقد رأيت هذه البلاد عرفت الصعوبات والمشقات التي لاقاها من كانت لهم يد في الحملات التي كانت تديجتها نحو سلطة عبد الله التعايشي واعادة العدل والراحة والسكون في جميع أنحاء السودان .

« العلمان الانكليزي والمصري اللذان يخفقان الواحد بجانب الآخر هما اشارة الى الحكومة المشتركة التي أخذت على عاتقها حماية الأهالي من الوقوع في شرك اهل الظلم والفساد وابتداء عصر هدوء وسعادة في هذه الديار .

« ولقد سرّني ايضاً ما أشاهده من تقدم مدينة الخرطوم في العمران واعتقدوا اني سأحفظ لكم احسن ذكرى لاحتفائكم بي في هذه الزيارة الاولى .

نكاح السودان



اللويد كينشن أوف خرطوم يفتتح كلية غوردون



الفيكونت كرومر

معمد الدولة البريطانية السياسي

وقنصلها الجنرال في مصر

واني ليشملني السرور كلما سمعت بتحسين أحوالكم وتقدمكم في الرفاهية التي أرى شواهدا بدت في كل الأرجاء .

هذا واني أنعم الآن بكل ارتياح ببعض النياشين على بعض كبار علماء الدين وسأنعم بها فيما بعد على الضباط والموظفين والاهالي الذين يعرض لي عنهم سعادة السردار والحاكم العام بناء على التقارير السنوية التي ترد له من المديرية . ثم اكرر شكري لاحتفائكم بي اجتهاء صادراً عن حسن نية وخلص طوية ، اه .

وصعد سموه في النيل الأبيض مسافة ثم في النيل الأزرق فشاهد خرائب سوية وعاد الى الخرطوم فبرحها الى مصر باليمن والاقبال في ٧ ديسمبر سنة ١٩٠١ .

زيارة اللورد كتشنر الخرطوم وافتتاح كلية غوردون

في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢ :

وخرج اللورد كتشنر اوف خرطوم ظافراً من حرب الترنسفال فسمي قومنداناً عاماً على الجنود في الهند فمرّج في طريقه الى الخرطوم وافتتح كلية غوردون في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢ وذلك باحتفال بأمر حضره نحو ٥٠٠ تلميذ من أبناء البلاد وجمهور كبير من الموظفين والأعيان وقد رحب به السردار وحاكم السودان العام بخطاب جميل فأجاب عليه احسن جواب وأتمل للدرسة في عهد حاكمها النبيل وعناية مديرها الهام المستر كري كل ترق ونجاح .

زيارة اللورد كرومر للسودان سنة ١٨٩٩ : ١٩٠٣ :

هذا ولما كان لجناب اللورد كرومر الشأن الاعظم في استرجاع السودان وكان هو النائب عن حكومته فيه كما في مصر واليه المرجع في جميع شؤون السودان الهامة فقد عول على زيارته في كل سنة او سنتين فزاره لأول مرة سنة ١٨٩٩ ثم زاره سنة ١٩٠٢ وزاره آخر مرة لهذا العهد في فبراير سنة

١٩٠٣ . وفي المرة الثانية صحبه المستر غورست مستشار مالية مصر الشير
فرحب السردار وحاكم السودان العام بها بخطاب جميل فأجابه اللورد كرومر
بخطاب مشهور وهذان هما الخطابان :

خطاب السردار في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٠ : نحن سردار الجيش المصري
وحاكم السودان العام وضباط وصف وضباط وعساكر الجيش المصري وموظفي
ادارتي الحربية والملكية وعلماء وغمد ومشايخ وأعيان وأهالي السودان كافة .
بإله السرور نفتم فرصة تشریفكم السعيد لهذه البلاد لكي نظهر لفخامتكم
احترامنا الزائد هذه الزيارة التي جدم علينا بها وللشرف الذي حصلنا عليه
بوجودكم بيلنا ممثلين لصاحبة الجلالة ملكة انكلترا وامبراطورة الهند وان
العلمين البريطاني والمصري اللذين يخفكان الواحد بجانب الآخر في جميع انحاء
السودان هما العلامة الخارجية الظاهرة الدالة على الاشتراك في حكم سعيد وثيق
العمرى في شخص جلالة الملكة وسمو الخديوي المعظم المسؤولين عن حاية اهالي
السودان من الظلم والفساد . ونؤمل ان التغيرات التي حصلت بمد زيارة
فخامتكم لهذه البلاد منذ سنتين تدل دلالة كافية على ان بعض التقدم قد حصل
في ترقية هذه البلاد وانه قد جعل لها نوع من النظام الاداري كافٍ لأن يُرى
الاهالي انه منذ قطع دابر الهندية دخلوا في عصر جديد أسعد كثيراً من العصر
الذي كانوا فيه . ونثق ان ما حصلتم عليه فخامتكم وحضرة المستر غورست
من زيادة المعرفة والاختبار في سياحتكم هذه يمكنكم من ان تعرضوا على
الحكومة ذات الشأن - سواء كانت الحكومة الانكليزية او المصرية - الوسائط
التي تتوصل بها الى ترقية حالة البلاد . وبالنسبة عن جميع الحاضرين هنا اليوم
الذين بينهم نواب مختارون من كل انحاء السودان تتمنى لفخامتكم عمراً مديداً
مقروناً بالصحة والشرف والسعادة والعزم لتستمروا في خدمة مليكتكم
ولتساعدونا على ترقية شأن حكومة السودان التي تشترك فيها مصالح بريطانيا
العظمى ومصر على السواء .

خطاب اللورد كرومر ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٠ : فنطق اللورد كرومر بالخطبة الآتية شاكراً فقال : الى حضرات علماء السودان وعمده ومشايخه وأعيانه وسكانه كافة .

« اني اشكر لكم من صميم فؤادي خطابكم والترحيب الذي لقيته منكم . عند زيارتي لهذه البلاد منذ سنتين اوضحت لحضراتكم انكم ستكونون في المستقبل تحت حكومة كل من جلالة ملكة انكلترا وسمو الخديوي المعظم . ولقد صدرت لي الآن اوامر خصوصية من صاحبة الجلالة مليكتي العظيمة التي تحكم في غير هذه البلاد على ملايين من المتدينين بدينكم الشريف لأعرب لكم عن مزيد اهتمام جلالتي بكل ما يؤول الى سعادتكم واني الآن باسم جلالتي سأقلد فرداً من اشرف اهالي السودان المسلمين وساماً انكليزياً نظراً الى ما عرضه عنه سعادة الحاكم العام لجلالتي (وهو السيد علي المرغني ابن السيد محمد عثمان المرغني الشهير) .

« ولقد تقدمت هذه البلاد كثيراً منذ زيارتي الاخيرة لها وترون أن العهد الذي عاهدتكم عليه وقتئذ من جهة احترام ديانتكم وعوائدكم الدينية قد روعي كل المراجعة ولقد انشئت لكم المحاكم والمدارس وضربت علي اطيانكم ضرائب خفيفة جمعت منكم على ما أظن بلا ظلم ولا اكراه وتم وصول سكة الحديد الى الخرطوم ولي امل ان تكونوا قد اصبحت مقتنعين بأن حكاكم - سواء كانوا انكليزاً او مصريين ولا أميز بينهم لأنهم مشتركون في العمل وعلى وفاق تام - ليسوا فقط ذوي مقدرة تفوق جداً مقدرة الحكام السالفين بل ان قلوبهم قد اشربت روح العدالة والرغبة الزائدة في كل ما من شأنه النفع العام لجميع الاهالي وهذا كله لم يكن له أثر حين كان ظلم الدراويش محيقاً بكم .

« واني عالم حق العلم ان العمل لا يزال لازماً في امور كثيرة ولكن لا ينتظر ان يكون الاصلاح سريعاً لداعي احوال السودان الخصوصية الحائلة دون مرعة النجاح وان أم حاجات البلاد تمهيد طرق المواصلات وأخشى ان يكون الامل ضعيفاً جداً في اقناع احدي الشركات ان تتكفل بمد خطوط

حديدية إلا بشروط ثقيلة يتعذر قبولها بغير اجحاف بمصالح الذين يدفعون الضرائب من مصريين وسودانيين ولا يجب ان يذهب عن البال ان كل مشروع للاصلاح منها كان مفيداً ومرغوباً في حد ذاته فمن أهم شروط اخراجه الى حيز القوة ان لا يزيد في ثقل الحمل المالي الذي تتحمله مصر عن السودان وان يبقى به حل السودانين خفيفاً . ثم ان الأمر الذي يجب تقديمه على كل أمر آخر هو ان تكون الضرائب خفيفة فإذا كانت الحكومة نفسها تعنى بمد السكة الحديدية وجب ان يراعى فيه دخل الحكومة بالنسبة الى نفقاتها ودخل الحكومة لا يزال قليلاً محدوداً وأهم شيء يقتضي مباشرته قبل النظر في أي مشروع كان لمد سكة الحديد هو ان نصلح حالة السكة الحاضرة وذلك على ما بلغني من أعظم الثقات في هذا الفن يقتضي مبلغاً باهظاً من المال .

ولنتنقل الآن الى موضوع آخر : بلغني ان اهل البلاد شكوا من قلة المراقبة الاوروبية في السودان . ولكن ليس الغرض استخدام عدد كبير من الاوربيين في هذه البلاد انما الأمر الرئيسي ان يكون المنتدبون للخدمة أكفاء وقد عني بانتخابهم عناية تامة وفي الوقت نفسه أعلم ان الشكوى من قلة عدد الاوربيين هي على نوع ما في موضعها . نعم ان الضباط الذين في الخدمة الملكية قد قاموا بواجباتهم الشاقة قياماً يستحق جزيل الشكر وذلك في اصعب الأحوال وأخرجها مع قلة الوسائط التي لديهم واني أسرُّ اذ قد سنحت لي الفرصة لأهنئهم على أعمالهم التي كانت مكلفة بالنجاح ولكن يعوزهم مساعدون ولذلك انتخب بعض الانكليز الملكية وانتدبوا للخدمة تحت أوامر المديرين الحاليين ليكونوا النقطة الأساسية لحكومة السودان الملكية المستقلة . ولقد انتخب أيضاً للخدمة مهندس مائي وأؤمل ان مباحثه ستعود بالنفع العظيم ليس فقط على السودان بل على مصر أيضاً وانه يستطيع في حينه ان يقترح اقتراحات جديرة بالاعتبار فيما يختص بتحسين نظام الري في بعض أنحاء البلاد ولا سيما على النيل الازرق .

ولا حاجة الآن ان اطيل الكلام في المواضيع تفصيلاً ولكن أعيد القول

شأن السودان

ان سرروي كان عظيماً جداً برويتكم اليوم هنا وأؤمل انكم تبذلون كل قواكم في عضد المساعي التي يسعها سعادة السر رجنيك ونجت النائب المحلي عن جلالة الملكة وسمو الخديوي المعظم هو وجميع الضباط المقتدرين الذين يجرون أوامره في ترقية حال البلاد المادية والادبية .

خطاب اللورد كرومر ٢٧ يناير سنة ١٩٠٣ : وهذا خطاب اللورد كرومر في زيارته الثالثة للسودان ألقاه في احتفال باهر عدو لوداع الكبتن بيلي عند استقالته من الجيش المصري . قال جناب اللورد بعد ان صدق ثناء السر رجنيك ونجت على الكبتن بيلي :

« ولكني أود ايها السادة ان يتسع لي مجال الكلام فأقول قبل رجوعي الى مصر لكم وللغائبين عنا بواسطتكم ان المساعي التي يبذلها جميع موظفي السودان من ملكيين وعسكريين في سبيل ادخال النظام والتمدن الى هذه البلاد لها عند حكومة جلالة الملكة وسواد مواطنيكم وعندي انا بالأكثر قيمة عظيمة وشأن رفيع .

« كثيراً ما يقال لنا نحن معشر الانكليز في هذه الأيام اننا متأخرون عن غيرنا من الأمم في أمر التعليم وربما كان لهذه النهمة بعض الصحة ولكن للسألة وجه آخر عسى ان لا يفوت نظر المنتقدين فان نتائج نسقنا الخصوصي في التعليم تظهر بأجلى مظاهرها في بلاد كالسودان . فالشاب الذي يتربى في إحدى مدارسنا العمومية او كلياتنا الحربية وينشأ على الاستقلال الذاتي والمسؤولية الشخصية هو الرجل القوي الحازم الذي لا يعمل في الدنيا على احد لأنه يتلقى في حداته تحت سماء الحرية مبادئ تضمن له مستقبلاً نيراً كما هو خليف بفرد من افراد أمة مستعمرة مجيدة فلا يكون آلة متحركة بل يكتسب من حيث لا يدري عوائد وطباعاً تؤهله لأن يتدبر ويعمل الفكرة ويأخذ على عاتقه مسؤولية الأمور وبكلمة أن يحكم بالعدل والحزم . وأمثال هؤلاء منتشرون الآن في جميع أنحاء هذه البلاد من سواكن الى ما وراء الابيض ومن وادي حلفا الى اقاصي كوندكرو . ويمكنني ان اشهد بما شاهدته

بنفسي انه خيماً وجدوا. نظر اليهم الاهالي على اختلاف طبقاتهم من مهجهم الى ارقام علماء كمنثلي نظام يحول دون الظلم وسوء الادارة اللذين سادا في الماضي .

• وهذه أياها السادة زيارتي الثالثة للسودان بعد ولقمة. ام درمان التي حدثت كما تذكرون منذ أقل من خمس سنوات . ففي زيارتي الاولى لم يكن أمل النجاح قوياً لأن البلاد كانت في خراب محقق سواء كان لسبب الامراض او المجاعات او الحروب الداخلية او الخارجية حتى ان عدد السكان نقص أكثر من العشر كثيراً ولم يكن لجرثومة التمدن أثر فيها فكان من الضروري اذا انشاء نظام مالي وإداري مستكمل الشروط . وفي زيارتي الثانية لاحت لي تباشير المساعي الأولية التي بذلتها الحكومة الجديدة لمقاومة الصعوبات الهائلة التي كانت تلاقيها ولكن كان التقدم بحكم الضرورة بطيئاً جداً . والآن عند زيارتي الثالثة أرى تقدماً عظيماً جداً في جميع الجهات والبرهان على صدق هذا القول يلوح للابصار ويستوقف المسامع في كل جهة فان الدلائل على زيادة الإيرادات جلية والنفقات الآن تحت المراقبة الشديدة. وقد نمت التجارة بعود الأمن . فال يونان الذين هم في مقدمة الأمم التجارية - والذين يقال عنهم احياناً أقوال قاسية مع انهم اجمالاً عظيمو النفع - قد أنشأوا متاجرم في كل بلدة كبيرة . وبمساعي الكولونل فرنند والكولونل ستانتون قد أصبحت الخرطوم مدينة جميلة منظمة بعد ان كانت تلالاً دائسة . وكذلك انتظمت الملاحة في النيل بهمة المستر بوند والمصلحة الطبية بمساعي الكولونل بنتون . وانتشرت المعارف بعناية المستر كيري . ويسمى المستر بونهام كارتر بالحكمة اللازمة في إدخال نظام بسيط للمواد المدنية والجناينة حسبما تقتضيه حالات البلاد .

• وقد صعدت هذه المرة في النيل الابيض حتى كوندكرو مع السردار وزرت عدة مراكز عسكرية من غير موعد سابق فوجدت كل شيء فيها بغاية الترتيب والانتظام كأنه قد أعلن لها من قبل اني آت لمشاهدة أحوالها . أما اهالي تلك الجهات فانكم تعلمون ان التكلم بلغة الشلوك او الدنكا او الباري

أمر شاق ولكني كيف التفت كنت أرى دلائل الرضى والاطمئنان بادية على وجوههم وقد علم هؤلاء المساكين ان الأجانب الذين يزورون بلادهم ليسوا من النخاسين بل من أشد المقاومين للنخاسة .

و اسمعوا لي أن اعرب لكم عما شملني من السرور عند زيارتي مركزتي المرسلين الاميركان على نهر سبت والمرسلين النمساويين على النيل الابيض فالأول للانجليين والثاني للروم الكاثوليك ولا فرق عندي بين الفئتين فكلتاهما قد أجادتا في ادارة أمورهما كل الاجادة . على اني أوافق جناب السر رجيند ونجت بك وكل اصحاب السلطة المسؤولين في هذه البلاد على ان وقت السماح للمرسلين بالتبشير بين مسلمي السودان لم يزل بعيداً . ولكن المساعي التي تبذل بين القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية تستحق كل ما يمكن من التشجيع والمساعدة .

ولكنني اعلم أيها السادة اننا مع كل هذا التقدم لم نزل في بداءة العمل . فالسودان يحتاج الى زيادة عظيمة في السكان والسكك الحديدية والري والموظفين الانكليز للأمور القضائية والاجرائية والمعلمين والأبوية بل السودان يحتاج الى كل شيء سوى الرمل والتاسيح والعيسنت فان ما فيه منها فوق الكفاية . وواضح جلياً ان كل هذه الاحتياجات الثمينة لا يمكن سدها في آن واحد . أما بشأن النفقات السنوية فلا يمكن ان ينتظر من الحكومة المصرية او بكلمة اخرى من المصريين الذي يدفعون الضرائب ان يعملوا زيادة عما يعملون الآن فانهم يدفعون الى السودان سنوياً أكثر من ثلاثمائة وخمسين الف جنيه . وقد آلوا على انفسهم تقديم هذه الاعانة بلا نقص الى مدة معينة لكي تخصص الزيادة في ايرادات السودان للشروعات السودانية . وقد دفعوا أكثر من نصف مليون جنيه للكونونيل ماكولي لتحسين السكك الحديدية الحالية وسيطلب منهم مبالغ باهظة للاتفاق على مهام اخرى كما سيجيء . وعليهم أرى من المهم ان نعلم ما هي الإصلاحات التي يجب ان نبدأ بها أولاً .

وأظنكم توافقوني على ان أماننا أمرين يستوجبان اصلاحهما في الدرجة

الاولى من الاهمية : الاول تحسين البلاد مادياً وثانيها ادبياً وعلمياً .
 و أما بشأن الاول فقد أيدت لي زيارتي هذه انه لا يمكن أن تتقدم البلاد
 تقدماً مادياً سريعاً ما لم تكن المواصلات بين السودان والبحر المالح سهلة
 وسريعة . فان المسافة الطويلة من هنا الى الاسكندرية عقبة شاقية في سبيل
 التجارة وهل يرجى نجاح سريع لتجارة السودان وثن الطن من الفحم الحجري
 في الخرطوم من اربعة جنيهات الى ستة . وربما يحسن ان اقول هنا ولو اني
 لا أقول ببلء الامل انه يرجى وجود الفحم الحجري جنوبي الخرطوم فان
 اكتشافاً كهذا هو أثمن من اكتشاف الذهب لأنه يغير مسألة ترقية السودان
 تغييراً حسيباً . وأعود الى ما كنت بصدده فأقول انني اعتبر مد خط حديدي
 الى سواكن ضرورياً جداً لتقدم هذه البلاد وهذا الخط يقتضي نحو مليونين
 ونصف مليون من الجنيهات . ومن الصعب ايجاد مبلغ عظيم كهذا . ولكني
 اعدكم انني عند عودتي الى مصر سأبذل جهدي في تنفيذ هذا المشروع بأسرع
 ما يمكن والعمل جار الآن كما تعلمون في تخطيط الطريق . وقد اتفق مبلغ من
 المال لتحسين ميناء سواكن . على انني اسمع احياناً بأن هذا الخط الحديدي
 على ما به من الفائدة للسودان مضر بمصلحة مصر لأنه يحول التجارة عن وادي
 النيل ولكني لا أرى هذا الرأي لسبيين : الاول لأن من المهم جداً لمصر ان
 يكون السودان قادراً على القيام بنفقاته وذلك لا يتم إلا بوجود طريق مناسب
 قليل النفقة لتصدير تجارته . والثاني لأن المسألة الرئيسية ليست تحويل التجارة
 من مجراها الاصلي بل هي مسألة انشاء تجارة جديدة للبلاد وهذه التجارة لا
 يرجى لها نجاح يذكر إلا بفتح طريق بين النيل والبحر الاحمر .

» أما بشأن الامر الثاني وهو أمر التعليم فأقول انه من الصعب جداً حكم
 بلاد ما حق الحكم بدون مساعدة ادارية من اهلها . والهيئة الحاكمة في السودان
 الآن هي اجنبية محضة لأن المصريين كما لا يخفى هم ا بجانب كالانكليز وكلا
 الفريقين قائم بمهام عظيمة . ويحسن بنا ان نذكر هنا ان قد مست الحاجة
 الى مثل هذه الهيئة في بلاد اوغندا المجاورة للسودان . على ان في توظيف كل

من المصريين والانكليز في السودان حالات طبيعية مساعدة وحالات معاكسة: أما المصريون فهم من وجه مرتبطون مع معظم سكان هذه البلاد يجامعون اللغة والدين وهاتان الجامعتان هما اقوى الروابط بين الحاكم والمحكوم ومن وجه آخر فانهم مضطرون الى مقاومة الخرافات المتأصلة في عروق الاهلين منذ اجيال بعيدة . وهنا احذر كل موظف مصري في هذه البلاد أن اقل حياء عن طريق العدالة المثلى هو مضر بسلطة سمر الخديوي المعظم المشارك لجلالة الملك ادوارد السابع في حكم هذه البلاد وان عليه احترام رغائبها احتراماً وطنياً خصوصياً . وتلك الرغائب هي رغائب كل حكومة عادلة مستقيمة . وأما الانكليز فعليهم تعلم لغة صعبة وهم وان كانوا يحترمون دين السكان إلا انهم لا يشاركونهم فيه ولكن يساعدهم ما فطروا عليه من القدرة على الحكم والرغبة الخالصة في إسماع البلاد التي يحكمونها .

« وأرى انه من الضروري جداً بذل الجهد في إسعاف الموظفين الانكليز والمصريين بضم موظفين سودانيين اليهم كلما سنحت الفرصة . فالسودانيون أمة مجيدة وكثيرون ممن يسمعون خطابي قد ساعدتهم الاحوال على تأييد هذه الحقيقة وهي ان في السودانيين صفات هي اس كل الصفات الوطنية فهم اصحاب بأس وشجاعة ولكنهم أيضاً لسوء الحظ أمتيون جداً ولذلك فالعقبات التي تحيط بهم كثيرة شاقة . أقدم لكم على ذلك مثلاً : كل يعلم ان النظام المتبع في السجون باعطاء علامات حسن السلوك مفيد جداً وحدث اني طالعت في هذه الاثناء تقريراً للكبتن بورتن مفتش سجون السودان قال فيه انه لم يستطع ادخال هذا النظام في السجون السودانية لأن السجانيين عموماً مع اتصافهم بصفات حميدة يجهلون القراءة والكتابة .

« ولست أشك ان حضرة السر رجيند ونجت الذي لا يفي اللسان بمدح ما يأتيه من ضروب الاصلاح والتحسين في السودان سيبدل كل ما في وسعه لإيجاد فئة من السودانيين يمكنها عما قليل ان تملأ الوظائف الصغرى في دوائر الحكومة . وأما تعليم العلوم العالية فلم يكن وقته بعد فاذا حصرتنا اهتمامنا في

تعليم الكتابة والقراءة وعلم الحساب جنينا نتائج مرضية . واني اصدق رأي
المستر كيري في عدم استصوابه الاحاح في تعليم العلوم باللغة الانكليزية .

والآن اقول لكم شيئا يشجعكم على الاستمرار في عملكم الجيد بغيره لا
تنقص : لا تقنطوا اذا لم تحصلوا على كل ما ترومونه دفعة واحدة ففي مدة
٥ سنة قضيتها في السياسة كنت دائما اسمى لاتمام اغراض شتى مست الحاجة
اليها ولكنني اؤكد لكم انني لم اظفر إلا بالقليل منها . ومن الأشياء التي
أرومها للسودان عدا سكة حديد سواكن مد خط حديدي الى كسلا واذا
أمكن الى حدود الحبشة ليس بقصد الوصول الى مدينة الراس البعيدة بل
لفتح سوق تجارية لترويج حاصلات البلاد . ثم أريد ان أستثمر الجزيرة وان
أمد خطا حديديا الى الابيض جلب صمغ كردوفان الى الخرطوم . واريد
انشاء خزان او خزانين على النيل الازرق . وأما السد فاني اريد ان أقطعه
اربعا واخرجه من تلك المستنقعات المأوى بالبعوض والحشرات وان آتي بآلات
تجرف الوحول الراسبة في قعره . وهنا أشكر هم الكولونيل بيك والماجور
ماتيوس وغيرهما من الضباط الذين عانوا المشاق في فتح طريق للملاحة في
السد لأن ليس احد يستطيع ان يدرك المشاق التي تكبدوها في هذا السبيل
إلا بزيارة تلك الجهة . واريد عدا ما ذكر أشياء يطول شرحها ولكنني أعلم
اني لا استطيع الحصول عليها كلها دفعة واحدة وعليه فاني أكرر القول ألا
تقنطوا . وأذكر انه منذ مدة ليست بعيدة كان الامل بارتقاء مصر أظلم جداً
من الامل بارتقاء السودان الآن فكل ما تبغونه تنالونه في وقته . فأنتم أهل
للنجاح وانا واثق ان امامكم في المستقبل نجاحا اعظم من نجاحكم في الماضي .

« وأخيراً اشكر لحضراتكم صبركم على سماع خطابي هذا وأثني من صميم
فؤادي على سعادة السر رجينلد ونجبت واللايدي ونجبت وغيرهما لترحيبهم بي
واكرامهم إياي مدة زيارتي لهذه البلاد وسأعود الى مصر حافظاً لهذه الزيارة
اطيب ذكرى اه « .

تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠٢ : وجناب اللورد كرومر يعنى بالسودان الآن عناية خاصة وهو يفسح قسماً مهماً من تقريره السنوي لوصف حال السودان وبيان الوسائل التي تذلل لترقية شؤونه وتقدمه ويدرج فيه تقرير الحاكم العام وجل ما يحىء في تقارير رؤساء المصالح والمديرين السنوية وما جاء في تقريره لسنة ١٩٠٢ نقلاً عن تقرير السر رودلف فون سلاطين باشا مفتش السودان العام :

« ان احوال البلاد عموماً على احسن ما يرام فكنت حينما ذهبت أجسد قرى ومزارع جديدة لم تكن في السنة الماضية وقد ازداد الأهالي عدداً وثروة وزاد عدد مواشيهم وساد الامن في البلاد كافة والجميع راضون عن الحكومة الحاضرة كل الرضى » .

مذكرة الحاكم العام عن سنة ١٩٠٢ : وختم اللورد كرومر تقريره بمذكرة رفعها الماجور جنرال السر رجينلد ونجت باشا سردار وحاكم السودان العام في ١٨ يناير سنة ١٩٠٣ عن سير التقدم في السودان في أثناء سنة ١٩٠٢ وجل ما فيه :

« ان المفاوضات التي كانت جارية في تعيين حدود السودان تمت على ما يرام سنة ١٩٠٢ وأهمها تعيين الحدود بين السودان والحبشة في ١٥ مايو ١٩٠٢ وقد نشرت بنصها وأهم ما جاء فيها : أولاً ان الحد الفاصل بين السودان والحبشة خط يرسم من خور ام حجر على نهر ستيت الى القلابات فالنيل الازرق فوق فامكة فنهر بارو فنهر بيبور فنهر اكوبو فليله الى تقاطع خط الدرجة ٦ من العرض الشمالي بخط الدرجة ٣٥ من الطول شرقي كرينوج . ثانياً ان لا يبنى بناء على النيل الازرق وبحيرة تسانا ونهر سبت من شأنه ان يمنع جري الماء الى النيل إلا باتفاق الفريقين . ثالثاً ان تؤجر ارض يحوار ايتنج على نهر بارو للحكومة السودانية لتدبر امورها وتحتلها جاعلة اياها محطة تجارية . رابعاً ان تعطى الحكومة السودانية حقاً في انشاء سكة حديد تمر في ارض الأحباش وتصل بين السودان واوغندا .

« وأما الحد الفاصل بين السودان والاريتريا فقد جرى الاتفاق على استبدال الحد المعين في اتفاق ١٦ ابريل ١٩٠١ بمحد يبتدىء من سبدرات ويمتد بطريق ابي جل حتى يصل الى ملتقى خور ام حجر بنهر ستيت .
« وقد عقد اتفاق على البوطة وآخر على التلغراف بين حكومة اريثرية وحكومة السودان .

« وأرسلت الحكومة المصرية رسالة الى بحيرة تسانا وسافر السر ولیم جارستن من ممباسا الى البحيرتين وسيعود منها الى القاهرة بطريق النيل (وقد عاد اليها الآن) .

« وأقصى محطة جنوبية تابعة للحكومة السودانية هي منجالا على بعد ٢٠ ميلا من كوندوكرو التي هي أبعد نقطة شمالية من المديرية النيلية التابعة لأوغندا .

أما مقاطعة اللادو وأشهر نقطتها كيرو واللادو والرجاف فلا يزال البلجيون محتلين لها ولم يتم الاتفاق بعد على تعيين الحدود هناك . على ان سلطة الحكومة السودانية قد تدريجياً على مديرية بحر الغزال . وأبدى الاهالي رغبتهم في الانحياز الى الحكومة المصرية والخضوع لها ما عدا دنكة اجار فانه بينما كانت حملة سائرة بالزاد من شامي الى اورمبك في اوائل السنة بقيادة اللفتنت سكوت باربور هجمت عليه هذه القبيلة وقتلته وقتلت معظم رجاله مكرراً وغدراً . فخفف القائمون اللفتنت كولونل هنتر قومندان بحر الغزال الى محل الواقعة وأرسلت حملة صغيرة من الخرطوم بقيادة الكبتن ستاك فعاونته على تأديبها وطلب شيوخ القبيلة العفو فعفي عنهم .

« ثم ان قطع السد في هذا النهر أفضى الى فتح مجرى يصلح للملاحة بين مشرع الريك وراو بعد ان قضى اللفتنت فل وضباط آخرون نحو سنة وهم يجاهدون في قطعه .

« وذهبت رسالة برئاسة المستر براون مدير الاحراش والغابات للنظر في غابات بحر الغزال فاكتشفت مقادير عظيمة من شجر الصمغ الهندي (الستك)

ويؤمل ان يوسع نطاق التجارة به كثيراً. ومن سوء الحظ ان هواء بحر الفزال مضر بالاوربيين خصوصاً وقد فقدنا به ضابطاً عظيماً وهو اللفتنت كولونل هنتر بالحي السودان .

و يقال في كردوفان بوجه عام انها تقدمت تقدماً ظاهراً في السنة الماضية وان تجارة الصمغ تحسنت كثيراً والسكان زادوا زيادة محسوسة والفضل في ذلك كله تاجم عما يبذله المدير الكولونل ماهون من الهمة والغيرة والاقدام بمساعدة جماعة صغيرة من الضباط والموظفين الانكليز لا تقل عنه همة وإقداماً .

« أما علي دينار سلطان دارفور التابع لنا فقد كان سلوكه مرضياً من كل وجه . فانه دفع الجزية السنوية الصغيرة المفروضة عليه بأكملها وزالت قلاقل الحدود التي أشرت اليها في تقرير السنة الماضية واتسع نطاق التجارة بين كردوفان ودارفور وجلب عدد وافر من البقر الجيدة الى كردوفان . وقد نجحت مساعي السربودلف سلاتين نجاحاً خصوصياً في هذه الأنحاء فان معرفته التامة لها ونفوذه الشخصي بين القبائل الغربية المختلفة كان لها اليد الطولى في الملائق الحسنة التي بين دارفور والحكومة السودانية .

« وأما مديرية دنقلة فلا تزال تتقدم بادارة الكولونيل جكسون ولكن انفراد مركزها الجغرافي ووقوعها بعيدة عن حركة التجارة على خط سكة الحديد الممتدة الى الخرطوم أفضيا الى البحث في مسألة مهمة وهي كيف تعامل سكة حديد الكرامة في الاستقبال .

« وقد زادت الحركة التجارية زيادة عظيمة في سواكن بسبب مشروع سكة الحديد التي ستوصلها بالنيل . والمرجح ان الخط يخترق سلسلة الجبال المجاورة سنكات وينتهي الى وادي الاتبرة فيلتقي بالخط العمومي قرب جسر (كبري) الاتبرة . والمتنظر ان هذه السكة تغير وجه التجارة السودانية تغييراً عظيماً .

« وأما مديرية بربر فقد تحسنت تحسناً عظيماً وزاد ايرادها زيادة كبيرة .

وهي بلاد زراعية محضة وسيفيدها مد سكة الحديد بينها وبين سواكن فائدة جزيلة .

« ومن الدلائل المهمة على ان أهالي السودان يزدون رضاء بحالتهم عدد العرائض التي ترفع اليّ بصفة كوني حاكماً عاماً. فقد كانت ترفع اليّ في الثلاث السنين الاولى عدة آلاف كل سنة ولكنها هبطت سنة ١٩٠٢ الى ست مئة عريضة فقط . »

ثم أشار الى تقدم الخرطوم وغيرها من مدن البلاد وامتدح ممة الكولونيل فرنند مدير الأشغال وختم بالثناء الجميل على الكولونيل فاسون والمستر بونهام كارتر والفتننت كولونيل برنارد وعلى سائر رؤساء المصالح والمديرين ومعاونيهم من الشبان الانكليز وغيرهم لما أبدوه من الغيرة والهمة والاقدام في خدمة البلاد تحت ادارته ... اه . . . »

هذه أشهر الخطب والتقارير التي جاء بها اللورد كرزومر والسر رجينلد ونجت بشأن السودان وفيها جل ما تم فيه وما يرجى له من الاصلاح في المستقبل القريب .

ختام : ويسرني ان اجعل ختام كتابي خطب هذين النابفتين وتقاريرهما وأتمنى لكل بلاد منيت بالظلم والفساد ان تبشّل منها كما نشل السودان وتسعد بعناية رجل عظيم حكيم كاللورد كرزومر وهمة حاكم عدل كزيم كالسر رجينلد ونجت باشا .

- انتهى -

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٠٣ بعد اختبار نحو ٢٠ سنة في السودان وأمله . وقضاء جل ساعات الفراغ الثمينة مدة سبع سنين متوالية في جمع مواد وتجميع حقائقه . سنة ونصف سنة في تبيضه وطبعه . والحمد لله أولاً وآخراً .

ملحق

تاريخ السودان وجغرافيته

« كتب في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٣ »

يعلم القاريء اللبيب ان كتاباً مثل هذا استغرق تبليغه وطبعه سنة ونصف سنة وقد وصف السودان فيه وصفاً تناول كل موضوع من مواضيع الجغرافية الوصفية والادارية والتاريخ القديم والحديث في نحو ١٤٠٠ صفحة لا بد له من ملحق يضم كل اضافة او تقييح اوجبه مرور الزمن ومتابعة الاستقراء في اثناء الطبع . ويصلح ما وقع في الطبع من الخطأ والسهو ولو قل . لذلك اردفته بهذا الملحق حرصاً على زيادة اتقانه واستيفاء حوادثه الى يوم صدوره (٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٣) .

وقد ضمنت هذا الملحق كل ما يحتاج اليه المسافر الى السودان من المعدات والمعلومات وأؤمل ان أجده كل سنة حتى تنفذ الطبعة الاولى وأوفق الى طبعة ثانية والله الموفق الى الصواب .

١- التفتيح والارضاة

في

الجزء الاول : الجغرافية

مديريات السودان الانكليزي المصري

(صفحة ٨٤ - ٨٧) ذلك كان التقسيم الاداري للمديريات في أواخر سنة ١٩٠٢ وقد جرى بعض التغير في المأموريات وُبدل لقب محافظة حلفا وفاشودة وسواكن بلقب مديرية وغيّر اسم مديرية فاشودة بمديرية النيل الاعلى واسم المدينة نفسها الى كودوك فأصبح اسماء المديريات ومأمورياتها الآن كما يأتي :

المديريات	مأمورياتها
مديرية حلفا	حلفا . المحس وسكوت
مديرية دنقلة	ارقو . دنقلة الاوردي . الخندق . الدبة . كورقي . مروي
مديرية بربر	الرباطاب . بربر . مدينة بربر . الدامر . شندي
مديرية الخرطوم	مدينة الخرطوم
مديرية الجزيرة	الكاملين : المسابية . رفاعة . ودرملي . عبود . الكوة . القطينة . قوز ابو جمعة
مديرية سنار	سنار . منجة . ودمدني . الرصيرص . الدندر . دار الفونج . ابو نعامه
مديرية النيل الاعلى	كودك
مديرية بحر الغزال	لا مأمورية فيها ومن مدنها الشيرة الآن : واو . مشرع الريك . ديم الزبير . شك . شك . تونج . اورمبيك . شامي
مديرية كسلا	كسلا . القصارف . القلابات
مديرية سواكن	سواكن . طوكر
مديرية كردوفان	الابيض . بارة . الدويم . خورسي . النهود . السنوط الطيارة . الدلن . كندك (جنوبي كردوفان) . جديد
دارفور	الفاشر

خزان اصوان :

(صفحة ٩٠) وقد تم الاحتفال بفتح خزان اصوان بحضور الجناح العالي
الحديوي وسمو الدوق اوف كنوت وقرينته في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢ .

مدينة الخرطوم :

(صفحة ١٠٨) وضع الحجر الاساسي لجامعها في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٠
وسيم بناءؤه في اواسط السنة الآتية .

الاستاذ محمد المهدي السنوسي :

(صفحة ١٥٢) وقد توفي في واحة قرو في ٢٢ صفر سنة ١٣٢٠ هـ ٣٠ مايو سنة ١٩٠٢ م قبل العصر ودفن هناك في اليوم التالي . وقيل نقلت جثته الى واحة الكفرة وسيدفن هناك . وخلفه ابن أخيه السيد احمد الشريف فنقل زاويته الى الكفرة وهو لا يزال فيها .

موظفو مصالح الادارة المركزية :

(صفحة ١٩٤) تلك المصالح والموظفون في سنة ١٩٠٢ وأهم تغيير حصل الى الآن في موظفي مصالح الادارة المركزية انهم جعلوا لقب السكرتير الملكي « السكرتير جنرال » .

وسمي القائم مقام هول بك مساعداً للسكرتير جنرال بدلاً من الشريف البكبائي جيمس الذي سمي مساعداً لسكرتير مالي الحرية . وسمي البكبائي اول نائب مساعد السكرتير جنرال . والبكبائي الدرقون نائب مساعد سكرتير مالي السودان . والمستر هيرت قاضياً مدنياً . والمستر كروفوت مساعداً لمدير المعارف . والمستر بنفل مفتش الزراعة .

المديرون :

(صفحة ١٩٥) وسمي الميرالاي السر هل مارونت بك بدلاً من الميرالاي مكول بك . والقائم مقام دكنسون بك على الجزيرة بدلاً من الميرالاي بلوت بك . والميرالاي ولكنسون بك على كسلا بدلاً من اللواء هنري باشا . واللواء سباركس باشا على سواكن بدلاً من القائم مقام بلايفر بك .

وسيمود سباركس باشا الى الجيش الانكليزي قريباً ويسمى هوارد بك مديراً على سواكن مكانه وسمي الميرالاي اوكونل بك على كردوفان بدلاً من اللواء ماهون باشا والقائم مقام بلنوا بك على بحر النزال بدلاً من سباركس باشا .

شكايب الشوكات

رؤساء الاقلام الملكيين في السودان :

(صفحة ١٩٦) وسمي ابراهيم افندي مرقص باشكاتب الخازن في الخرطوم بدلاً من روفائيل افندي خليل المتوفي . ونقل فرج افندي شحادة باشكاتب مديرية سنار . وامين افندي حداد باشكاتب مديرية الخرطوم احدهما الى مكان الآخر . ونقل وليم افندي ززل من دنقلة باشكاتباً لمديرية كردوفان بدلاً من ناصيف افندي جمل الذي نقل باشكاتباً لمديرية بحر الغزال . وسمي حسيب افندي اسطفان من مكتب السكرتير جنرال باشكاتباً لمديرية دنقلة .

وكالة حكومة السودان بمصر :

(صفحة ١٩٩) لقد ذكرنا في خاتمة الكتاب تسمية النبيل اللورد ادوار سسل وكيلًا عامًا لحكومة السودان بدلاً من الكونت كليخن وذلك منذ ١٦ اكتوبر سنة ١٩٠٣ .

وفي ١٦ يونيو سنة ١٩٠٣ ندب الشاعر الناصر اسعد افندي داغر من ادارة تحرير المقطم الأغر ليكون في عداد موظفي هذه الوكالة وعهد اليه برئاسة القسم الفني فأظهر فيه من الكفاءة والدربة والاستعداد ما قد عهدنا به من قبل .
الجيش المصري :

(صفحة ١٩٩) وأما الجيش المصري فقد جعل مركز الادجوتانت جنرال في الخرطوم ومساعد الادجوتانت جنرال في مصر . ورفي القائمقام السيد بك ماجد الى رتبة ميرالاي وسمي قومندناً للحرس الخديوي والموسيقى الخديوية وسمي القائمقام خلف بك خيرى ياور خديوي مكانه .

وسمي كلا من القائمقام س. ا. تشارلتون بك والبكباشي ا. ج. ف. فون ياوران للسردار والميرالاي فبس بك كاتم أسرار حربية وسكرتير سعادة السردار وحاكم السودان العام والقائمقام ستاك بك مساعد كاتم أسرار حربية . وسمي اللواء هنري باشا ادجوتانت جنرال بدلاً من اللواء فرغوسن باشا الذي عاد الى الجيش الانكليزي .

تأريخ السودان

وسمي الميرالاي ابراهيم بك فتحي . والميرالاي ك . وطسن بك . والقائمقام بلر بك . والقائمقام هريوت بك مساعدتي ادجوانت جنرال بدل من ذكرناهم آنفاً والبكباشي لميرير بدل البكباشي بيلى الذي رقي الى رتبة قائمقام وعاد الى الجيش الانكليزي والبكباشي كليتون بدل البكباشي جاكسون . وسمي القائمقام هوكر بك قومندناً للهجانة . والقائمقام جاكسون بك . والبكباشي تونسن . والقائمقام ستكول بك والميرالاي رفنسكروفت بك . والقائمقاميون غوردن بك وماسي بك وويشو بك وسذرلند بك ومكلين بك قومندانات الاورط الاولى والثانية والثالثة المصرية والتاسعة والعاشر والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة السودانية والسادسة عشرة المصرية بدل من ذكرنا هناك .

وسمي الميرالاي أسر بك السكرتير المالي للجيش المصري بدلاً من القائمقام الجود بك الذي نقل الى الداخلية . والميرالاي محمد بك توفيق ناظر مدرسة الحربية بدلاً من اللواء اسماعيل باشا سرهنك الذي نقل الى القرعة العسكرية . وربي عبدالغني باشا فؤاد الى رتبة لواء وأحيل على المعاش .

قوانين حكومة السودان :

(صفحة ٢٠٣) ذكرنا في هذه الصفحة ما قد تم من القوانين الى حين طبعها في اواخر سنة ١٩٠٢ وجدد بعد ذلك الحين الى الآن القوانين الآتية :
قانون نزع الملكية سنة ١٩٠٣ . قانون تقرير عوائد الحيوانات سنة ١٩٠٣ (ويعتبر مع قانون تقرير عوائد الحيوانات لسنة ١٩٠١ كقانون واحد) .
قانون حجب ملكية الاراضي سنة ١٩٠٣ (ويعتبر مع قانون حجب ملكية الاراضي سنة ١٨٩٩ كقانون واحد) . قانون غواصيد الدخولية على الصنع وغيره سنة ١٩٠٣ . قانون المشروبات الروحية سنة ١٩٠٣ . قانون اكتشاف غش الصنع الهندي والقواتبرخا سنة ١٩٠٣ . قانون زيت البترول سنة ١٩٠٣ . قانون حمل الاسلحة النارية سنة ١٩٠٣ ويلغى قانون الاسلحة سنة ١٨٩٩ . قانون وقاية الحيوانات والطيور البرية سنة ١٩٠٣ وهو يلغى قانون سنة

نتائج السودان

١٩٠١ . قانون السكة الحديدية سنة ١٩٠٣ . قانون اراضي مدن مديرتي
كسلا وكردوفان سنة ١٩٠٣ .

المدارس الاميرية الجديدة :

(صفحة ٢٠٥) نقلت مدرسة المعلمين التي كانت في ام درمان الى كلية
شوردين في الخرطوم في ٢ نوفمبر سنة ١٩٠٣ وفيها الآن ٣٥ تلميذاً .

المدارس الخصوصية في السودان :

(صفحة ٢٠٧) عدا ما ذكرنا : مدرسة المرسلين الاميركان الانجيليين
على نهر سبت .

ومدرسة المرسلين النمساويين الكاثوليكين على نهر النيل الابيض جنوبي
كودوك . وقد باشر المرسلون الاميركان انشاء مدرستين أخريين احدهما في
الخرطوم والأخرى في حلفا .

وابورات السودان :

(صفحة ٢٠٧) وابورات البريد والركاب بين شلال اصوان وحلفا هي :
أيبس . تنجور . طوشي . امبقول . بيمنة . وبين الخرطوم وكوندوكرو :
عباس باشا . دال . عكه . خيبر . وكلها لحكومة السودان الملكية .

ولقومبانية استعمار السودان ثلاثة وابورات وهي : « غوردن » لنقل
التبريد والركاب بين الخرطوم وقوز ابي جمعه . و « الاتبرة » و « كرري »
لنقل البضائع في النيلين الابيض والازرق .

تلفراف السودان :

(صفحة ٢١٠) السطر الذي قبل آخر الصفحة من قوله الى الدويم الخ
أصبح الآن : الى الدويم فالابيض . وفي سنة ١٩٠٢ مد من الدويم الى الرنك
فقاشودة فالتوفيقية .

(صفحة ٢١١) غرة ٣ بربر . سواكن . طوكر . كسلا القصارف .

القلايات . ومسدي . نغرة ٦ الخرطوم قوز ابو جمعه . نغرة ٧ الخرطوم .
الدويم . الرنك . فاشودة . التوفيقية . ويوجد الآن مكتب لتبادل الاشارات
التلغرافية بين حكومتي الارثريا والسودان في سبدرات .
وفي سنة ١٩٠٣ مدت خطوط التليفون في الخرطوم فأمر درمان فالحلفايا
ولكنه لم يزل منحصرأ في مكاتب الحكومة والهمة مبدولة في توسيع نطاق
هذه المصلحة التي تعهد بادارتها القائمقام لدل بك .

بريد السودان :

(صفحة ٢٢٥) : كاملين بدل رفاة . التوفيقية بدل سبت . القضارف .
القلايات بدل قوز رجب على الاتبرة . النهود بدل بارة .

صفحة ٢١٩ تعريفه وابورات البر والبحر الاعتيادية

الطريق	المسافة بالأميال	درجة اول غ . ص	درجة ثانية غ . ص	درجة ثالثة غ . ص
من الشلال الى حلفا (بالنيل)	٢٢٦	٤٠٠ ذهاب ٣٠٠ اياب	٢٠٠ ذهاب ١٥٠ اياب	٤٠ ذهاب ٣٠ اياب
من حلفا الى الكرمة (بسكة الحديد)	٢٠٣		٢١٣ ١/٢	٧١
من حلفا الى الخرطوم (بسكة الحديد)	٥٧٥	٥٧٥	٤٠٢ ١/٢	٢٠١ ١/٢
من الخرطوم الى الرصيصر (بالنيل الازرق)	٣٨٠	١٠٢٦	٣٣٢	١١٤
من الخرطوم الى مشرع الريك (ببحر الفزال)	٧٤٠	٢١٢٣٨	١٠٣٦	٢٤٧
من الخرطوم الى كوندوكرو (ببحر الجبل)	١٠٨١	٢٩١٨ ١/٢	١٥١٣ ١/٢	٣٦٠ ١/٢

نتائج السيرة

التعريف في المفتخر : هذه هي التعريف الآن بالوابورات العادية . وقد أعدت حكومة السودان وابورات مفتخرة للسياح في البر والبحر تقوم من الشلال الى الخرطوم وبالعكس مرتين في الاسبوع وجعلت التعريف في وابورات النيل من الشلال الى حلفا ٥٠٠ غرش ومن حلفا الى الشلال ٤٠٠ غرش . ثم من حلفا الى الخرطوم بسكة الحديد مع عربة النوم ١٠٠٠ غرش ذهاباً و ١٦٠٠ غرش ذهاباً واياباً وذلك كله بلا أكل . وأما تعريف الأكل ففي وابورات النيل ٦٠ غرشاً في اليوم درجة اولى و ٣٠ درجة ثانية وفي سكة الحديد ٧٥ غرشاً في اليوم درجة اولى .

هذا ويقوم من مصر الى الشلال ٣ قطارات مفتخرة في الاسبوع بعربات أكل ونوم الى الأقصر فيرتبط اثنان منها بقطاري الشلال الى الخرطوم . ويدفع المسافر من مصر الى الشلال في الدرجة الاولى ٢٦١ غرشاً عدا اجرة الأكل والنوم الى الأقصر التي تبلغ ١٢٠ غرشاً وفي الدرجة الثانية ١٣٠ ١/٢ غرشاً وفي الثالثة ٦٥ غرشاً .

اوقات السفر :

من مصر الى الخرطوم : فالمسافر من مصر الى الخرطوم في المفتخر يخرج من مصر الاحد او الاربعاء الساعة ٦ ١/٢ ب. ظ فإن خرج الاحد وصل الشلال الاثنين مساء ووجد وابور النيل مستعداً فيسير به الى حلفا ولا يقف إلا في ابي سمبل للتفرج على هيكلها ويصل حلفا في يوم الاربعاء الساعة ٤ ب. ظ ثم يركب القطار المفتخر من حلفا الى الخرطوم فيصلها في يوم الجمعة الظهر . وهكذا اذا قام من مصر الاربعاء مساء يصل الخرطوم يوم الاثنين الظهر . ووابور المفتخر يحمل البريد من مصر الى حلفا وجنوبها وذلك في فصل الشتاء وأما في الصيف فلا يسير من الشلال إلا عند الاقتضاء .

وأما المسافر من مصر الى الخرطوم بالاعتيادي فيجد وابوراً من مصر كل مساء الساعة ٨ ب. ظ . ويحذ من الشلال الى حلفا وابورين في الاسبوع يقوم

كل منها يوم قيسام المفتخر ولكنه يقف عند عدة قرى في الطريق أخصها كلابشة والعلاقي وكورسكو والدرا وبريم. ويجد من حلفا قطاراً الى الخرطوم كل يوم ولكنه لا يجد طعاماً في القطار .

من حلفا الى دنقلة : ويجد من حلفا الى الكرمة قطاراً كل اسبوع ويجد في الكرمة وابوراً يحمله في النيل الى دنقلة بيومين ثم الى مروى بثلاثة ايام . من بربر الى سواكن او كسلا : وأما المسافر من بربر الى سواكن فيقتضي عشرة ايام على الجمال على معدل ٢٥ ميلاً في اليوم وأما هجن البريد فتصل بثمانية ايام .

في النيل الابيض : ثم ان المسافر من الخرطوم في النيل الابيض يجد وابوراً كل اسبوع الى الدويم يصل اليها بيومين والمسافر الى جنوبها يجد في الخرطوم وابوراً كل اسبوعين . ويركب الجمال منها الى النيل الابيض فيصلها بستة ايام .

في النيل الازرق : وأما النيل الازرق فلا يصلح للسفر إلا مدة ارتفاع النيل كما مرّ وفي هذه المدة يجد المسافر وابوراً من الخرطوم الى الرصيرص كل اسبوعين .

المعدات اللازمة للمسافر الى السودان :

الكتب والخرائط والجرائد : أما المعدات اللازمة للمسافر الى السودان فمن أهمها : الكتب التي تبحث عن السودان . وهذا الكتاب قد تكفل بتاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته واجمال حاله وفيه خارطة عمومية في أهم بلاده ومدنه والبلاد المجاورة له .

ومن أراد التوسع في تاريخ الثورة المهدية وجد في الانكليزية مؤلفات الماجور ونجت (السردار الحالي) الشهيرة وهي : « المهدية والسودان المصري » و « أسر عشر سنين في السودان » للأب اوهر ولدر . و « السيف والنار في

السودان ، للسرد ودولف سلاطين باشا الشهير . وفي العربية : كتاب تاريخ الثورة المهدية للكاتب النبيل جبرائيل بك حداد . وكتاب السودان بين يدي غردن وكنتشر لابراهيم باشا فوزي . وتاريخ مصر الحديث للمؤرخ المتفنن جورج افندي زيدان صاحب الهلال . وهي أهم ما كتب في السودان الى الآن .

وبما يفيد المسافرين الاطلاع عليه الغازت السودانية وهي الجريدة الرسمية لحكومة السودان وجريدة « السودان » التي تصدر في الخرطوم وقد تقدم لنا وصفها .

الملبوسات : ويلزمه من الملبوسات ما يناسب البلاد الحارة الكثيرة الغبار ونذكر هنا على سبيل التذكرة : بدلات قتل اسمر . بدلات قتل ركوب . بدلات رسمية . بدلات جوخ للشتاء اذ يشتد البرد في الصباح والمساء . قمصان بيض تكوى او لا تكوى وهذه افضل . وجزم سوداء او صفراء وهذه افضل . وجزم ميدان لبلاد كردوفان وبحر الغزال وكلا وسنار وفاشودة حيث يكثر المطر والشوك . وطرايش مبطنه بقش او برانيط واسعة وهذه افضل .

المأكولات : ويحسد المسافر اللحم والفراخ والبيض والخضر في اكثر البلاد العامرة ولكنه اذا خرج لسفر الى الجهات النائية عن المدن فلا بد له من المأكولات المحفوظة في العلب كعلب المربى على انواعه وعلب اللحم والشوربة والخضر والحل والزيت والشاي والسكر والملح والفلفل والجن ونحوها .

معدات النوم : ولا بد للمسافر من سرير سفر وسجادة وحرامات صوف وملايات ومخدات وباتوفلي عال لتوقي العقارب وناموسية لتوقي البعوض في بعض المحال .

معدات الفسل والتزيين : ويلزمه ادوات الفسل والتزيين من امواس

وفرش ومراة سفر وطشت وابريق وحمام صاج ومناشف وشمعدان وفانوس وشمع .

معدات الطبخ والمائدة : ويلزمه للطبخ والمائدة طاولة صاج سفريه وكراسي سفر وشوك وسكاكين وملاعق وصحون وفناجين وكبايات صفيح ابيض وآنية صاج للشاي والطبخ ومنصفاة . وسكين كبير يشفرتين متبيلتين ومفتاح للعلب وبريمة . وشلثة صغيرة يضع فيها أكله وزمزية يضع فيها ماءه في اثناء السفر وقرية ماء تحمل على الجمال .

معدات الركوب : ومن أحب ركوب الخيل فليأخذ معه مرج حصان بجميع معداته . اما الخلوقة لركوب الابل فليشترها من السودان .

الادوية : ومن أهم لوازم المسافر مجموعة من الادوية المركبة اقراصاً او حبوباً كحبوب روس التي يتجر بها الدكتور نقولا نمر في القاهرة وأهمها : الكينا لمعالجة الحمى . ومنحوق دوفر لمعالجة وجع المعدة والحمى . وزيت الخروج او عرق الذهب لمعالجة الديزنتاريا والكولروودن او سليبات الهمزوت لمعالجة الاسهال وكلورات انبوتاس لمعالجة التهاب الحلق . ونفستين للتعريق ومداواة وجع الرأس . وسلياني لنسل الجروح ومقص وشمع ونسالة وأربطة لضمد الجروح . وثرموتر طبي . وروح النشاير لمداواة لسع العقرب . وعصير الليمون لمنع الاسكربوط وكونياك في زجاجة بغلاف من قش . ونفتالين لوقاية الثياب من العث . وحزام صوف لتدفئة المعدة والامعاء .

الخدم : ولا بد للمسافر من خادم له إمام بالطبخ يعتني بأمتهته وطعامه وغسيله .

معدات شتى : وما يلزمه شمسية واسعة متينة . ونظارة كبيرة لتقريب الابعاد . ونظارات ملونة لتوقي النبار . ومحك لمعرفة جهة السير . وساعة يد سفريه . وسنارة لصيد الاسماك . وبندقية لصيد الطيور . ودفتر مفكرات .

وأبر وخيطان وازرار ودبابيس تجمل في محفظة من قماش . ودواة واوراق وأقلام ومغلفات توضع في محفظة من جلد .

معلومات شتى : تروج النقود المصرية في جميع بلاد السودان إلا في بحر الفزال وفاشودة فان اهلها يتعاملون بأنواع معلومة من الخرز رخيصة جداً وفي حدود الحبشة حيث يتعاملون بريالات ماريا تاريسا وقيمة الواحد منها نحو ١١ غرشاً . ولا تلزم الكلاب والبيسكت في السودان لأن الهواء لا يناسبها .

وبما يجب الانتباه اليه : عدم الخروج في الشمس بلا برنيطة او طربوش ولو كانت الشمس محجوبة بالغيوم . وعدم رمي اعقاب السجائر بقرب هيشة او هشم وعدم الاستحمام في النيل فان في ذلك خطراً من التيار والتاسيح فضلاً عن ان الاستحمام في النيل يجلب الحميات . ومن رام الصيد خارج المدن فلا بد له من زاد يوم وماء ومحك كبريت وليحذر من فراغ قربته إلا اذا تأكد وجود الماء حيث يصيد .

الجزء الثاني : تاريخ السودان القديم

(صفحة ٣٣٥) منها تمثال أسد نقله خورشيد باشا احد ولاة السودان السابقين الى مصر وتمثال اوسيرس احد آلهة المصريين القدماء مصنوع من الفرانيت الأسود نقله احد الالمانيين الى الكاملين وشاهده لبسيوس هناك سنة ١٨٤٤ م .

الجزء الثالث : تاريخ السودان الحديث

(صفحة ٦٠٧) ان الجناب العالي استنعى اولاد السلطان ابراهيم الذين أتى بهم الى مصر فوجدهم دون البلوغ فتدب الأمير عبد الشكور ابن

الامير عبد الرحمن ابن السلطان حسين وأنعم عليه بلقب باشا والنیشان المجيدي الاول وجعل له راتباً قدره ١٢٠ جنيهاً في الشهر ووجهه الى الفاشر فيما وصل دنقلة حتى قامت قيامة المهدي فرجع الى اسيوط وسكن فيها الى اليوم .

ولاية عبد القادر باشا حلمي :

بعد الفراغ من الكلام على ولاية عبد القادر باشا في الخرطوم توفقت الى الاجتماع بهذا القائد الباسل في حلوان فجرى لي معه حديث طويل بشأن ولايته في السودان آتي منه هنا على ما فاتني ذكره في محله :

(صفحة ٦٥٨) قلت المشهور انك لم تسلم بحملة الشلاي على المهدي في قدير وان الحكومة أذنت فيها قبل قيامك من مصر على الضد من رأيك ؟ قال لا بل انا سلمت بها ايضاً بناء على الحاج جيككر باشا في وجوب الامراع بارسالها واعتماداً على ان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب .

(صفحة ٦٧٢) ثم قلت بلغني انك علمت بحركة الشريف احمد طاهما في ابي حراز وانت في بربر فدللت الصاغ سرور افندي بهجت على طريقة في الهجوم كفلت له النصر فهل هذا صحيح وما هي تلك الطريقة ؟ قال نعم دعوته الى غرفة التلغراف وأمرته ان يشكل اورطته طابوراً واحداً في صفين ويحمل بلوكاً من العساكر وراء كل جناح جناحي الطابور ثم يهاجم العدو بقصد الموت او النصر فاذا حال العدو ان يأتيه من الجانبين صده البلوكات اللذان في الجناحين واذا حاول العدو ان يدور من خلفه صده الصف الخلفي من الطابور فتحدثي الأمر وفاز بالنصر .

(صفحة ٦٧٣) ثم قال وعند وصولي الخرطوم وجدت عدداً قليلاً من العساكر نخيمين في ظاهرها بلا متاريس ولا حصون فشرعت في الحال بحفر خندق يصل بين النيلين الابيض والازرق وخفت اذا قلت للأهلين اني أحصن المدينة ان يستضعفوني وينصروا المهدي فقلت لهم اني احفر ترعة للوصول بين النيلين وتسهيل الملاحة . ولما تم الخندق شرعت في تجنيد العساكر المتطوعة

فجمعت ٩ آلاف رجل وسلحتهم بخمسة آلاف بندقية رمنتون احضرتها ممي من مصر وبما وجدت في مخازن الخرطوم . وقد وجدت في الخزينه ١٢٠ الف جنيه فاستعنت بها على تجنيد العساكر وتحصين المدينة ومقاومة الثورة سنة كاملة .

قلت : أصحيح انك ارسلت سماً الى المهدي في قدير فنجبا منه ؟ قال : نعم ولكن سبق رسولي اليه رسول من الزبير ودضوه فحذره منه . وأوعزت الى محمد شريف باشا والياس باشا ام برير فأرسلوا اليه سماً من الابيض ولكن عاود الياس باشا فأرسل اليه رسولا وحذره منه .

(صفحة ٦٧٤) قلت : المشهور عند اهل السودان انك قتلت الزبير ودضوه في الخرطوم مع جماعة من الكتاب لمواطاتهم الدراويش في سنار ؟ قال : نعم أردت تأديبه فطلب العفو وحلف لي بين الطاعة فعمفوت عنه وجعلته معاوناً في الخرطوم فصنع لي المعجون الذي ارسلته الى المهدي . ولما دعوت الاهلين لتجنيد خدمهم السود تكفل يجمع اورطتين من سنار ومما وصل سنار حق هاج اهلهما من جوروه وعلمت انه هو الذي حذر المهدي من السم فاستدعيته الى الخرطوم وسجنته قصد محاكمته ففر من السجن الى حيث .

(صفحة ٦٨٩) قلت وما سبب انحياز الياس باشا ام برير الى المهدي او لم يكن في الامكان انقاذ الابيض من السقوط ؟ قال : أما الياس باشا فقد انحاز الى المهدي نكايه بمحمد سعيد باشا مدير الابيض ومحمد بك دفع الله من كبار تجارها لأنه وقع بينه وبينها عداة شديد وقد اضطررت الى عزل محمد سعيد باشا تلعرفياً وسميت محمد شريف بك مديراً على الابيض ارضاء لالياس باشا فأظهر الرضى وكن الحقد .

أما الابيض فاني بذلت جهد المستطاع في انقاذها فلم أوفق الى ذلك : أرسلت اليها اورطة سرور افندي بهجت التي جاءت لنجدة جيكاكر في

ابي حراز (بناء على طلبي لها وأنا في اسيوط) . ثم ارسلت اليها اورطة باشا افندي حماد التي استدعتها من القضارف عند سماعي بانكسار سرور بهجت في ابي حراز . ثم باورطتين من الخطرية والباشبوزق بقيادة علي بك لطفي فهوجوا قرب بارة كما علمت . ولما لم يعد في الامكان انجادهما من الخرطوم طلبت المدد من مصر بالحاح فابطأ المدد وكان ما قدره الله .

(صفحة ٦٨١) قلت : وهل كان في وسع مصر إذ ذاك ان ترسل الجند وكم جندياً طلبت ؟ قال : طلبت ١٠٠٠٠ جندي ترسل في ستة اشهر في عهد وزارة رياض باشا فأجابني ان الجيش المصري قد النفي وليس في الامكان انجاده بالمساكر فدبّر الأمر بحكمتك وكان اول المعارضين في ارسال النجدة اسماعيل باشا ايوب وهو إذ ذاك ناظر الداخلية . فلما مضت الستة أشهر ولم تأتني النجدة رفعت استعفائي فجاءني تلغراف من الجناب العالي كله عتاب ونصيحة وفي الختام يقول فيه : « اتنا ألحنا على الحربية في ارسال النجدة » . ولما لم تأتني النجدة استعفيت ثانية فاهتمت الحكومة إذ ذاك بالأمر وشرعت في ارسال المساكر تباعاً بطريق سواكن وهم جيش عراقي الملقى .

فلما وصلت الاورطة الاولى بقيادة عبد الله الكردي الى الخرطوم كانت زعماء الثورة يحشدون الجموع في الجبلين فجردتها عليهم مع جيكلر باشا الذي لم يلبث ان عاد بها الى الكوة ودعاني الى غرفة التلغراف وقال : « لما وصلنا الجبلين أرسلت بلوكا سودانيا كنت اخذته من الكوة لاستكشاف العدو فراه متوارياً عنا بغابة كثيفة فأمرت الاورطة بمهاجمته فأبت بحجة انه اقوى منها وقالت لم يؤت بنا الى هنا إلا لاعدائنا لأننا اعرابيون » فأمرته بحبس القومندان وسلم الاورطة للصاغ وعاد الى الخرطوم .

ثم جاءت الاورطة الثانية والثالثة فأرسلتها مع صالح بك الملك وبعض الباشبوزق لقتال الدراويش على النيل الازرق فلما وصلوا المسيلة حتى اتاني تلغراف من صالح الملك يقول فيه : « ان المساكر تصرح بأني متفق معكم على

تاريخ السودان

قتلهم لأنهم عرابيون . وكان في الخرطوم اذ ذاك الكولونل ستيورت وقد جاءها من قبل دولته ليقدم لها تقريراً عن حالة البلاد المالية والعسكرية فهدت اليه بأعمال الحكمدارية وجئت الى المسلية فوجدت الضباط من رتبة قائمقام فما دون يعتقدون ان محمد احمد هو المهدي الحقيقي ولا يأمنون بجانب الحكومة فبينت لهم فساد اعتقادهم وأمنتهم ونشطتهم وقلت : ها انا سائر امامكم ودخلت بهم الجزيرة . فما وصلت عبود حتى كان هكس باشا قد سمي رئيساً لأركان حرب العساكر في السودان وصدر لي الأمر بإيقاف الحركات العسكرية . وكانت الجزيرة اذ ذاك مشتعلة بنار الثورة وود كريف قد جمع الجموع قرب معتوق واحد المكاشف يحاصر سنار فقلت في الجواب « عبشاً نحاول إيقاف الحركات العسكرية في مثل هذه الاحوال لأننا ان تركنا الدراويش فهم لا يتركوننا » ثم زحفت على ود كريف في معتوق فمزقت شمله وأتيت الى الكوة حيث كانت الاورطة الاولى فضمتها الى عساكري وجعلت سليم بك عوني قائداً عليها كلها وأرسلته بطريق الجزيرة الى ود مدني ليبقى في انتظاري فيها بقصد الزحف على احمد المكاشف ورفع الحصار عن سنار . وكنت قد أرسلت وابور بوردين الى بحر الغزال لجلب المرد منها للعسكر فعاد وأنا هناك فجئت به الى الخرطوم لتفقد احوالها .

(صفحة ٦٨٢) وهناك بلغني سراً ان علاء الدين باشا قد سمي حاكماً عاماً للسودان فتجست الخبر من المعية فلاح لي انه صدق فقلت لهم : « اني أرسلت الجيش الى النيل الازرق بقصد رفع الحصار عن سنار وهو الآن في انتظاري في ود مدني أقف عند هذا الحد أم أتقدم لرفع الحصار » فأجبت أولاً بالبقاء في الخرطوم ثم بالتقدم لرفع الحصار فذهبت الى سنار وأوقعت في احمد المكاشف « واقعة الداعي » ورفعت الحصار .

قلت : بلغني انك قبل مباشرة القتال في هذه الواقعة نزلت عن جوادك وقيدته في وسط المربع وقلت للعساكر هنا الموت او النصر فهل الأمر كذلك

قال : انما قيدت جوادي لأنه كان جموحاً يحفل من اطلاق الرصاص فاتخذ المساكر ذلك علامة نية النصر او الموت فحاربوا حرب الابطال وفازوا بالنصر . وقد حارب الدراويش ايضاً مستقتلين وهاجونا قاصدين اختراق المربع فقتل اكثرهم قريباً جداً من الصفوف وفاز رجل منهم بالدخول الى المربع فقبض عليه وأتى به إليّ فلما مثل بين يديّ قال لي أسلم يا كافر فزجرته وسألته عن احد المكاشف ومكانه فلم يجب بكلمة .

ثم تقدمت الى سنار فأتاني الخبر اليها من الخرطوم بسقوط الابيض وبارة وعلمت من التجار ان علاء الدين باشا وصل الخرطوم فلم أبالٍ وتقدمت وأوقعت واقعة التبنة . وهناك بلغني ان علاء الدين أعلن رسمياً أمر تسميته والياً على السودان فرجعت الى سنار فوجدت حين باشا شكري قد حضر لاستلام المساكر فأخبرته بالذي كنت عازماً عليه وجئت الى الخرطوم ثم الى مصر .

(صفحة ٧٦١) قلت : أصحيح انك نذبت لانقاذ الخرطوم فأبيت ؟ قال : نعم نذبت أولاً في وزارة شريف باشا وكنت اذ ذاك بلا وظيفة فأبيت لأنني اعتبرت ان الموظفين هم أولى مني باقتحام مثل هذه المخاطر . ثم دعيت ثانية في وزارة نوبار وكنت اذ ذاك ناظراً للحربية فقلت أذهب بشرط ترك القول بإخلاء السودان . وقد نويت لو قبلوا بشرطي ان اجمع المساكر بين الخرطوم ودنقلة وأسلم كل مديرية من مديريات شرقي السودان وغربه الى شيخها الاكبر وأضع عنده راية وقليلاً من المساكر لاتقاء شر المذابح فلم يرضوا بهذا الشرط .

(صفحة ٨٩٠) قلت : أصحيح ايضاً انك دعيت لحماية دنقلة بعد خروج المساكر الانكليزية منها سنة ١٨٨٥ فأبيت ؟ قال : نعم لأنني دعيت لحمايتها بالمساكر التي كانت فيها قبل الحملة وعشرة آلاف جنيه في السنة فوق ايرادها فبينت لهم فساد هذا الرأي وقلت اذا اريد حفظ دنقلة وقمع الثورة فلا بد

تحتاج السودان

من ارسال ١٥ الف جندي الى دنقلة في الحال . و ١٥ الفاً في السنة التالية لفتح بربر و ١٥ الف جندي في السنة الثالثة فوقهم لفتح الخرطوم . وذلك يقتضي ٣ ملايين جنيه تجعل تحت أمر الفاتح قبل الشروع في العمل : ولكن لم يكن في وسع الحكومة اذ ذاك اجابة هذا الاقتراح فسلمت البلاد الى اهلها فكان من امرها ما كان . اه .

الفهرس

مرتبة فيه المواضيع على حروف الهجاء

صفحة

١٣١٢ و ١٢٨٨	ابراهيم ديمتري
١١٧٢٧ و ٧٨٨	ابراهيم زيدان
٩٣٦	ابراهيم شريف الدولاوي
١١٤٢ و ١٠٠٤	ابراهيم عدلان
١٣١٩	ابراهيم علي . الامير
٥٠٧	ابراهيم ودوير وواقعة بارة
٣٥٥ و ٨٧	ابريم
٢٦٨	الابرية
٤٥	ابل السودان
٣٦	الابنوس
٤٤	ابو اطلاق
١٠٥٢	ابو جميزة . حركته في دارفور
٦٨٤ و ٦٢٥ و ٦٠٨	ابو حراز
١٥٢	ابو الحسن الاشعري الامام
١٥٧	ابو حسن الشاذلي . الشيخ
١٠٦ و ١١	ابو حمد . بلدة
١٥٣	ابو حنيفة . الامام
١٠٧	ابو خروق

صفحة

١٢٥ و ١٠٠ و ٦٨ و ٢٣	آبار السودان
٤٦٠	آدم . ثامن سلاطين وداي
٥٥٠	آدم باشا وثورة الجهادية في كسلة
١٠٤٤ و ٧٢٧ و ٧٢٢	آدم عامر
٥٣٤	اباته باشا . الدكتور
٨١٠ و ٨٠٤	ابراهيم افندي لبيب
١٣٠	ابراهيم . آخر سلاطين الفور
٥٨٤ و ٤٨٣ و ٤٧٧	
٥٢٤ و ٥٠١	ابراهيم باشا والي مصر
٦٠٨ و	
٧٦٢ و ٧٣٦ و ٥٦٤	ابراهيم فوزي باشا
١٢٨٧ و ٥٦٤	ابراهيم فوزي باشا
١١٢٢ و ١١٤٦	ابراهيم بك فتحي
٣٩١	ابراهيم جابر البولادي . الشيخ
١٥٦	ابراهيم الدسوقي . السيد

صفحة		صفحة	
١٥٦	احمد البدوي . السيد	١٠٥٦ و ٤٧٠	ابو الخيرات . الامير
٦٩٢	احمد بك دفع الله	١٠١	ابو دوم قشابي
	احمد بكر . ثامن عشر سلاطين الفور	٦٥٢ و ٥٦١	ابو السعود العقاد
٤٤٦		٣٩ و ٨	ابو سمبل
٩٨٤ و ٩٨٠ و ٩٠٥	احمد بك عفت	٩٨	ابو صاري
١٥٠	احمد بن ابي دريس السيد		ابو عنجه انظر حمدان ابو عنجه
١٥٣	احمد بن حنبل . الامام		ابو القاسم . الى ٢١ من سلاطين
٨٩	احمد الجداوي . الشيخ	٤٤٧	الفور
١٥٦	احمد الرفاعي . السيد		ابو قرجة . انظر محمد عثمان ابو
١٢٩٢	احمد زكي . الدكتور		قرجه
	احمد زكي . بكباشي وحملة دنقلة ١٢٢٢	١٠١	ابو قس
٨٨٠	احمد سليمان . بكباشي	١٢٦	الابيض
	احمد سليمان . عزله من بيت المال	٥٠٦	» فتحها الاول سنة ١٨٢١
١٠٠٤		٦٩٤	» حصارها سنة ١٨٨٢
١٣٠٠	احمد السنّي	٧٠١	» تسليمها ١٩ يناير ١٨٨٣
٤٩٣	احمد السلاوي . السيد	١٣٢٣	» احتلالها سنة ١٨٩٩
٦٧٢	احمد طاما . الشريف وحركته	٨٨	اثار السودان
٥٢٨ و ١٨٥	احمد العقاد . السيد	١٢٠١	اثلمني . اللورد وحملة دنقلة
	احمد علي . قاضي الاسلام في ام	١٣٨	الاحاجي والالغاز
١١٧٧ و ٩٧٤	درمان	٧٤	الاجانب في السودان
١٢٩١ و ٨٢٨	احمد العوام	١١٩٩	اجرتن . الجنرال
١١٩٥	احمد فضيل وغزوة كسلة	٧٢	الاحامدة
	» والقضارف وواقعة الرصيرص	٣٠٢	احميس . الملك
١٢٩٨		٤٤٥	احمد . ثامن سلاطين الفور
١٣٠٦	» وواقعة ابي عادل	٥٢١	احمد ابو سن . شيخ الشكرية
١٣١٠	» وواقعة جديد	٦٩٧	احمد الازهري . السيد (قتله)
٦٧٩	احمد المكاشف وسقوط شات	٩٦١	» ورسالته في تكذيب المهدي
٦٨٠	» وحصار سنار		احمد باشا ابو ودان . رابع ولاية الفتح
٧٩٣	احمد الهدي والثورة في دنقلة	٥٢٠	الاول
٥٥	الاجار		احمد باشا المنيكلي . خامس ولاية
		٥٢٣	الفتح الاول

تأريخ السودان

صفحة		صفحة	
٤٩	الارضه	٨٧٧	افلقن ود - السر - سردار الجيش المصري
٤٢٨	ارقر . مملكتها	٨٨٧	» والحمله النيلية
١٢٥	اركويت	٤٤٥	» استعفاؤه
٢٥٦	الارملي	٤٢٥	ادريس . تاسع سلاطين الفور
٢٢٧	ازخر امن احد ملوك ايثيوبيا		ادريس . ثاني عشر ملوك الجعليين
١١٣	اسبر افندي شقير	٤٠٤	ادريس . خامس وزراء الهمج
٨٢	استرجاع السودان	٣٩٠ و ١٦٣	ادريس . الشيخ
٢١٧	استعمار السودان	٥١٤ و ٥٠٠	ادريس عدلان الهمجي
٦٨٥	اسحف . خرابها	١٣٠٠	ادريس رجب الهمجي
٤٤٧	اسحق ابن السلطان تيراب	٩٧٤	ادريس عبدالرحيم وحصار كسله
١٢٩٢	اسرى الاحباش في ام درمان	٩٧	ادريس محجوب . الشيخ
١٣٠٩	الاسرى السودانيون في مصر	٥٠٠	ادريس المحينة ملك الجموعية
	الاسرى المصريون في السودان	٩٤	ادننادن
١٢٩٢ و ١٢٩١ و ١١٨٠			ادوار سسل . اللورد وحمله دنقله
١٣٥١	اسعد افندي داغر	١٢٠٠	
	اسعد افندي راشد وحمله دنقله	١٢٢٧	» والوفد الى الحبشة
١٢٢٢		١٢٦٩	» واسترجاع الخرطوم
١٧١	اسكندر نصره		» وكييل حكومة السودان العام
١٠٢	اسماعيل الولي الكردوفاني	١٣٢٤	
	اسماعيل . تاسع عشر ملوك سنار	٨٨٦	ادوار فنديك . المستر
٣٩٨			ادولس انظر زولا
	اسماعيل الازهري . السيد	١٦٩	الاراضي الزراعية في السودان
١٣١٤ و ٨٦٠		٢٢	اراضي السودان
	اسماعيل باشا ايوب . العشرون من		اراكيل بك ال ١٢ من ولاية الفتح الاول
	ولاة الفتح الاول	٥٣٤	
٦٠١ و ٥٩٢ و ٥٦٧ و ٥٤٧		٣٩٩ و ١١٣	اربجي ، خرائبها
	اسماعيل باشا (نجل محمد علي	١٢٤	الارتيقة
٥٠٧ و ٤٩١	باشا الكبير)	٣٢٧	ارجمينس . احد ملوك ايثيوبيا
٥٤٢	اسماعيل باشا الخديوي		ارداب (دياب) ودعيب ثامن مشايخ
	اسماعيل باشا ابو جبل . تاسع ولاه	٤١٨ و ٣٩٤	قري
٥٣١	الفتح الاول		

صفحة	صفحة
٢٩	اسماعيل باشا • نجل محمد علي .
١٣٠	باشا ٤٩١ و ٥٠٧
٢٨	اسماعيل شجر الخيري
٣٠٣	١١٧٢ و ١٢٠٣
١٨٨٥	اسماعيل عبد القادر • الشيخ
٩٠٣	» قصيدته في قبة المهدي ١١٣٢
٧٨٨	» وسيرة المهدي ١١٧٦
٧٣٨ و ٥٦٥	اسمور ٥٨
١١٠٢ و ١٠٩٠	الاسواق التجارية ١٧٨
١٢٩٨ و ١١٢٧ و ٨٤٢ و ١٩٦	اسوان ١١ و ١٥ و ٥٨ و ٨٢ و ٨٨ و ٩٠
الامين مسمار من مشايخ قري	الاسلام ١٤٣
٢٩٦ و ٤١٨	الاشراف • الدناقة ١١٦٥
انجضر • الشريف في سنار ٧٩٦	الاصلة (ثعبان) ٤٨
الاندراب • شجر ٣٧	ايجاد المسلمين ١٥٨
انسه الاول • سابغ ملوك سنار ٣٨٩	اكسوم • مملكة ٣٢٧
انسه الثاني • ثالث عشر ملوك سنار ٣٩٤	الياس باشا ام برير ٦٨٩
انسه الثالث • رابع عشر ملوك سنار ٣٩٥	امادي • خط الاستواء • حصارها ١٠٩٢
الانقرياب ٦٤	الامارات ٦٠
اهرام نيتة ١٠٦	امام • ثاني مشايخ القلابات ٥١٨
اهرام مروي ١١٧	الامباية ٢٢٧
اهل السنة ١٤٤	امبدى الرضى ١١٦٤ و ١٣١٩
الاوير • قبيلة ٢٩٨	اميقول ١٠٢
الاوران اوتانج • المشمبانزي ٤٤	امثال السودان ١٣٦
اوردا من احد ملوك ايثيوبيا ٣١٨	ام درمان ١٣ و ١٠٩
الاوزان ١٨١	» حصارها ٨٤٨
او سرتسن الاول • الملك ٣٠٠	» تسليمها • يناير سنة ١٨٨٥
اوسرتسن الثالث • الملك ٣٠٠	٨٥٤
اوكل • ال ٢١ من ملوك سنار ٤٠٢	» جامعها ١١٣٢
	» وقادتها ١١٣٢ و ١١٦٥ و ١٢٧٦

صفحة

٤١٧ و ٤٠٠

العابديلاب

٢٠

باديقة ، حرية

١١٨

بادين . بلدة

بارتياري الكولونل . وفتح كسله

١١٥٨

بارضونز باشا واحتلال القصارف

١٢٩٧

بارنج . السراقطن . انظر للسورد

١٢٦

كرومر باره

٠ تسليمها في ٥ يناير سنة ١٨٨٣

٦٩٦

بارو . الماجور وواقعة جنس

٩٩٨

الباري

٥٤

باشريك السمرندوايي في كسله

٨٩٧

باكر باشا وحملته على سواكن

٨٧٥

الباقه . بلدة

١٠٦

بايز الراهب

١٩

باين البكباشي . واقعة امبول

١١٩٠

بايه . قبيلة

٥٦

ببي الاول . الملك

٢٩٩

بتلر . الجنرال

٩٩٩ و ٨٨٧

البتموده . بلح

٣٣

البجراوية

١٠٦

البجة اصلهم

٥٨ و ٣٨

٠ ملخص تاريخهم

٧٩

٠ اخلاقهم

٢٤١

٠ وصفهم ووصف بلادهم

٣٦٧

البحارة ورقيق السودان

٥٥٥

صفحة

١٢٨

ابهر ولد . الاب

٦٩٥

٠ واسره في جبل الدلن

١١٨٢

٠ وانقاذه من الاسر وكتابه

٦٦

اولاد ابوروف

٧٢

اولاد حميد

٧٤

اولاد الريف في السودان

١١٨١

٠ والتعايشي

٣٩١

اولاد ضيف الله

٨٢٥

اوليفر باين الفرنساوي والمهدي

١٢٨

الالات الموسيقية

٧٩

ايشوبيا . ملخص تاريخها

٧٩

٠ تاريخها واثارها وتمدنها ولغاتنا

وحكومتها وعادات اهلها

٢٣٨ و ٢٩٧

الايمان في الاسلام

١٤٣

ب

البابيروس . البردي ١٥ و ١٧ و ١١٦

٩

باجرمي

٣٩٢

بادي . عاشر ملوك سنار

٣٩٢

بادي . ال ١٢ من ملوك سنار

٣٩٥

بادي الاحمر . ال ١٤ ملوك سنار

٣٩٥

بادي ال ١٧ من ملوك سنار

٤٠٢

بادي . ال ٢٣ من ملوك سنار

٤٠٣ و ٤٠٨

بادي . ال ٢٦ من ملوك سنار

٣٩٩

بادي رجب . ثاني وزراء الهمج

٣٩٩

بادي بن مسمار . رابع عشر مشايخ

صفحة	صفحة	
بحر الغزال	١٠ و ٨٦	بركنبري الجنرال وواقعة كركبان
» والثورة فيها	٧٣٥	٨٨٢
» تسليمها ٢٢ ابريل ١٨٨٤	٧٣٩	برنارد بك • الميرالاي ٢١٤ و ١٢٧١
» والنصاري فيها	١١٦٢	برن مردخ بك وحملة دنقلة ١١٩٦
» احتلالها الاخير	١٣٠١	برنو ٩
بحيرات السودان :		برويس النائب الروماني ٢٣٠
بحيرة البرت ادوارد نيانزه ١٠ و ١٩		بروت الماجور ٥٦٦ و ٦٠١
بحيرة البرت نيانزه	١٠	برودود بك وحملة الخرطوم ١٢٧١
بحيرة تسانة	١٠ و ١٣	بروس السائح ١٨
بحيرة فكتوريا نيانزه ١٠ و ١٢ و ١٩		البرون ٥٦
بحيرة نو	١١٨	البرياب ٧٤
نخيت بك بطراكي في الخرطوم ٨٥١		بريد (بوسطة) السودان ٢١١
البديات	٥٨	بسامتيك • الملك ٣٢٢
البديرية	٥٤ و ٧٢	البشارين ٥٩
البرابرة انظر نوبة		البشاري ريده ١٢٣١
بربر	١١ و ٨٥	البشري ابن المهدي ١١٧١ و ١٣١٤
» فتحها الاول سنة ١٨٣١	٤٩٦	البشم • شجر ٣٧
» والثورة المهدية	٧٨٦	بشير بك جبران شيخ المليكاب
» سقوطها ١٩ مايو سنة ١٨٨٤		العبادة ١١١٠
	٧٩٠	بشير عجب الفيه ١٣١٠
» احتلالها الاخير ٦ سبتمبر سنة		بشير ودعقيد الجعلي ٥١٠ و ٥١٨
١٨٩٧	١٢٢٤ و ١٢٢٩	البطاحين ٦٨ و ١١٢٦
بربره	١٢٥ و ٩٠٣	البطان • عادة ٢٥١
البرته • قبيلة	٥٦ و ١١٥	البطانة • صحراء ٢٢
برتي • بلدة	١٠٤	بطرس بك سركريس ٨٩
البرتي • قبيلة	٥٨	بطليموس الثاني ١٢٣ و ٣٢٧
برجس بك واسر عثمان دقنه ١٣١٤		البعام ٤٤
بردي الكولونل ودارفور ٦٠٢		بعنخي احد ملوك ايثوبيا ٣٠٧
البرقد	٥٧	البقارة ٧٢ و ١١٣٩
البرقل • جبل	١٠٤	بقارة محارب ٦٦
		البقط ٣٤٨

صفحة	صفحة
٩٠٨ طلال السميرندواي وحصار كسله	٨٧٥ يكر . الجنرال
٥٧٨ طلال يرحمته على بحر الغزال	٩٠٩ البكري . السيد . وحصار كسله
١٢٨٠ بيت الامانة في ام درمان	١١٨ بكو . بلدة ؟
١٢٩٠ بيت المال في ام درمان	١٣٠ بلبل . بلدة
١٦١ بيت مال المسلمين	١٣٠١ البلجيك وخط الاستواء
١٢١٥ بيتي . المستر وحملة دنقله	١٧٦ و ٣٣ البلح
٥٨ البيقر	١٠٤ البلبل
١٣٠١ بيك بك	١٢٧٧١ يلت بك وحماة الخرطوم
ت	١٢٢٦ البنشنج بك والوفد الى الحبشة
٦٩ تاجوج ومحل	٥٥ البنقو
التاكا انظر كسله	٥٦ البنه . قبيلة
١١٦٣ و ٥٨ تامه ومهدياما	٧١ بنو جرار
٣٤ التبلدي . شجر	٧٤ و ٦٦ بنو حسين
تجار السودان في مصر والسودان	٤٢٢ و ٦٠ بنو عامر
١٨٢ تجارة السودان	٧٤ بنو فضل
١٧٦ تحوتس الاول . الملك	٧٣ بنو هلبة
٣٠٢ تحوتس الثالث . الملك	١٢٤ البنيان . قبيلة
٣٠٢ التدخين . عادة	٢٩٨ البوانيت . قبيلة
٢٥٧ تدوي بك وحملة الخرطوم	١١٨ و ٥٤ بور
١٢٧١ الترجم	٨٢١ بور . المستر
٧٤ الترعة الخضراء	٩٠ بورخارت السايح
١١٦ ترنكتات . مرسى	٢٦٧ و ٤٠ البوزة
١٢٤ تريزه الراهبة	٤٧٠ بوش ابن السلطان محمد الفضل
١٢٩٢ تشارلس يارسنورد . اللورد	٥٩٤ بوش عم السلطان ابراهيم بدارفور
٨٧٣ و ٨٤٥ تشارلس ولسن . السير	١٠٤٠ بوش ملك قدر وابو عنجه
٨٧٤ و ٨٧١ تشر مسيد باشا	١٢٩١ بولس صليب
١١٠٥ و ٧٥٧ القعايشة	١٢٩١ بونابرت . كتابه الى عبد الرحمن
١١٧٢ و ٦٤	٤٥٥ سلطان دارفور
	٨٠٦ البرن . اوراق وحصار الخرطوم

صفحة		صفحة	
١١٢	الجايلى	٣٠٨	تفنخت • الملك
٩٠٤	جباره اغا الشايقي	٤٩١ و ١٢١ و ٧٥	تكارنة القلابات
١٢٨ الى ١١٠ و ١٠٤٠ و ٥٤٢	جبال السودان ٦٧	٥٧٣	تكمه • سلطان النمانم
٧٥	الجبرته	١٢٧١ و ١٩٣ و ١٣٠	تلبوت باشا
٨٨٦	جبر ضومط • الاستاذ	٢١٠	تلغراف السودان
٢٦٣	الجينه	١٢٨ و ٧١	التمام • قبيلة
٥٧ و ٥٦	الجبلاويون	١١١	التمانيات
٩٢٩ و ٥٢٣	الجدري	١٩	التمساح
٤٩	الجراد	٥٧	التنجر
٨٩١ و ٧٥٤	جرامم الجنرال وسواكن	٩٨	تنره
١٢٠١	جريفث بك	١٠٣	تنقاسي
٨٨٢	جرين • الجنرال	١٠٩٤ و ٦٢٠ و ٩٤	توفيق باشا • الخديوي السابق
١٢٣	جزائر البحر الاحمر	٩٤	التوفيقية • حلفا
٨٥ و ١١٢ الى ٩١ و ١١٢	جزائر النيل ١٦	١١٧	التوفيقية • سبت
١١٢ و ١١٢	الجزيرة مديرية	١٣٠	تولو • بلدة
٢٢ و ٨٥ و ١١٢	جزيرة مروى	٤٤٥	توم رابع سلاطين الفور
٢٢	جسي باشا	٦٨	تومات
٦١٠ و ٥٦٥	جعفر باشا صادق ١٧ الولاية	٤٤٧	تيراب ال ٢٢ من سلاطين الفور
٥٤٥	جعفر باشا مظهر ١٨ الولاية		
٥٦٨ و ٥٥٣	الجميلين		ث
٤٢٤ و ٦٣	جغرافية السودان الطبيعية	٨١	الثورة المهدية • ملخص تاريخها
٩	جغرافية السودان الادارية	٦٣١	• اسبابها وتاريخها
٧٩	جفسن وأمين باشا	٥٤٠	ثيودورس ملك الحبشة
١٠٩٩	جكسن باشا		ج
١٢٨٢ و ١٣٤٦	جلوي بك	٥٤١	جامرس الخلا
١٢٧١	الجليدات	٧٣٥ و ٥٥	الجانقي
٧٢	الجمع		جاويش • ملك العادلاناب الشايقي
٧٠	جمعان • بلدة	٤٩٥	
١٣٠			

ح

صفحة	مفحة
القلابات	جمعة ابو زقن • ثالث مشايخ
الجموعية	٥٢٧
الجميعاب	٦٥ و ٤٢٤
جنس • بلدة	٦٤ و ٤١٠
الجنيد البغدادي • الامام	٩٧
جهادية كسله وثورتهم	١٨٦٥ ٥٤٥
» الابيض »	٨٥ ١٠٤١
» النهود »	٩١ ١٠٤٩
الجوامعة	٧٢
جوبا • حملة	٦٠٣
الجور • قبيلة	٥٥
جورج افندي زيدان مؤلف في الاسلام	١٤٩
» واقعة ابي طليح	٨٤٣
جورج بك الحكيم واقعة مكس	٧١٨
» بنته	١٢٩٢
جورج مظلوم	١٢٨٨
جورجي اسطمبولية	٦٩٢ و ١٢٩٢
جور غطاس • بلدة	١١٨
الجوع في السودان	٥٥٤ و ٥١٢
الجوغان • شجر	١١٣٩ و
جوق الحسن • بلدة	٣٥
الجيرة وحصارها	١١٨
الجيش المصري	٦٨ و ٩٠١
جيكلا باشا	١٩٩ و ٨٨٥
الجيلاني • الامام عبد القادر	٦١٩ و ٦٥٨
	١٥٦
الحارذلو ابن سن شاعر الشكرية	
١١٣٧	
حامد علي وعملاته علي كسله	
١١٤١ و ١٠٨٦	
حامد ودالسنجق ابي حراز	٦٨٤
حامدود علي	١١٥٧ و ١٣١٠
الحباب	٦٠ و ٧٠
الحبشة والقلابات ومصر	
٥٢٦ و ٦٠٢	
الحبيل	٣٧
الحثاني	١٠٢
الحجاب الهيكلي	٢٥٦
حجازي • الفقيه	٤٠٣
حجر ابي صير	٩٥
الحد بين مصر والسودان	٨٢
الحدود والثورة	
٩٩٧ و ١١٠٥ و ١١٨٦	
الحراب	٢٥٩
حرارة الاسودان	٢٩
حرب العقال	٥٤٥
الحسانية	٧١
حسب الله ابن السلطان محمد الفضل	
٤٧٠	
حسب الله • عم السلطان ابراهيم	
٥٩٣	
حسب ربه • ال ٢٤ من ملوك سنار	
٤٠٢	
الحسكيت • نبات	٣٨
الحسنات	٦٥

صفحة	صفحة
٢٥٦	حسن باشا حلمي الجويسر
الحقو	٦٠٢ و ٦٠٦
الحكومة المضرية ومنشورها لاهل	حسن برنوس وسقوط كسله ٩٨٢
السودان سنة ١٣٠٧ هـ ١١٢٨	حسن بك سلامة ١٤ الولاة ٥٣٥
١٦٠	حسن بك صادق وحصار سنار ٩٨٦
١٨٦	حسن بك الكريتلي وحصار سنار ٩٨٩
٧٥	حسن بك قواد وحصار الخرطوم ٨١٠
٩٤ و ٨٤ و ١٢	حسن تور بدارفور ١١٦١
١١٠	حسن خليفة وأبار المرات ١١٢٨
١٠٠	حسن سرف ام كدوك ١٢٩١
١٠٠	حسن سعد العبادي ١٢٩١
١١٦	الحسن محمد خليفة ١١٠٦ و ١١٢٨
٤٥	حسن المرغني . السيد ١٢٠
٧٣	حسن النجومى في طوشكي ودنقلة
حمدان أبو عنجه وجبال النوبة ٩٠٧	١٢١٧ و ١١٢٦
» في ام درمان ١٠٤٥	الحسن ودحاشي وكسله
» في القلابات ١٠٦٤ الى ١٠٧٨	٩٠٧ و ٩٨٢
الحمدة ومشيختهم ٦٦ و ٤٢٤	حسن ود حسونة . الشيخ ٣٩١
حمد ود الترابي . الشيخ ٣٩٤	حسن ود رجب ٥٠٠ و ٥٠٦
٧٣	حسن وردي . حاكم ساي ٤٩٤
٧٢ و ٣٤	حسين . الى ٢٥ من سلاطين الفور
٦٨	٤٦٤
الحملة الانكليزية النيلية ٨٢٢ و ٨٧١	حسين باشا خليفه وسقوط بريـر
١١٩٣	والمهدي ٧٨٩ و ٨٢٤ و ٩٢٠
٥٠٢	الحسين الزهرة ٩٨١ و ١١٧٨ و ٦٤٩
٩٩	الحسين عبد الواحد والقضارف ٨٩٦
٦٢	حسين كاشف . حاكم الدر ٤٩٤
٩٠٥	حسين ود جزء الجبري ١٢٨٨
١٠٩٧ و ٧٢	حضارة السودان ١٣١
٤٧٢	الحضور ٧٤
٧٤	الحفير ٩٩
الحزن	

صفحة		
٥٦١	خط الاستواء والفتح الاول	٣٠٣
	» والثورة المهدية	١٠٣
١٣٠١ و ١٠٩٥ و ١٠٩٠		٥٢١ و ٦٠
	الخليفة انظر عبدالله التعايشي	٦٦
	الخليفة شريف انظر محمد شريف	١٢٤
٨٨١	خليل خيرالله الدكتور	١٧٢ و ٤٤
٤٢٨ و ٩٩	الخناق ومملكتها	
٤٢٨ و ١٠٠	الخنديق ومملكتها	
٧٤	الخوابير	
٦٠	الخوالة	
٧١	الخواوبر	
٩٥	خور موسى باشا	
٦٨٧ و ١٢٦	خورسي	
٥١٤	خورشد باشا ٢ ولاية الفتح الاول	
٢٣	خيران السودان	
	»	
٥٧	الداجر	
١١٦٣	دار تامه والامير محمود	
٧١	دار حامد . قبيلة	
٨٧ و ٨٠ و ٩	دارفور	
٤٨٢ و ٤٤١	» سلطنتها	
٥٧٩	» والفتح المصري	
٣١٩ و ١٨٥	» والثورة المهدية	
١١٦٣	دار القمر والامير محمود	
١٢٩	دارة	
٧٢٨ و ٨٣	دارة تسليمها في ٢٢ ديسمبر	
١٠٦ و ١١	الدامر . بلدة	
٣٥٧	داود ملك النوبة	
		حور محب . الملك
		الحوش الابيض
		الحلانقة وفتح كسله
		الحلاويين
		حلايب
		حيوانات السودان
		خ
		الخاتمية والثورة المهدية ١٢٠ و ٩٠٦
		» سقوطها ٢ مايو سنة ١٨٨٥
		٩١٣
		الخاصة ٦١ و ١٢٤
		خالد باشا . سادس ولاية الفتح الاول
		٥٢٣
		٨٧٨
		خالد العمرابي
		الخبراء قبيلة
		الختم موسى ١١٦٥ و ١٣١١
		الخرطوم ١٣ و ٨٥ و ١٠٧
		» وولاية الفتح الاول ٤٩٧
		» حصارها ٧٦١
		» سقوطها ٢٦ يناير ٨٥ و ٨٦٤
		» خرابها ١١٣٢
		» استرجاعها ١٢٧٠
		خزام . قبيلة ٧٤
		خسرو باشا والثورة في كسله ٩١٤
		خسوف القمر سنة ٨٢٨ ٥٢٠
		خشم البحر . مشيخته ٤٢١
		خشم الموس باشا والخرطوم ٨١٢
		خطار افندي كنعان ١٢٨٨

صفحة		صفحة	
١٧٠	الدميرة	١١٥	دبركي
٦١	الدناقلة	٩٤	دبروسة
٧٢٦	الثورة في بحر الغزال	٩١	دبود
١١٧٣	حبسهم في ام درمان	١٠٢ و ١٢١٩	الدبة
١٠٠ و ٨٤	دنقله الاوردي	١٠١	دبة الفقراء بلدة
٤٩٤	فتحها الاول	٤١	الدخان
٧٩٢	الثورة المهدية	٤٠	الدخن
١١٨٤ و ١١٠٥		٩٣	الدر • بلدة
٩٦	واسترجاعها ٢٣ ديسمبر	١٢٠١	دراج بك رحمة دنقلة
١٢١٧		١٢٧١	رحمة الخرطوم
٤٢٧ و ١٠١	دنقلة العجوز ومملكتها	٢٧	الدرت
٥٤	الدنكا	٣٥٩	الدرق
١٢١٣	ده درجمان • الكبتن	٣١٤	درمندهاي • المستر
٧٦٦ و ٧١٨	ده كرتلوجن • الكولونل	٦٥	دغم
٧٢٣ و ٤٦٩	دود بنقه حفيد السلطان محمد الفضل	١٠٢ و ٤٢٨	الدفار ومملكتها
١٣٠	الدور • بلدة •	٥٠٩	الدفتار دار وحمة كردوفان
١٢١ و ٦٨	دوكة	٥٣٣ و ٥٠٢	دفع اله احمد • الارباب
٣٣	الدوم	٤٠٤	دفع الله العربي
٦٢	الدويحية	٤١١	دفع اله • ودضيف الله • وفاته
١١٩	ديم الزبير او ديم سليمان	١١٩ و ١٠٩٩	الدفلاي
٥٥	الديور	١٠٤	الدقايات
٣		٤٢	الدمور
٤٤	ذباب السرور	٩٢	دكا • بلدة
٤٠	الذرة	٣٣	الدكاي • مشروب
١٥٥	الذكر • الصوفية	٣٨٩	دكين • خامس ملوك سنار
١١	الذلتا	٩٩	دلقو
٢٥ و ١١	الذهب ومناجمه	٢٥٧	الدلكة
		١٨٨٢	الدن تسليمها ١٤ سبتمبر
		٦٩٥	الدليب
		٣٤	دليل • سادس سلاطين الفور
		٤٤٥	

ر

صفحة

٦٥

الرفاعيون

٢٧٥

رقص الدلوكة

٦١٩ و ٥٥٥ و ١٧٨

الرقيق

٨٣٢

رندل باشا في كورسكو

١٢٠١

» رحمة دنقله

١٢٩٩ و ٩٤٠ رحمة الخرطوم

٥٨

رنق

١١٧

الرنق . بلدة

١١٦

رنقه

١٢٢٧ رنل رود السر والوفد للحبشة

١٢٤

رواية . ملاحه

روبرتصن القومندان وحمة نقله

١٢١٩

١٢٧١

روجرس بك

١٢٨١

رودس . الكولونل

١١٨٣

روسينبولي . الاب وانقازده

رولنصن . الكبتن وحمة الخرطوم

١٢٧٠

٢٨

الروم . شجر

رووف باشا الى ٢٢ من ولاية

٦٥٢ و ٦٢٠

السودان

٢٨

رياح السودان

١٧٦

ريش النعام

صفحة

١١٧

رابع الزبير

٦١١ ر ٤٦٤

الراتب وراتب المهدي

٦٣

الرازقية

١٣٠

راس . القيل بلدة

راشد باشا كمال والثورة في كسله

٩٠٤

رانفي . ال ٢٧ من ملوك سنار ٤٠٥

٢٤٠

الربابة

رباط . حادي عشر ملوك سنار ٢٩١

٦٣ و ٢٦٦ الرباطات ومملكتهم

٤٠٠ رجب . ثالث وزراء الهمج

١١٥

الرصيرص وشلالها

٦٣

الرحماب

٥٠٠

رحمه ود دحالة

٧٣ و ٥٨٠ الرزيقات

رستم باشا . ثامن ولاية الفتح الاول

٥٣٣

٢٧

الرشاش

٧٠

الرشايدة

٢٥٥

الرشة

١١

رشيد

٩٠٤

رضوان باشا واخلاء هرر

٢٠٠

الرعاة العمالقة

٣٠٥

رعيس الثاني . الملك

٣٠٦

رعمسيس الثاني عشر . الملك

١١٢ و ٦٨

رفاعة . بلدة

٥٢٤

رفاعة بك

٦٧

رفاعة الشرق او جهينه الغرب

ز

١١٥٦ و ١١٣٨ و ١٠٧٧ الزاكي طمل

٦٦

الزبالمة

١٢٩ و ١١٢ و ٦٤

الزبير باشا

٦٠١ الى ٥٦٨

» سيرته

صفحة	صفحة
٨٧٧ و ٨٤٠	زحافات السودان
٧٢١ و ٧٦٢	زراعة السودان والالات الزراعية
١٢٧١ و ٨٧٥	١٦٩
٣٤	١٢١ زرقة
١١٧ و ١٧	٥٨ الزغاوة
١٢٢٧	زقل انظر محمد خالد زقل
٩٦	١٢٥٩ ٩٢١ و ١٦١ الزكاة
٤٩	٣٥٣ زكريا بن بخص ملك النوبة
٤١١ و ٦٣	٢٥ الزمرد
٩٠٠	٨٨٤ زهراب باشا والحملة النيلية
٥٣٣	١٥٩ الزواج في الاسلام
٢٠٤ و ١٩٦	١٢٥ زولا . مينا
٢١٩	٥١٦ زلازل السودان سنة ١٨٢٢
٤١	٧٢ الزيادة
٥٣	٩٠٣ و ١٢٥ زيلع واخلاؤها
٢٢٤	
٢٩٩ و	« س »
٦١٩	٦١٨ ساتي بك في بحر الغزال
١١٠٤	٨٠٤ و ٧٣٧ « في الخرطوم
٤٣٤	١٠٥٥ ساغة اخوابي جميزة في دارفور
٣٦	٩٧ ساقية العبد
١٤١	٧٤ ساني كرو
٦٥	١٣٥٠ و ١٣٠١ و ١٩٥ سباركس باشا
٨٩	٣١٥ سباقون الملك
٤٤٤	١١٨ و ١٤ و ٩ سبت . بحر
٧١٢ و ٦٠٥	٩٢ السبوع
٤٤٤	٣١٦ سببخون . الملك
٧١٨ و ١٦٩	٩٩٨ و ٨٣٤ ستفنسن . الجنرال
١٢٢٢ و ٨٨٦ و ١١٢١	١١٤٦ و ١١٢١ سقل باشا
	١٠٩٢ و ١٩ ستقلي . المستر

تأريخ السودان

صفحة	صفحة
٦٢	٦٠٩ سليمان الزبير وبحر الغزال
٩٧	١٢٨٨ سليمان كشه
٥٥٥ و ٤٩٢ و ١٢١	١١٩٢ سليمان نعمان ودقمر
٨٩١ و ٧٥٠ و ٧٤٤	٦٢ السليمانية
١٣٤٠ و ٨٩٤	٥٢٠ سليم باشا عاشر ولاية الفتح الاول
٣٢٧ و ٢٩٧ : ١١٢	١١٠٢ سليم بك مطر في خط الاستواء
٣٦٢ و ٣٣٦	٢٠١ سليم بك موصللي
٥٣	١٢٢٢ و ١٠٠٠ و ١٨٨٦
» اخلاقهم وعاداتهم وخرافاتهم	١٢٢٢ و ١٢١٣ سليم افندي شقره
٢٢٣	١٢٣ و ٨١ سليم الفاتح . السلطان
٩	٦٨٥ السمانى وواقعة بارة
٢٩١	١٢١٣ سمث بك
٥١٢	٩٠٤ السمرندواب الهدندوه وكسله
١١٩	٣٠٧ سنقوميامدن الملك
٦٢٦	٩٦ سمنه
٧٢٥	٥٨ سميّار
١١٤٥	١٧٧ و ٢٨ السنّا
١٣٢٢ و ٧٠٥	١١٤ و ٨٥ و ٨٠ و ٩ سنار وتاريخها
١٢٠	٤٩٣ » وحملة اسماعيل باشا
١٢٥ / ١٨٨٠	٨١٩ و ٦٨٠ و ٦٧٠ » والثورة المهدية
١٠٥	١٠٧٥ و ٩٨٦ » حصارها وتسليمها
١٩٦	١٣٠٠ » احتلالها الاخير
٧٢٧ و ٦٠٨	٣٧ السنط
٧٢٤ و ٧٢٨	١٧٦ سن الفيل . العاج
١٠٩٦ و	٧٤٩ و ١٢٥ سنكات وسقوطها
١١٨٣	٦٠٢ / ١٨٧٤ سنهيت . احتلالها سنة
١٢٠٢	٩٠٣ / ١٨٨٥ » اخلاؤها ١٩ ابريل
١٢٧٠ و ١٢١٠	١٢١٠ السنوسى احمد اخ الخليفة
٢٦	السنوسى انظر محمد المهدى السنوسى
١٤٨	١٢٨ السنوط
	١٢٩٥ سنين التاماوي

صفحة		صفحة	
٦٨٧	الطيارة • سقوطها	٢٣	صحاري السودان
٧٩٢	الطيب • الشيخ الشايقي	١٣١٠	الصديق ابن المهدي
١٣١٥	الطيب احمد هاشمي	١٢١	صرف عردية
٤٧	طيور السودان	٩٨	صلب • بلدة
	« ع »	١٧٦	الصمغ
٤١٧ و ٦٥	العابدلاب ومشيفتهم	٥٤٠ و ١٩	صموئيل باكر • السر
٧١٥ و ٦٦٩	عامر المكاشف في سنار	٥٦١	
٥٩	العبادة	١٠٣	صنم • بلدة
٦٤	العباسة	١٥٤ و ١٦٣	الصوفية
٥٢٤	عباس باشا • ثالث امراء مصر	١٦٣	« طرايقها في السودان
	عباس باشا حلمي خديوي مصر الحالي	٦٣	الصيام • قبيلة
	« جلوسه على الاريكة الخديوية		« ض »
١١٥٢ / ١٨٩٢	٨ يناير سنة	٦٨	الضباينة
١١٩٢	« زيارته للحدود ١٨٩٤	٤٢١	ضزار • خشم البحر
١٣٢٧	« زيارته للسودان ١٩٠١	٤٤	الضعيفاب
١٢٦٤ و ٧٧٣	العباس والشيخ العبيد		« ط »
٢٠٠	عباني باشا ناظر الحربية	٢٧٦ و ١٤٠	الطار • غناؤه
١٣٩	عبدالله ابو سن	٩٢٧	الطامر المجذوب ورثاء المهدي
٥٨١	عبدالله التماسي والزبير	١٢٧٥ و ١٢٠٥	الطامر ود العبيد
٦٤٤	« والمهدي	١٣٠٠ و	
٩٧٣	« خلافته	٣٨٩	طبل • سادس ملوك سنار
٩٩٤	« وخراب سنار	٤٠٢	طبل الثاني ال ٢٢ من ملوك سنار
١٠٠١	« وحملته على دنقله	١٧٩	الطرق التجارية في السودان
١١١٣	« وقبائل السودان	٤٩٤	طنبل • ملك ارقو
١١٥٧	« وحملة دنقله	١٨٩ و ٢٢٧ و ١٤٠	الطنبورة • غناؤها
١١٦٥	« وحملة بربر	٣١٧	طهراق • الملك
١٢٣٧	« صفاته وجيشه	٩٤	طوشكي
١٢٧٢	« وراقعة ام درمان	٧٤٩ و ٨٤	طوكر • سقوطها ٢٤ فبراير
١٣١٠	« وراقعة جديد	١١٤٥ و ٩١	« استراجعتها ١٩ فبراير
١٣٠٤	« كته ومنشوراته ٩٧٦		

صفحة

عبد الرحمن النجومي وحرب الدابير ٨١٥
 « وحصار الخرطوم ٨١٧ و ٨٢٨
 « وبعثته الى المتمة ٩٢٠
 « وبعثته الى سنار ٩٩٤
 « وعمالته على دنقله ١٠٠٤
 « واقعة طوشكي ١١١٧
 عبد الرحمن ابو دقل ١٢٠٠
 عبد العزيز بك ابن لينان باشا ٥٦٥
 عبد العظيم بك خليفة والمرات ١١٩٢
 « رحمة دنقله ١٢٢٠
 « واقعة ابي حمد ١٢٢٨
 عبد القادر . ثاني ملوك سنار ٣٨٩
 عبد القادر باشا حلمي الى ٢٣ من
 ولاية الفتح الاول ومآثره في السودان
 ٦٧٣ و ٦٨٠ و ٦٩٧ و ٧٦٢ و ١٣٦٠
 عبد القادر بك محمد ايلة كبير الحلائقة
 والثورة في كسله ٩٠٧
 عبد القادر الثاني . ثامن ملوك سنار
 ٣٨٩
 عبد القادر الزين ١٨ و ٥٣٤
 عبد القادر ضيف الله ٥١٧
 عبد القادر ود ساتي علي ١١٧٢
 عبد الكريم مؤسس سلطنة وداي ٦٣٩
 عبد اللطيف باشا . سابع الولاية ٥٢٤
 عبد الماجد اللكيلك واقعة كريكان
 ٨٧٩
 « واقعة جس ٩٩٩
 عبد الماجد محمد خوجلي
 واقعة ابي طليح ٨٣٧ و ٨٤٢
 « واقعة جذس ٩٩٧

صفحة

عبدالله جماع . العبدلابي ٣٨٦ و ٤١٧
 عبدالله ودمزة في كسله ٩٨١
 عبدالله الكحال . الحاج ٢٦١ و ٩٢٦
 عبدالله ابراهيم وجبال النوبة ١٠٤٥
 « في الجزيرة ١١٣٨
 عبدالله ابراهيم واقعة اغوردت ١١٥٨
 عبدالله ود احمد ود ابو سوار ١٢٨٨
 عبدالله ود سعد واقعة جنس ٩٩٧
 « رواقمة المتمة ١٢٢٤
 عبدالله ود عجيب . ال ١١ من مشايخ
 العابدلاب ٣٩٧ و ٤٠٥ و ٤١٨
 عبدالله ود عجيب ال ١٥ من مشايخ
 العابدلاب ٤٠٣ و ٤١٨
 عبدالله ود النور والخرطوم ٨٥٣
 عبد الباسط واقعة الدويم الثانية
 ٦٨٠
 عبد الباقي عبد الوكيل ١٢٨١ و ١٣١٠
 عبد الجواد بك برهان ١٢٢٢
 عبد الحفيظ واقعة خور موسى ١١٠٧
 عبد الحليم باشا ابن محمد علي باشا
 ٥٣٣
 عبد الحليم مساعد وغزوة مصر ١١٠٤
 ١١١١ و ١١٢٦
 عبد الدافع الشيخ وتاريخه ٣٨٦
 عبد الرحمن . ثالث سلاطين الفور ٤٤٥
 عبد الرحمن ٢٣ سلاطين الفور ٤٥٢

تأريخ السجلات

صفحة	صفحة
عجيب ود عبدالله شيخ قري ٣٩٩ و ٤٠٢	عبد المحمود نور الدايم ٩٧٢
العجيل ود الجنقاوي . قتله ٩٧	عبري بلدة ٩٧
عدلان . سادس وزراء الهمج ٤٠٧ ١١٩	عبود . بلدة ١١٩
عدلان . تاسع ملوك سنار ٣٨٩ ٥٩	العبودين ٥٩
عدلان الثاني ال ٢٠ من ملوك سنار ٦٥	العبيد . الشيخ ٦٥
٣٩٩	« حصار الخرطوم ٧٧٢ و ٨١٤
٦٥	عبيد الله بن مروان الحمار ٣٤٩
٧٢	عبيد الله المهدي ١٤٩
٢٩٠	العبيدية ١٠٦
١١٨٩	عثمان آدم في الابيض ١٠٤٢
١٣٠١	« في دارفور ١٠٥١
٣٦	عثمان ازرق وغزوة بريس ١١٩١
١٧٦ و ٣٤	« وواقعة المرات ١١٩٢
٧٤	« وواقعة ام درمان ١٢٨٨
٧١	عثمان بك . اول ولاية السودان ٥١٢
٧٣	عثمان بك الدالي وحصار سنار
٥٩	٨١٩ و ٩٩٠ و ١٢٩٠
٣٧	عثمان دقنه والمهدي ٧٠٧
٢٧	« والثورة في سواكن ٧٤٤ و ٨٩١
٥١٧	« والثورة في كسله ٩٠٤ و ٩٨٣
٧٣	« وواقعة طوكر ١٠٩٠ و ١١٥١
٥٩	« وواقعة الاتبرة ١٢٣٠
٣٧	« وواقعة ام درمان ١٢٨١
٢٧	« القبض عليه في سواكن ٦٦٩
عطرون . اول مشايخ القلابات ٥١٧	عثمان الدكم امير بربر ١٠٠٤ و ١٢٨٨
٧٣	عثمان شيخ الدين ١١٧٤
١١٤٩ و ١٠٦ :	« وواقعة ام درمان ١٢٧٨
١٠٣	« وواقعة جديد ١٢١١
٦٦	عثمان نايب وواقعة طوكر ١١٥١
١٦٢	عجيب . ثاني مشايخ العابدلاب
٣٤	٣٨٩ و ٤١٧
علي باشا سري ١١ ولاية الفتح الاول ٥٣٣	
٤٠٦	
٩٦	

صفحة	صفحة
عمر صالح وعمالته خط الاستواء	علوه
١٠٩٥	علي أبو عموري
٥٤٥	علي بك البخيت شيخ بن عامر ٩٠٥
عمر فخري بك في الخرطوم	علي بك الخير
عمر المغربي • قصيدته لملك سنار ٣٩٢	علي دينار الأمير ١٢٩ و ٤٧٠ و ٤٨٢
العماراب	« والتعايشي ١١٦٠ و ١٢١٩
عمر ود ضاوي والثورة في كسلة ٩٨٢	علي عبد الكريم وبدعته ١٢١٥
العنبج • نبات	علي المرغني • السيد ١٢٠ و ١٢٠
العنزة ام قرن	و ١٣٣٥
عنكريب	علي نورين • شيخ سبدرات ٩٠٧
العنكوليب	علي ود حلو • الخليفة والمهدي
العورة • قبيلة	٦٢٨ و ٦٤٢ و ٦٢٨
عوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية	« والتعايشي ٩٧٢ و ١١٧٥ و ١٢٨١
٣٠٧	و ١٣١٠
« وحصار الخرطوم ٧٧١ و ٧٩٨	علي ود سعد وواقعة ابي طليح ٨٤٢
« والخليفة عبدالله	« وواقعة طوشكي ١١٢٦
عوض الكريم كاهوت ٣٣٧ و ٩٨٢	العماراب
العوض المرضي	عماراه • بلدة
١٢٩١	عماراه • رابع ملوك سنار ٣٨٩
العوضية	عماراه ابو سن والثورة في كسله ٨٩٤
٦٣	عمارة دنقس • اول ملوك سنار ٢٩٨
العونية	عمدة • بلدة ٩٣
علاء الدين باشا الى ٢٤ من ولاية الفتح	عمر • ملك العماراب الشايقية ٤٩٥
الاول ٦٢٦ و ٧١٥	عمر • ثاني سلاطين الفور ٤٤٥
٦٦	عمر ابن الملك نمر ٥٢٤ و ٥٢٨
عيزاب • بلدة	عمر ابراهيم السنجق وسقوط الخرطوم
العينست • فرس البحر	٨٦١
١٩	عمر الياس باشا في باره ١٠٤٤
١١١	عمر الثاني ال ٢٠ من سلاطين الفور
« غ »	٤٤٥
٧١	الغديات

نتائج السوركان

صفحة	٩٠	غرنفيل باشا
٥٦١	٨٨٧	« سردار الجيش المصري
١٢٩٢	١٠٠٠	« وواقعة جنس
« وحادثة مارشان	١٠٨٧	« وواقعة الجميزة
الفاضل ابن المهدي	١١١٦	« وواقعة طوشكي
١٣١٢ و ١١٧١	١١٨٩	« استعفاؤه
١٣٥	١٢٩٤	« زيارته الى ام درمان
٩٧ و ٢٤١ و ٦٥٧	٥٦٢	غوردون باشا وخط الاستواء
الفتح المصري	٥٩٨	والزبير في مصر
٨٠ و ٤٨٩	« ولايته الاولى على السودان	
فتركلارنس البكباشي في ابي حمد	٦٠٥	« ولايته الثانية على السودان
١٢٢٨	٧٦١	« وحصار الخرطوم
الفتيحاب	٧٧٣	« قتله ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥
٦٥	٨٦٦	
١١٣ و ٣٧٨	٤١	الغوغاية
فداسي		
٦٤		
الفرانيب		
٥٥		
فرتيت		
١٩٦		
فرج افندي شحاده		
فرج الله باشا . ام درمان ٨٤٨ و ٨٥٢		
٩٤		
فرص . بلدة		
٩٧		
فركة		
١١٨٤		
فرنسوى امبراطور النمسا		
٥٦		
فروقى		
٩٨ و ٩٤		
فريج . بلدة		
١٠٦		
فريخة . بلدة		
١٦٩		
الفصول الزراعية		
٢٧		
فصول السودان		
٦٨٠		
فضل الله كريف		
١٣١١ و ١٢٣٠		
فضل الحسنه		
١٣٠١		
فضل المولى البكباشي		
١٣٠١		
فضل النبي اصيل		
٥٩		
الفقراء . قبيلة		
١٥٣		
الفقه . ائمته		
٥٦		
فنقرو		
١١٩٥		
فكك البكباشي في سواكن		
١٢٠٨		
« وحملة دنقلة		

صفحة		صفحة	
١٢٣١	« وواقعة الاتبره »	٨٦٠	فوزي محمود كاتب المهدي
١٢٧٠	« وحملة الخرطوم »	٢٨٥ و ٦٧	القونج وتاريخ ملوكهم
١٣٠٦	« وحملته على الخليفة »	١٦٢	الفيل في الاسلام
١٣٢٧	« وحرب الترנסفال »	٤٣	الفيل
٢٠٤ و ١٧١	« وكيلة غوردون »		
١٣٣٣ و			« ك »
١٠٤	كدين ٩٨ * كركبان		
١٠١ و ٣٠	الكرد	٣٢٨	كابيل . ملك النوبة
٦٨٤ و ٥١٨	كردوفان ٨٧	٣١٥	كاتشا . الملك
١٣٣٣ و		١٢٢٩	كاتيجر . الجنرال
١٠٥	كركوج ١١٥ : ١ * الكرم	٥٧	كاجه البدو
٧٤	الكرمة ٩٩ : ١ * الكرويات	٥٦	كارا
٩١	كرومر . اللورد والاصلاح في مصر	٣٥٥	كافور الاخشيدي والنوبة
٢٠٤	« وكيلة غوردون »	١١٧	كاكا
٥٩٧	« والزمير باشا »	٣٧	للكاموت
٧٧٣	« وغوردون باشا »	١١٢	لاكاملين
	« زيارته الى السودان وخطبه »	٥٠٢ و ٤١٣	كايو مورخ فتح سنار
١٣٣٤		٧١	الكبابيش
١٣٣٤ و ٢٠٥	كري المستر وكيلة غوردون	٦٢	الكبانة
١٣٣٤ و		٢٥٤	الكبس
١٣٠	كري	٧٣٢ و ١٠	كبكية وحاميتها
٣٤٤ و ٣٢٤	كسله ١١٩ : ١ * فتوحها	٣٦	الكثر
١١٥٦ و ١٠٧٢	والثورة الهندية ٨٩٦	١٢٠١	كتشنر . الكلونل وحملة دنقله
٢٠	كسوف الشمس سنة ١٨٣٦ م	١٣٠٤	« وحملته على الخليفة »
٣٢ و ٨٠	الكتاب وتاريخهم		كتشنر . اللورد
٨٨٣	ككوتش . الجنرال	٨٣٢	« ماموريتها الى دنقله »
١٣٠	كلكل *	١٠٨٥	« وواقعة هندوب »
٢٨	الكليت . شجر	١١٢١	« وواقعة طوشنكي »
١٣٣٣ و ٢٠٤	كلية غوردون	١١٨٩	« سردار الجيش المصري »
٢٢٣	الكماثير ٦٦ * كمبيز . الملك	١١٩٣	« وحملة دنقله »
١٢٣٣	الكمرن هيلندرس	١١٢٤	« وحملة بربر »

« م »

صفحة

صفحة	
١١٩٢ و ١١٣٦ و ١١٠٧	ماتشل بك
١٠٤٦ و ٧٢٨	مادبو شيخ الرزيقات
٤٦	المادي • قبيلة
١٢٩٢	مارشان وحادثة فاشوده
٧٩٦	مارنوبك واخلاء فامكة
٢٩٩	الماريسة ٣٦ : ١ • المازايو • قبيلة
١٥٣	مالك • الامام
٢١٣	مالية السودان
٧٤	الماهرية
١٣١٦ و ١٣٠٧	مامون باشا
٢١٤	ماي بك • القائمقام
١٢١ و ١٠٧	المقة
٢٩٩	متوسرفس • الملك
٧١	المجاذيب ٦٣ : ١ • المجانين
١٣١٥	محجوب المرغني • السيد
٢٣١ و ٩٢	المحرقة
٤٣٤ و ٦١	المحسن واثارها
٦٩	مخلق • العاشق
١١٧١	محمد ابن المهدي • حبسه
٣٩٨ و ٣٩٧	محمد ابو اللكيل • اول
١٤٩	محمد احمد المهدي
٦٢٥	• اصله واسباب ظهوره
٦٥٥	• مجرته الى قدير
٩٣٠ و ٦٦٧	• حكومته
٦٨٩	• غزوته للابيض
٧١٩	• وحملته مكس

١٠٤	الكميلاب الهندوة في كسله
٢٦٤	كنافة ٦٥ • الكنتوش
١٢١ و ٥٧	الكنجارية
٣٢٩	كدداكة • الملكة
٦٥	الكنوز ٦١ • الكواملة
١٢٩	كوبان ٩٢ • كوبي
٩٣	كورتى ١٠٢ : ١ • كورسكو
١٣٦	كرو ال ١٥ من سلاطين الفور
٩٨	كوشه ٩٧ : ١ • كوكي
١٣٦	كولفل • الكولونيل والحملة النيلية
١٢٧١	كولنسن بك وواقعة الخرطوم
١٢٠٨ و ٣٢٢ و ٢٣	الكوليرا
١٢٢٧ و ٢٠١ و ١٩٢	الكونت كايفن ١٩٢ : ١ و ٢٠١ و ١٢٢٧
١١٦	كوندوكرو ١١٨ : ١ • الكوة
٩٨	كويكة ٩٧ : ١ • كويه
١١٩	كلايشة ٩٢ : ١ • كيري

« ل »

٧٤٣ و ٧٣٦ و ٦١٨	لبتن بك
١٢٧١	للتون • الجنرال وحملة الخرطوم
٦٦	اللوحيين
١٣٣	لغات اهل السودان
٢٦٥	لقبي ١١٨ : ١ • اللقمة الجيرية
١٢٣٢ و ٥٦٥	لونج • الكولونيل
١٢٧١ و ١٢٠٢	لويس الكولونيل
١٢٩٩ و ٣٥٥	ليرنى بن سدر • ملك النوبة

صفحة

- محمد بك موسى الهندوي ٩٠٥
 ١٠٨٣
 محمد بن رجب سابع وزراء الهمج ٤٠٩
 محمد بن عبدالله مدعي المهدية ١٤٨
 محمد الخلوتي . الشيخ ١٥٧
 محمد خالد زقل ٧٢٧ و ١٠٤٣ و ١٠٨٨
 ١٢٠٣ و ١١٨٩
 محمد الخير والمهدية ٧٨٦ و ١٠٠٤
 ١١٢٦
 محمد دوره ال ١٩ من سلاطين القود ٤٤٦
 محمد الزاكي عثمان ١٢٣٠ و ١٢٧٤
 محمد الزاكي . الشيخ والمهدي ٩٥١
 محمد سعيد باشا والمهدي ٦٥٥ و ٦٨٩
 محمد شريف . الخليفة والخليفة
 عبدالله ٩٧٣ و ١١٦٨ و ١٣٠٠ و ١٣١٤
 محمد شريف باشا . استاذ المهدي ١١٦ و ٦٣٩ و ٨٢٥
 « والتعايشي ١١٦٥ و ١١٦٨
 ١٢٩٠
 محمد صول خامس سلاطين القود ٤٤٦
 محمد عبد الكريم ٩٢٠ و ٩٨٨ و ١١٧٢
 محمد عثمان ابو قرجة ٧٩٨ و ١٠٨٦
 محمد عثمان خالد ١٢٦٨
 محمد عثمان المرغني والثورة في كسك ٩٠٥
 محمد عدلان ثامن الهمج ٤٩٢ و ٤٩٨
 محمد علي باشا وحصار الخرطوم ٨١٣

صفحة

- محمد احمد المهدي وحصار الخرطوم ٧٧٧
 « وفاته واوصافه ٩٢٤
 « قبته وجنته ١١٢٣ و ١٢٨٩
 « وقائعه ٦٥٣ و ٨٢٤
 « مناشيره وكتبه ٦٤٥ و ٩٣٥
 محمد احمد ولد الشيخ ادريس ٩٩٢
 محمود احمد وعاملته على دارفور ١١٦٠
 « وواقعة الاتيره ١٢٢٩
 محمد امام الخبير ١٣٠
 محمد الامين . الشريف والمهدي ٩٥٠
 محمد الامين ال ١٣ من العابدلاب ٢٩٩ و ٤١٧
 محمد الامين مهدي ثقلي ١٣١٦
 محمد باشا امام وحصار الابيض ٦٩٢
 محمد بشاره وعاملته على دنقله ١١٨٩
 « وواقعة ام درمان ١٢٣٠ و ١٢٨٤
 محمد البشير . شيخ الحمده ١١٣٦
 محمد بك احمد ١٠٨٥ و ١١٥٠ و ١٣١٥
 محمد بك اسكندر . الابيض ٧٠٢
 ١٢٩١
 محمد بك بكير وحملة دنقله ١٢٢٢
 محمد بك بليغ وحملة دنقله ١٢٢٢
 محمد بك توفيق بطل سنكات ٧٤٨
 محمد بك خلوصي وحملة دنقله ١٢٢٢
 محمد بك راسخ ال ١٥ من الولاة ٥٣٦
 محمد بك رفعت وحرب الحبشة ٦٠٤
 محمد بك السيد والقلايات ٦٣ و ٨٩٧

صفحة	صفحة
٦٥	محمد علي باشا مؤسس الاسسدية
٧٩	الخدوية ١٥٦
١١٢٨	د فاتح السودان ٤٩٢ و ٥٢١
٩٩	معمد عوض شيخ الحلائقة • قتله ٩٨٤
٧١	٤٥٥
٢٩	د كتابه الى محمد علي باشا ٤٦٣
١٢٩٣	محمد كمتور ثالث خشم البحر ٤٠٦
١١٣٧ و ٩٨٧	و ٤٢١
١٧٤ و ١٠٧	محمد المجذوب الطاهر ١٠٧٧
١٢٢٠ و ١٠٣	محمد المرغني الاستاذ وعثمان دقنه
٣٣٤ و ٣٢١	٧٥١
١٢١	محمد المهدي السنوسي ١٥٠ و ٧٠٧
٤٠	محمد نور احمد والمهدي ٩٥٠
١١٦٢	محمد نور والتعايشي ١١٣٥
٧٢٧ و ٦٠٦	محمد نور صبر • الفقيه ٤٠٣
١١٨٦ و ١١٥٨ و ١٠٠٥	محمد ود ارياب في القلابات ١٠٥٩
٤٩٨	محمد ود البصير والثورة ٧٩٧
٥٨	محمد وذ علي • خشم البحر ٣٩٨
٦١ : ١ • المساليت ٥٨	محمد • رابع سلاطين الفور ٤٤٤
٥٧	محمود احمد وزاغة ابي حمد ١٢٢٧
٤٤٨ و ٣٩٨	محمود زايد شيخ الضبانية ٨٩٦
١١٢	و ١١٣٧
١٢٣	محمود عبد القادر ٦٩٠ و ١٠٤١
١١٢ و ٦٥	محمود العركي • الشيخ ٣٩٩
٧٣	محمود الحلاوي ٥٣٧ و ٦١٨
١١٦ و ١١٤	محمود الحاج في دقله ٧٩٤
١٧	محو بك • ثاني ولاة الفتح الاول ٥١٣
١٢٥	مدارس السودان ١٦٣ و ٢٠٤
د وتسليمها لمصر سنة ١٨٦٦	مدثر ابراهيم ١٢٨٩ و ١٣١٤
٥٥٤	مدن السودان واثارها ٨٨
٩٠٢ و ١٨٨٥	
٨٣٣ و ٧٩٢	
١١٢٧	

صفحة	صفحة
٥٦	ناصر ان ١٢ من سلاطين الغور ٤٤٥
٢٤٣ و ٢٢٠ و ٧٩ و ٦٠	ناصر . رابع وزراء الهمج ٤١٢
٢٦٢	ناصر . ثامن عشر ملوك سنار ٢٩٨
٨٤٤ و ٧٢٧ و ٦٨٦ و ٦٠٩	ناصر الامين ال ١٦ العابد لاب ٤٠٤ و ٤١٩
النور بك محمد ٨١٩ و ٩٨٩ و ١٢٩٢	ناصر ملك نقلي ٥٤٢
النور الكنزي و واقعة سرس ١١٠٤	ناصر ملاك قدير ٦٥٦
النور ود وفقراء ٨٩٨ و ١٠٥٩	النافعاب ١:٦٢ * ناوي بلدة ١٠٠
نوري ١٠٤	نايل . ثالث ملوك سنار ٢٨٩
نوفل النمساوي . اسره ١٠٤٨	نباتات السودان ٣٣
نوفل انقاذه من الاسر ١٢٨٧	نبته . مملكة ٣٠٢
نول . سادس عشر ملوك سنار ٢٩٥	النبي عيسى في السودان ١٠٦٤ و ١١٦٤
النوير ٥٤ * النيام نيام ٥٩	النجل المكرم ١١٦٣
النيل الابيض * النيل الازرق ١٧:١٠	نجم ذو ذنب ظهوره ١٨٨٢ و ٦٥٦
النيل الكبير ٥٠٢ الى ٥١٧:٤٩٢ الى ٥٢١	نجيب افندي ابكار يوس ٨٨٦
	نجيب افندي شقره ١٢٢٢
	النحاس ٢٥ * النحل ٥٠
	نخله افندي ١١٢٩ و ١١٤٥
	تادرس ١٢٨٨ و ٣٣
	النخيل ٣٣
مارون الامير . دار فور ٦٠٦ و ٦٦٢	نصحي باشا و حصار الخرطوم ٨١٠ و ٨٢٠
مارون محمد اخو التمايشي ١٣١٠	النصرانية في مصر و اثيوبيا ٢٢٢ و ٢٦٢
هاشم . سلطان كردوفان ٤٤٨	نصر الدين . ملك الميرقاب ٤٩٦
الهباتية ١:٧٢ * الهدندوة ٦٠	النطرون ٢٦ * النعام ٤٧
هرين . المستر ٨٢١	نعوم عجمي الحلبي ١٢٩٠
هر ١٠٦	النقيعاب ٥٤ * النقاره ٧٢١ و ٢٧٥
احتلالها سنة ١٨٧٥ ٦٠٣	نمر . اخر ملوك الجعليين ٤٢٦
اخلاؤها سنة ١٨٨٥ ٩٠٤	نمر و غدره ياسماعيل باشا ٥٠٩
هكس باشا و واقعة شيكان ٧١٢	النهاضة ورقيق السودان ٥٥٧
الهمج ٦٧	نرات ميامون . الملك ٢١٨
هنتر باشا و قائع السودان ٩٩٧ و ١١٢٥	نوار . ال ٢٥ من ملوك سنار ٤٠٣
١٢٠٢ و ١٢٢٨ و ١٢٧١ و ١٢٩٨	النواحية * نوبار باشا ٧٢ و ١٠٩٤
هنتر بك الحكيم و حملة دننله ١٢٠٢	

« ه »

صفحة

- واقعة الشلالى ٢٩ مايو ١٨٨٢ ٦٦١
واقعة الداعي ٢٤ فبراير ١٨٨٣ ٦٨١
واقعة الابيض ٨ سبتمبر سنة ٨٢ ٦٩٣
واقعة شيكان ٥ نوفمبر سنة ٨٢ ٧٢١
واقعة تماي الاولى ٢ ديسمبر ٨٣ ٧٥٠
واقعة تماي الاولى ٢ ديسمبر ٨٣ ٧٥٠
واقعة التيب الاولى ٥ نوفمبر ٨٣ ٧٥٠
واقعة التيب الثانية ٤ فبراير ٨٤ ٧٥١
واقعة التيب الثالثة ٢٩ فبراير ٨٤ ٧٥٥
واقعة تماي الثانية ١٣ مارس ٨٤ ٧٥٦
واقعة كورتى ٤ سبتمبر سنة ٨٤ ٧٩٤
واقعة ابي طليح ١٧ يناير ١٨٨٥ ٨٤٢
واقعة المتة ١٩ يناير سنة ١٨٨٥ ٨٤٣
واقعة كربكان ١٠ فبراير ١٨٨٥ ٨٤٣
واقعة الجمام ١٢ فبراير ٨٤ ٩٠٦
واقعة قلوسيت ٥ يناير ٨٥ ٩١٢
واقعة كوفيت ٢٣ سبتمبر ١٨٨٥ ٩٨٣
واقعة جنس ٣ ديسمبر ١٨٨٥ ٩٩٧
واقعة هندوب ١٧ يناير ١٨٨٨ ١٠٨٥
واقعة الجميزة ٢٠ ديسمبر ٨٨ ١٠٨٦
واقعة القلابات ٩ مارس ٨٩ ٤٨٢
واقعة ارجين ٢ يوليو ١٨٨٩ ١٢١١
واقعة طوشكى ٢ اوجسطس ٨٩ ١١٢١
(وقائع استرجاع السودان)
واقعة طوكرو ٩ فبراير سنة ١٨٩١ ١١٥٠
واقعة امقبول ٣٠ يناير ١٨٩٣ ١١٩٠
واقعة اغرردت ٢١ ديسمبر ٩٣ ١١٥٨
واقعة فركة ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ ١٢٠٥

صفحة

- هندوب وعثمان دقنه ١:٢٢ و ١٠٨٥
هواء السودان ١:٢٥ * الهواوير ٧١
هولد سمث باشا ١١٤٦
هيوت . الاميرال في سواكن ٧٥٧

« و »

- وابورات السودان ٢٠٦ و ٨٠٣
و ٨٢٠ و ٨٢٢ و ٨٣١ و ٩١٧ و ١٠٢٨
و ١٢١٣ و ١٢٢٨ و ١٢٦٧
واحة سليمة ٢٣ و ١٧ و احة كركر ٩٢
واو . بحر الغزال ١١٩ و ١٣٠١
وادي العلاقي ٩٢
وادي الكعب ١٠٠
وتسن . الكولونيل ١٣١٠
ود برجوب ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٧١٥
ود جار النبي . بلدة ١١٦
ود جار النبي . قتله ١١٣٨ و ١١٧٥
ود مدني ١١٢
ود موس باشا ١:١٣ و ١١٠٧
ودلاي ١١٩
وقائع السودان . اشهرها
(قبل الفتح الاول : الجزء الثاني)
(في الفتح الاول : الجزء الثالث)
واقعة الشايقية ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ ٤٩٥
واقعة بارة ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ ٥٠٦
واقعة قرع ٨ مارس سنة ١٨٧٤ ٦٠٤
واقعة منواشي ٢٥ اكتوبر ١٨٧٤ ٥٩٢
(رتائع الثورة المهدية : الجزء الثالث)
واقعة ابا ١٢ اوجسطس سنة ١٨٨١ ٦٥٣
واقعة راشد بك ٩ ديسمبر ١٨٨١ ٦٥٧

صفحة	صفحة
واقعة الحفير ١٩ سبتمبر ١٨٩٦ ١٢١٢	واقعة أبي حمد ٧ أغسطس ١٩ ١٢٢٦
واقعة الاتبرة ٨ أبريل ١٨٩٨ ١٢٣١	واقعة أم درمان ٢ سبتمبر ١٨٩٨ ١٢٧٧
واقعة القصارف ٢٢ سبتمبر ٩٨ ١٢٩٧	واقعة الرصيرص ٢٦ سبتمبر ٩٨ ١٢٩٨
واقعة جديد ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ ١٢٨٤	ولسلي • اللورد والحملة النيلية ٨٢٣
اللابره ١١٩ : ١ • اللاتوكا ٥٤	ولكوكس • المستر ٩١ و ١٣
اللاذر ١١٨ : ١ • اللاسك ٢٢ و ١٧٧	ونجت • الماجور جنرال السررجياد
	ونجت باشا
ي	سردار الجيش المصري وحاكم السودان
	العام
ياسر • ملك الحبشة ٣٩٦	» مقدمة الكتاب له ٤
يعقوب محمد أخو الخليفة ١٢٨٨	» منشط زراعة القطن ٤١
اليقوياب : ٦٦	» منظم الخرطوم ١٠٨
ينكر السايح الألماني ١٠٩٣	» ولايته على السودان والاصلاح ١٩١
يوحنا ملك الحبشة ٦٠٢ و ١٠٥٩ و ١٠٧٣	» والحملة النيلية ٨٧٧
يوسف ابن السلطان ابراهيم ١٠٥٠	» وواقعة طوشكي والجميزة ١٠٨٦
يوسف بك شدياق ١٢٤	١١٢١ و
يوسف • سلطان وداي ١٠٥٦	» وواقعة طوكرمدير المخابرات ١١٤٩
يوسف الشبخاني ١٢٩٢	» مآثره وتأليفه ٧ و ١١٨٣
يوسف منصور والملازم ١٦٨ و ١٢٩١	» وحملة دنقلة ١٢٠٢ و ١٢١٩ و ١٢٢١
يونس الديكيم ١٠٦٠ و ١١١٠ و ١٣١١	» والوفد الى الحبشة ١٢٢٧
	» وحملة بربير • واقعة الاتبرة ١٢٢٧
	» وواقعة أم درمان ١٢٧١
	» وحللة فاشودة ١٢٩٣
	» تسميته ادجوتانت جنرال ١٢٩٦
	» حملته على الخليفة ١٣٠٦ و ١٣١٤
	» ولايته وخطبه ١١٤٦ : ١٣٢٨

(تم)

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١	ليل المغنين	عمر الدوش	شعر
٢	السنبلاية	محبوب شريف	شعر
٣	لوحة وطن في عيون طفلة	قاسم أبو زيد	شعر
٤	نار الزغاريد	أمير تاج السر	رواية
٥	ملاحم من علم الجمال	محمد عثمان مكي	فلسفة
٦	The Domed Tombs of Estern Sudan	صلاح عمر الصادق	دراسة
٧	دفاع أمام المحاكم العسكرية	عبد الخالق محجوب	دراسة
٨	الجرح والفرنوق	د. عبد الله علي إبراهيم	مسرحية
٩	الرحيل في الليل	عبد الرحيم أبو ذكرى	شعر
١٠	الماركسية ومسألة اللغة في السودان	د. عبد الله علي إبراهيم	دراسة
١١	أقصى شاشة الإصغاء	الصادق الرضى	شعر
١٢	حوار حول النزعات المادية	محمد إبراهيم نقد	دراسة
١٣	تاريخ الفور الاجتماعي	تاج السر عثمان الحاج	تاريخ
١٤	الماركسية والثقافة	فرامش ت: الجيد على عمر	دراسة
١٥	تداعيات - الجزء الثاني	يحيى فضل الله	مقالات
١٦	علاقات الأرض في السودان	محمد إبراهيم نقد	دراسة
١٧	آراء وأفكار حول فلسفة الإخوان المسلمين	عبد الخالق محجوب	دراسة
١٨	الإرهاق الخلاق	د. عبد الله علي إبراهيم	مقالات
١٩	أوراق للذاكرة	عبد الله ميرغني الميري	دراسة عن المسرح
٢٠	أوراق شوق الخرطوم	عالم عباس	شعر
٢١	عشائر الآفات الحشرية	د. تاج السر بشير	علم النبات
٢٢	إصلاح الخطأ في العمل بين الجماهير	عبد الخالق محجوب	دراسة
٢٣	مبادئ وموجهات حول البرنامج	محمد إبراهيم نقد	دراسة
٢٤	قصص سودانية	عبد الماجد عيش	مجموعة قصص
٢٥	عفواً سادتي لا تغلقوا الزجاج	عثمان عبد الله	مجموعة قصص
٢٦	منطقة مروي المظهر والجوهر	فاطمة أحمد علي	دراسة
٢٧	أزرق النيامة	بشرى الفاضل	قصص قصيرة
٢٨	حكاية البنت التي طارت عصافيرها	بشرى الفاضل	رواية
٢٩	رسالة من جكا	محمد يعقوب	قصص قصيرة
٣٠	الأطفال والعساكر	محبوب شريف	شعر

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٣١	مقالات وخواطر	حسن كنفاح	مقالات
٣٢	مبادئ فيزياء الجوامد	د. أحمد خوجلي	علوم
٣٣	قضايا الديمقراطية في السودان	محمد إبراهيم نقد	دراسة
٣٤	روائع حقبة أمدرمان	محمد حسن علي (الجفر)	دراسة
٣٥	مازق السلطة الرابعة	د. فتح الرحمن محبوب	إعلام
٣٦	الخنق	عبد الحميد محمد أحمد	إعلام
٣٧	أصل الفونج	ترجمة: عثمان أحمد عبد الرحيم	دراسة
٣٨	حوار حول الدولة المدنية	محمد إبراهيم نقد	سياسة
٣٩	تقنيات مكافحة الآفات بالمبيدات	محمد المصطفى حسن	زراعة
٤٠	قوارض السودان والشرق الأوسط	محمد المصطفى حسن	زراعة
٤١	حورية مريس	عبد الباسط آدم مريود	م. قصصية
٤٢	أساسيات علم المحاصيل	أ. ديس إبراهيم دقش	زراعة
٤٣	فيض الذاكرة - دراسة عن الشيخ عبد الله الشيخ البشير	الطيب محمد الطيب - عبد الله علي إبراهيم - صلاح عمر الصانع	دراسة
٤٤	الأمثال السودانية	صلاح عمر الصادق	أطباء في الأدب والفن
٤٥	أنشطة الشيطان	خليل عبد الله الحاج	دراسة
٤٦	مقدمة في الاتصال الجماهيري	د. محمود محمد قلندر	مجموعة قصصية
٤٧	الدعابة والمرح في الشعر السوداني	عبد الحميد محمد أحمد	إعلام
٤٨	من رواد أدب الفكاهة في السودان	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٤٩	معاً لكشف مخاطر المخدرات والمؤثرات العقلية	فريق شرطة كمال عمر بابكر	دراسة
٥٠	داء السكر وآثاره الجلدية والجنسية	د. عادل حامد حسن	دراسة
٥١	الفكاهة في الشعر السوداني	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٥٢	هوامش من مسيرة جمال نوبى	محمد خلف الله سليمان	مجموعة قصصية
٥٣	مساهمة في حل أزمة العقل العربى المسلم	طه إبراهيم	دراسة
٥٤	الضفة الأخرى	أبكر آدم إسماعيل	رواية
٥٥	خنسوات السودان	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٥٦	درب المحبة	محمد علي أبو قطاطي	شعر
٥٧	بريارة والمجذوب	فاطمة محمد عمر عتباني	مجموعة قصصية
٥٨	المسؤولية التقصيرية عن فعل الغير في الفقه الإسلامى المقارن	أ. د سيد أمين	قانون

إصدارات دار عزة للنشر (الغردوط)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٥٩	الأدب فى عصر العلم	ح. لى	أدب
٦٠	الشيوعيون السودانيون والديمقراطية	ترجمة عبد الخالق محجوب	دراسة
٦١	رجال مجنون	د. أنور مبارك محمد صالح	م. قصصية
٦٢	مارتجلو	أحمد محمد ضحية	رواية
٦٣	العلمانية والإسلام	د. كامل إبراهيم حسن	سياسة
٦٤	حول البرنامج	عبد الخالق محجوب	سياسة
٦٥	حسن روكتسى	عبد الماجد عيش	قصص
٦٦	الاقتصاد القياسى	د. بسام يونس إبراهيم - د. أنمار أمين حاجى - أ. عادل موسى يونس	اقتصاد
٦٧	قانون التأمين المقارن	أ. د سيد أمين	قانون
٦٨	قضايا ما بعد المؤتمر	عبد الخالق محجوب	سياسة
٦٩	حكاوى بربرى مأمور شندى	د. كامل إبراهيم حسن	مقالات
٧٠	مناقشات حول الديمقراطية والوحدة الوطنية فى السودان	محمد على جادين	سياسة
٧١	دعوة للتفلسف	محمد عثمان مكى	فلسفة
٧٢	خلاصة الميراث	أ. د سيد أمين	قانون
٧٣	المبادئ الأساسية للقانون المقارن	أ. د سيد أمين	قانون
٧٤	النيابة عن الغير فى عقد الزواج	أ. د سيد أمين	قانون
٧٥	نبض الخاطر	صلاح يوسف	مقالات
٧٦	أيام فى مملكة بلقيس	محمد محبى الدين عبده	مقالات
٧٧	أمثال الشايقية	محجوب كرار	دراسة
٧٨	صحو الكلمات المنسية	النور عثمان أبكر	شعر
٧٩	كادقلى ومسيرة السلام	عبد ركن (م) محمد الطيب فضل	دراسة
٨٠	المعاملات الشرعية	أ. د سيد أمين	قانون
٨١	إسماعيل حسن القيثارة الخالدة	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٨٢	تاريخ السودان من منظور فرنسى	بروفير محمد على مختار	تاريخ
٨٣	حكواتى نبته	عبد العظيم حمدنا الله	مسرح
٨٤	النبات الاقتصادى	أ. د يس محمد إبراهيم	زراعة

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٨٥	أمرأة من حليب البلبال	مبارك الصادق	رواية
٨٦	الجامع المسبوك بين الساسة والديوك	د. كامل إبراهيم حسن	مقالات
٨٧	الفكر وتطوره عند المسلمين	بروفير محمد على مختار	تاريخ
٨٨	علاقات الرق في المجتمع السوداني	محمد إبراهيم نقد	دراسة
٨٩	احتبي لأبحث عنك	عيسى الحلو	مجموعة قصصية
٩٠	التي بعد البرجل	أمير شمعون	شعر
٩١	مجموعة نورا	محمد حسن سالم حميد	شعر
٩٢	تفاصيل ما حدث	محمد حسن سالم حميد	شعر
٩٣	اقتصاديات النقل في السودان	د. عبد الرحيم أحمد إبراهيم	اقتصاد
٩٤	الإبداع في الشعر الشعبي السوداني	د. فرح عيسى محمد	دراسة
٩٥	حكاية الإنسان والبلدة	مبارك عبد الرحيم صباحي	رواية
٩٦	أستاذ الأجيال - عبد الرحمن على طه	د. فدوى عبد الرحمن	سيرة
٩٧	التأويل الصوفي للحداثة في الإسلام	د. بكرى خليل	دراسة
٩٨	أصول الأدب السوداني الحديث	د. مختار عجوبة	دراسة
٩٩	رجل شفاف	أحمد فضل	مجموعة قصصية
١٠٠	جنوب السودان	ابيل اليبر	سياسة
١٠١	الإنداية	الطيب محمد الطيب	دراسة
١٠٢	أيام صفانا	محمد بشير عتيق	شعر
١٠٣	ممارسة السياسة وغياب الوعي الأمني	حسن بيومي	دراسة
١٠٤	وضاحة	أزهري محمد علي	شعر
١٠٥	تاريخ النوبة الاقتصادي الاجتماعي	تاج السر عثمان	دراسة
١٠٦	كلكم	عصام الدين بشير	دراسة
١٠٧	علم الاجتماع السياسي	د. عمر يوسف الطيب	اجتماع
١٠٨	الديمقراطية والهوية	عبد العزيز حسين الصاوي	سياسة
١٠٩	وطن تاجوج وعزة	عبد الله النجيب	شعر
١١٠	ملكة الجعلين الكبرى	جعفر حامد البشير	دراسة
١١١	انتظري	هاشم صديق	شعر
١١٢	أوراق سودانية	شوقي ملاسي	سياسة
١١٣	أدب الزنوجة	محمود موسى تاور	أدب
١١٤	تطورات العقد الاجتماعي في السودان	عبد الرحمن قسم السيد	دراسة

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١١٥	هذه هي الحقيقة	د. يوسف عبد الله	دراسة
١١٦	قانون الاجراءات المدنية	محمد الشيخ عمر	قانون
١١٧	شرح القانون الجنائي السوداني	يس عمر يوسف	قانون
١١٨	ذهب مروي	صلاح عمر الصادق	آثار
١١٩	المجموعة الشعرية الكاملة	جعفر حامد البشير	شعر
١٢٠	أزمنة الشاعر الثلاث	عبد الله شابو	شعر
١٢١	البحر القديم	مصطفى سند	شعر
١٢٢	أفريقيا لنا	محيى الدين فارس	شعر
١٢٣	كادان والجدول الرابع	الكاشفي محمد بخيت	دراسة
١٢٤	آفاق جديدة	عبد الخالق محجوب	دراسة
١٢٥	إضاءات على جسد الموت	جون أوراليواوكج	مجموعة قصصية
١٢٦	زهور ذابلة	استيلا قايتانو	مجموعة قصصية
١٢٧	أدب الصيد والقتل في السودان	محمد حسن الجقر	أدب
١٢٨	رجع الصدى	أبو بكر وزيري	إعلام
١٢٩	القضية الاجتماعية والمجتمع المدني في السودان	د. عبد الرحيم أحمد بلال	دراسة
١٣٠	الشائقية	إخلاص محمد عثمان	دراسة
١٣١	قبائل دارفور	سبيل آدم يعقوب	دراسة
١٣٢	الضريبة على القيمة المضافة	د. حسن بشير محمد نور	اقتصاد
١٣٣	أم درمان حقبة الفن لماذا؟	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٣٤	التصوير البيئي للميعاد	د. بحر الدين عوض	دراسة
١٣٥	الإنسان واللسان السوداني	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٣٦	فقه الإثبات	د. صديق عبد الباقي	قانون
١٣٧	تحليل الوعي	متوكل على محمد	علم نفس
١٣٨	تاريخ الفلسفة	محمد عثمان مكي	فلسفة
١٣٩	يوميات الحركة الإسلامية	عبد الماجد عليش	سياسة
١٤٠	المسيد	الطيب محمد الطيب	دراسة
١٤١	ملاحم من المجتمع السوداني	حسن نجيلة	تاريخ
١٤٢	ذكرياتي في البادية	حسن نجيلة	مذكرات
١٤٣	الإدارة الهندسية	د. الأمين عبد الجليل	هندسة
١٤٤	الأمير عثمان جانو	إخلاص محمد علي حمد	تاريخ

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١٤٥	سلطنة دارفور	النور عثمان ابكر	تاريخ
١٤٦	المخدوعة	أحمد محمد الحسن عثمان	شعر
١٤٧	أروى رنة الفرح المهاجر	بابكر عوض الكريم	شعر
١٤٨	مصاييح السماء الثامنة وطشيش	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٤٩	المجموعة الشعرية الأولى	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٥٠	لم يبق إلا الاعتراف	عمر عبد الماجد	شعر
١٥١	المجموعة الشعرية الكاملة ج ٢	المعز عمر بخيت	شعر
١٥٢	رجعنا مع البادرات إلى خط الاستواء	مصطفى سند	شعر
١٥٣	الفيلسوف وقصص أخرى	محمد عبد الهادي	قصص
١٥٤	رحيل النوار خلسه	د. محمد عثمان الجعلي	مقالات
١٥٥	ديوان الشيخ حياتي	الطيب حياتي	مديح
١٥٦	امرأة من كمبو كديس	عبد العزيز بركة	قصص
١٥٧	اللغويات لتصحيح اللغة	جعفر حامد البشير	أدب
١٥٨	القهوة في السودان	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٥٩	أدبيات الشاي في السودان	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٦٠	ذكريات الصراحة	جعفر حامد البشير	مذكرات
١٦١	دوباي ود كاهل	الطيب عبد الله	أدب
١٦٢	السودان في القرية والمدينة	جعفر حامد البشير	أدب
١٦٣	الحج	علاء الدين محمد بابكر	دين
١٦٤	قضايا الفلسفة الاجتماعية	عبد المتعال زين العابدين	فلسفة
١٦٥	الاقتصاد الجزئي	عبد الله الشريف الغول	اقتصاد
١٦٦	أساليب التقييم الاقتصادي	حسن بشير محمد نور	اقتصاد
١٦٧	قضايا التنمية المستدامة	د. شريف الدشوني	اقتصاد
١٦٨	Transportation in Sudan	A.rhaim	اقتصاد
١٦٩	جنسية المرأة المتزوجة	الطيب عبد الجليل	قانون
١٧٠	الحضارات السودانية	صلاح عمر الصادق	آثار
١٧١	ملكة الجعليين	جعفر حامد البشير	تاريخ
١٧٢	الديمقراطية في التربية	محمد علي حمد	تربية
١٧٣	متغيرات العصر	محمد إبراهيم نقد	سياسة
١٧٤	الصراع السياسي الثقافي في القرن الأفريقي	د. موسى محمد عمر	سياسة

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١٧٥	المراعى والعلف	محمد إبراهيم دقش	زراعة
١٧٦	إنتاج المحاصيل	محمد إبراهيم دقش	زراعة
١٧٧	حجر الدغش	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٧٨	الرجعة للبيت القديم	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٧٩	يوميات سودانية	نصر الدين شلقاني	مذكرات
١٨٠	المدارس الاشتراكية في أفريقيا	عبد الخالق محجوب	سياسة
١٨١	مؤتمر البجا	محمد لوهاج ادروب	سياسة
١٨٢	جغرافيا الميعاد	د. بحر الدين عوض	دراسة
١٨٣	الحرب الأهلية وفرص السلام	إبراهيم على إبراهيم	دراسة
١٨٤	نظريات اجتماعية معاصرة	عمر عبد الجبار محمد أحمد	اجتماع
١٨٥	المرأة الأفريقية	د. فاطمة بابكر	دراسة
١٨٦	السودان حرب الموارد والهوية	د. محمد سلمان	سياسة
١٨٧	برشت قصائد من الألمانية	د. محمد سليمان	شعر مترجم
١٨٨	سارى الليل «الجراد وأثره على الصمغ العربى»	محمد مصطفى حسن	زراعة
١٨٩	علاقات السودان الخارجية	عبد الحميد محمد أحمد	سياسة
١٩٠	المدارس الاشتراكية في أفريقيا	عبد الخالق محجوب	سياسة
١٩١	دراسات سودانية في الآثار والفلكلور	صلاح عمر الصادق	آثار
١٩٢	دراسات في الفلكلور السودانى	د. نصر الدين سليمان	فلكلور
١٩٣	اقتصاد الانقاذ	محمد عبده كبيج	اقتصاد
١٩٤	الموية عطشانة	محجوب الحاج	شعر
١٩٥	أنا عطيرة	الحاج عبد الرحمن أحمد	شعر
١٩٦	الجناية فيما دون النفس	د. صالح أحمد النوم	قانون
١٩٧	الجرائم المعاقب عليها بالقتل	د. صالح أحمد النوم	قانون
١٩٨	قياب شرق السودان	صلاح عمر الصادق	قانون
١٩٩	أضواء على الملكية الفكرية	محمد عزت بابكر	آثار
٢٠٠	Excesses in human Right	ابيل الير	قانون
٢٠١	الأديب السودانى أحمد المبارك عيسى	د. عبد الحميد محمد أحمد	أدب
٢٠٢	تاريخ الحركة النقابية السودانية	على محمد بشير	تاريخ
٢٠٣	ترانيم الحصار	عمر عبد الله محمد على	م. قصصية
٢٠٤	تشريح العقل العرقى	منتصر الطيب	اجتماع

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٢٠٥	الميراث السياسي الممتد	د. عبد الحميد محمد أحمد	سياسة
٢٠٦	تطور المرأة السودانية وخصوصيتها	تاج السر عثمان الحاج	سياسة
٢٠٧	الطمبور وأغاني الشايقية	إخلاص محمد عثمان	أدب
٢٠٨	ملامح من الوجه القديم	مصطفى سند	شعر
٢٠٩	متى يعود الخريف للجزيرة	د. كامل إبراهيم حسن	أدب
٢١٠	عطر نسائي	عماد براكعة	رواية
٢١١	حول منهج عقلاني لفهم التراث	د. كامل إبراهيم حسن	دراسة
٢١٢	الخريف يأتي مع صفاء	أحمد الملك	رواية
٢١٣	نورا ذات الضفائر	أحمد الملك	م. قصصية
٢١٤	أوراق من الواحة «تجربة صحفى فى بيوت الأشباح»	محمد سيد أحمد عتيق	سياسة
٢١٥	أمة كلها إبداع	محجوب حسن سعد	أدب
٢١٦	إنها برودة الجمال	مصطفى سند	شعر
٢١٧	صراع السلطة والثروة فى السودان	تيم نبلوك	سياسة
٢١٨	مشارطات إيجار السفن	محمد حب الرسول الطيب محمد	قانون
٢١٩	إدارة الوقت فى السودان	شاكر شريف سيد مكارى	سياسة
٢٢٠	كفاح... ونجاح مذكرات شرطى	أبو حميد أحمد إبراهيم	مذكرات
٢٢١	أولاد الترابى - الانكار والتفكر	عبد الماجد عيش	سياسة
٢٢٢	قاموس المصطلحات الاقتصادية	أ.د. على أحمد سليمان	اقتصاد
٢٢٣	الفكاهة ليست عبثاً	الصادق المهدي	أدب
٢٢٤	المرشد إلى قواعد وإجراءات التنظيمات الحديثة	د. أحمد الصافى	إدارة
٢٢٥	TRADITIONAL SUDANESE MEDICINE	د. أحمد الصافى	طب
٢٢٦	جغرافيا وتاريخ السودان	نعوم شقير	تاريخ
٢٢٧	تصبحين على وطن	طارق مطيع	رواية
٢٢٨	صولجان من خشب	سارة شرف الدين محمد	رواية
٢٢٩	القرين وقصص أخرى	أسامة عبد الحفيظ محمد	مجموعة قصصية
٢٣٠	استنباط آيات القرآن الكريم (يحيى الموتى)	أ. علاء الدين محمد بابكر	دراسة
٢٣١	فرنيب فى بلاد موديبا (انطباعات عن جنوب أفريقيا)	د. كامل إبراهيم مسن	مقالات

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٢٣٢	فى سبيل تحسين العمل القيادى	عبد الخالق محبوب	سياسة
٢٣٣	الترجمة	لبلى أبو العلا	رواية
٢٣٤	الفكر الإسلامى وقضية المرأة	د. عمر القداى	دراسة
٢٣٥	غلام الله بن عايد وآثاره فى السودان	د. سمير محمد عبيد نقد	دراسة
٢٣٦	أذان الأنعام	د. عماد محمد بابكر	دراسة
		وم. علاء الدين محمد بابكر	
٢٣٧	الحركة النقابية	من الله عبد الوهاب	دراسة
٢٣٨	الصادق المهدي الانكفائية	د. عمر القراى	سياسة
٢٣٩	العمارة فى السودان	الجمعية الهندسية	هندسة
٢٤٠	الأم	مكسيم جوركى	رواية
٢٤١	السيف والنار	سلاطين باشا	تاريخ
٢٤٢	صباحات ذاهى ومساء الخيرات	محمد الفكى	رواية
٢٤٣	اقتصاديات الملاحة النهرية	د. محمد عثمان ال	اقتصاد
٢٤٤	تحفة العروس		